

تفسير ابو السعود افندي

Süleymaniye Kütüphanesi
Atık | AMCAZADE HÜSEYİN PAŞA
Yeni Kayıt No. | 15

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وكفى
جل وعز انزل عليه الفرقان على عبده
ليكون للعالمين نذيرا انا عربيا غير ذي عوج
لعلهم يتقون مصدقا لما بين يديه من الكتاب
وتفصيل الكتاب ليدبروا آياته
وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر
رشيد هاديا الى صراط العزيز الحميد
امر العباد ان يعبدوا الصمد المعبود كتابا متشابها
تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي يهبطن
تمور ويذوب منه الحديد ويسمع صم
الصخور حقيقا بان يسير الجبال
ويسير به كل صعب محال معجزا لامم
كل مصقع من بسرة قحطان وبكت
كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو
اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته

لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته
نزله على خير رسله من ارسل ليرشد الامة
الى اقوم السبل فهداهم الى الحق وهم في
ضلال مبين سمى صمخى وجلى الباطل و
سطع نور اليقين لمن اتبع هداه
فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه
واتخذ الهه هواه فقد تام في مهاوي
الردى وتردى في مهاوي الزور
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
صلى الله عليه وعلى آله الاخيار
وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار
وتعاقبت الظلم والاصوار
وعلى من تبعهم باحسان
مدى الدهور والازمان

اما بعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة
العالم وامكان حرف منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة
الصانع المجيد وعبادة الباري المبدئ المعيد ولا سبيل الى اذعان الطالب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل
فانه عز سلطانه وبهر برهانه وانشر آيات قدرته في صحايف الاكوان ونصب رايات وحدته في صفايح الاعراض
والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات الغيم وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع
وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله محتوية واضحة المكنون
وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لاريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل انطقها بتلو آيات
ربه فهل من سامع وداع ومجيبا صادقا فيما له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب
مقولهم بجاورتارة باوضح عبارة ولمح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات و
الدلائل والاستشهاد بتينك الامارات والمخائل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن لمعارف
تينك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر
مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذن عدا المراد ليس الا كلام رب العباد
اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات الكونية والكاشف عن خبايا
خطائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الانس وبه تكتسب الملكات الفاخرة ويتوسل الى سعادة الدنيا
والآخرة خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ وغزة المنال في
غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية اغرز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى
العروج الى معارجه الرفيعة ولا يتاتى الترقي الى مدارجه المنيعة كيف لا ذا نظر مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظرية
والجلية ومنطويا على رقايق الفنون الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط
الدلائل الاصلية والفرعية مبنيا عن اسرار الحقايق والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور
فلك الاوامر والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء كما هي قد نسج على غرب منوال واربع طراز واحتجبت
طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقايقه الابية عن العقول وذويت دقايقه الخفية عن اذهان
الفحول يرد عيون العقول سبحانه ويخطف ابصار البصاير بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير
غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى تلخيص عويصات معضلاته
سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار فغاصوا في لجه وخاضوا في تيجه فنظموا فرايده
في سلك التحرير وابرزوا فوايده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والفوا زبرا جميلة
الآثار اما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب
الاحكام حسبما يفهم من سيد الانام عليه شرايف التحية والسلام واما المتاخرون المدققون ذوامع
ذلك الحبر ورايات تلك الحبرة وابدوا خبايا تلك الخرايد وبدايع تينك الفرايد ليعاين الكل دلايل اعجازه ويتشاهدوا شواهد
فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة
لفنون المحاسن الرايعة يتضمن كل منها فوايد شريفة تقر بها عيون الاعيان وعوايد لطيفة يتكشف بها
اذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المتقران بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما
قد احرز قصب السبق اي احراز كانه مراة لاجتلاء وجه الاعجاز صحايفهما مرايا المرآيا الحسان و
سطور هما عقود المجان وقلايد العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام
اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على
استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوايدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرايدهما

على ترتيب انيق واضيف اليها ما الغيبة في تضاعيف الكتب الفاخرة وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة
من نوادر الدقايق واسلك خلالها بطرق التريع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة
شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ناسخ للفكر العليل بالغاية الربانية ومحج النظر الكليل بالهداية
السبحانية من عوارف معارف يمتد اليها اعناق الهمم من كل مارب وغرايب رغايب ترنو اليها
احداق الامم من كل مخرج اديب وتحقيقات متينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الاقدام وتدقيقات
متينة تزيل ظلمات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار يشتبه فيها الشؤن ومدارك انظار
يختلط فيها الظنون وابرز من مرآة استار المكون من دقايق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون
ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خبايا الرموز وخبايا الكنوز وابديها الى الخزانة العامرة
الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض
الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباسل
وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم انوف
الفاغرة والجابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب منصر الله
العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق غرة المنير فانتهى الى المشرق الاسنى وغرب حتى بلغ مغرب
الشمس اودنا فتدلى عبر عبور مستاخر الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح بين افق الطلوع
والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت
ظلال رايته الرايعة فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فياله من ملك استوعب
بملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه او قبضت
عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الانام قاصم القياصرة وقاسر القروم
سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة
الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الطيبين المعظمين وحامي المقامين
الجميلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخوافق العثمانية السلطان ابن السلطان ابن السلطان
سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة
في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان
السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد لازالت سلاسل سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة
الزمان وارواح اسلافه العظام مستبشرة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك من اقدام واحجام
لقصور شاني وعزة المرام ابن الخصيف من الذرى شتان بين الثريا والثرى وبهات اصطيادا
العنقاء بالشباك والحيتان والجوزاء من برج الافلاك قضت عليه الدهور والسنون وتغيرت
الاطواره تبدلت الشؤن فاتبلت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء
العساكر والاجناد فحال بيني وبينما كنت اخال تراكم المهمات وتراحم الاشغال وجموم العوارض
والعلايق وهجوم الصوارف والعوايق والتردد الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار
وكنت في تضاعيف تاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور وانسى الى القرار
وتطمئن الى الدار واظفر حينيذ بوقت خال اتبتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه
وجهتي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتوقع سر الحق في كل موجود
تلافيا لما قد فات واستعدادا لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما
توجهت اليه برفاهة واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا الى

مالم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حوّال فوقعت فى امر شق من الاول امرت بحل مشكلات الانام
فيما شجر بينهم من النزع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالحارب من المطر الى السيول
فبلغ السيل الزبى وعمرنى اى عمر غوارب جرى بين يديه وعرو فاضحيت فى ضيق المجال وسعة
الاشغال اشهر من يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث برهة
واستمرض الايام وهى صحايح الى ان تشفتنى وفيت حوادث تحقق ان السالفات منايح فلما انهزمت
عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل الاسباب فى شرف
الشتات ودهمنى الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الاجل من المحلول واشرفت شمس الحيوة
على الافول عزمت على انشاء ماكنت انويه وتوجهت الى املا آء ماظلت ابتغيه ناويا ان استميه عند
تمامه بتوفيق الله سبحانه وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره
على وتزاحم المشاغل بين يدى متفرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت
فى ان يعصمنى عن الزيغ والزلل ويقينى مصارع الشوى فى القول والعمل ويوفقنى للتحصيل بما ارومه واجوه
ويهدينى الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد امتتع به يوم المعاد فياس توجهت وجوه الذل
والابتهال بخوابى المنيع ورفعت ايدى الفراغة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار
التوفيق واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه مرضاتك
ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا فى لحظة ولا آن وحذ بنا صيتنا الى الخير حيث كان جُدْ لنا على جباه الاستكانة
ضارعين ولابواب فيضك قارعين انت الملاذ فى كل امر مهم وانت المعاذ فى كل خطب ملم لا خير
الا خيرك ولا رب الا ربك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليه النشور

الفاتحة فى الاصل اول مامن شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل ثم اطلقت على اول كل
شئ فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجى حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا واتا بالنقل من
الوصفية الى الاسمية او من مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا بانه كانه من الفتح فان تعلقه به
بالذات وبالباقى بواسطة لكن لا على معنى انه واسطة فى تعلقه بالباقى ثانيا حتى يرد انه لا معنى فى الخاتمة لما ان ختم الشئ عبارة
عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع اللابسة عن اجزاء الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات
وبواسطته فتح للمجموع بواسطة لكونه جزءا منه وكذا الكلام فى الخاتمة فان بلوغ آخر الشئ يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته
على الوجه الذى تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافى فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار
جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصى لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول
ولا ضير فى اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم فى اوايل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية
من جهة الله عز اسمه ومن جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفى فيها تحصل باعتبار تحققه فى علمه عز وجل وفى اللوح
او باعتبار انزل جملة الى السماء الدنيا واملاء جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه
وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما مر والشهور والاضافة بمعنى اللام كما فى جزء الشئ لا بمعنى من كما توهمته لما
عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئى له ومدار التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا فى القراءة
فى الصلوة ولا فى التعليم ولا فى النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما
يقرأ فى الصلوة حتى يعتبر فى التسمية مبدأيته له واما الاخيران فلان اعتبار المبدأية من حيث التعليم او من حيث
النزول يستدعى مراعاة الترتيب فى بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب فى ان الترتيب التعليمى و
الترتيب النزولى ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشاء اما المبدأيتها له واما لاشتمالها

على ما فيه من الثناء على الله عز جل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده وسائر جلة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التى هى سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب
وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونها اصلا لكل الكاينات والآيات الواضحة الدلالة على معانيها لكونها
بينة يحمل عليها المتشابهات وحناط التسمية ما ذكر فى ام القرآن لما اورده البخارى فى صحيحه من انه يبدأ بقراءتها فى الصلوة
فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام اعطيت من كنز تحت العرش ولما
ذكره
فى ام القرآن كما مر الوجه فى تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة
لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هى شفاء من كل داء
والسبع المثانى لانها سبع آيات تثنى فى الصلوة او لكونها مرتين ولحفاظها على ما روى انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة
وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم اختلفت الائمة فى شان التسمية فى اوايل السور الكريمة فجعل انها ايات من القرآن اصلا
وهو قول ابن مسعود رضه ومذهب مالك والمشهور من مذهب ائمة الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام
وفقهاؤها وقيل انها قرآن من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هى آية تامة من كل
سورة قصدت بها وهو قول ابن عباس رض وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضى الله تعالى عنهم وعليه تحمل اطلاق عبارة ابن الجوزى
فى زاد المسير حيث قال عن ابن عمر رضى الله عنهما انها انزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهرى
وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وهو القول الجديد للشافعى رح ولذلك تجهر بها
عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعى لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة رح
كونها قرانا فى سايل السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولى الشافعى
على ما ذكره القرطبى ونقل عن الخطابى انه قول ابن عباس وابى هريرة رضى الله عنهما وقيل انها آية تامة فى الفاتحة
وتبعض فى البواقى وقيل بعض آية فى الفاتحة وآية تامة فى البواقى وقيل انها بعض آية فى الكل وقيل انها من القرآن متعددة
بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزى فى الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض
المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة فى الفاتحة وليست بقرآن فى سايل السور ولولا اعتبار كونها آية تامة
فى الفاتحة لكان ذلك احد محلى تردد الشافعى فانه قد نقل عنه انها بعض آية فى الفاتحة واما فى غيرها فقوله مترددا قيل
بين ان يكون قرانا اولا وقيل بين ان يكون آية تامة اولا وقال الامام الغزالى والصحيح من الشافعى سوء الترديد والتتبع
وعن احمد بن حنبل فى كونها آية كاملة وفى كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزى ونقل انه مع مالك وغيره
ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من الاقاويل هى الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها فى المصاحف الا ما
على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يعضى بنفى القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة
على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن يستدعى كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعى كونها آية منفردة
منه واما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان من تركها فقد ترك مايَة واربع عشرة آية من كتاب الله وما
روى عن ابى هريرة عن الله تعالى عليه وسلم قال فاتحة سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روى
عن ام سلمة رضى الله تعالى عنها من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية
وان كل واحد منها على نفى القول الثانى فليس شئ منها نصا فى اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا
على كونها آيات من كتاب الله تع متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل
واحدة منها الا ان يلتجا الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا
منها قول لم يقل به احد واما الثانى فسكت عن التعرض لحالها فى بقية السور واما الثالث فغاطق بخلافه مع
مشاركته للاثنين فى السكوت المذكور والباء فيها للمتعلقة بمعنى ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انك قد ذلك فى تسمية المائدة

عند الطول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة بتركها اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المجرور للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في باسمك نجيد وتقديرا بدأ لاقتضائه اقتصار البترك على البداية نحن بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه استمدادا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا التقدير فعلى اذا لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يقرأ فيه اه ومن هنا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية البترك باسمه تعالى وهدايتا الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وانما كسرت دون حق الحروف المزيدة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الخفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة واحلقت على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ولام الايمان عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوايل على السكون قد اوخلت عليها همزة الابتداء همزة الوصل فيما ابتدئ بساكن كاسم وابن وامرئ ونحوها وهمزة القطع فيما ابتدئ بمتحرك كاثنين وامرأة ونحوها والاسم في اللغة العلو والارتفاع ومنه السمو للمكان العالي والسماء لكل ما علاك فاظلك والسنام لما علا من ظهر البعير والسمة للعلامة التي يعرف بها الشيء لارتفاعها على غيرها ومنه الوسم للكي بالميسم لارتفاعه على الجلد وقيل من السمة بمعنى الطريق لان الاسم طريق الى معرفة المسمى وتسويته له وعند الكوفيين من السمة والسمو حذفت الواو ووصلت عنها همزة الوصل ليقل اعلال الحروف وتعويضا بان الكلمة لما حذف صدرها في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن والتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي فاضته القدرة المؤثرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء مأموراته المتعلقة بالمكلفة وهي الطلوبة بايا ما نستعين او تارة اخرى باسم عز وعلا وحقيقتها طلبه المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه لم يعتد باسمه تعالى كما يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم من الاستعانة الاولى ان قيل فليجعل الباء على البترك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان البترك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التجاوز فيه فلا بد من ذكر الاسم ليتقطع احتمال ارادة المسمى وسيجيء تمام الكلام في هذا المقام حمل الباء على الاستعانة الثانية او البترك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الا له فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام والتعويض الالف واللام حيث لزماه وجوبا دون معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياس في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على القياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه لامتيازه مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من انحاء الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لما مع اعتبار احدهما اجيب ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لا يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انها اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى ما وفيها معها بها فقد لوحظ معها خصوصية ما اصلا ومن معنى عيني قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فباي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فهو لوله مركب من ذينك من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شأنه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر كذا قالوه واستدل له اشتقاق استوى واستحجر من الناقة والحجر وقيل من أله الى فلان اذا سكن اليه لاطمئنان

القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والصحيح غيره اذ الجار اذا الفائدة يرجع اليه وتوجيهه حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل مواسم علم الذات الجليل ابتداء وعمه بدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بالذات سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كما في الله ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان جنسيا في الاصل وقيل هو وصف في الاصل كالة لما غلبت عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم وبرد له امتناع الوصف به والعلم ان المراد بالمذكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فعنانا لا فرد من افراد المعبود بالحق الا الذات المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم يكسر ما قبله سنة وقيل عبرانية وحذف الفوقاني يضيره العلوة ولا ينعقد واللام اليهين وقد جاء للضرورة كقوله في قوله الا لا ابا لك لله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن والرحيم صفتان بنيتا من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل من صيغ المبالغة نص عليه سيبويه في قولهم مورحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطاف بعضها على بعض والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الى ما على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال ودون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غير ربنا وانما شاع عرفا لما قالوه بالاغلب في باب غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع العرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قيل الاختصاص بان قياس الى نظايرها من فعل يفعل فاذا كان لحلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه من البلاغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقدم مع كون القياس تاخيره لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم خير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلايل النعم وعظايمها واصولها احق بالتقديم مما يدل على دقايقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة

الحمد لله الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل اختيارا كان او مبدأ لاعلى وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فتارة يكون اعم منه ومن وجه كما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني على معنى الانتهاء كما في قولك كلمته فاه وجب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وجبدته وفدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل بما يخالف فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه او في ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نوع من انواع تعلقه به كيفية لائقة به كذلك النوع مغايرة لما اعتبر في النوع الاخر من فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيق بمراعاة لمعونة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعور بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فان الحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالمال على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما ناسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الدرجة والتفسير حان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف

الفعل او ائتلاف المفعول واذلا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعاين ان اختلافهما في كيفية التعلق اختلافا
في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق من قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه وشجاعته قدة وايا ما كان
ليس بسيحا ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان
معنى من غير ترادف للمرئي بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما ترادف النصر الاعانة ومرادف
التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد والا يق بالارادة في مقام التعليم واما ما ذكر
في كتب اللغة من ان معنى الرضى مطلقا كما في قوله تع عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قوله لم لهذا الامر عاقبة حميدة
وفي قول الاطباء فحمان محمود وما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فمعزل عن استحقاق الارادة ههنا استقلالا
او استتباعا بجعل الحامد على ما يعم المعنيين او ليس في اشانة له عز وجل فايدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة
بالثناء واداء آلات الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى وتقيضه الكفران ولما كان الحمد من باب
الشكر داخل في اشانة النعمة والاعتداد بشانها واول على محالها فانما على القلب من الخطاء وفي اعمال الجوارح
من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامره في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
وارتفاعه بالابتداء وجزءه الظرف والجملة النصب كما في شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا يكاد
تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين
لا يكاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم لله تع كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة
اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وسياق اليه
الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده لله تعالى على تلك الكيفية البديعة لا يخطر ببال احد
ان يسال عن كيفية على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتبيان المعبود لا لبيان العبادة
حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتداد بان المعنى تخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد لا تعكيس للامر و
تحمل لتوفيق المنزل المقرر بالوهم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فانما تكفله الآلة
التي اجري عليها الكشف وان فرض من جهة الغير بخيل النظم لابتناء الجواب على خطابه تع وبهذا يتضح فساد ما قيل
انه استيناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بحانه كانه قيل ما شانكم معه كيف
توجهكم اليه فاجيب بجهر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه ان استيناف صدر الحامد بحض ملاحظة العظمة تلك
بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي من غير ان يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع
على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تع لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك مستمر دائم لا حادث
متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو الستر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام وتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد
تخصيص حقيقة الحمد بكل المستدعى لتخصيص جميع افراده به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان العباد
مخلوقة له تع فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجليلة راجعة اليه تعالى بل بناء على
تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة الدوام كيفا وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة
من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لما بعدها واللام وضم اللام
اتباعا لما قبلها بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما منزلة كلمة واحدة مثل البخرة وتخفيف الجيم
رب العالمين بالجر على انه صفة الله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعالي ارادة
الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او عامل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالجملة

لقد اعمال المصدر المحلى باللام ولزوم الفصل بين العامل والمعمول بالجار والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي
تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل ندبه بمعنى جلده
لازما يقتصد الى فعل بالضم كما هو المشهور ومتعد الى المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تع الا مقيدا
كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تع فيسقي ربه خمرا وقوله تع ارجع الى ربك وما في الصحيحين من اعتق امة
ثم علمه وسلم قال لا يقل اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقيل ان النهي فيه
للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله تعالى جائزا في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب
متفرقون خبر الآية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب لما يعلم به الطابع تع من المصنوعات اي في الحد
المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم
الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه حادث وقيل هو كل ما سوى الله من الاعراض
والجواهر والاول هو الحق لظهوره ولانها صيغة الجمع ليبان شمول ربوبيته تع لجميع الاجناس والتوصيف لاستغراق افراد كل منها
باعتبار افرادها لا تعالى هو المقصود بالتوصيف هو بحقيقته من حيث هي او باستغراق افراد الجنس واحدا على البعد الذي اشير
اليه في توصيف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التوصيف تنزل العالم وان لم يطلق على آحاده منزلة الجمع حتى قيل نزل الجمع واحد
لفظه فيكون ان الجمع الموصوف يستغرق آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قولنا تع والله يحب المحسنين اي كل محسن
كذلك العالم يشمل افراد الجنس المستغرق وان لم يطلق عليها كما مر في مفرده التقديري وقرئ بنصب ميم العالمين على تضمين هذا التنزيل معنى الجعل
فيكون ان الاقاويل تتناول كل واحد من آحاد الاقوال تتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الاجناس حتى لا يكاد يحصى
روى عن وهب بن منبه انه قال قد تع ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانا جميعا بلواط والنون مع اختصاص تلك
بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لله تعالى على معنى الجمع مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم وعلم ان عدم انطلاق
اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق
قطعا لتحقق المصداق تماما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تع بكل
جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل
واحد منها في الخارج ممتاز عما عداه ومتاخر عنه بالرتبة وان وجد معه في الزمان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم
التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا يشم رائحة احد ما يتفوه به ناطق الامكان والوجود من
العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في هذه الدار بحيث لو فرض
انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في معمورة العدم وجهاوي البوار لكن
يفيض عليه من الجناب القدس تعالى شانه وتقدس في كل آن يمضي وكل آن يمر ونقتضي من فنون الفيوض
المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يطلع الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق
شيء من الممكنات بداءة الوجود ابتداء لا يستحق بقاء وانما ذلك من جنابه تع الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده
ابتداء ما لم يستدع جميع اخاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بل يختطفه بعلته ما لم يسند عليه جميع اخاء عدمه الطارئ
للان الدوام من خصايص الوجود الواجبي وظاهر ان يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه
وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي الحيثيات
بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده وبقاؤه على ارتفاعها
اي بقائها على العدم مع امكان وجوده في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء
من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير

ثنا بيه فجحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تتالمه العقول بافكارها شانه لا يضاهى
واحسانه لا يتناهى وكنى في حرفة حايرون وفي لقانة مراتم شكره قاصرون نسئلك اللهم الهداية الى مناهج صوفتك و
التوفيق لاداء حقوق نعمتك لا احصى ثناء عليك الا الله الا انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان
للدلالة فان اريد بما يفهم من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى الوجود العين من النعم فوجه
تاخيره عما عن وصفا الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه
الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في حيزها للايذان بانه قد يتخلل فيما فاعل بقضية رحمته الواسعة
من غير وجوب عليه وبانها واقعة على حسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بكمال البركة
المستحابين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وناجرة ما عن الصفات الاول تماما
للحاجة الى بيان وجهه وقراء اهل الحرمين ملك على الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر
والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما
في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرى ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح او
الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في الوجوه عبارة
عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق
الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا وهو الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناتهم كما دانوا واما الاول فالاول والثاني في الثاني ليس بمجاز حقيقة وانما هو
بدمشكلة او تسمية للشيء باسم سببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمها في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة
وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله سبحانه وتعالى في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها
بفعولها نحو عاقبت اللص وظاهره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة بالاص نزل منزلة قيام المسبب به
وهي العقوبة فصارت كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة للمفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين
واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب
وعام الفتح وتخصيصه من بين سايرما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه اظهل في الترغيب والترهيب
فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف
على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي
اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللايق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة
حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة
الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة
على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون
الاضافة لفظية الا يرى انك تقول في مالك عبد ليس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه
منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم وتهويله او ليبان تفرده تعالى بايجاد الامر فيه وانقطاع العلايق
المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية وايجاد ما يتبع الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من
اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه
فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة
فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه
تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منسما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك

الصفات

المعنى بالاختصاص اياك نعبد واياك نستعين التفاتا من الغيبة الى الخطاب وتلوين النظم من باب الى
ايضا جار على نهج البلاغة في فنون الكلام وسلك المراعاة حسبما يقتضي المقام لان الانتقال من اسلوب اخل
في استجلاب التدبر والتمكن من القلوب بتنوع كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين
كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير
ذلك من الالتفات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها وفوايد تستدعيها وقد استاثر بهذا المقام الجليل
من النكت الرايقة الدلالة على ان تخصيص الحاجة والاستعانة بحماه تعالى لما اجرى عليها من النعوت الجليلة التي
اوجبت لديه الكمال تمهيد واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استحقال صيغة الخطاب
والايذان بان حق الحال ان يبتدا بالثناء فيما سلف من تلوه تعالى بداية الاقبل المستوجب للمعبودية وامتيازه بداية عما
سواه بالكلية واستبداده بكمايل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين واستقلال الكل
اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يرتقي من رتبة البرهان الى
طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ بغته في خلايا القدس حاضرا في محاضر الانس
كانه واقف لدى مولاه مائل بين يديه وهو يدعوه بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجات
قائلا يا من بهذه شؤون ذاته وصفاته تختلك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمنزل من
استحقاق الوجود وفضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة
بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومثنية للتنزل اليه بالكلية واياما ضمير منفصل
منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل
لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في اراينك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بجاء
عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياها اشواتلا فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر واياد عامة لما
يتغير ما منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة
هاء والعبادة اقصى غاية الذل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة
فعل ما يرضى به الله تعالى والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي
حر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم
والاهتمام به قال ابن عباس رض معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير العامل المنصوب للتنصيص على تخصيص
كل بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولا يزال الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة
لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن
الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تع والاستعانة من حقوق المستعين
ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة
على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان
فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤل هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللايق
بشان المتنزل والمناسب لحال الحامد فان استعانة مبوقة بملاحظة فعل من افعاله تعالى المستتبعة لفوايد
في ايقاعه ومن البين ان عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة
من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولعل
نحو ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا كيف يتصور ان يشغل
فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعنيها وغيرها كائنا ما كان قيل واياك مستعان في ذلك فانا غرقا در بحر

الكسرة مناسبة للاستقبال فيه في الحكم

على ادار حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى
وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن
الهداية لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اى اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم
مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض
العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستفادا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو
من زمرتهم كما هو دين الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على ان قاصد الاله
الملجأ الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افرادا لمنتظم افراد المتضرعين
المسئولة بالذكر وتعيين لما هو المهم اوبيان لحاجة قيل كيف يقبل اهدنا والهداية دالة بالمطابقة على ايصال
الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله لمن فاهدوهم الى صراط الجحيم دار وعى نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام
كما في قوله عز وجل قل الله يهدي للحق قل افمن يهدي الى الحق فنزل اهتداءه باختيار قومه منزلة اهتدائه وجعل
موسى قومه وعليه قوله تعالى لهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة
منها انتهى كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية
كالمدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فانها
تكوينية موهبة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة الموضحة في كل فرد من افراد العالم جسمانيه وروحانيه
وانفسية تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على
فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه
على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة
وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب تتميها وطالب
يتوخاها والمطلوب انما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وانما الثبات عليها كما روي
عن علي وابن رضي الله تعالى عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان
اعتبر مفهوم الزيادة واخلاقي المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان
حقيقة لان الهداية الزايدة هداية كما ان الهداية الزايدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ
ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لسكون الطاء المصيطر في مسيطر من سرط الشئ اذا ابتلعه
سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقم وقد تشم الصاد صوت الزاء تحريا للقرب
من المجهور منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجميع
المصاحف كالكتاب جمع كتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق و
هي الملة الحنيفة السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل و
هو في حكم تكرير العامل من حيث ان المقصود بالنسبة وفائدة التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم
الله عليهم وهم المسلمون بما لعارف الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطرائق
المستقيم الا اليه والاطلاق الانعام للقصد الشمول فان نعم الاسلام عظام النعم كلها لمن فاز بها فقد حاز كل
خير فاز وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبلهن من قوله تعالى ولقد نادينا نوحا
مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام
ايصال النعم وهي في الاصل الحالة التي يستلذ بها الانسان من النعومة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس

من كتبت

من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في دينوي واخروي والاول ثلاثة وهي
الوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايا
نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والحسنات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي خمسة
النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية
وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما
يتوذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا
الضالين صفة الموصول على انه عبارة عن احدى الطوايف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن
ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب
عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصحيا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك
لكملة ما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة
الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طايفة من الموجودين لا باعيانهم فيكون بعض النكرة كذي
اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه والموسى بالوجود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى
كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على بابه نكرة مثل موصوفة وانت خبيرا بان جعل الموصول عبارة عما ذكر
من طايفة غير معينين محل بدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدار ما كون صراط المنعمين عليهم في الاستقامة مشهودا له
بالاستواء على الوجه الذي يحققه فيما سلف وبين البيان ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض بهم
فهم وبعد البيان ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه
مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان تكتسي ما اضيف اليه نوع تعرف
صحيح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوايد فكلا وقرئ بالنصب
على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب بحجاب النفس لارادة
الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة اليه على مسببه القريب ان اريد
ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من
سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لما صدر منهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان
ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قايم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تع كالانعام جريا على
منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا
ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
جواز انا زيدا لا ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمزة
على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سالت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بش على الفتح كما يين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه
وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال ابين فزاد الله ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقنني جبرئيل
عليه السلام آمين بعد فراغي فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القران وفاقا ولكن يسن
ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة رح ان المصلي اذا جهر بها خافت وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن
الحسن رح مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي ع وعند الشافعي يجهر بها ما دام في المسجد وائل
بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية ولا في الانجيل ولا في القران مثلها قلت بلى يا رسول الله

قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرء صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع العذاب

ثم الالفاظ التى يعبر بها عن حروف المعجم التى من جملتها المقطعات المرقومة فى فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها
تحت حد الاسم ويشهد به ما يجرى عليها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصايص الاسم وقد نص على ذلك اساطين
ائمة العربية وما وقع فى عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه
من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تع فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف
حرف ولام حرف وميم حرف وفى رواية الترمذى والدارمى لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الف حرف
واللام حرف واليم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه فضلا عن ان يقابل الاسم والفعل
عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل اية كلمة منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة
ايضا بجوز ان يريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقى لتبيين بذلك ان الحسنة المذكورة
ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة فى المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله تع دون كلام الله
مع ان القرآن وليس هذان من تسمية الشئ باسم محله فى شئ كما قيل كيف لا والحكم عليه بالحرفية واتباع الحسنة انما هى
المسميات البسيطة الواقعة فى كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بالحاء او بانفسها كما فى قولك الميم مهملة والشين
معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف من ثلثة
احرف فانه ان الحسنات فى قراءة قولك الم بمقابلة حروف الثلثة المكتوبة وموافقة العدد تا لا بمقابلة الفاظها
المسموعة والا لغات الموافقة فى العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة
ظاهرة فى ذلك بالمجربة عنه دون المجربة بل الستر فيه ان استتباع الحسنة متولد بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية
فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعانى المقصودة
بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى ما فى الرواية
الاخيرة من قوله عليه والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفى ذلك بهيهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما
ولقد روعيت فى هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم
منه آثر ذى اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهى موجبة اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى
الاسم لكنها لما تهيأت العوامل ساكنة الا نجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حيل خلت عن العوامل ولذلك قيل سادوقاف
وقاف مجموعا فيها بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف فهؤلاء وان وليها عامل مستها الاعراب قصدا اخره
الف عند النحاة لاجتلاب الخفة للاان وزانة وزان لا تقصدا تارة فتكون حرفا وقد اخرى فتكون اسما لها كما فى قول من قال
ما قال لا قط الا فى تشهده لولا التشهد لم تسم لا اذ هذا وقد تكلموا فى شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد
بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المجوبة روى عن الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال فى كل كتاب سر وسر
القرآن اوايل السور وعن على رضى الله تعالى عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبى عنها فقال سر الله تع فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تع
وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تع او صفة من صفاته تع وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه والام
لطفه واليم مجده وكذا قال محمد بن كعب القرظى وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله تع واللام من جبرئيل
واليم من محمد عليهم السلام اى انزل الله تع الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد وقيل هى اقسام من الله تعالى بهذه الحروف

المجمة عشر فعاس حيث انها اصول اللغات ومبادى كتبه المنزلة ومبانى اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام و
ابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذى عليه التعويل انها كونها اسماء للسور المصدرة بها عليه اجماع الاكثر والية ذهب الخليل و
سيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من جنسيات هذه الالفاظ فلولا انه وحى من الله
عز وجل لما عجزوا من معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبى والسدى وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلثة اسماء
فصاعدا انما تستنكر فى لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما فى حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار
فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم فى المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور
فى عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت فى المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانها ادل على كيفية التلفظ
بها وهى ان يكون على نهج التهجى دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا يخفى فى الفواتح الخمسية على ان خط المصحف
مما لا ينبغى ان قيس فيه بخلافه القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد والبديع عند اهل التحقيق قالوا انما وردت
هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتبكيتا لهم على ان منتظما من عين ما ينتظمون منه كلامهم فلولا انه خارج
عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قواهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة
الجوار وامراء الكلام فى وادى النجار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع ما لهم
فى المضادة والمعارضة وتحاكمهم على المعارضة والمعارضة اولى كون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا
جاريا فى الباقى من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف فى تضاعيف الكلام وان كان على طرف التمام يتناوله
الخواص والعوام من الانعام والانجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما من لم يحم حول ذلك قطعا
فانى من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب مبنى على سر سرى
مبنى على نهج عبقرى بحيث يحار فى فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك
الفواتح فى تسع وعشرين سورة على عدد الحروف المعجم مشتملة على نصفها تقويبا بحيث ينطوى على اضاف اصنافها
تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتفتيش حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته
عن ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان ينالها ايدى الافكار وابرد بعضها فرادى وبعضها ثنائية
الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايرادها كلها مرة لذلك ولما فى
التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية
دون بعض مبنى على التوقيف البحت اما الم فاية حيثما وقعت وقيل فى آل عمران ليست باية والمص آية والمر لعد
آية وآلر ليست آية فى شئ من سورها الخمس وطسم آية فى سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم اية
فى سورها كلها وكهيعص آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على راى الكوفيين وقد
قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم كلها بلا فرق بينهما واما من عداهم فلم يعد واشيئا منها آية ثم اختصاص التقدير كونها
مسرودة على نمط التعديد لائق براجة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور والقرآن
كلها لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة
الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية
والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون فانها تاتى فيها الاعراب
اللفظى ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اى اذكر او اقرأ صادا وقافا ونونا واما من تنوين لامتناع الصرف
وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك
قال فى باب اسماء السور من كتابه وقد قدنى بعضهم يا سين والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعل اسما اعجميا قال
اذكر يا سين انتهى وحكى السيرافى ايضا عن بعضهم قراءة يا سين وتجوز ان يكون ذلك فى الكل تحريكا للتقاء
الساكنين ولا مساغ للنصب بانها فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع

المجمة

بين قسمين على قسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو ستر في جعل ما عدا الواو الاول في قوله تعالى وقيل اذا ينعش والنعاء اذا
جعل ما فوق الذكر والانثى عاطفة ولا محال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب ثم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا
باضمار الباء القسمية مفتوحا كلوم غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في ياسين ميم ان
يفتح لوقوعها وجعل من قبيل واذا يجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية ويبقى القليل
سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه والفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن
فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدإ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به واما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم
سبق ذكره لانه باعتبار كونه بعضه او الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشتريته فلان واما على انه مبتدإ اي المسمى
به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوما الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم
بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها باداة التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك اسم
اشارة واللام عما وجئ به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف ثم تنويه
بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار المقضي او باعتبار الوصول ان المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان صحيحا لا يراد به لكنه
بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى لا اسم
المذكور من حيث هو مسمى بالسورة ولان ادعى اعتبار الكيفية الثانية في الاولى بناء على ان التسمية ليست لتمييز السور بعضها من
بعض فذلك لتذكيرها بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب
اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من بناء شان
المسمى لاجل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدإ الاول واسم الاشارة معترض عن الضمير الرابط
والكتاب اما مصدر سمي المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بمعنى المفعول كاللباس من الكتب الذي
الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية كالخط الجرمي ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل
القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة عما ان مآله الكتابة والمراد به على تقدير
كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او
باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا جسما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي
الغاية القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال الكاشف بذاته عما بين الكتب
على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير المسمى كل القرآن فاللام اما للكتاب للجنس والاتم للحقيقة والمعنى ان
ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص باسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس
كانة ما عداه من الكتب السماوية خارج عنه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون
في الرجال من مراضي الخصال وعليه قول من قال ابهم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس
في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرد
المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا البعض الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه
جزء هذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله والا لكان حصر الكمال في السورة مشعرا بنقصان سائر السور والا لم يكن
الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب
على تقدير كون الم خبر مبتدإ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدإ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه
مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدإ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى
سواء كان هي السورة او القرآن وعلى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان
البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فعلى البعد ظاهر غاية ان كان المسمى هي السورة

ينبغي ان يراد بما بعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو اما في التوراة والانجيل
بناء على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدإ والكتاب اما خبره
او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف ويقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل
الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان
للم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدإ المقدر آخرا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا
محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها لفيفا
لعاد ولازمة للاسم لزوما واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه
مركب واما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لانه مركب معها
تركيب خمسة عشر كما تومئ وخبرها محذوف لا ريب موجودا ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف
صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون
فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس
والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا يجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل
فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطراب اهم يستعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل
الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث
ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيقته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لانه لا يرتاب فيه اصلا الا يرى كيف
يجوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا
الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل
عن مسيس نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته الخالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار
بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تع لا فيها غول هدى مصدر من بناه كالسرى
والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل
وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن
ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم المتعدى اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان
الهدى المتعدى هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا
وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدى
وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه
على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه
من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد
الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول
من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذ لا تقرر هذا فنقول ان اريد
باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدم في مفهوم
مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل
وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول

اليه فهي تستحيل اجتماعها في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال و
وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لفارقه في ذلك الآن مقابله الذي
هو الوصول فانقضاه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له وحيثية الترتب عليه لزم ان يكون
التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاحرام المنية مثلا من
غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه داخلا من جملة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا
فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود
اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم
من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بدون تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار
كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام
مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى الكل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها
من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائر آثاره وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا مؤثرا لها
سوى فاعليته عدت من تتماته واعتبرت الاضافة العارضة له بجميعها داخلة في مدلوله كالاعم المتعلق بالجسم مثلا وضع له
باعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له الى القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس
الى اثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي لم تدخل في وجود ما في الخارج من غير ايجاب لها بتة بل
عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثر ما بواسطة
كونه داعيا اليها حيث كانت مستندة في انفسها مستندة الى مؤثر آخر غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التي بعد لم تعد
من تتماته ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بجميعها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المأمور والاضافة
العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما
غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من تتماتهما ولم يعتبر
الاضافة العارضة لهما بجميعهما داخلة في مدلول الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور
والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا واذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة والامتثال فعلان مستقلان في
انفسهما صادران عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال
الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هداية المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه
باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلم لم يعد من
تتمات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بجميعها داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من تتمات
الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بجميعه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الله تعالى كالامتثال
والاجابة بالقياس الى صليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مأمورا و
مدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى
بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على
اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وبل عرفا لاعتبار وجود
اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من
غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا
يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبول ذلك
الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة
فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم

مطلقا

مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية
فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قبيل التعليم من قبيل الافعال الاختيارية صح انه معتبر في مدلول المعلم قطعا
فلم يكن الهدى صح الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل
العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك فضلا عن استناده اليه ضرورة بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه
وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب
يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما تمام للآخر معتبر في مدلوله واما الهداية الذي
هو عبارة عن التوجه المذكور بفعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره
فلم يكن من تتماته ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون
اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك
واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قبل لم
تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلكن الهداية ايضا كذلك ويحمل
تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه
كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها
بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية و
تبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف محالها وتبيين مسالكها من غير ان
يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر
عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء
لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق
والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية بتا وفاجرها هدايات حقيقية
فايضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين الى المتصفين
بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المنتفعون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل
ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية
وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع
التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله تعالى واداء
ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذر ما به الباس وعن ابن يزيد ان التقوى
هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله سبحانه وتعالى وعن سهل المتقي
من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل التقوى ان لا يراك الله تعالى حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن يحيى
بن معاذ ان لا يكون الرجل نقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب
رايته يدعو التقوى حتى عشيات لا ينالهن الا كل زهد ايثار الشدة على الرخاء وايثار الضعف على القوة وايثار الذل
على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل مقام التقوى الى ان
يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين بترك
الحق كما تزين علانيتك بالخلق والتحقيق ان التقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالبعد عن
الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو
المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما
يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله

حق تلاوته ولهذه المرتبة عرض عريض تتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعدادهم لفائضة عليهم
بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الالهية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رتبتي
النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق
عن الاستغراق في شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتب الالهية
شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى وبنيلها فالمراد
بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل واياشاره على العبادة المعبرة عن ذلك لايجاز وتصدير السورة المكية
بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فالمراد بالمتقين اصحاب الطبقة
الاولى تحقيقا للحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المرتبة
وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب
المرتبة الثانية تحقيقا للحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان
اريد بكونه هدى لهم تنبيههم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيعلم ان يكون معنوها داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز
لامحالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف اى هو هدى او خبر بعد خبر لاريب فيه لذلك الكتاب او مبتدا وخبره الظرف المقدم كما اشير اليه والنصب على الحالية
من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل
فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتب
اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل
ان يكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك سلم يتخلل بينها عاطف فالجملة برأسها على انها خبر لمبتدا محذوف وطائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يتلفظ منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية
مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفايق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا فضل اعلى مما
للحق والمبقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شايبة شك ودالة على
تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث
انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستدع لكونه في غاية
الرزانة عن مظنة الريب اذ لا نقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لامحالة هدى للمتقين وفي كل من الكلمتين
الرايقة والمزايا الفايقة مالا يخفى جلالة شانه حسبما تحققته الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين و
محله الجر على انه صفة مقيدة لان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية ومرجعه ان فسر بما هو
المتعارف شرعا والمتعارف عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لان تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف
اجمالا وذلك لانها مشتملة بجملتها على عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها اتهات الاعمال
النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسايرالقرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله
تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوف فان
بالتقوى المفسر بما هو من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها على سايرما
انطوى تحتها من التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم وامامفعول عنه مرفوع
بالابتداء جزء الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين ح وقف تام لانه وقف على مستقل بعينه
ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيتد له اما على تقدير
الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب والرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا
عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب ولذلك يسميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف

الذين واحذف الفعل والمبتداء في النصب والرفع رد تا للتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة
الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف الاقتران اى للتقن الموجب
لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سنة المسلوك ينبئ عن اتمام
جديد بشان من المتكلم ويستجلب مزيد رعية فيه من المخاطب ان قيل لاريب في ان حال الموصوف عند كونه خبر المبتداء محذوف
كما هو عند كونه مبتداء خبره اوليك على هدى في تضيعك به جملة اسمية مفيدة للاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة
ان كلا من الغير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت
الجليلة فالسر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتضا عنه وعد
الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتداء في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى كان تفصيلا
لما تضمنه المبتداء اجمالا حيث كان مضمونه معلوم الثبوت بالاشتباه غير مفيد للسامع سوى فايدة التفصيل والتوضيح فنظم
ذلك في سلك الصفات مراعات لجانب المعنى وان سمى قطعا مراعات لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في النحو ان الجزاء اذا كان معلوم
الانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له
حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا
على ما لا يبنى عنه المبتداء من المعاني اللايقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوايد رايقة جعل ذلك مقتضيا عما قبله مجانا
على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدى الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته
غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق اى يجعله امنا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمين معنى الاعتراف
وقد يطلق على الوثوق فان الوثوق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن العرب امنت ان احد صحابة اى صرت ذا امن
وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظايرها وهل هو كاف في ذلك او لابد من انضمام الاقرار اليه للتمكن منه
والاول راى الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشاء لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن
تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلافا ان الاقرار ركن يحتمل السقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد
الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل
بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند
المعتزلة وقرى يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغايب مبالغة كالشاهدة في قوله تعالى عالم الغيب و
الشهادة او فيعل حذف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل فنظايره
واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل
عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات
وما يتعلق بها من الشرايع والاحكام واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء على الاول
اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واضح موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اى يومنون
ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اى غايبين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روى
ان اصحاب ابن مسعود رض ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله تعالى عنه ان امر محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مومن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية واما عن
الناس اى غايبين عن المؤمنين لما كانوا منافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا
انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء مع الآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع

ان يفصلوا الايمان واما للاكتفاء بما سيجئ فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به ويقيموا مقلوبة اياتها
عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شئ من فرايضها وسننها او ابعاض من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل
من مواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب
فيه وقيل عن الشعر لا وانحناء من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وجهد وقيل عن ادامتها عبر عنها بالاقامة
لاشتمالها على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على
الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما الفظان الناتيان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ
في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في خشوعه بالراكع والساجد وتمام رزقناهم
ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعى للمذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر
اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما قالوا بتمكين الله تعالى من الحرام لا منع من الانتفاع به واحرا بالزجر عنه قالوا
الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال العرف فان انفاق الحرام
بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقولهم قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما
وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالجلال للقرينة وتمسكوا بالشمول الرزق لهما بما روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة جاء ان اباه فقال يا رسول الله
ان الله كتب علي الشقوة فلا ارى ارزق الا من فتح بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله لقد رزقك الله تعالى حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه
مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان ظلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا
الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والحفظ على رؤس الاي والدخال من
التبعيضية التي عليه الكف عن التبذير هذا وقد حوزان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي سخرها الله تعالى من النعم الظاهرة
والباطنة وتؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به لمكنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال وتما خصصناهم من انوار المعرفة
يعلمون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاول على تقدير مرسى وصلة ما قبله
وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصيان تحت عام اذ المراد
بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والنخلة عن جميع الشرايع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن بالغيب وبالاخرين الذين آمنوا بالقرآن
بعد الايمان بالكتب المنزلة قيل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم
بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال العباحة والمباينة للشرايع كلها الموجبة للانقطاع
عنها بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل يتمسكون باصول الشرايع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار
ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات
بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يالهف زيادة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغايبة والايمان بما يشهد به شواهد
الكتب السماوية نعت جليل على حياله لشان حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما
تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة تحت تلك الامور المؤتى
بها كملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتحريضا
بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي في هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف

خان كلا

فان كلام الله تعالى الفيض المشفوع بما يصدقه عن العباد تين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة
الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بجملتها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم
وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بالطريق اليه بغير التسمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فلا شامل وان يراد
بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص
جبريل وميكال بالاثر جريان ذكر الملايكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال
والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزل
ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يلقاها الملك من جناب عز وجل بالعبارة وحيا
او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عم والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره وتوسيط
حرف الآخر والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف
الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن كانوا سمعوا الكتاب
جميعا ولكان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل والزبور الكتب السالفة وعدم التعريض
لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا
حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان وجوبه على الكل عينا حجابينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين
للمفعول للايذان بتعيين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرنا على البناء للفاعل وبالاخرة هم يوقنون
الايقان اتقان العلم بالشئ بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسند علمه تعالى بقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا
لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او
نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل الدنيا او لا وهل هو دايم
او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة
بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة تانيث الآخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا
على الدارين بجريانها مجرى الاسماء وقرئ بتخفيف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة اجراء
للضم ما قبلها مجرى ضمها في وجوه وقد وقت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدين الى مؤنسي وجعدة اذا اضأتها
الوقود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه
دلالة على انهم متميزون بذلك الكمال متميزون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله عز وعلا على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من
التنكير لكمال التفخيم كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم
في لابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشئ ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها للتمكن بالهدى
استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوايه على مركوبه او على جعلها تخييلية للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف
وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كاين من عنده تعالى
وهو شامل لجميع انواع هداية الله تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم
الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما لزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره بيانا لما يوجبه ويقتضيه وقد
ادغمت النون في الراء بغنة وبغيرها والجملة على التقديرين الموصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها
من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى

لهم فنن من فنون ما نحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققه لا يتمارى ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح
وقيل هي واقعة موقع الجواب عن سؤال ينجم مما سبق كأنه قيل ما للمتقين بما ذكر من النعوت احتفوا بهداية
ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل
الجامع لفنون المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه والقصد بما ذكر عن سائر الضلال من قال
في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعدان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير
كونها مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتداء الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة
استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه
قيل بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستتبعه من نتيجة ابي
الذين هذه شؤنهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الاصحاء الذين قاوموا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا مهجتهم في سبيل الفتح اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف
عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك
القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابين من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف
بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد
منزلة كما مر هذا وقد يجوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك الخ خبره
ويجعل الى احتصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون
في نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تكرير اسم الاشارة لمزيد العناية بشان المشار اليهم والتنبيه على ان اتصافهم
بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم وتوسيط ضمير
الفاصل بين الجملتين بخلاف ما في قولك اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون لان التسجيل عليهم بكمال
الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز
بالمطلوب فان كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام تنافس فيه المتنافسون نيل ما نيل وبهم كيف
يفصل الجزء عن الصفة ويؤكد للنسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر اولئك
وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغت انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من
حقيقة المفلحين وحصايصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات
الرابعة جما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم
ما لا يخفى بكماله والله ولي الهداية والتوفيق ان الذين كفروا كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل واثر ترك العاطف
بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التناقي في الاسلوب والتباين في
الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به
فان ما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مقطوعا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال نشأ
من الكلام المتقدم فصون مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلالة
الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن نهاج المعقول وناكبون
في مسلك المكابرة والعناد بتن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤنس الكلام على بيان ان الكتاب
هاد للاولين وغير مجد للاخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورث كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان الحرف
الذي تشابه الفعل في عدد الحروف وابنائه على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كما في ولعلني وظاهرا
واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني في اذا نا

بكونه فرعا [illegible] دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها فان الخبر هو باق على حاله بمقتضية الاستصحاب واجيب بان
ارتفاع الجزء مشروط بالتجرد عن العوامل والا لانتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرا تاكيد
النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويقصد بها الاجوبة ويعطى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال
البرد قولك عبد الله قايم اخبار عن قيامه جواب سايل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او
للجنس فيدخل فيه من غير المعترين بما اسند اليه من قولك سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي
الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه
المتكفر بلاحة وسواتكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله تع
عليه وسلم به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظايرهما كفرا لدلالته على التكذيب قال من صدق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما يجيء به على اشكال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث
القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق
وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء هو اسم
بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق
به او بمعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على المفاعلية لان الهمزة
وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليها كما جرد الامر والنهي لذلك عن حينهما في قوله عز
وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب المجرد التحسر
كانه قيل ان الذين كفروا مستوعليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتداء وسواء عليهم
خبر قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ
او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاستخدام نحو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى يوم
ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه
قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة وتعاد
عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتداء وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى
المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوى الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه
افعال من نذر بالشئ اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار
عليه لانهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار
اهم من جلب المنافع فيخيل لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين
مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام
وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد سبب ذلك الى اللحن لا
يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال
مؤكدة لما بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من يجوز عنده كونه جملة والآية
الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فلو امروا استحالة ايمانهم لما
استلزم المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باتيان على التكليف و
لان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستقبل والجمع بين التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع البعض او بعدمه لا ينافي
القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى

يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستقبل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجمالا من ان كون
الوصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعدم العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الوصول عليه السلام
فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو بان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فحص من المخبرات الباهرة ختم الله
على قلوبهم استيناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه وبيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة
العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له اولما فيه من التعرض له كما في البيت
الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب
تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا تؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق
اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على خزائن الاموال ونحوها بجامع التعلق بالمنع
لكن لا بتشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحصان يقبله ويستعار له الختم
ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك
الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة من يحاول
ايصال ما يجلبها طوعا او كرها لامر مستتبع للمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت للخلط بالكلية ثم يستعار
لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر
في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصد ابالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان
كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر على منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد لسبب مانع قوي لكن
ليس في شيء منها على الانفراد بجزء باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما
التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة
منها مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعارتها في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فليس هذا
تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له فذهب قدماء
المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه وهي رام تقليل الاقسام عند تلك الهيئة المشبه بها من قبيل
المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعمالها فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور آخر من قبيل الاستعارة
وتمامه استعارة تمثيلية واسنادا واحدا تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى الاسناد جميع الحوادث عندنا من حيث
الخلق ايجادا وتكوينا وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم وخاتمة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب
مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبايح كما يعرب عنه قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاوجه منها
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكين ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجعول عليه ومنها ان
المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهايم التي خلقها الله تعالى خالية عن النظر او بقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما في مثل
به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه
باعتبار كونه باقداره وتمكينه ومنها ان اعراضهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصل ايمانهم طريق سوى
الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد للطريق ايمانهم بالكلية وفيه
اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة
يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان
ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى سمعهم

عطف

عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه والوقف على الموقف عليه للاعلى قلوبهم وابصارهم
في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل
في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على ان طريق اليها فالختم عليها بل هي مختومة
بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو
اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو
المختوم عليه اصالة وتقديم حالة على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال اولان جنايتهم من حيث
السمع الذي يتلقى الاحكام الشرعية ويتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد
بينما حق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكر ما قدم السمع على البصر ولان السمع
شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى اكمال العقل بالمعارف التي تقف من احداها
وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك
كما مر من قبل وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما مر في السمع والغشاوة فعالة من التغشية
اي التغطية بنية لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على ذي سيبويه مبتدا خبره
الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة البصرية
من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الآيات التي
تتعلق بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفة على العقب
الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل
على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم
والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيه وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالعين غير
المعجمة والرفع ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى بقال
اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقع العطش
ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يرادع به الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذاب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون
الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول جبل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف
العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة
خارجا عما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته
اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ومن الناس شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم السالفة
ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل ضموا اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتقديم الخبر
الشيوع المستتبع لاحوال هائلة عاجلة وآجلة وقيل ناس ناس كما يشهد له انسان وانا سي وانس حذفت عنه
تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وانما في قوله ان المنايا يطلعن
على الانا س الآمينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى
ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضه الى انه ناخوذ من نسي نقلت لامه
الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال
سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للجنس او للعهد المقصور على المعرفين حسبما ذكر في الموصول
كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه
مبتدا باعتبار معموله او نعت المقدر هو المبتدا كما في قوله عز وجل ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن في قوله تع

من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقولهم ومنهم الذين يؤذون النبي الخ او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في خبر الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشايع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فلا جدوى بمعارض الفايدة كما قيل فان بناءه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بان الفايدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بحالها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به وتعجب منه او ان خبر الظرف بان الناس بمعنى المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين واياما كان فالفايدة ظاهرة بل لان جزئية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا يبعد لاحد في ايجاب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من ووجمعه في قوله تعالى آمنا بالله و باليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا نهاية له او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم الايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعائهم قد حازوا الايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعائهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله تعالى بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وكذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال جهلهم ودعارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين ردا لما ادعوه ونفيا لما انتحلوه وما مجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل والحاق الايمان بما قيد وه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الاية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القايلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقها وبنا فيه مؤمن يخادعون الله والذين امنوا بيان لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل لما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع و الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد به ليغتره بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وضع وهو الذي اذا مر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيديعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سايرالكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه وتعالى اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يجازيهم جزاء خداعهم

الخادعين وعلى طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما المجاز والتوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تع كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تع ان الذين يؤذون الله ورسوله ونفاقا صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة من اعتقادهم الباطل كما قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنع معهم اجراء احكام الاسلام وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين بامر الله تع في ذلك مجازاة لهم بمثل صنعهم صورة صنع المخادعين كما قيل تحاربه الذوقي التسليم اما الاول فلان المنافقين وعقيدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التعدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بحالهم من الصورة المستهجنة وبيان ان غايتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يوجب عنه قوله عز قايلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يكمل به توفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان وبال ذلك مقصور عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وتوى وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون بتلك المعاملة الشنيعة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او وما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وتوى وما يخدعون من التخديع و يخدعون اي يخيلون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنجب الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي هو والقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه والدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لانه حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر خداعهم راجع اليهم لا بتخطيه الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يخادعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم لا يشعرون بذلك لتمادیهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلا جعل الخلق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤس الحواس فمحل المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللايق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله تع عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا بها غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم وتعليل له كانه قيل لم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض بمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتيب معنوي عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما زاد الله تكليفا بزول الوحي يزدادون كفرا وبجوز ان يكون المرض مستعارا للتداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لقوة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الرعب وقذف الوعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي عليه السلام بانزال الملايكة وتاييده صلى الله تع عليه وسلم بفنون النصر والتمكين فقوله تع في قلوبهم مرض الخ حينئذ استيناف تعليلي لقوله تع يخادعون الخ كانه قيل مالهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون ما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي مولم يقال الم وهو اليم كموجع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحيتهم بينهم ضرب

وجيع على طريقة جدجده قال الالم والوجع حقيقة للهوم والمغروب كان الجلد للجلاد وقيل هو بمعنى الالم كما سيجيء
السمع وليس ذلك كما يثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما
مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا متحمة لافادة دوام كذبهم وجحده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم
المتجدد والمستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فاذا اخبارياط اشهم الايمان فيما محض للانشاء للايمان
ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون
محمولا على الظاهر بناء على زعم من يجوز ان يكون لمكان ان فتحة مصدر كما صرح به في قول الشاعر ببذل وحلم سادفي قومه
الفتى وكونك ايّاه عليك يسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من باب ترتيب
موجبات القوة اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم
حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة تسارجنايا تهم
العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للارتزال الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالبشاعة مع
احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق بعد
ويروى مرفوعا ايظا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روى ان ابراهيم عليه السلام كذب
ثلث كذبات نادرا وبه التعريض وانما سمين تشبيها بصورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ
يكذبون بالتشديد للفصول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن
او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بان في بان وتلص في
قلص او للتكثير كما في موتت الابهام وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما
وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في ريبه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع
في تحديد بعض من قبايحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمن مستقبل يتضمن معنى الشرط غالبا
ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معنا بالانهاء او التبليغ والقايم مقام فاعله جملة لا تفسدوا
على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللايقة به والصلاح مقابله والمراد
في الارض بيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من
افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا
تلق نفسك في النار اذا اقدم على ذلك عالما قاصدا وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل لها من
الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستيناف بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة
فمحلها الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا اراد وا للنا بهين ان
ذلك غير مسلم عندهم من ان مقصودهم الاصلي انكار كون افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن
مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شايبة الافساد والفساد ومشيرين بكلمة انما الى ان ذلك
من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتقرير شانهم واما عطفه على يكذبون بمعنى والله يعذبهم
اليم بكذبهم وبقولهم حين ينهون عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيا باه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف
ظاهرة العلية مستتبة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او بسبق ذكره صريحا كما في
قوله تع بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزم استلزاما
ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال
عن سبيل الله تعالى مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب ومالم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعلته
قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تع ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك
ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند

المتامعين من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور نادرين حقها ان تكون مسوقة على سبيل تعديد
قبايحهم على احد الوجهين مفيدة للاتصاف بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا وبستقلا لا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم
هم المفسدون ينادي بذلك هذا جيانا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية الخ رد وا دالة على سخط عظيم حيث سلك به مسلك
الاشتناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدر الجملة بحرف التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها مان النفرة
الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى ليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع
ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم وتختصا التي سي اما من طلايع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان
للتنبيه والاستفتاح وان المقرونة للنسبة وحرف الجر ووسطا ضمير الفصل المؤذن بقصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين
ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون لا يذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه
وهكذا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما من رد مضمونها وقوله الا ان المراد تفصيل جنايا تهم وتعديد جنايتهم
وبنا تهم ثم اظهار فسادها واهانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المؤمنين
بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف المؤمن به للظهور اي
اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتهيئه ودخولها على الجملة ويكون للتشبيه
بين مضمون الجملتين اي حققوا ايمانكم كما يحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العالمون
بحقيقة العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة المقصودة منه ولذلك
يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعها من قال اذا الناس ناس والزمان زمان واللهو
المراد به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا
بالاخلاص متحصنا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين
للراجح الرزان بعدا وصافهم الحال انؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس
من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وبخافة رأي
يورثها قصور العقل وبقابله الحلم والاناة وانما نبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار
لكمال انهماك انفسهم في السفاهة وتمادیهم في الغواية وكونهم ممن زين لهم سوء عمله فرأى حسنا فمن حسب الضلال
هدى يبتغي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقيرشانهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال وعبد
وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام واشباهه واياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل
ويستدعيه فخامة التجليل ان يكون صدور هذا القول منهم بحضرة المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث
كان فحواه تسفيههم اولئك المشاهير بالاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد
يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي
انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وانت
خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتخاورين في الخلا في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا
عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم
مجاهرين فانه ضرب من الكوابيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما ان كلام ذو
وجهين مشتهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع متناغير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع كلمة ما
كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في نفسهم المعنى الاول
مطمئنون به ولذلك نهى عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على دعاء والايمان
كايمان الناس والانكار ما انتهوا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والجهلاء الذين لا اعتداد بايمانهم

لو امنوا ولا تؤمن كايمان الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا بالنا صحين استهزاء بهم مرائين لا راى بمعنى الاخبر
وهم محمولون على الاول عزوا عليهم ذلك بقوله عز قائلا الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجمعوا
اشتمل بتجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى
حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قولنا نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما
هو راى الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين باد عاء كونهم ما نهوا عنه من الافساد اصلا كما
اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مدارا تهم للمشركين كما ذكر
في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح بانهم وبين المؤمنين وان معنى قولهم انما نحن مصلحون
في تلك المعاملة مفسدون للمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانما يحاعن ضعفهم الملجئ الى توسيط من تحيد
لا صلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قولهم وكذا لا يشعرون ناطق بفساده كيف
لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح وبانيهم الافساد من حيث لا يشعرون
ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرون نحو الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا
ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب والانكار حقيقة والافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن
مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم واراءة لا رادة هذا المعنى وهم
معترفون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تع الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه اعلم بما اريد فيه تضاعيف
كتابه المكنون من السر المخزون نسئله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق ولتفصيل هذه الآية الكريمة
لا يعلمون لما انه اكثر طبا قا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على
الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا ينبغي الا بالنظر والاستدلال واما النفاق
وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا قاهر بديهي يقف عليه من ولد لذلك فضلت
الآية الكريمة السابقة بما يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء
المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يترجم
ههنا المتعلق للايمان فليس فيه شائبة التكرير روى ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر
من الصحابة رضوان الله تع عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاقبلوا منهم اخذ بيد ابي
بكر رضي الله تع عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله عليه السلام في الغار والباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله تع عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله تع عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله عليه السلام
وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله تع عليه وسلم فتفرقت وقيل قال له علي رضي الله تع عنه يا عبد الله اتق الله
ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تع فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا
كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا
وقالوا ما نزال نخير ما عاشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله تع عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء
المصادفة يقال لقيته ولاقيته اى صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى فلان اى
انفردت معه وقد يستعمل بالباء اومن خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اى جاز ومضى عنك
وقد جوز كونه من خلوت به اذا خرت منه على ان تعديته بالى في قولنا ح الى شياطينهم لتضمنه معنى الالقاء
اى واذا انتهوا اليهم بالشر بخير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الالقاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المتمردون
منهم للشيطان في التجرد والعناد المظهرون للكفر بها ضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائمون
منكرهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير و

الرحمة

الرحمة ويشهد له قولهم شيطن وطغى زايدة فوزنه فعلان على انه من شاط اى هلك او بطل ومن اتمانه للباطل قيل
سمناه ماج واحرق قالوا انا معكم اى في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية
المؤكدة لان مدارهم عندهم تحقيق الثبات على كانوا عليه من الدين والتاكيد للابناء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا
لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال
فيه او الثبات عليه انما نحن في اظهار الايمان مستهزئون بهم من غير ان يخطر ببالنا ان الايمان حقيقة وهو استيناف
مبني على سوال ناشئ من ادعاء المغايرة كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان
فقالوا انما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم على يؤكده وقد صنعوا جوابهم انهم يعينون المؤمنين و
يعدون ذلك نصرة لدينهم وتاكيد لما قبله فان المستهزئ بالشئ معترف على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ التسخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو الفعل السريع
وهذا هيئة دالة على مكانه وتهزأ به ناقته اى تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم اى يكافيهم على استهزائهم بهم جازاه
باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون
كالمستهزئ بهم او يتزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة
فيما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تع فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون وانما استوفت للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعتها
عند الناظرين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرتهم الى ان يقولوا ما مصيرهم هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه ان تح هو الذي
يتولى امرهم ولا يوجههم الى المعاصية بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب
الاستهزاء حيث يتزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد
والاستمرار كما يوجب عنه قوله عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكرة الاوقات
من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واشتهار خبر عن ذلك كما ابنا عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم اى يزيدهم ويقويهم من مد
الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مدت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم
للايذان بان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد او يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في
الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في الشر على انه يستعمل
بالام كالاطاعة قال تع ويمددكم بامول وبنين ومد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا
بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء
وهي لغة فيه كلقيان لغة في لقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتاييد لما اشير اليه من ترتب الامد على سوء
اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا انهو مرفوع حكما والتحقيق في البصيرة كما مر في
البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا الى الله تع مع اسناده في قوله تع واخوانهم يمدونهم
في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد
من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على سننه نكبوا الى شعاب التاويل فاجابوا
اولا بانهم لما اصروا على كفرهم حتم الله تع ومنعهم الطاف فتزايد الرين في قلوبهم فسمى ذلك مدا في الطغيان
فاسند ايلاءه اليه تع نفي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي
هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تع ونذرهم في طغيانهم
يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا

لانه بمشيئة تعالى واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عن غيرهم كمال تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهد يشار اليهم وعلى ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحل المرفع على الابتداء خبره قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وتبيين كمال جرمانهم فيما حكى عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصوير بصورة مالا يكاد تتياطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد تستعمل الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذه بازائه لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الطلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى او لاعراض عما في يده ومحصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لمرة ومنه قوله اخذت بالجفة راسا آزغا وبالثنايا الواضحات الدرورا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا تاشتراء الضلالة بالهدى مستعارا لاخذ ما بذلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه وما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن جاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك جسما هو في البيت ولا ريب في انهم بمنزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فرد ما الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عنهم المقول بالمد في الطغيان المترتب على ما حكى عنهم من القبايح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتناظر المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كما في نفس الهدى يجامع المشاركة في استتباع الجدوى والمنفعة في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة بما شاهدوه من الايات الباهرة والبينات القاهرة من حجة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وبما سمعوه من نصايح المؤمنين التي من جملتها ما حكى من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوا وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الرائجة التي هي العمى في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضافتها غير مختصة بهؤلاء وليتم حمل على الاضافة التامة الواقعة في حيز الصلة وهي الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضافتها فقط من الشناعة ما في اضافتها مع ما يؤيد ما من الوعيدات العظيمة والتهكم على ان ذلك يفضي الى كون ذكرها فضلا من اول السورة الكريمة الى منتهاها وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على تجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على ان يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة محل مرفوق الترشيح الاتي بهذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بجانب الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من موجة صحة نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التوراة من نعوته وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقول نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين من الخصلة المضاعفة فان تلك بجملتها عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب ممنوع عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء بقصد الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استكثف فيها واصاب الربح وانما وحد عمله الذي هو عبارة عن الخسران ليطابق ما بعده بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدة المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكمال الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايراد هما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوايد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشعار في التخسير والتحسير ولما بين في ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهاكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه موجبة عن كون ذلك مناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد بها الا ما هو بمنزلة

اذ المراد بالهدى ما هو بالقوة حتى يتحقق تحصيله بالفعل ومنه ما كان في الكتاب او الخ فتدبر منه

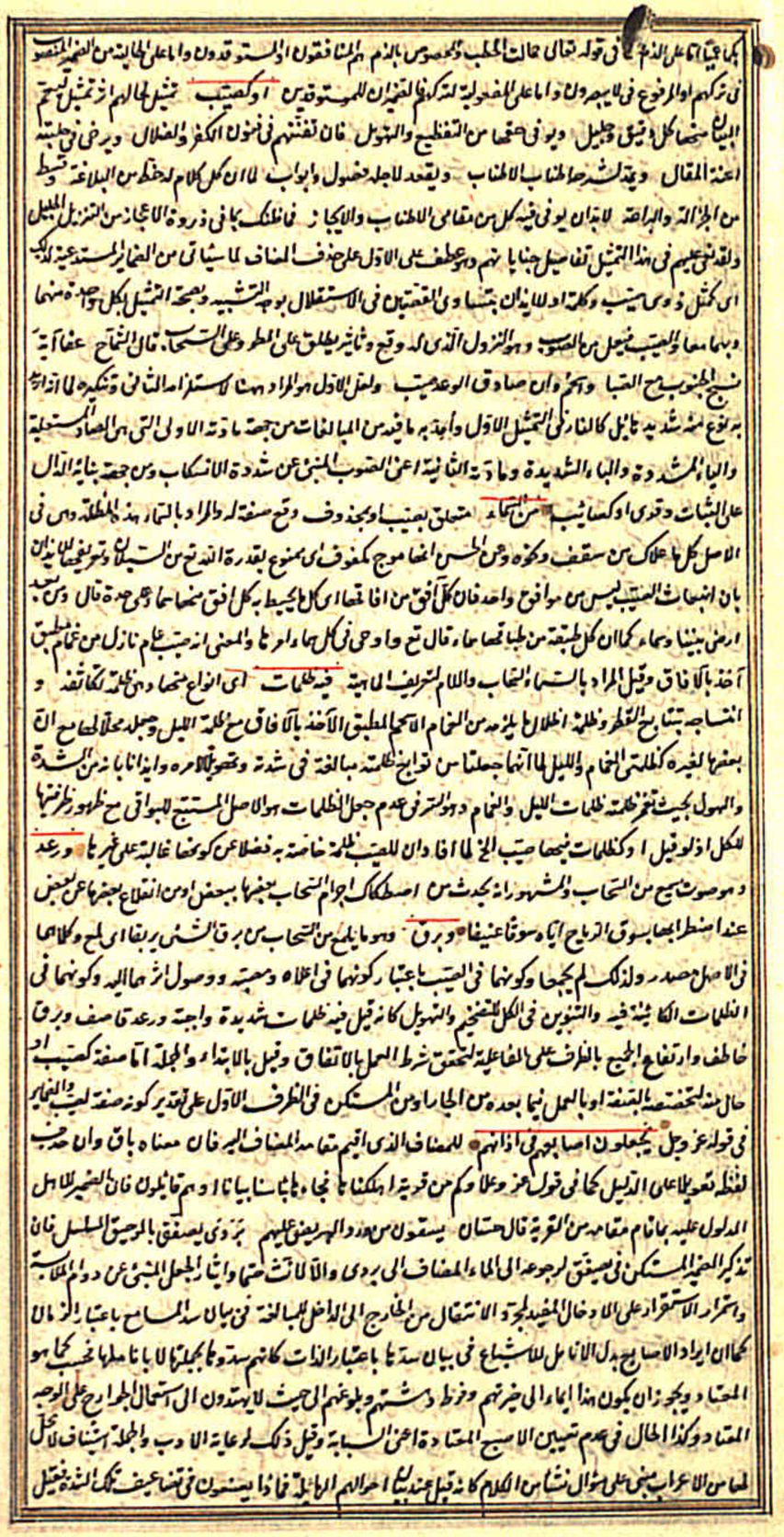
تمكنهم كما في انهم يابسها

او المراد بطريق الاستعارة كما في ابي السعود

كما في قولك رايت اسدا وفي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير الشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملايم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رايت النسر عزا بن دايه وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من مناه الحقيقي الذي هو موضع تتخذه الطائر للتفريخ للراس واللحية او للخدين اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دايه للشباب الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحاول والنزول المستمر من ترشيح لتلك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقوى تجارتهم وقتية بالنسبة والمضاف اليهم وما كانوا مهتدين اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح وان فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فحولاء الذين كان راس المهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا اللتين بنعوا غاليين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على قبلها شاركته في الترتيب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ مشلهم الخ زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصوير بما بصورة ما يؤدي الى الخارج بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخارج من حيث النفس تحويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله عن مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقع سورة الجاج الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابراز لها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في بشاعة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل كشبه وشبه ثم اطلق على القول السائر الذي مثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة حقيقة جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين ما آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان مثلهم الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا اخلا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القايم مقام القايمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفس الموصول انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالة الصلة ولذلك يحوز فيه فحذف ياؤه ثم كسرة ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزء كلمة فحقه ان لا يجمع فيستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعا المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة اي قصة جنس المستوقد او الفوج والفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا وتوقدها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله عن قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وبحث متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما اضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها للانفراط او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للتمام حول لاذهب نورهم ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والفيء الذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفاء الله نارهم الحق هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه بالاستيقاد لا الاستضاءة ونحوه كما يبنى عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما استضاءت ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول بما لهم شبهت حالهم حال مستوقد اطفات ناره فجملة التمثيل على وجه البناء والتعديد على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت فلما ذهب به للايجاز والايذان من الابتداء كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في ظلمات حابطين متحيرين خائبين بعد الكد في احيائها

واسناد الاذناب الى الله تع اما لان الكل بخلق الله تعالى واما لان الاخطاء حصل بسبب ضئ
امطروا اما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستحضار والامساك يقال ذهب
السلطان بماله اذا اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظاهر
الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور فى الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد ذهابه
بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التى هى عدم النور وان طرأ عليه ملكة لا سيما
اذا كانت متضافة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير والتخييل وما بعده من قوله تعالى لا يبصرون
لا تحقق الابعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تع من النار المجازية التى هى نار
الفتنة والفساد كما فى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب
الترشيح او النار الحقيقة التى يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصى ويتهددوا بها فى طرق البحث والفساد فاطفاها
الله تع وخيب آمالهم وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب
قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بناءة والمعنى والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما
منعك للخاسة البصر وتمنعه من الرؤية وترى فى ظلمات بسكون اللام وفى ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من
قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التى هى اشد انواع الضلالة التى هى عبارة عن ظلمتى الكفر و
النفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تع وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو النور الفطرى المؤيد بما شاهدوه من دلايل الحق والصدق
الذى كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأ الله تع وتركه
فى ظلمات بايلة لا يتسنى فيها الابصاره صم بكم عمى اخبار بلبتداء محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد
بالتاويل المشهور كما فى قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع وحامله الصلابة والكثافة الاجزاء
ومنه الجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سداداتها سمى فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن
الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يخلله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه
ان يبصر وصفوا به لكمال سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا اسماعهم عن الاصغاء لما يتلى عليهم من
الايات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يحللوا ما شاهدوا من المخترات
الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات التوحيد المنصوبة فى الافاق والانفس بعين
التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارجواء عنه صاروا كانهم فقدوا تلك المشاعر بالكلية وهذا
عند مفلق سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسى التشبيه كما فى قول من قال ويصعد حتى
يظن المجهول بان له حاجة فى السماء لما ان المقدر فى النظم فى حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التى يلوى
غيرها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة تحمل على المعنى الحقيقى كما فى قول زهير لدى اسد شاكى السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى هم بسبب اتصافهم
بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذى تركوه وضيعوه او عن الضلالة التى اخذوها والآية
نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم فى ظلمات ملتبسة من غير تعرض
لشئ السمع والنطق والاخلال بشئ الابصار وقبل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر
المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات
كثيفة تائهة مع بقاء حاسة البصر كالمحابل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة
التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف
يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقوى صمما

بكما عميا



بكما عميا اما على الذم كما فى قوله تعالى حمالات الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب
فى تركهم او الرفع فى لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالتعبيران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليتم
البيان منحا كل وثيق وتحليل ويونى صحفها من التغليظ والتهويل فان تفننهم فى فنون الكفر والضلال ويرخى فى حلبته
اعنة المقال ويمتد اشد امتداد الاطناب الاطناب وليقعد لاجله فحول وابواب لان كل كلام لم تحط من البلاغة بقسط
من الجزالة والرصانة لا يدان يونى فيه كل من تصامى الاطناب والايجاز فاظنك بما فى ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل
ولقد نبه عليهم فى هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وعطف على الاول على حذف المضاف لما سياتى من الضمائر المستدعية لذلك
اى كمثل ذوى صيب وكلمة او لا يدان بتساوى المعطيين فى الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما
وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذى لا وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية
نسج الجنوب مع الصبا وكر وان صادق الوعد صيب والمثل الاول هو المراد ههنا لاستدراك الثانى وتنكيره لما انه اريد
به نوع منه شديد تابل كالنار فى التمثيل الاول واجد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التى هى الصاد المستعلية
والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنية الدال
على الثبات دون او كصايب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهى فى
الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه ومن الحس الخاموج كمخوف اى ممنوع بقدرة الله تع من السيلان وتوصيفها للايذان
بان انبعاث الصيب ليس من موانع واحد فان كلا افق من افاقها اى كل ما يحيط به كل افق منها حامل عدة قال ومن بعد
ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تع واوحى فى كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق
آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام للتعريف لا للعهد فيه ظلمات اى انواع منها وهى ظلمة الليل و
انتساجه بتتابع القطر وظلمة الغمام لما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لجميع ان
بعضها لغيره كظلمتى الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة
والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو المعتبر فى عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقى مع ظهور خلوها
للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد
وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض
عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشئ يبرق اى لمع وكلاهما
فى الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما فى الصيب باعتبار كونهما فى اعلاه ومحبته ووصول اثرهما اليه وكونهما فى
الظلمات الكائنة فيه والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة هائلة ورعد قاصف وبرق
خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة كصيب او
حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار والمستكن فى الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر
فى قوله عز وجل يجعلون اصابعهم فى اذانهم للمضاف الذى اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف
لفظه تعويلا على الدليل كما فى قوله عز وعلا وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون فان الضمير للاهل
المدلول عليه بذكر القرية قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالوجيف السلسل فان
تذكير الضمير المستكن فى يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما واثبات الجعل المبنى عن دوام الملابسة
واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد للجزء الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة فى بيان سد المسامع باعتبار الزمان
كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع فى بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامل منها نحب كما هو
المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى خبرتهم وخرط دشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على الوجه
المعتاد وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتادة اعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل
لها من الاعراب مبنى على سؤال نشاء من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الرائعة فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقيل

يجعلون الخ وقوله عز وجل من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد من خوفهم سقاه من
الجمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها
اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع
او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني دون
الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصوعق لاستواء كلا البنائين في التصريف يقال سمع الديك وخليب
مصمع اى مجهز بخلية حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عورا الكريم ادخاره
وضع عن شتم اللئيم تكرما ولا يجر في احد المفعول لفات الفعل بعلل جعل شيء وقيل هو نصب على المصدرية اى يحذرون
حذر اشل حذر الموت والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الجبوة وقيل عرض يضاد الحياة
كما خلق الموت والحيوة وردّ بان الخلق بمعنى التقدير والاحرام مقدرة والله محيط بالكافرين اى لا يفوتونه كما لا
يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت
او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول
استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة المبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به
على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في
التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ما سمعوا من سد الآذان بالاصابع لا
يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد باس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع
الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشيء من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على
ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تع في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال
المشبه بهم ان القصاص تقديما وتاخيره لا لظهار كمال العناية وفوط الاهتمام بشان المشبه يكاد البرق استيناف آخر
وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك تخطف ابصارهم اى تخيلها
ويستلبها بسرعة وكاد من الافعال المقاربة ومنعت مقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسباب وتعاضد جاد به كنه لم يوجد
بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فانت
الى فهم وما كدت آيبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها كما في مثل قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل ما على ليس
لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى وقرئ تخطف بكسر الطاء وتخطف
ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء
من صيغة التفعيل وتخطف من قولهم خطفه اذا اخذه بسرعة كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان
محذوف اى كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة بمعنى الوقت والعائد محذوف اى كل وقت اضاء لهم فيه و
العامل في كلما جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك فقيل يمشون فيه مشيا سويا لا
يعثرون ولا يقعون لان نور البرق لهم مشى وسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما مع لهم على انه لازم ويؤيده
قراءة كلما ضاء مشوا فيه اى في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم و
ايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لها واذا اظلم عليهم اى خفي البرق واستتر والمظلم و
ان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا والتحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تحيرهم وقاموا
يجوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه
امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اى وقفوا في اماكنهم على كانوا عليه من الهيئة
متحيرين مترصدين لخطفة اخرى عسى تيسر لهم الوصول الى المقصد والالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة

واذا

مع الاضاءة والمشي مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصلح لكلما وجد وافرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف
وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو تعليق
حصول امر ماض بحصول امر مفروض فيه هو شرط لما بينهما من التلازم حقيقة او ادعاء ومن قضية مفروضية
الشرط دلالته على انتفاء قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالته على انتفاء الجزاء فقد قيل والحق الذي لا محيد
عنه ان كان ما بينهما من التلازم كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة بوساطة مدلولها الوضعي لا محالة
بضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين
وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية قطعا لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء قطعا لوجود الاكرام ادعاء وقد
انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولها حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين
المذكورين وهو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق الاستدلال
بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين
الى الايمان لازم لخيرية فرض الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء
بالطريق الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بالطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين
بل بالطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه لذلك زعم انه لا انتفاء
الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط
بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اى ضوء كان كضوء القمر الجامح لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الحاصل
الناشيء من الطلوع ولا ريب في انتفاء هذا بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما
ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول
منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع
لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو ليس مدار الوجود الضوء في الحقيقة وانما
وضع موضع المدار كونه كاشفا عن تحقق مدار آخر فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا ولا
شبهة في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القوي عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما
منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة
اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير منافٍ للانتفاء
الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورة مجامعة اثريهما اعني الحرمة ان شئت من كونها ربيبته
عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل نبي
الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لما علمت لك سهلا كيف لا وسياق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال تعليقه
بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما ينافيه بالطريق الاولى كما في قول عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقيضها ايذانا بانها في انفسها بحيث
يجب بثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها كيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو ترى وسلية
في مثل قولك لو تراه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهو لها تفاسير وتفاريع حررنا ما في تفسير قولك او لو كنا كارهين
وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بدلا آخر كالحياء
والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة المعصية مبالغة كان
من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق

وانما قد طبقت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت تحقيقا يتقضية قضية قضاء تاما
وقيل كلمة لو فيها لربط جزاء المحاشة بطلحا مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية
محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها واقعة شرطا وكان مفعولها محذوفا للجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا
مستغربا كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اى لو شاء الله تح ان يذهب بشرهم العالم
الفعل ولكن ساحة لما تقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تح ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة الآية والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية
وقيل على كلما اضاء الخ وقوله عز وجل ان الله على كل شئ قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تح
على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على
انه في الاصل مصدر شاء الحق على المفعول والكثير في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار عنه فقط
وقد خص هنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقرينة اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن الكون من الايجاد والاعدام
المختصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل والقدير هو الفعال
لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تح على الممكن الموجود حال وجوده انه ان
شاء ابقاه على الوجود وابقاءه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد تحقيقه في تفسير قوله تح رب العالمين وان
شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده وجده وان لم يشاء لم يوجده وقيل قدرة
الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تح عبارة عن نفي العجز واستحقاق القدرة من القدرة للقادر
يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان معدوم العجز معدور لله تح حقيقة لانه شئ
وكل شئ معدور لله تح واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول با
المستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتاييدهم اياه بما شاهد وهن الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من
الانتفاع به باضاءتها حولهم وازالة باذهاب النور النار بي واخذ الضلالة بمقابلة بملابستهم الظلمات
الكثيفة وبقائهم فيها يشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقران وما فيه من العلوم والمعارف التي هي حدار
الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزولهن النوم والاخوان والكشف البال
بالظلمات وما فيهن الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد
والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنيه منها ولا خلاص لهم منها واحترازهم لا يلمع لهم من رشد يدركونه او قد تذكرونه
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حيان عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل
على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات
الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيهن المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه
هيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد
من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين وسحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بجاحها
فتشبه كل واحدة من الاولين بما يعنيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة
شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زايد عليه هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع
تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان يكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما
ذكر الله تح علة طبقة كتابه الكريم ومخاطب الناس في شانه الى ثلث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من
الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة
والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لحقها من النعوت والاحوال وبين مالهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب

على نهج

على نهج الالتفات مشيرا لهم الى الاصناف دون تعيينها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب
فامرهم كافة بعبادته وخاهم عن الاشراك به وياء وضع لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة
البعيد اما اجلالا كما في الاهي يا الله ويا رب وهو اقرب من جعل البعيد استعظاما لنفسه واستبعادا لمطامح مخايل
الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلتهم وسوء فهمهم وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يحق بشانه ان يؤتى
اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المحروف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على ان صفة مختصة له ضرورة لا بحاصله والتزام ذكرها
مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء والفرق بينهما كلمة التنبيه تاكيد لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه
ان من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في
التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في قضايعيفة على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة
بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى
الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين فرخ لك العصر لان الجمع
واسماء الجماعة بالام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تح فسجد الملائكة
كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا وامامن عداهم ممن يوجد منهم فغير
داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله تح عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه
واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روى عن علقمة والحسن
البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تح اختصاص حكمه
باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل ما لهاج كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في
بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لان المامور به القدر المشترك الشامل للانشاء والعبادة والثبات عليها
والزيادة فيصاح انها تكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخيرين منهم اعني الايمان لان الامر
بها منتظم للامر بالايمان الابد وقد علم من الدين ضرورة اشتراك الكفار فان امر المحدث بالطهارة متوجه للامر
بالتوضي المحالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية الذل والخضوع و
روي عن ابن عباس رضي الله تح عنهما ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وقيل معنى اعبدوا
وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفرقتين الاخيرتين ممن لا يجري فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما
ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليف بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم
بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسبوا حتيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك
لورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند تو ليح وانتم تعلمون
وايراده تح بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليته لها للعبادة
الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتسجيل والتعليل اثر التعليل وقد يجوز كونها للتقييد والتوضيح
بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وعلى اي وجب على ما هو الحق من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها ارباباً والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء وحمله التقدير يقال خلق النعل اى قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام
القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب وتم لما قصد من التعظيم والتعليل فان
خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اى كائنين من زمان قبل زمانكم وقيل
خلقكم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الغير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة وفي ضرورة عموم
الخطاب بيان شمول خلقه تع للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التوفي لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج
الجملة مخرج العلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضاح انهم غير معترفين بهذه
الخلق وان اعترفوا بانفسهم كما ينطق به قوله تح ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى

الا بالعبادة

من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقوس وخلق من قبلكم وقوى والذين من قبلكم باتمام الموصول في بين الاول
وصلته توكيدا كاتمام اللام بين المضافين في لا ابا لك وتجعله موصوفا بالظرف جريا للمبتدا المحذوف اى الذين هم اناس كائنون
قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوحشى لكلمة لعل ترشيء توقع امر مترد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما
محبب بالنسبة الى ترجيحا او مكروه بالنسبة اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله
يرحمنى وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معانى الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب كثيرا لانه منزلة المتكلم
في التلبس التام بالكلام الجارى بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالعكس بعد
من التجوز اذ انا بان ذلك الامر في نفسه حقيق للوقوع متصف بحيثية مصححة لدرس من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من
متكلم قط الا فان وعيت في الاية الكريمة جهة المتكلم لاستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب
عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه من عباده التقوى مع كونهم مهيئة لها لتعاضد سببا بجاير جا
الراجى من المرجو متمنا ارا بين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول ليستقر
لكلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان
يلاحظ خلقهم ايام مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جاعلوا لاسبابها وينتزع من ذلك
هيئة منتشبة بهيئة منتزعة من اراجى ورجايه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه
ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها
اعنى كلمة الترجى والباقى منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته
تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القايلة بجواز تخلف المراد عن ارادته فالجملة حال اما
من فاعل خلقكم اى طالبا منكم التقوى اومن مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغايبين لانهم
مأمورون بالعبادة اى خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى طلبهم لاجل التقوى
كانه قيل خلقكم لتتقوا او كى تتقوا اما بناء على تجويز تعليل فعل الرب تعالى بالاغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من
اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى الغايات
ومصالح مقتضية جليلة من غير ان تكون هى علة غايية لها بحيث لو لاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بذلك الحال
او العلة لتكميل غايته للمأمور به وتاكيد ما فان ايانهم بما خلقوا له داخل في الوجوب وايثارهم ان يتقون على ان يعبدون مع ان نفس
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها كان التقوى قصارى امر
العابد ومنتهى جهده فاذا الزمتهم كان ما هو دونها الزام والاتيان به اهون وان رعيت جهة المخاطب فاطلق هنا ما
الحقيقى الجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفايزين بالهدى والفلاح
على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التى هى التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته
وهى اقصى غايات العبادة التى يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام المذكور بين انشائه والاتيان عليه لترجيحه
ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتى التوقى عن العذاب الخالد والتجنب عن كل ما يؤثم شرعا فعلا او تركا كما مر في تفسير
المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفى المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول مخلا
باحكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفى التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل
فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اى خلقكم واياهم حال كونكم جميعا
بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما بانهم مستعدين للتقوى جاعلين لمباديها الاقاصية والدانية
كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان
الاية الكريمة مع كونها بلغت ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالبة
الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقتضى بذلك قضاء شنعا وقد بينا تفصيلها اولا من كلمة الايات

ما يتعلق بانفسكم من خلقهم وخلق السلف لهم لانه اقوى شهادة وأظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بما شهم فقيل الذى جعل لكم الارض
فراشا وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اعنى او اعنى او في محل الرفع على المدح
والتعظيم بتقدير المبتدا وقال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف
المبتدا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا وخبره فلا يجعلوا كما قيل يستدعى ان يكون ساط
الذى في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بعض
سيبويه والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثانى على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين
وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند ذكر شيء
ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر
وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاذب اطراف النظم الكريم وبمعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء
مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للعقود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش
وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية سكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وفرش بساطى ومهادا
والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احياءها اهم اليها وانفع لهم بها اكثر
واظهر اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سمادة والبناء
في الاصل مصدر سمى به الجنس بنيا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوج احداهن ضربوا
عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اى انزل من جهتها او منحاها الى السحاب ومن السحاب
الى الارض كما روى ذلك عنه عليه الصلوة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار
وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول الكائنا
من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاما
لان السماء اصله ومبدؤه واما لما قرر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به
اى بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة منفعلة فتولد
من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما
وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيته فانه تعالى وان يوجد جميع الاشياء بلا مباد وموادكما
ابدع نفوس المبادى والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متنقلة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من
بدايع حكم باهرة تجدد لاولى الابصار عبرا ومزيد دلائل بينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ايجادها بغتة
ومن للتبعيض لتقولهم فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعنى ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل
الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان لما حال منه
كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه
بمعنى رزق وانما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في
قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد اولان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقولهم كم
تركوا من جنات وعيون وقولهم تخمة قرف اولانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير
كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا
رتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بجلائل النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا واما قيل اندادا
باعتبار الواقع لان المراد النهى عن الجثية وقرن ندا وايقاع اسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه

بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي علم بها يدل على امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان بان شيئا من سائر الصفات وما معطوف عليه كما في قوله تع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه سلى للنهي او الانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تع المترتب على اصلحها كانه قيل عبدوه مخصوصا به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر وليس بذاك ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بفعل نصب فاطلع في قوله تع لعلي اطلع الاسباب بسباب السماء فاطلع الى الهدهد اي خلكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشركوا بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه فعل في بعض الجوانب كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المجوز القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تع الذي جعل الخ على تقدير رفعه المدح اي هو الذي حكم بهذه الايات العظام والدلائل الغرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما فيه من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناط النهي مع عراقتهما فيما وقيل هو جار للوصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه من لزوم الميل الى رأي الاخفش في تنزيل لام الظاهر منزلة الخفية كما في قولك زيد قام ابوعبد الله اذا كان ذلك كنيته والمثل المماثل ومن تعدوا اذا نفروا وتعاليه خص بالمخالف لمماثل بالذات كما خص السادي بالمماثل في المقدار وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله تع اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تع في صفاته ولا انخا تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تع الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتمنعهم مما يريد الله تع بهم فنهاهم بجمعهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له واحد وفي ذلك قال بوحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل ارتبا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تع وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى افادة النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه وفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقايق الامور واصابة الراي ومقدار حسبما يقتضيه المقام تحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يعاشه شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تع هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحالة شيطة التي طبعتم وجبلتم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسما مر مثله في الامر وايا ما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يحسن ذلك بطريق قصر النهي على حالة ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتوزيع بناء على ان تعاطي القبايح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا بعد في آية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من ربأ محل المؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سديد ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم في ريب حانزة لنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تع لتوضيح المعاند بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها تزاهته من ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر

كما يوجب به لو تع ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فنحي من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون سخيفا مشكوك الوقوع وامالتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلايل الاعجاز ونهاية قوتها والعالم بقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تع لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهة الحالية واعتبار استقرارهم فيه واحالته بهم لا بنفسه فان عجزهم وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ما بهم من القوة وكثرة ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية بما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما هو موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن العقد المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في مستقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المبني عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشا ارتيابهم وبناء التحدي عليهم ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم قالوا الحمد لله انزله منجما ويسهل الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف بكانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج نهارا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فاتوا بسورة من مثله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والاحر في قوله تع فاتوا بسورة من باب التجهيز والقام الحجر كما في قوله تع فات بحانه المحب والفاء للجواب وسببية الارتياب للاحر والاتيان بالامور به لما اشير اليه من انه عبارة عن عدم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سايرني نوعكم والسورة الطايفة من القران العظيم المترجمة واتلها ثلث آيات وواو با اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطايفة من القران مغرزة على حيالها او محتوية على نفوس طايفة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حرثاب قد سورة في المجد ليس غرابها بطار فان سورة القران ح كوبخاني النفوس ارتباب من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول و القصر فنهى من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واو با مبدلة من الهمزة فعنا ما البقية من الشيء والايخفى ما فيه ومن في قوله تع من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كاينة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة ونظم الرايق والبيان البديع وحيازة سايرنعوت الاعجاز وجعلها بحيث يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز ح انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم حسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم وباياه سابق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغيه حد وقيل هي زايدة على ما هو راي الاخفش بدليل قوله تع فاتوا بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة بخلا ان تخصيص التحدي بنفوذ بشار كه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فلا يتم هذا امر تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم جسما ينطق به قوله تع

وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال اي جملة
واحدة من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر ومعنى دون اوفى مكان
من شئ يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فيقال زيد دون عمرو
اى في الفضل والمرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد ويختلف حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما
من الآخر فخرج بحرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى
ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار بمن حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم
وشرائكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات والقائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من
امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن
ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور لتاكيد تناوله لجميع ما عداه للايذان باستبداده
بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو وجوه تح لاجابهم اليه واما في ساير الوجوه فلا تصريح من اول
الامر بياسهم منهم وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصدين استظهارهم على مواه والالتفات لتربية
المهابة وادخال الروعة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله تح شهداءكم الذين هم وجوه الناس ورؤساؤهم في
المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثل ايذانا بانهم بالون ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما
هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤدي بعدم شمول التحدي للاولاد والعبيد وقيل المعنى ادعوا شهداءكم
فيصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قايلين الله يشهد ان ما تدعيه حق فان ذلك ديدن المجبوج وشيمة
من ان اريد بما يدعون حقيته ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به
للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشئ مشتبه الحال تتردد بين
المثلية وعدمها وانهم ادعوا مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد
بالناس والنهي عن الاستشهاد به تح وانى لهم ذلك وما تبين لهم عرق ولا نسبوا بينة ثقة واما متعلقة بشهداءكم
والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والفاعل دل عليه شهداءكم
اى ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تح في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ
ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتقييد مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله
تعالى وانها تشفع لهم يوم القيامة فانى لهم ان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم ومجيا يودون
اليه في كل خطب ملم كما قيل اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال
سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه
وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو دنو مكان من شئ لقدامه كما في قول الاعشى
تريك العذى من دونها وهي دونها اى تريك العذى قدامها وهي قدام العذى فيكون ظرفا لغوا معمولا
لشهداءكم كناية رايحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون
لكم بين يدي الله تح ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بجاحيه
الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يعتمد بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان
به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي خوس كل تطبيق باجادهم التهكم بهم
ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لانهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانها ظرفان للفعل ومن
بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يوقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال
كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في ساير الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة
على الظرفية ابدا ولا تخرج الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدار العوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف

مستقر

مستقر وقيل الاية الثانية اى ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثل متجاوزين في ذلك اولياء الله تح ومحصله تهديدهم بعدم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تح رعاية للمقابلة فان اولياء الله تح يقابلون اولياء الاصنام
كما ان ذكر الله تح يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر اظهار العجز والاستدراج الى غاية التبكيت كما قيل تركت
الزاكم بشهداء لا يميل هواهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد والكتفيا بشهدائكم المعروفين بالتعصب عليكم فاظلم ايضا لا يشهدون
لكم فخذوا من الآية والتي قبلها من الشهادة البينة البطلان كيف لا واعجازه قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل
قطعا وفيه ما فيه من عدم الملايمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشئ
محتاجا في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اى في زعمكم انهن
مماثلات له عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الخ والاستلزام
المذكور للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية شاركتم لمعارضه عليه السلام
في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في
حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان
به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اى ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في التحدي غاية المجهود وجاوزتم
في الجد كل حد معهود مستشيرين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما يحرج به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء
على كمال ظهور تحققه لكم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له
للايجاز البديع المغني عن التطويل والمكرر مع سترسى استقبل المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو
ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اى المأتي به ضرورة استحالة وان مناط الجواب
هي الشرطية اعني الامر بانقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس
ان فعال الحاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل حاصل متعد
فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن
مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال
المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع ينعيل الاعطاء
والمنع يرشدك الى هذا قوله تح فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تح ايتوني باخ لكم من ابيكم
فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية
الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر
بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطابقة واعرابا عن مقصده هذا وقد قيل المطلق
الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة عن الاسماء الظاهرة بالضماير الراجعة اليها خذ من
التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قراين الحال
فتدبر وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة
او توهمهم بهم ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلافا لابن جني في ان زيادة تاكيد وتشديد اصلها عند
الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفا ونونا وعند سيبويه حرف منتصب للمعنى المذكور وهي احدى الروايتين
عن الخليل وابطاله اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه
معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه بعز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ يدانيه في الجملة
لنقل الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار جواب الشرط على انها انقاء النار كناية عن الاحتراز
من العناد اذ بذلك تحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا
من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على

تصيير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف بعين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيعه والانهار
كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق الكف عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان
الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزوما عناده وترتب العناد به سببا لاستحقاقهم العذاب
بالنار فاحتزروا منه واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار موضحة لها مبالغة في هولها وفظاعة
اعاذنا الله تعالى من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب ويابس الا احرقته لا كيدان
الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضيا كون ما
له من سنخ هي اليه معلوما للمخاطب على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم
مدنية لا يستلزم كون جميع كذلك كما هو المشهور وانما ان الصفة ايضا ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند المخاطب فالخطاب فيه هين لان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم جسما ورد في قوله تع وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية اعدت
للكافرين اي هيئت للذين كفروا بما نزل لنا وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون
فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد
بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة الان والجنة استيناف لاستحثاث المخاطبين على الاعراب مقررة للمعنون ما قبلها
ومؤكدة لايجاب العمل وبمثابة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لانها من شانها
في وقودها ما في ذلك من الفصل بينها بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر
الذين امنوا اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف
نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة
الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير الاسلوب
لتجهيل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استيناف او تعليق التبشير الموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما
لا يكافيان النعم السابقة فضلا عن ان يقتضيا ثوابا فيما يستقل بل لجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلة فعلا
مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقار على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار
على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتاتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين
الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه
ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار
الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الصالحات العالحة كالحسنة في انها بجري
مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل النقل والعقل واللام للجنس والجمع الافادة ان المراد بها جملة من الاعمال
التي اشير الى انها تمام في خلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مراتب
التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان
اساس والعمل الصالح كالبناء عليه والاغناء بأس لا بناء به ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل
اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعان والجنة هي المرة من معد جنة اذا ستره وتطلق على النخل والشجر المتكاثف
المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كما فسر بكثافتها والتفافها وتنظيرها لما لحقها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال القراء الجنة ما فيه النخيل والفرد

والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فيحتمل ان يقال النساء فعلت وفعلن دون فاعلة وفواعل يقال واذا
الحذاري بالدخان تقشعت واستجلت بخب القد ورفلت فاجمع على اللفظ والافراد حملا على لفظ الجماعة وقرئ
مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا مطهرن وما هو
الا الله سبحانه وتع واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل النفس كما عدا غتسال الجنب والزوج ليطلق على الذكر
والانثى وهو في الاصل اسم لما لا قرين من جنسه وليس في معنوما باعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يطلق
اطلاقة على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة
في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في
الاصل الثبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار المحوالد والجزء الذي يبقى من الانسان على حاله
خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن
المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة
في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدارة فباس ذلك العالم الكامل بما
يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيد ما الخالق تع بحيث لا يعتوره ما الاستحالة ولا تجري
الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند
التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها
ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا
على المساكن والمطاعم والمناكح جسما يقتضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل لذة
وان جلت حيث كانت في شرف الزوال وعرض الاضمحلال فانحطاط منغصة غير صافية من شوايب الالم بشر
المؤمنين بجاودوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لطاعتك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خامس
اعترام من جهلة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعترام عن مطلع
الريب بالتحدي والقام الحجر وافهام كافة البلغاء من اهل الدر والوبر روى البوصالح عن ابن عباس رضي الله عنهما
المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله جل وعلى من ان يضرب الامثال
وروى عطاء عنه رضي الله عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروى عنه ايضا انه لما نزل قوله تع يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تع مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب
والعنكبوت حتى يضرب الله تع بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تع مع انه لا يخفى على
احد ممن له تميز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن الكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر
وما ذلك الا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشاهد
وكلية المعقول بكلية المحسوس وتصوير ابدا المعاني بصيغة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معاتاة
للعقل والاستعصاء عليه في ادراك الحقايق الخفية وفهم الدقايق الابية كما مر بيانه فيما يقتضيه ويشابهه الى غير ذلك
ولذلك شاعة الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير
وقد مثل في البخيل غل القدر بالبخالة ومعارضة السفهاء بثاقبة الذنابير وجاء في عبارات البلغاء الجم
من وزرة واجراء من الذباب واسمح من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء
تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واستحقاقه من الحيوة لشقائق
شطي ونسي من الشطا والنسا والحشي يقال شطي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء

كان

كان من يعتريه بذلها وينقل قوته الحيوانية ونقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحيته
واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى الياءين ومنه قوله الا يستحيي منا الملوك
وتبقى حار بنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحيين لا يوعض نفسه كرئن بسبب في اناء الورد فكما انه اذا اسند
اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله
عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع الرجل يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يريد به الترك الخاص
على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب الجديد من عطاياه بترك من
يترك لهما حياء كذلك اذا نفي عنه تع في المواد الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله تع والله لا يستحيي من الحق
يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لاسلب وصف الحياء عنه تع رأسا كما في قولك
ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تع في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك
ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الداعي الى ضربه وتآخذ البواعث اليه اذ الاستحياء
انما يتصور في الافعال المجبولة للنفس المرضية عند ما تجوز ان يكون ورود ه على طريقة المثل كما فانهم كانوا
يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها
ان بيت الحارث قليل المنزل وضرب المثل استعماله في محل به وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه وان
كان انشاء الامثال السايرة في موارد ها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها كفقدان الانشاء
هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في الغير الكن التعبير عنه
بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ آنا من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما
ان ضرب الخاتم تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كان المخارب قوالب تضرب
الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنثال بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء
كان انشاؤها تاخر كعامة الامثال التنزيلية فان مضاربها قوالبها او قبل ذلك كسايرالامثال السايرة
فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب وانما
من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة
لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها وحق ان يضرب على تقدير تعدية يستحيي بنفسه النصب على
المفعولية واما على تقدير تعديته بالحار فعند الخليل الخفض بالحار ومن وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفها ومثلا منصوب ليضرب واما اسمية ابجاءية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكرا بها ما وشيا عا كما
قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة
وتوكيدها كما في قوله تع فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات
او منصوب ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة العائد
كما في قوله تع تماما على الذي احسن على قراءة الرفع على تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما
على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انها مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها اسمية صفة لمثلا
كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما ورد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة وما نحو فيها حتى
لا يضرب بها المثل بل لله تع ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كبنا حها على ما وقع في قوله صلى الله تع عليه وسلم لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والخضف غلب
على هذا النوع كالخوص في لتة مذيل من النخش وهو الحمس فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه
المذكورة وما موصولة او موصوفة سلتها او وصفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على اما الاولى على تقدير كونها

مرسولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها نكرة او زايدة وبعوضة خبر المبتدء وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يكل بالشروع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الجرم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية حاصلة باستفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذا لم يترك يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوز ما في الالم كما مثال ما حكي من الخزور ● فاما الذين امنوا ● شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تع والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة تماما يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير ما بامر احوال المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء وذلك بجاب بالفاء وفائدته تاكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس الكلام من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد تقتصر على واحدة منها كما في قوله عز من قايل فاما الذين في قلوبهم زيغ الى آخره قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاء ما حرف الشرط ما وخلوها بالجزء وعوض المبتدء عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون ● فيعلمون انه الحق من ربهم ● كسائر ما ورد منه تع والحق هو الثابت الذي يحق بثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن للابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العايد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم ولايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللايق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيقة ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قولهم تع والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من اللازم وظهوره المغني عن الذكر ● واما الذين كفروا ● تماما حكيت اقوالهم واحوالهم ● فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ● او ثم يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتراميهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقية ليس مثابة الانكار ما والاستهزاء به متروكا وتمهيد التعداد ما فيه عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل ولكن على الحق المبين وما ذا اما موالفة من كلمة استفهام وقعت مبتدا وجزء ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعايد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما منزلة اسم واحد بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والاراده نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدوه بالاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تع ولذلك اختلفوا في اراده عز وجل فقيل اراد تع

لافعاله كونه حكيما فيه ولا كره ولا فعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تع وقيل هي على حذف الاستفهام الانكاري والوجه الاصح فايدة عوالقادر الى تحيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر فهو تخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه داس اعم من الاختيار فايدة ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمثل المبين واستدلال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تع ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه الخطيئة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفايدة مع اعترافهم بعدوره عنه عز وعلا بل عن عدم تنبيه باذعانه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بامر من الامور الداخلة تحت ارادته تع على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه مقولة عز من قايل ● يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ● جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان اراد تهما دون وقوعهما بالفعل وبخا في عين نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لا يعاندها ويبغي تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تع وذلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم واثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبل ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امر فظيعا يسوءهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفايدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المعترضتين بانا وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بجر مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى الغير لا بالقياس الى مقابيلهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تع وقليل من عبادي الشكور وكذا ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فايدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الاخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى خلق الضلال ايسجانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تع وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه ايذانا بالتصريح بالسبب وقوي يضل كثيرا ويهدي به كثيرا على البناء للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها ● وما يضل به ● اي المثل او بفتره الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رويشد يهين في بخد وغور اغايرا فاسقا عن قصدها جوايرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحودها وتجريها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاقتصاده بالتصديق الذي عليه مدار الايمان والمعتزلة تع وان طايفتان من المؤمنين اقتطعوا لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده ولم يتسن لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر فلم يشاركه كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده من حكى عنهم ما حكى من انكار كلام الفتح والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبايح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى

بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر فان حكم المثل الى حقارة الممثل حتى سخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا ● الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسوق والنقض نسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعمل في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل لما فيه من ارتباط احد كلامي المتعاقدين بالاخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على كمانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف من بحر الناس تنبيها على انه امتد من شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثق عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تع ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تع واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر هنا والماخوذ من حجة الرسل على الامم بانهم اذا بعثت اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه ونظايره وقيل عهود الله تع المؤثقة الماخوذة جميع ذرية آدم عم بان يقروا على ربوبيته تع والثاني اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتمونه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عم والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعدان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعدان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقته تع اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ● ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تحاط على شر فانه يقطع ما بين الله تع وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو احد الامور نسبية للمفعول بالمصدر فانه تمايؤمر به كما يقال لدشان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال لدشئ وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشية ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ● ويفسدون في الارض ● بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم بما كمل تميز وانتظموا بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد ● هم الخاسرون ● الذين خسروا بامهال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن والاباء بالايمان بها والتامل في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقص بالوفاء والفساد بالصلاح والقبيحة بالعقلة والعقاب بالثواب ● كيف تكفرون بالله ● التفات الى خطاب المذكورين مبني على ارث ما عدد من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى الكفار الواقع كما في قولنا كيف يكون للمشرك عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا

فاذا اتقى

فاذا اتقى حيث هوان وجوده فاتقى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وكنتم امواتا الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عد فيها من الشؤن الخطيرة الداعية الى الايمان والمراد عدم الكفر من حيث كونها نعما عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تع وقد خلقتكم الحوار الكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال تكفرون بربط والحال انكم كنتم امواتا اي اجسادا ما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالموات جمع قيل والاطلاق على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قولهم بلدة ميتا وقولهم رابية ميتة لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة الحوار متربة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلايل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والمراد في المستقبل ومن كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور والمسئول في القبور وايا ما كان فهو متراخ عن زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم بما كنتم تعملون من خير او شر افشرا واليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الاحوال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يسعني مقارنة شئ منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله تع وانتم عالمون بهذه الاحوال الهائلة منه وحالة التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والجمع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلايل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على مقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تع اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعنه وصفه تع بهما ردا وبحسب اتصافه تع بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تع مقتض لذلك وقوي ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد لما من الحيثيتين المذكورتين غير بمعزل عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود اما بانه لا بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر اول في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم ومما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتحصيل المنة بتبيين كونه نافعا للمبين لهم والتشويق اليه كما في خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تع شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يليه من لذات الاخرة وآلامها وما يهمكم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو ثم بعض كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود اجزاء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمرار ما هو عليه من النظام اللايق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شئ مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تع رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ● ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شئ آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى

اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا لما لعدم تحققه في حق السفليات فاروى من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن ثم خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كميشة الفهر عليها دخان يلتزق بعضه بعض فخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وامّا الالجاء الى كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك الاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المرتبة والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عنه وحدها لا مرتبة فيه لتعلق الارض بعد ذلك دحاها وما روى عن الحسن رح والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العالم فسواهن اى اتمخلقهن وقوّمهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا اتخ سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الوقع وفيه اشعارة الى ان لا تغيير فيهن بالفتق والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جماعة وسماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قولهتخ سبع سموات كما في قولهم ربّه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما بنّه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع السلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحس هذا ما قالوا وسيأتي في تمام السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عزّ وجلّ بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كلا منها على الوجه الرائق وقرئ وهو بكون الهاء تشبيها له بعضد وإذ قال ربّك بيان لاحد اجزاء جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قولهتخ خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التعرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة للايذان بان نحو الكلام ليس مما يهتدي اليه بادئ الرأي العقل كالامور المشاهدة التي نبّه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل فاطر بقية الوحي الخاص بعليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام مالا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتها الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عزّ وجلّ واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقولهتخ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع ان المقصود بالذات الامر بالمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان يجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف المخوف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على معمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل لهعليه السلام عتما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة المزاحة عن الكفرة بحتخ ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النبذة ينبّههم لذلك لبطلان ما هم فيه وتنبههم لعنه واما ما قيل من ان المقدر واشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فبعيد سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المحلين لمواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذاك من مقامه الجليل صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انتصابه بقولهتخ قالوا اوتأباه انه يقتضي ان هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قولهتخ وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باجيالكم

مبهما وقيل اذا زائدة ويؤيد ذلك ان ابن عبيد وعمرو قيل انه بمعنى قد واللام في قولهعز قائلا للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المعمول من الطول فلا يباح ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملأك على ان الهمزة مزيدة كالشمايل في جمع شمال والتاء لتأكيد ثبوت الجماعة واشتقاقه من ألك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مألك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسايط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل عزّ وجلّ وبمنزله رسلهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر عما يجري مجرى الشمس مع الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عزّ وجلّ بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض جسما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا منهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كثرتهم انه عليه السلام قال اطّت السماء وحق لها ان تأط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهم عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلان وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت بالسموات والارض وما فيها وما بينهما لا يكون لها عنده تقدير محسوس وما منهم من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قايم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبرئيل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا بارؤهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى الملائكة في موضع بعزلة شرف يمشي بعضهم بجناح بعض فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبرئيل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبرئيل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ادري واحد منهم قد رايته قبل ذلك ثم سأله واحد منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عزّ وجلّ يخلق في اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من آله ما اعظم قدره وما افسح ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض وروي الضحاك عن ابن عباس رضه انهم الجنّ الذين مع ابليس حين بعثه الله عزّ وجلّ لمحاربة الجن كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا وقد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضهم انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقولهتخ انى جاعل في الارض خليفة في جعل النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة

ثم تصيرا في الارض فحذاه بعد التيا والتي اني جاعل خليفة من الطائف او خليفة بعينه كما مضى في البقرة فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم عليه السلام خليفة فيها كما يوجب عند جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تع خليفة مفعول ثان والظروف متعلق بجاعل قدم المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف منه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تع ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف منه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا انما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي بعد واضحة لوقوعه في اثناء ما ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل اياه خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تع واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا احمد وابطلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت جبن حكاه المقترح على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما كان فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر فح لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تع لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تع يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تع اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به آدم وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما استغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش والناس يخلف او خلف يخلف فيحتمله عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا حاجة به تع الى ذلك بل لتعمير استعداد المستخلف عليهم وعدم لياتهم لقبول الفيض بالذات فتختص بالجواس من بينهم واما الخلافة من كان في الارض قبل ذلك فتتم حينئذ الجميع قالوا استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة ح فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين نقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكر هنا فقالوا لهم لا تخلنا عن غرائبك انا طالما قدوش بنا الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جاعلين على غرائبك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بيجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني منبعد وفائدة تاكيد الاستبعاد طلب ان في استخلاف المفسد في محل افساد من البعد ما ليس في استخلاف في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبر بان مدا يتجههم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه تقضي ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تع واوامره او يستخلف مكان المطيعين على الطاعة من شان بني نوعه الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بنيت على تلك المفاسد والقبائح اعتبارا بما يزيح شبههم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عم

من الفضائل التي بعثته لاجلها لذلك كسؤال المتعلم عما يقدح في ذهنه لا اعتراضا عاذ حاشا لله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تع بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرضوا ما قالوا اما ابتداء من الله تع حسبما نقل من قبل او تلقيا من اللوح او باستنباط مما ركن في عقولهم من اختصاص النعمة بهم وبقياس الاشد على الاخف ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل واخطره وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى الموصولة او الموصوفة اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قوله من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيحيا كانه قيل اتستخلف من من شان ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستغفارهم لجرمهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع للاجب والتفاوت فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الاخلاط الفاسدة في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الاخلاط الحادة سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما ازاحتها القوة العقلية وقرنتها على الخير بحيث يحصل بذلك من علو الدرجة ما تقصر عن بلوغ رتبته القوة العقلية عن انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما يضبط به احوال الخلافة والتسبيح تنزيه الله تع وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وفرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تع من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار والباء في نحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي نسبح نتلبس بحمدك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك فنزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نظهر تقوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظم الاشر بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس بالقبيح الجارم بتطهير النفس عن الاثام لاتحادهما بذلك ولا اظهر لا لحاجة بل بيانا للواقع قال استيناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان انه تع يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا تيانه بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستتبعة لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فاما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطة تع به وغلبهم عند تفتيشها لشانه وايذانا بابتناء امره تع على العلم الرصين والحكمة المقتضية وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تع كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على تردده في اشتمال هذا الفعل الحكمة ما هو ذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم متردون في تحصل ما ذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتع لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم استشرفوا البعاتم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بيع منعه وحكمة ويزاح شبههم بالكلية وعلم آدم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا للمنوه وتنفيذا للابهام

وهو علف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما وقعت خلق السلام
بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليهم السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه الذي جاعل اياه خليفة فقيل ما
قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسم الجنس لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لايلايم
مقام تمهيد مبادئها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالح وعاذر وعابر وفالغ لا افعل والتعدي
لاشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه خ
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فجاء بنو آدم على قدر ذلك فمنهم الاحمر والابيض والاسود بين ذلك والخبيث والطيب و
الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ
الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا معبرا عنه اوجزا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن
بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني
مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك لمجرد افاضة المعلم
بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما في تفسير الهدى وهو السر في اشاره على
الاعلام والابناء فانهما انما يتوقفان على جماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقية بالخلافة
منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة لاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه
تع اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها و
خواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت
وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها علما حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابلية المتقرر
على فطرته المنطوية على طبايع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة و
مجاهد وابن جبير وقع عليه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة
كل شئ الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله تع وعلم آدم الاسماء خلقه
من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات
والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعادنها واصول العلم وقوانين الصناعات و
تفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وجعل التعليم على ظاهره ولكن
بشاك جلا مطوية عطف عليها المذكور اي خلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الخ ثم عرضهم على الملائكة القي
للسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تع واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ
عرضهن عرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها كما في الحديث انه تع عرضهم امثال الذر والعلة عز وجل
عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال
انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا للعجز عنهم عن اقامة ما عاقبوا به رجاءهم من امر الخلافة فان
التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق محالا يكاد
يمكن والانباء اخبار فيه اعلام و لذلك تجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار
للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان
كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما
يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان اولى مراتب الاستحقاق
هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين
سفاكين للدماء فليس بما يقتضيه المقام وان أول بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب

امره

امره الا تعبدوا ودسك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق لذلك بامورهم بالابناء وجواب
الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حين سمعوا
عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا سبحانك قيل وعلم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد
جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان
من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا يعود له فقيل صرفه للضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم
مصدر ومعناه على الاول ننجيك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلق افعالك من الحكم
والمصالح وعنوانه لك تنبيحا شيا عن كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام
على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزيها شيا عن ذاتك واراد وابانهم قالوا ذلك عن اذعان
لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف بما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز
وعلا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من
العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دايرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك
لافضت علينا وما في ما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية والمعنى لا علم لنا الا علمك اياه
على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم بجاهل بجعله من جملة ما لا يعلمونه واشعروا
بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى
تحقيقهم لقوله تع ان اعلم ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة و
خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل ولا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء
او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة
خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تع وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي
عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما كمن بمزل من الاستعداد
له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها مدار فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل
الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم ع م ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام
الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا آدم انبئهم اي اعلمهم
او نز على ابنئهم كما وقع في امر الملائكة ع م مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليهم السلام ابانة
لما بين الامرين من التفاوت الجلي واذانا بان علمه ع م بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه
عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما باسمائهم
التي عجزتم واعلن علمها واعترفوا بتقاصر اذهانكم عن بلوغ مرتبتها فلما انبأهم باسمائهم الفاء فصيحة عاطفة
للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينجر عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه
في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما آساه مستقر عنده بعد قوله سبحانه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك واظهارا للاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انبأهم بها على
وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه المتعلقة
بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لاثارة انه عليه السلام لم يتلعثم في شئ من التفاصيل التي ذكرها مع
مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق
مقال انه عليه السلام فلما انبأهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما قرر من الجواب الاجمالي واستحضارا له
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن لا تقريرا لنفسه كما في قوله تع الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره
بل تقريرا لما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه وايرادا لما تعلمون بعنوان

الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة فى بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعة مع الايذان بتعلق ما ظهر من
عجزهم وعلم آدم عليهم السلام من الامور المتعلقة باهل السموات والارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما تعلمون
فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم انى اعلم فيهم دواعى الخلافة مالا تعلمونه فحا هو هذا الذى عاينتموه و
تولوتح واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما
فى الموضعين موصولة حذف عائد الاول اى اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرارهم قيل المراد
بما يبدون قولهم اتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تح لا يخلق خلقا افضل منهم روى
انه تح لما خلق آدم عم رأت الملائكة عم فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه
منه وقيل هو ما استره ابليس فى نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان تح الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا فى الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تح وان لم يصح اطلاق المعلم عليه تح
لاختصاص مادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتقديمها
ظاهر فى القائها على المتعلم بيتنا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع وما هو الا من الله تح وان مفهوم
الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء سموا ذلك
فى الطبقة العليا منهم وعلوا على ذلك قولوتح وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عم افضل من هؤلاء
الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تح يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف
على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة
اى واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اى اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما فى اشارة وتخصيص
هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على نهاج ما قبله من الاقوال الحكية المتصلة به للايذان بان ما فى
حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية
المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة فى موقع الاضمار والكلام فى اللام وتقديمها مع مجرورها
على المفعول كما قرر قوى بفتح تاء الملائكة اتباعا لفتح الجيم فى قولوتح اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال فى
قولوتح الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهى لغة ضعيفة والسجود فى اللغة الخضوع والتطامن وفى الشرع وضع الجبهة
على الارض على قصد العبادة نقيل امروا بالسجود له عليهم السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله
واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم فى شانه وقيل امروا بالسجود لله تح وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما
لشانهم او سببا لوجوبه فكانه تح لما برأه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحانى والعالم
الجسمانى وامتزاجهما على خط بديع امرهم بالسجود له تح لما عاينوا من عظيم قدرته تعالى كما فى قول حسان رض
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او فى قولوتح اقم الصلوة لدلوك الشمس الآية
او الاظهر وقولوعز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم
فى ذلك روى عن وهب ان اول من سجد جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام
وقولوتح الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم
فغلبوا عليه فى فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم اولا من الملائكة جنايتوالدون يقال لهم الجن
كما روى عن ابن عباس رض الله تح عنهما وهو منهم اولان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له ولكن استغنى
بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمى ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه
شب بالجنة حيث لم يتم به احد فكان كالاسم الاعجمى واعلم ان الذى يقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة
الاعراف من قولوتح ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتى فى سورة بنى اسرائيل وسورة الكهف

وسورة ص من قولوتح واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما يترتب على الامر
التكوينى الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون
الوقوع الذى يرد الامر التعليقى ولكن ما فى سورة الحجر من قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى خالق
بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم
اجمعون وما فى سورة ص من قولوتح اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعيان
بظاهرهما ترتب ما ترتب على ما فيهما من الامر التعليقى من غير ان يتوسط بينهما شئ غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق
والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روى عن وهب انه كان السجود كنفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل
الآيات السابقة بكمال ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقى بعد تعلق المعلق به اجمالا فانه تح يكون فى
حكم التنجيز باباه ما فى سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق
المتاخر عن الامر التعليقى والاعتذار بحمل التراخى على الرتبى والتراخى فى الاخبار او بان الامر التعليقى
قبل تحقق المعلق به لما كان فى حكم الجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه
فحكى على سورة التنجيز يؤدى بعد اللتيا والتى الى ان ما جرى بينه وبينهم عم فى شان الخلافة وما
قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عم وخروج ابليس من البين
بالطعن الموبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لمقتضية العقل والنقل والاتجاه
فى المقتضى عند الى تاويل نفخ الروح بجعله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التى من جملتها تعليم الاسماء
لتعسف بين عن ضيق المجال فالذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظم الانيق بعد التصفح فى مستودعات
الكتاب المكنون والتخفق عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عم انما ترتب على الامر التنجيزى المتفرع على
ظهور فضله وهم المبنى على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المستتبع جميع ذلك فى سلك ما نيط به الامر
التعليقى من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء
الجزائية ليست بنص فى وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم
وجوب التى عقيب الذاء لقولوتح اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة
الصلوة عقيب الاطمئنان لقولوتح فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت
كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما حكى فيه من التعليق اثر ذى اثير انما هى حمل الملائكة عليهم السلام
على التامل فى شانه عليه السلام ليتدبروا فى احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا واستفهموا ما عسى
يستبهم عليهم فى امره عم لابتنائه على حكم ابية واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل
ورود الامر التنجيزى وتحتم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر
التنجيزى فى سلك الامور المذكورة فى السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع
المحكى كما ان عدم ذكر الامر التعليق عند حكاية الامر التنجيزى فى السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم
مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن
الانتظام ليست بغريبة فى الكتاب العزيز وناهيك ما نقل فى توجيه قولوتح بشرا مع عدم سبق معرفة
الملائكة عم بذلك وحيث صح الميدع انه لم يرد به نقل فاطنك بما قد وقع التصريح به فى مواضع عديدة
فلعله قد القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزى اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا
وكذا وجاعل اياه خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وبينت لكم شانه فقعوا له ساجدين
فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط
المحدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه انى جاعل هذا خليفة فى الارض فحسبك ذكر وانى جعلته عم ما

ذكروا فايدة الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهد وامنه ما شاهد وافان ذلك ور والام التنجيمي اعتناء بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تع اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تع اذ يختصمون فيما يتلى من قوله تع ما كان لي من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملاء الاعلى الملائكة وآدم ع وابليس حسبما اللبس عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة آدم عليه السلام من المتداول الذي من جملته ما صدر عنه ع من الانباء بالاسماء ومن قضية البديهة وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس امام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انعدام احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء ح فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر

ابى واستكبر استيناف ببيان لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانما لم يكن للرد او للتامل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر اي يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وسيلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه متاخرا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين وكان من الكافرين اي في علم الله تع او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تع كان من الجن ففسق عن امر ربه والجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار واصارهم باستباحة امره تع اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يكون ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معلولة على ما قبلها وايثار الواو وعلى الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان كما يفيده الفاء وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تع وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية تعريج ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا قدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر بما فعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تع يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص اهل الخطاب بهم للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت تاكيد للمستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تع عليهم اجمعين ان الله تع لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم نفى منها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تع عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة عم بحرمة لعلم عليه السلام من هذه قال مراة قالوا لم سميت مراة قال لانها من المراة اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروى عن ابن عباس رض قال بعث الله تع جندا من الملائكة

من الجانب الايسر لادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وانما كان ترى يدل على خلقهما قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تع امتحانا لادم ع وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تع اهبطوا مصرا الما ان لكم ما سالتم بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس قيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع وكلا منها اي من ثمارها رغدا واسعا وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكن فانها تابعة له فيه رغدا صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يخط عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة لتمام كولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تع ولا تقربا بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتوحشت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة ونعت له بتا وليها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها واما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او الحنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا من الظالمين بجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او نفس واحد وهو والله تع فازلهما الشيطان عنها اي صدر زلتهما اي زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تع وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عن كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال من موضعه البتة وازلاله قوله اهل اذكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه الكرامة والتشريف والتشريف لا قدح في خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه الكرامة كما يدخلها الملائكة عم ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرف الخزنة في دخل في فم الحية فدخل معها وقيل اهبط بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستها له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لادم وحواء بدليل قوله تع قال اهبطا منها جميعا وجميع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كله وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او بدخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اي متعادين باغ بعضكم على بعض بتضليله او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض

من الملائكة

وانما كان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بمادل عليه الخبر
اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار وموضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش انتفاع به
الى حين هو حين الموت على ان المقيد تمتع كل فرد من المخاطبين او القدر على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد
والجملة كما قبلها في محل الحال اي مستحقين للاستقرار والتمتع وحينئذ فا تلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بحا حيث علمها وفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دالة على انها استقبلته وبلغته
وهي قوله تع ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رض قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب
الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال
بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر
بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان
بعلية ذلك لقبول الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء
للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه
والعزم على عدم العود اليه وكتفى بذكر شان آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء
في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع على عباده بالمغفرة او لذي يكثر اعانتهم على
التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا
افيد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم البالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب
بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقبول توبته فتاب عليه قلنا استيناف مبني على سؤال نشأ
عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا
بتحتم مقتضاه وتحققه لامحالة ودخولا على يقع في امنية عليه السلام من استتباع قبول التوبة للمنوع عن
ذلك والاظهار لمزيد خطره به عم من بين الامرين من الفرق الثلثة كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مدلل
ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد اتيان الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح
واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين
قيل وفيه تنبيه على ان الحاذم يكفيه في الزجر عن مخالفة حكم الله تع مخافة الاهباط المقترون باحد هذين
الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وثانيا
التوطن للاستقرار هم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في
كما في قولك جاؤا جميعا بخلاف قولك جاؤا معا فاما يأتينكم منى يهدكم الفاء للترتيب ما بعدها
على الهبوط المفهوم من الامر به وما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل
الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل مبني مطلقا وقيل معرب مطلقا والصحيح التفصيل
ان باشرته النون بني والا اعرب بخمسة يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان يأتيكم
مني هدى برسول البعث اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تع فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسن اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق
الاتيان لامحالة للايذان بان الايمان بالله تع والتوحيد لايشتة طفيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل
يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال
او للجري على سنن الخطاء في اراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم

فلا خوف عليهم في الدارين من الحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يمسهم ما يوجب ذلك لانه
يمنعهم ذلك فانهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور
والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استغظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد و
السعي في اقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والراديان دوام انتفائها لا بيان انتفاء
دوامها كما يفهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان المنفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتفخيمه وتاكيد وجوب اتباعه
اولان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل الادلة الآفاقية والانفسية
كما قيل وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا عطف على من تبع
الى آخره قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تغليبا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد
الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة واطلع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر
من النوعين واير ادنون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب
بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله تع وكذبوا بآياته
التي انزلها على الانبياء عم او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا
الفعلين متوجها الى الجارة والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توسمت آيات لها فعرفتها
لستة اعوام وذا العام سابع وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تع وعلمه وقدرته ولكل طائفة
من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه
فتكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خوجنا من بين البيتين لاحق شملنا بأينا نرجي النجاح المطافلا
واشتقاقها اما من اي لانها تبين اياما من اي اومن آوى اليه اي رجع واصلها اوية او اية فابدلت عينها
الفا على غير قياس او آوية او ابية كرمكة فاعلت واثية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا اوذلك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف
تميزا مستحقا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل
اصحاب النار اي ملازمو ها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة
بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تع هم فيها خالدون في حيز النصب على
الحالية لورود التصريح به في قوله تع اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على
ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على راي من جوز وقوع
الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به
الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام
تذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واموره بتذكير كلهم بالنعمة
العامة لبني آدم فالخطبة بقوله تع واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي و
اذكر لهم اذ جعلنا ابا هم خليفة في الارض ومسجود الملائكة وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والا بن
من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب
عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة ياء واسرال بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة
بالذكر والتذكير لانهم اوفر الناس فخمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها
والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لانهم اهملوا شكرها فقط واضافة

النعمة الى غير الجلالة لتشريفها يا يجاب لتحبيس شكر كما يرشح وتقييد النعمة بهم لما ان الانتفاع بها يدخل على سبيل النعمة فاذا نظر اليه ما فاض عليه من النعم حمد ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على اباهم من النعم التي سيجئ تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجتلبها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي بسكون الياء واستطاعطا في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه يعلل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تحقق الدعاء والاموال واخرانا منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث تنفصل عن غيرنا ومن الله تتح الفيوض بالتقاط الدايم واما ما روي عن ابن عباس رضه اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تاتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم من تكرير المفعول والفاء اجرائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تح وآمنوا بما انزلت افرد الايمان بالقران بالامر بالنسبة الى عمدة المقصود في شان الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان بعلتهم بتصديقه لحافان المعية مثنية لكرة المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتورية انه نازل حسبما نعت فيها ومن حيث اندموا قف لها في القصص والتاكيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يترائى من مخالفته في جزيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها بحيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكم التي عليها مايه وزملك التشريع وليس في التورية دليل على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على شرعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل تقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القران الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد النزل بكونه مصدقا لما معهم للتاكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شانه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجئ فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا من ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد بالتعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك لما انا فلست بجاهل اولان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول الفعل لا فعل له وقيل اصله

اوءل

اول دليل اليه اذا رجع وخلص فابدلت الهمزة واوا كحنيفا غير قياس او اول فقلبت همزة واوا وادغمت ولا تشتروا بايايّ اي لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الخطوط الدنيوية فانها وان جلت قليلة مستزلة بالنسبة الى ما فات عنهم من خطوط الاخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ومرسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما خص الشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود منها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرئت الايات التي هي ثمانية فسن فيها ثمنا فسون بالباء التي تصحب الوسيلة ايذانا بتكسبهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة مقصودا واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بارجية التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لعالم والمقلد او فيها بالرتبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فبحسب خصوص المخاطبين بالعلماء امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في قالبه وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من يسمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضه وتكتمون اي وانتم تكتمونه اي كاتمين وفيه اشعار بان استصحاب اللبس لما يصحبه من كتمان الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل نوعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتموه وكتبوا امكانه غيره كما سيجئ في قوله تح فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح النهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في تح ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة اعرهم الله تح بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من نظام النفوس في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاعشى بن قريع السعدي لا تقعدن الضعيف عقلك انه تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والعهدة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثمانية برفي عبادة الله تح وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم ان تتركوها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضه انها نزلت في يهود المدينة كانوا يامرون سرا من يصحبه باتباع الرسول عليه السلام ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله تح وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم تركوها ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب بتكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به والوعد بفعل الخير الوعيد على الفساد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اي تتلونه فلا تعقلون ما فيه او صح ما تفسدون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه غالبا من حيث الكيف او الاتتاملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة تصح من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه ثم سمي به النور الوحاني الذي

به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يجب عن تعالى ما ينفع ويتفضل على ما يحسن والآية كما ترى ناطقة على
كل من يمتاض غيره ولا يتغاظ سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعل فعل الجاهل الجاري على الشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد
بهما كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ بروي
انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحدا واثنان من شدة
تأثيره وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس
الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت له بهذه
اللئام ولا تهتدي الا ان ذلك لا ينفع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ
شهق شهقة خرج من نرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله تع واستعينوا بالصبر والصلوة
تتصل بما قبلها كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا
على حوائجكم بانتظار الفتح والفرج توكلا على الله تع او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة
وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
ستر العورة وصرف المال فيها والتوجه الى الكعبة والخلوص عن العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا
الى تحصيل المآرب وجلب المطالب روي انه عم كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها
اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها بروز الضمير الربها لعظم شانه واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله
تع وامر اهلك بالصلوة او لهؤ انها لكبيرة وجملة ما امروا بها وتهوا عنها لثقيلة شاقة لعقولهم كبر
على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع الانجذاب ومنه الخشعة للربلة المتطامنة و
الخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما ثقل عليهم لانهم يتوقعون
ما لا بد لهم بقاءها فتهون عليهم ولانهم يستخفون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق و
المتاعب ولذلك قال عليه السلام وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاءه تع ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على
حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت
عليهم مشقة خالصة فثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية
والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رض يعلمون وكان الظن لما شابه العلم لما شابهه الظن اطلق عليه
لتضمين معنى التوقع فقال فاسلته متيقن الظن انه مخالط ما بان اشرا سيف قاتف وجعل جران في الموم ضحاز
اسما للابل على تحقق اللقاء والرجوع وتوهمهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به وانى فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص
على العام لكمالها اي فضلت اباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح
وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
واتقوا يوما اي عذاب يوم او عذاب يوم لا يجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا يجزى اي
لا تقنى عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراد النكرة مع تنكير النفس للتعميم والاقتطاع الكلي والجملة صفة يوما
والعائد منها محذوف اي لا يجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجرى المجرور
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال احبابوا

اي اصابوه ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعل الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي الفدية
لانها تساوي المفدى وتجزى بجزاه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس
الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة
ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما
ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزى عنه باداء غيره وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه
الآية على نفي الشفاعة لاهل الكباير والجواب حاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية
فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرهبهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم
من آل فرعون تذكير ما اجمل في قوله تع نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اي واذكروا وقت
تنجيتنا اياكم اي آباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الفرس وتبع
لملك الروم وحاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام
مصعب بن ريان وقبل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر
الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فولي في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخ
بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون لهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى
المتوضأ فكل من لقيه من المكاسين اخذ واحدا منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فذبحها بدرهم ومضى
لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد توج به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر
فراى بيتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا ابين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني حمسة دراهم فدفعوها
اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الا ان تعرض يوما ولباءت
فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهب به الى فرعون فقال
ما انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضر فني احد الى مجلسك فاتهمك
على احتمال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال
ولتي امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح الحكم واستقامت
احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من
امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشئ سوء العذاب اي افظعه
واتجه بالنسبة الى سايره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير
في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون
راى في المنام او اخبر الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا
قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من
القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة
وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول
معنى قوله تع بلاء محنة وبلية وكون استحيائهن اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو وترك

للعذاب لما ان ذلك كان للاستمال فى الاعمال الشاقة وعلى الثانى نعمة واصل البلاء الاختبار وكل فان ذلك
فى حقه سبحانه محالا وكان ما يجرى مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار
بنائكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تع بتسليطهم عليكم او بهبث موسى ع
وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرها للتفخيم وفى الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد
من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر فى المسار والصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية
وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهو لها وقد بين فى تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هى الانجاء
من الغرق اى واذكروا اذ فلقنا وبسلوكم او ملتبسا بكم كقولهم تنبت بالدهن او بسبب انجادكم وفصلنا بين
بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط
فانجيناكم اى من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون
بصيغة التفعيل وكذا قوله تع واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى
به منهم وقيل شخصه كما روى ان الحسن رضه كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه
وانتم تنظرون ذلك واغراقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها
البحر الى الساحل وينظر بعضكم بعضا روى انه ع امر موسى عليه السلام ان يسرى بنى اسرائيل فخرج بهم فبلغ فرعون و
جنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تع اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب به بحافظه فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تع فيها كوى فنظروا واتسامعوا حتى
عبروا البر فلما وصل اليه فرآه منفلقا اقتحم هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى
عليه السلام معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوايل بنى اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتضاها
حال ما هى عليه من رسول الله صلى الله تع عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس
الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلما ثرث اوايلهم بشاهد تحداهم ورؤيتها والنذكرت اواخرهم
بتذكيرها ورواية تحداهم فيما لها من عصابة ما احصاها وطائفة ما اطفاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما
عاد الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله تع موسى عليه السلام ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر
ذى الحجة وقيل وعد عليه السلام بنى اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله تع عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تع فيه
بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذى القعدة
ثم زاد عشرا من ذى الحجة وجر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثى وقيل على اصلها
تنزيلا للقبول موسى عليه السلام منزلة الموعد اربعين ليلة مفعول ثانى لواعدنا على حذف المضاف اى تمام اربعين
ليلة ثم اتخذتم العجل بتسويل السامرى الها ومعبودا وثم للتراخى الرتبى من بعده اى من بعد
مضية الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراكم ووضعكم للشىء فى غير موضعه وهو حال من
ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلى اى وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا
درسه وقد يجئ لازما قال عرفت المنزل الحالى عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تع
من بعد ذلك اى من بعد اتخاذ الذى هو مستناه فى القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم
لعلكم تشكرون لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
اى التورية الجامعة بين كونها كتابا ومعجزة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزة اخرى فارقة
بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق
بينه وبين عدوه كقوله تع يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بالتدبير فيه والعمل بما
يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اى

معبودا

اى معبودا فتوبوا اى فاعزموا على التوبة الى ربكم اى الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت
وميز لبعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص من الشوب اما بطريق التفصى كما فى برئ المريض او
بطريق الانشا كما فى برأ الله تع آدم من الطين والتوعض لعنوان البارئية للاشعار بانهم لجهلهم من الجهالة اقصاها
ومن العبادة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا
بالقتل وذلكم التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع وقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده ويروى ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضى لامر الله تع فاسيل عليهما سحابة
فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم
اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه اطهر عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة
السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه
سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير اسمه المتبع
للايذان بعلية عنوان البارئية والخالق والاحياء لقبول التوبة التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديرا فتعلم
ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها
للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه بتقدير
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية
لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منهم تع لا لقوله تع حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول
المحكى فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اى الذى يكثر توفيق
المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم وفى الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى
عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التى هى اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك ولن
نقر لك والمؤمن به اعطاء الله تع اياه التورية او تكليمه اياه او انه بنى اوانه تع جعل توبتهم بقتل انفسهم
حتى نرى الله جهرة اى عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد
فى الوضوح والانكشاف الا ان الاول فى المسموعات والثانى فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من
الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا
من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روى انهم لما انتهوا على ما
فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين اراد الله تع موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا
ويحضر معهم تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليهم عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله تع موسى عليه السلام
يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تع اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تع
مع موسى ع امر افعل ولا تفعل فعند ذلك طلبوا فى الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتى فى سورة الاعراف ان شاء
الله تع وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا
انه سبحانه تعالى يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية خلقها بعلى طريقة المقابلة فى الجهات والاحياز وذلك
فى استحالة انما الممكن فى شانه تع الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين فى الاخرة وللافراد
من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم فى جلابيب سن ابدانهم قد نضوها وتجردوا
عنها اى عالم القدس فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
كحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل ماتوا وانكشف الهيئة اخذتهم الرعدة

ورجفواحتى كادت تبين مفاصلهم وتنتقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا
ربه بكشف الله عز وجل عنهم ذلك فوجهت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية
ثم افاقوا قائلين وانتم تنظرون اى احياء بعد ما ماتوا او بانه تم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة فقيل البعث
به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما فى قوله تع ثم بعثناهم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اى نعمة البعث
او ما كفرتموه بعد ما رايتم من باس الله تع وظللنا عليكم الغمام اى جعلنا ما يحث تتقى عليكم ظلها وذلك انه تع سخر لهم
السحاب يسير بسيرهم وهم بالتيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسمانى وقيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اى قائلين لهم
او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم
عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غنى عن التصريح به اى
فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطى
ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى هو حقيقة النفى السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتى
الماضى والمستقبل للدلالة على تمادیهم فى الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه
تعالى وكرة اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية
منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهى بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها
حيث شئتم رغدا اى واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان الامر
به لا يدخل على وجه الاقامة والسكنى فيدخل الماتى فى سورة الاعراف من قوله تع اسكنوا هذه القرية فادخلوا
الباب اى باب القرية على ما روى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عليه السلام كما سيجئ فى سورة المائدة
او باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام سجدا اى
متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك
حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول
قولوا اى هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط رحالنا فى هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم
لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والبناء للمفعول واصل خطاياى خطايئ كخطايع
فعند سيبويه ابدلت الياء الزايدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة
الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة
فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا
اخر مما خير فيه روى انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية هطا شمقاثا يعنون حنطة حمراء
استخفافا بامر الله عز وجل غير الذى قيل لهم نعت للقول وانما صرح برمع استحالة تحقق التبديل بلا
مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على الخيارة من كل وجه فانزلنا اى عقيب ذلك على الذين ظلموا
بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة فى الذم والتشريع
وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها للسخط الدائم رجزا من السماء اى عذابا مقدرا
مرتبا والتعرض للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم المستمر جسيما فشيئا فشيئا بين مسيئتى

الماضى والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة
وخلع فى الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبايح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء
والرجز فى الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به
فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك
فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة
فى معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر ولورود الترتيب الوقوعى لنهج ان الكل اريد ذكره واللام متعلقة
بالفعل اى استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه
وكانت تنبع من كل وجه منه ثلث اعين يسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعته
العسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبط الله تع مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه
موسى عليه السلام مع العصا او كان الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تع عما رموه به من
الادرة فاشار اليه جبرئيل عليه السلام ان يحمله او كان حجرا من الجارة وهو الاظهر فى الجنة قيل لم يؤمر عليه السلام
بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف نبنا فوضينا الى رأيك لا جارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه
اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فيبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تع اليه ان لا تقرع
الحجر وكلمه يطيعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام جحمه ذراع فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله
وكان من آس الجنة ولها شعبتان تقدان فى الظلمة فانفجرت عطف على مقدر سيجئ عليه الكلام وقد حذف
للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اى فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى
على احد وقرئ عشرة بفتح الشين وكسرها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم
الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل
هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار وفيه اباه ان المامور به اكل النعمة المعتدة لا ما يطبخونه
واضافة الرب مع استنادا والكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لاظهوره بغير سبب عادى واما لما قبل من رزقنا
كما يقتضيه قوله تع فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام
ولا تعثوا فى الارض العيث اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد خال كونكم مفسدين وقيل انما
قيد به لان العيث فى الارض مطلق التعدى وان غلب فى الفساد وقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة الظالم المعتدى
بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلافا لمن غلب فيما
يكره حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلالهم الى ما كانوا فيه من الذلة
والخساسة واسناد القول المحكى الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام
واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مما كان لهم من النعمة ولا زوالها ولا حصول ما طلبوا مكانها
اذ ليس فيه ما يقترح للوحدة بل اراد وا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روى انهم كانوا ثلاثة فملوا عيشا واحدا
فاجمعوا ما كانوا فيه من النعمة المعتدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا
ربك اى سله لاجلنا بدعائك اياه والغاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية للتمهيد
يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجده واجزم لجواب الامر مما تنبت الارض استاد مجازى باقامة
المقابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتى فى قوله تع من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية
واقعة موقع الحال اى كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد
به ما يعد للاكل مما يؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ ثومها بضم الثاء

وهو لونه فيه قال اى الله تع او موسى عليه السلام انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر
كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال أتستبدلون اى تأخذون لانفسكم وتختارون الذى هو ادنى اى اقرب
منزلة وادون قدرا سهل المنال قليل الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها حقيرا ولا قليل القيمة واصل
الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ
ادناء من الدناءة قد حلت المشهورة على ان الهمزة بدلة من الهاء بالذى هو خير اى بمقابلة ما هو خير
فان الباء تصحب الذاهب الزايل دون الآتى الحاصل كما فى البدل والتبديل فى مثل قوله عز وجل ومن يتبدل
الكفر بالايمان وقوله فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال
المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا امكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناداة اهبطوا مصرا
وروايته بيانا لدناءة مطلبهم او سعافا لمرامهم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى وقرئ بضم الباء والمصر
البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتاويله بالبلد او المدينة
ويؤيده انه فى مصحف ابن مسعود رضى غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سألتم تعليل للامر
بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كما مر قبل فانه
كثير فيه مبتذل ينالة كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة
القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب
الطين على الحايط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما
لخوف ان يضاعف جزيتهم وباؤا اى رجعوا بغضب عظيم وقولنا من الله متعلق بمحذوف هو صفة
لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن من الفتح او صارا
احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اى صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال نُوبُشيء نقتل كلب
واصل البوء اللزوم واوه ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم
بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بايات الله الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على
يدى موسى عليه السلام فما عُدّ وما لم يُعدّ ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفايدة
التقييد مع ان قتل الانبياء عليهم السلام يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ
لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو
فى العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تع ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى جرّهم العصيان والتمادى
فى العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت
الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على
ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تع وقيل الاشارة
الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما فى قول رؤبة
بين اللجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ما ذكر والذى حسن ذلك فى
المضرات والبهمات اى تشيئها وجعلها على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين ان الذين
آمنوا اى بألسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون
عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا ينقذهم من ورطة
الكفر قطعا والذين هادوا اى تهودوا من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب
سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة قاتل وا ما معرب يهوذا كما
كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل

نصرانى وامراة نصرانية والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا
معه فى قرية يقال لها ناصرة فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصر كمهرى ومهارى
والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملايكة وقيل عبدة
الكواكب فعلوان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء واما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لانهم
مالوا من ساير الاديان الى ما هم فيه ومن الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اى من احدث من هذه الطوايف
ايمانا خالصا بالمبدء والمعاد على الوجه اللايق وعمل صالحا جسما يقتضيه الايمان مما ذكر فلهم
اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللايق فمن اما فى محل الرفع على الابتداء وخبره جملة
فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قولك ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمايرالثلثة باعتبار معنى الموصول
كما ان افراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هى خبران والعائد الى اسم محذوف اى من آمن منهم الخ واما فى
محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفى
اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم مما يتمنى المثبوت مأمون عن الفوات لا خوف
عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون
على تضييع الحر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الاسمية
مضارعا لما مر من ان النفى اذا دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين
آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تغيير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان
الخالص بالمبداء والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه
وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسايرالطوايف وفايدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين فى الايمان
ببيان ان تاخرهم فى الاتصاف بغير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدايم
واما ما قيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ معتدا بقبله بالمبداء والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل
اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب فى دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا
علاقة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقية ما فى زمانه فى الجملة على ان المنافقين
والصابئين لا يتسنى فى حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فلا مريبة وان كانوا من اهل الكتاب
فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين فليس لهم دين يجوز رعايته فى وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم
دين سماوى ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين بشيء يكيف يمكن ارجاع
الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوايف من حيث هو مجموع
لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه
قبل نسخه من مجموع الطوايف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين كما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن اشتماله على ان المخلصين مع اندراجهم فى خير اسم ان ليس لهم فى خير خبر ما عين ولا اثر
فتامل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم
بالمحافظة على ما فى التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اى وقد رفعنا فوقكم الطور كما نظلة
روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل
عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون المعاصى او لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تتخلوا فى سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيق ثم توليتم
اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته

بتوفيقكم للتوبة او بجده صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى مغبونين
بالانهماك فى المعاصى والخبط فى مهاوى الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تع عليكم بالامهال وتاخير العذاب
لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفى ومعناها
امتناع الشئ لوجود غيره كما ان لو للامتناع غيره والامر الواقع بعدها عند سيبويه مبتداء خبره محذوف وجوبا
لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله تع حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اى لولا
ثبت فضل الله تع عليكم ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم فى السبت روى انهم امروا بان يتخذوا يوم
السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد
وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق فى البحر حوت الا برز واخرج طوله فاذا
مضى تولت فخرجوا حيتانا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد
فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جنايتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤاخذهم بل عجلنا لهم
نوعا من قردة خاسئين اى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت
لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان فى الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن فى قردة لانه فى
معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فشبهوا بالقرد كما شبهوا بالحمار فى قوله تع كمثل الحمار
يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف
وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اى المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه
ومنه النكل للعتيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت
قصصهم فى الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما
حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بنى اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اى واذكروا وقت
قوله موسى عليه السلام لاجدادهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر
فقتل بنو اعمه ملحا فى ميراثه فلجوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تع ان يذبحوا بقرة ويجربوا
ببعضها فيحيى ويخبرهم بقاتله قالوا استيناف وقع جوابا عما يساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا اهل
سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم و
والسكون اى اتجعلنا مكان هزء او اهل هزء وهو ابنا او الهزء نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به
قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء فى اثناء تبليغ امر الله سبحانه
جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموا من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج المالا يكون ولا يرضاه بالاستعاذة
منه استفظاعا لحاله واستنظاما لما اقدموا عليه من الغلظة التى شانها نهوه عليه السلام بها قالوا استيناف كما مر
كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا اى لاجلنا ربك يبين لنا ما
اى ما جنسه وهى جبره والجملة فى حيز النصب بيبين اى يبين لنا جواب هذا السوال وقد سالوا عن حالها
وصفتها لما اقدموا اسماعهم ما لم يعهد ومن بقرة مسنة يغرب بيعضها حيث يخبر فيحيى فان ما واى شائعة فى طلب
مفهوم الاسم والحقيقة كما فى ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب
او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم بايّ لكنهم لما رأوا ما امر وابه على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة
فجعلوه جنسا على حياله قال اى موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحى انه
تعالى يقول انها اى البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر

للاولية والبكورة عوان اى نصف لائم ولا ضرع تال لطوال مثل اعناق الهوادى نواعم بين ابكار
وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد
فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبل من بيان صفة المامور به ما تؤمرون ام تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق
بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر مما عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك
لم يقتنعوا به وقولوا ادع لنا ربك استيناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان والامر المكرر فقيل قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السلام بعد المناجاة
الى الله تع وجئ بالبيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان فى كل مرة الى
الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة فى اجابة مسولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
والفقوع بضوع الصفرة وخلوصها ولذلك يوكدونه ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانى وفى
اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها
كما فى جد جده وعن الحسن رح سوداء شديدة السواد وبه فسر قولهم تع جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد
بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويُابَاه وصفها بقولهم تسر الناظرين
كما يابَاه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر عن على رضى الله عنه
فلا صفراء قل نعم قالوا استيناف كنظايره ادع لنا ربك يبين لنا ما هى زيادة استكشاف عن
حالها كانهم شاهدوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها فى الاوصاف المذكورة والا لما
المشروحة فى اثناء البيان ولذلك علّلوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة
يشترك فيها كثير من البقر ولا تهتدى بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت
ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمامور بها بل هى صالحة على سبيل افراد الجنس وقرئ ان البواقر
وهو اسم لجماعة البقر والابواقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث
وتشابهت مخففا ومشددا وتشبّه بمعنى تتشبّه وتشبّه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشبّه ومشتبهة
وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها فى الجملة وانما بقى اشتباه يشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم
وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اى لمستدون بما سالنا من البيان الى المامور بذبحها وفى
الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
اى لم تذلل للكراب وسقى الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى و
الفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت
برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وقرى تسقى من اسقى مسلمة اى سلمها الله تع من العيوب
او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا اخلص له ويؤيده قولهم لا شية فيها
اى لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط لونا
لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة بحيث
ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا فى شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئ به فيهما
لم يكن فى التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد راوها وهو جدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف
المشروحة فى المرات الثلث من غير مشارك لها بنما عند فى المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت
الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
فذبحوها الفاء فصيحة كما فى فانفجرت ان فحصلوه البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كادس

افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من حيث ذبحوا اى فذبحوا والحال انهم كانوا قبل
ذلك بعمزل منه او اعتراض تذييلى ومآله استئناف استعظامهم واستبطاءً لهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة
مراجعاتهم ما كادوا ينتهى خيط اسهامهم فيها فيل مضى من اوّل الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون
ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فانى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها
لابنى حتى يكبر وكان برّا بوالديه فنمّى فى الشيخ وشبّت العجلة وكانت من احسن البقر واسمنها فساومو ها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة
دنانير واعلم انه لا خلاف فى ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة بهيمة وان الامتثال فى آخر الامر انما وقع
بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف فى ان المراد بما مامور به آخر ذوى اثير هل
هو المعينة وقد أخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تناقلهم فى الامتثال
وتماديهم فى التعنت والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاوّل تمسكا بان الضمائر فى الاجوبة الاتية للبقرة
الآتى للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون فى السؤال ايضا كذلك ولا ريب فى ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور
بذبحها فتكون هى المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت نحيى فلنوعا معينة خارجة
عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة فى زعمهم واعتقادهم لتعنتها الله
تع تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اوّل الامر هى المعينة والحق انها كانت فى اوّل الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا
اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها
مسلمة الخ وقد قال صلى الله تع عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين
عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم رجع الحكم الاوّل منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا
لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعيّن بل على طريقة تقييده وتخصيصه بشيئا
فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدّت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان
الامتثال بالامر بدون الوقوف على المأمور به تماما يكاد يكون سؤالا تهم من باب الاتمام بالامتثال
واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تع
عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما قد من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا
وتخصيصها بالاسناد دون ما قد من هناتهم لظهور رجع القتل واسناده الى الخير اى اذكروا وقت قتلكم
نفسا محرمة فادارأتم فيها اى تخاصمتم فى شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او دافعتم بان
طرح كل واحد قتلها الى آخر واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الاوّل واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج
ما كنتم تكتمون اى مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما
اتى بالموصول لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لنكتة
الغيبة والتعبير للنفس التذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص والقتل ببعضها اى ببعض
البقرة اى ببعض كان وقيل باصفرها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم
الذى يلى الغضروف وهذا اوّل كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها
فقلنا اذبحوا البقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كلا من
من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله تع عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة
الى الامتثال به جناية عظيمة بانفرادها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل
منهما بما يخص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالقول
لان جنايتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيى الله الموتى على ارادة

قول

قول معطوف على مقدر يستدعيه الكلام اى فضربوه فحيى وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة فى نظيره مما
ماعطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب فى كذلك حينئذ للحاضرين عند حيوة القتيل
ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل ينتهى الحكاية عند قوله
تع ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيى الله الموتى يوم القيمة ويريكم
آياته ودلائله الدالة على انه على كل شئ قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله
على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما بلابسه من الامور التى رقد للعادات تعقلون
اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها وتعلموا على
قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة
اصلا اشتمالها على التقرب الى الله تع واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تع والشفقة
على الاولاد ونفع الوالدان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن وقد غالى
بثمنه كما يروى عن عمر رضه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تع وانما الاسباب امارات
لا تاثير لها وان من دام ان يوقف اعدى عدوه الساعى فى امانة الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التى هى قوتية الشهوية حين زال عنها شدة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت بهجة رائقة المنظر غير
مذللة فى طلب الدنايا سليمة عن دنسها لا سمة بها من قبايحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة
ويحوز عما به ينكشف الحال ويرتفع بابن العقل الوهم من التدابر والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب للحاضرين
البنى صلى الله تع عليه وسلم لو اعتبر ضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين
عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم رجع الحكم الاوّل منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا
لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعيّن بل على طريقة تقييده وتخصيصه بشيئا
فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدّت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان
الامتثال بالامر بدون الوقوف على المأمور به تماما يكاد يكون سؤالا تهم من باب الاتمام بالامتثال
واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله تع
عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما قد من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا
وتخصيصها بالاسناد دون ما قد من هناتهم لظهور رجع القتل واسناده الى الخير اى اذكروا وقت قتلكم
نفسا محرمة فادارأتم فيها اى تخاصمتم فى شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او دافعتم بان
طرح كل واحد قتلها الى آخر واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الاوّل واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج
ما كنتم تكتمون اى مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما
اتى بالموصول لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لنكتة
الغيبة والتعبير للنفس التذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص والقتل ببعضها اى ببعض
البقرة اى ببعض كان وقيل باصفرها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم
الذى يلى الغضروف وهذا اوّل كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها
فقلنا اذبحوا البقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كلا من
من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله تع عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة
الى الامتثال به جناية عظيمة بانفرادها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل
منهما بما يخص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالقول
لان جنايتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيى الله الموتى على ارادة
ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب فى كذلك حينئذ للحاضرين عند حيوة القتيل
ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل ينتهى الحكاية عند قوله
تع ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيى الله الموتى يوم القيمة ويريكم
آياته ودلائله الدالة على انه على كل شئ قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله
على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما بلابسه من الامور التى رقد للعادات تعقلون
اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها وتعلموا على
قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة
اصلا اشتمالها على التقرب الى الله تع واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تع والشفقة
على الاولاد ونفع الوالدان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن وقد غالى
بثمنه كما يروى عن عمر رضه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تع وانما الاسباب امارات
لا تاثير لها وان من دام ان يوقف اعدى عدوه الساعى فى امانة الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التى هى قوتية الشهوية حين زال عنها شدة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت بهجة رائقة المنظر غير
مذللة فى طلب الدنايا سليمة عن دنسها لا سمة بها من قبايحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة
ويحوز عما به ينكشف الحال ويرتفع بابن العقل الوهم من التدابر والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب للحاضرين
البنى صلى الله تع عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما فى الحجارة استعيرت للبتول قلوبهم
عن التأثر بالعظات والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة
مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغها الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة وانما
لان الاستمرار على شئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد
مشاهدة ما ينافيها كقوله تع ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء
القتيل وال جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما
بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهى كالحجارة فى القساوة
او اشد منها قسوة اى هى فى القسوة مثل الحجارة او زايدة عليها بانها او اخص منها او مثل ما
هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة
واير اد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع شبهها
لما على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه فى تولك احمر خدة فهو كالورد واما
للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل واقسى منها لما فى التصريح بالشدة من زيادة
مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين فى الشدة واشتمال المفضل على زيادة والتنبيه او الترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها ومن عرفها شبهها بالحجارة او قال هى
اقسى من الحجارة وترك خبر المفضل عليه للايماء من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة فى القساوة وعدم التاثر واستحالة صدور الخير منها يعنى ان الحجارة
رجما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه الغليمة وان منها لما يشقق اى يتشقق فيخرج منه
الماء اى العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اى يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما
او وعد الله تع بها من التمثل الداعى الى الزكوة وهو مجاز من الانقياد لامره تع والمعنى ان الحجارة ليس منها

فردا او هو منفا وذاهره عز وجل آمنت بما خاق لدس غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون الاية منحا
قسوة لا محالة واللام فى لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة
واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد
محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة
وقرئ بالياء على الالتفات قوله تع افتطمعون تلوين للخطاب وصرف لذكر اليهود اثر ما عدت
بناتهم ونعيب عليهم جنايا تهم الى النبى صلى الله تع عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والبهرة للانكار الواقع و
استبعاده كما فى قولك اتضرب اباك للانكار الوقوع كما فى قوله اا ضرب ابى والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما فى افلا تبصرون
على تقدير المعطوف عليه منفيا اى الا ينظرون فلا يبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثانى فى على الاول
مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اى ينظرون فلا يبصرون فالمنكر ترتب الثانى
على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى تسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون وقال المعنى ايجب
ان علمتم تفاصيل شؤنهم الموبسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمالئون فى شدة الشكيمة والاخلاق
الذميمة لا يتاتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل فى ان
يؤمنوا وهى مع ما فى حيزها فى محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام فى لكم لتضمين
معنى الاستجابة كما فى قوله عز وجل فامن له لوط اى فى ايمانهم مستجيبين لكم وللتعليل اى فى ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعى وستقف على ما فيه من المزية باذن
الله تع وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والنفر والمجرور فى
محل الرفع اى فريق كائن منهم وقوله تع يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة
للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية بنما سلف وعلى نهاج قوله تع وهم كلم عدو بعد قوله
تع افتتخذونه وذريته اولياء من دونى اى والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضى الله عنهما
هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تع حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به
ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله لعلى ما ينبغى لاستيلاء الدهشة
والهيبة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اى فهموه وضبطوه بعقولهم وهم تبين لهم ان
معصية ولا فى كونه كلام الله تع وقيل نزلت اصلا فيما رجعوا الى قومهم اداء الشهادة قالوا لهم كما سمعوا وهيئ لاء
قالوا اسمعنا الله تع فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا
بأس بتركهم للتراخى زمانا او رتبة وقال القفال رح سمعوا كلام الله وعقلوا مراده عز وجل عند فاولوه تاويلا
فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما حاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا
نعت النبى صلى الله تع عليه وسلم فى عصره وبدلوا آية الرجم وياباه الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل الدال
على وقوع التحاج والتحريف فيما سلف الا ان يحمل على تقدمه على زمان نزول الاية الكريمة لا على تقدمه
على عهده صلى الله تع عليه وسلم هذا والاول مما لا تساعد به الرواية والكلام اذا التورية وان كانت كلام الله
عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف بها اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما رؤساؤهم
الباشرون للتحريف بان وظيفتهم التلاوة السجاح فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى
افتطمعون فى ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموانقين لهم فى خلال التسوء
كانوا يسمعون كلام الله تع بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له بهيات وسن مهما
ظهر فى ايثاركم على بالله من الخيانة واجزاله وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه

مفيدة

مفيدة تكشف قباحة حالهم مؤنبة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطأ فى بعض
مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا
جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم ببيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع الموبسة عن ايمانهم
من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم ومعطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير للبهود لما ستقف على
سره لا الى فريق منهم حاصة كما قيل بحر بالاتحاد الفاعل فى فعلى الشرط والجزاء حقيقة الذين امنوا من اصحاب
النبى صلى الله تع عليه وسلم قالوا اى الاقوون لكن لا بطريق تصدى الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم
وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل فى تقبيح حال الساكتين
وادلا الكاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض اراثهم من اسناد القول
الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اى قال منافقوهم امنا لم يقتصروا على ذلك بل غلوا بانهم
وجدوا نعت النبى صلى الله تع عليه وسلم فى التورية وحملوا انه النبى المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على
شهادة التوبيخ الآتى واذا خلا بعضهم اى بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اى اذا فوخوا عن
الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخرهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا
نص على اشتراك الساكتين فى لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذا خلوا انما يكون بعد الاشتغال وان
عتابهم متعلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط
وان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اى الساكتون موبخين
لمن فقهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف
اى بينه لكم حاصة فى التورية من نعت النبى صلى الله تع عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر
مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم ارادة
للتصليب فى دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام فى قوله عز وجل ليحاجوكم
به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان
منكرا فى نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اى اتحدثونهم بما
عليكم به فيكبتوكم والمحدثون به وان لم يكونوا حاول ذلك الغرض لكن نعلم ذلك لما كان مستتبعا لالبتة جعلوا فاعلين
للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم ومزيد ركاكة ارائهم عند ذلك اى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله
كذا اى فى كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوبون يومئذ
حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما فى كتابكم فى
الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا امر خسيس فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير فى به الى
التحديث دون المحدث به ولا ريب فى انه مدفوع بالاخفاء لما سيعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن
الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم على التحديث
ولا تعقلون قبحه فلا تعقلون هذا الخطاء الفاحش وشيئا من الاشياء التى من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او
تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد التعقل
هذا واما ما قيل من ان خطابه من جهة الله تع للمؤمنين متصل بقوله تع افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم فى ايمانهم فيابا باه قوله تع اولا يعلمون فانه لا تجهيل لهم من جهته تع فيما حكى عنهم فيكون
ايرادا لخطاب المؤمنين فى اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان فى تخصيص الخطاب بالمؤمنين
من التعسف وفى تجهيله للنبى اياهما صلى الله تع عليه وسلم كما فى افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار
والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم على التحديث

المذكور مخافة المعاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اى سيترتب عما بينهم من المؤمنين لو ما يصرونه
فى قلوبهم فينبئت الحكم فى ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اى يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم جميعا سبق
ح يظهر الله تح للمؤمنين ما اداروا واخفاه بواسطة الوحى الى النبى صلى الله تح عليه وسلم فيحصل المحاجة
ويتم التبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فانى فائدة فى اللوم والعتاب ومن ههنا
يتبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بافتح الله عليهم وهى حاصلة فى الدارين حد قوا برام لا بالتحديث
به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللمتخلفين او لاباتهم المحرفين اى ايفعلون
ما يفعلون ولا يعلمون ان الله تح يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملة اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان
واخفاء ما فتح الله تح عليهم واظهار غيره وكتم امر الله تح واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على
الاعلان للايذان باقتضاء حالهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع
المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علم تح بمعلوماته
ليس بطريق حصول صور بل بوجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تح وفى هذا المعنى لا يختلف الحال
بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا ان تخفوا ما فى انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم
قيد الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع فى قوله تح وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم
الله فان الاحيل فى تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار
ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مستقر فى القلب
يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تح بحالة الاولى متقدم على تعلقه بحالة الثانية ومنهم اميون
وقرئ بتخفيف الياء جمع امى وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف فى نسبته فقيل الى الام بمعنى
انه شبيه بحال الجاهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شئون النساء بل خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة
التى ولدته امه فى الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء
كقولهم عامى اى على عادة العامة روى عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من
اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فعادوا اميين وعن على رضه هم المجوس والحق الذى لا محيد عنه
انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبايحهم اثر بيان شنايع الطوايف السالفة وقيل هى
معطوفة على الجملة الحالية فان مفهوم نحو ما ناف لرجاء منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم
كما فى ممعنون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب فى مناقاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله
تح بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهى عن اظهار ما فى التورية كما وقع فى
الفرقتين الاخريين اى ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على القراءة والكتابة لا يعلمون الكتاب اى
لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما فى تضاعيفها من دلايل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
يأباه سياق النظم الكريم وسياقه الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها أمنوية افعولة
من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كمنى فى قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعتراه الخيال سيتدوميت ومنا ما
على الاول ما يقدره الانسان فى نفسه ويتمناه وعلى الثانى ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع
اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب بساى لا يعلمون الكتاب لا يتمنون اماني خلصا منتهم اخبارهم
من الله سبحانه بعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من اماينهم الفارغة المستندة
الى الكتاب على زعمهم وساسهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قد ريا يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يمكنوا
من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها علاقة بالكتاب
فلا يساعده النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا

الى رتبة العلم فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين وما بالهم حال هؤلاء فى تشكنهم كحال الاولين
واتباع الظن عقب بيان حال الذين اوتوهم فى تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين وجه
الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم ويل هو ومثاله من ويح وويس وويب وويه ووبك
وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك
واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعى الويل التفجع والويح
الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع فى الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل
ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل فى الدعاء عليه وويح وما بعده فى الترحم
عليه وقال ابن عباس رضه الويل العذاب وعن سفيان الثورى انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدرى
رضه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال
سعيد بن المسيب انه واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل فى جهنم
ودم وقيل صهريج فى جهنم وحكى الزهراوى انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدء خبره قوله عز
وعلا للذين يكتبون الكتاب اى المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزايغة بايديهم تاكيد لرفع
توهم المجاز كقولك كتبته بيمينى ثم يقولون هذا اى جميعا على الاول وبخصوصه على الثانى من عنده
الله روى ان اخبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم ورياستهم حين قدم النبى صلى الله تح عليه وسلم المدينة
فاحتالوا فى تحريف اسائل اليهود عن الايمان فعدوا الى صفة النبى صلى الله تح عليه وسلم فى التورية وكانت
هى فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا
سالهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا بايديهم وهو مخالف للصفة عليه السلام فيكذبونه وثم للدلالة على ترتبى
فان شبهة المحرف والتاويل الزايغ الى الله سبحانه صريحا اشنع شناعة من نفس التحريف والتاويل ليشتروا
به اى ياخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل
وانما عبر عن المشترى الذى هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم
حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل فى نفسه
فهو اقل عند ما استوجبوا به من العذاب الخالد ويل لهم تكرير لما سبق للتاكيد والتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم
بعد الاشعار به فيما سلف ايرادا بعضه فى حيز الصلة وبعضه فى معرض الفرض والغاء للايذان بترتبه عليه ومن
فى قوله عز وجل مما كتبت ايديهم تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار فى الخبر وما موصولة اسمية والعائد
محذوف اى كتبته او مصدرية والاول ادخل فى الزجر عن تعاطى المحرف والثانى فى الزجر عن التحريف
وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذى فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والقصد الى التسجيل بكل من
الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادى ترجيح ما كتبت ايديهم فهو داخل فى التعليل
به وقالوا بيان لبعض آخر من جنايا تهم وفصله عما قبله مشركون من الاكاذيب التى اختلقوها ولم
يكتبوها فى الكتاب لن تمسنا النار فى الاخرة الا اياما معدودة قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل
اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة
وروى عن ابن عباس رضه مجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة
يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضه ان اليهود زعمت انهم وجدوا فى التورية ان ما بين طرفى
جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون فى كل يوم مسيرة سنة فيكلؤ ضفا
قل تبكيتا لهم وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة للوقوف عليها فى الدرج وباظهارها للدال وقرئ
بادغامها فى التاء عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وعد

أو محاه ولذلك عبر عنه بالعهد من يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اى ان الامر كذلك فمن يخلفه والجملة اعتراضية وانظارا لاتم الجليل لاشعار علة الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية وانظارا لعهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر اولان المراد به جميع عهوده لجموعه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بامر لم يكد يشم رايحة الوجود قطعا اعنى اتخاذ العهد ام تقولون منكرين على الله مالا تعلمون وتوجه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه مالا يعلمون وتوجه مع ما اسندوه اليه من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والنكير فان التوبيخ على الاول مستلزم للتوبيخ على الاعلم بالطريق الاولى وقولهم المحكى وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تع وام امتصلة والاستفهام للتقرير المؤدى الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام تتخذون عهدا فتقولون عليه سبحانه ام منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى تقبيح هز تحاما من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الخ جواب عن قولهم المحكى وابطال له من جهته تع وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريح كلى شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ان الحاجة والالزام وظيفة عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه بهاتين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفى خبرا واستفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اى كبيرة من الكبائر وكذا هو لاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التى كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرتا السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس وابى هريرة رضى الله تع عنهم وابن جرير عن ابى وايل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية على ما يقصد بالعرض لانها من الخطاء وقرئ خطية وخطياته القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلثة لان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اى اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تع وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انتم اصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من مقتضى الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون وانما ابدا فانى لهم التنفس عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على المكث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على تشفيع الوعد والوعيد مراعاة لما يقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بنى

اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبايح اسلاف اليهود تمايا دعى بهدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبى صلى الله تع عليه وسلم والمؤمنون ليؤدبهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم واليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاق لا تعبدون الا الله على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهى كقولك تع ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنتهى حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به التهى ويؤيده قراءة لا تعبدوا عطف قوله عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف لان حذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او حمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اى وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك والتخشن من التقلب وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا تاء حسنا بالغة وقرئ كذلك وحسنى بفتحتين وهى لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تحلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة هما ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبى صلى الله تع عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بنى اسرائيل جميعا وتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة للاسلاف محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جنايا تهم نعيت الى عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تتميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تتميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اى اعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ونقضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل الفتح ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اى وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وجعل الاعراض الذى هو عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل معمم خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ومنع عليهم اخلالهم بموجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهى اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه تع ويجرى مجراها على سبيل الاقرار المقصود الاصلى من النهى عن عبادة غير الله تع هو الامر بتخصيص العبادة به تع اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التورية وقوله تع لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهى غير انه عبر اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهى الشديد عن بعض بنى اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوى نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهى عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتى من قوله تع من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دياركم فمحتمل للوجهين معا واذ الاول كون المسفوك دماء اذ عائية للمخاطبين حقيقة ومعادا الثانى كونه دماء حقيقية للمخاطبين اذ عاء ومما تقاربان في افادة المبالغة فتدبر وانما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدى الى قتل انفسكم قصاحا او ما يجيء سفك دمائكم واخراجكم من دياركم اولا تفعلوا ما يريدكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة

ولا تغفروا ما تحزنون بعن الجنة التى هى دارکم فانه الجلاء الحقيقى فما يساعده سياق النظم الكريم بل هو نقض
فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اى بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كوكل
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء
خطاب خاص باطاهرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوى لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه فانتم مبتداء وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم
بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسما يوجب عنه الجمل الآتية فان قوله تع تقتلون انفسكم
الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم
اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير الاول للمخاطبين
والمضاف محذوف اى من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والا فلا يتحقق
التكافؤ بين المقتولين والمخرجين فى ذلك العنوان الذى عليه يدور فلك المبالغة فى تاكيد الميثاق حسبما نعق
عليه ولا يظهر كمال قباحة جنايتهم فى نقضه من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء
على اعتبار العنوان المذكور كما مر فى الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث
هى ديارهم لا من حيث هى ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول واجلتمان فى حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم
تظاهرون عليهم بحذف احدى التائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من
تتظاهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جيئا جميعا بيانا لكيفية الاخراج
وافادة لتوبيخهم احتقاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق
بتظاهرون حال من فاعله اى ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه النفس
ولا يطمئن اليه القلب والعدوان هو التجاوز فى الظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل
بمعنى مفعول من الاسر اى الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحل النصب على الحالية
تفادوهم اى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدى ان الله تع اخذ على بنى اسرائيل
فى التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه
واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة فكان كل فريق يقاتل
مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا ففدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحيى ان نذل
حلفاءنا فذمهم الله تع على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وتع مبتداء ومحرم فيه ضمير
قايم مقام الفاعل وتع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على
انه مفعول مالم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير فى تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة
وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمباهلة فى امره
بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم
مع ذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارک القتلى بشئ من دية او قصاص وهو السر
فى تخصيص التظاهر به فيما سبق وانما تاخيره من الشرطية المعتضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدى
فلان نظم افاعيلهم المتناقضة فى سمط واحد من الذكر ادخل فى اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب
اى التورية التى اخذ فيها الميثاق والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى
اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج

مع ان من فضيحة الايمان ببعض الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله تع داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم
بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى فى المقام الخطابى احالة
المقدم وتقدمه بوجوه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع
قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض
ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض
او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب
وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انها صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى
ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزى استثناء
مفرغ وقع خبرا للمبتداء والخزى الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى
النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية فى الحياة الدنيا فى حيز الرفع على انه صفة خزى اى
خزى كائن فى الحياة الدنيا او فى حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزى ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على
ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب والخطاب لائمة الكفر ببعض ويوم
القيمة يردون وقرئ بالتاء اوثر صيغة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما اوثر الافراد نظرا الى لفظ ما الاولى
الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصى وقيل اشد العذاب بالنسبة
الى ما لهم فى الدنيا من الخزى والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل شلا واشد العذاب يوم القيمة
للايذان بكمال التفاوت بين جزائى النشاتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع
الحال من اول الامر وما الله بغافل تعلون من القبايح التى من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج
يردون وهو تاكيد الوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتداء خبره قوله تع
الذين اشتروا اى اثروا الحيوة الدنيا واستبدلوا بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها
فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب لما كان لمراعاة جانب خلفائهم لا يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنية
والدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا و
الجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف
المفعلية على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع فى بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية
لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضى الله عنهما انزلت جملة واحدة امر الله
عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك بعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها خففها الله لموسى
فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اى ارسلنا هم على اثره كقوله تع ثم ارسلنا رسلنا
تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل عيسى بالسريانية ايشوع ومعناه
المبارک ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قوله رؤبة قلت لزير
لم تصطفر مريه خليل اهواء العصا تندته وزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اى قويناه وقرئ آيدناه
بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة او هى روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم
الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل
بجبريل ع م وقيل بالانجيل كما قيل فى القرآن وروحا منه امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره
وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس

لان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عم فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها وسلم وذة
اعتقادهم الباطل في حقه عم ببيان حقيته والظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول من اولئك
الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اى لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك لايذان
بان مدار الردة والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شئ آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء
وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شانهم وتجوز كون الفاء للعطف
على مقدر ينا سب المقام اى الم تطيعوهم فلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له
والايمان بما جاء به من عند الله تح ففريقا منهم كذبتم من غير ان ترتضوا لهم بشئ آخر من المضارة والفاء
للسببية او للتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام
وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل
لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بصدد عن تلك النية حيث هموا بما لم ينالوا من جحته عليه السلام
وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله تح عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تفدا وان قطعت ابهري وقالوا
بيان لفن آخر من قبايحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم
الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظايرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون
في عصر النبي صلى الله تح عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اى هي مغشاة
باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله تح عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روى عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا
اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا
لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله تح عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب
كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم باطرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد
ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي
هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدى اليها فقليلا ما يؤمنون
ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو
ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل ارد
بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب هو القران وتنكيره للتفخيم
ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اى كائن من عند الله تح للتشريف مصدق لما معهم من
التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا
على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل مجيئه اى من قبل مجيئه يستفتحون على الذين
كفروا اى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقتلكم معه
قتل عاد وارم قال ابن عباس رض الله تح عنهما وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا
يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله تح عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون
عليهم ويبشرونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استجاب اى يسالون من الفتح
الفتح عليهم ويسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال تمكنهم
وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تح ما عرفوا

عبارة تما سنف من الكتاب لان معرفته من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون
الاكتفاء بالضمير لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادئ الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة
على تعقيب مجيئه لاستفتاح من غير ان يتخلل بينهما مدة مئنية وقوله تح كفروا به جوابا لاولى كما هو راى البصريين
او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تح وكانوا الخ جملة
معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله تح عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا
يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه
ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اى عليهم ووضع المظهر
موضع المضمر للاشعار بان حمله اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه والجنس دعم داخلون فيه
الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو محقق المضمون قوله تح بئسما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اى بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا
في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وبآباء انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا
لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تح ان يكفروا بما انزل الله اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد
الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجئ للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا
لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا اعتدوا من الفضل بما هو اجنبي بالنسبة اليهم وان لم يكن اجنبيا
بالنسبة الى فضل الله تح وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع تطحالا تيما وهو معلل بما سياتي من تنزيل
الله تح من فضله على من يشاء عنده وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله تح والمعنى بئس شيئا
باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اى
يشاؤه ويصطفيه من عباده المتاهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بجعلهم للمنزل
عليه واثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره فباؤا بغضب
على غضب اى رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما افترقوا من كفر على كفر فانهم كفروا
بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بموسى عليه السلام بعد عيسى عم وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اى لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما
حاق بهم عذاب مهين يزدريه اثارهم واذلالهم لان كفرهم بما انزل الله تح مبنيا على الحسد البغي على طمع
النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستانة بمن انزل عليه عليه السلام واذا قيل من جانب
المؤمنين لهم اى لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ آمنوا بما انزل الله
من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقران لكن سلك مسلك التهيم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث
مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به
ليس بايمان بما انزل الله تح قالوا نؤمن اى نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون التورية وما
نزل على ابنياء بني اسرائيل عم لتقريرها وبدستورها فان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم
انما انفسهم فنفس الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام وانما ابنياء بني اسرائيل عم وهو الظاهر لاشتماله
له على مذية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم وان مرادهم
بالموصول وان كان هو التورية وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما
عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو ايد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة
القران لما انزل عليهم جميعا يرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما ضد كما
يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وبتجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له بتعسف

لا يكفي والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد
به ما يوارى به وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدإ اى قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد
به مجرد بيان ان افراد ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان
بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اى المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على
الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تع مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها
ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى احقه مصدقا لما معهم من التوراة
وللعشى قالوا انؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقران والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا
به وكأنه انما ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة
الله عز من قائل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذف
عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود
والماضين على طريق التغليب حيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم
وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعم
فلاى شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله بهمزتين وقوله تع ان كنتم مؤمنين
تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيين
ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى في الاعلى ذا اى
الكوفيين وابى زيد وقيل ان نافية اى ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من
تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة
العجل واللام للقسم اى وبالله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة من العصا واليد والسنين ونقص
الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عدنا التوراة وليس بواضح
فان المجيء بها بعد فترة العجل ثم اتخذتم العجل اى الهة من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه
الى الطور فيكون التوراة ح من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم
ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها وبالاخلال
بحقوق آيات الله تع او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى
وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم المناطقة بكذبهم اى واذكروا حين اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا بما امرتم به في التوراة واسمعوا
ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة
مثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها و
اشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه وسرى
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قولهم اتما يا كلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير
بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن
في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون
في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يامركم به ايمانكم ما انزل عليكم من التوراة حسبما يدعون والمخصوص
بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة

الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تع ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان
بما انزل عليهم من التوراة وابطال لها وتعريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين بما ذكر من القبول والعمل بما فيها
جئتم اما مركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبايح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط
كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كذلك ايضا للاعراض عن تبكيتهم والخطاب
كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة في تضاعيف الكلام حيث قيل
ان كانت لكم الدار الاخرة اى الجنة او نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما
تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصارى على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر اعني لكم
وقوله تع من دون الناس في حل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اى الدار
كافة او للعهد اى للمسلمين فتمنوا الموت فان من يقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار
البوار وقرار الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على الموت
او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين
احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى التمني وقوله تع ان كنتم صادقين
تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في
اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه
وقوله تع ولن يتمنوه ابدا كلام مستانف غير داخل تحت الامر بسبق من جهته سبحانه بيان ما يكون منهم من
الاحجام عما دعوا اليه ادال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما علموا من المعاصي الموجبة
لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقران وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط
عامة صنايعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم
ايثارا للاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم
من غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليهم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية
الى اماني العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم
احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العلمي وهو جار مجرى
العلم خلافا لمن خصص بما يقع بعد التجربة وكونا ومفعولا العنير واحرص والتنكير في قوله تع على حيوة للايذان بان
حرصهم نوع خاص منها وهي الحيوة الممتطاولة وقرن بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله
بحسب المعنى كانه قيل من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان باستيلائهم
من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص
المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة
بانباء المعطوف عليه عنه اى واحرص من الذين اشركوا فقوله تع يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على
طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتداء محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون
المراد بالمشركين اليهود ولقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طائفة يود احدهم ابهم كان اى كل واحد منهم
لو يعمر الف سنة وهو حكاية لود ادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجري على الغيبة لقوله تع يود كما تقول
حلف بالله ليفعلن ومحل النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من
العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها ومزحزحه خبرها والباء زائدة و ان يعمر فاعل
مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه اى يبعده ويخلصه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر

وان يمر بدل منه وقيل هو بهم وان يمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يؤة لا يمر على انه حال
من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسُنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهت
وسُنينة وتحسنت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه
الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات امالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء
الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار
فكلمه حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن نزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبرئيل عليه السلام
فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك
لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر بعثنا
من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فذهب عنه جبرئيل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاكم فانه لا يسلطكم
عليه والا فلماذا تقتلونه وقيل امره الله تع ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى انه كان لعمر رضي
بأعلى المدينة وكان عمر في مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد اجبناك وانا
لنطمع فيك فقال والله ما اجبتكم لحبكم ولا اشكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وادى آثاره في كتابكم ثم سألتم عن جبرئيل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا
عليه السلام على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائل بخير بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند
الله تع قالوا جبرئيل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رض ان كانا كما
تقولون فما بعدتين ولانتم اكفر من احمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو للآخر ومن كان عدوا لهما كان
عدو الله سبحانه ثم رجع عمر رض فوجد جبرئيل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر قال عمر رض لقد رابني في دين الله تع بعد ذلك احلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل
وجبرئل كقرمش وجبرل وجبرءل وجبرائيل كجبرائيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة
وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قايم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام
والثاني للقرآن اعتبر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته وبنهايته
لا سيما عند ذكر شئ من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل
الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تع بعينه كما في قوله تع
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في القول بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله
بامره وتيسيره تع مستعار من تسهيل المجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبرئيل عليه السلام الى تنزيله و
صدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تع مصدقا لما بين يديه اى من الكتب الالهية التي
عظيما التورية حال من مفعوله وكذا قوله تع وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى
من عادى جبرئيل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم
اذ فالتسبب في عداوته تنزيل لكتاب معدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم و
جحدوا موافقته له لان الاعتراف بحقايقه يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال
رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا
او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعد وانه تع مخالفته امره عنادا والخروج عن
طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومعربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان
عداوتهم عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وانما افرد بالذكر مع انها داخل من يشمله عنوان الملئكة والرسالة لانظارا فضلها كانهما

عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان
عداوة احدهما عداوة للآخر هما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة
الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم
فكانما عادى الجميع وقوله تع فان الله عدو للكافرين اى لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله
تع وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان
بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مادة العداوة تتم لهم وسخطه المستوجب لاشد
العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائل كمكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل
ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله تع عز وجل وما يكفر
بها الا الفاسقون اى المتمردون في الكفر الخارجون عن حد ووقع فاق من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يختص
على الكفر بشئ هاتيك البينات قال الحسن اذا استحل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر
او غيره وعن ابن عباس رض الله تع عنهما انه قال ابن صوريا للرسول الله صلى الله تع عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما
انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت والام للعهد اى الفاسقون الموعودون وهم اهل الكتاب المحرفون
لكتبهم الخارجون عن دينهم المجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا النكرة للاكثار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى كفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا وعهدا من جملة
ذلك ما اشير اليه في قوله تع وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان
نبي يخرج بتصديق ما نقول فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو وعلى ان تقدير النظم الكريم وما يكفر
بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تع نحمدا اما مصدر مؤكد
لعاهد وامن غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اى رموا بالزمام ورفضوه
وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اى بالتورية وبهذا
وقع لا يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ بعضا رأيهم يؤمنون بها سترا ولما جاءهم رسول
هو النبي صلى الله تع عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة
مزيد تعظيمه تاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدقا لما معهم من التورية
من حيث انه صلى الله تع عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية بنوة موسى عليه السلام بما انزل عليه ومن حيث انه عم
جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اى التورية وهم اليهود الذين كانوا
في عهد النبي صلى الله تع عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل فلك للذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام
كما قيل لا النابذ عند مجئ النبي صلى الله تع عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله
عز وجل او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جنايا تهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين
وايثارهم له عليه السلام والمراد باتيانها اما اتيانهم علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول
عبارة عن علمائهم واما مجموع التوراة عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال
تناني بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اى الذي اوتوه
قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله تع عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية
واخذوا بكتاب آصف وبحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تع ولما جاءهم من عند الله الخ
وانما عبر ههنا بكتاب الله تشريفا لها وتفخيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب
الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعد ما كانوا يستفتحون به فان ذلك قبول له و
تمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجئ الرسول مرجب

عن مجئ الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل مايرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة الالتفات اليه كانهم لايعلمون جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لايعلمه فان
ايديهم اخبارهم فالمعنى كانهم لايعلمونه على وجه الايقان ولايعرفون مافيه من دلايل نبوته صلى الله عليه
وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون اوكانهم لايعلمون انه كتاب الله تح اولا يعلمونه
اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفى هذين الوجهين زيادة مبالغة فى اعراضهم عما فى التورية من دلايل النبوة
هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله تح القرآن فالمراد بالعلم المنفى فى قوله تح كانهم لايعلمون هو العلم بانه
تح فيفيه مافى الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون فى ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا وقيل ان
جميل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم
بقوله عز وجل بل اكثرهم لايؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدى الحدود وتمردوا وفسقوا وهم المعنيون بقوله
بنبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذه ولكن نبذوه بجهلهم بحاله وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بحافظ ظاهرا
وبنبذوا خفيته وهم المتجاهلون واتبعوا ماتتلو الشياطين عطف على جواب لما اى نبذ واكتاب
كتاب الله تح واتبعوا كتب السحرة التى كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوها حكاية
حال ماضيه والمراد بالاتباع التوغل والتحمض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا
قبل مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل
على اشربوا على ملك سليمان اى فى عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويمزجون الى سمعوا
اكاذيب يلقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان
عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وماتم له ملكه الا بهذا العلم وبسخر
الانس والجن والطير والريح التى تجرى بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التى تخضعه
الله تح بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا فى خلال ذلك
اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك
الكتب اوهموا انه من عمل سليمان عليه السلام وانه بالغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر
سليمان تنزيه لساحة عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه
كفرا للمبالغة فى اظهار نزاهته عليه السلام باهيته ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين
والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ماقبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو
وكون مابعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
الجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير كفروا اومن الشياطين فان مافى كلتا من رايحة الفعل كاف فى
العمل فى الحال او فى محل الرفع على انه خبر ثان لكن او بدل من الخبر الاول ووصيغة الاستقبال للدلالة
على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على لون كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه
الى فاعل اتبعوا فلا حال منه واما استيناف فيه نخب واعلم ان السحر انواع سحر الكلدانيين الذين كانوا
فى قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هى المدبرة لهذا العالم ومنها تقدر الخيرات
والشرور والسعادة والنحوسة وتحدث هذه الحوادث بواسطة تخويج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تح ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلثة فرق فرقة منهم زعموا ان الافلاك
والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد
منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا
لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة فى هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام

والنفوس

والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية فى القوة والتاثير الى حيث يقدر على
الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية
وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الخاطفة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة
فى ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثانى وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس واما من اعتقد
ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتح عقيب ذلك على سبيل
جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لايمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق
الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا مستشرعا فى كل ما يأتى
ويذر وكان من يستعين بهم من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة
ولم يكن فيما ظهر فى يده من الخوارق ضرر شرعى لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شرا غير متمسك
بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين بهم من الارواح الخبيثة الشريرة لامحالة ضرورة امتناع تحقق النظام
والتعاون بينهما من غير اشتراك فى الجنس والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجرى مجراها من
اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والامجاد
فى طلاق السحر عليها بطريق التجوز ولما فيها من الدقة لانه فى الاصل عبارة عن كل ملطف ماخذه وخفى سببه
ومن الصرف عن الجهة المعتادة لما انه فى اصل اللغة الصرف على ماحكاه الازهرى عن الفراء ويونس
على الملكين عطف على السحر اى ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع
اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اى واتبعوا ما انزل الى آخره وهما ملكان انزلا للتعليم السحر ابتلاء
من الله تح للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس اولان السحرة كثرت
فى ذلك الزمان واستبطلت البواغيث من السحر وكانوا يعون النبوة فبعث الله تح هذين الملكين ليعلما الناس
ابواب السحر حتى يتمكنوا من معاضدته اولئك الكذابين واظهارهم على الناس واما يحكى من ان الملائكة عم
لما رأوا ما يصعد من بنى آدم غيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها
فقال عز وجل لو ركبت فيكم ماركبت فيهم لعصيتمونى قالوا سبحانك ينبغى لنا ان نعصيك قال تح فاختاروا من
خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ماركب فيهما
ماركب فى البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن
الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعد
الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس
ملكة فى بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فاعجبتهما فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها
فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا لاصنم فعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتى ثم سئلا بها ما سألا فقالت
لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه
كوكبا فهما نالوح حسب عادتها فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان عهد ادريس عم فالتجأ اليه ليشفع لهما
فخيل تخيرهما الله تح بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قيل فهما محبوسان ببابل
قيل حلقان بشعورهما وقيل بنكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره
رواية اليهود مع مافيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من متقولة الامثال والرموز التى قصد بها
ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان تسميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين
بالكسر ببابل الباء بمعنى فى وهى متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير فى

انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية والتانيث
والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا وانما من قرأ الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال لها اسمان لهما وقيل لها اسما
قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني
من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافراد ما مع تعددهما
لكونهما مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصد لبيان ان ليس لهما فيما يتعاطيانه
شان سوى ذلك لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل
التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فلا تكفر بتعلم ما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن توقى عن العمل به والتحق
بالذمة لانقاعه عن الاغترار بمثل هذا بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل والظاهر ان غاية النفي
ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء
الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن
الشياطين كفروا بتعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان
احدا حتى ينبياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تع وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على
قوله وما كفر سليمان جئ بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان ماروت وماروت
بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين تبعا لهما وان العنى
ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيابى وان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال
الناس محالا يابى وصفهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم
تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما
نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تع وما كنتم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه وباعتماله
بين المرء وقرئ بضم الميم وكسر الراء مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة وذو جهه بان يحدث الله تع بينهما التباغض
والنفور عند ما تعلموا من السحر على سبيل جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب
العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون انه
حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا و
من مزيدة لما ذكر في قوله تع وما يعلمان من احد والجمهور وان كان زيادتها في حيز نفي نفي لانه حملت الآية
في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون بين احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير
بالذات وانما هو بامر الله تع فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء
مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان نكرة لاعتمادها على النفي والضمير المجرور
في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تع وقرئ بضارين على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور و
فصلا بين المضاف والظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل اولان العالم بحر الى العمل غالبا
ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا باذ ليس من الامور المرتبة بالنفع والضر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم
لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون
فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان يجر الى الغوايات
وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه من لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود
الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب

قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق بها علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله ما له في الاخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتداه وخبر ومن مزيدة في المبتدا دفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعول الواحد ان جعل متعديا الى واحد
الجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه
ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الاخرة من خلاق
جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم كان الجواب للسابق منهما
فيكون الجملتان متسما عليهما ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم
محذوف اي وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشرى بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه
لان المشترى متعين وهو ما تلوا الشياطين والمنبوذ هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير
قوله سبحانه وتع بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير
عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم ولو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون تنجح على التعيين او حقيقة ما ينبغي من العذاب
عليه على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب من غير تحقيق
وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اي الرسول الموحى اليه في قوله تع ولما جاءهم رسول من
عند الله الخ او بما انزل اليهم من الآيات المذكورة في قوله تع ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا
الفاسقون او بالتوراة التي اريدت بقوله تع نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب
لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وخبر التبكيت الى ما عليه النظم الكريم دلالة
على ثبات المثوبة لهم واجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي شيء ما من المثوبة كائنة من عنده تع خير وقيل جواب لو محذوف
اي لاثيبوا ولما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل للتمني
ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف بايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا
ومثوبة لان المحسن مثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله تع خير لسعوا الى الجهل بعدم العلم بموجب العلم
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا
المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله
صلى الله تع عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي ارقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك
ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها بينهم وهي راعينا فلما سمعوا يقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله تع
عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبة عدم الرعي الى الوعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضه سمعها
منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله تع عليه
وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود
عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس نقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا بالحذف والايصال
او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة
الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا

للسبب بالرغبة فيه واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويلقى اليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب الاعادات او واسمعوا سماع قبول خاضع من النهى والامر بجدة واعتناء حتى لا توجعوا الى ما نهيتم عنه واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوا سببا للتاوين برسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا عليه من الغلظة والشناعة وتهديد لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود احب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه فى هذه الكناية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكى عنهم لوقوعه فى اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود ينظرون للمؤمنين نجبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت محذرة ايا هم فى ذلك ومن فى قوله تع من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما فى قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه ان ينزل عليكم فى حيز النصب على انه مفعول يود وبناء المفعول للتنبيه بتعيين الفاعل والتصريح الآتى وقوله تع من خير هو القايم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفى وان لم يباشره ظاهرا لكنه ينسحب عليه معنى والجزء الوحى وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل ناياه وصفه فيما سيأتى بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التاخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن فى قوله تع من ربكم ابتدائية والتوصل لعنوان الربوبية للاشعار بعلية تنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعديهم بما فيه وتوجههم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من حيث الخيشية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبى صلى الله تع عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس محض خاصا بالنبى صلى الله تع عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو المنوع عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فحسد ونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فاذ لا يما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كساير الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما فى اثناء ذكر ابتلائهم لم يلزم من نفى ود المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفى والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبية على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمة الوحى كما فى قوله سبحانه انهم يصيبون رحمة ربهم عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافة اليه تع بالرحمة قال على رضى الله تع عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله تع عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للتنبيه من الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسباق الموافق لقوله تع الا ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله تع عليه وسلم واقناطهم تماما عما قوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اى يؤتى رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاق الذاتى الفايض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه الى غيره قيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العايد الى من محذوف وعلى التقديرين قوله تع والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تع ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لنقيصة فضله بل لمشيته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشانها فان الاظهار فى

ان ننسها عن توفقا على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستانف سوق لبيان سر النسخ الذى هو فرد من افراد تنزيل الوحى وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحى ورد كلام الكارهين لانزاله قبل حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا واستنساخ ما اذن باثباته من القلوب وهاشر طية جازمة لنسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ اى نامر بنسخها او نجد بانسوخة وننسأها من النساء اى نؤخرها وننسرها بالتشديد وننسها على خطاب الرسول صلى الله تع عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او نفسخها والمعنى ان كل آية ننسب بها على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نات بخير منها اى نوح آخر هو خير للعباد بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيها ودونها ايضا وتحميرها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزل الايات التى عليها مدار امر دينك الاحكام الشرعية انما يكون بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال وتتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضى الحكمة فى حال تقتضى فى حال اخرى لنقيضه فلو لم يجز النسخ لانتفى ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما فى قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تع الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبى صلى الله تع عليه وسلم وقوله تع ان الله على كل شئ قدير سادة مسد مفعولى تعلم عند الجمهور ومسد مفعولى الاول والثانى محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بما علمه مما ذكر على قدرته تع على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تع لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال فى قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتداء والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان الله ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرار الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد بعلم ذكر وانما لم يعطف ان مع ما فى حيزها على ما سبق من شقيها رعاية لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفاية فى الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تع عن جميع الاشياء اى الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمين للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا هما يقتضيه مشيته ولا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن بدائعه كيف يخرج عن قدرته شئ من الاشياء وقوله تع وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير معطوف على جملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب الناس بقاطبتهم ايضا وانما افراده عليه السلام بما لان علومهم مستندة الى علمه جلت السلام وصيغة الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى الله تع لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصر للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على ما تعلق به ارادته تع بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تع على ذلك لا يستدعى حصوله البتة وانما الذى يستدعيه كونه تع ذلك وليا وناصرا لهم فمن علم انه تع وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تع ولا يكترث بما يقوله ريبة فى امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمة لاصل الجملة او لكم خبر مقدم ومن ولى مبتداء مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق

وأما جازيته وكم جزاء المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة للذكر ومن دون الله حيز
النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل صفة لها فلما قدم انتصب حالاً وسعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم
بما ذكر من الامور الثلثة هو جزم والايقان بانه تع لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه
من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في ام
النسخ وقولهم ام تريدون بحيد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل
فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المماثلة منهم في ذلك وامارات
التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لان قضية الايمان وادعاء
منعاه توجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل اذا
فضلا عن صدور نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسالوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو
الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤنه سبحانه قيل لعلهم
كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سالة عليه السلام قوم من المسلمين ان تجعل
لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقولهم تع
كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى ثم حيث
قيل له اجعل لنا آلها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سالوا موسى لان المشبه هو المصدر
من المبني للفاعل اعني سالية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤلية الرسول عليه السلام حتى تشبه
بمسؤلية موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السالية وفي
جانب المشبه به المسؤلية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قولهم تع وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة على ان العايد محذوف
اي كالسؤال الذي سئله موسى ع وقولهم تع من قبل متعلق بسئل جئ به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر
السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره وياخذه بدله بالايمان بمقابلته بدلا منه
وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور واراده وحاصله
ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض و
حق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجاء من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم
الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم
الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل
ذلك يكفر حقيق بان يحذر من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية ورما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع
وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس
السواء على منهاج حصول الصورة في المصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله تع
عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة
الرسول عليه السلام اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمزل من
الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك واتيانهم للكفر عليه وكثير من اهل الكتاب بيان
من اخبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم
وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر
بمحمد صلى الله تع عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا

وبالحمد عليه السلام نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله تع
عليه وسلم واخبراه فنقال ابتما خيرا وانجيتما فاذلت نوير دونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة
كما في قوله خلف ليغضبن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وليست منها وتما بعدها مصدر يقع مفعولا
لود والتقدير وددت وارادتكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو دوكم كفارا لسروا بذلك من بعد
ايمانكم متعلق بيردونكم قولهم كفارا مفعول ثان لدعلى تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله
رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعور السود بيضا ورد وجوهنا البيض سودا وقيل هو حال
من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القصر وايراد الظرف مع عدم الحاجة
اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بعد سبق الايمان مع توسيط بين المفعولين
لاظهار كمال شناعة ما اراده وغاية بعده من الوقوع اما الزيادة فتجعل العارف للعارف عن مباشرة واما المماثلة
الايمان له كائنا من بعد ايمانكم الراسخ ويجوز ان يتعلق بيردونكم حسدا علة لودوا وحال اريد به نعت
المجرور اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير يخيره من عند انفسهم متعلق بود او ودوا ذلك من
اصل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل الدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل
نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة من الدلائل
وعلموا انكم متمكنون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك التثريب والتانيب حتى ياتي الله باموه الذي هو قتل بني قريظة وجلاء بني النضير واذلالهم بضرب
الجزية عليهم او الاذان في القتال وعن ابن عباس رض انه منسوخ بآية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية
لانا نظن العلم الاشرعا ولا يخرج الوارد بذلك عن ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ
ان الله على كل شئ قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل للاول او على ما قبله واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على ناعفوا امروا بالصبر والمداراة والالتجا الى الله تع بالعبادة البدنية والمالية
وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اي اي شئ من الخيرات تقدموه لصلحة
انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع
عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ودوا والضمير لاهل الكتابين
جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف
على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين ورد هم الى الكفر واليهود جمع هايد كعوذ
جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهودا
او نصرانيا تلك اماني تمنيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة للبطلان
ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع صدورة عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي اشال الامنية اماني تهم وقيل تلك
اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قولهم قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فانها لما تطلب لاثبات البرهان ولا تحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله
آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا تقتضيه
المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدعوى
الذي يتضمنه دعوى الاختصاص به فان قولهم بلى الخ اثبات من جهتهم تع لما نفوه مستلزم لنفي ما
اثبتوه وليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو سلم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به بقاء اصل الدخول

على حالها بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستوقف باذن الله تح ظهران المنفى دخولهم ومن ضرورته ان يكون
هو الذى كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفى وانما عدل عن ابطال صريح ما
ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان
حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته
واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما التفت
به من انتظم قوله سبحانه من اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه لله تح لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف
الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع التجود وظهر آثار الخضوع الذى هو من اخص خصايص الاخلاص او توجهه وقصده
بحيث لا يلوى عزيمته الى شئ غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من
جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللايق وهو جنسة الوصفى المتابع لجنسه
الذاتى وقد فسره صلى الله تح عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره
الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا وايا ما كان فتصويره بصورة
الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة تخلفه عنه وقوله تح عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى
الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار
مزيد لطف به وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان
كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تح بلى وحده ويجوز ان يكون
من فاعل الفعل المقدر اى بلى يدخلها من اسلم وقوله تح فله اجره معطوف على ذلك المقدر وايا ما كان فتعليق ثبوت
الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المحتقين باهل الايمان قاض بانه اولئك المدعين من دخول الجنة بمزل
من الاختصاص بالف منزل ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لانه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع فى الضمائر لاشتمال من باعتبار معنى كما
كان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ بيان لتضليل
كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليل كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى
الله تح عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شئ اى امر يعتد به من
الدين او على شئ ثابت اصلا بالغة فى ذلك كما قالوا اقل من لا شئ وكفروا بعيسى ع والانجيل وقالت
النصارى ليست اليهود على شئ على الوجه المذكور وكفروا بعيسى ع والتوراة لانهم قالوا ذلك
بناء للامر على منوحيد التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اى قالوا ما قالوا والحال
ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اى كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به
كتابه فان كتب الله تح متصادقة كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت به والكاف فى محل النصب انما
على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصد اى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا
له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة وكونهم الجهلة اى قالوا لاهل دين ليسوا على
شئ وانما على انها حال من المصدر المضمر الموقف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون حال كونه
مثل ذلك القول الذى سمعت به مثل قولهم انما بدل من محل الكاف وانما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل
ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع
علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم
وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم وان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم
يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا خير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون

بما يتم

بما يتم كل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ايكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بمختلفون
قدم عليه للمحافظة على رؤس الآى لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعادا لان يكون
احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد بذلك العرف
الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم
وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان وان كان سبب النزول فعل
طائفة معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى وينجسون الناس
ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رض
ان طليوس الرومى ملك النصارى واصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا
التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه الملعون
فى عهد عمر رضى الله تح عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى
والتخريب ونحوهما متعلق بالمساجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث
انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله تح عليه وسلم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من حجة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين
كل من عداهم ليسوا على شئ ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع كقوله تح وما منع الناس ان يؤمنوا
وقوله تح وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان
وان يكون ذلك مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر
اولئك الممانون الظالمون الساعون فى خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما
كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها وما كان الحق
ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرايص من هجمة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوهم منها وما كان لهم فى علم الله تح وقضائه بالاخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر
واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى
الا مستخفا او خائفا وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فى ذلك فجوزه
ابو حنيفة رح مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم اى للاولئك
المذكورين فى الدنيا خزى اى خزى فظيع لا يوصف بالقتل والسبى والاذلال بضرب الجزية عليهم
ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى النظم
وتقديم الظرف فى الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب لما فى من ان تاخير ما حقه
التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن بما عند وروده فضل تمكن كما فى قوله تح الم نشرح لك صدرك
واخزل لكم من الانعام ثمانية الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض التى هى عبارة
عن ما حيثى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان
دون مكان فان شئتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا اى
ففى اى مكان فعلتم توليه وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة
مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتداء والجملة فى محل الجزم على انها
جواب الشرط اى هناك جهة الله التى امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد ومكان دون
آخر او ثمة ذاته بمعنى الحضور العلمى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء
واللام اى فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على

على عباده عليم بمصالحهم وبالمحالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رض الله تع عنهما نزلت
فى صلوة المسافرين على الراحلة اينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى نواح مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاءهم وعلى هذا لا خطاء المجتهد شئ بين لما خطاء لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود
عن ان يكون فى جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف محطوفة على ما
قبلها من قولنا تع وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن
شاركهم فيها قالوا من الذين لا يعلمون وقرن بغيرهم وعلى الاستيناف نزلت حين قال اليهود عزير ابن الله و
النصارى المسيح ابن الله وشركوا الرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى
واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له
تع عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه الا سبح سبحانه اى
انزهه تنزيها لا يقاربه وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من التسبح الذى هو الذهاب والابعاد فى
الارض ومن حجة النقل الى التفعيل ومن حجة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم الشايع
الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن حجة اقامة مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه
اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به فيفيد مبالغة من حيث اسناد البراءة الى ذات المقدسة وان كان التنزيه
اعتقاد تنزها هتع عما لا يليق به لا اثباتا له تع وقولتع بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتبنيه
على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة عن مجانسة سبحانه وتع لشئ من المخلوقات ومن
سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام
الفلكية مع امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية بذواتها وطول بقائها عما يجرى مجرى الولد من الحيوان الهيس
الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن
المضاف اليه اى كل ما يفهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصى شئ
منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشئ ومن حق الولد ان يكون من
جنس الوالد وانما جئ بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم
وصيغة اسم الفاعل فى قانتون للتغليب او كل من جعلوه لتع ولدا له قانتون اى مطيعون عابدون له مصرفون
بحسب مشيتع كقولتع اولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اى مبدعهما
ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نحو قد جاء بدعا من الرسل
اهل اللغة وقد جاء بدع كمنع بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره التسميع بمعنى المسمع فى قوله
امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهه
باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال
مقالتهم الشنعاء تقديرا ان الوالد العنصرى الولد المتفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتع مبدع الاشياء كلها
على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدإ محذوف اى هو بديع الخ وقرئ بالنصب
على المدح او على انه بدل من الضمير فى له على رأى من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما فى قوله على جوده لضنت بالسماء
حاتم واذا قضى امرا اى اراد شيئا كقولتع انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام ثم اطلق على
الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قولتع وقضى ربك الى آخره
فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اى احدث فيحدث وليس المراد بحقيقة الامر والامتثال
وانما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات بحسب تعلق مشيتع وتصويرا لسرعة حدوثها بما هو علم فى الباب
من طاعة المامور المطيع للامر المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه باتخ

انما

الله شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مباشرة عن تدبير امور وزمان وتبدل اطوار وفعل تع متعال عن
ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبايحهم وهو قدحهم فى امر النبوة بعد حكايتهم فى شان التوحيد
بنسبة الولد اليه سبحانه وتع واختلف فى هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رض هم اليهود وقال مجاهد النصارى
ووصفهم بعدم العلم بالتوحيد والنبوة كما ينبئ اولا عدم علمهم بوجوب علمهم او لما ان ما يكون عنهم لا يعد عن لم شائبة
علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقولتع فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا
انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا بلا واسطة امر او نهيا كما يكلم الملائكة
او هلا يكلمنا تشفيها على نبوتك او تاتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث
اقترحوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك بعد العناد والمكابرة الى حيث لم يجدوا ما اتاهم
من البينات الباهرة التى تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قالتهم الله انى يؤفكون كذلك اى مثل
ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والغلو قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم
هذا بالحال الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا ان نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا
اجعل لنا الهة الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء وقلوبك فى العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم
الباطلة قد بينا الآيات اى نزلنا ها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها كما فى قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل لا انا بينا ها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق
لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفى تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح
مكان الايمان الذى طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام
لقوم طلبوا الحق واليقين وانما يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله اذ انما نازل من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له
الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقرآن كما فى قولتع بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق
كما فى قولتع احق هو وقولتع بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك
ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك محقا حال
كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب لتختار والا تفهم ما احتوا لا قاصر الامر على
الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت به وقرئ
لن تسال وما تسال وقرئ لا تسال على صيغة النهى ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانه لا يطاق
فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه ولا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهى النبى عليه السلام
عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النار وفى التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون
الكفر والتكذيب وكونهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقولتع ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة كل من الطائفتين خاصة اثر بيان
ما بينهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفى لما مر من ان
تصلب اليهود فى امثال هذه العظايم اشد من النصارى ولذا شعار بان رضى كل منهما بباين لرضى الاخرى اى لن
ترضى عنك اليهود ولو طيلتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز
النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة فى فطامه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم مالا غاية وراءه فانهم حيث
لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل اهلوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان
من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم فى الغضم ومقالتهم فيما بينهم
واما انهم اظهروا ما للنبى صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت فى طلب رضاهم
حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله

هو الهدى صريح في ان ما وقع هنا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من جهة
الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقولهم عزير ونحو ذلك حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا
اى قل ردا عليهم ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يحق ان يسمى هدى وهو الهدى
كله ليس وراءه هدى وما تعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يوجب عنه قولهم ولئن اتبعت اهواءهم
اى آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بمقتضى شهوات انفسهم ومن التى بعدها فيما قبل بيانية اذى التى يتمون اليها
واما ما شرعه الله تع لهم من الشريعة على لسان الانبياء عم وهو المعنى الحقيق للهدى فقد غيروه تغييرا بعد الذى
جاءك من العلم اى الوحى والدين المعلوم حتمه ملك من الله من جهة الغريزة من ولى يلى امرك عموما
ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفى الولى نفى النصير وسط بينهما حرف النفى للتاكيد وهذا من باب
التهييج والالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عليه السلام للنهى وهو جواب للقسم الذى وطأه اللام و
اكتفى بجواب الشرط الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه
حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والجار بعده او خبر ما
بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين باتياء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم فى الفضل يؤمنون به لما بكتابهم دون المحرفين فانهم بمزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر
ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بنى اسرائيل اذكروا اصل اذكر والتى انعمت عليكم ومن جملتها التوبة واذكر النعمة انما يكون بشكرها والايمان
بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبى صلى الله تع عليه وسلم ومن ضروراته بها الايمان به عليه السلام وانى فضلتكم على
العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانها قرنها بنبأ بان فنون النعم
واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزى فى ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا
من الاشياء او شيئا من اجزاء ولا يقبل منها عدل اى فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون يتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة فى النصح وللايذان بان ذلك نفس القصة والمقصود من القصة ما
الا تم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع فى تعيين
ان هدى الله هو ما عليه النبى صلى الله تع عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذى هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما
عليه اهل الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم عليه السلام
وابنائه الانبياء عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبحجية
نبوة النبى صلى الله تع عليه وسلم وبكونه ذلك النبى الذى استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبى صلى الله تع عليه وسلم بطريق التلوين اى واذكر
لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الزاجرة عن الشرك فيقبلوا الحق
ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصود بالذات
قد مر وجه صحته اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وقيل على الطرفية
بمضمر مؤخر اى واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجئ من قوله تع قال لا ينال الخ والاول هو اللائق بجزالة
التنزيل ولا بعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكر واخوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عن يتمون الى ملته
من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلاء فى الاصل الاختبار
اى يطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر شاق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له
على عواقب الامور واما من العالم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه
شيئا هو من مبادئ العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيما مره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم

اسم اعجمى قال التهانوى كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السريانى والعربى الا ترى ان ابراهيم تفسيره
اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين للاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على
ما روى البخارى فى حديث الرؤيا ان النبى صلى الله تع عليه وسلم رأى فى الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد
الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان
ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهى تظهر حسن
قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامانة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس ارشاد
الى طريق اتقان الامور بنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبى صلى الله تع عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة
الرصينة وانما بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهى التى اجيب بها دعوة ابراهيم عليه السلام
كلمات اتى واختلف فى الكلمات فقال المجاهدى المذكور بعد ما ورد بانه ايا ما الفاء فى فاتمهن ثم الاتيان
وقال طاوس عن ابن عباس رضى الله تع عنهما هى عشر خصال كانت فرضا فى شرعه ومن سنة فى شرعنا خمس فى
الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس فى البدن الختان وحلق العانة و
تنف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفى الجزان ابراهيم اول من قص الشارب واول من اختتن واول
من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضى الله تع عنهما لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم عليه السلام
ابتلاه الله تع بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها فى سورة براءة التائبون الخ وعشر فى الاحزاب ان المسلمين
والمسلمات الخ وعشر فى المؤمنون وسال سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه
بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل من مجاهد
قومه والصلوة والزكوة والضيافة والصبر عليها وقيل هى مناسك كالطوفان والسعى والرمى والاحرام والتعريف
وغير هن وقيل هى قوله عليه السلام الذى خلقنى فهو يهدين الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة
وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضى سابقة الوحى واجيب بان مطلق الوحى لا يستدعى البعثة الى الخلق وقرئ برفع
ابراهيم ونصب ربه اى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه الى ما دعاه فاتمهن اى قام بهن حق القيام
واداهن احسن التادية من غير تفريط ونقصان كما فى قوله تع وابراهيم الذى وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعلم
الله تع ما شاء من غير نقض وبعضه ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما شال ابراهيم ربه بقوله ربنا اجعلنا
الآيات وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة منشأة نفسه وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام
فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعى الاحتفال اليه فبعد حكاية تهاتر قرب النفس الى ما وقع بينهما
كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال انى جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تع ابتلى على اى من جعل
الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك على تقدير انتصاب اذ فقال فالجملة
معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو فى المعنى داخلة على قال اى وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى
التصيير احد مفعوليه الضمير والثانى اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لانه على انه جاعل له البتة من غير
صارف يلويه والعاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اى لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ
لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبى امام لامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى
الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته قال استيناف مبنى على السؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عند فقيل قال
ومن ذريتى عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتى كما
تقول وزيدا من يقول ذاك ولك ان تجعله من باب حذف الموصوف اى واجعل فريقا من ذريتى اماما وتخصيص البعض بذلك
لدلالة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل المتعذر وما ذا يكون من ذريتى والذرية نسل الرجل
فعولة من ذرأ او فعيلة من ذرى والاصل ذرورة او ذروية فاجتمع فى الاول واو وياء والاولى واصلية فقلبت الاصلية ياء

فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فمعنى الياء
فصارت ذرية او نقيلة منهما والاصل فى الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق
احديهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء فى مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق
والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة فى المبدلة او فعيلة من الذر
بمعنى التفريق والاصل ذريرة فقلبت الراء الاخيرة ياء لتوالى الامثال كما فى تسرى وتقضى وتظنى فادغمت الياء فى الياء
كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهى لغة فيها وقرأ
ابو جعفر المدنى بالفتح وهى ايضا لغة فيها قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال
عهدى الظالمين ليس هذا رد الدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منح بتشريف بعض ذريته اى
ينيل عهدى الامامة حسبما وقع فى استدعائه اى من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على
عنوان الظالمين منه بمعزل من ذلك التميز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك
كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة من تعيين الجامعين لمبادى الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال
الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة فى سلك المحرومين وفى تفصيل كل فوقة من الاطناب مالا يخفى مع
ما فى هذه الطريقة من تكييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها واما ادراج النيل
على الجعل اياء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون
وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله تع عليه وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل
مستقل بل هى حاصلة فى ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم فى وقت قدره الله تع وقرئ الظالمون على ان
عهدى مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر
على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تع واذ جعلنا البيت اى الكعبة المعظمة غلب عليها
غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيما وضمير مستقل معطوف على المضمر
الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة مفعوله الثانى واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام
فى قوله تع للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اى مثابة كائنة للناس او بجعلنا اى جعلنا ه
لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا اى آمنا كما فى قوله تع حرما آمنا على ايقاع
المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اى ذا امن او على الاسناد المجازى اى آمنا
من حقه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا
حتى يخرج على ما هو راى ابى حنيفة رح ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شئ كائنا ما كان ويدخل فيه امن
الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفزع منه وهو يتبعه فاذا
دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال
من فاعله اى وقلنا او قائلين لهم واتخذوا الخ وقيل هو عطف معطوف على الامر الذى يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس
كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على الامر العامل فى اذ وقيل هى جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة
لابراهيم عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر صريحا كان او مفهوما من الحكاية للاشعار
بتشريفه والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه اثر قدميه ع والموضع الذى كان عليه حين قام ودعا الناس
الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روى انه
صلى الله تع عليه وسلم اخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم اومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بكعتى الطواف لما روى جابر رض انه عليه السلام لما فرغ

من طوافه

من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقراء واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والشافعى فى وجوبهما
قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى لا يدعى فيها وتقرب
الى الله عز وجل وقرئ واتخذ واعلى صيغة الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم
به لانتهامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اى امرنا هما امرا مؤكدا
ان طهرا بيتى بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا لجواز كون صلتها امرا ودعيا كما فى قوله
عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهى متحققة فيهما وجوب
كونها جذرية فى صلة الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية
واما الموصول الحرفى فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء فى الدلالة على القصد سواء ساغ وقوع الامر والنهى
صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى و
الاستقبال او اى طهرا ه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف
وتوجيه الامر بالتطهير منهما اليهما عليهما السلام لما سنا فى ما فى سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك
واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تع واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عم ح بمعزل من شائبة
الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهى وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله
مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق
للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين والقائمين فى الصلوة كما فى
قوله عز وعلا للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اى للطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود من هيات المصلى لتقارب الاخيرين واتى و ذما تارك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصا
لهؤلاء التاليفا ه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم بها وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تهويشه وتشويشه
واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا
البلد آمنا ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كقوله تع اى اجعل هذا الوادى من البلاد الآمنة وكان ذلك
اول ما قدم دعم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر
هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا
حتى قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا فرجعت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء
اقبل على الوادى فقال ربنا انى اسكنت الآية وتوليف البلد مع جعله صفة لهذا فى سورة ابراهيم ان حمل
على تعدد السؤال لما انه عليه السلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له فى احدهما وتاخر
الآخر الى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة البالغة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال
او كان المسؤل اولا البلدية ومجرد الامن الصحيح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا
الامن المعهود او كان هو المسؤل اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثانى لاستدامته والاقتصار على
سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لان المقتضى لاصلى اولان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف
الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر من الظاهر ان المسؤل كلا الامرين وقد حكى
ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سوال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة
الناس تهوى اليه كما سيأتى فى تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها
بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك ويجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلا هما حتى انه يجتمع
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رضى الله تع عنهما ان الطائف كانت
من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تع فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن

الذهبي اذ نتج نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من امن منهم بعقد و
اليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء واظهار الشرف بالايمان وابانة لخطرة واهتماما بشان اهله
ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكاية ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم
من اهل الكتاب قال استيناف مبني على السوال كما مر مرارا وقوله تع ومن كفر عطف على مفعول فعل
محذوف تقديره أرزق من امن ومن كفره قوله تع فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء
وقوله تع فامتعه جزمه اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق
لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من امن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق
من كفر فانه ايضا مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامانة فنبهه تع على انه رحمة دنيوية شاملة للبر
والفاجر بخلاف الامانة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ نمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا
قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الزاده الجئه المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره
على ونق قراءة نمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عليه السلام
وفي قال تخييره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطراره
الى عذاب النار وامارزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر
حرف المضارعة واطراده بادغام الصاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف نحم تشقر يدعم فيها ما يجاورها
بالعكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في
واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة البينة
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه
قعدك الله ورفعوا البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان
هو الذي بني عليها كالتهما لما صارا شيئا واحدا لكاتهما تمت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء
فان كل سافة قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بناؤه على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه
ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما تعذ
من البيت واستوطأ يعني كيجل هيئة القاعدة المستوطاه مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل
البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف
حول عرشي فوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا برا بحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك
بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على جليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله تع
ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه
وعرفه جبرئيل عليه السلام بمكانه وقيل بعث الله تع السكينة لتدل عليه فتبعوها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة فالمحظة
وقيل بعث الله تع سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم عليه السلام في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت
على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا
ولبنان والجودي واسه من حراء وجاء جبرئيل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وقيل تخبا ابو قبيس فانشق
عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من ياقوتات الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود
وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي تحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر
مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر
انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلايل النبوة وروى فيه عن عبد الله

بن عمر

بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبرئيل الى آدم عليهما السلام فقال له يا آدم
ابنيالي بيتا فخط جبرئيل وجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك آدم فلما
بنيا اوحي اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه
ومنها بناء بني آدم عند ما رفعت الخيمة التي عزى الله تع بها آدم عليه السلام وكانت منزلت في موضع البيت فبنى بنوه بناء
بيتا من اللبن والحجارة فلم يزل معمورا يحجونه من بعدهم الى ان مسه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي
بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القران مشهور بين قاص ودان و
منها بناء العمالقة ظنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله تع عنه ومنها بناء قصي بن
كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي
الله تع عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي
ان بناء لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاول حين بناه شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل
عطف على ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان بناء له
الحجارة وهو ينيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به
على انه قال منها عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان
ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي رفعهما قيل واسمعيل مبتداء خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون
ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان
اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة اليه
ضمنا عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تع ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء
وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يوهب عنه جعل الجملة الدعائية حالية
انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من جملتها نياتنا في
جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تع سميعا لدعائهما عليما بنياتهما واخلاصهما في اعمالهما
مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر معنى السمع والعلم عليه تع لاخلصا
اختصاص علمهما به تع وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو
الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر
بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤن الصادرة عن جنابه تع في سلك مستقل ونظم الامور
الواقعة من حجة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تع ومن كفر فالخ فانما
وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستجاب ما سبق من الكلام ذلك بجيث لم يكن
بدمنه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا
عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال ما جرى معها في الدعاء اولان التثنية من مبادي
الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة و
لانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل
على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الخرق لخرب الدنيا
وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله تع عليه وسلم وقد جوز ان يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بينها
بين العاطف والمعطوف كما في قوله تع ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا
من الرؤية بمعنى الابصار وبجعلي التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا

والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على خذ في خذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لعاصي فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه بعضا لانفسهما وارشاد الذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما ينا سبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي عم انه هو الذي اجيبت دعوتهما عليهم السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وكحصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعاء واهيل تتبع له علة السلام يتلوا عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من البينات ويعلمهم يجب قوتهم النظرية الكتاب اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم يجب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز اي الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة واجابة تعليل للدعاء واجابة المسؤل فان وصف الحكمة مقتض للافاضة ما يقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول عم ووصف العزة مستتبع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق اوامك او اجهل نفسه قال البرد وتقلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه جهل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز كخبن زاية والم راسه وكقوله وناخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس سنام وقوله وما قومي بثعلبة ابن سعد ولا بفزارة الشعر رقابا وذلك لانا اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بلغ في اذلال نفسه واذالتها وانتهاك حيث حاولت بكل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تع قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سايرالخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره والكلام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وتولع وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والفلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره وللحاجة الى جعلها اعتراضا آخر اوحالا مقدرة فان كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالفلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفهة اذ لم نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثارا لامية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين محتاجة الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهدانا رها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا ويحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الاخرة كحلك بعد بكيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في التنكير والتقديم والتاخير تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفينا لا ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة او

تعليل له

تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى معرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تع فالامر على حقيقته والالتفات لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عم الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عم حيث ايقن حين النظر بجعول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو الامور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عم لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه تاكيد لوجوب الرغبة في ملته عم والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمتوصين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وحضاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها لملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تع انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل جعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى بها والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرون وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشوخور وزبولون وذوادا وتفتونا وكوزا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عند ع فلا تموتن الا وانتم مسلمون فاثبتوا عليه حتى الموت عن الموت عارضا في حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله ع عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب عم وصى اليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب للاحبار الراغبين عن ملة ابراهيم عم وشهداء جمع شهيد اوشاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عم الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عم باليهودية حسبما حكى عنهم واما توبيخهم هنا بسايرالانبياء عليهم السلام كما قيل فياباه تخصيص يعقوب عم بالذكر وما سياتي من قوله عز وجل ام تقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار الهمزة وقوع الشهود وعند احتضاره عم وتبكيتهم وقوله تع اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عم وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن لابتداء الغاية متعلقة بتعبدون او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي كائنا من بعدي وهذا تمام التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عم اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يمثال به كل شيء مما يوقف فاذا عرف فحق العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بينه وان سئل عن وصفه قيل ما يريد افتقدام طبيب فقوله تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء عن حكاية يعقوب عم كانه قيل فاذا قالوا عند ذلك فقيل نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عم بالسؤال لان نعبد الاله

المتفق على وجوده والهيئة ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله تعالى بين احواتنا بكين وقد ينتنا بالابنا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من الها بائك كقولك مررت بالناطية ناطية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويجتمل ان يكون اعتراضا محققا المضمون ما سبق لكاسة مبتدأ وخبره والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تأتمها فوق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لاعمل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتحفظا بها الى غير ما فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيره تحاما على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيهما ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قبل في قولك لتم لكم دينكم ولي دين لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا كما قيل تمالا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب غيرهم حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مختصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها من الجملتين تقريرا لما ظاهرا وان اريد به مسببه عني اجزاءه فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه حالا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فتمحلوا في تاويله حتى يتصور تعليلها على غيرهم حتى يتعدى الى بيان انتفائه وقالوا شروع في بيان فنون آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لا بعاد هم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول معولا لكلهم او لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصاريا تفعل بالمتكلم الكريم ما فعل بقوله تع وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اشعارا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اي تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملته ع م وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته ع م او كونوا اهل ملته ع م وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملة اي اهل ملة حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند قائمة وفي قوله تع ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح

ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه ع م بردّ مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى الطريق التوحيد والاعمال على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه امنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها زمانا ولاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام اولاده الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق ع م وما اوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايرادا لايتاء لما اشير اليه من التعميم والتخصيص بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كذاب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم عدم ان الكلام فيما اتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم التصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اتوه وهمزة احدا ما اصلية فهو موضوع لمن يصلح ان يخاطب بيستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله تع عليه وسلم ما احلت الغنايم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو ونهو بمعنى واحد وعمومه لو قوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلايل اي بين الخير وبين وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له وهو عطف حال اخرى منه او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء للترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر منطقة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل معتبر كما في قوله تع وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه وبعضده قراءة ابن مسعود رض بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمرور ذكره آنفا او على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان آمنوا بامر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زايدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكون للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ايمانكم ايمانا ملتبسا بس الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عم فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا اي الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطريق فيابا ه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلايم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اختلوا شيئا من ذلك كان آمنوا ببعض كفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم فانما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداة من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يوض عن الآخر صورة او معنى وليوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا كالوعيد لهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على

ان المراد مشاقتهم المحادثة بعد توليهم عن الايمان بكواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة
على ثباتهم واستقرارهم فى ذلك وامابتاويل فاعلموا انما هم فى شقاق هذا هو الذى يستدعيه فخامة شان التنزيل
الجليل وقد قيل قوله تع فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تع فاتوا بسورة من مثله و
المعنى فان خضعوا دينا آخر مثل دينكم مما لا ثلاله فى الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان لفلاحهم
بالهتدائهم ولاريب فى انه مما لا يليق بجمل النظم الكريم عليه ومما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان
ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله تع عليه وسلم وتفريج
المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد والاعزاز بالبيان الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل
فسيكفيكهم الله اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تستتبع بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده
الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى صلى الله تع عليه وسلم مع ان
ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة فى ذلك ولما بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق
ومقاساة الشدايد فى مناجزة الاعداء من وظائف الرؤساء فخصت تع فى الكفاية والنصر فى حقه عليه السلام اتم
واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتاكيد له والمعنى انه تع يسمع ما تدعو به ويعلم ما فى نيتك
من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه فى
قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين
صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمراد بها ما ذكر على الوجه
الذى فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره الجليلة وسدا خلافى قلوبهم كما ان شان
الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للتشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل لما استناده فيما
سلف الى خير المكلفين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهى اذن مصدر
مؤكد لقوله تع آمنا داخل معه فى حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله مما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه
قيل صبغنا الله صبغة وقيل هى منصوبة بفعل الاغراء اى الزموا صبغة الله تع واما وسط بينهما الشرطيتان و
ما بعدها اعتناء ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسليته ع م ومن احسن من الله مبتداء
وخبر والاستفهام للانكار والنفى وقوله تع صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا او التقدير
ومن صبغة احسن من صبغته تع فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على
من كل صبغة على ما اشير اليه فى قوله ح ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تمهيم الحسن الحقيقى
والفرضى المبنى على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون فى صبغة غيره تع حسن فى الجملة اعتراضية مقررة لما فى
صبغة الله من معنى التهيج والابتهاج ونحن له اى لله الذى اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا
لها وسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل او عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار
الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اى الزموا صبغة الله تع وقولوا نحن له
عابدون فقوله تع ومن احسن من الله صبغة يجرى مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب
للنبى صلى الله تع عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لان المامور به من الوظائف
الخاصة به ع م وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اى اتجادلوننا فى الله اى فى دينه
وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون
تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ردنا
لدعويكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانتهاء

اى ما كلفنا وامرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره وكم اعمالكم السيئة المخالفة لكمه ونحن
له مخلصون فى تلك الاعمال لا ينتفى بها الا وجهه تع فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع فى دخول
الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام فى قوله تع ام تقولون اما معادلة للهمزة فى قوله تع اتحاجوننا
داخلة فى حيز الامر على معنى انى الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه واطال ما
ذكر امر التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء عليهم السلام وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما
واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة الدالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء
على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهى منقطعة لا غير داخلة تحت الامر و
واردة من جهته تع توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما تاويل
من ان المعنى اتحاجوننا فى شان الله تع واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء
كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تع
بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على
كل مذهب ينحونه اخيرا ما وتبكيتا فان كرامة النبوة انما تفضل من الله تع على من يشاء فالكل فيه سواء واما
افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبر بها الله تع
فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن لها مخلصون اى لانتم فى عدم مبالاته بسابق النظم الكريم وسياقه لا سيما
على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح فى نفسه لما ان المراد باعمال من الطرفين ما اشير اليه من الافعال
الفاضلة والسنية ولاريب فى ان امر الصلاح والتوحيد وعلى موافقة الذين المبنى على البعثة ونحو لفقه
فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال فى استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل انتم
اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس
مستقلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع للحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره
وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما فى قوله عز وجل فال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلا قال اسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك
هذا الذى كرمت على فان تكريم قال فى الموضعين وتوسيطه بين قولى قائل واحد للايذان بان بينهما
كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثانى بالتبعية والاستتباع كما حرر فى محله اى كذبهم فى ذلك وبكتهم
قائلا ان الله تع يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم ع م كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا واحتج عليه بقوله تع وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام
اتباعه فى الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان
يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهى شهادته تع له عليه السلام
بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حيث كتمى آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جئ بها تهويلا
للانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جنابه عز وجل من اقوى الدواعى الى قاتها
واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر فى الوجود لمراعاة طريقة الترقى من الادنى الى الاعلى
والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق
الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يرد ما ويشهد بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان فلا
احد اظلم منا لو كتمنا ما فالمراد بكتمها عدم اقامتها فى مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب
على نحو ما اشير اليه وفى اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم

شهادة الله عز وجل لنبي صلى الله تع عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادة نبينا دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعلمون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تع لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لناخيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام و بالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اى الذين خفت احلامهم واستهتهم بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود وعلى ما روى عن ابن عباس ومجاهد رضه قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو لا نسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحول الى كعبة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن ملة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قولهم من الناس اى الكثرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم المعاندين للخوض في غمرات الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان بيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفههم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتفاعهم عن السفاهة بالكلية او بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما دلهم اى اى شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقابل لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تع التي كانوا عليها اى ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها التاكيد الانكار فان الاختصاص الشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد المعاندين اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحول عنها وزعمهم انه خطا وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه وانما ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا كراهتهم الانصراف عنها والتوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غير ما مع تمانعهما في الوجود دليل ان ترك الدين القديم بعد عند العقول وانكار بسببه ادخل في الايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحول عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانها الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لامحالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعدادها يمكنهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد الذ وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استيناف مبني على السؤال كانه قيل فاذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اى لله تع ناصيتا الارض اى الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته يهدي من يشاء اى يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما يقتضيه مشيئته المتعلقة بالحكم البالغة ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول

صلى الله تع عليه وسلم لتابيد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لان الخطاب وجه والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين ذاته فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بدوانتظامه بسبب ذلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افادة اسم الاشارة من التنحية ومعناها في الاصل نحيت على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم جعلا مثل ذلك الجعل فقدم الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف تحية للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لافادة الفعل واعتبرت الكاف تحية للنكتة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعت له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا اجلا اخرجنا من بينهم والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدايرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكون الاطراف متسارعة اليها المخل والاعراز والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوسط الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا طايفة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل كون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلاد والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كذا سايرا لاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رايقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هداية الله عز وجل الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجايرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجايرة كون الامة المهتدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزايغة اى متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مذكورين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتالفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وجل ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقعا على الحقايق الموضوعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرايط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تع بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المشركين وزيادة لحزبهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله تع عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تع في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند وذلك بالنبي صلى الله تع عليه وسلم ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادة عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي صلى الله تع عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص موضعه به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل بمعنى تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمفعول الثاني هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة كلام مناف لما يساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللايق يهدي الى العكس فان المقصود افادة ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو

جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها
اولا ثم لما اجرام بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود وهي الصخرة لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قبلة عليه السلام
بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة
واما الصخرة فيتأتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها آنفا وهي
الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا بالتي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء
مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنتميز الناس اي لنعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حال
من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الكعبة مع ايراد عليه السلام بعنوان الرسالة
للاشعار بعلة الاتباع فمن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او يتوجه الى القبلة الجديدة او نعلم الا لنعلم حال
من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت
على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي
ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه
او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقولك لتميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز الذي هو سبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام
او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة
اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية كما في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة
والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قولك وما جعلنا القبلة التي كانت عليها من الجعلة او التولية او
التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله واخوان لنا كانوا اكرام
واصله وان هي لكبيرة ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم
والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما متم وما استقام لهم ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب
العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال
اخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما
هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه
النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما
هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقولك ان الله
بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع
جورهم ولا يدع ما قيد صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديم على رحيم مع كونه ابلغ منذر لما مر في وجه تقديم
الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال
النعم المنافية عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف
غير مدة كذؤس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة
لانها قبلة ابراهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية
ما قبلها لما بعدها وفي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي نوالله لنولينك اي لنعطينكها

ولنمكنك من استقبالها من تولك وليته اي صيرته ذا يلاه او لنجعلك تلي جهتها او لنولينك على ان
على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشيئته وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية
بالوجه لانه مدار التوجه ومعيارة وقيل المراد كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب
على الظرفية من ول او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم للنصف من الشيء ودار شطور اذا كانت
منفصلة عن الدور ثم استعمل لما بنه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي يحرم غير القتال وممتنع من الظلمة ان
يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذانا بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف
القريب روي عن البراء بن عازب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قدم فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عم الخطاب للمؤمنين مع
التعرض لاختلاف اماكنهم تأكيدا لتحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة
وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وفولوا تم فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قولك تم
اينما تقعوا فلا اسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه
اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بانه عادته سبحانه وتم جارية على تخصيص كل شريعة
بقبلة وتحاليتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر به لك التعبير عنهم بالاسم الموصول
بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة
وقولك من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم وصفة له على اي من يحذف
الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب
لكل فريق او قرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب ومنع الموصول
بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقولك ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر
ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تجريده للامة لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظايف الخاصة به عليه السلام وقوله
تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها سوقة لقطع اطماعهم الفارغة
حيث قالت اليهود ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تعريضا له عليه السلام وطمعا
في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام ممنوعيتها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها
في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع
قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب
كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية
ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن ابتعت على سبيل
فرضا انك اذن لمن الظالمين وضع لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه
ذلك اذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فالمن من ليس كذلك
واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها تقريرا لما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم او

وتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انحصار التقرير بالنسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم
ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستعظاما للصدود والذنب من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب اي علماؤهم
واذ مهم الحدة في ايتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب
في تولونه يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث
ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي
الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل بهذا
او اخبار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذي
هو الوحي او القران او التحويل ويؤيده الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام باوصافه
الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم
اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضه انه سال عبد الله بن سلام رض عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انا اعلم به مني قال ولم قال لاني لست اشك في انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه
رضي الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين
آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه وانما الجملة منهم فليست لهم موفقة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد
الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتداء وقوله تع من ربك خبره و
اللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله تع عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت
ان من الله تع كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتداء محذوف اي هو الحق وقوله
تع من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او معمول يعلمون وفي التعرض لوصف
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي
الشاكين فيكما نهم الحق عالمين به وقيل في اذ من ربك وليس المراد به نهي الرسول صلى الله تع عليه وسلم عن الشك فيه
لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس يقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر واما ايراد الامة
بالكتاب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض
عن المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو
موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه والله تع موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى و
لكل وجهة الله موليها اياها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاة اي موفي تلك الجهة قد وليها
فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله تع تمنى كليم ان حرب ومن يل سواكم فاني
مهتد غير مائل وموليها من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي السامتة للكعبة اينما
تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقتها يحشركم الله
تع الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة
المتقابلة يجعل صلوتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة و
الاحياء والجمع نحو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت
الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تع فول او بمحذوف عطف عليه اي من اي مكان خرجت
اليه فول الخ وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون
فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث

خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه
كما مر آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يوجب عنه اثار كنتم على خرجتم فان الخطاب
عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لتناول الخطاب
المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير للايذان
بالقبلة شان لها خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر
في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تع فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه
قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود وبان المنعوت في التوراة من اوصافه
ان يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالفه قبلة الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا
لبلده او بدالة فرجح الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش
الاباطيل من قبيل قولهم حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج
وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف فلا تخشوهم
فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف
يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما مر لاتمام النعمة عليكم لانه نعمة جليلة ولاداء كم لاهتدائكم لانه صراط مستقيم
يؤدي الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة
بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او
عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الخ او على قوله لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تع فلا
تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتشييت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضه تمام النعمة الموت
على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله للتصريح
بما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم فيما
القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كما تراني لما بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة
لا يكافؤ بها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتم بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد
التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة
ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود
على التلاوة وانما توسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على
تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المرتبة نعمة جليلة على
حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تع وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم لكنت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو
السر في التعبير عن القران تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة
ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرايع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك
الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تع ويجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تع ينجيناهم هو والذين
آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك مع طرق العلم
لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجبات اي فاذكروني

بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم
من النعم ولا تكفرون بجحد ما وعصيان ما امركم به يا ايها الذين آمنوا وصفهم بالايمان اثر تهدادا ما يوجبه
ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تاتون وما تذرون بالصبر على
الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هي
ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر
خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله ع وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائرة المتبعة
للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولما
تقولوا عطف على استعينوا الخ سوق لبيان ان لا غائلة للامر به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها العبرة
بريئة لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحيوتهم
وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به المشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني يدرك بالعقل
بل بالوحي وعن الحسن رح ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارواحهم على ارواح من قبيل اليهم الروح والفرح كما
تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت في المنام سنة تسع وثلثين وستمائة
اني ازور قبور شهداء احد رضي الله عنهم وانا اتلو هذه الاية وما في سورة آل عمران واردد بها متفكرا في امرهم
وفي تفاوت احيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا بهي المنظر قاعدا في قبره تام الجسد كامل
الخلقة في احسن ما يكون من البهاء والمنظر ليس عليه شئ من اللباس قد بدا عنده ما فوق السرة والباقي في
القبر خلافي اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الي متبسما
كانه يثني علي ان الامر بخلاف رايي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا
اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت
وتراكمه وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء
بذلك لما لا يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا
ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشئ من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم البتة مرة وكذا ما يصيبه معاديهم وانما اخبر به
قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزدادوا يقينهم عند مشاهدته تهم لرجحا اخبر به وليعلموا انه شئ يسير لا عائبة
جمة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شئ وقيل على الخوف وعن الشافعي الخوف
خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض وعن الثمرات
موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله
عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله و
انا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يعيب الانسان
من مكروه لقوله عليه السلام كل شئ يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس المراد الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان
يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ترح ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون
ذلك على نفسه ويستلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار
اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من
الله المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله ترح رافة

ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيها للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاظهار مزيد العناية
بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم نعوت الرافة الفائقة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم
اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار هيانهم
لما ذكر من الصلوة والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون
هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا يترتب
لتاخيره عما هو نتيجة لهما مع واو يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها كانه قيل واولئك هم المختصون
بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطلب
والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا
والمروة علمان للجبلين بمكة المعظمة كالقسمان والمعظم من شعاير الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجه المعروف فيهما
كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما
اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من
حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رح
انه ركن وايراده بعدم الجناح لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر يسمى
نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك
فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود رضه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة
فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا
خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ تطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ
ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد
عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقاديرها لهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قايم
مقامه كما قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله تعالى به فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في
احبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس
ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل
نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب
والكتم والكتمان ترك اظهار الشئ قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد
ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات
من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والآيات الهادية الى كنه امره و
وجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المراد بالبينات ايضا والعطف
لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية وبالبينات
الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لان الكاتمون فقط واللام متعلقة
ببيناه وكذا الظرف في قوله ترح في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه
او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تخصيصه وايضاحه بحيث يتلقاه
كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بيانا في نفسه وهدى مؤكد لبيان الكتم او تبيينه
لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله ترح في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه

فانهم نحوا نعته عليه الصلوة والسلام وكتبوا امكانه مايخالفه كما ذكرناه فى تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون
الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ماوصفوابه للاشعار بعلية لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان
بتراخى امرهم وبعد منزلتهم فى الفساد يلعنهم الله اى يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم
الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبداء صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال
المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منهم اللعن اى
الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومومنى الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل
فى قوله تع الا الذين تابوا اى عن الكتمان واصلحوا اى ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه
ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس مبانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا
فانه داخل فى ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذى كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليحوا به سمة
ما كانوا فيه ويقتدى بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر
مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تع فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة للاشعار
بعليتة للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم اى بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تع وانا التواب
الرحيم اى المبالغ فى قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلى محقق لمضمون ماقبله والالتفات الى التكلم للافتنان
فى نظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف البداء فى فعليتة ع السابق واللاحق ان الذين
كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين
حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر فى الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبنى على ما
اشير اليه مكما ان وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم
لعدمها جميعا اى ان الذين استمروا على الكفر المتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون
عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما فيما قبله عليهم اى مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها المتوقى بعد بيان دوامها التجددى وقيل الاول لعنتهم احياء
وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب
زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله ع والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل
مقدر اى ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اى فى اللعنة او فى النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا
للامر بها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم
او حال من الضمير فى خالدين على وجه التداخل او من الضمير فى عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف
على قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفى واستمراره اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا
ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اى المستحق منكم للعبادة اله
واحد اى فرد فى الالهية لاصحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى
للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم انه فى الوجود الها لكن لا يستحق العبادة
الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه ع حيث كان موليا لجميع النعم
اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان منتقرا اليه فى وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته
تحققت وحدانيته بلا ريب والحصر استحقاق العبادة فيدع قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة
ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية نعرف بها صدقك
فنزلت ان فى خلق السموات والارض اى فى بدائعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب الجبر وبدايع
صنايع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقايق دون الارض

واختلاف الليل والنهار اى اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله ع وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة او
اختلاف كل منهما فى نفسه اذ ويادا وانتقاصا على ما قدره الله ع والفلك التى تجرى فى البحر عطف على ما قبله
وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد فى التقدير اذ الاولى كما فى حمر والثانية كما
فى قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اى المتبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او ينفعهم وما
انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكر ما مع كونه اعم منها لما فيه من مزيد تفصيل و
قيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك
قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر فى غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا
ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيى به الارض
بانواع النبات والاثمار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما يقتضيه طبيعتها
كما يوذن به ايراد الموت فى مقابلة الاحياء وبث فيها اى فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم
والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تع فاحيى الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا فى حكم شئ
واحد كانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيى بحذف الجار والمجرور العايد الى الموصول وان لم
يتحقق الشرايط المعهودة كما فى قوله وان لسانى شهدة يشتفى بها ولكن على من صبه الله علقم اى علقم عليه و
قوله لعل الذى اصعد نى ان يردنى الى الارض ان لم يقدر الخضر قادره على معنى فاحيى بالماء الارض وبث فيها
من كل دابة فانهم يحيون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اى تقليبها من مهب الى
آخر ومن حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف والرياح وهو اسم جنس واحدة
سحابة سمى بذلك لانسحابه فى الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه
فيوصف بالجمع كما فى قوله ع سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه فى الجو بواسطة الرياح حسبما يقتضيه مشية الله ع وتعليل
تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب فى الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجى لما مر
فى قصة البقر من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة فى كونها آية ولو روعى الترتيب الخارجى لربما توهم
كون المجموع المرتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم لان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم
كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص
الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اى يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين
الذين اقترحوا على النبى صلى الله ع عليه وسلم آية تصدقه فى قوله ع والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول و
الافهن تامل فى تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده ع ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة للتخصيص
العبادة به ع واستغنى بها عن سايرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه
مستتبعا للآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضى ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نحو معين مستتبع لحكم
مستقل فاذن لابد له ع من موجد قادر حكيم يوجده حسبما يقتضيه حكمته ويستدعيه مشيته متعال عن معاونة
الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدى الى فساد
العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته
بسحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها المقتضية باستحالة ان يشاركه ش من
الموجودات فى صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة فى صفة الالوهية والكلام فى اعرابه كما فصل فى
قوله ع ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اى من الناس من
يتخذ من دون ذلك الآله الواحد الذى ذكرت شؤنه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه ع بالذات غب
تعيينه بالصفات اندادا اى امثالا وسوى رؤسائهم الذين يتبعونهم فيما يامرون وما يزينون لا ستيفاء فى

الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبري من المتبوعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء
اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على زاعم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب
من الحب لاستطابة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها وسبح فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال التخفيف
على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ونحبّ قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في
اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا
او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي وصف بالصفة
مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه هينا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون بالله
ويتوجون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تع اي يسوون بينه تع وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب
المذكور هم المؤمنون لله تع فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت
البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله تع وينظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير لبس وانت خبير
بانه لا شابهة بين محبتهم لانداده وبين محبوبيته تع فالمصير حا اسلفناه في تفسير قوله عز قائلا كما سئل موسى
من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا
اشد حبا لله جملة مبتدأة جئ بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة جنبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف
اي المؤمنون اشد حبا لله تع منهم لانداده ومآله ان حب اولئك لله تع اشد من حب هؤلاء لانداده وفيه من الدلالة على
كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه جنبهم لله تع لما ان المقصود بيان انقطاعه
وانقلابه بفضائح ذلك انما يتصور في جنبهم لانداده لكونه منوطا بجبال فاسدة وبما دموهومة يزول بزوالها
قيل ولذلك يعدلون عنها عند الشدايد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما آيا ما فاذا وجدوا آخر رفضوه
اليه وقد كلت بالهة آلهتها عام المجاعة وكان من خيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار احتمال جنبهم لها
في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الاخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل الاعتبار
محل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع
الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ
يرون العذاب المعد لهم يوم القيمة اي لو علموا اذ عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي
في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا سادت مفعول يرى وان الله شديد
العذاب عطف عليه وفائدة المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تع لا يوجب شدة
العذاب لجواز تركه عفو مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة
بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لما يجاب ذكره مما لا يستطيعه المعبر او لمستتبع من التحسر والتحجر عليه اي لو علموا
اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينفعهم هذا حد من انداده ان القوة لله تع جميعا ولا دخل لاحد في شئ اصلا
لوقعوا من الحسرة والندم بما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول
صلى الله تع عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ
اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على الاستيناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا
بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه
في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعترفوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت
بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب
جالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل
التي كانت بينهم من المتبوعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائفة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب
الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز
عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرأ الرؤساء منهم ونذموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم
في الدنيا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هناك كما تبرؤا منا اليوم كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شئ آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان ببلوغ درجة الشر
اليه وبعده منزلة مع كمال تميزه عما عداه وانتفاء مدخلية سلك الامور المشاهدة والكاف متعلق لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الايراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
اي ندمات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب واغتمامه بما يوله واشتقاقها من تولهم
بعيرحسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف يبين حالهم
بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للذلة على نحوة
امرهم فيما سلف اليهم كما في قوله يغشون البلد كل طيرة واجز ذبان يبذ المغالبا يا ايها الناس كلوا مما في
الارض اي بعض ما فيها من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرتموه افتراء على الله من الحرث والانعام
قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على
انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوايب والوصايل والحام وقوله تع حلالا حال من الموصول
اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا
يؤيد الاول قوله تع طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من الحرمين حرموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا بآثاره
في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه من سنن الجاهلية وانما
اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تع وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من
قوله تع يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في
جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بفتحتين وهمزة جعلت منه الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انها
جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان
يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تع اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء
استيناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء
في الاصل مصدر ساء يسوء وساءة اذا جزته يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال
القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها ساءة وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تع بانه حرم هذا وذلك ونحن ما لا تعلمون ان الله
تع امر به وتعليق امره بتقولهم على الله ما لا يعلمون وقوعه منه تع لا بتقولهم عليه ما لا يعلمون عدم وقوعه
منه تع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني
تحذير عن الثاني على ابلغ وجه وآكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه
منه تع مع الاحتمال عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تع قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا
واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جنايا تهم
لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المبالغة اذا قيل لهم على وجه
النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا

الى وجدنا هم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه
مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تع من الحج الظاهرة
والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك
واما بما جاء على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يتم ما انزل الله
تع فانها ايضا تدعوا الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استيناف
مسوق من جهته تع ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه
لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تع اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشئ في
الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق
ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على بعد تامنه واشد تامنافاة له لينظر بثبوته او انتفائه معه بثبوته او انتفائه مع
ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لا ان الشئ متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتفاوتة لها
الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب
والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه
ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله وما فيما نحن فيه تفيد نوع خفاء ما شئ من ورود الانكار عليه
لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان
تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من
الاستبعاد خلافا بخلاف ما نحن فيه لان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه
على كل حال هو لولا لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من
حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها
فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج
مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة و
الضلالة جلد التحمر فيركبوا متن العناد ومجانبة في الانكار من جهة ان اتباعهم لا باءهم حيث كان شكرا مستقبحا
عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم
يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فاجملة في حيز النصب على
الحالية من آبائهم على طريقة قولهم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم جاهلين و
جاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين فيرانه اكتفى بذكر الحالة الثانية
تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق
به الانكار حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت
الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة
الى النفي لا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم النفي او عدم
الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم
عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه يتبعون الخ فلم اختلف الحال بينا قلت لما
ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل

المنفي

النفي واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم
بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا اندراجه تحت كما في صورة
النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما ياتي تحقيقه في قوله تع
اولو كنا كارهين وقيل الواو عاطفة ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين
كفروا جملة ابتدائية واردة للتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة قيل عليه ووضع الموصول
موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمير السابق لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم و
التقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة فانها بان تسمى مثلا وتسير في الافات فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع
الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي
الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهايم فانها
لا تسمع الا صوت الراعي ومتفقة بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني
لدلالة كلية ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم
فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الايات كمثل بهايم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرد النغمة ووحي
الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاعلين بحقيقتها بالبهايم الذي تسمع الصوت ولا تفهم
ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وسوقيته على البهايم وهذا غني عن الاضمار لكن لا
يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما شابه اتحاد
الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم الخ فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي
الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله تع ومشاهدة حجه الواضحة والمفاوضة
مع من يوثق بعلمه وفضله فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية ملاك الامر
ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تع لا تتم الا باشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس
والجن في بناء عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها او الانتفاع بها وسمي
التي ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او باستثناء الشرع خروج الطحال من الدم ولحم
الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة
التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة
برفع الصوت بالتكبير عند رؤيته سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغير ممن اضطر غير باغ بالاتيان
على مضطر آخر ولا عاد متزود الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وسوى ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رح فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل
رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات
والمحرمات حسما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي
صلى الله عليه وسلم ويشترون به اي ياخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقدم سنر التعبير عن
ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم ممن عداهم اكمل تمييز الحاضرين ايا هم
بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية مترلتهم في الشر

والفساد وهو مبتداء خبره قوله تعا مايأكلون فى بطونهم الا النار والجملة جيرلان اواسم الاشارة مبتداء
ثان اوبدل من الاول واكبر مايأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون فى الحال مايستتبع النار ويستلزمها
فكانه عين النار واكلها اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بفرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او
يأكلون فى المال يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى فى الدنيا وفى بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تاكيد
الاكل وتقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملاء بطونهم كما فى قولهم اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه ومنه
كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فلابد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على
حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون يؤدى الى قصر مايأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر مايأكلونه
مطلقا عليها ولايكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ماتيح للمؤمنين من
فنون الكرامات السنية والزلفى ولايزكيهم لايثنى عليهم ولهم مع ماذكر عذاب اليم مولم
اولئك الاشارة لاما اشير اليه بنظيره بالاعتبار المذكور خاصة للامع مايتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا
يدخل لها فى الحكم الذى يراد اثباته مهنا فان المقصود تصوير ماباشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع
ولايتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة مانبذوه واظهار كنه ماخذوه وابداء قطاعة بتعاته وهو مبتداء
خبره الموصول اى اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسو المبترين للثمن وان قل بل هم
الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التى ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذى ليس من قبيل
مايبذل بمقابلة شئ وان جل والعذاب اى اشتروا بالمتاع الفانى الاخرة العذاب الذى لايتوم كونه مما يشترى
بالمغفرة التى يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة التى هى ملابستهم
مما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء
وتخصصها كتخصص شر فى شر امر وذاباب خبرها مابعدها اى اى شئ ماعظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء
استفهامية ومابعدها خبرها اى اى شئ اصبرهم على النار وقيل ى موصولة وقيل ى موصوفة بمابعدها والخبر
محذوف اى الذى اصبرهم على النار اى شئ اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله
نزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق اى ملتبسا به فلاجرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان
ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من اقانين العذاب وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى فى جنس
الكتاب الالهى بان امنوا ببعض كتب الله تع وكفروا ببعضها او فى التورية بان امنوا ببعض آياتها وكفروا
ببعض كالايات المغيرة على امر بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة لمعنى الاختلاف التحلف عن الطريق
الحق او الاختلاف فى تاويلها او فى القران بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكى
عن المفترين لفى شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البران تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضى الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض فى
امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين و
تقديم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية مابينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب
الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة
المنورة واقعا فى جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ماذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس
مقدما على اسمها كما فى قوله سلى ان جهلت الناس عنى وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما
ان تلم المة وليس علينا فى الخطوب مقول وانما اخترت ذلك لما ان المصدر للاول اعرف من المحلى
باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لايوصف ولايوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان فى الاسم طولا
فلو روعى الترتيب للمعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وسواقوى كجب

المعنى

المعنى لان كل فريق يدعى ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وماذكر الا يكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا
عنه فى الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وتحقيق الحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل الخصال
البر مما لايختلف باختلاف الشرايع ومايختلف باختلافها اى ولكن البر المعهود الذى يحق ان يهتم بشانه ويجد فى تحصيله
بر من آمن بالله وحده ايمانا برئيا من شائبة الاشراك لاكايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله
وقولهم المسيح ابن الله واليوم الاخر اى على ماهو عليه لاكما يزعمون من ان النار لاتمسهم الا اياما معدودة
وان ابا ءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن
ايمانا ومى تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة مالايخفى كانه قيل ولكن
البر من توجه الى المبداء والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب فى الحقيقة والملائكة اى وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون
متوسطون بينه تع وبين انبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب والكتاب اى جنس الكتاب الذى من انواعه
الفرقان الذى نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبى عليه السلام واشترائهم بما انزل الله ثمنا
قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحى و
بين النبيين واضح وسياتى فى قوله تعا كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واتى المال على حبه حال من
الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال اى اتاه كائنا على حب المال كما فى قوله عليه السلام حين سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولاتمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعا اى اتاه كائنا على محبته تعالى على قصد الاشر والغناء
ففيه نوع تعريض لباذلى الرشى وآخذيها لتغيير التورية وقيل للمصدر اى كائنا على حب الايتاء ذوى
القربى مفعول اول لاتى قدم عليه مفعوله الثانى اعنى المال للاهتمام به اولان فى الثانى مع ماعطف عليه طولا
لو روعى الترتيب لفات تجاوب الاطراف فى الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثانى
واليتامى اى المحاويج منهم على مايدل عليه المال وتقديم ذوى القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة
والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لاحراك به او دائم السكون الى الناس
وابن السبيل اى المسافر سمى به لملازمته اياه كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين
الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولوجاء على فرس وفى الرقاب
اى وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع كما
الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكر بعنوان مصحح للملكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم
قرار ملكهم فيها او تواكما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما فى الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم فى
الاستحقاق والحاجة لما ان فى للظرفية المنبئة عن محليتهم لما يؤتى واقام الصلوة اى المفروضة منها وآتى
الزكوة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالعدول عن قدمات قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه
او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على
من آمن فانه فى قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد
بالعهد مالايحرم حلالا ولايحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعا اذا عاهدوا للايذان بعدم
كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر
ومزيته وسوق الكلام معطوف على ما قبله قال ابو على اذا ذكرت صفات للمدح اوالذم فخولف فى بعضها
الاعراب فقد خولف الافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور
ومزيد اهتمام بشانه كما مر فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين فى الباساء
اى فى الفقر والشدة والضراء اى المرض والزمانة وحين البأس اى وقت مجاهدة العدو فى مواطن

الكرب وزيادة اليقين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة وما فيه من معنى البعد للاشعار مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين
صدقوا اى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم يغيروا ولم يزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون
عن الكفر وسائر الرذايل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم
والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا اما مع تكثر فنونها وتشعب
شجونها منحصرة فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى
بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم
واعتقادهم بالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاطمتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه
الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا شروع فى بعض احكام الشريعة على وجه التلافى لما فرط من التخليط
فيما ذكر من اصول الدين وقواعده التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم عند مطالبة
صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين القصاص
فى القتلى اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها الحر
بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم
ان يتبعوا اداء وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعى ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر
وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه مهنا وانما يتمسك فى ذلك سوى مالك بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد
قتل عبده مجادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنته ولم يقده وبما روى عنه رضى الله عنه انه قال من السنة ان لا
يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد عند الشافعى ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر
كبير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد كقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا اقتصت
علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة فى العصمة وهى
بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفى له من اخيه شئ
اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدة الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله فى اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا
فى العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شئ من العفو وقيل معنى عفى ترك وشئ مفعول به وهو
ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما فى قول من قال دعا رعفا ما جور كل معاند وقوله
عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محى له من اخيه شئ صرف للعبارة المتداولة فى المسئلة عن
معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفى استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو فى باب الجنايات
الا فيما ذكر من قبل وعفى يعدى بعن الى الجانى والذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال تعالى عفا الله عنها فاذا
تعدى الى الذنب قيل عفوت للخلل عما جنى كانه قيل فمن عفى عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وبراءة
بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بنى آدم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع
بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافى بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير
تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤدى بها باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك
اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم
عليهم العفو والدية وعلى النصارى على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وحيرت هذه الامة بين الثلث
تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا
الحكم او قتل القاتل بعد اخذ الدية قتله باعتدائه عذاب اليم اما فى الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير

حق واما فى الاخرة فبالنار ولكم فى القصاص حيوة بيان لما فى شرع الحكم المذكور على وجه بديع لاتمال غايته حيث جعل
الشئ محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف و
ذلك لان العلم بوقوع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فيثور
الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول ينبغى اضمار وعلى الثانى
تخصيص وقيل المراد بالحيوة هى الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الاخرة والظرفان اما
خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من
حكم القتل حيوة او فى القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب اى ذوى العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا
بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل فى حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تقون انفسكم
من الهلاك فى امره والاهمال فى الحافظة عليه والحكمة فيه والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القطع المؤدى
اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهرت امارته او دنا
نفسه من الحضور وتقديم المفعول للافادة كما فى تملكن الفاعل عند النفس وقت ورود عليها ان ترك خيرا
اى مالا وقيل الاكثير لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال الله
تع ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن عايشة رضه ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة
دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصى فقال له كم مالك فقال ثلثمائة الآف درهم قالت كم عيالك قال اربعة
قالت اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا واثبار تذكير الفعل مع جواز ثمانية ايضا للفصل او على تاويل ان يوصى او الايصاء
ولذلك ذكر الضمير فى قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب
عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب
والامساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء
كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكر ما ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم
فى بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية
لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول اتسكم فى سلك المتواتر فى صلاحيته للنسخ
عند الممتاز على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هى آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان
قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين
لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف اى بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم و
تولى لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذى حق منهم حقه
الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرايكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة
المنفية بلا النافية للجنس وتقديرها بكلمة التبيين واذ قد حققنا هذا ظهر لك ان ما قيل من آية المواريث لا تعارضه
بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقى الامة اياها بالقبول لا
يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله
تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمنزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية
للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بينا لا نصباء بلفظ
الايصاء فهم منها بتنبيه النبى صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة كانه قيل ان الله
تعالى اوصى بنفقة تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان نهيا
ودلالة على ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويضا للامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسمى

الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه اداؤهم المعروف فكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل
مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص لقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد
وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا ممن بدله اى غيره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه اى اوصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اى اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه
لانهم جانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول فى موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعلية ما فى حيز الصلة
الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله
سميع عليم وعيد شديد للمبدلين ممن جاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء
وقرئ من موص جنفا اى ميلا بالخطا فى الوصية اواثما اى تعمد الحيف فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم
باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اى فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله
غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم فى اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية وقيل سوالامساك عن الشئ
مطلقا ومنه صامت الريح اى امسكت عن الهبوب والفرس اى امسكت عن العدو وقال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت
العجاج واخرى تعلك اللجام فى الشريعة سوالامساك نهارا عن المفطرات المعهودة التى سيأتى بعضها تشهيا للانفس
كما كتب فى خير النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اى كتابا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اى كتب عليكم
الصيام الكتب مشبها بما كتب فاما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اى صوما مماثلا للصوم
المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم
من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين
به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة فى اصل الوجوب وامانى الوقت والمقدار كما يروى ان صوم
رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق
فرعون وكذبوا فى ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صاد فواجرا شديدا
فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه فى الربيع وزادوا عليه عشرة ايام
فصار خمسين لعلكم تتقون اى المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداءه لاصالته او تضلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يحال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما
اوجب فى بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل
لوقوع الفصل بينهما باجنبى بل بمضمر دل سوعليه اعنى صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تع
كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها
اتساعا فمن كان منكم مريضا اى مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مسترسلين عليه وفيه تلويح
ورمز الى ان من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر فعدة اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر
ان افطر فحذف الشرط والمضافان ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل
على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابوهريرة رض وعلى الذين يطيقونه اى وعلى المطيقين للصيام
ان افطروا فدية اى اعطاء فدية وهى طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند العراقى وقد عند اهل الحجاز وكان ذلك فى بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين
له فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اى يكلفونه ويقلدونه ويتطوقونه بادغام

ان فى الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلها يتطيوقونه ويتطيوقونه من ضيعل وتفيعل من الطوق فابدلت
الياء فى الواو وبعد قلبها ياء كقولهم تدبر المكان وما بها دیار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه
على جهد منهم وعسر مم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حى غير منسوخ وبجوز ان يكون هذا معنى
يطيقونه اى يصومونه بجهد منهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد فى الفدية فهو اى التطوع او الخير الذى
تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون فى الافطار
من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب
للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اى ما فى صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة وجواب محذوف ثقة
بظهوره اى اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك
شهر رمضان مبتدأ سيأتى خبره او خبر لمبتدأ محذوف اى ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف
اى صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من ايا ما معدودات او رمضان
مصدر رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما
قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس
وانما سمى بذلك اما لانه تحرق فيه الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه فى ايام رمض الحر
عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القرآن خبر للمبتدأ على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان
على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا
ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل فى شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل
لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من
القرآن اى انزل حال كونه هداية للناس عامة من الاعجاز وغيره وايات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين
الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير
للتعظيم والمبالغة فى البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدأ معنى الشرط او زايدة على تقدير كون شهر
رمضان مبتدأ والموصول صفته له وهذه الجملة خبره وقيل هى جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام فى ذلك الشهر
فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر
فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا
او ان كان مقيما حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اى فعليه صيام ايام اخر
المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قوته يريد الله بهذا الترخيص
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم
تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى ولهذه الامور شرع ما شرع من احراز الشاهد بصوم الشهر واحر
المرخص له بمراعاة علة الفطر فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله تع لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة و
لتكبروا علة ما علمه من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد
كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم وبجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعملون ولتكملوا الخ وبجوز عطفها على اليسر اى يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تع يريدون ليطفئوا الخ والمعنى
بالتكبير تعظيمه تع بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال ما يحتمل المصدرية والموصولية
اى على هدايته تع اياكم او على الذى هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادى عنى فانى قريب
تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى من تشريفه ورفع محله

اى فقل لهم انى قريب وسوتمثيل لكمال علمه تعالى بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم
روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع
اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له وعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد الى
الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر
عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على انه تع خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه
ثم شرع فى بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا اسوا
حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء
فندم واتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام
الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وسوال الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمى جماعا وقرئ
الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للامر مرادا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة اليه فيتمكن عند ما وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف بيان
لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بلهن وجعل كل من الرجل والمراة
لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت وكانت
عليه لباسا اولان كلا منهما ستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف
آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اى تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم اى محا اثره عنكم فالان لانسخ التحريم باشروهن من المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها
عن الجماع الذى يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اى وطلبوا
ما قدره الله تع لكم وقدره فى اللوح من الولد وعدل ان المباشر ينبغى ان غرضه الولد فانه الحكمة فى خلق
الشهوة وشرع النكاح لاقضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل عن غير الاتى والتقدير وابتغوا
المحل الذى كتبه الله تع لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه
اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط
الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل
ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى
خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى تبين لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل وحول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او كتع اوكلا باشتهار ما فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على
بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام
الى الليل بيان لاخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة
الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان
الاعتكاف يكون فى المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطى فيه حرام ومفسد له لان النهى فى العبادات
يوجب الفساد تلك حدود الله اى الاحكام المذكورة حدود وصفها الله تع لعباده فلا تقربوها فضلا
عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة فى النهى عن تخطيها كما قال صلى الله
عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود

الله تع محارمه ومناهيه كذلك اى مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الاحكام التى شرعها
للناس لعلهم يتقون فى الفته وامره ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهى عن اكل بعضهم على خلاف حكم الله عز
وجل بعد النهى عن اكل اموالهم انفسهم فى رمضان اى لا ياكل بعضكم مال بعض الوجه الذى لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية
او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهى عنه والنصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا
الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة
او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصى مع العلم بها اقبح روى ان جعدان الحضرمى
ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم
به فقراء عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى جعدان فنزلت
وروى انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضى
له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقتطع له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقى لصاحبى
فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة سئاله معاذ بن جبل و
ثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فنزل
سى مواقيت للناس والحج كانوا قد سئالوه عليه السلام عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فاجابه الله
العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس فى عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى
فيه اداء وقضاء وكذا فى معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين
المدة والزمان ان المدة مطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى
الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت
الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراء ما يعدونه
ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اى بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله
انهم لما سالوا عن الامرين اوانه لما ذكر انها مواقيت للحج وذكر عقيبه ما هو من افعالهم فى الحج استطرد او
انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق
الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سالوا عنه تنبيها على ان اللائق
بهم ان يسالوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم فى السؤال وكونه من قبيل وحول
البيت من وراءه والمعنى وليس البر بان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجر ئ على مثله
واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس فى العدول ترا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله فى تغيير احكامه
او فى جميع امركم لعلكم تفلحون اى لكى تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا لاعزاز دينه
لقوله تع لعلكم تفلحون اعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان
ذلك قبل الامر بالقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع
منكم ذلك دون غيرهم من الشيخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال
المسلمين ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان
يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم فيقاتلوهم
فى الحرم والشهر الحرام وكرسوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده فى اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا ابتداء
القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان
ومن يجرى مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اى لا يرضيهم الخير وهو تعليل للنهى واقتلوهم حيث ثقفتموهم

اى حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذف فى وراك الشئ علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها
قال فاما تثقفونى فاقتلونى ممن اثقف فليس الى خلوه واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم
الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب
من القتل لدوامها تقبها وبقاء تالم النفس بها وقيل شركهم فى الحرم وصدهم لكم عنه من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام اى لا تفاتحوهم بالقتل منتاك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمة فاقتلوهم
فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا اشد العذاب وفى العدول عن صيغة المبالغة التى بها ورد
النهى والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا
بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم
فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك ويكون الدين لله خالصا
ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا تعتدوا عليهم
اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما فى قوله عز وجل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه وانكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية
للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قالهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء فى ذى
القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
اى كل حرمة وحى يجب المحافظة عليه يجرى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله واوخلوا عليهم
عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعا فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها
واتقوا الله فى شان الاقتصار واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين ينصرهم ويصلح شؤنهم بالنصر والتمكين وانفقوا فى سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى لا تمسكوا كل الامساك
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما
يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لما اعز الله تعالى
الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فانزلت ابو بالامساك وحب المال فانه يؤدى الى
الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وتعديته بالى
لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة مصدر كالنصرة والتسرة وهى والهلاك
والهلاك واحد اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم ولا تلقوا بايديكم انفسكم
اليها فحذف المفعول واحسنوا اى اعمالكم او اخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين
اى يريد بهم الخير وقوله تع واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدى لاداتهما وارشاد للناس
الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما فى انفسهما من الوجوب
وعدمه كما فى قوله تع ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب
اصله وانما هو بقوله تع كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تع ولله على الناس حج البيت الآية
فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا
واد عاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين جسما يقتضيه قراءة ايتموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب
ما لم يدل على خلافه ودليل حمالا سداد له وضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك
بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة فالمعنى اقيموا الحج والعمرة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغى من غير تعرض لحالهما
فى انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسايراتفاعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تع من غير اخلال منكم
بشئ منهما هذا وقد قيل اتمامهما ان يحرم من دويرة اهله روى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود رض

وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان يخلصوهما
للعبادة ولا تشوبوهما بشئ من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض فى الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما
ما روى من ان ابن عباس رضى الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل هو
جدت الحج والعمرة مكتوبين على ابللت بهما وفى رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا
بما روى عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد و
العمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اى منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده
واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعى لقوله تع فاذا امنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله
عنها لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غير هما عند ابى ح رح لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى اى فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر و
المعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث
الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعا ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله
اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على
ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا او حرما ومرجعهم فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهو من الحل
قلنا كان محصرة عليه السلام طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرام وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله تع
عليه وسلم نحر هدية فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على ستة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان و
الزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا
الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية اى فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا
رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم
اى الاحصار او كنتم فى حال امن او سعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعا بالعمرة قبل
الانتفاع بتقربه بالحج فى اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل عن عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج
بما استيسر من الهدى اى فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند
الشافعى وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اى الهدى فصيام ثلثة ايام فى الحج اى فى اشهره بين الاحرامين
وقال الشافعى ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقيل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه
فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اى نفرتم وفرغتم من اعماله وهى احد قولى الشافعى اذا رجعتم
الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلك الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو
بمعنى او كما فى قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب والمراد
بالسبعة سواء العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة
فى المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهى الآحاد ويتم مراتبها او مفيدة تفيد كمال
بدليتها من الهدى ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعى لمن لم يكن اهله حاضرى
المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعى ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل
الحل عند طاوس وغير اهل مكة عندنا لك واتقوا الله فى المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما فى الحج واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن المعاصى واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة
واد خال الروعة الحج اى وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هى شوال وذو القعدة
وعشر ذى الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعى وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرام

او وقت اعماله ومناسكه او مالايحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان ماكاكره الحمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح
الاحرام به قبل شوالي فقد استكره وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد
وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء يجئ بالالف والتاء ممن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او التلبية او
بسوق الهدى فلا رفث ولا فسوق اي لاجماع او فلا تخش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات
وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لاهراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام
الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيادة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات
ترك الامور المذكورة واياثر النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا
في نفسه فحقه ان تقل تعاطيه فالحج اقتح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة
الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء
الخلاف في الحج وذلك كان قريش كانت تخالف سائر العرب فتقفا بالمشعر الحرام فاريتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا معهم افيضوا
وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزى به خيرا جزاء وسوق على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد
التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون
يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بذلك سواه تعالى فيبترؤا من كل شئ سواه وسوق مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص هذا الخطاب اولوا
الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح
بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمون بها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء
الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افاض الماء اذا صببته بكثرة واصله
افضتم انفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية
وتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذا باب الكسرة تجئ ذا باب التنوين من
غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست بتاء التانيث وانما هي
مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لما
انها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه
او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان
الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا من يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان
الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك
عرفة فقد ادرك الحج او مقدمه للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام سمي جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح
وقيل بين ماوزمى عرفة ووادي المحسر ويؤيد الاول ما روي جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة ركب
ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبره وهلله ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند مشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر
واذكروه كما هداكم اي كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما
مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل هداية اياكم لمن الضالين غير العاملين بالايمان والطاعة
وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع و

وسايرالناس بعرفة ويرون ذلك تعاليا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي
على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار والامرة فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وغرضتم
منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاكثروا ذكره تع وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر اباءكم ومفاخرهم واياهم
وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا
امامجرور معطوف على الذكر بجعله ذكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم آباءكم او كذكرا شد منه و
ابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على ابائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى
او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمقدر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا منكم لابائكم فمن الناس
تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله تع الا الدنيا والى من يطلب به خيري الدارين وطرد به الحث على الاكثار و
الانتظام في سلك الاخرين من يقول اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا
حاصلة وما له في الاخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همته على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة او
من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا
عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء
وعذاب النار امراة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار
معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الاخير باعتبار اتصافهم
بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب فاكسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع يغيب
من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تع مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به بعضهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا
لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال
بطاعة من هذا شانه قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فيجازي الطائعات والكتاب بالحسنات
واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القربان ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي
ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر والنفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين كما
تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله تقديرك المتاني في بعض حاجته وقد
يكون من المستعجل النزال في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده
ينفرا وافرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال
او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه
افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تطييبا للرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن موثم للمتعجل وموثم للمتاخر
لمن اتقى خبر لمبتداء محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به اولا جله حتى لا يتقرر بترك ما يتقه منها واتقوا الله في مجامع امركم بفعل الواجبات وترك
المحظورات ليعينكم وتستظلوا في سلك المتقين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام
واعلموا الاتب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع
وضم المفترق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب الامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى
الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه اليه عليه السلام وهو كلام

بستاء بسيق لبيان تخزب الناس فى شان التقوى الى خربين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة وعراءه كما بيان
فى قوله تو ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اى ومنهم من يروق كلامه ويعظم موقعه فى نفسك لما تشاهد
فيه من طلاوة النحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب علم الشعور بسبب يتعجب منه فى الحيوة الدنيا
متعلق بقوله اى ما يقوله فى حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذى يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله
عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او يعجبك اى يعجبك قوله فى الدنيا بحلاوته وفصاحته لا
فى الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه فى الآخرة وقيل لما يرهقه من الجبة والكلبة وانت خبير بانه لا مبالغة ح
فى سوء حاله فان مآل بيان حسن كلامه فى الدنيا وقبحه فى الآخرة وقيل معنى فى الحيوة الدنيا اى لا يصدر منه فيها الا
القول الحسن ويشهد الله على ما فى قلبه اى يجب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما فى قلبى موافق لما فى لسانى
وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما فى قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رض والله يشهد على
ان ما فى قلبه على ان كلمة على للكون المشهود به مفعوله فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد وهو الالد الخصام اى
شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت العذر واشد الخصوم
الخصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت فى الاخنس بن شريف الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام والمحبة وقيل فى المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور فى قوله او من
المستكن فى يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اى من مجلسك وقيل اذا صار واليا
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ
يهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهى لغة وقرئ على البناء للمفعول من
الاهلاك والله لا يحب الفساد اى لا يرتضيه ويبغضه ويعذب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلى واذا قيل له
على وجه الموعظة والنصيحة اتق الله واترك ما يتاثره من الفساد او النفاق واحذر سوء عقبته اخذته العزة
بالاثم اى حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى نهى عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته
عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اى كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه سادّ مسدّ جزئه وهو مصدر بمعنى الفاعل
وقوى لاعتماده على الفاء والرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اى كفته جهنم ولبئس المهاد جواب
قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتقديره والمهاد الفراش وقيل ما يتوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن
الناس من يشرى نفسه مبتدأ وخبر كما مر اى يبيعها بذلها فى الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للهلاك
فى الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضاة الله اى طلبا لرضاه وهذا
كمال التقوى وايثار الآجل على العاجل وهو اقصى ما يمكن من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك
وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم و
ان كنت عليكم لم اضركم فخلوه وما له فاتى المدينة فتلقاه ناس فاتوا به ابا بكر فقال ربح بيعك يا ابا يحيى
المال على صورة الشرى والله روف بالعباد ولذلك يكافئهم التقوى ويعرضهم الثواب والجملة اعتراض تذييلى
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم اى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهى لغة فيه
وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير فى ادخلوا اى من السلم او منها معا كما فى قوله خرجت بها تمشى بخرّ
وراتمى على اثرينا ذيل مرط مرجل وهى فى الاصل اسم لجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت فى معنى جميعا وتاؤها ليست
للتانيث حتى تحتاج الى جعل السلم مؤنثا كما فى قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفى قوله السلم تاخذ منها ما رضيت
به والحرب يكفيك من انفسها جرع وانما هى للنقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى وادخلوه
جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب للمؤمنى اهل

الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او فى شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء
والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم
او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان
الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن اذ انا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتعرق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهى او
الانتهاء فان زللتم اى عن الدخول فى السلم وقرئ بكسر اللام وهى لغة فيه من بعد ما جاءتكم الآيات
البينات والحجج القطعية الدالة على حقية الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه
الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون
استفهام انكارى فى معنى النفى اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال بما امروا به والانتهاء
عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اى امره وبأسه او ياتيهم الله باسه فحذف المأتى به لدلالة الحال
عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل
الانصاف على طريق المباثة واراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم
طالبون لها مترقبون لوقوعها فى ظلل جمع ظلة كقلل فى جمع قلة وهى ما اظلك وقرئ فى ظلال كقلال فى
جمع قلة من الغمام اى السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب
كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب تكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير
والملئكة عطف على الاسم الجليل اى ويأتيهم الملئكة فانهم وسائط فى اتيان امره تعالى بل هم الآتون
بباسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتى اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة
ولما الملئكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على
ظلل او الغمام وقضى الامر اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل فى حيز الانتظار وانما
عدل الى صيغة الماضى دلالة على تحققه كانه قد كان او جملة مستانفة جئ بها ابتداء عن وقوع مضمونها وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملئكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من
الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بنى اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجئ البينات كم
اتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدى الانبياء عليهم السلام وآية نا طلقة بحقية الاسلام المأمور
بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية بالابتداء على حذف العائد من
الخبر وآية تمييزها ومن يبدل نعمة الله التى هى آية البالغة فانها بسبب للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلها
جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس وتحريفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن
من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجئ للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على
تفاصيلها كما فى قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما
حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل
ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل للتربية المهابة وادخال الروعة
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا
فيها معرضين عن غيرها والمزين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يوجب عنه القراءة على البناء
للفاعل اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور البهية و
الاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال

للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم
على العقبى ومن ابتدائية فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان
التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم
يوم القيمة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين اولانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة
او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار
الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير توسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان
ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا الا وهي قراءة
ابن مسعود رض وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء
عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان
الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول
هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به
لامع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا
ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز
وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس
اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما
التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب
المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم
من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل
لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة
بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه الا وقيل بالمعطوف بناء على عدم منع الآعنة كما في قولك با
قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اي اختلفوا بغيا وتحاسدا على الدنيا فهدى الله الذين
آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا
وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم
على الانبياء عليهم السلام وتبيين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة
الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا
بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة الخ هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر منهم استيناف وقع
جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة
والقرآء اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى
يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو
اعلم الناس بشؤن الله تعالى واوثقهم بنصرة والمؤمنون المقتدون بآثاره المستفيضون بانواره متى
اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال

ماضيه وهنا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات و
الاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمع وراءها الا ان نصر الله
قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية
على الفعلية المناسبة لما قبلها وتقدير با بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى و
اختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون
حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة تخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته
تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى
الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسئلونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما شرطية وما موصولة حذف العائد
اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان فبين بتجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل
من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان المعرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان
بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رض الله
عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فقلت
واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب بما ذكر لما الكفاء بما ذكر الواقع
الاخر والمابناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي معرف كان
فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال
ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وسوا لله تهويلا ونصب القتال وقرئ كتب
عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر
وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف
او على انه بمعنى الاكراه مجازا لكانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة
على ان في القتال خير الهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف
على ما قبله لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك
تكرهون او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونها فلا تبتغوا غير ذلك بآرائكم وامتثلوا بامره تعالى يسئلونك
عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر
بشهر بن ليترصدوا عير القريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما
فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على
اصحاب السرية وقالوا ما نرجو حتى تنزل توبتنا وردد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رض
لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والعفو يسأل الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان
قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا
عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله
للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقول
وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن
فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال

كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا
فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتداء
خبره محذوف بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله
اى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله
تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف و
صد للمسجد الحرام واخراج اهله وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر
به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اى كبائر السائلين اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطاء و
بناء على الظن وفعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد
الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اى اقطع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام
عداوتهم واصرارهم على الفتنة حتى يردوكم عن دينكم الخ الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تاكد ما
بينهما من العلاوة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل و
اني لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اى ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيثبت وهو كافر
بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى
اى اولئك المحكوم عليهم بالارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي
له قطعا في الدنيا والاخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون باذكر
سابقا ولاحقا من القبايح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كسائر اهل الكفرة ان
الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بالهم من مبادي الفوز رحمة الله اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون
الفوز بالمرجو للايذان بانهم عاملون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم
اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطاء رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لفحوى
ما قبلها يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت في شان الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا
افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فامّ احدهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الآية فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بير
فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت
اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اى ستره سمي به العصير
العنب بما غلا واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكر هما اى تحجرهما
والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب
واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ والتوام والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور نحروها وجزؤها عشرة اجزاء او

قيل

قيل ثمانية وعشرين الا الثلثة هي المنيح والسفيح والوغد للفاسهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وقيل
سبعة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا
قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا
يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك وينمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم جميع انواع
القمار من النرد والشطرنج وغيرها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وما يتين الكعبتين المشوهتين فانهما ميسر العجم
وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمغ يسئلونك عن حكمها
وعلل تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اى في تعاطيهما ذلك لما ان الاول سلبية للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع
كون كل منهما مثلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية
الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمهما ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة
على غلبة الاول بما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد
المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة
اى اى شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال عن اى جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من
جميع الاجناس سال ثانيا عن اى اصنافها ينفق من خيارها ام من غيرها او سال عن مقدارها ينفقه فقيل قل العفو
بالنصب اى ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذي
ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال الفقال ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول
مجاهد وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا ائتاني خذ ها فاخذها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتعدق
به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم
الاشارة من الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب
كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسولة الثلثة
يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا وبيين الآيات تنزيلها مبينة للغرض واضحة الدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة لجنبة
وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها و
قوله تعالى في الدنيا والاخرة متعلق اما ببينن اى يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع
حالا من الآيات اى يبينها لكم كائنة فيهما اى مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشان التفكر
وانما بقوله تعالى تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة في الاحكام الواردة في اجوبة الاسولة الثلثة فتختارون
منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وفي التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز تعميم الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك اشارة الى ما مر من البينات كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه حينئذ فصل مستقل
ليس بعبارة عن تلك البينات والمراد بالآيات غيرها ذكروا المعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله
لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في امورهم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتاخذون بما يصلحكم وتنفعكم فيهما و
تذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات البينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظمه روي انه
لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم
ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اى التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح

خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم فى الدين الذى هو اقوى
من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم
المفسد من المصلح العالم بعين المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التميز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة او
من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد ممن يقصد فيها الاصلاح فيجازى كلا منهما بعمله فيضيف وعد ووعيد خلا ان
فى تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعد ولو شاء الله لاعنتكم اى لو شاء ان يعنتكم اى يكلفكم مايشق عليكم من العنت
وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التى من جملتها اعنانكم فهو
تعليل للمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اى فاعل لافعاله حسبما يقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اسباب
الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اى لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن
اى لا تزوجوهن من المسلمين وقرئ بضم التاء من الانكاح والمراد بهن الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين
الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالاية
منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهى ثابتة وروى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة فى الجاهلية اسمها
عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقال هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى
النبى صلى الله عليه وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تقليل للنهى عن مواصلتهن وترغيب فى مواصلة
المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم افادة التاكيد مبالغة فى الحمل على الانزجار واصل امة امو حذف
لامها على غير قياس وعوض منه تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها فى الجمع قال الكلابى اما الاماء فلا يدعونني
ولذا اذا تداعى بنو الاموان بالعاد وظهور ذلك فى المصدر يقال هى امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ
لما فيها من لام الابتداء والوصف اى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والديانة من
مشركة اى امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم تذكير كلمة لو فى امثال هذه المواقع
ليست لبيان انتفاء الشئ فى الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انضمام المعنى
على تقديره بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال
بادخالها على البعد ما بينه واشد ما منافاة له ليظهر شيوعه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى
تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عند بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال الغايرة لها والمعنى قولهم انها لا تستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه
قيل ولو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة فى حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المال ولامة مؤمنة خير من امراة مشركة حال عدم
اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اى على كل حال
وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت مع غيره اولى وقيل الواو حالية
وليس بواضح وقيل للعتر اضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة
الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار
على الاطلاق لما قرأى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر و
لعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من شرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعى الرغبة فيه
الراجعة الاذانة وصفاته اولئك استيناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اى اولئك المذكورون من المشركات
والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب
عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اى الى الاعتقاد
الحق والعمل الصالح الموصلين اليها وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار

ابتداء

ابتداء بادنه متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقاربتهم الى الخير ونصيحتهم ايا هم
احقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اى
كى يتذكروا ويعلموا بما فيها فيفوزوا باباد عوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون
وهو المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير المعطوف على الخبر اعنى
قوله تعالى ويبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو بما حكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة
لمن عمل بها اليها وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الخائيين فى الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبر للمبتدا
لكن يعوقه حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا واراد
التذكير ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر فى الاحكام السابقة ويسالونك عن المحيض عطف على ما تقدم من
مثله ولعل حكاية هذه الاسولة الثلثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن المرو حكاية ما عدا ما بغير عطف لوقوع كل
من ذلك فى وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجئ والمبيت روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض
ولا يؤاكلونهن كذاب اليهود والمجوس واسمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح فى نفر من الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين فنزلت قل هو اذى اى شئ يستقذر منه ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا
النساء فى المحيض اى فاجتنبوا مجامعتهن فى حالة المحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم
فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اتزرنا هن هلك سائر اهل البيت وان اتزرنا بها
اهلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود يفرطون فى الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين
الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان
لغاية وهو انقطاع الدم عند ابى حنيفة فان كان ذلك فى اكثر المدة حل الغشيان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال
او من مضى وقت صلوة وعند الشافعى ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يقرا عنه القراءة بالتشديد وبنى عنه قوله عز وجل
فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل ان الله
يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن القاذورات
والاقذار وفى ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر
التطهر نساؤكم حرث لكم اى مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى فى ارحامهن وبين البذور من المشابهة من
حيث ان كلا منها مادة للمجعول فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو مجاز لقوله تعالى
فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا ينوعون ان من اتى امراته فى قبلها من
دبرها ياتى ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اى ما يدخر لكم الثواب وقيل طلب
الولد وقيل التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التى من جملتها ما عدد من الامور واعلموا
انكم ملاقوه فتوقعوا التحصيل ما تتقون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا
به من الاوامر والنواهى بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور
التى تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما فى تلوين الخطاب وجعل المبشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة
فى تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت فى عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا
يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل فى الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه فى حديث
الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالغبقة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشئ فيصير حاجزا مانعا كما يقال فلان
عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما فى قوله فلا تجعلونى عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور
الحسنة التى تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان للابسة لها كما فى قوله ع لبعد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين ك

فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف
بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام فى لايمانكم متعلقة بالفعل او بمعرضة
لما فيها من معنى الاعتراض اى لاتجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس اى برزخا حاجزا بان تحلفوا به ثم
عليه تركها اذ لاتجعلوه تعالى عرضة اى شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجز بها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد جوز
ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الا بالفعل او بمعرضة فيكون الايمان بمعنى ما وانتصب بانه يؤدى الى الفصل
بين العامل ومعموله باجنبى وعلى الوجه الثانى لاتجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل
فيه ولا تقطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا الخ علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا الان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فيكون برا منقيا تقيا بين الناس فيكون بمعزل عن التوسط فى اصلاح
ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بما تعمدته قلوبكم فاحفظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم
اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به فى الايمان ما لا عقد فيه معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعنى بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان
يحلف على شئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعى هو قول العرب لا والله وبلى
والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى
يحلف احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب فى اليمين وذلك فى الغموس
وعلى الثانى لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكم بما تعمدت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن سبب
اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم
يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب
الكفارة اذ هى التى يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى
واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اى للذين يحلفون مبتعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة
اشهر كقولك لى منك كذا وقرئ الوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا
اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر اولا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان فاء اليها
فى المدة بالوطئ ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفئ وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان
مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف مضاف الى الظرف اتساعا اى لهم ان ينتظروا فى هذه المدة من
غير مطالبة بفئ او طلاق فان فاؤا اى رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احدثتم
اقت عندكم الى آخره والالم البث الا ريثما ارتحل فان الله غفور رحيم يغفر للمولى بفيئته التى هى كتوبته اثم حنثه عند تكفيره
او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق
به من الاسوة والمقاولة التى لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى
والمطلقات اى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قدمنا ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض
لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران نير بصن خبر فى معنى الامر مفيد للتاكيد بشهادة
بان المأمور به مما يجب ان يبادر الى الاتيان به فكأنها تمتثل بالامر بالتربص فتخبر به موجودا متحققا وبناؤه
على المبتدأ مفيد لزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية اى ليقعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من
التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الابتعاد عن الانتصاف بما يستنكف منه من كون نفوسهن طوامح
الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير
مضاف اى تربص مضى ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام دعى الصلوة ايام
اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من

نسائكم

فاعلم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلى من العدة استبراء الرحم وبداره الحيض دون الطهر ويقال
اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهى الحيض الثلث واريد
جمع الكثرة فى مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شايع ذائع وقرئ ثلثة قرو
بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الحيض والولد استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على قبول قولهن فى ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف يدل عليه
ما قبله دلالة واضحة اى فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء
والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو فى الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما
فى الجدودة والسروحة او مصدر بتقدير مضاف اى اهل بعولتهن احق بهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما
ينبئ عنه التعبير بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى نكاحهم بالرجعة اليهن فى ذلك اى
فى زمان التربص وصيغة التفضيل للافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تأبا ما وجب ايثار قوله على قولها لا ان
لها ايضا حقا فى الرجعة ان ارادوا اى الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار
ولهن عليهم من الحقوق مثل الذى لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التى يجب مراعاتها ويحسن المحافظة
عليها وللرجال عليهن درجة اى زيادة فى الحق لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن فى المهر والكفاف وترك
الضرار وتخويا اومزية فى الفضل لما انهم قوامون عليهن حراس لهن ومرابون ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض
من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم
يفوض شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعى لما ان السابق
الاوب حكم ولما روى انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدأ بتقدير
مضاف خبره ما بعده اى عدد الطلاق الذى يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اى اثنان و
ايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقها ان يقع مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا ايضا
فامساك اى فالحكم بعدها امساك لهن بالرجعة بمعروف اى بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم او بترك الرجعة الى ان تنقضى العدة فبين وقيل المراد به الطلاق
الشرعى بالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة والمعنى ان
التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلث فان ذلك بدعة عندنا
فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدأ وخبر مستانف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية
التطليق فاعلموا احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اى من الصداق
وتخصيصها بالذكر وان شاركها فى الحكم سائر اموالهن امالرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان يأخذوا
مما آتوهن بمقابلة البضع عند خوفه عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع لولى واحرى شيئا
اى نذر يسير افضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش للنظم الكريم على القراءة
المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله
اى ان لا يراعيا موجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير لدلالة
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اى الزوجان حدود الله
بشاهدة بعض الامارات والحبائل فلا جناح عليهما اى على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج فى اخذ
ما اخذت به ولا عليها فى اعطائه اياه روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت

بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لايجمع راسي وراسه شئ والله ما اعيب عليه في دين ولا
خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فقرت فاختلعت منه بحديقة كان احدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا
تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول ثم الظالمون
اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة
وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا
تحل هي له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى
كل منهما وتعلق ظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى ان امراة رفاعة قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق من عسيلتك وبمثله يجوز
الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن
المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة
فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها
اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا اي يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد
ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق والاوجه لتفسير الظن بالعلم لما ان
العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لايكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك
اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه المعينة الحقيقة عن التعرض لها بالتغيير والمخالفة بينها
بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحق زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة و
الجملة حينئذ ان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى احوال من حدود الله والعامل معنى الاشارة
لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لانهم المنتفعون بالبيان اولان ما يلحق
بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي قاربن
فان الاجل كما يطلق على المدة ينطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه استعارة وهو
المراد ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل
اي فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره
اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لعنانه
وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لاتراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت
انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد ما امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية
او الحالية اي لامسكوهن للمضادة او مضارين واللام في قوله تعالى لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن
بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة
على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنزلة
على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تتوضوا عنها وتتهاونوا
في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انت تازي كانه نهى عن الهزء بها ولو بما
يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وادعوا حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا
ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون
الحقيقة وهو معنى الهزؤ وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال عليه السلام

ثلث

ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى فهم سعادتكم الدينية
والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها
على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم
مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في علمنا والتانيث لانه مبني عليها كما في قوله فلو لا رجال الفرشتك ورهبة عقابكم قد كانوا
لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب
والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الا الملك
القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لايخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها
ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله
او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شئ عليم فلا يخفى عليه
شئ من اعمالكم وما تاتون وما تذرون فيواخذكم بما فيها من العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم كانوا
يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب
اما للاولياء كما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت
في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ
الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج
نفسها والما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن
يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعولهن يتزوجن ظلما و
قرابة الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق
فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل للامر العضل
وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة و
سراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فحذف المفعول عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل
هو بدل الاشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد
بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فبانا لاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للتعضل
وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد والا فالتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان
ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء
اما متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي
تراضوا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بادون مهر المثل ليس من باب العضل
ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده
والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الخطاب لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر و
المنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والدلالة على
ان حقيقة المشار اليه لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال
باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظرف وشبهها
واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي
انمى وانفع واطهر من ادناس الاثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا
تعلمون ذلكم او والله يعلم ما فيه صلاح امورهم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها
فدعوا رايكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه في كل ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في

بيان الاحكام المتعلقة باولاد هن خصوصا واشتركا وسولعر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب
او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الغير او عجز الوالد عن الاستيجاد والتعبير عنهن بالعنوان
المذكور لقطع عطفهن على اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين
التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير بحقيقة لا تقريبي مبني على المسامحة المتعادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان
لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب
يجب عليه الارضاع كالنفقة واللام توضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان
المولود يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام وسوى جايز عندنا مادامت في النكاح او العدة جايز عند الشافعي رح
بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالموصوف او تفسير للمعروف
وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لاينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الا ما يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا
من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان
يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافها اليه وللتنبيه
على ان يجوز بان يتفقا على استعطاره ولا ينبغي ان يضاره ابوه يضاره ابيه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله له
وعلى المولود له وذهب الى ما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصبته وقال
الشافعي هو وارث الاب وهو الصبي اي ثمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال
وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعل الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة
فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض
متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه
على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص عن احوال الارضاع
منهما على الاستحقاق للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكير ما للتفخيم فلا جناح
عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان
على الخطاء وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لتفويض الامر الى الامتثال بما امروا
به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة
الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المراة للصبي اي ان استرضعوا المراضع لاولادكم
فحذف الجار ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب
ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ايا اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في
قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه تعريض بحث الموالي على التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاولى
والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن تاجر ايد بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله
في شان مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم
اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب

لكافة الناس بطريق التلوين وينذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العايد الى
المبتداء في الخبر اي يتربص بعضن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون
آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا
حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا انهم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا
التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلثة اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد
عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي الحرة والامة والكتابية في
هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس
رضي الله عنهما انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاثمة
الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسايرما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه
الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن والا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ابهام المقصود بما
لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله اماله الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية
هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر
كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فعيل هي مأخوذة من الخطب اي الشان الذي
له خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة
بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضه ان تزوج ونحو
ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يفرح بالنكاح او اكتسم في انفسكم اي اضمرتم في
قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعلى اظهار الرغبة
فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعريض عن النكاح بالسر لان سببه الذي هو الوطء
مما يستره واياثره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يستره ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي
هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يجري
وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثنا ومفرغ مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة
معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف ولا تواعدوهن
بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداته الى جعل التعريض
موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقة القطع بدليل قوله
عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة
عقدة النكاح اي لا تعزموا عقدة عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها و
قيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالانتهاب
عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه حشية منه تعالى حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر
اذ لا يدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان البنى صلى الله عليه وسلم يكره النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا
فنفى ذلك ان طلقتم النساء ما لم تجامعوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي

مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض
الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اي ان تأتني محسنا الي والمعنى ان ملقموهن
غير ماتين لهن وهذا المعنى اقتضى من الاول لما ان ما الظرفية انما تحسن موقتها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا
على المضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق
فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الآن تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند
العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية
ويجوز ان يكون مصدرا لصيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل
حال الا في حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسمية عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان
بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها
من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي بما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من
الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على
الموسع منكم ايا ما او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر
مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا
بالمعروف اي بالوجه الذي يستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع الموصوف وانما سموا المحسنين اعتبارا
للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة قبل ذلك فريضة اي وان
طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين فريضة فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز
ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليها ونفس الفرض من المبتدإ للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حال التطليق
لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق كالايتاء في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها
فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر وفاقا لواجب ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة
السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد و
الاكثر الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول
بها فتحاكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهاره ان لا شيء لها ان متعها بقلنسوتك الا ان يعفون
استثناء مفرغ من اعم الاحوال فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك بعد وجوبه
وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير والنون
علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى
او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود
اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او ممن ذلك عفوا
في صورة عدم التسوق مشاكلة او تغليبا لحال التسوق على عدمه فرجع الاستثناء ح الى منع الزيادة في المستثنى منه
كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال
عفوهن فانه ح لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او يخطا او في حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة على
ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلابد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة

عفو

عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح
الصغيرة وهو ظاهر الاخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الا فان اسقاط حق
الصغيرة ليس فيه شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر
الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يخفى عليه شيء
من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما
ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام
للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا
كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المشابكة الآخذ
بعضها بحجز بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل
عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملئكة الليل
وملئكة النهار ح وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول صلى الله عليه وسلم كان
يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل
والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد
ومن حيث الوقوع بين صلوتي الليل والنهار ووتر النهار ولا تقصر في السفر وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين
الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قرأها والصلوة الوسطى وصلوة
العصر فكون حينئذ احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ
بالنصب على المدح وقرئ الوسيطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو
الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رح المراد به القنوت
في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف
وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال
ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رح اداءها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف
فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا
لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان يكون
الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا
يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالة الخوف و
الامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف ونذرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة
اذا المبنية عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جوابه الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل
مقام وقوع المامور به فيها منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى
مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية
الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية وليؤيد هذا قراءة من قرا كتب عليكم
الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم

بدل وصية متاعا حال المحول منصوب بيوصون ان لم تخرج والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج
بدل او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او
الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها
الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على
ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة
مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده
وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن اولا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير
وابو العالية والزهري لكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد لما ورد
شرعا وعادة حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة
على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعلموا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل
الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ
من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لاحد ان يجعل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويجب بها وان
لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لانه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال
الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في دركه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي
قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير
كونها بمعنى الابصار مع النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء وعلى معنى المنتهية لحاليهم
وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل
حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها ناريين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم خرقيل بعد زمان قليل وقد عريت عظامهم و
تفرقت اوصالهم فلوى شدقيه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا
هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت
فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم وفعله
وانما تمثيل لامانته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر كن مطاعا لما امور
مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي
فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته ولما قيل قال
لانه عبارة عن الامانة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيثما لم يكن منه بد ولم ينفع منه
المفر فاولى ان يكون في سبيل الله لهم ان الله لذو فضل عليهم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما
جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر
الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي وجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام
الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يقتضيه ما قبله كانه قيل فاشكروا افضله بالاعتبار بما قص
عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموتوا في سبيل
الله عز وجل والا فاقصروا عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في
انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الاول واحذروا الثاني والمسارعة من ذا الذي يقرض

الله

الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل
العاجل طلبا للثواب الاجل والمراد ههنا الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته
وانما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا وقرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقروضا
حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره
وجزاؤه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المسببية والسببية ظاهرا وصيغة المفاعلة للمبالغة وقرئ
فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول بان يضمن المضاعفة
معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة
والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما يقتضيه مشيئة المبنية على الحكم
والمصالح فلا تتجاوزوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في
الوجود تسلية للفقراء وقرئ بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا
الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجيب مع ان لم تر يدار تباط بما وسط بينهما في الامر بالقتال
الى الملا من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم
سموا بذلك لانهم يملؤن العيون بهاء والمجالس بهاء اولانهم ملئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى
من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملا اي كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه
السلام ولا ضير في اتحاد الظرفين لتغاير عاملهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملا
او حديثهم حينئذ قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صبعة بن علقمة
من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل من نسل
هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا
مصدرة تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف مبني
على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف للملكا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال
ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي ح فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى
وخبرها بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما توقعتكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض
الشرط التنبيه بان قبل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا الا مع انه اظهر تعلقا بكلا مهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في
بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى
ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي كعسيتم
قالوا استيناف كما سبق وما لنا ان لا نقاتل اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من
الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقة وملكهم وهو
جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا
على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية و
اخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا
لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر هينا مآل امرهم اجمالا لاظهارا
لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة
وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي قولهم
وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال

والاتقال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اى قال لهم بعد ما اوحى اليه ما اوحى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول يا باه منع صرفه وملكا حال منه روى انه دوم لما دعى ربه ان يجعل لهم ملكا اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استيناف كانه قيل فما كان قولهم عند ذلك فقيل قالوا اى بنو اسرائيل انى يكون له الملك علينا اى من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين فى الحكم اى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وبسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة ببسبط معين من اسباط بنى اسرائيل وهو بسبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط الملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء وشكيمة الحروب وقد خصه الله تعالى منها بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة فى العلم اى العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحى اليه وبنبئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتى ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيط فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاعتبار بعدم انفصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه دليلا على ما ادعاه من آية تدل على انه اصطفى طالوت وملكه عليهم روى انهم قالوا له ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اى الصندوق وهو فعلوت من التوب الذى هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وناوه مزيدة لغير الناسوت كملكوت ورحموت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء وبعضهم يقلبها ايا ما والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام حفظا على بنى اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملئكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع فى ذراعين فكان عند آدم الى ان توفى فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقى فى ايدى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى ثم فكان عليه السلام يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وكان عنده الى ان توفى ثم تداولته ايدى بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملئكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا وسلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما اراد الله ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلك من بلادهم خمسة آلاف فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملئكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سلموا بنيتهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبى ان آية ملكه انكم تجدون التابوت فى داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اى فى اتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم او فى التابوت ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان فاذا صرخ التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر شبوا

وسكنوا

وكانوا نزل النصر وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون هى رضاض الالواح وعصا موسى وثياب وشئ من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وكلها ابناؤها او هما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بنى اسرائيل تحمله الملئكة حال من التابوت اى حال اتيانه حال كونه محمولا للملئكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملئكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبى عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جئ به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتاويل الفريق او غيره كما سلف لاية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هى عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بتملكه عليكم او بشئ من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هى بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اى انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدى بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكقد صدورا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من طالوت اى ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روى انه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يدخل عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجرى الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئة الله تعالى من جهة النبى عليه السلام او بطريق الوحى عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وتروى بسكونها فمن شرب منه اى ابتداء شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس منى اى من جملتى واشياعى المؤمنين وقيل ليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كانه بعضه لكمال اختلاطها ومن لم يطعمه اى لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاحا ولا بردا اى نوما فانه منى الا من اغترف غرفة بيده استثنا ومن قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اى غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه واداوته ولدوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اى فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من الموالى وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى وضرباعن عدوة اللفظ جانبا فان قوله به فشربوا منه فى قوة ان يقال فلم يطيعوه حتى ان يرد المستثنى مرفوعا كما فى قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع فى حكم لم يبق فلما جاوزه اى النهر هو اى طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اى بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكى السلاح قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فما ذا قال نخا طبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اى الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله بالبعث ويتوقعون ثوابه واغراقهم بذلك الوصف لانباء ايمان البعض فان درجات المؤمنين فى اليقين والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير فى قالوا للمخلصين منهم كانهم قالوه اعتذارا

عن التخلف لمهم بينهما كم من فئة اى من فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققها او من فاء اليها اذا رجع وتركها
على الاول فئة وعلى الثانى فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهى فى حيز الرفع بالابتداء
خبرها غلبت اى كثيرا من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور
على مشيته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يزل من خذله وان كثر اسبابه وعُدده وقد روعى فى الجواب نكتة بديعة
حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة جسما وقع فى كلام اصحابهم مبالغة فى رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما يرى جواب ناشئ
من كمال فقههم بنظر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل فى ذلك لطى لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد وفان العلم
به ربما يورث اليأس من الغلبة والتوقع بإذنه تعالى ولا ريب فى ان ما ذكر فى حيز الصلة ينبغى ان يكون مدار الحكم الوارد
على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فتعليل المراد بلقاء الله تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما
عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد معيته نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية
بالاعانة كما فصل بإباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلى تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا
لهم على الصبر المؤدى الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاعانة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهته
الله تعالى جئ به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون ويعلمون من جهة النبى او من جهة التابوت والسكينة انهم
لما قالوا نفر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان
اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اى ظهر جالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا
الى براز من الارض فى موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعُدد وايقنوا انهم مجرّ مطيقين
بهم عادة قالوا اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى متضرعين الى الله تعالى
ربنا افرغ علينا صبرا عما قاسوا شدائد الحرب واقتحام موارده العصيبة الضيقة وفى التوسل بوصف الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المؤذن بالكثرة كالصبر المفصح عن التحتيم من الجزالة ما لا يخفى وتثبت
اقداما فى مداحض القتال ومزالّ النزال القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل
وقت المقاومة لا مجرد التقدم فى حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ومنع الكافرين فى موضع
الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا فى الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال
افراغ الصبر الذى هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذى هو الغاية القصوى وهزموهم
اى كسروهم بلا شك باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فانالهم
الله ثواب الدنيا الى اللحاق بالمضى فظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان يمشى ابو
داود فى عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم
انه الذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلثة احجار قال له كل منها احملنى فانك بنا تقتل جالوت
فحملها فى مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته فى المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم فى القراع وقد
برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظلمة ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف
فزجروه فتحاماه اخوه ليس فيها اخوته وقد قرب طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون
بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتى واعطيه شطر مملكتى فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه
فى صدره فنفذ الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كله الاحجار عند بروزه لجالوت فى المعركة فانخزل طالوت
ما وعده وقيل انه خرج من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتله وملك داود عليه السلام واعطى
النبوة وذلك قوله عز وجل واتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض ومغاربها والحكمة
اى النبوة ولم يجمع فى بنى اسرائيل الملك والنبوة قبله الا لاوزبل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط آخر وما اجتمعوا قبله
على ملك قط وعلمه مما يشاء اى مما يشاء الله تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه

اياه

ايّاه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع فى امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيته كالسرد بالة الحديد ومنطق الطير والدواب
ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض لاشتد امرهم
بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما فى القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المفاعلة
للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها
وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بغيهم وقتلهم المسلمين اولوم يدفعهم بالمسلمين
لعم الكفر ونزلت النقمة فاستوصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين
كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائى مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالى هكذا لو لم يدفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض لكن الله ذو فضل على العالمين فلو لم يدفع الله الناس بعضهم ببعض لم تفسد الارض
ويستوجبه اعنى كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل فى ذلك الدفع من غير ان يجب
عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيما هو مر من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا
يفسد الارض ويتنظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر
طالوت على التفصيل المرموم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى
الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق فى حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اى
ملتبسة بالبيقين الذى لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم او من فاعله
اى نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اى ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين
اى من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجرى
بيننا وبين غيرهم فى شهادة منه سبحانه برسالة صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد من مقتضيات
مقام الجد حديث بها تلك الرسل استيناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم
الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم فاللام
فى المال للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم فى
السورة وقيل الى الذين بثت علم عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض فى مراتب الكمال بان خصصناه
جميعا بتفضيه مشتملا بما ثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اى فضله بان
كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عم حيث كلمه تعالى ليلة الخرة وفى الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من
المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله مع مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتاييد بروح
القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اى وبعضهم رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين فى معارج الفضل
بدرجات فاضية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال فى درجات الشرف والظاهر انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عم منهم فان ذلك فى قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة
والحجة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية الفائقة للحصر والابهام
لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الفرد الغنى عن التعيين وقيل انه ابرهيم عم حيث خصه الله بكرامة الخلة وقيل ادريس
عم حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل عم واتينا عيسى بن مريم البينات الآيات الباهرة و
المعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه اى قويناه
بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهى روح عيسى وانما وصفت
بالقدس للكرامة اولانه عليه السلام لم تضه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبرائيل عليه السلام وقيل
بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين فى شانه عم من التفريط والافراط والآية

ناطقة بان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفاوتة الاقدام فجور تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما
اقتتل الذين من بعدهم اى جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين
على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره
لو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الا وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات الغرات الواضحة
والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدى الى الاقتتال فمن
متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى ما سيستفاد من مؤلف من وضع نقيض مقدمها
منتج لنقيض تاليها الا انه قدر وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المرتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم
لا من جهته تعالى ابتداء وكانه قيل ولكن لم يشا عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اى بما جاءت
به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضى الحكمة عدم مشيته تعالى لعدم
اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق
المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما بغى بعضهم عرق التطاول والتعادى لما ان الكل تحت ملكوته تعالى
فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من
وضعه فى الاستدراك موضعه بل هو سبحانه تحمد فى ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك
بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيته عدم اقتتالهم حتى ان الترك
ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد جسما يزيد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث
تابعة لمشيته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين امنوا انفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم
اى شيئا مما رزقناكموه على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما فى قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييها فان الاولى بتعيضية وهذه
لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون على تلافى ما فرطتم به اذ لا بتاع يومئذ حتى
ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن
ورضى له قولا حتى يتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم فى حط ما فى ذمتكم وانما رفعت الثلثة مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب
هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اى والتاركون للزكوة واثباره عليه للتغليظ والتهديد
كما فى قوله تعالى ومن كفر مكان ولم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب وصنعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير
وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اى هو المستحق للعبودية لا غير وفى اضمار خبر لا مثل الوجود او يصح ان يوجد
خلاف للنحاة معروف الحى الباقى الذى لا سبيل اليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدا محذوف
او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم
فيعول من قام بالامر اذا حفظه اى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تاخذه سنة
ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع العاملى وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة
وليس بنائم والنوم حالة تعرض الحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث يقف المشاعر
الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان انتفاء اعراء شئ منها له سبحانه لعدم كونها من شانه تعالى لا انها قائمة به
بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقى بناء
على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوى كما فى قولك فلان لا يغفل عن كذا وهو لا ينعس ولا ينام وانما اخر
النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجى وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما كما فى قوله عز وجل ولا

ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وانما التعبير عن عدم الاعتداد والعوض بعدم الاخذ فلما ان الواقع اذ عوض
السنة والنوم لما كانوا يطرئان بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تاكيد لما قبلها من كونه تعالى
حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موقوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير وقيل استيناف مؤكد لما سبق وقيل
حال مؤكدة من الضمير المستكن فى القيوم له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده
فى الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما من الامور الخارجة عنهما الممكنة فيهما من العقلاء وغيرهم
من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا
من ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الاخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه والضمير لما فى السموات والارض
بتغليب ما فيها من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذى الذى من الملئكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشئ
من علمه اى من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتى التام
الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى
الكرسى الذى هو الملبد وليس ثمة كرسى ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه
بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسى العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسى الملك فان الكرسى كما كان اعظم كان عظم
القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية
وقيل موجه بين يدى العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسى الا كحلقة
فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصرى انه الكرسى
ولا يئوده اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اى حفظ السموات والارض وانما يتعرض لذكرهما لما ان حفظهما
مستتبع لحفظ ما بينهما وهو العلى المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذى يستحق بالسبة اليه كل ما سواه ولا ترى
من انطواء هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية بالذات العلية والصفات الجلية فارتاناطقة بانه تعالى موجود
متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التغير والحلول
متبرأ عن التغير والفتور لاستناد ما يتراءى من ذلك الى قصور المخلوق منزه عن مشابهة الممكنات لاستحالة ما يعترى النفوس والارواح من
الاحوال والغوغ والبطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليلها وخفيها كليها
وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال
عما ناله الاوهام عظيم لا يحوم به الافهام تفوت بفضائل رائقة وخواص فائقة علت عنها اخواتها قال صلى الله عليه
وسلم ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله له ملكا يكتب من حسناته ويحمى سيئاته الى الغد من تلك
الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية فى دار الا اهجرته الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فانزلت آية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى
دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه
الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن
وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وتخصيص سيادة صلى الله عليه وسلم للعرب بالذكر فى اثنا ء تعداد السادات
الخاتمة لا يدل على نفى ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه
فى الدين جملة مستانفة جئ بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بانه
حيث كان العاقل لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر فى معنى النهى اى لا تكرهوا

في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء
الجزية وروى انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما فذهبا فتنصرا
من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير ممنوعة كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما
ذكر من نعوته التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شئ منها الايمان الذي هو ارشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو
الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب كما في
عينه ولامه فقيل موفي الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد ومذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الاصنام او الكهنة وهو رأس
سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يميل اثر ما تميز الحق من الباطل
بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته
تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص
الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله تعالى لتوقف عليه فان التخلية
متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه هو جلبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه
والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بابانة كالقصم والكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية
والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى
ولها في خبر الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا
يحتمل النقيض اصلا الثبوت بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه
فلا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد للنظر الصحيح
المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في خبر الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى
والله سميع بالاقوال عليم بالغرائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق
بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم
في الجملة مالا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي
هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفا بالقياس
الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه الى النور الذي هو نور الايمان ونور
الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور و
افراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم
اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت
خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة
الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التغيير ايضا
يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او
من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم تنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات
ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت وخبر ثان كما مر
واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب
ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ما كثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة
اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولاية تعالى

للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا الرعاية الاقتران بينه وبين ما لوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به
المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعد
تعدد او تفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابرهيم عليه السلام
فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق واد حاض محجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي والتقدير
المنفي اي لم تنظر ولم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف يتصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات
اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان
الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتباين حاليهما
في المحاجة ان اتاه الله الملك اي لان اتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعفا للحجة
التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك
وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الاخير ربي الذي
يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقفا وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو
اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استيناف مبني على السؤال كانه
قيل كيف حاجة في هذه المقالة الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما
واطلق الآخر فقال ذلك قال ابرهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابرهيم لما في هذه المرتبة في الحماقة
وباذا الحجه فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما يقتضيه مشيته فات بها من المغرب اي كنت
قادرا على مثل مقدوره تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا
للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابرهيم
الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم
الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم
عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال اوالى سبيل النجاة اوالى طريق الجنة يوم القيمة اوكالذي مر على قرية
استشهاد على ما ذكر من ولاية تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثاره على الواو
الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على
تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر وما زائدة كما ارتضاه محققون والمعنى اولم تر
الى مثل الذي اوالى الذي مر على قرية كيف يداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاستبعاد الى نور العيان والشهود اي
قد رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ واما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على ان يكون
المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الى اخره اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني اورايت مثل الذي مر الخ
ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة
شانه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرحيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن يزيد والضحاك
والسدي وقيل هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمر وقيل ارميا هو الخضر
بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل
هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر آباد وقال السدي هي دير سلماباد والاول هو الاظهر و
الاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد تعالى وسلط
الله تعالى عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل
بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع غير يافع

نقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جلتهم فلما جاءه الله تعالى منهم بعد مائة
عام بحماره على بيت المقدس فراه على اقبح مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اى ساقطة
على سقوفها بان سقطت الروشن ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اى تهدمت والجملة حال من
قرية او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اى تارتفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس
عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديرها على الفاعل للاعتناء بها من حيث
ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان
كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وايا ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا
ايدي سبا من غير هم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تعويلا للمخاطب وتاكيدا للاستبعاد
كانه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت
على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل آثر ذي اثير ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في
ازاحة ما عسى يتخلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فيابا ه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار
على ذكرموتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه داخلا في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها على
انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما سيحيط به خبرا فاماته الله والشه على
الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارا قد
اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره وبقيه تينه او عنبه
وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكا عظيما
من ملوك فارس يقال له بوشك الى بيت المقدس ليعمره وعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه و
اهلك الله تعالى بخت نصر بسبعين سنة دخلت وماغ ونجى من بقي من بني اسرائيل ورد هم الى بيت المقدس وتراجع اليهم من تفرق
منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير احياه الله تعالى
وذلك قوله تعالى ثم بعثه واثاره على احياه للدلالة على سرعة وسهولة تاتيه على البارئ تعالى كانه بغتة من النوم
وللايذان بانه اعاده كهيئة يوم موته عاقلا فاهما مستعد اللنظر والاستدلال قال استيناف مبني على السؤال
كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت لينظر لعجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالى وان احياءه ليس بعد
مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة ويخمن بمادة استبعاده بالمرة ويطلع في اثنائه على امر
من بدايع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتتابع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم
نصب على الظرفية مميزا محذوف اى كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من
السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بناء على التقريب والتخمين او لاستقصار المدة
لبثه والا ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فراى
منها بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فيتنزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب
لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اى لم تلبث ذلك
القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا غريبا من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير في
هذه المدة المتطاولة مع تراخيه الى الفساد روي انه وجد تينه او عنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال
بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء اما من الطعام والشراب واوثر الفعل المجرد لانهما مجرى الواحد كما للغذاء واما من الآخر
اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسن والهاء اصلية او ها سكت
واشتقاقه من السنة لان لامها ياء او واو وقيل اصله يتسنن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في
تقضض البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اى هو على حاله

كانه

كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام النون في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت
اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكرمن لبثك المديد وتطلع به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على
مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اى فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر
لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد هو طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت
من اهل القرون الخالية وتاخذ وامنك الطوى عنهم منذ احقاب من علم التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر
بعده اى ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا وهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد و
لذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار
ايضا للايذان بان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تغيرها
الحيوة وبعادها اى وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسك كيف تنشر ما
بالزاي المعجمة اى نرفع بعضها الى بعض وننزعها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي ننشيها ونحييها
ولعل من فسره بتحييها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قراه بالراء من النشر الله تعالى المولى اى احيا ما لا حياه
الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اى نسترها به كما يستر الجسد باللباس وامامن قراه ننشرها بفتح النون وضم الشين
فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف يبسطها والجملة اما حال من العظام وانظر اليها مركبة مكسوة لحما
او بدل اشتمال اى وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط الاعلى بها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها
حالا يقتضي الحكمة روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع كل عرق من اعرقها الى صاحبه
بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به
الضلع بالضلع والذراع بعملها والراس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور
ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اى ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بما ذكر والفاء
للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر ولاشعار بسرعة وقوعه
كما في قوله عز وجل فلما راآه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشرها الله تعالى وكساها
لحما فنظر اليها فتبين له كيفية فلما تبين له ذلك اى اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شئ من الاشياء التي
من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع
للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفي اشعار بانه انما
قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اى فلما تبين
له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على كل شئ قدير فتدبر وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم
على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى
اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد اوركت زمن عزير فقال لها اهذا منزل عزير بانها هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى
عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله اني يكون ذلك قال قد اماته
الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا بها
ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله تعالى فقامت صحيحة كانها نشطت من عقال
فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في اندية لهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة
وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فقالوا هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة
فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال انه كان لابي شامة سوداوين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك فقد كان
قتل بخت نصر بيت المقدس من قرأ التوراة اربعين الفا جهلا ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة
فقراها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد ذلك بخت

نصر حدثني ابي عن جدي انه وفى التورية يوم سبينا في خاية في كرم جدي اخرجنا كم فقد هبوا الى كرم جدة فنشوشا فوجدوها
فعارضوها جاما على عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا واذ قال ابرهيم دليل آخر على ولاية تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك
الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي قال رب ابي الجزيان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه
عليه السلام في اصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرة
تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا انه جعلكم خلفاء اي واذكر وقت قوله عليه السلام
وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر من ولاية تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه
المواقع الى الوقت دون ما وقع من الواقعات مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها
لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضرت كانت
حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية اولم يذكر كما تحاضر مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت
بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت
مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بان
تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال
او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤل فالاستفهام
ههنا عن هيئة الاحياء والمتقرر عند السائل اي بقدرتي كيفية احيائك للموتى وانما سأله عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان
ويزداد قلبه اطمينانا على اطمينان ولما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال ابرهيم عليه السلام ان احياء الله
برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل علمت فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه
ذلك فيأباه تنقيل السؤال بالاطمينان قال استيناف كما مر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم
تؤمن بانى قادر على الاحياء وكيف اشاء وحتى تسألني ارأته قال عز وعلا وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا و
اقواهم يقينا ليجيب بما اجابه فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على
اي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بما
شاهده على كيفية معينة قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف تقديره اذا اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم
لجمع طائر كوكب وسفر وقيل جمع له كتاجر وبحر وقيل مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير كهين في هين ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هي طاووس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير
وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل من التجزية والتفريق وغير ذلك
فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي املاهن واضمهن وقرئ فقرهن بضم الصاد
وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ فقرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتأملها
وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزء من اجزائها لم يتنقل من نوعه الاول اصل اروى انه امر
بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل
اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزءهن وفرق اجزاءهن على اربعة تلك
من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعها او سبعا من كل طائر وقرئ جزءا بضمتين
وجزءا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادغمهن يأتينك في جزم
الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعيات او ذوات سعي طيرانا او
مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام ولما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته
كما روي انه عليه السلام نادى فقال تعالى باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم

اقبلن

اقبلن الى ابراهيم فانضمت فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على
الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا وناهيك بالعقدة دليلا
على فضل الخليل ومن القراءة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله ما سأله في الحال على ايسر ما يكون
من الوجوه وارى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه
شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية تعجزه عن ايجادها بطريق آخر
خارق للعادة بل لكونه مقتضى للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل اي في وجوه الخيرات من
الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا تشعبت منها سبع شعب كل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة
كما يشاهد ذلك في الذرة والارض في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده
الى الارض والربيع وهذا التمثيل للاضعاف كما انها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف ذلك المضاعفة او فوقها
الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتبعه ولذلك تفاوت
مراتب الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق و
مقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتداة جيء بها للبيان كيفية
الانفاق الذي يبين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى
المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه ان اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه
وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة
المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخرج بها شيء من المن والاذى
لهم اجرهم اي جسيما وعدلهم في معنى التمثيل وهو جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا من الموصول وفي تكرير الاسناد
وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها
لما بعد ما للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح
بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في النقل و
الحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من الوقوع مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوت مطلوب من المطالب
قل او جميل اي لا يعتريهم ما يوجبه لانه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا
بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائها لا بيان انتفاء
دوامها كما يوهمه كون الخبر الجملة الثانية مضارعا لان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل يقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة
اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسئلة وغيره مما يثقل على المسؤل وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة
في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤل خير
اي للسائل من صدقة يتبعها اذى كلوما شوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة
مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتغيير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او يعفو السائل
بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤل يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع
بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا
يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لانهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد

والوعيد مقرر على اعتبار الخبرية بالنسبة الى السائل وقطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب بما اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا احد قائم بالمن و الاذى اى لا تجعلوا اجرهما بواحد منهما كالذى في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال الذى ينفق ماله رياء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق اى الذى يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأى سيبويه وانتصاب رياء اما على انه علة لينفق اى لاجل رياء الناس او على انه حال من فاعله اى ينفق ماله مرائيا وللرد على المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا تمثيله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اى فمثل المرائى في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب اى شئ يسير منه فاصابه وابل اى مطر عظيم القطرة فتركه صلدا املس عليه شئ من الغبار اصلا لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فما بالهم لا ينتفعون بما فعلوا رياء فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما ان الضمير في قوله عز وجل وختم على قلوبهم كالذى خاضوا الما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدى القوم الكافرين الى الخير والارشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولابد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله اى لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اى ولتثبت بعض انفسهم على الايمان ممن يتعيشه كما في قولهم هزم من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله ومروءته فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو رأس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلث وقد قرئت بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب ارياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل جنة احداها وابل مع عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اى مثلى ما كانت تثمر سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد التضعيف المثلى وقيل اربعة امثال ونسبه على الحال من اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها وكرم بنتها ولطافة هوائها وقيل ينيبها طل سو المطر الصغير القطرة وقيل فالذى يصيبها سوء لا زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصلها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم ايود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالها والهمزة للانكار الوضوع كما في قوله اهرب الى الانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يعقبها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اى كائنة منها على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقى من المستتبعات لا على ان يكون فيها غيرهما كما ستوقفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كان عينى في غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجرى من تحتها الانهار اذ على الثانى لابد من تقدير مضاف اى من تحت

اشجارها وكذا لابد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما يأتى مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثانى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدإ او غاية مقامها اى له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له مقام والمراد بالثمرات الهوم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شئ واصابه الكبر اى الكبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى ما فيها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صفارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مباديه المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تعكس منها سائطة الى السماء على هيئة العمود فيها نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وما بينهما كما ترى تمثيل لحال من يبطل اعمال البر والحسنات ويفضى اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجد ما يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا والتأنيث على تأويل الجنة بالجماعة او توحيد الكناية مع كون المخاطب جمعا قدر وجمهر ارادا اى مثل ذلك البيان الواضح الجارى في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بها فتنتفعوا من العبر وتفعلوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لما ينفق منه اثر بيان احوال انفاقه وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجاد به لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما اخرجنا لكم من الارض اى من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بحذف احدى التاءين اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ لا تأمموا والكل بمعنى القصد اى لا تقصدوا الخبيث اى الردئ الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوه والحال انكم لستم بآخذيه الا اذا تسامح فيه لحيائه او لمروءته كما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لاستيفاء انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للحال المدلول عليه بالمقام او للموصولين على طريقة قوله كانه في الجلد توليع البهق او الثانى وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم ومما اخرجنا لكم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا اغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا اغفله وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجد وا مغمضين وقرئ تغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم استوقف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه وتالله الاستفهام الانكارى فكانه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يضعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على توفه العظام وقيل حامد يقبل الجيد ويثيب عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بكسب من جهة المخبر متبنا على شئ من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اى يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يسبق منه مجئ الفقر الى جهتهم للايذان بما في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزل في تقرير الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته اولوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر المأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد اري

الموت يتمام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار فى قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التى افادها التنكير اى مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل وظاهره اى وفضلا كائنا من تعالى اى خلفا عما انفقتم زائدا عليه فى الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا فى الاخرة والله واسع قدرة وفضلا يحقق ما وعدكم به من المغفرة وخلاف ما تتفقونه عليم مبالغ فى العلم بما تنفقونه فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف فى الوعد والجملة تعليل مقرر لمضمون ما قبلها يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هى القرآن والفقه وروى عن ابى نجيح انها الاصابة فى القول والعمل وعن ابرهيم النخعى انها معرفة معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقايق الاشياء وقيل هى الاقدام على الافعال الحسنة العقلية وعن مقاتل انها تفسير القرآن باربعة اوجه فنارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجايب الاسرار ومرة بالعلم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة فى فضايع الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى اتيانها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يوتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه فى ضمن الآى من الحكم البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليوتى قدم عليه الثانى للعناية والجملة مستانفة مسوقة لمضمون ما قبلها ومن يوت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اى ومن يوته الله الحكمة والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشأنها وللاشعار بعلية الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد حير لخير الدارين وما يذكر اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوايب الوهم والركون الى مشايعة الهوى وفيه من الترغيب والحث على الاحكام الواردة فى شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات وما فى حكمها اثر بيان حكم ما كان منها فى سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عايدها من الصلة اى وما انفقتموه من نفقة اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اى نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوها فان الله يعلم الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلة لو كما فى قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل ثم قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل بغناء والضمير اما راجع الى المذكور بتاويل المقدم رعاية للاولوية كما فى قوله عز وعلا وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة او الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه الآية الكريمة وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويلها بالمذكور ونظايره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله تعالى بما عندك وانت بما عندك راض والراى مختلف ونحوهما عطف عليه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه ثم تجويز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه منع الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق ان يوضع فيه من انصار اى اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا فدية وايرادها بصيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما انظالم من الظالمين من نفير من الانصار والجملة استيناف مقرر لما قبلها من الوعيد مفيد لقطع حال من يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات فنعما هى نوع تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا فى

الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها خفية وتوتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب فى الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا فى التطوع ومن لم يوف بالمال واما فى الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سياتكم اى والله بكفر او الاخفاء ومن تبعيضية او مزيدة على راى الاخفش وقرئ بالياء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتداء محذوف اى ونحن نكفر او على انها جملة مبتداة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو يرغبكم فى الاسرار ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما افرط من المكس والانتهاء عما نهوا عنه من القبايح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جئ بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة فى حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب ما ذكر مرجع على النبى صلى الله عليه وسلم موذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التصدق على المشركين كى يحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام فلا التفات حينئذ فى الكلام ومنجر الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين لزيادة بعثهم على الامتثال وعلى الثانى تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبى صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اى اى شئ تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اى نهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الدنيئ لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه من لا يمتنع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليست نفقتكم لشئ من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فانما تكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الا الله تعالى وقيل هو نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم اى اجره وثوابه اضعافا مضاعفة جسما فصل فيما قبل فلا عذركم فى ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجلها فهو تاكيد وبيان للشرط السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتايج دعاءه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل جئ باسماء بنت ابى بكر فاتتها اتهاتسالها وهى مشركة فتابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا القرابتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون اى لا تنفصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما فى قوله عز وجل فى تسع آيات الى فرعون اى اعمد واللفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض اى ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحو من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اى من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم اى تعرف فقرهم وانضرارهم بما تابين منهم من الضعف ورثاثة الحال و

الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسئلون الناس الحافا اى الحاحا وهو يلازم السائل المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسئلونهم شيئا وان سألوا لحاجة احفظتهم اليلحوا وقيل هو نفي للكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اى لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في الصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شان الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بادربعين الفا وقيل اربعة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق كل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا اى ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اى من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اى الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اى الجنون وهذا ايضا من زعمهم ان الجنى يمسه فيخالط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اى لا يقومون من المس الذي بهم بسبب كلهم الربوا او بيقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين يتهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من مزيد البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائها الى الربح فاستحلوه واستحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول متايع حتما وفي الثاني بخير عساس الحاجة الى الساعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اى من بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجئ الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اى فانتهى فامتثل بالزجر وقبع النهي خلة ما سلف اى ما تقدم اخذه والتحريم والاستمرار منه وامره تفويض بالظرف ان جعلت من موصولة والا فالامر ان جعلت شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله واجره على الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اى الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اى ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اى يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويزل الصدقات ينميها ويضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي عنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اى لا يرضى لان الحب فتحق بالتوابين كل كفار مقر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاء هم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصها بالذكر مع اندراجها في الصالحات لانافتها على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة

الى ضميرهم تشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اى واتركوا اتقاءا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم للامتثال بالامر بالبتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اى ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الربوا روي انه لما كثف مال على بني قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فانزلت فان لم تفعلوا اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بانكم اذن بالشر اذا علم اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فاذنوا اى فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لنفي مثلها اى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس اموالكم تاخذونها كلا لا تظلمون غراما لكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة للحث لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه المجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم شوبة عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة منهم فهم مرتدون واموالهم المكسوبة في حال الردة في حكم الفيء عند ابي حنيفة وكذا اموالهم عند الشافعي وعندنا هي موروثتهم ولا شئ لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنه فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فانهم يحبسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فالم يسلم لهم شئ من اموالهم بل انما يسلم لهم رؤس اموالهم وان كان ذو عسرة اى ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اى فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اى فالمستحق ناظره الى ميسرته او فصاحب نظرة على طريق التفات وقرئ فناظره فساخبه بالنظرة الى ميسرة اى الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد اى وان تتصدقوا على معسري غرمائكم خير لكم اى اكثر ثوابا من الانظار او خيرا تاخذونه لما عرفتم ثوابه وورد انه نهى عن الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جواب محذوف اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم علمتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدايد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجوع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا التعبير بالى الله لما سبعة اعاكلكم ثم توفى كل نفس بالتشديد والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اى تعطى كلا ما كسبت اى جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون حال من كل نفس لتقييد ان المعاقبين وان كانت عقوبتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لان نسبة الجزاء كما ان الافراد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اى ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اى يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويزل الصدقات ينميها ويضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي عنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اى لا يرضى لان الحب فتحق بالتوابين كل كفار مقر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاء هم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصها بالذكر مع اندراجها في الصالحات لانافتها على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة

وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال الماوردى اتفق الربوا اباحه فى السلف و
ليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعميم او
للقصد الى ايقاع نفس الفعل اى افعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغى ان يتوسط بين المتداينين ويكتب
كلا منهما ولا يكتفى بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف موصوف لكاتب اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن
المتصدى للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه ديّن حتى يجئ كتابه موثوقا به معقولا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اى ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اى
وليكتب بالحق ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه
من كتبة الوثائق كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله لا
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلّمة امرها بعد النهى عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف
بالامر على ان يكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وكيملل الذى عليه الحق الا الال سوالاملاء اى و
ليكن المملى من عليه الحق لانه المشهود عليه فلابد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل المبالغة
فى التحذير اى وليتق المملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اى من الحق الذى عليه على الكاتب شيئا فانه الذى
يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر
بالعدل وانما شدد فى تكليف المملى حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى الى النهى عنه فان
الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما فى ذمته بما امكن فان كان الذى عليه الحق صرح بذلك فى موضع الاضمار
لزيادة الكشف والبيان للايذان بالامر والنهى لغيره سفيها ناقص العقل مبذر المجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا خبلا اولا
يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عىّ او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اى الذى يلى
امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اى من غير نقص ولا زيادة ثم كلف بيان ما كلف به من عليه الحق لانه
يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النحس واستشهدوا شهيدين اى اطلبوا ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة
وتسميتها شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع
صفة لشهيدين ومن تبعيضية اى شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطاب
الشرع لا ينتظم العبيد بطريق العبارة كما بين فى موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز
استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى رجلين اما لاعوازهما او
لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اى فليشهد رجل وامرأتان او رجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود و
القصاص عندنا وفى الاموال خاصة عند الشافعى ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اى كائنين
مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصفة المذكور مع تحقق اعتباره فى كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين
اى كائنين من ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبى وقيل برجل من رجالكم تنكير العامل ورد بما ذكر من الفصل و
قيل متعلق بقوله فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله بقوله عز وجل ان تضل احداهما متعلق بمحذوف
وقع جوابا للامر المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنتين من بعض الشهداء لعلكم بعد التهم وتقتكم بهم و
ادراج النساء فى الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد فى النساء
والعلة فى الحقيقة هى التذكير ولكن الضلال لما كان سببا لتنزل منزلته كما فى قولك اعددت السلاح ان يجئ فاوقعه
كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثارها عليه النظم الكريم على ان يقال ان
تضل احديهما فتذكرها الاخرى للتاكيد الابهام والمبالغة فى الاحتراز عن توهم احتمال الضلال باحديهما بعينها و
التذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد
فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف

منزلة

منزلة الواقع وما مر بزيادة عن قتادة انه كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه احد فنزلت ولا
تسئموا اى لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اى الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذى
هو صفة المنافق كما ورد فى قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا
يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى
اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء فى تكتبوه اى مستمرا فى الاذهة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون فالكم
اشارة الى ما امر به من الكتب والاشهاد للمؤمنين اقسط اى اعدل عند الله اى فى حكمه تعالى واقوم للشهادة
اى اثبت لها واعون على اقامتها وهما بنيان من اقسط واقام فانه قياسى عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذى
قسط وقويم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده واولى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم فى
جنس الدين وقدره واجله وشهوده وخص ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من
الامر بالكتابة اى لكن وقت تواينكم او تجارتكم حاضرة لحضور البدلين تديرونها بينكم يتعاطيها يدا بيد فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها اى فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انه اسم كان
وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط و
الاوامر الواردة فى الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب
ولا شهيد نهى عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضار بالكسر والفتح وهو فيهما عن ترك
الاجابة والتغيير والتحريف والكتبة والشهادة او نهى الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج
عما حدّ لهما او لا يعط الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفى فى معنى النهى وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه
اى فعلكم ذلك فسوق بكم اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله فى مخالفة اوامره ونواهيه التى من جملتها
تضمن عن المضارة ويعلمكم الله احكاما متضمنة لمصالحكم والله بكل شئ عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو
مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة فى الجمل الثلث لاداء حال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بغرض
حيالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اى
مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا فى المداينة وقرئ كتابا وكتابا فرهان مقبوضة اى فالذى
يستوثق به او فعليكم او فليوثق رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى شرعية الارتهان
كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير واخذه
لا هلها بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما
انه فى حكم الكاتب توثقا اعوازا والجمهور على وجوب القبض فى تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن
بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه واستغنى
بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اى آمنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا حينئذ
على نزع الخافض او على متاع بعض فليؤد الذى اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعيينه طريقا
للاعلام وحثه على الاداء امانته اى دينه وانما سمى امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة
ياء وقرئ بادغام الياء فى الياء والله وهو خطا لان المنقلبة من الهمزة لاندغم لانها فى حكمها وليتق الله ربه فى رعاية حقوق
الامانة وفى الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير مالا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها
الشهود او المديونون اى شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه اى خبر ان وقلبه مرتفع به
على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
من افعاله فوه وتنظيره بشهادة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه
قيل تمكن الاثم فى نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اكبر الكبائر

الاشراك بالله لقوله تع فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قبله بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ كما
اثم قبله اى جعله آثما واعد بما تعملون عليم فيجازيكم بان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض
من الامور الداخلة في حقيقتها والخارجة عنها المتمكنة فيهما من اولى العلم وغيرهم اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا
لا شركة لغيره في شئ منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم بان تظهروه للناس بالقول او
بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس والخواطر
النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب
من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما
في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها
الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال من ان يكون
بطريق حصول الصور بل وجود كل شئ في نفسه في اى طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة حلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء لان ما من شئ يبدى الا وهو اوجد به قبل ذلك
مضمرا في النفس فتعلق علمه تعالى بحالة الاولى متقدم على تعلقه بحالة الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستيناف اى فهو يغفر بفضله لمن يشاء اى يغفر له ويعذب
بعدله من يشاء ان يعذبه جريا على مقتضى مشيته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته
على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انه بدل من الجواب بدل البعض او
الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا واو غام الراء
في اللام لحن والله على كل شئ قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته
سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة
ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات
الفاضلة التي من جملتها الايمان بوحيا بما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثر تي الهدى والفلاح من غير
تعيين لهم بخصوصهم ولا تعريج بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من
كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرع في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف
الامم وغير ذلك مما يقضي الحكمة شرحة عين في خاتمتها المتضمنون بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من
جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان
حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها
ما حكي عنهم من الادعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده بعنوان
الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد يمهد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه ويزيد
توضيح للاندراج في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه فيتحقق كيفية
ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اى آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما
فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما
الايمان بحقيقة احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك ممن فروع الايمان بهن الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال
لمحل عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة
الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه
تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اى الفريق المرموق بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافتقارها
الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تع آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ

الاول والرابط بينها الضمير الذي ناب مناب التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان
ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله
لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من
التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليها وما فيه من تكرير
الاسناد والمعنى الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء وخروج الى التقوية والتأكيد اى كل واحد منهم آمن
بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم
التوسط بينه تعالى وبين الرسل والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم
اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اى من حيث مجيئهم من عنده تعالى لارشاد الخلق
الى ما شرع لهم من الدين بالامر والنواهي لمن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين
من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية هو لا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك
الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستند اليما تلى من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها
معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها
الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر
ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد منه القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى بعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب
اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي
المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة
في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام
بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من
الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهته العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من
الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو
اللائق بشأن التنزيل بالحقيق بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه
والخبر الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك
وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ فالتنوين عوض عن المضاف اليه والمعطوف عليه اى كل واحد منهم
في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال جلال شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه
ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال لكل
اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع الضمير وان حملا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبة العلية
عليه السلام وانما حملها على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يجعلا بالنسبة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان الكتبي من جهته
عليه السلام اللائق بحالهم الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن
او مرفوع على انه خبر آخر لكل اى يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم

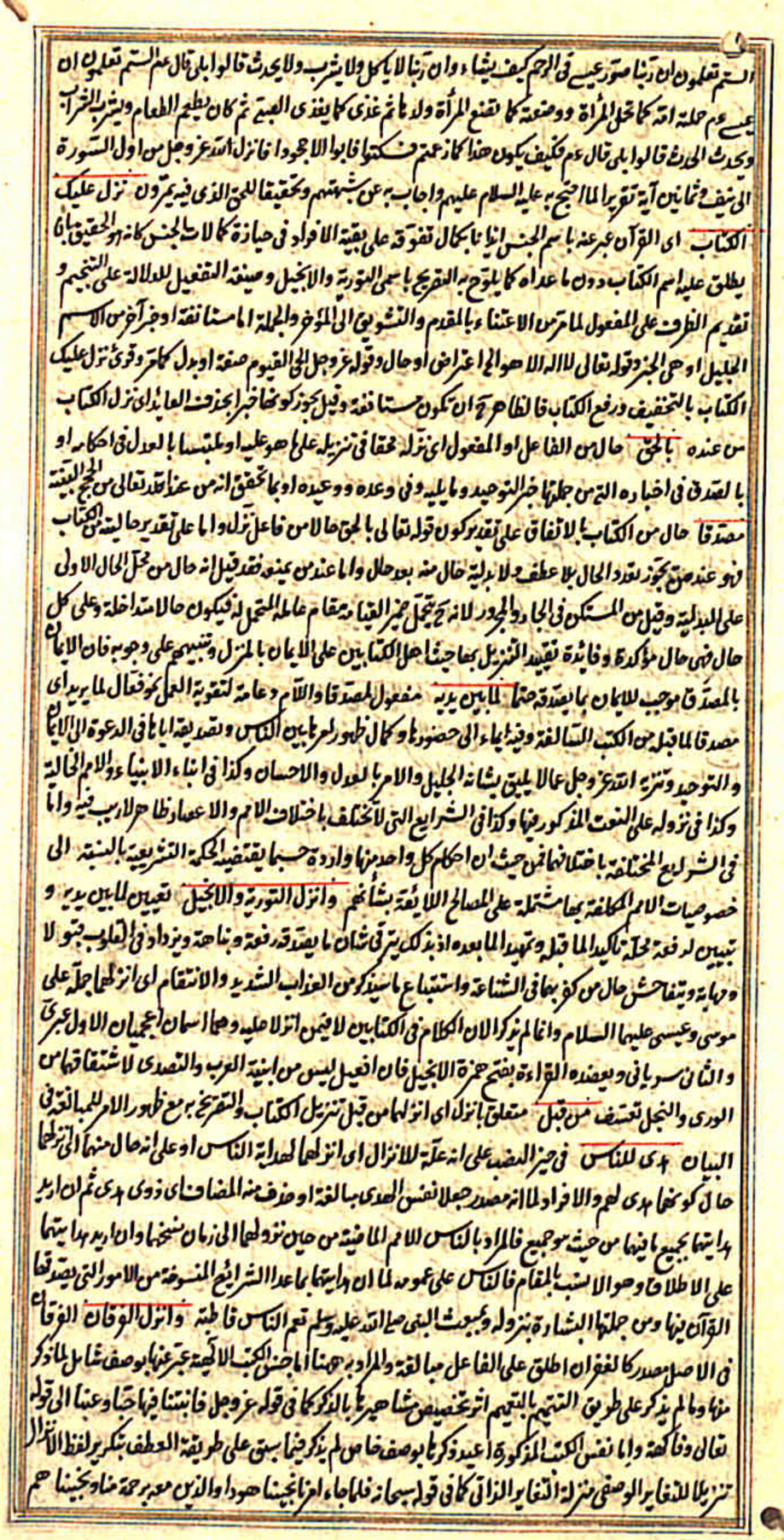
قيدوا ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم باكفر وابين رسالته عليه السلام لا اظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق الموفقين هو الرسل وكفرهم بالكتب تفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة تفسيرها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقيق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وانما اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى ووما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملئكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الخصوصيات الفائقة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لاعتقادهم بالاولى اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير مراعاة حقوق وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من جسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء بذا وقد روى انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم برکوا على الركب فقالوا ان رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقالوا ذلك القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فنسخها الله تعالى بقوله عز وجل فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه الى مستثنة تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون ما دونه الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا دليل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على موجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنوع التخفيف والتيسير يقتضي مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرة عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثوابا كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما كل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا

تؤاخذنا

تواخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسها من حيث ترتبها على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بها عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطاء مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة وقوله تعالى بعده لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعوا بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العباء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه وللمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في غير النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو بنو اسرائيل من نحو قتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصرف بعض المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للامر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد هنا للتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اي آثار ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك اونا صرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كنبها الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلوة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه الصلوة والسلام السحرة

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة كمفرد جامع طاسين ويا سين حالموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لبدر اجبر دحيما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما او مسرودة على نمط التعديد وان ازيها التقا

الساكنين لانه مفتقر فى باب الوقف قطعا فجمع هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم
والمامها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هى حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها او ليس اسقاطها للدرج
بل للتخفيف فهى بيقاء حركتها فى حكم الثابت للابتداء به والميم بكون الحركة لغيرها فى حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم
واعترض بانه غير معهود فى الكلام وقيل هى حركة لالتقاء الساكنين التى هى الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت
خبير بان سقوطها مبنى على وقوعها فى الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقتى موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات
الهمزة على حالها كما فى الوقف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها
همزة الوصل ويحرك اجتزاءا بالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح
وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر واقراء
او بخوها واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم والجر بتقدير فعل القسم حرفه فلا مساغ لشئ منها لما ان ما بعدها غير
صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدا وما بعده جمله والجملة مستانفة اى هو المستحق للمعبودية لاغير وقوله
تعالى الحى القيوم خبر آخر له او لمبتدا محذوف اى هو الحى القيوم لاغير وقيل هو صفة للمبتدا او بدل منه او من الخبر
الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدا والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على
اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما عرف من ان معنى الحى الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه
بدونها وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم فى ثلث سور فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى
القيوم وفى آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم وروى ان بنى اسرائيل سألوا موسى
عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحى القيوم ويروى ان عيسى عم كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حى يا قيوم ويقال
ان آصف برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقوئ الحى القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عم كان ربانيا فانه
روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة منهم
الكبار اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم
وثالثهم حبرهم واسقفهم صاحب مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه
واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده فى دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن
علقمة الى جنبه فبينا بغلة الى حارثة تبزاذا عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له
ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخى قال انه والله النبى الذى كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا
قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك فى قلب كرز وامضه الى ان
اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب و
اردية فاخره يقول بعض من راهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا يصلون
فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى
هو الله لانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو
ابن الله اذ لم يكن لاب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا
قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون له ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم
تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل
شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عم فعل عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال لهم الستم تعلمون ان الله تعالى لا
يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا فقال لهم



انتم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف يشاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عم الستم تعلمون ان
عيسى عم حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدا ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب
ويحدث الحدث قالوا بلى قال عم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة
الى بضع وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذى فيه يمترون نزل عليك
الكتاب اى القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية افراده فى حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان
يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التعريج باسمى التورية والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم و
تقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر آخر من الاسم
الجليل او هى الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الحى القيوم اعتراض او حال وقوله عز وجل الحى القيوم صفة او بدل كما مر وقوئ نزل عليك
الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ ان تكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اى نزل الكتاب
من عنده بالحق حال من الفاعل او المفعول اى نزله محققا فى تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل فى احكامه او
بالصدق فى اخباره التى من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفى وعده ووعيده او بما تحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة
مصدقا حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب
فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف حال بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنع تعدد فقيل انه حال من محل الحال الاولى
على البدلية وقيل من المستكن فى الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير القيام به مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل
حال فهى حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حينئذ اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان
بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما لما بين يديه مفعول المصدق واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اى
مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه اياء الى حصولها وكمال ظهورها بحيث لا يختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لاريب فيه واما
والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا فى ابناء الانبياء عليهم السلام
وكذا فى نزوله على النعت المذكور فيها وكذا فى الشرايع التى لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لاريب فيه واما
فى الشرايع المختلفة باختلافها فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى
خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللايقة بشانهم وانزل التورية والانجيل تعيين لما بين يديه و
تبيين لرفعة محله تاكيد لما قبله وتمهيد لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة وبهاء ويزداد فى القلوب قبولا
ومهابة ويتفاحش حال من كفر بها فى الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اى انزلهما جملة على
موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر الان الكلام فى الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبرى
والثانى سريانى ويعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والنصدى لاشتقاقهما من
الورى والنجل تعسف من قبل متعلق بانزل اى انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتعرض بوصف ظهور الامر للمبالغة فى
البيان هدى للناس فى حيز النصب على انه علة للانزال اى انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اى انزلهما
حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اى ذوى هدى ثم ان اريد
هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس للامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما
على الاطلاق وهو الاسنب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرايع المنسوخة من الامور التى يصدق بها
القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبى صلى الله عليه وسلم تعم الناس فاطبة وانزل الفرقان الفرقان
فى الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر
منها ولما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص مشاهيرها بالذكر كما فى قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله
تعالى وفاكهة وابا نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال
تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله سبحانه فلما جاءه نادينا هودا والذين معه برحمة منا وانجيناهم

من عذاب غليظ ولما اقر بورقانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة عن الشر والفساد
وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرايع وشيوع اقترانهما في الذكر
واما القرآن فلم يسبق ذكر بعنوانه ولا طمأنه بل صرح باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا انزيله التدريجي الى الارض وثانيا
انزاله الدفعي الى السماء الدنيا اوارد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه ولما المخرات المقرونة بانزال
الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل ان الذين كفروا بايات الله وضع موضع الضمير العايد الى ما تقدم من الكتب المنزلة
او منها ومن المخرات الايات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لخشية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد و
ايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب
بمقام المحاجة منهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اى ان الذين كفروا بايات الله الناطقة بالحق لاجلها
لتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة
وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا بايا تها الناطقة
بالتوحيد والتنزيه وآيا تها البشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها لهم بسبب كفرهم بها عذاب
شديد رفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتدا والجملة خبرها والتنوين للتفخيم اى اى عذاب شديد لا يقادر
قدره وهو وعيد جي به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما يفيض ذلك من الكتب الالهية جملا على القبول
والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن
اوان جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه كجنايته والجملة اعتراض تذييلي تقرر
للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته
بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية
لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات
الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل باذكر لعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء
ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة
خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية
الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اى لا يخفى عليه شئ ما كائن في
الارض ولا في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم
لانها قطراه وتقديم الارض على السماء الاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي
من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستتبعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام فيوميته تعالى وجريان احوال المخلوق في اطوار الوجود حسب
مشيته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء وقبل دخولها تحت الوجود ومرة بعد مرة وجوب
علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف
وقع حالا من ضمير المفعول اى يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف ممثول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من
فاعل يصوركم كائنا على مشيئة تعالى اى مريدا او من مفعوله اى يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول
الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة
والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو جلة ابناء
النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة
الماضي من التفعل اى صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشئ مما ذكر من الشئون الفظيعة الخاصة
بالالوهية احد ليتوهم الوهيته العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط

البديع هو الذي انزل عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشئة مما نطق به القرآن في نعت عيسى عم بطريق
الاستشهاد باثر بيان اختصاص الربوبية وما طمأنه سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا لملكوته تابعا
لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم
بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة
بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه و
لام الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق
الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لاجله بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة فيتمكن لديها
عند ورود عليها فضل تمكن ويتصل به تفخيم الى تفخيم منه ايات الخ خبر وآيات مبتداء او بالعكس تاويل
وتحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني اوفق في جزالة اللفظ اذ
المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكيرهما والجملة مستانفة او في حيز
النصب على الحالية من الكتاب اى هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اى منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف
هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية محكمات صفة آيات اى قطعية الدلالة على المعنى المراد لحكمة العبارة
محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والافراد
بمعنى في كما واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما
قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصالة كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة
آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلنا ها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف
الحشرى فاعظارها فيفض واما جلدها فصليب اى واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات
اى وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول من الآخر او من آخر متشابهات صفة لاخر
وفي الحقيقة صفة للمحذوف اى محتملات لمعان متشابهة لامتياز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها و
لا تتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني ووصف به الآيات على
طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها حكم
كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله
ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم
على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي ينبط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها ثقاب الفوائد
في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللايقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين و
الاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل ام كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ
او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لا نطوائها على دلائل الحكمة البالغة ووثاقتها وقوله تعالى
كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اى يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما
الذين في قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين
وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدوله عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه
منه يعرضون عن المحكمات اى يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا يحق بالحق بعد الايمان بكونه من
عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومنا قضة المحكم
بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تاويله اى وطلب ان ياولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال
انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون
باعتبار العلة الاخيرة اى يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه لمن عباده

الراسخين في العلم اى الذين تبحروا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في حزال الاقدام وفي تقليل الاتباع بابتغاء تاويله وتحريد
الطاء ويل عن الوصف بالصحة او الحقيقة ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شئ وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لانه
تاويل غير صحيح قد يعوز صاحبه ومن وقف الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون
آمنا به اى بالمتشابه وعدم التعرض لاعيانهم بالحكم لظهوره او بالكتاب في الجملة على الاول استيناف موضح لحال الراسخين
او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد اى
كل واحد منهم ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او اعاد به وبحقيقته على مراده تعالى
وما يذكر حق التذكر الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عما لكون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من
جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للابتداء الى تاويله من تجرد العقل
عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها
الى مريم وروح منه على وجه الاجمال ويجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل
لا تقتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء الله اقامه على الحق وان شاء
ازاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اى الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان
بالتمسين وبعد بلا تزغ على الظرفية اذ في محل الجر باضافة اليه خارج من الظرفية اى بعد وقت هدايتك اياانا و
قيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الى الآخرين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف
هو حال من المفعول اى كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان
او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند فقد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان و
تضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنقض البرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى العصير ولا تقطع عن الاضافة بحال و
الكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان ولينتا قرابة ذي رحم
و لاحق مسلم اى من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكرنا هاه لدن انت يافع والى الجملة
الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمونا وفاتكم فلايك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين
الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتاخير المفعول المترتب عن الجارين
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده كما عند
الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا اورد ما يمكن عندنا فضل يمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول
وانت اما مبتدا او فصل او تاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب فيه دلالة على ان الهدى والضلال من
قبله تعالى وانه متفضل بانعم به على عباده من غير ان يجب عليه شئ ربنا انك جامع الناس اى لحساب يوم او لجزاء
يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتعليقا لما يقع فيه لا ريب فيه اى في وقوعه ووقوع ما فيه من
الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانما المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما
هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل المضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء
الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب
الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية
للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات وسمي به
الوعيد وجيء بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان
الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القرآن العظيم وكيفية

ايمان

ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وقد
نجران واليهود ومن قرظة والنظير او مشركو العرب لن تغني عنهم اى لن تنفعهم وقوى بالتذكير ويسكون الياء جدا
في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم
يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما لمراعاة
الاولاد في كشف الكروب اولان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى
شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني
من الحق شيئا اى بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده بدلك اى بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته
مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول سوالي بتقطيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى
واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله اى اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر
به فان اريد بيان حالهم عند التسعير فاثبات الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة
حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال
تلبسهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون خبر الفصل والجملة اما مستانفة مقرر لعدم الاغناء او معطوفة
على خبران واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار
بضم الواو وهو مصدر اى اهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله
في معنى الشان والحال والعادة وحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف وقد جوز النصب بان تغني او بالوقود اى لن
تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقدهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الدأب انما هو التكذيب و
الاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راي المجوز ولا ايقاد النار فيحمل على
التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى
واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استيناف لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اى دأب سوء الا في الكفر
وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اى من قبل آل فرعون من الامم الكافرة
فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا بآياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستيناف
البنى على السؤال كانه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل
بهم اى فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجد وا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا
الى حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اى دأب هؤلاء كدأبا ولئك وقد كذبوا الى آخره واياما كونه
خبرا من الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للحري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا
باظهار الجلالة للربية المهابة واوخال الروعة بدلوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تاكيدا
لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة متعلقة بمحذوف
ذنوبا آخر اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في
الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلوا اى تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون
ما قبله من الاخذ وتكلمة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود وبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة
لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي المبشر به موسى وفي
التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم و
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فجمعوا
امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله

عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اى قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وسمي اوضح شواهد النبوة واما ما روى عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزولها بعد وقعة بدر وتحشرون اى في الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه وعيد آخر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارة كانه قيل آه اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استيناف للتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد هو او ما عهدوه لانفسهم فذكان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول الامور بان يجاب به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والخلاف بينكان على انها ناقصة ولتوسط بينها وبين اسمها تركك الثنايا كما في قولك ان امرأة غرة منكق واحدة بعدى وبعدك في الدنيا المغرور على ان الثنايا ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى والله قد كان لكم ايها المغترون بعددكم وعددكم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اى في فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بقوتها وقد لقيها ما القيها فسيصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اى تلاقيا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدا محذوف اى احديهما فئة كما في قولك اذا مت كان الناس حزبين شامت واخر مثن بالذي كنت اصنع اى احدهما شامتة واخرى مثنية وقولك اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بمحالهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه الدار في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثيرا وقوي يقاتل على تاويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اى وفئة اخرى انا نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المتقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدا المحذوف واتمام توصيف هذه الفئة بما يقابل الفئة الاولى استقلالا لفصلهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدها صفة فلابد من ضمير محذوف عايد الى المبدل منه مستوف لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدا وما بعدها خبرا اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدا وحذف الخبر اى منهما فئة تقاتل الخ وقوي فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لابد من ضمير عايد الى المبدل منه وسيجيء بدلا تفصيليا كما في قوله كنت غرة وكنت لدى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقوي فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفا ما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا لا رجلا سوءا اى يرونهم اى يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى واثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبنية لكيفية الآية مثليهم اى مثلى عدد الرائين قويبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير من اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفوات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلى عدد الرائين اى ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين وباقيان

وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد وستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم عدوا لهم منهم حسبما ذكرناه كما ايدهم بالملئكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند تراآئهما ليجترءوا عليهم ولا يحترزوا من اول الامر حتى يجيئهم الحرب وقتيل يرى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليستشجعوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روى ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعيننا حتى رأيتم عددا يسيرا الا قل من انفسهم فقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلوا ريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكثرة بارائهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واوجب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكثرة المشاهدين للحال وكذا اتحاد الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سوغ وجعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس بذلك يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل الا ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرح به فظاهر لا سترة به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة ثم التي تكلموا في التعبير عنهم بفئة مبهمة اشارة وموصوفة اخرى ثم اسند المشاهدة الجميع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت فالاداعي اليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهر هذا وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس بنقض في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لاسيما بعدما وقع بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لفرض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحة وسداده وقوي يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اى يريهم اويريكم الله تعالى كذلك رأى العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اى يقوي بنصره من يشاء او يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصرة وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقررا لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالة صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستانف سيق لبيان حقارة شان المحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد هنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات وايذانا بانها كلهم في حبها

حيث اجبواشهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالها فان الشهوة مستزذلة مذمومة من صفات البهايم و
المزين هو البارى سبحانه وتعالى او هو الملائكة بجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة وسيلة الى
بقاء النوع وايثار صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان سياق
الآية الكريمة على انهاء وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فسب تزيينها الى الشيطان من النساء
والبنين في قبل النسب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لغرابتهم
في المعنى الشهوة فانهن جائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في جنهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو
المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملؤ مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الفا مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل
مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل ديه النفس
واختلف في ان وزنه فعلال او فعلال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتاكيد كقولهم جرة بدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة
وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة المغروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال
والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وتسومشق
من الخيلاء المسومة اى المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومتها اذا ارسلها وسيبها للرعي او
المطهمة التامة الخلق والانعام اى الابل والبقر والغنم وحرث اى اذرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اى المذكور من الاشياء
المعهودة متاع الحيوة الدنيا اى ما يتمتع به في الحيوة الدنيا ايا ما قلائل سريعا فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن
المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عداه حميدة وفي تكرير الاسناء وتجعيل الجلالة مبتداء واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة
وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم اثر ما بين شان مرغوبات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل
ذلك المجمل للمبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اى اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم
وابهام الخير لتفخيمه شانه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات
مبتدا والجار خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على فعل او محله والمراد
بالمتقوى سواء التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها
من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى
الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتداء محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات
بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك خبرا آخر للآخرين تجري
في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار
كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله
خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة عطف
على جنات اى مبراة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله
من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اى رضوان اى رضوان لا يقادر قدره
كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال
الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفي اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا انا آمنا
في محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات فقيل هم الذين
الخ او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير

بالعباد جمع معترضة وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفاية في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير
كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر
هو الصبر على شاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم و
القانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار
قال مجاهد وقتادة والكلبي اى المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا
الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحر فاقول لا فيعاود
الصلوة فاذا قلت نعم فقد استغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا
في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة جامعة للاشق والانفس
اصفى والروح اجمع لاسيما للمتهجدين وتوسيط الواوبين الصفات الممدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها
او التغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اى بانه او على انه لا اله الا هو اى بين وحدانيته بنصب
الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة
الاستعارة ايذانا بقوة في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما اجراء شهد مجرى قال واما بجعل
الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الذين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله
بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وما له الرفع على المدح اى هم شهداء لله
وهو اجمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملئكة عطف على الاسم الجليل لحمل الشهادة
على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقروا بذلك واولوا العلم اى امنوا به واحتجوا عليه
بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة
وارتفاعها على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة
النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملئكة واولوا العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه ان يكون ارتفاعها
بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اى والملئكة واولوا العلم شهداء بذلك وكك ان تحمل القراءتين على المدح بقيا
ورفعا مع ما فيه من الايذان باصالة تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو
الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اى لا اله قائما
الا هو والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ
القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينها كما في الصفة او على انه خبر لمبتدا محذوف وقرئ قيما بالقسط لا
اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم بعد اقامة الحجة ويجري عليه قوله تعالى
العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعها على البدلية من
الضمير او الوصفية للفاعل شهد او الخبرية لمبتدا محذوف وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة
فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم
اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة

خورن سجدا وقيل نزلت فى نصارى نجران وقال الكلبى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصر المدينة قال
احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخل عليه عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام
انت محمد قال عليه السلام نعم قالا وانت احمد قال نعم انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شئ فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك
قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله تعالى فانزل الله هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين عند
الله الاسلام جملة مؤكدة مستأنفة للاولى اى لادين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة
وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وقرئ ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين لا
على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه
على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام
الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له للزيادة تقبيح حالهم فان
الاختلاف من اوتى ما يزيله ويقطع شافة فى غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ
من اعم الاحوال او اعم الاوقات اى وما اختلفوا فى حال من الاحوال اى فى وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق
الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالغة النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على تراخى
حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم
اى حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بايات الله اى بآية من الآيات الناطقة
بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او بآية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه
دخولا اوليا فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اى ومن يكفر بآياته فانه تعالى يجازيه ويعاقبه
عن قريب فانه سريع الحساب اى يأتى حسابه عن قريب اويتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة و
فى ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول
الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغى والدلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك اى فى كون الدين عند الله الاسلام
او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهى اى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى وانما عبر عنها بالوجه لانه
اشرف الاعضاء والظاهرة ومظهر القوى والمشاعر وجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى
كل شئ لله لا اشرك به غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات وارسل عليهم السلام ومن
اتبعن عطف على المستكن فى اسلمت وحسن ذلك لكمال الفصل الجارى مجرى التاكيد بالمنفصل اى واسلم من اتبعنى ومفعول معه
وقل للذين اوتوا الكتاب اى من اليهود والنصارى ووضع الموصول موضع الضمير لغاية التقابل بين وصفى المتعاطفين و
الاميين اى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ءاسلمتم مبتعدين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات
ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فقل اسلمتم وعلمتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة ولم يدع من
طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فصل فهمتها على منهاج قوله تعالى فصل انتم منتهون اثر تفصيل المحاورات عن تعاطى
الخمر والميسر وفيه استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلمة الفجيعة مالا يخفى فان
اسلموا اى كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما فى قوله تعالى فان امنوا بمثل ما آمنتم به حتما لباب اطلاق اسم الاسلام على
شئ آخر بالكلية فقد اهتدوا اى فازوا بالحظ الاوفر وجوابه محذوف تعويلا على ما سبق وان تولوا اى اعرضوا عن
الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اى لم يفرط منك شئ اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على
ابلغ وجه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم
ليهود انتم تشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى انتم تشهدون ان عيسى
عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع
احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله اى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات

انا طقة بحقية الاسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم
الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائرين حول قتل النبى عليه السلام
لولا ان عصم الله عز وجل ساحة المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد والتقييد بغير حق للايذان
بانه كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس اى بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار
بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما فى الوقت عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد
عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ يا ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل
ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنى عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا وقتلهم
بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبران والفاء
لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال فى النسخ بان المفتوحة كما فى قوله
تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وكذا النسخ بكن كما فى قوله فوالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن يا قضى فسوف
يكون وانما يتغير معنى الابتداء فى النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا
فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة كما فى قولك الشيطان فاحذر عدو مبين
وعلى الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على تراخى مرتبتهم فى الضلال وبعد منزلتهم
فى فظاعة الحال والموصول بما فى حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوء
الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة والخزى فى الدنيا
وعذاب اليم فى الاخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من باس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما
وقع فى مقابلته للنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم
فى الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اى الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية على ان اللام للعهد
وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو
اعراضهم عن المحاكمة الى ما يوجب اليه النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه
بهم وكونه حقا من حقوقهم التى يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام
المبالغة فى تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذى اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار فى مقام الاضمار للايجاز
الاجابة واضافة الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف ببيان لمحل التعجيب منبئ عما سئل
نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول
ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن
زيد على اى دين انت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال فهلم لنا بينا
وبينكم التورية فابوا عليها فابيا وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب
الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على البناء للمجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام وعاداهم
الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق
بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل
ذلك اشارة الى ما مر من التولى والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل سبب انهم قالوا لن تمسنا
النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصى الا ايا معدودات وهى مقدار اعبادتهم العجل وزمن اعتقادهم على زعمهم
وهونوا عليهم الخطوب وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا عليهم السلام
يشفعون لنا وان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا من القبائح

ما ارتكبوا هم

فكيف رد قولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيحيق بهم من الاهوال اى تكيف حالهم اذا جمعناهم ليوم اى لجزاء يوم لاريب فيه اى فى وقوعه ووقوع ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كما مر غير مرة وفيه دلالة على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن لايخلد فى النار لان توفيه جزاء ايمانه وعمله لايكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لايظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم اليم عوض عن حرف النداء ولذلك لايجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزة ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله آمنا بخير اى اقصد بالخير بخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل مالك الملك اى مالك جنس الملك على الاطلاق لكما حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداما واحياء وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا مانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان اليم عنده تمنع الوصف توفى الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذى يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايتاء الذى موجزه الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اى ايتاءه اياه ونزع الملك ممن تشاء اى نزعه فالملك الاول حقيقى عام وملوكية حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فاضل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء ان تعزه فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله فى احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الجار للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا لقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما يقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتض بالذات ولما الشر فمقتض بالعرض اذ ما من شر جزئى الا وهو متضمن لخير كلى اولان فى حصول الشر وخلا صالجملة لانه من اجزية اعمالهم وانما الخير تفضل محض اولرعاية الادب اولان الكلام فيه فانه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجموا سألوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره فجاء عليه السلام واخذ المعول فضرب ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كان مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر فى ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شئ قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل فى النهار اى تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثانى وتولج النهار فى الليل على احد الوجهين وتخرج الحى من الميت اى نشئ الحيوانات من مواد تما اى من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحى اى تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب فى القرآن على ثلثة اوجه بمعنى العقاب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فمقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله بغير حساب معلقات بما بين وبين الله تعالى حجاب قلن يا ربنا تهبطنا الى ارضك والى من يعبدك قال اللهم

انى حلفت انه لايقرأ كن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه وسكنت حظيرة القدس ونظرت اليه عين كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لغرابة وصداقة جاهلية ونحوها من الاسباب المصادقة والمعاشرة كما فى قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقوله تعالى لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لايكون حبهم وبعضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة فى التجر وسائر الامور الدنيوية من دون المؤمنين فى موضع الحال اى متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستجلاب بذكره فليس من الله اى من ولايته تعالى فى شئ يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين مما لايكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوى ثم تزعم انى صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهى معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لاتتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا فى حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اى من جهتهم تقاة اى اتقاء او شيأ يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة مع اطمئنان النفس بالعداوة البغضاء وانتظار زوال المانع من قرض العصا واظهار ما فى الضمير كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتجه وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اى ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظة النفس مرادة الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققى المتاخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد مالا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا لا يطيق دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما فى صدوركم من الضمائر التى من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيجازيكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره فى تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما فى السموات وما فى الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم بالامر به عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة وتاهيل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شئ منها من العلم الذاتى المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لايخرج من ملكوته شئ قط يوم تجد كل نفس اى من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس فى حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر فى الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل فى الظرف المضاف تود وتتمنى يوم تجد محاضر اعمالها من الخير والشر او جزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اى بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفى اسناد الود ادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيئ او لا بل كانت متحفة فى الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه مالا يخفى اللهم انا نعوذ من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبنى على السؤال اى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا ودادة ان بينها وبينه امدا بعيدا وكان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا

يكون اذ ذاك فعل قول لوان ينبها الخ او بحذف مضاف على حذف من خبر وتوجد خبرا علت من سوء ولا يكون شرطية لان تنفع توبة وقرئ ووجدت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوضح معنى لانها حكاية حال ماضية او في القراءة المشهورة و يحذركم الله نفسه تكرير للمبتدأ واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فمن الله تعالى وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويتوءكم في جواره قد سر عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يحبب اليه بطاعته ويتوب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تعليل مقول لما قبله مع زيادة وعد الرحمة وفي وضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا قولهم مصدقا لقولهم من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام و جعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابرهيم واسمعيل وانتم تقولون قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شرعي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عم دخولا اوليا وايثارا لاظهارها على الافعال بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الطاعة المأمور بها اطاعة عليه السلام من حيث انه رسول لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اي تتولوا واما كلام متوقع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبيان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم السلام كافة واتبعه ذكر مبداء امر عيسى عم والله وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانها من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابرهيم عليه السلام وادعاءهم الانتماء الى ملته وبرأه ساحة العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نعى على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او الى عبادة غيرهم من الملئكة والنبيين وان امتهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول الله مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل وختم الطاعة لرسوله بما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر

لانه ابو البشر ومنشاء النبوة وكذا حال نوح عم فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلتغليب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستلزامهم نحو الاعتراف باصطفاء آله بواسطة كونه من زمرتهم مع ما فيه من التنبيه على كونه عم عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابرهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عم لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبته الاصطفاء الى الاب الاقرب دليل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابرهيم وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذا صفا من الشئ كالاستصفاء وقيل باختياره تعالى اياهم للنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيهن بالبس ونيشاء منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وتعليم الاسماء واسجاد الملئكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بال ابرهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمعلوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التعريج به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الحلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبال عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران مانان بن العاذار بن ابي هود بن رب بابل بن سالبان بن يوحيا بن اوشا بن اموذر بن ميشك بن حارفا بن احاد بن يونام بن عزريا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون بن ياعز بن نخشون بن عميادب بن دام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عم تحريا بالايراج في آل ابرهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام لانتظامه في سلك آل ابرهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمانهم كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وحوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليهم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامة قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة عمران في حيز النصب بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر تحرير اوجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها العليم بضمائر النوى وقيل هو ظرف لمضمر خوطب به الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ ولا يخفى ما في عطف الجمل دون عطف المفردات من الفخامة ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قصتها كقصة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى كما ستعرفه والما قوله عم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام مما ابناء خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عم ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت حرم من الاب والاخت حرم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت لها ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شرعهم فولدت حرم فكانت ايشاع اخت حرم من الاب وحالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة

اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتنيه ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها رب اني نذرت لك ما في بطني
لابد من حمله على المذكر لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضته
ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله
بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة للابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به واما عبر عن
المولود بما لابهام امره وقصوره عن مرتبة العقلاء حررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان آخر او مخلصا للعبادة ونصبه
على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ما في العلمة والعامل فيه معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا
يخفى ان الملائم لتقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي نذرتي
والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للمولود اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للمولود الذكر لعدم قبول
الانثى اكمالات السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير
وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها صحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه
تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم
عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما
وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العائد اليه بلا ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب
لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولدتها كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الهي انثيته لان ما في بطنها
كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالجملة او بالنفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا
لترتيب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر
من التاويل بالجملة او النسمة فالحال منه مبينة واما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقدير ما لما كانت ترجو
ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للترقي على اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى للموضوع
وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق بها من عظائم الامور وجعله رابعة آية للعالمين وهي
غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وسكنت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله
فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة المتكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال ليكون
ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح للنذر تمهل السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة
ولعل هذه الانثى خير من الذكر خوجه الالتفات ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم
الموضوع ورفع منزلة واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتمحل فيه كما لا تخفى كالانثى التي وهبت لها فاعد اثرة عليها وامنيتها لاشكاد يحيط بما فيها من جلائل الامور ذا على القراءتين الاوليين
واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فتصلح
تاكيدا للاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام
للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى و
استدعاء العصمة لها فان مريم في المعتمد بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهارها غير راجعة عن نيتها واما كان
ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلستكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف على اني سميتها
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في
موضعين بهدي اوقد آتوني اوفغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز العناية به من الشيطان
الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها

فان الله تعالى عصمها بهذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مرضيا ورضي بها في النذر وكان الذكر ربما كرها وجعلها الى الكمال
اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زايدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد
اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل
شعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من
كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى ايانا بما يقا
مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تشاهد وتصلح للسدانة روي ان
حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل
وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسب اقلامهم فتكفلها وقيل هو
مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل في
اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور
بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مقدر موافق له تقديرا فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا
لمصالحها قائما بتدبير امورها اما على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته لم في كفالتها وطمعه فيما
اتحلاهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ الكفلها وقرئ زكرياء بالمد والقصر وقرئ بتخفيف
الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب بها على الدعاء
اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في
المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كما انها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما
ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعابد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل
زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا غير معتاد او كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد
عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل
لما ذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم اني لك هذا من اين يجيئك لك هذا الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى
او اما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فباباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة
الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استيناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت
مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله
يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه
من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله
تعالى عنها اهديت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن
الطبق فاذا هو ملوء خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد
لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجمع اهل بيته
فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة سيقت في
تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايراد ما من تقرير ما سيقت له حكاية مريم من بيان

اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقربا، اولى على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف
للخطاب اى فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا
ربه لما راى كرامة مريم على الله تعالى ونزلتها منه تعالى رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة فى النجابة والكرامة على
الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها تنبه لجواز ولادة العاقر من الشيخ
الفانى فاقبل على الدعاء من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل الا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على
الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التى من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وفوت موالية جسما فصل فى
سورة مريم فقال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل لها من الاعراب رب هب لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب
لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتادا ذرية طيبة
كما وهبتها حنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اى كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع و
الذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث فى الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما فى قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى
وانت خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز
جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملئكة
كان المنادى جبريل وهم كما يفصح عنه قراءة من قرا فناداه جبريل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له غير
فرس وثوب قال الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملئكة وقيل لما كان جبريل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما
له وقيل الرئيس لابد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية
من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلى اما صفة لقائم او خبر ثان
عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعدده تا بلا عطف ولا
بدلية او حال من المستكن فى قائم وقوله تعالى فى المحراب اى فى المسجد او فى غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى حالا
من ضمير قائم لان العامل فيه وفى الحال حينئذ شئ واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبى كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك
يحيى اى بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار
ويشرك من الثلاثى واياما كان ينبغى ان يكون هذا الكلام الى تحكيما بعبارة من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى
الذين اسرفوا على انفسهم الا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام فى الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة
الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع فى سورة مريم للجرى على سنن الكبرياء كما فى قول الخليفة امير
المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك
بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى فى السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمى
وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انا سمى يحيى لان الله تعالى احيى به
عقر امه وقال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبى كان اسمه فى الكتاب الاول حيا ولابد من تقدير
مضاف يعود اليه الحال اى بولادة يحيى فان البشير لا يتصف بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من
الله اى بعيسى عم وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة كلمة اى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه و
قال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى
بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عم
بستة اشهر وقيل بثلث سنين قيل رفع عيسى عليه السلام بمائة وسبعة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة
بحازاء ما بين ان مريم ولدت وهى بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى
كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه وينوقهم فى الشرف كان فائقا

الناس فائقة فانه لم يهم بخطيئة ولم يهم بمعصية قيل لما من سيادته ما اسنا ها وحصورا عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس
وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على فاتله
مترتب على ما عد من الخصال الحميدة من الصالحين اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من
جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لابد منه
فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام واوحلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال
استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حين سمع فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادى لعلمه
انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع والمناجاة
وجدانى البتل اليه واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علم مجيئه بما يصدر عنه بتوقف على توسط كما يتوقف
وقوف البشر على ما يصدر عنه بسجانه على توسط فى عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه فى بعضها انى يكون لى غلام فيه
دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند البشير كما فى قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان
تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى كيف
او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او انى تقتضى
اسمها ظاهرا وخبرا اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغنى الكبر حال من
ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن واخذنى كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من
طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل ثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون
وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وللمراة ثمان وستون
وامراتى عاقر اى ذات عقر وهو ايضا حال من ياء المتكلم او من ياء بلغنى اى كيف يكون لى ذلك والحال
انى وامراتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عم مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد
مشاهدة عليا السلام للشواهد السالفة استعظاما لمقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بانعمه عز وجل عليه فى ذلك لا
استبعادا له وقيل بل كان ذلك لا استبعادا حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو
بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استيناف كما سلف كذلك اشارة الى المصدر يفعل ما قوله عز
وجل الله يفعل ما يشاء اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل المارقة للعادات فالله مبتدا ويفعل خبره و
الكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل يفعلا مثل ذلك الفعل العجيب و
الصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر قدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو دونى من المشار
اليه واعتبرت الكاف معه لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقدر محققه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اى يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او فى محل الرفع على انها خبر والجملة مستانفة
اى على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء وبيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدا محذوف
اى الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى على تحقق المسئول و
وقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من
حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ هو يظهر
ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب
تعيينها لقوله تعالى فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون المجاوبة بين زكريا وقومه
فى حالة كبر ما وقد عدت من جملة من تكلم فى الصغر بموجب قولها المحكى والجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم لما
مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين
اولهما آية وثانيهما لى والتقديم لانه لاستوجب لكون آية مبتدا عند اخلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى التقديم الجار فلا يغير

حالها بعد دخول الناسخ قال آيتك الا تكلم الناس اعلان لا تقدر على تكليمهم ثلثة ايام اى متوالية لقوله تعالى فى سورة مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آية ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره فضاق لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اى اشارة بيد او رأس او نحوهما واصله التحرك يقال ارمز اى تحرك ومنه قيل للبحر الرامز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد ما فهم منه المرام ولا ريب فى كون الرمز من ذاك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبفتحتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى تترامزين كقوله منيما تلقنى فرديين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اى فى ايام الجدبة شكر الحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اى ذكرا كثيرا اوزمانا كثيرا وسبح اى سبحه تعالى او افعل التسبيح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى وثاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى كما ان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملئكة شروع فى شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى بعض فضائل بعض افاربهم اعنى زكريا ويحيى عليهما السلام استدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملئكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعنى قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب بنا صيغة براى واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملئكة يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر حريم وهم وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها وارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفيك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربأك فى حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اى مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغى ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عم لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقبال بالذكر ولو روعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال فى ترتيب النظم الكريم اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ذكرا ولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عم ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعة والعبادات حسبما اعربت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى منقطعة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا فى العمل بموجبه اقنتى لربك اى قومى فى الصلوة او اطيلى القيام له فيها والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالة وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقبح مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعى بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع فى صلوتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغاية التصحيح لا الترجيح وبتجريد الامر الاخير عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما فى قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والانجذاب قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره

قوله تعالى من انباء الغيب اى من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب ما متعلق بنوحيها وحال من ضميره اى نوحى من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحى لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اى عند الذين اختلفوا واو بنا زعوا فى تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى الآية وما كنت ثاويا فى اهل مدين الآية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تحقيقا بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل فى لديهم واقلامهم اقداحهم التى اقترعوا بها قيل اقترعوا بها اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقون ينظرون او يعلمون ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اى فى شانها تنازعا فى كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما فى قوله عز وجل لكن اعلم بما يستمعون اذ يستمعون اليك واذهم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغير الترتيب فى الذكر مؤكد له اذ قالت الملئكة شروع فى قصة عيسى وهو بدل من اذ قالت الملئكة منصوب بنا صيده وما بينهما اعتراض وحى به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتفاوت الخطابين اوتقاربهما فى الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصيده وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا فى ذلك الزمان المزيد الذى وقع فى طرفه الاختصام فى طرف آخر منه الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال الحريم من اولها الى آخرها والقائل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع للمبالغة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة للكلمة اى بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ وخبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار اعنى مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى قيل المراد بالاسم ما يتميز المسمى عن سواه فالجزء مجموع الثلثة اذ هو المميز له عليه السلام عما عداه والمسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتقدى لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليها السلام او مسح الارض ولم يقم فى موضع او كان عليه السلام يسيح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان فى لونه عيسى اى بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها فى الدنيا والاخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان تتصف بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة ومن المقربين اى من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملئكة وهو عطف على الحال الاول وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس فى المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى اى يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا وهو المراد وكهلا بعد نزوله وفى ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه يعزل من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير بكلم قالت استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت الملئكة ما قالت فقيل قالت متفرعة الى ربها رب انى يكون اى كيف يكون او من اين يكون لى ولد على وجه الاستبعاد العادى والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون امتامة وانى واللام متعلقان بها وتأخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر

ويجوز ان تعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولدا ذا لتوا خر لكان صفة له وانما قصته واسمها ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا كما مر او خبر ان اني بنصبا على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل سواء الله تعالى او جبريل هم كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بيننه خلافا ان اريد بخلق ههنا ما كان يفعل حقا كما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان ذلك الخلق المبني عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية التعلقية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لاغير فيكون من غير ريث نهو كما ترى تمثيل لكمال قدرة تعالى وسهولة تاتي المقدورات جسما يقتضيه مشيته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتوراة والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما واتاقتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا وسيق تطييبا لقلبها وازاحة لما احتمل من خوف الامة لما علمت انها تلد من غير زواج وقوئ ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يقول اليه المضي معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوشع عليه السلام وآخرهم عيسى عليه السلام وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم اليه وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونها وجيها ورسولا ناطقا باني اليكم وقوئ ورسولا بالرفع على كلمة هذا الباقي في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقوئ بايات او بخشكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او آتيتكم آية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين بهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني اياه وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اني اخلق لكم وقوئ بكسر الهمزة على الاستيناف اي قدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل هيئة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير وقوئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيار كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لانه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا هو غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز عن خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لانه ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم يكن الكوب تنفر من شئ نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما اعيا الاطباء و

كانوا

به اذ اتى غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه اكمه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه الالهية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بدعائه فبينما هو يوما في الكتاب اذ قام صبي من الصبيان ميتا فقال امي عازر وكان صديقا له فعاش وولد له وقام على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر احيا ابا نوح بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال وتولى على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال له كيف شبت ولم يكن فينا شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فاله عن النزع قال يا روح الله دعوتي وانا لم اذهب من منجني وكان بينه وبين موته من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا انما سحر فازمانا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك هو له وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشاهدون فيها وقوئ تدخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقوئ لايات لكم دالة على صحة رسالتي واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه ودلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم من يتاتى منهم الايمان دلكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على المقر الذي تعلق به قوله تعالى باية اي قد جئتكم ملتبسا باية اني ومصدقا لما بين يدي او على رسولا على الاوجه الثلثة فان مصدقا فيه معنى النطق كاني رسولا اي وبجعله مصدقا ناطقا باني اصدق اليكم او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق اليكم او مصدقا اليكم او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق اليكم او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا اليكم وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضمير المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المتضمن الظرف ونفس الظرف لنيابته مقام الفعل ولاحل لكم معمول المضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل وقيل عطف على معنى مصدقا كانه قيل جئتكم معتذرا ولاجلب رضاه كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل لكم الا وقيل عطف على باية اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صئصئة له واختلف في اخلال السبت وقوئ حرم على تسمية الفاعل وسوما بين يدي او الله عز وجل وقوئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لان النسخ في الحقيقة بيان تخصيص في الازمان وتاخير المفعول من الجار والمجرور لما قرر امن المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى الاخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقوئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها وفي مخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم خاتمة الحق الفرج الذي اجمع عليه الرسل خاطبة فيكون آية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقوئ ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية بعد آية بما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد وعن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقرير بها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما اوعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الا ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غاية التوحيد فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهور له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملئكة والفاء فصيحة تفصح

عن تحقق جميع ما قالته الملئكة عليهم السلام وخروج من القوة الى الفعل جميعا ترجمة كما في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله تعالى
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملئكة
وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها
او لعدم مناسبتها لمقام البشارة ولما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته للمكائد والمراد بالاحساس الادراك
القوى الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم وتكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عم كما ينبئ عنه الاحساس
فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها
يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اى ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على
المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر قال ابو الخاص
اصحابه لا الجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة ليس بنبئ في توجيه الخطاب الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصاري الانصار جمع نصير كاشراف
جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من انصاري متوجها الى الله تعالى ملتجأ اليه او بانصاري
مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل بنصرتي وقيل الى بمعنى في اى في سبيل الله
وقيل بمعنى مع قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال
الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اى صفوة وخاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن ونقائهن بها اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما ودعا الناس عليه وكان عيسى عم على قصعة لا
يزال ياكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عليه السلام عيسى بن مريم فترك
ملكه فتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فلهم شعشعة و
يعضده ويوضحه قولهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فاذا تبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحجة
الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما
اصطاد شيئا فامر عيسى عم بالقائها في المرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا
باهل سفينة اخرى وملاوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عم وقيل كانوا اثني عشر رجلا آمنوا به عليه السلام واتبعوه
وكانوا اذا جاعوا قالوا لجنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها كل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا لجنا عطشنا
فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسب
فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشغل بعض مهماته
فقال له عليه السلام مهما شئت ثياب مختلفة قد جعلت كل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فقال فجعل عم كلها
في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فخرج الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر
فجعل يخرج ثوبا اصفر وثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا على الوان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا
به عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي
السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عم واعوانه
والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله آمنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله
فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان
منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبا لمرضاته وعم الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لامهم وعليهم ايذانا
بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا امنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على
الرسول مبالغة في اظهار احرصهم واتبعنا الرسول اى في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في السفرة

دخولا اولى فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع
امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا اى الذين علم عيسى عم كفرهم
من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عم والقى شبهه على قصد اغتياله حتى قتل والمكر من جانبه
انما في الاصل حيلة يجلب بها غيره لما فيها من مضرة لا يكون اسناده الى الله سبحانه الا بطريق المشاكلة روى عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عم امره جبريل عم ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة
الى السماء فقال الملك لرجل جيء منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس
في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك
ويبيعني برراهم بيسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فنافق احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح
فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل شبهه عيسى عم ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول
انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها
امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عم وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عم فجاءهما فقال
على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله قد رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شئ شبه لهم قال محمد بن اسحق ان
اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عم ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان
رجلا من بني اسرائيل عن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويفعل ما فعل فقال
لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى عم فاخبروه فبايعهم على دينهم
وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم
ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى وملا بيت
في مدينة بيت المقدس جرا على جر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عم وهي بنت
ثلث عشرة سنة وولدته بيت لحم من ارض اوري شليم لخمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل وادعى
الله تعالى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاش
انه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية الهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو
وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك ومتوفك الى اجلك المسمى عاصمك من قتلهم او قابضك من
الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روى انه رفع وهو نائم وقيل مميتك وقيل مميتك بعد النزول من السماء
ورافعك الآن او ممتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم
رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى وقال القرطبي والصحيح انه تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن
زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه واصل الفقة ان اليهود لما عزموا على قتله عم
اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من شكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جميع اليهود فركب
منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل يكون معي في الجنة فقال واحد منهم
انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازة والقى عليه شبه عيسى عم فخرج على اليهود
فقتلوه وصلبوه واما عيسى عم فكساه الله الريش والنور والبهاء النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله
تعالى اني متوفيك فطار مع الملئكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان فينا ثم صعد
الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة
اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان

الكافرتان فقتلوهم فلم تزل الاسلام منتشرا الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الى اى الى محل
كرامتى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا اى من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين
اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبى ومقاتل والكلبى هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه
عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير سيرتهم
من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالغرة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغى ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين
بحكم الاتحاد فى الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاى ولبك
الكفرة بمعزل من اتباعه ع م الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر فى الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية يبقيان
حينئذ ويخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعد ما يفعل الله بهم ما يريد ثم الى
مرجعكم اى رجوعكم بالبعث وثم للتراخى وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام
وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب فى ضمن الالتفات فانه ابلغ فى التبشير والانذار
فاحكم بينكم يومئذ اترجوعكم الى فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان حال الكفرة لما
ان ساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى فى الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع
كل واحد من التعذيب فى الدنيا وللتعذيب فى الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المراجع اعم
من الدنيوى والاخروى وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود ولا عن
الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم افلع عليك بخلعة ثم تاخر الخلع عن الاعارة لا عن
الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله فى الدنيا والآخرة وصيغة الجمع بالمقابلة بضمير الجمع اى ليس لواحد منهم
ناصر واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو دين المؤمنين فيوفيهم اجورهم اى يعطيهم
اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال
وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اى بتعذيبهم فان هذه الكناية فاشية فى جميع
اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم يكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود وواضعون للكفر
مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من بناء عيسى ع وما فيه من معنى البعد للدلالة
على عظم شانه المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف وعلى كونه فى ظهور الامر وباهرة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا
وقوله عز وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الآيات حال من الضمير المنصوب او
خبر بعد الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا او مضمر اى الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اى المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد
به القرآن من تبعيضية او بعض مخصوص منه لمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ لمن ابتدائية ان مثل عيسى اى شانه البديع
المنتظم للغرابة فى سلك الاشكال عند الله اى فى تقديره وحكمه كمثل آدم اى كحالة العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا
ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه وجسم
المادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى ع بلا اب من اعترف بخلق آدم ع بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق ابينا آدم
من تراب ثم قال له كن اى انشاءه بشرا كما فى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر وقدر تكوينه من المركب ثم كونه
ويجوز كون ثم للتراخى الاخبار للتراخى المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء
البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فنزل
عليه السلام ان آدم ع ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق

من ربك خبر مبتدا محذوف اى هو الحق اى ما قصصنا عليك من نبا عيسى ع وامه والظرف اما حال اى كائنا من ربك او خبر
ثان اى كائن منه تعالى وقيل هما مبتدا وخبر اى الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم
ولطف به فلا تكن من الممترين فى ذلك والخطاب اما للنبى ع على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان
الامتراء فى المحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية
الخطاب ممن حاجك اى من النصارى اذ هم المقصودون بالمحاجة فيه اى فى شان عيسى عليه السلام والله زعما
منهم انه ليس على الشان المحكى من بعد ما جاءك من العلم اى بوجه ايجابا قطعيا من الآيات البينات ومعاذ لك
مما تلم برعوا عاهم عليه من الغى والضلال فقل لهم تعالوا اى هلموا بالرأى والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم
الخ التفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اى ليدع كل منا ومنكم نفسه واعز اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحلهم عليها وتقديمهم على النفس
فى اثناء المباهلة التى هى من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر بنفسه ويحارب دونهم للايذان
بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر فى تقديم
جانبه عليه السلام على جانبه المخاطبين فى كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل فى الصيغة فان غير المتكلم تبع له
فى الاسناد ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من
قولهم بهلت الناقة اى تركتها بلا احرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روى انهم
لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رائهم يا عبد المسيح ما ترى فقال و
الله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط
فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى
خلفها رضى الله تعالى عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى
لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى
يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم
فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال فانى انابذكم على سواء
العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة
الف فى صفر والف فى رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك
قد تدلى على وفد نجران ولو لاعنوا المسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران
واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا اى ما قص من بناء عيسى ع
وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل وحلية اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر
واصلها ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره و
الجملة خبر ان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيد الرد على النصارى فى تثليثهم وان لله هو العزيز
القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية
فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله
عليم بالمفسدين اى بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذى لا يحيد عنه بعد ما
قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل
خطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب

وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا ارباباً من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الا جابرا فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشرا مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال فذاك هو ذاك قال تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك تقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعضهم دعوا الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا أمر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابرهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم ويزعم كل منهم انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرلت والمعنى لم تزعمون انه كان منكم وما انزلت التوراة على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يكون ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مزعمكم او تقولون ذلك بطلان ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشياص الحمقى حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابرهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله او انتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة ها والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيأ من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تقرير لجانطي بالبرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقايد الزايغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان عاملا بالاسلام والا اشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم عاملة عليه السلام ان اولى الناس بابرهيم اي اقربهم اليه واخصهم للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم في اكثر شرعه لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الضمير اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ول المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم للنبي عليه السلام بدلالة النص ودت طايفة من اهل الكتاب ليضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو يعلمون ان ما يضلون الا انفسهم جملة حالية بني بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما تخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا اشباههم او باله قوله ويأباه قوله وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تحريفكم وابراز الباطل في صورته او بالتعريض التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قولهم كما بس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون اي حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومقدموهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل على الذين امنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر آخره مرائين لهم انكم آمنتم بما بدا لكم من الرأي بعد ما تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما ما حولت القبلة آمنوا بما انزلت عليهم من الصلوة

الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تفاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تثقوا وابتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم اولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واتم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيدوا به ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل وخبر ان محذوف تقديره ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ أن يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي ابان يؤتى احد اخر مثل ما اوتيتم وقرئ ان يأتي ان نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو وضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير انبيائهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموا بالحجة الباهرة يختص برحمته اي بجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كل احد تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا الخ خبره قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان انقسامهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا وماتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عقاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب باد عائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوه فقالوا اسقط حقكم حيث تركتم ديننا وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عذنا ولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي ستدل بها مستدلا و العهد الموجب للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا اخلاق لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملئكة عليهم السلام او لا ينعمون بكلمات الله تعالى وآياته تعالى والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاهانة بهم والتسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من تجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان

وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرى المعنى الاحسان مجازا واقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق
بالفعلين وفيه تهويل للموعد ولا يزكيهم اى لا يثنى عليهم او لا يطهرهم من ادناس الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه
من المعاصى قيل انها نزلت فى ابى رافع ولبابة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت فى الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع فى بئر فاختصما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على
يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن
اشتراها به وان منهم اى من اليهود المحرفين لفريقا كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وامثالهما يلوون السنتهم
بالكتاب اى يفتلونها بقراءته ليميلوها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّون بالتشديد ويلوِن
بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اى المحرف الدال عليه يقولون
يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اى من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير
المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة التهكم
بالتورية والتعريض هو اى المحرف من عند الله اى منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدا فى الخبر
اى والحال انه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة فى تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى وتظهار
الاسم الجليل والكتاب فى محل الاضمار للتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون
ومفترون على الله تعالى وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود الذين فتنوا
كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب
الذى عندهم فكان كثير من الناس لا يعرفون كثيرا مما كانوا يقرأونه من صفة النبى صلى الله عليه وسلم ما كان لبشر بيان لافترائهم
على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى امرنا ان نتخذه ربا فاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اى صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا
بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهى
عن الاشراك والحكم الفهم والعلم والحكمة وسنى السنة للناس كونوا عبادا لى الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اى
عبادا كائنين لى من دون الله متعلق بلفظ عبادا والمانعة من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل الحالية لتخصص النكرة
بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز يتحقق فيهما قيل ان بابا رافع القرظى وسيدا
النجرانى قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اترى ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله تعالى وان نأمر
بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن كونوا اى ولكن يقول كونوا ربانيين الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كالنجانى والرقبانى وهو
الكامل فى العلم الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى بسبب مثابرتكم على
تعليم الكتاب ودراسته اى تواظبون فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددى وتكرير ما كنتم للايذان باستقلال
كل من استمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها اولان الخطاب الاول لرؤسائهم
والثانى لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كالاكرام بمعنى
الكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بحذف المفعول على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين ارباب وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى التحقيق بما يليق بشانه وتحقيق
صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به وتمتنع صدوره وانما قيل من انها غير مزيدة لما معنى انه ليس له ان يأمر بعبادة ولا يأمر
باتخاذ وكيف يأمر بالباطل ينهى عنه وهو اولى من العبادة فيقتضى بفساده ما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتغايرتين

ضرورة انهما فى حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايأمركم بالكفر فانه صريح فى ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصد الايذان
بانتفاء الاول بانتفاء الثانى وبعضده قراءة الرفع على الاستيناف وتجويز الحالية بتقدير المبتدا اى هو لا يأمركم
اى بين الفساد لما عرفت انفا وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب للمسلمين وسيم المستأذنون
للسجود له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه السلام اى اذكر وقت اخذه
تعالى ميثاقهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره
واذا كان هذا حكم الانبياء عليهم السلام فكان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم
عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم بنيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم
كان اخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف وما تحتمل الشرطية والموصولة ساد مسد جواب القسم والشرط وخبر المبتدا محذوف
لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل اتيانى اياكم بعض الكتاب ثم مجيئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه
او موصولة والمعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم اولما بمعنى اجل اتيتكم على ان
اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال اى الله تعالى بعد اخذ الميثاق اأقررتم
بما ذكر واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يوصى برعايته وقرئ بضم الهمزة وهى لغة فيه كعبر وعبر وجمع
اصار وهو ما يشد به قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فما ذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما
لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه
للملئكة وانا معكم من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك ونشاهدكم شاهد لا خال مع على المخاطبين
لانهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق
والتوكيد بالاقرار والشهادة فمع البعد فى اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار
المعنى كما ان الافراد فى تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على تراخى امرهم فى السوء وبعد منزلتهم فى الشر والفساد
اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكثرة فان
الناس من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اى يتولون فيبغون غير دين
الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب
على تقدير وقل لهم وله اسلم من فى السموات والارض جملة حالية معيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اى طائعين
بالنظر وابتاع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما لا يجئ الا الاسلام كشق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او
مختارين كالملئكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم واليه ترجعون اى من
فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بنا والخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد
والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان وجمع الضمير فى قوله
تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه نزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم اولان المنسوب الى واحد من الجماعة
قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله آمرهم بان
يتكلم عن نفسه على دين الملوك وتجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه هو الاصل فى
ذلك كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف لا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك الخ وقوله تعالى آمنوا
بالذى انزل على الذين آمنوا وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع

تقدم عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذرياتهم فانهم حفدة ابرهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الاتيا وعلى الاول الخاص بالكتاب وتخصيصها بالذكر لان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى اى وبما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كما نفرق نحن واليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقدر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله ومنه احدا اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناكس واما مبدلة من الواو ونون بمعنى واحد وعمومه لتوغعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيرهم كما في قول النابغة فما كان من الخير وجاء وساءها ابوجر الاليال تتابل اى بين الخير وبينى وتحن له مسلمون اى منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شركا فيها وفيه تعريض باهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اثر الكفر كاهل الكتابين دينا يتحمل به وهو نصب على انه مفعول ليبتغ لا غير الاسلام حال منه لانه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول وغير الاسلام حال منه لانه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل ذلك منه ابدا بل يرد اشد رد وأقبحه وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين في الخسران والمعنى ان المرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة المسلمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع وانتى واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه سيتفى قبول كل دين يفايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم اليهود قرئ ظلم والتغيير من وان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استيعادا لان يهديهم الله تعالى فان الهداية عن الحق بعد ما وضح له منهك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي و انكار لوقوعه ذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله اي فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان تكييف من جاء الحج وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بجامع من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد للايذان بتردادهم وبعد منزلتهم في الشر عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خبر والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم بعينهم ويفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة اساسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكفار ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يوقف الحي بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا اى ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل للادل عليه الاستثناء وقيل نزلت في حارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا اهل توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او نرجع اليه فنتافقه باظهار الايمان لن يقبل توبتهم لانهم لا يتوبون

الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لهم في صورة حال الآيسين من الرحمة اولئك توبتهم لا تكون الا نفاقا للارتداد وهم وازدياد وهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا ماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول التوبة زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه وهو ذهبا يميز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف و لو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مقدر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويزاد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم مر اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولا عتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم اوفي تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الفواصل ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اى لن تبلغوا حقيقة البر الذي تتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا اشاوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار ولن تنالوا البر الله وهو توبته ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اى في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية وبتوبيخ قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اى مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمعجبة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رابح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك قبل وفيه دلالة على ان زيدا وجد في نفسه قال لما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك قبل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر رضي الله عنه العزيز رض كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر اغار فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتحدثك نفسك بمالها قال جئت بها من بيت ابي عبد الملك فتفتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته فتفتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان بها هوى شديدا فقال لئن جزت حرة لوجه الله فقالت يا امير المؤمنين وقد اردت عن امر فما كل شهية قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية مجذوف موصوفه لاسم الشرط اى اى شيء تنفقوا كائنا من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اى اى شيء تنفقوا طيبا تحبونه او جيدا تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اى فجازيكم بحسبه جيدا كان او رديئا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور للرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الرديء ما لا يخفى كل الطعام اى كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اى حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء منقطع من اسم كان اى كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها فقيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو تحريم ابتداء من قبل ان تنزل التورية

متعلق بقوله تعالى كان حلا لبنى ولا ضير فى توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريم عليه السلام بقبلية تنزل التوراة ليس فيه مزيد فائدة اى كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم و بغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود فى دعواهم البراءة كما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم بموافقته لابرهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم بان يحرم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوا ما حرم عليهم نوعا من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود ومنقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اى فى دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم حامد عوكم الى ذلك البتة روى انهم لما عيروا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجة البينة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذى يجحدون ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اى اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الضلال والطغيان اى فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هى فى محل النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتوراة قل صدق الله اى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل فى شان التحريم وقيل فى قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا الخ او صدق فى كل شان من الشئون وهو داخل فى ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم القريح فاتبعوا ملة ابرهيم اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابرهيم ومن فاكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون اوفاتبعوا مثل ملته حتى تخلصوا عن اليهودية التى اخطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابرهيم ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفا اى مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اى فى امر من امورهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم ومن فى الاصول لانه لا يدعوا الا التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع فى بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملة ومن اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا ومروى انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفى الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئت اى ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذى ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بسببين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اى للبيت الذى ببكة اى فيها وفى ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة فى مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما فى قولهم ضربة لازب ولازم والحيط والبسيط فى اسم موضع بالدهناء وقولهم امرأة رائم وراتم وسبد راسه وسمده واعبطت الحمى واعمطت وسمى علم البلد الحرام من بكة اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولا يخالف بك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصد بها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد بهذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذى ببكة روى انه

سئل

سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عم وقيل آدم عم وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل فى سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة ببركة وهو العامل فيه ما قدر فى الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات بينة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كاخراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة سؤرى السباع الصيود فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم اى اثر قدميه عم فى الصخرة التى كان عم يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبنا والكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روى انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عم انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى اثر قدميه عليه وهوا ما مبتدا حذف خبره اى منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عم كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه فى صخرة متماسكة وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وبقائه دون سائر آيات الانبياء عم وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما ما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا فانه وان كانت جملة مستانفة ابتدائية وشرطية لكنها فى قوة ان يقال وامن من دخله فحكمون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فتكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما فى قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجاء الى الحرم لم يطلب وعن عمر رض لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة من لزمه القتل بقصاص او ردة او زنى فالتجاء الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبى عم من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وما بمكة والمدينة وعن ابن مسعود رض وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال بعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدا وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن فى على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوى وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت حتى حرفا او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوى واللام فى البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا فى محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اى ومن استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل فى محل الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف اى هم من استطاع الخ وقيل فى حيز النصب بتقدير اعنى وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف دل عليه الكلام المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اى من استطاع منهم السبيل فعلى الناس ان يحجوه وقد يحج هذا يكون ما بعده شرطية والضمير المجرور فى اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما مر فى قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل وما فيه من معنى الاقتضاء والايصال

كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال وغيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد
والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد مما روى انه عليه السلام
فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روى عن ابن عباس رضه وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رح اخذ بظاهره فاوجب
الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من يثوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في
الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة وذهب
مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من
لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا
لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروى على ابن ابي طالب رضه انه
عليه السلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا
او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عباداتهم وحيث كان من كفر من جملتهم اخلاينها دخولا اوليا
اكتفى بذلك عن التصريح الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المؤيدة عن كمال الاعتناء
بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة
على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حج واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك
بهم مسلك التعميم ثم التخصيص ثم الابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر
الذي لا قبح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى الموذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه
صفحا واسقط طالما عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا و
قال ابن عباس رضه والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا
الحج الى مكة غير واجب مروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل
ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان
يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة الا وقد حج فما بقي الا ان يخرج الدجال
الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به
وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بما وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من
الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآيات ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلى في شان الحج وغيره
وما في التوراة والانجيل من نعوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون معيدة
لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد
في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآيات عز وجل والحال
انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع ابواب ما تاتونه ويقطع اسبابه
بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالكفر والمكرر للمبالغة في حملهم على ما تقتضيه وتوبيخهم
وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالها كالتي قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل
واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع الآئمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب
لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم
عنه في اقبح مراتب المباهتة ولكون صدهم في بعض الصور تحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته ع وقرئ تصدون من
اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول لتصدون
قدم عليه الجار والمجرور لالتزام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويعينون من اراد الدخول فيه بتهجينهم و

يقولون

يقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة عندهم وقيل انت اليهود والاوس والخزرج فذكرهم ما كان
بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على استفاط الجار وايصال الفعل الى الغير كما في قوله
فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا ابغي اصيدكم اي تطلبون لسبيل الله هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال
من فاعل تصدون وصل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييدها بالحال الاولى او من فاعل
تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يكوم حولها شائبة اعوجاج وان العدول عنها اضلال قال ابن
عباس رضه اي شهداء ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم تثقون باقوالكم و
يستشهد وتكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل الخطاب في
صدهم للمؤمنين بطريق الخفية خشية الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى بما عملهم كما ان كفرهم بآيات
الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل
الكتاب والاقتداء بفعلتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال رد عالهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة
في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا فانكم ان تطيعوهم
التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون
فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب واتحاد الكلمة و
اجتماع الراي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنعاء فامر شابا يهوديا كان معهم بان يجلس اليهم وينكر هم يوم بعاث
وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس ويفتخرهما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم
وتنازعوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية و
الف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما
مفعول ثان لير دوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقادر سدن له سودا فرد
شعور هن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى
الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القصر وايراد الطرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان
المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيط بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية
بعده من الوقوع اما الزيادة فبحسب الصارف للعاقل عن مباشرة اوهى لمناقضة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من
تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين
عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى
كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيههما الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال
فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله
جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على
الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم
وكون رسوله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم

اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما فى الباب ومن يعتصم بالله اى ومن يتمسك
بدينه الحق الذى بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدى
جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كأنّ الهدى قد حصل فتو بخر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به
متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف
بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان صوبه الحق فى الحقيقة والاهتداء اليه سواء الأقسام
به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس المتنافسون ابرز فى معرض الجواب للحث والترغيب
على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان
تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة حق تقاته اى حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى
الله عنه ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روى مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه فى الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه وابنائه وابويه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة بها
مر تحقيق الحق فى ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد اصلها وقيت قلبت واوا لسكونها
تاء كما فى تجه وتخمة وديباج والمفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها
شركة لما سواه اصلا كما فى قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من
الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل فى
الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد سوء الحال على حال غير حال الاسلام
لكن المقصود هو النهى عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذى هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان
الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهى الى الموت للمبالغة عن قيده المذكور فان
النهى عن المقيد فى امثاله نهى عن القيد ورفع له عن اصله بالكلية مفيدا لما لا يفيده النهى عن نفس القيد فان قولك لا تصل
الا وانت خاشع يفيد من المبالغة فى ايجاب الخشوع فى الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع فى الصلوة للان هذا انهى
عن ترك الخشوع فقط وهذا نهى عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع سوى الالة فى الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان
لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله اى بدين الاسلام او بكتابه لقوله عز
القرآن حبل الله المتين لاتنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط
مستقيم استعير للحالة الحاصلة من استمساكهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان رفيع
بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز فى المفردات والما استعارة للحبل المذكور من الدين او الكتاب والاعتصام
ترشيح لها او استعارة للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام ولا تفرقوا
اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما هو الكتاب او كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا ولا تحدثوا
ما يوجب التفرق ويزيل ويزيل الالفة التى انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم
متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار فى عليكم اى اذكروا انعامه عليكم اذ كنتم
اعداء مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء فى الجاهلية بينكم الاحن والدماء واثارة الحروب التواصلة وقيل هم الاوس و
الخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب بينهم مائة وعشرين سنة
فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اى فصرتم بنعمته التى هى ذلك التاليف اخوانا خبر اصبحتم اى
اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين متحققين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم فى
الصباح فالباء بمعنى متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اى فاصبحتم ملتبسين بنعمة تعالى حال كونكم
اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفاها اى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو

ادركم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث
للمضاف اليه كما فى قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب
والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا فى المذكر وحذفت فى المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده و
ما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال خطره بتعاجزه واعتظاء بسببه فى سلك
الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف
اى مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته اى دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله
من الاوامر والنواهى تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بواجبها ويحافظ على حقوقها
وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعمهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل
وهو من كان التامة ومن بعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وتهوالمة ويدعون صفتها اى
لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هى الجماعة التى يؤمها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها او من التبعضية
والمة اسمها ويدعون خبرها اى لتكن منكم امة داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى
البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين
ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة
الآية ولانها من عظائم الامور وغرائبها التى لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلط فى مقام البين ويبين فى مقام الغلظة وينكر على من لا
يزيده الانكار الا التمادى والاصرار وقيل من بيانية كما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
الآية والامر من كان التامة والمعنى كونوا امة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية و لا
يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة
عن الدعاء الى ما فيه صلاح دينى او دنيوى فعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه بقوله تعالى ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف
جبريل وميكال على الملئكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة اما للايذان بظهوره اى يدعون
الناس ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما فى قولك فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الدعاء الى
الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكور باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة
وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والافراد فى كاف الخطاب اما لان الخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين
غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل
يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا وجزء المفلحون والجملة خبر
لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يوقف كل احد من حقيقة المفلحين روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم و
عنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام
والذى نفسى بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه
فلا يستجاب لكم وعن على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شتى الفاسقين وغضب لله غضب
الله له والامر بالمعروف فى الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام
والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه ايجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما والتوبيخ فى قوله

تعالى آمرين الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف ترواباالخير وان لم تفعلوا
ولا تكونوا كالذين تفرقوا بهم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات
الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اى الآيات
الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهى متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اتباعهم تبعا و
يجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه انما هو الاختلاف فى الاصول دون الفروع
الا ان يكون فى الفروع مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران
ومن اخطاء فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما فى حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى
لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر
للمبتدأ الاول وفيه من التاكيد والمبالغة فى وعيد المتفرقين والتشديد فى تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه
اى وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود
وجوه بنى قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار الذى لهم اى لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول المعنى خوطب
به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجئ البينات وترغيبا فى الاتفاق على التمسك بالدين اى اذكروا يوم تبيض
الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة و
باشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال
الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين
الاجمال والتفصيل والاقتضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما يدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على
ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم
كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه ام او جميع الكفرة حيث كفروا
بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة و
قيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء فى قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اى العذاب الموعود الموصوف
بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة متسبب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون
صريح فى ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على حيثية فى الدنيا
واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى الجنة والنعيم الخالد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استوفى
اجره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمة تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى تلك اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب
الكفار ومعنى البعد للايذان ببعلو شانها وسمو مكانها فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى
نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هى الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات
الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عم لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد
الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من
مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيئ
او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بما لهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد
ظلما للعباد تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المبالغة وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفى الى ارادته بصيغة المضارع
دون نفسه وتعليق الحكم باحاد الجمع الموصوف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان كمال نزاهته

عز وجل عن الظلم بالاخير عليه اى يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين فى وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم
فان المضارع كما يفيد الاستمرار فى الاثبات يفيده فى النفى بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام
الثبوت وعند دخول حرف النفى تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفى سبك الجملة نوع ايماء الى التعويض
بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما فى قوله تعالى انا الله لا يظلم الناس ولكن الناس انفسهم يظلمون
وتد ما فى السموات وما فى الارض اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر حكما و
خلقا احياء واماتة وانابة وتعذيبا وايرادكلة ما آنا لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما تنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا
لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى والى الله اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا ترجع الامور اى الموجود
منجازى كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل فى ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد فى جزاء الفريقين وقيل
هى معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى وخلقه ومرزوقه يستدعى ارادة الخير بهم كنتم
خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة
التى تدل على تحقق شئ بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على دوام سابق او لاحق كما فى قوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما وقيل كنتم كذلك فى علم الله تعالى او فى اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس
صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم وقيل خير امة اى كنتم خير الناس فهو صريح فى ان الخيرية بمعنى النفع للناس
وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضى الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون
بهم فى السلاسل فيدخلونهم فى الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبى قبله بالقتال فهم يقاتلون
الكفار فيدخلونهم فى الاسلام فهم خير امة للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف مبين لكونهم
خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقيم مصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة وخطاب
المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنه يريد امة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذى عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى
قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان المراد
بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلابد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة فى الحكم وكذا الحال فيما
روى ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابى بن كعب
ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة رضى الله عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم ودينا خير مما تدعونا اليه او روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضى الله عنه كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى عن الضحاك انهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون اى ايمانا متعلقا
بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول فكتاب وحساب وجزاء وانما لم يفرج به تفصيلا لظهور انه الذى يؤمن به المؤمنون و
للايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شئ من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى فى شئ
قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر
ذلك عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته
عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب كان خيرا لهم اى لو آمنوا كايمانكم كان خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة
واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعد عليه الايمان من اينائه الاجر مرتين
وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور
انه الذى يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب
ايضا ايمانا فى الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وجيهات ذلك منهم المؤمنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشأ
من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او اكثرهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون

المعهودون الفايزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه والكرم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون
عن الحدود التي بها قوام الاداني استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ضررا ما الا ضررا اذى لا يبالى
به من طعن وتهديد لا تولة وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر
ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للدلالة على ان الخذلان في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قهرا واخذا وفيه
تثبيت للمؤمنين وتأييس منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارتهم بانهم لا يقدرون
على ان يجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم
الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصورتيهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف
عليه لكان مقيدا بعقائلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعد بين كانه قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم
مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا يزهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان
كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال
والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما تقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من
اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله
او كتابه الذي اناطهم وذمة المسلمين او ذمة الاسلام واتباع سبل المؤمنين وباؤا بغضب من الله اي رجعوا
مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من
الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك
كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين او النصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة و
المسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر
بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء
بغير حق اي في اعتقادهم ايضا واسنادا والقتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال
احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة
كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون في الفروع من حيث المؤاخذة
ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكير القوله تعالى منهم المؤمنون
والضمير ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وسواء ليس وجزه سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر
والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبايح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها
مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف باذكر من القبايح والآثام
بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم
ومزيل عما فيه من الابهام كما ان كلمنهم من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة ووضع
اهل الكتاب موضع الضمير العايد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا
وافرا من الكتاب لما ان اداظهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين
اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان
وثلثون من الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الانصار فيهم عدة
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا
موقدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يقرؤن من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم

فصدقوه

فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال
منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار والمجرور في قايمة او من المستكن في الجار لوقوعه
خبر اللامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بوزن معى
او اني بوزن فتى او اني بوزن نحي او انو بوزن جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في
السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرا راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان
الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة
تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت
على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو داخل في مدحهم وفيه تنبيه لهم للتلاوة فانها في المكتوبة وظيفة
الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد اياه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر
منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد للتقوية
الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستانفة والمعنى انهم
يقومون تارة تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع للتدرع
وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى و
لله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة لما بينهم وبين اليهود من جهة اخرى
اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور ان الذي يطلق عليه
الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتنويه بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب واكل
ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفة ليس من الايمان بهما في شئ اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنتفي عنهم هو
القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وبجهات ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في
الخصايص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم
عن سبيل الله فانهم امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن
المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في تولية والقيام به و
آثر الغور على النجد اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض ببطء
اليهود وفتورهم بل بعبادرتهم الى الشر وايثارهم له على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان باستحقاقهم
في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لانهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة
الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل
واثباره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها
من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا
ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا
لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك انابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وتعديته
الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة
الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة
والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة ووضع موضع الضمير العايد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا

بتاط اثابتهم وسوالتقوى المنطوى على الخصايص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان
الذين كفروا اى بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاذتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو
قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفين واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر والى وقيل هم
الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم
وقال لن تغنى عنهم اى لن يدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيأ يسيرا منه او
شيأ من الاغناء واولئك اصحاب النار اى مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون فى
هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التى كانوا يقولون عليها فى جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها
الحاعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عايدها اى حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة والمنافقون رياء
وخوفا وقصة البعيد التى تجرى مجرى المثل فى الغرابة كمثل ريح فيها صر اى برد شديد فانه فى الاصل مصدر وان شاء اطلاقه
على الريح الباردة كالقصر وقيل كلمة فى تجريدية كقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصى فباؤا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته
عقوبة لهم ولم تبق منه اثرا ولا عينا والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار
ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذى مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى
كمثل الذى استوقد نارا ولذلك لم يقل يا يها كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك
ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلكة ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال
ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية الفواصل وللتخصيص اذ الكلام
فى الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اى ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به
العقوبة وياباه انه قدر التعرض له تصريحا واشعارا وقرئ لكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون جزما والعايد محذوف
للفاصلة اى ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصها بالشعر فضرورة كما فى قوله ولكن من
يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبهة ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رجال من المؤمنين
يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى قوم من المؤمنين
كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
وهى صفة المنافق واياما كان فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم اى من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
وقع صفة لبطانة اى كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم جهدا جملة مستانفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب
عنهم او صفة لبطانة يقال الا فى الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا
على تضمين معنى المنع والنقص والخيال الفساد اى لا يقصرون لكم فى الفساد ودوا ما عنتم اى تمنوا عنتكم اى مشقتكم وشدة
ضرركم وما يضنا استيناف مؤكد للنهى موجب لزيادة الاجتناب عن المنهى عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف
آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهى عنه اى قد ظهرت البغضاء فى كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم فى ضبط النفس
وتحاملهم عليها ان يغلبت من التستهم ما يعلم المسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم فاصله فوه فلامه تاء يدل على
ذلك افواه والتصغير عليه والنسبة اليه فوهى وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد
بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون
اى ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تابين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من
مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اى انتم اولاء المخطئون فى موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم

ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تجبه او صلة لها وحال و
العامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كلها اى بجنس
الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول فى لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا
يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم احلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ اى من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واصله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم
ما فى صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه
من بعض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعى اياكم على اسرارهم فان علىم بذات الصدور وقيل هو
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام
واذلال لهم بوجه من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
بيان لشناعة عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة
مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم اذن مرات اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة والا فالمس مستعار
لمعنى الاصابة وان تصبروا اى على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم وانهاكم عنه لا يضركم
كيدهم مكرهم وحيلتهم التى دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره
يفره وضمة الراء فى القراءة المشهورة لاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اى لا يضركم شيأ من الضر بفضل الله وحفظه
الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم ان الله بما يعملون فى
عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اى بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بها انتم
اهله واذ غدوت كلام مستانف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجود ما يستتبع لما
وعد من النجاة عن مضرة كيدهم والاذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فاحت مع عموم الخطاب فيما
قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص معمول الكلام به عليه السلام اى واذكر لهم وقت غدوك لتذكروا وما وقع فيه من
الاحوال الناشئة من عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه
فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الى والمراد به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عايشة رضى الله عنها و
هو المراد بقوله تعالى من اهلك اى من عند اهلك تبوئ المؤمنين اى تنزلهم وتتخذ لهم اماكن ومقاعد ويؤيده قراءة
من قرأ وتبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اى ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل على
ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو
الذى هو الخروج عدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذ وقعت التبوئة التى هى العمدة
فى الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما لفتهم لامر النبى صلى الله عليه وسلم وتزايلهم عن اجابتهم المعينة لهم عند التبوئة
وعدم صبرهم وبهذا يتبين ضلل رأى من احتج به على جواز اداء صلوة الجمعة قبل الزوال واللام فى قوله تعالى للقتال
اما متعلقة بتبوئ اى لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان
استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من
مقامك روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو عاعبد الله بن ابى
بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما
خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس
وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله

قوله ملكتشبها ووجه الشبه واذ ذاب المصدر غير
المصدر بتى عن مضرة فيه التقدير والتصوير فيه الاشعار
بلوازم وبشارة فى جزئها ووضع له

فخرج بنا الى صولاء الاكلب لايردون انا قد جبنا عليهم وقال عليه السلام انى قد رايت فى منامى بقرا تذبح حولى فاولتها
خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فاولته خبرا ورايت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان
تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوميذ اخرج بنا الى اعدائنا فقال النعمان
بن مالك الانصارى رضى يا رسول لاتحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال يقول اشهد ان لااله الا الله وانى
لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لأمته فلما راوه كذلك ندموا وقالوا ابسنا صنعنا نشير على رسول الله
والوحى يأتيه وقالوا اصنع يا رسول ما رايت فقال ما ينبغى لنبى ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة
واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال لسنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم
بهم القدح ان راى صدر اخار جا قال تاخروا وكان نزوله فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم
بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال مالا ينبغى صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ
غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير وظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر فى ذلك الوقت
لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانتهما طا
عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء مزيدة اى بان تفشلا اى تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو
سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة
وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة آلاف انخزل عبد الله
ابن ابى بثلث فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى فقال انشدكم الله تعالى فى نبيكم و
انفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يسرنى ان يرجعوا لعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس فلما تخلوا النفس
عنه عند الشدائد والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضمير
فى تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همتهما به مع كونهما فى ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما فى قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فى جميع امورهم فانه
حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام فى المؤمنين للجنس فيدخل فيه
الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعى التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستانفة
سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الفرر وقيل لايجاب التوكل على الله تع
بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمى باسمه وقيل سمى به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل
سوا سم الموضع او الوادى وكانت وقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول
نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان بانهم حينئذ بوصفى القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف
حالهم فى الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن فى العسكر الا فرسان واحد وقيل فرسان لمقداد وثمر
وسبعون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصروا على الامر
بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه فى الذكر وفى
ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر الذى بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اى فاكان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم
يومئذ لعلكم تشكرون اى راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النقرة كما شكرتم فيما قبل ولعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما
فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذى هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم
تشريفه والايذان بان وقوع النصر كان بشارة عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية بهم والمراد
به الوقت الممتد الذى وقع فيه ما ذكر بعده وما طوى ذكره تعويلا على شهادة الحال بما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال

الماضية لاستحضار صورتها اى اذكروا لنعمة وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا الجزع من المقابلة قال الشعبى بلغ المؤمنين ان كرز بن
جابر الفهرى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم هنا ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف
الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد فى الاصل اعطاء الشئ حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة
يقال فيه مده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل الذى فى الشر كما
فى قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وقوله ونمد لهم من العذاب مدا والامداد فى الخير كما فى قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين و
التعرض لعنوان الربوبية هنا وفيما ياتى مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى
انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكيف لا للاشعار بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو و
كثرتهم من الملائكة بيان اوصفة لالاف اولما اضيف اليه اى كائنين من الملائكة منزلين صفة ثلثة الاف وقيل حال
من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صار واثلثة الاف وقرئ مبنيا للفاعل
من الصيغتين اى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق لما اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى
حثا لهم عليها وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام
ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا اى من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اى اشتد غليانها ثم استعير للسرعة
ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتاكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه وانظم اتيانهم بسرعة فى سلك شرطى الامداد
المستتبعين لوجودا وعدما اعنى الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا لحالة سواء اسرعوا او ابطاوا والتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق
اصله او بيان تحققه على اى حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان
مجموع الاعداد واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة
فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان بسنها وبارزت بها الاعداء فغرر بك يا
شداد وسيوف حداد لم تاثر منها قطعا يمددكم بكم عجمة الالف من الملائكة مسومين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ
اى معلمين انفسهم او خيلهم فقد روى انهم كانوا يعمائم بيض الا جبريل عم فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام
وروى انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم و
قال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن فى نواصى الخيل واذنابها وروى ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال لاصحابه رضى الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين وقرئ وللمفعول ومعناه معلمين من جهة
سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من السوم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتدا غير داخل فى حيز القول مسوق من جنابه تعالى
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من غير فقد تلك
اسبابه وانما راته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير
وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص من الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته ينافى ما مضى يقينى بوقوعه وقضاء
قطعيا لكن لم يقترح به تعويلا على ما عند الدلائل وتاخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل اصرارا على شانه
التكرير اوعى ايهام احتمال المخلف فى الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى بعددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
فامدكم بهم وما جعله الله اى والجعل متعد الى واحد وهو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعنى
قوله تعالى ان يمدكم والى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى بعددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان العلية البسيطة متعذرة
على المركبة فبيان العلة الفاعلية فيكاد يتاخر المعلول اى الوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده
فى نفسه ولا يجب فى ان المصدرين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتعدى لبيان احكام
وجودها بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثانى من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة الاف والواقع هو
الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب بتشريف المؤمنين
وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوضيح الاسباب الظاهرة وان رسول الله عليه السلام غنى

عنه بما له من التاييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عليهما لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون و
لتطمئن قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نفى الاول لانتفاء
شرائطه مراتحا والفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه
كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملئكة عليهم السلام لم يباشروا
يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما مر وراى بعض السلف به وقيل الجعل متعد الى
اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في
قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه
النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الاكائن من تحذه تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد
وانما سمي مظاهرا له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لان من عند الملئكة فانهم بمعزل من التاثير وانما
قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى
للاشعار بعلة اختصاص النصرة به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة
فان بعلة جعل النصر بانزال الملئكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم
وما بينهما تحقيق الحقيقة وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل ما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملئكة على الوجه
المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع لما عطف عليه وما يتعلق به الجر في قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير
كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا في ضمنه من النصر المعنوي
الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل تمع ما فيه من الفعل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر فمحل بسداد المعنى كيف
لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على
ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند لامداد والملئكة الا اثابت من عند الله كيقطع اي يهلك وينقص
طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون
او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان اكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ
والحزة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء بدل عن غير مبدلة او للتنويع فينقلبوا حالتين اي
فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض
وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين
وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الاستغناء عن غيره بالطريق الاولى وانما خص الامر
بموته لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة
او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان ملاك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم
او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم
التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا
ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها
الناشي من علمهم بحقية الاسلام بسبب علية اصلة المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر
بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل
عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الآية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفعلهم وقيل اراد
ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم ج معطوف على الامر او على شيء بالتمام
ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء اما التوبة عليهم او تعذيبهم او تقل

عن الفراء وابن الانباري حتى ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح او يعذبهم فتشفي بهم
وايا ما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر مما بينهما من التناسب
الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبني عن سلبه عن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على
ان قوله اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد
الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان الشرط
بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة آلاف لا بثلثة آلاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا
فلانه كان ينبغي ان ينعى عليهم جنايتهم وحرمانهم ببيانها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السياق والسباق
عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الفبر قوله تعالى وما جعله الله الخ عائدا الى
الامداد الموعود لانه لم يتحقق كيف يبين علة الغائبة ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم
واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود فلان قوله تعالى وما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما
النصر الحقيقي فليس ذلك الامر عنده تعالى وجعله استيفا فاما قرار العدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به
تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى واعتساف بان يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع
طرفا الآية متعلق ج بما يتعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله
ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشيء وحالته فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا
لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء يقصد بيان استقراء حالهم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي
لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده
محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم
وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات عز وجل اثر
بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لكماسبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا
اي لما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم
والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعلة مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب
بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وباتهما من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات
سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر
لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينته من الاغناء بشان المغفرة والرحمة ما لا يخفى
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدا مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد ومن التقوى والطاعة
وما بعدها من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه و
ايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد وفي ان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق
عدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام كما
لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عدة الانفاق في سبيل
الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد
باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لانه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المآكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله
عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي
الى اجل فاذا حل المال قال للمديون زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف المال
بالكلية وحمله السفيه على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا

لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحذير عن تناهيهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو مسلم
يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا
الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمة عقب الوعيد
بالوعد ترجيحا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة واريد لعل في الموضعين للاشعار بغوة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن
اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على
اطيعوا وقوي بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا وقوي وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما
يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات المنهيات فيدخل
فيها ما مر من الامور المأمور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف
بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة و
البسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رض كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه
دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل
منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية
كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالة الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلوا
عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول
والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد و
الكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تاويله انه كمنه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه لئلا يمكنه
عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا و
ايمانا والعافين عن الناس اي الناركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت
اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من اعتصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وتركه مواخذتهم بما فعلوا
من مخالفة امره عليه الصلوة والسلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عظم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه
حال حين رآه قد مثل به لا مثل بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما
للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو
حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله
تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة
هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في
القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة
ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان
احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان بتمان التمار اتته
امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها ان التمر ليس يجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها
فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري
وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مواخاة فخدم الانصاري وحنا على رأس الثقفي وقام على وجهه وجعل يسيح في الجبال

تاب يستغفر ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة اتظاما اوليا ذكروا
الله تذكر واحقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم
والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب
جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها من غير
تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احدا الا الله خلا ان دلالة الاستفهام
على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد من له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب بالمراد بوصفه
سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها للتقرير والاستشهاد
والحث عليه والاشعار بان الوعد بالقبول ولم يصروا عطف على يغفر او تاخير عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار
رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار والاستحقاق للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا اي معتقدين
على ما فعلوا اي فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا
اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك
او لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم اولئك اشارة الى المذكورين آخرا فهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى
مغفرة خبره او جزاؤهم مبتدأ ان ومغفرة خبره والجملة خبر اولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على
الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المبنية عن سابقة الذنب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون
قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف
الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم
اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادته التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف
وجنات بجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير يحتمل ان يكون للتفخيم او للتنويع اي جنات لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد في الجنة السابقة ما يؤيد رجحان الوجه الاول
خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ
لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لا صاحب لها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص
بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنها بالاجر للاشعار بانها تستحق لهم
بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل محقق للتباين
حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك مفهوما ودليلا على ما بين الفريقين من التفاوت البين والتباين
البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجورهم وغالبهم قد خلت من
قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح
والخلو المفيت والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من
قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم الكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في
الذين خلوا من قبل والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية
خلو تلك السنن للسير والنظر اولا مرهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر
والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الى آخره
بيان للناس اي تبيين لهم علما ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم علما انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتوصيف
الناس للعهد وهم المكذبون او لهذا ايضا لسوء عاقبتهم عليه من التكذيب فان الاخبار بالسير والنظر وان كان

خاصا بالمؤمنين لكون العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من
اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار ديارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اى وزيادة بصيرة
وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة انما هو تقويمهم ويجوز ان يراد بالمتقين
الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهر ما مر اى هذا بيان لمآل امر الناس وسوء عاقبة وهداية لمن التقى منهم
وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد بهم وبغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءها
وازديادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق لهم على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود
بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك امثالهم ظهور حال اضدادهم وانما ازيادة الهدى او اصله فامر
مترتب عليه وتخصيص البيان للناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان القاصر عن الهدى والعظة و
الاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس
اى هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والمكذبين
والمعترين وقوله تعالى فدخلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق بما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان
الاعتراض لابد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف
الثلثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا
ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ ستة
من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن
جحش ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضوان الله عليهم اجمعين اى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية بين
فاعل الفعلين اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصيرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال الامم
فهو تعريض بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار فيما سبق او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم
لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة
ما تعلق به عليه اى ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة
باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم
الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق العلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري و
لذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان يثبتكم على الايمان ان يمسسكم قرح تقدم في اللوم قرح مثله القرح
بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الهما وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد
والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر مثله لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال
فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسيسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم اقبل
ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا اعامة
خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من
يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها
بينهم نديل لهم تارة اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولته
بينهم فتداولوه اى عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدأ والايام اما صفة له او بدل منه او عطف بيان له فتداولها
خبره او خبر فتداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار
للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل

وليعلم الله الذين آمنوا اما من باب التمثيل اى ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او
العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه
موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد سوالرسوخ و
الاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات
التربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بعدد التقليل من افعاله تعالى باعتبار منشاء معين من صفاته تعالى
مغاير لمنشاء الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة
المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين
المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على المخصوص والتعيين
محذوفة للدلالة المذكور عليها لكونها من مبادي ما كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعالهم
وغيرها من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم عن غيرهم وموجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال
في باب التمثيل فتأمل والمراد بالعلم العموم والابهام للتعميم على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه
من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح
كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية ومزيد البشرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون
سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف
المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين
الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق
باعتبار تقيده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين
آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اى ويكرمنا سا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية
متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اى ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على
الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة
الكل دون المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم
ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمفهوم ما قبله وفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على
الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي
اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس لمحبوبيتهم
النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا
اى ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على تتخذ وتكرير اللام للتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الثلثة علل للمداولة الموهوبة باعتبار كونها
على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم انزاح
المذنبين او ليقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة
عن النقص والاذهاب قال الفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اى
يستاصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد وامروا على الكفرة وقد تحقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستانف سيق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة
والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم والتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام
منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز

بالمطلب الاول والنكرة للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر غير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول
وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبنى على لزوم تحقق الاول لتحقق الثانى ضرورة استحالة تحقق شئ
بدون علم تعالى بذلك وايثار ما على النفى صريح للمبالغة فى تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان
مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفى الى
الموصوفين مع ان المنفى هو الوصف فقط وكان يكفى ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة
فى بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا فى كلمة ملا ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر فى تاكيد
الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون اوعلى طريقة ابتاع الميم ما قبلها فى الحركة لالتقاء الخمكة
الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على الواو للجمع كما فى قولك لا تاكل وتشرب اللبن
اى لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اى الجمع
بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاتصاف بالصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف
على المجزوم قبله فتحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كاكرم ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل فى تحريك
الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدا محذوف اى وهو يعلم الصابرين كانه قيل
ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اى تمنون الحرب فانها من مبادى الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فلما رأوها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه
متعلق بتمنون بيان لسبب اقدامهم على التمنى اى من قبل ان تشاهدوه وتتوغوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه
اى ما تتمنونه من اسباب الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفى ايثار
الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة فى مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين فى تمنيكم
ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا انتم فعلتم ما فعلتم
وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لاعلى تمنى الشهادة بناء على تضمنها الغلبة الكفار لما
ان مطلب من يتمنا ما نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما
محمد الا رسول مبتدا وخبر ولا عمل لها بالاتفاق لانتقاض نفيه بالاوقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة
رسول مبنية عن كونه فى شرف الخلق فان خلو مشاركيه فى منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة كانه
قيل قد خلت من قبله امثاله فيخلو كما خلوا والقصر قلبى فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام
رسول لا كسائر الرسل فى انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا
رسولا كسائر الرسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل سوق لافراد فانهم لما استعظموا
عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفى الرسالة والبعد عن
الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوز ما الى البعد عن الهلاك فلا بد ان يموت من جعل قوله تعالى قد خلت
الخ كلاما مبتدا مسوقا للتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام
وايا ما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم و
انقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم بتمسكهم به وقيل الباء للسببية
والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا فى الحقيقة لثباتهم على الدين
وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المرددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا
الحال فى سائر الموارد فان كلمة ان فى كلام الله تعالى لا تجرى على ظاهرها فقط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او

او وقوعه على تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذى ناسبه الفتنة
وعظم فيه المحنة لما ان الموت فى شرف الوقوع فربما تسامح الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على الثبات هناك اهم ولان الوصف
الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روى انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة حتى نفذ من المسلمين
على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل على بن ابى طالب رضى الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابى وقاص
فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم ورأوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهى اميرهم
عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا نافية نفر فلما رأهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فى مائتين و
خيلين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين فكروا عليهم و
هزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو سبعين رجلا كل سبعة منهم يخبطون بايديهم
ويقول وجهى لوجهك وقاء نفسى لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله قمئة الحارثى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فغرب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة
وهو يزعم انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا او مرخ صارخ فقيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس
وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المسلمين فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين ابشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله يثلمون من اصحابه وحموه حتى كشفوا
عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبيا ما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى
لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال
اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وكبر بهم لصلة وم مع قوله تعالى
والله يعصمك من الناس لما ان كل آية ليس بسببها كل احد ولا كل من يسمعها يستحفر بها فى كل مقام لا سيما فى مثل ذلك المقام
لا سيما فى مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عن رد هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام فى الناس فقال
ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب
موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولا قطعن ايدى رجال وارجلهم يزعمون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضى الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الآية قال الراوى والله كان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها
ابو بكر وقال عمر رضى الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضى الله عنه تلوها فعقرت حتى ما يحملنى رجلاى وعرفت ان رسول الله قد مات
صلى الله عليه وسلم ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره و
قيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب
شيئا اى شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزى الله الشاكرين اى الثابتين على دين الاسلام
الذى هو اجل نعمة واعز معروف تمواجد ذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار وعن على رضى الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه
رضى الله عنه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احيا والله تعالى واظهر الاسم الجليل لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم وما
كان لنفس ان تموت كلام مستانف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا اثر ما سمعوا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله ع
ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان حوضت موارد الحتوف وانحمت
مضايق كل هائل مخوف وقد اشير بذلك الى انهم لم تكن متعلقة بموتهم فى الوقت الذى حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا
ع لا الاحجام عن مباشرة القتال وكلمة ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى

الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اى وما كان للموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب بالامتناع
على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت فى قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت
بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التى لا يتسنى للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او
بتنزيل اقدارها على عباده منزلة الاقدام على الفعل للمبالغة فى تحقق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدارها
عليه او على عباده وسعيهما فى ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك واظهر فيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر
مؤكد لمضمون ما قبله اى كتب الله كتابا موجلا موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل
الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة تحقق مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه دخل لاحد اصلا اشير
الى ان توفيه تمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اى بعمله
ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات منها اى من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه كما فى قوله عز وجل من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تفويض بحسن شغلهم الغنائم يومئذ وقدم تفصيله ومن يرد اى بعمله
ثواب الاخرة نؤته منها اى من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزى الشاكرين نعمة الاسلام
الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم
عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا
اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وعد بالمزيد عليه وفى تصديرها بالبيان وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة
شان الجزاء وكونه بحيث يعجز عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدا اريد به تاكيد ما سيق
صدورهم عن سنن الربانيين المجاهدين فى سبيل الله مع الرسل الحالية عليهم السلام وكاين لغظة مركبة من كاف التشبيه و
اى حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث فى كذا وكذا والنون تنوين الجنس فى الخط على غير قياس وفيها خمس لغات
سى احديهن والثانية كاين مثل كاع والثالثة كائن مثل كعين والرابعة كيان بياء ساكنة بعد الهمزة مكسورة وفى
قلب بائها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها وهى بالابتداء والرفع وقوله تعالى من نبى تمييز لها لانها مثل كم
الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما فى قوله اطردا الياس بالرجا فكاين الما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون
كثير خبر لها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور فى معه وقرئ اقتل وقتل على صيغة البناء للمفعول مخففة
ومشددة والربى منسوب الى الرب كالربانى وكسر الراء من تغيرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل وقيل هو
منسوب الى الربة وهى الجماعة اى كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات
كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما فى القراءتين الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل
اى قتلوا او قتلوا كائنين معه فى القتال لا فى القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا بنبى قتل فى القتال وقال الحسن البصرى
وجماعة من العلماء لم يقتل نبى فى حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اى كم من نبى قاتل معه فى القتال ربيون
كثير واما على القراءتين الاخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ الخ الهم
للاراجف بقتله صلى الله عليه وسلم اى كم من نبى قتل كائنا معه فى القتل او فى القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا
عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصح به فلم ينزجر فان الاباء
بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء
المرتبة له على ما قبله اى فما فتروا وما انكسرت حمتهم لما اصابهم فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى لم يشبطوا لعلمه
قوله تعالى فى سبيل الله فان كون ذلك فى سبيله عز وجل مما يقوى قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان
جعل الضمير ان جميع الربيين فمن عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعتبرة للكل وان جعلا للبعض الباقين
بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فمن عبارة عما ذكر مع اعتراهم من قتل

اخوانهم

اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين
فالضمير ان للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبى صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب
الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبى فى القتل وللجميع ان اعتبر كونهم
معه فى القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل فى الدين وما استكانوا اى وما خضعوا للعدو
واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من
الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم و
الارجاف بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين اراد و ا
ان يقتدوا بابن ابى المنافق فى طلب الامان من ابى سفيان والله يحب الصابرين اى على مقاساة الشدائد ومعاناة
المكاره فى سبيل الله فيضرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهر فى موضع الاضمار الثناء عليهم
بحسن العبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين
لحاسنهم القولية معطوف على ما الجملة من الجمل المبينة لحى منهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر كان واسمها ان وما بعدها فى قوله تعالى
الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضائق الحراب واصابة ما
اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيئا من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اى صغائرنا واسرافنا فى امرنا
اى تجاوزنا الحد فى ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط فى جنب الله
تعالى هضما لها واستقصارا لمحاسنهم واسنادا لاصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء
بقولهم وثبت اقدامنا اى فى مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او بتثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم
الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع القادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة
والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والضجر والتزلزل فى مواقف الحرب
ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرا ابن كثير وعاصم فى رواية عنها برفع قولهم على انه الاسم والخبر
ان وما فى حيزها اى ما كان قولهم حينئذ شيئا من الاشياء الا هذا القول المبنى عن اخلاص المخاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب
المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلا كما تفيده قراءتها بالنصب افادة
للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان فى الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر
افادة واظهر دلالة على الحدث واوفق للاشعار على نسب خاصة بعيدة مما الوقوع فى الخارج وفى ذهن السامع ولا يخفى ان
ذلك ههنا فى ان مع ما فى حيزها تمام الكلام واما ما بعده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول
خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات فى باب البيان وانما اختار
الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هى انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولاريب فى اعرفية ان قالوا
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى المضمر فيتنزل
العلم قاتل فاتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب
الآخرة اى وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد
به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة
الخير به فهى مبداء لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكى عنهم من الافعال
والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا اتم بمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيل ما حكى
عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين آمنوا شروع فى زجرهم عن متابعة الكفار بيان استتباعها خسران الدنيا
والآخرة اثر ترغيبهم فى الاقتداء بافضل الانبياء عليهم السلام افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين والتصدير بالخطاب
بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما فى حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار رصانتها لحال اعدائهم

كان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى تبريد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم
قال علي رضه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوضع قوله تعالى
يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يردوكم خلوكم
في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اى للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منها واحقين
في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في التكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والمنافقون
حيث كانوا يستفزونهم ويقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما
اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم
والاستكانة لهم وقيل الموصول عام بعمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن
الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى اضمار من البيان بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل
فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غير فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم
بل اطيعوا الله وهو مولاكم بنصب على انه صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بتوليهم العظيمة
على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والتعبير لتاكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا
الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب لهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم
ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في
تضاعيف الجراب او عقيب انقضائه وقيل يوم القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون
الرعب وما مصدرية اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من وعي الرعب
ما لم ينزل به اى باشراكه سلطانا اى حجة سميت بذلك لوضوحها وانارتها او لقوتها او لتحديها او لفوزها وذكر عدم تنزيلها
مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب
هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأويهم بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا و
هي الرعب اى مأواهم ما يأوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم وانما وضع موضعه
المظهر المذكور للتعليط والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف
اى بئس مثوى الظالمين وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى كما ان الاقامة المنبئة عن
المكث واما الأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق على تضمينه معنى
وقيل بنزع الجار اى في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله
تعالى بالنصر موسوما وعدهم على لسان نبيه عليه السلام من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم ظفرنا نزال غالبين
ما ثبتتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك
فان المشركين لما اقبلوا حمل الرماة بوشقونهم والباقون يخرجونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو
خرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه اى بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل
موسوما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقدم تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود هناك ذكر امداده
عز وجل بانزال الملئكة عم وتقييد صدقه وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى مرجح في ان الموعود هو النصر المعنوي
والتيسير للامداد بالملئكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم
القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك والطريق على اختلاف الروايتين وايا ما كان فلا سبيل الى كونه مغيا
بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اى جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم

احد الرماة

في الامر

في الامر تقال بعض الرماة حين انهزم المشركون ووقوا ثابرين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فاموقفنا هنا بعد
هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضه لا تخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه و
نفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما
راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب فقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه جميعا فصل في تفسير قوله تعالى
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين
اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
للطرف المرتب على منع النصر وقيل هو انقسامهم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا
المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا واشرف الشهادة هذا على تقدير كون
اذ شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف
جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الى و
على هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب كما اشير اليه والجملتان الطرفيتان اعتراض
بين المتعاطفين اى كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اى
يعاملكم معاملة من يختبركم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة
والتذلل وفضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله وموذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق
الوجوب عليه اى شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او متفضل عليهم في جميع الاحوال اذ تدلون لهوا واذ تدلون عليهم اذا الابعاد
ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موضع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم
واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بعفا فكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كما
ذكروا والاصعاد والذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من التلاقي اى في الجبل وقرئ تصعدون من التصعد
بطرح احدى التاءين وقرئ يصعدون بالانتقات الى الغيبة ولا تلوون على احد اى لا تعطفون الى ما وراءكم ولا يلتفت
واحد منكم لواحد وقرئ تلوون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون و
الرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وابراده هم بعنوان الرسالة
للايذان بان دعوته هم كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في توبيخ المنهزمين في احراكم في ساقتكم وحاقتكم
الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل و
الجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غمكم اياه بمخالفة
رسول الله عليه السلام بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اى لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا
على نفع فات او ضر اتى وقيل للازالة والمنع لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل
عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير
ذلك والله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب
للمؤمنين حقا من بعد الغم اى الغم المذكور والتعريج بتاخير الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة
البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية امنة اى امنا نصب على المفعولية
وقوله تعالى نعاسا بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وانثه حال منه متقدمة عليه او مفعول
له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانارة
من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح للحصر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر والتخصيص
الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم لما ان المشركين لما انهزموا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع
فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف شاهرين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الكرى فاخذهم النعاس قال ابن عباس

رهم آمنهم يومئذ بغاس يغشاهم بعد خوف وانا نيعس من أمن والخائف لاينام وقال الزبير رهم كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحالم يقول
لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رفعت رأسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت
حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط
من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم
قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة
للنعاس او قرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها
وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحترز عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اوقعتهم
في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همّ وقصدي والمعنى مستفاد
بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها خبرها والجاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قولهم سرينا
ونجم قرناء وغدير خيراك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت
له يشق وشق عندنا لم يحول والما صفتها والخبر محذوف اي ومنكم طائفة او ومنكم طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه
انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة الحالية مبينة لغطاعة الهول مؤكدة لتلك
المنة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والما مستانفة مسوقة لبيان
حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى
لها او خبر بعد خبر او استيناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اي يظنون به تعالى غير الظن الذي
يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في
حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اي
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من
النصر والظفر من شيء اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة
بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى
في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون
فيما بينهم بطريق الخفية مالا يبدون لك استيناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين
الحال وصاحبها اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنفع مبطنين الانكار والتكذيب وقوله
تعالى يقولون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يخفون انفسهم او
يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر الخ كما وعد محمد ص من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر
كله لله او لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا ههنا اي اغلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي
راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او الى برجنا من منازلنا كما رآه ابن ابي ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا
قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وتعدم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل
اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها ضاكلة
البتة ولم ينفع الغرية على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد
مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا
لا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر
مجلس سليمان عليه السلام فنظر الرجل من اهل المجلس نظرة مالة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان قال
ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فان رأيت منه مرأى مائلا فاعلم ما عليه السلام فالقته في قطر يحيق من اقطار

العالم فالبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة
في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته الريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر
الله عز وجل في زمانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال
وقرئ ليبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم
من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية كما
للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها عللا لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى
المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء
المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل متقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في
قلوبكم من خفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اي السرائر و
الضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى
غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين
اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا
منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد جاءوا مرة حكايتهم انما استزلهم الشيطان اي انما كان
سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله
عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الجبوة جزموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم
وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي تجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بزلوب سبقت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة
تربية للهيبة وتأكيد للتعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا واذ كر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم آثر
ذي اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى
اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها واياما اذا الجملة
لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه
يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لما ذا الوقت الذي يقصد
بها الاستمرار وخرافيتها لقولهم انا هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما
اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزا جمع غاز كعفى جمع عاف قال وغيرة الآفاق
خاشعة القوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء من غزاة واقرادكونهم غزاة
بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة
وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد بالسفر وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم
بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزا فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما
قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان ضمائر مضمر قد حذف ثقة براي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا
وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه
الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما
نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يخرجوا للقتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول
بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك

واعتقدوه ليكون حسرة فى قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهى بمعنى
لا تكونوا شاملين فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة فى قلوبهم ويحتمل ان يكون اشارة الى ما
الماذل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا يكونوا شاملين ليجعل الله انتفاءكونكم
شاملين حسرة فى قلوبهم فان مضاداتكم لهم فى القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيى ويميت رد لقولهم الباطل
اثر بيان غائلته اى هو المؤثر فى الحيوة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى
المسافر والغازى مع اقتحامهما الموارد المتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون
بصير تهديد للمؤمنين على ان يأتلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم
المذكور ولمنشائه الذى هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك توض لعنوان البصر للعنوان السمع و
اظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة فى التهديد والتشديد فى الوعيد و
لئن قتلتم فى سبيل الله ومتم شروع فى تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت فى سبيل الله
تعالى ليس كما ينبغى ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هى الموطئة للقسم
وما فى قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين فى الموضعين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة للمبتدإ وقد حذفت صفة الدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم سادة مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر
والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنين
من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مادة اعمارهم وعن ابن عباس رض
خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اى مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيرية تينهما ذلك
بلا توقف للاخبار بحصولها لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخيب منه تعالى بعد الاطلاع وقد قيل لابد
من حذف آخر اى لمغفرة كائنة لكم من الله تعالى للخ وحينئذ ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو اذكر
من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع فى قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبنى على كثرة الوقوع
وقلته للمبالغة فى الترغيب فى الجهاد ببيان زيادة حزية القتل فى سبيل الله وانافته فى استجلاب المغفرة والرحمة
وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهى انما هو عدم مماثلتهم فى الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل
بموجبه لا فى النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اى على اى وجه اتفق هلاكم حسب تعلق الارادة
الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اى الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان
تحشرون لا الى غيره فيوفى اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام فى لام الجملة كما مر فى اختها فبما رحمة من الله لنت
لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق
من استحقاقهم للائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية اومن سعة ساحة مغفرة تعالى ورحمته والباء معلقة بلنت
قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبينة لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرحمة اى فرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت ليّن
الجانب لهم وعاملتهم بالرفق واللطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو
ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ سوء الكريه الخلق وقال الواحدى
هو الغليظ الجانب السيئ الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبى فظا اللسان القول غليظ القلب فى الفعل
لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردد فى رواية الرودى والقادرى قوله عز وجل
فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله اى اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا
الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم فى
الامر اى فى امر الحرب او هو المعهود او فيه وفى امثاله مما يجرى فيه المشاورة عادة استظهارا لآرائهم وتطييبا

لقلوبهم وتمهيد السنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم فى بعض الامر فاذا عزمت اى عقيب المشاورة على ما
الهمك به نفسك فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما هو ارشد لك وان اصلح فان علم التخصيص بسبحانه وتعالى وقرئ
فاذا عزمت على صيغة التكلم اى عزمتك وارشدتك اليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة
وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه والامر به ان الله
يحب المتوكلين عليه بتعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاح الجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان
ينصركم الله فلا غالب لكم جملة حالية سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى
وحثهم على اللجاء اليه وتحذيرهم عما يقضى الى خذلانه اى ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفى الجنس
المنتظم لنفى جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفى الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر
النظم الكريم وان كان نفى مغلوبيتهم من غير تعرض لنفى المساواة ايضا وهو الذى يقتضيه المقام لكن المفهوم منه
فيما قطعيا هو نفى المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لااكرم من فلان اولا افضل منه فالمفهوم منه حتما
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد فى جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفع القريح بل هو معتد فيما
ورد على طريق الاستفهام الانكارى كما فى قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهو واقع كثيرة من التنزيل وهما هو
نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع فى سورة هود حيث قيل بعده فى حقهم لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل
خاسر يستدعى قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا
فمن ذا الذى ينصركم استفهام انكارى مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اى من بعد خذلانه
تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل
لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرة تعالى لهم وعلى تقدير
خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضى قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس
والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات واياما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان
اشتراكا او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبى اى و
ما صح لنبى من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل ان يخون فى المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة
يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله عليه السلام عما
ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وا فاضوا فى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى
يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لبعضكم واما المبالغة فى
النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنم النبى عليه السلام بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضر
ولم يترك للطلائع شيأ فنزلت والمعنى ما كان لنبى ان يعطى قوما من الغنيمة ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل
بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما تقوله بعض
المنافقين اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان لاحد ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم
القيمة يأت بالذى غله بعينه يحمل عليه عنقه كما ورد فى الحديث الشريف وروى انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم
يأتى ببعير له رغاء وبيقرة له خوار وبشاة لها ثغاء فينادى يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيأ قد بلغتك
اويأت بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا وضع
المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كما نطق به واحد وفى اسناد التوفية
الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على

فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال القال مالا يخفى فانه حين وفى كل كاسب جزاء ما كسبه لا ينقص
منه شئ واى كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء القال شئ وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى
وهم اى كل الناس الدلول عليه بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله
اى سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كائنا من يسير سيرة كمن باء اى رجع بسخط
عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالقال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي التفاوت من النبي
عليه السلام وتقريره وتحقيق المباينة الكلية بينه وبين القال حيث وصف كلا منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوله تعالى
بسخط والاتباع بالبواء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المماثلة بينهما والحكم بهما على ما
ذكر من حال القال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة وماواه جهنم اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل المرمى بباء
بسخط تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياكان فلا محل له من الاعراب
وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر
فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اى
طبقات متفاوتة في علم وحكم شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا باه بينهم تفاوتا
ذاتيا كالدرجات اوذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله
جواب قسم محذوف اى والله لقد من الله اى انعم على المؤمنين اى من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واثقين على حالة في الصدق
والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اى اشرفهم فانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الا على انه خبر لمبتدا او محذوف اى منة اذ بعث
الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم
نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا
اى كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم آياته صفة اخرى اى يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم
يطرق اسماعهم شئ من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو اى يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار
ويعلمهم الكتاب والحكمة اى القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط
بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العلمية وتحذيرها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية
الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب و
الحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة
اخرى رمز الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة
من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه
لفي ضلال مبين اى بين لاريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف واللام
فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة الحذف
اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اى وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة
اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مستانف مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة
والاقاويل الباطلة الفاشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقرير والتقرير والواو عاطفة لما

على مخذوف قبلها ولما ظرف لتعلم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة للمصيبة والمراد بها ما اصابهم
يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصابوا المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين واني هذا يقبل
قلتم توسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد التنكير
وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين
نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع
الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة لان داعيا اليه بل على كونه داعيا على عدمه
فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما هون الخطب ويوث السلوة افعلتم ولما اصابتكم غائلة قلتم انى
هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة
ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر
ببالهم تسميته باسم فاضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما ذاك عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع وبكتهم ببيان ان ما نالهم
انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة وباياه ان الوعد بالنصر كان
بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطاء عنه و
خفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وابن هم من التقوة
بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم احد قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان
توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا ان الله على كل شئ قدير ومن جملة النقير
عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل
تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطاب رسول الله عليه السلام لتر تيقضيه وارشادهم الى حقيقة الحق
فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم
في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان
اى جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار حتى ذلك اذنا لكونها من لوازمه
وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التميز والاظهار فيما بين الناس
وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن
المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب المعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق و
بالمنافقين على وجه جديد وسوق النظم في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول
صلة فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليتميز الثابتون على الايمان والذين اظهروا النفاق
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدا قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي و
اصحابه حيث انفرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي او ادفعوا عنا
وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي او ادفعوا عنا
العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى
وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما
فيه من الدلالة على النظاهر والتعاون قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا
صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اى لو نحسن قتالا ونقدر
عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم الاقتضائه مستلزمة للعلم بها او

لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا اتبعناكم ولكن لا نعلم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي تعليلهم
الثاني بجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تبطهم عن القتال حيث لا توفي نفوسهم
بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدا واقرب خبره واللام في للكفر متعلقة
به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا
افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادة جرى
عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ
قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة موذنة بكفرهم فلما
انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا ابتاعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم اهل
الكفر اقرب نفرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح
لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به ما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فانثبت
والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشأة الذي لا ينفك عنه القول
اصلا وانما عبر عنه بما اتنزلا منزلة الانفصال اي يتفوهون بقول لا وجود له الا في السنتهم وانما عبر عن
الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم انفا فانهم اظهروا حبهم امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال
والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به مصرين مع ذلك على الانخزال
عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم وتفاقهم ببيان اشتمال قلوبهم
بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من
احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل
ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او جر بدل من ضميرهم
مبتدا خبره قل فادرؤا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل
منه وقيل خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين قالوا وقيل مجرور على انه بدل من ضميرهم في قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وللراد بهم عبد الله بن
ابي وامثاله لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء
وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال لو اطاعونا اي فينا امرنا به
ووافقونا في ذلك ما قتلوا كلام تقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا واغووهم كما غووا
وحمل القعود على الاستصواب ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه
والاول يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين
فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرؤا عن انفسكم الموت جواب لشرط قد حذف
تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كانه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان
كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي
كتب عليكم معللا بسبب خاص موقتا بوقت معين يدفع بدفع سببه فان اسباب الموت في الامكان المدافعة بالحيل والتنائها
سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اسهل لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن
مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة
والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا لما قالوا لسبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في مضمون
الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرؤا عن انفسكم

قوله باختصاص الامر الخ وفيه بحث لان الطاعة وان كانت بالامر بالانخزال
وهو خاص باخوانهم واما الطاعة بعدم
الخروج معه صلى الله عليه وسلم فهي عامة لجميع المنافقين رضي الله تعالى عنهم اجمعين
فالمانع لهم عن القعود وعد الاقامة بالمدينة ابتداء هذه الجملة
الحالية وعدهم كون ابن ابي من القاعدين بل هو ايضا من القاعدين
بناء على ان المعنى مع انه مقول لهم عنوانا عبارة
عنهم وعن اخوانه والمانع الثالث رجوع
ضمير الطاعة الاخوانهم فتفطن

الموت في استنزاء بهم اي ان كنتم رجالا وقاعدين عن سباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم تاسبب
الخ ض ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون
الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا ينفي ولا يجدي وقرئ و
لا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان
بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين وخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او
لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يجب وقيل الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين
قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يستوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية
والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل او بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم
غاية ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ
منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والمجد خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا
او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدا المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على
انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد
لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان
ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروى عنه عليه السلام انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي
الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه
ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال تجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا وتتعلق بها فتلتذ
بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهم
شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون
بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا
والمعنى انهم يقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل لم يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم
باقين في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم
لانهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن
حال اخوانهم الذين تركوهم وسوء حالهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يقدر ما خوف وقوع محذور ولا حزن فوات
مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يحب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اي لا
يقدر بهم ما يوجب ذلك لانه بتقديم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء
دوامها كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام يستبشرون كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل هو وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا
يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا بالبعض اجمالا بعد تفصيل
فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة للافادة والتنكير في النعمة والاضافة
بالفضل اضافة اي كاينة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وان الله لا يضيع اجر المحسنين بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء و
التعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم

ذكرت توفية اجورهم على اياتهم وعدت من جملة ما يستبشرون به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسر ها على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد
والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا لخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتقليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي
سفيان وقال لا يخرج معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من
المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فحملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه
لمالاته من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم
اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد ياجمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئتم فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى
نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم
حمل بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها
منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد
افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فتوا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فزادهم
ايمانا الضمير المستكن للمقول او المصدر قال اولئك علي ان اربح بنعيم وعده والمنع انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت بهم
بالله تعالى وازدادت طمأنينتهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة
ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار و
قالوا حسبنا الله اي يحسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسبانة لا يستفاد بالاضافة
تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه السلام وافى بيعته بدرا واقام بها
ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا
من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل
من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي
كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وجذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة
وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل منقلبين حال
كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله
او قال اوحي الي ولم يوح شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل رضوان الله الذي هو منا ط الفوز بخيري الدارين والله ذو
فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتقلب في الدين و
اظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحير لمن تخلف عنهم واظهار

الخطاء رأيهم حيث حرموا انفسهم غازيا فازبموالاة وروى انهم قالوا لو اصل كون هذا غزوا فاغاظهم الله عز وجل ثوابا لغزو ورضى
عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان
اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستانفة مبينة لشيطنته وحال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية
الخ واما صفة والجملة خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس
والمستكن في يخوف اما للشيطان بحذف الراجع اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان و
اصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده قوله تعالى
فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واياي القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الرد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والفريابي في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا
وخافوني في ترك ما امرت به مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب لفريق الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي
او الامر على ما قبلها فان كون التخويف شيطانيا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يحزنك تسلية
للمخاطب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين
والاستهتام بشؤنه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار
كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الآية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوامهم عليه في ابتداء
المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك موذن بمباشرتهم للخيرات وتقلبهم في فنونها
في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة
منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود وجملة قوله تعالى يا
ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين
هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه و
اعتراض لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم
لاهله وتوجيه النهي الى جهتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير
نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا
وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي
جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا
الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر
به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى
شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتاكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار
اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله عليه السلام
انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب
بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة استيناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من
الارتماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة
ارحم الراحمين بالاخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم
في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان
الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع

وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسة فى نفسه والجملة امابتداء مبينة لخطهم من العقاب
اثر بيان ان لاشئ لهم من الثواب واما حال من الضمير فى لهم اى يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول فى هذه الاستعارة فى
تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تقرير كما مر غير انه فيه تعريضا
ظاهرا باقتصار الكفر عليهم كانه قيل وانما يكفرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين من اليهود بان يراد
باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذ بدل من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه
الحاصلة بمشاهدة دلائله فى التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علة تغيير
عنوان الموضوع فان ماذكر فى حيز الصلة من اشتراء المذكور رصريح فى لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا
كيف لا وهو علم فى الخسران الكلى والحرمان الابدى دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتاتى منهم ما يتوقف
على قوة الحزم ورزانة الراى ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهى اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب
الجو وان اجرى الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر
بدلا مانزل منزلة نفس الايمان من اعتاد اقتراب القريب له الحاصل بمشاهدة الوحى الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة
فى الآفاق والانفس كما هو ذاب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ماقبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات
الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول عاما للكفار والثانى خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكتة المذكورة
مما لايليق بفخامة شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة فى الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لابرات الحزن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كما يفهم من المنى عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لايعرف حاله من الكفرة الكائنين فى
الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادى حزنه عليه السلام مما لاوجه له وقوله تعالى
ولهم عذاب اليم جملة مبتداة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية الايلام بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باعتبار
المشترى بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وتالمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة
لذلك ولايحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولايحزنك الذين الآية والفعل مسند
الى الموصول وان جعل خبرا مسادا مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبى بالنسبة بين
المبتداء والخبر وسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عايدها وصلها فى الكتابة
لاتباع الامام اى لايحسبن الكافرون ان املاءنا لهم وان ما نمليه لهم خير لانفسهم اولايحسبن الكافرون خيرية املائنا
لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ونهيهم عن الحسبان ربظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيرية لهم وتخسيرهم
ببيان انه شر محت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على
توهم الفرق من قبلهم وتسلية عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول الجنس الكفرة فيندرج تحت حكم
الكل احكام المعهودين اندراجا اوليا والمعهودون خاصة فايثار الاظهار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة و
بين الاملاء الذى هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر
لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية فى تضاعيف الكفر المستمر وقرئ
لايحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتاتى منه الحسبان
قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملى لهم اما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو سادا
مسد المفعولين كما فى قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فلا مفعول واحد كما فى قولك جعلت المتاع بعضه فوق
بعض والما مفعول ثان بتقدير مضاف اما فاى لايحسبن الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم او فى المفعول الاول
اى لايحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم او فى المفعول الاول اى لايحسبن حال ومعنى التفضيل باعتبار
زعمهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما استيناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام

العاقبة وقرئ بفتح الهمزة هنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء
بابطال الحسبان وردة على من لايحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شانهم بل انما هو لتلافى
مافرط منهم بالتوبة والدخول فى الايمان ولهم فى الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء والتمتيع بطيبات
الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعى التعذير والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما
مبتداة مبينة لحالهة الآخرة اثر بيان حالهم فى الدنيا واما حال من الواو اى لهذا حال من الواو اى لهذا حال من الواو اى لهذا

التربية المباينة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يربيه المبادى حتى يخرج المنافقين من بينهم وما
يفعل ذلك بل اطلاعكم على ما فى قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحى الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من
الاقوال والافعال حسبما حكى عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس الاشهاد ويخلصكم من غصة الشركاء وسوء
جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لاينال الا ممن رشحه الله تعالى للمنصب
الجليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجاهير لارشادهم وتعليم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على
ان شأنه عليه السلام فى هذا الباب امر متبين لما اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل
عليهم السلام وتعليم للامر فى قوله تعالى فامنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبى عليه السلام لا يجاب
الايمان به بالطريق البرهانى والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته
عليه السلام والمامور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين وخولا
اولياء هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لايترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف
الصعبة التى لا يصبر عليها الا المخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح فى الجهاد وانفاق الاموال فى سبيل الله
تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم بما فى قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف
على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدلال باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مرتبتهم وفضل
معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا الاسرار صريح فى ان المراد اظهار تلك الاسرار بطريق الوحى لا
بطريق التكليف بما يؤدى الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واوجب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة
فى املاء الله تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما هو كم كذلك الى الآن
لستر يقتضيه بل ليفوز غنم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة وشأنهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من فى قلوبهم
مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اى بما ذكر حق الايمان وتتقوا اى عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة
ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال
البخل وخامة عاقبته وتخطئة لاصحابه فى توهم خيرية حسب بيان حال الابلاء وايراده بما يجلو له بعنوان ايتاء الله تعالى اياه
من فضله للمبالغة فى بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله فى سبيله كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اى لا يحسبن البخلون
بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى ع
او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثانى ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اى ولا
يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شرية لهم مع انها مذمومة على الاطلاق
خيرية للمبالغة فى ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اى سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروى عن النبى
عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدى زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة
حية فى عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وقد وعده لا احد غيره استقلالا واشتراكا
ميراث السموات والارض اى ما يتوارثه اهلها من مال وغيره من الرسالات التى يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقون فى سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة
والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات
للمبالغة فى الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبايحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى

انه عليه السلام كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين يسأل القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك
فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع لتجمع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انهم لم
يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان
يسمعه سامع والتوكيد القسمى للتشديد فى التهديد والمبالغة فى الوعيد سنكتب ما قالوا اى سنكتبه فى صحايف اعمالهم
الشنعاء فى صحايف الحفظة او نحفظه فى علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اى لن يفوتنا
ابدا تدوينه واثباته لكونه فى غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك
عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما فى العظم اخوان وتنبيها على انه ليس بأول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه
سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم
وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا بغير حق فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر وقرئ
سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى ونعاقبهم بعد
الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء
ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته فى الهول
والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اى بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك
العظيمة وغيرها من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لما ان عامة افاعيلها تزاول بها وحمل ان فى قوله تعالى وان
الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى
ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا للبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه سبحانه من
الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باحباطها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتما يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة
المبالغة لتاكيد هذا المعنى ايرادا لما ذكر من التعذيب فى صورة المبالغة فى الظلم وقيل هى لاغاية جمعية العبيد من قولهم فلان
ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا يخفى هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من
حيث ان نفى الظلم مستلزم للعدل المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة المسيئ وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس
بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتفض نفى الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل فى سورة الانفال وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم
مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده
بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب مولاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان
لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن صيف وحيى بن اخطب وفنحاص بن عاذورا ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا اى امرنا فى التورية او وصانا
ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار كما كان عليه الانبياء بنى اسرائيل حيث كان ينزل بالقربان فيقوم النبى
فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وتهافت من غير اتيانهم وابا طيلهم فان اكل النار القربان
لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة نبوية وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اى تبكيتا لهم واظهارا
لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلى بالبينات اى بالمعجزات الواضحة وبالذى قلتم بعينه من
القربان الذى تاكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما
اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاءكم بما قلتم من معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا
لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى عليه ما يحزنه عليه السلام

من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اى فتسل فقد كذب الى
ومن متعلقة بكذب او بمحذوف موصفة لرسل اى كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اى المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر
هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب
المنير قيل اى التورية والانجيل والزبور والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين فى عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمحق والكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما فى قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون
اجوركم اى تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اى يوم تجازيكم من القبور وفى لفظة التوفية اشارة الى ان
بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار
اى بعد عنها بوجه ونحى والزحزحة تقتضى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذى يتدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه ونبذ المن آثرها على الآخرة فانما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار
لتبلون شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر
تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان عجوم
الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اى تطلب الخبرة بحال الخبر
بتعريضه لما يشق عليه غالبا ملابسة او مفارقة وذلك انما يصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة
العليم الخبير فلا يكون الا لجاز ان امكنه للبعد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيا وهو من مبادى العادية كما مر
والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اى لتقاسن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من البيان على الحق والاعمال الحسنة و
فائدة التوكيد الما التحقيق معنى الابتلاء تهويلا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة فى الحث على ما يريد من التهيؤ والاستعداد
فى اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المودية الى هلاكها او الى انفاقها فى سبل الخير مطلقا فلا يليق نظمه فى سلك الابتلاء
لما انه من باب الاضعاف لان قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف
والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى من قبل ايتائكم
القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بعلة الشقاق والايذان بان بعضا مما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى
الكتاب كما فى قوله تعالى ان الله عهد الينا الخ والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية الدارفان قدم نزول كتابهم مما يؤيد
تمسكهم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصدر من اراذل بنى
تحظة مسن آمن وما كان من كعب بن الاشرف وامثاله من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على معاداة رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم وكذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اى على تلك الشدايد والبلوى عند ورودها وتتقوا ما هو اقبح منها بحسن الخلق وتقوا
اى تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك
اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد
من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها
التى يتنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر و
بالغ فيه يعنى ان ذلك من عزمات الله لابد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا و
تتقوا فهو خير لكم او فانها فعلوا فقد احسنتم او فقد امتثلتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم
فالجملة حينئذ جوابا للشرط وفى ابراز الامر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية من اظهار كمال التلطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله
كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما فى كتابهم من شواهد نبوة صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على

المفعولية

المفعولية بمضمر امر به النبى عليه السلام خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام وللمؤمنين لكون مضمونه من التكاليف
الحقة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب
ذكرها على ما مر بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى جاعل الخ اى واذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا
الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به
والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام
والاخبار التى من جملتها امر نبوة صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب والالتفات عطف
على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتاكيد فى الاول لانه تاكيد له
وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اى وانتم لا تكتمونه واما على رأى من يجوز دخول الواو على
المضارع المنفى عند وقوعه حالا اى لتبيننه غير كاتمين والنهى عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة فى ايجاب المامور
به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان المنهى عنه الفاء التاويلات الزائغة
والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق
بفنون التاكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشئ وراء الظهر مثل فى الاستهانة به
والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم فى كمال العناية وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين لو ظهار
ما مجموعه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع فى عرض من الاعراض الفانية الحكم قد
لا يخفى وعن النبى عليه السلام من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لو هب بن منبه انى ارى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا لكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل للعدو من العلم
ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن على رضى الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على
اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اى باكتمان الذى امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة
واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كما مر لاشتمال نبوته عليه السلام ونحو ما مما ان ذلك كتم للكل او به يتم الكتمان
كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان فى الشناعة واستتبار العقاب كما
فى قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا باكتموا اى تركوا ما امروا به واخفوه
بدله ثمنا قليلا اى شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفى تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما
بالاشتراء المؤذن بالرغبة فى المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذى هو السمة فى العقد والمقصود
بالمعاملة بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذى حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مهيا بالباء
الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها باشتارهم الدنى الحقير على
الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا مما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه بئس
ما يشترون مانكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيا يشترونه
ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اى
بما فعلوا كما فى قوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابى بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا
اى اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود حرفوا التورية وفوجوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شئ فى التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه
واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون
لملة ابرهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم بوضع موضع ضميرهم والجملة مستانفة لبيان
ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروى اثر بيان قباحتها وقد ارجع فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم
على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم بان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك فى سلك

الصلة الخ حقها ان تكون معاودة للثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمد وابه وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله يقالا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويحبون ان يحمدوا على المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالمنزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشئ من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يحمده الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا وايا ما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي بملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي و لا يضر تانيثها بالتاء مطلقا انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلو لا رجال لنفرمنك ورهبة عقابك قد كانوا لنا بالموارد ولك سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء فيهما على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والتقدير بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعول الثاني عليهما على عكس ما في قوله باتى كتاب او باية سنة ترى جشمهم عارا على وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور وقوع عدم حسبانهم على عدم حسبانه ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتقدير الوعد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة و قطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم يجوزون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما يجازى به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم وانما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور للاحتمال وقوع الحسبان من جهته ع ولهم عذاب اليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من نطاق حقق ان لهم فرادنه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية مع التنكير التفخيمي والوصف وتقد اي حاقة ملك السموات والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما بينهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شئ من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شئ قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ عن ملكوته شئ من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورة اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شئ من الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة جميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاص تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يجاد في فهم اجلالها العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازديادة باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الامكنة او في اختلافهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب

الشمالي

اشمالي آياتها الصيغة اطول وليلها الصيغة اقصر من آيام البلاد البعيدة منه وليلها بالعكس او في انفسهما فان كرة الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صيفا وفي بعضها ظهرا او عصرا وغير ذلك والليل قيل اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد كالجمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها لليلاة كما في كيكة وكيكي كما نها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار امالانه الاصل فان غرة الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخليقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم ان وخلفه اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شئونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد فيض بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فتظافرت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما تفصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته لاولي الالباب اي لذوي العقول المجلوة التي لعنت عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية التاملين في احوال الخلائق احكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المدبرين في روائع حكم الموجودة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتخلصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود شاهدين على عامر اقتضته وذكره غير ملتفتين الى شئ حاسواه الا من حيث هو مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة كماله صفة فان كل ظاهر مظاهر الابداع وحفر مخافر المكونين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قويم الى الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فصل من سامع واع ومخبر بانباء علمه وحكمته فصل لمن داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويردجوابهم بحسب معقولهم بجاوزة بليغ عبارة وبليغ اخرى بلطف اشارة مراعيا في الجواب ايهامهم وتصريحهم وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتامل في هذه الشؤن والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ذات ليلة يا عائشة ذريني اتعبد الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب ما يسرك فقد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حجره ثم جلس يحمد الله تعالى ويثني عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلغت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يستوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الخ الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب جرورا على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة وامامفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل بالاخفى وايا ما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعايد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم والى الاشارة بقوله عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا في الآفاق والى الاشارة بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شؤنه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم

من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم لما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقالوا
يذكرون الله على اقدارهم فليس مرادهم بيان تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما اراد وا بالتمسك بنوع موافقة لها في
ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها وانما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران
بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فما لا يساعده سياق النظم الجليل وكلمة
والقيام والقعود جمع قايم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابها على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين
وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم
الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بل لانها الاحوال المرهوة التي لا يخلو عنها الانسان
غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل
محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته
تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجة التي تؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآيات الكتب
فكل اتها آيات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك
فالاولى بمنزلة لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل
والثانية مؤيدات للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكنونها فان من تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط
البديع قضى بانصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر
والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشاء امثال
يحتذيه او قانون ينتحيه نهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقاتهم
المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحج والدلائل والامارات والمخائل و
سائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو اشرف افراده لما ان لكل
من القلب والجوارح اعمالا هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف و
انما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤنه تعالى وقد روي عنه عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان
يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى وكذلك قال عليه السلام لا عبادة
مثل التفكر وقد عرفت انه حسبما يتحقق بما جاءت به الشريعة الحقة والا فما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة حيث يتفاوت
الآيات التكوينية ويتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان
بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض كغاية الاضمار لابراز كمال
العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين
في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات
والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى البعض الآخر
منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائها وابداعها بما فيها من عجايب المصنوعات وقيل بمعنى
المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيها اعم من ان يكون بطريق الجزئية منها او بطريق الحلول
فيها او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لفرط من التعظيم
كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انها باعتبار تعلق الخلق بها في معنى المخلوق او الى
الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد لمحذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت

هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه او ضاع الغافلين عن ذلك
المعرضين عن التفكر فيما يستتبع الحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدار المعايش العباد ومنار ارشادهم الى
معرفة احوال المبداء والمعاد حسبما فصح عنه الرسل والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب
بقول مقدر موعلى تقدير كون الموصول نعتا للاولى الالباب استيناف مبني لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق
فان النفس عند سماع تخصيص الآيات المذكورة في خلق العالم بالاولى الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في خلق تلك
الآيات تبقى متحيرة قلقة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وما ذا يترتب عليه من النتيجة فقيل
يقولون كيت وكيت فاينئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة الرسل وحقيقة الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام
الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة
النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته
له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانها مما يؤدي الى اجلاء تلك الآيات و
الاستدلال ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتبارها قيدا
لما في حيز الصلة حالا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح
او مرفوعا على انه خبر لمبتداء محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا
القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى سبحانك اتنزيها
لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله ومعد لما بعده من قوله تعالى فقنا
عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الجميلة والقيام بما يقتضيه من الاعمال
الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف
على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو على الوقاية
عن ذلك كانه قيل وانا قد عرفنا سترك واطعنا امرك وتزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا
يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتقدير الجملة
بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتاكيدا لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار
في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي
الاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل امانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة
الهلاك تبلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك الضمان فقد
ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب البالغ ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين
من انصار تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم تخليصهم وغرضهم
تاكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الانصار
في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر
بالمدافعة بقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار ربنا انتا سمعنا منادي
ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على
التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الفراغة والابتهال والتاكيد للايذان
بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بالى لتضمنها معنى الانهاء و
باللام كاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم واشاره على
الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت
وينادي صفة لمنادي اعند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة كان حالا منه كما اذا قلت

سمعت زيدا يقول الا مفعولة بهم لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة بلا ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بما كلفكم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه فآمنا اي فاتشلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يحب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي المخصوصين بصحبتهم مقتدين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كصاحب واصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مبني على ما قبله معطوف عليه تاخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعدك الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك وتخويف من عصاهم مؤكدا لمحذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادى سوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام كدعوتهم في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنتهم الكل واثار الجمع لاظهار كمال النعمة باختصاص الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيمة قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن به رجاء للانتظام في سلكهم بموجبه وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الفراغة والابتهال ليست لنحو فهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت والمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه البعث بعد الموت وفي الآثار من حزبه امر فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراده وقرا هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القرا الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطا المسئول وبتعدي باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجيبوا عند ذلك مجيب وهو عطف على الاستينا في المقدر فيما سلف مترتب عليها في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وان لم يتحد الفعلان فيما صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا يخفى الاختلاف بين بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر سيق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قولهم ربنا ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اتمامهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك تحاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول فعلا اولي الالباب فلا سياغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان

الحكم

الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتأخرة عنه وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم وابراز اللطف بما لا يخفى انى لا اضيع عمل عامل منكم اي باثني وهكذا اقرا اني رح والبا للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنتي السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشان الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تاكيد ما بيان سببها والاشعار بان مدار ما اعلمهم الخ قد صار موجبا على الدعاء الاخرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجتا ولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال تنزاهه تعالى عن ذلك بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني لا اضيع الخ وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لوقوع الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل بما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا فرع تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض اكابر افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر لدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تقتضي الترتيب اولان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين او ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بكل الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو راي الكوفيين كيف لا وواو الحكم على اتصاف كل فرد بالكل كما في قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدا الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سالة الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتقديم له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله صفة لثوابا متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لا شيء منهم اثابة كائنة او تثويبا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تقدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظيم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تشبيه على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدار القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم او كل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب

اي الكفار م

وانما جعل للتقلب مبالغة لما انظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب
والمتاجر والمزارع روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء وليس عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما
يرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتداء محذوف
اى متاع قليل لاقدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا الا كزاد الراكب يحمل احدكم اصبعه
اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدى وجوده لو اجدى ولا يفقر فقدانه لو فقد ثم مأواهم اى مصيرهم الذى يأوون
اليه لا يبرحون جهنم التى لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها جنته
نفسهم وكبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اى بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها بيان كمال حسن حال المؤمنين عقيب بيان كمال سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال
في الجنات بسبب تلك الامور ونزلا حالا من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاى وهو ما
يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالظرف والعامل فيه ما في الوصف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد
كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتداء وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف
هو صفة لخبرا ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اى ما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل و
التعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انطاس قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من
نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من
اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشى فانه لما مات
نعاه جبريل الى النبى عليهما السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فظر الى ارض
الحبشة فابصر سريره النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط و
ليس على دينه فنزلت وانا دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما
انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر
بالعكس لوجود الملائمة عيارة وقعيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر متبوعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامها المنسوخة وما
لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما من غير تحريف ولا تكتيم كما هو دين المحرفين
وابتاعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا
تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبلها ونظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشراء فقط بل لتضمن
ذلك لاظهارها في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم
الجميلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتداء خبره قوله تعالى
لهم وقوله اجرهم اى المخصص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من
رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر اولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب
على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لفوره على جميع الاشياء فيوفى كل عامل اجره من غير حاجة الى تامل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا
اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اى

على مشاق الطاعات وغيرذلك من المكاره والشدائد وصابروا اى غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب
واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا
اى اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة
الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كى تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل
مكروه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة ال عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه
عليه السلام من قراء السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملئكة حتى تجب الشمس اخرجه

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين ح والحادثين بعد ذلك الى يوم
القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول الغائبين عن دائرة التكليف الا عند الحنابلة
بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجى فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة
مكلف بما كلفه اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لسانى الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لسانى الى يوم القيمة
وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب فستوقف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث
حقيقة واما صيغة جمع الذكور فقوله عز وجل اتقوا ربكم فوارده على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير
الحنابلة واما اذا دخلن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجى وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعى تخصيص
لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التى هى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق
بحقوق ابناء الجنس اى اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة كالصفة الواردة ههنا وايا ما
كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال
به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم
على هذا النمط البديع لابنائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التى من جملتها اعقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا
يقادر قدرها من اقوى الدواعى الى الاتقاء من موجبات نقمته وانم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم
صنوانا مفرعة من اروومة واحدة هى نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من
حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للعالم السالفة مع اختصاصه فيما قبل بالمأمورين بنا على ان تذكير
شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء
عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بوساطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء و
الامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض
لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة كما سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح
في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعى انشاء ذلك الاصل
لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبداء
وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك ولما علم خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر
ومبين لما ذكر وا عادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الخ لا اظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثانى

بطريق الانشاء من المادة التي قال خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام روى انه عز وجل لما خلقه وهم واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقتها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقتهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامر بالتقوى من تذكير خلقتها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدأ ثانية عليها السلام لما مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايراد ما بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التعليل

بث منهما اى نشر من تلك الانفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اى بثا كثيرا ونساء اى كثيرة وترك التصريح بهما للاكتفاء بالوصف المذكور وايثار هما على ذكور واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة بلبدائية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اى وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله وعلى سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الصفة وقرئ تسالون من الثلاثي اى تسالون به غيركم وقد قرئ به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر هنا عيسا ولون على وجه وقرئ يتسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبنفيه قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقولون في السؤال وللمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اى اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اى والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله وبالوالدين احسانا وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اى مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اى حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعالما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى اظهارا لكمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من ودي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قولهم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اى لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخالطين اطماعهم الفارغة عنها وكف الكهنة الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل للاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه للاولياء من كان منهم بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول

او بالغا فالامر شامل للاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الرفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتي من الامر وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل طلاق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل وايا ما كان ما سيأتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الآية فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب للاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا ومع ما سبق تكلف لا يخفى فالاولى ما تقدم من حمل الايتاء واموالهم اليهم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل بالدفع بسوء وارد بالايتاء الصغار او ما يعم الصغار والكبار جميعا وذكر انفاقها والمأروي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهى عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول ويستعملان ابدالا بأفضلهما الى الحاصل بأنفسهما والى الزائل بالباقي كما في قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وأما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما ونحو عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال الفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل قضاء لان تذروا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه كل مالا يمكن مالهم المحتوم او المقدر وقيل هو اختزال مال يمكن حفظه واياما كان فانما عبر عنها بما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا للمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فورود النهي كما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله به او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضة عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المحبوب اليه شرى كان او ثمنا لا لسلب المحبوب عنه ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهى عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اى لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حال و اكل حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اى الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اى ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وحيث ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اى جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل بمعنى افسط فان الزجاج حكى ان قسط لا يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لامعناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والآلم يكن الامر شاملا لمن يعلم الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يأتونه وهو نكاح ما فوق الاربع من النساء بما دون الاربع خاصة وتأخيره عنه لقلته بوقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة وتربص بهن ان يبلغن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء

وهذا قول ازهري رواية عن عروة عن عايشة رضي الله عنها واما اعتبار اجماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة ذات مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها طمعا عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غير حتى فان المذكور يدفع بتقليل عددهن اي وان خفتم الا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن فانكحوا ما طاب لكم موصولة او موصوفة تابعة ما صلتها او صفتها اوثرت على من تنبيها على الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لانا وعلى الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لا خلاله بمقام الترغيب فيهن وقراءة ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار النهي بنكاح هن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزاع الهن عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك لاعتناء بهم فهم عن نكاح اليتامى ومولاة توجيه النهي الضمني الا النكاح المترتب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فوقوعه اوقع لا رفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان مخطوبية المرتب حيث كانت للجواز المرتب فيه فمخطوبية المحقق مع تحقق الجواز فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا يختص بمن عداهن وفيه فرار من المجاز والوقوع فيما هو اقطع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا ورد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولان قبل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليحمل دالا على التخصيص مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها جاءت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلها النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب وشمول اباحة الازيد من تسع لاستلزام اباحة التسع اباحة الاربع وما دونها بالطريق الاولى وقيل هي صفات لمصدر محذوف اي انكحوا انكاحا مثنى وثلاث ورباع وقيل بدل من ما طاب بدل تفصيل من مجمل وقيل منصوب بفعل محذوف اي انكحوا اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان كلا واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهن عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله لم يكن غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ومع تحرجهم من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تجمعوا اجمع الحرمات ولا يخفى انه لا يساعد عليه اجازة التعلم الكريم لابتنائها على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا اي فيما يتعلق بالنساء ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد فواحدة اي فالزموا او فاختاروا واحدة وزوا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحكمكم واحدة او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما في ما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحادهما في طبين في الموضعين بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات مما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة وللايذان بقصور رتبتهن عن

رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري اولى الا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداها من ان لا تميلوا المحظور الانتفاء رأسا بانتفاء محله فهي الاول وانتفاء حظره بخلاف اختيار العدد في المرتبة فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والحظر ومن ههنا يتبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدد كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم عما انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم وعبر عن كثرة العيال بكثرة المئونة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل وآتوا النساء اي الاتي امر بنكاحهن صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة ظلمة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي معطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي لمعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحلة كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك الناقة لمن يولد لبنت يعنون تأخذ مهرها فتسبح به مالك اي تحظم فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد و بياض كانها في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبياض ينبغي ان تقول كانها قال لكنه اردت كان ذلك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن عليه ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاتصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائنا من الصداق وفيه بعث لطف الى تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوجيه لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير محتشمات بما يضطررن الى البذل من مكارم اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان الحرة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اي تحيزوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتقربوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرء اذا كان سائغا لا تنغيض فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الاكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما يساغ في مجراه الذي هو المرئ وسوء ما بين الحلقوم الى فم المعدة حتى بذلك لمرور الطعام فيه اي انسياغه ونفسها على انها صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حالان من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفية اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني كما حصل وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن

من الاجنبيات من حيث التخيير ومن حيث الاكل استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة
ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لانظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانها غير مصححة لاقتضائها بالوصف الآتي
بل تنزيلا لاختصاصها بهم منزلة اختصاصها بالاولياء فكانت اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي و
النسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا تقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم
بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها
مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتتعيشون على حذف المفعول
الاول فلو ضيعتموه لضيعتم ثم زيد في المبالغة حيث جعل بابا للقيام قياما كأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما
اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي مبنى
ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك
بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال
الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما
بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم
فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال
وقيل الخطاب لكل احد كأنه قيل ارزق منكان ولمن وجهه عن ان يفوض امر المال الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغيرهم لكن
ولا يخفى ان ذلك يخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما لينا لطيفا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ما يحل
وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس وحسنت به شرعا
او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته فمنكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت
تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي وجربوا
من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما
يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتمرنون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل
وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى
اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا انهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احسستم بمعنى احسستم كما
في قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احس به وهن اليه شوس منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه التصرفات
من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاعتداد بعدايته له والتنوين للدلالة
على كفاية رشد ما في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمها فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع
على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتنافيهما وتهافتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي يقع بعدها
الجمل كالتي في قولك نمت حتى تطلع الشمس تجر ما بعدها جملة اسمية كما هنا او فعلية اسمية كما في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء
وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ايدا وبه اخذ ابو يوسف
ومحمد وقال ابو حنيفة رحمهم الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زاد عليها تسع
سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع ادفع اليه ماله اونس منه رشدا ولم
يونس ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين وبادرين كبرهم او لاسرافكم وبداركم كبرهم تفرطون في
انفاقها وتقولون تنفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فيستردوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لما وقع
تمهيدا لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليستزد من
كمالها وليقتنع بما آتاه الله من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء

فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه ومقدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على
ان للوصي حقا في مقابلة ما عمل فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولي اليتيم قال له ان كان فقيرا فاشرب من لبن ابله قال ان
كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جربانها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب
وعن محمد بن كعب يقوم كما يقوم البقة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يرى
فيه وعنه كالمليته يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستلف فاذا ايسر اداه وعن سعيد بن جبير ان شاء
شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس بايسره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت
اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت استعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد ايناس الرشد
الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول القريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها
وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة واد خل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا
عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا للمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا
اي في ايجاب الاشهاد والامر به ولا جناح عليكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع في
بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن
في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ
لاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين
والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم كانوا لا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب
عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجة ام كحة وثلث بنات فزوى ابناء عمه سويد وعرفطة او
قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي
حتى انظر ما يحدث الله تعالى في قضيتك فانزل الله تعالى قضيت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين
فنزل يوصيكم الله اي يعهد اليكم في اولادكم ويأمركم في شأنهم فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب
وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى
ايضا لمحذوف للتعويل على المذكور وفائدة دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل والآلات الحرب
للرجال وتحقيق ان كلا من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد لكونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه سقط
حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها متأخرة عن الموت لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تقدموا
قلوبهم وعلى الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب
فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير للمال وهو لمذهب كثير من البالغون
من الورثة تطييبا لقلوبهم الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يجبون ان يفعل بذراريهم
الضعاف بعدوفاتهم اولمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض يشفقوا
عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يفقرهم بصرف المال عنهم اولورثته بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء

الاقارب واليتامى واللسا[كين] مستقورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا فاشفقوا عليهم فليخافوا ان يظلموا اليتامى ولو بما فى حيز ما صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره مايجب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفا وضعافى وضعافى فليتقوا الله فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التى هى غاية للخشية بعد امرهم بها مراعاة للمبتدا والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثانى ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم مما يشتهونه وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عند وعدا حسنا او يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى تجاوز الثلث وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اى على وجه الظلم او ظالمين استيناف جئ به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهى انما يأكلون فى بطونهم اى يملاءون بطونهم نارا اى ما يجر الى النار ويؤدى اليها وعن ابى برزة انه قال قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعير اى سيدخلون نارا ذات سعير وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اوقدتها وروى ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاعتزلوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الخ يوصيكم الله شروع فى تفصيل احكام المواريث المجملة فى قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والابناء والازواج قسمان وهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اى يأمركم ويعهد اليكم فى اولادكم اولاد كل واحد منكم اى فى شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثر حقا بقاء بعد الموت للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جئ بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رآه الفراء فانه يجرى ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه فى حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لابد له من ضمير عايد الى اولاد محذوف تقديره يظهر وكما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى للذكر منهم وقيل الالف واللام قام مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط فى تضعيف خطه وايثار اسمى الذكر والانثى على اذكرا وللانثى من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين فى الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر فى ذلك اصلا كما سوى عام اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اى الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وقوله تعالى نساء اى جملا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى نساء زايدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اى المولودة واحدة اى امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره كما سبق فلها النصف ما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس حكمها حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثنتين لما فوقهما وقال الجمهور حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثنتان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصف بزيادة العدد قال تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها فى الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى وهوى وان البنتين اسن حما من الاختين وقد فوض الله لهما الثلثين حيث قال تعالى

فلهما الثلثان ما ترك ولابويه اى لابوى الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاصه حكما بما تلاها من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذى هو قوله تعالى الذ[ين] وبين خبره الذى هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيده بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع ما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المتعلق فى الخبر اى كائنا ما ترك المتوفى ان كان له ولد اى ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب فى صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا والد ابن وورثه ابواه فلامه الثلث ما ترك والباقى للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث فى ابويه وعين نصف الام علم ان الباقى للاب وتخصيص جانب الام بالذكر لما مال حاجب الاب على دلالة مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها احصر واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقى فرض احد سما للثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فانه يقتضى لا تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى الارث بدليل اضعاف عليها عند انفرادهما عن الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اى عدد من اى اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذى حجبوا عنه فهو للاب عند وجوده وله عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضى الله عنهما انه لهم على كل حال خلافا لهذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات المخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية جر بشبه جر المضاف بمحذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا بما يليها وحدها اى هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصى بها اى الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا مبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب فى الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة واثارا والمفيدة للاباحة على الواو والاداء على نسا ويهما فى الوجوب وتقدمها على القسمة مجموعين او مفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط فى ادائها ولاطراد ها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة اباؤكم مبتداء وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتداء واقرب خبره ونفعا على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايكم قرب لكم نفعه والجملة فى حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعترضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية الى اصولكم وفروعكم الذين يتوقعون لا تدرون ايهم انفع لكم ان يوصى ببعض ماله فيعتر ضكم لثواب الآخرة بتنفيذ الوصية ام من لا يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفع الدراية عنهم بيان استواء الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثانى فى حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتى مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمنزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب فى تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول فى ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثانى مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشاء خطاهم ومبالغة فى ترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثانى مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحققه وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للموروثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم

وفروعكم عاجلا وآجلا فحرّم وا في شأنهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تتهاونوا الى تفصيل بعض وحرمان بعض روى ان احد
المتوارثين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته قيل فالجملة الاخيرة
حينئذ مؤكدة للامر بالقسمة وانت خبير بانه متى دار الامر بين ما ذكر من اقربية النفع مع ان العلاقة النسبية
فريضة من الله نصبت نصبا مصدرا مؤكدا لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه
في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فتدخل فيه
الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني
من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او
من صلبه بنتا او ابنى بنتها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان متعددا والا لفظ الولد ينتظم الجمع منكم او من
غيركم والباقي لو رتهن من ذوي الفروض والعصبات وغيرهم وبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا
فان كان لهن ولد عطف على نحو فاضل والفاء للترتيب بما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقديم عدم الولد وبيان حكم مستتبع
لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق
بكلتا الصوتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب
الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار
وايثار او على الواو المفيدة للاشتراك فيهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على
الدين ذكر لما مر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل
المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات وذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم
وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين
من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة
كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في
الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن
وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بيّن
والمراد برجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لامن اورث خبر كان اي يورث منه
كلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها
بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المحلفين بمعنى ذوي
كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالحاجة والقناعة للاحمق فيفسرها اما على انها كما
مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر كان
ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل مورث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا او
مشددا فانتصابه بكلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثة حال كونه ذا كلالة او على
انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد
بما قيد به اي او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشذوذه واصالته في الاحكام وله
اي للرجل فقيه تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت
اي من الام كحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة
في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقتها لتصوير المسئلة وذكر
الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود
الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة وبالاجماع فكل واحد منهما من الاخ والاخت

السدس

من غير تفصيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ
او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفا وما مر من ان ذكرا احتمال الانفراد مستتبع احتمال التعدد فهم شركاء
في الثلث يقتسمون بالتسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا والمانع ان يكون يورث
في القراءة المشهورة وبينا للمفعول من اورث على ان المراد بالوارث والمعنى وان كان رجل يحمل وارثا لاجل
الكلالة او ذا كلالة اي غير والد وولد ولذلك الوارث اخ او اخت فكل واحد من ذلك الوارث وحده او اخته
السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين
لا يزاد عليه شيء فيعزل من السداد اما او لا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هو الاخوة بين الوارث وبين شريكه
في الارث من اخ او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها تتم تصوير
المسئلة وانما المعتبر بينها الوارثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون
نصيب ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام تمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة
ههنا اولاد الام على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى ولاخ او اخت هو الاخوة لام حاصة حسبما شهدت به
القراءة المحكمة والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين
ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما تنبئ عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص
باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتضى البيان علم حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع
فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام حاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث
من ورث لام او ورث فتدبر وانما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر استحقاق الورثة للفرض المذكور لوجوه منهم
بعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين وانما ثالثا
فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة بيان كون حظ كل منهما
السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد وابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيما
اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره
خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لا فاق
الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كما ان قيل او دين يوصى
بها غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال
في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبنى للمفعول فاعل الفعل عنه المذكور ومن فاعل
الفعل المذكور والمحذوف المكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير
مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية بقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين
كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد
لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحلة للاشعار
فيما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت
الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل
معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل عمل الفعل الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله و
عهده لافي شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهما بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام
المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم و
نقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها

على الورثة مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراج مخرج مضارة
امر الله تعالى ومضارتهم بل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه بقتضى ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل
المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تحتم
به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال
وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في
شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز تجاوزتها ومن يطع
الله ورسوله في جميع الاوامر والنواهي من جملتها ما فصل هنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات
نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب
انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد
الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما
فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير
بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله و
رسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد في ما يقتضي من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رض من لم
يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يغير ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا او الكلام
في موضع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع
الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظمة هائلة
لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع
هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار
العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اي ولهم مع عذاب الحريق الجسماني
عذاب آخر مهين لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية والاتي يأتين الفاحشة
من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث والاتي جمع التي
بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحها
والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة
فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي الاتي يفعلن الزنا كائنات
من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم الاتي دخلتم بهن وبه قال مالك رضي الله عنه
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان
يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت
اي فاحبسوهن فيها واجعلوا سجنا عليهن حتى يتوفاهن الى ان يستوفي ارواحهن الموت وفيه تهويل لكنه
للموت وابراز لذي صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملئكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا
اي شرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف
من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم بها الزاني والزانية بطريق التغليب قال الرضي اريد بهما
البكران منها كما ينبئ عنه كونه عقوبتها اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن سنها
لاقتضاء العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة الخفاء التركيبة في المناط فاذوهما
اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن
ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من ذوي الاجرام الازية وقوارع التوبيخ

كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق
الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للمشهود الواقفين على حالهما وبراد بالايذاء انكارها وتعنيفهما وتهديدهما
بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل
الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روى ان النبي عليه السلام قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
الثيب بالرجم والبكر بالجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس
ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة
ويوصى بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض
للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد غزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه
في اللواطين وما في سورة النور خ الزناة والزواني متمكنا بان المذكور خ الاولى صيغة الاناث خاصة وفي
الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى وايا ما الامر يستشهاد الاربعة
فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغة في قبول التوبة رحيما واسع الرحمة
وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استيناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله ليس
على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سيتطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة
مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان
تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف وبمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ
المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق
في تفسير قوله تعالى وسد على الناس جمع البيت وايا ما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدورها عنه تعالى وكلمة
على للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وبهذا المعنى قال
كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن ليس التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله
تعالى على نفسه بفضله قبولها وبهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقة معرفة على رأي من جوز
حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة
وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق
الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام وستدعيه النظائر
هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين
وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا ترى الى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه
ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون السوء
ملتبسين بها اي جاهلين سفها او يعملونه على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب
مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجمع
اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرادى ان كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله
تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة
الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى
اذا حضر احدهم الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول
وعن ابن عباس رض قبل ان ينزل بهم سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن جريج
النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل
توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى

الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا افارق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن بعيفية
اى يتوبون بعض زمان قريب فانه سمّى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا اى جزء تاب من اجزاء هذا
الزمان فهو قريب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم
بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان
التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما مبالغا العلم والحكمة فيبني احكامه
وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منتزعة الاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون
السيئات تقريح بما فتح من تعذر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين لبيان ان توبة من
عداهم بمنزلة العدم وجميع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا الآن المراد بها جميع انواعها و
بما من القصود نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية
بعدها غاية لما قبلها اى ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولها حتى اني تبت وذكر
الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي لتسمية توبة ولا
للذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر
هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين واذ انا بان وجودها كعدمها بل في
تكرير حرف النفي والمعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين
يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار حاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا
للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية على التغليب
ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من
معنى البعد للايذان بتراخي حالهم في الظلامة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ وجملة اعتدنا لهم اى هيأنا
لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها كان الرجل اذا مات قريبه نزع ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ورثت امرأته كما ورث ماله فغير
بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهب المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب
فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث عاذ عكم كما تأخذ الموارث
وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يموت ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك
وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا يحل بالبناء للفاعل على ان ترثوا بحذف احدى التاءين وقرئ كرها بضم الكاف
وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم يكن من حاجته جسها مع سوء العشرة والتقتير
وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فنهوا لهم ولا تعضلوهن عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفي و
الخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها لخروج بعضه و
بقي بعضه اى ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اى من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه
اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ابتداء بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر
عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع
الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل

من بين

من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اى بينة القبح من النشوز وسكاسة الخلق وايذاء الزوج
واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابى الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال
او اعم الاوقات او اعم العلل اى ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل
الا في حال ايتانهن بفاحشة او الا في وقت ايتانهن بها فان السبب قد يكون من جهتهن وانتم معذورون في
طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة
والمراد ههنا التفضل في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك فان كرهتموهن وسيئ صحبتهن بمقتضى
الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على
معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه
كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة
لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح
في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو الخلافة فلعل من نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر
الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوصل الى تقييم متعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى
ليس مخصوصا بما كرهوه دون ما احبوه بل سنته الالهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما في فيه مادة من مواد ما
وفيه من المبالغة ما فيه من الحمل على ترك المفارقة وتهيم الاشارة ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة
حالية تقديره وهو ان ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر وتنوين
خير لتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان تحقق الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وان
اردتم استبدال زوج اى تزوج امرأة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون عنها بان تطلقوها وآتيتم
احديهن اى احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد او معطوفة على الشرط اى و
قد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اى مالا كثيرا فلا تأخذوا منه اى من ذلك القنطار شيئا يسيرا
فضلا عن الكثير أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استيناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام
للانكار والتوبيخ اى أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهما كاف اذا تزوج امرأة بهت التي تحته
بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي
يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف
تأخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ اذ الاخذ لا يكون
الا على سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن شيء
حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تأخذونه مؤيدة
لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد اى على اى حال اوفى اى حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال شتى
له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق عشرتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل
في حكمه اى اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة وما اوثق الله تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى
فامساك بمعروف او تسريح باحسان او اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحهم من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح
بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء يتناول الاجداد مجازا فيثبت
حرمة ما نكحوه نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في
اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحو ما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء

من ذلك بحكم ملك اليمين او بالهبة المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وايثارها على من للاذعان الى الوصف وقيل ما مصدرية عطف على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باجراء الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب والمعنى لا تنكحوا اصلا ائل آبائهم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا تاخذه عليه لانه مقرر وبانها قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل للنهي وبيان لكون النهي في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالى وعلم موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلزم ان يوسط بينهما ما يهون امره عن ترك المؤاخذة على ما سلف وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل فيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب ومعطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر سواء الموصول في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قبل مراتب القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك لقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ و بنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم كما هن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ذلك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض الموطوءات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ايضا عنهن للملك لا بعبارة بشهادة سياق النظم الكريم وسياقه واما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى ينوبت بنوات محليته له لملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستبقيا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطئ فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والاختان تحت الحرات وان علون والبنات تشاول بناتهن وان سفلن والاخوات تشمل الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد ابويك او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تشاول القرب والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والارضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمة وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهو اخوه لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله ع يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحمل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءة والثالثة ام موطوءة والرابعة هو موطوءة جده الصحيح والكل جده الفاسد واتهات نسائكم شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها مناسبة كلية النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء

وقد روى

وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها لا بأس بان يتزوج ابنتها والاجل ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين من الامم تحرم بنفس العقد وعن مسروق بن مرسلة فارسلها ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم لما نزلت هذه الآية قالوا انا نصيب النساء ذوات الازواج وهن يحببن الاموال فكيف نصنع بهن فانزل الله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم اي فهن لكم حلال اذا انقضت عدتهن وعن جابر رضي الله عنه مثله وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا واتهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر رضي الله عنه روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا مات عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة وليحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والمحسوسات ونظايرهن والاتهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر وربايبكم اللاتي في حجوركم الربايب جمع ربيبة فعيلة بمعنى مفعولة والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شائهن الغالب المعتاد ان يكن في حظائر امهاتهن تحت حجاب ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايراد من باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد اختصاصهم لهن في شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم ما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهن ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه واخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه تقييد ما به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضمير الاى وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم ولا مساغ لجعله حالا من اتهات او اتها اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لكل من له ادنى تمييز ولا ضرورة ان حالية من ربائبكم او من ضميرها يقتضي كون كلمة من ابتدائية وحالية من اتهات او نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة لنسائهن مع اختلاف عائديها مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سمي باسكات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخال الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكم التمسك ونظائره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما يفهمه ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة كلا او للزوج او الحلو لما في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن حزينا تهم ومن يجري مجراهن من المحسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبلها من المحرمات والمراد به جمعها في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعها في الوطئ بملك اليمين الحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المراد ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطئ مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها لا يحل له وطئ احديهما حتى يحرم عليه وطئ الاخرى لسبب من الاسباب وكذا لو تزوج حتى امة الموطوءة لا يحل له وطئ احديهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعها وطئا واسناد الحرمة الى جمعها الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في الحالات السابقة و لكونه بمعزل من الدلالة عليها حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل هؤلاء اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا في حالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثناء

منقطع اى لكن ما قد مضى لا تؤخذون به ولا سبيل الا جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدى معناه الا ما كان بين يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا فى شريعته وقال ابن عباس رض كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رح انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين تزوج امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهى عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وايا ما كان فاختلاف التعليلين

والمحصنات بفتح الصاد وذوات الازواج احصنن التزوج والازواج اولياء اى اعففن عن الوقوع فى الحرام على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن من غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على الوجه الاول ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما فى نظيره ملقح ومسهب من القنح والسهب قيل قد ورد الاحصان فى القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما فى هذه الآية الكريمة الثانى العفة كما فى قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما فى قوله تعالى فاذا احصن قيل فى تفسيره اى اسلمن وهى معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اى كائنات من النساء وفائدة تاكيد عود من لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اى ملكتموه واسناد الملك الى الايمان لما ان سبب الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك فى الارقاء لا سيما انا نتهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بالاسقاطين بما فيها من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهى اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ح ليس لاخراج بعضها اى حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق بل فيمن لا يحرم نكاحهن فى الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا الاتى سبين فان نكاحهن مشروع فى الجملة اى لغير ملاكهن واما ملاكهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارة لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجرى فيه الاستثناء قطعا واما عدتهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالسبى او بالسبى على اختلاف الرايين فمبنى على اعتقاد الكفرة حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روى عن ابى سعيد الخدرى رض من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نفعل على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللنا هن وفى رواية اخرى عنه وانا دى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطا حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاجاج وطئهن بعد الاستبراء وليس فى ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روى عن ابى سعيد رض انه قال انها نزلت فى نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتنزهن عن بعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات ح عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهى لتحريم المحقق والموقوف حال المتوقع والا فما عدا هن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحاد دينهما فلان ينقطع بما بين المهاجرة وزوجها اولى واولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله مصدر مؤكد لما كتب الله عليكم تحريم هو لا كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على

الاغراء بفعل مضمر اى الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بالمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله فحذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او نفس عليكم على راى من جوز تقديم المنصوب فى باب الاغراء كما فى قوله يا ايها الناخ ولوى دونكا انى رايت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الا به وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة فى الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة البنية للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الا فانهما جملتان متقابلتان مؤتستان للتحريم والتعليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير فى اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اى احل لكم نكاح ما سواهن افرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة للتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما فى كل واحدة منهن من العنوان الذى عليه يدور حكم الحرمة ففيهم مشاركة من فى معناهن لهن بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اى على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلال لهن فى الجملة اى على بعض الاحوال ولا ريب فى حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا قدح فى ذلك حرمة بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح فى حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل بحيث يتعلق بهذا ما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك الجمع فلا يدان يتعلق الحل ههنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار ما يتضمنانه واظهر منه ما اى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اى تبتغوا النساء او متروك اى تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير فى محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى موسب المنى سمى به لانه الغرض منه و مفعول الفعلين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزوانى وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وفى قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهى اما شرطية ما بعد ها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهى مبتدا وخبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فاتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدا هو الضمير المنصوب فى فاتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية حالها النصب على الحالية من الضمير المجرور به والمعنى فاى فرد استمتعتم به او فالفرد الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعى تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن من ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدا محذوف والمعنى اى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذى استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لا جله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاع حتى لو نصه حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة اى لهن عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا

ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لها بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق الخلعة وقيل نزلت
في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها
بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روى انه صلى الله عليه وسلم ايام حنين اصبح
يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين
وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضه انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة
وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام
الائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من ادوات شرطية بعدها ما شرطها او موصولة بعدها ما صلتها والظرف متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطيع اى حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اى غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله
الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول مريح لطولا فان اعمال
المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان
ينال نكاح حرة واما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاح او لنكاح فالجار في محل النصب صفة
لطولا اى طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاح على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة
الفضل والقدرة والغنى والسعة وعلى ان يعد حذف الجار افضى عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش
واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة
هو الطول او تمييز اى ومن لم يستطع منكم نكاح حرة استطاعة اوس جهة الطول والغنى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان
عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حرمتين
احصنتا عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم
اما جواب للشرط او خبر للموصول والفا لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة او فلينكح
امرأة اوامة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول ومن تبعيضية اى
فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى
من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر
على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن للابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض
اى فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر
وما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة لمن يستطيع
كما ذهب اليه الشافعي رضه وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو رأى اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رضه تمسكا
بالعمومات تمحل الشرط والوصف هو الافضلية والنزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن عباس رضه انه قال وما وسع الله
على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء
بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان
دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم والمعنى انه تعالى اعلم بشأنكم بمراتبكم في الايمان الذي به ينتظم احوال المعاد وعليه
يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فربت امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله
تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الجهة اثر بيان تفاوتهم
في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين
اما لمن كان الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب
والتنشيط واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا وايا ما كان فاعادة الامر

بالنكاح

بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انتهائه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم جميعا ذكر لزيادة الترغيب
في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى واذ قد وقفتم على
جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تتربصوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بالجواز
مباشرتهم له وآتوهن اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير
مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء والالتزام بما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورة ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي
فيكون ذكر اتيانهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله آتوا موالي هن فحذف المضاف واوصل
الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات
حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات والتاكيد ناشئ من غير من معنى النفي والجمع
الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى
ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في
الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اى بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن
فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن نصف ما على المحصنات اى الحرائر
الابكار من العذاب من الحد الذي هو جلدمائة فنصف خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد ببيان عدم تفاوت
حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه
مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت
منكم اى لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير
لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم بارتكاب الفحش القبائح و
قيل اريد به الحد لانه اذا هو يهابه يحسبان يواقعها فيحده والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لابهامه ان المحذور
عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين كما فيكم انفسكم عما تشتهيه من المعاصي
خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضه ايما حر تزوج بامة فقد
ارق نصفه وقال سعيد جبير بالنكاح الامة من الزنا الاقرب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص
الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال
حال الزوج واولاده مالا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى
الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها للمولى فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر
المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم
يصبر على نكاحهن ما فوق ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن
يريد الله ليبين لكم استيناف لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء
والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة و
مفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم
واعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من
التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير
اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لان اذهب
وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا
وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين
ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اى امرنا بما امرنا للتسلم ويريدون

ايريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبره كما فى تسمع بالمعيدى خير
من ان تراه اى ان تسمع بذى يزى ذا الراى الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء و
الصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط فى مراعاة ما كلفتموه
من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعى تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم لما يريد عكم عن
المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب بجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن
ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ فى العلم بالاشياء التى من
جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع فى جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتدأة
مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الغواة لا لبيان ارادته تعالى لتوبة عليهم حتى يكون من
باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك فى قوله تعالى
ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضمونى الجملتين كما مر فى قوله تعالى
الله ولى الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعى الشهوات البغرة فان اتباعها الاشتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من
المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة
والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اى بالنسبة الى ميل
من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص فى عدتكم من مشاق التكاليف
والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه
وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستحدم قوله فى شاق الطاعات وعن الحسن رح ان المراد ضعف الخلقة
ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلى سيق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة فى نكاح الاماء وليس لضعف
البنية دخل فى ذلك وانما الذى يتعلق به التخفيف فى العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعف فى امر النساء خاصة حيث
لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بنى آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى على ثمانون سنة
وذهب احدى عينى وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرأ ابن عباس رض وخلق الانسان
على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وهذه رض ثمانى آيات فى سورة النساء حسن خير لهذه الامة ما طلعت عليه الشمس
وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان يك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما فكيف يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
شروع فى بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب
بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار و
عقود الربوا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اى لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعى الا ان تكون تجارة عن
تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة للتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة صادرة
عن تراض كما فى قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشمطا اى اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة
وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اى وقوعها او ولكن وجود تجارة
عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا او لوقوعها لذوى
المروآت والمراد بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا
وعند الشافعى فى وقت حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اى من كان من جنسكم من المؤمنين

فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رح لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة فى الزجر عن قتلهم بصوره
بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل اولا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى اليه فان القتل الحقيقى لها
كما يشعر به ايراده عقيب النهى عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهى السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله
بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدى الى القتل من الجنايات وقيل يا لقائها فى التهلكة وايد بما روى عن عمرو بن العاص انه
تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع فى التوصية
بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها و
لتقديم النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهى بطريق الاستئناف اى مبالغا فى الرحمة
والرأفة ولذلك ينهاكم عما ينهى فان ذلك مما عظيمة لكم بالزجر عن المعاصى والذين هم فى معرض التعرض لحفظ اموالهم
وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بنى اسرائيل بقتل انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او ما قبله من اكل الاموال وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفساد عدوانا وظلما اى افراطا فى التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحق
وقيل اريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس تعريضها للعقاب ومحلها النصب على الحالية او على العلية
اى متعديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوا نا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اى ندخله وقرئ
بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك
من حيث انه سبب للصلى نارا اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اى اصلاؤه النار
على الله يسيرا لتحقق الداعى وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال
الاعتراض التذييلى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اى كبائر الذنوب التى نهاكم الشرع عنها ما ذكر ههنا وما
لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد
اليه تعالى والتكفير ازالة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اى نغفر لكم سيئاتكم صغائركم و
نمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من
الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح
بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس
التى حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن على رض
التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رض
ان رجلا قال له الكبائر سبع قال الى السبعمائة اقرب منها الى السبع وروى عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقيل صغائر الذنوب وكبائرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وجب فاعلها بل يجب الاوقات والاماكن ايضا
فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران نمن عنكم ما
منها ووعدت نفسه اليها بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرها كفر عنه ما ارتكبه مما استحق عليه اجتناب الاكبر من العقاب
وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اى حسنا مرضيا او مصدرا بمعنى ادخال مع كرامة
وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثانى بفعل مقدر مطاوع للمذكور اى تدخلكم
فتدخلون مدخلا او دخولا كبيرا كما فى قوله وعقيلة دهريا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف
اى لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اى عليكم ولعل ايثار الباء هم
عليه للتفادى عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما زها هو الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل
وقتل النفس عقبه بالنهى عما يؤدى اليه من الطمع فى اموالهم وتمنيها وقيل زها هم اولا عن التعرض لاموالهم

بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتظهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم
من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس ونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير
لائق بأحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤنهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا
يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدم خير ولا لانه لو كان
خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعد حسا نيا من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نفس نصيب
الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن
احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال منهم سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش فنا فرنت وهذا
هو الانسب بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه مريح في جريان التمني
بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنها بالبعض والمعنى كل من الفريقين في الميراث نصيب
معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه قضاء
حاله لنصيبه باكتسابه اياه تأكيد الاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان
ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسئلوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل
بينهما للتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له
واسئلوا الله تعالى من خزائن جوده التي لا نفاد لها وحذف المفعول اما للتعميم اي واسألوه ما تريدون فان الله
تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زيادته والتقدير واسألوا فضله وقد جاء في
الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على
الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل سبب النزول ما روى ان ام سلمة رضي قالت ليت الله كتب علينا
الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فالمعنى على ان المعنى كل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب
على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ
حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنى النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمة تعالى ما يليق بجلالهن
من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما
ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب
المشية المبنية على الحكم الالهية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون
ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل ببعض دون بعض كما في قوله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم
بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وما تركب بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله
تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير
او ولكل قوم جعلنا هم موالي اي وراثا لنصيب معين مغائر لنصيب قوم آخرين ما ترك الوالدان والاقربون على
ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله
انسانا من رزق الله اي حظا منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي ما ترك اي وراثا منه على ان من صلة
موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر
للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح
لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد
من الموالي اذ لا بنا ولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة

كان الحلف

كان الحلف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رح اذا
اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا وكان هذا
العقد الى الايمان لان المتعاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم
المضاف اليه مقامه ثم حذف وقوي عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما سحتموهم وهو مبتدأ
متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر الذي هو قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده
كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبنية للجملة قبلها
ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا
ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة
في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا او ايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بوفور قيامهم
بالامر من موجبات وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف
وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم
عليهن او طبعيين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى
التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا او المتلفظ لكل لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل و
حسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم
الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائده من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية
متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه
من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو اما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي
نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى
فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالغيت
شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات
اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم اضافة المال اليها
للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية بما حفظ الله
ما مصدرية اي بحفظ الله تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة
اي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال والاقاتي
تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند
صدور امر مكروه او عند الظن او العلم بجدوته وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم
من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك
ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية
عن الجماع وقيل المضاجع المباءات اي لا تبيتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما
فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يبتدر اجرا

فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اى فاذيلوا عنهن التوض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم اوانه تعالى على علوشانه
يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم اوانه يتعالى وكبرياء ان
يظلم احدا وينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يتحقق اويفرض تحققه وان
الذى يتوقع منهن ويليق بشانهن لاسيما بعد ما كان ما كان من ازواجهن هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء
المنبئة عن سببية ما بعدها لما قبلها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر
على التقدير المسكوت عنه اعنى عدم الاطاعة المؤدى الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد
ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما فى شق اى جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضه والجزم بوجود
الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا التعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وميز التثنية للزوجين وان
لم يجر لهما ذكر لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجراءه مجرى المفعول به كما فى قوله يا سارق الليلة او
مجرى الفاعل كما فى قولك نهاره صائم اى ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا
الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اصل الزوج
وحكما آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب لعرف بواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه
الاستحباب ولو بعثا من الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى
عن على رضه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان تجالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا
اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق
الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والفى نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما
الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق بشانهما ويتوقع صدوره
عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا يتسبب اختلال الامر الى
عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة مبنية عن دوران عدمه على عدمها
وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما
للزوجين اى ان اراد اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع
الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدا سوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين و
الاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التى هى اكد الحقوق واعظمها
تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها فى سلكها كما فى سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول ان لا تشركوا به شيئا
من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا اشياء من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اى
احسنوا بهما احسانا وبذى القربى اى بصاحب القرابة من اخ وعم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين
من الاجانب والجار ذى القربى اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجار قرب وانصال بسبب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى والجار ذى الجنب اى البعيد او الذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم
الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر حسن
كتعلم وتحرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى
صحبة البتات بينك وبينه وقيل هى المراة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم
من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم

فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ
بفتح الاول وبفتحتها وبضمها والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع على انه خبر محذوف اى هم الذين او مبتداء
خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقا وبخل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
اى من المال والغنى او من نعوت صلى الله عليه وسلم التى بينتها لهم فى التورية وهو اشد بامرهم للناس بالبخل فان اخبارهم
كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من
هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما ان النعمة بالبخل والاخفاء والآية
نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل
هو الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم
رياء الناس اى للفخر وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او
على الكافرين وانما شاركوهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيثما نهما طرفا
تفريط واخراط سواء فى القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفى
مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم او مبتداء خبره محذوف يدل
عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ليتجوا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم شركو مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره
واستفادته عن التصريح به والمراد بابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبايح وزينوا لهم كما فى قوله تعالى انا
المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار وماذا عليهم
اى على من ذكر من الطوائف لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به
تعويلا على التفصيل السابق والكناية بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى
وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم او واى تبعة ووبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وهو توبيخ
لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يودى بهم
الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا
فكيف اذا كان فيه منافع لا تخفى وتقديم الايمان بهما لاهميته فى نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم
انفاقهم رياء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين
ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب اوبالعكس
المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة
المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص
او بمعنى وضع الشئ فى غير موضعه اى لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر
المحذوف نائب منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة وهو
الاوفق بمقام المبالغة فان قلته فى النقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضه انه ادخل يده فى التراب
ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اى وان تك مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر
او لاضافة الذرة الى المذكر وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع
على ان كان تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها بجعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما
كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان
المهند رضه انه قال لابى هريرة رضه بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطى

عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لما بلغ سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الله الف حسنة ثم تلا هذه الآية
الكريمة والمراد الكثرة لا العدد المعين ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة
العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا او اناسماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع على انه خبر لمبتداء
محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب
الاخفش اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيمة
من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله
تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتداء والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل
المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا
تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستغنم عن حالهم تشهد عليهم
بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على امهم وقيل الى المؤمنين كما هو قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استيناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها
وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما
بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعترهم من الحال الفظيعة والامر الهائل و
ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا
ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول هو الجنس المنتظم
للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى و
عصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة للكفر هم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع
الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين
الكفر وعصيان الرسول او الذين كفروا وقد عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى
لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليودّ اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل
يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها
فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا لمحذوف ايذانا بغاية ظهوره اي
لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يودّ اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم
الارض وقرئ تسوى على اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الكثير اكد به تعالى
نهوا هنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة
فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي و
توجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد
كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيانه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فانه لغو لا تفهموا ما في حالة
السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه او بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه في الصلوة وحمل العلم على ما
في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقرؤنه
في الصلوة تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر باذكر من التجربة على اختيار ما تقولون على ما تقرؤن وقيل
عن الداعي

عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله
بل انما هو المقيد مع بقاء القيد على حاله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كما نقل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا
في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر الا في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها
فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى كانه في حيز الشرب كانه
قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر
الا عابري سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية
دون الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان النهي حالة
السفر ينتهي حكمه النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول فالجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية
البعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على
ذلك عبارة نعم يشير الى مخالفة حكمه ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفي بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية
فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي الا
جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم
الجنابة ولا يجدون مرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل
تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشوقا
الى البيان ورد ما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الآية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه
وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادني مراتب التزكية عند امكان اعاليها وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما
اجمل في الاستثناء وبيان ما هو حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في
حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني عن الغرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه
مرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان
ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى او كنتم على سفر فما طال او قصر وايراده صريحا مع
سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه يعزل من الدلالة على ثبوته
فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان بالمانعية والاستقلال باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء
ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المتغوط ان من يريده
يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد منهم من الخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح
بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك اثبار الكناية فيما عطف عليه من قوله غير وقيل او لامستم النساء
على التصريح بالجماع ونظمها في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونها سببي وجوبها ليس باعتبار نفسها
بل باعتبار قيدها المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على ان سبب
الرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل اولم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من
الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه
فيها واستغنائها عن ذكره اما الاولى الجنابة معتبرة فيها قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير
النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما ما قيل من ان عموم عوارض
الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا فما قيل من ان هذا
القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبرة في الكل حالا يساعده النظم
الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الارض ظاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان

صح الاتراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي لابد من ان يعلق بالمسح
من التراب فاسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روى انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى المرفقين ولانه بدل من الوضوء
فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لما فان من عادة المستعمة ان يعفو عن
الخطائين ويغفر للمذنبين لابد من ان يكون ميسر الامعسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترفيه والمسامحة من روادف
العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير
عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه هنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معالاياذان
بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بالغة من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يرى ما وارد الرؤية بصرية اى الم تنظر اليهم فانهم
احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجوز كونها قلبية على ان الى للتضمين معنى الانتهاء كانعكاوه ياباه مقام تشنيعهم شناعتهم
وتظيمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من
احبار اليهود وكانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه ثبتهما نهم عن الاسلام وعنه رضي ايضا انها نزلت في
رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعابا به والمراد بالكتاب هو التوراة
وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل المسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من
جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للتنبيه على كونه حقا من حقوقهم التي يجب
مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب
من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بكمان ما طوى ذكره في المعاملة
الحكمية عنهم من المهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما بأوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته
الاضافية اثر بيان فخامة الذاتية اى نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة قيل سواء كان معدى من
اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشتراهم المذكور الآتي انما يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول اى الم تنظر اليهم
حال اشترائهم اياها وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي
يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استيناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال و
الابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية
وانما طوى ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لاسيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن
استبدال السلعة بالثمن اى اخذ ما بد لامنه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة
التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل عليهم بغاية
سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس
المراد بالضلالة مجنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحمل تعبير الاشتراء المبني عن تأخرها عنه بل هو مفروض الحاصل وهو عنادهم و
تماديهم في الكفر بعد ما علموا بشان النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا بحقيقة دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة
ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون
شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشتراهم المذكور
وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اى لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله
عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اى منكم
باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن تحالطتهم او هو
اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى
بالله نصيرا في كل المواطن فتثقوا به والتفوا بولايته ونصرته ولا تتوقوا غيره اولا تتابوا بهم وبما يسومونكم من السوء
فانه تعالى يكفيكم بمكرهم وشرهم نفيه وعد وعيده والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالانفصال

الاضافي وتكرير الفعل الجليل مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لكمال تمام التأني لفقرة استقلالها المناسب للاعتراض
وتأكيد كفاية عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعلتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين
هادوا قيل هو بيان لاعدائهم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علم سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في
معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل
موصولة لتفسير اى بعض الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن بشر في من الله وفيه ما فيه من تجرير واسع لنصرة عز وجل مع
انه لا داعي الى موضع غير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنفور وقيل هو خبر مبتدا محذوف وقع قوله تعالى
يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اى من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق
بمعزل من التحريف الذي هو المصداق الكامل لاكثرهم في الحقيقة فالذي يليق بشان التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول
المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة
الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان
قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاكثرائهم المذكور وتفصيل لقبول صلاتهم وقد روعيت في النظم الكريم
طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال رومالزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة
كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام
جمع كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به هنا ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات
المزبورة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان
يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ على ما قبله عطف تفسير تلما استقف على سره فان اريد به الاول
كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة بتحريفهم نعت النبي صلى الله عليه
وسلم اشتر بعته عن موضعه في التوراة بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الجلد او ضربه
عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني
فلابد من ان يراد بموضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كموضع ما في التوراة او بتعيين العقل
والدين كموضع غيره واياما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان
ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقة وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه
ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والا فمحله على
ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بما يليق من
غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل اى يقولون
في كل امر مخالف لما هواهم النافرة سواء كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا
عنادا او تحقيقا للحق لغة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اى ويقولون
ذلك في اثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يجعل على معنى اسمع حال كونك غير
مسمع كلاما اصلا بصم او موت اى تدعو اعليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فيجوز ان يكون نصبه على المفعولية
للخبر بان يجعل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به منظمين له عليه السلام
ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اى و
يقولون في اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلث في مواقعها وهو ايضا
كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملة على معنى ارقبنا او انتظرنا لكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اى الحمق او
باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتباذون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام
بذلك سرا من الشيمة والاماتة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع

تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اى فتلا بها وهو فالكلام عن
نهج الى نسبة السب حيث وصفوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى نظرنا
او فتلا بها وفتم ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يفرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اى قدحا فيه
بالاستهزاء والسخرية وانتقاصا بها على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اى يقولون ذلك لصرف
الكلام عن وجهها الى السب والطعن في الدين او على الحالية اى لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عند ما سمعوا
شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا
واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم
اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه و
الوقوف عليه فلا بد من ازالة واقامة سماع القبول مقامه واسمع اى لوقالوه عند مخاطبة النبي صلى الله عليه
وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اى ولو قالوا اذ لك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا و
فسادا اى لو ثبت لهم قالوا اذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم
اى اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او
بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل واما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان ذمهم مقصورة على ما
يفعلهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اى ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن
الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا قيل لكن الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان
ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على
طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى ان كان الايمان المعدوم ايمانا انهم يحدثون شيئا
من الايمان فنفوا المنفي تعليقا بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بعدا
لاقضائه حينئذ الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين
فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم
الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه غير الفاعل فان لا يؤمنون
لا قتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراءة الى الاتفاق على غير المختار بل يجعل غير
المفعول في لعنهم اى ولكن لعنهم الله لاجل تقليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم يستند عليهم باب الايمان وقد آمن
بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب
تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء
الكتاب اى التورية واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم
الضلالة واز الته اياهم وتوبيخهم بقبائحها بالتحريف وليس الازالة بذلك كلها حتم يوصفوا بايتائه بل هو ببعضها
فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد الايجاب الاتيان بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من
حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول حتما ولا سيما
ان المحذور عنهم انما هو لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها
وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم
والى غيرهم فخاطبهم وايانا كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه
من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة

فقيل

آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا
لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان العلم المستند عينا ولو الا كما
وتكرير المراجعة اليها من موجبات الغور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومع تصديقه
اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين
الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يرآى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم
والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره مقتضى
للحكمة الخ عليها بدوز فلك الشريع حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزول على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر
لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها
متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على
ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني
عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها
لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الاثار وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل ان
نحو تخليط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك
نعيدها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة
ادبارها واقفائها مطموسة فالفاء للتسبيب او تنكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والالتفاء الى الوجوه
وقد اكتفى بذكر احد شقيها فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجاهة على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اى من قبل ان
نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم فنكسوهم صغارا وادبارا ونردهم من حيث جاؤا منه وهي
اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه
ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الاخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده
ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله
فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفائي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب
يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد ثم اختلفوا فقيل انه مستمر بعد ولا بد من طمس اليهود و
مسخ وهو قول المهدوي وفيه انصراف العذاب الموعود عن اولئك وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله
حيث شاهدوا النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة
وتلوح بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من بعدهم بعد مدات من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم
العاملين بما قدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم
الايمان وقد آمن من احبارهم المذكورين واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد
نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة امثالهم
العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل
لسان في كل زمان وتغيير اللعن بالمسخ ليس بعزيز البتة سوا ان جيريان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت
هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير
لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن المخالفة
الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعين بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي النعوه

وهو بمعزل من صلاحية ان يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر
وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلا سما على سبيل التوزيع وامامارو عن عبد الله بن سلام وكعب رض فبنى على
الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه
في الزجر وعليه مبنى ما روى عن الحبرين لكن لما كان يتفرع وقوعه على ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم وايا ما كان فلعل
السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبوا من جنايتهم التي هي
التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ايا مربه كائنا ما كان اوامره بايقاع شئ ما من الاشياء
مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدهم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق و
وضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال
ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر
بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في الاخرة كما
في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا
والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم للكفر باليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نعق على اشراك اهل الكتاب
قاطبة وقضى بخلودهم اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم
الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز
مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية
مقتضية لترتب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان تاييدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يزيلها نور
الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شئ من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك
اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما
دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل
لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتها لمن اتصف بهما سواء في استحالة
الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان من
متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب
والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر و
امتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم تظهر بينهما
فرق للاجماع على مغفرتها بالتوبة ولم يحصل بما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على
التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع
حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحق دونه جميع الآثام
فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر و
الطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود دعاؤا اطفالهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما علمنا
بالنهار كفر عنها بالليل وما علمنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظروا اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله
تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر لهم شئ من كفره
او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه ومعلمه بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل هم لا يزكون انفسهم في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكية ممن يستاهلها
من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من الحاسن والمساوي وقد وصفهم

بما

باهم متصفون بمن القبايح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذف
تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في
ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة
وقيل التقدير ثياب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله
الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش في العامل
ينتزع له ويتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة كذبهم الحال و
كمال فضاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر معلق بها وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه
متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه
فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون
هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من فسحته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه
لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديد التشنيع وتاكيد التعجيب والتصريح
بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء
عليه تعالى مع قطع النظر من مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما
والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم اوفى استحقاقهم لاشد العقوبات لامتره وجعل الضمير
لزعمهم حالا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال
اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب الما من منافاته لما صدر عنهم من القبايح وقوله عز وجل يؤمنون
بالجبت والطاغوت استيناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل اذا يفعلون
حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله قيل اصله الجبس وهو الذي لا خير
عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قيل هو في الاصل كل ما
يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا
من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ما ذا
يقول محمد فقال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي
الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونذكر وافعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون
للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا واوضح طريقة و
ابرادهم بعنوان الايمان ليس من قبيل القائلين بل من جهة الله تعالى تشريفا لهم بالوصف الجميل وتحطيطا
لمن رجع عليهم المتصفين باقبح القبايح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في
الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته
وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته
فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنفيس على حرمانهم
ما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد تيئيس له الخطاب وتوحيد النصير نكرا وتنكيره
عن عدمه بعدم الوجدان المبني عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي
بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبايحهم وام منقطعة وما فيها من بل

للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها حاكى عنهم الى ذمتهم باد عائهم نفيسا من الملك وبخلهم
المفرط وشحهم البالغ والهمزة للانكار ان يكون لهم ما يدعون وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله ع
فاذن لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم الحرمان منه بسبب اتصافهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا
شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الحكمة ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية
الجزائية لشرط محذوف اى يصل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من
النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم
ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ
عليه اى لعدة منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى المجموع المعطوفين على مفعول الهم
نصيب واذن الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع
ذلك نقيرا كما تقول لفقير لا يراعي اياه اكلك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تاكيد
الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه
قيل فلا يؤتون الناس اذن ونقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة
ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما
هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وجملة ع
الجنس ايذانا بجيازتهم لكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلايم ذكر حديث آل ابرهيم فان ذلك
لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم على بل
يحسدون على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والتمكين يوما فيوما وقوله تعالى
فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وهم لمادة حسدهم واستبعادهم
المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود ولما اوتي من الفضل بيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر
واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور
في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء عمه
الكتاب والحكمة اى النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون بنوته
عليه السلام ويحسدونه على اقترانها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك
من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابرهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني
لبعضهم او بحذف المضاف او بطريق الاستخدام كما ان الملك لم يثبت كلهم قال ابن عباس رض الملك في آل ابرهيم ملك
يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق
لما قبلها من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابرهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة و
الملك تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك
بالعظم وتنكيره التفخيم من تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم والبيخ
جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن
اسلافهم عقيب وضوح الحق من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اى فمن جنس هؤلاء
الخاسرين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابرهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل
ابرهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه
بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله و

كذا

كذا جعلها الرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده
الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله
تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالة على اعراضهم عما اوتي آل ابرهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل
بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك دينهم المستمر فانا قد آتينا آل ابرهيم
ما آتينا فمنهم اى من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن والله سبحانه اعلم وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين
كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعمه وبعضه
او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات و
سائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلوة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر
للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التاكيد اى ندخلهم نارا واعظمها نائلة
كلما نضجت جلودهم اى احترقت وكلما ظرف زمان بدلنا هم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا الآمن
قيل يبدل الله سيئاتهم اى اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان
كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم
وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اى كلما نضجت فيها جلودهم ليذوقوا العذاب
ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب للنفس العاصية لا
لآلة ادراكها قال ابن عباس رض يبدلون جلودا بيضاء كاشال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت
عند عمر رض فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تغيير ما يبدل في ساعة
مائة مرة فقال عمر رض هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة
كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي
الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس
الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان
قلته بل لبيان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام
الملابسة او لاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او لتنبيه على شدة تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس
تاثرا وعلى سراية الباطن ولعل التعرض لتبديل الجلود مع قترته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله
مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس بتمامتها موضع زوال الادراك
بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التالم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان
الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانع احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل
لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل
الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب
بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اى الذين آمنوا بالله ورسله
وعملوا بمقتضاها وهو مبتدا وخبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم
بالياء رد اعلى الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في
سندخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اى عما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية و
الادناس الطبيعية في محل النصب على انه من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات
بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اى فيئا نانا لا حوب فيه ابدا

وأما النسخة تمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كذا ذليل اليل ويوم ايوم وطرق يخلم بالياء وهو عطف على سيد خلهم لاعلى انه غير الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به على الاعتناء بشانه والامر يدعليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فخبط جبريل عم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل سوامر للولاة بادآء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذممهم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به مهما مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين وبالمقدر يدل عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما الما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في المحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحث لهم على الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فانه فيه تاكيد اكمل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعد ما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في المحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وبايا ه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فانه بيان حكم طاعة اولي الامر عند وافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم ايتم واولوا الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة

الله

الله تعالى وطاعة رسوله عليه السلام فانه يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل منازع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فانه الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المأمور به خير لكم واصلح تاويلا اي عاقبة واما لا وتقديم خبريته لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل لذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اثر التوبيخ لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استيناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشاء من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما اصطلحا على ان ياتيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق ثم برك ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اصل التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منها الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار في عرض التعجيب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادة ما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا اشب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوبة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم طاغوتا هو المنافاة لادعاء الايمان بالتوبة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واوليا وه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب وتشديده الاستفتاح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبتها نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا واما مكان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة

لمادة التعجيب بيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت
وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت باله اصلها باليت بالية كعافية وكما قالوا في
آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بين اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة
تعالى بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني اياجارتي انا نصف الدهر بيننا تعالى اقاسمك الهموم تعالى
رايت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية
بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو
الاسلوب للظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل هو
اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه
وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جنايا تهم المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف
يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم باقتضاء حهم نظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم
بسبب ما علموا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار عما
صنعوا من القبايح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند
اصابة المصيبة وعند المجئ للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي
ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا استخطاء حكمك فلا
تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل
جاءوك المنافقون يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا الا ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضه
الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد
منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفساد المنافية
لما اظهروه لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط حذف وقت اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول عذرهم
وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر
وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الجبيثة وقلوبهم المطبوعة على الشرور
التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لائقا في الرأي قولا بليغا
مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سبق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق
ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يعتمون به
اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان بان ما في قلوبهم من
مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانا نذه المكافأة والجزاء
لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا النفاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليعينهم
العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام مبتدأ جئ به تمهيدا لبيان خطأ
في الاشتغال ليسترجنايتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من
الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته
طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها لعذاب على عذاب النفاق بتركك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك
من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التغفل عن جناياتهم القديمة والحادثة سولم يزدادوا
جناية على جناية بالقصد الى ستر ما بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص
وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول

على طريقة

على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في خير العبيد
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان قرء الوجدان
بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا وجيء بدلا منه وحالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين
في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تذييم لاولئك المنافقين على ما صنعوا الما ان ظهور تباشير قبول
التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها نعمة زائدة عليها موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة
على فواتها فلا وربك الى قوله تعالى ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم للتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون
لانها مزيدة في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتخذوك
اليك وانما جئ بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه اذ انابان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما
بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما تنجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتحققت بينهم ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا لاجله اذ الشاك في ضيق من امره
ويسلموا اي ينقادوا للامر كل الانقياد تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم
يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى حقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا
لا شبهة فيه بظاهرهم وقيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا
زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار الى الزبير برأي فيه
سعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمر المقداد
فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته وليّ شدقه فغطى يهودي كان مع المقداد فقال قاتل
الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذ بنا مرة في حيوة موسى
فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها
وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس بيده
ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او
خروجهم من دياره حين استتابهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه
اي المكتوب الدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم اي الآ ناس قليل منهم وهم المخلصون
من المؤمنين وروي عن عمر رضه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى
اقتلوا انفسكم نفروا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وكميت
اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا وآجلا
واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لآتيناهم من
لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم فان
اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب
الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف

فيه فضل ترغيبه الطاعة ومزيد تشويق اليها بيان ان بتجرتها اقصى ما ينتهى اليه همم الامم وادنى ما يمتد اليه اعناق
عزائمهم من مجاورة اعظم الملائكة مقدارا واوفرهم مقدارا متضمن لتفسير ما ابهم فى جواب الشرطية السابقة وتفصيل
ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهى فاولئك اشارة
الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب
فى الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتداء جمزه مع الذين انعم الله عليهم والجملة
جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم
والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
لبيان ذكرهم فى سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على
شرائعهم التى لا تتغير بتغير الاعصار روى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله ان
صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبى جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم وهو يبكى فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالذى لا اله الا هو لانت احب الى من نفسى
واهلى ومالى وولدى وانى لاذكرك وانا فى اهلى فيأخذنى مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتى وانك ترفع
مع النبيين وانى ان ادخلت الجنة كنت فى منزل ادنى من منزلتك فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت وروى
ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر فاتاه يوما وقد تغير وجهه و
نحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع
غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى اراك وذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك
لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وانى ان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك
ابدا فنزلت فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده و
الناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروى ان انسانا قال يا رسول
الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والصديقين اى المتقدمين
فى تصديقهم المبالغين فى الصدق والاخلاص فى الاقوال والافعال ونعم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام
وائمتهم خواصهم المقربين كابى بكر الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم فى طاعة الله تعالى واعلاء
كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة
ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد
وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب
واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى
البعد لما مر اراد فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال
كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدى اولانه اريد حسن
كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فتمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين و
من بعدهم للبعض الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز فى الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا والاشعار بمعنى التعجب ترغيب وحث يكون
السبب ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او
الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبة وبعد منزلة فى الشرف وهو مبتداء وقوله
الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره
ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذى ذكره فضل كائنا من

الله

الله تعالى لان اكمال المكلفين توجيه وكفى بالله عليما بخبر ادمن اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اى يتيقظوا او احترزوا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلة التى
يتقى بها نفسه وقيل ما يحذر به من السلاح والحزم اى استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اى
اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فى الاصل فعلة
كحطة حذفت لامها وعوض منها تاء التانيث وهل هى واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو
اذا اجتمع وقيل من ثبت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما
حذف من عجزه وتخالها النصب على الحالية اى انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية اوانفروا جميعا اى
مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا افتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اى ليتثاقلن و
ليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطؤن منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطه
من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابى ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى
للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما يمكن
فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن قال اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اى
المبطئ فرحا بفعله وحامدا لرايه قد انعم الله علىّ اى بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا فى المعركة
فيصيبنى ما اصابهم والفاء فى الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما
ان نفس التبطئة مستدعية لشئ ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق
باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اى فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جانب الله تعالى دون
اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما فى قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية
الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا
على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم
تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذى هو يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما
لتلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم جبما يقتضيه ما فى البين من المودة بل هو
للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة
التشبيهية حال من ضمير ليقولن اى ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هى داخلة فى المقول اى ليقولن
المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يحضر
فى الغزو حتى تفوز وا با فوز يا ليتنى كنت معهم وعرضه القاء العداوة بينهم وبينه عليه السلام وتاكيدها وكان
مخففة من الثقيلة واسم ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم
وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف
اى فانا افوز فى ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمنى فليقاتل فى سبيل الله قدم
الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اى يبيعونها بها وهم المؤمنون
فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الاخرة
او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطؤن فالفاء للتعقيب اى ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط و
النفاق وليعقبوه بالقتال فى سبيل الله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه يبنون
العظيم النظائر اجرا عظيما لا تقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقدان يوطن

نفسا بجدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه فى استتباع الاجر روى ابو
وفه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته
ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمأمورين بالقتال
على طريقة الالتفات مبالغة فى التحريض عليه وتاكيد الوجوب وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون فى سبيل
الله حال عاملها ما فى الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفى اى اى شئ لكم غير مقاتلين اى لا عذر
لكم فى ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اى فى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر
وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى فى خلاص المستضعفين ويجوز بعضه على الاختصاص فان
سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدى الكفرة اعظمها واختصها من الرجال والنساء
والولدان بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بعد المشركين او لضعفهم عن
الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا لاستعطاف واستجلاب المرحمة وتبنيها على تناهى ظلم
المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم واحبائهم وايذانا باجابة الدعاء الآتى واقتراب زمان
الخلاص بيان شركتهم فى التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة فى الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد
والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا
الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين اولما فى حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا
اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهى مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجرى على غير من هو له كان كالفعل فى التذكير والتانيث بحسب ما عمل
فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول
الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة فى المؤخر بتقديم احوالهما فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احوال الامر
فيه كما يورث شوق السامع الى ورود ه ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله للمخاطبة وتقديم الاسم
على من للمسارعة الى ابراز كون المسئول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا
من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام فى قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رض
اى وال علينا والينا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا
ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى واعز ناصر فتح
مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولى ونصرهم اى نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اى كن انت ولينا وناصرنا و
تكرير الفعل وتعلقيه للمبالغة فى التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله كلام مبتدأ
سيق لترغيب المؤمنين فى القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم
اى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم
لا محالة والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت اى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه و
الفاء فى قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما بعدها لما قبلها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة
على ان ذلك يتحتم لهم فى سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله فلا امان قتالهم فى سبيله وكل
ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين فى القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم فى العزة والقوة
كما ان ولاية الشيطان مثل فى الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء
الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى فى حد ذاته مكيف بالقياس الى قدرة
الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان فى امثال هذه المواقع

التاكيد

التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان كذلك موصوفا بالضعف الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اجماههم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه
حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدى فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو
بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبى ان جماعة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن
عوف الزهرى والمقداد بن اسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص الزهرى رض
كانوا يلقون من مشركى مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن
لنا فى قتالهم يقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فانى لم و مر
بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبى صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه و
لان المقصود بالذات والمعتنى بالتعجيب انما هو كمال رغبتهم فى القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهى عنه وانما
ذكر فى حيز الصلة الامر بكف الايدى لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق بيان خصوصية الآمر غرض
وكانوا فى مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا
بالقتال فى وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكاية الدين ولا رغبة عن نفور اعن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال الآية وهو عطف على
قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائى اذ حق يتحقق التباين بين مدلولى المعطوفين وعليه يدور ذلك التعجيب
كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون
الناس جواب لما على ان فريق مبتداء ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا
المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية آثر ذى اثير من غير تلعثم وتردد اى فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار
ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ماكان ينبغى ان يصدر عن
احدهم ما بنا فى حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه
حال من فاعل يخشون اى يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه
بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما فى جد
جده اى يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وايا ما كان فكلمة او اما للتنويع
على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما قيل
قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعنى ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون وقالوا
عطف على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجاء فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال فى هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمنى التخفيف
لولا اخرتنا الى اجل قريب بتاخير آجالنا حتى نموت حتف انوفنا فنستريح من تعب الجهاد ومخاطرة النفوس
والاموال قل متاع الدنيا قليل اى تزهيدهم فيما يتنافسون فيه ويتهالكون عليه بالتعريض بحقارته بالقياس
الى ما وعد المتقون وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اى تزهيدهم فيما يتمتعون به فى
الدنيا من المتاع الفانى وترغيبا فيما نالوه بالقتال من النعيم الباقى متاع الدنيا اى ما يتمتع وينتفع به فى
الدنيا قليل سريع التقضى وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل والآخرة اى ثوابها الذى
هو من جملة الثواب المنوط بالقتال خير اى لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن
الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء المعصية والاخلال بواجب التكليف ولا تظلمون
فتيلا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اى تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شئ من اجور اعمالكم التى من
جملتها مساعيكم فى شان القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما فى شق النواة من الخيط يضرب به المثل فى القلة
والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله

تعالى بطريق تلوين الخطاب بوجه فذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بامرهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو
شان الآخرة بواسطته عليه الصلوة والسلام فلا محل لمن الاعراب اوفى محل النصب واخل تحت القول المأمور به اى قل
تكونوا فانى الحذر والسفير كم الموت الذى لابد تكم هون القتال فانه كائن لا محالة ان من مظانه وتجبون القعود عنه على زعم انه ينجاة
منه وفى لفظ الادراك اشعار بانهم فى الهرب من الموت وهو محيط بهم كالمحاط فى طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم فى موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ واينما
تكونوا متصل بلا تظلمون اى لا تنقصون شيئا ما كتب من اجالكم اينما تكونوا فانى ملاحم الروب ومعارك الخطوب
ولو كنتم فى بروج مشيدة فى حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدى وقتادة بروج السماء يقال شاد
البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفها بفعل فاعلها مجازا كما فى قصيدة شاعرة و
مشيدة من شاد القصر اذا رفعه اوطلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اى لو كنتم
فى بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اى لو لم تكونوا فى بروج مشيدة ولو كنتم اهلوه وقد
اطود حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو الوصلية وان الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله
تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ
حكى بعقيبا حكى عن المسلمين لما بينهما من المناسبة فى اشتمالها على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له
بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روى انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبى عليه السلام المدينة كف
عنهم الايمان فكفروا فامسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم
هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اى وان تصبهم نقمة ورخاء بسوء
ما الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكى عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه فامر النبى عليه السلام بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الجواب بيان استنادا كل اليه
تعالى على الاجمال اذ يجترؤن على معارضة امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اى كل واحدة من النعمة
والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لى مدخل فى وقوع شئ منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون
بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتى بيانه فهذا
الجواب المجمل فى معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اى انما سبب خيرهم وشرهم او سبب
اصابة السيئة التى هى ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم
الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء
لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الاستقرار
اى وحيث كان الامر كذلك فاى شئ حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استيناف مبنى على سؤال
نشأ من الاستفهام كانه قيل فما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا
من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا اذا النقص وما فى معناه وما هو اوضح منه
من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان
والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهما فى صحف موسى وابرهيم الذى وفى الا تزر وازرة
وزر اخرى ولم يسندوا اجتباء انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المأمور به
واجراؤه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد
من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام بردّ مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبنى على حكمة دقيقة
حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما فى قوله تعالى وما اصابكم من

من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة والتحقيق لقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اى ما اصابكم من نقمة
من النعم فمن الله اى فهى منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلكم كيف لا وان كل ما يفعله الله
من الطاعات التى يفرض كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهى بحيث لا تكاد تكافئ نقمة حياة المقارنة لاداتها ولانعمة اقدر
تعالى اياه على اداتها فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اى بلية من البلايا فمن نفسك اى فهى منها بسبب
اقترافها المعاصى الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وبعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها او خبث
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا
لبيان حاله عليه السلام بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم
لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان
لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد فى حقه عليه السلام بناء على جهلهم
بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اى
مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما فى قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد
جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما فى قوله تعالى لقد كذب الواشون ما فُتْنَ عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى بارسال بمغزى رسالة
وكفى بالله شهيدا اى على رسالتك بعجيب المعجزات التى من جملتها هذا النص الناطق والوحى الصادق والالتفات
لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلى من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله
عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهى الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ
لامره ونهيه مرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد
اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان
يتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته
عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة
بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا اياه تخصيص الخطاب به عليه السلام
فى قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اى ومن اعرض عن
الطاعة فاعرض عنه انا ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها
وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة ومجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد فى تولى
باعتبار لفظه ويقولون شروع فى بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اى يقولون
اذا امرتهم بشئ طاعة اى امرنا وشانا نا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات
كسلام فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اى من القائلين المذكورين وهم رؤوسهم
غير الذى تقول اى روّزت طائفة منهم وسوّت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مقرون
على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق اذ خلاف ما قالت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه
قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بُيِّت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان
تانيث الطائفة غير حقيقى وقرئ بادغام التاء فى الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون
له بالذات والباقون اتباع لهم فى ذلك لان الآتى الباقين تابعون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اى يكتبه فى
جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته
فى صحائفهم فيجازيهم عليه وايا ما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اى لا تبال بهم وباصنعوا او تجاف عنهم

ولا تتصد للانتقام منهم والقاء بسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر لا سيما في شانهم و اظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك مقرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستبعاد لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشئ تامله والنظر في ادباره وما يؤل اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اى ايعرضون عن القرآن فلا يتدبرون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنمط الناطق بنفاقهم المحكي على هو عليه ولو كان اى القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار عما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يكن باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى وهو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض والتفاوت في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما ضج اليه الجمهور فمما لا يساعده السياق ولا السباق وسيأتي التقريب وقال الحق ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد يعبر عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اى اشاعه واشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام سوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض الموادمن شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخالف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم باحوال الكفرة اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او بتخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من الخامل وعلى تكدير المهم قد يكون ذلك مشوبا بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعي عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اى ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اى عرضوه على رأيه عليه السلام ليستكشفوا عن معناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رأيه صلى الله عليه وسلم واولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله تعالى عنهم لعلمه اى لعلم الراسخون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح مغزاه اى لعلمه اولئك الراسخون الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم باموال الحرب ومكايدها فكلمة من فيه منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة لهم ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله عليه السلام والى اولي الامر لعلم تدبيره ما اخبروا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم باموال الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعودوا اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون

ولو وقع فيه م

تدبيره

تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيأ من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا سكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يسلم اولا يسلم اولئك الذين وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فساق النظم الكريم جيئذ لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المرجع في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر لاتبعتم الشيطان وعلمتم بآراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة و الظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم المضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيقية من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف سيق اليه النظم الكريم اى اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت ومدك غير ملتفت بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك اى الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يوهن به وقيل هو حال من فاعل قاتل اى قاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا تكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وتحريض خاص من التحريض على الشئ الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه ذو الاصل ازالة الحرض وهو الاخير فيه و المؤمنين والتحريض على الشئ الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه ذو الاصل ازالة الحرض وهو الاخير فيه و لا يعتد باى رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان ما قصد بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فرقت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا وافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيئه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت موسم تجارات فباعوا واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد بأسا اى من قريش واشد تنكيلا اى تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهد ما عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها و اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اى من يؤاخها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امره من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا

والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية
واى منفعة اجل جاءت حصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واى مغفرة
اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التنبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق
آية التحية الآتية روى انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها
اى نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شئ وكان الله على كل شئ مقيتا اى مقتدرا من
اقات على الشئ اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه والجملة تذييل
مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم تحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب
فيها على الاطلاق ومحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية اداءه فان
تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من حمى واصل
الاصل تحييي بثلث ياآت فحذفت الثانية وعوض عنها ناء التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها
الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحيوة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم
بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في الاسلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال
تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء
بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستمرة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك ولان
السلام من اسمائه تعالى فالابتداء بذكره مما يرغب في فضله ومزيته اى اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين
فحيوا باحسن منها اى بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول و
بان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار و
نيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اى اجيبوها بمثلها روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما
قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب
وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رض الرد واجب
وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملئكة ولا
يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند درس العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على
الرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجة ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الراجل على الراكب
لانه على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار
والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدر او عن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني للجهر الكثير وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اى ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم
وروى للابتداء اليهودي بالسلام فان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليكم السلام
دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل
شئ حسيبا فيحاسبكم على كل شئ من اعمالكم التي من جملتها ما أمرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها
حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف
اى والله ليحشرنكم من قبوركم الى حسنات يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل
لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر والآية الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اى في يوم

القيمة

القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اى جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان لا
احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لكمال استحالة كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره
فما لكم مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى
بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق بما يتعلق به الخبر اى اى شئ كائن لكم فيهم اى في امرهم
وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافراق
اى فما لكم تفترقون في المنافقين وانما بحذف وقع حالا من فئتين اى كائنتين في المنافقين لانه في الاصل
صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق وانما ومن الضمير في تفترقون وانتصاب
فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل فيها ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة
معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اى فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون
للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجراء احكامه مجرى المجاهرين
بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روى انهم قوم من المنافقين استاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو ومعتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وانما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم
ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا
وآياه ما شيانى من جعل هجرتهم غاية للنهى عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على الشرح و
قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما شيانى من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من التسلم
والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين والله
اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد
بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو واى اتى شئ يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم
مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما
كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول
محذوف وقيل ما مصدرية اى بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ
مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتصوير
له بالقائلين بايانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي
هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في
هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في
حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان
انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وجعل الهداية والاضلال على الحكم بهما اياه قوله عز وجل ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا اى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان
تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره
وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال لمحل بحسب المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب
الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال
من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية
فلم يجز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح لان من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستانف

متسوق لبيان غلوهم وتمادیهم فی الکفر وتصدیهم لاضلال غیرهم اثر بیان کفرهم وضلالهم فی انفسهم وکلمة لو مصدریة
غنیة عن الجواب وهی مع ما بعدها منصوب علی المفعولیة ای ودوا ان تکفروا وقوله تعالی کما کفروا نصب علی انه نعت
لمصدر محذوف ای کفرا مثل کفرهم او حال من ضمیر ذلک المصدر کما هو رای سیبویه وقوله تعالی فتکونون
سواء عطف علی تکفرون داخل فی حکمه ای ودوا ان تکفروا سواء مستوین فی الکفر والضلال وقیل کلمة
لو علی بابها وجوابها محذوف کمفعول ودوا والتقدیر ودوا کفرکم لو تکفرون کما کفروا والسر وا بذلک فلا تتخذوا
منهم اولیاء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولیاء لملاءمة جمعیة المخاطبین فان المراد نهی ان یتخذ واحد
من المخاطبین ولیا واحدا ای اذا کان حالهم ما ذکر من ودادة کفرکم فلا تتوالوهم حتی یهاجروا فی سبیل الله
ای حتی یؤمنوا ویحققوا ایمانهم بهجرة کائنة لله تعالی ورسوله علیه السلام لا لغرض من اغراض الدنیا فان تولوا
ای عن الایمان المظاهر بالهجرة المستقیمة فخذوهم اذا قدرتم علیهم واقتلوهم حیث وجدتموهم من الحل و
الحرم فان حکمهم حکم سائر المشرکین اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم ولیا ولا نصیرا ای جانبوهم مجانبة کلیة ولا تقبلوا
منهم ولایة ولا نصرة ابدا الا الذین یصلون الی قوم بینکم وبینهم میثاق استثناء من قوله تعالی فخذوهم واقتلوهم
ای الا الذین ینتهون ویتصلون الی قوم عاهدوکم ولم یحاربوکم وهم الاسلمیون کان رسول الله صلی الله علیه وسلم
وقت خروجه الی مکة قد وادع هلال بن عویمر الاسلمی علی ان لا یعینه ولا یعین علیه وعلی ان من وصل الی هلال
ولجاء الیه فله من الجوار مثل الذی لهلال وقیل هم بنو بکر بن زید مناة وقیل هم خزاعة او جاؤکم عطف علی الصلة
ای او الذین جاؤکم کافین عن قتالکم وقتال قومهم استثنی من المأمور باخذهم وقتلهم فریقان احدهما من
ترک المحاربین والحق بالمعاهدین والآخر من اتی المؤمنین وکف عن قتال الفریقین او علی صفة قوم کانه
قیل الا الذین یصلون الی قوم معاهدین او الی قوم کافین عن القتال لکم والقتال علیکم والاول هو الظاهر
لما سیاتی من قوله تعالی فان اعتزلوکم الخ فانه صریح فی ان کفهم عن القتال احد سببی استحقاقهم لنفی التعرض
لهم وقرئ جاؤکم بغیر عاطف علی انه صفة بعد صفة او بیان لیصلون او استیناف حصرت صدورهم حال
باضمار قد بدلیل انه قرئ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقیل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل
جاؤکم ای جاؤکم قوما حصرت صدورهم وقیل هو بیان لجاؤکم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلی الله علیه وسلم
غیر مقاتلین والحصر الضیق والانقباض ان یقاتلوکم او یقاتلوا قومهم ای عن ان یقاتلوکم اولا ان یقاتلوکم
او کراهة ان یقاتلوکم الخ ولو شاء الله لسلطهم علیکم جملة مبتداة جاریة مجری التعلیل لاقتضاء الکف
الاخیرة من حکم الاخذ والقتل ونظمها فی سلک الطائفة الاولی الجاریة مجری المعاهدین مع عدم تعلقهم بنا
ولا بمن عاهدونا کالطائفة الاولی ای ولو شاء الله لسلطهم علیکم ببسط صدورهم وتقویة قلوبهم وازالة
الرعب عنها فلقاتلوکم عقیب ذلک ولم یکفوا عنکم واللام جواب لو علی التکریر او الابدال من الاولی و
قرئ فلقتلوکم بالتخفیف والتشدید فان اعتزلوکم ولم یتعرضوا لکم فلم یقاتلوکم مع ما علمتم من
تمکنهم من ذلک بمشیة الله عز وجل والقوا الیکم السلم ای الانقیاد والاستسلام وقرئ بسکون اللام
فما جعل الله لکم علیهم سبیلا طریقا بالاسر او بالقتل فان مکافتهم عن قتالکم وان لم یقاتلوا قومهم ایضا
والقاهم الیکم السلم وان لم یعاهدوکم کافیة فی استحقاقهم لعدم تعرضکم لهم ستجدون آخرین یریدون
ان یأمنوکم ویأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان کانوا اذا اتوا المدینة اسلموا وعاهدوا وایأمنوا
المسلمین فاذا رجعوا الی قومهم کفروا ونکثوا عهودهم لیأمنوا قومهم وقیل هم بنو عبد الدار وکان دیدنهم
ما ذکر کلما ردوا الی الفتنة ای دعوا الی الکفر وقتال المسلمین ارکسوا فیها قلبوا فیها اقبح قلب
وأشنعه وکانوا فیها شرا من کل عدو وشریر فان لم یعتزلوکم بالکف عن التعرض لکم بوجه ما ویلقوا
الیکم السلم ای لم یلقوا الیکم الصلح والعهد بل نبذوه الیکم ویکفوا ایدیهم ان لم یکفوا عن قتالکم

مخذوهم واقتلوهم حیث ثقفتموهم ای تمکنتم منهم واولئکم الموصوفون بما عدد من الصفات القبیحة جعلنا
لکم علیهم سلطانا مبینا حجة واضحة فی الایقاع بهم قتلا وسبیا لظهور عداوتهم وانکشاف حالهم فی الکفر والعذر
واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حیث اذنا لکم فی اخذهم وقتلهم وما کان لمؤمن ای وما صح له والائق
بحاله ان یقتل مؤمنا بغیر حق فان الایمان زاجر عن ذلک الا خطاء فانه ربما یقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالکلیة
تحت الطاقة البشریة وانتصابه اما علی انه حال ای ما کان لمؤمن ان یقتل مؤمنا فی حال من الاحوال الا فی حال الخطاء
او علی انه مفعول له ای ما کان له ان یقتله لعلة من العلل الا للخطاء او علی انه صفة للمصدر ای الا قتلا خطاء وقیل
الا بمعنی ولا والتقدیر وما کان لمؤمن ان یقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقیل کما کان نفی فی معنی النهی والاستثناء منقطع
ای لکن ان قتله خطأ فجزاؤه ما یذکر والخطأ ما لا یقارنه القصد الی الفعل او الی الشخص او لا یقصد به زهوق
الروح غالبا او لا یقصد به محظور کرمی مسلم فی صف الکفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطأ بالمد وخطأ کعصا
بتخفیف الهمزة روی ان عیاش بن ابی ربیعة وکان اخا ابی جهل لامه اسلم وهاجر الی المدینة خوفا من اهله وذلک
قبل هجرة النبی صلی الله علیه وسلم فاقسمت امه لا تاکل ولا تشرب ولا یؤویها سقف حتی یرجع فخرج ابو جهل ومعه
الحارث بن زید بن ابی انیسة فاتیاه وهو فی اطم فنزل منه ابو جهل فی الدروة والغارب فقال له لیس محمد یحتک
علی صلة الرحم انصرف وبر امک وانت علی دینک حتی ترجع الی دینک حتی نزل وذهب معها فلما ضحی من المدینة کتفاه وجلده
کل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا فی یمنی انت یا حارث لله علی ان وجدتک خالیا ان اقتلک وقدم
به علی امه فحلفت لا یحل کتافه او یرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلک واسلم الحارث وهاجر فلقیه عیاش بظهر
قباء ولم یشعر باسلامه فاخی علیه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال قتلته ولم اشعر
باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحریر رقبة ای فعلیه او فوجبه تحریر رقبة ای عتاق نسمة تعبر عنها
بها کما یعبر عنها بالرأس مؤمنة محکوم بسلامها وان کانت صغیرة ودیة مسلمة الی اهله مؤداة الی ورثته
یقتسمونها کسائر الموارث لقول الضحاک بن سفیان الکلابی کتب الی رسول الله صلی الله علیه وسلم یامرنی ان اورث
امرأة اشیم الضبابی من عقل زوجها الا ان یصدقوا ای یتصدق اهله علیه حتی العفو عنها صدقة حثا علیه و
تنبیها علی فضله وعن النبی صلی الله علیه وسلم کل معروف صدقة وقرئ الا ان یقدقوا وهو متعلق بعلیه او بمسلمة
ای یجب الدیة او یسلمها الی اهله الا وقت تصدقهم علیه فهو فی محل النصب علی الظرفیة او الا حال کونهم متصدقین
علیه فهو حال من الاهل او القاتل فان کان ای المقتول من قوم عدو کفار محاربین وهو مؤمن ولم
یعلم به القاتل لکونه بین اظهرهم بان اسلم فیما بینهم ولم یفارقهم او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات
فتحریر رقبة مؤمنة ای فعلی قاتله الکفارة دون الدیة اذ لا وراثة بینه وبین اهله ولانهم محاربون وان کان
ای المقتول المؤمن من قوم کفرة بینکم وبینهم میثاق ای عهد موقت او مؤبد فدیة ای فعلی قاتله
دیة مسلمة الی اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقدیم هذا الحکم هنا مع تاخیره فیما سلف للاشعار
بالمسارعة الی تسلیم الدیة تحاشیا عن توهم نقض المیثاق وتحریر رقبة مؤمنة کما هو حکم سائر المسلمین ولعل
افراده بالذکر مع اندراجه فی حکم ما سبق من قوله تعالی ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبیان ان کونه فیما بین العاهدین
لا یمنع وجوب الدیة کما منعه کونه فیما بین المحاربین وقیل المراد بالمقتول الذمی او المعاهد لئلا یلزم التکرار
بلا فائدة ولا التوریث بین المسلم والکافر وقد عرفت عدم لزومها فمن لم یجد ای رقبة لیحرر بان لم یملکها
ولا ما یتوصل به الیها فصیام ای فعلیه صیام شهرین متتابعین لم یتخللهما یوم یجب صومه من ایامهما
افطار توبة نصب علی انه مفعول له ای شرع لکم ذلک توبة ای قبولا لها من تاب الله علیه اذا قبل توبته
او مصدر مؤکد لفعل محذوف ای تاب علیکم توبة وقیل علی انه حال من الضمیر المجرور به علیه بحذف المضاف
ای فعلیه صیام شهرین ذا توبة وقوله تعالی من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة ای کائنة منه تعالی

وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها
ما شرعه في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطاء وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان
القتل عمدا خلالان حكمه الدنيوي لما بان في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روى ان مقيس بن ضبابة
الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له
القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى
مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي دية فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى
الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفسا بنفس
وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا
وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصاب فارع ولدركت تأري واصطحبت مؤسدا وكنت
الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حين آمنه فقتل وهو
متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي
الحركات جزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر
يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاه وقيل من مفعول جازاه
وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال او للعطف عليه حقه ان
يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه ماذكر لا يقتضي وقوع
الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر بجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب
الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا كيف
لا يكون كذلك فجزاؤه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزاءه ماذكر وقيل
هو ما بعده معطوف على الخبر بتقدير اي وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره
اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولا تري في الآية
الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تأيدت بما روي من الاخبار الشداد
كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو
ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة
جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وكخوذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في
خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم فيها لما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة و
اضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكاية فان العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص
السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين
لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان
ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ
وعليه يحمل ما روي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم
فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له
ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه
فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال

عوف بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل
والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف
الوعيد وان امتنع الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال
من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفويض
ما يخبر فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل
وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير
يا ايها الذين امنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطاء شرع في
التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم للغزو والماضي اذا من معنى
الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير
تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة
لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين
وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد
لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا
لك الامان ونداء النسب بالقرائين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة
بكلمة الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتشديد على كمال ظهور خطائهم بيان ان تحية
الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بها وقوله تعالى
تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان
يكون النهي راجعا الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك
حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء
ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه
وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع
تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين
ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الهمزة وتقديم خبر كان
للقصر المفيد لتاكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما هو حيز الصلة
والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر
منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحو ما فمن الله عليكم بان قيل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم
واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك
فاطلبوا بيان هذا الامر البين وتيسروا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال
من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل
ومن حسبان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم واموالكم
من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم للسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان و
التقدم فيه وان صح اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر
الاسلام في المكافة ولا تقولوا الا فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال
حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي
ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسير منه تعالى عليهم المرتب

عوا عجزه

على كونهم مثلة بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى ينظر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة بنا يوجب
وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق به النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر
فمن اين له ان يقول فحقنت دماءكم واموالكم حتى تتاتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير
الموصول آياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكره بعد التسليم وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة
مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان
يتعرض له ولا بامره دخل في وجوبه باعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه
قوله فعليكم ان تعقلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله
عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حالة نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالتكم
السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصاره اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت
في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغرتهم سرية لرسول الله ﷺ
عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجاء غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبر وكبروا وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه
فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه
دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت
عن قلبه ثم قراء الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال
يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول
الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له صلى الله
عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه ان احد كان بالتعوذ
من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفيا تها جميعا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تهتانوا في
القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او
على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات
مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط
رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد لتفاوت بغيرهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما القاعدون بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لما روي عن مقاتل من
انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة
وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها
الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى
غير اولي الضرر بالرفع للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب
على انه حال منه او الاستثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج
او زمانة او نحو ما وفي معناه الجرح عن الاجهنة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد
من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي
الضرر والمجاهدون ايرادهم بعد العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة
ابن عباس رضي الله عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله بأموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة

استحقاقهم

استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان
من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء عن جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم
الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المساق
اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات ولا النور
الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان
صلة ملكة لصلة المفضول وقوله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان
كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقدير
ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر
فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم
استوائهما فمقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد
في سبيل الله معتبرا في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة
من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين
اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا
للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط
كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى
يوهم تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين
عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لها عن ذكر الفريق التي تركت على سبيل التدريج
وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر واثباره على هو مصدر من فعله للاشعار بكون
ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمنه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا
عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل
مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة
قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن خميز ي هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد
المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض وقيجوز
ان يكون انتصاب درجات على المصدرية بفعل مضمر هو صفة لاسوطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات و
قوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفوط
منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي يأتي بها القاعدون ايضاحية تعد من خصائصهم و
قوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابها باضمار فعلها اي غفر لهم مغفرة
ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المبني عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى
بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه اللام ويستدعيه حسن الانتظام الما التنزيل
الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك
طريقة الابهام ثم التفسير وما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل ففضل الله المجاهدين على القاعدين درجة
لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موجبا لحرمان القاعدين قيل

وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل وقد ذكر
شان التنزيل واما اللاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجة على ان المراد بالتفضيل الاول
ماخولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل
الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد
بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لاتحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما
هو متوسط في الوجود داعية الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما
بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم ساوون للمجاهدين عند القائلين بعموم الصفة
وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت
نياتهم ونفعت جيوبهم وكانت اقدامهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى
ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم
بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى العذر وقد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من
تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين
بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم
الملئكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا
ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية الحال
الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ تتوفاهم على مضارع وقعت بمعنى ان الله يتوفى
الملئكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه و
ان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المضاف على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله
تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثانيا عطفه اى محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين
انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة
قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اى الملئكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم
في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اى في اى شئ كنتم من
امور دينكم قالوا استيناف مبني على سؤال نشاء من حكاية سؤال الملئكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب
فقيل قالوا معتذرين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين
مستضعفين في الارض اى في ارض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فنابين اهلها قالوا
ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على
اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل
جواب الملئكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز لا يخص بفقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة
للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيانا لسعة الارض تكذيبا لهم ورد اعليهم بل لابد من
بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم
قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واضرابهما فقتلوا فيها فضربت الملئكة وجوههم و
ادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تعييرا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم
في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين

فورد عليهم بانهم كانوا يقدرون على الخلاص عن قهرهم متمكنين من الهجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم
الفظيعة ماواهم اى في الآخرة جهنم كما ان ماواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فاواهم مبتدا
وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبران والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا
فيم كنتم حال من الملئكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا لهم والجملة ملتقطة
بالفاء معطوفة عليه مستتبعة منه وما في قوله وساءت مصيرا اى مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد
الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه
محمد عليهما الصلوة والسلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة
اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اى
كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم انما لك او المراهقون ظاهرا واما ان اريد بهم الاطفال فلبالغة في امر
الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة بحيث
عليهم كالبالغين واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوا متهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت
وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من الام ليس للتعريف
او حال منه اذ من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة
الحيلة وجدان اسباب الهجرة وميادينها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك
اشارة الى المستضعفين الموصوفين باذكر من صفات النجز عسى الله ان يعفو عنهم جئ بكلمة الاطماع والغظ
العفو اذا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها من تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب
العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل
الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتاسيس لها اى يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك
تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم
انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها
طريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اى من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله ثم يدركه الموت اى قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارجا بابه كما ينبئ عنه اثار الخروج
من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الها ويكتب
الا الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز
فاستريحا فقد وقع على الله اى ثبت ذلك عنده تعالى بثبوت الامر الواجب دون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني
لست من المستضعفين والله لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليل بمكة فحملوه على سرير متوجها الى
المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايع رسولك فمات حميدا فبلغ خبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان
اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او غير ذلك فهي هجرة الى الله عز
جل والى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب
التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا
ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض و
فيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيما لها فيه من تخفيف المؤنة اى اذا سافرتم اى مسافرة كانت

ولذلك لم يقيدها بقيد به الملاجوة فليس عليكم جناح اى حرج وما تم ان تقصروا اى فى ان تقصروا والقصر خلاف
المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا لحذف بعض اجزاءه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشئ لا
بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغى ان يكون مفعولا للتقصروا على زيادة
من حسبما رآه الاخفش وانما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون الفعل محذوفا كما هو راى سيبويه اى شيئا
من الصلوة فينبغى ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل اويراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشئ اذا حبسته
اويراد بها الصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهى الرباعيات اى فليس عليكم جناح فى ان تقصروا بعض
الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذى يتعلق
به القصر عند ابى حنيفة رض مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشى الاقدام بالاقتصاد وعند ابى يوسف رض
يومان وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعى وبما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه اتم فى السفر وعن عايشة رض انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رض انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب
القصر لا محالة خلافا لبعض مشايخنا ستماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا صاغ للاتمام لا رخصة ترفيه
اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلى وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روى عن عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام
غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلى
ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رايت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى السفر
الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وجاء سعد ابن مسعود الى عثمان رض فصلى بمنى
اربع ركعات ثم رجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابى بكر رض بمنى
ركعتين وصليت مع عمر رض بمنى ركعتين فليت حظى من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان
رض عن اتمامه بانه تاهل بمكة وعن الزهرى انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عايشة رض اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر اخرج صحيح البخارى انها قالت فرض الله الصلوة
حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فاقرت فى صلوة السفر وزيدت فى صلوة الحضر واما ما روى عنها
من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهى دارى وانما ورد ذلك بنفى الجناح
لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فرفع جناح نفى الجناح عنهم ليطيب به
نفوسهم ويطمئنوا اليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب
عندنا وركن عند الشافعى وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جواب لخذوف دل عليه الكلام ما قبله عليه
اى ان خفتم ان يتوصلوا بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح البتة وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر
بعده من حكمة الخوف المؤداة بالجماعة واما فى حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لظاهر السنن على
مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوى فى شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه
قال قلت لعمر بن الخطاب رض انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رض عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بالاكثر
التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق فى موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد
بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فسكت عنه فان وجد دليل ثبت عنده
ايضا والا يبقى على حاله العدم تحقق دليله لا التحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الادلة الواضحة واما
عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفى الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج

الشرط

الشرط منها مخرج الاغلب كما فى قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة فى حق
مقدار القصر وكيفيته وفى حق ما يتعلق به من الصلوة وفى مقدار مدة القرب الذى ينيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم
من القصر فحال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالقرب فى المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان
قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روى عن ابى ايوب الانصارى رض انه
قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هول فنزل ان خفتم الخ اى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير
ان خفتم على انه مفعول له دال عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة
مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله
بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد فى مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفية عند
الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع ان الاكتفاء فيما عدا ما بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها
اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئات الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هى المقصورة وحكم ما
عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلوة
الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام فوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم
الخطاب الوارد له عليه السلام كما فى قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روى ان سعيد بن العاص لما اراد ان
يصلى بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بين
اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضى الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع
وروى انه انتهى غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقامت لهم الصلوة اى اردت
ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتم طائفتين وليقف الطاعة الاخرى بازاء العدو
ليحموكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اى الطائفة القائمة معك اسلحتهم اى لا يضعوها ولا
يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا
اى القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اى فليصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتات
طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل
فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين
ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم ان النبى صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف
صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما فى الآية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهب هذه الى مقابلة
العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى
بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اى هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر
بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى
شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين باذكر لما ان الاشتغال
بالصلوة مظنة للقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود
الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استيناف مسوق لتعليل الامر
المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان نالوا منكم غرة وتنتهزوا فرصة فيشدوا عليكم
شدة واحدة وللراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها

بسبب مطر او مرض وامر وامع ذلك بالتيقظ والاحتياط وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن
ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فخال الوادي بينه عليه السلام
وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم
انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من
غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال الله اكفني غورث
بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكبت لوجهه من زلخذ لخابين كتفيه
فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال
عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا
ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليه قصته فآمن بعضهم وكفر
الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا تعليل للامر باخذ الحذر اى اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بامورهم ولا
تهملوا فيها مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه
نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصركم وينصر عدوكم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف
اى اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اى فداوموا على ذكره
تعالى واحفظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت
الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اى الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اى ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل
المراد بالذكر صلوة الخائف الثلثة الصلوة فيها اى فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا
جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مستلقين بالجراح فاذا اطمأننتم بالجلة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال
القلق والانزعاج وهو راي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اى فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلابد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل عرفوها
مقدرة باداء الخمس اربع ركعات وفي السفر كعتين فلابد ان تؤدى في كل وقت بحسب ما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم
اى لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالجراح وقوله تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اى ليس بما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو
مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فانكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم
على الاديان من الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اى لانهم لان تكونوا تالمون وقوله
تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم بعلم
اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى نجد واة الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق روى ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة
بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي
فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لم يفعل فنزلت وروى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهلها فسقط الحائط

عليه

عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه فحرم تسليم
الدخول والخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد جاء اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة
نحو الشام فنزلوا فسرق بعضهم متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة
فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اى باعرفك واوحى به اليك
ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته حصيما
فحاصما للبراء اى لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر منسحب على النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا
تكن اليهود واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة
لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اى يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد
بالموصول اما طعمة واضرابه واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة
ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية
عن البغض والسخط بالمبالغة في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيها يستخفون من
الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اى لا يستحيون منه سبحانه وهو
احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاختفاء منه سوى ترك ما
يستقبح ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويروون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب
وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يغرب عنه شئ منها ولا يفوت
انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات انذانا بان تعديد جنايتهم يوجب مشافهتهم
بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوضع اولاء خبرا
ويجوز ان يكون اولا اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخ صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم
عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء
به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك
والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه
كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة الآثار
المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى
ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في
العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يعجل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة
او ما لا عد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما
كان عن عمد ثم يرم به اى يقذف به وبسببه وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لكون او وتذكيره لتغليب الاثم
على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب الدلول عليه بقوله تعالى يكسب ثم
للتراخي في الرتبة بونا اى ما بينهما وبعدا في مراتب الشر ليعلم عقوبة العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اى بما فعل من تحميل
جريرة على البرئ بهتانا وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اى بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفى ببيان عظم البهتان بالتنكير
التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم باذكر بمنزلة البهتان به لانها عبارة
عن امر واحد وهو رمي البرئ بجناية نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فذار العظم والفخامة كون

المرمى به للرامى فان رمى البرئ بجناية تا خطيئة كانت او اثما بهتانا واثما نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البرئ منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم فى جميع الاديان فهو نفسه بهتان واثم لا محالة ويكون تلك الجناية للرامى يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جناية المكسوبة الى رمى البرئ والا لكان الرمى بغير جناية مشتملة العظم والمجرد اشتماله على عبرة نفسه الخاطئة والا لكان الرمى بغير جناية مع عبرة نفسه كذلك وبخوه لما فيه من الايذاء بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم باذكر من انضمام كسبه وعبرة نفسه الى رمى البرئ يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمة باعلامك ما هم عليه بالوحى وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بنى ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا تعشرنا فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اى بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لما وانما نفى همهم مع ان المنفى انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهمهم المؤثر ولا ريب فى انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اى لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اى لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصارهم بال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شئ و الجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شئ عطف عليه وحمل الجار والمجرور على المصدرية اى وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما خطر ببالك فكان عما علمك بنظام الحال ثقة بانوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القران الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحى من حقيات الامور التى من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع مالم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير فى كثير من نجواهم اى فى كثير من تناجى الناس الا من امر الا فى نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز و قيل النجوى جمع نجى نقله الكرمانى وايا ما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الخ فنى بخواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فيندرج اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز فى ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف موصوفة له اى كائن بين الناس عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر فى افراد هذه الاقسام الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدى الى الناس اما لا يصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعنى الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلى هو الترغيب فى الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وصحته حسن المامور به وصحته حيث ثبت

خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفى تحريض الآمر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام فى ترتب الوعد على فعله كالذى مر فى الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة و المخالفة وتعليل الحكم الآتى بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اى نجعله والها لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اى ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاها وساءت مصيرا اى جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قدم تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لتقدم طعمة وقد رموه بالكفر وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصى جراة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما ترى حالى عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء فى هذه الشرطية فقد ضل الها وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سباق النظم وسياقه ان يدعون اى ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا هى اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حى الا وكان لهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان قيل لانهم كانوا يقولون فى اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها النوع الحلى ويزينونها على هيئات النساء وقيل المراد الملئكة لقولهم الملئكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها فى الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايراد ما بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهى جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد واثنا ايضا على انه جمع اثث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كعنق وأسد واسد وتنصر على الاصل وقلب الواو والفا فخواجه فى وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذى لا يعلق بخير و اصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء وللتى تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهذا اقطع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك فى الغى لا يكاد يعلق بشئ من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثانى انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه فى غاية السعى فى اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته و المفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض لفلان فى العطاء ولاضلنهم عن الحق بالاغواء ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اى فليقطعنها بموجب اهوى ونفسها من غير تلعثم فى ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة وينتظم فيما قيل من فقاء عين الحامى

وخصاء البعيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لكان الحاجة
وهذه الجمل المحكية عن اللعين ملفوظ به لسانه مقالا او حالا او ما ينهاس الالتماس كلها للقسم والمأمور به في الموصفين
محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوا اليه على امر الله تعالى به
وتجاوزه عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستدل بمكانه من
الجنة مكانه من النار يعدهم اى بالاماني الفارغة او يفعل بهم الوعد والتمنية على طريقة
فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما
مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اى وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ القدر لان
يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة
الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتداء وقوله تعالى ماواهم
جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اى معدلا ومهربا من حامي النار اذا عدل وقيل
خلص ونجا قيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولا سبيل لتعلقه
بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتداء خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرئ وعد المؤمنين
زيادة لمسرة اولئك ومساءة اولئك وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد
الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الى وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى
الصادق لاوليائه وللمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت
القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام القاف وكذا كل صاد ساكنة بعد ما دال
ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من الثواب بحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل
الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها
للايذان بعدم اجراء اماني المبطلين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما التهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل
الكتاب بنبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون بل نحن اولى منكم بنبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانيكم
وقولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لتكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لا يتين مالا
وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهو لهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزل قال ابو
بكر دخل قلبي منه هم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك البلاء قال
بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اى مجاوزا للموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا
نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اى بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من
كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات
فمن للابتداء اى كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور

تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار
معنى ما كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ ويدخلون بنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون
نقيرا اى لا ينقصون شيئا حقيرا من ثوابا عمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب
المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والجازي ارحم الراحمين وهو لسرعة الاقتضاء على
ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها رتبا سواه و
قيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون
احد احسن دينا من فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها بل شدك
اليه الوقوف المعتاد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من
كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن
منقول من المبتداء والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين
صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اى آت بالحسنات تارك السيئات
او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه
وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع ملة ابرهيم
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل
اتبع او من ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اى اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله والظاهر
عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شانه عم والتفصيص على انه ابلغ وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة
الخلال فانه ود تخلل النفس خالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو
الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما متوافقان في الخصال وفائدة
الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملة عم فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته
خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام
بعث الى خليل له بمصر في أزمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فبعث غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة
فملؤا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها الى منزل ابرهيم عم والقوما فيه وتوقوا وجاء احدهم فاخبر ابرهيم
بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لاستيلاء الناس بناء رجاء الطعام فغلبته عيناه وعدت سارة الى الغرائر
فاذا فيها اجود ما يكون من الحواري واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال
من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي لله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا وله
ما في السموات وما في الارض جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعة تعالى على اهل السموات والارض
ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او
شرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابرهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه كما هو
دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة
لا تخرجه عن ربقة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيته تعالى اى له تعالى فيهما
جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على
الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم تما
يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اى في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية

لافي حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف اجمل
بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب ومما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما
يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلى من
الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اعتاني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدا او ضمير في الخبر بمكان
الفصل بالمفعول والجار والمجرور واثبار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما
متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتداء وفي
الكتاب خبره على ان المراد باللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدول في
الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول لما تلى وما سيتلى
ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المبني عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن والقرآن الذي يتلى
عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لافتقاله
لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم كائنا
وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ يباعى على قلب همزة
ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة
عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل لا تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا
يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن
كفء للاجل التمتع بهن بل للاكل بالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رض
من انها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان
ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها ايضا انها يتيمة يرغب
وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها
وشريكها في المال حتى في الفذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها
فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله
ولا تاكلوا اموالهم ونحو ذلك من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثالث صداقهن وبما يتلى فيهن
قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء
وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون
الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصين الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال لم
كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء
متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا
ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للاولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا اي في
حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوا من خير عاما الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا
اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف
من الاحكام اي ان توقعت امراة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا
لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها وموانستها لما يقتضيه ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح
عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضا او القسم كما فعلت

سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعايشة او بان تهب له
شيئا وقرئ يصالحا من يصالحا ويصلحها من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور
على كل تقدير على انه مصدر من غير لفظه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا
حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينا ظرف للفعل او حال من صلحا والتعبير
بنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الكرة
المحرمة للمعطى والآخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة والام للعهد او هو خير
من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة
لا مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فالمراة لا تسمح بحقوقها من الرجل والرجل يجود بحبس المعاشرة مع دمامتها
فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا لبحث كل منهما عليه لكن لما نظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في
المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير
استمالة ما يحمل المراة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالة وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان
يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا
النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليها وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم
تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون
جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر
المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى
المبني عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب
في حسن المعاملة مالا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي
شابة فلما علا سنها اكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه
ذلك وقيل نزلت في ابي السنابك كانت له امراة فكبرت ولها منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها
فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهر ما شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان
يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء اي مهما ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شان
من الشئون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي
فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعايشة
رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما
دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات
بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد
شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امور حق وتتقوا الميل فيما يستقبل فان
الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط لكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان
قرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح
يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماة من سعته من غناه وقدرته ويفرج
لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله
ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة

مستأنفة مبنية على كمال سخطه وعظم حرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى امرناهم فى كتابهم وهم اليهود
والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام فى الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على
الموصول ان اتقوا الله اى وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار
ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية فى معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى
الارض ج من تتمة القول المحكى اى ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون
ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اى امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هى
جملة مستأنفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية
بل سوء الامر بعلمكم انه قبل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما فى السموات وما فى الارض من الخلائق قاطبة تعقيقون
اليه فى الوجود وسائر النعم المتنوعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى
عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا حميد الخلقه وعبادتهم حميدا محمودا فى ذاته حمد
او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا
لحاجته ولله ما فى السموات وما فى الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين وتوطئة لما بعده من الشرطية
غير داخل تحت القول المحكى اى له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما شاء ايجادا و
اعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا فى تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد
سواه ان يشأ يذهبكم ايها الناس اى يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت بآخرين اى ويوجد دفعة مكانكم
نوعا آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان
يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الى بعض ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن
طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم للعجلة سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
وكان الله على ذلك اى افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما فى
توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العرب اى ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى فان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر
سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة اى فعنده تعالى ثوابهما لمن اراده فما له يطلب احدهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا
فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اوليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم يخطئه الغنيمة ولم فى الآخرة ما
هى اجنبه كلا شئ او فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه
الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال
المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين فى العدل واقامة
القسط فى جميع الامور مجتهدين فى ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى
وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اى ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة
على الاقرار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر
ما على بعض المشهود عليه او الوالدين والاقربين اى ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اى
المشهود عليه غنيا يستغنى فى العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكونا غنيين
او فقيرين على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فان الله اولى بهما عليه اى فلا تمتنعوا
عن الشهادة لاجل الغنى او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسى الغنى والفقير المدلول عليهما باذكر ولولا

ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اى فى مخافة ان تعدلوا عن الحق
فان اتباع الهوى من مظان الجور الذى حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة
ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اى السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ
وان تلوا من الولاية والتصدى اى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اى عن اقامتها رأسا فان الله كان
بما تعملون من لى الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التى من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم للاحوال
على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب
كافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل
اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه او ازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم
اجمالى والمراد بالكتاب الثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بان كل
كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر بالكلية ولا على ان
الباقى منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام
كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها واما ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها
من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر فى تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على
البناء للمفعول وقيل موجه خطاب لمؤمنى اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة و
اسد واسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا
بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم فامرهم بالايمان
بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم يؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا
لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عدا ما كانه قيل آمنوا بالكل ولا تختصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو
بحاق صميم الايمان بالقرآن على الوجه الذى اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها
وبين سائر الكتب فى التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين
فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابها فى ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما
ذكر وقيل مولمنا فقرين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر اى بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملئكة واليوم
الآخر فى جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول
كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سيق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملئكة والكتب على الرسل
لانهم وسائط بين الله عز وجل وبين رسله فى انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة ثم اليهود آمنوا بموسى
ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد عليه السلام وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان تلوبهم قد ضربت
بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شئ وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اى مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل
على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا فى الظاهر نفاقا وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا او نفاقا و
وضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء فى محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد
بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل

يتخذون اى يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لايتم امر محمد ونحن نتولى اليهود ليبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اى ايطلبون بموالاة الكفرة العزة والغلبة قال الواحدى اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان الحصار جميع افراد العزة فى جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العز والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقضى ببطلان التعزز بغيره سبحانه وباستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله وجميعا حال من المستكن فى قوله تعالى لله لا تأكيد على الابتداء وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذى يستدعيه تعداد جنايا تهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا معترضة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما ينهاهم عن ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهى عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان استفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة فى الكتاب اى القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضى الانزجار عن مجالستهم فى تلك الحالة القبيحة تكييف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل فى حكم الحالة واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اى نزل عليكم فى الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها الخ وفيه دلالة على ان المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وان خوطب بخاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالستهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهى غير داخلة تحت التنزيل واذا بلغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اى لا تقعدوا معهم فى ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم فى الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او كالاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اى فى مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم فى الكفر ببيان ما لهم من شركتهم لهم فى العذاب والمراد بالمنافقين اما الذين طبعوا وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم باخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم واما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اى ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء فى قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعى شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اى لكم ألم نكن معكم اى مظاهرين لكم فاسهموا لنا فى الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اى للكفرة ألم نستحوذ عليكم اى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وحيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم والا لكنتم

نهبة للنوائب فيها توانيتما لنا فما اصبتم وتسببتم ظفر المسلمين فتحاوا الكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتيئيس الكافرين وقرئ ونمنعكم بادغام الراء فى النون فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وانما فى الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك فى الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او فى الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اى يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم فى الدنيا معصومى الدماء والاموال واعد لهم فى الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق فى صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادونهم انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنمنع وناعم او للمقابلة فان المرائى يرى غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استيناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اى لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الازمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى فى الصلوة الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل لا يذكرونه تعالى فى الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بعونة المقام اى مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اى مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفى مصحف ابن مسعود رضه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى أخذ بهم تارة فى دبة اى طريقة واخرى فى اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان فى بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة فى الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون لله للمبالغة فى انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور نفسه كما فى قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم الخ ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التى تحت جهنم وانما كان كذلك لانهم اجتمع لهم الكفر والاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم وانما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة فى الزجر وجعلهم فى الدرك الاسفل لكونها متدارکة تسابقه بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالنطر والنطر وبعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اى عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم فى الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله اى وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا

مطلب ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

دينهم اى جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اى المؤمنين المعهودين
الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والآن فهم ايضا مؤمنون اى منهم فى الدرجات العالية من الجنة وقد
بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فنساهم نهم فيه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شئ
آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وكلمة ما استفهامية مفيدة للنفى على ابلغ وجه واكده اى اى شئ
يفعل الله سبحانه بتعذيبكم اينتفع به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضرا كما هو
شان الملوك وهو الغنى المتعالى عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى
التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم
الافقية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما
قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا بالقليل من طاعة عباده واضعاف الثواب
بمقابلته عليما مبالغا فى العلم بجميع المعلومات التى من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشئ كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بحذوف
وقع حالا من السوء اى لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اى الا الجهر من
ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يسىء
بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتقم بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فنعوت على
الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اى ولكن الظالم يرتكب لا الجهر الله
تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات
التى من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اى خيرا كان من
الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسئ والتضييق عليه مع
اندراجه فى ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التبيين لكما ينبئ
عنه قوله تعالى فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده فى معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو
مع القدرة اى كان مبالغا فى العفو مع كمال قدرة على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانبين مع قدرته
على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته تعالى وقال الكلبى هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب
من ظلمكم وقيل عفوا عمن قدر اعلى ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اى يؤدى اليه
مذهبهم وبقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
اى بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم فانه بل بطريق الالتزام كما
يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود
نؤمن بموسى والتورية وعزير ونكفر بما وراء ذلك وماذا لكفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله
فى الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبى من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب
ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة
بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة
هم الكافرون الكاملون فى الكفر لا غيره بايدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة
اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى ثابتا

يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اى لهم وانما وضع الظاهر مكان المضمر تسجيلا عليهم بالكفر وتذكير الوصف
لهم او لجميع الكافرين و
هم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله على الوجه
الذى بين فى تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان
يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد حقق تحقيقه فى سورة البقرة بما لا مزيد عليه
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم ولتقديره بسوف
لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا
لما فرط منهم رحيما مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك اهل الكتاب بان تنزل عليهم كتابا من
السماء نزلت فى احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى به موسى عم وقيل كتابا محررا بخط سماوى على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل
او كتابا الينا باعيننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن و
لو سئلوه لكى يتيقنوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر
اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اى فلا تبال بسؤالهم فقد
سألوا موسى اكبر منه وهذه المسئلة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم فى كل ما يأتون وما
يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا
ارنا الله جهرة اى ارناه نره جهرة اى عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة
اى النار التى جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد
ما جاءتهم البينات اى المعجزات التى اظهرها لوعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا
التورية لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم
الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا انا بوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى
سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم اى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم
الطور فقبلوها او ليخافوا على ما روى انهم هموا بتقفه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض
وهو الانسب بما سيأتى من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى ادخلوا
مظلل عليهم الباب قال قتادة كما اخبرنا انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو
اريحاء وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة
موسى عم سجدا اى متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اى لا تظلموا باصطياد الحيتان
فى السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء فى
الدال لتقاربهما فالقيت حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا
مؤكدا وهو العهد الذى اخذ الله عليهم فى التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع
عن الدين فالله تعالى يعذبهم باى انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة
تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اى بنسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا
من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم روى انهم اعتدوا فى السبت فى عهد
داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى
فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن

بينا

التحريم والاسباغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة
قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاده وكفرهم بآيات الله اى بالقرآن او بما في كتابهم
وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اى هي مغشاة
باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام او هي تخفيف غلف جمع غلاف اى هي اوعية للعلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رض وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل
اليها حديث الاوعية ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين
جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا
بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم اوليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها
بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به ويكفرهم
اى بعيسى عم وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول بأينها بالاستطراد وقد جوز عطفه على كفرهم فيكون
هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر
كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث
نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك سائر
جناياتهم التي نعيت عليهم ليس للمجرور كونه كذبا بل لتضمنه لانتهاجهم قتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم
له عم بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
له عم بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عم
من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في
افترائهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمع اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه
يرفعه الى السماء وقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم
انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما اراد ان يخرج
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه الصلوة والسلام فوضع عليه الصلوة والسلام والقى شبهه على المنافق
فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عم وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده
والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل واشتال هذه الخوارق لا تبعد في عصر
النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عم رفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة
بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه وليتسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا
بالاسم لعدم مخالطته عم لهم الا قليلا كشبه سمند الجارود بركانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى و
المقتول وفي الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الضمير المقتول له لانا
انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اى في شان عيسى عم فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى
السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب لناسوت وصعد اللاهوت نفي شك منه نفي تردد والشك
كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء متصل وما قتلوه يقينا

اى قتلا

اى قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك يخبر عنها العالمات
بها وقد قتلت بعلي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشئ علما وتحقيقا علما اذا بالغ عليك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم
في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه ردا وانكارا لقتله واثباتا لرفعه وكان الله عزيزا
لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيره تعالى في امر عيسى عم دخولا اوليا وان من اهل
اى من اليهود والنصارى وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف
اليه يرجع الضمير الاول والاول لعيسى عم اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عم قبل ان تزهق روحه
بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم
النون للان احد اهل معنى الجمع وعن ابن عباس رض انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه
قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان حر من فوق بيت او احرق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء
ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شئ منها يعني هذه
الآية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلما سمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا
حضره الموت ضربت الملئكة وجهه ودبره ويقولون يا عدو الله انا كان عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي
وتقول للنصراني انا كان عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال و
كان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ نكت الارض
بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيدهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به
قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول
عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامنة حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله
عليه وسلم ويوم القيمة يكون اى عيسى عم عليهم اى على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا
لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك
التوبة الهائلة المشروطة بفتح النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اى بسبب ظلم عظيم خارج
عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا بشئ غيره كما
زعوا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقتربوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة
لهم او لمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من
حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة
وكتبهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من ان تنزل التوراة قل فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين اى في ادعائكم انه محرم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التوراة لم يجسر
احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا اى ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه
الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما
سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله و

اعتناء بها وبيان لكون بعضها على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اى كن الثابتون فى العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير
التابعين للظن كما ولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم وصفوا بالايمان بعد ما
وصفوا بما يوجب من الرسوخ فى العلم بطريق العطف المبنى على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنوان
منزلة الاختلاف الذاتى وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون بيتة كيفية
ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا والمقيمين الصلوة قيل نصب بإضمار فعل تقديره واعنى المقيمين
الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اى يؤمنون
بالكتب وبالانبياء او الملئكة قال مكى اى ويؤمنون بالملئكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف فى اليك اى يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم
الانبياء وقيل على الغير المجرور منه اى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف
بناء على امر من تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى وكذا الحال فيما ياتى من المعطوفين فان قوله تعالى
والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحادهما ذاتا وكذا الكلام فى قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الاخر
فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين فى علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان
حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عم
ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام والكتاب من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر
العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبداء والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه
وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منها حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون
بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم
باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو
مبتدا وقوله تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما جزء والجملة خبر للمبتدا الذى هو اسم الموصول وما عطف عليه والسين لتاكيد
الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وايذان بان ما يستدركه حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون
بالاجر العظيم كانه قيل اثرقوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما و
اما ما ذهب اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبر المبتدا ففى كمال السداد خلا انه غير منقوم
لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بانه ليس ببدع من الرسل وانما شانه فى حقيقة الارسال واصل الوحى كشان سائر مشاهير الانبياء
الذين لا ريب لاحد فى نبوتهم والكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او
على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راى سيبويه اى اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الى نوح او
متلبسا باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبى شرع الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام واول نبى
عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى
نوح داخل معه فى حكم التشبيه اى وكما اوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد
يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم فى سلك
النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما فى قوله تعالى من كان عدوا لله وملئكته وجبريل وميكال وتصريحا
بما ينتمى اليه اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة
بنوع مخصوص من الوحى واتينا داود زبورا قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم
الاحكام وانما هى حكم ومواعظ والتمجيد والتحميد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو زبر بمعنى مزبور

والجملة

والجملة عطف على اوحينا داخل فى حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اى وكما آتينا داود زبورا وايتاءه على واو حينا
داود لتحقيق المماثلة فى امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها فى مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها فى امر لازم
لها لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه فى حكم التشبيه
كما قبله اى وكما ارسلنا رسلا لابا بقصته قوله تعالى قد قصصناهم عليك اى وقصصنا رسلا كما قالوا وقرءوا
عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم عليك الخ فى محل الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثانى لا محل له من الاعراب
فانه حال لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصناه اى قصصنا من
قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاما منصوب
بفعل يفسره الخ فض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابها باضمار سلنا فان فى تحقيقا للمماثلة
بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شئون من يعتد بنبوتهم من الانبياء عليهم السلام فى مطلق الايحاء ثم فى ايتاء
الكتاب ثم فى الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا
اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان اتباء مثل ما آتينا
داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم
عليك من غير تفاوت بينك وبينهم فى حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسئلونك شيئا لم يعط احدا
من هؤلاء ارسل عليهم السلام ومن بعدنا اتضح ان رسلا لا يمكن بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا
على اوحينا داخلا معه فى حكم التشبيه الذى عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب فى ان قصصنا لا تعلق
له بشئ من الايحاء والايتاء حتى يكون اعتباره فى حيز قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين الذكور
مماثلة معتدة لتشبيه على ان تعدد ه فى رسلا الاول يقتضى تقديره فى الثانى وذلك اشد استحالة وافظع بطلانا
وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على العكس وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال
المجاز قال القراء العرب تسمى ما وصل الى الانسان كلاما بای طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا
حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف
عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب والعنوان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى خص به موسى
من بينهم فلم يكن ذلك قادحا فى نبوة سائر الانبياء فكيف بنبوتهم كون نزول التورية عليه عم جملة قادحا فى صحة
نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بنى اسرائيل كانوا
فى الغاية من العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتى
وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او
على البدلية من رسلا الاول اى مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على
الله حجة اى معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع ايتك ونعلمنا ما لم نكن نعلم
من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما فى قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع ايتك الاية وانما سميت حجة مع
استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة فى فعل من افعاله بل لان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة فى
القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التى لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا قال النبى صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل
الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان ولئلا خبرها

وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اى كائنة على الله او هو الخبر والكائن حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الاخر الذى هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اى بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظرف يوصف بها الاحداث كما يخبر عنها بها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب فى امر من اموره وقضيته الامتناع من الاجابة الى مسئلة المتعنتين حكيما فى جميع افعاله الحق من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها فى كيفية النزول وتغاير ما فى بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم فى الاحوال التى عليها يدور فلك التكليف فكانه سبحانه وتعالى راعى عن ازل شئونه واطوار شانه حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتفاوتة من الشرائع والاحكام حسبما يستدعيه الحكمة التشريعية وراعى فى ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ حينئذ يتعاقم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واضح عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح انهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على بناء المفعول والباء صلة للشهادة اى يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن الملخ الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا انزلنا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اى بكتبا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليف على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة فى موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملئكة يشهدون اى بذلك مبتدا وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اى انزله والملئكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحجا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اى بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهم داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد فى كتابنا وقرئ صدوا بمعنى صدوا للمفعول قد ضلوا عما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الاقلاع منه ان الذين كفروا اى باذكر آنفا وظلموا اى محمدا عليه السلام بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم فى المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التى هى طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملئكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اى جعلهم خالدين فى جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شئ من مراداته تعالى يا ايها الناس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقترافهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته ﷺ وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام امر الوحى و

والارسال كثير ممن يعترفون بنبوته من شاهير الانبياء عليهم السلام وانما ذكر ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملئكة أمر المكلفون كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد بينها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر فى عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يوعقبه من الامر بالايمان والارادة صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فى المشهورة او بمحذوف وقع حالا من الرسول اى ملتبسا بالحق ومن ابتدائية متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف وقع حالا من الحق اى جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم فى الامتثال بما بعده من الامر والفاء فى قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اى فاذ قد جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راى الخليل وسيبويه اى اقصدوا وائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راى الفراء اى آمنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المقدرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعى وهو راى الكسائى وابى عبيده اى يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اى تقروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما فى السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة فى حقيقتها وبذلك يعلم حال انفسها على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنها مستقرة فيها من العقلاء وغيرهم فيدخل فى جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اى كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شئ منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غنى عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل لمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه ينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا فى العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل فى ذلك علمه تعالى بكفركم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة فى جميع افعاله التى من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا فى دينكم بالافراط فى رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود فى حط رتبته عم وزعمهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اى لا تصفوه بما يستحيل اضافته اليه من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره فى سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كاسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مؤيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهى عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعنى الحق اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اى مكون بكلمته وامره الذى هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اى اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عم وقيل اعلمها اياها واخبرها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من ضمير عم المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذى هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذى نفخ جبريل عم فى درع مريم فحملت باذن الله تعالى حتى النفخ روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لانتهائه كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر على بن حسين الواقدى المروزى ذات يوم فقال له ان فى كتابكم ما يدل على ان عيسى عم جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقواه الواقدى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصرانى فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدى بصلة فاخرة وسى متعلقة بمحذوف وقع صفة

لروح الى الكاينة من جهتي تعالى جعلت منه تعالى وان كانت تنفخ جبريل عليه السلام بامره سبحانه وتعالى روحا
لاحياء الاموات وقيل لاحياء القلوب كما سمي بها القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من
امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحى الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شئ بغاية
الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم
كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تاخره عن كونه كلمة تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول
الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين نال ما يحتمله وسدا بابا التاويل الزائغ فامنوا بالله وخصوه
بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا
ثلثة اي الاله ثلثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث
خيرا لكم قدروا وجوه انتهائهم انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله
خبره وواحد نعت اي منفرد في الالهية سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا
من ذلك فانه انما يتصور بين ما يماثله شئ ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه
ان يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستانفة لتعليل التنزيه وتقريره اي لهما فيهما من الموجودات
خلقا وملكا وتصرفا فلا يخرج عن ملكوت شئ من الاشياء التي من جملتها عيسى ومريم فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى
بالله وكيلا اليه يكل كل الملق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة
المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استيناف مقرر لما سبق من التنزيه
والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان
يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك
اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه دم المباهاة به كما يدل عليه
احواله ويفصح عنه اقواله لو لا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا
الوقوع في موقع الجواب عما قاله الكفرة روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا
بلى فنزلت وهو الحجة في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا له تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك
مع افادة فائدة جليلة سنى كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة
مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه
بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها ما فعدم
الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملئكة المقربون عطف على المسيح اي ولا
يستنكف الملئكة المقربون ان يكونوا عبيد الله وقيل ان اريد بالملئكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج
بالآية من زعم فضل الملئكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقال ساقه لرد النصارى في رفع المسيح
عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم
مستلزما لعدم استنكافه عليهم السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية
لما كان اختصاصه دم وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى
السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان
الملئكة مخلوقون من غير اب وام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا

ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية
ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملئكة ايضا فلما اتخذ لما قالوا لواجح وان سلم اختصاصها بالرد على
النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفضيل باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك
اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين
منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من سواهم منهم رتبة من الملئكة عليه السلام على المسيح من
الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وهو التشاجر الآفية ومن
يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه ههنا
عبادته تعالى لما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى كما يدل
على انكار القائم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف غالبا مع ان ذلك كان بطريق
انكار الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهل هو الا استنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر لاحد سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لما
بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيدل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على
الطلب للايذان بانه بمعزل من نيل المطلوب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج بسبل الله مع اعتقادهم لاستقامتها
بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان
ليس هناك شئ سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف
عنه فيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملئكة
عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على ابناء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر
احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم حشر الخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما
الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة
شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين ومناكبي مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم اليه يوم يحشر
العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ
فيحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي
ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال
واريد بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه
المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شئ ما اصلا ويزيدهم من فضله
بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين
استنكفوا اي عن عبادته عز وجل واستكبروا اي عنها بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما
لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله اولياء يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من
بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان
ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازالة
شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم تبق بعد ذلك علة للمتعلل ولا عذر
للمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر قولا وكتابا بحيث كالمشاهد لكم برهان البرهان ما يبرهن به
على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من

جملتها ما اشير اليه ما اثبتته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه البيان صلى الله عليه وسلم
عبر عنه بما معه من المعجزات التى تشهد بصدقه وقيل هى المعجزات التى ظاهرها وقيل هو دين الحق الذى اتى به وقوله تعالى
من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالاضافة
الاضافية اى كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثانى كونها تبعيضية بحذف المضاف
اى كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم وللايذان
بان مجيئه لمم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير
اليه آنفا واخرى بالنور الغير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن فى ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز
وجل باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعار ابهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر
الى نور الايمان وقد سلك مسلك العطف المبنى على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية
وعبر عن ملابسة للمخاطبين تارة بالجار المسند اليه المبنى عن كمال قوته فى البرهانية كانه يجئ بنفسه فتثبت احكامه
من غير ان يجئ به احد ويجئ على شبه النكرة بالابطال واخرى بالانزال الموحى عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له
باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسنادا لانزال اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال التشريف هذا على
تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن
المعجزات الظاهرة على يده او عن الكتب الحق فالامر حينئذ وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزال البرهان
وان كان الى النبى صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه الصلوة والسلام وانما اعتبر حاله بالكواسطة
دون حاله بالذات كما فى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم
والتفريح بوصوله اليهم مبالغة فى الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من
الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الآى الكريمة فاما الذين آمنوا بالله حبما بوصبه
البرهان الذى اتاهم واعتصموا به اى عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم
فى رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضى الله عنهما هى الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة
وفضل تفخيمى ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اى الى الله عز وجل وقيل الى
الموعود وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة و
تقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب فى الوجود بين الموعودين للمسارعة الى
التبشير بما هو المقصد الاصلى قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اى يعرفهم صراطا
مستقيما يستفتونك اى فى الكلالة استغنى عن ذكره بورودة فى قوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة
وقد مر تفسيره بما فى مطلع السورة الكريمة والمستفتى جابر بن عبد الله يروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
طريق مكة عام حجة الوداع فقال انى لى اخوات فكم آخذ من ميراثها ان مت وقيل كان مريضا فعاده رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى وروى عنه رضى الله عنه قال دعانى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من وضوئه على فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانا
ورثنى كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بانه فسر المذكور
وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل او حال من الضمير فى هلك ورد بانه مفسر للمخبر عنه غير مقصود فى
الكلام اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر
فى الكلالة تقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى ولاخت عطف على قوله ليس له ولد او
حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه فى صدر السورة الكريمة فلها النصف

ما ترك اى بالفرض والباقى للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اى المرء المفروض يرثها اى فى حقه المفروض
ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط
بانتفاء الولد بالكلية لا ارثة لها فى الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس فى الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير
الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على
الشرطية الاولى اى اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان ما ترك الغير المرث بالاخوة والتاء والتثنية باعتبار
المعنى قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف
الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اى من يرث بطريق الاخوة اخوة اى مختلطة
رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر على المؤنث فللذكر اى للذكر
منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما انزل من كتاب الله تعالى فى الاحكام
روى ان الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ان الآية التى انزلها الله تعالى فى سورة النساء فى الفرايض فاولها للولد
والوالد ثانيا فى الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التى ختم بها السورة فى الاخوة والاخوات لابوين
اولاب والآية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام يبين الله لكم اى حكم الكلالة او احكامه
وشرائعه التى من جملتها حكمها ان تضلوا اى كراهة ان تضلوا فى ذلك وهذا رأى البصريين صرح به المبرد و
ذهب الكسائى والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا فى طرفى ان اى لئلا تضلوا وقال الزجاج
مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائى حديث ابن عمر رضى
وهو لا يدع عونة احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اى لئلا يوافق فاستحسنه وليس بما ذكر امن الآية والحديث
نصا فيما ذهب اليه الكسائى واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ و
قيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اى يبين لكم ضلالكم الذى هو من شانكم اذا فعلتم و
طبائعكم لتحرزوا عنه وتتحرزوا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع
الخطاء والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شئ من الاشياء التى من
جملتها احوالكم المتعلقة بمعاشكم ومعادكم عليم مبالغ فى العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنه تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر
كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشتمل بعقد
الجمل وكونه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما
يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات وكونها ما يجب الوفاء به او يحسن ديانا بان يحمل الامر على معنى يعم
الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع فى تفصيل الاحكام التى امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق
بفروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان
كثوب الخز وافراد ها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية المعدودة فى سورة
الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوها وقيل هى المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام و
الاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة فى الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة
بين المضافين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التى بين احلالها فيما سبق المماثلة لها فى مناط

الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ماحقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اى الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلى الصيد اى الا صيدا وانتم في البر او الحل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمة علما واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقولنا وانتم حرم اى محرمون حال من الضمير في محلى الصيد وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام باذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون اللام بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلوب كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم ولما على التقدير الاول ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكيرا حيائها بما اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره بج كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يفيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يفيئهم عنه باعتبار تحريمهم له علما واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بها الجريان على موجبها عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها الى سيأتي بيانها يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر ان جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومراعي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات للحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واخلالها ان يتاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها ويحدث في شهر الحج ما يصدهم بالناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حد لها لعباده واخلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اى لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسئ والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدى بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدى وجدية ولا القلائد سي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها بمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملئكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا والنهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائد ما فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اى لا تحلوا قوما قاصدين زيارة بان تقصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اى قتال قوم او اذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لاصفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين زيارة حال كونكم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اى فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول ابتغائهم وقرئ يبتغون على الخطاب فالجملة ح حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه

للمنهي عنه لا تقييد المنهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للاياء الى اقتضاء التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل المنهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رح ليس فيها منسوخ وقيل الى ههنا فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن اهلالهم دون المؤمنين على ان حرمة اهلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي عليه السلام وعوعده ان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد والهدى فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يخلي بينهم وبينه فاباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وقد ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الكاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدار الحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة كائنا في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه المسلمون والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد و الشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآيين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ فتعين النسخ كلا او بعضا و بذا الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل الى الرزق للمؤمنين و المشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويخيص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهى عن اضلال قوم من الآيين خصوصا مع اندراجهم في النهي عن اضلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاضلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبته اياه فلان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الباقي وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ بجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اى لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارة والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آيين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغني عن جوابه لا يجرمنكم قد ابرز المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتبيين على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايثاره الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين في قطعة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم

لهم لصدهم ايا كم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للمسلمين
عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء
ومباديه الموصلة اليه ينتهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يتوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب
كما في قوله لا ادينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذ طللتم
فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كحرمة
الاصطياد بل هي باقية لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة للتعرض للآثار الآتية
بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بالطريق التظالم والتعاون امروا
بما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى وتتابعة الامر ومجانسة النهي فدخل فيه ما نحن بصدده
من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم
والمعاصي بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فانزجر فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والاثم
بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع
تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم
والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امر وا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء عن جميع
الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل
ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه وانظار الاسم
الجليل المقرر امر ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان
المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما تلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح
منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فوذله اي من
فصيدله ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة
اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية
اي التي تردت من علو او الى بئر فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل و
قرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع
وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت منه صيدا لم يحل الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية
حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص باكل السبع والذكاة الشرعي بقطع الحلقوم و
المرئ مجددا وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو
الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان استقسموا
بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا
ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على
ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى لمعنة الاستقسام طلب معرفة ما قسم
لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام
بالازلام ومعنى البعدية للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق خروج عن الحد ودخول في علم الغيب
وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان
هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد
والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد يوم عصر الجمعة يوم عرفة
حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضباؤها تندق لثقلها

الازمنة م

فبركت

فبركت واتيا ما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل
هذه المحرمات او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله ورجوعكم
الاتم بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشوني اي واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم
دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع و
قوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم
نشرح لك صدرك وعليكم ما قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لان للمصدر لا يتقدم عليه
معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما قررت اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية و
مناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق قيل مع اتممت عليكم
نعمتي اخترت لكم وعدي بتولي ولا تمم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان
وهو الدين عند الله لا غير عن عمر الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها
لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية
قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي
الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر
قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا اكمل فانه لا يكمل شيء الا انقص فقال عليه السلام صدقت فكانت
هذه الآية نعي رسول الله عليه السلام فعاش بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بايجاب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف
معها الموت او مبادية غير متجانف لاثم قيل غير مائل ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا قدر الحاجة
او متزودا منها من غير اضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسئلونك
ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا
عنها عند بيان اضدادها والمتضمن السؤال معنى القول او قع على الجملة فاذا مبتدأ واحل لهم خبره ومحل الجملة
لما ان يسألوا بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكي فيقال
اقسم زيد ليفعلن والمسؤل ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة
ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات
بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب
تكلوا او قدر خبر كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا او انا دخلت الفاء لتشبيها للموصول
باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير
وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عم في حق عتبة بن
ابي لهب جمين اراد سفر الشام فغاظه النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على المجري
على عليه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمفعول واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف
مما علمكم من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم بالهام من الله تعالى او مكتسبا بالعقل الذي هو
منحة منه او حاصل فكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانفراقه بدعائه وامساك
الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قدر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية

جزائي بالعصيان أجلدا يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان الشرايع المتعلقة بهم بعد ما يتعلق بنا سم اذا
تمم الى الصلوة اى اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل
المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا تنفك عن ارادتها او اذا
قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن
محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح
بوضوء واحد فقال عمر رضه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة
الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة المال واشتراط الحدث في
اليتيم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضئون لكل صلوة فلا دلالة فيه على
انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روى عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله
له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام
المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اى امروا عليها الماء وو لاجله
الى المرافق خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله
ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه و
انما هو امر يدور على الدليل المارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان
الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي ...
للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن
ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك
مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تفاعل الفعل مع الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم
وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما قيل وامسحوا برؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها ربع الرأس وما لك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين
بالنصب عطفا على وجوهكم وتؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وفعل اكثر الائمة والتحديد اذا المسح لم يعهد محدودا
وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدة
التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين الوضوء اياء
الى فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع اى وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اى فاغتسلوا وقرئ فاطهروا
اى فطهروا ايدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط النية بالطهارة الصغرى بالاحرى
الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اى مسافرين عليه
او جاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاتوا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في
سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اى ما يريد بالامر بالطهارة
للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الاقتناء به ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم
اى لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فعول يريد في
الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص
لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم و مكفرة
لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بغفرانه لعلكم تشكرون نعمته ومن لطائف الآية

لعدى بن م

متناولة م

جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبرها والفاء على تقدير كونها عاطفة على الطيبات فهي
جملة معترضة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاكلان
حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر خالفا وخبرا كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او
موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اى مما امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكل منه واما ما اكل
منه مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام فان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء
وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تأديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط
ذلك مطلقا وقد روى عن سلمان وسعيد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه
وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما ايتانا علمتم اى سموا عليه عند ارساله او لما
امسكنه اى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اى سريع
اتيان حسابه او سريع تمامه اذ اشرع فيه يتم فما قرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يوشك ان يأخذكم
سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم
الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولا خلاف الا حداث الواقعة فيه حسن
تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اى اليهود والنصارى واستثنع على رضا الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رض والمراد بطعامهم
ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اى حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا
باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رض واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه
هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملئكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل
الكتاب واما المجوس فتقدس نبهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله
صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتداء خبره
لدلالة ما تقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر او العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى
لا للنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن وانما الاماء كما
الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اى هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن
إياهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واداء طريقة على
حل المخدوف وقيل شرطية حذف جوابها اى اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل
آتيتموهن اى حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين
وقيل صفة لمحصنين اى غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اى ولا مسترين به والخدن الصديق يقع
على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا للتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا
على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اى من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين
ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك
وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ وما من الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق و
قيل بمحذوف دل عليه المذكور اى خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة
لان ابعاضها لا يعمل فيما قبلها قيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربته حتى اذا تمعددا كان

الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها متنع طهارتان اصلي وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الغسل مسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتها مائع وجامد وموجبها حدث اصغر واكبر وان الكبير
للعدول الى البدل مرض او سفر ولان المدعو عليها تظهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقولكم نعا اذ اخذتم سمعنا و
اطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا
وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق
الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه نعالى مع صدوره عنه عليه السلام لكون الرجوع اليه نعا كالنطق بقوله
نعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله نعا على عباده حين اخرجهم من صلب آدم
عليه السلام واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا
ان الله عليم بذات الصدور اي مخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق العالم عليها فيجازيكم عليها فانما
ظلكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالتقوى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل
الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر
بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين للحقوق شاهدين بالعدل
اي بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في
حقوقهم بالعدل او تعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نسائهم وصبيانهم ونقض عهد تشفيا وغير ذلك
اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه مكان من التقوى بعد ما نهاهم
عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين
واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون
من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في الحفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لتكرر مرات وحيث كان مبنيا
مبنيا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعة نعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذا
الجملة فانه استيناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول و
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السفهة القرآنية شفع الوعد
والوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايناء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم تذكير لنعمة الاخاء من الشرائع تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق
بنعمة انتا وعمل وقع حالا منها وقوله نعا اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما نعلق به
عليكم وكالسبيل الى كونه ظرفا للاذكر والثاني زمانيتها اي اذكروا انعامه نعالى عليكم لواذكروا نعمة كائنة عليكم
في وقت تهمهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش
وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته
اليهم جعلنا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله نعا هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة
الى بيان كون المخلوق من منافعهم تسهيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها
وذكر انهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم

في موقع

في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم اي ندائيكم عقيب همهم بذلك لانه كفها عنهم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة
على كمال القوة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه و
ذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي امار وهي غزوة ذات الرقاع
وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم
بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله كيدهم
بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله
عنهم يستقرض لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك
ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به فمشى عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
نعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل نخلا وتفرق اصحابه في العضاه
يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال
عليه السلام الله نعالى فاسقط جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال
لا احد شهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته
ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه نعا خاصة دون غيره
استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله
واثبار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل عليهم بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا
به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف لتعداد
ما ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين
على ذكر نعمة الله نعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش و
تحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية بيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها
من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاتصاف
المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء
اولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله نعا فنقبوا في البلاد
سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل
لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل
سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ للميثاق على بني اسرائيل
وتكفل لهم النقباء وسارهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا
ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا ويوشع
بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج
بن عنق وكان طوله ثلثة آلاف وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثمائة الاف سنة وكان على رأسه
حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا
فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لابل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا وافعل فجعلوا يتوقون احوالهم
وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم

ارتدوا عن دين الله وكفروا بعد موسى وهرون عليهما السلام فيكونان حاميان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق
ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم جثة من عندهم وتبرز رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينبئ سبطا عن قبالهم
ويخبرهم بما رأى الا كالبا وبوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى ينظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه
صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقور من الصخرة وسطها الحاذي كرأس
فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فنصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فتر الى
السماء عشرة اذرع فاصاب العصا الاكعب وهو مصروع فقتله قالوا انا قتلت جماعة ومعهم الخناجر حتى جز وا راسه
وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية
المهابة وتاكيد ما يقتضيه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه
تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بامره وانهاه والانزجار عما نهوا
عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم واري اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق
بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وسمي
الامر بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف
وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع
اركابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم في سبيل الخير اوبالتصديق
بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على صيغة القدر كما في قوله تعالى تنقتلها ربها
بتبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم
جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على اقبله
داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشئ مما
عد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك
الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل كفر ولعل
تغيير الاسلوب حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واستفاط
من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ايقاع الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر
بعد ذلك فلانه قصد بما يراد مما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشئ بعد ورود ما يوجب
الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل اي
وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطا خطاء فاحشا لاعذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك لوزر ما يمكن
ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكين في
النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشئ آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم والبعد منا من
رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد
بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا نقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم حلية الشئ البسيطة
على حلية المركبة للايذان بان تحققها امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية
وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تاثر عن الايات والنذر وقيل المبتدا هم ولم تعالجه بالعقوبة حتى قست
او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي ما هي مبالغة قاسية واما بمعنى ردئة من
قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا ليس وفشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون
الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لامرتبة اعظم مما يصحح الافتراء على تغيير كلام
الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم

ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التوراة
وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص
خائنة على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين
ابتدائية اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى العهد و
الخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى فلكا منهم الا قليلا منهم
استثناء من الضمير المجرور منهم على الوجه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا
منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الاول فالمراد بالقليل العدم القليل ومن ابتدائية كما مر
اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم والصفح اي ان تابوا وآمنوا او عاهدوا واوفوا الجزية وقيل منسوخ بآية السيف
ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو عما الاطلاق من
باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجنايتهم اثر بيان
قبائح اليهود وجنايتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم و
تقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا
فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبر المبتدا محذوف فكانت
صفته او صلته مقاما اي ومنهم قوم آخر اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر
او الى الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل
ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تيسيتهم نصارى الى انفسهم دون ان
يقال ومن النصارى اخذنا ميثاقهم بعنوان النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا على نفرة
الله تعالى شيئ او اظهار الكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم النصرة لله تعالى
يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا
مما ذكروا به فنقضا عيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك جما غفيرا انفا وقيل هو ما كتب عليهم في
الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا
فسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا هم اي الزمنا والصقنا من غرى بالشئ اذا
لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم انما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من
مفعوله اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله
وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون يتباغضون الى يوم القيمة
حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم المتباينة الموجبة الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة
وقيل لهم وليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون وعيد شديد بالعذاب والجزاء كقول الرجل لمن يتوعده ساجزيك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوه على
الاستمرار دون نقض الميثاق وبيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتغيير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن
المجازاة بالتنبئة على انهم لا يعلمون يومئذ حقيقة ما يعاونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون
ترتيب العذاب عليها افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب
الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبايح
ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانظواء الكلام

المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة فى التشنيع فان اماتية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان
ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان
بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا واثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اى
قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما يقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى
التوراة والانجيل كبعثة محمد عليه السلام وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى احمد عليهما السلام فى الانجيل وقد اخبر
كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان حقه
التقديم اذ الاخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تتقى النفس متر قبة الى ورود ه فيتمكن عند ما اذا
ورد فصل تمكن ولان فى المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان ما متعلق بمحذوف
وقع صفة لكثيرا او ما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال
من العائد المحذوف والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار جرى على الكتم والاخفاء اى يبين لكم
كثيرا من الذى تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذى انتم اهله والممتحنون به ويعفوعن كثير اى ولا
يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار
بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة فى حكمها وقيل
يعفوعن كثير منكم ولا يواخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة
مجئ الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء
الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وايا ما كان فنور صالح بايشوبه اضافة الرسول من جميع من جنابه عز وجل و
تقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجئ من جهته العالية والتشويق الى الجائى ولان فيه نوع طول
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما فى قوله تعالى وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور
للتفخيم والمراد به وبقوله وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك واماتة ما خفى على الناس
من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو
الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثانى القرآن يهدى به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما
فى حكم واحد او اريد يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية
ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اى
رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب
او سبيل الله تعالى وهو شريعته التى شرعها للناس قيل هو معقول لان الهدى والحق ان انتصابه بنزع الخافض على
طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الثانى بالى او باللام كما فى قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى
اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اى انواع
فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم
هو اقرب الى الله تعالى وموديه اليه لا محالة وهذه الهداية غير الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا
للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله تعالى فلما جاءنا بخيلنا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا و
بخيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اى لا غير كما يقال الكرم هو التقوى
وسم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد حل بدن انسان معين او فى روحه وقيل لم يقع به احد منهم لكن حيث
اعتقدوا اتصافه بصفات الله تعالى الخاصة وقد اخبر فوا بان الله تعالى موجود فلذلك قيل لا غير وقيل لما
زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزعمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا
لمعتقدهم قل اى تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقائلهم المجرو الفاء فى قوله تعالى فمن يملك

من الله

من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ جزم ومن متعلقة به على حذف
المضاف اى ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرة تعالى وارادته شيئا وحقيقة فمن يستطيع ان يمسك شيئا
منها ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا
بشأن من شئونه بل بشئ من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شئ منها عند
تعلقها باهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا فى حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام
مطلقا لا بطريق التخطئ والغضب واظهار المسيح على الوجه الذى ينبو اليه الاالوهية فى مقام الاضمار لزيادة
التقرير والتخصيص على انه من ملك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى وتنفى الملكية المذكورة بالاستغراق
الانكارى عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الاشياء
اراد الى لتحقيق الحق بنفى الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فان انتفاء
الملكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه وآكده فيظهر
استحالة الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق يقصر ها عليه بان يقال فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على
دفع ما يريده فضلا عن دفع ما يريده غيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات فى كونه عرضة للهلاك كما انه
اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها فى ضمن من فى الارض لزيادة
تاكيد عجز المسيح ولعل تغاير ها فى سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة التقرير
مصروف الكلام عن تجعيل حالها المنوط بالحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح وامه ومن فى الارض وقد اهلكه الله فعل ما نعا احدا فكذا حال من عداهما من الموجودين وقوله ولله ملك السموات
والارض وما بينهما اى ما بين قطرى العالم الجسمانى لا بين وجه الارض ومقر ملك الغير فقط فيتناول ما فى السموات
من الملئكة وما فى اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون
البعض اى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتعريف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة
لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا كما هو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله
يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة
فى امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اى يخلق ما يشاء من انواع الخلق
والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كما قيل يخلق اى خلقا يشاؤه فتارة
يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه
كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليهم
او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وتارة يخلق بتوسط مخلوق
آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك يجب ان يعلم
كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شئ قدير اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله و
اظهار الاسم الجليل للتعليل ولتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه
اى قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابى حبيب وهو
عبد الله ابن الزبير الحبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ابنه
صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا بنحن
ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون فى الانجيل ان المسيح قال لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم وقيل

اراد وا ان الله تعالى كالاب له في الحنو والعطف وحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم
فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اى ان امالهم وتبكيتا
لهم يعذبكم بذنوبكم اى ان صح ما زعمتم فلاى شئ يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه سيعذبكم
في الآخرة بالنار ايا ما بعدادا ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع
وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينساق عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اى من جنس
من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به
وبرسله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله شكلهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما
من الموجودات لا يتخطى اليه سبحانه شئ منها الا بالمملوكية والعبودية والقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء
ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة خاصة لا الى غيره
استقلالا او اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسئ بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب
تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسلنا واشاره على سبيتا لما
فيما سبق اى يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد وعن جلتها ما بين في الآيات السابقة من
بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتى من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهوره ان مجئ الرسل انما هو لبيانها
او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين والتقدير مثل ما نسبق في قوله تعالى كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان
فتور الارسال وانقطاع الوحى انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم
على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع
من الوحى ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بجاءكم وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اى
يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها اخوج ما كنتم اليها بيان ومن الرسل متعلق بمحذوف
وقع صفة لفترة اى كائنة من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجئ الرسول بالبيان
على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا
نذير وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجئ و
تنكير بشير ونذير للتعليل وهذا كما ترى يقتضى بان المقدر او المنوى فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كان متفوعة
بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة وتبيين انه
معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اى بشير ونذير اى نذير والله على كل
شئ قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والفا نبى وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او سبعمائة
وتسع وستون سنة او خمسمائة واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من
العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام وهو الاليق بما في تنوين فترة من
التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى دهر طويل
بعد انقطاع الوحى ليبشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلطفهم الحية سفلا يعقلوا عما
بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنوا
اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما فيه من الامور المعدودة وصيف
النبى صلى الله عليه وسلم بيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول فعل مقدر
خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعتد عليهم بما صدر عن بعضهم من

الجنايات اى واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكر الوقت
ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها وقع فيه تفصيلا فانا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا
بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما
اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اى اذكروا انعامه
تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء وذوى عدد
كثير واولى شأن خطير حيث لم يبعث من آحاد الامم ما بعث من بنى اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف
على جعل فيكم داخل في حكمه اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف
الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند
المفاخرة نحن الملوك وانا لم نسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب
وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا ملوكين
في ايدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء وجار وقيل من له
بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور
العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمى زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر وما بالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت
المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اى كتب في اللوح انها لكم مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم
لقوله تعالى بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب
الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اى لا ترجعوا
مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل
قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر لقالوا اجعل لنا اسا ينصرف بنا الى مصر او
لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا الخ مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب
على جواب النهى والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ
من مساق الكلام كانه قيل فما ذا قالوا بعقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتى الذى يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان من جبره على الامر اى اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا
تعلق لنا بها فانا داخلون حتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول
بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا كامتناع فرد من افراد
الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا
لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استيناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم
البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اى يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره
ونهيه وبه قراءة ابن مسعود رض وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو اى منهم فالنسب للوصف بالخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان

من الجبارة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام قالوا حينئذ لبنى اسرائيل والموصول عبارة عن الجبارة واليهم يعود
العائد المحذوف اى من الذين يخافهم بنوا اسرائيل و يعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبنى للمفعول
اى المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد
انعم الله عليها اى بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤنه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة
ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اى قالا مخاطبين لهم و
مشجعين ادخلوا عليهم الباب اى باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو
دخول الباب وسم فى بلدهم اى ناعتوهم وضاغتوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لتلا يجدوا
للهرب مجالا فاذا دخلتموه اى باب بلدهم وسم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رأينا هم
وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واجمعوا عليهم فى المضائق فانهم لا
يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علما بها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لاغلبن
اولما علما من سنته تعالى فى نصرة رسله وما عهد امر صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب
بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانه
بمعزل من التاثير وانما التاثير عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده
فان ذلك مما يوجب التوكل عليه صنما قالوا استيناف كما سبق اى قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين
لموسى عليه السلام اظهارا للاصرار على القول الاول وتهجما لغفلتهم عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها
اى ارض الجبارة فضلا عن دخول بابهم وسم بلدهم ابدا اى مدة اطويلا ما داموا فيها اى فى ارضهم وهو
بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك انت وربك
فقاتلا اى نقاتلهم انا قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وتصدوا
اذ ما بهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل اراد وا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمة فذهب
يجيبنى كانهم قالوا نريد اقتالهم واقصادهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى
فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا اخطئوا كانهم لم يجيزوا بذهابهم اولم يعبأوا بقولهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون
يؤيد الوجه الاول واراد وا بذلك عدم التقدم لاعدم التاخر قال رب لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة
البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التى يمتلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب انى
لا املك الا نفسى واخى عطف على نفسى وقيل على الضمير فى انى على معنى ان لا املك الا نفسى وان انى لا يملك
الا نفسه وقيل على الضمير فى لا املك للفصل فافرق بيننا بريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على
ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المفرين على عصيانك بان تحكم لنا بالنصرة و
عليهم بالعقوبة وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اى الارض المقدسة والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان
كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان وايفائها وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله
اربعين سنة ان جعل ظرفا للحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله
لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعد ما بل بعضهم ممن بقى
حيا روى ان موسى عليه السلام سار بمن بقى من بنى اسرائيل الا اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمة ففتحها واقام
بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى ام النواشئ
من ذرياتهم فالموقت بالاربعين فى الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة
التامة المبتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون فى الارض اى يتحيرون فيها استيناف لبيان كيفية

حرمانهم

حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستة آلاف
مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وعرضها ستة فراسخ اوستة عشر فراسخ او ثمانين فرسخا وقيل ستة
فراسخ اثنى عشر فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام
يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضئ لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واظفارهم
ولد لهم مولود كان عليه ثوبه بكا لطفل يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان
بطريق التوكل والتاديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان لهارون وحاسلامة كالنار لابراهيم وملئكة العذاب
عليهم السلام وروى ان هرون مات فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اعوام
ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بنى اسرائيل وعدهم بالتيه بعيدا ان يحق الدعوة
عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتها فى محل العقوبة بظاهرها او ان كان ذلك لما نزل روح وراحة وقد قيل انهم لم
يكونوا معهم فى التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر
من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تاس فلا تحزن على القوم الفاسقين روى انه عم ندم على دعائه
عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر يتعلق به قوله تعالى
واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد للسياتى من جنايات بنى اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم
الرسل بما جاءت به من البينات بناء ابنى آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما كانا رجلان من
بنى اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت
توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فاراد ان يخص بها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم
فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان
قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اى تلاوة
ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او من مفعوله اى ملتبسا انت او بنأها بالحق والصدق حسبما تقرر
فى كتب الاولين اذ قربا قربانا منصوب بالبناء ظرف له اى اتل قصتهما وبناشهما فى ذلك الوقت وقيل بدل من
على حذف المضاف اى اتل عليهم بنأ هما بناء ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ و
حينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اى يعطى وتوحيده لما انه
فى الاصل مصدر وقيل لتقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل كان هو صاحب ضرع وقرب
حملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب ازدا ما عنده من
القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استيناف مبنى على سؤال نشا ما من سوق الكلام كانه قيل فما قال من لم
يتقبل قربانه فقيل قال لاضيقن لتضاعف حنطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اى والله لاقتلنك
بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استيناف كما قبله اى قال الذى تقبل قربانه لما راى ان حسده لقبول قربانه
وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله القربان من المتقين لامن غيرهم وانما تقبل قربانى ورد قربانك
لما فينا من التقوى وعدمه اى انما اتيت من قبل نفسك لامن قبلى فلم تقتلنى ظلما انه لم يصرح بذلك بل سلك
مسلك التعريض هذا ان سح تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل للاشعار
المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعى سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت
الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار و
المجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم السادّ
مسدّ جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما فى الشرط بل اسمية مصدرة بالحجازية المفيدة لتاكيد النفى بما فى
حيزها من الباء وللمبالغة فى اظهار براءته من بسط اليد ببيان استمراره على نفى البسط كما فى قوله تعالى وما هم

بمؤنثين وقوله تعالى وما سم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية
تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي على المقيد بالدوام
فيرفع قيده اى والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت
من الاوقات ثم علل ذلك بقوله انى اخاف الله رب العالمين وفيه ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ
وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع
عدوانك عني فما ظنك بحالك وانت الباديء العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان
هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا وقيل مخيرا
لما هو الافضل حسبما قال ولم كن عبد الله المقتول ولكن عبد الله القاتل وياباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى
ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي
واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه
تنبيها على كفاية كل منهما في الغلبة والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي
بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك بسطك يدك الي كما في قوله ولم المستبان ما قال الا فعلى الباديء ما لم يعتد المظلوم
اي على الباديء عين اثم شتمه ومثل سبب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي
لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالاثم هو عدم
ملابسته للاثم لا ملابسته اياه لما فيه من العقوبة ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا
يرعوي عن المعصية اصلا وياباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه
بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك
جزاء الظالمين فانه مرجح لان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
ولقد سلك في مرثية عثمان رضي الله عنه هذا المسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فانا اورثه ذلك
الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع
اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لا
ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان مستمرا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر
حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ الا الان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء
على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته
له والتصريح بما سولته نفسه وقوي فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كان داعي نفسه الى الاقدام
عليه فطاوعته ولم تمتنع ولم تزاوده الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل
هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين و
هو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله
فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبقرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع
به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع
تنظره متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف
يواري سوأة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة
فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني يبحث
ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت
قال استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فما ذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل

قال

قال يا ويلتى هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة
الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي تعجب من عدم اهتدائه
الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقوي بالرفع اي فانا اواري فاصبح من
النادمين اي على قتله لما كان فيه من التحير في امره وحمل على رقبته مدة مديدة وروي انه لما قتله اسود جسده و
كان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده
مائة سنة لا يضحك وقيل للقاتل قابيل يا بيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار
قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد
النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم
وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المعهود بين فاذكر اي تضاعيف القصة من استعظام هابيل له و
كمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه و
بيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن
ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه واستعمل
في تعليل الجنايات كما في قولهم من اجل ذلك فعلته اي من اجل جريرته وجنايته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقوي من اجل
بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقوي من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى
كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم
وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير
وضوء او تيمم بطلت صلوته لانفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الامتناعين
اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من التردد بين الامرين المبني عن التخيير والاباحة واعتبار العكس
ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراط
بتحققهما معا نفي الاول بورود النفي على التردد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني بورود التردد
على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي تردد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحقق
احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما
ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب
الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول
بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت
صلوته مشروطا بتحقق احدهما بيهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض
الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على التردد الواقع بين الوضوء
والتيمم كلية او فاتنفي تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء
والزاهد ثم ادخل عليه لا الناهية اشتمل فعل الجميع نحو لا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايتهما
فعله فنهوا عنها واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين
كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته او مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء
احدهما فتعين ورود التردد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل
والفساد ومن ضرورة اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على التردد للاحالة كانه قيل من قتل
نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا فمن قال في تغييره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم

حقه وما كانا كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد وضاط التشبيه اشتراكهما في
ه هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود والاجلاب بغضب الله تعالى و
عذابه العظيم ومن احياها اى تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض
اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيى الناس جميعا وجه
التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة
ولذلك صدر النظم الكريم بغير الشان المنبئ عن كمال شهرته وبناهته وبتادره الى الاذهان عند ذكر الغير الموجب
لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الغير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة
على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق كمال العناية بتحقق مضمونها وانافي لم يقل ولقد ارسلنا الى للتنبيه
بوصول الرسالة اليهم خانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اى وبالغ لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلنا هم
بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيد الوجوب مراعاة وتاييد التحتيم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك اى بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة
موضع الغير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك للامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجة
وبعد منزلة وعظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون
وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما
دخولها على الخبر لمكان ان فهي هنا حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة
به اى مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما للتفريط في شان الاحياء وجودا و
ذكرا كان هو اقبح الامرين واقطعهما اكتفى بذكره عن مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
كلام مستانف سيق لبيان نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد لاخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل
والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اى يحاربون
رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته سالكي طريقته من
المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس
لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى
دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءها واصل الحرب السلب
والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر وليسعون في الارض عطف على
يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اى مفسدين او مفعول
له اى للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر
قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين
عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر
قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم
واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله
عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض فلما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه
شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت
لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اى حتما من غير صلبان افردوا
القتل ولو عفا الاولياء لما يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل آلة جارحة او لا

او يصلبوا اى مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء ويسيح بطنهم برمح الى ان يموتوا وفي
ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم و
صيغة التفعيل للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اى ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان ذا المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة
دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه او
ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه
الارض بدفع شرهم من اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة وعند الشافعي النفي من بلد الى
بلد لا يزال يطلب وهو ان يطلب فزعا وقيل هو النفي عن بلدة فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة
وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اى ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدا وقوله لهم خزي جملة
من خبر مقدم على المبتدا وهو له تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية و
الجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل
صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على تمر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة
عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا وفي الآخرة
متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا في الآخرة الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى
فاعلموا ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا
وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه في الحارث بن بدر جاء
تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان
القتل والفساد وبين حكمها واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرة تعالى لمن تاب من جناية امر المؤمنين بان يتقوه
تعالى بكل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد و
يفعل الطاعات التي من جملتها التي هي احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار
وابتغوا اى اطلبوا لانفسكم اليه اى الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به و
يتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اى تقرب اليه بشيء والية متعلق بها يقدم
عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فان ملاك الامر كله كما اشير
اليه وذريعة النيل كل خير ونجاة من كل ضير فالجملة تجارية حاقبها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو
داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من
ترك المعاصي المشتهاة للنفوس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة وشقة عقب الامر بها بقوله تعالى وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل رضاه والفوز بكرامته ان الذين كفروا
كلام مبتدا مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل
الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة
من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اى لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان كل نفس ظلمت ما في
الارض لافتدت به جميعا اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اى من اصناف اموالها و
ذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحل ما الرفع بلا خلاف خلافا لمن عند بعضهم رفع على
الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يأول بالاسم
بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف وثم قيل يقدر مقدما اى لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اى لو

كون ما في الارض لهم ثابتا وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اى لو ثبت ان
ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف
وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدة التقريح بفرض كينونتها لهم بطريق المعية لا بطريق
التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونها شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليها
والام في قوله تعالى ليفتدوا متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند
من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا وبالفعل المقدر بعد لو على رأى المبرد ومن تابعه ولا ريب في ان مدار الافتداء
باذكر كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول
ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجراء مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الخد توليع
البهق اى كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار
في قوله فان وقيارا بها لغريب اى وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل
المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول
معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا صائغ
لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم اللهم ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يمتلاه
في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك تبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب
يوم القيمة متعلق بالافتداء ايضا اى لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب
الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو ورتبته على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر
الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع
غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض قدرتهم على ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء
على منهاج ما في قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه
فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه ثم عليهن ورؤيتهن له والجملة
الاستئنافية بحالها اخبار الذين كفروا والمراد تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة
والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارأيت لو كان لك ملأ الارض ذهبا اكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تقريح بما اشير اليه بعد
قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف
ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استيناف مسوق لبيان حالهم اثناء حكاية
العذاب مبنى على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في
قضاياه ان عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون الخروج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق
فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل
يتمنونه ويريدون بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض و
ايا ما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مقتضية بالحجازية الحالة بما في حيزها من الباء على تاكيد النفي لبيان
كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية اللجاجية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت
تفيد السلبية ايضا بمعونة دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء
المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تقريح بما اشير اليه آنفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته و
السارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال
لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا

مع ان

مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء
بالبيان وللمبالغة في الزجر وهو مبتدأ وخبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم
السارق والسارقة اى حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وتفسرها سيبويه على قراءة الرفع لان الافشاء لا يقع
خبرا الا بتاويل واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ
يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود
رضه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك صاغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه والد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو
المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه هو الذي يقطع يمينه من أتى بسارق فامر بقطع يمينه جزاء نصبه على انه مفعول له اى
فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اى فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا نكالا على
الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اى بسبب كسبهما او موصولة اى بسبب اكتسباه من السرقة
التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانها من نوع واحد وقيل القطع
معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بالجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة
للجزاء والجزاء علة للقطع كما انا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتأديب
معلل بالاحسان وقد اجاز واما قوله عز وجل ان يكفر وا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء
من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول الناصبه بغيا
على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وهو لعمري تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اى
نكالا كائنا من الله تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير تدبر ناجعه ولا ضد يدافعه حكيم في
شرائعه لا يحكم الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب
من السراق الى الله به من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتعريج به من ان التوبة لا تتصور قبل لبيان عظم
نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اى امره بالتفصح عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة
اليها فان الله يتوب عليه اى يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقط التوبة عندنا لانه في
حق المسروق منه ولا يسقط عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك
يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاييد استقلال الجملة وكذا في قوله
عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتها والجار والمجرور
خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما
فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح
للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما يأتي من التعذيب
والمغفرة على ابلغ وجه وآتمه اى الم تعلم ان الله تعالى له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة
التامة على التصرف الكلي فيها وفيما بينهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما يقتضيه مشيئته
يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفره من غير تدبر ليساهم ولا ضد يزاحمه وتقديم
التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة آما تقرير لكون ملكوت السموات والارض
له سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شئ قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار
في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة

في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستعدون في الكفر لايرجونه وانما يتثاقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار مواد الاتراك المشركين وابراز آثار الكيد الاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحكم وهذا وان كان بحسب الظاهر كفيا للكفرة على ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له وهم عن التأثر عن ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وتقديم وجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد نهي المخاطب عن الحضور بين يديه وقرئ لايحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون يقال اسرع في الشيب اي وقع فيه سريعا اي لايحزنوك ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدإ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واثر رجوعه الى الذين هادوا فحسب لقوله تعالى يحرفون الكلم عن بعد مواضعه وقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدإ محذوف اي هم سماعون وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدإ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لا داعي الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الفوائل الدينية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما للام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب اي في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يسمعوكم بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الرائجة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين والمكيدة لسراياهم ونحو ذلك مما فيه ضررهم وايا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم عليها مما لا اصل لهن الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان كيدهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الكائدة الموجبة الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبران للمبتدإ المقدر مقررا للاول ومبينا لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده او المعنى هم سماعون منه اي قبل منه تحدثه والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه لاجل قوم آخرين وتجسسهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم الفضلا عن استمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وبقينا للكذب الذي سمعوه اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعدان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا بابداله او تغيير وضعه واما جملة على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لاحل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقبائحهم وقيل خبر مبتدإ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا و

وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب بمن يحضره كيف يمكن ان يقوله السماعون المتزيدون اليه عم لمن لا يحوم حوله عليه السلام وادعاء قبول السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسارعين تسيف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لامحيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمها لشرفها فبعثوا وهطا منهم الى نبي قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا واحذروا على دينكم فامر برجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهود على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزل الله في التورية على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدإ خبره قوله الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهم فيها واصرارهم عليها واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استيناف مبين لكون ارادة تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك ستر هم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدإ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وتغيير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استيناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدإ المقدر كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الآكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه سمحوت البركة والمراد

به ههنا اما الرشى التى كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وسحتا لشهود اذا كان يأخذه فقراؤهم من
اخبائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين و
الحاء وبفتحها وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء عن النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار
اولى به فان جاؤك لما بان تفاصيل امورهم الواصمة واحوالهم المخلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم جيء
امره عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتنى عليه من الاحكام بطريق التفويض والقاء صحة اى واذا كان حالهم كما شرح
فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا
وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو امر خاص سواء ذكر من زنا المحصن وقتل قتيل من اليهود
فى بنى قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد ودينا واحد واذا
قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا القاتل واخذوا منا الضعف مائة
واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقتضى بيننا
فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل سوعاملهم فى جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروى عن عطاء والنخعى
والشعبى وقتادة وابى بكر الاصم وابى مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس رضى الله عنهما
لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اى تخييره
عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض لمسارعته الى بيان ان لا ضرر فيه حيث كان مرتقبا الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه
عليه السلام الا لطلب الكسير والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الملكوة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم وضرارهم
له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط بالعدل الذى امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ودس ضرورة ان يحفظهم عن كل مكروه وخذلان
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه فى
كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما الهون عليهم وان
لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان
جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن فى الخبر وقيل استيناف سوق لبيان ان عندهم ما
يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم كذا قاله ابو حيان وقوله تعالى ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل فى حكم
التعجيب وثم للتراخى فى الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد ما حكموك بتصريح باطل قطعا لتاكيد الاستبعاد و
التعجيب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر
لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم فى الذهن بما وصفوا به من القبائح ايذانا بعلية
الحكم وبانهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم الجاهل تميز حتى انتظموا فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
درجتهم فى العتو والمكابرة اى دما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق
له ثانيا او بهما وقيل ما اولئك باكملين فى الايمان تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستانف سيق لبيان علو شان
التوراة ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم كابرا عن كابر معقولة لكل احد
من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصفه المحرفون من عدم ايمانهم بها وتوبيخا لهم بالكفر
وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشاد ما للناس
الى الحق الذى لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة
بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اى ابنياء بنى اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة
مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التوراة فيكون حالا مقدرة اى يحكمون باحكامها ويعملون الناس

عليها

عليها وهو تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم ينسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء
بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر ما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وجوز ان يكون الذين
اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا لقصد المدح بذلك حقيقة فان النبوة
اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بما تر لا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف
هو معرض مدح العظماء مبنيا على عظم قدر الوصف لا محالة كما هو وصفا للانبياء بالفلاح ووصف الملئكة بالايمان عليهم السلام
ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام
والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لاسماع ملائكتها وصفوا به قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اى يحكمون
فيما بينهم والام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للابذان بانه
للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم وانقيادهم لكانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض
بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا عليهم فحذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى
ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لها اى هدى ونورا كائنا للذين هادوا والربانيون
والاحبار اى الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين انزلوا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله عنهما
الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم وبر بونهم بصغاره قبل كباره والاحبار رسم الفقهاء واحد حبر بالفتح والكسر
والاكثر افصح وهو رأى الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويتبنونه وهو عطف على النبيون اى
هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس عليها هم
النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اى بالذى
استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث شاهدوا من ان يحفظوا ما من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان
ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفي بعضها اقوال لا تليق بيانها بقوله تعالى
من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيدا يجاب حفظها والعمل بما فيها مما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب
للايذان بايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كما في
قوله تعالى ليزيغ حرفي جر تتعدى للمعنى بفعل واحد لدلالة على انهما سببية اى ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما
استحفظوه من كتاب الله حسبما قام بهم انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببية المحفوظ للحكم ذلك سببية من حيث الذات بل
من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المقرب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاحفاظ
له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى ويحكم الربانيون والاحبار
بحكم كتاب الله الذى سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اى رقباء يحوطونه من ان يقوم حوله التغيير
والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل و
هو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيون والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل
اى كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى ولا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود
وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم المنهى بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على
ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم من الربانيين والاحبار للمتقدمين عملا
وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن
التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذوى سلطان اورغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا
اى اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء
واشياعهم واخشون في الاخلال بحقوق مراعاتها تكفيا بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتى الاشتراء
استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما كان له عينا

كان اومعنى اخذا منوطا بالتوبة فيما أخذوا الاعراض عما اعطى ونبذ كما فسر به تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فالمعنى لاتستبدلوا بآياتي التي فيها بيان تخرجونها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا
منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة حقيرة ذليلة نفيسها لاسيما
بالنسبة لما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العلة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن
الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الآيات التي حقها ان يتناقص فسوق في معرض الآلات والوسائط
حيث قرنت بالباء التي تقحم الوسائل اذا نابت بمبالغتهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاصلي وسيلة الادنى
مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من
لم يحكم بذلك استهانة له وانكارا له كما يقتضيه ما نعاوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من
والجمع باعتبار معنى ما كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون كلهم انتهم وهم اما ضمير الفصل او
مبتداء ما بعده جزءه والجملة خبر لاولئك وقصر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ
تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم
اليه الحكم بخلافه لاسيما مع مباشرة ما لهواعنه من تحريفه ووضع غيره موضعه واد عاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا وكتبنا عطف على انزلنا غاية عليهم اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي
في التوبة ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقاء بالعين اذا فقئت بغير حق
والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن
تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث يعرف المساواة كما روي عن ابن
عباس انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الي بالرفع عطفا على كل
ان النفس بالنفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك
النفس بالنفس ما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها ومن تصدق
اي من المستحقين به اي بالقصاص اي من عفي عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه نحو الي التصدق
كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارات
له اي فالمتصدق كفارة اليستحقها بالتصدق فان له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله
ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمراة من اليهود تنا ولا بينا بما انزل الله من الاحكام و
الشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موطنه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وتقفينا على اثارهم
شروع في بيان احكام التوراة وهو عطف على انزلنا التوراة اي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته
اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفينا هم بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين
يديه من التوراة حال من عيسى ه وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور
كما في التوراة وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كائنا ما قبله من التوراة عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما
في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما
بين يديه من التوراة لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل
كله هدى بعد ما جعل شتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه و
المنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدا لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من
جملتها دلائل رسالة صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما تقرره الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة
فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادة

بصحة

بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى
يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف
على آتيناه اي وقفينا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه
قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل واعربا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع واللام
التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى و
موعظة على انها مفعول لها كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل
الله منكرا لاستهانة به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون
الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عم كان
مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بانح التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما
انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي القرآن الكامل التحقيق
بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن
الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة
من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه
حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص
والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل وبين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في جزئيات
الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام
بالاضافة الى العصر تتضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يحال
الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما
ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما والام للجنس اذ المراد هو الكتاب
السماوي وهو بهذا العنوان جنس راسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا تالوا
اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفرد بل الى خصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب
وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حتى بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة
عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما بقي بدا من فروعها ويعين احكامها المنسوخة
بيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولاريب في ان تمييز احكامها الباقية تحملها
المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول
اي هو من عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من
جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظة الاعصار والامصار والفاء في قوله فاحكم
بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليهن
موجبات الحكم الامور به اي اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما انزل الله
اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم
لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة و
الاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع
على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله
اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لابد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول
الاول للاباء في حيز الصلة من مجيء الحق الا ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم

شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جئ به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل
اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذي كلفوا العمل بهما من مضى قبل
نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للكل
ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبارا بجعل ما من الانشاء وتقديما عليه للتخصيص و
منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والضمير فوسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله
اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الخالية والباقية جعلنا اي عينا وصنعنا
شرعة ومنهاجا فاختير بتلك الامة لا كل امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى
الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما الصلوة والسلام
شرعتهم الانجيل واما انتم ايتها الموجودون خير امة عند الله فشرعتكم القرآن ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة
هي الطريقة الى الماء شبهت بها الدين لكونه سببا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية و
المنهاج الطريق الواضح والدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين وهي لغة فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع
من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من
الامم في شئ من الاحكام الدينية وللنسخ والتحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء
الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم اياها وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية
الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما اتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة للاعصار وتروضها
هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح
النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المفرة بالجدوى وتشترون
الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء
الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر
كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم و
ابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير
عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استيناف مسوق مساق التعليل كاستباق الخيرات بما فيه
من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيها المصدر المحلى اما بحرف مصدري ونعل مبني
للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل
بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع الدالة
الاختلاف التي هي فلسفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم عطف على الكتاب اي
انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزال الله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق
اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تاكيد له وتمهيد لما يعقبه
من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير
الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر
فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة الانزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار
اليهود قالوا لو ذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم
قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم

اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي
اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى او ارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنبهم تولية
عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة فان جمع كل عظم واحد من جملتها وفي هذا الابهام
تعظيم للتولي كما في قول عبيد اوبرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفوسا كثيرة ونفسا اي نفس
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مقرون عليه خارجون من الحدود المعهودة وهو اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار و
التعجب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية
اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعيير اليهود بانهم مع كونهم
اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية
وحكمهم كما نوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روى ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من
التفاضل فقال عليه السلام القتلى سواء فقال بنو النضير بخسا لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على الابتداء
ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر
وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء و
الكاف اي افحاكما الحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد احكم من حكمه
تعالى ومساويه وان كان ظاهر التمسك غير متعرض لنفي المساواة والانكار بما وقدر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اي عند هم او اللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم
الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا يها
الذين آمنوا خطاب لهم حكم كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب ورود بعضا منهم كما
سياتي وصفهم بعنوان الايمان لجهلهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهم اي
لا تتخذ احدهم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى
تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق
من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا
على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة مسوقة للتعليل
النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل
ما يأتون وما يذرون ومن ضرورة اجماع الكل على مضادتكم ومعاداتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم
الغوائل مكيف بتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم يستنتج منه فان
انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة
حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد لكونه بمنزلة
عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين
تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما
وضع المظهر موضع ضمير حكم بتبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشئ
في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية تولهم واسعار بسببه وبما يؤول

الیه لامرهم والغاء للایذان بترتبه علی عدم الهدایة والخطاب اما للرسول صلی الله علیه وسلم بطریق التلوین واما لکل
من له اهلیة له وفیه مزید تشنیع للتشنیع ای لایهدیهم بل یذرهم وشانهم فتراهم الی آخره واناط وضع موضع الضمیر
الموصول لیشار بما فی حیز صلته الی ما ارتکبوه من التولی بسبب ما فی قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد
فی الدین وقوله تعالی یسارعون فیهم حال من الموصول والرؤیة بصریة وقیل معلول ثان والرؤیة
قلبیة والاول هو الانسب بظهور نفاقهم ای تراهم مسارعین فی موالاتهم وانما قیل فیهم مبالغة فی بیان
رغبتهم فیها وتهالکهم علیها وایثار کلمة فی علی کلمة الی للدلالة علی انهم مستقرون فی الموالاة وانما مسارعتهم
من بعض مرابتها الی بعض آخر منها کما فی قوله تعالی اولئک یسارعون فی الخیرات لانهم خارجون عنها حتوجهون
الیها کما فی قوله تعالی وسارعوا الی مغفرة من ربکم وجنة وقرئ فیری بیاء الغیبة علی ان الضمیر لله سبحانه وقیل
لمن یصح منه الرؤیة وقیل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة علی حذف ان المصدریة والرؤیة قلبیة
ای یری القوم الذین فی قلوبهم مرض ان یسارعوا فیهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا کما فی قول من قال
الا ایهذا الزاجری احضر الوغا والمراد بهم عبد الله بن ابی واضرابه الذین کانوا یسارعون فی موادة الیهود و
نصاری بخیبر ان وکانوا یعتذرون الی المؤمنین بانهم لایأمنون ان تصیبهم صروف الزمان وذلک قوله تعالی
یقولون نخشی ان تصیبنا دائرة وهو حال من ضمیر یسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التی لایذکر معها
موصوفها ای یدور علینا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دول ان ینقلب الامر ویکون الدولة للکفار و
قیل نخشی ان یصیبنا مکروه من مکاره الدهر کالجدب والقحط فلا یعطونا المیرة والقرض ردی ان عبادة بن الصامت
رضی الله عنه قال لرسول الله صلی الله علیه وسلم ان لی موالی من الیهود کثیر عددهم وانی ابرأ الی الله ورسوله من ولایتهم
وأوالی الله ورسوله فقال عبد الله بن ابی انی رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولایة موالی وهم یهود بنی
قینقاع ولعل نظر للمؤمنین انه یرید بالدوائر المعنی الاخیر ویفرغ نفسه المعنی الاول وقوله عز وجل فعسی الله
ان یأتی بالفتح رد من جهة الله تعالی لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشیر للمؤمنین بالظفر
فان عسی منه سبحانه وعد محتوم لان الکریم اذا اطمع اطمع لاحالة فاطنک بأکرم الاکرمین وان یأتی فی محل النصب
علی انه خبر عسی وهو رأی الاخفش وعلی انه مفعول به وهو رأی سیبویه لئلا یلزم الاخبار عن الجثة بالحدث فی قولک
عسی زید ان یقوم والمراد بالفتح فتح مکة قاله الکلبی والسدی وقال الضحاک فتح قریظة والنضیر من خیبر وقد ک
وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره علیه السلام علی من خالفه واعزاز الدین او امر من عنده
یقطع شأفة الیهود من القتل والاجلاء فیصبحوا ای اولئک المنافقون المتعللون بما ذکر وهو عطف علی
یأتی داخل معه فی خبر عسی وان لم یکن فیه ضمیر یعود الی اسمها فان فی السببیة مغنیة عن ذلک فانها تجعل
الجملتین بمنزلة جملة واحدة علی ما سر واعلی انفسهم نادمین وهو کما کانوا یکتمونه فی انفسهم من الکفر والشک فی امره
صلی الله علیه وسلم وتعلیق الندامة به لانها کانوا یظهرونه من موالاة الکفرة لما انه الذی یحملهم علی الموالاة ویغریهم
علیها فدل ذلک علی ندامتهم علیها باصلها وسببها ویقول الذین آمنوا کلام مبتدأ مسوق لبیان کمال سوء
حال الطائفة المذکورة وقرئ بغیر واو علی انه جواب سؤال نشأ مما سبق کانه قیل فاذا یقول المؤمنون حینئذ
وقرئ ویقول بالنصب عطفا علی یصبحوا وقیل علی یأتی باعتبار المعنی کانه قیل فعسی ان یأتی الله بالفتح ویقول
الذین آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما یصدر عن المؤمنین عند ظهور زلة المنافقین لا عند اتیان
الفتح فقط والمعنی ویقول الذین آمنوا مخاطبین للیهود مشیرین الی المنافقین الذین کانوا یوالونهم ویزعمون
دولتهم ویظهرون لهم غایة المحبة وعدم المفارقة عنهم فی السراء والضراء عند مشاهدتهم لخیبة رجائهم و
انعکاس تقدیرهم بوقوع ضد ما کانوا یتوقعونه ویتعللون به تعجبا للمخاطبین من حالهم وتقریعا بهم
اهؤلاء الذین اقسموا بالله جهد ایمانهم انهم لمعکم ای بالنصرة والمعونة کما قالوا فیما حکی عنهم وان قوتلتم
لننصرنکم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنی انکار ما فعلوه واستبعاده وتحطیتهم فی ذلک او یقول بعض المؤمنین
لبعض مشیرین الی المنافقین ایضا اهؤلاء الذین اقسموا بالکفرة انهم لمعکم فالخطاب فی معکم للیهود وعلی
التقدیرین الاشارة علی الاول من جهة المؤمنین وعلی الثانی من جهة المقسمین وهذه الجملة لا محل لها
من الاعراب لانها تفسیر وحکایة لمعنی اقسموا لکن لا بالفاظهم والا لقیل انا معکم وجهد الایمان اغلظها
وهو فی الاصل مصدر وقد نصب علی الحال علی تقدیر واقسموا بالله مجهدین جهد ایمانهم فحذف الفعل واقیم المصدر
مقامه ولا یبالی بتعریفه لفظا لانه مؤول بنکرة ای مجتهدین فی ایمانهم او علی المصدر ای اقسموا اقسام اجتهاد
فی الیمین وقوله تعالی حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرین اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالی لبیان
مآل ما صنعوه من ادعاء الولایة والاقسام علی المعیة فی المنشط والمکره اثر الاشارة الی بطلانها بالکلیة بالاستقام
الانکاری واما خبر ثان للمبتدأ عند من یجوز کونه جملة کما فی قوله تعالی فاذا هی حیة تسعی او هو الخبر والموصول مع ما
فی حیز صلته صفة لاسم الاشارة فان استفهام حینئذ للتقریر وفیه معنی التعجب کانه قیل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم
والمعنی بطلت اعمالهم التی عملوها فی شان موالاتکم وسعوا فی ذلک سعیا بلیغا حیث لم تکن لکم دولة
فینتفعوا بما صنعوا من المساعی وتحملوا من مکابدة المشاق وفیه من الاستهزاء بالمنافقین والتقریع
للنحی طبین ما لا یخفی وقیل قاله بعض المؤمنین مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقین واغتباطا بما من
الله تعالی علی انفسهم من التوفیق للاخلاص اهؤلاء الذین اقسموا لکم بأغلاظ الایمان انهم اولیاؤکم و
معاضدوکم علی الکفار بطلت اعمالهم التی کانوا یتکلفونها فی رأی اعین الناس وانت خبیر بان ذلک الکلام من
اعین المؤمنین ولا ریب فی انهم یومئذ اشد اعتدادا واکثر اقساما منهم قبل ذلک فضلا عن ان یظهر واخلاف
ذلک وانما الذی یظهر منهم الندامة علی ما صنعوا ولیس فی ذلک علامة ظاهرة الدلالة علی کفرهم وکذبهم فی ادعائهم
فانهم یدعون ان لیست ندامتهم الا علی ما اظهروه من موالاة الکفرة خشیة اصابة الدائرة یا ایها الذین آمنوا
من یرتدد منکم عن دینه وقرئ یرتد بالفک علی لغة الحجاز والادغام لغة تمیم لما نهی فیما سلف عن موالاة
الیهود والنصاری وبین ان موالاتهم مستدعیة للارتداد عن الدین وفصل مصیر امر من یوالیهم من المنافقین
شرع فی بیان حال المرتدین علی الاطلاق وهذا من الکائنات التی اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روی انه ارتد عن الاسلام
احدی عشرة فرقة ثلاث فی عهد رسول الله صلی الله علیه وسلم بنو مدلج ورئیسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسی کان
کاهنا تنبأ بالیمن واستولی علی بلاده فاخرج عنها عمال رسول الله صلی الله علیه وسلم فکتب لهم الی معاذ بن جبل
والی سادات الیمن فاهلکه الله تعالی علی ید فیروز الدیلمی بتیة فقتله واخبر رسول الله صلی الله علیه وسلم بقتله
لیلة قتل فسر به المسلمون وقبض علیه السلام من الغد واتی خبره فی آخر شهر ربیع الاول وبنو حنیفة قوم
مسیلمة الکذاب تنبأ وکتب الی رسول الله علیه السلام من مسیلمة رسول الله الی محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لی ونصفها لک فاجابه صلی الله علیه وسلم من محمد رسول الله الی مسیلمة الکذاب اما بعد فان
الارض لله یورثها من یشاء من عباده والعاقبة للمتقین فحاربه ابو بکر رضی الله عنه بجنود المسلمین وقتل علی یدی
وحشی قاتل حمزة رضی الله عنه وکان یقول قتلت فی جاهلیتی خیر الناس وفی اسلامی شر الناس وبنو
اسد قوم طلیحة بن خویلد تنبأ فبعث ابو بکر رضی الله عنه خالد بن الولید فانهزم بعد القتال الی الشام فاسلم
وحسن اسلامه وسبع ذی عهد ابی بکر رضی الله عنه فزارة قوم عیینة بن حصن وغطفان قوم قرة بن
سلمة القشیری وبنو سلیم قوم الفجاءة بن عبد یالیل وبنو یربوع قوم مالک بن نویرة وبد بنی تمیم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبئة التی تزوجت بعضها من مسیلمة الکذاب وفیها یقول ابو العلاء المعری فی کتاب استغفر

لننصرنکم

واستغفري امت نجاح وواد اسيلمة كذابة بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاسعث بن قيس وبنو بكر وائل البحرين
قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة بعهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم
نهرة اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله تعالى فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى
اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خير الدنيا والآخرة و
محل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى يحبونه اي يريدون طاعته ويتجردون عن معاصيه معطوف عليها
داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي انه صلى الله عليه وسلم اشار الى بني موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم
الانصار رض وقيل هم الفرس لما روي انه سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذويه ثم قال
لو كان الايمان معلقا بالثريا لنالته رجال من ابناء فارس وقيل هم الفلان من النخع وهم آلاف من كندة وثلثمائة آلاف
من اشعث الناس جاءوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل للاذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء وبو حماء
متذللين ومتواضعين لهم واستعمال بعلى اما لتضمن معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم
على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم اورعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء
متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وسماهما صفتان اخريان لقوم ترك
بينهما العاطف للدلالة على استقلالهما بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة
من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او خبر
لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان متقدمتان من ضمير محدث كلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب
على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها
لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين الجهاد
في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه توبيخ بالمنافقين فانهم اذا خرجوا به جيش المسلمين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يكادون يبلغون شيئا بالحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون
وحالهم خلاف حال المؤمنين واعترض عليه بانهم نقضوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة
واو الحال له واللومة المرة من اللوم وجمعها في التنكير لائم مبالغة لا يخاف ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي فضله واحسانه لا انهم يستقلون
في الانصاف بما يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع
كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض
لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بتين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية
عليه كأنه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باولياكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون
فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى
وولاية عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق النيابة لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة صفة للذين آمنوا الجارية مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال
من فاعل الفعلين اي يفعلون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى
وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم
اليه روي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فنزع اليه خاتمه كما يأتي كان بر جاني جعفره

غير محتاج

غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع ترغيب الكثير في مثل فعله وفيه دلالة على ان
صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية
للامر من نكتة بيان اصالة تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى في
خاتمة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا احزب الله تعالى تعظيما لهم
واشانا لمخاطبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا
وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعليما للحكم وتنبيها على
العلة واذانا بان من اشانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين
والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن استهزاء الدين
المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين حصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول
فضعف اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا انهم
ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على
الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا الى
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة اليه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم
بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة
كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهم نيام
فتطايرت منها شرارة الى البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور انهم بسبب انهم قوم لا
يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اصروا على تلك العظيمة قل
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعدني المؤمنين عن تولي المستهزئين بان نجاطبهم ويبين ان
الدين منزه عما يقبح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء وينظم لهم سبب ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك البررة
يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تكبتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من
نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه بتقة من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي ايضا لغة اي ما تعيبون وما
تنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التوراة
والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر
بالقرآن مستلزم بالكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الثاني هو الدين ك
محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما
فضل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة لنقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه
موجبا للنقمة مع كونه في نفسه موجبا للقبول وارتضائه نالا استثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا دينا لعلة من
العلل الا الايمان بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما
ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاقاويلهم
على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوف والمعطوف عليه بل سوغ مما
من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي
واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على علة اي ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون
وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اي تنقمون منا الا

الايمان مع اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اى ولا تنقمون اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على
الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم معلوم اوثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان الكسورة والجملة مستانفة
جيئ بها لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك لما امر صلى الله عليه وسلم بازامهم وتبكيتهم ببيان
ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو سلم لهم امر عليه السلام عقيب ذلك
بتبكيتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف ونعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم
وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على مناهج التعريض لئلا يجلهم التصريح بذلك على ركوب بتن المكابرة والعناد
ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة
الى الخبر والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لان النبأ هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط التوبيخ
المفهوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشرية البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بما نقم من ذلك تحقيقا
لشرية ما سيذكر وزيادة تقريرها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال نحن او من بالله وما انزل الينا الا قولة ونحن له مسلمون فمن يعهد اذكر
عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية
مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اى هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة
مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اى جزاء وثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها
كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع وبنيها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدا محذوف بتقدير مضاف
قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اى دين من لعنه الخ او بتقدير مضاف قبلها مناسب لئن اى بشر من اهل ذلك والجملة
على التقديرين استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق
النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها كانه قيل الذي هو شر من ذلك فقيل هو من لعنه الله الخ او قيل السؤال
من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال
الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانتهاكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات وجعل القردة والخنازير اى مسخ بعضهم قردة وبعضهم
السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت سخت شبانهم قردة و
شيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه و
ايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عد في حيز صلته من الامور الهائلة المؤذنة
لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير
لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فان الجمع
الى الموصول محذوف على القراءتين اى عبد بانيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم
بما مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالة على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان
ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من
اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا بانتفائهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم
والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية وكورعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ
لترتبها فهما ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كحذر و
يقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت
تاؤه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على

انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين بتقدير المضاف وانت خبير
بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه وطعا ضرورة ان المقصود الاصلي
ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كلام مقدمة سيقت امام المقصود لفت الخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما
يلقى اليهم عقيبها بجلية حقيقية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام
والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول باني خبر صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها
جوابا عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فمعزل من صلاحية الجواب كيف لا و
لا بد من موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها ينتهي عن وقوع
الشر من تتمة المخبر عنه لا خبر كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيدا تضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت
العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل نعيم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تاخير
ذكر عبادته من العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان
حال ما ذكر بعد التبكيت ان ما هو شر حالا فقوه دينهم او ان من هو شر من اهل ان يقوه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين
وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم
على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجلية ستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة
والضلال او داخلة تحت الامر تاكيد للالزام وتشديد للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة
عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اى اولئك الموصوفون
بتلك القبايح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا لكيلا يلزم الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اى منصرفا
واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقدرا له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم
شرا لخصائها بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا بعيدا غاية وراءه
وصيغة التفضيل في الموصوفين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال و
اذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون الايمان
نفاقا فالخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او لهو مع من عنده من المسلمين اى اذا جاؤكم اظهروا
الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم اسماعك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع اى امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
يظنه ويتوقع ان يظهر الله تعالى ذلك فيك والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم و
ترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود و
المنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول اوفق بحالهم
وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشئ بسرعة واثار كلمة في على كلمة الى للواقعة في قوله تعالى وسارعوا
الا مغفرة الى ما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل
كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام والعدوان اى الظلم المتعدي الى الغير ومجاوزة
الحد في المعاصي واكلهم السحت اى الحرام خصصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا
يعملون اى لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار قال الحسن هما الربانيون علماء الاخبار والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود و
هو تحضيض للذين يفتون لهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ
لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لها لبئس ما كانوا يصنعون

هذا ابلغ ما قيل في حق عامتهم بل ان العمل لا يبلغ درجة القبح لم يترتب فيه ضاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك
ذم به خواصهم ولان ترك الحسنة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلذ بها وتميل اليها ولذلك ترك الانكار عليها
كان جديرا بما بلغ ذم وفيه حاينهى عن العلماء وتوانيهم في النهي عن المنكرات مالا يخفى وعن ابن عباس رض انها اشد
آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رض وعكرمة والضحاك
ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى باه كفروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة
وحيث لم ينكر عليها الآخرون ورضوا بها بنسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان فعلوا فلانا وانما الفاعل واحد
منهم واراد وا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك لقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن خفض البخل و
الجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل وبسط الايرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد
المحي بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعوده بادة ولقد سلك بيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح
قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في
القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه
ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل اراد وا ما حكى عنهم بقوله تعالى
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او
بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويجوز ان يراد بها غلالها في الآخرة
فيكون المطابقة هي من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في بستني سب الله دابره ولعنوا عطف على
الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى ولعنوا عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى
بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلا ما ضير بل يراه بسوطتان عطف على مقدر يقتضيه
المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليدان اقصى ما ينتهي اليه هم الاسخياء
ان يعطوا اما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على نحو لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطاء الكرامة
وعلى اعطاء استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا
به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم حريعة الى الاجتراء على تلك الكبيرة العظيمة والمعنى ان ذلك
ليس لمقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئة المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت
الحكمة بسبب ما فيهم من شوم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما ثاني من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال
يشاء اي كائنا على مشيئته ايجريد او ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم
ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما
ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المتعلق ان يتقدم
على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى
وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام
طغيانا وكفرا مفعولا ثانيا للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة
والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها ازداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام
الصالح للاصحاء يزيد المرض مرضا والقينا بينهم اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم
مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة
مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل

العداوة

العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بالعكس كذا الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الا المسلمين اي كلما
اراد واالمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبوا مبادیها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول رد هم الله تعالى
وقمعهم او كلما اراد واحرب اضد علموا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين والحرب
اما مصدر لها وقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا اي
يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم فما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا
اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك
اطفأ ثائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير
للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب
الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكر وابذلك العنوان تاكيد التشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم
به واتقائهم له بالمحالة فتعرفهم به وعدم اتقائهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع لفعول قوله
تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره كما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل وان اكثركم فاسقون والحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الى اي ولو انهم مع صدور ما صدر
عنهم من فنون الخبايات قولا وفعلا آمنوا بما نهى عنهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيما ماه المقام لان ما ذكر فيما سبق والحق من كفرهم به وهم انما ذكر
مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم
مخل الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة منحل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ما عدنا من
معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية
الكثرة ولم نواخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال
عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جعلت وجاوزت كل حد معهود
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه و
سلم ومبشرات بعثته فان اقامتها انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها
بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتها في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم
وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم
نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم للامر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة
وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حنقوق وكتاب دانيال فانها مملوة
بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض
عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يزقهم الجنات اليانعة الثمار
فيجتنوا ما تتدلى منها من رؤس الاشجار وينتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح
السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم والتقصد
الى نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي ما يتين الشرطيتين من حيثهم
على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به وبيان ان فضاء
الى الحرمان عنها وتبيينهم على ما اصابهم من الفشك والضيق انما هو من شوم جنايتهم لا لقصور في فيض الفياض
ما يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستانفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف

الاستماع الدالين على اتقاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اصل الكتاب كما ينبغي حمل كلامهم كذلك مفروض على عدم
الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ وما بعدها مخبره اي بعضهم امة ولما بتقدير الموصوف اي بعض كائن
منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام و
اضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة سماهم امة في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدأ مخصص
بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقولهم حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وضع ما يعملون موضع ما نبذ النبي اي ما اسوء حالهم من العناد و
المكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاحلاف المتعصبون كعلب بن الاشرف واشباهه
يا ايها الرسول نودي عليه السلام بعنوان الرسالة تشريفا له وتنبيها على ان من وظائف الرسالة تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك
اشعار بانه امر مرب ومبلغ لك الى كمالك اللائق بك عدة ممتنة بحفظ عليه السلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف
ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اي ان امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان
ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست حقيقة بان يعتد بتبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته وان لحقت حقا
شرفت به من عنوان الرسالة بالجملة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك ما غفلت اداء شيء منها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لان الادلة كل منها بمنزلة غير ها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا
ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما اودع منها اكتفى بعض اركان
الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت
آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان
لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كالمتري عدة كريمة
بعصمته من لحوق ضرر هم بروحه العزيز باعتنائه عليه السلام بالجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم
وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا ايها الناس
فقد عصمني الله من الانس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اي لا
يمكنهم ما يريدون بك من الاضرار واريد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل
قوارع يسود الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا باشتمالها من النص
الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء
اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية
وراءه حتى تقيموا التوراة والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة
الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك والمراد اقامة احكامها المنسوخة فليست
من اقامتها في شيء بل هي تعطيل وردلشهادتها لانها شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتها
بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامها وان احكامها قرره النبي الذي بشر بنبوته
وذكر في قضاعيفها نبوته فاذن اقامتها بيان شواهد النبوة والعمل باقرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه
قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم اي القرآن المجيد بالايمان به فانه اقامة الجميع لا يتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة
الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستتر الكم عن رتبة الشقاق وايراده بلفظ
الانزال اليهم للامر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة
الرب الى ضميرهم ما لا يخفى من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل
الكتب الالهية فانها بامرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة فالطعنة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي

ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله تعالى فقال عليه السلام بلى فقالوا
فنحن مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة تقتضيها
شدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق
مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبة فيما مر اليهم
للابناء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في
الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آئلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين منه وحمة كما منهم و
وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لترغيب من عدا الذكورين
في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط ومن المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم اولا والذين
هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصران وتقدم تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون
رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت
والصابئون كذلك كقولك اني وقيار بها لغريب وقوله والا انا علمنا انا واياكم لفي ضلال مبين اي احدنا لا بعينه اذ كل
بين امره ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع فلهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان
والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قولنا نحن بما عندنا وانت
بما عندك راض والرأي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على
الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها كما اشترط ذلك بعضهم لتوقف الخبر والحال ارتفع الخبر بان
والابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبر الهما واما اذا كان خبر المعطوف فقط فلا تخرج ورفيه ولا على
الضعيفة بما ذهب اليه الاخفش من العدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة وتخفيف الهمزة
وقرئ والصابون وهو من صابيصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصائبين وقرئ يا ويها
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على
انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمل الفاء الاخيرة باعتبار عمومه
الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمنهم والا في محل النصب
على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف عليهم والفاء كما في قوله غ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر و
المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالموصول على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احد امرين
هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا
بها وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بها فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن
المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائها لا بيان انتفاء دوامها كما يوهمه كون الخبر الجملة
الثانية مضارعا مما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وانما على تقدير
كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين والمراد بمن آمن من الصنفين منهم
بالايمان الخاص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او
بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافق وسائر الطوائف وفائدة التعميم التحلعين المبالغة في ترغيب
الباقين في الايمان ببيان ان ما خرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الا علام وانما يقبل
من كان منهم ودينه قبل ان ينسخ معتدا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله
في سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض آخر من جنايا تهم المادية بايراد استبعاد
الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا
اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون

ة دينهم ويتعهدهم بالعظة والتذكير وقوله كلما جاءهم رسول بالا تهوى انفسهم جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا
عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كما مر قيل فاذا فعلوا بالرسل فعيل كلما
جاءهم رسول من اولئك الرسل بالامر الذي انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه
وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة
من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشر آخر من المضار
وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك دينهم المستمر وللحافظة على رؤس الآي الكريمة وتقديم فريقا على الموصوف بالوصف الآخر
به وتشويق السامع الى ما نعلوا به للقصر هذا وما جعل الشرطية صفة رسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام صلا
ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة يفسخ ما بينهما من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات
امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار وبعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا
كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب جسما يفيده جعلها استينافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى
ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسبوا
اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهماء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا يكون بالرفع على ان ان
من المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله
منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه ثم عموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها
على ما قبلها اي آيسوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة
وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى
المرة الاولى من مرتي بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيبا وقيل جسوا ارميا عليه السلام
لا انا عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة فاشية عن كمال العمى والقبح لكنها في عصر موسى عليه السلام
ولا تعلق لها بما حكي عنهم فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا
ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا بابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة موجة الله
عز وجل لكما عظيما من ملوك فارس البيت المقدس ليعمره ويجمع بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد هلكه ورد هم الى
وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثمائة سنة فكثروا وكانوا كما حسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بلهمن
ابن اسفندبار الملك من جده كستاسف الق الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال ثم
فاستولوا على كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله
تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم والما ما قيل ان المراد بقبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام
ولم يسند التوبة اليهم كسائر الاحوال من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في
ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخيرة من مرتي
افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل ذكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت من ان
فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى فضلا ان انحصار ما حكي عنهم في المرتين وترتيبه على حكاية ما فعلوا
بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عما هم الله وصمهم
اي رماهم وضربهم بهما العمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم
بدل من الضمير في الفعلين وقيل ضمير محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما علموا وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور

وقوع

وقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفى بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا
ان لا يصيبهم عذاب فعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يواخذهم
بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهم
لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس
وقتل من اهله اربعين الفا من يقاة التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والكد
الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرة من الافساد فبعث
الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود وقيل خردوس ففعل بهم ما فعل قبل وخل صاحب
الجيش منجح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقيل ما صدقوني نقتل عليه الونا منهم ثم قال
ان لم تصدقوني فاتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عم فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي و
ربكم ما اصاب قومك من اهلك فاهداء باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهداء لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الكاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود ومخولا هم الذين
قالوا ان مريم ولدت الهافقيل هم الكاثوليكية والملايعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا وعنوا بهذا ان الله تعالى حل في
ذات عيسى واتحد به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم
ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما امروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي الشان من يشرك بالله اي شيئا
في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه المحرم
الى دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للتهويل والامر وتربية المهابة وماواه النار فانها هي المعدة
للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار اي مالهم من احد
ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما
للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
ووضع على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما
قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عم واما وارد من جهته تعالى تاكيدا للمقالة عليه السلام وتقرير المضمونها وقيل انه
من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا او عدلوا عن سبيل الحق بنا تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم
ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره اوس قول عيسى عم على معنى لا ينصركم احد
فيما تقولوا ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلة القول
الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدة على ذلك ونفي نصرته لم مع خلوه عن
الفائدة تصوير للقبيح بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويل يأبوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه
عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لكن مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين لها الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم و
كذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الكاسد باذكر من عدم الناصر والمساعد بعد
زجره اياهم بما مر من الردع الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير وكالبيل ههنا الا الاعتذار بالتهكم
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو
ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان يضاف ما بعده بان يقال ثالث ثلثة و
رابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة
بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء آلهة ويؤيده قوله تعالى للمسيح اانت قلت للناس اتخذوني
واتي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اي احد ثلثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا

الواحد او الحال انه ليس في الوجود ذات واجب ان يستحق للعبادة من حيث انه مبدأ لجميع الموجودات الا الاله الموصوف بالواحدانية
متعال عن قبول الشركة من الثنوية للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن
واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قولنا ثالث
اله الا اله واحد الا الواحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع
ولم يوحدوا ولو لم يوحدوا لقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف سادّ مسدّ جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا
ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن الذين
بقوا منهم على كفرهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المبني عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود
ما ينعى عليه بالقلع من نقض عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم
اي نوع شديد الالم من العذاب بدخول همزة الاستفهام افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا
لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه المقام اي الا يتوبون عن تلك العقائد الزائغة
والاقاويل الباطلة فلا يتوبون لا الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما ينسبوه اليه من الاتحاد والحلول فذار
الانكار والتعجيب جدير الانتهاء وعدم التوبة معا او يسمحون بهذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون
عقيب ذلك فذار ما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع العائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم
جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال
انه تعالى مبالغ في المغفرة فينفعكم عند استغفارهم ويمحو عنهم من فضله ما المسيح بن مريم الا رسول استيناف مسوق
لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف مالها من نعوت الكمال
التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس واخرا الى الوصف المشترك بينها وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا
لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة
لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول مبنية عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو
الرسل السالفة عليهم السلام منذ بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله حقه
الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احياء الموتى على يده نحو احياء العصا بيد موسى وجعلت حية تسعى
وهو اعجب منه وان خلق من غير اب نحو خلق آدم عليه السلام من غير اب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل و
امّا موسى وعيسى مظاهر لشؤنه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق
او التصديق وبالغن في الاتصاف به فارنتهما الاربعة بشريا احدهما بنبي والاخر صحابي فمن ابين لكم ان تصفوهما بما
لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر
في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراد هذا النوع من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من
حال الذين يدعون لها الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالها بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب و
كيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة للانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما
تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها و
الكلام فيه كما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا للآيات
امر بديع في بابه بالغ الاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصحح بالمرة و
تعاضد ما يوجب تبتولها اعجب وابدع قل امره صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون
من دون الله اي تتجاوزن آياته وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام واثباته عليكلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل
من الالوهية رأسا بيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام وان كان

يملك

يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضره الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة و
تقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى
والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت وانما توسط الواو
اي اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات
والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة
على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه
له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من
المسلك الباطل وارشادهم الى الامر المتأتي لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع
عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعه لديهم عن رتبة العلية الى ما تقولوا
عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما هو سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الاخيل
ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا
او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا جائرين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء
المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين
او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن شايعهم في
الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح مجمل الحق
وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم
عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول
للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على
لسان داود وعيسى بن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما
اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب
المائدة لما كفروا وقال عيسى عليه السلام عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم اعذبه احدا من العالمين والعنهم
كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن
المذكور واشاره على الغير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا و
كانوا يعتدون والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كانه قيل بما تأتى سبب وقوع ذلك فقيل ذلك
اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغة الماضي والمستقبل وبني عنه قوله
تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد بعبارة كالتعليل لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمرار
الاستمرار بتقاطع المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المشهور
لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنتهيا معا كما في تزاوروا
الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مغيرة لما قبلها من المعصية
والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما جميعا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من ينهاه
في وقت من الاوقات ومن ضرورة استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فاضافة منكر المنكر من الوضوح بحيث
لا يكاد يخفى وصفه بالفعل الماضي في تعلق الذم بما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من
طارق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى الزمان المترقب
لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير لما عاودة او المثل اولى جعل الفعل عبارة عن ارادته

وفي كل ذلك تعسف لايخفى بقي لم كانوا يفعلون تقبيح لسوء العالم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من
اللعن الكبير وليس في تبيينه بالموصول دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته لما سبق من قوله تعالى
الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا
ترى كثيرا منهم اى من اهل الكتاب كعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتعاقدوا على محاربة النبي
صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اى يوالون المشركين
بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رض
ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئسما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا لير دوا عليه يوم القيمة
ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط
بينهما كانهما شئ واحد ومبالغة في الذم اى موجب سخطه تعالى وجملة الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترط
هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدا محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اى شئ
هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت
لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشئ شيئا قدمته لهم انفسهم فقوله
تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شئ المحذوف وانما ذهب سيبويه في العذاب اى عذاب جهنم هم خالدون ابدا
الآبدين ولو كانوا اى الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي اى بنبيهم وما انزل اليه
من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله وبنبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اى المشركين اولياء اولياء
فان الايمان باذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله وبنبيهم وكتابهم
او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستأنفة
مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة سن جملتها موالاتهم للمشركين
اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له
ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني لليهود وما
عطف عليه وقيل بالعكس لانها في الاصل مبتدأ وخبر وصحب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا خير في التقديم والتأخير
اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين
لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في
الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير اذ المعنى انك ان تصدت ان تعرف من اشد الناس
عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بها دريهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة
وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فقاتل الله الام الداخلة على المفعول
متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يقدر كونها مؤنثة بالتاء لانها بمنية عليها كما في قولهم ورحيط عقابك وقيل متعلقة بمحذوف
هو صفة لعداوة اى كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى
وتوريهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم
في تقديم اليهود على المشركين بعد ترحها في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى
ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا
اعيد الموصول مع صلته رو مالزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم
حيث يتعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوهم
الكائن في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعول لتجدن وتعلق اللام كالذي
سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا تفاوتا في الشدة والضعف او بالقرب والبعد

ابن يقال

ابن يقال آخرا ولتجدن اضعفهم عداوة واوبان يقال اولا لتجدن ابعد الناس مودة لهم الايذان بكمال تباين ما بين الفريقين
من التفاوت ببيان ان احدهما اقبح مراتب النقيض والآخر اقرب مراتب النقيض الآخر ذلك اى كونهم
اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اى بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم
والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشئ اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل
القس بفتح القاف تتبع الشئ ومنه سمي عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال
قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل سمعت النصارى بالاخيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل
دينه ممن رأى عدوه ودينه قيل له قسيسا ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على
الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو ونزل والترهب التعبد
في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولابد من اعتبارها في
القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس بخصلة مظنة لاتصاف
الجنس بها والآمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى آخره لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم تتعد كلمتهم الى جنس
اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اى وبانهم لا يستكبرون عن قول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا
يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على
التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول عطف على لا يستكبرون اى ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم آبائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع
اى تمتلئ من الدمع ناسبة له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اى ابتداء الفيض وناشئ
من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابجاهم ذلك
فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استيناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ما بالهم يقولون فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او من انزل
عليه او بها وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم للاذان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اى الذين شهد وا بانه حق او بنبوته او مع امة الذين هم شهداء على
الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا و
العامل ما فيه من الاستقرار اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله
تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قولهم لا يؤمنون وانما لا نؤمن
بهمزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتقرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اأضرب ابي كذلك الآية الثانية
قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مفعول الجملة
الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع
ونفيه فيسري ان الى المسبب ايضا كما في الآية الاولى فيكون مفعول الجملة الحالية محذوفا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض
حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ او العامل فيها
هو العامل في الاولى مقيدا بها اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن
على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل عطف على لا نؤمن على معنى

والمناسب بين ترك الايمان وبين الطعم المذكور فاثابهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى اعتقده
وقرئ فاثابهم الله جنات بجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اى الذين احسنوا النظر والعمل او
الذين ماتوا على الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعثاليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم
القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا واسلموا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف
التكذيب بآيات الله على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها
جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا الآخر روى انطايفة من اصحابه صلى الله عليه وسلم حرموا على انفسهم
سلف منهم مدح النصارى على الترهب ترغيبا للمؤمنين فى كسر النفس وقمع الشهوات عقب ذلك بالنهى عن الافراط
فى الباب اى لا تمنعوها انفسكم بتحريم الحلال او لا تقولوا حرمنا على انفسنا مبالغة منكم فى العزم على ترك ما عزموا
تقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما واشبع الكلام فى الانذار فرقوا واجتمعوا فى
بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام و
اصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت ولا تعتدوا اى ولا تعتدوا
حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما
نهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولا اوليا لورود وعيده اوابتدا ولا تعتدوا بذلك
ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله
فحلال مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول و
حلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اى اكلا حلالا او على الوجوه كلها لو لم يتبع
الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون توكيد للوصية بالامر بفاد
الايمان به تعالى يوجب المبالغة فى التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو فى اليمين
الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل
كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهى قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعى يأثم
من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عايشة رضى الله عنها ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لا يصدر
او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اى بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والعزم ولكن كما
يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته
اى فكفارة نكثه وهى الفعلة التى من شأنها ان تكفر الخطئة وذكرها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل
الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا فليأت الذى هو خير ثم ليكفر
عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اى من اقصده النوع او المقدار وهو
نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين
طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من الطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض
وقرئ اما ليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الحالات الثلث كالالف وهرا يضا جمع اهل كالاراضى جمع
ارض والليالى جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه
بدلا من الطعام وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهى لغة

كقدرة فى قدوة وأسوة فى اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف فى محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما
تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اى واعتاق انسان كيف
ما كان وشرط الشافعى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومنع ايجاب احد الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلفين
فمن لم يجد اى شيئا من الامور المذكورة فصيام اى فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة
ثلثة ايام متتابعات والشافعى لا يرى الشواذ حجة ذلك اى الذى ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم او حنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يختاروا
بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تحنثوا فيها وبها كذلك اشارة الى مصدر
الفعل الآتى لا الى المبين آخر مفهوم كما سبق والكاف مجرة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله الاصل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مجرة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر للاقتاله وقدر تفصيله بقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
اى ذلك الكيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام
المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها فى اوائل السورة الكريمة رجس قذر يعاف عنه العقول وافراده لانه
خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور اى المضاف محذوف اى شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان فى محل
الرفع على انه صفة رجس اى كائن من عمله لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه اى الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون
اى راجين فلاحكم وقيل لكى تفلحوا بالاجتناب منه وقدم تحقيقا فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر و
الميسر فى هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسماهما جميعا من عمل
الشيطان تنبيها على ان مقاربتها شر تجنب ولم يكتف بالاجتناب عن عينها وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون اشكالها
خيبة وخسرانا ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان
يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصها بالعادة الذكورة وشرح ما بينهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان
حالها وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انها مثلها فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن
وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها فى الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم
اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا
بان الامر فى الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية و
اطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اى اطيعوهما فى جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اى فى مخالفتهما
فى ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما فى الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اى اعرضتم عن الامتثال بما امرتم
من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بالامر بعده عليه وخروج عن عهدة الرسالة اى خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت
الاعذار وانقطعت العلل وما بقى بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما قيل من ان
المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه انما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين
اعرضتم فاكتفوه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم
لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اى اثم وحرج فيما طعموا
اى تناولوا الكلا وشربا فان استعمالها الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى قيل لما انزل الله تعالى
تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اصيب قتلى يوم بدر وقتلى يوم احد

وهم يشربونها ونحن نشهد انهم يشربونها وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين
ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء
ما عدا ما من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا والا لازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما
تختصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان
يكون في ذلك شئ من المحرمات والاثم يكون نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه وللجاز ورفيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل
بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اي
واستمروا على الايمان والاعمال الصالحات وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم
عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الامر بالاتقاء عليه اما للاعتناء به اولانه الدليل على
التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان
المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا
اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المستتبعة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم
بها بل لبيان التعدد والتكرير بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة
وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شئ من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما
طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شئ محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات
الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك
وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة متميزا بينها وبين ما له دخل في الحكم تأكيدا
لسياق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان بيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية كلمة اذا ما لكنه
قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في ضمنه ضمن التشريع الجلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص
بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها كأنه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذا كانوا في طاعة الله تعالى مع ما لهم من الصفات
الحميدة بحيث كلما امروا بشئ تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمها اذ ذاك ولو حرما
في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان
التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جئ بالاحسان في المرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى قوله
صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث البداءة والوسط والمنتهى او باعتبار ما ينتفي فانه ينبغي ان يترك توقيا
من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة
وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله به كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني
اتقاء الصغائر ولا يخفى انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فتأمل والله يحب المحسنين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله والمقصود تحريض يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم
ليتعرف احوالكم بشئ من الصيد اي صيد البر ما كولا او غير ما كول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا يتمكنون من صيدها
اخذا باليد ورميا بالرماح وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش
فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فانزل الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل
الله تعالى الآية فانا كد القسم ليبلونكم انما هو لتحقق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتغير
وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شئ للتحقير الموذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل
فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اصحاب ايلة من صيد البحر و

فائدة التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن ومن قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي شئ حقير
هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلة وحقارة بالنسبة الى الكل القيد للابالنسبة الى عظائم البلايا فيعتري الكلام
عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي يتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة
ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم لايذانا
بمدار الجزاء ونوابا وعقابا فانه اذا دخل في علمهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علم الله تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى
بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل هو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون
عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على
حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على الحقيقة تمثيل متعد لواحد وانظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما
ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء وقوله
الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح دارا للتشديد في العذاب بل ترتبهم كونه عذرا مستوعبا للتخفيف
وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج
عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي ممن تعرض للصيد بعد بيننا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه
منهم ابتلاء ومؤد الى تميز المطيع من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة وان من لا يملك زمام نفسه
ولا يراعي حكم الله تعالى في امتثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المحاض والمراد بالعذاب الاليم عذاب
الدارين قال ابن عباس رض يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك
به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
مع كونه معلوما لا يستلزم قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه والتأنيث الصيد للعهد
حيوانا سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي كلمة من في الحرم وان كان حلالا كزوج جمع زراج والجملة
حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون
الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة متكم متعلق بجزاء وصف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا حال
ايضا اي ذاكرا للاحرام عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيه العمد والخطاء لما
ان الآية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطاء لاحق به للتغليظ وعن
الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء وعن سعيد بن جبير لا اراني في الخطاء شيئا اخذا باشتراط
التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا
وهو ذاكر للاحرام فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل قتل برفعهما اي
فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجزاء على اضافته الى مفعوله و
قرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على تلبجزء جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد
به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت
قيمة قيمة هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمة قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيتصدق
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ
طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يجد بعد الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا
للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند
مالك والشافعي ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم
فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي

شاة وذ حمار الوحش بقرة او الادنى عناقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم
ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل معنى واما المثل
صورة بلا معنى فلا اعتبار لذلك في الشرع اصلا واذا لم يمكن ارادة الاول جاء عا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في
الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع
ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه
في اشاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وهو كونه
مراعاتها فلان لا تعتبر بين افراد نوع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتعسر الحفظ عليها اولى
واحرى ولان القيمة قد تزيد بمعنى لا يظهر له اجماعا ظهر بين غير مراد اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالمثل المتوقع
ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمة لكن لما عتا
ان يعود الجاني اليها فيم فيها المصارف ابتداء وبل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيخيرها
مقامها تقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال
بناء على وصفه الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقها ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف
اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله تعالى وما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل
يحكم به ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لما كان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر
والاجتهاد دون العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك شيء من الفضلة
عما اريد ابابه المماثلة بل لان ما جعلوه معيار المماثلة بين القيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف
والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال فلا يهتدي اليه من اسالكين ائمة الاجتهاد وهداة اهل العناية
والارشاد الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت
بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منها تعب وتهدر مع ان النسبة بينها من سائر الحيثيات كالبين العنب والتين بكثير
يتوقف معرفة امثال هذه الدقايق العويصة الا ارائ عدلين من آحاد الناس علاوة على هذا الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا
بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع القيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات
الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام و
الجملة صفة لجزاء او حال من المستتر في الصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه
بالصفة او بدل من مثل فمن نصبه او من محله فمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة لجزاء
بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف
والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان للكفارة عند من لا يختصها بالعقار او
بدل عنها او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على طعام اي كانه قيل فعليه
جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او اطعام مساكين او صيام ايام بعددهم ليكون المماثلة وصفا لازما للجزاء ويقدر به
الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيخير الجاني كلا منها بدلا من الاخيرين
هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى
القياس على الهدي لتعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات تقول تعالى او كفارة خبر مبتدأ محذوف
والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام
مساكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما
عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح حيث بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول
وذلك اشارة الى الطعام وصيا ما تمييز للعدل والجار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمهم الله

ليذوق

ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق اياه وقيل بفعل مقدر اي فعليه الكفارة كما قيل بشرع ذلك ليذوق
وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي يثقل على العاقبة من ثقل سوء كيله
ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرأ ولا تحتمله المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد
محرما قبل ان يشاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان
القيد فيها محتما ومن عاد لقتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم ينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم
الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى من يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فذلك لا يخاف الها وقوله تعالى ومن
كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فمن وعطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن
انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح ان لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو
انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها
بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ما كولا او غير ما كول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم
والمعنى احل لكم التعرض لجميع ايصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابي ليلى جميع ما يصاد
فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه
او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
حال مختصة بيعقوب اي اسحق ويعقوب اي احل لكم طعامه تمتيعا للقيمين منكم يأكلون طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا
وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم كانه في قوة متعتكم به تمتيعا كقوله
تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل بتخفيف صيد البر وهو ما يقع في فلاته وان كان
يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام ظاهره يوجب
حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وابي هريرة وعطاء
ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبح قبل احرامه
وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند
مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك
الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت
كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها وبامن البناء وقيل لارتفاعها عن الارض ونتوئها وقوله تعالى البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس
نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء
والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم
ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحاج والعمار وقرئ قياما على الاصل
على وزن رشد يشيع اعل عينه بالاعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام
وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا
قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي الهدي خصت بالذكر لكمال الثواب فيها اكثر وبها الحج بها اظهر ذلك
اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره وفعله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق
وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه الشرائع
المشتملة لرفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة
الشارع وعلمه غروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان
يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال

انتم عن قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اخر عما ذكر وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على ما امر الله حرمانه تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بالمأمور به اى الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بالامر به عليه وقد مضت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيواخذكم بذلك تقريرا وتحذيرا قل لا يستوى الخبيث والطيب حكم عام في فرق المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول كما سيجيء بعض صنيعة البكرى الذي حررت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي وانى اعتقدت من بيعها مالا فهل يشفع من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابلة فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد كما سيجيء في المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير اما غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلة ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة الخبيث اى وان ساء ك كثرة الخبيث والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقدر اى لو لم تعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبتك وكلتا هما في موقع الحال من فاعل لا يستوى اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اى كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذف خاطر والدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وشيآت تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولى الالباب اى يا ذوى الخبث وان كثروا واعلموا ان الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالجم الغفير والقليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء هو اسم جمع عند الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيأ وبهمزتين بينهما الف فعلت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف للالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيئ كهين مخفف من هين والاصل كشيآء وكان هو بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيا ء فاجتمعت الآن اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء وزنها افلاء ومنعت الصرف للالف التانيث وقيل انا حذفت من اشيا ء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة ابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فصل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اى تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كالمبين عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بما يتبع عليهم ويهمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها وكذلك فالاخير فيه كالاول في ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لما سامهم الادب واصرتهم على المساءلة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تفويض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مساءلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حبا

اوحى اليه لم تطيقوا ابداءها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة ابن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال اكل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلة ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روى عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسئلة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فاذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش كان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال عليه السلام ابوك حذافة فقام عمر فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا فعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثوا عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استيناف مسوق ببيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانتهاء نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الحذر الانتهاء عنها ما لا يخفى وتغيير عنها للمسألة الدال عليها بلا تسألوا اى عفا الله تعالى عن مسائلكم التعالقة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسائلكم وتجاوز من عقوبتكم الاخروية بمساءلتكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بعض لا تسألوا عن اشياء وعفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلا هما ظاهر وترك التعرض لانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها مع ان التنظيم الكريم مريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي سيؤمرهم ابداؤها سواء كانت من قبل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم انشائها وايجابا بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسئلة الحج لو لا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسئلة من قال ابي ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها بالاولى ان كان من حيث وجودها فهو من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليس احدى الحيثيتين مخفية عند السائل وانا نعي عند من السؤال ظهور ما كيفما كانت بل ظهور ما بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية تردد ما بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة يستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسئلة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد ورود ما هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرتم انما يتم اذا كان السؤال عن الامور المتردد بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان السؤال عن الامور الواقعة قبله فلا كما ستسمع لان ما يتعلق به الابداء هو الكذب وقع في نفس الامر ولا مر له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الكذب يتعلق به الابداء لا غير فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال ابي ابي لا عما يتوهما وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بحيث للوقوع فتبدى عند السؤال

بطريق الانشاء وعقوبة وتشديدا عليها او صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وامّا بان تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنه بطريق الاخبار بها فاختلف متعلق هذه الصورتين معا ومنشاء توهم عدم الفرق بين المنع عنه وبين عفوه بناء على عدم امتيازها موجودا وبعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم لكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الاحتراز عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا بداء اكرده والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سألوا هذه المسئلة لكن لا عينها بل مثلها في كونه محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها ثم اصبحوا بها اي بسببها او بوجودها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوا فلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها وذبحها ولا تطردون ماشيها ولا يمنعون من ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا عتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينها ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل كما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون ان الله امرنا بهذا وانما امرهم عمرو بن لحي فانه اول من غير هذه الافاعيل الباطلة هذا شان رؤسائهم وكبارهم وَاكثرهم وهو اذا كان حال الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم وكبريائهم على الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الا هو وكلتا هما اي موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا حيا والدلالة الثانية دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الي فلان وان اساء اليك الي احسن اليه لم يتركه اليك وان اساء الي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعليه الزبور وراني ان ولو الوصليتين مبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من منع الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدة المبالغة في الانكار والتعجيب بيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجيب اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مال الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير باباء الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم و

اصلاحها

اصلاحها وتولوا بالرفع على الابتداء واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء قراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد ومنهما من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستأنف موقع التعليل لما قبله وبعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما ينبغي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروا اعمهم الله بعقاب فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم فيقول احدكم على نفسي والله لامرن بالمعروف ولانهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر وهم اكثر منهم فلم يغيروه ولم ينكروه الا اوشك ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يحزنون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم ومن الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر وقيل كان الرجل اذا اسلم لامه وقالوا له استهنت لآبائك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية لهم بان ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فنوعد ونعيد للترغيب والتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دينهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دنياهم وتقديره بحر في النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت ورودها عليها فانه داخل في تهويل الخطب وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدا بتقدير المضاف اي شهادة بينكم او شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالكسر والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له ايضا ذكر من الخبرية والتثنية او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن بعضهم ان نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية لجواز وقوعه بعد اذا فقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا خلل لهم الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران او فليشهد آخران او فالشاهدان آخران كذا قيل والاسلوب ان يقدر عين ما سبق اي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة

ثم وقوله تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل كيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة للآخران والشرط بجوابه المحذوف اعترض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب اذا كانوا من اهل الاسلام واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضى اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله تأخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتى والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعيينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملئكة الليل وملئكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم وقتيذ حلف من حلف كما سيأتى وقيل بعد اى صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب بهما الوارث حكم بخيانتهما واخذ شئ من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشترى به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفى بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما فى قولك والله ان اتيتنى لاكرمنك ولا ريب فى استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو بذل الثمن اى اخذنا بدلا منه لابد له لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر فى عقد الشرى وهو الجلب دون السلب المعتبر فى عقد البيع ثم استعير لاخذ شئ لا بازائه ما عنده عينا كان او منفعة كما فى قولك والله ان اتيتنى لاكرمنك والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر فى المستعار منه جسما مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير فى به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من اتداى من حرمتنا عرضا من الدنيا بان نحلفهما ونزيلها بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلابد من تقدير مضاف البتة اى لا نستبدل بصحة القسم بالله اى لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اى نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت تحقيقا ما هو المعتبر فى الاستعارة من كون الزائل شائقا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق فى القسم ولا ريب فى ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح التبرأ منه وانا يتوسل باستعمال الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل الاخذ باستعمال الصادق كناية عن صورة تقدير المضاف فخاه اذ الة وصف الصدق عن القسم مع تقلد الموصوف مستدعية لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل و قوله تعالى ولو كان اى المقسم له المدلول عليه بنحوى الكلام ذا قربى اى قريبا منا تاكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا و مبالغة فى التنزه عنه كانهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انتفع اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست مهمة للمال بل هى راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لا نشترى به ثمنا والجملة معطوفة على نحوى مثلها كما فصل فى تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امرنا الله تعالى بادائها معطوف على لا نشترى به داخل معه فى حكم القسم وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالجر على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير هذا الصواب لانه يفيد ان الله تعالى امرهم بكتمان شهادة الله وقرئ بالمثلثين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اى اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعتر فابه بقولهما انا اذا لمن الآثمين اى فعلنا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا استحقاقها له بوجه من الوجوه كما وقع فى سبب

النزول حسبما سيأتى فآخران اى رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما والاوفق بالفصل الخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذى هو الجار والمجرور بعده اى يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بقيامهما مقامهما اداء الشهادة التى تولياها ولم يؤدياها كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما فى ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل على قراءة على وابن عباس وابى رضى الله تعالى عنهم اى من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اى باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اى استحقا عليهم اثما بتجريدهما للقيام بها لانهما حقهما وظهر بهما كذب الكاذبين وبهما فى الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت وكثيرا ما يجئ الاولياء مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير فى يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه بالابتداء على حذف المضاف اى استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين اثما مجرورا او منصوبا على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية و انتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اى ايمينا على انها كاذبة فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة فى نفسها احق بالقبول من شهادتهما اى من يمينهما مع كونها كاذبة فى نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع ان لا حقية فى يمينهما رأسا انما هى لامكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقهما فى ادعاء تملكها لما ظهر فى ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا الحق او ما اعتدينا عليها بابطال حقها انا اذا لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله اى انا ان اعتدينا فى يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق فى غير موضعه وبعض العظم الكريم ان المخلف ينبغى ان يشهد على وصية عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ فى الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله وماتت ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة مموه بذهب ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فلما صاروا فيه الكتاب فظلبوا منهما الاناء فقالا ما ندرى انا اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال ممن اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا لا كان لنا بينة فلم نكن هنا ان نقره فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فرفع الاناء اليهما وفى رواية والى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين البديل فلا نسخ الآنى وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اى الحكم الذى تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى اقرب الى ان يؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى تحملوها عليه من غير

تحريف ولاخيانة خوفا من الوقوع في الاثم الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى اويخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك اولى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة اويخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال
ايمانهم والعمل بايمان الورثة فيترجوا عن الخيانة المؤدية اليه فالمخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة
على وجهها وقيل معطوف على يأتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح
برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بحلوفهم والمآل ما قيل من ان المعنى
ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها
على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة
الكاذبة يستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او و
انما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بالخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة
ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الآخر لا تخلو عن تحكم تجب فتأمل واتقوا الله
في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به كأنما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي
القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا الباقي بنهما من
الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من
المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف
في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يدور في الذهن ان المتقى اي شأن من شؤونه واي فضل من افعاله و
قيل هناك مضاف محذوف اي يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله يوم يجمع الخ فيجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل
منصوب بمضمر معطوف على اتقوا او عطف على اي واحذروا او واذكروا ويوم الخ فان تذكير ذلك اليوم العاثل حايضطرهم
الى تقوى الله عز وعلا وملقى امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى
طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب
بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والرزية
العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يبنى بيانه نطاق المقال واظهار الاضافة
الجليلة موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد الهول وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دخول الامم
كيف لا وذلك يوم يجمع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لانه شر فيهم
واصاتهم والاذان بعدم الحاجة الى التفريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط عذرهم لديهم و
عدم ليا قتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون
على وجوههم بالاغلال فيقول لهم شير الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال
بجواب الامم اعرابا وامحضا والاقصر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة
عن مصدر الفعل فهو منصوب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة امكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب
فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وسم
شهود الى الرسل عليهم كسؤال الموؤدة بجمر من الوائد والعدول عن كما سناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا
من الانباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والتحطي عليهم الا يخفى قالوا استيناف مبني على سؤال نشاء
من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هناك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي
للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرها وانما يقولون ذلك

تنويضا

تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعترامهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لجرمهم
عن بيانه لكثرة وفظاعة انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا وما اظهروا والنا والم نعلمه مما
اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاة وترد للامر الى علمه تعالى بالقوامن قبلهم من الخطوب والكابد وامن الكروب و
التباعا الى تتميم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وردوذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم
فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كافوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس
ومجاهد والسدي انهم يذهلون عن اول الامر ويعقلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تابت اليهم عقولهم بالشهادة
على امهم وللابلاية التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وترئ علام الغيوب بالنصب على النداء
او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك او قال الله
يا عيسى بن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل الحكيمين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما
جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان
تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما
ان شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جنايا تهم فتفصيله اعظم
عليهم واجلب لحسرتهم ونداماتهم واقوت في اعضادهم واوغل في ناصر فهم عن غيتهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة
الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهارا لكمال الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التهويل وكلمة على في
قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو
حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المستطلة في سلك التعديد
تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه انى
خروج بل انزاله منزلة الحاصل تنبيها على ان ذلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعداد ابها وتلاذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون
حكاية ذلك على ما ينبغي عنه التنظيم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المخالفين في شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا
لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف للنعمة اي اذكر انعامي عليكما وقت تاييدك اياك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي قويتك بروح القدس بجبريل عم لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين و
اضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس ابدية وقيل الارواح مختلفة الخواص
منها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها مائلة وكان روحه عليه السلام طاهرة
مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نفخة عليها تكلم الناس في المهد وكهلا استيناف مبين لتأييده عليه السلام
او حال من الكاف وذكر تكليمه هم في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد
بديع صادر عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام رفع
قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما رفع وهو ابن ثلثين سنة وقيل ثلث وثلثين سنة وقيل اثنتين وثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه
واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب باضمار اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب
والحكمة اي جنسها والتوراة والانجيل خصا بالذكر لما تناولا الكتاب والحكمة اظهار الشرفهما وقيل الكتاب الخط
والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني
بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرته
الاسباب مع كون الخالق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون
اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسير مع
صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه كان هذا تكونا من جهة الهيئة وتكرير قوله تعالى باذني في الطير مع كونه شيئا
واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتأتى ولا يتربت عليه شيء الا باذنه تعالى و

تبرئ الاكمه والابرص عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذنى عطف عليا اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى
من قبورهم لاسيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة جقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح
ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذنى في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق بيان ان تلك الخوارق ر
ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه تقدر اظهارها على يديه معجزة له ونعمة خصها به واما ذكره في سورة آل عمران ر
مرتين فلان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بنى اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اى
منعت اليهود الذين اردوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر ومالم يذكر
كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجئ بها فقط بل باعتبار ما
يعقبه من قولهم تعالى فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك حايل على انهم قصدوا اعتنائه
المحوج الى الكف اى كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول
لذمهم بما في حيز الصلة كلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس المسمى
من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مستبعد بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين نهذا اشارة الى
عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التي هي ذكرها
وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها كلك الظروف من التاييد بروح القدس وتعليم الكتاب
والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان مبنى عن غاية الاحسان أمر بذكرها من تلك الحيثية
وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر نا مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه
ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيما احدا هما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد
افادة وقوعها ايضا فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا لمعمول للنسبة الثانية ثم قد تكون
المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذا حسنت الى تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك
اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك
اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حين هذا القبيل عامة ما
وقع في ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم عنكم الى غير ذلك مما
النظائر ومعنى اضافة تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله
تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان آمنوا بى وبرسولى مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية
واريد به عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتى في الالوهية
والربوبية وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من سوق
الكلام كانه قيل فاذا قالوه حين اوحى اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اى بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما
يؤذن به قولهم واشهد بانا مسلمون اى المخلصون في ايمانا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى
واهله لم يذكر نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكان ذلك نعمة عامة والدة ايضا روى انه عليه السلام
لما علم انه سيؤمر بذكر ما تيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه
لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف لبيان بعض ما جرى بينه
عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ
بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق ليعيسى عليه السلام فانه ليس بمخاطب وانما هو حكاية خطاب
ل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر
عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة عليا عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم انا

وقيل

وقيل هو ظرف لقالوا او لمسلمون بتقييده على ان ادعائهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقق وايقان ولا بما عده النظام الكريم
يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء استئناف انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كذلك
شاكين وقدرة الله تعالى على ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين
وسوء ادبهم للاطمئنان والتشبث للازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه بتغير الصفة بلازمه وقيل
الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لما علم بيقينه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه
وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير وآخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من
مادة اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة سميت ناعلة بمعنى مفعولة كعيشة
راضية قال استيناف مبنى على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال
اتقوا الله اى من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اى بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان
والاسلام فان ذلك قاض بوجوب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول
المسؤل كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة قالوا استيناف كالسبب نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اى لسنا نريد
بالسؤال اذ الجزم بشهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها
اى الاكل نترك وقيل اكل حاجة وتمتع ونطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم
المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازديادا في الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم اى علما يقينا لا يكوم حوله شائبة شك
اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان ومميز الشان محذوف اى ونعلم انه قد صدقنا
في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين
لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا وليؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين
دون الشاهدين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كما
قيل على اني شئت يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق
بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى بن مريم لما رأى منهم ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه
ازمع على استدعائها واستمر الهاء ولو ان يلزمهم الحجة بكمال ما روى انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين
فطأطأ راسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه بسمات ربوبيته وقرنها بوصف الالوهية للجامعة لجميع الكمالات
وخصه بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية الخضوع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف
على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل
او بمحذوف هو صفة لمائدة اى كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة
واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا او لنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال ولنا او عيدا حال
من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فجعل ميزا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما استند
ذلك لا المائدة لان شرف اليوم مستعاد من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ
لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا وروى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه
النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بحذف الالف و
الطائفة واية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اى كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اى خير من

يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء والمبنيء عن كمال الضراعة والابتهال
وزيادة تلهم بخيل السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا موقنين واثقين بان الهمم
كان لتحصيل الطمانينة كما قال ابرهيم ربّ ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم باذكروه ولما اضاف اليه
من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استيناف كما سلف اي متكلما عليكم ورود الاجابة معلقا
بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان
كما في قوله تعالى اشتد بحيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى انجانا من هذه الجامع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة
السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذانا بانه عز وجل منجز له لا محالة من غير
صارف شيئه ولا مانع يلويه واشعارا باستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال
والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها عليكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه
بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على
المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة
لعذابا والضمير له اي لعذابا تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين
جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريد بما نلم تنزل وبه قال مجاهد
والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روى انه عليه السلام لما دعا ربه وصلى
بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين
ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة
ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك يسيل
دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله
أهذا من طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فاليس منها ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا مما سالتموه واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو ارينا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
حيا فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا المنسوخ قردة وخنازير وقيل
كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت
وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام
ان اجعل مائدتي للفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فنسخ منهم من مسخ قردا
خنازير يسعون في العذرات والكناسات ويأكلون العذرة والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا
على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وهم وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد ويسيل
ويشيرون برؤسهم فلا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام
قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا لو علمنا ان احدا يعبد احدا بعد
ما نرى لعبدناه فسالوا الله تعالى مائدة فاقبلت المائدة بامر الله تعالى عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم
فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام
الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال
الكلبي نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف وبضع فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث
ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم اتاتيكم اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره
فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال

الله

الله يا عيسى بن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بانه نصب من المعطوف عليه المحاط به اي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل
معطوف على ذكر اه اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة تبكيتا لمن كفر به وتوبيخا لهم بقراءة
عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لامر من الدلالة على التحقيق و
الوقوع وانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الآتي ذا ما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الا
واحد فهو حال من المفعول وليس بذاك اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من
ايلاء الهمزة المستدعي لاستعمال الفائت وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو
الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى اءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام
هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين
الله او بمحذوف هو صفة للالهين اي كائنين من دونه تعالى وايا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشتراكهما له سبحانه
كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتبنى
التفريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون المخترعات
التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما السلام لكونها من خلقهما الله تعالى بل سائر خلقه تعالى فاتخاذهم اتخاذ لهما في حق بعض الاشياء
الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تحقق ان
عبادة الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادته اياهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجدي
واشتغل بما لا يغنيه كذاب من قبل فان توبيخهم انما يحصل بتعقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من
التاويل واظهارا للاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام قال استيناف مبني على سؤال
نشاء من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حين سمع فقيل يقول واثر صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك
سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق
من التسبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل لا صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر
الى الاسم الموضوع له خاصة اشعارا بالحقيقة الحاضرة في الذهن دون جهة اقامة مقام المصدر مع الفعل
ما لا يخفى اما نزهك تنزيها لا يقابلك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك وما تقدير من ان يكون
لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
استيناف مقرر للتنزيه ومبين للتنزه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا
لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقيقة وافادة التاكيد بما في خبره
من الباء فان اسم عينه العائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى
ان كنت قلته فقد علمته استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره
عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا حيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم
الملزوم تعلم ما في نفسي استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما
اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك و
وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات وبنسبة المعلومات اليها كما انها مرجع الصفات التي من
جملتها العلم المتعارف بها فلم يكن كنهها الى الحقيقة وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين
منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استيناف مسوق لما صدر عنه قد اورج عدم صدور
القول المذكور عنه على ابلغ وجه وآكده حيث بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فد خل فيه انتفاء
صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على مقتضى حسن الادب

ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للأمور به وقيل عطف بيان للضمير به وقيل
بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر والجملة
مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وانهم عن المخالفة او
شاهدا لاحوالهم من كفر وايمان مادمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها
اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع على الاستئناف وكذا قوله تعالى انا متوفيك ورافعك
الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت خبير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة
خبر كان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب لمنعث من ارادت عصمتهم عن المخالفة بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وحذلت من حذلت من الضالين فقالوا ما قالوا
وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد عليهم الكل حين كونه
معهم فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث
عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب
الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان
غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة
الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال كلام مستانف فيه تحكية
ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته وثمرته اي يقول الله تعالى يومئذ تعقيبا لجواب عيسى
عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لمراعاة نظائره مرادا
وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ وخبره بعده اي هذا اليوم الذي حكى بعض ما يقع فيه مجملا والبعض
تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المشتق فيما
الذائرين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به
من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبجعل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين
لهم المعتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجناية لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه
صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين
مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء حالا ومآلا وجعله وهذه القراءة هي التي اطبق
عليها الجمهور وهي الاليق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فذاك
اشارة الى قوله تعالى اانت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه في
واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر وكسره مبني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين
لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا يجزي الآية لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كما قيل لما لهم من النفع فقيل لهم نعيم
دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضي الله عنهم استيناف آخر لبيان انه عز وجل آتاهم عليهم ما ذكر من
الجنات والاقدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شيء
اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل الفوز العظيم
لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذي يتاتى به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك
اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفسادهم

زعموا

وزعموا في حق المسيح وامه اي له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف كيف يشاء ويحكم
واعلما واحياء وأماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثاره ما على من المختصة بالعقلاء
على تقدير تنا ولها للكل مراعاة للاصل والاشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما
في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب
غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة على ما يريد من الايجاد والاعدام
تم تفسير سورة المائدة بعون الله الملك العلام ويتلوه في سورة الانعام

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه ودلالة مايوجب من صفات الكمال واليه يئول جميع
نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق لهذه لذاته لما تقرر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتضاء
جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجبات المنتزعة في سلك الاجمال من الآثار
والدلائل وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله
بها باعتبار افعاله العظام وآلائه الجسام ايضا وتخصيص خلقها بالذكر لاشتمالها على جملة الآثار العلوية و
السفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية الى اجل انواع الوجود الكائنة في ايجاب حمده تعالى على كل موجود كيف
بما يقع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشاءها
على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع البدائع واصناف الروائع على ما
يتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب الصنع والآثار بتعرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد
طبقاتها واختلاف آثارها واحكامها وافرادها لاتحاد حقيقتها وتقدمها بالشرف والعلو على مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي
وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلها مسببا بخلق منشآتها وفعلها داخلا معه
في حكم الاشعار بعلة الحمد بمكان ان خلق السموات والارض وما بينهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص
الحمد بفاعلها جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلها
والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية و
هذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية واياما كان ففيه امتنان
على ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه اولا وامنه اولا ونحو ذلك ملابسة مصححة للاتيان بمن التي تتوسط بينهما شيء من الظروف
لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى
وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس
الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فتوسيط الكلام حتى اذا اقتضى الحال
وقوعه عدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين او ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وترتيب اشتمال
الاخر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث
قيل ان الظرف مفعول ثان للجعل وقد اشير هناك لما ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم
الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة والاول محذوف على ما
حرر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على
النور لتقدم الاعلام على المكان مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي كما

لاقتضاء العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق للانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم
لمضمونها واجتراءهم على ما يقطع ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة
ذاته وباعتبار ما افضل من شؤنه العظيمة الحاكمة بالموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا
يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه ان يسوون به غيره في العبادة التي هي اقبح غايات الشكر الكفر رأسه الحمد مع
كون كل ما سواه مملوكا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات
التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جاري مجرى الضمير
لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك محل باستبعاد ما اسند
اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تحقيقا لكمال زيادة التشنيع والتقبيح و
التقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول
لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية
المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأن الجليل واما جعل الباء صلة للكفر واعتبار يعدلون
من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
فيزدادون كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل
لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل احد الشرين عدة في الكلام مقصود الافادة كما في اخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ
عنه حالا على عهدة الكلام السديد بتكييف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى
خلق ما خلق حالا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه كما لا يخفى وقيل انه
ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد
لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم بسلك الصلة المنبئة عن موجبات
حمده عز وجل حقا ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولزوم الجلة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء
ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده بتعسف
لا يساعده النظام وتكيس يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما يلوح عنه الآيات الآتية تشنيع
الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا ببيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية
اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف
المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فاعرفه فانك بما هو من روادفها وقد عرفت ان
المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتامل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استيناف مسوق لبيان
بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم بعد مع معاينتهم لموجبات
توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها
واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان خلق الزراع يشهم
فد لالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتقاعي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع
والتوبيخ الى ابتداء خلقكم منه فانه الاولى للكل لما انه منشاء آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب
هذا الخلق الى المخاطبين لانهم آدم وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم
بخلقه دم منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة
الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ
من انشاءه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على
فطرة آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا

كل احد من فروعه منه ولما كان خلقه وهم على هذا النمط السار الى جميع افراد ذريته بديع من ان يكون ذلك مقصورا
على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء
خلق المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعلا وفعلا ولقد درجنا ان التنزيل وعلى هذا السبيل ورد قوله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم
منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض
وايا ما كان ففيه وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث بالايخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة
الحياة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل احد منكم اجلا خاصا منه
اي حدا معينا من الزمان ينتهي عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وما بين تقدير آجالهم
حسبما يقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في
قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو قوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا بكى من خلفها انصرفت
له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده
مع ان الشائع المستفيض هو التاخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واني اجل سمي
مثبت معين عنده علم لا يتغير ولا يتقيد بوقت حلوله احد لا تخلفا ولا مقصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا
وتعريبا بناء على ظهور امارته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا اتما من باعتبار كونه غاية
لمدة بسهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل الاول هو كونه آخر مدة
الحياة لكونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول
ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على
كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى
موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان بارا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان
فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا
في كتاب لمنع عدم تغير الاجل عن عدم تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل المسمى المنوط بعلمه
تعالى والالتفات بتنويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومقضيا من غير
ان يقع فيه شيء من التدابير كما يستلزمه الحمل على المعنى المذكور مخل بذلك قطعا ومع زيادة الاجل ونقصه معا
روي تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم
لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفس مع مشاهدتكم انفسكم من الشواهد بما
يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات
البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها و
قارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل
الى حين والثاني اجل لما بقي اواني الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه حالا وهو له
اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى
بحيث ارد به احد ما ذكر من الامور الثلثة فمع اي شيء تمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه
الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا و
عظاما أئنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور مما يقتضي مرارات الاستبعاد والاستنكار وقوله
تعالى وهو الله جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات
واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد في قضاء

بيان كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى السموات والارض متعلق بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم
الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كما قيل وهو المعبود فيها واما باعتبار انه اسم اشتهر
به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من الملكية الكلية والتصرف الكامل حسبما
يقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من ملك الخشبة فصار كانه قيل وهو المالك او
المتصرف المدبر فيها كما في قوله تعالى وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد من الاعتبارين ان الاسم
الجليل يحمل على معناه اللغوى او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل يجرد ملاحظة احد المعانى المذكورة في
ضمنه كما لو حظ مع اسم الاسد في قولك اسد على في الحمام اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى
جريه على وبهذا يتبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اى هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف
المشهور بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما ونحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر في الاسم هو
نفس الوصف الذى اشتهر به اذ هو الذى يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا اشتهاره به الا ترى ان كلمة على في
المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الجملى من
التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تفرد عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى
خاصة كانه قيل وهو الذى يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذى سبق من اعتبار معنى التوحد
او القول في فحوى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد
جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على
تنزيل علمه المقدس عن حصول القصور والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على تقدير
التمثيل المبنى على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما
فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اى ما اسررتموه وما جهرتم به من
الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا للمضمون وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله
لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثانى
فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل المبارك على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة
علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الوجه الثالثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما
قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما
يعبد ويخص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بكمال
ولا ريب في انتفاء ما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم به بكلية بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية
بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا يتبين انه ليس ببيان على الوجه الثالث ايضا لان التوحد
بالالهية لا يعتبر في مفهوم العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية
وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر اكثر من جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل والخبر والاسم الجليل جميعا
من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو في
وانت خارجه ولعل جعل سركم وجهركم فيهما لتوسيع الدائرة وتصويره بانه لا يغرب عن علمه تعالى منهما في اى مكان
كان لا لانها قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اى ما تفعلونه طلبا
نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق
على التفسير الاول للستر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو الستر اعادة ويعلم وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد بيان ان الآية الاولى
اشتراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتزاجهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته

والالتفات

والالتفات للاشعار بان ذكر جنايتهم قد اقتضى ان يغرب عنهم الخطاب صفعا وتعديد جناياتهم لغيرهم وذما لهم وتقبيحا لحالهم
خانا فية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددى ومن اولى مزيدة للاستغراق والتنا
بتعييضه واقعة مع مجرورها صفة لآية او اضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما
اضمروا عليه في حقها والمراد بها الآيات التنزيلية فانها نزولها والمعنى ما تنزل اليهم اية من الآيات القرآنية التي من جملتها
ما تيك الآيات الناطقة بافحش من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة
علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اى على وجه التكذيب والاستهزاء
كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فانها وان ظهرت دلالتها على المعنى المذكور
آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤنه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين
للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان بكونها واشتماله على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت
عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في كانوا ومن فاعله التخصص الوصف لاشتمالها على
ضمير كل منها وايا ما كان نفيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة
لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذى اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية
آية سمعت عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له بل على انه عين الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة
وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد تحقق ذلك المعنى كلما قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاءوه اى فعلوه من الظلم والزور عين
قولهم المحكى كلمة لكان مغايرا له معنى واشتمل منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك
مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج في اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء
اظهارا للغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به آثر ذى اثير له عواقب
جليلة ستعد ولهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بالايمكن تكذيبه اصلا من غير
ان يتدبروا في حاله وما له ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
ولما يأتهم تأويله كما سينبئ عنه قوله تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن فان ما عبارة عن الحق المذكور
عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما في خبر القلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات
العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النباء لا يطلق على الاعلى خبر عظيم
الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته تأباه الآيات الآتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة
وتقريره اى في اتيانهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذى كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه
وانما قيل يستهزؤن ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان ايرادها بالآيات القرآنية وهو
الاظهر واما ان يراد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل
ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها وما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذى
هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات
كلها كذبوا بالقرآن فخما شيء تنزيه التنزيل عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استيناف مسوق
للتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيحق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستئناف وهمزة الانكار لتقرير الرؤية
وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مسد
المفعول الى خبرها مسد مفعولها منصوبة بما هلكنا على المفعولية عليها انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن تمييز لها على انها عبارة

عن اهل عصر من الاعصار ستوالي بحيث لا تقترانهم برهة من الدهر كما ذة قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم
الحديث وقيل هو عبارة عن مدة تحوي الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على
الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فمختلف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي اهلكنا اي الم يعرفوا
بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف و
اقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض استيناف لبيان كيفية الاهلاك
وتفصيل بادية مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرون لما
ان النكرة تتخصص اذا وليها ما يصلح لتخصصها لها تعين وصفيتها لها وانت خبير باه تنوين التخصيص مغن له عن
استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون معنونة ومعنون ما عطف عليه من الجمل الاربع امر مفروغ عنه غير
مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرون موصوفين
بكذا وكذا وبما هلاكنا اياهم بذنوبهم وانه يتأتى الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها والمراد جعلها حقا له و
ردا لاستعمال بكل منهما قتيل تارة مكنة في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناهم فيه واخرى مكن له في الارض
ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى الم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في
الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم او في الثاني الم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف
محلها النصب على المصدرية اي مكنا هم تمكينا لم نمكنكم لكم والالتفات للمبالغة في مواجهتهم بضعف الحال مزيدا بيان لشان
الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب او المظلة
لانها مبدأ المطر عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي غزيرا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرنا ها قوله تعالى
تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأنا ها في حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على
كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعذيبهم
بل بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب وبتاتهم الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم
شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاسباب الدنيا
في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعطها اهل مكة فعصوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل
قرن من تلك القرون بسبب ما اختصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحق بهؤلاء المثل ما حل بهم من
العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه وانشأنا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك
كل قرن قرنا آخرين بدلا منهم لبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص
من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
بيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتسرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم
بالحق واستحقاقهم لنزول العذاب وتنبيه النازل ههنا اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات الى ذاته تعالى
للاشعار بتوجههم في نبوته عليه السلام في ضمن توجههم فيما نزل عليهم صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر الحارث
وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند
الله ومعه اربعة من الملئكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك لرسوله كتابا ان جعل اسما كالانام فقوله تعالى
في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بفعله
نفسه اي الكتابة وقيل القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا باليد لزيادة
التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تعهدنا امرها بمسه بايدينا او غيرها
بحيث لم يبق لهذه شائبة اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع

الموصول

الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حاله على من له ادنى فطنة بما عبنا وفهومه الكفوف
ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا اقتضا وغاد البين بعد ظهور كما
هو داب المفحم المحجوج ودين المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوة عليه السلام صريحا
بعد الاشارة الى قدحهم فيها ضمنا وقيل معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان كلمة المقالة الشنعاء ليست فايقدر
صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما عنت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه ام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روى عن الكلبي
ومقاتل وبنظره قولهم لولا انزل اليه ملك ليكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو
جعله معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان
في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاءه وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا في الحال
وقد اشير اليه الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو انزلنا ملكا على ما هو حقه حسبما اقترحوه والحال انه من
هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية الا بري ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا
يأبون ان يروا الملئكة عليهم السلام على الصور البشرية كضيف ابرهيم ولوط وخصم داود وغير ذلك وحيث
كان شانهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك اقتضى امر
هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لافناء العالم بما عليه جمهور نظام الدنيا و
الآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل للمفعول الجر
على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به
كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار نا ومفاجاة العذاب اشد من نفس
العذاب واشق وقيل هو سببا هلاكهم انهم اذا عاينوا الملك تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة وحي آية
لاشك ابين منها ثم لم يكونوا بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم
واما الثاني فبقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام
وانما يجعل الملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال لو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا
لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الغرض والتقدير وعلى الاستلزام كما انا هو ملكية النذير لا نذيرية الملك
وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتداء والثاني خبره كونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتداء والخبر
ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو مجعول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها
بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام انتفاء الاول مفصلا واثباتا لانتفاء
ولذلك جعل مقابلا بالجعل الثاني كذلك اباته كمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع
اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحتموه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة
الملك على هيكله وفي اثيار رجلا على يشوا ايذاه بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق تلك الحقيقة وتعيين لما يقع به
التمثيل وقوله تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب الكتفاء
بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ
بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم بان يقولوا له انا انت بشر
ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما
كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولوا ظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا بالنظر الى الكونه

في صورة اللبس او كونه سببا لفهمهم او لوقوعه في محجة بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير مكان كانه قيل كونوا فعلنا ما لا يليق بشاننا من لبس لامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم ما يلبسون على انفسهم الساعة ما كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تقدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اى ولقد استهزئ برسل اولى شان خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اى احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اى استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم والما موصولة مفيدة للهاء ول اى فاحاط بهم الذين كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله والما مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما نعلت الامم الخالية وما نزل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم باثارة قومه وتذكيرهم بالجوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من الوعد اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد اخر ذلك يوم بدر اى انجاز اى سيروا في الارض لتوقفوا حوال اولئك الامم ثم انظروا اى تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في آثار الهالكين لا يتاتى الا بعد انتهاء السير الا ما كنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب الشيء ليس الا كونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر الاول للاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني للايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر وجملة النصب بنزع الخافض اى تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابتهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اى لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتقريرا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما تنطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستانفة واقعة تحت الامر مناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم لمعرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا الكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهم ولا ايضا مسلك الغابرين وجمع كتب الرحمة على انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد والكواكب والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات

الذات

الذات المقتضية للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة كما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى لا ريب فيه جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد على اثر الكم واغفالهم النظر اى والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شركم وسائر معاصيكم وان اهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اى ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه اى في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اى بتضييع راس المال وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اى اعني الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتدا وجزء قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اى لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان تعبيرا عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالتسكن فيهما وتقدمه بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما لقنهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اى معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت النيابة على المفعول الاول لما علم ان المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الخ فاطر السموات والارض اى مبدعها بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يفصل الفصل بينها بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل كان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه اولانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق وعلى الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى أغير من هو فاطر السموات والارض ما هو منزل عن رتبة الحيوانية وبيانها للفاعل على ان الكاف بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجه لله فاخلصاله لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اى وقيل لا تكونن من المشركين اى في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر قل اني اخاف ان عصيت ربي اى بمخالفة امره ونهيه اعم عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق ودخوله تعالى تحت عذاب يوم عظيم اى عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفي قطع الاطماع الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اى العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اى في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اى عذاب يومئذ فقد رحمه اى نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار

وادخل الجنة فقد فاز والجملة بيتا فقد مؤكدة لتهويل العذاب وتحقير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي
وذلك اشارة الى القرب الذي رحمة لانها مؤلة بان مع الفعل ما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة وبعد مكانة
من الفضل وهو مبتداء خبره قوله تعالى الفوز المبين اى الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام
للقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اى ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اى فلا قادر على كشفه
عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شئ قدير ومن جملة ذلك
فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وجعله على تاكيد الجوابين
بإياه الفاء وذكرة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل
من شعر ثم اردف خلفه ثم سارنى طيا ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن
بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان
يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر
فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى كل ما يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم
واللام فى المواضع الثلثة للقصر قل اى شئ اكبر شهادة روى ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد
لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك رسولا فانزل الله فلله
فاى مبتداء واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه الايذان
بتعينه وعدم تقدر تهم على ان يجيبوا بغيره اولا نهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد هم فى انه اكبر من كل شئ بل فى كونه شهيدا فى
هذا الشان وقوله تعالى شهيد خبر مبتداء محذوف اى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد بينى وبينكم
هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة و
اوحى الى اى من جهته تعالى هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتى لانذركم به ما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر
الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغهم من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم
الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلافا لمن ذلك بطريق العبارة فالكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا
فى غير الموجودين وفى غير المكلفين يومئذ كافرة اول سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
تقرير لكنهم مع انكارهم واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به بانه باطل صرف قل تكرير للامر للتاكيد انما هو اله
واحد اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني برئ مما تشركون من الاصنام او من اشراكهم الذين آتيناهم
الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى اخر عن تعيين الشهد مسارعة الى الزامهم
بالجواب عن تحكمهم بقوله فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل
وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بوضوح الحال عند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشتبهون ذلك اصلا روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال لعمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الآية وكيف هذه
المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى لا ادرى ما صنعت النساء
واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اصل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر
الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم وقيل الموصول
الرفع على الابتداء وجملة المقدرة بالفاء لشبه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتداء محذوف اى هم الذين

خسروا

خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة
الذين آتيناهم الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبى الموعود فى الكتابين بخلاف اوصافه عم
فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملئكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان
يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض للانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف العام
والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان اولا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من
كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل للجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الا ترى الى ما
فى ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما فى باب المفاعلة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاز لم يكن احدهما
ازيد تحقق التفاوت لا محالة او كذب بآياته كان كذبوا بالقرآن الكريم من جملة الآيات الناطقة بانهم يعرفونه وهم
كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيرها نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآيات الله تعالى وكلمته
او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاشتد الامر فيه
انه لا يفلح الظالمون فضلا عما اتبعتم الله انى يفلحون وهذا تقرير لما قبله من زيادة التفاوت بين الشيئين
وفائدة تصدير الجملة بانه الايذان بتعاظم مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر
الا شان مبهم لم يخطر ببال الذهن متربصا لما يعقبه فيتمكن عند ورود كمال تمكن وفضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو
انه لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بهم فى الغاية
القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه
وانى باداء الى عدم استطاعة السامعين لساعة كمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية الناصة كانه قيل ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول لهم ما نقول من الاحوال والاهوال مالا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضى للدلالة على
التحقق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف
والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل وليتقوا او ليعتبروا ويوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم
يقول بالياء فيهما للذين اشركوا اى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد اين شركاؤكم اى
الهتكم التى جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ
عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون اى تزعمون شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المبنى عن غيبة الشركاء
مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص
انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرى من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى حينئذ
بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة انما يلزم عدم حضورها بعد ما جرى ذلك الموقف وانما تنزل عدم حضورها
بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها فى الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث
انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب فى ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهى من
حيث هى شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اضعاف ما كانت او غيرها ولما ما يقال من انه يحال بينها
وبينهم فى وقت التوبيخ ليفتقد وهى فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها فيرتاحوا امكان خزيهم وحسرتهم قريبا يشعر بعدم
شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانفضت عروة الماعنهم
عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب فى البرزخ وانما الذى يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى
واليقين القوى المترتب على المعاينة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتانيث الفعل مع رفع فتنتهم على انه اسم لو الخبر
الا ان قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما فى قولهم من كانت امك وقرئ
بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها النسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا فى يوم نحشرهم كما اشير اليه
فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى

لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به بناء من الاشياء الاجوده والتبر وعنه بان يقولوا واللہ ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم
عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرء من الاشراك وقرئ ربنا على النداء وقنوا لانها
الفراغة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة
والدهش وحملا على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وعلمنا في الدنيا انا على خطا وفي معتقدنا حالا ينبغي ان يتوهم صلاحا
فانه فايوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك محال هول اليوم قطعا على انه قد قضى ببطلانه
قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم القريح بانكار صدور الاشراك عنهم نحو الدنيا اي انظر كيف
كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فتحمل بعجيب تنزيه ساحة التنزيل عنه و
قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب او معدية او موصولة قد حذف عائدها
والمعنى انظر كيف كذبوا بالبين الفاحة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم ان زال وذهب
افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى تنوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا منه بالمرة وقيل اعادة عن التبرء والتقاع
الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالهم الاخيرة والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امر ما كانها نفس الافتراء
وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدا وسوق لحكاية ما صدر في الدنيا
عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا
ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما هو قوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ
ومن موصولة او موصوفة تخلوها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع
اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقدر في تفسير قوله
تعالى ومن الناس من يقول الراوي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون
تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والكعبة جئت
بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان
اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعدي بعلى لتضمنه معنى تلويهم
راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى بقوله تعالى ومنهم من
يستمعون اليك الآية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنته
من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدر ما قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على
قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يسمعونه من
القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كالذي قبله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال
جهلهم بشؤون النبي عليه السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول
سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا لهو بنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية وانت جنبا بان مرادهم
بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عليه السلام جهلا وكفرا من انتفاء فهمها وما وصاف مانعة من التصديق
والاياه كون القرآن سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي عليه السلام لا الاخبار
بانتفاء امر وارادة ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يكون جعل النظم الكريم عليا ذلك وان يروا كل
آية من الآيات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لاعلى نفي العموم اي كفروا بكل واحد
منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي لامر من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة
هي قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين كفروا وبينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير فما
لهم بانهم صيروا انفسهم بالعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك فجادلين لك

لا يكتفون

لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا الا اساطير الاولين
فان عد احسن الحديث واصدقه الذي لا اباطيل الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل و
الخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان تكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك
حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع سطر
وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل الستطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور
للقرآن اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعدة من قبيل الاساطير بل ينهون عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته
فيؤمنوا به وينأون عنه اي يبتاعدون عنه بانفسهم اظهار الغاية نفورهم عنه وتاكيد النهي عنه فان في ضمن
الناهي عن المنهي عنه من متممات النفي ولعل ذلك هو السر في تاخير الناهي عن النفي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه
الصلاة والسلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل مجيئه باعتبار استتباعه لاتباعه فان كان نهي قريش عن التعرض
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة و
ابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا
محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت وان
يهلكون اي ما يهلكون بافعالهم النهي والنأي الا انفسهم بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا
وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقصرون الاهلاك
على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا بانها هالكة انفسهم ولا باقتضاء ذلك عليها من غير ان يضر ذلك شيئا
من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي من غيرهم مطلق الضرر اذ
غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم المعانقة في تمشية احكامه وظهور امر الدين للايذان بان
ما يحيق بهم هو الهلاك للاقدر المطلق على اداة مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي فيصير
على انفسهم مع شموله للفريقين مبنيا على تنزيل عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار
شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح الحكية مع كونه
كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال
سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا تختص استغرابها برأي دون رأي حتى اعتادت شانا من
الامور العجيبة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من حصولها وفظاعتها وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا
بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على
النار حتى يعاينوا ما لا يرى مالا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا
وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفه على كذا اذا فهمه وعرفه وقرئ وقفوا على
البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا نقالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وجهات و
لان حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة باتقائها اذ
هي التي تخطر ببالهم وتحضرهم على ان فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا و
نكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتة لا ترى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصبا الفعلين على جواب التمني بإضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقيل
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن اخي فلا نكذب ونكون بالعطف ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل
المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر يقدر قبله مصدر متوقع فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب

وكونا من المؤمنين وقرئ برفع نكون على انه كلام مستانف كقوله دعني ولا اعود لي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف
على نرد او حال من ضمير فيكون الاخلاف حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة
بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فاكافيك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا
ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقدم وجهها بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن رغبة صادقة ناشئة عن رغبة
في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية
الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فلم تخرجهم الى ما هو مطلوبها قالوا الخ والمراد بها النار الخ وتقوا عليها اذ هي التي
سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وبا خفائها تكذيبهم بها فان التكذيب
بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة والاشارة على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه اشد بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا المراعاة ما في مقابلته
من البدو وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم والمراد بما يخفون من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم
وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحائفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركائهم الذين كانوا يجحدون بها في بعض
مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة
عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي عليه السلام ونعوته الشريفة بين عوامهم
عيان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين
فبعد الاغضاء عما في كل منهما من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا ما عرفت من ان سوق النظم
الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وتذكير وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية
والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالغاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط
النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسناد ما الى شيء من الامور المذكورة
التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يعجب تنزيه ساحة الكبرياء عن امثاله والمراد ما قيل من ان المراد ما
كانوا يكفون عنه من قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا
حسبما تمنوه وغابوا عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب
المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهدون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم دينهم الكذب
في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما
للايذان باعتراض سوق التقرير لما افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لأوهم ان المراد تكذيبهم في انكار حرم البعث والمعنى
اوردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا وما نحن ببعوثين بعد فناء قتنا
هذه الحيوة كما لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو نرى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالكلام
مرة في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل
عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام
السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال ليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور
العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وتوبيخا لهم عند سماع ما يتلوح به مما هو يحق وما هو الا باطل قالوا
استيناف كالسبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بارعية
والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب
على اعترافهم بحقيته ما كفروا به من الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا
بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل

كفرهم

كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ انما يقع بعدما وقعوا على النار فقالوا ما قالوا الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الا
الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم الكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب
خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث والحاقه المتفرعة وتسجيل
على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا مقدر بغتة
البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اذا فجأه وانتصابها اما على انها
مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر
فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر ملاق لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم
الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان
كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت
قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعة على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شأن الساعة
وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها والاكتساب للاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب
الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل
هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط على السبق لغيره ناله تضعيف فيه للسلب
كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا نادة الايذان بان عذابهم ليس
مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزوال بل يقاسون معه ذلك تحمل الاوزار الثقال والاياء الى ان تلك الحسرة من الشدة
بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والتعبير عن العذاب الروحاني الذي هو من الجسماني نحو
برحمة الله عز وجل منها والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر
الايدي في قوله تعالى بما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم
يتحملون على ما لم يعلوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزارا عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل
مقرر لما قبله وتكلمة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء
الحيوة الدنيا حيوة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل
يشغل النفس ويفرغها عما ينفع به واللهو صرف عما ينفع به والجد المال الهزل والمعنى ما عدف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
نفس اللهو واللعب مبالغة كما في قول الخنساء تأتم اقبال وادبار اي واما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة
بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل لكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من
منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية
من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التي هي محل الحيوة الاخروي خير للذين يتقون الكفر والمعاصي
لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا
ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي افتفقدون فلا تعقلون او الا تتفكرون وقرئ يعقلون
على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزن
الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل
وان ما يفعلون في حقه راجع اليه كأنه في الحقيقة وانه ينتقم منه لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما
ذكر المفيد لتأكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحو ما ذاجها المعنى
التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله ولات حين مناص فتأمل اتاهم بعد الوفود وفود جريا على سنن
العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول ربت فارس عندي
وعدة مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل

كثيرا عنده فضلا عن تكثير الرسل وعليه قوله عز وجل تبا يوم الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة اناالملك
عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تكوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة اوادعاء كما في البيت
وقوله فدا تركك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو
متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك
وعائده محذوف اى الذى يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك
من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من الكناية
عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعده هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام
جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه عليه السلام لخاصة نفسه
بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا
غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآيات الله سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت للآيات الله تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ايذانا بكمال القرب واضمحلال شوائبه عليه السلام في شان الله عز وجل فهم فيه استعظام لجنايتهم مبنى عن عظم عقوبتهم كانه
قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم بتكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
اى ولكنهم بآيات الله تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذى جحودهم هذا فرد من فنونه
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آيات الله تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان
بان آيات الله تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكر ما بطريق الجحود الذى هو عبارة عن الانكار مع العلم
بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال ان نفي في القلب اثبات واثبات ما في
القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلم وقيل هي لتضمين الجحود معنى التكذيب
ولما كان تقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى انهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما
روى من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد
غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا
يكون لسائر قريش فنزلت وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فنزلت انه لا
يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانكم عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات
الله كما يروى ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا
به فنزلت فكان صدق المخبر عند المخبر بمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذى يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا
يكذبونك من الاكذاب فيقال كذبته واكذبته بمعنى واحد كاكرمته واكرمته وقيل معنى التكذيب وجده كاذبا ونقل
عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اى نسبت الكذب اليه واكذبته اى نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى
ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسلية عليه السلام فان عموم البلية رب يهون امرها بعض تهوين وارشاد
له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من امهم من فنون الاذية وعدة
ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتقدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن
اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد كذبت من قبلك رسل او لواشان خطير وذو
عدد كثير او كذبت رسل كائنا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على
كذبوا داخل معه في حكم التسلية منهما مصدران من المبنى للمفعول اى فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتأس منهم واصطبر على
ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب
اياه غالبا واما كان تخفيفه تاكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تعالى

حتى اتاهم

حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة و
الالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله
من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة
على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد
الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى
جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالب اصلا في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى
خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين جملة قسمية جيء بها للتحقيق والتاكيد ما فيه
من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور
والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار معنوته اى بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من
نبإ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية وايا ما كان فالمراد بنبإهم عليهم السلام
على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين امهم على ما ينبئ عنه
قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا
الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا
الخبر كائنا من نبإ المرسلين ولما كان كبر على المعرضين اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب التصبر المستفاد من
التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اى ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن
الكريم حسبما يفصح عنه ما حكى عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث
بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند
الله كما كان الانبياء تفعل وانا نفتك فانا بالله ان يأتيهم بآية ما افتروا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشق ذلك عليه لكمال شدة الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم
فنزلت فعلى هذا اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر
والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذى هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم
وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين تفعل
فان استطعت الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم
عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان يجيبهم الى ما سألوه آية اقتراحا
فان استطعت ان تبتغي نفقا اى سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اى مصعدا
في السماء تعرج به فتاتيهم منها بآية ما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤها نفس الاتيان
بالآية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اى فان استطعت ان تبتغيها فتجعل ذلك آية لهم
فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون
الا في الارض او يبتغي وقد جوز تعلقها بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اى ان تبتغي نفقا كائنا في
الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تناهي حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى
حيث لو قدر على ان يأتي آية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء
على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى اى لو شاء الله ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعل بان يوفقهم الايمان فيؤمنوا

لما انه دم ه

معكم ولكن لم يشأ لعدم توجيه اختياركم الى جانب الهدى مع تمكنهم التامة منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لانه
تعالى لم يوفقهم لموجبه تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن
الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم
والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات تلطفا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا
عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالجرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم
من الجاهليين بدقائق شؤنه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيته تعالى بايمانهم اما اختيارا لانعدام توجيهاته الكلية
واما اضطرارا لخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الاول المقترحون
ويراد بالنهي منعهم من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو
الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة
من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق كونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة و
الاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر
دون الموتى الذين هو لا منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاضطرامه
تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باقتضائه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لكمال اصرارهم على
الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة اه
يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء غ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على
البناء للفاعل على من رجع رجوعا والمشهورة او في بحق المقام لابنائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل علينا آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم من بيان
ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الكفالة و
الطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لعظمتها الجبال حتى اجترؤا على ادعاء انها ليست
من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فما سياتي
وما يفيده التوسل لعنوان ربوبيته تعالى عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من
جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة
لا آية ما من الآيات لفساد المعنى بجارة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال ملئكة
العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة
القدرة الباهرة والاقتدار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للانذار بان
عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله
تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول محذوف بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه
محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية من ذلك او آية واية آية ولكن اكثرهم جهلاء
فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قطعا لاسباب التكليف المبني على قاعدة الاختيار
او استيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا وتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم
لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض
الخ كلام مستانف لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الآية
وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة في تاكيد الاستدراك وفي متعلقة بمحذوف هو صفة لدابة
مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما من دابة من اقل الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف

في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطير يطير في ناحية من نواحي الجو
بجناحيه كما هو المشاهد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كما في قوله تعالى وما دابة ولا طائر الا امم
اي طوائف متحالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دابة ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مشاكلة في
ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على اسداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية
والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شئ يقال فرط في الشئ اذا ضيعه وتركه قال ساعدة بن جوية
معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرطت الشئ اي اصل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله
تعالى في الكتاب اي في القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شئ مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق على تركنا
في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع المخلوقات على ما ينبغي وعلى الاول مفعول
للفعل ومن شئ موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل الامر من ذكره
وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح عالما دالا عتراض الاشارة الى ان احوال
الامم مستقصاة في اللوح غير مفصوة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون
بيان لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضمير ما على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم
والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيمة كذا بكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى
يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها واياه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى
والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله تعالى كما فرطنا في الكتاب من شئ والموصول عبارة عن المشهورين في قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك الآيات وجعله الزمخشري مبتدا خبره ما بعده واورد نافي القرآن جميع الامور المهمة وازاحة به
اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وتكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك يستجيبون
دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبران للمبتدا
على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كما قيل ضالون
كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال
فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهم بعبارة وكذا يشعر غيره بما في ضميره
بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فيتعذر عليه بيان الفهم
والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل
الطبع لا يتاتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا وجزء ما بعده ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعه
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغاية في تعلقها به اي من يشاء الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال
مضلله اي مخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله
وقوله تعالى ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه
قل ارايتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يكلمهم ويلقمهم الحجر بالاسبيل لهم الى النكير والكاف حرف جئ به
لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وبنية التركيب وان كان على الاخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد
به الاخبار عن متعلقها اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي
او اتتكم الساعة التي لا تخص بها البتة اغير الله تدعون لنا مناط الاستخبار وخط التبكيت وقوله تعالى
ان كنتم صادقين متعلق بارايتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور
عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما تدعون فادعوها للكشف والاغاثة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني
اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان طبعهم باق على ما كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه

في قوله

والمجيب ما يدل عليه قوله تعالى بغير الحق اعتراضا بين الفعل وغيره للتنبيه على ان دعوته تعالى غير الله تعالى ليست بالحق اصلا وانما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى وهذا اتيان ما ياتي لا تفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة محذوفة ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار اتدعون آلهة جعليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشف اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يفعله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يفعله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي هو من جملة الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركونه به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستأنف سيق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف فان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم الى ان كذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الفرد الآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي كي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن قست قلوبهم بغتة جيئة بغتت قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اساء الي وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما هو الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع عند سوى قسوة قلوبهم والاعجاب بما هم فيه من زينتها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال بكرا بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بأن التذكير الجملة غير خال عن النفع وصحة قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام وخلت عن الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل عليه كانه قيل فغفلوا ما تفلوا حتى اذا الخ فوا بما اتيح لهم وبطروا وابشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحيرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم حيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي بعده ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة للمعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا يستهان بما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبليت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون فجائيين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما

يرده من المدركات فاخذهما مستتبع لبابه بالكلية وطوسترة تقديم اخذهما على ختمها والايذان بتقدم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من آلهة غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكرر لهم ونقرر بها مصروفة عن اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على تصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدودهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او نهارا كذا قوله تعالى بياتا او نهارا والمآل واحد فيما اتى ليلا بغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما نصبان على موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق بالاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بأن مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وصفهم اللازم وضع الآيات وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا وقال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وبأيا تخصيص الاتيان بهم وقيل الالتفات بمعنى النفع فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك المتعذب والتخطط لتحقيق الحق باخراج غير الظالمين لا انه ليس بطريق التعذيب والتخطط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهل ما يجدية واستغل بالا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من التهالك وما نرسل المرسلين كلام مستأنف سيق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ما يفترضه الكفرة عليهم مما ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيها معنى العلة الغائية فطما اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم العقاب على المعصية اي يخبروهم بالخبر السار بالخير الضار وينوبا كان اواخرويا مما يكون لهم دخل ما في وقوع الخبر به اصلا وعليه يدور القصد والالزم ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة صحة المقام وجمع الضمائر الثلثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضمير في السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لانه يعتريهم كلهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائها لا ابتداء انتفائها وتوجيه كون الخبر الجملة الثانية مضارعا مع ان المقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الايرى ان الجملة الاسمية قد تكون بعينه المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيد اضربت مفيد لاختصاص النفي

لا نفي الاختصاص كما يأتي في قوله عز وجل والذين كذبوا عطف على آمن وداخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا
اشارة الى ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم آيات تتلى وان من آمن به فقد آمن بآية تتلى
ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى وللمبلغ ما ترسل المرسلين الا تبشيرا
امهم من جهتنا بما يسرهم من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم او لاستدعاء من
قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فانما كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا بتبشيرا او انذارا فان ضمن آياتنا
واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي تلمحوا عند
التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنس المنتظم له
انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استيناف مبني على ما تحسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال
الكتب مسوق لاظهار تبرءه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل
الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا او اتوسط
حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرءا
عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله ولا اعلم الغيب عطف على قل عندي خزائن الله اي ولا ادعي بضا
اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم اني ملك
حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يليق بالبشر من الترقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفات
تادحة امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه
الاشياء الثلثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه
من الرسالة اليه لما تعلق لها بشئ مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهته عز وجل والعمل بمقتضاه
فحسب حيثما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه
القصر الى المفعول بالقياس الى المفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد عما توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي
في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس
الى ما يغايره من الافعال لكن باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يمكن
من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المنع المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كذلك مثلا يحل عند التحقق
المنع مطلق او مدلول لفظ الفعل والى منع خاص يقوم مقامه فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم منع فلان بعطي
ويمنع بفعل الاعطاء والمنع فورد القصر الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل
ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه
اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استوائهما بل لا
يعلم ما ذكر من الحقايق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى
وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى أفلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي الا تستمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او تستمعونه فلا تتفكرون فيه فتمتاطوا التوبيخ
في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعد ما
حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتعريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة
المعجزات القاهرة فربما يفيت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت
والالزام ما يقمعهم الحري القمام فابوا الا الاباء والنكير فما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افاد فيهم الانذار الا الاصرار
على الانكار امر عليه السلام بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التأثر بالجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي

سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث الذين في شفاعة آبائهم الانبياء
كالاولين او في شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا
بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة
الاصنام منهم خارجون ممن أمر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم و
لا سياقه بل فيما يقتضي بلاستحالة صحة كما ستقف عليه والعبرة للمجوز لما يوحى او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني
للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بانه خير القبلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتعرف الكامل لتربية المهابة وتحقيق الخافة وقوله ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة
له فلما قدم عليه انتصب حالا فالحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما يتعلق به
الخوف هو الحشر على تلك الحال لا الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنفرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له
في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار والحال الثانية علة لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء
لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم
وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس
بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر بهذا الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على
زعمهم وعن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي حسواه تعالى لكن الخائفوا
الحشر بدون نصرة وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للانذار المذكور
يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امره عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المنقين نهى
عليه السلام عن كونه ذلك بحيث يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو
طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كبلال وصهيب وخباب وسلمان وامثالهم جلسنا
اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فانهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعد معهم ان شئت
قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان
عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرضة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشرافا بني عبد
مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا
وعقاقونا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب النبي عليه السلام فحدثه بالذي كلموا
فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر الى الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء
الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا
النبي عليه السلام جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا
يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم فجالسناك وحادثناك واخذنا عنك
فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا انا وفود العرب نستحيي ان توانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب وكنا
قعودا ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتينا وجلسنا عنده وكنا
ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحياء

ومعكم الملائكة والمراد بذكرهم الوقتان وقيل صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون اى يدعونه تعالى مخلصين له نيته وتقييده به لتاكيد عليته للنهى فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شئ اعتراض وتسبيب للنهى وجوابه تقرير لما ورد نفيا لما عسى يتوهم كونه سببا لطردهم من اقاويل الطاعنين فى دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادئ الرأى اى ما عليك شئ قاس من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الاكرام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربى وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شئ مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة فى بيان انتفاء كون حسابهم عليه على منظمة فى سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهوا انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وانما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقويم عليك فى الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفى على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعى الى تقدير عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى تهتك ايمانهم فيعرضوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب النفى وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهى وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استيناف مبنى لما نشاهده من التفاوت بين الناس فى الاحوال الدنيوية وذكره اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذى هو عبارة عن تقديره تعالى لفقر اء المؤمنين فى امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه فى امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وفحواه الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لافتتانهم والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اى ابتلينا بعض الناس ببعضهم لافتونا غيره قدمنا الآخرين فى امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم فى امر الدنيا تقدما كليا واللام فى قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اى ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهم من التفاوت الفاحش الدنيوى وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وعزلهم بذلك الخطاب وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لاحتقير الممنون عليهم مع الانكار بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك ابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اى اليس الله باعلم بالشاكرين للنعمة حتى يستبعد وا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى بيان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى فى تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتى العلم والعمل وتاخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهى عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم امر تبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذارهم مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبدا هم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اى قضاها وا وجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شئ ما اصلا بشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقوله تعالى منكم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع

الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤا الى النبى عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوء بدل من الرحمة وقرئ بكسر ان على ارادة القول للرحمة بطريق الاستيناف وقوله تعالى بجهالة حال من ناء على عمل اى عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدى الى الضرر اوعمله ملتبسا بالجهالة ثم تاب من بعده اى من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اى ما افسده بتدارکه وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اى فانه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استيناف وقع فى صدر الجملة الواقعة خبر المن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك فصل الآيات قدم آنفا ما فيه من الكلام اى هذا التفصيل البديع نفصل الآيات فى صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المجرمين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكير ان السبيل حاند كروتانث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بانه لفوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون استانفا اى ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبل على ان الفعل متعد وتانيثه للخطاب اى و لتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل انى نهيت أمر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اى قل لهم قطعا كما لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هو عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا انى صرفت وزجرت بالنصب على المفعولية لقل او نزل على من الآيات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اى عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهى والثانى حكاية لما من جهته عليه السلام عدم من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا بحيث يتوهم ان ما يتظاهر عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهى والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذن استيناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه مقرر لكونهم فى غاية الضلال والغواية اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اى دوام النفى واستمراره لانفى الدوام والاستمرار كما مر مرارا اى ما انا فى شئ من الهدى حتى اكون فى عداده وقوله تعالى قل انى على بينة تحقيق للحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيان لانتفاء اتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذى عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه والبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحى وقيل هى الحجج القاطعة العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم من ربى متعلق بمحذوف هو صفة كاشفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه بنى بها الاستقباح مضمونها و استبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضى عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجئ العذاب وقوله تعالى ما عندى ما تستعجلون به استيناف مبنى لخطائهم فى شان ما جعلوه منشا لتكذيبهم بها و هو عدم مجئ ما وعد فيها من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود فى القرآن وتجعلون تاخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقدرتى حتى اجئ به واظهركم صدقه اى ليس امره بمفوض الى فان الحكم اى الحكم فى ذلك

تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم جميعا فيدخل فيما ذكر دخولا اوليا الا الله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه
بوجه من الوجوه وقوله حق يقص حق اى يتبعه بيان لشؤنه تعالى فى الحكم المعهود او فى جميع احكامه المنتظمة له
انتظاما اوليا اى لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اى يقضى
القضاء الحق او على المفعولية اى يصنع الحق ويديره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل تماما لامر
واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلى
مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان فصل الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل فهذا هو الذى يستدعيه حالة
التنزيل وقيل ان للمعنى آتى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم
به غيره وانت جبريان ساق النظم الكريم فيما سبق ولما حق علوه وصفه بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم تحقق العذاب الموعود
فيها فكذبتم به بسجانه فلم التوحيد مما لا تعلق لها بالمقام اصلا قل لو ان عندى اى فى قدرتى وتحت تصرفى ما تستعجلون به
من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الى من جهته تعالى لقضى الامر بينى وبينكم اى بان ينزل ذلك
عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه و
تاويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى وما قيل فى تفسيره لاهلكتكم عاجلا عقيب الربى وتخلصت منكم سريعا بعزل من
توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب فى حوزته
اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل لمعنى والله اعلم بحال الظالمين حالهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج
لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى غيره فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص
المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن فهو مستعار لكمال الغيب كانها خازن خزنت فيها الامور الغيبية تعلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو
المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار ايضا لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى عنده
تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل بها اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو
الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لى حتى ازلكم تعجيله و
لا معلوما لدى لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص بالله تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح
وقوله تعالى ويعلم ما فى البر والبحر بيان لتعلقه علما بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل
بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء اى يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها واشخاصها وقوله
وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتفرعة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص كمال
السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكر ما عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون
احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفانية لحصر ما اعتبارا انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة
عطف على ورقة وقوله تعالى فى ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال تفوذ علمه تعالى اى ولا حبة كائنة فى
بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان فى حكمها وقوله تعالى الا فى كتاب مبين
بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ
وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو اللائق بالمقام لشمول
الرطب واليابس حينئذ فالبس من شائنة السقوط وقد نقل قراءة الرفع ولاحبة ايضا وهو الذى يتوفاكم بالليل اى
يتيمكم فيه على استعارة التوفى من الامانة للنايمين الموت والنوم من المشاركة فى زوال الاحساس والتمييز واصل القبض
الشد بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اى كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق فى كل فرد من افرادهما او بالتوفى
والبعث الموجودين فيهما بتحقق انقضاء الاجل المسمى المرتب عليها الاتى بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما
يوقع به تقديم ذكره على البعث اى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وتخصيص التوفى بالليل و

والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خلق بالآخر للجرى على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم فى النهار عطف على
يتوفاكم وتوسيط حوله تعالى وبعلم الخ بينهما لبيان ما فى بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من
السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى
كانه قيل هو الذى يتوفاكم فى جنس الليالى ثم يبعثكم فى جنس النهار مع علمه بما تجترحون فيها ليقضى اجل مسمى
معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احدا عنه لمحة عين ثم اليه مرجعكم الرجوع عبارة عن الموت لا الى غيره اصلا
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة
والمعنى انكم تملون كالجيف بالليل كالسبوتى للانام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فيثاب المطيع
بها اعمالكم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه
ما لا يخفى من التكلف والاختلال لاقتضائه الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو الظاهر فوق تناوله
اى هو المتصرف فى امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة لا غير ذلك
ويرسل عليكم خافظة ايها المكلفون حفظة من الملئكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى
الاستيلاء وتقديمه على المفعول العريق لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو
حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اى يرسل عليكم
ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفى ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه و
تعرض على رؤس الاشهاد وكان ذلك ازجر له عن تعاطى المعاصى والقبايح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتد عليه عفوه
وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الموكلين على احواله وصيغة قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت حتى التبداء
بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم
مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت وبادى توفته رسلنا الآخرون المفوض
اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين
وهم اى الرسل لا يفرطون اى بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بامره وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والتغيير
للكل الدلول عليه باحد هو السترة بحيث طريق الالتفاته تفليا والافراد اولا والجمع آخرا الوقوع التوفى على الافراد
والرد على الاجتماع اى ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اى الى حكمه وجزائه موقف الحساب مولاهم اى مالكهم
الذى يلى امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما زعم قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذى لا يقضى الا بالعدل وقرئ
بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع
الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفى الحديث انه تعالى يحاسب الكل فى مقدار
حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدايدها
الهائلة التى تبطل الحواصل وتدهش العقول ولذلك يستغيث لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كوكب اوصف بالخسف فى البر والغرق فى البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه
نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اى من ينجيكم منها حال كونكم داعين له اومن فاعله اى من ينجيكم منها حال
كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اى تدعونه متضرعين
جهارا وسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل لكنه على
تقدير القول اى تدعون قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التى عبر عنها بالظلمات لنكونن من
الشاكرين اى الراسخين فى الشكر الدائمين على لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التى من جملتها هذه وقرأ حفص

للايذان بانه مستقيمن عندهم ولذا يتولونه ثم انتم تشركون عليه اى الله تعالى يجيئكم وعده فانه يجيئكم الى كشف من الشدائد المذكورة وغيرها من الامور العظام والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره و قرئ يجيئكم بالتخفيف وقوله تعالى من هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استيناف مسوق لبيان انه تعالى هو المتفرد بالقدرة على القاهر على الاطلاق اثر بيان انه هو المنجى لهم منها وفيه وعيد ضمنى بالعذاب للاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل انا ملتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وقوله تعالى عليكم متعلق ببعث بتقدير على مفعول العرض للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يفرحهم ويكرمهم او بتاويل امر الموثوق او قوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم اومن تحت ارجلكم اى من جهة السفل كما فعل بقوم عوج وقارون وقيل من فوقكم كاملاككم و رؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكملة اولمنع الخلق دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح اويلبسكم شيعا اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة للامام فينشب بينكم القتال فيختل نظام امركم كقول الحماسى وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على يلبسكم وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة فى التحذير والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعيد ووعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سألت ربى ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كى يفقهوا او يقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اى بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اى العاذون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضى بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لمزيد الاهتمام باظهار الاصنام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اى كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق فى كل ما نطق به وقيل هو استيناف واما ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم و نهاية قبحها قل لهم منبها على ما يؤول امرهم وعلى انكم قد ادّيت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الىّ امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث انذرتكم بما سترونه لكل نبأ اى لكل شئ ينبأ به من الانباء التى من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التى من جملتها خبر مجيئه مستقر اى وقت استقرار وقوع النبأ او وقت استقرار ما يقع مدلوله وسوف تعلمون اى حال ما ينكر فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما معا وسوف للتاكيد كما فى قوله تعالى وتعلمن نبأه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا اى بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ومن دينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم قوله تعالى حتى يخوضوا فى حديث غيره غاية للاعراض اى استمر على الاعراض الى ان يخوضوا فى حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بما يغايرها مشيرا الى اعتبار ما يعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بنسيء النهى فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد تذكر النهى مع القوم الظالمين اى مهما نوصنع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك وما على الذين يتقون روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم فى الآيات قالوا لئن كنا كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اى ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اى ما يحاسبون عليه من الجرائر من شئ اى شئ ما على انه فى محل الرفع على انه مبتدأ و من تبعيضية او السلم لها وهى مجازية

ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او الاولى مجازية راى من لا يجيز اعمالها فى الخبر المقدم مطلقا او فى محل النصب على رأى من يجوز ذلك فيها فى الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفى السابق اى ولكن عليهم ان يذكروهم وينعوهم عليهم عاهم عليه من القبايح بما امكن من العظة والتذكير وينظروا لهم الكراهة والنكير وقيل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اى ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اى يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساآتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اى يذكروهم رجاء ان يتنبهوا على تقواهم او يزدادوا وما ذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه وأمروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او نبذوا امر دينهم على ما لا يكاد يتفاوته العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر و السوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم وللانبال باعمالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اى بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل نفس ما كسبت اى لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى على نفسى احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا يفلت منه او لانه يمنع ما يبسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما فى ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرة له فى الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم و زيادة التقرير كما فى قوله على وجوده لضئت بالآء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده المخفوض بمن المقحمة وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع استيناف مسوق لاضبار بذلك وقيل فى محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل على الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه فى قوة نفوس كثيرة او نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف وقع حالا من ولى كما يأتى فى تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر ليس فيكون لها متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اى ان تفد تلك النفس كل عدل اى كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المعتاد لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال وحلول الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اى اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استيناف آخر معين لكيفية الابسال المذكور ومعاقبته مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ما ذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء نهاية يتجرجر فى بطونهم ويتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بأبدانهم بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا او ترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه البهرة وايجاب العذاب والاحق بباب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصى والسيئات وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس وحلول الرفع بالابتداء والموصول لا صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعو من دون الله الا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد وتنويه بشأن الصديق رضى الله عنه اى اعبد من دون الله الجامع لجميع صفات الالوهية التى من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل

في حكم الانكار والنفي اى ونزداد تشريكا والتعبير عنه بالردّ على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع
ما فيه من الاشارة الى كون الشرك ردّة بعد ترك وبنذ وراء الظهر وايثار ردّة على ردّة وتوجيه الانكار الى الارتداد بردّ
الغير فقط لمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير زاد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج
الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اى الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنردّ مسوق لتاكيد النكير
لا لتحقيق معنى الردّ وتصويره فقط والا كفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كما قيل ونردّ الى الشرك باضلال المضل بعد
اذ هدينا الله الذى لا هادى سواه وقوله تعالى كالذى بهتوه الشياطين نعت لمصدر محذوف اى ننقلب على اعقابنا
انقلابا كائنا كانقلاب الذى بهتوه الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كانه طلبت هويّه وحرصت
عليه وقرئ استهواه بالف خالصة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اى كائنا
في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه عاملها انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيز بها او من الذى او من المستكن
في الظرف اى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران
او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اى لذلك
المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ايتينا على ارادة القول
على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اى يقولون ايتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم و
ان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعى ومورد النعيق فقط قل
ان هدى الله الذى هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال مخض ونعى بحت كقوله تعالى فاذا بعد
الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشأن المأمور به ولان كلا منه يليق للزجر عن الشرك والحث على الاسلام و
هو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان
هدى الله هو الهدى داخل تحت القول والام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد به من الاوامر
الثلثة كانه قوله تعالى لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية كانه قيل لم امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان
نسلم وقيل هي بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم وقيل زائدة اى امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة
واتقوه اى الله تعالى في محل نصب امره عطف على نسلم على الوجوه الثلثة على ان المصدرية انما توصل بالامر المجرد
عن معنى الامر كخجرد الصلة المفعلية عن معنى الصق والاستقبال فالمعنى على الاول لان امرنا اى قيل لنا اسلموا و
اقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة
ونتقيه تعالى والتعرض لوصفه بوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو
الذى اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بامر من الامور الثلثة وهو الكل خلق السموات و
الارض اريد بخلقها خلق ما فيها ايضا وعدم التصريح بذلك للظهور شهادتها على جميع العلويات والسفليات
وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اى خلقا ملتبسا
او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استيناف ببيان ان خلقه
تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكوينى من غير توقف عما شانه
آخرا صلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حتى في يوم
مستتبع للحكمة ويوم ظرف لمحذوف جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها للاعتناء به من حيث انه مدار
الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى
وامره المتعلق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود
له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة ك

القتال وانقضائه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ و
قيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الظرف واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او
نعت على تكون على معنى حين يقول لقوله الحق اى لمقتضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او
حين يقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور
تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق
المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للملكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم
الغيب والشهادة اى هو عالمها وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال
ابرهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام معطوف على قل اندعو لا على اتخذ كما قيل لفساد
المعنى اى واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما
يتبعه من شؤنه تعالى وقت قول ابرهيم الذى يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك
مما يبكتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما
مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعاذر وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق
والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح
وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه
الشيخ الهرم وقال الزجاج الخطئ وقال الفراء وسليمن التيمى المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او
اريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو لبعد العلمية اذ لا يحذف
حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اى اتجعلها لنفسك آلهة على توبيخ
الانكار الاتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ابراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أإزرا بفتح الهمزة وكسرها
بعد حمزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة مفتوحة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل اتتخذ اصناما
آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة والظاهر
اتخذ اصناما آلهة انكارا لتعزيه بها على طريقة قوله عز وجل ابتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين
يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اى بين كونه ضلالا لا لاشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية
فالظرف مفعولها الثانى والا بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نرى ابرهيم
هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال لحكاية
الحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نرى لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في
سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت
لمصدر محذوف واصل التقدير نرى ابرهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة تقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التبصير البديع نبصره عزم
ملكوت السموات والارض اى ربوبيته تعالى وملكيته لها وسلطانه القاهر عليها وكونها باقية مربوبا و
مملوكا له تعالى لا تبصير الآخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم
والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانا اولا فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال
ازاغب وقيل ملكوتها عجائبها وبدائعها دون انه كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش
واسفل الارضين وقيل آياتها وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار
والبحار وهذه الاقوال لا تقتضى ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد

تمكينه عليه السلام من ابصارها وشاهدتها وتركيبها انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه تعالى
ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا ولا يتبين عند اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاشارة البصرية
المعتادة بمعزل من ملكة المثابة وقرئ ترى بالتاء وبسناد الفعل الى الملكوت اى تبصره عليه السلام دلائل الربوبية والآثار في
قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلق بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون من زمرة الراسخين
في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان
الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال ترتب عما ذكر من التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدة في ذلك كيف لا و
ارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل
هو متعلق بالفعل الباقي والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينساق عليها الكلام اى ليستدل بها وليكون الخ
فينبغي ان يراد بملكوتها بدائعها وآياتها لان الاستدلال من غايات ارائتها لا من غايات ارآءة نفس الربوبية و
قوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق ليس عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بتذكرة وقته
وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما الحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته وما لكيته للسموات والارض وما فيهما وكون
الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شئونه
الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة آلهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب
وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من ارائته ملكوت السموات والارض كيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان
وجن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس
وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان بسيا
من الغروب كما ستوافيه قيل كان ذلك الكواكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف
بنى عما سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتضمنة علة بيان اراءته ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل
السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الارآءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى
الكواكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فان للمستدل على فساد قول يحكيه عما رأى خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية
الكواكب دون بيان استحالة آلهية الاصنام للاذان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول
الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه
النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واوائل اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتها وعطف قوله
تعالى ليكون عليا ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الارآءة وبيانا لكيفية الاستدلال و
انت خبير بان كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اى غرب قال
لا احب الآفلين اى الارباب المتغيرين من مكان لمتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل
من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اى مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكواكب قال هذا ربي على
الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه القدسي هو الحق الذي لا يحيد عنه
لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار الخضوع و
لعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانب الغربي جبل شاهق يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من
النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي لمكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب
ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة اى مبتدئة في الطلوع فالايكاد يتصور
قال اى على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد
من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة

اثرت عن وصمة التأنيث هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام من انكار التصفية بالاشارة خفية الى فساد دينهم من
جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت من ابصارهم بالكلية افل الكوكب والقمر قال مخاطبا
للكل صادعا بالحق مبينا اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اى من الذي تشركون من الاجرام المحدثة المتغيرة
من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها او من كل ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات
ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منها وان كان في نفسه انتقالا مناقضا لاستحقاق معروضه
للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب
عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين
للاستحقاق المذكور منافاة بينة بكاد يعترف بها كل حكيم عند رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه
الى جميع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هي الاجرام التي تعبدونها
من اجزائها والارض التي تعبدون هي فيها حنيفا اى مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها
وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اى شرعوا في مغالبته في امر التوحيد
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل
قال منكرا لما احتجوا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني
في الله بادغام احدى النونين في الاخرى وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار
فان كونه عليه السلام مهديا من جهته تعالى ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اى التجادل فيه
في شانه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها
تبينا تاما كالشاهد بتحوه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من
اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولتعلقهم
فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي
شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا اخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات
الا في وقت مشيئة تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار رحمة لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام
لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء اى احاط
بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون من علمه تعالى ان يجيئ بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار
تاكيد للمعنى المذكور واستلفات لاذهانهم الى ما تذكرون اى التعرضون عن التامل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة
على شيء ما من نفع وضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى
ان اصنامهم مركوزة في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استيناف مسوق لنفي
الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الامر و
الاستفهام للانكار الوقوعي ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لا للانكار الواقعي وانما يستقيم
مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى
نفسه بان يقال اخاف لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا
فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم
اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا او الواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي
الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام وبعيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا من محل الخوف فلان لا
يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اى وكيف اخاف آلهتكم التي ليست من الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة

ما هو اعظم المخوفات واهولها ايها المشركون بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء وما هو من جملة مخلوقاته
وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الوحيية
لا يقول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف بالاشراك باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى هذا وما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجيب مما لا يسيل اليه
اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بعد النفي بالكلية يقبل المعنى الى نفي الخوف عنه ع
ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع حالا صالح
لان يكون قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل
الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف سوق للجانهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن و
بعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل للشهرة باستحقاقهم لهذه الجملة لا لاستزادة المعنى عن رتبة المكابرة
والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل
الخوف فانيا رما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة
الحكم والتنادي عن التصريح بتخطئتهم للجرد الاصرار عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المعلول المانع خوف تعويلا على
ظهوره بعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واتما تاركون
بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استيناف من جهته تعالى مبين
للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك
كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تمات ايمانهم و
احكام لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك
اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه باذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك
عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف
وهو مبتدا ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر وقعت خبرا للاول والكل وهو مع خبره خبر للمبتدا
الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر الموصول والامن فاعلا
للظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدا والجملة خبر الموصول ويجوز ان يكون اولئك
مبتدا ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبر الموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن
شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك
على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس بما تظنون انما هو ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق
الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها
والظاهر هو الاول لورود الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه السلام من قوله
تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى احاجوني الى قوله تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار
اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة
من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابرهيم اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا
والعامل فيها معنى الاشارة كانه قيل لقنا تلك حجتنا وقيل في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا
بدل او بيان للمبتدا وابرهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه مميزا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل
خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابرهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناه نرفع بنون العظمة وقرئ
بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على

المصدرية او على الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول محذوف اي من نشاء وقرئ بالاضافة
الثالثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية يدل عليه ما بعده اي من نشاء رفعه حسبما يقتضيه
الحكمة ويستدعيه المصلحة وانما وصفه بالاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين
الاخيار غير مختصة بابرهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لما فيها من الاعراب
وقيل هي في محل الكسف على انها حال من فاعل آتينا اي حال كونها رافعين اي ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض
عليم بحال من يرفعه واستعداده لاعلى مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره
موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابرهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به ع
وهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على
الاخرى حالا لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب بضعها ورفعا حسبما بين من قبل
فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط وكالسبيل اليه ههنا كلا مفعول ثان
وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرها مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون
الآخر وترك ذكر المهدى اليه لظهور ان الكل اوتي ابرهيم وانها معتدبها به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا
من قبل اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم عليه السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته
الضمير لابرهيم لان سياق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من ابتناء الحجة ورفع الدرجات ووهبة اولا الابناء و
ابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالتزام من ينتمي الى ملة عليه السلام من المشركين واليهود وقيل
لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم عليه السلام فلو كان الضمير لا حتمل بالمعدودين في هذه
الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء
الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اسلاف لوطا ابن اخي ابرهيم
والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل و
اسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم حاسبق وكذا ما عطف عليهما
به متعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في المكافئيل من نوع طول ربما يخل تاخيره
بنجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهدينا هم حال كونهم من ذريته وكذلك
اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابرهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين
الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشاركة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال
والاجزية من غير نقص لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما افتخر به ابرهيم عليه السلام
والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من
فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها
هو الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك
الجزاء نقدم على الفعل لافادة القصر واعيدت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر الموكد
لا نعته المؤكد لان ذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر اوتي منه دلالة الظهار موضع الاضمار للثناء عليهم
بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها
الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها
وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات

واليسع قيل سواد بن قارون فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي
موسى عليه السلام كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة
عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب
بن العجوز وقرئ واليسع وهو على القراءتين علم اعجمي او حمل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه
منقول من مضارع وسع واللام كافي يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مبارك شديدا باعباء الخلافة كاهلها و
يونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخي ابراهيم عليهم السلام وكلا اي كل واحد من اولئك المذكورين
فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تعالى ومن
ابائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم
وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم
عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه وذلك
اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر
مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه
اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي سؤلا والمذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم
ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى
المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عم باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت
الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب
السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالدلائل والدقائق احم من ان يكون ذلك
بالانزال ابتداء او بالايراث بعد انزال المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر
على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة او بالنبوة الجامعة للبواقي هؤلاء
اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار و
المجرور على الفاعل المضمر اما لمراعاة ما مر من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اما مرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان
بها والقيام بحقوقها فوما ليسوا بها بكافرين اي وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية
الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لما نفي الدوام كما حقق في مقامه قال
ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم
وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موكلون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عالمون بما فيها من
اصول الشرايع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف المنسوخة منها فانها
بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء والمذكورون فالمراد
بالتوكيل الامر بما هو اعم من ايجاد احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق
سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملئكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها
وايا ما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة كافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي والما
تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما
يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم اوالى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب اكثر شرط محذوف يدل عليه ما
المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد بها اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما ليسوا بها كافرين بها قطعا مستمرون
على الايمان بها والعمل بما فيها نفي ايائهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا يتبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم

احد الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمانهم بغيره والعمل باحكامه واما
الانبياء والملئكة عليهم السلام فايمانهم ليس من قبيل ايمان آحاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء
المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم
والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم
والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع الغابية للنسخ لا يبقى هدى و
الهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء لمجرى الوقف واقتداء بالامام
وقرئ باثباتها على انها كناية المصدر فعلا اسئلكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام يدل
عليها وان لم يجر ذكرها اجرا من جهتكم كما لم يسئله من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امر
عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اي ما القرآن الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم كافة من جهة تعالى
فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الانام
حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم اياها وكفرهم بها على اجمل سري ذلك
الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف
مقداره ثم استعمل في معرفة الشئ في مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية وهو
الاصل صفة للمصدر اي قدره الحري فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى
حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا
منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيها ما انزل الله على بشر من شئ فنفي معرفتهم
لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كاد نفي المحبة في مثل ان الله
لا يحب الكافرين كناية عن البعض والسخط والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحط بل مع التسمي
بتحصيل المعرفة كما في قول من يدعي حسن معرفة الله وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق
عبادتك او ما عرفوه حق معرفته بالسخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤا على التفوه
بهذه العظيمة الشنعاء ونا لنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا الالسبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقائم المجرى ان ما لك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت
الحبر السمين فدمعت من ما لك الكبر تطوك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رض فقال ما انزل الله على بشر
من شئ فقرعوه وجعلوا كلامه كلمة ليس من الاشراف وقيل هم المشركون والزامهم انزال التورية لما انه كان عندهم من
المشاهير الزائعة ولذلك كانوا يقولون لولا انزل لنا علينا الكتاب كما انهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول
اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه وبينا لغيره
مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام
في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد ازاحة
الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله
قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس
اي تضعونه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار وايصاء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه
نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة تبكيت لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلته ثم ابدوا
الخافية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا

معطوف عليه والعائد الى الموصول محذوف اى كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت
النبى صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتبوه من احكام التورية وقرئ الافعال الثلثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله
تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل يجعلونه باضمار قد او ردودة على اختلاف الرايين قلت
فينبغى ان يجعل اعبارة جما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد
التشنيع فان ما فعلوه باكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة فى نفسها ومع ملاحظة
كونه ماخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لما لم تقوه من حجة النبى عليه السلام زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس
عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كما
قالوا الان تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية لما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلا نه لا
تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس الا وقع فيها
من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا
تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ ان تكون استينافا مقررا لما قبلها من مجئ الكتاب بطريق التكلم و
الاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجئ القرآن ولا سبيل الى جعل اعبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله
تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة افتضاحهم
وصحيحا لوقوع الجملة فى موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما ذا وقد قيل الخطاب بلسان آمن من قريش كما فى قوله
تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين
الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم فحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم فى خوضهم فى باطلهم الذريع بخوضون
فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقيام بالتبليغ يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او تعلق
بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثانى لانه فاعل فى الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه
تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال التوراة بالبشرى من التورية وتكذيب لهم فى كلتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك
اى كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذى بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التى قبلها فانه
مصدق للكل فى اثبات التوحيد والامر به ونفى الشرك والنهى عنه وفى سائر اصول الشرائع التى لا تنسخ ولتنذر ام
القرى عطف على محل مبارك اى للبركات وللنذارك اهل مكة وانما ذكرت باسمها المبنى عن كونها اعظم القرى شانا
وقبلة لاهلها قابلية ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب
ومن حولها من اهل المدر والوبر فى المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من اناءين العذاب
يؤمنون به اى بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنوا به وهم على صلوتهم
يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التى لا بد للمؤمنين من ادائها لانها فضلا عن كونها
من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا نزعوا انه تعالى بعثه
بنيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسى او اختلف عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحى ومن تابعه اى هو اظلم من
كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفى الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفى المساوى وانكاره فان الاستعمال الفاشى
فى ذلك من افضل من زيد او لا اكرم منه علما انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال
اوحى الى من جهته تعالى ولم يوح اليه اى والحال انه لم يوح اليه شئ اصلا كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب
للنبى عليه السلام فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك
الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان
محمد صادقا فقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين

اذهم

اذهم فى غمرات الموت اى شدائده من غمره اذا غشيه والملئكة باسطوا ايديهم بالعذاب يقولون لهم اخرجوا ارواحكم كما تقاضى الملظ الملح
يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب تائلين اخرجوا انفسكم
اى اخرجوها الينا من اجسادكم او خلصوها فكم من العذاب اليوم اى وقت الاماتة او الوقت الممتد بعدها
الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى العذاب المتضمن لشدة وامانة فاضافة الى الهون وهو الهوان للمبالغة
فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تاتمرون بها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد
وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التى كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتانيث كقتلى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلث وفرادى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اى على
الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد وحال ثانية عند من يجوز تعدد الحال او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم
عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر محذوف جئتمونا اى مجيئا كخلقنا كم اول مرة وتركتم ما خولناكم اى تفضلنا به عليكم
فى الدنيا فاشتغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تعملوا لتقديمه وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله تعالى فى الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع
بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قول
الله لكم وعليكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اى يقطع وصلكم وقرئ بينكم وضل عنكم اى ضاع وغاب
ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع فى تقرير بعض
ما عدد من الدلائل على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمة اثر تقرير ادلة التوحيد والفالق الشق بانابة اى
شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذى فى الحبوب والنوى اى فالقهما كذلك كما هو فولك صيق
فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحى من الميت
اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات حالا ينمو من النطفة والحب والجملة مستانفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لاة
وقوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحى كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه
الاول لان اخراج الميت من الحى ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق
للعبادة وحده فانى توفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره وكالسبيل اليه اصلا فالق الحب خبر آخر لاة
او لمبتدا محذوف والاصباح مصدر سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اى فالق عمود الفجر عن بياض النهار
واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش الذى يلى الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار كالاستراحة فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استينافا سابه او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى
لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر الازلى
المتجدد حسب تجدد ما الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدى الى اثنين يعمل عمله الثانى وان كان
بمعنى الماضى لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثانى لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على
الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا
على الابتداء والخبر محذوف اى يجعلان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التى يتعلق بها العبادات
والمعاملات او محسوبات حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كالكفران والحساب بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى
جعلها كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اى ذلك التسيير البديع بتقدير العزيز
الغالب القاهر الذى لا يستعصى عليه شئ من الاشياء والتى من جملتها تسييرها على الوجه المخصوص العليم بجميع
المعلومات التى من جملتها ما فى ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الكوكب الذى جعل
لكم النجوم شروع فى بيان نعمة اخرى من نعمه تعالى الكواكب اثر بيان نعمة تعالى فى النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة

به وتاخير المفعول الفرع عن الى والجر وراما مرغيرمرة من الاهتمام بالتقدم والتشويق الى المؤخر اى انشأها وابدعها
لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها يتعلق بجعل من الجر وربما عادة العامل بدل اشتمال كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض
منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوزان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اى جعلها كائنة
لاهتدائكم اسفاركم عند ذهولكم المفاوز والبحار كما ينبئ عنه قوله تعالى فى ظلمات البر والبحر اى فى ظلمات الليل
فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او فى مشتبهات الطرق عبر عنها
بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اى بينا الآيات المحكمة المذكرة للنعم التى هذه النعمة من
جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شئونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اى معانى الآيات الذكرة ويعلمون بوجوهها او
يتفكرون فى الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذى
انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اى انشأكم مع كثرتكم من
نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام
اوتحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم فى الاصلاب اوفوق الارض بالاستقرار لانها
مقرهم الطبيعى كما ان التعبير عن كونهم فى الارحام اوتحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منها بمقرهم الطبيعى وقد جعل كذلك
الاستيداع على كونهم فى الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاقرار
خلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون
غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وثاقب النظر فان لطائف صنع الله عز وجل فى اطوار تخليق بنى آدم مما يحار فى فهمه
الالباب وهو السر فى اتيان يفقهون على يعلمون كما ورد فى شان النجوم وهو الذى انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى
من نعوته تعالى منبئة عن كمال قدرته وسعة رحمته اى انزل من السحاب او من جهة السماء آء خاصا هو المطر وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح للتعريض بالمشركين الذين اعرضوا عن الآيات المنزلة من السماء وتوجهوا الى الارض
ان فاخرجنا بفاء التعقيب للدلالة على ان اخراج النبات مترتب على انزال الماء مع وحدة الفاعل وتغاير الفعلين
به تاخرا ما بحسب الذات فاخرجنا به اى بسببه نبات كل شئ من الاشياء التى من شانها النمو من اصناف النجم و
الشجر وانواعها المختلفة فى الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا فى مراتب الزيادة والنقصان حسبما
يفصح عنه قوله تعالى يسقى باء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا نشوء فى تفصيل
ما اجمل من الاخراج وقد يرى بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذى لا ساق له نشاء غضا اخضر يقال شئ
اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرة خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من
الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الغريبة اى نخرج من ذلك
الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب
متراكب وقوله تعالى من طلعها بدل اشتمال باعادة العامل كما فى قوله تعالى لمن كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله الخ والطلع شئ يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ
وحاصله من طلع النخل قنوان ومن قرائه يخرج منه حب متراكب كائن قنوان عذقه ساطوفا عاحب وقيل المعنى واخرجنا
من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شئ من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة يكسر وضم وقرئ
وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلا ليس من ابنية الجمع دانية سهلة
المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة بنا لها القاعدتى بالتمر لا تنتظر الطول او ملتفة متقاربة و
الاقتصار على ذكرها للدلالة بها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب
عطف على نبات كل شئ اى واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اى ولكم او فيه جنات
وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلا اخرجنا به من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب وللعدول عن زيادة الجنات

هنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر للايذان بان الانتفاع بهذا الجنس يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة
من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لغرابة ذينك الصنفين عند هم او على العطف على نبات
وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه من
خبر المعطوف فى نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك
وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى
الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها
انظروا الى ثمره اذا اثمر اى انظروا اليه نظر اعتبار واستبصارا اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وقرئ الى ثمره وينعه اى والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة وقرئ ينع
فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهى لغة فيه وقرئ يانعه ان فى ذلكم
اشارة الى الامر بالنظر اليه وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون
اى لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من
اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار فى فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها
ويرجع ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك عائق ولا يفوته هارب ولذلك عقب توبيخ من
اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اى جعلوا الذين اعتقادهم لله الذى شانه ما فصل من قضايا هذه الآيات
الجليلة شركاء الجن اى الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وتوسطوا لا جتنانهم بتحقير شانهم بالنسبة الى
مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتخييلهم او قالوا الله خالق
الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما مر رأى الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء والجن قدم ثانيهما على
الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ايا كائنا ما كان وقد تعلق بشركاء قد تعلق به للملائكة المذكورة وقيل هما لله
شركاء والجن بدل من شركاء مفعوله نفق عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بفعل مضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله
تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل فمن جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اى جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابى حيوة ويزيد بن قطيب
الجن بالرفع على تقدير هم الجن فى جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين
وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرأيين موكدة لما فى جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان
باعتبار علمهم بمضمونها اى قد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه
شركاء له سبحانه وتعالى خلقهم عطف على الجن او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه
اليه تعالى وخرقوا له اى اقتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخرقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد
للتكثير وقرئ وخرقوا له اى زوروا بنين وبنات نقلت اليهود عزيرا ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله و
قالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اى بحقيقة ما قالوه من خطا او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة
من غير فكر ورؤية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف
هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استيناف
مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا الى اعتقاد البعد عنه
والمكى من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيها والمعنى ونزه نفسه سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا
يكاد يذكر فعله اى اسبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة
الاشتقاق من التسبيح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له
خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامة مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر
كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثى كما ذكره القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلى ففيه مبالغة من حيث

اسناد التنزه الى ذاته المقدسة الى ذاته بذاته تنزيها لا يقاربه وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل
المضمر لا محالة والمانى السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل عما يصفون اى تباعدا عما يصفونه من ان له شركاء او
ولدا بديع السموات والارض اى مبدعها وفاطرها بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع
يطلق على المبتدع نص عليه اهل اللغة كالعريج بمعنى العرج وقد جاء ابدعه بمعنى انشأه كما يبتدعه على ما ذكر فى القاموس
وغيره ونظيره التميع بمعنى المسمع فى قوله أمن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل
للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق
وحسن رائق او الى الظرف كما فى قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير بينها والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطرى العالم
العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانفصال مادته عنه وكيف
يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور فى سبحانه على رأى من
يجيزه وارتفاعه فى القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا او خبر محذوف او فاعل يتعالى او اظهاره فى موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط
الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ وخبره قوله تعالى انى يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة
كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزيهه عنه وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة
فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد والدة وان امكن وجوده
بلا والدة وانتفاء الاول حالا ريب فيه لاحد فمن ضرورة انتفاء الثانى اى من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا او الحال انه ليس
له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل اولان الاسم ضمير تعالى والخبر هو الظرف
وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون و
على هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة بعده لان يكون مفسرة لغير الشان لا على الوجه الاول لما بين
فى موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرحة وقوله تعالى وخلق كل شئ اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق
ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى انى يكون له ولد والحال انه خالق كل شئ فتندرج الكائنات والايجاد من
الموجودات التى من جملتها ما تسمونه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا للخالق وهو بكل شئ من شأنه
ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار اما الاظهار عليم مبالغ فى العلم اذ لا وابدا احسبا
يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية تكائن وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من
جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التى تزعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل
القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التى اجترؤا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو شانه المشار اليه وبعد منزلته فى العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات
وهو مبتدأ وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار اربعة مترادفة اى ذلك الموصوف بتلك الصفات
العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شئ فاكان وما سيكون فلا تكرار اذ المعنى فى عنوان
الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضى وقيل الخبر هو الاول والبواقى ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من
المبتدأ والبواقى اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار الثلثة مبتدأ وقيل بجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه
حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شئ وكيل
عطف على الجملة المتقدمة اى هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولى امور جميع مخلوقاته التى انتم من جملتها فكلوا امركم
اليه وتوكلوا بعبادته الى ما ترى بكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من
حيث انها محلها وادراك الشئ عبارة عن الوصول والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب
وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا تمتنع فيه لمنكرى الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رضى
وقاتل الله لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وهو يدرك الابصار اى يحيط بها علما اذ لا تخفى عليه خافية

وهو

وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة الالتفات اى لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مفهوم الكشف لما لا يدرك بالحاسة والثانى بتطفيل
فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف وارد على لسان النبى عليه السلام والبصائر جمع بصيرة وهى النور
الذى به يستبصر النفس كما ان البصر نوره بتبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما
اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اى قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق من الوحى الناطق
بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اى الحق بتلك البصائر وآمن
به فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمى اى ومن لم يستبصر الحق بعد ما
ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانا عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اى فعلى نفسه عماه او فعماه
عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذى يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف
الآيات اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة
لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اى و
ليقولوا درست نفصل ما نفصل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هى عاطفة على علة
محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنذر بهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام
الامر كانه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم ام معناه
الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده ياباه ومعنى درست قرأت ونعلمت وقرئ دارست اى
دارست العلماء ودرست اى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة فى
درست اى اشتد درسها ودرست على البناء للمفعول اى قرئت او عفيت ودارست وفسر وما بدارت اليهود
محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار كاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل للآيات وهو فى الحقيقة لاهلها
اى درس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد ودارسات على حق
دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل
لان التبيين غاية التصريف والتغيير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اى ولنفعل التبيين
واللام فى قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس
هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن
العلم بالمرة اتبع ما اوحى اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم فى تصريف الآيات عقب ذلك بامره
عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبابا طيلهم اى دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحى
اليك من الشرائع والاحكام التى عدها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب
اتباع الوحى لا سيما فى امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اى متفردا فى الالوهية واعرض عن المشركين
لا تحتفل بهم وباقوالهم الباطلة التى من جملتها ما حكى عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف جعل الاعراض
على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اى عدم اشراكهم جريا على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر فلا يمتنع عنه تعالى
مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئى نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض
مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا اى رقيبا مهيمنا من قبلنا يحفظ عليهم اعمالهم وكذا
قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم فى الموضعين متعلق بما بعده

قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم
لآلهتهم كان تقولوا اتبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل
قولكم لهم بغير علم اى بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عُدُوًّا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء
وعدوانا روى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
تنتهين عن سب آلهتنا او لتهجون آلهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه
سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر كذلك اى مثل ذلك
التزيين القوى زينا لكل امة عملهم من الخير والشر بما هداهم اليه بمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان
يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم ويعلمهم شرهم وفسادهم والمشبة به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم
مالك امرهم مرجعهم اى رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون فى الدنيا على
الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة
مبنية على حكمة ابية وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشأة الآخرة فان المعاصى سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصورة
يستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت
عندهم بصور كريهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت
لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستجها الطغاة وستظهر فى النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية
المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهار ما بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما
سبب للعلم بحقيقتها كما هى فليتدبر قوله تعالى وأقسموا بالله روى ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونى فقالوا نعم واقسموا الين بلغته لئن من جميعا فسأل
المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا فى ايمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم
مصدر فى موقع الحال اى اقسموا بالله تعالى مجاهدين فى ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات و
هو الانسب بحالهم فى المكابرة والعناد وتزايى امرهم فى العتو والفساد وحيث كانوا لا يعدون ما يشاهدون من
المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم بذلك الا التحكم بها والارض وتسيير بها
الجبال قل انما الآيات اى كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اى امرها فى حكمه وقضائه خاصة
يتصرف فيها حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بإتيانك من شئونها قدرة احد ولا مشيته لا
استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنك ان اقتدى لاستنزالها بالاستدعاء وانى كما ترى ستراب الآخر
على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شان الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة للسؤال والاقتراح
واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندى فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا
حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجاب بانه كذلك وقوله
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف خيرى داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية
الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجئ الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين
فى نزولها طمعا فى اسلامهم ولما معه عليه السلام بطريق التعليم لما روى عنه عليه السلام من التقابل بالدعاء وقد بين فيه
ان ايمانهم ناجزة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وكالاستفهامية انكارية لكن لا على انه مرجع
الانكار هو وقوع الشعور بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به فى نفسه اى واى شئ يعلمكم ان الآية التى تقترحونها
اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اى لا تقفون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا فى ايمانهم فكانه
بسط عذر من جهة المسلمين فى تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والشعور به جميعا
اى اى شئ يعلمكم ايمانهم عند مجئ الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا فى ايمانهم فيكون تخطئة لرأى المسلمين وقيل ان بمعنى

لعل

لعل بتال ادخل السوق انك تشترى اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى وبؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على
ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثانى لشعركم محذوف كما فى قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استيناف لتعليل الانكار
وتقريره اى اى شئ يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجئ الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فانكم تتمنون مجيئها
فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استيناف
جار مجرى التعليل لما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب فى وما يشعركم للمشركين وقرئ
وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند
مجئ الآيات وكونها حينئذ كما هى الآن ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم ما يشعركم
مقيد بما قيد به اى وما يشعركم انها نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجلائه فلا يبصرونه
لكون الامر توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل كما نبتوا عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم
اشعارا باصالتهم فى الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما توهموا
به اى بما جاء من الآيات اول مرة اى عند ورود القرآيات السابقة والكلام فى فعل الشعب على انه نفث المصدر
محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اى لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا كما هو اول مرة وتوسيط تقليب
الافئدة والابصار بينها لانه من تتمات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم الاستفهام
الانكارى مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان
يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجههم اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم بعد ما
علم فساد استعدادهم وفرط تقورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم
كما اشرنا اليه وقوله تعالى فى طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب فى نذرهم اى نذرهم
فى طغيانهم متحيرين لا اهتدى بهداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اى لنصيرهم عامهين وقرئ يقلب وينذر بالياء
على اسناده الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم
الملئكة تعريض بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى
ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها فى حكمه تعالى وقضائه المبنى على الحكم البالغة لا مدخل لاحد فى امرها بوجه من الوجوه
وبيان لكذبهم فى ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه وآكده اى ولو اننا لم نقتصر على اتيانه ما اقترحوه ههنا من آية واحدة
من الآيات بل نزلنا اليهم الملئكة كما شاءوه بقولهم لولا انزل علينا الملئكة وكلمناهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا بآبائنا وحشرنا اى جمعنا
عليهم كل شئ قبلا بفتحتين وقرئ بكسر فسكون اى كفلا او بصحة الامر وصدق النبى عليه السلام على انه جمع قبيل
بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الاشب بقوله تعالى او تاتى بالله والملئكة قبيلا اى لو لم
نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا عليه ذلك بان احضرنا لديهم كل شئ يتاتى منه الكفالة والشهادة بانذكر لافرادى بل بالجموع
المعية او جماعات عيانا جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شئ وشمول للانواع والاصناف اى حشرنا
كل شئ نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية ومجيئه باعتبار الكل المجموعى اللازم للكل
الافرادى او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر موقع الحال
وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما فى قولك لى قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية
ما كانوا ليؤمنوا اى ما صح ولا استقام لهم الايمان لتمادیهم فى العصيان وغلوهم فى التمرد والطغيان وسابق
القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم فى طغيانهم يعمهون وقوله
الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة
اى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان فى حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجبا ته

المذكورة الآتي حال مشيته تعالى لايمانهم من عدم العلم اي بانهم كانوا لايؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا بمشيته تعالى له
وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان عدم ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه
بناء على استحالة وقوعها كما مر قبل كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وتحقيقات ذلك وحالها حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب
افئدتهم الآية كيف لا وقد اخبر عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء الاقبله ولا
ريب في ان الذين يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المشركون ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تعالى كما هو اللازم
من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم
مشيته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند
مجئ الآيات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لايكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم
الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ الآيات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم
فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لايكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان مبتدإ لمقتضاء حظ المقسمين ومناط
اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعركم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدإ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قومه له وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من
الانبياء عليهم السلام وفعل الكاف المضمن معنى الخفض على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل
نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في
حقك حيث جعلنا لك عدوا ايضا قومك وبقاربتك ولا يؤمنون ويعنونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكائد
جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا اتقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء
عليهم السلام مخلقة لله تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل
هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين للانس
والجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه لما مر مسارعة الى بيان
العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض كلام
مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا
وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بودّه فان عدوي لم يفرحوا بقطعي
والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين
الى بعض آخر زخرف القول اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرف اذا زينه غرورا مفعول له
ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا
ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤن الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم
وبين امهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف
في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لما ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشية انما يحذف
عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم
الى بعض منهم زخرف الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك فاصة لا بايمانهم وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل
فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه السلام اي اذ كما ما فعلوه من
احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيته تعالى فاتركهم وافتراءهم وما يفترون من انواع المكائد فان لهم في ذلك
عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتنائها على مشيته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف
القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء ومعطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه

اذ الغرور

اذ الغرور فعل الموحي وصغوا الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به وليميل اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها
وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره
وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون الا ما زين لهم من ظواهر تلك المكاره لذاذا وتلك الشهوات
التي من جملتها مزخرفات الاقاويل وموهمات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال
ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ودخامة عاقبتها واما على الوجه
الاخير فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي ولتكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام
العاقبة اولام العلم اولام الامر وضعفوه غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم و
ليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبايح الخ لا يليق ذكرها فيغير الله ابتغي
حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل
لهم اميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي
قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى لنجر
عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت وكانوا يدّعون الانتفاء عليه السلام الا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين
الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النفرة والمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغيرا ما مفعول ابتغي وحكما
حال منه واما بالعكس والواو على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى
وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم فاحتة معا ان
مقتضى المقام اظهار تساوي نسبة الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته
اليهم اي اغير الله ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم والتم امة امية لا تدرون وما تزدرون القرآن الناطق
بالحق والصواب الحقيق بان يحتفى به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك
من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وبما كما ترى صريح
في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا
وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقرر سوقا
من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين
وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي
التعبير عن التوراة والانجيل بمسلم الكتاب ايماء الى ان ما بينهما وبين القرآن من المباينة المقتضية للاشتراك في
الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز والاشارة الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من
جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع وتخبر عن امور
لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الانسب بما هو فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما
الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فنوعا مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل
المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي متلبسا بالحق
فلا تكونن من الممترين اي فانهم يعلمون ذلك لا لانتفاء شبهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على
الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى

ولا تكونوا من المشركين وقيل الخطاب للحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان
الاولى قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والقاء على هذه الوجوه للترتيب النهي على نفس علمهم بحال
القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه
تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اصل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الانصاف بالصدق
والعدل وبها يظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز و
قيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما
حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف بما هو
ابتداء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المكلفين
واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون فيها
لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها
وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل
الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها وابتنى الامر
تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات على تحقيق ذلك بيان ان الكثرة متصفون بنقائض تلك الكمالات
من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئ من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة
لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار
وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل
اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم
يهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ من
الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امورهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون
ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله
تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ
الولد وجعل عبادة الاوثان قربة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وان
لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقة ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذران تكون من
الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه
الصورة بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل
بضم الياء على ان من فاعل ليضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل
الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة ولما ان الفاعل هو الله تعالى ومن مفعولية بما ذكر اي يعلم من يضله او
مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله ومن توكل اضللته اذا وجدته مضلا فلا
يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرة واحاطة بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالغا
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال و
تحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه فما قتلتم انتم فقيل
للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او معه اسمه او ما حتم انه ان كنتم بآياته
التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فان الايمان بها يحقق استباحة ما احله الله والاجتناب

عاجزته

عن المحرم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله عليه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء من
الا جتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الخ جملة حالية
للانكار ركنا قوله تعالى وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في
ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه والحال انه قد فصل لكم بالوحي او بالعقل او بالحال بانه قد فصل لكم ما حرم
عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عداه على الحل لا بقوله حرمت عليكم الميتة الخ لانها لا تبقى
واما التاخير في التلاوة فلا يوجب التاخير في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل
والثاني للمفعول الا ما اضطررتم ما حرم فانه ابقاء حلال تحقيق وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس
بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي وامثاله وقرئ ليضلون بما تهواه انفسهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم
مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل و
الحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يفعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبونه من الظاهر والباطن
سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابها والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا حال من ضمير
اسم الله عليه ظاهره تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا والبه ذهب داود وعن احمد بن حنبل
وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة
بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غير الله لقوله تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل به
لغير الله والغير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فانهم يوسوسون الى المشركين وقيل مردة الجن
فانهم يوحون الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان
ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوسوسة الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو
يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون
ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشركه به تعالى بل آثره عليه سبحانه او من كان
ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتقرير المسلمين عن طاعة المشركين واثر تحذيرهم
عنها بالاشارة الى انهم مستفيضون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان
كيف يعقل طاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام
اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاحييناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له نورا حفيظا يمشي به
ذلك من الخارج اي بسببه والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه
قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي بين اظهرهم آمنا من جهتهم او صفة له لكن مثله
اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد
صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج
منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وانما كانوا كذلك مثل ما زين
من الضلالة بحيث لا يفارقونها اصلا كما ان الاول مثل ما زين من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه
بالآيات البينة الى طريق الحق بسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به
من الالفاظ الواردة في المثلين بوساطة تنبيهه بما ناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها
الاصلية بل على ان قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة و
من الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيأة اخرى فشبهت بها الاولى و

نزلت تسلية لها فاستعمل فيها ما يعم به الاغراض بقرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم برأسه لا سبيل الى ما يتعلمه من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زينت اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند ايجاد الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الوسوسة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعلمون ما استمروا عليه من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم ما اقدموا عليها ولما جادلوا بها الحق حين قيل الآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر وعمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغوا وهما الظرف والاكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني للبدان يكون شهور التحقق عند الناس مشهورا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سباق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد التنا والتي كما جعلنا لعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى الكيفية المفهومة من عنايا القضا فهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور وحمل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغوا ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي جعلنا هم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مقررين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهويل للوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزيدون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال بعض اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك والآية عاقبة مكر الكل بما ذكر فان الغيظة المنقولة انما صدرت عنهم لاعن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم آية بوساطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا وياتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا اوتانا بالله والملئكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى مرتبط فيما علق بما اوحي الى الرسل عليهم السلام هو ايا نهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه جبريل عليه السلام فالجملة وان لم تصرح الرسالة في قولهم الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها ومثل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور وبراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم ورد الله بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى ياتينا جبريل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم حيث يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور اذا نابهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التهكم ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا وحي كما ياتيه وقال الضحاك كل واحد من القوم ان يخص برسالة

والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من الفوم ان يخص برسالة وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق باتيانه اتي الرسل مجرد تصديقهم برسالة ثم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول الضحاك حتى ياتينا وحي كما ياتيه الها غاية لعدم الرضى بالعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من النبوة والوحي مثل ما اوتيه رسل الله او اتيانا ورسل الله والما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق باذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا فالايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام بكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة لم نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا الى غيرنا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الي لو كان ما ادعيه من النبوة حقا لكنت انا احق انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق وماله يتعلق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى اتياتا مثل اتياتا ورسل الله واضافة الاتياء اليهم لانهم مكلفون لاتيان علية السلام وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دلت هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يصلح فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما تنال بفضائل نفسانية يختصها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا استيناف اخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم جرائمهم ما المؤكدة والسين للتاكيد وصغر الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من حرمة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلة وصف كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة لدين ما فيقبله ويطمئن به والاستعداد للشيء قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لعدم اقتضاء استعداده اياه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ماذه مهيأة لدخول كان على الجمل الفعلية في السماء شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع من الصعود وقيل معناه كانما يتباعد الى السماء بنو اعن الحق وتباعد في الهرب منه والاول يقتضي تصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس الاخير في وقال الزجاج الرجس اللغة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معللا بما في حيز الصلة من كمال بتوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما يسبب من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقة الذي او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية والخاصة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عاد لا مطرادا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة وقد فصلنا الآيات

يتا مفصلة لقوم يذكرون ﴿ ١٢٦ ﴾ ون مافى تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى بما حوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اى للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهى الجنة عند ربهم اى فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اى مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متولى امرهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لقوله اللهم والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اى واذكر لهم يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن او ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاول مالا يساعده الوصف لفظاعة والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم وحشرتموهم معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اوليائهم اى الذين اطاعوهم ومن فى قوله تعالى من الانس اما للبيان الجنس اى اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف موصوف من اوليائهم اى كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف وكتسح الكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اهانتهم وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوا اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستدلالا لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد فحموا بالمرة فلم يقدروا على الكلم اصلا قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فما ذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اى منزلكم وذات نوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضى الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق فى علمه انهم يسلمون ويصدقون النبى عليه السلام وهذا يبنى على ان الاستثناء ليس من الحكم وما بعض من وقيل المعنى الا الاوقات التى يتقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روى انهم يدخلون وديا فيه من الزمهرير ما يتميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى المجمر وقيل يفتح لهم وهم فى النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين فى الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل انا رمثواكم ابدا الا ما اهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم فى افاعيله عليم باحوال المكلفين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اى مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولى بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم اى بجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض فى العذاب كما كانوا فى الدنيا عند اقتراف ما يؤدى اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين عليه من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس شروع فى حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين و تقريعهم بتفريط فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم اى فى الدنيا رسل اى من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتى كل رسول كل امة بل على ان يأتى كل امة رسول خاص بها الى ان مضت مدة امهال الله تعالى وجاء وقت ارسال رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين مطلقا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين

وقوله تعالى يقصون عليكم آياتى صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسالهم اى يتنزلون من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما فى تضاعيفها من القول لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذى قد عاينوا فيه ما اعد لهم من انواع العقوبات الهائلة قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اى باتيان الرسل و انذارهم وبقاء الحجة عليهم اياها بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل فى حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير وقد اجمل ههنا فى الحكاية كما اجمل فى حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا معترض عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم الى الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التى ارتكبوها والجاهم الى الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اى واغترت فى الدنيا بالحيوة الدنية والملذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذى بشرت به الرسل واجتروا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذى انذروهم اياه وشهدوا فى الآخرة على انفسهم انهم كانوا فى الدنيا كافرين اى بالآيات والنذر التى اتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكى عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اى بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اى ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره فى مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذة فى معنى الظلم وحقيقة لا فى مالكية تقييده بقوله تعالى وأهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك ولان الشان لم يكن مهلك القرى بسبب اى ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان تنهوا عنه وينتبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان تقض به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اى لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب للزم ما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعد ما تاتيهم الرسل كما فى قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوى الذى هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التعذيب بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوى والاخروى معا من غير انذار على البلغ وجه واكده حيث افتقر على نفى التعذيب الدنيوى عنه تعالى لثبوت نفى التعذيب الاخروى عنه تعالى على الوجه البرهانى بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فكان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفى التعذيب لافترض بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفى التعذيب الاخروى ونفى التعذيب الدنيوى غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفى الاعلى لا يدل على نفى الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوى على الانذار عند عدم تاثير المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروى ايضا كذلك فيزجرون عن الافعال بمواجب الانذار اشد انزجار وهذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدا محذوف كما اطبق عليه الجمهور فمعزل من مقتضى المقام والله تعالى اعلم ولكل اى من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة خاصة بما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات فى انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة

لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيجزى عليه من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ
بالتاء تغليبا للمخاطب على الغيبة وربك الغنى مبتداء وخبرا هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان و
ما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم فى التعرض لوصف الربوبية فى الموضعين كما يأتى الثانى لكونه موقع
الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام وتنبيه بما حتمه على توجيه مثول الوعيد الآتى
لها ما يضاما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغنى صفته اى يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم وبمهلهم
على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه تعالى بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ يذهبكم
اى ما به حاجة اليكم ان شاء يذهبكم ايتها العصاة وفى تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم
اى من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشاكم
من ذرية قوم آخرين اى من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم سفينة نوح عليه السلام كنه انكم ترحمتما عليكم
وما كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهى على غير القياس فان يستخلف فى معنى ينشئكم كما انه قيل ونشأكم انشاء
كانشائكم اياه او نعت لمصدر الفعل المذكور اى يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استيناف مقرر
لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اى الذى توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة
الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددى لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انه ما توعدون لواقع وايثاره على ليبان
كمال سرعته ووقوعه بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب جميع بديعة قوله تعالى وما انتم بمعجزين
اى بفائتين ذلك وان ركبتم فى الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان
بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على
دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفى على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق فى موضعه
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
بان يوجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب فى الدين ونهاية الوثوق بامره
وعدم المبالاة بهم اى اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على هيئتكم و
حالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة بمعنى مقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم
انى عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة واراد التهديد بصيغة الامر
مبالغة فى الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمل عليه فيحمله بالامر على ما يؤدى اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتى منه الا الامر
كالذى امر به بحيث لا يجد الا التفصى عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتاكيد مضمون
الجملة والعلم عرفانى ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم فلها الرفع على الابتداء وتكون باسرها وخبرا خبر لها
وهى مع خبرها فى محل النصب لسد المسد مفعولى تعلمون اى فسوف تعلمون اينا تكون لنا العاقبة الحسنى التى خلق الله
تعالى هذه الدار لها والا موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اى فسوف تعلمون الذى له عاقبة الدار وفيه
مع الانذار انصاف فى المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقى
انه اى ان الشان لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان انتفاء الفلاح مترتب على اى
فرد كان من افراد الظلم فكيف بالكفر الذى هو اعظم افراده وجعلوا شروعا بقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية
اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى ولاشياء منهما
للاصنام فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا نما بما يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للاصنام واذا كان ما جعلوه
للاصنام تركوه معللين بان الله تعالى غنى وما ذلك الا لحبهم الاصنام وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد
فالجار ان متعلقان به ومن فى قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على
فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكى له اى

عينوا له تعالى ما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين وغيرهم من المجورين لا مرار اس
الاهتمام بالمقدم والتسويف الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما حاذرا وعلى من فى بعضته اى جعلوا بعض ما خلقه نصيبا
له وما قيل من ان الاول نصيبا والثانى لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم لله تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا
لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا هم وقرئ بضم الزاى وهو لغة
فيه وانما قيد الاول للتنبيه على ان الحقيقة ليس بحيث يجعل لله تعالى غير مستتبع لشئ من الثواب كالتطوعات التى يبتغى
بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل
ولذلك لم يقيد به الثانى ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله بزعمهم زعم منهم لا يعلمون بمقتضاه
الذى هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان
وتفصيل له اى فما عينوه لشركائهم لا يعرف الى الوجوه التى يعرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق
على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجد وذلك كما يعرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها
بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى و
عليهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذى والتقدير ساء الذى يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة
يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او
مثل ذلك التزيين البديع المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم وخزعهم
لآلهتهم كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم
اى اولياؤهم من الجن اوسدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء
للمفعول الذى هو القتل وخفض الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليهما فعلوه اعلى ما يفيده كلمة لو وقرئ على البناء للفعول
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم
اى يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما شاء
عليهم ان يدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء
الله اى عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء والتزيين او
الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة
اى اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فذرهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما
بالغة انا يملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع
كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر انعام وحرث حجر اى حرام فعل بمعنى مفعول
كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة للانعام وحرث وقرئ
حجر بالضم وبضمتين وحرج اى ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم
الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من
فاعل قالوا اى قالوه ملتبسا بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على
قوله كما هذه انعام الها اى قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها
يعنون بها البحائر والسوائب والحوامى وانعام اى وهذه انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها
صفة لانعام لكنه غير واقع نا كلاهما المحكى كتظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره
كما فى قوله تعالى انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على
الاصنام فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يروى عن
ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا على شئ من شانها لا ان ربهما

ولا ان حلبوا ولا ان تجوا ولا ان ملوا اذ كانوا يفعلون ذلك باعواد لا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله او ما على تقدير عامل من لفظه اى افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او محذوف هو صفة له لانه افتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اى مفترين او على العلة اى للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اى بسببه او بدله وفى ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من فنون كفرهم ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اى ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير فى قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اى جنس ازواجنا وهو الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة وفى نظائره و اما العكس فقد قالوا انه لا نظير له فى القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اى ان ولدت ميتة فهم اى الذكور والاناث فيه اى فيما فى بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكور والانث فغلب الاول على الثانى سيجزيهم وصفهم الكذب او حكمه او للذكر والباقى مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها وختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اى انشاءهما وتولد بعضهما من بعض كما هو المشاهد فيهما متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اى يتشابه بعض افرادهما فى اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اى من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينضج بعد وقيل ثانية رخصة للمالك فى الاكل منه قبل ادا حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين للمقدار لان الزكوة المقدرة انما فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد لبيان ان الوجوب حينئذ لا تاخير عن وقت الاداء وليطابق ادا الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه و لا تسرفوا ان فى التصدق كما روى عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة فتصدق بثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله لقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى اسرافهم ومن الانعام

حمولة وفرشا شروع فى تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى شانه بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشاء ومن متعلقة به اى وانشاء من الانعام ما يحمل عليه الاثقال والفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبادة عاد كر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اى كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اى حلاله وفيه تقريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا فى امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين فى ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منها النسل والمراد بها الانواع الاربعة واريد بها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وباقى بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما بعضها وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينها او حالا من ما بمعنى مخلقة او متعددة يا باه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثانى الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التى تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم و افترائهم فى كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين اه قوله سبحانه وتعالى من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل فى اى انشاء من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريكه فى حكمه اى وانشاء من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ من المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للكبش ونعجة تقدير بما فى التفصيل مع تاخر اصلها فى الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذى هو اعظم ما يتعلق به الجعل والمنة وهو الترفة الاقتصار على الاهم فى قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالجعل والركوب وغير ذلك حاجر موجه السابقة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التى انشاها اى قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من الضان والمعز حرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم او بمحذوف دل عليه حرم كما ترى عون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب وتثنية للتبكيت والالزام اى الجزمون بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء دال على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او بنون تبنئة بلبته بعلم صادرة عنه ان كنتم صادقين اى فى دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضان اثنين اه وانشاء من الابل اثنين هما الجمل و الناقة ومن البقر اثنين ذكر لوانثى قل انحا ما لهيئة امر هذين النوعين ايضا آلذكرين منها حرم ام الانثيين ام اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى اكلما ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهارا كذبهم فى ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما فى بطونها للمبالغة فى الرد عليهم باراءة الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعى الضان ونوعى البقر بما ذكر من الانكار بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكرين حرم ام الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث

لمزيد التثنية والتكرير من المبالغة والتأكيد والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء انكير للانافي العام كقوله تعالى بنبؤني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ باذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا نصب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي حسبما هو المؤسس لهذا الشرا والكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اى فاى فريق اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين لم وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعد ما على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اى هو اظلم من كل ظالم وان كان للنفي صريحا الا ان الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم منتفق بحذف وقع حالا من فاعل افترى اى افترى عليه تعالى جاهلا بالصدور والتحريم عنه تعالى وانما صنعوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم مما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ما يقولونه لو لم التحريم افتراء وبحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه عليهم وهو قوله لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذانا بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة التحريم مأكولا على طاعم اى اى طاعم كان من ذكر او انثى رد اعلى قولهم محرم علازواجنا وقولهم يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اى ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اى الخنزير رجس او لحمه فقط لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اى ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اى اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي عدا المذكورات بالاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اى كل ما لا اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الظفر مجازا للمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عاقبهم التحريم كما هو تحقيق لما سلف من حرم المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم فإذ كذبهم فانهم كانوا

يقولون

البعض فعيشة وليس بشئ واطلاقه عند البصريين تامّ من لمّ اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أمّ لمّ حذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون تعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلمّ الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينفرد بقولهم وانما امروا باحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووُصفوا بما يدل على انهم شهداء مع وصفهم بالشهادة لهم وبضده مذهبهم فان شهدوا بعد ما حضروا بان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقوهم فانه كذب بحت واختراء صرف وبيّن لهم فساده فان تسليم منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الماجد القوم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم فان من يكذب بآيات الله تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا بالعطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه كل ذلك على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جاءوا بها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيته بظهور عجزهم عن اخراج شئ يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى عجز اتبنا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات ولما الاطعمة المحرمة فقد بينت بالتحريم كما ان الغنيمة في الاصل الصابة الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا في الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف اي اقرأه الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه او مصدرية اي الآيات المشتملة على تحريمه او يحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل أتل اي شئ حرم ربكم و عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كون بعضها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت هي به فان الامر بالشئ مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كما ان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد على الوجه المذكور كانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين فلا انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والكف عليه التعويل هو الاول للامور من جملتها ان في اخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا

نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين اي و احسنوا بهما احسانا وقدم تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذاك المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استيناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الآتية جئ ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار اتحادهما في كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذاك وأد خفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشئ ومحاياته ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فتخرج منها الحربي وكقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف المختصة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به ربكم امر مؤكد آخره والجملة مستأنفة جئ به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما يقضي به بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولا خراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء ولقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فادفعوا اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد كبأس واكلب او شدة كبر واشر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جئ به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقدم تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديم الاعتناء بشأنه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر تيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لم تختلف باختلاف الامم والاعصار وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات

نصب

محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وهن مجرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن
تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شئ في التورية بسم الله الرحمن الرحيم
قل تعالوا الآيات وقال هذا صار الى اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى
ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء وعن اضافته
الى ميمه عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان
ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمكلفين بل متعلقة به عليه السلام ايضا وانه عليه السلام مستمر
على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه
بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع ما في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام فيه داع للمكلفين
الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ ان هذا بتخفيف
ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراط وقرئ صراط ربكم وهذا صراط
ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى
التائين والباء للتعدية اى فتفرقكم حسب تفرقها اياي سبيلا نحو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهبت
به لمافيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا خروج ونحو
دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي وافتقاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين
سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم
تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا
لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر
يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا
لصفوته فعلنا ذلك ثم آتيناه الخ كما ان قوله تعالى وانطبع عطف على ما يدل عليه اولم يهد لهم الخ كانه قيل يغفلون
عن الهداية وننطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به وذكر معه سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا
يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي اما في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس
اعجب او للتفاوت في الرتبة كما في قولك ذكرك وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التورية فان
اثناءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اى
اتماما لها على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اى على من احسن القيام به كائنا من
كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذين احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام
او تماما على ما احسنه موسى عليه السلام اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى على الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما الخ تماما
كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه الدين وهو عطف
على تماما ونصبهما اما على العلية او على المصدرية كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وصيغ
لعلهم ببناء المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب والتاء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بيؤمنون
تعالى يؤمنون قدمت عليه مخافة الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
والعذاب وهذا الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اي القرآن كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره و
قوله تعالى انزلناه مبارك اى كثير المنافع دينا ودنيا صفتان للكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه
غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبر كان آخر ان لاسم الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية
والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها

فان عظم

فان عظم شان الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب للاتباع اى اتباع
واتقوا ما نهيتم عنه لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا
لنفسه لزوم الفصل بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اى انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا
يوم القيمة لو لم ننزله انا انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم على طائفتين كائنتين من قبلنا
وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الكتابان اللذان اشتهر حينئذ فيما بين الكتب السماوية باشتمال جل
الاحكام كالسيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان
محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم لم تقولوا باحكامها العامة اى
وانا كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة و
نحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالها
على الاحكام المذكورة المثنا ولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها لا على
سائر الشرائع والاحكام فقط او لتقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب
فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم لما الجم الذي هو للمقتضي لانتفاء
اوالى ما في تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدة اذهانهم وثقابة افهامهم ولذلك بلغتنا
من فنون العلم كالفصص والاخبار والخطب والاشعار وغير ذلك طرفا صالحا وغير امثون وقوله تعالى فقد
جاءكم متفرع لمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط
له اى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب
عليكم فقد حصل ما افرضتم وجاءكم بينة واي بينة اى حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم
متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اى بينة كائنة منه تعالى واما ما كان نعته دلالة على فضلها الاضافي
كان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد
تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينها ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا
بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم
بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان نفي الاظلم المشتمل على
اقصى مراتب الظلم اثبات لاتم مراتب الظلمية من يكذبه اى واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصنع
والرحمة موجب لغاية الظلمية من يكذبه اى واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصنع
الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنفيعا لعلة انتفائهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم
واسفا طالمن رتبة الخطاب وعبر عما جاء به آيات الله تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية
كانت من آياته تعالى كاف في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد
اظلم من فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من
فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من
كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها اى صرف الناس عنها بجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين
يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع
الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اى العذاب الشديد الشنيع بما كانوا يصدفون
اى بسبب كانوا يفعلون الصدف والعرف على التجدد والاستمرار وهذا صريح باشتراك الجميع في العذاب
من علية ما في حيز الصلة لهل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه لا ينافي منهم الايمان بانزال ما ذكر
من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات
الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار

الا ان تاتيهم الملئكة او ياتى ربك كما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا و
بقولهم او ياتى بالله والملئكة قبيلا بقولهم لولا انزل عليه ملك ونحوه لك او الآن تاتيهم ملئكة العذاب او ياتى
امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سبق وقرئ يأتيهم بالياء لان تانيث الملئكة غير حقيقى او ياتى
بعض آيات ربك اى غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظايم
الآيات التى علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كان اضافة الآيات الى الموصوفين الى اسم
الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ميمه عليه السلام للتشريف وقيل المراد بالملئكة ملئكة الموت
وبآياته سبحانه وتعالى اتيان كل آية بعض آيات القيمة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تع
على ان المراد به اشراط الساعة التى هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن
كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور حاينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات
فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا جعل الانتظار على التمثيل المبنى على تشبيه حالهم فى الاصرار على الكفر
والتمادى فى العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التى لابد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظر
لها وانت خبير بان النظم الكريم بسياقة المبنى عن تماديهم فى تكذيب آيات الله تع وعدم الاعتداد بها و
سياقة الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينظرونه يستدعى ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم
اما بان تكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على ما جنايا تهم كاتيان ملئكة العذاب واتيان امره
تع بالعذاب وهو الانسب كاتيانى من قوله تعالى انتظروا انا منتظرون واما حمل على ما ذكر من اتيان
ملئكة الموت واتيان كل آيات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل
مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة فتم جواز حمل
بعض الآيات فى قوله عز وعلا يوم ياتى بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهى العظام السالبة
للاختيار الذى عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فتيم التقريب بدخول ما ينظرونه فى ذلك
دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تع لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم
وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اى لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها تج
لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تع فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تع لم تكن امنت من قبل
اى من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينها بالفاعل كما فصل بينهما بالمفعول فى ضربت غلام هند زيدا
اجنبى منه كما شتركهما فى العامل وقوله تع او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت باعتبار التقييد اى
لكفاية احد التقييدين فى عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان تج نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكتسب فيه خيرا
ومن ضرورة اشتراط النفع بتحقق الامرين اى الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا يعلم ان النافع هو تحقق
والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لانه هو النافع وتحققها شرط فى نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات
فان توبة لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلها معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل
باهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفى التردد المستفاد
بعموم المفيد بمنطوقه كاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه كاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق
منع الخلو دون الانفصال الحقيقى فالمعنى لا ينفع الايمان تج نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما
الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الآيات
والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا

فائدة

فائدة على ان الموجب للخلود فى النار هو العدم الاول من غير ان يكون للكفر دخل فى ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد
بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام لغو من الكلام مبنى على توهم ان المعتبر فى الخلود بوصف النفس بالعدم الذكور
مجرد بيان ايجابها للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث فى انجائها فقط وليس كذلك والا لكفى فى البيان ان
يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلى من وصفها بذينك العدمين فى اثناء بيان عدم نفع
الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيها اعنى الايمان السابق والخير المكسوب فيه باذكر من
الطريقة والترغيب فى تحصيلها فى ضمن التحذير من تركها وكلا سبيل الا ان يقال كان عدم الاول مستقلا فى
ايجاب الخلود فى النار فيلغو ذكر عدم الثانى كذلك وجوده مستقلا فى ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثانى
لغوا لما انه يتحاش مع الفارق كيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص عنها مع دخول
الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما يقتصر على
بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق معانه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعنى الايمان الحادث
بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحرى الاعلى وتبنيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة
عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التى علوتها الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب
وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم بيان ان كلا ذلك
لغو بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تع والذين كفروا ربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية
ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة
والا لحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النفس باذكر من العدمين التعرض بحال الكفرة فى عدمهم و
تفريعه فى كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالآخر كما فى قوله عز وجل فلا
صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع
الشرائع فى حق المؤاخذة كما ينبئ عنه تو لم تك فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا
وقفت على ان الآية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف
التقديرى اى لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان
مبنى اللف التقديرى ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة المذكور
عليه واقتضائه اياه كما مر فى تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد يقال
المفصل ذكر حشر المؤمنين فقط بانباء التفصيل عنه اعنى قوله تع فاما الذين آمنوا الآية ولا ريب فى ان ما قدر
ههنا ليس مما يستدعيه قوله تع او كسبت فى ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعد وه
وعلقوه باتيان ما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم بيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر بان
لهم بعد ما اصابهم من الدواهى ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا تاتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الحال
بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وتداجيب عن الاستدلال بوجوه اكثرها تعصبات امرها اسقاط الآية
الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن
العمل فى الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتى لما تقرر من ان النظم بمعزل من معارضة القطعى
قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنظرونه من اتيان احد الامور الثلثة لترواتى
شئ تنتظرون انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاييد لكون المراد بما ينظرونه
اتيان ملئكة العذاب او اتيان امره تع بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بمعاينتهم لما ينتهم للكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذى تشاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم
ان الذين فرقوا دينهم استيناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اى بددوه و

وبعضوه تمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اى باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض آخر منه
ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اى فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية
الا واحدة وستفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة والاستثناء الواحدة من فرق
كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضى قبل النسخ واما بعده فالكل فى الهاوية وان اختلفت
اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم فى شئ لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم
بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم فى شئ سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذى امرت
بالدعوة اليه فيكون منسوخا بآية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفى المذكور اى هو يتولى
وحده امر اولهم واخرهم ويريده كيف يشاء وحسبما يقتضيه الحكمة يواخذهم فى الدنيا متى شاء ويأبى تقبالهم
اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم
والاعتذار بان معنى لست منهم فى شئ حينئذ انت برئ منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك بآباه التعليل المذكور
ثم ينبئهم اى يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة فانها سببا
للعلم بنبأها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤس الاشهاد
ويعلمهم اى شئ شنيع كانوا يفعلونه فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها استيناف ببيان لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين
المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت
له عشر حسنات اى من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات
امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد
ومن جاء بالسيئة اى بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها
بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذى يدعون انهم عليه وقد فارقوه
بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره لمزيد تشريفه اى قل لا ولئك المفرقين الراشدنى ربى بالوحى وبما نصب فى الآفاق والانفس من
الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله
النصب كما فى قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما
مبالغة فى القيم على القياس بقولهم كعوض فانه لا اعلال فى فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من
ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابرهيم عطف
بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين
اعتراض مقرر لنزاهة عليه السلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اى ما كان منهم فى امر من امور دينهم
اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود والمشركين
بقولهم عزير ابن الله والنصارى والمشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد
الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع ومكسوب باصولها اى عبادتي كلها وقيل ونسكي جمع بينه
وبين الصلوة كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي ومحياى ومماتي اى وما انا عليه
فى حيوتى واكون عليه عند مماتى من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات

كالوصية

كالوصية والتدبير وقرئ محياى بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة
له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته
فى الفضل اى بذلك الاخلاص امرت لا بشئ غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته
عليه السلام الى الامتثال بالامر به واه ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به بقدره
به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغى ربا آخر فاشركه فى العبادة وهو رب كل شئ جملة
حالية مؤكدة للانكار اى والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور ان يكون شريكا له فى المعبودية
ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب
علينا ما علمتم من الخطايا لا علينا واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد لها بالمعنى الاول
اى لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها وهذا ان يكون صدور ما عن شخص وقرارها على شخص آخر
حتى يتأتى ما ذكر ثم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثانى اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل
نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد
الوعيد اى الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الحق
من الغى وتمييز المحق من المبطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف
بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم فى الشرف
والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة
من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اى عقابه
سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادة
الله تعالى عن استعمال المبادى والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغى وفى جعل خبر هذه
الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من
هى له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك يجأرون
بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

المص امر مرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة
فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذا المص اى مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة
اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صح الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما
انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر الشاهد وقوله تعالى كتاب على الوجه الاول خبر لمبتدا محذوف
هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف هو كتاب الخ او اسم اشارة اشير اليه
تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضوره نفسه المؤلف اى هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثانى خبر بعد خبر مجئ به اثر بيان كونه
مترجما باسم بديع مبنى عن غرابة فى نفسه اثر بيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا لكمالاتها
المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدا اى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع
حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل مجئ الاخبار بها انزل

اليك اى من جهة تعالى فى الفعل لمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور
تعينه وهو السر فى ترك ذكر مبدا الانزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة للكتاب
مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله ضرفا لعلم معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن فى صدرك حرج
اى شك كما فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق
الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه والفساحه مبالغة فى تنزيه ساحة عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو فى
ضمن النهى فانه من الاحوال القلبية التى يستحيل اعتراؤه اياه عليه السلام وما يتبادر من نسبة اليه فى ضمن النهى فعلى
التهييج والالهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشر بحيث ينهى عنه من لا يكن صدور
عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والتكثير فى قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه اى ضاق به
صدره او بمحذوف وقع صفة له اى حرج كائن منه اى لا يكن فيك شك ما فى حقيقة او فى كونه كتابا منزلا اليك من
عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فما ذكر بالكلية وحصول
اليقين به قطعا واما على الثانى فهو لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى الى الحرج مع ان المراد
نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة فى تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهى عن الشئ مما يوهم امكانه
صدور المنهى عنه عن المنهى واما للمبالغة فى النهى فان وقوع الشك فى صدره عليه السلام سبب لافاضة علية السلام به
والنهى عن السبب نهى عن المسبب بالطريق البرهانى ونفى له عن اصله بالمرة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية
وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهى هناك وارد على السبب مرادا به النهى عن السبب فيكون المال نهيه وهم
عز تعالى ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او
ان تقصر فى القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا
ينبسط له كما منه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا
منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال المخوف قطعا وان كان ايجاب الثانى بواسطة الاول وقوله تعالى لتنذر
به اى بالكتاب النزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان
مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهى فان انتفاء الشك فى كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به
قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على
التفسير الاول لان تعليل النهى عن الشك بانه كرر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر
بان المنهى عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا
ريب فى فساده واما على التفسيرين الاخيرين فانما يتاتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة اخراج حتى
يجعل غاية للانتفاء وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين فى حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اى وتذكر المؤمنين تذكيرا
او الجر عطفا على محل ان تنذر اى للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير
بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اى لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام
اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبى عليه السلام
قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله عليه السلام اثر ذكر ما يصحح من الانذار والتذكير
لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من
الموصول او من ضميره فى الصلة وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم
فى الامتثال بالمامور به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكما بطريق
الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل اليهم انما يتاتى بالاعراض عن اتباع غيره تعالى
فقيل ولا تتبعوا من دونه اى من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق وحكم النصب على انه حال من فاعل

فعل النهى اى لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة
والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر
عنه كان صفة له اى اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الغير للعهود على حذف المضاف اى اولياء اى ولا تتبعوا من دون ما
انزل اليكم اباطيل اولياء كائنة قيل ولا تتبعوا من دون ربكم دين اولياء وقرئ ولا تتبعوا كما فى قوله تعالى ومن يبتغ غير
الاسلام دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف احدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء
المحمولة على الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم
للقصر او الزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون
بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل فى قوله تعالى قليلا
ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء
سوء حالهم عدم الامتثال بالامر والنهى صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب
على انه حال من فاعل لا تتبعوا او مصدرية مرتفعة به اى لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم كما على توجيه
النهى الى المقيد فقط كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر
لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين النكير وكم من قرية اهلكناها شروع فى انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم
عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير فى موضع رفع على الابتداء كما فى قولك زيد ضربته
والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير فى اهلكناها راجع الى معنى كم اى كثير من القرى اهلكناها او فى موضع نصب
باهلكناها كما فى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اى
اردنا اهلاكها فجاءها اى فجاء اهلها باسنا اى عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اى
باتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اى او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما خصت
الواو من الحال المعطوفة على اختها استثنافا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا
كالتاء بالضمير كما فى جاءنى زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة و
الدعة اقطع وحكاية للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفى البيات
والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما كما سيجئ للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اى
دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم ويتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا
امارته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه بحسرا
عليه وندامة وطمعا فى الخلاص وهيهات ولات حين مناص فلنسالن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروى
اثر بيان عذابهم الدنيوى خلا انه قد عرض لبيان مبادئ احوال المكلفين جميعا كونه ادخل فى التهويل والفاء لترتيب
الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اى لنسالن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين
ولنسالن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة و
تقريعهم والكف عن بعض المعاصى بقوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام او الاول فى موقف الحساب والثانى
فى موقف العقاب فلنقصن عليهم اى على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم و
على الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بعلومنا منهم وما كنا غائبين
عنهم فى حال من الاحوال فيخفى علينا شئ من احوالهم واعمالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اى وزن الاعمال
والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديئها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق
صفته اى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل
الحق اى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن فالجمهور على ان صحائف الاعمال حق التوزن

بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة كما يسأل المرء عن اعماله فيعترف بها السنتهم و
جوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والحكمة والاشهاد وكما يثبت في صحايفهم فيقرؤنها موقف الحساب وتؤيده ماروى ان الرجل
يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مدى البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين
يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش
والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على الاستعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية
قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد
خنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل
قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله
عليه السلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم
المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رض انه يؤتى بالاعمال الصالحة
على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم
منزه عن الجور فيكيفه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكميتها واما منكر له تعالى فلا يستحق ان يرجح بعض الاعمال على بعض لخصوصيات
راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه قلنا الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف
الحال يومئذ ويظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وبادصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك و
تتخلع عنها الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد من يشاهد بها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها
وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورة الحقيقة المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم

فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر
وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته واعماله التي لها
قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق ليزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه
فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او بتداء خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم
مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اي
موازين اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعمال السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك
الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدا وخبره الذين خسروا انفسهم اي ضيعوا الفطرة
السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية
وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب يقدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغة الماضي والمستقبل للدلالة
على استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا
ظالمين ولقد مكناكم في الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره و
بين لهم وخامة عاقبة الاخلال في الدنيا والعذاب الخالد في الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم
الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلناكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها
واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعائش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم

لا توصف بالخفة والثقل المحسوسين بالجواهر مجرة

والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه قراءة اضافة الياء وعن ابن عامر انه همزة تشبيها له بصحايف
ومدائن والجمل بمعنى الانشاء والابداع اي انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد
من الظرفين متعلق به او بمحذوف ونصب حالا من مفعول المنكر اذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمها على المفعول مع
حقها التأخير عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفوس عند تأخير ما حقه
التقديم كما هو عند كون المقدم مثلا عن منفعة للسامع تبقى متشوقة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن
واما تقديم اللام على في قلما انه المبنى عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسارعة الى ذكره اهم لهذا وقد قيل ان
الجمل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او
بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة
لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون ان تلك النعمة تنزيل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم
وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة نائية
على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض لما انها
ناقضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان
رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم و
حرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونها وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بها خلق آدم
عليه السلام وتصويره حتما لتوفية لمقام الامتنان حقه وتاكيد الوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من
خلقه عليه السلام وتصويره لا لانها ليست من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل
من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمط ومصنوع على شاكلة مكانهم الذي تعلق
به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار الكم جميعا
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر
المعلوق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته
وكلمة ثم ههنا يقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك
ظاهر فضل آدم عليه السلام بعد المجاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ
قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وانتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق
من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر المعلق
عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست
بعزيزة في الكلام الغير بليغ فلعله تعالى القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بانه
قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وبينت لكم
فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا وألقى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق
الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فيناسب ذكر ما ذكر في قصة البقرة وقد حقق
فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهد وامنه عليه السلام ما شاهد وافعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشأن المأمور
به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعض فاكتفاء بما ذكر في كل موطن عما
ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال
ربك للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون اي كلامهم
عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملاء الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما نطق به المحكي عنه مجمور

المفسرين وباختصامهم ماجرى بينهم فى شان الخلافة من التقاول الذى من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء
بالاسماء ومن قضية البدلية وقوله لاختصام المذكورة تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به
من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملئكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملئكة
وماجرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملئكة ومكابرة ابليس وطرده من
البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد
الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم فسجدوا اى الملئكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا
ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مغمورا بالوف من الملئكة متصفا بصفاتهم تغلبوا عليه فى
سجودهم استثنى استثناء واحدا منهم اولان من الملئكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر فى سورة البقرة
نقوله تعالى لم يكن من الساجدين اى ممن سجد لآدم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم
من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتمانع ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون
متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استيناف مسوق للجواب عن سؤال نشاء من
حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال
على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هى الاشعار بعدم تعلق المحكى بالمخاطبين كما فى حكاية الخلق والتصوير
ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد كما وقع فى سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذى دخلت عليه كما فى قوله
تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب بنبهة على ان المؤنخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مصروف الى خلافه فالمعنى
ما صرفك الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور فى سورة الحجر بابليس
ما لك الا تكون مع الساجدين وفى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى واختلاف العبارات عند الحكاية
يدل على ان التعيين قد ادرج فى معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام
فى سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند
الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية فى التوبيخ واتكالا
بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه
قال استيناف كما سبق مبنى على سؤال نشاء من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل
قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعنى كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف
شانا يأتى الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه ان لا يسجد لمن دونه فكيف يحسن
ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما فى سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون فهو اول
من اسس بنيان التكبر واخترع الفوك بالحسن والقبح العقليين وقوله خلقتنى من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما كان
جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من
جهة الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملئكة بسجود
عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم بما يدور عليه امر الخلافة فى الارض وان لم خواص ليست لغيره وفى الآية دليل
على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كما ينبئ عنه لعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى
النار باعتبار الجزء الغالب قال استيناف كما سلف والفاء فى قوله تعالى فاهبط منها لترتيب
الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واضرابه عن ذلك اى فاهبط من الجنة
والاضمار قبل ذكرها للشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا فى عدن لانى جنة الخلد وقيل
من زمرة الملئكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واتى هبوط وفى سورة الحجر فاخرج منها وانما

قيل

قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد
الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب فجئنه كما روى عن الحسن البصرى و
قوله لك فما يكون لك اى فما يصح ولا يستقيم لك ولامثالك بشانك ان تتكبر فيها اى فى الجنة او فى زمرة
الملئكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانما مكان المطيعين لا المتكبرين
ولا دلالة فيه على جواز التكبر فى غير الجنة وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة فانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد
عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر
بالخروج مشعرا بانه لتكبره اى من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضى الله عنه من
تواضع لله رفعه الله حكمة وقال انتقش نقش الله ومن تكبر وعد طوره وهصه الله الى الارض قال
استيناف كما مر مبنى على سؤال نشاء مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد سماع هذا الطرد المؤكد فقيل قال
انظرنى اى امهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية و
اراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره ويتخوف من الموت لاستحالة بعد البعث قال
استيناف كما سلف انك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سئله لآخرين على
وجه يشعر بان السائل تبع لهم فى ذلك صريحا انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء للانظار خاص به اجابة
لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخر الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اى انك من جملة
الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غيرهما استثناه الله تعالى من الخلائق
وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤل وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع فى سورة الحجر وسورة
ص كما ترك ذكر النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرنى الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفى انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ترى
ما هو الكلام المحكى له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة يقتضى ورود ه على وجه خاص من وجوه النظم بحيث
لو اخل بشئ من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكى على وجوه شتى ان اقتضى الحال
ورود ه على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة
البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير
فمقامه ان اقتضى اظهار الفراغة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الخير مقابلة
الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرنى حسبما حكى عنه فى السورتين فاحكى هناك يكون بمعزل من المطابقة
لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الفراغة
وترتيب الاستنظار على المرام المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار
على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه فى تينك السورتين وفى كل واحد من مقامى الحكاية والمحكى جميعا حظه
واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاقتصار
من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه و
لا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذى يجب اعتباره فى نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذى يفيده وانما
كيفية ادائه فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تترا عى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا
يقدح فى اصل الكلام بخريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك
بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة فى القرآن الكريم انما يحكى بكيفيات واعتبارات
لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لما امكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكى كلاما
وانما عدم مطابقته لمقتضى الحال تعمدوه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام

الحكاية واما مقام وقوع المحكى فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما فى
سورة المجادلة ص فان مقام المحاجة فيها لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التى وقع عليها
دوعى حق المقامين معا واما فى هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعى جانبه الا يرى ان المخاطب
المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التى يقتضيها
المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص
رعاية لمقتضى حال المخاطب فى الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق فى مقامه فاذا وجب مراعاة
مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاة مع قلة الكلام
بمزايا اخر يرتقى بها الى رتبة الاعجاز كما سيتضح اذا وفى حق مقام وقوع المحكى فى السورتين الكريمتين وكان
هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كما مثاله فبما اغويتنى الباء للقسم كما فى قوله
تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواء تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه فكان
قال الاقسام بها واحد فلعل التعبير اقسم بها جميعا فكى تارة قسما واخرى بالآخر والفاء لترتيب معمولى الجملة على الانظار
وما مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا
بقوله لاقعدن لهم كما فى الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اى فبسبب اغوائك اياى لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن
لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وطريق الاسلام
فالمقصود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما فى قولهم عسل الطريق الثعلب وقيل على انتزع الجار تقديره على
صراطك كقوله ضربت زيدا الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من
الجهات الاربع التى يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اى وجه تيسر باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم
من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ولا يقدرون
على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا
ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن لا يتيسر لهم ذلك وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف
الابتداء لانه منها متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منها كالمنحرف المنحاز عنهم المار على
عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اى مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه لما راى منهم مبادى الشر متعددا ومبادى الخير واحدا وقيل سمعه من الملئكة عليهم السلام قال استيناف
كما سلف مرارا اخرج منها اى من الجنة او من السماء او من بين الملئكة عليهم السلام مذءوما اى مذموما من
ذأمه اذا ذمه وقرئ مدوما مكسورا مسئول او مكول او نكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن يتبعك
منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك
بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اى وقلنا كما وقع فى سورة البقرة وتقدير الكلام بالنداء للتنبيه
على الاهتمام بتلقى المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته فى تلقى الوحى وتعالى المأمور به
اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون
الذى هو ضد الحركة سواء ضمير الذى المستكن ليصح العطف عليه والفاء فى قوله تعالى فكلا من حيث شئتما
لبيان المراد مما فى سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان بجمع الترتيب وقوله
تعالى من حيث شئتما اى من منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة باذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما
لتعميم التشريف والايذان بتساويهما بمباشرة المأمور به فان حواء اسوة له عليه السلام فى حق الاكل بخلاف

السكنى

السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهى بهما صريحا فى قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الباء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متدارکا منكرا راوهى فى
الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق بيان كيفية وسوسته فى سورة البقرة
ليبدى لهما اى ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عوراتهما
ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
فى الطباع ناوى عنهما من سوآتهما ما غلى وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما و لا
احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو والمضمومة همزة فى المشهورة كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها
وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اى عن اكلها الا ان تكونا ملكين
فيه دلالة على افضلية الملئكة لما ان من المعلوم ان المقربين لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما او صاف
الملئكة من الكمالات الغريزية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى
المتنازع فيه وقاسمهما اى كلما من الناصحين اى اقسم لهما وصيغة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول
وقيل قال له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة قد لاهما فنزلهما على الاكل من
الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من الاعلى الى
الاسفل بغرور باغرائهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملبسين بغرور فلما
ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافتا
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان
نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب
وانبرى اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ
يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويختصفان من التخصيف ويختصفان اصله يختصفان
نادا هما ربهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او
مقول لقول محذوف اى وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار
اشارة الى الشجرة التى نهى عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اى الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهى قيل فيه دليل على
ان مطلق النهى للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول
ههنا وقد حكى فى سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روى انه تعالى قال لآدم الم نخلك هذا الفردوس
منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف
بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد والمر الحارث
فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز فالا ربنا ظلمنا انفسنا اى ضررنا بها بالمعصية وهو
التعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر
يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك
على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استيناف
كما سلف مرارا اهبطوا كما فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة باذكر

في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم في الارض مستقر اى
استقرارا وموضع استقرار ومتاع اى تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد
الاستيناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى اأسجد
لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
اى للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس
كافة وايرادهم بهذا العنوان حالا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية
واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم
التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل
ذكر قصة آدم للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغراهم
بذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل المال ومنه تريش الرجل اى
تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اى خشية الله تعالى وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير او خير وذلك صفته كانه
قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباسُ التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال
اللباس من آيات الله دالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فينعمون نعمه ويتفضلون
فيتوقعون عن القبايح يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به و
ايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اى لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان
يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل اخراج
ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى
الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبيب وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اى جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد
التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم
في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة
تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جعل قبيلة من جملة جمع اولياء للذين لا يؤمنون الى جعلناهم بما
اوحينا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اى قرناء
مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداة
لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها
مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة
في الطواف ونحوها قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليه آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين
تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر
الله تعالى بها على ان مخيرا امرنا لهم ولآبائهم فيخرج وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله
لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث عليها مرضي الحصال ولا
دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة

ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما
فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين
يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور
به والهمزة للانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره
عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان استناده ما لم
يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاستناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق
بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للامور اثر نفي ما استدامه اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط
العدل وهو الوسط من كل شئ المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا
الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت
سجود او كان يسجد وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها وتعمدوا
الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما
بدأكم اى انشأكم ابتداء تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء
تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون
اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او
تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اى ثيابكم لمواراة عورتكم
عند كل مسجد اى طواف او صلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على
وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا
يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فنهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي رضي الله عنه لبعض ولده يا بني لا تاكل طعاما
في وصف الآية نقال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة
الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير
والصوف والمعادن كالذروع والطيبات من الرزق اى المستلذات من المآكل والمشارب و
فيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في معنى الانكار اى
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فانها تبع خالصة يوم القيمة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم
يعلمون اى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة
قل انما حرم ربي الفواحش اى ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها
وما بطن بدل من الفواحش اى جهرها وسرها والاثم اى ما يوجب الاثم وهو يعمها بعد تخصيص
وقيل هو شرب الخمر والبغي اى الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق
بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تحكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع
ما لا دليل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم

والله احزابها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قدم نفيره و
لكل امة من الامم المهلكة اجل حتم معين من الزمان مضروب لهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل
الضمير للام المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليها لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة
اجلها الخاص بها وبجيئه اياها بتوسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء
آجالهم بان يجئ كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر
فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اى اذا جاء اجلها
الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة ان شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية
القلة منه اى لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بجزمهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له
ولا يستقدمون اى ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع ثبوت
تأخره كان تأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور
الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة بحق وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجئ الدنو بحيث يمكن التقدم في
الجملة بمجئ اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك وتقديم بيان الاستئخار لما ان المقصود
بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما سبق من امة اجلها وما يستأخرون
من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سرّ تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ
عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء ركة
السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه اما ما بينهم
هي ان الشرطية ضمت اليها ما للتاكيد مع الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الحقيقة و
فيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة
لرسل اى كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اى يتلونها عليكم احكامي
وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط
اى فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف عليه الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى والذين كذبوا منكم بآياتنا وابراد الاتقاء في الاول
للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الجزاء
الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
اى تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اى هو اظلم من كل ظالم وقدر تحقيقه مرارا اولئك اشارة
الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتمادي بهم
في سوء الحال اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اى ما
كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اى ما اثبت لهم فيه وايا ما كان فهو الابتدائية متعلقة
بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اى ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه و
زرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اى ملك الموت واعوانه يتوفونهم
اى حال كونهم متوفين لارواحهم بتأييد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية
لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم حائما يتمتعون بها الى حين وفاتهم اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان

يأتيهم ملكة الموت فاذا جاءوهم من دون الله اى ابن الآلهة التي كنتم تعبدونها
في الدنيا وما وقعت موصولة بائين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استيناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اى غابوا
عنا اى لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اى اعترفوا على انفسهم انهم كانوا
في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجئ
الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجئ والتوفي الى انتهاء يوم الجزاء بناء على تحقق المجئ والتوفي كل
ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما او لهما فقط او تقدير بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان
عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما رتب
عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال
اى الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بتوسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اى كائنين من جملة
امم مصاحبين لهم من الجن والانس بيان كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا
كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا ادارکوا
فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا ومنزلة وهم الاتباع لاولاهم اى
لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا
ضعفا اى مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال
والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اى مالكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء
وقالت اولاهم اى لخاطبين لاخراهم حين سمعوا جوابه تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اى فقد
ثبت ان لا فضل لكم علينا واذا وايا كم مستوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اى العذاب
المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا
عنها اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اى لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم اولا ترفع
اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرئ بالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على انه
للتذكير والمضاف محذوف اى لا يصعد عمل ابن آدم ولا روحه ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل حالا من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل
كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنغب والجمل كالجبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة و
سم بالفتح والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اى ما يخاط به كالمخراز والمخرم وكذلك اى ومثل ذلك الجزاء
الفظيع نجزي المجرمين اى حبس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اى فراش
من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن فوقهم غواش اى اغطية والتنوين بدل من الاعلال بحذف حركة الياء
وللتصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك اى ومثل ذلك
الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات قد تخطوا
بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه
على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اى بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا
اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة التي شرعت بالآيات ونزلت بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدإ الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة
للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم بيان سهولة منالها وتيسر تحصيلها وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة

مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب
الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد
جعل كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او ظرفان لاولئك على أي
من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه
حتى لا يكون بينهم الا التوادّ وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم
والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا وقيل هي مستأنفة للاخبار عن صفة اجواز
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب
التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه و
مفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف للظهور المراد اولا ارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستأنفة او حالية وقرئ ما
كنا لنهتدي الا بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوا ابتجاجا واغتباطا
بما نالوه وابتهاجا بما نالهم بمجاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت
او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاؤا بالحق او لقد جاؤا الملتبسين بالحق ونودوا
اي ناداتهم الملائكة عليهم السلام ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من انّ وضمير الشأن
محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما للرفع من منزلتها وبعد رتبتها
واما للاشعار بأنها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بالبناء للمفعول من الورث والمفعول الثاني محذوف
اعلمتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ
وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تنجيا بحالهم وشماتة باصحاب النار و
تحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا
هذا النوال الجليل هل وجدتم ما وعدربكم حقا حذف المفعول من الفعل الكاسقاطا لهم عن رتبة التشريف
بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما شاهدهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم
اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر
العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على
الظالمين بان المخففة والمفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه
ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منها والعوج بالكسر
في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح بالعكس في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير
معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور وهو الجنة والنار ليمنع وصول اثر
احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب واعاليه صوا السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يظهر من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا
في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء و
الاخيار والعلماء من المؤمنين او ملئكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار
بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده نعلاء من سام ابكه اذا ارسلها او المراد بها
او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملئكة ونادوا اي رجال الاعراف
اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره

لم يدخلوها

حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم
يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن
تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعارا بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا
متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما
عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط
بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير
رجالا من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى
ركاكة رأيهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم
اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم
المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت
الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون على صريح انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قولهم لقد اولئكم الذين
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على
رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اوقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله
تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب
الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما تنفرع عليها من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما
عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملئكة ردا عليهم ادخلوا الجنة
وقرئ أدخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة فقيل لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة بعد ان استقر كل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه
وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على
ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا و
لعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوها والتقييد حول البيت والتوصيف الهم الى ما لا يحسن ان يضاف اليه
واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل
بهم ما يفعل الناسي بالمنسيّ من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى
كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء
يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما قبله اي
كما نسوا لقاء يومهم وجحدوا آياتنا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد
والاحكام والمواعظ والعبر للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم
حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء محكما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه
اي على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بآياته
المقبلون من انواره هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعد اياسهم به الا مآل امره من
تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل
اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل

لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون
لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع
اى فنحن نعمل غير الذى كنا نعمل اى فى الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التى هى رأس مالهم الى
الكفر والمعاصى وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء لله تعالى وشفعاء
يوم القيمة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام شروع فى بيان مبداء الفطرة اثر بيان معاد
الكفرة اى ان خالقكم وما لكم الذى خلق الاجرام العلوية والسفلية فى ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم
يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هى حينئذ وفى
خلق الاشياء مندرج جامع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور
ثم استوى على العرش اى استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف
والمعنى انه تعالى استولى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر
الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل و
النهار اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به اولان الافعال يحتملها ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار و
قرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او من المفعول بمعنى حاثا او محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتدبيره وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر
الا له الخلق والامر تأنيف موجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اى تعالى بالوهيته
الالوهية وتعظم بالتفرد بالربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين
لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير
حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين
وعدل الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية مبائنة
الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشاء انواع الموالد
الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام مع اليومين الاولين للفصل فى سورة السجدة ثم
لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره تدبير الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك و
تسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذى كفرتم شئونه الجليلة
تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى لا يحب دعاء
المجاوزين للامر او به فى كل شئ فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعى يجب ان
لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى
عليه السلام سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى
الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
اى ذوى خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه
ان رحمة الله قريب من المحسنين فى كل شئ ومن الاحسان فى الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع

وتذكير

وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول
او الذى هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير
من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو الذى يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة
وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اى مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او البشاء
وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اى ناشرات ونشرا على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان بين يدى رحمته قدام رحمته التى هى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ
يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اى السحاب او افراد الضمير لافراد اللفظ
لبلد ميت اى لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اى بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح والتذكير بتأويل المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به وقيل يحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو
الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق او الاول والظرفية واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات
اى من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها بارة النفوس الى مواد ابدانها
بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون يطرح احدى التاءين اى تتذكرون فتعلمون ان من قدر
على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اى الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر عن
كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة قوله والذى خبث من البلاد كالسبخة والحرة
لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اى ذا نكد و
نكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اى نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى
هى ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقبلين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب
ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو
جواب قسم محذوف اى والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع
الذى هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح ابن لمك بن متوشلخ بن
اخنوخ وهو ادريس النبى عليهما السلام قال ابن عباس رض بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره
ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا و
مائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن
مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان
عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان
بانما العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شئ وقوله ما لكم من الهة غيره اى
من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله على محل
الجر باعتبار لفظه وقرئ بالكسر باعتبار لفظه والذى هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالنصب على
حكم الاسم الواقع بعد الا اى ما لكم من آله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا وغير زيد نعت آله ان جعل
مبتداء انكم جيزه او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى ما لكم فى الوجود او فى العالم آلهة غير الله انى
اخاف عليكم اى ان لم تعبدوه وحسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة

تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه
وتكميل الانذار قال الملاء من قومه استيناف مبني على سؤال نشاء من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فما ذا
قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم
والقلوب بجلالهم وهيئتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب
والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استيناف كاسبق يا قوم
ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال يقصد عليه السلام تحقيق
الحق في نفي الضلال عن نفسه رد اعلى الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال
الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في
اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية
القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي
استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على الطريقة انا الذي سمتني
امي حيدرة وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما
اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين
للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله
بامره تعالى بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية ادائها ولزيادة الاهتمام مع تقدي النصح
بنفسه للدلالة على انه المحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد تنصيحته لهم كما
يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير
لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤنه عز وجل وقدرته
القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل
بهم العذاب قبلهم لكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما عليه نوح عليه السلام بالوحي اوعجبتم ان جاءكم ذكر
من ربكم جوابه ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم
لو شاء الله لانزل ملئكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل ا استبعدتم و
عجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة من مالك امركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من
جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملئكة
لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها و
لعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي
التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يثق
على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل فكذبوه فتمادوا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي
بلغه اليهم وانذرهم به في تضاعيف ذلك زمانا مديدا واعلم ذلك زمانا مديدا ولتة بعد ما كرر عليه السلام عليهم الدعوة
مرارا لم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوتهم ليلا ونهارا الآيات اذ هو الكذب بعينه الا انجيناه
والاغراق لازم الكذب فانجيناه والذين معه من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة
وقيل تسعة ابناؤه الثلثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى في الفلك متعلق باستقرار في الظرف اي استقروا
معه في الفلك او صحبوه فيها وبفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول
او من ضميره في الظرف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملاء المتصدين

للجواب

للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الانباء
به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم
كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنه عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد و
النبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق بمضمر معطوف على
قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم
اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيها الفعل المذكور فيما سبق واخاهم كما
معطوف على نوحا والاول هو الاولى وايا ما كان فعلى تقديم المجرور هنا على المفعول الصريح للخبر عن الانشاء
قبل الذكر يرشدك الى ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا الخ فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره
عليه السلام مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين
القصص الثلث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد
بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارخشد بن سام بن نوح ابن عم ثمود
عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استيناف
مبني على سؤال نشاء من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فما ذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
اي وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها
والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع
صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذابه
الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او تتغفلون
فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلموا ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة
هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منها وقد اكتفى بحكاية كل منها في موطن عن حكايته في موطن
آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر
من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله
اعلم قال الملاء الذين كفروا من قومه استيناف كما مر وانما وصف الملاء بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر
كملاء قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا بالجرد الذم
انا لنراك في سفاهة اي تمكننا في خفة عقل راسخ فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء و
لكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم
من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الجديرة
لتغليظ القول والمشافهة به بالسفه يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها و
لكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه وتقتضيه من كونه في الغاية القصوى
من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس
بي شيء مما نسبتموني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في
حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استيناف سيق لتقرير رسالته
وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافة الى
العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح
امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على الثبات

والاستمرار وايذانا باتى من هذا حاله ان يكون حوله شائبة السفاهة او الكذب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام
فيه كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اى من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر
والمعاصى حتى تسبتموه الى السفاهة والكذب وفى اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من ينافيهما بالا
خير فيه من امثال تلك الاباطيل باحكى عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة و
الرافة من الدلالة على جلالة قدرهم المعلى من مكارم الاخلاق مالا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء شروع
فى ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر
الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هى حاضرة بتفاصيلها كانها
مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا فى امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم
خلفاء من بعد قوم نوح اى فى مساكنهم او فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ومن ملك معمورة الارض
من رسل عالج الى سحر عمان وزادكم فى الخلق اى فى الابداع والتصوير او فى التمكن بسطة قامة وقوة فانه
لم يكن فى زمانهم مثلهم اعظم الاجرام قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين
ذراعا فاذكروا الاء الله التى انعم بها عليكم من فنون النعماء التى هذه من جملتها وهذا تنكير للتذكير لزيادة
التقرير وتعميم اثر التخصيص لعلكم تفلحون كى يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدى الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب
قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اى لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد اباؤنا
انكروا عليه عم مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انها كافى التقليد وحتما لما ألفوه
والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجئ اما مجيئه عليه السلام من معتقده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد و
التصدى مجازا كما يقال فى مقابلة ذهب يشتمنى من غير ارادة معنى الذهاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه
بقوله تعالى فلا تتقون ان كنت من الصادقين اى فى اخبارك بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور
عليه اى فات به قال قد وقع عليكم اى وجب وحق او نزل بامركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما فى قوله
تعالى اتى امر الله من ربكم اى من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثانى مع ان مبدأ الشئ متقدم على منتهاه للمسارعة
الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذى هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان
فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الاجسام
الذى هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلوننى فى اسماء عارية عن المسمى
سميتموها اى سميتم بها انتم وآباؤكم انكارا واستقباحا لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة
الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اما تجادلوننى فى اشياء سميتموها آلهة ليست هى الا محض الاسماء من غير ان
يكون فيها من مصداق الالهية شئ ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت كما
ذلك بجعله تعالى اياها بانزل آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ
ليس ذلك فى حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اى فانتظروا ما تطلبونه
بقولكم فاتنا بما تعدنا الخ انى معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء فى قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما فى قوله
فانبجست اى فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اى فى الدين برحمة اى عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى
منا اى من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المستفادة من تنكيرها بالفوقانية الاضافية
وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اى استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين
عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة اى اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية
الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته

كان

كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد بسطوا فى البلاد ما بين
عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم
وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وجبرية فامسك الله تعالى عليهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس
اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه فعند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عليق بن لاوذ
بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماتلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز وهرثد بن سعد
الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو ظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخوال
واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم بالهوى قد موا
له احمة ذلك وقال قد هلك اخوالى واصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى ان يكلمهم حشية ان فطنوا بثقل
مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قال فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم
فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقى ارض عاد ان عادا قد اسوا ما يئسون الكلاما فلما غنتاه قالوا ان
قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم نادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله
لا نسقون بدعائكم ولكن ان اطعتمونى وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا
لا يقدم معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ
الله تعالى سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادمن السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثر حتى ماء فرخجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا
عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له فى تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب
سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ
بالصرف تأويل الحى وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله صالح عليه السلام هو من حيث
النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بحاله مع
اليهم مظنة لان يسئل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
الٰه غيره وقد مر الكلام فى نظائره قد جاءتكم بينة اى آية وبعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتى ولعل من الالفاظ الجارية
مجرى الابطح والابرق الاستغناء عن ذكر موطنوناتها حالة الافراد والجمع كالصالح افرادا وجمعا وكذلك الحسنة
والسيئة يكونان كائنا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اولبت العوامل وقوله تعالى
من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام
اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه
الا يرى الى مانى سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات روى انه لما اهلكت
عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل ينحت من الجبل بيتا فيسكن المكان فينهدم
فى حيوته فكانوا ينحتون البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا فى الارض وعبدوا
الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل
منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال آيتكم ان تريدوني فالوا نخرج عنا الى عيدنا فى يوم معلوم
لهم من السنة فندعو الهتنا وتدعو الهك فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال صالح نعم فخرج
معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة فى ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البختى ناقا
فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقنه قالوا

نفرفصل ودعارية فتحذفت الضمة تخفيف التوجع بولدا فانصدعت عن ناقة عشرا حوفاء وبرا كاوصفوا لايعلم ما بين
جنبيها الا الله وعظاؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهطه من قومه ومنع اعقابهم كما
من رؤسهم ان يؤمنوا لمكث الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت
راسها فى البئر فارفرفها حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفج فيحتلبون ما شاؤا حتى تملئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت
اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فيذب منها انفاسهم فتهبط الى بلده واذا وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب
مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهما مرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المحيا ولما اضرت به من
مواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه فارة فرغا
ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فخرا
فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع
واثر تفرغ القطى تحنطوا بالقبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم
فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل
لتعظيمها او لتخصيصها من جهة تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واى آية وكم بيان لمن
هى آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان
له او بدلا او بيانا وكم خبرا عاما فى آية نذروها تقريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب
عدم التعرض لها تاكل فى ارض الله جواب الامر اى الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تاكل ما تاكل ارض
ربها فليس عليكم الا حراستها وبينها وقرئ تاكل بالرفع على انه موقع الحال اى آكلة فيها وعلى التقرض للشرب اى للاكتفاء
عن ذكر الاكتفاء عند ذكر الاكل او لتقييد له ايضا كما فى قوله ولا علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك فى قوله تعالى لها
شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالشد التفات لانواع الاذية
وتكرير التسوء مبالغة فى النهى اى لا تعرضوا لها بشئ مما يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تنفروها اكراما لآية الله تعالى
فياخذكم عذاب اليم جواب للنهى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه
لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم
مثل الذى اصابهم وقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم
قال ما عاقر ناقة صالح اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد اى خلفاء فى الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم فى الارض اى جعلكم مبوأة ومنزلا فى ارض
الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف بيانى لكيفية التبوئة اى تبنون فى سهولها
قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بانقلاون منها من الرخص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اى
الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بكاشياع الفتحة كما فى قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت بحر
الشئ الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا
الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اى من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن
النحت معنى الاتخاذ فانتصابها بها على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء
فاذكروا آلاء الله النعم التى انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآيات التى منها هذه من جملتها ولا تعثوا فى الارض مفسدين
فان حق الآية تعالى ان تشكر ولا تقل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعتى فى الارض بالافساد قال الملا الذين
استكبروا من قومه اى عتوا وتكبروا استيناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا
قوم اما اللام فى قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة

العامل

العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من
لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعى الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المحاورة مع المؤمنين
منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اى قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واستزلوهم اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جملة من المبتدا
الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهارا لما هو من الايمان الثابت
المستمر الذى ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغى ان يسئل عنه وانما التحقيق
بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا
ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذى آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا
لمخالفتهم اياهم ورد المقالتهم فعقروا الناقة اى نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او
لان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل بالا يخفى وعتوا
عن امر ربهم اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهى وقالوا مخاطبين له ع م
بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اى من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت
من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة
لكن لا اثر لما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادئ العذاب فى الايام الثلثة حسبما تفصيله فاصبحوا
فى دارهم اى صاروا فى ارضهم وبلدهم او فى مساكنهم جاثمين لاصقين بالارض موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك
يقال للناس جثوم اى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل و
المراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه
من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا نبرأ اليك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا او
الظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لانا نقضى بان الاخبار بكونهم فى ديارهم مقصود بالذات
وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات حيث قيل ذكرت الرجفة وحذفت الدار وحيث ذكرت الصيحة
جمعت لان الصيحة كانت من السماء فلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منها بما هو اليق به فتولى عنهم اثرما
شاهد ما جرى عليهم تولى مغتما متحسرا على فاتهم من الاياه متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى و
نصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى
ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اى شانكم الاستمرار على بعض الناصحين وعداوتهم فاطبهم ع م
بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل يثرب حين قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدربكم
حقا وقيل انا تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدة علاماته تولى ذاهب عنهم منكر لامارهم
على ما هم عليه وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج فى مائة وعشرة
من المسلمين وهو يكى فاكتنفه فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وستمائة دارورود
انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل
اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق والحق ان قريانه فى قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران
بن تارخ ابن اخى ابرهيم عليها السلام كان من ارض بابل من العراق مع عم ابرهيم فنها جرا الى الشام فنزل
فلسطين وانزل لوطا الاردن وهى كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بخمص وقوله تعالى
اذ قال لقومه ظرف للمضاف المذكور اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الا ولجعل تقييد ارساله عليه السلام
بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن فى اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر
اى اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه اتاتون الفاحشة بطريق الانكار والتوبيخ التقريعى اى اتفعلون

تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشرة والشوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقكم بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اى ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستانفة مسوقة لتاكيد التكير و تشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى وممن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة مجوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر كما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها كيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك الفعل انكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ال واللام مزيد تقبيح وتفويع كان ذلك امرا لا يتحقق صدوره عن احد فضلا عن تاكيد قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقبيح حالهم في اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اى متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بخلوهم التي افضتهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن تحذوف اى لا عذر لكم في فعل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اى المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اى لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اى لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اى الآن اذ هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والآن قالوا الخبر فما وهو اظهر واذ كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف اصح بالاسمية وايا ما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من التمادي حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج وصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من الغذارة كما هو دين الشطار والدعار فانجيناه واهله اى المؤمنين منهم الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اى الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب و لبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا عما شاهد من حكم الانجاء كانه قيل فاذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وتذييله قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطرت الرحمة وامطرت العذاب وقال الزاجز

مطر

مطرت الخير وامطرت العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف من الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراة التقطت حذيا ذا خاصرة فجاءت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقدر وعي ههنا لما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن نويب بن مدين وقيل شعيب بن يشرون بن مدين وكان يقال له الخطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف جيء على سؤال نشا من حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اى معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامة الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامة الاضافية اى بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم وما لكم امركم ولم يذكر معجزة عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فيها مر دون من محاربة عصاموسى ام التسعين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستبنأ موسى عليها السلام وقيل البينة تجنيه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اى حجة واضحة وبرهانا نيرا عبر بها عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اى الكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والقلب والترتيب الامر على مجئ البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بطخا معتدين على تاديها اى شيئا كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يبيعون شيئا الا مكسوه قال زهير اني كل اسواق العراق اتاوه وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اى بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحها انبياؤها واضافة الكل اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بامرهم به ونهيهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من الكسب والربح لان الناس اذا رغبوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على الطرق فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتنك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اى السبيل الذي تعدو واعليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكمال ضلالهم ودلالة على عظم ما يصدونه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طريق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدون عنهم وتوعدون حال من الضمير تقعدوا وتبغونها عوجا اى وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شاكلة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد

وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام و
طائفة لم يؤمنوا اي به اولم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على
المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ
الذين استكبروا من قومه استيناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فاذا قالوا بعد ما سمعوا هذه
المواعظ من شعيب عليه السلام فضلا عن اشراف قومه المستكبرون متطاولين عليهم غير مكترثين بنجح النصائح
عليه والامتناع من الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام اياهم
فيه واتباعه للمؤمنين واجتزؤا على اكراههم عليه بوعيد النفي وحاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد
القسمي لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا
بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله لتعودن معنا فانه متعلق
بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة
عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك وايتباعك من قريتنا بعضنا لكم وودفا لفتنكم المترتبة
على المساكنة والجوار وقوله تعالى اولتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين
البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه
عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فينا بينا حتى تدخلوا في ملتنا وادخالهم له عليه السلام في
خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم
يقولوا اولتعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذرا الاخراج باختيار
اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتغليب قال استيناف كما سبق اي قال عليه السلام
ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم اياهم الفاجرة اولو كنا كارهين علما ان الهمزة للانكار الواقع ونفيه لا
لانكار الواقع واستقباحه كما في قوله اولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون للاستفهام فيه باقيا على حاله
وتقرير ما ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلائم
لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة لتصدية الاعند القصد الى بيان الاعراب على الوجه
الصناعي بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل
حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له لينظم بشيوعه
او انتفائه معه شيوعه او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي
فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد
يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وتوكل احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اماتك ليقاء
على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل
واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد ببيان تحققه على كل
حال هو نفس بدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الانتفاء
بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه الذكور وان ما يقصد ببيان تحققه على كل
حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتي وان المقصود الاصلي
انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في
حيز لو الا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد

ومعاملة

ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين
للعود في ملة الكفرة ابتداء وحتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له
بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدون انها و
يطمعون انهم يختارون العود خشية الاخراج او ترتب مكروه يختارون عنده حلول ما هو اشد منه وافظع
والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير راغبين بالاكراه فالجملة في محل النصب على
الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ مآله انعود فيها حال عدم الاكراهة وحال الكراهة انكارا لما
يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال
منافاة للعود واكثر ما بعد انتهيا على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء
واضحا لان العود الذي يقلع به الانكار حين يتحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها
اولى ان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية
هناك معتبرة بالنسبة الا النفي الاتي بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم التغني
هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا
نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانا نعود فلم اختلف الحال بينهما لمكان مناط الاولوية اعني
الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور
واما فيما نحن فيه فنفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن
واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لانه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه
ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامها التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما
بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الآخر على وجه الكلية
الا يرى انك لو قلت ما كان لعود فيها الا لعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان بدلول
الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر
نفس الفعل وبقيده وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد
تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها
بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق
الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة
عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها
مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها
قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم
لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي
العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه
في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن
ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فاوجه استقامتها جميعا
عند ذكر المعطوف فيما عصيت يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان
يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا
منها يفيد معنى صحيحا في نفسه لان معنى احدهما عين معنى الآخر او ملازم متفقان في جميع الاحكام
كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا

المعنيين صحيح فى نفسه مصحح لنفى العود فى الحالتين مع ذكر ما هما غير ان الاول مصحح لنفى العود فى الحالتين مع
الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة
قد افترينا على الله كذبا اى كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا فى ملتكم الخ هى الشرك وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا
عظيما حيث نزعم ح ان لله تعالى ندا وليس كمثله شئ وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الكفر باطل وان ما
كنتم عليه من الكفر حق واى افتراء اعظم من ذلك وقيل ان جواب قسم محذوف حذف عند اللام تقديره
والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اى وما يصح ويستقيم لنا ان نعود فيها فى حال من الاحوال او فى
وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اى الا احوال مشية الله تعالى او وقت مشيته تعالى لعودنا فيها وذلك
حالا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم حاينئذ عن استحالة
مشيته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيته
تعالى لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله حذ لاننا وقيل فيه دلالة على ان الكفر بمشيته تعالى وايا
ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها فى حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيته تعالى كذلك
بل بيان استحالة وقوعها كما فى قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء ربنا وجيء بهذا ذلك بدليل ما
ذكر من موجبات عدم مشيته تعالى وسع ربنا كل شئ علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء
التى من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فيحال من لطفه ان يشاء عودنا
فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطوى عليه قولنا على الله توكلنا اى فى ان يثبتنا
على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمة بانجائنا من الكافرين بالكلية واظهار الاسم الجليل فى موقع
الاضمار للمبالغة فى التضرع والجؤار وقولهم ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن خطابهم
اثر ما ظهر له عليه السلام من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء
لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اى احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امر ناحق
ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملاء الذين كفروا من قومه عطف على قال الملاء الذين الخ ولعل تخلل
غير اولئك المستكبرين ودونهم فى الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامور جسيمة اره
المستكبرون وكيف لا يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم
السابق هو الاستكبار اى قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاتباعهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب ومن
معه من المؤمنين فى الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على
طريقة التوكيد القسمى والله لنن اتبعتم ودخلتم فى دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون
اى فى الدين لاشتراكهم الضلالة بعد اكم او فى الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب
وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابى الشرط والقسم الذى وطأته اللام فاخذتهم
الرجفة اى الزلزلة وكذا فى سورة العنكبوت وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة
جبريل عليه السلام ولعلها من مبادئ الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى
فاصبحوا فى دارهم اى فى مدينتهم وفى سورة هود فى ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم
لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم بئسما سبق لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى
كأن لم يغنوا فيها اى استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اى عوقبوا بهذه

ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير وإعادة الموصول والصلة كما هى لزيادة التقرير و
الايذان بان ما ذكر فى حيز الصلة هو الذى استوجب العقوبتين اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا
بهذه الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر الكفى عن التصريح
بانجائه عليه السلام كما وقع فى سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه الخ
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا اثر سفاههم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اى احزن حزنا شديدا على قوم كافرين
مصرين على الكفر ليسوا اهلا حزن كاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه
عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تقصروا قولا وفعلا فكيف
آسى عليكم وقرئ ايسى بالياء من يئس وما ارسلنا فى قرية من نبى اشارة اجمالية الى بيان احوال
سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفى والصفة محذوفة اى من نبى
كذب او كذبته اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا فى حيز النصب على انه حال من فاعل
ارسلنا والفعل الماضى لا يقع بعد الا الا باضمار شرطين اما تقدير قد كما فى هذه الآية او مقارنة قد كما فى
قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا فى قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء فى حال من الاحوال
الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان
ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع لغير منفك عنه بالآخرة كالاستكبار عن
اتباع نبيهم وتعزز هم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يتضرعون كى يتضرعوا ويتذللوا ويخضعوا
اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء
لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل فى حكمه مكان السيئة التى اصابتهم للغاية المذكورة
الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات حتى عفوا اى كثروا واعدادا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة
وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء و
السراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء من غير اه
يكون هناك داعية تؤدى اليها او تبعة تترتب عليها ولعل تاخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء
فلا صبر فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ واقطعه وهم لا يشعرون بذلك و
لا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة
اهلاكهم طرفة عين كما هلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمهم وما يضع بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كداب
ثمود ولو ان اهل القرى اى القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى فى قرية وقيل هى مكة وما حولها
من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بما اوحى الى انبيائهم معتبرين بما
جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اى الكفر والمعاصى او اتقوا ما انذروا به على السنة
الانبياء ولم يقترفوا على ما فعلوا من القبائح ولم يجاوزوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رض
وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل
المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اى ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا
وقد كتفى بذكر الاول كما استغنى بذكر الثانى فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصى التى

من جملتها قولهم قد مس آباءنا الضراء الخ وهذا الاخذ عبارة عما فى قوله تعالى فاخذناهم بغتة لاعن الجواب والخط
كما قيل فانها قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة أفامن اهل القرى اى اهل القرى المذكورة على وضع المظهر
موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة مما انتهم من الناس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة
منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتى والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار
الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الخ والفاء للعطف على
اخذناهم وما بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور قاكسبته ايديهم والمعنى بعد ذلك الاخذ أمن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا بياتا اى تبييتا اووقت بيات او بيتا او بيتيين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة وجئ
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضمير هم البارز او المستتر فى بياتا او من اهل
القرى انكار بعد انكار للمبالغة فى التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا وهم نائمون اوضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى اى ضحوة
النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اى يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم كانهم ليعبون افامنوا مكر الله تكرير للانكير لزيادة التقرير ومكر الله استعارة لاستدراجه
العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به ايان بأسه تعالى فى الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول
والثانى بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثانى فمن تتمة الاول فلا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اى الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها و
الاستعداد القريب المستفاد من النظر فى الآيات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون
من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما
لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او لما ان الهداية بمعنى التبيين والمفعول محذوف و
الفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اى اولم يتبين لهؤلاء امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى ان
الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله
ونطبع على قلوبهم عطف على يافهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن
التفكر والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى
نفى الطبع عنهم لانه فى سياق جواب لو فهم لا يسمعون اى اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر
فيها والاعتبام بما فى تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها
من القصص منبئة عن غاية عراقة الامم المذكورة وتمادیهم فيما بعد بما انتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك
اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة
المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اى بعض اخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل
تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى هذا
هى حية تسعى وتقدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها و
المقصود بيان احوالهم جميعا يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات للايذان بكمال عتوهم
بالمرة على وجه الاستيصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقاياها خاوية معطلة
اهول واقنط والباء فى قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع
حالا من فاعله اى ملتبسين بالبينات لكن لا بمان بأنى كل رسول بينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة
به معينة لحسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هى فيما بين الرسل
وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اى وبالله لقد جاء كل امة من

تلك الامم الهالكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالة
الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لاستمرار
ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجئ الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب
الاقلاع عنه وان كان استمرارا على حالة هى الحقيقة لكنه بحسب العنوان نعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم
يزجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفى اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام فى وقت من الاوقات
ان يؤمنوا بل كل ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا الغاية عتوهم وشدة شكيمتهم فى الكفر والطغيان ثم ان الامر
المحكى عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا استمرارهم على ذلك بعد اللتيا والتى وبما اشير
اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجئ الرسل الموقت الاصرار والعناد وانما يحصل ذلك
مقصودا بالذات كما لا يخفى بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم
بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذى يتعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التى جاء
بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد باذكر اولا القوم المستمرين حين
مجئ الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع
التى اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذى اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها
ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم انهم كانوا يؤمنون من الجاهلية بجنس لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة
من اولئك الامم يتسامعون بهلاس من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجئ رسلهم كما كانت قبل ذلك
كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم
حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا
بالذات لما انه ما عليه بوور ذلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى و
ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واناذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر
الثلثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا
يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد بما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا
من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اى بسبب تعودهم تكذيب
الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد فى سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل المصدرية من
قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير فى به كذلك اى مثل ذلك الطبع الشديد المحكم
يطبع الله على قلوب الكافرين اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين
واظهار لكمال الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اى اكثر الامم
المذكورين والام متعلقة بالوجدان كانه قيل فما وجدت لهم مالا اى ما صادفت لهم مالا ولا لقيته او بمحذوف
وقع حالا من قوله من عهد لانه فى الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا
عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة لكلاستغراق اى وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد لهم نقضوا اما عاهدوا الله
عليه عند مساس البأساء والضراء تأملين لذلك انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن بالاكثر
ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله
تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهد واعند خطاب الست بربكم فالمراد
باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باى معنى كان وان وجدنا
اكثرهم اى اكثر الامم اى علمناهم كما فى قولك وجدت زيدا حافظا وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من

وضمير الشان فحذف اى ان الامر والشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند
الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اى ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد
انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام اومن بعد هلاك الامم المحكية والتعريج بذلك مع دلالته ثم على
التراخى للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر بآياتنا متعلق بمحذوف وقع
حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهى
الآيات التسع المفصلات هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم حسبما سيأتى على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى
لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسم فابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملأه
اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة
رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فيئته الباغية لاصالتهم
فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور فظلموا بها اى كفروا بها ظلم جرى الكفر لكونهما من واد
واحد او ضمن معنى الكفر والتكذيب اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذى هو من
حقها الموضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد
او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا
الا يرى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الطامة
كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة فى
حيز النصب باسقاط الخافض اى فانظر بعين عقلك الى كيفية افعالنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم
للايذان بان الظلم يستلزم الافساد وقال موسى كلام مبتدأ سوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار
الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون انى رسول اى اليك من رب العالمين على الوجه الذى مر
بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه
اياه عليه السلام فى دعوى الرسالة وكان اصله حقيق على ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب للامن من الالتباس
كما فى قول من قال وتشقى الرياح بالضاحرة الجرد اولان ما لزمك فقد لزمته او للاعراق فى الوصف بالصدق و
المعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على
موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ
حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين
وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى
بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات وقوله تعالى رب العالمين الآيات وخطوى ههنا ذكره
للايجاز ومن متعلقة اما بمحذوف على انها للابتداء او الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها
الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمى واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد
اضافته فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معى بنى اسرائيل اى فخلهم حتى يذهبوا
معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم و
يكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر
واليوم الذى دخلها موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته
عليه السلام ومجيئه بالبينة قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فاذا

قال

قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل قال ان كنت جئت بآية اى من عندمن ارسلك كما تدعيه
فأت بها اى فاحضرها حتى يثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين فى دعواك فان كونك من
جملة المعروفين بالصدق يقتضى اظهارها والآية لا تخالة فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر امره لا
يشك فى كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وانما اختار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثباته وصيغة
الثعبانية فيها كما نعتها الاصل كذلك روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر ناغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس
من دحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا
اومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اى من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هى بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وروى
انه لما رأى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى
بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الأدمة وقيل بيضاء للناظرين
لانها كانت بيضاء فى جبلتها قال الملأ من قوم فرعون اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان
هذا لساحر عليم اى مبالغ فى علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول يعينه
معنى ما فى سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون
وما فى ماذا محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باى شئ
تأمرونى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تعالى فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه على الاول وهو
اما امره وقيل قاله الملأ عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثانى لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ وإياه ان
المخاطب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اى اخره واخاه وعدم التعرض لذكره قبل لظهور كونه معه
حسبما ينادى به الآيات الآخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى نرى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ
ارجئه وارجه من ارجأه وأرجاه وارسل فى المدائن حاشرين قيل هى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة
وكبراؤهم بأقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا فاخذوا السحر من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل وردّ ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء
بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اى ماهر فى السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر
وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يقترح بجيئهم قوله تعالى فارسل فرعون فى المدائن
حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا
استيناف منوط بسؤال نشأ من حكاية مجئ السحرة كانه قيل فاذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا
مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر
وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر عظيم ما او بطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقرئ بإثباتها
وقولهم ان كنا لمحدودين مناط ثبوت الاجر لا تردد هم فى الغلبة وتوسيط الفصل وتعليق الخبر باللام للقصر
اى ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف على محذوف قد سدّ
مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة فى الترغيب وروى انه قال
لهم تكونون اول من يدخل علىّ واخر من يخرج عنه قالوا استيناف كما مر كانه قيل فاذا فعلوا بعد
ذلك فقيل قالوا مقتدين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى اما ان تلقى اما تلقى اولا واما
ان نكون نحن الملقين اى ما تلقى اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام بالالقاء مراعاة

للادب واظهار المجاملة وانه لا يتلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كان رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغيير هم لنظم
بتوسيط الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتاكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقونه فلما القوا ما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاؤا بسحر عظيم
في زعمه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فاذا هي تلقف يافكون الفاء فصيحة اي فالقى فصارت حية فاذا هي الآية وانما حذف للاشعار
بسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان تلقفها لما يافكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء
وصيغة المضارع لاستحضار صورة التلقف الهائلة والافك القرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة
والعائد محذوف اي ما يافكونه ويزورونه او مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملأ الوادي من
الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها
اجزاء لطيفة فلا تكاد السحرة لو كان هذا سحر ابقيت حبالنا وعصينا موضع الحق اي فثبت لظهور امره وبطل ما
كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم
وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تو
والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي حروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة حرورهم كيف
لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول
لئلا يتوهم ان مراد هم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف
قال فرعون منكرا على السحرة متوجها عليهم على ما فعلوه آمنتم بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ
او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر انا لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية بينها وبين الف وبادخال الف بينهما على الوجهين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لقد ابرح قبل
ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه بعني ان ما صنعتموه ليس الا فتعلق
الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع موسى في المدينة يعني مصر قبل
ان تخرجوا الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام واخيه السحرة التقيا فقال له موسى ويحك ايراتيك ان غلبتك لتومنن بي و
تشهدن ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لانا ومانع بك وفرعون يسهمها وهو الذي نشاء عنه
هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص هي لك ولبني اسرائيل وما ثاني شهتان القاهما الى اسماع عوام
القبط عند معاينتهم لاد تفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها
عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام باراءة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك
اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة الموفورة مما لا يطاف به
لجمع اللعين بين الشهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبها بالوعيد ليريهم
ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين
تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تغليظا لجرمهم ولذلك
سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استيناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا
قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به وتقلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين عالما احدثوا من
الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان من قبلك اولا فلا نبالي بوعيدك وانا الى رحمة ربنا
وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى وانا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم
بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال

واصل المفاخر

واصل المفاخر ليس مما ينال لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا للمائي قلوبهم من العزيمة
على ما قالوا وتقريرا له فزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا اي افض علينا من القبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او
صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار واوناس الآثام وهو القبر على وجه فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على ما مر ذكرنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا ما شاهدوا من امر موسى ع
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك
عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم يك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استينافا او حالا وقرئ بالسكون
كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل
صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اي عبادتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه
من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف
وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم نتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية
لهم ووعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتفجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله
الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تاتينا اي
بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به ما
توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب
واما ما كانوا يتعبدون به ويتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطة عليه السلام
فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اي موسى عليه السلام لما رأى الاشرة في جزعهم حين شاهدوه مستليا لهم بالتقريع
بالوحي به قوله اه الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته و
يستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما
يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه ع م
بانهم هم المستخلفون باعيانهم واولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يبعد
قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف النفس
المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في
خفض ودعة بل ابتلت اسباب هلاكهم بنحو ما من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير
الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما
اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية
اجراء الاعراب على النون وكلمة مع الباء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة
مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وهي لا تحذف النون للاضافة
وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبتنا مردا وجاء الحديث
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف بالتنوين ونقص من الثمرات باصابة

واصل المفاخر

العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم ويتزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا يرى الى قوله تعالى واذا مس الشر نذود عاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الجنس البيان لعدم تذكرهم وتاديبهم في الغنى اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشومهم وهذا كما ترى شاهد بكمال فساد قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتحقق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استيناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شومهم وهواعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وترئ انما طيرهم وهو اسم جمع لطائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم وكسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعلمون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي حاق بانفسهم آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصا واليد ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا وانما تذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذارا من تكرير المتجانسين هذا هو الراي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها للنابح ضمت اليها ما الشرطية وحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء يظهره لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمها وتسميتها اياها آية لجاراتهم على راي موسى عليه السلام واستهزائهم بها وللاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها الخ اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى المحق بالسحر وتسكير الابصار والضمائر المجرورة راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك وبنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشاهم اما كنهم وحوائطهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وناضح الماء عليهم ارضهم ورکد نعيمهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلاء ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار

بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثانيا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى انوارهم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل عليهم الدم فصارت مياههم دما وحيثما كان يجتمع القبط والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حالة ويمتد من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المفصلات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمة وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل اقام عليهم السلام في كل آية بمصر سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما هو عندك او متعلق بمحذوف دل عليهم التماسهم مثل ادع لنا ربك بحق ما عاهدك عليه او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فاجئوا النكث من غير تامل وتوقف فانتقمنا منهم اي ناردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجة بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من الفعلة لكنه مرجح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغة الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض الذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة ونظر قولنا اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك نام ام هند وابو هالة وتمت كلمة ربك الحسنى وهو وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كانوا يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبره مقدم والجملة الكونية

صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف
ايضا والتقدير ودمرنا الذى كان هو يصنعه فرعون الها وقيل زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الها و
قيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذى يصنعه فرعون الهى صنعه
والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او
وما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه
وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما اجروه من الامور الشنيعة
بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وارام من الآيات الكبار
ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم
ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدى بالباء اى قطعناهم البحر
روى انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله عز وجل فاتوا
اى مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم
يعكفون على اصنام لهم اى يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت
اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عند ما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده
كما لهم الهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة للها وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير
اجعلنا الها كائنا كالذى استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجيب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا
من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم وآكده بقوله ان
هؤلاء يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اى مدمر مكسر ما هم فيه اى من الدين
الباطل اى يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحيط اصنامهم ويتركها رفاتا رضاضا وانا جئ بالجملة
الاسمية للدلالة على التحقيق وباطل اى مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان
قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا كما توهم فان المراد باعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان
لاستتبعت اجورها وانما بطلت لكفرانها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما للاصنام وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا
لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المحقرون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذر عاقبة ما
طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤن الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة
به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادة محالا يمكن طلبا صالحا لكونها باطلا ولذلك وسط بينهما قال مجاهد
كل شئ في كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر
هو كون المبغى غير الله تعالى لانه لا اختصاص للانكار بغيره دون انكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على انه
مفعول ابغى بحذف اللام اى ابغى لكم او اطلب لكم غير الله والها اما تمييزا وحالا او على الحالية من الها و
هو المفعول لابغى على ان الاصل ابغى لكم الها غير الله فغير الله صفة للها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت
حالا وهو فضلكم على العالمين اى والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء
المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين اشكالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عدلوا الى اخس شئ
من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى فيما لا يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة
الانجاء من ملكة فرعون وقرئ بخيناكم من النجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اى واذكر
وقت انجائنا اياكم من ال فرعون من ملكتهم لا بمج دخلتيصكم من ايديهم ودهم على حالهم في المكنة والقدرة
بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اى اولاه اياه او كلفه اياه

وهو اما استيناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما
وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء
او سوء العذاب بلاء اى نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتيهما منه
سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلثين ليلة روى ان موسى عليه السلام وعد
بنى اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم يكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون
سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه
فتسوك فقالت الملكة كنا نستن من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه
اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك فامره تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذى الحجة لذلك
وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم
ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين
في صورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول
موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اى اتمام ثلثين ليلة فتم
ميقات ربه اربعين ليلة اى بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى المناجاة
خلفني اى كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما يحتاج
الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اى لا تتبع من سلك الافساد ولا
تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص
مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملئكة عليهم السلام وفيما روى انه عليه السلام
كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيها على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين
قال رب ارني انظر اليك اى ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تجلى لي فانظر اليك واراك
وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي
الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي فانها
على انها قاصرة عن رؤيته لتوقفها على معدة الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يحيلهم ويزيح شبهتهم كما
فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها واما ان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان
لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان تدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال
استيناف مبني على سؤال نشاء من الكلام كانه قيل فاذا قال رب العزة حين قال موسى ما قال فقيل قال
انه لا يطيق بها وهو تعليلها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل
هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اى ظهرت له عظمته وقدرته له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل
حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء
اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اى قطعا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد
ذهابها بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اى تنزيها لك من ان اسألك
شيئا بغير اذن منك تبت اليك اى من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين

اى بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لاترى فى الدنيا وقيل بانه لايجوز السؤال بغير اذنك قال
يا موسى استيناف مسوق لتسلية عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية
فقد اعطيتك من النعم العظام مالم أعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرنا اى اصطفيتك
اى اخترتك والتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اى المعاصرين لك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا
باتباعه وماكان كليما ولاصاحب شرع برسالاتى اى باسفار التورية وقرئ برسالة وبكلامى و
بتكليمى اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اى اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين
على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له فى الالواح
من كل شئ اى مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور
اى كتبنا له لكل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى عدد الالواح وفى جوهرها ومقدارها فقيل
انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل
من زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده
وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع
وقيل انزلت التورية وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع و
عزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله الرحمن الرحيم لاتشركوا بى شيئا ولا
تقطعوا السبيل ولاتزنوا ولاتعقوا الوالدين فخذها على اضمار قول معطوف على كتبنا اى فقلنا خذها
بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شئ لانه بمعنى الاشياء او
للرسالة او للتورية وأمر قومك يأخذوا بأحسنها اى بأحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة اما الاقتصاص
والانتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما فى قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
او بمواجبها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اى بحسنها وكلمة حسن
كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو من تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين اولمعان على شبه مشتملة بالحق واقربها
الى الصواب سأوريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات
حملا لهم على الجد فى الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر
وديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهى خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار
عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل بالوتك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين
اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبارة والعمالقة بالشام فانها ايضا ايتت لبنى اسرائيل وكتب لهم حسبما نطقت
به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ومعنى الارادة الامر بالدخول بطريق الايراث ويؤيده
قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء والمثلثة كما فى قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم ولعله من اوريت الزند اذا سايتها لكم وقوله تعالى ساصرف عن
آياتى الذين يتكبرون فى الارض استيناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر فى الآيات
التى هى ما كتب فى الواح التورية من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التى من جملتها
ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لايكادون يتفكرون فيها ولايعتبرون
بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على
المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان فى المؤخر طولا يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الجليل اى ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبيرا ويرون لهم على الخلوق مزية وفضلا
فلا ينتفعون بآياتى التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم

وقيل

وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون فى ابطال ما رآه من الآيات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق
الباطل وعلى هذا فالاظهر ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر او الارض
وبارآءتها التى طلبوا دخولها الشام واسكانهم مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التى كتب الله لكم ويكون قوله ساصرف عن آياتى الخ جوابا عن سؤال مقدر تأنيثى من الوعد بادخال
الشام على ان المراد بالآيات ما تلى آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها ومحاولتها لوقوع
اضدادها وظهور احكامها وآثارها بأن اهلكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقى من بنى اسرائيل وبزرايتهم
على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون مقدمته فتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام و ملكوا
مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل اهلكهم وانا عدل الى العرف ليزدادوا
نفرة بالآيات واطمينانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل
وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اى يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل
آية لايؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه فى حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها
بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اى وان
شاهدوا كل آية من الآيات لايؤمنوا بها على عموم النفى لاعلى نفى العموم اى كفروا بكل واحدة منها لعدم اهتمامهم
اياها كما هى وهذا كما يرى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا
عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى لايتوجهون الى الحق ولا يسلكونه سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
ومطاوعتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقام
وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا اى يختارونه لانفسهم حكما مستمرا لايكادون يعدلون عنه لفقدانها
لاهوائهم الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ
من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى
حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما تصوابه من القبايح وعلى حقية اضدادها و
كانوا عنها غافلين لايتفكرون فيها والالما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف
ولايمنعه الاشعار بعلية ما فى حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون
اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل
محل اسم الاشارة النصب على المصدر اى ساصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اى وبلقائهم الدار الآخرة او لقائهم ما وعده الله تعالى فى الآخرة من الجزاء
ودخل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اى ظهر بطلان اعمالهم التى كانوا عملوها
من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها
هل يجزون اى لايجزون الا ما كانوا يعملون اى الاجزاء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى واتخذ قوم
موسى من بعده اى من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف
معنييهما فان الاول للابتداء والثانى للتبعيض او للبيان او الثانى متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ
لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلى اليهم مع انها كانت للقبط لادنى ملابسة حيث كانوا استعاروها
من اربابها قبيل الغرق فبقيت فى ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بنى اسرائيل غنايم
القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلى بضم الحاء
وكسر اللام جمع حلى كدمى ودمى وقرئ بكسر الحاء وبالاتباع كدلى وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا
مفعول اتخذ اخر عن المجرور للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه

بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل المرسل الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الهاً وقوله تعالى جسداً بدل
من عجلاً اي جثة ذات لحم او جسداً من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة
وهو الصياح نعت لعجلاً روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فيه تراباً من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان
اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فدخل الريح في جوفه فخيل
الا ترى الى قوله تعالى في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه
واما لان المراد بالاتخاذ اياه اتخاذهم اياه الها لا صنعه واجداته الم يروا انه لا يكلمهم استيناف مسوق لتوبيخهم و
تشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا ان ليس فيه شيء من احكام
الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه الى قوله ظالمين
وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير
اتخذوه لتشنيع التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان
ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده فتصير يده مسقوطاً فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع
العض فيها فالبد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق
التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا ذلك حتى كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر
ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخراً عنها للمسارعة الى بيان الاشعار بغاية سرعة كانه سابق على الرؤية قالوا
والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة
على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة
مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى
لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنهم من الذلة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام
كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد تقديم ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد و
لما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده
وقوله تعالى غضبان اسفاً حالان من موسى عليه السلام او اللام من المستكن في غضبان والاسف الشديد للغضب
وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد عبادتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم ما فعلت
من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له ومن حملكم على ذلك وكفكم عما طلحت نحوه ابصاركم
حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري
واشياعه او بئسما خلفتموني في عبادة ربكم حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين
كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل
على ان المراد بالخلفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئسما المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئسما خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام عاتنتهين عجل معجل سبق
يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيبتي بعدي
كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما فاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها الى ان كان فيها تفصيل كل شيء وبقي
سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه يشورهم عليه السلام بجره اليه حال من ضمير اخذ
فعله عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليها السلام بثلث سنين وكان محمولا ولذلك كان احب
الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليه السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع
كونهما شقيقين لان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدايد وقرئ

بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كما ناب المضاف اليه عنه وقد آثره الفتح لزيادة التخفيف او تشبيه بخمسة عشر
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حفظه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني
واستضعفوني وتاروا بي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع
القوم الظالمين اي معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل اولا
تقعد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
اعتذارهم وكأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي
من غير ذنب مقدر مما قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه
ليرغب اخاه ويظهر للشماتين رضاه لئلا تتم شماتتهم ولاخيه للايذان بانه مما يحاج الى الاستغفار حيث كان يجب
عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في
انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا
العجل اي تواطؤا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه
كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم
اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر
وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحياة الدنيا هي ذلة الاغراب التي تقذر بها
الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس
والابتلاء بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت و
ايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون
وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عم حين اخبره
بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم الغضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب واتى بخبر ان سابقا
النظم الكريم وسياقه تابيان عن ذلك بنوع ظاهر اكيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه
فانهم شهدوا بانهم يفترون مكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس نجزي الله تعالى كل المفترين بمثل الجزاء الذي نالهم
قهرا وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تغيير الآباء بالاولاد امر
مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي
وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في
نالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشيء و
لاحقه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها
وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يقتصروا على ما
فعلوا اكثر الطائفة الاول ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان
عظمت وكثرت رحيم مبالغ في اضافة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر بيان تحزب القوم
الى مقر وتائب والاشارة الى ما نال كلا منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا
صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة
والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر لذلك المعزى عليه بالتحكم
والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت المايخفى وقرئ سكون وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى

اواخوه او التابوت اخذ الالواح التى القاها وفى نسختها اى فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المتكسرة هدى اى بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير
والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اى كائنة لهم او هى لام الاجل
اى هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما فى قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هى ايضا لام
العلة والمفعول محذوف اى يرهبون المعاصى لاجل ربهم لا الكبرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع فى بيان
كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور به اى اختار من قومه بحذف
الجار وايصال الفعل الى المجرور كما فى قوله اختارك الناس اذ رثت حبالهم واعتل من كان يرجى عنده النوال
اى اختارك من الناس سبعين رجلا مفعول اول لاختار اخر عن الكلام مرادا من الاعتناء بالمقدم و
التشويق الى المؤخر لميقاتنا الذى وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع للميقات الكلام الذى ذكر قيل ذلك كما قيل
قال السدى امره الله تعالى باتيانه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا
فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى ما صنعوه ويسألوه التوبة
عما تركوهم ورآءهم من قومهم قالوا اختار موسى وهم من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال لينخلف منكم رجلان
فتشاحوا فقال هم ان لمن تعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا و
يتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سينا فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤا
عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما كشف الغمام قبلوا الى موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اى ماتوا ولعلهم اراد وا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك فى ان الآمر
بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث نراك سوارة يثبته على سماع كلامه قياسا فاسدا لخفى شاهد موسى
عليه السلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اى حين خرجوا الى التيه عن عبادة العجل وما
فارقوا عبدة حتى شاهدوا امرارهم عليها واياى ايضا حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت اهلكنا بذنوبنا كما
اهلكتنا تأديبا له عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكوى على
النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعنى انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من مواثيقنا الاعدام مشتبك اياه
حيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فلا غرو فى ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمنى بأبى قوله تهلكنا
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اى الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتثبتون فى المداحض والهفوة اما الانكار فوقوع
الاهلاك نعمة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانبارى او كالاستعطاف كما قاله المبرد اى لا تهلكنا ان هى الا فتنتك
استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا بيبان منشاء غلطهم اى ما الفتنة التى وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها
ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فاستنوا بذلك ولم يثبتوا فطعنوا
فيما نوق ذلك تابين للقياس الفاسد وقوله تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء اما استيناف مبين
لحكم الفتنة او حال من فتنتك اى حال كونها مختصا بها اى تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدى الى
الثبت وتهدى من تشاء هدايته الى الحق فلا تبرز لزل فى امثالها فنقوى بها ايمانه انت ولينا اى القائم بامورنا
الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصى والفاء لترتيب الدعاء
على ما قبله من الولاية كانه قيل فمن شأن الولى المغفرة والرحمة وقيل ان اقراره عليه السلام على ان يقول ان هى
الا فتنتك الجرأة عظيمة فطلب من الله غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية
والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر
لانها الاهم بحسب المقام واكتب اى اثبت لنا وقيل اوجب وحقق واثبت فى هذه الدنيا حسنة

اى نعمة

اى تجاوز عافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضى اقبل وفادتنا ورددنا بالمغفرة والرحمة وفى الآخرة اى
واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهى المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اى تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا
رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا تحرك والمال ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى ألمنا انفسنا
او ألمنا اليك وتجويز ان يكون القراءة المشهورة على لغة من يقول عُود المريض مع كونها لغة
ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله
بموجب الوعد المحتوم وتصدير ها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة فى التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا
عما صنعنا من المعصية العظيمة التى هذا انك للاعتذار عنها وعا وقع ههنا من طلب الرؤية بعيد من لطفك
فضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى و
حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم وتشخر قوائمهم والهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى
عنهم قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فاذا قال الله تعالى عند دعاء موسى ام
قيل قال عذابى اصيب به من اشاء لعلمه عز وجل بان جعل جانب جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ختمن موسى ام
دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة اى خصلة حسنة عاوية عن المشقة والشدة
فان فى قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابى شأنه ان اصيب به من اشاء وتعذيبه من غير
دخل لغيرى فيه وهم ملكى تناولته مشيتى ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوى ورحمتى وسعت كل
شىء اى شانها ان تسع الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما دخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال
قومك بعضا منها فى ضمن العذاب الدنيوى وفى نسبة الاضافية الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة
بصيغة الماضى ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب بمقتضى معاصى العباد والمشية معتبرة فى جانب
الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الآبى الى قوله تعالى فسأكتبها اى اثبتها واعينها فانه
متفرع على اعتبار المشية كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اى كما ذكر من اصابة عذابى وسعة رحمتى لكل من اشاء فسأكتبها
كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا فى هذه الخ اى ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوى للذين يتقون
اى الكفر والمعاصى اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه قيل للقوم كما لانهم غير متقين فكيف يكتفيهم ما قدر
لهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوى ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة
شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع اخواتها لما مر من التعريض والذين هم بآياتنا الذين هم اتباعه
باسرها وترك التكرارات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم بآياتنا جميعا يؤمنون ايمانا
مستمرا من غير اخلال بشئ منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بآيات العظام التى جاء به موسى عليه السلام وبما يجئ بعد
ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما
اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤمنون الزكوة كما عطف هو على يتقون للايذان
اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور ان هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول
الذى نوحى اليه كتابا مختصا به النبى ان صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة
بالنسبة الى الامة الامى بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالة التى ولد عليها من امه او الى امة العرب
كما قال عليه السلام انا امة لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اى الذى لم يأنس القراءة والكتابة
وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او
مرفوع عليه اى اعنى الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون اولئك هم المفلحون فغير سديد
الذين يجدونه مكتوبا باسمه ونعته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه
مكتوبا عندهم زيد هذه الزيادة التقرير وان شأنه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا فى التوراة و

الانجيل الذين تعبدهم بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل
نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عليه السلام والقرآن الكريم قبل بحثهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها
اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف
الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل بما محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن
في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث
كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه
من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم من كون التوبة بقتل النفس ليعيبن القصاص في العمد و
الخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء التي خاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم و
تحريم السبت وعن عطاء انه كان بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب
الرجل ترقوة وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم واصل
الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحركة فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه
واغتنامهم بمغانم الرحمة الواسعة والدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه
وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه
على عداوة الدين واتبعوا النور الذي انزل معه ان مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المبني عن كونه ظاهرا
بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كما شفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا
القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه
اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بتلك النعوت الجليلة
هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام
دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما نجوا عنه منها وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه
عليه السلام وبين الجواب لا يجدي ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على
استجازتهم الرؤية على الله عز وجل ودعا لكفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك قوله
تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اجلها
ونيلهم لسعادة الدارين امر عز بيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان
عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عم باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه
بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك المظلمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها
عنه فئة الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل بالاحكام التوراتية فمختص ببني اسرائيل جميعا
حال من الضمير اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة و
ان حيل بينها وبما هو متعلق بها بما ضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من
ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير الوحيية والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله و
رسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عم بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات

الى الغيبة

الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي تمدح عليه السلام بها وزيادة تقرير
امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذين يؤمنون بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر
الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بالمرواة والتعريض بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان
الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن بتنبيها على الامور
هو الايمان به عليه السلام من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عم تعريضا باليهود و
تنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون
علة للافعال او حال من فاعليها اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بها ايذان بان من حقه
ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدا
مسوق لدفع ما عسى يوهم تخصيص كتبة الرحمة والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان
اسلاف قوم موسى عم من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما هلكت اوائلهم بل منهم امة يهدون اي الناس
بالحق اي ملتبسين به او يهدون منهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية بينهم وصيغة
المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي عليه السلام وآباءه انه قد مر ذكرهم فيما سلف
وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا
واعتزلوا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين بنضح الله لهم تفقأة الارض فسار وافيه سنة ونصفا
حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي ان جبريل عم
ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عم هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به و
قالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ منا عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام
ثم قراهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم
وكانوا يستون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالعداية من بين قومه عليه السلام مع
ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف و
قوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعول قطع لتضمنه معنى التصيير والثاني للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة
امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى اسباطا بدل منه
ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى اما
على الاول فبدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه
حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقوافيه بسوء صنيعهم للايجز استسقائهم اياه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ
استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وتذكير بيان شأن الحجر وتفسير سورة البقرة
فانبجست عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كأن قد قيل فضرب فانبجست بقرينة ما سبق في الاعراف وايذانا بغاية مسارعة عليه السلام
الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير القرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل اثر الامر قبل تحقق
القرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط وانما
قيل من غير التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم
كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم
الغمام اي جعلنا ما يحث تأتى عليهم ظلها في التيه بسيرهم وتسكن باقاتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار
يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من
الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح منه الرجل ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا

رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه لم يحقق فى حق التصريح به اى تظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون. اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الادعائى بتنقيصه النفى السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه السلام واريد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه لقى كما يفصح عنه ما وقع فى سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء و الايذان بالغنى عن التصريح به لتعيين الفاعل وتغيير الكلام بالامر بالذكر للتشديد فى التوبيخ اى اذكر لهم وقت قولهم تعالى لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهى بيت المقدس وقيل اريحاء وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفى قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المأمور به فى سورة البقرة هو الدخول على طريق السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى وكلوا منها اى من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اى من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستتبع عادة الوجود لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرنا حطة لذنوبنا وهى فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اى باب القرية سجدا اى سجدا مطمئنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول الذكور فى سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روى انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما ستر فى سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوه فى حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب القبة التى كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما فى سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم و خطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول ستزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالاقتران كانه قيل فاذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه و وضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية هطا شمقاثا بمعنى حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عم وقوله تعالى غير الذى قيل لهم بغت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم انزلنا عليهم عليهم تاخير فى سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روى انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يفسقون بسبب ظلمهم المستمر السابق والاخبار جميعا بصيغة الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل للدلالة الحكم ههنا مرتب على المقدر دون الموصول بالظلم كما فى سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر اذا قيل اى واسئال اليهود المعاصرين لك سؤال توبيخ وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم الحدود والله تعالى اعلم اما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التى لا يقف عليها الامن مارس كتبهم قد احاط به النبى صلى الله عليه وسلم خبرا وليس ذلك بالتلقى من كتبهم لانه مما بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحى الصريح عن القرية اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهى ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هى مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية التى كانت حاضرة البحر اى قريبة منه مشرفة عليه حاضرة حال من القرية اذ يعدون فى السبت اى يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت

يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف كانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة فى تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل فى التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستغلالها بما لا يكاد يوجد فى سائر انواع الحيتان من الخواص الخارقة للعادة اولاتة المراد بها الحيتان الكائنة فى تلك الناحية وان واما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتبار ما هو الهم فى عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم يوم اى تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم و الاضافة لاختصاصهم باحكام فيه وتقييد الاول قرآءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اى تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اى لا يراعون امر السبت لكن لا بحكم دعدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائها معا اى لا سبت ولا اعاة كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير النسق حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون للايذان بتباينها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب القطيع نفاقهم معاملة من يختبرهم ليظهر عداوتهم ونواخذهم و صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية كاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لكن لا فى تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب صنفهم المستمر على كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا يأتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استيناف مبنى على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتاديبهم بما جرى بين العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد الغطات والانذارات امة منهم اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا عظيم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لاخرين لا تعظون قوما عن التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة فى الاعذار وطمعا فى فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستيصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم فى الدنيا او معذبهم فى الاخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والتزيد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون فى الاولى ومعذبون فى الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب فعله تعالى للدلالة على تحققها وتقررها البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بطلانه وعذابهم فى ما يلقى فى قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربكم اى نعظهم معذرة اليه لقى على انه مفعول له وهو الاسبب بظاهر قولهم لم تعظون او لنعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى موعظتنا معذرة اليه لقى حتى لا ننسب الى النوع تفريط فى النهى عن المنكر وفى اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض النقاة وفى هذا ترجيح لان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم تركا لتناسى الناس الشئ واعراضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر

بالهم شئ من تلك المواعظ اصلا ايجيئنا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج اخبارهم
مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لا ان ما في حيز الشرط نسيان
النسيان والتذكير كائنين قبل فلما ذكر المذكرون ايجيئنا الاولين واخذنا الآخرين واما تقدير
الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في الموخ من نوع طول واخذنا الذين
ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرئ
بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبيئس بكذر وبيئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كبيد
كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذيب وبيئس كريئس بقلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيئس على تخفيف
بيئس كبين في هيئن وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى والاضافية
لاختلافهما معنى ان اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم
والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور لبيان
بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كونه ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم
والعدوان والا لما اخر واعن ابتداء المباشرة ساعة ولعله قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم
يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الفي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا
وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر
هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الجوت
بل العلة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية
تقرير للاولى روي ان اليهود امروا بالجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو
المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت
الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك
برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا وسهلة الورود
صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم
الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح
السمك فتطلع فتزوده فقال له اني اراى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ السبت القابل حوتين فلما
رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا
فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ
وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون لنخرجن لا نساكنكم ففتحوا القرية بجدار للمسلمين باب و
للمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد
فقالوا ان لهؤلاء لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة
انسباءها من الانس دون ما لا يعرفونها كجعل القرد يأتي فسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا على ثلث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد
مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها انقلها حوتا واطولها عذابا باقي الآخرة
ماه وايم الله ما جوت اخذه قوم فاكثروه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعد الساعة
ادهى والمر واذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسئلهم وتاذن بمعنى آذن كالايعد
فوعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
فلذلك اجيب بجواب حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على

اليهود البتة من يسومونهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث
الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب
الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية
عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن
تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها
بحيث لا يخلو ناحية منها منهم بكلية لاوبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى اما المفعول الثاني لقطعنا
او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم
ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شاذ في
غير الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد بهم الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
اي التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان
ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون حطام هذا الشئ الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او
الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا
ويقولون سيغفر لنا ولا مؤاخذنا الله تعالى بذلك وينجينا وزعمه والجملة يحتمل العطف والحالية والفعل عند
اهل الجاد والمجرور اومصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة
والحال انهم مصرون على الذنب عازمون على مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق
الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الا هو والمراد
به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على لم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير اي علموا ثوابه وهو اعتراض والدار الآخرة
خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب
بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به في امور
دينهم بتال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا
بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واما هوا الصلوة ولعل التغيير
للاشعار المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقات
وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون و
قوله انا لا نضيع اجر المصلحين اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم ولما الالف واللام كما هو
رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب
اي ابوابها واما العموم فمصلحيهم فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف
والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما
قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل
ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون
به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله

عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اى وتلقنا او قائلين خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل والا تنكروه
كالمنسى لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق اوراجين ان تنظموا فى سلك المتقين و
واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام
المنتظم للنفس قاطبة وتوبيخهم بفقده اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر تبيانه مرارا اى واذكرهم اخذ ربك من بنى آدم المراد بهم الذين ولدهم كما ينبئ عنه
كان نسلا بعد نسل سوى معالم يولد لو بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ
على الاخراج للايذاء بالاعتناء بشان المأخوذ لما فيه من الايذان بعلو الاباء على الابناء والاصلفاء وهو السبب فى اسناد
الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد لكل استفهام الآتى واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف
وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن
ومن فى الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل عقيب الاجمال وتنبيه
على ان الميثاق قد اخذ منهم ومنهم فى اصلاب الآباء ولم يستودعوا فى ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم
مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار كما اشتمله على ضمير راجع اليه والمراد اعاة اصالته وتشائيه و لما
مر مرارا من التشويق الى الموبخ وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم فى بنى آدم كذلك وتخصيصها باليهود وسلفا و
خلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله تعالى شاملا للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل و
اشهدهم على انفسهم اى اشهد كل واحدة من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على انفسها لا على
غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما يستتبعه من المعبودية على الاقتضاص وغير ذلك مما احكاها وقوله تعالى
الست بربكم على ارادة القول اى قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد
مدخل فى شان من شؤنكم فيتنظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبنى على
سؤال نشاء من الكلام كانه قيل فاذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اى على انفسنا بانك ربنا والهنا لا
رب لنا غيرك كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا مبدأ الفطرة مستعدين كلهم لان
يدلوا بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والانفس المودية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله عليه السلام كل مولود
يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تكميلهم منها
بما ركب فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم من الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا
كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم
الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما فى قوله تعالى فقال لها و
للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا فى الالزام اوالهم والى متقدميهم بطريق
التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكى وقرئ بالياء
على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا كراهة ان
تقولوا اولئلا تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل
المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون وخن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالراى
او انا خذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان
التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقالة
على الحقيقة كما روى عن ابن عباس رض من انه لما اخرج الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه
كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جفت القلم بما هو كائن الى
يوم القيمة وقد روى عن عمر رض انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل
عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة
وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون
وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره وم بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهور هم ابناءهم الصلبية
وهذا الى آخر السلسلة لكن لما كان للمنكر الاصلى ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين لبيان حال
الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط اغرض علمى نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة بحيث كانت مسوقة
للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار بتسنا دالاشراك الى
آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام
من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق فى حديث عمر رضى الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له ولئلا ما قالوا من ان
اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم
انه غير دافع لغفلتهم هذا دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يتذكر ذلك فرد ودكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد
اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به من انكره كان معاندا فانا نقضا للعهد ولزمة الحجة وبيانهم
وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار الصادق بل باه قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى
واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم لما الزامهم لمضمر
مفسر يستحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيان كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا انتهى
الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن هذا الميثاق ولم ننبه عليه فى دار التكليف والا لعلمنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور
واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المفسر العامل فى اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما
مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو
الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل فى ان تقولوا او لا تقولوا واصلا اذ المحذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا
يوم القيمة الخ لانا نزدكم ونكد بكم هيهات وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة
القصر ومحله النصب على المصدرية اى ذلك التفصيل البليغ المستتبع للنفائع الجليلة نفصل الآيات المذكورة لامثالها
ذلك ولعلهم يرجعون ولير جعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء بتفصيل التفصيل المذكور فالواو
ابتدائيان ويجوز ان يكون الثانية عاطفة على تقدير مترتب على التفصيل اى وكذلك نفصل الآيات ليتفقوا على ما
فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل فى اذ اخذ وارد على نمط نبا الانباء
عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اى واتل على اليهود نبأ الذى آتيناه آياتنا اى جزه الذى له شان و
خطر وهو احد علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعور او بلعام بن باعر من الكنعانيين او فى علم بعض كتب الله
وقيل هو امية بن ابى الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل فى ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون

على تقولوا

هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي عليه السلام جحده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود وبعثهم فانسلخ منها
اى من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يحفظ بها بالمرة اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايا ما كان
فالتعبير عنه بالانسلاخ المبنى عن انفصال المحيط بالمحاط خلقة ومن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات
بعدان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اى تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من
الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين
فى الغواية بعدان كان من المهتدين وروى ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملئكة فلم
يزالوا به حتى فعل فبقوا فى التيه ويروى ان التيه كان لموسى عليه السلام رَوْحا وراحة وانا عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك
بدعائه عليه السلام كما مر نا سورة المائدة ولو شئنا كلام مستانف سوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات
ودوقوعه فى دهاوى الغواية ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وعلى القاعدة المستمرة
اى ولو شئنا رفعه لرفعناه اى الى المنازل العالية للابرار العاملين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا لجبرهما
من غير ان يكون له دخل ما فى ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية
للعباد بل مع مباشرتها للعمل المؤدى الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اى بسبب تلك
الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا فى حصوله ولا فى ترتب الرفع عليه بل كلا مما بخلق الله تعالى لكن
خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك فى الاستدراك بان اسناد ما يؤدى الى
نقيض التالى اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره
اليه الا بخلق الله تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعناه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التى هى اقوى اسباب الرفع
ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك فى كل من المقامين ما ذكر فى الآخر تعويلا على اشعار المذكور بالمتروك كما
فى قوله تعالى واه يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه
للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وخفض تفضل عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله وميادیها
من نقمة ونفضلا ته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما
قيل فى وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر فى الآية المذكورة وهو السر فى جريان السنة القرآنية على اسناد الخير اليه
تعالى واضافة الشر الى الغير كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشئ الميل اليه مع الاطمئنان
به والمراد بالارض الدنيا واقبل السفالة والمعنى وكذا آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على
الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط انحطاطا بليغا وارتكس سافلين وحال ذلك اسير
بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث
قيل ان حمل عليه يلهث او تركه يلهث اى فحاله التى هى مثل فى السوء كصفته فى ارذل احواله وهى حال دوام اللهث
به فى حالتى التعب والراحة فكانه قيل فمثله الذى هو الملاقاة ورآه فى الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية
بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه تلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها
والخطاب فى فعل الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه أدخل فى اشاعة فظاعة حاله والهث اداء النفس
بالتنفس الشديد اى هو تنفس الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته بالطرد والعنف او تركته على حاله فانه فى
الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف
سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا بجمعها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية
مع اختها تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح لتمثيل بيان وجه الشبه لا دخل له من الاول على منهاج قوله
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هى فى محل النصب على الحالية
من الكلب بناء على خروجها عن حقيقة الشرطية الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهام فى التماس فيه الى

فى مثل

يلوبهم ولا عاطف شيئهم من الآيات التي لتذر فيها الاعتبار جعل خلقهم مفيا بها كما ان مرجع الموقنين باعتبار استعدادهم الكامل
الفطري للعبادة وتكنهم التام منها جعل خلقهم مفيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تع
لهم قلوب الخ دخل التنبيه على انه صفة اخرى كثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده
تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة فخالفت لسائر افراد الجنس فافادت كمالا بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب انصرافهم
عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاخراق في القساوة فانها حيث سلمت بثبات منها الفقه محال تكاد تخلقت غير قابلة
له رأسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شأنها ان يفقهوا بها شيئا ما من
شأنه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالاضاح عن كنه حالهم
ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما في عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك
على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا
من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا
من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الجار في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال
واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها للتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون
سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من التنبيه على كمال
رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم باذكر من الصفات وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على
الوجه المذكور او في ان مشاعرهم موجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها ربما تدرك كثيرا من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها او سلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث
لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف
صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شئ اطوع لله من ابن آدم
اولئك المنعوتون بامر من شنايع الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان
يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤن ما سواه شيئا فيشعرون
به سبحانه وتعالى وليس كمثله شئ وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى
تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع الملحدين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعايليق به من الامور وما
يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها
لابنائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي اتركوه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد والالحاد
الميل والانحراف يقال لحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان
يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما قاله اهل البدو يا ايها المكارم يا ابيض الوجه يا نجي ونحو ذلك فالمراد
بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما الحقوه عليه تعالى وسموه به عاز عهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعاذ لك حمل ترك
الاضرار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى
رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا
اعوجاج بعضهم من البين واما بان يطلقوا ما على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم
كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الاول والاظهار في موقع
الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان باباء الحال وهو نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف فليس المراد بالترك حينئذ
الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة
بما فعلوا تمهيدا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر مما قبله سيجزون ما كانوا يعملون فانه استيناف وقع

جوابا

جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل فكيف نتركهم بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم
فقيل لانه سينزل بهم عقوبة تستفرغ بذلك عن قريب ولما علم الموجهون الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا
يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان
اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين باذكر من الضلال والالحاد عن الحق وعلى الظرف
الرفع على انه مبتدأ واما باعتبار مضيه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره وكلمة في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ
اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدون بسببه
بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها وعن النبي عليه السلام
انه كان يقول اذا قرأ اياها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام
ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله
وروي لا تزال من هذه الامة امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون و
فيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس بالحق اعتداد بهم في انفسهم امر محقق غني
عن التصريح به والذين كذبوا بآياتنا شروع في تحقيق الحق الذي يهدي الهادون وبه يعدل العادلون و
عطف على الموصول الواقع مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية
واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا بآياتنا التي
هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم الى مستدرج بنهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا و
الاستدراج استفعال من الدرج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود
او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى شيئا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى الذي هو
النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال
الى حال من الاحوال المهلكة للمتنقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في
الحقيقة تردي في هاوي مصادعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يتواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحبوا
انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا كلما لاحت لاعينهم نعمة ظنوا ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في
مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على اقطع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من
حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث
لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم وانملي
لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السببية لان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة
ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل به شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل
بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يوحي به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الاقتصار المنبئ
عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجدد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بان بعض
التقدير الاتي والاستدراج بتوسط الامهالات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وان ذلك وان لا
اختص بمن اراد منه قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الجزء انما اريد منه ان املاءنا لهم ليس
هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد وتاكيد له اي قوي لا
يداقع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هو الاخذ الشديد على غيره
فتسمية كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون معه آية كذلك
واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء مما غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما بطنه فمما لا تعويل عليه
مع عدم مناسبة المقام ضرورة استدعاءه لاعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا اما بصاحبهم من

جنة كلام مبتداء مسوق لانكار عدم تفكرهم فى شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما
انزل عليه من الآيات الخ كذا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه
سياق النظم الكريم وسياقه وما اما استفهامية انكارية فى محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما
نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التى يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها
للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب
على نزع الجار اى اكذبوا بها ولم يتفكروا فى اى شئ من جنون ما كائن بصاحبهم الذى هو اعظم الامة
الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الآيات او فى اى شئ ليس بصاحبهم شئ من جنة حتى يؤديهم التفكر فى ذلك
الى الوقوف على صحة نبوته وصدقه فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله ام
لم يتفكروا الى اكذبوا بها ولم يتعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اى شئ بصاحبهم من جنة ما على طريق
الانكار والتعجيب والتبكيت اوقيل ليس بصاحبهم شئ مزما والتغيير عنه عليه السلام بصاحبهم للايذان
بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على تراهته عن شائبة ما ذكر فضلا عن تاكيد النكير وتشديد
النعرض لنفى الجنون عنه عليه السلام مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان الكلام باهر
خارق لمقتضيات العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان
يكون له اصل وجذع او عرق له تاييد الهى يخبره عن الامور الغيبية واذ ليس به عدم شائبة الاول
يقين انه مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا
فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يعوت الى الصباح فقيل كى
فالتعرض حينئذ بنفى الجنون للرد على عظيمتهم الشنعاء والتغيير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على
شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها
ومبينة لحقيقة حاله عليه السلام على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اى ما هو عليه
الا مبالغة الانذار مظهرا لغاية الاظهار ايذانا لكمال الرأفة ومبالغة فى الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا
فى ملكوت السموات والارض استيناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل فى الآيات
التكوينية المنصوبة فى الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم
بالتفكر فى شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر الذى كرر او
على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اى اكذبوا بها او لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل
عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اى وفيما خلق فيهما على انه عطف
على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفى ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض
والتعميم لكثرة اكل الكل فى الدلالة على عظم الملك فى الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ
وقوله تعالى من شئ بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلائل المذكورة بجلائل المصنوعات دون
دقائقها والمعنى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق حتى ينطلق عليه اسم الشئ
ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وسائر شؤونه التى ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحاد هاتيك الدلائل
فان كل فرد من افراد الاكوان حاء زدان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد
وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير
الشان وخبرها عسى مع ما عملت فيه والكلام هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى
اولم ينظروا فى ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوزان يكون اسم يكون اجلهم
وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل وهو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار
والتوبيخ

والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اى لعلهم يموتون عما قريب فالهم لا يبادرون الى النظر فى الآيات التكوينية
الشاهدة بما تكذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم
لملابستها لهم من جهة انكارهم آياتا وبجتهم عنها وقوله عز وجل فباى حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال
ايمانهم رأسا ونفى له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة
بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او
بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقهما من
احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباى حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا
وبهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباى حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان و
قيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما
لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباى حديث احق منه يريدون
ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباى حديث بعد القضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول عليه السلام على حذف
مضاف اى فباى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له
استيناف مقرر لما قبله مبنى على القطع عما قبله مبين عن القطع عما قالوا بهم وقوله تعالى ويذرهم فى طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف
اى هو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اى ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل
فلا هادى كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم ويقرؤى الجزم بالنون عن نافع وابى عمرو فى الشواذ
وقوله تعالى يعمهون اى يتحيرون ويتخبطون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير لتوحيد لفظ من وجمعه لتحتم الالتفات
عن الساعة استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اى عن القيمة وهى من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها
فى نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك امتحانا
منهم مع علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الميم
وتقرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل المضارع دون الماضى بخلاف
متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان معناه اى وقت وهو من اويت الى الشئ لان البعض
آوٍ الى الكل مستانداليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اى متى ارساؤها اى اثباتها و
تقريرها فانه مصدر مبنى من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا فى الشئ الثقيل كما فى قوله تعالى والجبال
ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض
لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسالونك عن الساعة عن اياء مرساها وفى تعليق
السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلى من السؤال نفسها باعتبار
جلوبها لها وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه مجالها وقد سلك هذا المسلك فى الجواب المتضمن ايضا حيث
اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها خبرا باختصاصه به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اى
علمها بالاعتبار المذكور عند ربى ولم يقل انا علم وقتا رسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل التكلم
الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للايذان بان توفيقه صلى الله عليه وسلم
للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر بحيث
لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبى مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى
حين قيامها واقناط كلى عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة

التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما انه اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى
لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بذاته من غير ان يشعر به احد من المخلوقين
فيتوسط في اظهاره ولم لم يكن لاباني يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدونها عيانا كما
يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية
بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه
من اول الامر على ان تجليتها ليس بطريق الاخبار بوقتها بل باظهارها وتعيينها في وقتها الذي يسالون عنه و
قوله تعالى ثقلت في السموات والارض استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت
على اهلها من الملئكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل ثقلت بمعنى خفيت
يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت بمعنى اذ لا يطيقها منها وما فيها شيء والاول هو
الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تاتيكم الا بغتة فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من
اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تاتيكم الا فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهجم
بالناس وقد رجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه او
يرفعه يسالونك كانك حفي عنها استيناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه اوان العلم بذلك من موجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل
السؤال باعلام شانه المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم
الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك اي يسالونك مشبها حالك عندهم حال من هو حفي عنها اي
مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك مبالغ في السؤال عنها فانا ذلك في حكم المبالغة في العلم بها فالمراد
من بالغ في السؤال عن الشيء وبحث عنه استحكم علمه به وبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء
الشارب واحفاء البقل اي استيصاله والاحفاء في المسئلة اي الالحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسالونك
وقوله تعالى كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر و
الشفقة فانه قريشا قالوا له ذم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك كانك حفي تتحفني
بهم فتخصهم بتعليمه وتمنعها لاجل القرابة وتروي امرها عن غيرهم بفيه تخطية لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء
بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها بحيث مع انك كان له علما انه تتوفر لحرم الغيب الذي استاثر الله عز و
جل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلية
علم الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات الجامع للصفات الكمال الاتية من جلتها العلم وتمهيدا للتوبيخ
بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فيحسبونه شيئا و
راسا فلا يعلمون شيئا ما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويجزمون انك واقف على وقت وقوعها
فيسالونك عنه جهلا وبعضهم يرجون ان العلم بذلك من موجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى
الفتح في رسالتك والمستثنى من حولادهم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود
بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعلموا بعلمه وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم
من كونه مما من بعلمها واعادة الامر لاظهارها وكمال العناية بشان الجواب والتشبيه على استقلاله ومغايرته للاول و
التعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر للاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق بالملك او
بمحذوف وقع حالا من نفسي اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان
املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه وكذلك ما شاء الله من ذلك كائنا ما كان فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ

في اظهار

في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للمسببية
والمسببية ومواد المبادئ المستتبعة للمنافع والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي يحيط
تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التحفظ
عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لاسوء ما فانه منه بالمدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة شانه حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا
علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق بالانذار من مجيئها لا في الة واقترابها واما
وانا تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي
وتقديم النذير على البشير لان المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون
بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير فمحذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر
وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان
هو الذي خلقكم استيناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جرائمهم على الاشراك بتذكير مبادئ اخوالهم الكاشفة
له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اي هو لكما العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره
مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة
الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم عليه السلام وتصويره وبيان لكيفية وجعل عطف على
خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها
كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام
والاول هو الانسب بالجنسية لهوية الى الغاية الاتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التقدير فقوله تعالى زوجها مفعول له
الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل تقدم على المفعول القريح لما مر مرارا من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها
علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله اي ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصحبا للازدواج كما يلوح
به تنكير الغير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادئه الامر فانه عند كونه
نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى النعمة
التي عليها في انشائه اياها مندرجا في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي
استمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واضطجعت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف و
قارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها
ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكروب والاذية ولم يستثقلنه كما يستثقلنه فرت به اي فمضت الى ولادته
من غير اخداج ولا ازلاق بمرة قوله تعالى فلما اثقلت اذ هناك اثقلت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولاريب في
ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره
دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحواء عليهما السلام
لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا كنهه ولا هتديا به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان
يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء فحوى ما
محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا وعدا بمقابلة الشكر على سبيل التوكيد
القسمي ونالا او فائقين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لتكوني نحن ومن يتناسل من ذريتنا
من الشاكرين الراسخين في الشكر على نعائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما
انهما قد علما به دعاءهما انوفرج لسائر افراد الجنس وصيار لهما ذاتا وصفة وجودة مستتبع لوجود هاو صلاحه يستلزم

لصلاحها للدعاء في حضه منضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانا نا الان آتينا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان
ضمير آتينا لها وكل من يتناسل من ذريتها وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة بانيا مقام المبالغة في
الاعتناء بشانها بعد ما انها بصدده وانما جعل ضمير لنكونن للكل فلا خلل فيه لان توسيع دائرة الشكر خير فعل بالاعتناء
المذكور بل مؤكد له وايا ما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما اتاهما ما طلباه اصالة واستتبعا عامر الولد ما
تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
قصة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من
الاولاد حيث توهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر لمقام التوبيخ مع ان
اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة
الولد الصالح واول كونهم بصدد انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي ذوي شركة اي شركاء ان قيل
ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه بهذا
برابية اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبة اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ انجيناكم
من آل فرعون الآية قلنا الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم
سرابة اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله الآية قلنا الفعل حقيقة مع
كونه من جنايات آبائهم قد يسند اليهم بحكم رضاهم به او لان حق مقام التوبيخ والتبكيت ولاريب في انتهاء هم
بريثان من سراية الجعل المذكور اليها بوجه من الوجوه فاوصه اسناده اليها صورة فلعل وجه الايذان بتركها
الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شركتهم في ضمن شركتهما واقسما على ذلك قبل تعرف
احوالهم بيان ان اخلالهم بالشكر الذي دعاه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب
الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم بيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث
والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما السلام فتعالى الله عما
يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمة الرأفة عن الشرك
الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحوآء عليهما السلام عن ذلك
وما في تعالى اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عن الذي يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم
المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل
الخطاب لاكل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية
قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وغير
يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس صورة رجل فقال لها ما يدريك
ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمها ذلك ثم
عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا سويا مثلك وييسر عليك خروجه تسميته عبد الحارث
وكان اسم الحارث في الملئكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا طويل عليه كيف لا وان آدم وحوآء كانا عالمين
علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه وانتباعها اياه في مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال بحقيقة
الحال ايشركون استيناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقبح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية
ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله الفاضحة ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى
ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا في الجملة
وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الخبر بصيغة جمع العقلاء مع رجوعها الى ما المعتبر بها عن الاصنام
انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية و

وصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال سخافة حالها لا اعتقادهم في حقها وانظارك جعلهم ذلك
اشراكا لا يقدر على خلق شيء ما فخالقه وخالق جميع الاشياء حاشا ان لا يكون ان يستوجه من له عقل في الجملة وعدم
التعرض لنفي الخلق للايذان بتحققه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذ الخبر بهم امر مهم
خطب تهم نصرا اي نصرا بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم ما دفن من الوان
اي لا يديمونها عوضا عن النصر وايراد النصر للمشاكلة وبيان لعجزهم عن ايصال منفعة تامة من المنافع الوجودية
والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم فلانهم وصفوا
هناك بالمخلوقية لكونهم اصلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اصلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم
الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنه وايسره وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد
الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المبني على مزيد الاعتناء
بامر التوبيخ والتبكيت اي اندعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما فيه صلوح الطالب او تخصوا به عن
الكفرة لا يتبعوكم اي هم او انتم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم
البحتة فانه لا يتغير حاكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في
معنى الفعلية معطوفة على الفعلية للدلالة على قوة ام صمتهم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواة
للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام
لا يتبعوكم الا جاريا لا يساعد سياق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم كما في
قوله تعالى سواء عليكم اانذرتموهم ام لم تنذروهم فان الاستواء الذي هو عدم التاثير في الاتباع هو بالنسبة
الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم
اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه وتسمونهم آلهة عبادكم امثالكم ان مالكة لكم لان من كل وجه
بل من حيث انها مملوكة تقدر وجل سخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كونها
عجزا عنها اظهر واقوى من عجزهم ان هو لا عتزافهم بعجز انفسهم واداعائهم لقدرتها عليها اذ هو الذي يجر
الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله تعجيزهم وتبكيتهم
اي فادعوهم لجلب نفع او دفع ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انكم قادرون على الانتعاش عاجزون عنه
وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده امر التعجيز من عدم الاستجابة ببيان
فقدانها الآلات بالكلية فان الاستجابة من الاحياء الكاملة الحياة انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى وقوله تعالى وهم
وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها يتحقق الاستجابة حتى
يكون استجابتهم لكم وقعة حجة الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة بكمر بالتبكيت وتثنية
للتقريع واشعار ببان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل
بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف ابذان بقال ايمشون بل اهم
لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما يعقبها من الجوارح
الثلث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة للانكار من التبكيت و
الالزام وقيل للاضراب المنضد للانتقال من حيز التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لا ذكر من المزايا والبطش
الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتاثير
هذا عما قبله لان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير وانما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في فقدانها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلرعاية المقابلة

بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى ولما تقديم الاعيين فلما انها اشهر
من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم ارجل الخ تقريرا للنفي
المماثلة باثبات القصور والنقصان حمل ادعوا شركاءكم بعد ما تبين ان شركاءهم لا يقدرون على شئ ما اصلا
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان ينابذهم للمحاجة بعد ما كرر عليهم التبكيت والقاهم الجواب ادعوا شركاءكم وكيدوني واستعينوا بهم
على ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون
اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل
لعدم المبالاة المفهم من السوق انفها ما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة
اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري
وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما
قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من
دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في
خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم الى المطلوب
به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا
ابلغ من نفي الاتباع وقوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم
عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الآتية
حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك وليس اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه
انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه
والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوجيه الخبر اليها مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم
لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل
مقابل كل منهم بوجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين
على ان التعليل قد تم عند قوله لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه
وعن الحسن رض ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي و
ان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك
تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرون حتى الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة
من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عدد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله
امر عليه السلام بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل
ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو فوق الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك
قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير
واعرض عن الجاهلين من غير مجازاة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله جبريل عليهما السلام فقال
لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك وعن جعفر الصادق رض لم ان الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال ﷺ
كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى وامابنزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز بشبه
وسوسة للناس واغراءه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي
وامابجعلنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب ونحوه فاستعذ بالله فالتجئ

اليه يكفي مرة شره انه سميع يسمع استعاذتك به قولا عليم بعلم تضرعك اليه قلبا فيه ضمن القول او دونه فيعصمك
من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رض الله تعالى عنه
ان لي شيطانا يعتريني فيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل
لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالجاء الى صوم عصمة عز وجل وقيل يعلم
ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه بالقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استيناف مقرر
لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاظلال بها ديدن
الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يفرطها اذا مسهم طائف من الشيطان اذنى لمة منه
على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الاوتاد او اليائي كهين وليت
والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سياتي تذكروا ان الاستعاذة به والتوكل عليه فاذا هم
بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطا ومكائد الشيطان فيجتنبون ولا يتبعونه واخوانهم الى الغواة
الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم في الغي اي يكون
الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد وبادونهم كانهم يعينونهم
بالتسويل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم
بالكلية ويجوز ان يكون الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم بآية من القرآن
عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشئ بمعنى جباه للنفسه اي هلا جمعتها
من تلقاء نفسك فقولا يزيون بذلك ان سائر الآيات كذلك او هلا تلقيتها من ربك باستدعاء قل ردا
عليهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه السلام
باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل الى مقابلة الذي كلفوه اياه عليه السلام
لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام لما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشائع
في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى
وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تشريفه عم والتنبيه على ما يجب ان يكون عليه المتبوع هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصائر
من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بما يبصر الحق ويدرك الصواب وقيل بحجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة
بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة منه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الوصف عليهما
وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للايذان باكون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب محققين بالنسبة الى
الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وانما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين اذ هم المنتفعون من انواره والمهتدون
لآثاره والجملة من تمام القول المأمور به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما
اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا
له استماع تحقيق وقبول وانصتوا اي واسكتوا في خلال القراءة وراعوا الى انقضائها تعظيما له
وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة التي هي اجمع ثمرات وظائف النظم الكريم لتقتضي
وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلي عليكم الرسول القرآن
عند نزوله فاستمعوا له وجهور الصحابة رض على ان في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلوة
فامروا بالاستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رض ان النبي عليه السلام قرأ في المكتوبة وقرأ

اصحابه رضه خلف فخرلت واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابها والآية اما من تمام القول المامور به او استيناف من جهته تعالى فقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك على الاول عطف على قل على الكل فهو بتجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام فى الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اى متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اى متكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر اى اذكره فى وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اى ادخل فى الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك وهم الملئكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته لا يستكبرون عن عبادته بل يؤوحونها حبا وامرواية ويسبحونه اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجنابه كبريائه وله يسجدون اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض لسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءة من النبى عليه السلام اذا قراءابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار روعنه عليه السلام من قراء سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

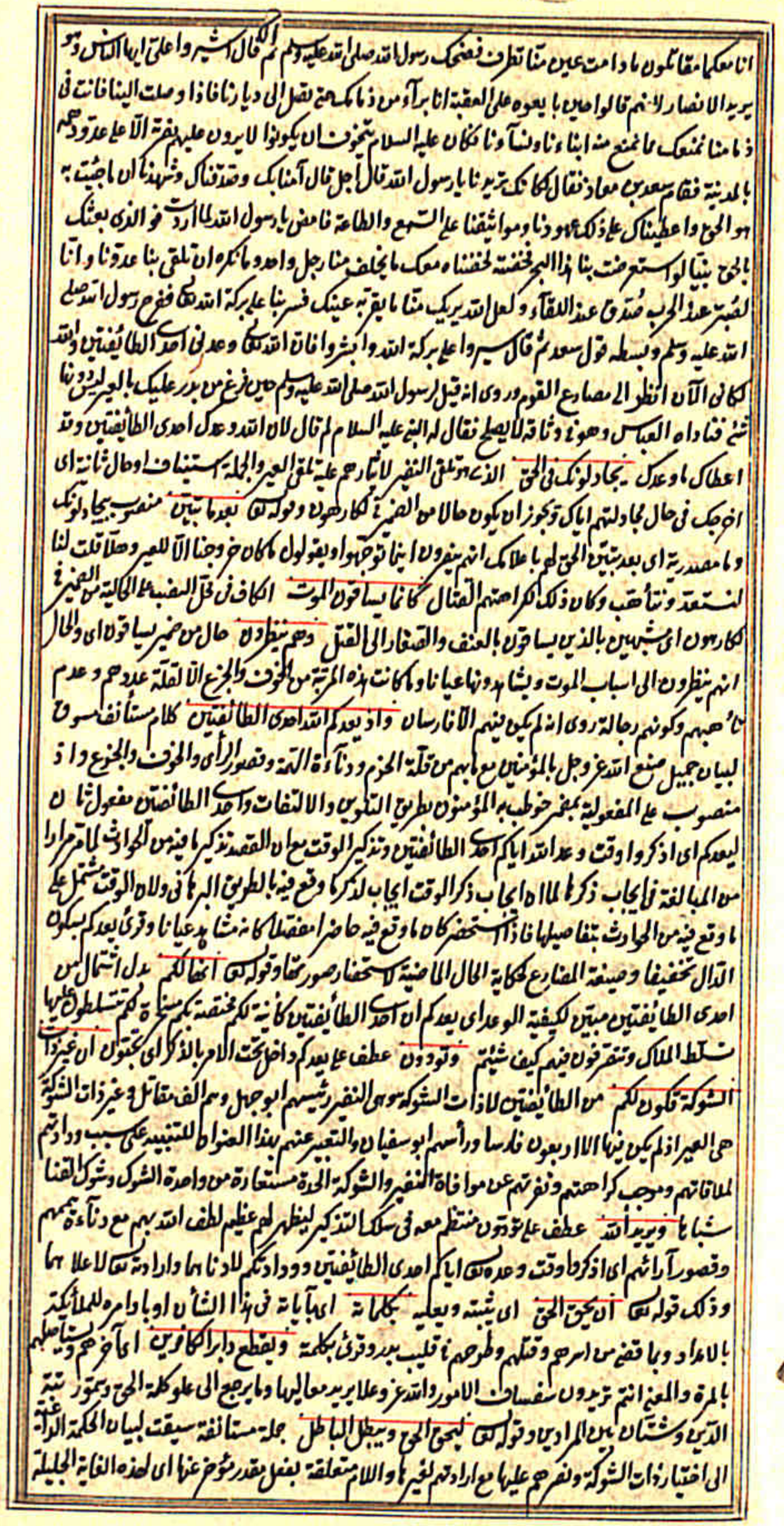
يسالونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زايدة على ما هو اصل الاجر فى الجهاد من الثواب الاخروى ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام روى ان المسلمين اختلفوا فى غنايم بدر وفى قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها المهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسر سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا وفيئة تتحازون اليها فلا تذهبوا بالمغانم دوننا فنزلت فسالوه عليه السلام عن ذلك فلم يجبهم لما ظهر فيهم من المنازعة فى المركز وقيل كان النبى عليه السلام قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك نفل الشبان ما نفلوا من القتل والاسر فسالوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لان السؤال لاستعلام حكم الانفال بقضية كلمة عن لا لاستعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وعلى بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسالونك الانفال غير منتهض فان بناءها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الانفال لله والرسول اى حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيفما امره من غير ان يدخل فيه رائى احد ولو كان السؤال لاستعطاء لكان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافى اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسالونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها وكذلك ما لا يخل لاختصاص المذكور وحمل الجواب على ان معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كايا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متاخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدى من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد شئ فيها بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حتما

كما نطق

كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ الآية على ان الحق انه لا نسخ اصلا ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين فى هذه السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتضاء هذا الحكم عدم الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل سائر الانفال المشروطة ياباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال فى موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود سيان كونه عليه السلام حاضرا حالا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روى عن سعد بن ابى وقاص انه قال قتل اخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد ابن العاص واخذت سيفه فاعجبنى فجيئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال عليه السلام هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سالتنى السيف وليس لى وقد صار لى فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضى عدم وقوع التنفيل يومئذ والا كان السؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل التنزل وتعليله بقوله ليس هذا لى ولا لغيرى ان يعد عليه السلام بالا يقدر على اخذه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لى ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والفوض انه المانع من اعطاء السؤل وما هو نفى البت قوله تعالى فاتقوا الله اى اذا كان امر الغنائم لله ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه فى كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم جعل ما بينهم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المعنوية فى الصدور ذات الصدور اى اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فانتزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله عليه الصلوة والسلام واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنايمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بسبب المقام وليندرج اللهو به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بنا وعلى تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اى ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لاذكرية الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم فى الامتثال بالاوامر المذكورة اى انما الكاملون فى الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهى لغة وقرئ فرقت اى خافت واذا تليت عليهم آياته اى آية كانت زادتهم ايمانا اى يقينا وطمانينة نفس فان لكل من مراتبه قوة وضعفا وتزايدا وتفاضلا باعتبار زيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به فانه

كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من
الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة تكلم الفريقين بيقين
الانبياء واصحاب الكبائر شفاء وبيقين آحاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم ملكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون
يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة وما رزقناهم
ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المبني عن المدح ذكر اولا
من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة
اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم المجيدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عما عداهم
اكمل تميز منتظرون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو مرتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف
هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم باه ضموا اليه ما فضل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة
لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم
درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد
مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم انما تعلق
بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاد بالتنوين من الفخامة الذاتية الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما
تعلق به الخبر اعني لهم متعلق الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقطع امره
ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكلام في محل الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب
وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله والرسول مع كراهتهم
ثبات مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنقرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير
قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن هشام
فاخبر جبريل رسول الله عليهما السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر
خروجهم فحاذى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها
ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة
من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدثت بها العباس فقال ابو جهل يا بني هذ رجالهم اكل
ينتبأ واحتى تنبأ ونساؤهم تخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير قد اخذت طريق الساحل وبحت فارجع
بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتقيم القينات والمعازف ببدر
فيتسامع جميع العرب بمجرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه
لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا
فاستشار النبي عليه السلام اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم
ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد
مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي ثم
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا
نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا

انا معكما


انا معكم مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو
يريد الانصار لانهم قالوا حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في
ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان عليه السلام يتخوف ان لا يكونوا لا يرون عليه نصرة الا على عدو دهم
بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال كأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به
هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن الذين بعثك
بالحق بنيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا
لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى ففرح رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله
لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فزع من بدر عليك بالعير ليس دونها
شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي عليه السلام لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد
اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لما ظهر له تلقي العير والجملة مستأنفة او حال ثانية اي
اخرجك في حال مجادلتهم اياك وتجوز ان يكون حالا من الضمير في كارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك
وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم بأن علامك انهم ينصرون اينما توجهوا او بقولوا لما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا
لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في
كارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال
انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم
تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق
لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم وذآءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان
ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احد الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصد تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا
من المبالغة في ايجاب ذكرها لما اه ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكرها وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على
ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون
الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل اشتمال من
احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احد الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم منسوبة اليكم تستولون عليها
تسلطون الملاك وتتقرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم من الطائفتين لاذات الشوكة وهي النفير يشيعهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة
هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا وراسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم
لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن مواجهة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوكة القنا
شباتها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة همتهم
وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداد تكم للدنيا هما وارادته تعالى لاعلاهما
وذلك قوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي آياته في هذا الشأن او اوامره للملائكة
بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم
بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق ويتمور تتبع
الذين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية
الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة

فعل ما فعل لاشئ آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت مابين الاراءتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر و
معنى احقاق الحق اظهار حقيقته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اى
المشركون ولكماى احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامل ما لمراد تذكير
استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه لما حيث ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى اياهم بالملائكة
يحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق الحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يكون عاملا في اذ لانه ظرف لما مضى
ليس بشئ لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى
لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اى اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم
لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا و
عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل
القبلة وتدير بيده يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط
رداؤه فاخذه ابو بكر رضى الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة انى ممدكم اى بانى مخدف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على
ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملئكة تعريف اى جاعلين
غيرهم من الملئكة ردفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالى وبين
في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل بمعناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من
اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين
بفتح الدال اى متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة للجيش او ساقتهم وقرئ مرد فين بكسر الراء وفتحها وتشديد الدال واصلها
مرتدفين بمعنى ترادفين فادغمت التاء في الدال لتقارب ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة
او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل على وقوعها وما جعله
الله كلام مستأنف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير المختص به عز وجل ليثق
به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى المصدر فعل مقدر
يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فما قاتلكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم
وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا شيئا من الاشياء الا للبشرى لكم
بانكم تغلبون ولتطمئن به اى بالامداد او بجعلكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك
كلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقى الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى علة
العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي نصر الامداد عليها بمعاونة
بعدم مباشرة الملئكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راى البعض
السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء
الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشئ آخر وما النصر
اى حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله اى الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب
والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في مشيته حكيم
يفعل كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور

من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اى يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم
او اظهار لنعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار
اذكروا وقيل سوى متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء
بمعنى التغشية والفاعل هو الوجيه او الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة منه
على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا
من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل المذكور او الامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب
على العلية ليغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كامرّ وقرئ امنة كرحمة
وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مرّ مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تتشوق النفوس متوقفة له فعند وروده تتمكن عندها فضل تمكن وتقديم
عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به
اى من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كامرّ آنفا والمراد
برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء
وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون
انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينظرون
بكم الا ان يحيدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا
شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطر الوادي حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضاوا وسقوا الركاب وتلبد
الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت
القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اى يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما يعد بشاهدة طلائع النصر وتثبيت
به الاقدام ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كما قال ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوى تمكن فيه الصبر
والجراة للاقدام تنزل الاقدام في معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملئكة منصوب بمضمر مستأنف هو لبيان
ما ابتنى عليه السلام بطريق التجريد حسبما ينطق به الكلف لما ان الى المأمور به مما لا يستطيعه غيره فان الوحي
المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة
التي امروا بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى وتثبيت به الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور فيه الى
الربط على القلوب ليكون المعنى وتثبيت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملئكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو
وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت يعلم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل
ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المأمور به ليس من الوظائف العامة
للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنوية والتشريف مالا
يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملئكة اني معكم اى بالامداد والتوفيق في امر التثبيت فهو فعول يوحي
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من مشوعية الملئكة عليهم السلام انما هي
من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فانهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء
في قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت
قالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتقمع غرائمهم وتباشرهم وتاكد
جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في مواطن الحرب والجد
في مقاساة شدائد القتال وقد روى انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت
المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنكسفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال

آخرون امروا بمحاربة احدانهم وجعلوا قوله تعالى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب تفسير القوله تعالى انى معكم وقوله
تعالى فاضربوا الخ تفسير القوله تعالى فثبتوا امينا لكيفية التثبيت وقد روى عن ابى داود المازنى يزيد وكان ممن شهد
بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وعن سهل بن حنيف
رضه انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف
وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتب
الامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سالقى الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى
فثبتوا الذين آمنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالاتيان على طريق التلوين فسناه قوم ردود
قبل القتال وانى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الاعناق اى اعاليها التى هى
المذابح او الهامات واضربوا منهم كل بناء قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هى الاصابع
من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بناء قال ابن عباس رضه وابن جريج والضحاك
يعنى الاطراف اى اضربوهم فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاصابع ونيوق الاعناق الاعالى
والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وكرر الامر بالضرب لمزيد التشدير والاعتناء بامره ومنهم متعلق بما بعده حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى الشدة والفظاعة
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يليق به الخطاب ومحله الرفع على الابتداء وجزه قوله تعالى بانهم شاقوا الله
ورسوله اى ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من كالسهيل الى مغالبته اصلا واشتقاق
المشاقة من الشق لان كلا من المشاقين فى حق خلاف شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة
والخصم اى الجانب لان كلا المتعاديين والمتخاصمين فى عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق الله و
رسوله الاظهار فى موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه والاشعار بعلية الحكم وقوله تعالى
فان الله شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اى شديد العقاب له او تعليل
للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكميل لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق
للسببية بالطريق البرهانى كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله
كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم
الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار
فانه مع كونه هو الموسوم للوعيد باذكرنا طبق يكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى
نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه
قوله تعالى فذوقوه والواو فى قوله تعالى وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذى اصابكم فذوقوه عاجلا
مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثانى فلان
الاوفق ان محله الرفع على انه خبر مبتداء محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم
اى ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وتسط بين المعطوفين
للتهديد والتقرير على الاول للنفس المشار اليه وعلى الثانى لما فى ضمنه وقد ذكرنا اعراب الآية الكريمة وجوه آخر
مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستيناف يا ايها
الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلى جار مجرى ما سيقع من الوقائع والحروب جئ به فى تضاعيف القصة
اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة فى حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف التدبيب
يقال زحف الصبى زحفا اذا دب على استه قليلا سمى به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتحاشيه

يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحسن حركته باحاسيس اليه فى غاية البطؤ وان كانت
فى نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهلج و
نصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اى زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اى
يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله اومنه ومن مفعوله معا كما قيل فى اياباه قوله تعالى فلا تولوهم الادبار
اذ لا معنى لتقييد النهى عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو
الداعى الى الادبار عادة والمحوج الى النهى عنه وحمله على الاشعار بتحاشيكون منهم يوم حنين حيث تولوا
مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل
فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تنوا عنهم فى العدو او تساووهم
ومن يولهم يومئذ اى يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء الامتحى فالقتال
اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما للكر بان يخيل عدوه انه منهزم كيفره ويخرجه
من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من فى الكمين من اصحابه وهو باب من خدائع الحرب ومكايدها
او متحيزا الى فئة اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر
رضه ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن
الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضه الله عنه
فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضه انا فئتك ووزن متحيزا متفيعل لا متفعل والا
لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانقلابها الفا على الجالية والا لغو لاعل لها واما على الاستثناء من المولين
اى ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اى رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره
ومن فى قوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف موصوفة بغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول
بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن منه تعالى وماواه جهنم اى مبدل مما اراد بفراره اى ياوى اليه من مأوى
يتجنبه من القتل وبئس المصير فى ايقاع البوذنى موقع جواب الشرط الذى هو التولية مقرونا باذكر الكاوى
والمصير من الجزالة مالا مزيد عليه عن ابن عباس رضه ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم
يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر و
الى هذين معنى الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء
جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر ارادته تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك
فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم
ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اى فاعلموا وناضركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير
ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاويلين لما روى انهم لما انهزموا من المعركة غالبين غانمين
اقبلوا يتفاخرون ليقولوا قتلنا واسرنا وفعلنا وتركنا فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم
انى اسالك ما وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى
الجمعان قال لعلى رضه الله عنه اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمى الظاهر على يده عليه السلام حقا من افعاله عز وجل
وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلى بيان حال الرمى نفيا واثباتا اذ هو الذى ظهر
منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمى به فى نفسه وتكثره الى حيث اصاب عينى كل واحد من تلك الامة الجمة

شئ من ذلك اى وما فعلت الشئ يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرا من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اى خلقها حين باشر تها لكن لا على نهج عادة تعالى فى خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر هذا ايثارا تا الله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون اثرا من افعاله سبحانه لامن افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع فى المحلين واللام فى قوله تعالى وليبلى المؤمنين منه اى ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اى عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره انما تعلقه بمحذوف متاخر قالوا واعتراضية اى للاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشئ غير ذكر حتى لا يجدبهم نفعا وانما برمى قالوا وللعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى الخ وقوله تعالى ان الله سميع اى لدعائهم واستغاثتهم عليم اى بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اى المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل والرمى والمبتدا الامر اى الامر ذلكم اى القتل فيكون قوله وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا وشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث تصر اعلاهما وقد زعتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجئ او فقد جاءكم البرية والقهر فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول عليه السلام فهو خير لكم اى من الحراب الذى ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر وبنى اعتبار اصل الخيرية المفضل عليهم هو التهكم وان تعودوا اى الى حربه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغنى بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقى وللفصل اى لن تدفع ابدا عنكم فئتكم اى جماعتكم التى تجمعونها وتستعينون بهم شيئا اى من الاغناء او من المقدار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقدم التحقيق وان الله مع المؤمنين اى ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويترتب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستيناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول عليه السلام فهو خير لكم من كل شئ لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغنى ج كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر الله مع الكاملين فى الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعة تعالى فى طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذى دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولى مطلقا كما فى قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا للتقييد النهى عنه بحال السماع كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته حال فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهى السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم فى سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفته الامر والنهى

كالذين

كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه و لا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب استيناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة فى التحذير وتقريرا للنهى اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله فى حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين رأسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهم غيره بالاشارة ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقد العقل ايضا فهو الغاية فى الشرية وسوء الحال و بذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا احط من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذى من جملته صرف قواهم الى تحرى الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر لو توفوا على حقيقة الرسول عليه السلام و اطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم فيهم شيئا من ذلك الخ وعد عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك الخلو عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلى اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احى قصيا فانه كان شيخا مبارکا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فاتاهم الله فقتلوا جميعا ما حد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتشويقهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله سبحانه وتعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التى هى مناط الحياة الابدية كما ان الجهل دار الموت الحقيقى او هى ما هو صيرورة الغلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رقضوا لغلبوهم وقتلوهم كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة روى انه عليه السلام مر على ابى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من اجابتى قال كنت فى الصلوة قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعوته عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء و قلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ايثارا وسعادة ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما شبه ذلك من الامور المعترضة للفرصة وقرئ

بين المرء بتشديد الراء على حذف همزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اى الله عز وجل
او الشأن اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله و
بالغوا الى الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لا تختص اصابتها بمن يباشر
الظلم منكم بل يعمّ وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الا وفيها ان
جواب الشرط مترد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ ذلا النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول
كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة
من قراء لتصيبن وان اختلف المعنى فيها وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر بالتقاء الذنب فان
وبال يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدة
التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر
سببه واذكروا اذ انتم قليل اى وقت كونكم قليلا فى العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه
من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون جئ بها او صفة لقليل وقوله تعالى
فى الارض اى فى ارض مكة تحت ايدى قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدى فارس والروم والخطاب للعرب كافة
فانهم كانوا الذلاء تحت ايدى الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس جئ ثالث او صفة ثانية لقليل
وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن فى مستضعفون والمراد بالناس على الاول هو الاظهر اما
كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الكل فارس والروم اى واذكروا وقت قلتكم وذلتكم
وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تحصنون به من اعدائكم
وايدكم بنصره على الكفار او بظاهرة الانصار او بامداد الملئكة ورزقكم من الطيبات من المغانم لعلكم
تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كالوفاء التام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه اى لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا
خلاف ما تظهرون او بالغلول فى الغنائم روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا
الصلح كما صالح بنى النضير على ان يسير والى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على
حكم سعد بن معاذ رض فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كان فى ايديهم
فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت
انى خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تبت عليك فحل
نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه عليه السلام فحله فقال
ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تتصدق به وتخونوا امانتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
وانتم تعلمون انكم تخونون وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
لانها سبب الوقوع فى الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فى ذلك فلا يحملنكم حبها على الخيانة كما فعله و
ان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليها وراعى حدوده فيها فتيقظوا لهمكم بما يؤديكم اليه يا ايها
الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضى الايمان مراعاته
والمحافظة عليه كما فى الخطابين السابقين ان تتقوا الله اى فى كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم

بسبب ذلك فرقانا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين الحق والمبطل باعزاز المؤمنين و
اذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عاجلة وآجلة فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويشتر صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اى يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز
عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر للانسان او اهل بدر قد غفر لهم ما اتقدم
لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه و
احسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذكروا بكسر الذال كفوا منصوب على
المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الى مسوق لتذكير النعمة الى صة عليهم
بعد تذكير النعمة العامة للكل اى واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قراء ليقيدوك
او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات
او يقتلوك اى بسيوفهم او يخرجوك اى من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار وما يعتهم له عليه السلام
فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فى امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت
اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقال ابو البختترى رايى ان تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى رايكم من يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس الرأى ما قال فتفرقوا على رأيه آيسين
وبقى كلهم يهم بقتال ابو جهل انا ارى ان تأخذ من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه
فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الشيخ فتفرقوا على رأيه آيسين
جبرئيل النبى عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رض على مضجعه وخرج هو مع ابى بكر الى الغار ويمكرون
ويمكر الله اى يرتكبون ما يرتكبون عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقتل المسلمين
فى اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واستدراجه اذ اليه
سبحانه ما يحيق بالماكر ولا مساغ له ابتداء ولا فائدة من مجاراتهم الا يحيق بسيئة ويمكرون واذا تتلى عليهم آياتنا التى
حضها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعناه لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله النضر بن الحارث وانما قاله لعنه الله
لما انه كان رئيسهم وفاضيهم الذى يقولون بقوله ويأخذون برايه وقيل قاله الذين اجتمعوا فى دار الندوة
وهذا كاذ فى غاية المكابرة ونهاية العناد وكيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك لما عجزوا عنه وقد تحداهم به فى
عشر سنين وقرعوا على العجز وآثروا من ذلك الامرين ثم قرعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع التفهم وفرط التشدق
ان هذا الا اساطير الاولين اى ما هذا الا اباطيلهم التى سطروها من القصص واذ قالوا اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من باطيلهم ذلك لعنهم الله
انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرآن
ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا واتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم و
اظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدأ والفصل وفائدة
التعريف فيه الدلالة على ان المعلوم به كونه حقا على الوجه الذى يقوله عليه السلام وهو تنزيله الا الحق مطلقا لتجويز
ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان ليعذبهم والت فيهم جواب كلمتهم الشنعاء وبيان لكونهم
لاهلها والتوفيق لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبى عليه السلام
بين اظهرهم خارج عن عادة تعذيب غير مستغفر فى حكمه وقضائه والمراد بالاستغفار ما فى قوله تعالى وما كان الله معذبهم و
هم يستغفرون اما استغفار من بقى منهم من المؤمنين او توطين انفسهم على الاستغفار او فرضه على بعض لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى واهلها الخ وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان

المانع ليس من قبلهم اى وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اى و
حالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه
حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصدقات مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره فضلا
القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم
ذلك ولكنه يعاند وقيل يراد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اى دعاؤهم او تسميته
صلوة او ما يفعلون موضعها الا مكاء اى صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كبكى وتصدية اى
اى تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر
كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء حشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
ذلك اذا اراد النبى عليه السلام ان يصلى يخلطون عليه ويريدون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب
اى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود اينما يعذاب اليم بما كنتم
تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت فى المطعمين
يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او فى ابى سفيان استأجر يوم
احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم
بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع
رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم لا مكان الحال وهو انفاق يوم بدر و
الثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول
لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما
وتحاقرا من غير حصول المقصود وجعل ذاتها حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى تمرادا على الكفر واصروا عليه الى جهنم
يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن او الفساد من
الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او بيغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوة عليه السلام ما انفقه
المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بيحشرون ثم يكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا فيظاز دحامهم فيجمعه او يضم الى
الكافر ما انفقه ليزيده عذابا بكمال الكافرين فيجعله فى جهنم كلها اولئك اشارة الى الخبيث او
هو اشارة عن الفريق الاول المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى الخبث هم الخاسرون
الكاملون فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اى قل لاجلهم
ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبى عليه السلام بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من
الذنوب وقرئ ان تنتهوا يغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى حتا لهم
قد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وتا نيثها عطف على قد مضت او قد عم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين فى القتال لتحقيق ما
يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا يكون فتنة اى لا يوجد منهم شرك
ويكون الدين كله لله ويضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل
فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم عما انتهوا عنه واسلامهم وقرئ

تباء الخطاب اى بما تعلمون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم ثابون بالسببية كما ثاب
المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا
بعداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم
عن الكلبى انها نزلت ببدر وقال الواقدى كانت الخمس غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف
من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اى الذى اصبتموه من الكفار
عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم ثم عم لاتساع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى
من شئ بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول تصدير الاغناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ
عنها شئ اى ما غنمتموه كائنا ما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلافا لابن سلب المقتول للقاتل اذا نفله
الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا وخبر محذوف
اى مخرج او واجب له تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الى وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى فى الايجاب لما فيه من
تكرير الاسناد وكانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الا الاخلال به وقرئ فان لله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم و
الجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما فى قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على
المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام
لذى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلثة لدفع توهم اشتراكهم فى سهم النبى عليه السلام لمزيد اتصالهم به عم
وهو بنو هاشم وبنو المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضى انهما قالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتنا بنو هاشم ولا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارايت
اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانا نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية
ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوى قرباه وثلثة اسهم
للاصناف الثلثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم
فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنيا وهم فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روى عن ابى بكر رضى الله
عنه انه منع بنى هاشم الخمس وقال انا لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم
فهو بمنزلة ابن السبيل الغنى لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن على مثله قال ليس لنا ان نبنى منه قصورا
ولا نتزكب منه البراذين وقيل سهم الرسول عليه السلام لولى الامر بعده واما عند الشافعى فسهمه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكرع والسلاح ونحو
ذلك وسهم لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقى للفرق الثلث
وعند مالك الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضا منهم دون بعض
وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف
سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روى انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما
بقى على خمسة اسهم وقيل سهم الله تعالى لبيت المال وقيل هو معدوم الى سهم الرسول عليه السلام بذاته وان
واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابى حنيفة وثلثة اسهم
عندهما قال القرطبى لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقى دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى
ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اى ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس
من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا الطامع منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس
المراد مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اى

ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول عليه السلام والمؤمنون فان بعض ما نزل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب باذكروا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اى الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد ما انزل عليه يومئذ من الوحي والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فيتنظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الجمل بقتلكم على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملئكة والفتح لكان من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببها من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شئ قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اى البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الكلمة ياء كالدنيا والعليا غير كونهما من بنات الواو ولكنها جاءت على الاصل كالقود والصيود وهو اكثر استعمالا من العصيا والركب اى العير او جمع راكب اسفل منكم اى في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستقلالهم بالركب وخوضهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا امرهم وبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتنائي لامرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر امر الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة لا تنبت الا الرمث ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد هيبة منهم وبأسا من الظفر عليهم لتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وعلا خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا و شكرا وتطمئن نفوسهم بفوض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من تمرد ولياته وتقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك و من حي المشارف للهلاك والحيوة ومن حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اى بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامر على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر باصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اى لجبنتم وهبتم الاقدام والتنازع في الامر اى امر القتال وتوقفت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اى انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمفعول خوطبه الكل بطريق التلوين والتعليم معطوف على المفعول السابق والغيران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انا اصحاب محمد اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راؤهم مثليهم ليفا جئهم

الكثرة

الكثرة فيهم تنوا ويربوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا في هذا الحد واما ذلك بعد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به اولا ان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرفي النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اى حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة والتلقاء مقابلة والقتال مغالبة والقتال قاتلهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اى في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين مستظهرين بذكره متقربين لنفره لعلكم تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النفرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تاتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النفرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للقتال فهم متبوعون للقبر في مثوبتهم ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعد ما امروا به من احاسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها و المراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اى فخرا واشرا ورياء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم رسول الله ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم مراآئين بطرين وآمرا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشئ مستلزم للامر بضده و يصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكون علة تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطبه النبي عليه السلام بطريق التلوين اى واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اى الفي في روعهم و خيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان ابناءهم اياه فيما يظنون انها قربات مجيرهم همت قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين وكم خبر لا غالب او صفته و ليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان التقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اى تبرا منهم وخاف عليهم وبئس من حالهم لما راى امداد الله تعالى للمسلمين بالملئكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما راى الملئكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق فهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك

بما امروا به

فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله لا
اخاف الله ان يصيبني بمكروه من الملئكة او يهلكني ويكون الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله و
الاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستانفا من
جهته عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بتكفل او بشديد العقاب والذين في قلوبهم
مرض اى الذين لم يطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها فوج شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في
المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا ايها ذئابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غرهؤلاء دينهم
المؤمنين حتى تعرضوا الى ما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على
الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان
قل حكيم يفعل بحكمة البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه اللباب المحول وجواب الشرط محذوف لدلالة
المذكور عليه ولو ترى اى ولو رأيت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ترد الماضي مضارعا رضا والخطاب
اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقدر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على
النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة ظرف لترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او
حال الكفرة حين توفاهم الملئكة بدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل و
الملئكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول فاستغنى بها بالضمير عن الواو
وهو على الاول حال منه او من الملئكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اى واستاههم لو ما اقبل منهم
وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اى
ويقولون ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها و
جواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اى لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما
ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ
خبره بما قدمت ايديكم اى ذلكم الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وخلل في قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده من غير ذنب
من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة
فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما
ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان السببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير
ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لاينافي كون تعذيب هؤلاء بالكفرة
المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب
المعذبين لاحتيج الى ذلك كذاب ال فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استيناف
مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشئ آخر من جهته غير هم بتشبيه حالهم بحال المعروفين
بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شانهم
الذي استمروا عليه ما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كذاب آل فرعون المشهورين بفظاعة
العذاب والنكال والذين من قبلهم اى من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا
من العذاب ما لقوا كقوم نوح وعاد وامثالهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بايات الله
تفسير لذنبهم الذي فعلوه للاداب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى
فاخذهم الله تفسير لذنبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جنايتهم وتبعاتها المترتبة عليها
وقوله تعالى بذنوبهم لتاكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها

وفعل

وفعل في استتباع العقاب وتجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون الباء للملابسة اى فاخذهم
ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فذنبهم مجموع ما فعلوا وما فعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي
ان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء وجاء هم محمد عليه السلام بالصدق
فكذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة ذنوبهم مع انه ليس مما يتصورها وتهم
عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الذنب اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل ما وطنهم على
ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة ما وطنهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد
العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك اما استيناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم
الكريم من كون ما حل بهم من العذاب صنعا طبقا عالمهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه بالفعل
ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان
عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وقولهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم
بل باستلزامه ومن مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمته عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلل
ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط من القول وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين للامر الكفر بآيات
الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اى ترتب العقاب على
اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته على ذلك بان الله اى بسبب انه تعالى لم يك في حد
ذاته مغيرا نعمة انعمها اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على
قوم من الاقوام اى نعمة كانت جلت او دقت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال والاعمال التي
كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة
او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كذاب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة
اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعم الاموال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم
النبي عليه السلام بالبينات غيروا ما بانفسهم الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن
تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال و
عاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله
سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معها في حيز التعليل اى وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم
جميع ما يقولون وما يدبرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق به من ابقاء
النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كذاب
آل فرعون والذين من قبلهم تكرير لما مر تاكيدا وتسجيلا عليهم بما هو مناط الهلاك والتعذيب وتمهيد لما
يعقبه من التفصيل كذبوا بآيات ربهم تفسير لما فعلوا بانفسهم من تغيير ما بها من النعم الدنيوية
اثر تغيير ما بانفسهم من الاحوال الصالحة فاهلكناهم اخبار بترتيب العقوبة
عليه الائق من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران
حيث جوز وا انتصاب محل الكاف بمحذوف يقع صفة مع ما بينهما من قوله تعالى وانك لهم وتوجه النظر على تقدير عطف
الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف كما قيل فالجملة حينئذ استيناف آخر مسوق لتقرير ما سبق من الاستيناف الاول تشبيه
دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة
عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية
اى دأب هؤلاء وشانهم الذي هو عبارة عن التغيير المذكور من كدأب اولئك حيث غيروا احوالهم فغير

الله تعالى نعمة عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذى فعلوه من تغيير هم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذى فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمة وانما دأب قريش مستفاد منه بحكم التشبيه فلذلك وقع شأن التنزيل حيث اكتفى فى كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة فى اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام فى الفاء فى قوله تعالى بذنوبهم كالذى مر وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكناهم مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملئكة عم وكل اى كل من الفرق المذكورين اوكل من هؤلاء واولئك اوكل من غرق القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك اوواضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال المهلكين من شر الكفرة شرع فى بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اى فى حكمه وقضائه الذين كفروا اى امروا على الكفر والجوا فيه جعلوا شر الدواب لاشر الناس اياه الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حيث نطق به قوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم فى الكفر وسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جئ به على وجه الاعتراض للافادة عطف على كفروا داخل معه فى حيز الصلة التى لا محل لها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اى عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التى هى عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه وهم ايا هم عهوده كما قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هى للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه فى حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته فى كل حال اى ينقضون عهدهم الذى اخذته منهم فى كل مرة اى من مرات المعاهدة اذ هى التى يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدة فلا فائدة فى تقييد النقض بالوقوع فى كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا فى المرة الواردة على المعاهدة لا فى المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هى المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عدد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلق الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤل الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون المعنى ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه فى غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بدئهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اى يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سوء عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع فى بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى فان كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب اى فى تضاعيفها فشرد بهم اى فرق عن منا بذتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب وكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والعذاب ما يوجب ان يكون من خلفهم اى من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اى افعل التشريد من وراءهم والمعنى واعدلان ايقاع التشريد فى الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا فانزل بالناقضين

فيرتدعون عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين على النقض الارشاد احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اى واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهدهم فيما سيأتى بالاحى لكى منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اى فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظلم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لئلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اى فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد بحيث يستوى فيه اقصاهم وادناهم او تستوى فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثانى من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهى عن المناجزة التى هى خيانة فيكون تحذيرا للرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم بحذف المفعول للتكرار وقوله تعالى سبقوا اى فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يكون حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذى يمكن ان يدور فى خلدهم حسبان المناص و قيل الفعل مسند الى احد اوالى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة مكسبقوا وهو مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره فى الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى اغير الله تأمروني اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى قراءة واضحة وقرئ ولا تحسبن الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهى على طريقة الاستئناف وقرئ بخذف الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين ناجين وهذا على قراءة الخطاب لا زاحة ما عسى يحيز من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدى المؤمنين وفيه نفى لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزل فيمن افلت من قتل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما فى حيزه من وظائف عليه السلام اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحربهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ولعل تخصيصه بالذكر لانافيته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التى ترتبط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا ورباطا وارتبط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط كعبد وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكال على الملئكة ترهبون به اى تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير للاعداد او للاستطاعة او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اى اعدادا مرهبين به او من الموصول او من عائده

المحذوف اى اعدوا لما استطعتموه ترهبا به عدوا الله وعدوكم وهو كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد فى العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم باعيانهم اولا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اى لاغير فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شئ لاعداد العتاد قل او جل فى سبيل الله الذى اوضحه الجهاد يوف اليكم اى جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتما يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر فى تفسير قوله تعالى ناستجاب لهم ربهم ان لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اى ان مالوا للسلم اى للصلح بوقوع الرهبة فى قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعداد العتاد فاجنح لها اى للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون فى خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيواخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم فى نحورهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسخها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطان الحروب فان حسبك الله اى فاعلم بان حسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذى ايدك بنصره تعليل للكفاية تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تاييده تعالى فيما سياتى اى هو الذى ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملئكة مع خرقه للعادة وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والصيفية والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يالف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما فى الارض جميعا اى لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ اى تناهى التعادى فيما بينهم الى حد لو انفق منفق ما فى اصلاح ذات البين جميع ما فى الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتاتى ان امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شئ مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع افنت ساداتهم واعاظمهم ووقت اعتنائهم وجاجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرون عن تونس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبى شروع فى بيان كفاية تعالى اياه عم فى جميع اموره وامور المؤمنين اوفى الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كاية اخرى بيان كفاية تعالى اياه عم فى مادة خاصة وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اى كافيك فى جميع امورك اوفيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين فى محل النصب على انه مفعول معه اى كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما فى قول من قال فحسبك والضحاك عصبة مهند وقيل فى موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأى الكوفيين اى كافيك وكافيهم اوفى محل الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت فى البيداء او فى غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبى عم ثلثة وثلثين رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رض فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت فى اسلام عمر رض يا ايها النبى بعد ما بين كفاية اياه عم النصر والامداد عم ترتيب مبادئه نفسه وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المؤمنين على القتال اى بالغ فى حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما

امكن من الامور المرغبة التى اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته او وبشاراتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالمعنى ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذى هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال ان اراك ذهنا الامر حرضا اى مرضا فيه لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرض بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتاييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمئنان على انه قد يجرى بين الجمعين القليلين ما لا يجرى بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة تبين ان ذلك لا يتفاوت فى الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر فى المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره هنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغى والعدوان فلا يثبتون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فلا سعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحرب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيغلب فمما لا اعتقاد له اذ لا سعادة فى هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هى الحيوة الباقية فلا يبالى بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام اكثر منه لكن لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق مقتضيا لاجراء حكمه فى الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جرير انه كان عليهم ان لا يفروا وان يثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله عم حمزة رض فى ثلثين راكبا لتلقى ابا جهل فى ثلثمائة راكب فهزمهم فثقل ذلك عليهم وشجاهم بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بقاء الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا مسلمين وتبين فى الاهتداء الى القتال لا الضعف فى الدين كما قيل وقرئ ضعفا بفتح الضاد وهى لغة فيه كالفقر والفقر والكثف والكثف وقيل الضعف بالفتح ما فى الرأى والعقل وبالضم ما فى البدن وقرئ ضعفا وجمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت فى الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اى بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة فى الصورتين مجموع الامرين اعنى نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر فى كل مقام عما ترك فى المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعيته مدخولها لاحالتهم من حيث انهم المبشرون للصبر كلم مرارا كما هو للنبى وقرئ للنبى على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اى ما صح وكما استقام لنبى من الانبياء عم ان يكون له اسرى وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن فى الارض اى يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من الثخنة المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به واصله الثخانة التى هى الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف مسوق للعتاب اى تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اى يريد لكم ثواب الآخرة الذى لا مقدار عنده للدنيا وما

ينها او يريد بسبب نيل الآخرة من اغزائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كاني قوله اكل امرئ تحسبين امرءا
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بما يحكم امرا لائحان ونهى
عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخيرهم بينه وبين المن بقوله تعالى فامنا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت
الغلبة للمؤمنين روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم
فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه
اعنانهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له
فنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى يكونوا الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انتم اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال
ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه دمع قال لو نزل
عذاب من السماء لما نجى غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا من اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا
حكم منه سبق باثابة خ اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده وان لا يعذب احدا بذنب لم يقترفه او قدم لهم بالنهي
والماذا لعذابه التي اخذوا بها فلا يصلح ان يقدر من موانع مساس العذاب فان الحل اللائح لا يرفع حكم الحرمة
السابقة كما ان الحرمة اللاحقة في الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تاويل من نفى عليهم من اخذ الفداء
لكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم
روي انهم اسكوا عن الغنائم فنزلت فاكلوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما
غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الغنائم فانها من جملة الغنائم
وبابا بكسباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدة الترغيب في اكلها وقوله
تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر
لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اقتضيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
اي في ملككم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاساري ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة
نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له عم
فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث
فهو لك ولعبد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله
الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما
اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس رض فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي تاويل ما في قوله تعالى
ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكدا بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي
نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا الكلام مسوق من جهته تعالى لتسلية عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد
خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حيث رايت يوم بدر
فان اعادوا الخيانة تاعلم انه يمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم
فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما يقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا
آمنوا وهاجروا هم المهاجرون ما جروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع

والسلاح

والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك وخوض غمار المهالك في سبيل الله متعلق
بجاهدوا قيد به لان الجهاد قد يكون بالمال ايضا ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا
يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم و
بذلوا لهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين
بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو منزلتهم وبعد طبقتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى
بعضهم الما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره والمبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اي
بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالاخوة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله
تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد ذلك على قوم والاتهم والذين امنوا ولم
يهاجروا كسائر المؤمنين مالكم من ولايتهم من شئ اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربهم حتى
يهاجروا وقرئ بكسر الواو لتشبيهها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
نواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم
بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل عليكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وبما يعمهما مع ما عدا هما مما يقتضي الموالاة بينهم وبين المسلمين وايجاب المعاداة
والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث
ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور
الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالفرح المطلق من الايمان مع الموعد الكريم
بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا نهاية فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم
والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من
جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم
بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث
من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان
الله بكل شئ عليم ومن جملة ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم
البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الانفال وبراءة فانهما تشفعان له يوم القيمة وتشهدان بانه
برئ من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان لهما وحش وحملة يستغفرون له ايام حيوته

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمثقبة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة والبشرة من النفاق والبحث والتفتيش
عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقتضي انها سورة
مستقلة وليست بعض سورة الانفال وادعاء احتضانها للاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر
فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يابى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى
مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رح لا الاشتباه في استقلاله وعدم كما يحكى عن ابن عباس رض
ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رض من الاختلاف في ذلك علما ان ذلك غير يرجع الى القول بان التسمية ليست من

سورة توبة

القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل من قدماء الخنفية وان مناط اثباتها تواتر المصاحف وتركها انما هو راى
من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب فى ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل و
التبرك بها ولا مدخل لراى احد فى الاثبات والترك وانما المتبع فى ذلك هو الوحى والتوقيف ولا مرية فى عدم نزولها
ههنا والا لامتنع ان يقع فى الاستقلال استباه او اختلاف ونحو ما لا تحاد السورتين اولا ذكرنا لا بسبيل الى
الاول والا لبينه عليه السلام لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد دلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة
فيما بين نزولها فحيث لم يبينه عليه السلام تعين انتفاء البيان من الشارع فى موضع البيان بيان للعدم
براءة خبر مبتداء محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اى اسمعوا براءة ومن فى قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيد ما زيادة تفخيم وتهويل اى هذه براءة مبتداة من جهة الله ورسوله واصلة الى
الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تتعلق به البراءة حسما لذكره قوله تعالى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما
فى حيز الصلة فانه مبنئ عنه بانباء ظاهر او احترازا عن تكرير لفظة من وقيل هى مبتداء لتخصصها بالصفة وخبرها الى
الذين الخ والذى يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان
ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويحمل المقصود بالذات والعمدة فى الاخبار
شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادة حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها
اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف تلقاها ان يكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها
للمحاهل ان تكون صفات كما حقق فى موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل فى تحريك الساكن الكسر وكله
الوجه هو الفتح فى لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب فى عاهدتم للمسلمين و
قد كانوا عاهدوا مشركى العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام فنكثوا الا بنى ضمرة
وبنى كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين واجلوا اربعة اشهر ليسير وا اين شاؤا وانما نسبت البراءة
الى الله ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم فى حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع
كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للايذان بتحتمها وتحتمها من غير توقف على راى المخاطبين لانها عبارة عن
انهاء حكم الامان ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر
الجارية على حسب حكمة يقتضيها وداعية تستدعيها يترتب عليها آثارها من غير توقف على شئ اصلا واشتراك المسلمين فى حكمها
ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل فى اتمامها او فى ترتيب احكامها عليها
واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تحتمل فى نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة
المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه فى شانها هو الاذن
فيها وانما الذى يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة
منهما الى من هو اصل فيها على ان فى ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية النزل والهوان
ونهاية الخزى والخذلان وتنزيها للساحة السبحانى والكبريا عما يوهم شائبة النقض والبداء عن ذلك علوا كبيرا
واوراجه عليه السلام فى النسبة الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع فى كلا المقامين
وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها
وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمى كما اشير اليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب فى الارض والسير
فيها بسهولة على مقتضى المشية كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس
فى سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل فى الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة
ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من غير تعرض لهم بحبس او تحصين الاهل والمال وتحصيل المهرب او غير ذلك لا التكليف بهم
بالسياحة فيها وتاويل الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب

ايضا

ايضا للمبالغة فى الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشائبة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار
صيغة الامر مع استشعار افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال
القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكان ذلك امرا مطلوبا منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه
على ما يوذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفسه والثانى بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا
لترتيب الاول عليه والثانى على الاول كما فى قوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا الخ كما نبه قبل هذه براءة موجبة لقتالكم
فاسمعوا فى تحصيل العدد والاسباب وبالغوا فى اعتماد العتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بسبيل حتم
فى اقطار الارض فى العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزى الله اى لا تفوتونه بالهرب و
التحصن وان الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار
مخزى الكافرين اى مخزيكم ومذلكم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم
بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هى كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل
فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هى الاشهر الحرام التى علق القتال بانسلاخها فقيل هى شوال
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت
حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذى الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول كان الحج
فى تلك السنة كما فى ذلك الوقت للنسئ الذى كان فيهم ثم صار فى العام القابل فى ذى الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روى انه عليه السلام امر ابا بكر رضى الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه
عليا رضى الله عنه على العضباء ليقرأ على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابى بكر فقال عليه السلام لا يؤدى عنى
الا رجل منى وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنى على رضى الله عنه سمع ابا بكر رضى
الرغاء فوقف فقال اذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال اميرا او مامورا قال مامورا فمضيا فلما كان يوم
التروية خطب ابو بكر رضى الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول
الله اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم عشرين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده واذان من الله ورسوله
اى اعلام منها فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل الى
الناس اى كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة
والمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه وللروى انه عليه السلام
وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقولهم الحج عرفة ووصف بالاكبر لان العمرة
تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال او لانه ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اى بان وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى
القول برئ من المشركين اى المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن فى برئ او على محل ان واسمها على قراءة
الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان اولان الواو بمعنى مع اى برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من
الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة
المزيلة بالموعيد الشديد الموذن بلبين عريكتهم وانكسار شوكتهم فهو اى فالتوب خير لكم فى الدارين
وان توليتم عن التوبة او تبتم على التولى من الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزى الله غير سابقين و
لا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بالبشارة بعذاب
اليم وان كان بطريق التهكم انما يليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك
من النبذ السابق الذى اخرفيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم

أحدهما انهم غير مخزى الله والثانى ان الله

ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر ذلك تخلل الفاصل بقوله
تعالى واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كما انه قيل واعلموا بها وقيل هو استثناء
منفصل من المشركين الاول ويرده بقاء الكل على العموم مع كونها عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني
يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم
منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقاتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالتخفيف اي لم ينقضوا
عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على تباينهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا
عليكم احدا من اعدائكم كما عدرت بنو بكر على خزاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح
فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاسخوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب
للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رض بقي لحي من كنانة ممن عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم
ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان
التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى الاشهر الحرم والتفصلت
الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم والتفصلت
عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشف انكشاف الجلد عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم
من انه يقال اهللنا بشهر كذا اي دخلنا فيه ولسنا فنحن نزداد كل ليلة لباسا من ضوئه فنصفه ثم نسلخه من
انفسنا جزء فجزء حتى نسلخ عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفاتا لما سلفي
الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء
من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى كذا منسلخ عافيه وفيه مزيد لطف لما فيه من
التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فينبغي تتالي نزولها و
المراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا
لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها او هي مع ما انهم من قوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى
فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالة النص على
مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ ومانيط به من القتال حيثيا فتيا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا
مضت سيقات كل طائفة فاقتلوهم وعلى هذا على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه
يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس شيا نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى
لا يكون فتنة كما قوتهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد
بالذين كفروا في قوله تعالى للذين كفروا الا ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان
وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب
عنه ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل
لانه انعقد الاجماع على انتساخها كما في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي
صلعم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم والاخيذ
الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس رض حيلوا بينهم وبين المسجد
الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي
ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدة على التنصيص على دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة
فان تابوا عن الشرك بالايمان عبما اضطروا اجاذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا

لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيس العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدخلوا
وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم و
طاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل والمراد شروع في بيان حكم المتصدين لما دل التوبة من سماع كلام
الله تع والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرعين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر
يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي
سئلك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه و
الاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت
للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تع استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في
غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلقى الناس فمي حتاك يا ابن ابي يزيد كذا قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام
الله تع باحد الوجهين يستدعي تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رضه انه اتاه
رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تع او لحاجة فقتل قال لا
لان الله تع يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لانها
يعتدها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتي محمدا فان من ياتيه عليه السلام للامور المتعلقة بالدنيا
ثم ابلغه بعد استماعه لان لم يؤمن امنه اي مسكنه الذي يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة
وابلاغ الامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى
يتفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة و
احكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شانهم
والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تع كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من
الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على
اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة
له او يكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفس
لانه مصدر او يكون كما قرر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكرا ومتعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين
ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي
تعلق به الخبر فلا يبالى بتقديم محمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه
بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس
في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابط فرع ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء
الفرع راسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب
ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني اي على اي حال وفي اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه
ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما انهم يامنون به من عذاب الاخرة كما قيل فلا
سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الا من قطعا وان كان مرعيا عند الله وعند رسوله كعهد
غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك
من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار
بسبب وكادتها ومحل الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمن

من الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم
واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اى ان زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والخبر
محذوف اى ان زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء منقطع محل النصب على الاصل او الجر
على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس للمعهود وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهى بانتهاء مدة العهد لان
استقامتهم التى وقتت بوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقطاع مدته
لا عهد ولا استقامة فضلا عن الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ضلا انه قد صرح
هنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء
ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر تحقيقه
تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله تع وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما
ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد مكما ترى لان ما يذكر بعد للتعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على
العهد لانه شئ يستدعيه وانما احمد الانكار والاستبعاد تاكيد لهم وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لها فلا
يخل ما فى البين بالارتباط والترتيب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة لصور قبيح ما
يوجب استنكاره لمجرد كونه معلوما كما فى قوله وخبرتمانى الموت بالقرى فكيف وما تاتيه وتكيب
فانه علة مصححة للامر جمة اى كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله ورسوله وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان
يظهروا عليكم اى يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اى لم يراعوا فى شانكم دخل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية
ومنه الرقيب ثم استعمل فى مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفى نفى الرقوب من المبالغة ما ليس
فى نفيها الا ولا ذمة اى خلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان
والمواثيق يعنى ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم
يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من تال علام نقتل منهم فديه وهم لا فضة قبلوا منا ولا
ذهبا وقيل الال من اسماء الله تع اى لا يراعوا حق احد تع وقيل الجوار وقاله الطف لانهم اذا ما يجاوبوكم اخذوا
رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة
شؤنهم الجلية والحقيقة بطريق الاستيناف وبين انهم فى حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء فى شئ وان ما
يظهرونه مداهنة لامهاة تقبل رضوكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم الايمان
والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتحللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة
الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق فى قلوبهم
وتاباى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد
من باب الطاعة مستمرون ليست لهم مروءة راسخة ولا عقيدة وازعة لا يتحرجون كما يتعاطاه بعضهم
ممن يتحاذى عن الغدر ويتحيف عما يجر الطعن وثمة اشتروا بايات الله بايانه الآمرة بالايفاء
بالعهود والاستقامة فى كل امر وتحريف آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اى تركوها واخذوا بدلها ثمنا
قليلا اى شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التى اتبعوها اوما انفقه ابو سفيان من الطعام
وصرفه الى الاعراب فصدوا اى عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة
على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اى الدين الحق الذى لا حيد عنه والاضافة للتشريف
او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما كانوا
يعملونه وعملهم المستمر المخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون ساء على اصلها من التصريف لازمة
بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اى ساءهم الذى يعملونه او عملهم وقوله تع لا يرقبون فى مؤمن الا

ولا ذمة نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق اثر نعى عدم مراعاة حقوق عهد المذكورين قبيل هذا فى اليهود او فى الاعراب
المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تعليل لقوله تع يعلمون او دليل عليه او هو محسوس بالذم فشئ
باختصاص الذم والشهود بهم وكونه غيره واولئك الموصوفون بما عد من الصفات السيئة
هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اى عما هم عليه من الكفر والعظائم
والوفاء للايذان بان تفريعهم مما بنى عليهم من مساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة اى التزموها وعزموا على اقامتها فاخوانكم اى فهم اخوانكم وقوله تع فى الدين متعلق
باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلابهم
قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التى مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما
لما ان الاول سبقت اثر الامر بالقتل فنظائره فوجب ان يكون جوابها امر الخلاف ذلك وهذه سيقت بعد
الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما يخالفه البتة ونفصل الايات اى نبينها والمراد
بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتى الكفر والايمان واما جميع
الايات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اى ما فيها من الاحكام والقوم عالمون
وهو اعتراض للحث على التامل فى الاحكام المذكورة فى تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله
على قوله تع فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها وظهروا ما فى
ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تع وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او
شنعوا على ما هم عليه من النكث لانهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا فى دينكم قدحوا فيه بصريح
التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم وانما اوثر ما علية النظم الكريم للايذان
بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم و
صناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونه مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان
قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية
بين بين واما التصريح بالياء فلحن عند الفراء انهم لا ايمان لهم اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا
يعدون نقضها محذورا وان اجروا عليها احكامها فى العصمة والارث على ما سلف لا بالعهد المؤكد
بها لان العمدة فى المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم
فى ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث
والطعن مع انه لا حاجة الى بيان خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان
نكثوا وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد
من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهدا آخر وقرئ بكسر الهمزة
على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اى لا سبيل لكم ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه
له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان
او بمعنى الاسلام فعلى كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال بلا استحالة لانه ان عمل على انتفاء الاسلام مطلقا
فهو بمعزل عن العلية للقتال او للامر به كما قيل لنكثهم وطعنهم وان حمل على انتفائه فيما سياتى فلا
يلايم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجئ فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان
نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لان لا اسلام لهم حتى يرتدوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن فى
دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم
عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التى ارتكبوها لا ايصال الاذية بهم كما هو دين الموذين الا تقاتلون

النهزة الداخلة على انتفاء مقاتلهم للانكار والتوبيخ يدل على تحتيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار
بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طايعا لكمال شناعته فيلجاؤن الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار فيجيبون
المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التى حلفوا عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم احدا وتواطئوا على بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول من مكة حين شاوروا يدار الندوة حسبما ذكر فى قوله تع واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نقضا
عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول عليه السلام وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم بالمعاداة
والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحجة
البيضاء عنها الى المقاتلة او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبى عليه السلام لان اعانة بنى بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم
اى تخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وتجعلوا ذلك شبهة وعلة لتركه وحثهم عليها ثم وبخهم بانهم يرغبون
الرغبة فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السنية حقيق بان لا تترك مصاولته ويوبخ من فوطها
فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به
بالفتح وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم بتجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه وعد بشرهم
وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا ويعمركم عليهم اى يجعلكم
جميعا غالبين عليهم جميعا ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد
القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله عنهما بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا
فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ
قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره
بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة
من التوبة المقبولة بحسب مشيئة تع المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقوى
بالنسب باصهار ان دخول التوبة فى جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لقتل شوكتهم
شكيمتهم فهو سبب للتدبر فى امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصى وللاختلاف فى وجه السببية غير انبكم والله اعلم
والله اثبات اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا
يفعل ولا يامر الا بما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جئ بها للدلالة على الانكار عن التوبيخ السابق
الى اخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكارى توبيخ لهم على الحسبان الذكور اى بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم
عليه ولما تؤمروا بالجهاد ولما تبتلوا بما يحكم والخطاب لما ممن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفى مع التوقع والمراد من نفى المعلوم بالطريق البرهانى اذلو
ثبت رايحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اى ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين المخلص من
المجاهدين منكم من غيرهم وما فى لما من التوقع مبنية على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين
بعدم علم الله تع ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدار الثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما
ان ذلك بمنزل من الاندراج تحت ارادة اكرام الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة
او حال من فاعله اى جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى بطانة
وصاحب سره وهو الذى تطلعه على ما فى ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق
بالاتخاذ ان ابقى على حقه او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اى بجميع اعمالكم وقرئ
على الغيبة وهو تذييل يترجم ما يتوهم من ظاهر قوله تع ولما يعلم الله الخ او حال متداخلة من فاعلوا ومن مفعوله
والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه منها ما كان لائقا كائنا ان
ما صح وما استقام لهم على معنى نفى الوجود والتحقق لا نفى الجواز كما فى قولهم اولئك ما كان لهم ان يدخلوها

الا خائفين اى ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله المسجد الحرام وانما جمع لانه
قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها اولان كل ناحية من نواحيه المختصة بالجهات مسجد على حيالها بخلاف سائر
المساجد اذ ليس فى نواحيها اختلاف الجهة وبؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد
فضلا عن المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وبابها انهم لا يقصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتحون بذلك
على انه مبنى على كون النفى بمعنى نفى الجواز والاباحة دون نفى الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر ان بانطباعها
اثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا
ان يقولوا لكن كفار كما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير فى يعمروا اى محال ان يكون ما حقه عمارة عمارة
بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تع فان خالصية من العمارة فى شئ واما ما قيل من ان
المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره تع فليس بمعرب عن كنه المرام
فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعى انتفاء احدهما لا بعينه لانتفاء العمارة الذى هو
المقصود روى ان المهاجرين والانصار قبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على رضى الله عنه يوبخ العباس
بقتال النبى رحم وقطيعة الرحم واغلظ فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا
او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت اولئك الذين
يتعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التى يفتخرون بها قاطبة
من الكفر فصارت هباء منثورا وفى النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة فى الدلالة
على الخلود والظرف متعلق بالخبر تقدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفى
السابق الاول من جهة نفى استتباع الثواب والثانية من جهة نفى استدفاع العذاب انما يعمر مساجد
الله الكلام فى ايراد صيغة الجمع كما مر خلا ان ارادة جميع المساجد واخراج المسجد الحرام فى ذلك غير ملائمة
لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقرئ بالافراد ايضا والمراد ههنا قصر مستحق العمارة ووجود ما لعلى الوجه
لا قصر جواز ما ولياقتها اى انما يصح ويستقيم ان يعمر ما عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده واليوم الاخر
بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحى واقام الصلوة واتى الزكوة على ما علم من الدينين
فيندرج فيه الايمان بنبوة النبى عليه السلام حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئى كلمة
الشهادة علم للكل اى انما يعمر ما من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بها بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم
منها وقعها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيحصل
ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى المسجد يأكل الحسنات
كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تع ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى
لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال
اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضى الله عنه من اسرج فى مسجد سراجا لم
تزل الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد ضوؤه ولم يخش فى امور الدين الا الله
فعسى بموجب امره ونهيه غير آخذ له فى الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم خشية عذاب القتال وبخود لك
واما الخوف الجبلى من الامور المخوفة الجبلى من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف
والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفى تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجليلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز
اهتدائهم مع ما لهم من التدفات السنية فى معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف
الاهتداء والانتفاع باعمالهم التى يحسبون انهم فى ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فانه

المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دايرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم وفيه
لطف بالمؤمنين وترغيب لهم فى ترجيح جانب الخوف على جناح الرجاء وفرض الاعتناء بالفتح اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ان فى الفضيلة وعلق الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى
سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف فى احد الجانبين
اى اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كالايمان
من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان
بالجانب المشبّه به واما للبعض المؤمنين للموبخين للسقاية والعمارة ونحوهما على البجرة والجهاد ونظايرهما
وهو المناسب للاكتفاء فى الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثانى وبيان افضلية درجتهم عند الله
ح على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدى كثير نفع لانه ان
لم يشعر بعدم الحرمان فليس بشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فنحو توبيخ للمشركين ومداره على انكار تشبيه انفسهم
من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين ح مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان و
الجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين فى حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما
باعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونهما بمنزلة
العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة
بالكلية كما اشير اليه تعالى ياعداه النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتاكيده
بشئ آخر اذ لا شئ اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة فى الفضيلة كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله او اجعلتموهما فى ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية
والعمارة وان كانتا فى انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن المعاوج بمعزل عن صلاحية ان تشبه
اهلها باهل الايمان والجهاد او يشبه بنفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله
اى لا يساوى الفريق الاول الثانى من حيثه اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورة عدم التساوى بين
الوصفين الاولين وبين الاخيرين لانه المدار فى التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين
لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفى ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه ح ان دعوى المفتخرين
بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هى الافضلية دون التساوى والتشابه للمبالغة فى الرد عليهم
فان نفى التساوى والتشابه نفى للافضلية بالطريق الاولى والجملة استيناف لتقرير الانكار المذكور وتوكيده
او حال من مفعولى الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل استويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عند ح وقوله تح
والله لا يهدى القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون
فى هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر
وفيه زيادة تقرير لعدم التساوى بينهم وقوله تح الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم
وانفسهم استيناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة
البجرة وتفضيل نوعى الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التداعى امرا يعتبر فيما
سلف اى هم باعتبار اتصافهم بهذة الاوصاف الجملة اعظم درجة عند الله اى على رتبة واكثر كرامة ممن
لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التى من جملتها السقاية والعمارة و
اولئك اى المنعوتون بتلك الفاضلة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم فى الرتبة
هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى
فوزهم واما على الثانى فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على البجرة والجهاد روى ان عليا

رضى الله عنه قال للعباس بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله فقال الست فى افضل
من البجرة اسقى حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما ارانى الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام
قيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رجل ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد سقاية الحاج وقال آخر ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد عمارة المسجد الحرام وقال آخر الجهاد
فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجره عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن اذا صليت استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فنزل الله تح هذه الآية والمعنى
اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين فى الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله او
جعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان فى جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهوره للامر و
شعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يذكر ذكره فى جانب المشبه به تقوية للانكار
وتذكيرا لاسباب الرجحان وجهادى لا فضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله
ح على هذا التقدير ظاهر وكذا افضلية درجة الفريق الثانى واما قولك والله لا يهدى القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته
ح لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر فى قولك
والله اعلم يبشرهم د بالتخفيف وتبشرهم برحمة فضلية منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها فى نعيم الجنات نعيم مقيم
لا ينفد ولا يزول فى المعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشرية وتربية له خالدين فيها اى فى الجنات ابدا تاكيد للخلود
الذى افادته صيغة المبالغة اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا ولا للاعمال التى
فى مقابلتها والجملة استيناف وتعليل للسبق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهى لكل فرد
من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد على الآحاد كما فى
قولك ح ما الظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت
فى المهاجرين فانهم لما امروا بالبجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت
اموالنا وخربت ديارنا وبقينا خائبين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض قرابته
فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم فى ذلك وقيل نزلت فى الذين ارتدوا والحقوا بمكة
نهيا عن موالاتهم وعن ابن عباس عليه السلام لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله ابعد
الناس ويبغض فى الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر ان اختاروه على الايمان واصروا عليه اما لا
يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهى عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدى بهم الى الاخلال بسبب
شعورهم بمجانس الدين ومن يتولهم اى واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير فى الفعل لمراعاة لفظ الموصول و
للايذان باستقلال كل واحد منهم فى الاتصاف بالظلم لان المراد تولى فرد واحد وكلمة من فى قوله تح منكم
للتبعيض فاولئك اى اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم
عند ظلمهم قل تمرن للخطاب ولرسوله عليه السلام بان يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء لما نهوا عنه
من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجرى مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف
الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء و
الازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج فيما سلف غير معتادة بخلاف البجرة وعشيرتكم اى قوما
ماخوذ من العشرة اى الصحبة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم و
تجارة اى متجرا تتجرونه للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بينكم عن مكة

رضى الله عنه

المنظمة في ايام الموسم ومساكن مرتفقونها اى منازل تتهيأ لكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفقات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع مالها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبة تح وحب رسوله علد السلام كما في قولك ما غرك بربك الكريم احبابكم من الله ورسوله بالحبة الاختيارية المستتبع لازمه الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الا بالنظر الى الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبة في سلك حب الله تح وحبت رسوله علد السلام تنويهما بشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجحة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال احد اثنين لاجل عداوتهم فمن يحبهما يحب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا ان انتظروا حتى يأتي الله بامره عن ابن عباس رضه انه فتح مكة وقيل من عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او التعم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل مواطن بحذف المضاف في صدرها اى وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين رضه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيهم صناديدهم من امداد سائر العرب وكان الجمع الغفير لما التقوا قال رجل من المسلمين اليوم لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشفت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما تدفع به الحاجة اى لم تسد عنكم تلك الكثرة ما تكونون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها مفرا تلجأون اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تتبوئون فيها مكنا لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روى انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان ابن الحرث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روى انه علد السلام كان يحمل على الكفار فينهزمون ثم يجملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس رضه كنت آخذ بلغة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على الله علد السلام كان في الشجاعة ورباطة الجاش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب اينتي بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا ناد يا معشر الناس فنادى لا نعما فجعل اخذا ثم نادى اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ويكبح قوله تح ثم انزل الله سكينته على رسوله اى رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له علد السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بين المعطوفين من التفاوت اى المؤمنين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف

الايمان

الايمان للاشعار بعلية للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كملايكة بعضكم وهم الملايكة عليهم السلام على خيول بلق فنظر النبي ع الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلات عيناه ثم قال علد السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملايكة يومئذ فقيل ستة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين فان سعيد بن المسيب حدث رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم تماذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليه منهم لحكمة تقتضيه اي بتوفيقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال علد السلام ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي ع فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرنا هم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال علد السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضه ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضاء واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ بجس كسبر النون وسكون الجيم وهو تخفيف كبجد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء نا بعالرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تنزح على تجنبهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد بالنهي عن الدخول طلقا وقيل المراد به المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حجهم عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويبرؤا عن ذلك وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حالا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فاسل الله تح السماء عليهم مدرارا اغزر بها ضرعهم واكثر بها حرثهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفوائد ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشية تابعة للحكمة الداعية اليها واما قيد ذلك بها لينقطع الآمال الى الله تح ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال

المشركين ومنعهم من ان يحولوا حولا ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاع
وتهمهم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى الوكر ابتغاء للفضل واستيجازا
لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين
فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى باليوم الاخر فان علمهم بما حوال
الاخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس ايمانا به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او
غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يكذبون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون
دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب
من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يعتبلوا ان يعطوا
الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالابقاء عن
القتل عن يد حال من المضمر في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او عن يد هم بمعنى مسلمين بايديهم
غير باعثين بايديهم غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيها وعن غض ولذلك لم يجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد
قاهرة عليهم اي بسبب يدبمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او
من الجزية اي نقدا مسلمة من يده الى يده وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون
اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب وبيسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال
له ادّ الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رح من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي
العرب وعند ابي يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي
تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من
جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي
رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم
ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غيروا سنتكم غير نسائهم والكلام في ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة
اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون
درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما والجزية على تقدير عاجز عن الكسب او لا على شيخ فان او زمن او مبرسم او
امرأة وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينارا غنيا كان او فقيرا كان او كسبا ولم يكن وقالت
اليهود جملة مبتداة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين
عزير ابن الله مبتداء وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعاذر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما
تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قد مانهم
ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا حجة بالكفار اليهود ي وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة عن ابن عباس رضي
عنهما انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك
بن الضيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وبسبب هذا
القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح في الارض فاتاه جبرئيل ثم فقال اين تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه
لانه كان حافظا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم
جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستغزره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة
بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعد اماتة مائة عام يقال انه اتاه ملك بانا فيه ماء فشربه
فنشف في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فاملِ علينا التوراة فجعل

نقالوا

فقالوا ان الله لم يكد في التوراة في قلب رجل الا انه بعثه الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اليهود اضاعوا التوراة وكلوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير
الى الله عز وجل وابتهل اليه فعاد له الحفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فوضوا ما قالوا عزير على فيه
نوجد وه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله وهو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة ان يكون
ولد بغير اب اذ لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى صدور
عنهم من الفظيعتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد رتبة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم
اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها واشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمعلوم في
الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز قول الذين كفروا
اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من
قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات او اللات والعزى بنات الله لاقدماؤهم كما قيل اذا لقد دنى الضلال
حتى يباتي التشبيه وجعله بين قول الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد وقيل الضمير للنصارى اي يضاهئ قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقولهم
ذلك قولهم بافواههم يقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم تعجيبا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك اتعجب
من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحق انه لا سبيل الى اصله اتخذوا
زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالفتح اخبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا واحد له
كحبر وقال ابو الهيثم بالفتح للغير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد
ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذوا كل واحد من الفريقين
علماءهم لا النكل الكل ارباباً من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم و
نحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقولهم بل كانوا يعبدون الجن قال عدي
بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين نفسه اكوسية قريبة
من النصارى وهو يقرأ سورة البراءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم ارباباً من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون
ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني
اسرائيل قال انهم ربما وجد وا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار كانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم
كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام
ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه
محتمل للنصارى وشبهه عليه السلام الى امته من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال كلا كة
رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا
ليعبدوا الها واحدا عظم الشان هو الله سبحانه وتعالى لا اله الا هو ولا يطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك
محل عبادة تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة وما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل
او وما امر الذين اتخذتهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا
اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة
فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيثما لم يخصوها به تعالى لم يخصوا

بالعبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاصنام به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفؤا نور الله اطفاء النار جبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يزال نورها الا النور فكانه قيل يريدون ان يزيلوا نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة الخوف وان كان بغير النار ولا شك في ذلك الحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه الحجة البينة الدالة على توحيده وتنزيهه عن الشركاء والاولاد والقرآن العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع الحق من جملتها ما خالفوه من احلال واحلاله باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه جملة حكى عنهم وقيل المراد بنبوة النبي عليه السلام هنا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخة ويابى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند الماضي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يه ورمانى ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخة اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما في سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله تح يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اعوانهم لما ذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذون منها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك القويم في التورية والانجيل الى ما اقتروه وحرفوه باخذ الرشا او يصدون عنه بانفسهم بكلمهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن اكثر من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين الغير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون تظليما غير قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم سوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تح لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله م ما ادي زكوة فليس بكنز اي كنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله تح بالانفاق فيه

واما قوله

واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب كنز لا يؤدي زكوته الا احمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنبه وظهره

فبشرهم يا ايها المخبر الفاضل او الفاضحة معنى الشرط وكون ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر دل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصها بالذكر لانها قانون التمول والفضة وتخصيصهما لقربهما ودلالة حكمهما على ان الذهب والفضة كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها واسكارهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم اذا وزوا عن القابل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اكمل الجهات الاربع التي هي مقادم البدن وما خلفه وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فذوقوا عين مضار ما كنتم تكنزون فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما كنزتموه وقرئ بهم النون ان عدة الشهور اي عدد ها عند الله اي في حكمه وهو مجعول لها لانها مصدر اثنا عشر جزء ان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي مائة ناقة عشرون فحلا واراد بالشهور القمرية واليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر او بالمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تح الاجرام والحركات والازمنة منها اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متوالبات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ولعل وجه تخصيص هذا الشهر ان ما كانت عليه من الحل والحرمة عاد اليه بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانوا قد تمسكت به ورثته منها وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه ويحترز عنه الا ان النسي حتى احدثوا النسي فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المحاش فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا او ما نسخت ويؤيده انه عليه السلام حصر طائفا وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع كفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع مدحالهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة لهم بالنصر بسبب تقواهم انما النسي هو مصدر نساه اذا اخره نساوة ونسيئا نحو تدسى وسيا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم

محاربون اجتلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وبنادوا في عدة
الشهور بان يجعلوا ثلثمائة عشر اواربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حراما ولذلك
نص على العدد والمعين في الكتاب والسنة اى انما آخروا حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر انما تحليل ما حرم الله
وتحريم ما حلله الله فهو كفر آخر معدوم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل
من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اى يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمبادية واسبابه وهو المعنى على القراءة
الاولى ايضا وقيل المضلون حبر وسادوهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من مثل
يضل ونضل بنون العظمة يحلونه ان الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمونه مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام
ويحرمونه اى يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار ما حلا لهم له في العام الماضي او لاسنادهم
له الى آلهتهم كما سيجئ عاما آخر اذا لم يتعلق تغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة
يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب
ولا أجاب فيقول له المشركون بيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك
حلوا وتاروا وتركوا الاسنة والازجة وان قال حلال عندوا الاوتاروشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة
بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس
قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسئ عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف
والجملتان تعليل للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اى ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر
الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما يدل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة
زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس
وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة
الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال
يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريد عزائمهم على قتال الكفرة واثر بيان طرف من قبايحهم المؤيسة
لذلك مالكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم
اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اى اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي عليه السلام انفروا
اى اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في
الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الجار اى ما لكم متثاقلين حين
قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل فيه الظرف اي فاهو الاول الى الارض
متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اى اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم
مشاق الغزو وتنا عيد المستتبعة للراحة الخالدة كقولهم اخلد الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم و
دياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطايف استنفروا وقت عسرة وقحط وقيظ
وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها فصاروا بعد المشقة وكثرة العدو فثقل عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا
لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة اى بدل الاخرة ونعيمها الدايم فما متاع الحيوة الدنيا
اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اى فما التمتع بها وبلذايذها في الاخرة اى في جنب الاخرة الا قليل
اى مستحقر لا يبوه له وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يوذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن
مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها الا تنفروا ان لا تنفروا

الى ما

الى ما استقر تم اليه يعذبكم اى الله عز وجل عذابا اليما اى يعلكم بسبب تظيع بالكل كخط ونحوه ويستبدل
بكم بدلا اهل طاعة غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية
والذاتية المستلزمة للاستيصال ان تنفروا مطيعين مؤثرين للطاعة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كما كان
اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة التخطط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اى لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده
بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاكهم والاتيان بقوم
آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من
هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنفروه فقد وجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت
فان يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اى تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين تموا بالخروج
ثاني اثنين حال من ضميره عليه السلام وقرئ بكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب
اى احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك صاحد هذه
الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع حاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع
اربعة وقد قرئ في قوله تع لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المايدة وجعل عليه السلام ثانيهما
لشرف الصديق رضي الله عنه امامه وخوله في الغار ولا لكنة وتوبيخ الباساط كما ذكر في الاخبار تحمل مستغنى
عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلا ثور وهو
جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة كمنا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه ان الصديق
لا يحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والرأفة والمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شايبة شيء من
الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي
ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قتلت
اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تع حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تع بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقته
ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبته ابا بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله تع فانزل سكينته
امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي عليه السلام فالمراد بها ما لا يجوم حوله شايبة الخوف اصلا
او على صاحبه اذ هو المنزع واما النبي عليه السلام فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره
الله والجنود هم الملئكة عليهم السلام النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملئكة الذين لم يحضروا قتالا
وثباتا وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله تع وجعل كلمة الذين كفروا السفلى بيان للشرك او دعوة
الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اى التوحيد او دعوة
الاسلام هي العليا لا يدانيها شان وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا تتبدل شانا ولا
يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز
لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المماثلة فيه قوله تع
خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اى على اي حال كان يسرا وعسرا صحايح بالسبب كان من الصحة
والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان
والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا
منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وصحاحا او صحاحا واغنيا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين

بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان افر فقال ثم
ثم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله تع ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه والخوارج الآخ حتى ان من
ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يُنزى مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب
كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اى ما ذكر من النفير والجهاد وما في ام الاشارة من معنى
البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير لكم اى خير عظيم في نفسه او خير مما يتنعمون به تركه من الراحة والدعة وسعة
العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اى تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا
احتمال لغير الصدق في اخبار الله تع فباد روا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من السيئات فعلا وقولا على طريق المباشرة وبيانا لدناءة همهم وسائر رذائلهم اى لو
كان ما دعوا اليه عرضا قريبا الغرض العارض من منافع الدنيا اى لو كان ذلك شيئا مما يسهل الناخذ قريب
المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتقليل الاتباع
بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة الشاقة الشاقة
التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر الشين والعين وسيحلفون اى المتخلفون عن الغزو وقوله تع بالله اما متعلق
بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اى سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين
لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اى لو كان لنا استطاعة من جهة الصحة او من جهتها
جميعا حسبما عرفت لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تع لخرجنا معكم سادّ مسدّ جواب القسم و
الشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان للقول
تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات
الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيهها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل ثم عموا وصموا يهلكون انفسهم
بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع
او حال من فاعله اى مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جئ به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اى لو خرجنا
معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن ليكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اى في ما مر من الشرطية
او فيما دعوا اضنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك صريح في
ان ترك قد عفا عنه عليه السلام ما وقع منه عند استيذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه
اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم الخلوة عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذي هو الثاني والتوقف الى انجلاء
الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اى لاى سبب اذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان
لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون امور عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة
لها او صحيحة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمزل من كونه سببا للاذن قبل
ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير
المجرور لجميع المستاذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم
استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله تع حتى يتبين لك الذين صدقوا اى فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم
الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عرفت لهم هناك وتعلم الكاذبين
في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص لعدم السلام عليه فان
كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تع لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه
عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبيين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك باين الفساد

بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تاينت حتى يتجلى الامر كما هو مقتضية الحزم قال قتادة
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين واخذه الفداء من
الاساري لقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وتخييره الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على
الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للثبوت والدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص
غير معتبر لتظلمهم في سلك الصادقين وان ما صدر عن الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على
عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور
من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو بتبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه
بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا وما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل
هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما منافيا واسناده الى ضميره عم لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول
مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين
حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يخته لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين
الى الاولين وتعليق العلم بالاخرين مع ان مدار الاستثناء والتعليق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب
كما اشير اليه لان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما
لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب بشارة العفو ودون ما يوهم
العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المخاوفة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال
سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدا بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطاء واساء الادب وبئسما فعل
فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هيهات كناية ليس
ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطاء فهل هو مستلزم
لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح
بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة
للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تع لو خرجوا الآية وقد كرر سبحانه كما ينصح عنه قوله
تع ولكن كره الله انبعاثهم الآية ثم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير وينتصحوا على رؤس
الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غرروهم
وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمينان بل كانوا على
خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي ان
يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستاذنوه
في التخلف وحيث استاذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مبنيا للثاني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل
المستاذن فيه محذوف ومعنى قوله تع ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى
لا يستاذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد ويمتاز المؤمن من المنافق وهو
وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادئ الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل
امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اى لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان
في الجهاد ربما يكون كراهة ولا يخفى ان الاستيذان في الشئ كراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم
وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة محال لانه ذب الظاهر من الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي
نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين فظاهر انهم لم يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا

ل بما

في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون
ماسبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ماصدر عنهم معلل بالتقوى انما يستاذنك اى في التخلف
مطلقا على الاول اوكراهة الجهاد على الثاني الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص بيان بحالهم في المؤمنين
للايذان بان الباعث على الجهاد بذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية
والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وابثار صيغة الماضي
للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اى يتحيرون
فان التردد بين المتحير كما ان الثبات بين المستبصر والتعبير عنه بما لايخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج
يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لايمكننا الاستعداد
تحقيقا لتكذيبهم لو ارادوه لاعدوا له اى للخروج في وقته عدة اى اهبة في الزاد والراحلة والسلاح وغير
ذلك مما لابد منه في السفر وقيل عُدّه بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال وخلفوك
بعد الامر الذي وعدوا اى عدته وقرئ عدة بكسر العين وعدته بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اى نهوضهم
للخروج قيل هذا استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم
وكراهة الله تع انبعاثهم يستلزم تثبيطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لايمنع الوقوع
بين طرفي نقيض بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ماأحسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان
يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج مامر في الآية الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
ولكن ماارادوه لانه تع كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اى حبسهم بالجبن ولكسل فتثبطوا
عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل للقاء الله تع كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما
المعذورون او غيرهم وايا ماكان فخير خال عن الندم لوخرجوا فيكم بيان لشر كراهة تع لانبعاثهم اى لوخرجوا
مخالطين لكم مازادوكم اى ماازدوكم او رثوكم شيأ من الاشياء الاخبالا اى فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل
وقيل منقطع وليس بذاك ولاوضعوا خلالكم اى ولسعوا بينكم بالنمايم والتفريق واضافوا ذات البين من
وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اى حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركابهم بينكم والمراد به المبالغة
بالاسراع بالنمام لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ لارقعوا من وقحت الناقة اسرعت وارقعتها انا وقرئ ولا
وفعلوا اى لاسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد
نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم
اوفيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اى يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم اومن فاعله لاشتمالها على ضمير
يعود اليهما اتفاقا ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يحيل مكانهم نمايا بين المؤمنين بامر الجهاد
احلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمفسدته ولذلك لم يقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين و
لكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يسن اجتماعهم فاندفع
فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لامحالة اوتعين خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا
بغير اذن منه عليه السلام لظهر تفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالكلية
ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوادع الايات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا
بمغايرهم وظواهرهم وماهم فاعلوه فيما مضى وما يتاتى منهم فيما ياتي ووضع الظهر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد
في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت شملك وتفريق اصحابك من قبل اى يوم احد حين انحرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق

بمن معه

بمن معه وقد تخلف ابن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي عليه السلام الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
وكان ابن جريج وقفوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا
به عليه السلام فردهم الله تع خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل
التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال لرجل المتصرف في وجوه الحيل حول وقلب اجتهد وا ودبروا لك الحيل
والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اى النصر والتاييد الالهي و
ظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك مما لاشك فيه ذم منهم والآيتان تسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ماثبطهم الله تع لاجله وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وانا حذارهم تذاركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بما ليس مما يمكن
تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اى لا توقعني في الفتنة وهي المعصية
والاثم يريد اني مخلف لامحالة اذنت اولم تأذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة اولا اتعرض للهلكة
فاني ان خرجت معك مالي وعيالي لعدم من يقوم بحالهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مشتهر
بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ فلا تفتتن من افتتن بمعنى
فتنة الا في الفتنة اى في عينها ونفسها واكل افراد ما الغرض من الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس
به سقطوا لا في شيء من مغائر لما فضلا عن ان يكون مدرجا ومخاصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة
على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ
بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وتعوا فيها وهم
يحسبون انها تنجي من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الاقتحام بالسقوط في
الفتنة تنزيل لها منزلة الهواة المهلكة المفضحة عن ترديهم في دركاتها ذي اسفل السافلين وقوله عز وجل
وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على فعلوا معطوف على جملة السابقة داخل تحت التنبيه اى جامعة لهم يوم
القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار ومحيطة بهم الآن تنزيلا للشيء منزلة
الواقع او وضعا لاسباب الشيء منزلة مسبباتها فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم
الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما فرؤا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصورة الاعمال
والاخلاق من النار بعينها ولكن لايظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورتها الحقيقية في
النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون واياثار وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار
بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك
في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم لكمال الحسنة اى تورثهم مساءة لفرط حسدهم و
عداوتهم لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا منتجين بما صنعوا حامدين لآرائهم
قد اخذنا امرنا اى تلافينا مابهمنا من الامر حين به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمدارات مع
الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اى من قبل اصابة المصيبة في وقت تذاركه بشيء من
ذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تزوج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا
عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم ويعرضوا عن النبي عليه السلام وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر
وباصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا الا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واستمرار المسرة الى الخاتمة والمساءة الى النفس دون المصيبة
بان يقال وان تصبك مصيبة تسؤهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في
الاولى منغمرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا

ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يعيبنا من نعيل لامن فعل لانه واوى يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
الا ما كتب الله لنا اى اثبته لمصلحتنا الدينوية او الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو
مولانا ناصرنا ومتولى امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضاء
بما فعل وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله
قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على ان ايجاب التوكل عليه كما فى قوله تع وايای فارهبون
والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت
مسوقة من قبل تع امرا للمؤمنين بالتوكل اثر امره عليه السلام بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر فى قوله تع قل هل
تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول باتمامه وان كان امر الغائب وانما على الوجه الاول فمن لابراز كمال العناية بشأن
المأمور به والاشعار بمباينته وبين ما امر به اولا من الفرق فى السياق والترتيب التكشف مع انتظار محل شئ خيرا كان او شرا
والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة اى ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اى العاقبتين اللتين كل واحدة
منهما من حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم فى الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان
ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع عما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوئيين من العواقب
انا ان يعيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب والكلام حذف عامله وجوبا
او بعذاب بايدينا وهو اقتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فالتقى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسوءنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا
اموالكم فى سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اى طائعين او كارهين وهو امر فى معنى الخبر كقوله
استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام فى سلك الامر للمبالغة فى بيان
تساوى الامرين فى عدم القبول كانهما امر وابان يتحتما الحال فينفقوا على الحالين فينتظر اهل يتقبل منهم فيشاهد وا عدم القبول
وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم
الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اى عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم
وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم
شئ من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تع ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى
اى لا يأتونها فى حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا
ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تع طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام او رغبة او هو فرض لتوسيع الدائرة
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم
بها فى الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق
انفسهم وهم كافرون فيموتوا اشقياء كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة بالخمة
واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم فى الدين والاسلام وما هم منكم فى ذلك ولكنهم قوم
يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين من قتلهم لاظهارهم الاسلام تقية وبؤيده ونه بالايمان الفاجرة لوجيدون
ملجأ استيناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا
حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اى مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الافتعال
فى الشرط وان كان المنفى على المضى لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع للمنفى الواقع الماضى ليس نفيا
فى افادة انتفاء استمرار الفعل كما يتوهم بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان حتى تولك
لو تحن الى لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان
فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق فى موضعه او مغارات اى غيرانا وكهوفا

يخنون

يخلون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اى يجدون
يتحيرون فيها اشخاصهم وابليهم وبجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى يهربون ومغار او مدخلا
اى لتقاعدهم سوئل فيه ويجوز ان يكون من الفعل المتعدى وهو المفعل من الدخول وقرئ مدخلا من الادخال
يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اى لعرضوا وجوههم واقبلوا
قرئ لواذا لواى لا لتجئوا اليه اى احدا ما وهم يجمحون اى يسرعون بحيث لا يلوى شئ من فرسهم الجموح
هو الذى لا يرده اللجام وفيه اشعار بكمال حمقهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويستدرون ومنه الجماز
منهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اى يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة فى الصدقات
اى فى شأنها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفاء فاجأة لزمهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان
اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوا وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم
يسخطون اى يفاجئون السخط وإذا نائب مناب فاء الجزاء وقيل نزلت الاية فى ابى الجواظ المنافق حيث
قال الا ترون ان صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة واسمه حرقوص
بن زهير التميمى رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة
قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اى ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات
طيبى النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه
وقالوا حسبنا الله اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسم سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا جميعا رجوه
ونؤمل انا الى الله راغبون فى ان يجود لنا فضله وآلائه باسرها فى جيز الشرط والجواب محذوف بناء على
ظهوره اى لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع فى تحقيق ما صنعه الرسول عليه السلام من القسمة ببيان المصارف
ورد لمقالة الغالة فى ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من ان تتعلق
اى جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية
الآتية لانتجاذ زهم الى غيرهم كما نه قيل انما هى لهم لا لغيرهم فالذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون
وما سوغهم ان يتكلموا فيها دنى قاسمها والفقير من له ادنى شئ والمساكين من لا شئ له هو المروى عن ابى حنيفة
وقيل على العكس ولكل منها وجه يليق به والعاملين عليها الساعين فى جبها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم
هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرسخ لهم ومنهم قوم اسلموا
وبنا تهم ضعيفة فيتألف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول عليه السلام من خمس الخمس
الذى هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه شئ منها على قتال الكفار وما نعى الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء
بالاجماع لان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله تع واعلا كلمته استغنى عن ذلك وفى الرقاب
اى وللصرف فى فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى
وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق وايا ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاقتصار
على الذين من قبلهم اولا يذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته رأسا كما فى الوجه
الاخير او لاشعار برسوخهم فى استحقاق الصدقة لا ان فى للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها و
مركزا لها والغارمين اى الذين تدينوا لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك
عند الشافعى رح من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفى سبيل
الله اى فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اى المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف فى

الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق اولا وذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص
فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف واحد منهم
لان اللام ليبان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روى ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة
وعند الشافعي رح لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما قبل
عليه صدر الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اى فرض الله ذلك
فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اى انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اى مفروضة
والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة من الامور الحسنة من جملتها
سوق المحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام
ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيوقع الجلاس بن سويد تعول ما شئنا ثم ناتيه فننكر
ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قول عز وجل ويقولون هو اذن اى يسمع
كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه
لانه عليه السلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا وينصفح عنهم حلما وكرما فخلوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل
اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن
ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة
بالجر عطفا عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال تسهيلا وقرئ إذن خير
على انه صفة او خبر ثان وقوله تع يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تع لما قام عنده من
الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اى يصدقهم لما
علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله
تع اؤتمن خلقه الخ وقوله تع فما آمن لموسى الخ ورحمة عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق الاطلاق
المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اى للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا
لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان بصيغة اليهم بصيغة
الفعل بدون نسبة الى المؤمنين بصيغة الفاعل المبنية عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث مائة من
قرار وقرئ بالنصب على انها علة للفعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله
بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول
توبتهم كما افصح عنه قوله تع فيما سياتي فان يتوبوا يك خيرا لهم لهم بما يجترؤن عليه من اذيته عليه السلام
كما ينبئ عنه بناء الحكم على الوصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل
تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده
عليه السلام بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ازية راجعة الى جنابه عز وجل
موجبة لكمال التسخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلفون
بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اى يحلفون لكم
انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث ايذاء النبي عليه السلام واما التخلف عن الجهاد فليس داخلا في هذا الاعتذار
ليرضوكم بذلك وانما ارضائهم بالتعليل مع ان عدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه السلام ذكر منهم ولم
يكذبهم للايذان بان ذلك يجزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه مما لم يكذبهم رفقا بهم و
سترا لعيوبهم لاعن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اى حق بالارضاء ولا
يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايثاء هتوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا

واما ما توبة من الايمان الفاجرة فانما يرض بها من اخصر طريق علمه في الاضبار الى ان يجئ الحق ويذهب الباطل و
الجملة معترضة على المالية من غير يحلفون لكم لارضائكم والحال انهم ورسوله احق بالارضاء منكم اى يرضونهم عما يهمهم و
يجديهم ويشتغلون بما يغيظهم والواو الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه
وارضاؤه عليه السلام ارضاء لله تع لقوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي
يشار به الى الواحد والمتعدد وبتاويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
اى كان ذلك لا يقال لا يقال الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التاويل
لان الضمير لا يعرض الا الذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المعرض
لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والعلم جملتان حذف خبر الاول لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه
سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف اى الله على ان المذكور خبر الجملة
الاولى وخبر الجملة الثانية محذوف كما هو راي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما
سبق عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اى الم يعلم
المنافقون والاستفهام للتوبيخ على اقدامهم عليه من الغيظة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات
لزيادة التقريع والتوبيخ اى الم يعلموا يا سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون التهديد والانذارات
انه اى الشان من يحاد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى
الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تع فان
له نار جهنم على ان خبره محذوف اى فحق ان له نار جهنم وقوئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع
على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى تاكيد لطول العهد
لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني
اذا قلت اما بعد خطيبها وقد جوز ان يكون فانه له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف وفائدته الم يعلموا انه من
يحاد الله ورسوله يهلك فان له الخ وردبان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا جازما بلم
خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق
الاستقرار فلا مرظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول و
الفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي عثرات نفاقهم حيث
يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهور ما كانوا يحذرونه من هتوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية
فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان
الحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم
فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مشافهة فكانها تخبرهم بها والمراد بالتنبئة المبالغة في
كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبايحهم وقيل
معنى يحذر ليحذر وقيل الضمير الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الامر
بقود المحفي اليه اى يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك
عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اطهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر كل شئ ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤن به ولذلك قيل قل استهزؤا
اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اى من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز
ما تحذرون اى ما تحذرون من انزال السورة ومن فاذيكم ومثاليكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على

ملاء الناس والتاكيد لزوال انكارهم بذلك لادفع توهم في وقوع المجد وراذ ليس هذر بهم بطريق الحقيقة
ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى انه عليه السلام كان يسير في غزوة تبوك و
بين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن بالقرآن وبالرسول ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح صون
الشام وقصوره هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على فقال احبسوا على اركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شئ من امرك ولا امر اصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جنايتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء
موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء انا الله وايانا ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير
بالمستهزا به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة
عن محاولة الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه السلام والطعن
فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم وتخبيثهم عن الايذاء والاستهزاء
وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الفتح وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وتانيثه
ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة تعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء
على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباينين
لهم وهم غير المجتبين قال محمد بن اسحق الذي عفى عنه رجل واحد هو يحيى بن حبر الاشجعي لما نزلت هذه الآية
تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي
قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف
مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهن في الكفر والنفاق
بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد بالشخص وفيه ايذان
بانه ينبغي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تح وما هم منكم وقوله تح يامرون
بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لمضمون
ما سبق ومفصح عن مغايرة حالهم لحال المؤمنين اوجز ثان ويقبضون ايديهم اي عن الميراث
والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره تعالى بالكلية فنسيهم
وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد
والعتو الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
كما في قوله تح وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله
اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب
مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم مقيم معهم في الدنيا
لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يامنون ساعة من خوف
الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفاوتت من الغيبة الى الخطاب
للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب
بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان
لشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا في صيغة الاستعمال ما ليس في التفعل من
من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف

اي استمتاعا

اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستتباعهم لخطوظهم الخسيسة من الشهوات
الفانية والمتاهيم بها عن الفظر في العواقب الجمة والاذانة الحقيقة بمعاد الذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم
اثرهم وخضتم اي وظلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او
كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم
لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهات وخسرانهم مفهوما بين ضمنا صريحا ويؤدي
الى خلق يمين الخطابات عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من
يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة
مما يشعر التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة
لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والاخرة بطريق المثوبة والكرامة
اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك جسما ينبئ عنه قوله عز قوله جل
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس يترتب عليها على طريقة المثوبة و
الكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون
الكاملون في الخسران في الدارين اجاملوا به واسبابه طرا فانه قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما
ضرهم ولم ينفعهم قط ولو اضاعوها ذهبت بغاية لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار
بجلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم ياتهم اي المنافقين نباء الذين من قبلهم اي خبرهم الذي
له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وقوم ابراهيم واصحاب مدين
وهم قوم شعيب عليه السلام والمؤتفكات قريات قوم لوط ايتفكت اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها واطرد
حجارة من سجيل وقيل قريات الكذابين وايتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
استيناف لبيان نبائهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر سيجيب عليه الكلام ويستدعيه النظام
اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن ظلم اي
ما هيج وما استقام له ان يظلمهم وكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل
ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يرتكبون ما يوجب العقاب بالكفر والتكذيب
وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم
موجبا للقصر فيكون كما في قوله تح وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول و
سيجئ لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون و
المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان
قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بعض
الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على العقيدة المستتبعة للاثار من المعونة
والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي حسب
المعروف والمنكر المتعلقين لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة
ما سبق من قوله تح نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تح ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى
المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعد درجتهم
في الفضل اي اولئك الموصوفون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التاييد
والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي

قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النقمة والنقمة
الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين فقارن كلا منهما ما يليق في شان المنافقين
من توليهم وعيد بهم متضمن لوعد المؤمنين فان منع اللطف عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين و
المؤمنات تفصيل الاثار رحمة الاخروية اثر ذكر رحمة الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغيره ذلك
للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفما و
كما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اى وعد
بعض الحوائض الكل منهم منازل يستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش فان الجنان انما تتفاوت بتفاوت ما فيها
واليواقيت الاحمر في جنات عدن هي ابطن اماكن الجنات واسناها عن ابن عليه السلام عدن دار الله لم ترها
عين ولا تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك
وعن ابن عمر رضه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة
الاف حورة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضه هي بطنان الجنة وسرتها فعدن على هذا
علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه قيل وصفه
اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم
اول ما يقوع اسماعهم ثم وصفه بانه مخلوف بطيب العيش مروي عن شوايب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها
اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار عليين لا
يعتريهم فيها فناء ولا تغيير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اى وشيء يسير
من رضوانه اكبر اذ عليه يدور كل فوز غير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم تنظمه في
سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين دوي الترتيب يقول
لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة
الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون
ما يعده الناس فوزا من خطوط الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة
الى ادنى شيء من نعيم الاخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونحا قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها بقي علينا
ويا بى رزقها غدا ما كان من حق حران يدل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار
اى المهاجرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تداهنهم رفقا
قال عطاء نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصفح وماويهم جهنم جملة مستانفة لبيان اجل امرهم اثر بيان
عاجلة وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استيناف
لبيان ما صدر عنهم من الجرايم الموجبة للامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه
عليه السلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفنا هم وهم سادتنا
واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانتم شر من الحمير
وبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك و
نبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة

اولد لالة

اد للد لالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم رضوا بقوله
جاروا بيز لتقابل ولقد قالوا كلمة الكفر هي حكى آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد
اسلامهم اى واظهروا ما ينافي من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن راحلته ايام اذا تسنم العقبة بالليل وكان
عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقوده وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وقعقعة فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل
عامر لرده على الجلاس وقيل اراد وا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما نقموا اى وما انكروا وما عابوا وما وجدوا وما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
سبحانه وتع وذلك انهم كانوا حاين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش
لا يركبون الخيل ولا يجوزون الغنيمة فاثروا بالمغانم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنا
عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اى وما انكروا شيئا من الاشياء
الا اغناء الله تع اياهم او ما انكروا العلة من العلل الا لاغناء الله تع اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق
يك خيرا لهم في الدارين قيل لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة
والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اى ان استمروا على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب
وغير ذلك من فنون العقوبات والاخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض ع
سمتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها الصحي لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي والنصير ينقذهم من العذاب
بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبايح بعض آخر منهم من عاهد الله ليئن اتانا من فضله لنصدقن لنوتين
الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون
الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني فقال
عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني ما
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن
الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلها الناس بصدقاتهم ومر بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي
وذلك قوله تع فلما اتاهم من فضله بخلوا به اى منعوا حق الله تع منه وتولوا اى اعرضوا عن طاعة الله تع
فلما رجعا قال لهما رسول صلى الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم
تطعني فقبض عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه فلم يقبلها
وجاء بها الى عثمان رضي الله عنه فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سبعة
من الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معروفون جملة معترضة اتى وهم قوم عاهدوا
الاعراض او حالية اى تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك
نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون الله تع عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو
يوم القيمة وقيل فادرشهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلايمه محله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اى بسبب
اخلافهم ما وعدوه تع من التصديق والصلاح وبما كانوا يكذبون اى وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات

التى من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدى الى تحلية الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل عن المزية
فان سبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضى اسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين الا هذا
البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد
على افعالهم المحكية منهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولى والاعراض وفيما مالا يخل به فى الترتب
المذكور كالمعاهدة اتيح ما فى ذلك من الابهام بتعيين ما هو المراد فى ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الدال
الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله تع وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار
والتوبيخ والتهديد على الثانى للتقرير ان الله يعلم سرهم ونجويهم اى اسرارهم فى انفسهم وما تناجوا به بينهم من
المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر فى قوله سبحانه وتعالى
علام الغيوب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شئ من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من
العظايم واظهار اسم الجلالة فى الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفى ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة
الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من
الفخامة وابراز ما لا يخفى وعلى الثانى تقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على ان تح مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من احوالهم
الذين يلمزون نصب او رفع على الذم وتخصيص جزء على البدلية من الضمير فى سرهم ونجواهم وقرئ بغم الجيم وهى لغة اى
يعيبون المطوعين اى المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تع فى الصدقات
متعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف بمايتين
اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر بربعة ثمانين
عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدى بمايتى وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر
فقال بت ليلتى اجر الجر على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجيئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم
عطف على المطوعين اى ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه
وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اى يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق
الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تع اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم
اى ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم
او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه فى استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر
للمبالغة فى استواءهما كانه عليه السلام ربما تحمله الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى لينظر له جلية الامر كما قرئ قوله
عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة
المغفرة بعد المبالغة فى الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدم رد وى ان عبد الله بن ابى وكان من
المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له فعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام
محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود ومعينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص
لى فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع
استعمال السبعة والسبعين والسبعماية فى مطلق الكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد بأسره
وقيل هى اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان السنة اول عدد تام تعاول اجزائها الفضية اذ نصفها ثلثة
وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها سنة وهى مع الواحد سبعة فكانت سبعة كاملة اذ لا مرتبة

بعد التمام

بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ آلاحاد غايتها العشرات والسبعماية غاية الغايات ذلك
اشارة الى امتناع المغفرة لهم وما بعد المبالغة فى الاستغفار اى ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك
بانهم اى بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق فى قوله عز
وعلا والله لا يهدى القوم الفاسقين فان الفسق فى كل شئ عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اى لا
يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة فلذلك حكمة الحق عليها به وزلك الحكمة تكوين والتشريع واما الهداية
بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة للجملة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوا ما فوقها بانها وتحراوه حتى نيل مؤكد
لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هى بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والتمسك فيه بالطبوع عليه بمنزل من
ذلك وفيه تنبيه على عدم النبى عليه السلام فى استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون
على الغى والضلال او المنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبى الآية
فرح المخلفون اى الذى خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم فى القعود عند استيذانهم او خلفهم الله تعالى
بتثبيطه اياهم لما علم فى ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او لنفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اى بقعودهم
وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحى
اى بعدهم فلعنواه لم يظعن وبؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف للمقعد اى
لا فائدة فى تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء
فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اى فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اى قعودهم
بقعودهم لاجل مخالفته عليه السلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له عليه السلام
بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل
الله لا ايثار الدعة والخوض على طاعة الله تع فقط بل مع ما فى تلوينهم من الكفر والنفاق فان ايثار
احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر مرتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على
ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو اينانا بان الجهاد فى سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف
المطالب التى يجب ان يتنافس فيه المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بالتخلف الذى هو القعود خلاف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اى لاخوانهم تثبيطا لهم عن الخروج معه عليه السلام على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالكفر
والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى فرحهم
به من القعود فقد جمعوا ثلث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهى الغير عن
ذلك لا تنفروا فى الحر فانه لا يستطاع شدته قل نار جهنم وبئس المصير التى تنظرون
بما فعلتم اشد حرا منا تحذرون من الحر المهدد تحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرون نارا وعيدون
انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتع غير داخل تحت
القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كذلك لكيف بما ان ما لهم
اليها لما فعلوا ما فعلوا او لما ثبطوا وايثروا هذا الالزام وانما غير منوى على ان لو لمجرد التمنى عن امتناع تحقق مدخولها
اى لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما فى قوله تع قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر
عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عما هو آيل اليه امرهم وآجلهم من الضحك القليل والبكاء
الطويل المؤدى اليه اعمالهم السيئة التى من جملتها ما ذكر من الفرح والخلاف بسببه ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك
والبكاء لا لتقييدهما اذ لا تصور للسببية فى الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى يضحكون
قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا او اخبار فى صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الآمر
المطاع تما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به فلان المقصود بالافادة فى الاول هو وصف القلة فقط وفى الثانى

وصف الكثرة مع الموصوف بيروان ان اهل النفاق بيكون في الناس عمر الدنيا لا يرقالهم دمع ولا يكتحلون بنوم مجد
ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء
باكانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما
واموالهم في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزآء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون جزاء ما ذكر من البكاء
الكثير جزآء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان ردك الله الفاء للتفريع على الامر الاتي على ما بين من امرهم
والفصل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تع الى طائفة منهم اي الى المنافقين من
المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم اذا كان عايق مع الاسلام اولى من بقي من المنافقين المتخلفين بان
ذهب بعضهم بالموت او البعيد عن البلد او بان لم يستأذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل
فيهم ما قيل فاستاذنوك للخروج مكان غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخرجا لهم عن ديوان الغزاة
وابعادا المحلهم عن محفل مجتمع لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي
للمبالغة وقد وقع كذلك انكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك اول
مرة من غزوة تبوك فاقعدوا الفاء للتفريع الامر بالقعود وطريق العقوبة على صدر عنهم من الرضاء بالقعود
اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف ايما
وقرئ الخلفين على القصر فكان محواساسهم عن وفرة المجاهدين ولزمهم في قرن المخالفين عقوبة لهم اي عقوبة
وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى
امراة اولى مرآة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جئ بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع
لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه لدفن
او للزيارة والدعاء روي انه عليه السلام كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس المنافق عبد الله
بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا
رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتوبخني وسأله ان يكفنه في قميصه الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات
دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فجاء به عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه كفن فيه فلما هم بالصلوة
وصلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي دعوني فاتيته لاصلي عليه فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتحلت لاصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا وعدد ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه
ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم الخ فما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم يمنع عن التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص
كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر واخبر مشاهدة
انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنفي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه
وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حيوتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون
في الكفر خارجون عن حدوده كما ينبئ عن معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه
بالاخبار بوقوعه وجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في اثنال هذه المواقع على
الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الخطاب لهما بحسب اذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لابد
منه لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت فحين ان من لم اولاد لا مال له فهو واد لاده في
حيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد
لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في
سورة الكهف انما يريد الله بما منهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب عاناتهم

الشاق

الشاق ومكابدة تهم الشدايد في شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي يموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع
بها والالتهاء عن ملاحظ والتدبر فرائض العواقب واذا انزلت سورة من القران وبجوز ان يراد بها بعضها
ان امنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف منها الجار اي بان آمنوا و
جاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة والقدرة
على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسير على استاذنك مفيد من ذكر الاستاذان توافيه بمعنى القعود ذرنا نكن مع
القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا
الامرين وان لم يرد الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت
جمع خالفة وقيل الخالفة من الاخير فيد وطبع على قلوبهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعة
في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول و
الذين امنوا معه بالله وبما جاء من عنده مع وفور ايمانهم ليسوا من الايمان بالله في شئ وان لم يرضوا عنه صريحا
اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد
نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تع يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة
الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور كقوله عز قائلا فيهن
خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من هو جائز
بعضا من الخطوط الفائتة عما قليل وتكريرهم الاشارة تنويه بشانهم وربآء لمكانهم اعد الله لهم
استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيا لهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة
من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل
الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في
بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم
يجد وحقيقة ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المتعذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها اليها وهم
المتعذرون بادغام التاء في الذاء ونقل حركتها اليها وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو
الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال لهم
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهدتكم فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب
وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين او غامرها
في الظاء والزاء والصاد في المطوعين واذكى واصدق وقيل اريد بهم المعذرون بالصحة وبغير المعذرون
والمعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا بالله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين
لم يجيئوا ولم يعتذروا اظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم
اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر كسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا
والنار في الاخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة ومن عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو
عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء وحبهما والبغض فيهما
كما يفصل الموالي الناصح لصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم
جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على استظامهم بنصحهم لله

ورسوله فى شأن المخلفين او تعليل للنفى المترتب عنهم اى ما على جنس المخلصين من سبيل ومنهم من جملتهم والله غفور رحيم
تعليل مؤيد للحكم ماذكر مشيرا الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم لعذر ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم عطف على المخلصين كما يؤذن به قوله عز وجل فحاسبناها حسابا نكرا اتيا السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل
وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا احملنا فحلف لا يحملهم فاعطى الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
تفيض دمعا فقال رسول الله ما اجد ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام
الاشتر وصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه وغيره مما يحمله عليه السلام عادة وفى ايثار لا اجد على ليس عندى من تطييف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى
كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اى تسيل بشدة
من المدع اى دمعا فان من البيانية تبع مجرورها فى حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادته ان
العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل
دل عليه ما قبله اى تفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له او حزنين او يحزنون حزنا
فيكون هذه الجملة حالا من الضمير فى تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض اى لئلا يجدوا ما ينفقون
فى شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك فى التخلف
وهم اغنياء واجدون لاهبة الخروج سلامتهم رضوا استيناف تعليل لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا
وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم
اى خذلهم فتغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يتبعه
آجلا كالمم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتحدون لاعتذار المعقول اليهم روى
انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما وقع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اى
يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم من الغزوة شهرين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار
الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تحقيرا
لهذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا الى الجواب وتليقه عليه السلام
واما اعتذارهم وكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم لا تعتذروا اى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تع
اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبا فلما ينبئ عنه قوله
تع لن نؤمن لكم اى لن نعتقد كم فى ذلك ابدا فانه استيناف تعليلى للنهى مبنى على سؤال من قبلهم متفرع
على دعاوى المتذرين فى الاعتذار كانهم قالوا لم لا تعتذروا فقيل لانا لا نعتقد كم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب
عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحى بعض
اخباركم المنافية للتصديق مما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه فى ضمائركم وبيتموه فى معرض
الاعتذار من الاكاذيب وجميع ضمير المتكلم فى الموضعين للمبالغة فى حسم اطماعهم من التصديق رأسا بيانا لعدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم فى تصديق الرسول ايضا
بواسطة المصدقين والايذان باقتضاء حالهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتى اتتبعون اليه
تع مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابة واعمال التوبة وتقديم مفعول الرؤية على عطف على فاعله
من قوله تع وسيحلفون بالله لكم الايذان باختلاف حال الرؤيتين وتغايرهما والاشعار بان مدار الوعيد هو
علمه عز وجل باعمالهم ثم ترددون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال و

وضع

وضع المظهر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه يجمع اعمالهم الظاهرة والباطنة والحالة باحوالهم البارزة والكامنة
مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند رد كم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون اى بما كنتم تعملونه فى الدنيا
على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعلكم المستمر
على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثار ما عليها للمجازاة مما سبق من قوله تع قد نبأنا الله الخ فان
المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم والايذان بانهم ما كانوا عاملين فى الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ
سيحلفون بالله لكم تاكيد المعاذير هم الكاذبة وتقريرا لما دلت عليه التاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل
عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم ان انصرفتم
من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة
تقييد حلفهم بالايذان بانه ليس لدفع ما حاطبهم النبى عليه السلام به من قوله تع لا تعتذروا الخ بل امر مبتدأ
لتعرضوا وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تع لترضوا عنهم فان رضوا
عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طبيعتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يرشد عنه قوله عز وجل انهم رجس
فانه صريح فى ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لانهم من الرجس الرد حانى واما ترك استصلاحهم
بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالجمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبلوا التطهير فلا يتعرض لهم بها
وقوله عز وجل وماواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعى الاجتناب عنهم ووجوب
ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تكلفوا انتم
فى ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اى يجزون جزآء او لمضمون
الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل يجزيون جزاء بما كانوا يكسبون فى الدنيا
من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به للظهور اى
يحلفون به تع لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم باكثر تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما
رأوا وساعدتموهم فى ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم عنهم لا يجديهم
نفعا لان الله تع ساخط عليهم ودلالة رضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب للاحل بهم من السخط والايذان بشمول الحكم لمن شاركهم فى ذلك
والمراد بنهى المخاطبين عن الرضاء عنهم والاعتداد بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضاء عمن لا
يرضى عنه الله تع مما لا يكاد يصدر عن المؤمنين وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم منهم ان رضاء المؤمن من دواعى
رضاء الله تع قيل هم جدبن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبى عليه السلام
للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله ابن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا
الاعراب هم بنو تميم وليس بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب
هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادى ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادى
ولهذا نسب الى الاعراب على اللفظ فقيل اعرابى قال اهل اللغة رجل عربى وجمعه العرب كما يقال مجوسى ويهودى
ثم يحذف ياء النسبة فى الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابى ويجمع على الاعراب والاعاريب اى اصحاب
البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفاء طبعهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم فى معزل من مشاهدة
العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما فى قوله تع وكان الانسان كفورا
اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر الا يعلموا اى احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما
انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجالسة عليه السلام وحرمانهم من مشاهدة معجزاته وحمانية ما ينزل عليه من
الشرايع فى تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب

به سبيلهم وتحتم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين
وعدم اقتصارهم على الفريق المذكور كما يترآى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المقرعة على الكفر و
النفاق بعد بيان تماديهم فيهما وجعل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكى حالة بعضا
منهم وهم الذين يصدوا الانفاق من اهل النفاق دون قوائمهم اوالاعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده
ما سيأتي من قوله تع ومن الاعراب من يؤمن بالله الخ فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس الاعراب
الذي نعت ببعض افراده من يتخذ ما ينفق من المال اي يعده بما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة
مغرما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفعه احتسابا ورجاء الثواب الله تع ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية
فهي غرامة محضة ونفي صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء
والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء
والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله لتذهب غلبتكم عليه فتتخلص
مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تع غلت ايديهم
بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء
لان من دارت عليه تهاوي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت
الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فاضافها اضافة بيان و
تاكيد كما قالوا شمس النهار وليل أسد وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل لدسيئة والله سميع بما يقولونه
عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر فيه
من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر
ويتخذ اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تع قربات
اي ذرائع اليها والمايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات
او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات
الرسول اي وسائل ايها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن
للمتصدق ان يدعوا للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله عليه السلام حين قال اللهم
صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصب فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله و
اليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقانه
حالا ومآلا واي ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بامرهم
وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم
بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جنات الله تع بصحة ما
اعتقدوه وتصديق لرجائهم والخبر لما ينفق والتانيث باعتبار الجزء مع ما مر من تعدده باحد الوجهين و
التنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصدير ها بحرف التنبيه والتحقيق
والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات
الرسول من ذرائعها وقوله تع سيدخلهم الله في رحمته وعدلهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير القربة
كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعد للاولين بعقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره
البتة وقوله تع ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله
ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة رضي الله
عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد

بن عزية وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان
فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل البيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا
والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم
باحسان اي ملتبسين به والمراد به كل فضيلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من
تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقة جميع المهاجرين والانصار ومن بعدهم
رضي الله عنهم خبر للمبتدا اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه
المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الاخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر
المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة
من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب ومن حولكم من الاعراب
شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولهما من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي من حول
بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تع مردوا على النفاق اما جملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل بينها وبينه
بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدا خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن
جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا
فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في
الشر فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي
اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية او لا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين المدينة
ثم ذكر منافقي اهلها والله تع اعلم لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم
وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن
مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وحدة
الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق
لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعدو من لا يعرفهم بكنه الصفة عالما بهم وحمل
عدم علمه عليه السلام باعيانهم على عدم علمه بعد بحثه عن هذا البيان على انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلم
باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من
عدم تمكنهم من خداعه عليه السلام بما ذكر من المبالغة في مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المكنوزة في ضمايرهم الا من لا تخفى عليه خافية ولنا عليهم من شدة
الاهتمام بابطال الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق
نفيه بهم وقوله عز شانه سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين
للتاكيد مرتين عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي عليه السلام قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان
فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل
واما عذاب القبر والاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لانهم يعدونها مغرما بحتا والثاني
هتك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق
او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تع ثم ارجع البصر كرتين
اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك بابناء عذابهم

السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد رد هم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا ويتلوه سبحانه وتع والثانى شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم فى مورد الذين وهو عطف على منافقون اى وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التى من تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والوضاء بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يحلفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء مافيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب دينهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد عند ما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة وراى هم كذلك فسأل عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحل انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازى السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم فى التخلف عن هذه المرة وتدمهم وندامتهم على ذلك وتحسيعه بالاعتراف لا يناسب الا يتما على وجه يؤذن بتواد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا او مخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء فى قوله تع وآخر سيئا فان توكيد خلطت الماء باللبن يقتضى ايراد الماء على اللبن دون العكس وتوكيد خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة لا لاجل حمل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العاملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعسى الكلبى التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اى يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة حتى من وجوب القبول فانها للاطماع الذى هو من اكرم الاكرمين ايجاب واى ايجاب خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى ظلمتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هى الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روى انه اخذ منهم الثلث وترك الثلثين لهم فوقع ذلك بيانا لما فى صدقة من الاجمال وانما سماها كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اى عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب فى خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من الطهر بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتداء محذوف والجملة حال من الضمير فى الامر او فى جوابه اى وانت تزكيهم بها او تنعت بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ فى تطهيرهم هذا على قراءة الجزم فى تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة لصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتداء لتوجيه دخول الواو فى الجملة الحالية وصل عليهم اى واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون باجابة الله سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليهم بما فى ضمايرهم من الندم والعزم لا فرط منهم من الاخلاص فى التوبة والدعاء وسميع

يجيب دعاءك لهم عليهم بالتقضية المحكمة والجملة ح تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين تحقيق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة تزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لنفوسهم ببيان ان المقبول لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اى الم يعلموا لكنك اتانيون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيرضاها ويثيبهم عليها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما ادلكك التائبون ووضع المظهر فى موضع المضمر لاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون فى ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اى يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المخرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا ان هو الذى يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية والا لكنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبى عليه السلام على نهج قولهم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اى الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دايم وانما لم يقل فى غير النصب بعلموا ليسند مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روى انهم قالوا لما نزلت على الاثرين هؤلاء الذين كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اى الم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى الكرمة والتقريب والانتظام فى سلك المؤمنين والتلقى بجن القبول والمجالة فحوتر غيب لهم فى التوبة والصدقة وقولوا بت وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم فى العمل الصالح الذى من جملة التوبة والاولين فى الثبات على ما هم عليه اى كل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعمالا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اى خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن الفعول لاشعار بما بين الرؤيتين والمؤمنون فى الخبر لوان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رايتم وتبين لكم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقى فالامر ظاهر وان اريد بها ما من الجزاء خيرا وشرا فهو خاص بالدنيوى من ظهور المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة فى وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربيته المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب فى الذكر سعة علمه وزيادة خطره على الشهادة غنى عن البيان وقيل ان الموجودات الغايبة عن الحواس عال او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيب ما يستر ونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تع ما يسترون وما يعلنون فالتقديم ح لتحقيق ان بنسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده باريهم ان علمه تع بما يسترونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ وتحققه فى نفسه علم بالنسبة البه تع وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة اما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك فى القلب فتعلق علمه تع به فى حالة الاول متقدم على تعلقه به فى حالة الثانية فينبئكم عقيب الرد الذى هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك فى الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك اظهار ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد واخرون عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم اخرون خبر المعترفان المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون

بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن
امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابولبابة واصحابه من شدائدهم على الستواري والمراد بالغم والجزع
والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا ممن اعمى
بدر فهجرهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل يهلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين
لامر الله اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين
ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم واجملة في محل النصب على الحالية اى
منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتداء ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم
حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على
ما سبق اى ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اى مضارة للمؤمنين و
انتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اى يضارون
بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اى مضارين للمؤمنين روى ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي لهم في مسجدهم فلما فعل عليه السلام
حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه
ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ثم لم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما
انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة و
سلاح فاني ذاهب الى قيصر واتي بجنود واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء
وقالوا للنبي عليه السلام بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا
فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه
فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي او عامر
الاكمن ووحشي فقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة
تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بقنسرين وكفروا تقوية للكفر الذي يعزونه وتفريقا
بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجدهم مجتمعين فيفيض بهم ناره وان يترقبوا يختلف كلمتهم
وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الفاسق اى لاجله حتى يجئ
فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اى اتخذوه من قبل ان ينافقوا فيتخلفوا
حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اى حاربها قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا
اى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة او هي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الاردة
الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في طعنهم ذلك لا تقم للصلوة فيه فمن ذلك المسجد حسما
وعوجك اليه ابدا المسجد اسس اى بنى اصله على التقوى يعني مسجد قباء انت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سالت النبي عليه السلام عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء
او للقسم المحذوف واما لله والمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتداء وما بعده صفته وقوله تع من اول
يوم اى من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تع احق ان تقوم فيه اى للصلوة وذكر الله تع خبره
وقوله تع فيه رجال جملة مستانفة مبينة لاحقيته لقيام عليه السلام من جهة الحال بعد بيان احقيته له

من حيث

من حيث الحل او صفة اخرى للمبتداء او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق
القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار اساسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل
لمقابلة ما في قباء او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم البانين ومن بنى بعيد
في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة
الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا يناموون عليها والله يحب المطهرين اى يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
او نائل محبيه قيل لما نزل مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه بارسول
الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال التصبرون على البلاء قالوا نعم
قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار
الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عليه السلام فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام
وقيل هو عام في التطهر عن النجاسة كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه
هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحلي الكفرة لذنوبهم فمحوا عن آخرهم افمن اسس
بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على
الاضافة جمع اساس واساس بالفتح والكسر جمع اس وقرئ اساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه
وهي جملة مستانفة مبنية لخبرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر اى ابعد ما علم حالهم من اسس بنيانه وبنى على تقوى من الله ورضوان اى على قاعدة محكمة
من التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما
يؤثم من فعل وترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام
من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة
على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اى استاصله واحتفر
ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار البائر التصدع المشرف الى السقوط من هار يهور وهيارا او
هار يهير قدمت لامه على عينه مضارع كخاف ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اى بغير موجب فجرى وجوه
الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما جنوا عليه امره ديتهم في البطلان وسرعة الانطماس
بما ذكر ثم دشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظ من النار
ويوصل الى الرضوان ومقتضياته التي اداناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار بالغة
فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا نفسهم
او الواضعين للاشياء في مواضعها اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا للاجابة و
اما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا
البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلة فعل للابنان بكيفية بنائهم وتاسيسه
على او من قاعدة واس اساس والاشعار بعلية الحكم اى لا يزال مسجدهم ذلك بنيانا مهدودا ما
ريبة في قلوبهم اى سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعز اهم
من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون
فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة
وشكا في الدين واما حال هدمه فلانه ربما سخ به ما كان في قلوبهم من الشره فتضاعفت آثاره واحكامه

او سبب ريبة فى امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهن اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم
بعد البناء اكثر مما كانوا يظهرون قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم
تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصار وامرتابين فى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بتركهم على ما كانوا عليه
من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبى معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدى وجيب والمراد لا يزال
هدم بنيانهم حزازة وغيظا فى قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التائين اى الا ان تتقطع
قلوبهم قطعا متفرق اجزاؤه بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات
او اعم الافعال ومحله النصب على الظرفية اى لا يزال بنيانهم ريبة فى الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع
قلوبهم او حال تقطع قلوبهم نحو يسألونك عنه واما واما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال
الريبة عن قلوبهم وجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عنه قتلهم او فى القبور او فى النار وقرئ تقطع على بناء
المجهول من التفعيل بذكر الموت وانثاه وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبى عليه السلام اى الا ان تقطع
انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثى مؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع
قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب
للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم
والله عليم بجميع الاشياء التى من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم فى جميع افعاله التى من جملتها
امره الوارد فى حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين فى الجهاد وبيان
فضيلة اثر بيان حال المتخلفين عنه ولو بولغ فى ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تع من
المؤمنين انفسهم واموالهم التى بذلوها فى سبيله تع واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشراء وعلى طريقة الاستعارة
التبعية ثم جعل المبيع الذى هو العمدة والمقصد فى العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذى هو الوسيلة
فى الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم للايذان
على ان المقصد فى العقد هو الجنة وباذله المؤمنون فى مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا
بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة فى تقرر وصول الثمن
اليهم واختصاصهم كانه قيل بالجنة اثباتا لتملكهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم
بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تع وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك فرد
لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشراء حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشئ لان مناط دلالة
ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال
بل هو الجنة التى يستحيل وجودها فى الدنيا ولو سلم ذلك بكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون
فى سبيل الله استيناف لكن لا للبيان لا جله لان القتال ليس نفس الاشتراء ولا بيانا لقتالهم فى سبيل الله
ليس باشتراء الله تع منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لها فى ذلك بل لبيان المبيع الذى يستدعيه الاشتراء
المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون فى سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم
واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لها للهلاك وقوله تع فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال فى
سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل فى سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد فى التعليق
ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض
فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر
منهم احدهما اصلا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين اولم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق ايجاد
بمجرد العزيمة والتغرير وتكثير السواد وتقديم حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقا لكون

القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عرضية فى الجانب وايذانا بعدم
مبالاتهم بالموت فى سبيل الله تع بل لكونه احب اليهم من السلامة كما قيل فى حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل فى يقاتلون
الخ معنى الامر كما فى قوله تع تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه
كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له وقوله تع فى التورية و
الانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا فى التورية والانجيل كما هو مثبت فى
القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة فى كونه
سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف المواعيد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره
عنهم فكيف بجناب الطلاق الغنى عن العالمين جل جلاله وسبحت التركيب وان كان على انكار ان يكون احد
اوفى بالعهد منه سبحانه وتع من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكل المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة
ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور الاستبشار اظهار
السرور والسين فيه ليس للطلب كما ستوقد واوقد والفاء للترتيب الاستبشارى او الامر به على ما قبله اى فاذا
اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم
مع ان الابتهاج به باعتبار اداءته الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان
الشراء لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تع الذى
بايعتم به للزيادة تقرير ببيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى وللآن كلا
البد لين لم تقع عن الحسن رضه انفاقا هو خلقها واموالا هو رزقها روى ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة
قال عبد الله بن رواحة رضه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربى ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وتمر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرأ ما قال كلام من قال كلام
الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقبله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك الجنة
التى جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذى لا فوز اعظم منه وما فى ذلك
من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته فى الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى
اريد بالاستبشار به ويجعل ذلك كناية عن نفس الفوز العظيم او يجعل فوز فى نفسه فالجملة على الاول تذييل لآية
الكريمة وعلى الثانى لقوله تع فاستبشروا معترضة التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعنى المؤمنين
المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع
على الابتداء والجر بحذف وفاى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تع وكلا وعد الله الحسنى
ويجوز ان يكون خبره قوله تع العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون فى عبادة الله تع الحامدون لنعمائه اولا ثم بهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتى الصوم سموا بها لانه عائق عن الشهوات اولانه
رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون فى الجهاد وطلب العلم
الراكعون الساجدون فى الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن
المنكر عن الشرك والعاصى والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى
والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وبينه من المحارم والشرايع علا وحملا لناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه

باحد الوجهين وبشر المؤمنين اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه
على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان
وفى تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ماكان للنبى والذين امنوا
بالله وحده اى ما صح لهم فى حكم الله عز وجل وحكمته ما استقام ان يستغفروا للمشركين بسبحانه
ولو كانوا اى المشركون اولى قربى اى ذوى قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة
معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين فى قوله تع ولو كره الكافرون ونظائره روى انه لما حضرت
قال لعمه ابى طالب لما حضرة الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لاازال استغفر
لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستقبل القبلة فقال انى استاذنت
ربى فى زيارة قبرها فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وانزل على الآيتين من بعد
ما تبين لهم اى للنبى عليه السلام والمؤمنين انهم اى المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر واد
نزل الوحى بانهم يموتون على ذلك وماكان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابى اى بان يوفقه
للايمان ويهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق
ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية
الحال الماضية وقوله تع الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لكن استغفاره كائن
لابيه آزر ناشيا عن شئ من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم اياه اى اباه وقد
قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سا استغفر لك ربى بناء على ما جاء من ايمانه لعدم تبين حقيقة
امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره
كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابراهيم بان اوحى اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان
مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما ينافى اباه حاله الموت
تبرا منه اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة مالیس فى تركه ونظائره
ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن كمال الرافة ورقة القلب حليم صبور على الاذية
والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان
ابراهيم كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبيين فليس لغيره ان يأتسى
فى ذلك وتاكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبيين بانه عليه السلام تبرا منه بعد التبيين وهو فى كمال رقة
القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرئا واما ان الاستغفار قبل التبيين لو كان غير محظور
لما استثنى عن الايتساء فى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق فى سورة مريم
باذن الله تع وماكان الله ليضل قوما اى ليس من عادته ان يضعفهم بالضلال عن طريق الحق ويحكم
عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحى صريحا او دلالة ما يتقون ان ما يجب
اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يستتبع ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذ
به مكافاة تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان العاقل غير مكلف بما لا
يستبد بمعرفته العقل ان بكل شئ عليم تعليل لما سبق اى انه تع عليم بجميع الاشياء التى من جملتها
حاجتم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل فى معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات
والارض من غير شريك له يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لا منعهم من
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وفى ضمن ذلك البراءة منهم ايسا بين لهم ان الله تع مالك
كل موجود ومتولى اموره والغالب عليه ولا يتاتى لهم نصره ولا ولاية الا منه تع فليتوجهوا اليه بشراشرهم

مبترين ما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عفو
عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه والمهاجرين والانصار قبل موفى حق ذلك سبعت منهم يوم احد
ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبى عليه السلام لما حط
عنه فى بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامره من اوامره
فى ساعة العسرة اى فى وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى
عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاباة
الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها بالماعة ليشربوا عليها الماء المتغير
وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفى شدة زمان من حمادة القيظ ومن الجدب
والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له عليه السلام فى مثل تلك
المراتب من الشدة للمبالغة فى بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يغنيهم
عما غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهى الشدة وبلوغها الى
الغاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبى عليه السلام وفى كاد ضمير الشان
او ضمير القوم الراجع اليه الضمير فى منهم وقرئ بتانيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم بعض
المتخلفين من المؤمنين كابى لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من
اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدوتهم انه بهم رؤف رحيم استيناف تعليلى
فان منفعة الرافة والرحمة من دواعى التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثانى عن
ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلثة الذين خلفوا اى وتاب الله
على الثلثة الذين آخر امرهم عن امر ابى لبابة واصحابه حيث لم تقبل معذرتهم مثل ذلك ولا ردت ولم يطلع
شانهم بشئ الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك وزرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا
اى خلفوا الغازين بالمدينة او خلفوا من الخلفة وخلوف الفم وقرئ على المخلفين والاول
هو الانسب لان قوله تع حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا بناسبه الا المعنى الاول اى خلفوا
وآخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاع عن
مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر قرار ولا تطمئن به دار وضاقت عليهم انفسهم
اى اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشئ لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا
ملجاء من الله الا اليه اى علموا ان لا ملجاء من سخطه تع الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اى وفقهم للتوبة
ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعيروا من جملة التوابين اورجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ فى قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت
الرحيم للمتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لاضاديها روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن رح انه قال لبعضهم انه
كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطه ما خلفنى الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب
فانت فى سبيل الله ولم يكن تاخرا الا لهذه فقال يا اهلاه ما يطأنى ولا خلفنى الا الضن بك فلا جرم والله انى
لا كابد فى المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال
فقال يا نفسى ما خلفنى الا حب الخيوة لك والله لا كابدن الشدايد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم فتابط زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن رح كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن
ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطاء به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال

لما رأى سواده كن اباذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت
وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراتان حسناوان فرشت له في الظل و
بسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر مكان يح
فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفا الى الطريق فاذا براكب يزاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان فوح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الثلثة قال كعب
لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال يا بيت شرى ما خلفت
كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه قال عليه السلام ما علم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم نكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا
ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع البشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا
وكنت كما وصفني ربي وضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت علينا انفسنا وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة
بن عبيد يهرول حتى صافحني وقال لنهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستنير استنارة القمر البشر بكعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا
الآية ومن ابي بكر الوراق اذا سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام يدرج فيه التائبون
اندماجا اوليا وقيل لمن تخلف من الملقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون
وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع
الصادقين في ايمانهم وعهودهم ادنى دين الله نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل ما ذكر
وتوبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم ح هؤلاء الثلثة واضرابهم وعن ابن عباس رضه انه خطاب لمن آمن من
اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من
الصادقين ماكان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع
وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه عليه السلام الى الغزو ولا يرغبوا بنفسه ونفسه وقد
جوز جزم بانفسهم عن نفسه اي لا يعرضوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل
يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك
اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير
ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما لا يستباح عنده المحرمات من مرابتها فان الظمأ والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا منه ذلك اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة
لا ويجوز ان يراد بها الكل المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب
الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا ح ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل
واحد منها بالمضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار
اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ويلتاثون من عدو نيلا
مصدر كالقتل والاسر للنهب او مفعول اي شيئا نيال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور
المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل وقيل الزلزلة والنزول
للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك

الا الله

ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احاسنهم قليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع
الظاهر مقام المضمر للتعميم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان ولا شعار بعلية
الحاسة للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او ملاقة
سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنفيس
على ستبدا وكل منهما بالكتب والجزاء للتاكيد النفي كما في قوله تعالى ولا يقطعون اي لا يجاوزون في مسيرهم
واديا وهو في الاصل كل منفرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم
شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم ان اثبت لهم ذلك الذي مر محوه من الانفاق والقطع ليجزيهم
الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون
لينفروا كافة اي ما صح وما استقام ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا
جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلو لا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل
بلدة او قبيل قليلة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاقه
بتحصيلها وليندروا قومهم اي وليجعلوا انابة سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم
اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانابتهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان
فرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على الجهلة والتبسط في البلاد كما هو دين ابناء الزمان والله
المستعان لعلهم يحذرون اراده ان ينذروا عامتهم ويستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان
عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفر وا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا قومهم كي يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر اخبار ما لم يتواتر لم ينفلا ذلك وقيل للاية وجه آخر وهو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين
ساءهم الى التغير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اقوامهم
يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير
في ليتفقهوا وليندروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي وليندر الباقون
النافرين اذا رجعوا اليهم ما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة
والاستصلاح قيل هم اليهود حول المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ
بفتح الغين كسخطة وبهما وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم الخائفون
ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة
بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الخاصة وقد ذكر وجه
دخول مع المتبوع في قوله ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سورة القرآن فيهم اي من المنافقين
من يقول لاخوانه ليشبههم على النفاق او لعوام المؤمنين ضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقوى بنصب ايكم على تقدير مثل لفيه والمذكور اي ايكم زادت زادته هذه الى آخره
ايراد الزيادة مع انه للايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تع انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فاما الذين امنوا جواب من جهة تع وتحقيق
للحق وتبيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تع وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقايق وانضمام ايمانهم بها لايمانهم السابق
وهم يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء

عقيدة فؤادهم رجسا الى رجسهم اى كفرا بها منضما الى كفرهم بها وعقايد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ دخلت واو العطف
على مقدر اى الا ينظرون ولا يرون انهم اى المنافقين يفتنون فى كل عام من الاعوام مرة او مرتين
والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور اى يبتلون بانواع البليات من المرض والشدة وغير ذلك
ثم لا ينزكر الذنوب والوقوف بين يدى رب العزة فيؤدى الى الايمان برتع او بالجملة ومع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيعاينون ما نزل عليه من الايات لا سيما القوارع الزايدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبايح المخزية
لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تع ولا هم يذكرون والمعنى اولا
يرون افتنانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر
والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اى الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التى هم
اضنانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون
واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم فى محفل تبليغ الوحى كما ان الاول بيان لمقالاتهم
وهم غايبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم
هل يريكم من احد اى قائلين هل يريكم احد من المسلمين لتنصرف مظهرين انهم لا يصبرون على استماعها او يغلب
عليهم الضحك فينفضحون او ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لو اذا يقولون هل يريكم من احد
ان قمتم من المجلس وايرادهم الخطاب لبعث المخاطبين على الجد فى انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر منه اهتماما
بشان صاحبه كما فى قوله تع ويستطعمونكم ولا يشعرون بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة فى عيوب
المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والترافى باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية
احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم
اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية باثمهم اى بسبب انهم قوم لا يتفهمون
لسوء الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اى رسول رسول عظيم الشان من
انفسكم من جنسكم عربى قرشى مثلكم وقرئ بفتح الفاء اى اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اى شاق
شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتايج ما سلف
من المجانسة حريص عليكم فى ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم
الابلغ منهما وهى الرافة التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا يكون للخطاب
وتوجيه له الى النبى عليه السلام تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك
ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف
الا منه وهو رب العرش العظيم اى الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام
والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى رضى ان آخر ما نزل من الآيتان وعن النبى عليه السلام
من نزل القرآن على ان له آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانها انزلتا معك

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل
له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه

السورة

السورة مسماة بالرد وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان
للموضوع الذى تدل عليه على طريق التخاطب بالانتساب كما قرر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها انما باعتبار كونها
على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام
نحو اذكر او اقرا وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون آلر مسرودا على نمط التعديد فقد
نزل حضور ما دنا منها التى هى الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من
جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد التنويه
بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة
ومحل الرفع على انه مبتدا وخبره قوله تع ايات الكتاب على تقدير كون آلر مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من
الاول والمعنى ان ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه
به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حين اذ
باعتبار تعينه وتحققه فى علم الله تع او فى اللوح او باعتبار انه نزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان
فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وباسم القرآن فى عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصى اذ ذاك فلابد من
ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتعارف بين الناس
اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصى يطلق على مجموع ما نزل فى كل عصر الا يرى الى ما روى عن جابر رضى الله عنه
انه قال كان النبى عليه السلام يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا
اشير الى احدهما قدمه فى اللحد فان ما يفضه الناس من القرآن فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت
فى اخذه انما هو المجموع النازل ح من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصى فى علم الله سبحانه او فى اللوح ولا
لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذى الحكمة وصفه بذلك لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو
من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة الكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق
بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما فى ضمنها من الآى فانها
فى حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغى ان يكون
اشارة اليه ح كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه لتصير
الوصف بالمضاف اليه فلا يتاتى ما قصد من مدح المضاف بالمضاف اليه من صفات الكمال وان فى بيان
اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق
وان كان احد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان
كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الآتى شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما
لا ينكره عليه يد وتحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن اذ لولا ان بعضه صفوت بنعت كذا داخل تحت
كلمة لا تستحى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة للانكار التعجيبى والتوبيخ
منه لكونه فى غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عدل عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار للتعجيب
كما تعرض له فى قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق مادة الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعيين مدار التعجب فى زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف
وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور فى الظرف وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول
جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا
اى كوحينا او على تقدير مضاف اى امر ايحائنا او على ان الايحاء بمعنى الموحى به وان مفسرة او مصدرية
فى محل الجر او النصب على الخلاف والايحاء الى الرجال وان كان مختصا بالانبياء عليهم السلام لكن لا بطريق
الوحى الشرعى بل بطريق الالهام او المنام او الاشارة او الكتابة او نحو ذلك مما لا يكاد يخفى على ذوى الالباب

هو معرفة لان ان مع الفعل فى تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار ان يجعل كان تامة وان
اوحينا متعلقا بعجبا على حذف حرف التعليل اى احدث للناس عجب لان اوحينا اومن ان اوحينا او بدلا من
لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال فى حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهدا
بالمرة وانما قيل لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى ان جل منهم
اى الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا ومن افنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليها ما الاول فلان بعث الملك
انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملئكة كما قال سبحانه قل لو كان فى الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب
والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذى يقتضيه الحكمة ان يبعث
الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس القدسية المؤيدين بالقوة الذكية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى
والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثانى فلان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم
فى الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق فى احراز الفضائل العلمية والحيازة الملكات
السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم فى ان عليه السلام فى ذلك الشان فى غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية واما التقدم فى الرياسة الدنيوية والسبق فى نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له فى ذلك قطعا بل الامر بالعكس
غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ان انذر الناس
ان مصدرية يتعين كون صلتها امرا كما فى قولك ان اقم وجهك فذلك الامر والانشاء فى الدلالة على المصدرية سيان
فساغ وقوع الامر والنهى صلة حسب وقوع الخبر فيجرد عنه ذلك عن معنى الامر بخروج الصلة الفعلية عن معنى المضى
والاستقبال ووجوب كون الصلة فى الموصول الاسمى جملة انما هو للتوسل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لتقوم
فى دلالة الانشاء على المصدر اوغيره اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها تحقيقة من الثقيلة على حذف
ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو
النكتة وفى ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثانى عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين
امنوا بما اوحينا وصدقوا ان لهم اى بان لهم قدم صدق اى سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم
وانما عبر عنها بما ذكر لما ان بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى باليد وقيل مقام
صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه
على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون
هم المتجوزون وابراد هم ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التى
دخل عليها همزة الانكار او لكونه استينافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب من بعثة الرسول فقيل
والاستبعاد او قطعوا فيه بشئ فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا يعنون به ما اوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوى على الانذار والتبشير لسحر مبين اى ظاهر وقرئ لساحر على ان
الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا ساحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما جاء به خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يمنعونه بما قالوا تماديا فى العناد كما هو دين
الكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة
الباطلة عقب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وحقق فيه حقيقة ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالى على بعض
ما يدل عليها من شئون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير
نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون وقوله تعالى قل من يرزقكم

من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله اى ان ربكم ومالك امركم الذى تتعجبون من ان يرسل
اليكم رسولا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحى اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذى خلق السموات والارض
وما فيهما من اصول الكائنات فى ستة ايام ان فى ستة اوقات او فى مقدار ستة ايام فان نفس اليوم الذى هو
عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض تحقيقة حين لا ارض ولا سماء وفى خلقها مدرجا مع التقدير اية
على ابداعها وفقة دليل على الاختيار واعتبارا للنظار حيث علمهم التأنى فى الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك
بالعدد المعاين فامر قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ووقعت حكمته وانما صيغة الجمع لان
الله هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش استواء
يليق بجلاله وكبريائه على الوجه الذى عناه منزها عن التمكن والاستقرار ومهما بيان لجلالة ملكه
وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما ترى من خلق تلك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر فى ادبار
الامور وعواقبها تنتهى على الوجه المحكم والمراد ههنا التقدير على الوجه الاكمل والمراد بالامر ملكوت السموات والارض
والعرش وغير ذلك من ابرز بيانات الحادثة شيئا فشيئا على المعارشق والخافا لكا تحتمى من المناسبات و
المسانيات فى الذوات والصفات والازمنة والاوقات اى بقدر ما ذكر من امر الكائنات الذى ما تتجوا منه
من امر الوحى والبعث فرد من جملة وشعبة من وجهة ويدبر اسباب كل نماء وبقاء وفى اوقاتها المعينة وبرتب
مسالكها على الوجه الفايق والنمط الاحق حسبما يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة والجملة فى محل النصب على
انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا للان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ
من ذكر الاستواء على العرش المبنى عن اجراء الحكام الملك وعلى كل حال فاتيا رصيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير
واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه فى التدبير والتقدير ونفى للشفاعة على ابلغ
الوجوه فان نفى جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفى الشفاعة على اتم الوجوه كما فى قولك لا عالم
اليوم من احد ولا عالم بعد قولك لا يدبر الامر احد مجرى قولك ولا يجير ولا يجار عليه عقيب قولك لا مجير
كل شئ وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى ما من شفيع يشفع لاحد فى وقت
من الاوقات الا من بعد اذنه المبنى على الحكمة البالغة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع
له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وفيه من الدلالة على عظمة جلاله تع ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الشان
بما ذكر من نعوت الكمال التى عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تع ربكم بيان له او بدل منه
او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربهم الله الذى خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة
فى التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تع فاعبدوه اى وحده من غير ان تشركوا به شيئا من تلك او ممن
فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بانه لا الى الا هو كما انه لا رب سواه استقلالا او اشتراكا
فلا تتذكرون ذلك حتى تتفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا
مرجعكم اى البعث كما ينبئ عنه قوله تع جميعا فانه حال من الضمير المجرور كما فى قوله تعالى ثم الينا ترجعون
والجملة تعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر موكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث
والفعل مقدر اى وعد الله وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمنزل من الوعد
كانه بمنزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدؤا الخلق
وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استيناف علل به وجوب المرجوع اليه سبحانه فان غاية البدء والاعادة هو جزاء

المكلفين باعمالهم حسنة وسيئة وقرئ بالفتح اى لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب بعدلته اى وعدالله وعدابداء
الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بداءه الخلق ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اى بالعدل وهو حال من فاعل يجزى اى ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزيهم بقسط دينهم اجورهم وانما اجمل ذلك ههنا
باذ لايقين به الحصر او بقسطهم وعدلهم عندما نهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو لا نسب بقوله عزوجل والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه قد جزى الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد
بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على ما بين الكفر
وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام فى سلك العلة الغائية للخلق
بدءا واعادة وانما يحيج ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلى من ذلك فهو الاثابة
هو الذى جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تع ووحدته وعلمه وقدرته باثار صنعته فى النيرين
بعد التنبيه على الاستدلال بما قرر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد
التدبير الذى اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حاين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان
يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طريق الهدى وتعيين مساوى الردى اولى
واحرى وجعل ان جعل بمعنى الابداع والانشاء وضياء حال من مفعوله اى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف
المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثانى اى جعلها ضياء وعلى احد الوجهين الذكورين
لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما فى قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر
كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط وباؤه منقلبة عن الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضياء بهمزتين بينهما تقديم اللام
على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام فى الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور فقيه اشعار بان نوره يستفاد من نور الشمس وقدره اى قدر له وهيأ منازل اوقدر سيرة فى منازل
اوقدره ذا منازل على تقابين التقدير بمعنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازل وتعلق
احكام الشريعة به وكونه عمدة فى تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة
فى واحد منها لا يتخطاه ولا يقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة
والعشرين فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس فى كل
منزل منها ثلثة عشر يوما وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستطرة وهى
الشرطان ابطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن
الحوت لتعلموا اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او بما عتبار نزول كل منهما
فى تلك المنازل عدد السنين الذى يتعلق بها غرض علمى او اقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب
اى حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح المذكورة وتخصيص
العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر فى السنين المعدودة معنى بغاير مراتب الاعداد كما
اعتبر فى الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب حساء ما لكيفية انفصالية بتكرير امثاله من حيث تحصل
بطائفة معينة منها عدد معين لاسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قد تحصل كل من
ذلك من ثلثين يوما قد يجعل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصاء بتكرير امثاله من
غير اعتبار ان يحصل بذلك شئ كذلك والعلم يعتبر فى السنين المعدودة تحصل حدد معين لاسم خاص غير سائر
مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمائات والالوف

اعتبارى

اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر فى الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها
اسماء خاصة وحكام مستقلة تعلق بها الحساب المبنى عن ذلك والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق
به الحساب وانما الذى يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من
الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد تحصل كل منها بطائفة
من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر
معها شئ غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعدما على العكس لان العلم
المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتخذ الحجة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر
فيه تحصل امر آخر هو بما حقيق ان تقاتل من الحساب الذى اعتبر فيه ذلك فنزلة البسيط من المركب ما خلق
الله ذلك اى ما ذكر من الشمس والقمر على ما هى من الاحوال وخواصها بان معنى جعلهما على تلك الاحوال
والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فى ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث
فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه بالفعل الا بالحق استثناء
مفرغ من اعم احوال الفاعل والمفعول اى ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا
لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوطة
بعد معاملاتهم وعباداتهم يفصل الايات اى الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات فيدخل فيها
الايات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون
الحكمة فى ابداع الكائنات فيستدلون على شئون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما فى تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون
بها وخصهم بالتفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان فى اختلاف الليل والنهار تنبيه اجمالى على ما ذكر اى فى
تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وكون الارض اوفى
تفاوتهما فى انفسهما بازديادهما وكل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازديادة باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا
قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الاماكن اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب
الشمالى اباديها الصيفية اطول وليالها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه وليالها واما فى انفسهما فان
كرية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا وما خلق الله فى السموات
والارض من اصناف المصنوعات لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال
علمه وقدرته وبالغ حكمته التى من جملة مقتضياتها ما ذكر وهو من ارسال الرسول وانزال الكتب والبعث والجزاء
لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تع والحذر من العاقبة فهم الذين
على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكائى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن ايتيات الدالة عليه بعد تحقيق ان
مرجع الكل اليه تع وانه بعيدهم بعد بدئهم الجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهدة بذلك والمراد
بلقائه تع اما الرجوع اليه تع بالبعث او لقاء الحساب كما فى قوله عزوجل انى ظننت انى ملاق حسابيه وايا
ما كان فيفتح الالتفات الى تعميم الاجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم توقع مطلقا المنتظم
لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمها لا يستدعى عدم اعتقاد وقوع المامول والمخوف اى لا يتوقعون الرجوع البنا
او لقاء حسابنا المؤدى اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول ولا يباشرون ما يقوله عزوجل
ورضوا بالحيوة الدنيا فانه مبنى عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقولهم ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الاخرة ولا يخافون الثانى والباء اشير بقولهم تع واطمأنوا بها اى سكنوا اليها سكون من لا يراج لها عنها
آمنين من اعتراء المزعجات غير محترزين بما لهم يايسون من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقى وبالقاء حسن

اللقاء اى لايأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وما فيها من فنون
الكرامات السنية بالحيوة الدنية الفانية واطمأنوا بها اى سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع همهم
على لذايذ ها وزخارفها من غير صارف يلويها ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئ عن مجرد الركون
والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة ومحل الرجاء على الوقوف فقط اياه كلمة الرضاء
بالحيوة الدنيا فانها مبنية عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضى فى الصلتين الاخيرتين
للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل فى الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم
عن اياتنا المفصلة فى صحايف الكون جميعا اشيرالى بعضها او آياتنا المرتلة المنبهة عن الاستشهاد بها
المتفقة معها فى الدلالة على حقية مايرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان مارضوابه واطمأنوا اليه
من الحيوة الدنيا غافلون لايتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع التوارع لانهماكهم نيما
يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية مبنية عما هم عليه من استمرار
الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول
واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ماقيل من ان العطف لاتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع
بين الذهول عن آياته تعالى والانهماك فى الشهوات بحيث لايخطر بالبال الاخرة اصلا واما التغاير الزمانى
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرالا الحيوة الدنيا وبالآخرين من انهاحسب العاجل عن التأمل فى الآجل
فكلام ناشئ عن قلة تأمل اولئك الموصوفون بماذكر من صفات السوء مأويهم اى مسكنهم ومقامهم الذى
لايراح لهم عنه النار لاما اطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا وغيرها بما كانوا يكسبون من الاعمال القبيحة
المعدودة ومايستتبعه من اصناف المعاصى والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
للدلالة على الاستمرار التجددى والباء متعلقة بمحذوف لجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو
مع خبره خبر لان فى قوله تع ان الذين لايرجون لقاءنا ان الذين امنوا اى فعلوا الايمان وآمنوا بما يشهد
به الآيات التى غفل عنها الغافلون او بكل مايجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا
الصالحات اى الاعمال الصالحة فى انفسها الائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى
الاسماء يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا ببداية الهداية بايمانهم
اى يهديهم بسبب ايمانهم الى مآويهم ومقدم وهى الجنة وانما مبتدء كونها على ظهور ما ذكر من الايمان
بملاحظة مايسبق من بيان مآوى الكفرة وما اوابهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة الحق من التلويح والتصريح
وفى النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لايكفى فى الوصول الى الجنة بل لابد بعد ذلك من الهداية
الربانية وان الكفر والمعاصى كافية فى دخول النار ثم انه لانزاع فى ان المراد بالايمان الذى جعل سببا للملك
الهداية هو ايمانهم الخلص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك
يعزل عن الدلالة على خلاف ماعليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالى عن العمل الصالح يقضى الى الجنة
فى الجملة ولايخلد صاحبه فى النار فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية
الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز
وجل والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق
عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا بخل فى الاهتداء من امن ولم
يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجرى من تحتهم الانهار اى بين ايديهم كقوله سبحانه
وهذه الانهار تجرى من تحتى او تجرى وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان
ان او حال من مفعولى يهديهم على تقدير كون المهدى اليه مايريدونه فى الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسدد هم

للاستقامة

للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب والجنة وقوله تجرى من تحتهم الانهار مجاز بحوى التقرير والبيان
فان التمسك بحبل السعادة فى حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقايق البديعة بحسب القوة العلمية
كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم فى جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منادومن الانهار
او متعلق بتجرى او بيهدى فالمراد بالهدى اليها امامنازلهم فى الجنة او مايريدونه فيها دعواهم اى دعاؤهم
وهو مبتدء وقوله تع فيها متعلق به وقوله تع سبحانك اللهم خبره اى دعاؤهم هذا الكلام وهو
معمول المقدر لابحسب ظاهره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما يعاينوا فيها من تعاجيب اثار
قدرته تع ونتايج رحمته ورأفته مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تع
عن شوايب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية الكائنة بالحالة
الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اى ايحيى بعضهم بعضا او تحية الملئكة اياهم كما فى قوله تع والملئكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما فى قوله تع سلام قولا من رب رحيم سلام اى سلامة من كل
مكروه واخر دعواهم اى خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل
بصفات الاكرام اثر نعته تع بصفات الجلال اى دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب ترغب حتى ينظموه فى سلك
الدعاء وان هى المخففة من الثقيلة اصله انه الحمد لله فخذف ضمير الشان كما فى قوله ان ذاك كل من يحنى و
ينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته
للتوسل الى تتميم الحكاية بالتحميد بتذكار ما ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع
ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم
حياهم الملئكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات اوحياهم بذلك ربهم عز وجل ثم ختموا
كلامهم بالثناء عليه بما اضافة الآخر الى ضميرهم وقد جوز ان يكون المراد العبادة كما فى قوله تع واعتزلكم وما تدعون
من دون الله وان لاتكليف فى الجنة اى ماعبادتهم الا ان يستجيبوا ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه
فينطلقون به تلذذا ولايشاقه بتعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس الخ الذين لايرجون لقاء الله تع لانكارهم
البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشيرالى بعض من عظايم معاصيهم المنقرعة على ذلك وهو استعجالهم
بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لان تعجيل الخير لهم ليس دايرا على وصفهم
المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اى لو يعجل الله لهم الشر الذى كانوا يستعجلون به فانهم
كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك
وقوله تع استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهى وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستحال
فى جانب المشبه كاعتبار التعجيل فى جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تع لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس
تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ماحذف
تعويلا على دلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لادى اليهم الاجل الذى عين لعذابهم وامهلوا واهلكوا بالمرة
وما امهلوا طرفة عين وفى ابناء صيغة المبنى للمفعول جرى على سنن الكبراء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ
على البناء للفاعل كما فى قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة
ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة استغراق
استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق فى موضعه واعلم ان مدار الافادة فى
الشرطية ان يكون التالى امرا للمقدم فى نفسه مترتبا عليه فى الوجود كما فى قوله عز وجل لو يطيعكم فى كثير من الامر
لعنتم فان العنت اى الوقوع فى المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها فى الوجود
او يكون فوذا كما ملا من افراده ممتازا عن البقية بامر يخصه كما فى الاجوبة المحذوفة فى مثل قوله تع ولو ترى اذ وقفوا

على ربهم وقوله تع ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تع ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اى لرايت امرا فظيعا او نحو ذلك كما فى قوله تع ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستيصال فانه فوق كل ما يدل من افراد مطلق المواخذة وقد عبر عنه بالامر فيدل عليه فى الدلالة على الشدة و الفظاعة فحسن موقعه فى معرض التالى للمؤاخذة المطلقة واما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير للتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزء تابع له من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس فى مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون فى ترتيبه عليه وجود او عدم مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فاطبق لان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما فى قوله تع لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى لو يريد مواخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المواخذة او جزئى من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس فى بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة فى بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا فى ترتيب التالى على ارادة المقدم ما ليس فى ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تع المبنية على الحكم البالغة فذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد فى الوعيد وهو عطف على مقدر ترتبت عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنذرهم امهالا واستدراجا فى طغيانهم الذى هو عدم رجاء اللقاء والانكار للبعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون يترددون ويتحيرون فى وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما فى حيز الصلة واشعار بعلية للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اى اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدايد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما فى قوله تع يخرون للاذقان اى دعانا كائنا على جنبه اى مضطجعا او قاعدا او قائما ان فى جميع الاحوال مما ذكر ومما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا فى جميع احواله مرضه على انه المراد بالضر حاضة مضطجعا عاجزا عن التعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع المشى فلما كشفنا عنه ضره الذى مسه بغيا دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر اى مضى واستمر على طريقته التى كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسى حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما فى قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية فى محل النصب على الحالية من فاعل قراى مر مشبها عن لم يدعنا الى ضر اى الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتى وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف متحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه التى ما لا يكاد يترك فى لغة العرب ولا فى غيرها ومن ذلك قولهم شتان ما بين زيد وعمرو اى افترقا افتراقا لا يخفى ما بينهما من التباين وقولهم شتان ما هو والكرى اى بعد ما بينهما وقولهم شتان ما هو اليحموم اى بعد ما بينهما فى اللون زين للمسرفين اى للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الاسراف مجاوزة الحد فى كل ما يفعل او يترك من الامور المحمودة كالانفاق والاعطاء والعفو والمشاعر ليعم نحو ما ذكر وما يتعلق بالاموال كما فى قوله تع انا اعطاهم القوى والمشاعر ليعم نحو ما ذكر وما يستعملونها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغى وهى رؤس اموالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا وقد يزين اما من جهة الله تع على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك فى الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث ان فى كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الاخذ من الشر المقدر فى الاولى ومن الضر المقرر فى الاخرى ولقد اهلكنا القرون اى القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن قوله تع من قبلكم متعلق باهلكنا اى اهلكنا من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة فى تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمى لما ظلموا ظرف للاهلاك اى اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادى فى الغى والضلال من غير تاخير وقوله تع وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تع بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم والمعنى ان ظلمهم فى الظلم وتمادیهم فى المكابرة ان ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم واتصالها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون للعطف على ظلموا فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا فى التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى كما فى قوله تع ورفع ابويه على العرش وخروا له الخ بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تع وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده لان اللام لتاكيد النفى اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تع اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثانى عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجرى مجرى مصدره التشبيهى اعنى قوله تع كذلك فان اجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اى مثل ذلك الجزاء الفظيع اى الاهلاك الشديد الذى هو الاستيصال بالمرة نجزى القوم المجرمين اى كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك الهالكين فى اجرامهم واجزائهم التى من تكذيب الرسول عليه السلام والاصرار عليه وتقرير المضمون ما سبق من قوله تع ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام فى الاجرام وباباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم فانه صريح فى انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادى احوالهم لا حتما ركيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمرارهم بخوا الايمان والطاعة فحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم بيت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم فى الارض بعد اهلاك اولئك القرون التى تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اى لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهى استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اى اى عمل او على الحالية اى على اى حال تعملون اعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا فعليه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاحسن من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان يصدر عنهم لا سيما بعد ما عاينوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن ان ينظم ظهورها فى سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اى اى عمل تعملون خيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون فى كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر فى جزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راى القائل بل يكون حينئذ مستعارة لمعنى اى شئ واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كذلك من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتى حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة للتشريف المضاف والترغيب فى الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة بنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانية للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالى وللايذان بان كلامهم فى نفس المتلو دون التالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما فى حيز الصلة للاعظمية المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه تع يوم اللقاء لانكارهم له ولما

هو من مبادیه من البعث ونحوه لهم بذلک ای قالوا لمن یتلو ما علیهم وهو رسول الله صلی الله علیه وسلم وانما
لم یذکر ایذانا بتعینه ایت بقران غیر هذا اشاروا بهذا الی القران المشتمل علی تلک الایات لا الی نفسها قصدا
قصدا الی احراج الکل من البیان ای ایت بکتاب آخر تقرؤه لیس فیه ما یستبعده من البعث والحساب والجزاء
او ما کرهه من ذم آلهتنا ومعایبها والوعید علی عبادتها او بدله بتغییر ترتیبه بان تجعل مکان الآیة المشتملة
علی ذلک آیة اخری هادیة عنها وانما قالوه کیدا وطمعا فی المساعدة لیتوسلوا به الی الالزام والاستهزاء به
قل لهم ما یکون لی ای ما یصح وما یستقیم لی ولا یمکننی اصلا ان ابدله من تلقاء نفسی ای من قبل
وهو مصدر استعمل ظرفا وقری بفتح التاء وقصر الجواب ببیان امتناع ما اقترحوه علی اقتراحهم الثانی للایذان بان
استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحیث لا حاجة الی بیانه اوان التعدی لذلک مع کونه ضنا بما یعد
من قبیل المجاراة مع السفهاء اذ لا یصدر مثل ذلک الاقتراح عن العقلاء ولان ما یدل علی استحالة الثانی دل
علی استحالة الاول بالطریق الاولی ان اتبع ای ما اتبع فی شیء ما آتی واذر الا ما یوحی الی
من غیر تغییر لی فی شیء اصلا علی معنی قصر حاله علیه السلام علی اتباع ما یوحی الیه لا قصر اتباعه علی ما یوحی الیه کما
هو المتبادر من ظاهر العبارة کانه قیل ما افعل الا اتباع ما یوحی الی وقد مر تحقیق المقام فی سورة الانعام
وهو تعلیل لصدر الکلام فانه من شانه اتباع الوحی علی ما هو علیه لا یستبد بشیء دونه قطعا وفیه جواب
للمتقترحین ببعض الایات بعینه ورد لما عرضوا به علیه السلام بهذا السؤال من ان القرآن کلامه علیه السلام
ولذلک قید التبدیل فی الجواب بقوله من تلقاء نفسی وسماه عصیانا عظیما مستتبعا لعذاب عظیم بقوله تع
انی اخاف ان عصیت ربی عذاب یوم عظیم فانه تعلیل للمنفی ما قبله من امتناع التبدیل واقتصاره علیه
علی اتباع الوحی ای اخاف ان عصیته تع بتبعا علی ما لیس لی من التبدیل من تلقاء نفسی والاعراض عن اتباع
الوحی عذاب یوم عظیم هو یوم القیمة ویوم اللقاء الذی لا یرجونه وفیه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح
والتعرض لعنوان الربوبیة مع الاضافة الی ضمیره علیه السلام لتهویل امر العصیان واظهار کمال نزاهته علیه السلام
عنه وایراد الیوم بالتنوین للتفخیم ووصفه بالعظم لتهویل ما فیه من العذاب وتظلیعه ولا مساغ لحمل مقترحهم علی
التبدیل والاتیان بقران آخر من جهة الوحی بتغییر قوله تع ما یکون لی ان ابدله من تلقاء نفسی بانه لا یتسهل
لی ان ابدله بالاستدعاء من جهة الوحی ما اتبع الا ما یوحی الی من غیر صنع ما من الاستدعاء وغیره من قبل لانه
یرده التعلیل المذکور لکن لا لان المقترح حینئذ لیس فیه معصیة اصلا کما توهم فان استدعاء تبدیل الایات
النازلة حسبما یقتضیه الحکمة التشریعیة بعضها ببعض لا سیما بموجب اقتراح الکفرة مما لا ریب فی کونه معصیة
بل لانه لیس فیه معصیة الافتراء مع انها المقصودة بالذکر فی التعلیل الاتری الی ما بعده من الآیتین الکریمتین فانه
صریح فی ان مقترحهم الاتیان بغیر القرآن وتبدیله بطریق الافتراء وان زعمهم الاصل ایضا کذلک وقوله عز وجل
قل لو شاء الله ما تلوته علیکم تحقیق لحقیة القرآن وکونه من عند الله اثر بیان بطلان ما اقترحوا الاتیان به
واستحالة عبادة ودلالة وانما صدر بالامر المستقبل مع کونه واخلا تحت الامر السابق اظهارا لکمال الاعتناء
بشانه وایذانا باستقلاله منهوما واسلوبا خاصة برهان دال علی کونه بامر الله تع ومشیته کما سیاتی وسابق مجرد
اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ینبئ عنه الجزاء لا غیر ذلک کما قیل فان مفعول المشیة انما
یحذف اذا وقعت شرطا وکان مفعوله مضمون الجزاء ولم یکن فی تعلقها به غرابة کما فی قوله ولو شئت ان ابکی
دما لبکیته حیث لم یحذف لفقدان الشرط الاخیر ودلالة المستلزم للجزاء عن عدم تلاوته للقرآن علیهم انما هو مشیة
تع لا مشیة لغیر القرآن والمعنی ان الامر کله منوط بمشیته تع ولیس لی منه شیء قط ولو شاء عدم تلاوتی
علیکم لابان شاء عدم تلاوتی له من تلقاء نفسی بل بان لم ینزله علی ولم یامرنی بتلاوته کما ینبئ عنه اتیانه بالتلاوة
علی القراءة ما تلوته علیکم ولا ادریکم به ای ولا اعلمکم به بواسطتی والتالی وهو عدم التلاوة والارادة

منتف

منتف فینتفی المقدم اعنی مشیة عدم التلاوة ولا یخفی انها مستلزم لعدم التلاوة وقطعا فانتفاؤها مستلزم لا
نتفائه حتما وانتفاء عدم مشیة التلاوة انما یکون بتحقق مشیة التلاوة فثبت ان تلاوته علیه السلام للقران بمشیته
تع واخری واقعا فانتفاء عدم الادراء بکونه بواسطته علیه السلام لان عدم الاعلام مطلقا لیس من لوازم الشرط الذی هو مشیة
عدم تلاوته علیه السلام فلا یجوز نظمه فی سلک الجزاء وفی انتفاء عدم الادراء الیدل تع المبنی عن استناد الادراء الیه
تع ایذان بان لا دخل لإرادته علیه السلام فی ذلک جسما یقتضیه المقام وتقری ولا ادراکم وادراکم بالنصرة فیهما علی لغة من
یقول اعطات وارضات فی اعطیت ورضیت او علی انه من الدرء بمعنی الدفع ای ولا جعلکم تتلاوته علیکم خصما
تدرؤنی بالجدل وتقری ولانذرتکم به وتقری لادرأکم بلام الجواب ای لو شاء الله ما تلوته علیکم انا ولا اعلمکم به علی
لسانی غیری علی معنی انه الحق الذی لا محیص عنه لو لم ارسل به غیری البتة او علی انه تع یمن علی من یشاء فخصنی
بهذه الکرامة فقد لبثت فیکم عمرا تعلیل للملازمة المستفادة کون تلاوته بمشیة الله عز وجل وامره جاء بین آلفا
لکن بطریق الاستدلال علیها بعدم تلاوته م فیما سبق بسبب مشیة تع ایاه بل بطریق الاستشهاد علیها بما تعاهد
منه علیه السلام فی تلک المدة الطویلة من الامور الدالة علی استحالة کون التلاوة من جهته علیه السلام بلا وحی
وعمرا نصب علی التشبیه بظرف الزمان والمعنی قد لبثت فیما بینکم دهرا مدیدا مقدارا اربعین سنة تحفظون
نفاصیل احوالی طرا وتحیطون بما لدی خبرا من قبله ای من قبل نزول القرآن لا اتعاطی شیئا مما یتعلق
لا من حیث فنه المعجز ولا من حیث مبناه الکاشف عن اسرار الحقایق واحکام الشرایع افلا تعقلون
ای الا تلاحظون ذلک فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلی ووجوب کونه منزلا من عند الله العزیز الحکیم فانه غیر
خاف علی من له عقل سلیم والحق الذی لا محید عنه ان من له ادنی مسکة من العقل اذا تامل فی امره علیه السلام وانه
نشا فیما بینهم هذا الدهر الطویل من غیر مصاحبة العلماء فی شان ولا مراجعة الیهم فی فن من الفنون ولا محالة للبلغاء
فی المفاوضة والجدال ولا خوض منهم فی انشاء الخطب والاشعار ثم اتی بکتاب بهرت فصاحته کل فصیح فائق و
بلغت بلاغته کل بلیغ رائق علا نظمه کل منظوم ومنثور وحوی فحواه بدایع اصناف العلوم کاشف عن اسرار
الغیب من وراء استار الکون ناطق باخبار ماقد کان وما سیکون مصدق لما بین من الکتب المنزلة مهیمن علیها
فی احکامها المجملة والمفصلة لا یبقی عنده شایبة اشتباه فی انه وحی منزل من عند الله هذا هو الذی اتفقت علیه
کلمة الجمهور ولکن الانسب ببناء الجواب فیما سلف علی مجرد امتناع صدور التغییر والتبدیل عنه علیه السلام لکونه
معصیة موجبة للعذاب العظیم واقتصاره علیه السلام علی اتباع الوحی وامتناع الاستبداد بالرای من غیر
تعرض هناک ولا ههنا لکون القرآن فی نفسه اخبارا خارجة عن البشر ولا لکونه علیه السلام غیر قادر علی الاتیان بمثله
ان یستشهد ههنا علی الطلب بما یلایم ذلک من احواله المستمرة فی تلک المدة المتطاولة من کمال نزاهته علیه السلام
عما یوهم شایبة صدور الکذب والافتراء عنه فی حق احد کائنا من کان کما ینبئ عنه تعقیبه تظلیم المفتری علی الله تع
والمعنی قد لبثت فیما بین ظهرانیکم قبل الوحی لا اتعرض لاحد قط بحکم ولا جدال ولا احوم حول مقال فیه شایبة
شبهة فضلا عما فیه کذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذه شانه المتردد فی هذا العهد البعید یستحیل
ان یفتری علی الله عز وجل ویحکم علی کافة الخلق بالاوامر والنواهی الموجبة لسلب الاموال وسفک الدماء وبخو ذلک
وان ما اتی به وحی مبین تنزیل من رب العالمین وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افتری علی الله کذبا استفهام
انکاری معناه الجحدای لا احد اظلم منه علی معنی انه الظلم من کل ظالم وان کان سبک الترکیب یفید الانکار ان یکون
احد اظلم منه من غیر تعرض لانکار المساواة ونفیها فانه اذا قیل من افضل من فلان اولا اعلم منه یفهم منه
حتما انه افضل من کل فاضل واعلم من کل عالم وزیادة قوله تع کذبا مع ان الافتراء لا یکون الا کذلک للایذان
بان ما اضافوه الیه عز وعلا وحملوه علیه السلام علیه صریحا مع کونه افتراء علی الله تع کذب فی نفسه فرب
افتراء یکون کذبه فی الاسناد فقط کما اذا اسند ذنبا الی عمرو وهذا للمبالغة منه علیه السلام فی التحاذی

مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او كذب بآياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على ان جوته عليه السلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بحيث يتعين امره ونهي فلا مجال لحمل الافتراء باتخاذ الولد والشريك اى واذا كان كذلك فمن افترى عليه تع بان يختلف كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض آياته تع ببعض كما يجوزون ذلك في شانى وكذلك من كذب بآياته تع تنطعوا اظلم من ظل ظالم انه الضمير للشان وقع اعلان والخبر ما يعقبه من الجملة وبدار وضعه اذ دعاء شهرته المغنية عن ذكره فايذه تصدير ما به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الغير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن وكانه قيل ان الشان هذا اى لا يفلح المجرمون اى لا يخون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفترى والكذب بآياته اولا وليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها جناية تهم الاولى معطوفة على قوله تع واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحل النصب على الحالية من فاعله اى يجاوزين الله سبحانه وتع لا بمعنى تركك عبادته تع بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا للعبادة الاصنام كما ينصح عنه سياق النظم الكريم مالا يضرهم ولا ينفعهم ان لبس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما هو موصوفة او تقديم نفي الضرر لان ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضرر بخلاف عدم تعذيب الاصنام على الفور لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لانهم ان تركوا عبادتها لا تنفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة يشفع لى اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولى لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم لتعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الآله الاعظم مشتغلا بعبودية وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا لها تمثالات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم وآبائهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تع قل تكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اى اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تع اذ لو لاه لعلم علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تع في السموات ولا في الارض حال من العايد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي اى ان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة المقول المأمور به وقيل الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتع وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعتها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة وما حمل انخادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على من كان منهم من الاتباع والاصرار فيما لا احتمال له اى وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس عليه السلام وقيل الى زمن نوح عليه السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله تع من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عليه السلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام خالطوا بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكى

عنهم

عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لان كلا منهما احدث ملة على حدة من حال الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل ح فلا يتصوران يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا بنافي امتداد زمان الاتفاق او المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب لصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم وبتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتميز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تع ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والتمايلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه اراد وا آية من الآيات التي اقترحوها كانهم لغرطهم العتو والعناد وغاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه ص من جنس الآيات اقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليهم من الآيات الباهرة والمجزات المكاثرات ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلمتم اياكم تنزل من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله انى معكم من المنتظرين اى ما يفعل الله بكم لاجراكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة باباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تع واذا اذقنا الناس رحمة وسعة من بعد ضراء مستهم اى حالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تع واذا مرضت فهو يشفين ونظايره وقيل سلط الله تع على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم فاخصبوا فطفقوا يطعنون في آياته تع ويعادون رسوله عليه السلام ويكيدونه وذلك قوله تع اذا لهم مكر في آياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى اجل عقوبة اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا وذكرا ان رسلنا اى الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تع لاسرعية مكره تع غير داخل في الكلام الملقن كقوله تع ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لا يمكرون من مبادي بطلان مكرهم ويخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتكوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون ح تعليلا لما ذكر اولا هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر انفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من التسير تمكينا مستمرا عند الملابسة به وقبلها في البر متعلق بيسيركم اى في مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر وهو قوله عز وعلا تنتشرون والبحر اذا كنتم في الفلك اى السفن فان جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية تمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون بالة تام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى السفن بهم بالذين منها والالتفات الى الغيبة للايذان بمالهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم

يجيئهم منها ويستدعى منهم الانكار والتعجيب وقيل ليس فيها للتعقيب بل معنى قولهم حتى اذا كنتم فى الفلك اذا كان شأنكم
فيها اذا الخطاب للكل ومنهم السيرون فى البر فالغير الغايب عايدال ذلك المحذوف المقدر كما فى قولهم او كظلمات فى بحر لجى
يغشاه اى او كذى ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة للمقصد ونحو هذا بذلك الريح
لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف خالف
لها فان الهبوب على وفقها لا يستتبع مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر
لاستلزامه للثانى من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة
مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التاويل فى بيان استيلائها على ما فوهوا به وعلقوا به
حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اى ذات عطف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح
قد يذكر وجاءهم الموج فى الفلك من كل مكان اى من امكنة مجئ الموج عادة وللبعد فى مجيئه من جميع الجوانب
ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غير ما يحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط
بهم اى هلكوا فان ذلك مثل فى الهلاك واصل الحاطة العدو وباطى اوسدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله
بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا حينئذ
دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لاخلاصهم للدعاء به فقط بل للعبادة
ايضا فانهم بحرد وتخصيص الدعاء به تع لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطية للقسم على ارادة
القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين
لتلك النعمة التى من جملتها هذه النعمة المسئولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى
لاستدعاء الثانى لاقتصار دعائهم على ذلك فقط لكونهم من الشاكرين من المبالغة فى الدلالة على كونهم
ثابتين فى الشكر مثابرين عليه منتظمين فى سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه مما ليس فى ان يقال لنشكرن
فلما انجاهم تماديهم من الكرة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون فى الارض اى فاجؤا
الفساد فيها وسارعوا اليه متراقين فى ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود والعبث من قولهم بغى الجرح اذا
تزايى فى الفساد وزيادة فى الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
والاستمرار وقوله تع بغير الحق تاكيد لما يفيده البغى او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك
ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما فى قوله تع ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغى
بحق كتخريب الغزاة وباد الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لا بتناءه على كون
البغى بمعنى افساد صورة الشئ وابطال منفعة دون ما ذكر من المعنى اللايق بمجال اللفظ يا ايها الناس
توجيه الخطاب الى اولئك الباغين للتشديد فى التهديد والمبالغة فى الوعيد انما بغيكم الذى تتعاطونه وهو
مبتدا وقوله تع على انفسكم خبره اى عليكم فى الحقيقة لانه على الذين يتبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تع
متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دايم الوبال ونصب
على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع
الحال اى تتمتعون بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذى فى الجار للانفس البغى لانه يؤدى الى المفعول بان
المصدر ومعموله بالجر والخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس فى تقييد كون بغيهم على انفسهم
بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان مخدوف مضاف اى زمن متاع الحيوة الدنيا ونصبه
بما بعده وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغى بمعنى
الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى
عنهم من البغى المفسر بالافساد المفرط اللايق بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغى بمعنى الطلب وجعل الاول

ايضا

ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل
ما ذكر من الاستقرار وفيدان المعلل بما ذكر نفس البغى لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى
تبغون لاجل الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو
متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة
الدنيا محذورا وادظاهر الفساد او نحو ذلك وفيه ما فيه من ابتناء على ما لا يليق بالمقام من كون البغى بمعنى الطلب
ثم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان
له وجه فى الجملة لكن الحق الذى يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف
صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتداء محذوف اى هو متاع الخ كما فى قوله عز وجل الاساعة من نهار بلاغ اى هذا بلاغ
فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشقيقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ابتاء المتمع
المذكور على حقوقهم وللاجمال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس ثابتا عند هم حسبما يقتضيه ما حكى
عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصودا الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح
فى كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادى ثبوته للمبتداء كما هو المتبادر من السوق واما كون البغى على ابناء الجنس
فمعلوم الثبوت عندهم وتضمن لمبادى التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على الوجهين
الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان للمبتداء اما نفس البغى او الغير العايد اليه من حيث هو لا من حيث
كونه وبالا عليهم كما فى صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحيوة الدنيا اما بنصب متاعا على مامر
واما بنصب الحيوة على ان الاول بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا ان لم يكن انتصابه على المصدرية
لان المصدر المؤكد لا يعمل عن البغى عليه السلام انه قال لا تمكروا ولا تبغوا ناكثا وكان بتبوكا وقال محمد بن كعب من كثث فيه
اى عليه البغى والنكث والمكر قال تع انما بغيكم على انفسكم ومايمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم والعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى
الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضه لو بغى جبل على جبل لدك الباغى ثم الينا مرجعكم عطف على قام
من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية
مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات فننبئكم بما كنتم تعملون فى الدنيا على الاستمرار من البغى وغيره وعيد
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سا جرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وسر ان كل ما يظهر
فى هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورة الحقيقة التى بها يظهر فى النشاة
الاخرة فان المعاصى مثلا سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات كونها
احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
فالبغى فى هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم من حيث اخذ المال و
التشفى من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع فى الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم
ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغى بصورة الحقيقة المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة
والمراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شان الحيوة
الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظم لغرابتها
فى سلك الامثال فى سرعة تقضيها وانصرام نعيمها عقب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع
النبات فى زوال رونقها ونضارتها بفجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثرا صلا بعد ما كانت غضة طرية فالباء
التى بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتموت بعد خضرتها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت
من الجوايح وليس المشبه بما دخل الكاف فى قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض

بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه تماثيا كل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا
اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزيينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة
الموقعة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزينة فتزينت بها وازينت
اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازّينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة و
ازدانت كما يباشر وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا
جواب اذا اي ضرب زرعها ما يحتاج من الافات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وسائر
ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كانه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة
وقرئ بتذكير الفعل بالامس اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك
اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الايات اي الايات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال
الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في قضاياها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها
بهم لانهم المنتفعون بها وجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وتفصيلها
تصريفها على الترتيب المحكم ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة
الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن
الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة من كل مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا
الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات والى دار الله تع وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم
الكريم للتنبيه على ذلك والى دار السلام الله تع او الملئكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من
يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
اي الخائفين اي عملوا على الوجه اللائق وهو حسنها الموصف الملتزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى وزيادة
اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا تع ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله تع ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء
ولا يرهق وجوههم اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا
يرتهقهم ما يرتهق اهل النار اولا يرتهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منها والجملة مستانفة
لبيان انهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتفى الاول الا انه ذكرا ذكارا بما يتقدمهم
الله تع برحمته وتقديم المنفول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الزهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى
المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده عليها يتمكن عندما فضل تمكن ولان في الفاعل ضربا
تفصيل كما في قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الحيوة الطيبة الفائزون بالمثوبات الناجون عن
المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال ويأتون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات
اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تع جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا
السيئات الا يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك للمراعاة ما بين
الفريقين من كمال التباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وسبب جنايتهم
على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها

كذلك

كذلك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دليل على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة اي ذلة كما ينبئ عنه
التنوين التنحيسي وفي اسناد الوحي الى نفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ بها تهم
بالياء التحتانية مالهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تع وعذابه او مالهم من عنده تع من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل كسفا سوادا وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعا وهو
موصوف بالظلم والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او حين الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء
وهو طائفة من الليل قال افتح الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة لقطعا او حالا
منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون
بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الاية الكريمة في حق الكفار شابه السياق
والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستانف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره
في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا لايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولورود على الترتيب
الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي اذكر لهم او ذكرهم
وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تع جميعا ومن اوزاد
الفريق الثاني بالذكر في قوله تع ثم نقول للذين اشركوا اي نقول المشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على
رؤس الاشهاد اقطع والاجنار بحشر الكل في تاويل اليوم وخص وصف اشراكهم بالذكر في تبيين الصلة من بين
سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جنايا تهم وعمدة بلياتهم
وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لاذكر آنفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف
لفعل اتم مقامه للامن اسم فعل وحركة حركة بناء كما هو راي الفارسي او الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم
تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله المستكن مستده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو في معنى مع
فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته والتضعيف للتكثير او للتعدية وقرئ فزايلنا بمعنى نحو كلمته
وكالمته وهو معطوف على نقول واتيا بصيغة الماضي للدلالة على التحقق لوروده لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة
على وقوع التزيل وبادرة عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة
اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكون لا من الجانبين بل من جانب العبدة
فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجئ فثبت آلهتهم وانفرست عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من
حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت او الابتلاء بالعذاب لكن هذه
المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد
الجمع في الموقف وتبرئ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تع انما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا
قالوا وح في قوله تع وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لاعاطفة كما في
الاول لاستدعاء المحاورة الحاضرة الفائية بالمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان
ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة
حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا
وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة
ولو سلم تاخر جميع مراتبه عن المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان يكون حالية
على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملئكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم نفيه تابيد لرجوع
الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم ما عبدوا في الحقيقة الا اهواءهم

وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونكم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام
ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها نكفي بالله شهيدا بيننا
وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال
الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملئكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع
احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم بأشراكهم مما لاريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على
ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على
استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس من نفوس كانت او كافرة سعيدة
او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستبتعا لاثاره من نفع او ضر وخير او شر ولما عملت من اجلها
من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ او مرتجل وقرئ بنلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي تعاملها
معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختيار ما اسلفت من العمل وبجوز ان يراد نصيب البلاء
اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلوا اي تتبع لان عملها
هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا
الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلوا الخ اعتراض في اثناء الحكاية
مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لاما يتخذونه
ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي
ظهر ضياعه وضلاله لانه قبل ذلك غير ضال او وضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع
لهم او ما كانوا يدعون انها الهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس الدال عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا
وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان اثبات صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون
على طريقة الاجماع لا يلايمه التعرض لوصف الحقية في قوله تع مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردود بين حسما لاشره
اليه ولئن اكتفى فيه بالتعريض تبعيضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم
ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلثة للمشركين فيلزم التفكيك صما وتخصيص
كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله اعلم قل اي لاولئك المشركين
الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدون اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من
يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل بأسبابه سماوية ومواد ارضية او من كل
واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من بيان لكلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك
السمع والابصار ام منقطعة وما بينها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال
بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عند الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما
وتسويتهما على هذه الغطرة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبها
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت ومن يشئ الحيوان من النطفة
والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج
من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تاخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه
والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة
للانكار بعدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في تضرب ابيك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابى والفاء للعطف
على مقدر ينجاب عليه النظم الكريم اي اتثبتون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكرتم بما تتعاطونه من شركم
به مما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اي ذلكم الذي اعرفتم باتصافه

بالنعوت المذكورة وهو مبتداء وقوله تع الله خبره وقوله تع ربكم اي مالككم ومتولي امورهم على الاطلاق بيان
او بيان له وقوله تع الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمستحق الوهيته تحقيقا لا ريب فيه فماذا يجوز ان
يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على وجه الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي بعد الحق
اي غيره بطريق الاستعارة وانظارا الحق اما لان المراد به قبل الاول واما لمزيد التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه
وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد
فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة من ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا
واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي جهد
على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لعبادتها
والمعنى فاذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كأنه
نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تع وصل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون
استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل
لان كل موجود لابد ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده
على الطريق البرهاني كما قرر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون عن الحق الذي لا محيد عنه وهو
التوحيد الى الضلال عن السبيل المتبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام اذ من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته
الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الاخرة وفي اثناء صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق
الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما
حقت الربوبية للحق تع او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه و
قضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وجاوزوا من قص حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل
لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك
باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه
وتع والمقام يعطف على ما قبله ايذانا باستقلال في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت
جملة الاعادة وتحققها لوضوح امكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدؤا
الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعدما يستلزم الاعتراف بالاعتراف بها وان صدهم عن ذلك
ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر عليه السلام بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان يجيب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان القول المأمور به غير ما اريد
منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدؤ الخلق ثم يعيده كما في قوله تع قل من رب
السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا
عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير ثم امر عليه السلام
بان يفحمهم مقالة اذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقيام الحجر
لا مكابرة وليا جاء فتدبر واعادة الجملة في الجوانب بتمامها غير محذوفة اجزء كما في الجواب السابق لمزيد
التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون لا نك العرف والتقلب عن الشيء وتدخل بالقلب عن الراي وهو
الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون
احتجاج آخر على ما جئ به الزاما لهم وتبكيتا اثر خام وفصل مما قبله لما فيه من كون الدلالة على استقلاله
من يهدي الى الحق اي بوجوه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم
واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمحل بحثا

بمقتضى المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية ويهدى كما يستعمل بكلمة الى للتضمن معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تع حيث قيل قل الله يهدي للحق اى هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر نظيره افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء احد يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه فالمعنى فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة واذنا كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الانكار على ما سبق من تحقق هدايته تع صريحا وعدم هدايته شركائهم المفهوم مما القصور وعدم الجواب المبني عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالاكادي كما في قوله تع رضوان الله عليه وكخوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمها في الذكر لاظهارها عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما الا يرى الى قوله تع فاي الفريقين احق بالامن اثر تقدير ما يجر المشركين الى الجواب عن حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي المجرد لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق الخ وامّا بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اى بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدي بغيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تع لا الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملئكة والمسيح وعزير وغيرهم وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان ينتقل اليه الا ان ينقله الله تع من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اى اى شئ لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتع والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم وقوله تع كيف تحكمون اى بما يقتضي صريح العقل ببطلانه انكارا لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع عليهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جواب الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم لبسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتع بل باستحقاقها جميعا ورجحان جانبه تع حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تع للاتباع وطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تع لذلك بطريق الاستدلال فعاد راجعا كين باستحقاق شركائهم له دون الله تع من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تع لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الجمهم والتهم الحجر من البرهان اثر البيان الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم ببطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فينهضوا مخوضا ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد باتباع مطلق الاعتقاد والشامل لما يناقض القبول والانقياد وما لا يفادنه وبالقصر الاشارة الى ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرط من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيتفقون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يتبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التأثر من البرهان

المزبور والا لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عنادا من الفريق الاول لا يقدح فيما نحن فيه من فحوى الكلام عرفا من كونهم اولئك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعناد او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حمهوا الاذعان والانقياد والتصرف باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة الكل لهم في ذلك التنويع بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما يأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتامل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء وبجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اذ ابا او قرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان رد حكم القرآن الكريم اثر بيان رد هم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اى وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما يكسب الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اى افتراء من الخلق اى مفترى منهم من المصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها اى معجزة قالها كيف لا وهو لكونه معجزا وتبيانا عيار عليها شاهد بصحتها ونصبانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن ما نزل الا تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتداء اى ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اى وتفصيل ما كتب واثبت من الحقايق والشرايع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اى منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين جر آخر اى كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه وسياق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه ام بل ايقولون افتراه محمد والمرة للانكار الواقع واستبعاد ما قيل تبكيت الهم واظهار لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله اى في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشتمالكم في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اى بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة من الهتكم التي تزعمون انها عمدة لكم في المهمات وملجأ لكم في الملمات ومدار رجائكم الذين تجادلون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا او بدون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تع وادعوا شهداءكم من دون الله اى ادعوا سواه تع من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تع وكونهم في عداوته المغالبة والمشاقة لا لبيان استبداده تع بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تع لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اى في ان افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لعدم تكذيبكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا اضراب وانتقال عن انكار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى تظهاره ببيان انه كلام ناش عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله لا مما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما لا يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اى ادعوا الى تكذيبه آثروا من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف

انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون لنظر يقدر على الخلق والتغيير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا بامر غير الا يحيطوا بعلمه او نحو ذلك لان ان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما فى حيز الصلة له ولما يأتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اى ولم يتفوا بعد علمهم تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المبنية عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد اجتزؤا بتكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ولم يتفكروا فى معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفى اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على توقع ما نفى بنفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الزم وتشديد التشنيع فان الشناعة فى تكذيب الشئ قبل علم المتوقع اتيانه اخس منها فى تكذيبه قبل علم مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع ثم يتعاطوا ما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه ولا فلا تعرض له نفيا والاستمرار عليه بعد انقطاع الذم او اوعاد ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر نا شئ عن عدم التدبر خفة بزكيف لا وهم لم يقولوه بعد التدبر بل قبله وادعاء كونه مبنيا على التدبر من المواد وفى سورة البقرة يردوه انما هذه ثمانية وهذه ثمانية والذى يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وفى قوله تع كذلك الخ ومنهم الخ الهم المحكى وبيان لما يؤدى اليه من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبنى على عدم التدبر والتامل والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اى فعلوا التكذيب او كذبوا من المجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بان يكون التكذيب ظلما وبعلية لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة ودخول هؤلاء الظالمين فى زمرتهم جزما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الخ وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشئ من غير العلم به واشتراك الكل فى التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افادة قوله تع بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة ببطلانه واتيان تاويله وظهور حقيقته بعد ما سعوا فى المعارضة وبارزوا فوادهم فنهيا فتضاءلت دونها وبعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم بمعزل عن الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقى اى يسوء من به ويتوب من الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثانى الى انهم سيتبعون الحق كاثر ومنهم من لا يؤمن به اى لا يصدق به فى نفسه كما لا يصدق به ظاهر لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبئ عن ان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين ابدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على تفسير الاول او لا يؤمن به فيما سياتى بل يموت على كفره معاندا كان اوشاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثانى من غير اذعان الحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اى بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما فى اصل الافساد والمستدعى لاشتراكهما فى الوعيد وبالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثانى من المعاندين وشاكين وان كذبوك اى ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الاتمام الحجة بالتحدى فقل لى عملى ولكم عملكم اى تبرا منكم فقد اعذرت كقوله تع فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة كمال المقابلة

انتم بريئون

انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا تؤاخذون بعملى ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم واناجمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما انفرد فيما سيأتى محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف ان استماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرايع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية فالفاء عاطفة ليس بينهما الا ترتيب انكارا لان سماع على الاستماع كما هو ذاك سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر فى موضعه بل للانكار ترتبه عليه جسما هو المعتاد ولكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لانه حينئذ الى احتمال المعنى انه حاصلة او صفة وايا ما كان فالعطف عليه يستدعى دخول المعطوف فى حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب فى فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من نحو الكلام كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمع الاكنا لا تستمع الصم فانه امر محقق بل انكار الوقوع الاستماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل انبا لا مكانه ايضا كما ينبئ عنه وصف الصم بوصف ضميرهم وهو وصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل تجاتنوس اذا وصل الى مسامعه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلايل نبوتك الواضحة افانت تهدى العمى عن العقيب ذلك انت تهديهم وانما قبل تهدى العمى تربية لانكار هدايتهم وايذانا بان الوقوع فى مرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اى ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتخلل لما لا يدركه البصير الاحمق فيحكم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو فى الجملتين محذوف لدلالة قوله تع تسمع الصم وتهدى العمى عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لما فى النحوى كلتاهما فى موضع الحال من مفعول الفعل السابق اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدى العمى لو كانوا لا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام فى قوله تع ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان حكمهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى ساحة عز وجل من خلقهم مؤد الى المشاعر وكذلك بل انما هو من قبلهم اى لا ينقصهم شيئا مما يظهر به مصالحهم الدينية والدنيوية وكما انهم الاولوية والاخروية من مبادى ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والكشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشئ اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تعيين وتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اى ينقصون ما يتعلق بهم من مبادى كمالهم وذرايع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن ظلمهم بالنقص مع كونه تنويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينه وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل فى قولك ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فى قصر الظالمية عليهم وانما منصوب ليظلمون حسبما وقع فى سائر المواضع وتقديمه عليه للحصر والاهتمام بمراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله سبحانه وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راى من يراه موجبا له فلعل اختيار قصر ما دون قصر الظالمية

عليهم للمبالغة فى بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لان قبح الامرين عندنا تحاد الفاعل والمفعول واشتراكهما
انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو الظلمية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم يستلزم
لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم ان لا يكلم الا انفسنا اذ لو
ظلم غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احدا الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثانى مع
رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع لاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفى اذا دخل على المضارع يفيد بحسب
المقام استمرار النفى لا استمرار الابى ان قولك ما زيد اضرب عمرا يدل على اختصاص النفى لا على نفى الاختصاص وسيأتى
الآية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع للنفى للاستقبال والثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم
بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب
عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق ويوم نحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون
على الالتفات اى اذكرهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا ان كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى شيئا
قليلا من ساعاته فانها مثل فى غاية القلة وتحصيرها بالزمان لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة فى موضع الحال
من ضمير المفعول اى نحشرهم مشبهين فى احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث فى الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها الا ذلك
القدر اليسير فان من اقام بجا وبر وتمتع بمتاعها لا يخلو اعن بعض اثار نعمة واحكام بهجة صافية لما بهم من دناءة الهيئة
وسوء الحال او بمن لم يلبث فى البرزخ الا ذلك المقدار فغاية التقييد بيان كمال التحسر بالنسبة الى قدر تروح و
لو بعد دهر طويل واتحادها بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون ونحوه ذلك
او بيان تمام الموافقة بين النشاتين فى الاشكال والصور فان قلة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدل
والتغير فيكون قوله تعالى يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد يتقلب تناكرا او على
الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك لما خوا من التبور اذهم حين بعثوا
كانوا عليه من الحيثية المتعارفة بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وقع
على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار
لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعلية ما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب وبجزاء احسن
اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا فى تجاراتهم ومعاملاتهم وشتراتهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى
ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين الطرق فيها وان كان سوء المعاد والمآل
الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة وما مزيدة لتاكيد معنى الشرك ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى فبعزتك بان نظهر لك بعض الذى نعدهم
اى وعدناهم من العذاب ونجعلك فى حيوتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على
التجدد والاستمرار اى نعذبهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفى تخصيص البعض بالذكر تسلية
للعدة بارادة بعض الموعود وقدارا وه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اى كيفما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم فى الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب
للشرط الثانى كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه فى الاخرة وجواب الاول محذوف للظهور اى فذاك ثم الله شهيد
على ما يفعلون من الافعال السيئة التى حكيت منهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهى معاقبتهم
اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار الجلالة لاوخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد و
قرئ ثمة اى هناك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم
ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضى بينهم اى بين كل امة ورسولها

بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك الكذبين كقوله تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وهم لا يظلمون فى ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لان ذلك من نتايج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة
رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجئ بالنبيين والشهداء
وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار
حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين لجيئه على وجه الالزام كما فى سورة الملك ان كنتم صادقين
اى فى انه يأتينا والخطاب للرسول عليه السلام والمؤمنين الذين يعلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب
الشرط محذوف اعتمادا على تقدمه صريحا حذفا فى مثل قوله تع فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان
الاستعجال فى قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عاجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه
بواسطة ابنى عليه السلام قيل قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا اى الا قدرا على شئ منهما بوجه من الوجوه وتقديم
الضر على النفع لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه وما ذكر النفع فلتوسيع الدايرة وتكملة العجز وما وقع فى سورة الاعراف
من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى انه لا يملك شيئا من شؤنى ربا وايرادها مع ان ذلك اقرب
حصولا تكييف امكن شؤنكم حتى التعب فى اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اى و
لكن ما شاء الله كاين وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه بأن وفقنى لتحصيله بالتدرى عن ان يكون داخلا فى حيز النفى
وادخل فى اتيان الوعد فان ذلك يستدعى بيان كون الممتنع غير محالا يشاء الله ان يملكه علة للاستثناء وجعل بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسى شيئا
من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المرتبين على افعالى الاختيارية كالضر والنفع المترتبين
على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تع لكل امة اجل بيان لما ابهم فى الاستثناء وتعميم
لما فى القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضى بامرا منجزا غير متوقف على شئ غير مجئ الرسول عليه السلام
وتكذيب الامة اى لكل امة ممن قضى بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى معروف
عندهم بحسب علمه تعالى بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن مدة معينة من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر
وان اريد به ما امتد من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والعبران جعل اللام للدلول
ظيها بكل امة فاظهارها والاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها وجئ
اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة نحو ما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء كل امم اجلهم
بان جئ كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع الاضمار
لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاء اجلها الخاص بها فلا يستاخرون
عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتاخرون عنه اصلا وصيغة
الاستقبال للاشعار بجزمهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اى لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون
لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه كما تاخر لبيان المبالغة فى انتفاء التاخر نظرا فى سلك المستحيل عقلا
عقلا كما فى قوله سبحانه وتع وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا فات ظهور ان لا توبة له راسا فتنظم فى عدم قبول التوبة
فى سلك من سوفها الى حضور الموت بذاتا بتساوى وجود التوبة ح وعدمها بالمرة كما فى سورة الاعراف
وقد جوز ان يراد بمجئ الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم فى الجملة كجئ اليوم الذى ضرب لاهلاكهم ساعة معينة منه لكن
ليس فى تقييد عدم الاستيخار بدنوه مزيد فايدة وتقديم بيان انتفاء الاستيخار على بيان انتفاء
الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما فى توجه
ما تبتى من امة اجلها ولا يستاخرون من سبق السبق فى الذكر فلان المراد هناك بيان سرعة اخذ عذابهم

ح استحقاقهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل فرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاول اخراج لذلك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق وتنبيههم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجئ اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارايتم اى اخبروني ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا اى وقت بياتكم واشتغالكم بالنوم او نهارا اى عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عينت لكم من الاجل بمقتضى المشية الثابتة للحكمة كما عينت لسائر الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان آتيتك ماذا تطعمني والمجرمون متروع لموضع المضمر تأكيدا لانكار ربيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه ح اى شيء تستعجلون منه سبحانه وشيء لا يمكن استعجاله بصدد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه مخرج الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ووقوعه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا انكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه فلا ان التنزيل مشاكل صريح ومهنا ضمني كما في قوله من قال للغريم الذي يتقاضاه حقه ارايت ان اخليتك حتفك فاذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي منظور في سلك التناسي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من الانكار استحالهم به بعد اتيانه كما تحته التول الماموراى بعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا لتأخيره الى هذا الحد واينانا باستتباعه للندم والحسرة ليتفطنوا لما هم عليه من العناد ويتوجهوا الى التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق باراتيم وجواب الشرط محذوف اى تندموا على الاستعجال او تمنوا خطأه والشرطية اعتراض مقرر لفحوى الاستعجال وقيل لجواب قوله تع ثم اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتيكم عذابه اساعتم بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جئ بكلمة الترا خي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد على ان الاول كالتمهيد له وجئ باذا لتأكيد ابهامه شيء الموقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وتوبيخ الان استيناف من جهته تع غير داخل تحت القول الملتن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الان آمنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به وللتمادي والتدبر في شانه ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستهزاء به على وجه الاستهزاء وقرئ الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وتوبيخ وقد كنتم به تستعجلون اى تكذيبا واستهزاء جملة وقعت من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ وتفويع وزيادة التقديم والتحضير وتقديم الجار والمجرور على الفعل للمراعاة الفواصل دون القصر وتوبيخ ثم قيل الخ تاكيد للتوبيخ والتهاون بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الان للذين ظلموا ان وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم تعريضا للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد الموام على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ترمن الاستجال وتستبنونك الاستخبار وتطلب منك البيان على طريقة الاستهزاء والانكار احق هو اى ما وعدتنا به من العذاب المدلول عليه بما ذكر من الاستعجال او مبتدأ والضمير مرتفع بساد مسد الخبر والجملة في موضع النصب بستبنونك وقرئ الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل واهل الذي ستبنوه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم موطئا لما قصد والوبا بنيا للامر على اساس الحكمة اى وربي اى من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان بلى بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه انه اى العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد

مسبشده

حبشه تا الكافرين وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير وغيرذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون التصدق فعلا ما في الارض اى في الدنيا من خزائنها واموالها وما فوقها قاطبة بما كثرت لافتدت به اى بالجملة فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اى النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل المطلب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سلف لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة المذكر للحمل على لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اى اخفوها او لم يظهروها لكن لا لاصطبارهم والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل انهم بهتوا لما راوا العذاب اى عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال مما لم يكونوا يحتسبون فلم يقصدوا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل استراحوا وسيأتيهم من اضاليلهم حياة منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الاراشة من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل استروا الندامة لئلا يعلم اصرارهم اخلاصها اولان سر الشيء حالته حيث يخفى ويضن بها ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم استر الشيء واسره اذا اظهره حين عيل صبره وفي تجلده وقضي بينهم اى اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وهو اهل كل منهما بما يليق به بالقسط العدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اى الظالمون لا يظلمون شيئا فضلا عن هذا بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموت والارض اى ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما تمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير بكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لانه راجع الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهر الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو ما يعني الموعود ان جميع ما وعده كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله انه راجا اوليا او بمعناه المصدري اى وعده جميع ما ذكر فمعنى قوله تع حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرف التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والنهمك بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الاخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استلتم تخاطبهم وتستنزلهم الى قبول ما اتاهم عن غب تخذيرهم من غوايل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لاصالحهم وما نافعهم قد جاءتكم موعظة هي الوعظ والنطة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاثابة والترغيب وكلمة من في قوله تع من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اى موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الامم هنا تاويبا تاما وعظة في الاولى وزاجر عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء للقلوب من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقايد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد

الى الاستدلال بالدلايل المنصوبة فى الآفاق والانفس وفى مجيئه رحمة للمؤمنين حيث بجوابه من ظلمات الكفر
والضلال الى نور الايمان وخلصوا من وركات الميزان وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير فى الكل للتفخيم قل
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يفتنحوا فى محل القران من الفضل والرحمة
بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما فى محل القران من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلا فيه دخولا اوليا والباء
متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء فى رحمته للايذان باستقلالها فى استيجاب
الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فضار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثانى عليه والفاء الاولى
جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشئ فبذلك ليفرحوا لا بشئ آخر ثم ادخل الفاء الدالة على
السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد فى اسم الاشارة للدلالة على وجه درجة فضل الفتح ورحمته ويجوز ان يراد
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءكم اى جاءكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك
اى فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرئ ابى فافرحوه وعن ابن كعب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو
اى ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون
ايها الخاطبون قل ارايتم اى اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة
على ان المراد بالرزق ما جعل لهم وجعلة منه لانه مقدر فى السماء يحصل هوادما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب
سماوية من المطر والكواكب فى الانضاج والتلوين فجعلتم منه اى جعلتم بعضه حراما اى حكمتم بانه حرام وحللا
اى جعلتم بعضه حلالا اى حكمتم بجلية كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الاية وقولهم ما فى بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وبحو ذلك وتقديم المفعول المقهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل
تكرير لتاكيد الامر بالاستجبار اى اخبروني آلله اذن لكم فى ذلك الجعل فانتم فيه مستتلون لامر وقع ام على الله
ام متصل والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم تاذن لكم بل تفترون عليه فتح
فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل وللدلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل
ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار دام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والتجهيل بذلك الى
ما يفيده من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتع وتقريره وتقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر
كانه قيل بل على الله خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تع لبيان
حال ما سيفعلونه وغيره داخل تحت القول الامور به والتعبير عنهم بالموصول فى موضع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من
التهديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا بالاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه
كذبا فى اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدا وظن خبرها ومفعولاه محذوفان هو قوله عز وجل يوم
القيمة ظرف لنفس الظن اى اى شئ ظنهم فى ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقلا
بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به تحا يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور
التى ستقع يوم القيمة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره فى التقرر والتحقق منزلة الواقع محذوم اى
اى شئ ظنهم كما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا يسالون عن افترائهم ولا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا
ولاجل ذلك يتعاونون ما يتعاطون كلا انهم لئن اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا وقرئ على لفظ الماضى اى اى ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضى لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو
فضل اى عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اى جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن
والقبيح وزجرهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التى لا تستقل العقول فى ادراكها واشدهم الى ما يهمهم

من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يعرفون قوائم ومشاعرهم التى خلقت له
ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ودليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم
القيمة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فيه تنزيل لما سبق منزلة المعلوم وما تكون فى شان اى فى امر من شانه
شانه اى قصدت قصده بمعنى المفعول وما تتلوا فيه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف فى الاولى
كائنة من الشان اذ هى مسلم شئونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لتعليل
وجل ومن ابتدائية والتى فى قوله تع من قران مزيدة لتاكيد النفى او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية
على الثانى والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتدى الكل وقدروعى فى كل من المقامين
ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا
استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال المذكورة اى ما تلابسون بشئ منها فى حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء
مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اى تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة
وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضى ايضا اوثر فى الاستثناء حينئذ الى صنى
وفى الظرف كلمة اذ التى تفيد المضارع معنى الماضى وما يعزب عن ربك اى لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل
وفى التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار بالتلطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد
النفى اى ما يعزب عنه ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة او وهباء فى الارض ولا فى السماء اى فى دايرة الوجود و
ان امكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فى احدهما او متعلقا بهما او تقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها
والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تع بتفاصيلها وقوله تع ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين
كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف وعلى محل من الجار وحده الاستثناء منقطعا كانه قيل لا
يعزب عن ربك شئ ما لكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب عنه شئ منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء
متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تع شئ الا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب البين اللوح
المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه
تع مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته فى كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما فى السماء والارض وكون
الكل مثبتا فى الكتاب المبين بعد ما اشير الى نظاعة حال المفترين على الله تع يوم القيمة وما سيحيق بهم من الهول الشاق
اجمالية على طريق التهديد والتوعد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والاولى لغة القرب
والمراد باولياء الله تع خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه تع كما ينبئ عنه تفسيرهم لا خوف عليهم فى الدارين
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم بموجب ذلك لانه يعتريهم كنهم لا يخافون
ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على نشاط المسرور كيف لا واستشعار الخوف و
الخشية استلطاما لجلال الله وهيبته واستعصالا للجد والسعى فاقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص و
المقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهم كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما قصر
مرارا من ان النفى اذا دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان معتمدهم
ليس الا طاعة الله تع ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب فى حصوله ولا احتمال لفواته
بموجب الوعد بالنسبة اليه تع واما ما عداذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهى بمعزل
من الانتظام فى سلك معتمدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضررها او يحزنوا بفوات نفعها وقوله عز
وجل الذين امنوا اى بكل ما جاء من عند الله وكانوا يتقون اى يتقون انفسهم عما يحيق وقايتها عنه
من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة

الا بانهم نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبنى على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف كانه
قيل من اولئك وما سبب فوزهم تلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المقتضيين الى كل خير المنجيين
عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف لما مر ولا يقدح في ذلك توسط الخبر
بينهما لان المراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك المنافي بالايمان
عن كل اثم ثم من فعل وترك الى التنزه الانساني عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور
به في قوله تع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه مدار اطلاق الاسم
الا كذا كان حال كل من دخل معه عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا لا تملوا من عمل الا كنا عليكم شهودا خلا ان
لهم في ذلك التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم القابلة عليهم بموجب المشية
المبنية على الحكم الابدية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياسة النبوة والولاية
ولم يعقهم التعلق بعالم الاستبداع عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يشغلهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الجذاب
الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية الموجدة بالقوة القدسية فلا كرامة للولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله
تع هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله تع هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية
الله تع والدعوة اليه والباحث عنه ما قيل من انهم الذين يذكر الله تع برؤيتهم كما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم الى بعثتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون
في الله كما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي عليه السلام يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا
شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة مكانهم من الله قالوا يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال
هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن الحب والسكينة الذكرة تقتضي والتحاب
الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها
وقربها من افهام الناس قد ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك جسما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير
ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامها فاعمل الحاضرين اولا كانوا محتاجين
الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تالف قلوبهم وعطفها نحو
المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانه
ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ايراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم
الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هم
وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وعلا الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا
لتوليهم اياه تع وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة تفسير التوليه تعالى اياهم ولا شك
في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والاثبات عليها و
بشارتهم بانا رتنا ونتايجها بل محل ذلك التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود
سببه والقيد المذكور ليس بمعلوم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يفرحوا لحصول
الولاية لهم ويستبشروا بمجاز اثارها بل التوفي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم
الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير
للاولياء جيء به شرحا وبيانا لما اولاهم بما لهم من خيرات الدارين بعد بيان انجا هم من شر وشرها
ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم
في الدارين وتقديم الاول لما ان التحلية مما يسبق على التخلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال

المؤمنين

المؤمنين وسوء حال المغترين وتجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان المتابق بين
بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتغيير الاولياء مع الايذان
بان انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات
العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والعاجلة الغنية عن البيان واثبار الابهام والاجمال للايذان
بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في توقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى
حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الاخرة اي عاجلة واجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة
الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل وبجنة الناس عن ابي ذر رضي قلت يا رسول الله
الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر
والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من
الكتاب المبين وعن ابن عليه السلام هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت
النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء رضه لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تع تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة وما يروى من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقولون منها وغير ذلك
من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارة العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها
ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان
التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة
للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاختلاف
فيها بثبوتها قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تع ليس عدم التخلف
بينها وبين نتايجها الدنيوية والاخروية بل عدم التخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها وتوعيها فيما ياتي
بطريق الوعد من قوله تع لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين
هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تغيير لما لهم فيما سبق وتاتيكيد الجملة والتي قبلها اعتراض
بتحقيق المبشر به وتفخيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والتي قبلها
اعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول عليه السلام عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة
من مقالاتهم الوحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل
محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ لا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كانه قيل
لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتثاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتغوهون به في شانك
مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثر بما هو في
المرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن
الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه
وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض الاوقات نوع حزن سلي عن ذلك وقوله تع ان العزة تعليل للنهي
على طريقة الاستيناف اي ان الغلبة والقهر لله جميعا اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها
اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فنهي من جملة البشريات
العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك
ويعلم ما يضمرون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من الملئكة
والثقلين وتخصيصهم بالذكر لا يذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا

عبيده سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكه فاعدادهم من الموجودات اولى بذلك وهو ما فيه من التاكيد
لما سبق من اختصاص العزة بالله تع الموجبة لسلوة عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبقالانهم تمهيد للحق
من قوله تع وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على ابطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما
امانافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالة على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون
ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تع ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم
الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون شركاء اى ولله شركاؤهم
وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة اودلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم فساد ما بنوه عليه
من ظنهم شركاؤهم معبودين مع كونهم عبيده سبحانه واما استفهامية اى واى شئ يتبعون اى لا يتبعون
شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تع ما تعبدون الا اسماء سميتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء
فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واى شئ يتبع الذين تدعون شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا
لكونهم متبعين لله تع مطيعين له وتوبيخا على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تع اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون ولا يتبعون
ما يتبعه الملئكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويجوزون ويقدرون
انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تع بالقدرة
الكاملة والنعم الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقريرا لما سلف من كون جميع
الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكه للفحص عن اختصاص العزة به سبحانه وللجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق
فبصر حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف
يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتماد اعلى ما في الاولى والتقدير
هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما يسبح نظيره في قوله تع وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية فحذف في كل واحد من الطائفتين
ما ذكر في الاخرى اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم
ان في ذلك اى في جعل كل منهما كما وصف اوفيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة
المشار اليه وعلو رتبته لآيات اى عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اى سماع تدبر
المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الايات التكوينية الآمرة بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها
وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر مزيف آخر
من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نبوا اليه وتعجيب
من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شئ وهو علة لتنزيهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من
احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اى من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق
لما كيته تع لكل ما سواه وقوله تع ان عندكم من سلطان اى حجة بهذا اى بما ذكر من قولهم الباطل توضيح
لبطلانه بتحقيق سلامة ما يقيم من البرهان القاطع عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتاكيد النفي وهو
مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان
لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بمعنى في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم
في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتاكيد ما في قوله
تع اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة

لا دليل عليها فهي جهالة وان العقايد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان لهم سوء منقلبهم ودوام عاقبتهم ان الذين يفترون
على الله الكذب اى في كل امر فيدخل فيه ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا
اوليا لا يفلحون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وتخصيص النجاة والفوز بما يندرج في ذلك
من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لانها سبب مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في
الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يرآه الكفرة من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية
على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل عن ان يكون من جنس الفلاح كما قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم
فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا
ثم الينا مرجعهم اى بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب
كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدا المحذوف خبره اى تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم
ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه تتمتع او تنتفع به وانما عدم الاعتداء
بسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبايح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعند ذلك
باعتبار ايجاء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكروا ولا يبعد ما قيل ان المحذوف
هو الخبر اى لهم متاع والآية اما مسوقة من جهته تع سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المامور
به كما يقتضيه ظاهر قوله تع ثم الينا وقوله تع ثم نذيقهم ولما داخلة فيه على ان النبي عليه السلام مامور بنقله وحكايته
عنه عز وجل واتل عليهم اى على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما
يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبا نوح اى خبره الذي له شان
وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول
عذاب الفرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر وتنكير شدة تهويلا لها او
يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة اصلا بينهما
مع علمهم بانك لم تتمح ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه وتخصيص
العزة به تع وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي عليه السلام وحمله على عدم المبالاة
بهم وبما قالوا لهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول النبا او بدل منه بدل اشتمال وايا ما كان فالمراد بعض
بنائه عليه السلام لكل ما جرى بينه وبين قومه والام في قوله تع لقومه لتبليغ يا قوم ان كان كبر
اى عظم وشق عليكم مقامي اى نفسي كما يقال فعلة لمكان فلان اى لفلان ومنه قوله تع ولمن خاف
مقام ربه او قيامي وتكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا
يقومون على ارجلهم والجماعة قعود لينظر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط
اى وثقت على تخصيص التوكل به تع ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا
امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل للترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب
وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال تالله لاكيدن اصنامكم
الامر انفع من اجمعت عليه وقال ابو البقاء اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتوسطه انه يقول مرة افعل
كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو
بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على ضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى
الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى امر شركائكم وقيل منصوب
بفعل محذوف اى وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على امركم

الذى تريدون بى من السعى فى اهلاكى واحشروا فيه على اى وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة
اى مستورا من غمه اذا ستره بل كشوفا مشهورا تجاهرونى به فان الستر انما يصار اليه لسد قد ذلك الخلاص بالهرب
ونحو وفيث استحال ذلك فى حقى لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم
وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخى فى الرتبة واظهار الامر
فى موقع الاضمار زيادة تقرير يقتضيها حقام الامر بالاظهار الذى يستلزمه النهى عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم
ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغيظ الغم كالكربة والكرب وثم للتراخى
الزمانى والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بما اهلاكى من ثقل مقامى وتذكيرى ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى ادوا الى اى احكموا ذلك الامر الذى تريدون بى ولا تمهلون كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر وادوا الى ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكى كما يقضى الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل
بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ اقضوا
بالفاء اى انتهوا الى بشركم اوابرزوا الى من اقضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء للترتيب التولى
على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولى المخصوص اى ان اعرضتم عن نصيحتى وتذكيرى اثر ما
شاهدتم منى مما يدل صحة ما اقول وما لائمها التى من جملتها دعوتى اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بى من السوء
غير مبال بكم وبما ياتى منكم واجتماعكم من الاجابة علما منكم بان على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم
بمقابلة وعظى وتذكيرى من اجر تؤدونه الى حتى يؤدى ذلك الى توليكم اياى بالطمع والسؤال
واما الثقل وضع المسؤل عليكم واحتى يغرمنى توليكم المؤدى الى الحرمان فالاول للاظهار بطلان التولى ببيان عدم
يصحح والثانى لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء واجزائية لسببية الشرط
لاعلام معنون لا نفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس فى مصحح له ولا تاثر منه وقوله عز وجل ان اجرى الا على
الله يتنظم المعنيين جميعا خلافا لمن على الاول تاكيد وعلى الثانى تعليل لاستغناءه عليه السلام عنهم اى ما ثوابى
على الخطة والتذكير الا عليه تع يثيبنى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكم تع
لا اخالف امره ولا ارجو اغيره او المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء فى طاعة الله تع فكذبوه فاصروا
على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليتم ليس لسبب غير التمرد والعناد
فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه فى الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم
خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اى بالطوفان وتاخيره ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف
حسبما وقع فى قوله تع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم وتجهيل المسرة للسامعين وللايذان بان سبق
الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية على الغضب الذى هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول عليه السلام وتسلية له ثم بعثنا اى ارسلنا
من بعده اى من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اى رسلا كراما ذوى عدد كثير الى قومهم
اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم تا اى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة
مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغيرهم كما من قص منهم ومنهم من لم يقص فجاؤهم اى جاء كل رسول قومه
المخصوص به بالبينات اى المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور
على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان يا تى كل رسول ببينة
واحدة قبل بينات كثيرة خاصة به معينة لدى حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة المقام الآحاد الى الآحاد
انما هى فيما بين ضميرى جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى

لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله فى هذه السورة الكريمة غير مرة اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام
فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد ثم ان كان
الحكم آخر حال كل قوم جميعا دل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد التيا
والتى وبما اشير اليه فى قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجئ الرسل الى زمان الاصرار والعناد
وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غنى عن البيان
وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة ونظام المعجزات الباهرة التى كانت
تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سلبا
وايجابا عبارة عن جميع الشرايع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان الحكم جميع احوال كل قوم منهم
فالمراد بما ذكر او لا كفرهم المستمر من حين مجئ الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون
الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرايع التى اجمعت عليها الرسل فاطبقوا دعوا امهم اليها آثر ذى اثير لاستحالة
تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا
بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بما من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد
من بقايا قوم نوح فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجئ الرسل كحالهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص
التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت
عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات للايذان بما
عليه يدور رحى العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله
تع وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى التقديرين
فالضمير الثلثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب
بمثله قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه مثل
بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدى الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو راى الاخفش
وابن السراج يرجع الهاء الضمير وفى ارجاعه الى الحق باعتبار كونه فركوزا فى الاذهان ما لا يخفى من التعسف
كذلك اى مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المتعدين
المتجاوزين عن الحد والمعهودة فى الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك
يختلف باختلافهم وتخليتهم وشانهم لا نهاكم فى الغى والضلال وفى امتثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله
وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم
اى من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما
اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر فى ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان
القصة وعظم وقعها فى بناء نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لما انهم
فى اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم فى النوازل والملمات بآياتنا اى الملتبسين بها من الآيات
المفصلات فى الاعراف فاستكبروا عن الايمان بها استكبارا ناشئا عن الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اى فاتياهم
فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى ام انا خير منك فينا ولبثت
فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى كانوا معتادين لارتكاب
الذنوب فان الاجرام موذن بعظم الذنب ومنه الجرم اى الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الآثام
بوسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا باعده قوله عز وجل فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح فى ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجئ الحق

الذى سموه سحرا اعنى العصا واليد البيضاء كما يئن عند سياق النظم الكريم وذلك اقل ما اظهره عليه السلام
من الآيات لانظام والتاييد ايضا فيجئ معرته كما صرح به فى مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم
الى قوله تع فالقاعصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا
وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اى ظاهر كونه سحرا او فائق فى بابه واضح بينما بين
اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فاذا قال لهم
موسى عليه السلام فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكارى التوبيخى اتقولون للحق الذى هو بعد شيئ من
السحر الذى هو الباطل البحت لما جاءكم اى حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه من اول الامر من غير تامل وتدبر
وكلا الحالين مما ينافى القول المذكور والمقول محذوف تقديره لا يقال ماقبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغى
ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اى اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعنى انه مما لا يمكن ان يقوله قائل
ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال
بعضهم لبعض مايسوءه ونظيره الذكرى فى قوله سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغنى عن المفعول اى اتعيبونه وتطعنون فيه
وعلى الوجهين فقوله عزوجل اسحر هذا انكار مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم
وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثانى فوجه ايثار الانكار كونه
سحرا على الانكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم
فى خصوصية ما عابوه بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شبثا بثة عيب قط وفى هذا من معنى
الترتب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات
الله المنادية على امتناع كونه سحرا اى اسحر هذا الذى امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث
لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مناط الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون
من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عزوجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة
حالية من ضمير الخاطبين والرابط هو الواو وبلا ضمير كما فى قول من قال جاء الشتاء ولست اهلك عدة وتوكلت جاء
زيد ولم تطلع الشمس اى اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اى لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه
فكيف يمكن صدوره من مثلى من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل
محذور وقولهم اسحر هذا جملة مقررة بين الحال وصاحبها الكائن بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر
الى صدوره عنه دام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا
يفلح الساحرون فما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة
على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فضلا عن جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه
مما لا يجب تنزيه النظم التنزيل عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق
من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم فى معارضته عليه السلام
ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا ابناء على غلبة من يأتون به من السحرة
واما ثالثا فلان قوله عزوجل قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام لما افحمهم الخ فانقطعوا عن الاتيان
بكلام لم تتعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذى هو
ذاب كل عاجز مجحوج ودين كل معاند لجوج على انه استيناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قوله تع قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فاذا قالوا لموسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا
عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اى لتصرفنا عن الفعل واللفت اخوان عما وجدنا عليه آباءنا
اى من عبادة الاصنام ولا ريب فى ان ذلك انما يتسنى لكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذى

شرح

شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التهكمية الملجئ لهم الى العدول عن سنن
المحاجة ولا ريب فى انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين الكاره عليه السلام لما حكى عنهم صحة لكونه جوابا عنه
وتكون لكما الكبراء اى الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة فى فى قوله
ع فى الارض اى ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبراء او بالاستقرار فى كم لو قوعه خبرا وبحذوف وقع حالا
من الكبرياء او من الضمير فى لكم لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين بنبأ جنبا به وتثنية الضمير فى قوله
الموصفين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبراء لهما وهم واستلزام التصديق باحدهما التصديق
بالآخر واما اللفت والمجئ لتحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة استدل موسى عليه السلام حاصته
فقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اى قال للائه يا مرهم بترتيب مبادى الزامهما
بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول ايتونى بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار
فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام وقد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم لامر فرعون كما هو شان
المطاوع الفصيحة فى كل مقام اى فاتوا بهم فلما جاؤا قال لهم موسى لكن ما فى ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له ما
حكى عنهم فى السور الاخر من قولهم اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون
اى ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصى والحبال واسترهبوا الناس
وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ
والسحر خبره اى هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس التحريرية بيان حاله
بين لا يعبأ به كانه قيل ما جئتم به مما لا ينبغى ان يجاء به وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية اى اى شئ
جئتم به اهو السحر الذى يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم بسحر وقرئ ما اتيتم بسحر ولا تنافى
على الاول الثانى فى القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اى سيحقه بالكلية بما يظهر على يدى من المعجزة
فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والتبيين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى عمل جنس
المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر
للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فاسدهم صالحا
بل عدم اثباته واتمامه اى لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويبكله ويسلط عليه الدمار والجلة تعليل لما
سبق من قوله ع ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلى وفيه دليل ان السحر فساد وتمويه لا حقيقة له ويحق
الحق عطف على قوله سيبطله اى يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل فى المقامين الاخيرين للالقاء
الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد
بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم. فما امن لموسى معطوف على مقدر قد فصل فى مواقع
آخر اى فالقى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون الخ واقامة الذكر مقام التذكير تعويلا على ذلك وايذانا بالايجاز وايذانا
بان قوله ع ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل
ما فى قوله عزوجل فما تجوا امر فرعون وما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم يتزجر والسر فى ذلك ان
الايمان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بسبب العنوان فعل
جديد وصنع حادث اى فما آمن لموسى عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة الا ذرية من قومه
اى الا اولاد من اولاد حقيقة بنى اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام وبقوا على ايمانهم الى فرعون وايمانه آسية
وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد على خوف اى كائنين على خوف عظيم من فرعون و
ملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد فى ضمائر الاتباع ولا يأباه مقام بيان علوه فى الفساد

وعلوه فى الشر والتسلط على العباد او لان المراد به الله كما يقال هيبة ومضرا والذريعة او للقوم اى على خوف من
فرعون ومن اشراف بنى اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم
او يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما فى قوله عز وجل او اطعام فى يوم ذى
مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون حاصة لانه الآمر بالتعذيب وانه لفرعون
لعال فى الارض لغالب فى ارض مصر وانه لمن المسرفين فى الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او فى الكبر
والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلى مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى
لما رأى تخاذف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اى صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا
غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تع فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط
ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين لنبى الله عليه السلام من تلقائهم فى ذلك
على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موضع فتنة للقوم الظالمين
اى لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله
تع ونجنا برحمتك من القوم الظالمين دعاء منهم بالنجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد النجاء من
ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفى ترتيب الدعاء على التوكل تنويه بان الداعى حقه ان يتخذ
دعاءه على التوكل على التوقع واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان تتخذا بمباءة لقومكما بمصر بيوتا
تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة فان موسى عم كان يصلى اليها
اى نزلها اعوادا لذلك فى اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة فى الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة فى العقبى وانما شئ الغير اولا لان البتوئة للقوم والخطاب معهما يتولاه
رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة
وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع القوم لدعوهم بالايمان وللاشعار بانة المدار فى التبشير وقال موسى
ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة اى ما يتزينون به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا
كثيرة من المال فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم بمباشرته احوالهم انه لا يكون
غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج و
تثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكأنهم اوتوها ليتخذوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا
او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تع ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ
بضم اللام اى اهلكها واشدد على قلوبهم اى اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شقائهم
فلا يؤمنوا جواب الدعاء او دعاء بلفظ النهى وعطف على ليضلوا او ما بينهما دعاء معترض حتى يروا
العذاب الاليم اى يعاينوه ويتوقنوا بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعنى موسى
وهرون لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير فى المواقع الثلثة فاستقيما ناثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلان ما طلبتماه كائنين فى وثوقه لا محالة روى انه مكث بنى
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اى بعادات الله سبحانه فى تعليق الامور باسبابها
والمعنى او سبيل الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تع وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا خلفه
وخلفه والباء للتعدية اى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ

جوزنا

جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا تتمة هو بمعنى التنفيذ نحو ماضى فى قول الاعشى كما جوز الكمى
فى لباب نحيص والاقبل وجوزنا ببنى اسرائيل فى البحر ولهذا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبقارنة
العناية الالهية لهم عند الجواز ذكرا هو المشهور وفى الفرق بين اذهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته
اذا كان سبقك فلحقته اى ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكادت تتجمع الجماعتان
بغيا وعدوا ظلما واعتداء اى باغين وعادين او للبغى والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عم
خرج مع بنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع بتبعتهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر
ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكوه بجنودهم اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم
حتى اذا ادركه الغرق اى لحقه واجله قال آمنت انه اى بانه والعبرة للسان وقرئ انه على الاستيناف
بدل من آمنت وتفسير له لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قال السحرة آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون بل عبر عنه تع بالموصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل به تع للاشعار برجوعه عن الاستعصاء
وباتباعه لمن كان يستتبعهم لطعانى القبول والانتظام معهم فى سلك النجاة وانا من المسلمين اى الذين
اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها سالمة خالصة له تع واما بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وانيا لا اهمية لدعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى
يحمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى آمنت مخلصا لله تع منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد
بثلث عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجاة وبهات بهات بعد ما فات مافات واتى ما هو
آت وقوله عز وجل الآن مقول القول مقدر معطوف على ما قال اى فقيل الآن وهو اى قوله تع آية حكاية
لما جرى منه سبحانه من العضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخى على تاخيره وتمريعه
بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكى فى صورة الانشاء من الدلالة
على عظم السخط وشدة الغضب بالا يخفى كما يفصح عنه ما روى من ان جبريل عم دس فاه عند ذلك بحال البحر
وسده به فانة تاكيد لمرة القبول بالرد الفعلى ولا يانيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للبنى
عم فلو رايتنى يا محمد وانا اخذ من حال البحر فاسد فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية
اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عم من
كرامته ما لا يتصور فى شان جبريل عم من الرضاء بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه
بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة الياس والياس فيجعل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال
البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل فى الظرف ان يقدر مؤخرا لتوجه الانكار
والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله عنده اى الآن تؤمن حيث يئست من الحيوة وانقطعت بالممات
وقوله عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل المفعول المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان
الى هذا الآن بيان انه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر فى دلايله وآياته والتاسف
آخر مما عسى يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تع وكنت
من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال
عن الايمان لا كقوله تع الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فانه عبارة عن
فساده الراجع الى نفسه والمتعدى الى غيره من الظلم والتعدى وصد بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه
الخاص به فاليوم ننجيك اى نخرجك عما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية
تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر ونكم بر اى نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك
من الانجاء وننحيك من التنحية اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك فى موضع الطال من ضمير المخاطب

اى نجيك ملابسا ببدنك نقطا لامع رونقك كما هو ملوبك نوجنيب له وجسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس
او كاملا سويا او بدرنك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانكما بالجمع اى بدنك كلها كقولهم ركبوا
باجمامها او بدرونك كانه كان مظاهرا بينهما لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذا كان
فى نفوسهم من عظمة ماخيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى ثم حين اخبرهم بموته الى ان عاينوه مطرحا
على ساحل مرمى من الساحل او تكون لمن يأتى بعدك من الامم اذا سمعوا ثالك امرك ممن شاهدك جبرة ونكالا من الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو
مملوك عرق مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اى لمن خلفك بموا الجبابرة وقرئ لمن خلفك بالقاف
اى لمكون لمن لقيك آية كسائر الآيات فان انواعه سبحانه ايلك بالاقتاء الى الساحل ودليل على انه قصد منه كشف وجه
واماطة الشبهة فى امرك وبرهان يبرز على كمال علمه وقدرته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا
وفى تقليل تحيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتقبيحه
على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله لكى يقتل ثم يجر جسده فى الاسواق ويدار به فى البلاد واللام الاولى
متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اى كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن آياتنا
لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جىء به عند الحكاية تقريرا للوحى الكلام المحكى
ولقد بوانا بنى اسرائيل كلام مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نجاة الانجاء على وجه الاجمال
واخلالهم بشكرها واد آرحقوقها اى اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق
اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتملكوا فى نواحيها حسبما نطق به قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها ورزقناهم من
الطيبات اى اللذايذ فما اختلفوا فى امور دينهم حتى جاءهم العلم اى الا بعد ما جاءهم العلم بقراءة نبيهم
التورية وعلمهم باحكامها وفى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد
بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى عليه السلام ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت فى شك اى شك ما من الامور التى نطق بها كتابنا
فان معنون الشرطية انما هو تعليق شئ بشئ من غير تعرض لامكان شئ منهما كيف لا وقد يكون كلا ممتنعا كقوله
عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تع لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما
انزلنا اليك من القصص التى من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنى اسرائيل فاسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك فان ذلك مما تحقق عندهم ثابت فى كتبهم حسبما القينا اليك والمراد انطباعها بنبوته عليه السلام بشهادة
الاخبار حسبما هو المسطور فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة نبوته
عليه السلام وتبصيجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا لتجويز صدور الشك منه ولذلك قال
عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى
وكعب واضرابهم رضه وقيل المراد للنبى عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك
مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تبعيد على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها
بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسئال الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق الذى لا محيد عنه ولا ريب
فى حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل
عما انت عليه من الجزم واليقين وقد مر على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
من باب التهييج والالهاب والمراد به الدوام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى

عنه

عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وقيد قطع الاطماع الكفرة فتكون بذلك
من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع فى بيان ستر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر
والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشية المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم
يموتون على الكفر ويخلدون فى النار كقوله تع ولكن حق القول منى لاملأن جهنم الخ لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب
لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واتعا فى اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة
العذاب مثل فرعون بأتيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة الدلول مقبولة لدى العقول
لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تع به مفقود لكن فقدانه ليس بمنع منه تع مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم
المتفرع على عدم استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الاليم كدأب آل فرعون واضرابهم فلولا
كانت كلام مستانف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تع لسوء اختيارهم مع تمكنهم
من التدارك فيكون الاستثناء الآتى بيانا لكون قوم يونس ممن لم تحق عليهم الكلمة لاهتداءهم الى التدارك
فى وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اى لهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة
العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فتنفعها ايمانها بان يقبله الله تع منها
ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اى لكن قوم يونس لما آمنوا اى اول
ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم العذاب الخزى فى الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم
وكاد يحل بهم وبجوز ان يكون الجملة فى معنى النفى كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ
المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فتنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام
فيكون قوله تع لما آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم
متاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم فى علم الله تع روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى
من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه وخافوا نزول العذاب فلبس المسوح وعجوا اربعين
ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت
خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم وصبيانهم ومواشيهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان
وبين الدواب واولادها وتمخض بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله
تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضه بلغ من توبتهم ان ترادوا
المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فماترى فقال لهم قولوا ياحى حين لا حى وياحى محيى الموتى
وياحى لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم بحيث لا
يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه كما لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التى عليها
بنى اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تع ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره
الناس على ما لم يشاء الله تع منهم جريا على ما يفصح عنه حرف الامتناع فى الشرطية والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام كانه قيل ربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار

متوجها الى ترتب الاكراه المذكور على عدم مشيته تع وبجوز ان يكون المفاد لترتيب الانكار على عدم مشيته تع بناء
على ان المرة متاخرة فى الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو راى الجمهور وايا ما كان فالمشية
على اطلاقها اذ لا فائدة قبل لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة فى انكار الترتيب عليه وفى ايلاء الاسم حرف
الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشان فى المكره من هو وما هو الا هو لا يشارك فيه لاتدا القادر
على ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء فى المشية
كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيته تع وجودا وبعد بيان الدوران الكلى
عليها وجودا وعدما اى صح وما استقام لنفس من النفوس التى علم الله تع انها تؤمن ان تؤمن الا باذن
الله اى بتسهيله ومنحه للالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قولنا تع وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما كان لنفس ان تؤمن فى حال من احوالها
الا حال كونها ملابسة باذنه تع فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحسب حالها
عنده فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التى علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى تمتنع
تلك الحال عن صيرورتها ويجعل الرجس اى الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذى هو عبارة عن القبيح المستقذر
المستكره كونه علما فى القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدى اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء
اى يجعل الكفر ويقيده على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التى عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال
او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فياذن لهم بمنح
الالطاف ويجعل الخ قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر فى ملكوت السموات والارض وما فيهما من
عجائب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لكم انهم من الذين لا يعقلون وحثت عليهم الكلمة انظروا التفكروا
وقرئ بنقل حركة الهمزة الى لام قل ماذا اى اى شئ بديع فيهما من عجايب صنعه الدالة
على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا منطبقا فيه الاستفهام على الاسم الاشارة فهو مبتداء
خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتداء وذا بمعنى الذى والظرف صلة والجملة خبر للمبتداء وعلى التقديرين فما مبتداء
والخبر فى محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغنى اى تنفع وقرئ بالتذكير
الايات وهى التى عبر عنها بقوله تع ما ذا فى السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على
انه مصدر اى لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون فى علم الله سبحانه وحكمه
فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كونها استفهامية انكارية فى موضع النصب على المصدرية اى اى شئ
تغنى الخ فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اى مشركو مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اى الايام
مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركى الامم الماضية اى مثل وقائعهم ونزول باس الله تع بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم ان معكم من المنتظرين
لذلك ثم ننجى رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله تع مثل ايام الذين خلوا
وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة الى التهديد ومبالغة فى تشديد الوعد كانه قيل اهلكنا الامم ثم ننجى رسلنا
المرسلة اليهم والذين امنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها
وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك كما فى قوله تع نبجيناه ومن معه فى الفلك الخ ونظايره الواردة
فى مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وجل كذلك الامثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل
والمعمول اى حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذى ناب عنه كذلك اى انجا مثل ذلك حقا والكاف متعلقة
بقوله تع ننجى المؤمنين اى من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد من المؤمنين

اما الجنس

اما الجنس المتناول للرسل ع والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه وايا
ما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم
الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم فى شك من دينى
الذى ادعوكم اليه عز وجل بوادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
فى وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اى فاعلموا انه
تخصيص للعبادة به تع ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على
عبادته تع لتقدم التخلية على التحلية كما فى كلمة التوحيد وللايذان بالمنحى لغة من اول الامر وان كنتم فى شك
من صحة دينى وسداده فاعلموا ان خلاصة اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل
منهما من الاصنام فاعرضوا عنها على عتوكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا اينبغى ان يعبد ام لا انصافا لتعلموا انه
حق لا ريب فيه وفى تخصيص التوفى بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم
قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يكن عروضه للعاقل فى هذا الباب هو الشك فى صحته وما القطع
بعدمها فما لا سبيل اليه او ان كنتم فى شك من ثباتى على الذين انا علموا انى لا اتركه ابدا وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وهو تعريض بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل
الصرف بل بالايداء السماوى والتوفيق الالهى وحذف حرف الجر من ان يجوز من باب الحذف المطرد
مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون خلا ان صلة ان تحكية بصيغة الامر ولا ضير فى ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ
الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة جملة خبرية فى الموصول
الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية دليس الموصول الحرفى كذلك
اى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الامور به والانتهاء عن المنهى عنه او باستعمال العقلة
فى الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه اى مائلا عن الاديان
الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اى لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله
عز وعلا ولا تدع عطف على توكع تع قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهى والوجه
هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة لا يكاد يفصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه
لاندراج الكل تحت الامر فهو تاكيد للنهى المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن
وجه بطلان ما عليه المشركون اى لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا مالا ينفعك اذا دعوته
لدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا او بايقاع المكروه
وتقديم النفع على الضر غنى عن بيان السبب فان فعلت اى ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر
كنى به عنه تنفيرا لشانه عم وتبيينا على رفعة مكانه من ان نسيب اليه عبادة غير الله تع ولو فى ضمن الجملة الشرطية
فانك اذا من الظالمين جواب الشرط وجواب لسؤال من يسال عن تبعة ما نهى عنه وان يمسسك الله بضر
تقرير لما اورد فى حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه بسبحانه فلا كاشف له
عند كائنا من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهانى وهو بيان لعدم النفع
بوجه المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استدلالا ما كان وضع المكروه اذ من مراتب النفع فاذا انتفى النفع
النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد فى حيز الصلة اى ان يرد ان يصيبك بخير فلا
راد لفضله الذى من جملته ما اراكه من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان
بان نيضان الخير ممتنع بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اى لا احد يقدر على رده كائنا ما كان

فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها بوقوعه او بايقاع
المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمستدع للضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر
انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولى او اريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه
لا اراة لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيبه منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر
في كل جانب على ما ترك ذكره في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيبه انها والكمال العناية
بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراه ك به من الخير وجعل الفضل عبارة
عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يا باه قوله عز وجل من يشاء
من عباده فان ذلك يناديهم الفضل وقوله عز قائلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تع يصيب به الخ مقرر
لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما تر آنفا من اصول
الدين واطلعتهم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر قط ممن اهتدى بالايمان والعمل بما في مطاويه
فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال
الضلال مقصور عليهما والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عاد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما
يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بمحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير
ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتاكد بما يوما
فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء اليه عليه السلام بالوحي تنبيه على بابين المرتبتين من اعلى المراتب واصبر
على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بقتالهم وهو خير الحاكمين اذ لا يكون الخطأ
في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة يونس اعطى
له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعد من غرق مع فرعون

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول اظهر كما اشير اليه في سورة يونس ام النصب
بتقدير فعل مناسب المقام نحو اذكر واقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب
مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تع كتاب خبره على الوجه الثاني ولبتداء محذوف على الوجوه
الباقية احكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه وجعلت محكمة لا نظير لها على جلالة
الحكم البالغة ودقايقها او منعت عن النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحج القاطعة الدالة على كونها من عند الله تع
او على ثبوت مدلولها قاطبة او بالآيات جميعها او على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها
المشتمل عليها كما اذا فسرت الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد
اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا منعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح فيفيد ايهام ما لا يكاد يليق بشان الآيات
الكريمة من الدعاء الى الفساد ولو الملائم وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون
نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية مزيد من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى
ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام الدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش
والمعاد على الاسناد المجازي والتنكير بجعلها آية آية لما يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية
لها فلا يناسب عطفه على احكمت بكلمة ثم اخ واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث

ان محل الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول اظهر كما اشير اليه في سورة يونس ام النصب بتقدير فعل مناسب المقام نحو اذكر واقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تع كتاب خبره على الوجه الثاني ولبتداء محذوف على الوجوه الباقية احكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه وجعلت محكمة لا نظير لها على جلالة الحكم البالغة ودقايقها او منعت عن النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحج القاطعة الدالة على كونها من عند الله تع او على ثبوت مدلولها قاطبة او بالآيات جميعها او على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسرت الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا منعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح فيفيد ايهام ما لا يكاد يليق بشان الآيات الكريمة من الدعاء الى الفساد ولو الملائم وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية مزيد من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام الدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتنكير بجعلها آية آية لما يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكمت بكلمة ثم اخ واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث

لم تنزل الآيات محكمة مفصلة الا انهما احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع
احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد فاصب لمن يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام
وان حمل آية اية على معنى تفرق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه
من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها النجم بالفعل فالتراخي زماني وان
اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو تراخ لان ذلك وصف لازم
لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على البناء للمفعول وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها
الدالين على رتبته من حيث الذات اية رتبة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتداء المذكور او المحذوف
او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا
بالتنكير التفخيمي وربطهما به على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة
على فخامتها وكونهما على الكمال بما يكون مالا يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع نقدان
الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذفه وافضائه الى ما ذكر او قيل
كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتخصوا اني عباده
فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة
وقيل ان غيرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهته تع نذير انذركم
عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تع وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وخصصتم في
عبادته وما ذكر شؤن الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبله وادرو منظم ما نظم في سلك الغاية
او الام من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينة اعني الاستغفار والتوبة وكون من نزل عليه
ذلك الكتاب مرسل من عند الله تع لتبليغ احكامه وقرنيتها بالموثيات من الوعد والوعيد للايذان بان
التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وايذانا بالخطاب غب الكتاب مع تلويح بانه كما لا تحقيق
في نفسه الا مقارنا للحكم برسالة عليه السلام كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي سوق الخطاب
بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف
الكلام ويجوز ان يكون قوله تع الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله وارد على لسانه عليه السلام اغراء لهم على
اختصاص تع بالعبادة كانه عليه السلام قال ترك عبادة غير الله دأبي والزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا
انني لكم من جهته الله نذير وبشير او نذير انذركم من عصاه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير
تركم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول عليه السلام عن وجه الانذار والتبشير
شرع في ذكر ما هو من تتمة على وجه تتمين تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير بقيل وان استغفروا ربكم
وهو معطوف على ان لا تعبدوا واعلم ان ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كونها صلة امر او نهيا كما
في قولهم تع وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيهما
وجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا
اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء لصلاح
وقوع الامر والنهي صلة حسب مساق وقوع الفعل فيتجرد عنه ذلك عن معنى الامر والنهي فيخرج الصلة الفعلية
عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى افعل ما فعل
من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تع بالعبادة وتطلبوا منه مستمرا فرطة منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة

لم تنزل

او استمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الاول
ان مفسرة اى قيل فى اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه وانتم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية
تلقين للحجة طبقا بين وارشاد لهم الى طريق الابتهال فى السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله تع يمتعكم
متاعا حسنا اى تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تع انبتكم من الارض نباتا او على انه
مفعول به وهو ايضا لا يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغيرها وذلك والمعنى يمتكم عيشا مرضيا لا يتنغص
فيه شئ مما تشتهونه ولا ينغصه شئ من المكدرات الى اجل مسمى مدة عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان
ذلك غاية لا يطمع وراءها طامع جرى التمتيع اليها مجرى التأبيد عادة او لا يهلكم بعذاب الاستيصال ويفوت كل
ذى فضل فى الطاعة والعمل فضله جزاء فضله امانى الدنيا او فى الآخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى
اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما ينفق فى الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان
له فضل طاعة وعمل لا يمتع فى الدنيا اكثر مما متع آخر وهو فى الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل وبسط
كل فاضل جزاء فضله امانى الدنيا كما يتفق فى بعض الموادا وامانى الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل
لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع فى الانذار فقيل وان تولوا اى تتولوا عما امرتم به من التوحيد والاستغفار
والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب ولان العذاب قد علق بالتولى عما ذكر من
التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعى سابقة ذكره وقرئ تتولوا من ولى فانى اخاف عليكم
بحسب الشفقة والرأفة او التوخى عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم فى قوله تع الا يظن
اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما كونه كذلك فى نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل فى قوله تع ثقلت
فى السموات والارض وقيل يوم القيامة وقد ابتلوا بالقحط كلوفيه الجليف واما ما كان فى امنا فذ العذاب اليه تهويل و
تنظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء فى مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا تتخلف منكم احد
وهو على كل شئ قدير فيندرج فى ذلك الكلية قدرة على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيجازيكم بما فابن العذاب وهو
تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للتخويف ولما القى اليهم مجمل الكتاب على لسان النبى عليه السلام وسيق ليهم ينبغى
ان يساق من الترغيب والترهيب وقع فى ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذى تخر له رءوس الجبال الهل
بالاقبال امتثالا وافيا كما نوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مجددا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من شانهم
ان يجب ان يفهم ويجيب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اى يسترون على ما كانوا
عليه من التولى والاعراض لان من اعرض عن شئ ثنى عليه صدوره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جرل مناسب
للسبق وقد يخامنه العلامة الزمخشرى ولكن حيث لم يصلح التولى سببا للاستخفاء فى قوله عز وجل ليستخفوا منه
التجا الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من دون الله تع فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله
فى قوة المعنى اليهم من قبيل الاضمار فى قوله تع اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن
الى توسيط الارادة بين شقى المصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق
ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبى عليه السلام بحيث ذلك
فحيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا لذكره او ايماء
الى ان ظهوره مغن عن ذكره او لئلا يذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من تعاميهم
عن الحق الذى يلقى اليهم دخولا اوليا خ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روى عن ابن عباس رض
انها نزلت فى الاخنس بن شريف وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه و
سلم المحبة ويضمر فى قلبه ما يضاده وقال ابن شداد انها نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى
الله عليه وسلم ثنى صدره وظهر وطأطأ راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبى عليه السلام فكانه انما كان يصنع لانه لو رآه

النبى عليه السلام لم يكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدى ذلك الى ظهور ما فى قلبه من الكفر و
النفاق وقرئ يثنون فى صدورهم بالياء والتاء من اثنونى افعوعل من الثنى كما حلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
وعن عباس رض لتثنون وقرئ تثنون تفعوعل من الثنة وهو ما تشن من الكلا ومنعف به يده مطاوعة صدورهم
للثنى كما يثنى الهش من النبات اوارادة ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنين من اثنان افعال منه
ثم همز كما قيل ايا منت وادمأمت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى الا حين يستغشون ثيابهم اى يتغطون بها
للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع ح حديث
النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى سدله ويحنى ظهره ويتغشى ثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى
يعلم ما يسرون اى يخفون فى قلوبهم وما يعلنون اى يستوون بالنسبة الى علمه المحيط سترهم وعلنهم فكيف يخفى
عليه ما منعوا واذانا باقتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه
يسر ونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تع قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء
على الابداء على عكس ما وقع فى قوله تع وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة
بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تع بما يسرونه
اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونها على السوية كيف لا وعلمه تع بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود
كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تع وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما فى قوله
تع واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان وارد ا بعد الخطاب مع الملكة وهم المنزه مقامهم عن اقتضاء
اتا كيد والمبالغة فى الاخبار باحاطة علمه تع بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه
بما قيل من قوله عز وجل انى اعلم غيب السموات والارض وجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة البر
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته
الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من
القياس وفى صيغة فعيل وتحليه الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان حاجتها من البراعة ما لا
يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع انفاس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم
بحيث لا يغادر لها اصلا فكيف بخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله
تع ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة فى
الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث لا يصال اليها بطريق لمجرى
اوارادى لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جئ على طريق الوجوب اعتبار السبق الوعد وتحقيقا لوصوله
اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تع والاعراض عن اكتساب النفس فى طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها
فى الاصلاب ومستودعها موضعها فى الارحام وما يجرى مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الامكنة بما
هو من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب فى حيزها الطبيعى ومنشأ الخلق واما بالنسبة الى الارحام
وما يجرى مجراها فهى موضع وديعة فيها الى وقت معين وسكنها من الارض حين وجد بالفعل وموضعها من المجد
والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين
عنوان كونها دابة فى الارض وللعطف على ما من دابة فى الارض الا يرزقها الله تع حيث كانت من اماكنها
يسوقه اليها ويعلم مواقها المتخالفة المتزايدة فى مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة فى الاطوار
المتباينة ومقاديرها المتنوعة وينيض عليها فى كل مرتبة ما يليق بها من مبادى وجودها وكمالاتها المترتبة
عليه وقد فسر المستودع بما كنها فى الممات وما يليه مقام الكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها
ومستقرها ومستودعها فى كتاب مبين اى مثبت فى اللوح المحفوظ المبين لمن ينظر فيه من الملكة ام المظهر

لما ثبت فيما للناظرين ولا انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما فى الارض من المخلوقات التى لا تكاد تحصى
من مبداء فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبداء خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك
فقيل وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام السموات فى يومين والارض فى يومين وما عليها
من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك فى يومين جملا فصل فى سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما فى الارض لكونه
من تتمات خلقها وهو السر فى جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها فى قوله تع فى اربعة ايام فى تتمة اربعة ايام المرادة
بالايام الاوقات كما فى قوله تع ومن يولهم يومئذ دبره اى فى ستة اوقات اى مقدار ستة ايام فان اليوم فى المتعارف
زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفى خلقها مدرج لجامع القدرة التامة على
خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
واجراء ما تختلفة الطبايع ومتفاوتة الاثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقها على الماء ليس تحته شئ
غيره سواء بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد فى الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء وكيف لا ولو
دل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث فى العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما
اقدم من خلق السموات والارض من تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اى خلق السموات والارض
وما فيهما من المخلوقات التى من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادى وجودكم واسباب معاشكم
واودع فى تضاعيفهما من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينوية ليعاملكم معاملة من يبتليكم
ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب بحسبها تبين المحسن من المسئ وامتازت درجات كل من الفريقين
حسبما يتاز بلبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات
والمخائل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله فان كل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول
اشرف من الثانى فكذا الحال فى عمله كيف لا والعمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر فى اثير
وانما طريقها النظرى التفكر فى بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر فى ايات البينات المنصوبة فى الانفس و
الافاق والاطاعة بدون فهم ما فى مطاوى الكتاب العزيز من الاوامر والنواهى وغير ذلك مما له مدخل فى الباب
وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال لا تفضلوكم على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض
قالوا وانما كان ذلك لتفكره فى امر الله عز وجل الذى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل فى اليوم بجوارحه
مثل عمل اهل الارض وتعليق نعل بلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم
ايراد المفعول اصلا او اختصاصه بما قالا تعاسيب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كانه نظر وتدبر
اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعادة التبعية واياد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار
اعمالهم المنقسمة الى الحسن والتبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود
الاصلى مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك
لكونه اتم الوجوه اللايقة واكمل الاساليب الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين
بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم فى مراتبها بحسب القوة و
الضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع فى مهاوى الضلال فبمعزل من الاندراج تحت
الوقوع فضلا عن ان ينظم ظهوره فى سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل بعيد عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ولا ترتيب ولا تخفى ما فيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقايضها ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب

عليه اجزاء المتوقع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب فى قولنتم انكم
الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اى ليقولن الكافرون منهم وان وجد الى الكافرون منهم فهو
واود على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اى مثل فى الحديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور
او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحى المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك
تخلصوا الى القرآن لانباءته عنه فى كل موضع وكونه علما عندهم فى ذلك فحدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تارة
منهم فى العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر فانه انما
يطلق على شئ موجود ظاهرا لا اصل له فى الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وقيل الاية الكريمة
مما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك
ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلقونها فى الرد ويعدون ذلك من قبيل ما
لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذى
خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون
عليه يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون وقراء حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على قضاين قلت معنى ذكرت او على ان انكم
بمعنى عنتك فى عملك اى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين
اى توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم فى الكلام على نهج رجاء المساعدة للايسا وعجا
الى اللجاج والعناد ربما قرع اسماعهم بنت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه آباءهم من انكار البعث و
يكون ذلك داعى لهم الى التامل والتدبر وما فعلوه فانما لهم الله فانى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب
المترتب على بعثهم او العذاب الموعود فى قوله تع فان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب
يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قتل جبرئيل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد بالعذاب
الشامل للكفرة دون ما يختص بعض منهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة
من الايام قليلة لان ما يحصر العد قليلا ليقولن ما يحبسه اى اى شئ يمنعه من المجئ فكانه يريده فيمنعه
مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستجال استهزاء لقوله تع ما كانوا به يستهزؤن ومرادهم انكار المجئ والحبس
رأسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم ياتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا
عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد
به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس واذ المجرور
تابع للعامل فلا يتبع الا حيث متبوعه وردبان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره توسعا وبانه قد يقدم
المجرور حيث لا مجال لتقدم العامل كما فى قوله تع فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل
مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم المعمولين عليهما قال
ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم محموله الا دال عليه
ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر فيا بى فما يزداد الا جاجة وكنت بيا فى الخنا لست اقدم
وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذى كانوا يستعجلون به استهزاء وفى
التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد فى حيز الصلة من استهزاءهم به لنزوله واحاطته
والتعبير عنها بالماضى وارد على عادة الله تع فى اخباره لا نحقاقها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة
وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة اى اعطيناه نوعا من صحة وامن وجدة وغيرها ووصلنا ما اليه بحيث يجد لذتها

ثم نرعنا منه اى سلبناه ايا ما وايرادالنزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عوده اشالها عاجلا او آجلا بفضل الله تع لقلة صبره وعدم توسط عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بها كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصفه بايسم مع تقدم عليه رعاية التواصل على ان الياس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن اغنته امثاله في العاجل وايصال اجوه في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الموذن بلذتها وكونها مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في دنو ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسنادا لاول الى الله عز وجل دون الثاني ما يخفى من اجزالة الاولى والدلالة على ان مراده تع انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما يناله ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كما يلاصق البشرة من غير تاثير وانما ينزع الرحمة فانما صدر عنه بمقتضى الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب التي تسوؤني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لعروض امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها والام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من ضروب الضراء سابقا او لاحقا ايمانا بالله وباستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على الآية الى الكفة والالفة واللام في الانسان اما للاستغراق الجنس فلا استثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وابن جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومسها المضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يجيد في كلتا الحالتين عن الى محاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين ادمن حيث ان انكارهم البعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك الناوية بكوتها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضايق به صدرك اى عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال يعتضد به مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضه ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال ما نؤمن آتينا بالملئكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه عليه السلام للبابين اجترأ وعلى اقتراح مثل هذه العظايم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد كونهم من المكابرة ما تن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات لمناطقته عليهم وتبليغا اليهم تحمل على الحذر منه بما في حيز من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك

واحوالهم

وانحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في قصر غاية من حسابة المحز ام يقولون افتراه اضرب عن المنقطعة عن ذكر تركك اعتدادهم بما يوحى وتحاونهم به وعدم اقتضائهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله تع وعلى حقية نبوته عليه السلام وشرع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي عليه السلام والبارز لما يوحى اى بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فاتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى اشالة وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثل المفرد كما في قولك انؤمن لبشرين مثلنا او لايهام ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شئ واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرجت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وتحوهم عن المعارضة واما وصف الافتراء اطلاقا يتعلق به غرض يدور عليه شئ في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لم يكن هو ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلفات من عند انفسكم ان صح ان اختلقه من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء وقد مارستم مباديه ذلك من الخطب والاشعار وحفلتم المواقع والايام وذقتم اساليب النظم والنثر وادعو للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها حمدة لكم في كل ما تاتون وما تذرون والكهنة ومدارهكم الذين تلجؤون الى آرائهم في الملمات ليسعدكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تع ان كنتم صادقين في ان افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تع فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه عليه السلام على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم اى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في من قال وان شئت حرمت النساء سواكم اوله للمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكروا عنه عليه السلام وينا صبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلون في الجهاد واشارة الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة تحاكم علما يقينا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشايبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سترا برا وكلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سايرالمراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او انتبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص بحيث لا يجوم حوله العقول والافهام مستبدا بحقايقه من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اى والحملوا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر عليها احد فهل انتم مسلمون اى مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التشبيه والترقية الى معارج اليقين وجوز ان يكون الخطاب في الكل للكفار من جهة الرسول عليه السلام واخلاحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم الكم وسايرمن اليهم تجارون في مهماتكم وعلمتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه نازل من خالق القوى والقدر فايرادكلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة انهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالتحاكم المبني على تعجيزهم واضطرارهم كانه قيل فان لم يستجيبوا لكم لعدم التجاكم اليهم بعد ما اضطرهم

الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيتم بكم العلل اوعن حيث ان من يستدون بهم اقوى منهم فى اعتقادهم فاذا اظهر
عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلى ايضا ان المتكلم يعزل عن
رتبة الشركة فى الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون فى الاسلام اذلم يبق بعد شائبة شبهة فى حقيقته وفى بطلان
كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان بكون القرآن من عند الله تع دخولا اوليا او تنقادون للحق الذى
هو كون القرآن من عند الله تع وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفى هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه
من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقتاط من ان يجيبهم المتهتهم من بأس الله عز سلطانه
بما يعقبه كما استحيل به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى ما يجعلها ومايزينها من الصحة والامن والسعة
فى الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة
القلبية المقولة تع نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارنا منهم بحيث لا يكادون يريدون الا
وليس المراد باعمالهم كلها فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال ما يبتغيه فان ذلك مشروط بالمشية الجارية على
قضية الحكمة كما نطق به قوله تع من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذى يترتب
عليه الامور المذكورة بطريق الايجاب والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها تحقيقا للمعنى توصل اليهم ثمرات
اعمالهم فى الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوخ بالنون التفاتية على البناء للمفعول ورفع
اعمالهم وقرئ نوفى بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا
حرمى وهم فيها اى فى الحيوة الدنيا لا يبخسون اى لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذى هو نقص مخل
مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء المحقوق مع ان اعمالهم بمعزل
من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة فى نفى النقص كان
ذلك نقص لحقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم خلقا خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم و
اجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما فى الاخرة فهم فى حرمان مطلق و ايأس محقق كما ينطق
به قوله تع اولئك الخ اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من اعمالهم فى الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من
غير بخس او باعتبار ما عاد وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى سوء الحال اى اولئك المريدون للحيوة
الدنيا وزينتها ويوفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار لان جهنم كانت
مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنبوا عن تحملها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن
فى الاخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اى ظهر فى الاخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التى
كانت تؤدى الى الثواب لو كانت موصولة للاخرة او حبط ما صنعوه فى الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص
وباطل اى فى نفسه ما كانوا يعملون فى اثناء تحصيل المطالب الدنيوية لاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب
والثانى وان عدم لعدم حقارته لا يحابى والنية والصحيح سوان الثانى ليس له بحسنة صالحة قط علق بالاول الحبوط الموقوف
بشروطه اجوه بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث والثانى للبطلان المتصف عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة
على كون ذلك وصفا لازما ثابتا فيه وفى زيادة كان فى الثانى دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر
منهم وان كان لغرض فاسد ليس فى الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التى هى من مقدمات مطالبهم الدنيوية وقرئ
وبطل على الفعل اى ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية حالا ومآلا لم تحمد اوان انقطع
اثره الدنيوى فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او مصدرية كقوله ولا غار جامن
فى ثوب كلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بقوله تع من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سألوا او صلوا
رجا عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة فى الرزق وصحة فى البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله
صلى الله

صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم فى الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء
منهم اريدوا ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا الغيرة ممن يعمل اعمال البر للوجه الله تع فعلى هذا لا بد من تقييد
قوله تع ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق
الكفرة بحيث يندرج فيهم الفاءحون فى القرآن العظيم اذ اجاا وليا فانه غزه علا الما امر نبيه عليه السلام ان يقول للمؤمنين بان
يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شئ اصلا ويحتجم على الثبات على الاسلام ان يوسع
فيه عند ظهور عجز الكفرة ومايدعون من دون الله عن المعارضة وتبيين انهم ليسوا على شئ اصلا اقتضى الحال ان يتلوش
بعض شؤونهم الموجة لكونهم على شئ فى الجملة من قبيل المخطوط العاجلة واستتباعهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل
عن الدلالة عليه وقد بين ذلك اى بيانا تاما اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان
على بينة من ربه اى برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب فى اثبات عليه من الاسلام وهو القرآن باعتبار
او بتاويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليه اتى قوله ويتلوه اى يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهو الاعجاز
فى نظمه المطرد فى كل مقدار سورة منه وما وقع فى بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف بديع لشاهد يكونه من عند الله
عز وجل غير انه على التقدير الاول فى الكلام اشارة الى ما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى تمسكهم بالقرآن عند
تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اى من القرآن غير خارج عنه او من جهته الله تع فان كلا منهما وارد
من جهته تع للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ذلك ايضا من الشواهد الناطقة بعلو القرآن الواردة من جهته تع فالمراد بمن فى قوله تع افمن كل من اتصف بهذه الصفة الجليلة
فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم داخلون دخولا اوليا وقيل هو ابن سلام عليه السلام وقيل مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير فى منه لله عز وجل والبينة القرآن ويتلوه من
التلاوة والشاهد جبريل عليه السلام او لسان النبى عليه السلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظ الاولى
هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى بعا بحيث لا يفارقه فى
مشهد من المشاهد فان القرآن بينه باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذى يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن
جاحد عطف كتاب موسى فى قوله عز وعلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه فى النزول كما
قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم فى الذكر الموخر فى النزول
لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه والعراقة فى وصف للتلو والتنكير فى بينة وشاهد للتفخيم اماما اى مؤتما به
فى الدين ومقتدى وفى التعرض لهذا الوصف بصدد تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة
اى نعمة عظيمة على من انزل عليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤبدة بالقرآن العظيم وهما حالان
من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفات الجليلة ومحاكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة
عن مطلق التمسك بما وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من علماء الدين من غير عثور على دقائق
الحقايق وصفهم بانهم يؤمنون به اى يصدقون حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد الحقة المؤيدة عن حقيقة
ومن يكفر به اى بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول
صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس فى الاخرة الا النار وفى جعلها
موعدا اشعارا بان له فيها ما لا يوصف من انواع العذاب فلا تك فى مرية اى فى شك من امر القرآن و
كونه من عند الله عز وجل عما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذى يربيك
فى دينك و دنياك ولكن اكثر الناس لا يعلمون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم
واستكبارهم فمن فى قوله تع افمن كان على بينة من ربه مبتداء حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره
افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعنى ان بينهما تفاوتا عظيما

بحيث لايكاد يتراءى نارا هما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ذكر من صفاتهم وعدد من صفاتهم كانه
قيل بعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف بتيهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما
في قولك اخاتخذتم من دونه اولياء اي بعد ان عممتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقولك اغير
ان ما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لايليق به كقولهم للملائكة
بنات الله تع عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لاتتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بايات الله تع مفترون عليه
كذبا وبهذا التركيب وان كان سببه على انكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به
قصد امقرر الانكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما يبنئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لاجرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان اولا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كريم وافضل من كل فاضل
اولئك الموصوفون بالمظالم البالغ الذي هو الافتراء على الله تع وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد
العرض الى اعمالهم والكتفى باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض
لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بحلة افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رجحهم
في اتخاذهم ارباباً من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الكتبة والنبيين اومن جوارحهم
وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء وعليه كان ذلك امر اواضح
غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لايقولون هؤلاء كذبوا
على ربهم وبجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الخ و
توطئة لما يعقبه من قوله تع الالعنة الله على الظالمين بالاظهار الذكور وبجوز ان يكون هذا على الوجه الاول
من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لايحيط بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الاشهاد الذين يصدون
اي من من يقدرون على صده او يبغون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها
بذلك وهو ابعد شئ منه او يبغون اهلها ان يحرفوا عنها يقال ابغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك وهذا شامل لكتبة بنهم القران
وقولهم انه ليس من عند الله وهم بالاخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لاانهم يبغونها
بها ويريدون ان لها سبيلا سويا بهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتاكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفر غيرهم ليس
بشئ يعتد بكفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدبر لم يكونوا معجزين الله تع اي لم يفوتوا
من اخذه شيئا اراد ذلك في الارض مع سعتها وان هربوا انها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء
ينصرونهم من باسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار
تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تع فيكون ذلك بيانا لحال الكتبة من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استيناف فيتضمن حكمة تاخير المؤاخذة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لغرط
تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لايقدرون على السمع ولما كان مبنى حالهم في عدم اذعانهم للقران الذي طريق تلقيه السمع استمر
منه في عدم قبولهم لسائر الايات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى استطاعته واكتفى في الثاني
بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والافاق وهو استيناف
وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفى من ولاية الالهة فان ما لايسمع ولايبصر بمعزل عن الولاية
وتوله تع يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما تعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون
بما ذكر من القبايح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروها لما بادوا لهوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندمة
لاجرم فيه نكتة اوجبه الاول ان لا نافية لما سبق وجزم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لاينفعهم ذلك الفعل

احق

احق انهم في الآخرة هم الاخسرون وهذا مذهب سيبويه والثاني جزم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام
اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لاجرم بمعنى لابد اي لابد انهم في الآخرة هم
الاخسرون وايا ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى تقرير
لما سبق من انكار المماثلة من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم من حيث كانوا اظلم
من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الآخرين فانتفت بالمماثلة بينهم وبين من هو
في اعلى مدارج الكمال وفي ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق
المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تع افمن كان على بينة
من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين حالا ومآلا فقيل ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج
تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقران الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي و
التدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والافاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة
ومعنى اخبت دخل في الخبت كاتهم اتجد دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين
المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لايطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم
والبصير والسميع اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول
بالاعمى والاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل و
الاشبه بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن
جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تع والاصم و
في قوله تع والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وايا ما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه بالايام الاحوال المذكورة
المعتبرة في جانب المشبه به من تعامل الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها
بعين الاعتبار وتعاميهم عن استماع آيات القران الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تع لايستوون
السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب هناك كون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن
استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبئ عنه المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح
والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لاجميع الاحوال المعددة لكل من الفريقين حسما ذكر وما
يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الاخر فان اعتبار ذلك
يزيغ الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصاممهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم
بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لاخسران فوقه هيئة تنشبه بهيئة منتزعة ممن فقد
مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق
الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تع حسبما ينبغي وخوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة
من له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين
والاستفهام انكاري نظر الما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الآية مثلا
اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل هل يستويان افلا تتذكرون ان انتكون في عدم الاستواء
وما بينهما من التباين او تتفكرون عند فلا تتذكرون بالتامل فيما ضرب لكم من المثل فتكون الانكار وارد اعلى
المعطوف فقط معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو

المثل المضروب كما في قوله تع افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لافكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب
عدمه من علمهم بخلوا الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون الله ذكر او افلا تعقلون وجعلى الهمزة انكار عدم
التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تع افمن كان على بينة من ربه
وقوله تع هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء والمخاطبين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انما هي كتاب
محكم الآيات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير
من جهتنه وقرر في تضاعيف ذلك مالا مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقادر
من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تع وتسلية الرسول عليه السلام مما عراه من ضيق الصدر العارض له من
اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتشبيهه عليه السلام والمؤمنين على الوجه
بروالعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع واسلوب يشرح في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان ما مر من التوحيد و
فروعه مما المطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى
في حقيقته كلام اصلا وتسلية بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدايد من جهتهم فضل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف ابن الواو كما في سورة الاعراف لئلا
يجتمع واوان ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر
بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما
على راس اربعين من عمره وليث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره
الف وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقبل وهو ابن مائتين وخمسين
سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الف و
اربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار
فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا
لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يفتتحوا امتثال اشارة عليه السلام مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور للحذر والتخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق صفته
بكلا وصفيه الا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولانا هية
اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك لانه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه نذيرا
مبينا ليكون ادخل في القبول ولم ينفصل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومعنونه بما ليس من اوصافه
واحواله او مقدره متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين
لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تع وقوله تع اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم تعليل لوجوب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد بيوم القيمة او يوم الطوفان و
وصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وبهذه المقالة وما في معناها تمما قاله
عليه السلام في اثناء الدعوة على ما حكي اليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان
يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تع رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الا ياتا عطف
على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام
بعد الثناء والتي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملاء الذين من قومه اي الاشراف منهم من قولهم فلان

على كذا اي مطبق له لانهم ملؤا بالكفايات الامور او لانهم ملؤا القلوب هيبة والعيون اجهة او لانهم طلاء بالاحلام
والآراء الصائبة وصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك
الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان
ذلك لرأيناه لان ذلك محتمل وكان لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي
الراي فالفعلان من رويه العين وقوله تع الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه
اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رويه القلب وهو الظاهر فيهما والمفعول الثاني و
تعلق الراي في الاول بالمشيئة لا بالبشرية فقط وانما لم يسووا القول بذلك مع جزمهم بوجود ما رموه عليه ارادة
بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سياتي وتعريضا
من اول الامر برای المتبعين فكان قولهم بادي راينا جوابا مترقبا وعليهم من الله عليه السلام ليس مثلهم حيث عاينوا دلائل
نبوته واغتنموا اتباعه من لدن تبصر وتلبث بدقيق فتعطلوا ان هؤلاء اراذل انفسا وذواتا وادانيا جمع ارذل فانه
صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وجمع ارذل جمع رذل كالكالب والكلب وكلب يعنون انه لا عبرة
باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي ظاهره من غير تعمق
من البدو او في قوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قراء ابو عمرو بها واستعمالها على الظرفية
على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب
الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا الظاهر الحسية الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم
يفقهوا ان ذلك لا يزلف عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فازبه والارذل من
حرمه نعوذ بالله وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون
ان اتباعكم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رويته
الفضل بعد تقرير مرؤيته اياهم سابقا باعتبار حالهم ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك والا نرى فيهم
وبك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا كما يكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى
النبوة واياهم في تصديقك واتصادهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام
بطريق الارادة على نهج الانصاف قال يا قوم ارايتم اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رايهم المذكور ان
كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده هي النبوة و
يجوز ان يكون هي البينة نفسها جئ بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تع رحمة ونعمة عظيمة خوجه افراد الضمير في
قوله فعميت عليكم حتم ظاهر وان اريد بها النبوة والبينة الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحد منهما
او كون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفاء خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت
اخفيت وقرئ عميت وعماها خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عميا لان الاعمى لا يرشد
ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء
وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقراء ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ميمان متصوبان وقد
قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تع فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تاتلمون منها وحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي
الا نراها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يمكن
ذلك وظاهره شكر بعد ورود عنه عليه السلام بطريق التحدي ايذانا بان الناس عن الزامهم والتعدي عن محاجتهم كقوله ولا
ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عليه السلام رد هم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بترك
الانكار الى الاقرار حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان المراد بالبينة دليل النقل الذي هو ملك

الفضل وبحسب ميتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه تناط اكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وباكون
عليها التمسك به والثبات عليه وبخفاء ذلك على الكوفة على ان يكون الغير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها والزجمة
النبوة التي انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة
على سائر الناس مستتبعة لاقتصاصه به دونهم اخبروني ان امترت بتيكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من بين
واناني بجهابنوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تهتدوا لها ثناكوثا اولم تعلموا حيازتي لها وكون ظهرها
الى الآن حتى زعمتم انكم مثلي وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها واطال انكم كارهون لذلك
فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم
التي اوردوها في خلال مقالهم من كونه عليه بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا شافه
آرائهم الركيكة ويا قوم لا اسألكم عليه اي على ما تلوته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد اياكم واياكم
في فيكون ذلك جوابا في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين
نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين امنوا جواب عما قالوا حوابه بقولهم وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء ماخ لهم عن ذلك كما صرحوا به
في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك
انفقته من الانتظام معهم في سلك واحد انتم ملاقوا ربكم تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم
فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس
والترض لوصف الربوبية لتربيته وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم
موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحملهم على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم
من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ما تر فونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر و
تفكر وما على ان اشق عن قلوبهم واترف سرذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يا باه الجزم
بترتب غضب الله تع على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الراي
بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غاية ان لا يكون في مرتبة المؤمنين
وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراي يؤدي الى الرجوع عنه عند التامل مكابرة انهم اتبعوك بلا تأمل فلا
يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني اريكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه
جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمرتبتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة آرائهم في اتهامي
ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انتهى عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الزراية بالفقر والشرف بالغنى
وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تساهمون على المؤمنين بنسبتهم الى الحماسة وبالقوم
من يتصرف من الله برفع حلول سخطه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول
السخط صقعا وانا لم يتجرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما قد مر ما يلوح به من احوالهم فكانه قيل
من يدفع عني غضب الله تع ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تع افلا تذكرون
اي الستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى ترفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب
ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهرة الدلالة على حوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق
وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعى النبوة عندي خزائن الله اي رزقه واموالة حتى تستدلوا بعدمها
على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية
ودعوايا بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين ان
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم علم الغيب حتى تستبعدوا اي الانكار والاستبعاد ولا اقول لكم اني ملك

حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم هذه
الامور الثلثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق
بالفضايل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين تزدري
اعينكم اي تحتقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شانهم لما فعلوا ذلك اي لا اقول في
شان الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فيعطيهم ما يدفع عنهم
الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عم اصالة او استتباعا كما وجد
الملكة وعلم الغيب وحيازة الخزاين مما نفاه دم عن نفسه بطريق البرى والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه
على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع
الامور المذكورة وانما تاتي من ليس على تلك الصفات وان العثور على كل منها واغتنام مغانمها ليس من وادي
الا راذل فاجاب عم بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجوه تلك الاشياء ومن موجبات النبوة ولا عدم المال و
الجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم
بان الله تع سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم
واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا
ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على هيئة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن
الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وبال راجع الى انفسهم وفيه تعريض
بانهم ظالمون في ادعائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكة وعلم الغيب وحيازة
الخزاين وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا
نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال تحقيق بعد وقوع
اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تع فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولما
جهلهم وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحجايتاها ما العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة بينا فبينا
عليهم الطيل وعيت بهم العلل وقالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني
اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول
قال انما ياتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس مما كولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله
الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلقت به مشيته التابعة للحكمة وفيه مالا يخفى من تهويل الموعود
فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دايرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين
بالهرب او بالمدافعة كما تدفعوني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يه ورعليه الخير من فعل او
قول وحقيقة الحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموقع الرشد
ليقتضى ان اردت ان انصح لكم شرط جوابه محذوف لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا
ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على حذف من جواب قوله تع ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان
الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي بناء على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط
واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جواب الشرط الاول والجملة جزاء
للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلوم بالشرط الثاني وهذا الكلام
متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات
لتماديهم في العناد وابتناء ما سبق منهم ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم واشفاقه عليهم

وبانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وانما خص النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة
الله تع لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة
والاهتمام به لتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تع لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك
على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عزوجل حيث
دل على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك
وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تع زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجدد ما واستمرارها
وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قولك تع انما يأتيكم به الله ان شاء واعليهم من
اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته
تع يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يحكم عليكم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام
يقولون افتريه قال ابن عباس رضه يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل يقول قوم نوح ان نوحا افترى
ما جاء به مسندا الى الله عزوجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي
اثمي ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ونصره ان قصره الاولون باثامي وانا
بري مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل
يعني محمدا ص ومعناه بل ايقولون مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبر نوح فكانه
اخلى به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا
للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه ص وبين قومه من المحاجة
وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الى المصرين
على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قارف
الامن وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قولهم لا ارحم الا الامك سلف فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن باس ولا تغتم بما كانوا يعاملونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء
في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا
اي بحفظنا وكلاءتنا وكان معه من الله عزوجل حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدي من الكفرة
ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهاما عن ابن عباس رضه لم يعلم
كيف صنعة الفلك فاوحى الله تع اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطير والامر للوجوب اذ لا سبيل الى
صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كونه بهذا الوجه اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله
تع اليه عليه السلام اذ سيهلكهم بالغرق ويخبره ومن معه بشئ سيصنعه بامره تع ووحيه من شانه كيت وكيت
واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت
ثلثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن
الاعلى جنس البشر هو ومن معه مما يحتاجون اليه من ازاده وحمل معه جسد ادم ع وقيل جعل في الاول
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا وثمانمائة ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين
قالوا لعيسى ع لو بعثت لنا رجلا يشهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب
فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى ع ما هذا

هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح
فقال كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحوش
وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث
كان فيه ما يلوح بما يستبعد اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق فيمضي به القضاء ولا حيف
القلم فلا سبيل الى كفه ولزم منهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للاخرين ويصنع الفلك
حكاية حال ماضيه لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك واقبل يصنعها فاقتصر على
يصنع وايا ما كان ففيه طلاعة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تع وكلما مر عليه ملا
من قومه سخروا منه استهزؤا به لجهلهم السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع
بها فتجوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء وفي بعد موضع من الماء وفي وقت عزته
عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم
الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم ير شاهد وامنه عيانا ولا اثر اعدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب
الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكارهم ان يكون لجهلهم عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق
العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهالهم في ذلك قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم
منه ع سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه ع ولذلك
تعرض الجميع للمجازاة في قوله فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهالهم ايا هم بما
فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهتهم اياهم بذلك والا فمجرد علمهم بجهلهم فيما يأتون
ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه ع لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة
وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد التنبيه والتي فان سخريتهم كانت مستمرة وتجددة حسب تجدد مرورهم به ع
لم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به
الاستيناف فكان سائلا سال فقال فماذا صنع نوح عند بلوغ منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا الى ان
تنسبونا فيما نحن بصدده من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله
فانا نتسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي
والتعرض لاسباب حلول سخط الله تع من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عزوجل
كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما حدث عن ملاء غب ملاء لاختلاف
الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشان النبي عليه السلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل سخر منكم في
المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة ولعل مراده نفاعلكم معاملة من
يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليس
مما يليه السخرية او مما يجري مجراها فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق و
يحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم وهو عذاب النار الدايم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي
اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب تعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولي او مفعول
واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة
لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدايد في بناء السفينة وكانوا يعدونه
عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما اباشره ليس فيه عذاب لاحق بي

فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزة ووصف العذاب بالاخزاء لما فى الاستهزاء
والسخرية من لحوق الخزى والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة فى التهديد وتخصيصه بالموجل
وايراد الاول بالاتيان فى غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هى التى يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة
الشرطية وهى مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استئناف
على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة للملا وقد عرفت ان الحق هو
الاول لان المقصود بيان تناهيهم فى ايذائه عم وتحمله لاذيتهم لا مساعدته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم
مايؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور
الخبز وهو قول الجمهور روى انه قيل لنوح عم اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك فى السفينة
فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح عليه السلام
وانما نبع منه وهو ابعد شئ من الماء على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجد ماعن يمين الداخل قائلا
باب كندة وكان عمل السفينة فى ذلك الموضع او فى المسجد او فى موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس
وعكرمة والزهرى ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع فى الارض اى اعلاه وعن على رضى الله عنه
وفار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اى فى السفينة وهو جواب اذا من كل اى من كل نوع لابد منه فى الاكثر
زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هى زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد
ولا ازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للاخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله
وسائر المؤمنين لكونه غريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه فى تمييز بعضه من بعض و
تعيين الازواج فانه روى انه عليه السلام قال يارب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تع اليه السباع
والوحوش والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى اليسرى فيجعلهما
فى السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره ويخفف معنى الحمل او لانها انما تحمل بمباشرة البشر
وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امراته وبنوه وناداهم
الامن قد سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم فى قوله تع ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا الآية والمراد
به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر
كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة وكفى فى صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن
اعمالهم وجئ بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جئ باللام فيما هو نافع لهم فى قوله عز وجل ولقد سبقت لعبادنا
للمرسلين وقوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء
المذكور وايثار صيغة الافراد فى آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما
آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عم واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن ابى اسحق كانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا و
امراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
واعتبار المعية فى ايمانهم للايماء الى المعية فى مقر الامان والنجاة وقال اى نوح عم لمن معه من المؤمنين
كما ينبئ عنه قوله تع ان ربى لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تع لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد
اوحى الامر بحمله فى الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج اوادخلها فى الفلك وقال للمؤمنين
اركبوا فيها كما سيأتى مثله فى قوله تع وهى تجرى بهم والركوب العلو على شئ متحرك ويتعدى بفى
واستعماله ههنا بكلمة فى ليس لان الماموربه فى كونهم فى جوفها لانوقوعها كما ظن فان اظهر الروايات انه عم
جعل الوحوش ونظائرها فى البطن الاسفل والانعام فى الاوسط وركب هو ومن معه فى الاعلى بل لرعاية

جانب المجانبة والمكانية والظرفية ان معنى الركوب العلو على شئ له حركة اما ارادية كالحيوان او غيرية
كالسفينة والحجلة ونحوهما فاذا استعمل فى الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل فى الثانى يلوح بحجلية المفعول بكلمة فى فيقال ركبت فى السفينة
وعلله الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا فى الفلك وقوله تع فاخطفا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها
بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اى اركبوا مستمين الله تع او قائلين بسم الله مجريها ومرساها
نصب على الظرفية اى وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء
بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما فى بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول
ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرساها مستقلا من مبتدا وخبر فى موضع الحال من ضمير الفلك اى اركبوا فيها
مجراة ومرساة باسم الله تع بمعنى التقدير كقوله تع ادخلوها خالدين او جملة مقتضية على ان نوحا عم امرهم باركوب
فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تع فيكونان كلاما ين له عم قبل كان عم اذا اراد ان يجريها يقول
باسم الله فتجرى واذا اراد ان يرسيها يقول باسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم متحكما كما فى قوله الى الحول ثم اسم
السلام عليكما ويراد باسم الله اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل
مجرورى للحل صفتين لله عز اسمه وجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا
ان ربى لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة
ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه
ورحمته على ما عليه اهل السنة وهى تجرى بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر باركوب اى فركبوا فيها
مستمين وهى تجرى ملتبسة بهم فى موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك
كالجبل فى ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه
كالمولود فغير ثابت والمشهور علا شواهق الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا
اخبار بان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تع ونادى نوح ابنه فان ذلك انما يتصور
قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يكن جريان ما جرى بين نوح عم وبين ابنه من المفاوضة
بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير للامر
وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشده لقوله تع فخانتاهما فما فارتكاب غليظة لا يقادر قدرها فان خيانة
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ابنع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين
وقرئ ابناه على الندبة وكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلايد الاستدعاء الى السفينة
فانه صريح فى انه لم يقع من حيوته يأس بعد وكان فى معزل اى فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته
وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل فى معزل من الكفار قد انفرد
عنهم فظن نوح عم انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان يناوح ابا فظن انه مؤمن وقيل
كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان
وقيل لم يكن الذى تقدم من قوله تع الامن سبق عليه القول نفيا فى كونه ابنه واخلاقه بل كان كالمجمل
فجملته شفقة الابوة على ذلك يابنى بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة فى
قولك يابنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين
لان الراء بعد تمام ساكنة اركب معنا قرأ ابو عمرو والكسائى وحفص بادغام الباء فى الميم لتقاربهما
فى المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجرين دون
القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اى فى المكان وهو وجه الارض خارج

الملك لانفى الدين وان كان ذلك مما يوجب كما يوجب ركوبه معدوم كونه معدوفى الايمان لانه عام بعد والتحذير
عن المهلكة فلا يلايمه النهى عن الكفر قال ساوى الى جبل من الجبال يعصمنى بارتفاعه من الماء
زعما منه ان ذلك كسائر المياه فى ازمنة السيول المعتادة التى ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك
وقد بلغ السيل الربى وجعلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى الجناب
المؤمنين فلذلك اراد ع ان يبين له حقيقة الحال ويعرفه عن ذلك بنكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب
بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفى ما اثبته للجبل من كونه عاصما من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيدا لنفى
وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفى الموصوف اصلا كما فى قوله ع حيث قال لا عاصم
اليوم من امر الله سلك طريقة نفى الجنس المنتظم لنفى جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما فى قولهم ليس فيه داع
ولا مجيب اى احد من الناس للمبالغة فى نفى كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس
كسائر الايام التى تقع فيها الوقايع وتلم فيها الملمات المعتادة التى ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض
الاسباب العادية وعبر عن الماء فى محل اضماره بامر الله اى عذابه الذى اشير اليه حيث قيل اذا جاء امرنا تفخيما
لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه فى تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التى يتنفس منها بالهرب
الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفى المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيد الحصر العصمة فى
جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه
الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته تعالى لذلك كما يوجب بتفتحا على غضبه
وكل ذلك لكمال عنايته ع بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه بيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة
وصرفه عن التعليل بما لا يغنى عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاهه وقيل لا مكان يعصم من
الله الا مكان من رحم الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا اعصمه الا من رحمه الله تع وحال بينهما الموج
اى بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاورة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تع فكان من المغرقين
اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه ع وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم
يحل بينه وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقررا الوقوع غير محتاج
الى البيان وفى ايراد كان دون صار مبالغة فى كونه مبهم وقيل يا ارض ابلعى اى انشقى استعيرله من
ازدراد الحيوان ما يكله للدلالة على ان ذلك ليس كانشقاق المعتاد والتذريجى ماءك اى ماءلى و
جهتك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما
سلف بامر الله لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعى اى امسكى عن
ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمراى كفت وغيض الماء اى نقص ما
بين السماء والارض من الماء وقضى الامر اى انجز ما وعد الله تع نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او
اتم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودى هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روى
انه ع ركب الفلك فى عاشر رجب ونزل عنها فى عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل
بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعلية للهلاك وتذكير ما سبق من قوله
ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز ما يستحا وملكت
من غرر المزايا ما يستحا وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمرى ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون
فحرى بنا ان نوجز الكلام فى هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولى الالباب والله عنده علم الكتاب
وناداى نوح ربه اى اراد ذلك بدليل الفاء فى قوله تع فقال رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى
انجاءهم فى ضمن الامر بحملهم فى الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك

الحق اى وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا
اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة
كالدارع من الدرع وهذا النداء منه ع على طريقة دعاء ايوب ع اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم
الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره بنيا على كون كنعان من
اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تع انه ليس من اهلك اى ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة
الدينية والاعلاقة بين المؤمن والكافر اوليس من اهلك الذين امرتك بحملهم فى الفلك لخروجه منهم
بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعدك بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف
التحقيقى بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما فى قولهم الخنساء
فانما هى اقبال وادبار واثما رغير صالح على فاسد المآل الفاسد ربما يطلع على طرف من شانه
الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجانا هى لصلاحه
وقرا الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه ع مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان
من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهى عن سؤال الانجاء بالنهى على وجه عام
يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسالنى اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس
لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسئول الذى
هو مفعول للسؤال اوطلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون
النهى وارد ا بصريحه فى كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب
اوغير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين
فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح فى ان مدار النهى عن الاستفسار ما لم يعلم غير
سبب عدم انجائه ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهى عن الاستفسار ما لم يعلم غير
موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشئ داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين
حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد لما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه
فى قلة الجبل وياباة تذكير الوعد فى الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر
الله الا من رحم وبحر حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تع
اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه ع ان يدعوه الى الفلك
او يعوزه لانجائه واعتزاله عنه ع وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص فى الاصرار على الكفر لظهور
جواز ان يكون ذلك لجعله بانحصار النجاة فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجرى مجرى الفلك بل قوله سآوى الى جبل يعصمنى من الماء بعد ما قال له نوح ع ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه
عليه السلام فى ايمانه حيث لم يقل الكون معهم اوسآوى او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين
ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله لبعض امره به نوح ع الا انه لو تامل فى شانه
حق التامل وتفحص عن احواله فى كل ما ياتى ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله
ولذلك قيل انى اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسالن بنون
ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب انى اعوذ بك ان اسالك اى اطلب منك
من بعد ما ليس لى به علم اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة اوطلبا لا اعلم انه صواب سواء كان
معلوم الفساد او مشتبه الحال اولا اعلم انه صواب اوغير صواب على ما مر وهذه توبة منه ع مما وقع منه
وانما لم يقل اعوذ بك منه اوما ذلك مبالغة فى التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما

لعنه الله تع وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان استاك لما فيه من الدلالة على كون ذلك مرادا بلا محذور
لا يحيص منه الا بالعفو بالله تع وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال
المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين انما لا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تع لا سيما
عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة من الهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص
من قبيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تع في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر
هذا النداء من حكاية الامم الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء
الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تع فكان من المغرقين جميعا
وقع في الخارج اذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بالغرض مهما هو
جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الا صولية الا بعد اليقين فيما
على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان
يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب
هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتشنيع التوبيخ عليهم بكل نوع نوع على حدة
فقوله تع واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة
الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تع واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الامور
الفظيعة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تشنيع التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد وانما
ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراع فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية قاهرة للقرابة
النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع
لذكر ما مر من الجواب المستدعى لذكر ما مر من توبة نوح المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد
بنزوله ع من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين جميعا سيجئ مفصلا ولا ريب
في ان هذه المعاني آخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفوق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها
من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال
ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازدادت حسن
موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله
فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله تع انه ليس من اهلك الخ انه يتجدد دعاءه ع
فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة
الربانية الازلية بما ذكر من اول الامر من الفيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريانه قضاءه
ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي فعقبت
القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اتى بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح ثم
وبين ربه عز وجل من حكمة فذكر بعد توبته ع ما قيل له بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من
الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا
عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم
معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تع بقبول توبته
وخلاصة من الخسران بضمان انواع الخيرات عليه في كل ما ياتي ويذر وعلى امم ناشئة ممن معك
متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة من معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم
اي ومنهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على

ان بعض

ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم
ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح ع مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم
ذلك من كونهم مع نوح ع ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى
امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم امم متخيرة وجماعات متفرقة اولان جميع الامم انما تشعبت منهم
فح يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تع وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة
منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا لمدلول عليه ومع ذلك فيه
دلالة المذكور على جزء المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوف تبعيضية او ابتدائية فليتامل
ثم تمسهم امامي الآخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي وخلق في ذلك
السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابي زيد بسطوا والله
عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم المتشعبة قوم هود وصالح ولوط
وشعيب ع وبالعذاب ما نزل بهم تلك الاشارة الى ما قص من قصة نوح ع اما كونها بتفصيلها في
حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدا وخبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من
قبيل سائر الانباء بل هي شيء وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبرتان والضمير لهما
اي موحاة اليك او هو للخبر ومن انباء الغيب متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة
او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك
وعند قومك من قبل هذا اي من قبل اجائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي
حصل بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك
بها وفي ذكر قومه تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمها لانه لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يؤخذ
منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله تع ما كنت تعلمها انت ولا
قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحينا ما اليك او علمناه بانه لك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وايذاء قومك
كما صبر نوح على ما سمعت من انواع البلايا في المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تع فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته في
نوح ع وقومه ولك فيه اسوة حسنة وسلى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون
العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسلي ع ويهون
عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى
منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالبري عن الشرك وعليه قوله تع والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد
الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويبتتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي
المطلوب بقوله تع اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى متلو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر
فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمحذوف معطوف على قوله تع ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب
لقوله تع اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم
المجرور على المنصوب ههنا للاخذ عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالعمل المذكور فيما سبق واخاهم
معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تع هودا عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام
من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوض بن ارم بن سام بن نوح ع وقيل هود
بن سالح بن ارخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم اخص لكلامه واعرف بحاله و
ارغب في اتباعه قال لما كان ذكر ارساله م اليهم منطنة لسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه

بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوه كما ينبئ عنه قوله تع ما لكم من آلهة غيره فانه
استيناف يجرى مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل لم خصوه بالعبادة ولا تشركوا به
شيئا فليس لكم من الهة سواه وغيره بالرفع صفة للاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه ان انتم ما انتم الا تخرصون
الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تع عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسالكم
عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب به كل نبى تحقيقا لمعنى ما يحمونه وايحاضا للتصحيح فانها
ما دامت مشوبة بالمطامع يمنع عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم
الفائضة من جناب الله تع المستوجبة للشكر الذى لا يتاتى الا بالايمان على موجب امره الغالب معرضا عن
المطالب الدنيوية التى من جملتها الاجر افلا تعقلون اى التعقلون عن هذه القضية او لا تتفكرون
فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شئ فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغى ان يخفى على احد من العقلاء
ويا قوم استغفروا ربكم اى اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه
اى توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله تع والرغبة فيما عنده يرسل
السماء اى المطر عليكم مدرارا اى كثير الدور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اى يضاعفها
لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب ازرع وعمارات وقيل حبس الله تع عنهم القطر واعقم رحما
نسائهم ثلث سنين فوعدهم بما هم كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا
تتولوا اى لا تعرضوا عما دعوتكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة اى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات
الغائية للحصر وما نحن بتاركى آلهتنا الابتاركى عبادتها عن قولك اى صادرين عنه اى صادرا
تركنا عن ذلك باسناد وحال الوصف الى الموصوف ومعنا التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية
ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم فى سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اى بمصدقين فى شئ مما تاتى وتذر فيندرج تحته ما دعاهم
اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة التكيمة وتجاوز الحد فى العتو ما لا
يخفى ان نقول الا اعتراك اى ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك بعض آلهتنا بسوء
بجنون لستهك آياتها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من توهمك
ما لكم من آله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير فى سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا فى العتو كما ينبئ عنه نسبة
ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لتو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر
لما قرر من قولهم وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم يكونه عما
قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق
والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك لانه لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة
عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا فى طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقى
من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه دم بالبينة مع احتمال كون ما جاء به دم حجة فى
نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد ونيا عن ترك الامتثال بقولهم وما نحن بتاركى آلهتنا
عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له دم فى كلامه ثم نفوا التصديق بقولهم له وما نحن لك بمؤمنين
مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله
انى يؤفكون قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه اى من اشراككم من
دون الله اى من غير ان ينزل به سلطانا كما قال فى سورة الاعراف اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم و

آباؤكم ما انزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من الهتهم غير الله اجاب به عن مقالتهم المحققا والمبنية على اعتقاد
كون آلهتهم مما يضر او ينفع وانما يمثل من ذلك ولا كان ما وقع او لا مندوحة فى حق المصممين من كونها بمثل هذه
الاوصاف انما اوقع فى ضمن الامر بعبادة الله تع واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يوبخ
شيئا حتى زعموا انها تعيبهم بسوء مجازاة لصنيعه معها صرحوا بما بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءة القدمة
منها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تع على ذلك وامرهم بان يشهدوا ذلك ويشهدوا به استهانة
بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع المعتمم جميعا ودون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون
فى ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال فى ذلك فقال فكيدونى جميعا ثم لا
تنظرون اى ان صح ما لوهتم به من كون بعض آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها فلا
يطرق ضيق فانى برئ منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدى ثم لا تمهلونى ولا تحولونى فى ذلك
فالفاء لتفريع الامر على زعمهم فى قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه
عم كان رجلا مفردا بين اظهر الجمع الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد والغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم
وآلهتهم وبتجهيلهم على مباشرة مبادى المضادة والمضارة وحثهم على التصدى لاسباب المعاداة هو
المعارة فلم يقدروا على مباشرة شئ مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد تجاذل
ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال انى توكلت على الله ربى وربكم يعنى انكم وان بذلتم فى
مضارتى مجهودكم لا تقدرون على شئ مما تريدون بى فانى متوكل على الله تع وانما جئ بلفظ الماضى
لكونه اول على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه عن عوائلكم وهو مالكى ومالككم لا
يصدر عنكم شئ ولا يعبا بكم الا باراءته ومشيته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها
اى الا هو قاهر لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك
ان ربى على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اى هو على الحق والعدل
فلا يكاد يسلطكم على اذا لا يضيع عنده معتصم ولا ينعتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى
نفسه اما بطريق الاكتفاء للظهور المراد واما لان فائدة كونه تع مالكا لهم ايضا راجعة اليهم فان تتولوا
اى تتولوا بحذف احدى التائين اى ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولى والاعراض فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم اى لم اعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب
والجحود ويستخلف ربى قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تع يهلكهم ويستخلف فى ديارهم
واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود ويستخلف بالجزم عطفا على الموضع كانه
قيل فان تتولوا يعذبنى ويهلكهم ويستخلف مكانكم آخرين وفى اقتصار اضافة الرب عليه م مع الالتفات
به والله مير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن خرم ويستخلف
اسقط منه النون ان ربى على كل شئ حفيظ اى رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم حسبما
او حافظ مستول على كل شئ فكيف يضيره شئ وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اى نزل عذابنا وفى
التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجئ ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب
نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهى الايمان الذى
انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اى كانت تلك النجية تنجية من عذاب
غليظ وهو السموم التى كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا ارب او قيل ارید بالنجية
النجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه النجية وان لم تكن مقيدة بمجئ الامر لكن جئ
بها تكملة للنعمة عليهم وتوبيخا بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الاخرة بالعذاب

اللفظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم بجحدوا بايات ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود مم تعظيما لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له مم عصيان لجميع الرسل السابقين والاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا تفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع الايات وما ما هو من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الذين ضلوا الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر مما وصاف الاساقل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من حداهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اى جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيث ماداروا ولو قوعها في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اى تتبعهم اللعنة يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها ولا يذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تع واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اى بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الابعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم كائنين اى هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق المهلك واستجلاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للتمهيد في تنطيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدة التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا او ثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل الوصالح هو ابن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن عاد بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم منظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله الى وحده وعلل وكلب بقوله ما لكم من آلهة غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اى هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب او قصر افراد فان خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما تقرر ان خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على تفرد بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء بطريق الخلق من الارض فتدبر واستعمركم من العمرى عمركم واستبقاكم فيها او من العمارة اى اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمر بمعنى اعمركم فيها ديارا كم ويرثها منكم بعد انصرامكم اعمارا كم او جعلكم معمرين وبادكم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فعل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد مر تحقيقه في بيان ما يوجب ذلك مفصلا ان ربي قريب اى قريب الرحمة كقوله تع ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغائية المتاخرة عنهما في الوجود اعني

الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اى كنا نرجو بك لما كنا نرى فيك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الان على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك رجاؤنا وقراءة طلحة مرجوا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اى نعبده والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اى موقع في الريبة من اراب اذا اوقعه في الريبة اى قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من آداب اذا كان ذا ريبة وايا ما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم اى اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اى حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري واتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين وعادتهم المحاورة لاستنزالهم من المكابرة فمن ينصرني من الله اى فمن يجيرني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان جميعا يرجع عنه قوله تع ان عصيته اى بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تاتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شانه ابعد والمؤاخذة عليه ألزم وانكار نصرته اهل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى يزيده غير تخسير اى غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تع او في تزييدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم في سرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيد من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيد على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم اية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من اية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبر او عاملا في اية فذروها خلوها وشانها تاكل في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بكونها وشانها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي الاصابة وذكر السوء اى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيا خذكم عذاب قريب اى قرب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج لهم من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ عليهم صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتومنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا بها ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقون من الايمان دواب بن عمرو الحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فارا سحا من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفج فيحلبون ما شاؤا حتى تملئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فتضيق ذلك

ذلك عليهم فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المحيا رفعقروها وتقاسموا لحمها فرقى
سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال لهم صالح اركضوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
وانفرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا اى عيشوا فى داركم اى فى منازلكم
او فى الدنيا ثلثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة
ثم يصبكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد
بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له آتى بك فان وفى به صدقه والا كذبه
او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بنزوله وفيه بالا
يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة
منا وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما قرا ولمبتين برحمة وراقة منا ومن
خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ
على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزى يومئذ اى من ذلته ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة
كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من
عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله
من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء
لا سيما عند الابناء بحلول العذاب ابهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين
ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة
اى صيحة جبريل ع وقيل انتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض
فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة
المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا الى صاروا فى ديارهم اى بلادهم اه مساكنهم جاثمين
لا مدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة
كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعة الاتيان نعوذ
بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التى بينها صالح ع من اصفرار وجوههم واحمرارها
واسوداده عمدوا الى قتله ع فنجاه الله تع الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو
السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كان لم يغنوا اى كان لم
يقيموا فيها فى بلادهم او فى مساكنهم وهو فى موقع الحال اى اصبحوا جاثمين ماثلين لمن لم يوجد
ولم يقم فى مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان وتوئه ابو بكر هنا وفى النجم
وقراه حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما
مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك فى قوله تع
الا بعدا لثمود وقراه الكسائى بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملئكة ع عن
ابن عباس رض انهم جبرئيل ع وميكائيل وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال
الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدى احد عشر على صورة
الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا ع وانما اسند اليهم مطلق المجئ
بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه ع بل الى قوم لوط وانما جاؤه لدعاية البشرى

ولما كان

ولما كان المقصود فى السورة الكريمة ذكر سوء مصير الامم التى قفت مع الرسل المرسلة اليهم وتحقيق العذاب بهم
بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم ع ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب
المطرد فيما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين
اخاهم شعيبا بالبشرى اى بالبشارة هى مطلق البشرى المتضمنة للبشارة بالولد من سارة
لقوله تع فبشرناها باسحق الآية وقوله تع وبشرناه بغلام حليم وقوله تع وبشروه بغلام عليم والبشارة
بعدم لحوق الضرر به لقوله تع فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يظهر وقوع المجادلة على
مجيئها كما سيأتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط وبانه مجادلته ع فى شانهم والاظهر البشارة
بالولد ويستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع
بانهم ماقالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اى سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا
اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اى عليكم سلام او سلام عليكم حييتم باحسن من
تحيتهم وقرئ سلم بكسر فى حرام وقراه ابن ابى عبلة قال سلاما وعنه انه قراه بالرفع فلبث
اى ابراهيم ع ان جاء بعجل اى فى المجئ به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اى مشوى بالرضف فى
الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما راى
ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اى انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى
وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم
كانوا لا ينكتون بعد اجماع كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه ع راجع الى
فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته
لهم لعدم كونهم من جنس من كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تع فى الذاريات سلام قوم منكرون
واوجس منهم اى احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله عليه والتعبير
قومه وانما اخر للمفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه ع اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة
لانه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس
اليه فيتمكن عند ورود عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما راوا منه مخايل الخوف
ازالة له منه بل بعد اظهاره ع له قال تع فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء
بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف فى معنى التعليل للنهى المذكور كانه قيل لم لا نخف فقيل
تعليلا لذلك فان ارسالنا الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط
خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تع قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
صريح فى انهم ما قالوه جوابا عن سوالهم وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامراته قايمة وراء
الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للاخذ منه حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه
وهى قايمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف وبهلاك اهل الفساد وبهما جميعا
وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم ع امر اهلك لوطا
فانى ارى ان العذاب نازل بهولاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال
صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اى عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة
رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اى وهبنا لها
من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب هو لود
او وجود وكلا الاسمين داخل فى البشارة كيف او وقع فى الحكاية بعد ان ولدا فمعنى بذلك

وتوجيه البشارة عندنا ليعلم ان الاصل في ذلك ابراهيم عم وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منها ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتى اصل الويل الحزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقراء الحسن على الاصل واما لها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضوركن وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت األد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل البعل القايم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدإ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في الد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي الد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عم لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد الشيوخ من الشواب واما العجايز فدأوبهن عُقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عم وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال الناقلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تع المملوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرة الله تع قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومنظر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزيدها ما يبدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تع الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تع وتحمده وتمجده والى ذلك اشار بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هاتيه الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عم ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف عُلل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله على كل شيء قدير وسلم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمة الله المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة تعليل لما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم

فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة والحمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عم ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل

وجه

وجهل لم مدخل تام في السباق والسياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه منصب الفائدة فان تاخيرها حقه التقديم تبقى النفس منتظرة الى ورود في يتمكن فيها عند ورود البعا فضل تمكن وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فبينة ذهاب الخوف وهي السرور للبعا دلالة الدخول عليها بقوله تع يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او لطفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بهما فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة الطمينان قلب بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته ايام اذ قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال افاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعندذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قبل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عم قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تع قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فانما كان لوط عم على شريعة ابراهيم عم وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عم بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن آساه اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تع والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عم على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا يجدال ولا يدعاء ولا بغيرها ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضه انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط عليهما السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان مُرد حسان الوجوه فلذلك سيئ بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مرافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيئ وسيئت باشمام الشين الضم روي ان الله تع قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما شمى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض فما يعمل بهذا قوله تع فظلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة عن المرفق الى الانامل والذرع حدها ومعنى ضيق الذرع في قولهم ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مد يده لم يتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصيبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضافة قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون طلبا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي الخبائث

سرعين والحال انهم كانوا متمكنين في عمل السيئات فحرزوها وتمكنوا فيها حتى لم يبق عندهم قبا حتها ولذلك
لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين بها هرين قال يا قوم بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبون
من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم للعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جايزا وقد
وقد زوج النبي عليه السلام ابنته من عتبة بن ابي لهب و ابي العاص بن الربيع قبل الوحي وبهما كافران و
قيل كان لهم يومئذ ان مطاعان فاراد ان يزوجها ابنته وايا ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية
الكرم وقيل ما كان ذلك القول مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهار
لشدة اهتمامه عما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا
عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وبينه ولا نسب بقولهم لقد علمت
مالنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش وايثارهن عليهم ولا تخزون
في ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين
عما نصحهم به من الامر بتقوى الله والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت مالنا في بناتك
من حق مستشهدين بعلمه بذلك بعيون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما
عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران وما
يئسوم من اعراضهم عما هم عليه من الفتى قالوا لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت
ما صنعت كقوله تع ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى او آوي الى ركن شديد
عطف على ان لي بكم الخ الما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع
به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن
شديد روي انه عم اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات
الملئكة عم ما على لوط عم من الكرب قالوا اي ارسل عم لما شاهدوا عجزه عن مرافقة قومه يا لوط
انا ارسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا
فاستاذن جبريل عم ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي تكون فيها فنشر
جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يهتدون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء
النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر بالهلك بالقطع من الاسراء وقراءة ابن كثير ونافع بالوصل
من السرى حيث جاء في القرآن من السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار بسالفة المؤذنة بورود
الامر والنهي من جناب عز وجل اليدم بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد الا لا تخلف
او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت
الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او للايروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك
استثناء من قوله تع فاسر بالهلك ويؤيده انه قرئ فاسر بالهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع
على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين
المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عم غير مامور بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك والا تعذر
بان مقتضى الرفع انما هو خروجها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة
لجواز ان تسرى بغيرها كما يروى انه عم لما اسرى بالهله تبعتهم فلما سمعت هذه العذاب وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسر بها عم من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر

بالاسراء

بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عم بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء
الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفي عمل الاباية في احدى القراءتين
على الاباية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التكلف والاعتساف كرر على فرقه من المناقضة
قالا ولى ح جعل الاستثناء على القراءتين من قوله تع ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراءه بالنصب وان
كان الافصح الرفع على البدل و لا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح و لا يلزم من ذلك امر ما بالالتفات
بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريق الاستيناف بقوله تع انه مصيبها ما اصابهم
من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف والتغيير في انه لشان وقوله تع مصيبها خبر وقوله ما اصابهم
مبتداء والجملة لان الذي اسمد ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم و لا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات
المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء
للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملئكة عم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك
فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع و لانه
اشد بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها
اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدين فيها اربعمائة الف الف سافلها
اي قلبنا ها على ذلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا وان تحقق القلب
بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد
عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عم جناحه تحت اسفلها
ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسنادا لجعل و
الامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليهم على اهل
المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله تع حجارة من طين واصله سنك كل
فعرب وقيل هو من السجلة اذا ارسله او اوتر عليه والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العلية في
الاوار او من التسجيل اي مما كتب الله تع ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما
منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة
معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند
ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين
من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها ملابسون بها وفيه وعيد شديد للاهل الظلم
كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل جبريل عم فقال يعني ظالمي امتك وما من ظالم منهم
الا وهو يرض بحجر يسقط عليه من ساعته وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها
في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالجواب او باجرائه على موصوف مذكر
اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها
حين هوت منحطة في اسرع شيء الحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على تاويل النقمة المصدر كالزفير
والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي اولاد مدين بن
ابراهيم عم او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم
اي نسبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن
مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تع والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين اخاهم

شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
كما قال من قبل من الرسل ع م يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا مالكم من آلهة غيره
تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم
عن ترتيب مبادى ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال
والميزان كى تتمكنوا بذلك الى البخس حقوق الناس انى اريكم بخير اى بلبسين بثروة وسعة
تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تمتع حقها ان تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس
شكرا عليها او اريكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وسوء على كل حال علة للنهى عقبت بعلة اخرى
بمعنى قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ عنه شاذ
منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قولهم تمع و احيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او
عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد المجازى وفيه من المبالغة
ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للعذب ما تشتمل
عليه منه كما اذا احاط بشخص وجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهى جميعا ويا قوم اوفوا الكيل والميزان
بالقسط اى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة فى الكيل والوزن وان كانت تفضلا
مندوبا اليه لكنها فى الآلة مخطورة كالنقص فلعل الزائد للاستمال عند الاكتيال والناقص للاستمال
وقت الكيل وانما امر بتسويتها وتعديلهما صريحا بعد النهى عن نقصهما مبالغة فى الحمل على الايفاء والمنع من
البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه
معيارا للظلم وقانونا للعدوان ولا تبخسوا الناس ببب نقصهما وعدم اعتدالها اشياءهم
التى يشترونها بما قد صرح بالنهى عن البخس بعد ما علم ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار والامر بايفائه
اتماما بشانه وترغيبا فى ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها وجوز ان يكون المراد بالاخير ايفاء
الكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهى عن البخس عاما للنقص فى المقدار
وغيره تعميما بعد التخصيص كما فى قوله تع و لا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثى يعم نقض الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل البخس العكس كاخذ العشور فى المعاملات قال زهير بن ابى سلمى انى
كل اسواق العراق اتاوة وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثى فى الارض السرقة وقطع الطريق و
الغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر ع م من خرق السفينة وقتل الغلام
وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر اخركم ومصالح دينكم بقية الله اى ما ابقاه لكم من الحلال
بعد التنزه عن تعاطى المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور
بل شر محض وان زعم ان فيه خيرا كقوله تع يمحق الله الربوا ويربى الصدقات ان كنتم مؤمنين
بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروطة بالايمان لا محالة
او ان كنتم مصدقين بى فى مقالتى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات
خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهى تقواه عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم
من القبائح واحفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد عذرت اذ انذرت ولم آل
فى ذلك جهدا او وما انا بحافظ وستبتى عليكم نعم الله تع ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع
قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره ع م
انما بعبادة الله تع وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا فى ذلك وبلغوا اقصى
مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الآمر بذلك حتى ادعوا ان الآمر

من

من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق
الاستهزاء اصلوتك التى هى من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان
التى توارثنا كابا عن جد وانما جعلوه ع م مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تع وغير
ذلك من الشرايع لانه ع م لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحى وانه كان يعلمهم بانه
مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم بانساد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه ع م كان كثير
الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا راؤه يصلى يتغامزون ويتضاحكون فحكاها هى من بين سائر
شعائر الدين نحكية لهم وقرئ اصلواتك اوان تفعل فى اموالنا ما نشاء جواب عن امره ع م
بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اى اوان نترك ان نفعل فى اموالنا ما نشاء
من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء فى الفعلين عطفا على مفعول تامرك ان تفعل
انت فى اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما قبل يستدعى ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد
بفعله ع م ايجاب الايفاء والعدل فى معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك من افعاله ع م بل من افاعيلهم
وانما لم تقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه ع م
وامره اياهم بذلك والمعنى اصلوتك تامرك ان نكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى اصلوتك
تامرك بما ليس فى وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه ع م
واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعى ان يصدر عنه ع م
فى اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك فتامل وقرئ بالنون فى الاول وبالتاء فى
الثانى عطفا على ان نترك اى اوان نفعل نحن فى اموالنا عند المعاملة ما نشاء انت من التسويد و
الايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه ع م بالوصفين على طريقة التهكم وانما اراد وا بذلك
وصفه بضديهما كقولهم احرزته ذق انك انت العزيز الكريم وجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد
ما ذكروه على معنى انك انت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام
الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اى
حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تع من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء فى جعلهم
امره ونهيه غير مستندين الى سند من ربى وما لك اموری وايراد حرف الشرط مع جزمهم بكونه على ما
عليه من البينات والحج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه فى نظائره
ورزقنى منه اى من لدنه رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما
مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف
يدل عليه فحوى الكلام اى اتقولون فى شانى ما تقولون والمعنى انكم نظمتمونى فى سلك السفهاء الغواة
وعددتم ما صدر عنى من الاوامر والنواهى من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام
الوسوسة والجنون واستهزأتم بى وبافعالى حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام
والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به آمر لعقل ويقضى به قاض فطنة وانما يامر به صلوتك
التى هى من احكام الوسوسة والجنون فاخبرونى ان كنت من جهة ربى وما لك اموری تابتا
على النبوة والحكمة التى ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك رزقا حسنا
تقولون فى شانى وشان افعالى ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر ورآء هذا هو الجواب الذى يستدعيه
السياق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لى ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان
والكف عن المعاصى اويل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى

فى وجيه وا خالفه فى امره ونهيه فيعزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة وارید بالصلوة الدين على معنى اوينبغ يامرك ان تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف للحلق فى اموالنا وتخالفنا فى ذلك وتشق عصانا وهذا مما لاينبغى ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرورا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذى اتاه الله تح والمعنى تح اخبرونى ان كنت نبيا من عند الله تح ورزقنى مالا حلالا استغنى به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوانقكم فيما تاتون وما تذرون وما اريد بنهيى اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اى ما اريد بما اباشره من الامر والنهى الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اى مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح فى الجملة لا عن ارادة ما ليس فى وسعه منه وما توفيقى الا كونى موفقا للتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اى بتاييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الحق مستند اليه سبحانه وانما انا من مبادية الظاهرة قالوا ندم تحقيقا للجمع وازاحة لما عسى يوهم اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت فى ذلك موضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمنزل من مرتبة الاستبداد به والاستظهار واليه انيب اى ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كونى موفقا لاصابة والصواب فى كل ما آتى وآذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتى والفعلى واليه انيب اى عليه اقبل بشراشر نفسى فى جامع امورى واثار صيغة الاستقبال على الماضى الانسب للتقرر والتحقق كما فى التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى فى جوبه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمجاورة وتمهيد معاد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به فى اموره وجمع اطراف الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله تح للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هى الرجوع الاختيارى بالفعل الى الله تح لا الرجوع الاضطرارى للجزاء او مايقعه وياقوم لا يجرمنكم اى لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقى معاداتى واصلها ان احد المتعاديين يكون فى عدوة وشق والآخر فى آخر ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اى لا يكسبنكم معاداتكم لى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق اوقوم هود من الريح اوقوم صالح من الصيحة والرجفة وقراءة ابن كثير بفتح الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما تقول كسبت المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه فى المعنى الا ان الاول اصح واد ور على السنة الفصحاء وقراءة ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه فى الحقيقة نهى للكفرة عن مشاقته ع على الطف اسلوب وابدعه كما مر فى سورة المائدة عند قوله تح ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظورا فى سمط ما ذكر من دواهى الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمعاصى فلا يبعد ان

يصيبكم

يصيبكم مثل اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم شئ بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او اماما فى زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك كله نعيا على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة تمنيعهم عقبه بالحث على ما يزيل موانع ما كانوا فيه مما يعيبون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره مثله فى اول السورة ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ فى فعل ما يفعل بليغ المودة بمن يودّه من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اى ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى القدح فى منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقاق كما هو دين المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرى فحواه وادعوا فى ضمن ذلك ان فى قضاعيفه ما يستوجب نقصا ما يكون من المؤاخذة والعتاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شئ من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لالولا ما يمنعنا ويدفعنا لرجمناك فان مانعة الرهط وهو ما دون الثلثة الى السبعة او الى العشرة ومن الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله تع وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى تمنع من رجمك وانما كف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين تبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفى وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفى الى الكفاءة فى الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عايدا الى نفى ما فيه هم من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتعقيبه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى الاقتصاد ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله استئناف بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجانبه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تح مع ان ما الشرطية انما هو ملتفت عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشراك فى اصل العزة تثبيتا للتقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تح وثانيا بنفى العزة بالمرة والمعنى ارهطى اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا الله تح خلف ظهوركم من العزة اصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالمسنى فى النسبة الى الامس ان ربى بما تعملون من الاعمال السيئة التى من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار مرة والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عم لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جانبه القوى فكيف تراعون جانب رهطى الاذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عم اصرارهم على الكفر وانهم لا يزجرون عما هم عليه من المعاصى حتى اجتروا على الفظيعة التى هى الاستهانة به والعزيمة على رجمه لو لا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اى على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانه اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عم رد الما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم

عليه من الكفر والمشاقة لى وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم فى معارضتى وايقاع ما فى نيكم واخراج
ما فى امنيكم من القوة الى الفعل انى عامل على مكانتى جسما يؤيد فى الله ويوفقنى بانواع التاييد والتوفيق
سوف تعلمون لما هددوهم بقوله عليه السلام اعملوا على مكانتكم انى عامل كان مظنة ان يسال منهم سائل فيقول
فاذا اكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما
اوعدوه م به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزى ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو
كاذب عطف على من ياتيه لا على انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب
او الكاذب وفيه تعريض بكذبهم فى اوعاشم القوة والقدرة على رجمه م وفى نسبته الى الضعف والهوان
وفى اوعاشم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب
الكاذب ليس بمرتقب كاتيان العذاب بل انما المرتقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة
للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون ايتنا ياتيه عذاب يخزيه وايتنا كاذب واما موصولة اى سوف تعرفون
الذى ياتيه عذاب والذى هو كاذب وارتقبوا وانتظروا اثال ما اقول لكم انى معكم رقيب منتظر
بمعنى الراقب كالصريم اوالمراقب كالعشير اوالمرتقب كالرفيع وفى زيادة معكم اظهار لامنه م بكمال الوثوق بامره
ولما جاء امرنا اى عذابنا كما ينبئ عنه قوله لترتج سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه اوقته فان الارتقاب
موذن بذلك نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا وهى الايمان الذى وفقناهم له اوبرحمة كائنة
منا لهم وانما ذكرنا الواو كما فى قصة عاد لما انه لم يسبقه ذكر وعد يجرى السبب المقتضى لدخول الفاء فى معلوله
كما فى قصتى صالح ولوط فانه قد سبق هناك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم
بسبب ظلمهم الذى فصل نظيما سبق فى قوله تع سوف تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجئ العذاب بل من يجيئه ذلك جعل محسوسا
الرجفة وفى سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من رواد فى الصيحة بالمتبعة لتموج
الهواء المفضى اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ميتين لازمين لا مكنهم لا براح لهم منها ولمالم
يجعل متعلق العلم فى قوله تع سوف تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجئ العذاب بل من يجيئه ذلك جعل محسوسا
بعد ذلك امر مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تحقيقه شيئا مما لا بد منه واهلاك الكفرة جوابا
له ومتعلقا والافادة وانما قدم تحقيقه اتماما بشانها واينانا بسبق الرحمة التى هى مقتضى الربوبية على الغضب
الذى يظهر اثره بموجب جرائمهم وجوائمهم كان لم يغنوا اى لم يقيموا فيها متمتعين فى اطرافها منقلبين
فى اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون اول على طعنهم الذى
اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعنى ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما
اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء مسيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم
على الاصل فان الكسر لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لها والبعد مصدر
للكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهى الايات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلها آية واحدة
وعدها اخلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من مفعول ارسلنا اونعتا لمصدره المؤكد اى ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا
ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها كلو فعلنا بهما
او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شئ واحد اى ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه
سلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها من ابان لازما او متعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تع

وبجعل لها سلطانا ويجوز ان يكون الراء ما بينهم فى تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فاجابه الاقرون
الاولى من الحقايق الرائقة والدقايق الفائقة وجعله عبارة عن التورية اواولى بها فى جملة الآيات يرده قوله عز
وجل الى فرعون وملائه فان تلك انما كان بعد هلاك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما
يأتون ويذرون وامافرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة
الشنعاء التى كان يتعيشها الطاغية ويقبلها منه فئة الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص
ملائه بالذكر مع عمومه م لرسالته م لقومه كافة لاصالتهم فى الراى وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود
والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر
على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اى امره بالكفر بما جاء به موسى م من الحق المبين لانذان
بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه بذلك امرا محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك
شان ملائه المترددين بين ما دا الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء فى اتباعهم
المترتب على امر فرعون المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بفجاعتهم فى الاتباع ومسارعتهم
فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك فى وقت
واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم وبجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا
فاستمروا على الاتباع والفاء مثل مافى قولك وعظته فلم يتعظ ووصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشئ
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد ومنشا حادث فتامل
وذكر الاحضار لدفع توهم الرجوع الى موسى م من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون
علم فى الفساد والافساد والاضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال فى
قوله تع وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغى وتقييده بمحمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى السداد
او ذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازى وعلى الثانى مجاز والاسناد حقيقى يقدم قومه
جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اى يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان
حاله فى الاخرة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار فاوردهم يتبعونه او لتوضيح عدم
صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اى يوردهم وانيا صيغة الماضى للدلالة على تحقق
الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار
بالماء الذى يردونه ثم قيل وبئس المورد المورود اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد
انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملاء الذين اتبعوا
امر فرعون فى هذه اى فى الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة و
يوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهى تابعة لهم حيثما سارت وادائرة معهم اينما داروا وفى
الموقف فكما اتبعوا امر فرعون اتبعتهم اللعنة فى الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم للفظيع
وشانهم التشنيع عن بيان حال فرعون اذ حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم
فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا
على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء و
لا يلائم المقام فاصله ما يضاف الى غيره ليعده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى اللعنة
فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة ومؤيدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك
اشارة الى ما نقص من انباء الامم وبعده باعتبار تعقيبه فى الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء القرى المهلكة جاز تعريفه ايرى اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر

ای ذلک البناء بعض ابناء القری مقصوص علیک منها ای من تلک القری قایم وحصید ای ومنها حصید
حذف لدلالة الاول علیه شبه مابقی منها بالزرع القایم علی ساقه وما نفا وبطل بالحصید والجملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب وما ظلمناهم بان اهلکناهم ولکن ظلموا انفسهم بان جعلوا انفسهم عرضة للهلاک باقتراف ما یوجبه
فما اغنت عنهم فما نفعتهم والاوقعت باس الله تع عنهم الهتهم التی یدعون ای یعبدونها من دون الله اوشیئا
صیغة المضارع حکایة للحال الماضیة او دلالة علی استمرار عبادتهم لها من شئ فی موضع المصدر ای شیئا من الاغناء
لما جاء امر ربک ای حین مجئ عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ الهتهم التی یدعون علی البناء للمجهول وما زادوهم
غیر تتبیب ای اهلاک وتخسیر فانهم انما هلکوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وکذلک ای ومثل ذلک الاخذ الذی
اخبرناه وهو رفع علی الابتداء وخبره قوله تع اخذ ربک وقرئ اخذ ربک وقرئ اخذ ربک بالنصب علی انه مصدر مؤکد
اذا اخذ القری ای اهلها وانما اسند الیها للاشعار بسریان اثره الیها حیثما ذکروقرئ اذا اخذ وهی ظالمة
حال من القری وهی فی الحقیقة لاهلها لکنها لما اقیمت مقامهم فی الاخذ اجریت الحال علیها وفائدتها الاشعار
بانهم انما اخذوا بظلمهم لیکون ذلک عبرة لکل ظالم ان اخذه تع الالیم الشدید وجمیع مایعذب علی الماخوذ لایخلو
منه الخلاص وفیه مالایخفی من التهدید والتحذیر ان فی ذلک ای فی اخذه تع للامم المذکورة او فی قصصهم
لایة لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة فانه للمعتبر به حیث یستدل بما حاق بهم من العذاب الشدید بسبب
ماعملوا من السیئات علی احوال عذاب الاخرة وما من انکر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان لیس هو ولا
شئ من احواله مستندا الی الفاعل المختار وان مایقع فیه من الحوادث فانما یقع لاسباب تقتضیه من اوضاع فلکیة
تتفق فی بعض الاوقات لا لما ذکر من المعاصی التی تقتضیها الامم الهالکة فهو بمعزل من هذا الاعتبار بتاتا لعدم
ولما لهم من الافکار ذلک اشارة الی یوم القیمة المدلول علیه بذکر الاخرة یوم مجموع له الناس
ای یجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغییر للدلالة علی ثبات معنی الجمع وتحققه وقوعه لا محالة وعدم انفکاک
الناس عنه ونهوض من قوله تع یوم یجمعکم لیوم الجمع وذلک ای یوم الجمع یوم مشهود ای مشهود فیه
کما فی قوله فی محفل من نواصی الناس مشهود ای کثیر شاهدوه ولو جعل نفس الیوم مشهودا للغات ما هو الغرض
من تعظیم الیوم وتهویله وتمییزه عن غیره فان سائر الایام ایضا کذلک وما نؤخره ای ذلک الیوم
الملحوظ بعنوانی الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قلیلة مضروبة حسبما تقتضیه الحکمة
یوم یات ای حین یاتی ذلک الیوم الموخر بانقضاء اجله کقوله تع لا تاتیهم الا بغتة وقیل یوم یاتی باتی اجزاء
الواقع فیه وقیل ان الله عز وجل فان المقام مقام تفخیم شان الیوم وقرئ بانبات الیاء وعلی الاصل لا
تکلم نفس ای لا تتکلم بما ینفع وینجی من جواب او شفاعة وهو العامل فی الظرف او الانتهاء المحذوف
فی قوله تع الا لاجل معدود واما ینتهی الاجل یوم یاتی او المظر المعهود اعنی اذکر الا باذنه عز سلطانه فی التکلم
کقوله تع لا یتکلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فی موطن من مواطن ذلک الیوم وقوله عز وجل هذا یوم لا ینطقون
ولا یؤذن لهم فیعتذرون فی موقف آخر من مواقفه کما ان قوله سبحانه یوم یاتی کل نفس تجادل عن نفسها
فی آخر منها ولما یؤذن فیه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد یؤذن فیهما ایضا لاظهار بطلانها
کما فی قول الکفرة والله ربنا ما کنا مشرکین فی نظائره فمنهم شقی وجبت له النار بموجب الوعید
وسعید ای ومنهم سعید حذف الخبر لدلالة الاول علیه وهو من وجبت له الجنة بمقتضی الوعد والفضل
لا هل للموقف المدلول علیهم بقوله لا تکلم نفس او للناس وتقدیم الشقی علی السعید لان المقام مقام التحذیر
والانذار فاما الذین شقوا ای سبقت لهم الشقاوة ففی النار لهم فیها زفیر وشهیق الزفیر اخراج النفس والشهیق رده واستعمالهما فی اول النهیق وآخره قال الشماخ

یصف حمارا الوحش بعید مدی التطریب اول صوته زفیر وتتلوه شهیق محشرج والمراد بهما وصف شدة کربهم و
تشبیه حالهم بحال من استولت علی قلبه الحرارة وانحصر فیه روحه وتشبیه مرارتهم باصوت الحمیر وقری شقوا بالضم والجملة
مستانفة کان سائلا قال ماشانهم فیها فقیل لهم فیها کذا وکذا او منصوبة المحل علی الحالیة من النار ادمن الضمیر فی الجار
والمجرور کقوله عز اسمه خالدین فیها خلافا لمن ارید حدوثهم فی النار فالحال مقدرة ما دامت السموات
والارض ای مدة دوامها وهذا التوقیت عبارة عن التابید ونفی الانقطاع بناء علی منهاج قول العرب مادام
تعار وما اقام ثبیر ونالاح کوکب ونا اختلف اللیل والنهار وما طما البحر وغیر ذلک من کلمات التابید لا التعلیق
قرارهم فیها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة الدالة علی تبید قرارهم فیها وانقطاع دوامها
وان اریدبالتعلیق فالمراد سموات الاخرة وارضها کما تدل علی ذلک النصوص کقوله تع یوم تبدل الارض غیر
الارض والسموات وقوله تع واورثنا الارض نتبوء من الجنة حیث نشاء وجزم کل احد بان اهل الاخرة لا بد
لهم من ظلة وظلة وانما تبین یکفی فی تعلیق دوام قرارهم فیها بدوامها ولا حاجة الی الوقوف علی تفاصیل
احوالها وکیفیاتها الا ما شاء ربک استثناء من الخلود علی طریقة قوله لابد وقوف فیها الموت الا الموتة
الاولی وقوله تع ولا تنکحوا ما نکح اباؤکم من النساء الا ما قد سلف وقوله تع حتی یلج الجمل فی سم الخیاط غیر ان استحالة
الامور المذکورة معلومة بحکم العقل واستحالة تعلق المشیة بعدم الخلود معلومة بحکم النقل یعنی انهم مستقرون فی
النار فی جمیع الازمنة الاتی فی زمان مشیة الله تع لعدم قرارهم فیها واذ لا امکان لتلک المشیة ولا زمانها بحکم النصوص
القاطعة الموجبة للخلود فلا امکان لانتهاء مدة قرارهم فیها ولرفع ما عسی یتوهم من کون استحالة تعلق مشیة
الله تع بعدم الخلود بطریق الوجوب علی الله تعالی قال ان ربک فعال لما یرید یعنی انه فی تخلید الاشقیاء
فی النار بحیث یستحیل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته تابع لمشیته حسبما ذکر فی اهل النار من ان لهم فیها زفیرا وشهیقا لان المقام مقام التحذیر والانذار
الا ما شاء ربک ان حمل علی طریقة التعلیق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غیر مجذوذ نصب علی
المصدریة بمعنی الجملة لان قوله فی الجملة خالدین فیها یقتضی عطاء وانعاما فکانه قیل یعطیهم عطاء وهو اما
اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد کقولهم انبتکم نباتا وان حمل علی ما عداه تع لعباده المتقین
من النعیم الروحانی الذی عبر عنه بما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر فهو نصب علی الحالیة

من المفعول المقدر للمشيئة او يميز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تع كنسبة ان يكون على حجته عطاء مجذوذ فهو رافع
للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تع بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء
لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا الشيئين او بالاول وفعالما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا يكون في
اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص ج بيان في قضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما
يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء للشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم
ولما كان مساق النظم الكريم قبل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب
لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا الا تذكرون وقد قص عليك من انباء
الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر شيء رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير
امر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
الذين قصصت عليك قصصهم من قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك بما يعبدون عبادة الاكعبادتهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل
ما كانوا يعبدون فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل
الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المقدر لهم حسب جرائمهم
وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم اضعابهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا
لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تع ثم ولتم مدبرين
وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة لدفع احتمال كونه منقوصا في حد ذاته مبني على الذهول عن كون
الفاعل هو التوفية فتامل ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه اي في شانه وكونه
من عند الله تع فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم
الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك
بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز وا عن المحقين وقبل بين قوم موسى وم وليس بذاك وانهم
اي وان كفار قومك كما يدبه بعض من رجع اليهم ضمير بنيهم للاس من الالباس لفي شك عظيم منه اي من
القرآن وان لم يجر له ذكر لان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لاسيما بصدد التسلية ينادي به
بداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه
المؤمنين منهم والكافرين وقراء ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما يوفينهم ربك
اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف ولما مركبة من الجارة وما الموصولة او
الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين
او لمن خلق اولمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما زائدة للفصل بين اللامين والمعنى وان
جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقراء ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر
خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة
بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من اجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي
حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بان في تضاعيف القصص المحكية من الامم
الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق
العذاب مثل او كلف المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان نكذيبهم للقرآن مثل

تكذيب

تكذيب قوم موسى م للتورية وانه لولم تسبق كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم العاجلة ومؤاخذتهم التامة الى يوم
القيمة لفعل بهم ما فعل بامثالهم وانهم ليوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء
عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقايد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر
المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء
الرسالة بحيث يدخل اتخبة ما امر به فيما سبق من قوله تع فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية
وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن
عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود
ومن تاب معك اي تابه من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعنى بالمعية وهو معطوف على
المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لكمال الفاصل القايم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على
الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قال ابو البقاء والمعنى
استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور
ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا للحال سائر المؤمنين على حاله م انه بما تعملون بصير
فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الراي
فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد والتتبع لعلل المنصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب
المنصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم
الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جهية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث
ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك
فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما فالى الافضاء الى مساس
النار بطريق فاطنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على معاجتهم ومناداتهم
ويلقي شراشره على موانستهم ومعاشرتهم ويتبجح بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا
من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الجنة طيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان تميل اليه القلوب
ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام
ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه
او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تيم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من
اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء
ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لكان كلهم بطريق انتفاء
الآحاد على الآحاد كما لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة
المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يتاتى عليكم
وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تع بعد ما اوعدهم بالعذاب اوجبه عليهم وتجوز ان يكون ثم لا
منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بان ان الله تع معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت
وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلف اذا قرب جمع زلفة عطف على طرفي
النهار والمراد بصلوتيهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة
الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كيسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى و
قربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات

كسبب الزجر والنظر والعصر
فتمسكم النار

التى تلى بعضها البشرى يكفر بعضها وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل
نزلت فى ابى اليسر الانصارى اذ قتل امرة ثم ندم فاتى رسول صلى الله عليه وسلم فاخبره فجاء فصل عليه السلام انتظر امر ربى
فلما صلى صلوة العصر نزلت قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او يمعن من اقترفها كقوله تع ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تع فاستقم كما امرت فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى
للذاكرين اى عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به فى تضاعيف الاوامر السابقة واما نهى عنه
من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس فى الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر لانه الا ان يراد به
ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية
الى من وجد منه ظلم ما فان فى الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى
يوفيهم اجورا عمالهم من غير نكس لصلاة وانما عبر عن ذلك بنفى الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة
كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال تنزاهة تع عن ذلك بتصويره
بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبايح وابراز الاتابة فى معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير
ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر
على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راى من جوز
حذف الموصول مع بعض صلته او الكائنة من قبلكم اولوا بقية من الراى والعقل او اولوا فضل وخير وسميا بها
لان الرجل انما يستبقى مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اى من خيارهم ومنه ما قيل فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
من التقوى اى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تع وعقابه يؤيده ايذ قرئ
اولوا بقية وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اى اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون
نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد فى الارض الواقع منهم حيما حكى عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم
استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم كونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان
جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولى البقية على النهى المذكور
الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت ما اقراء قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء
من المخصصين على القراءة ثم يصح ذلك ان جعل الاستثناء من النفى اللازم للتخصيص فكانه قيل ما كان من
القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حج على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة
الفساد وترك النهى عنه ما اترفوا فيه اى انهوا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر
واما الساهلون فلعالمهم فى ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهى وانت خبير بانه يلزم
منه عدم دخول مباشرى الفساد فى الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اى كافرين فهو بيان لسبب
استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات مع الكفر و
قوله تع واتبع عطف على مقدر دل عليه الكلام اى لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول عن المضمر الى المظهر لادراج
المباشرين معهم فى الحكم والتسجيل عليهم بالظلم ولاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استيناف
يترتب على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجيناهم منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشرى
الفساد وتاركى النهى عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا
الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام اوارید بالاجرام اغفالهم للنكر او على اتبع
اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون
وقرئ واتبع اى اتبعوا جزآء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يقدر بالمشهورة ويعضده تقدم

الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اى ما صح وما استقام بل استحال فى الحكمة ان يهلك التى اهلكها
حسبما ملك اباؤهم وما يعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفى وقوله تع بظلم
اى ملتبسا به قبل هو حال من الفاعل اى ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين بن ظلم عظيم والمراد
تنزيه الله تع عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع والا فلا ظلم فيما فعله الله تع بعباده
كما مر ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله فى سورة آل عمران عند قوله تع وان الله ليس بظلام للعبيد
وقوله تع واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله اعنى
بظلم لدلالة على تقييد نفى الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب فى فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل
المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اى لا يهلك القرى بسبب اشراك وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا
يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لوفور رحمة ومسامحة فى حقوقه تع ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق
العباد الفقراء على حقوق الله الغنى الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدرى ان مقام
النهى عن المنكرات التى اقبحها الاشراك بالله لا يلايمه فان الشرك واصل فى الفساد فى الارض وهو لا يتصور
ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذى قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصى التى كانوا يتعاطونها
فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصى وحمل الاصلاح على اصلاحه
والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهى عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك
وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق وهو دين الاسلام بحيث لا يكاد
يختلف فيه احد ولكن لم يشاء ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ولا يزالون مختلفين فى الحق اى فى الدين
لكقوله تع وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك
الا قوما قد هداهم الله تع بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف
الشامل لما يصدر من المحق والمبطل باباه الاستثناء المذكور ولذلك اى لما ذكر من الاختلاف
خلقهم اى الذين بقوا بعد اشتباه هم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحم فالضمير لمن واللام فى معناها او لهما
معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازى عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اى وعيده وقيل او
قوله للملئكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لان
احدهما وكلا اى وكل نبإ فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تع
من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تع ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه
المحذوف فى كلا المفعول المطلق لنقص اى كل اقتصاص اى كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل
وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدة التنبيه بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمانينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة
فى قاديهم فى الضلال وما لقى الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك فى هذه السورة او فى هذه
المقصوصة عليك الحق الذى لا يجرعنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اى الجامع بين كونه حقا
فى نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين وكون الوصف الاول حالا له فى نفسه خلى بالام دون ما هو وصف
له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعنى فى هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الآيات
المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا فى غيرها ولان عند
تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان فى المؤخر نوع طول
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به وهو الا
يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التى هى عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان

به والاتعاظ والتذكير به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل باشاكلكم من
الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ
على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة
والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار
بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيكم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب
اى انت وهم فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء
سورة هود اعطى عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها وبعدد

من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد به الاشارة والآيات والكتاب في قولنا تلك آيات الكتاب
عين ما سلف في مطلع سورة يونس ع م المبين من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره في كونه من عند
الله تع وفي اعجازه بنوعيه لاستجماعه الاخبار عن المغيب والواضح معانيه للعرب بحيث لا تشتبه عليهم حقائقه
ولا تلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم وبمعنى بين اى المبين لما فيه من الاحكام والشرايع والغيابا
الملك والملكوت واسرار النشاتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون
الكتاب عبارة عن السورة فاما بنية ابتداؤه عن قصة يوسف ع م فانه قد روى ان اخبار اليهود قالوا
لرؤساء المشركين سلوا محمدا لما ذا انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف ففعلوا
ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتي ولما وصف الكتاب بما دل
على الشرف الذاتي عقب ذلك بما دل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اى الكتاب المنعوت
بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تع قرآنا عربيا اذ هو
المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقها فلام ظاهر وان جعل عبارة عن
السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك ان اسم الجنس في الاصل يقع على الكل والبعض
كالكتاب اولانه مصدر بمعنى المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا بالسنتكم لعلكم تعقلون اى لكى
تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل
من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره
اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلى القرآن لانه يتبع ما حفظ منه
آية بعد آية احسن القصص اى احسن الاقتصاص منصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام
لما في اقتصاص مثل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل
بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القرآن اى هذه السورة فان كونها موحاة مبنئ عن كونها
ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها التحقيق ان اقتصاصها ليس بطريق الالهام او الوحي
غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحنيته لانه قد اقتص على ابدع
الطرائق الرائعة واعجب الاساليب الفائقة الالئقة كما لا يكاد يخفى على من طالع
القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الفث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين
وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتامل
او نقص عليك احسن القصص من الانباء وهو قصة آل يعقوب ع م على ان القصص فعل بمعنى

المفعول

المفعول كالبناء والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها
لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من المثقلة وضمير الشان الواقع اسمها
محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم يقع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن
عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي ع م وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار
اذكر او شروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه
مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص
ويوسف اسم عبري لا عربي للخلوة عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراآت
بناء على التلقب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجميته
لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقد روى عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن
الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء
تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت تاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب و
كسرتها لانها عوض حرف ينا سبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذفت
الالف وبقيت الفتحة دالة عليها لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالفم اجراء لها مجرى الالفاظ
المؤنثة بالتاء ومن غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كما صلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب
تحريكها كاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رويك هذا تاويل رؤياي
ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة
كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر ان يهوديا جاء الى الرسول
عليه السلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآها يوسف ع م فسكت النبي ع م فنزل جبرئيل ع م فاخبره بذلك فقال
عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام خرشان والطارق والزبال و
قابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ودثاب وذو الكتفين رأيتهم
يوسف ع م والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس
والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما
على سائر الطوالع بعطفها عليهما كما في عطف جبرئيل وميكال على الملئكة ع م وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع
اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته ع م لهما عن ملاقاته
لاخوته وعن وهب ان يوسف ع م راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عطاردا لها كانت مركوزة في
الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك
ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه
فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ع م ومصير اخوته اليه اربعون سنة
وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كان سائلا سال فقال كيف
رايتهم فاجاب بذلك وانما اوثرت بجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار
والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني تصغيره
للشفقة اولها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب ع م بعد
سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب ع م من هذه الرؤيا ان يوسف سيبلغه الله مبلغا جليلا و
يصطفيه للنبوة ويتم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال

صيانة لهم عن ذلك ولئلا من معاناة المشاق ومقاساة الاخوان وان كان واتفاقا بان اتفق سحقق ذلك
لا محالة وطوعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق
بينهما بجرى التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المتحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها عن تدبير البدن او في
فراغ فتتصور بما فيها تماثيل من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس
المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فكيدوا لك نصب بإضمار ان اي فيفعلوا
لك اي لاجلك ولا هلاكك كيدا متينا استحالا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى
لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام انما ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على
وقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا
الايقاع وقد قيل انما جئ باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدى باللام ليفيد معنى المخمن والمضمن فيه للتاكيد
اي فيحتالوا لك ولا هلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى خوائلهم ومكايدهم من بني علاتة الاحد
عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت
خالة وران ويفتالى وجاد وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب
الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عم وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عم بعد وفات
اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرة
ولا يخشى معرة ولم يكن معدودا منهم في الرويا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف عم والمراد نهيه عن اقتصام
الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يألو جهدا في اغوائه
اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عم قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي
الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحلهم على ذلك ولما نبهه عم على ان لرؤياه شانا عظيما
يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او
يوعروا سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك
الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وتجسيم
وعلى وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك
على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويزد مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة جسيما بينة من
غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضامات المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت
هي صورا واشباحا من الكائنات الظاهرة بجريانها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام
سخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده
بيان اطاعة ابويه واخوته لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت
التشبيه اراد به دم تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما اخبره به على طريقة التعبير والتاويل
كانه قال وهو يجتبيك من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم اوطر فا صالحا منه فتطلع
على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث
تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس والشيطان ان لم تكن كذلك
والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حدثا على احدثة ثم جمعوا
الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وقيل وتاويل غواش كتب الله وسنن الانبياء عم والاول

هو الاظهر ونسبة التعبير تارة والله جل الرقي اميلا الى ما يذكر المعبر بصدد التعبير وتخصيصه ذلك انما هو اشارة
بذلك الى ما سيقع من يوسف عم من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك وتيرة الى
ما بلغه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف ذلك يعقوب منه عم من جهة الوحي
او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهوره عم على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عم ذلك بالطريق
الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلايل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تع لمثل هذه
الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل اشاتها وتميزها حوا فاتي منها هو انفسي كيف لا وهي
تدل على كمال تمكن نفسه عم في عالم المثال وقوة تعرفاتها فيه فيكون اقبل لغيطان المعارف المتعلقة
بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحيالها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة
بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وان
هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر اعظم منه وهذا الجريان احكامه فان لكل
نبي من الانبياء عليهم السلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يفيض
الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه
من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة
الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تع عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بعدها
مصداقا لما تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤيته يوسف
عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تع عليهم لدلالتها على مصيرهم الى النبوة فيقع
كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بسبب ذلك اتماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد
بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يقتنون آثاره من العز والجاه والمال
كما انهما على ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كما تم نعمته على ابويك
وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عم باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد و
على اسحق عم بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك
نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما
وقع في جانب المشبه من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق
عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما اباه وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباط الابناء
الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سرا به ليطمئن قلبه بما اخبره في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار
في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة
النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل
ما ذكر لانه عليم بكل شئ فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة
انعامه على الوجه المذكور حكيم فاعل كل شئ حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما
يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر
من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على
شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك اولا مور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة
او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا وتعليم عنها الى الدرجات
العلى في الجنة كما انهما على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته
اي في قصصهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاتة المعدودون

فيما سلف اذ عليهم يمرون رحابها آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تع القاهرة وحكمته الباهرة
للسائلين لكل من سأل من قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون
بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تع وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على تجوز تع من سأل من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما
هل عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شئ من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات ح للاشعار بان
اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية فى الدلالة على نبوته عليه السلام على نحو ما ذكر فى قوله تع مقام ابراهيم
على تقدير كونه عطف بيان لقوله تع آيات بينات للما قيل من انه لتعدد وجهة الاعجاز لفظا او معنى وقرا ابن كثير
آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تع على النبى صلعم خبر يوسف عم وبنى اخوته عليه لما ارى من نبى قومه
عليه لياتسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اى شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوة
ليوسف من الطرفين الا يرى الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا
يوسف احب الى ابينا منا وتجرد الخبر مع تعدد المبتداء لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه
وبين المذكر والمؤنث ثم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء فى يوسف
تحقيق مضمون الجملة وتوكيده ونحن عصبة اى والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة
والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا فى ترجيحهما
علينا فى المحبة مع فضلنا عليهما وكونها بمنزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفى ضلال اى ذهاب عن
طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من
مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على
مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم
مخاطبا للباقين بقضية القيضة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل تحمون او دان والباقون كانوا نزلا لينين
الامر قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخيلا
للبقية وهو دال على مساعيتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اى ارضا ما
مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نجت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اى يخلص لكم وجه
ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم فى محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله
عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قولهم تكمئوا الحق و
ايثار الخطاب فى كلم وما بعده للمبالغة فى حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل
منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اى من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله تع عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين فى امور دنياكم
بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم رايا وهو الذى قال فلن ابرح
الارض الخ وقيل روبيل وهو استبنا فاذهبنى على سؤال من سأل وقال اقتلوا على ما عرض عليهم من
خصلتى الصنع ام خالفهم فى ذلك احد فقيل قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهر فى مقام الاضمار اجتلابا
لشفقتهم عليه واستعظاما لقتله وهو هو فانه روى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى
واحالهم على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه فى غيابت الجب اى فى قعره وغوره سمى بها لغيبته
عن عين الناظر والجب البئر التى لم تطو بعد لانخارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شئ وقراء
نافع فى غيابات الجب فى الموضعين كان لذلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اى فى بعض غيابات
الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط

اخذ شئ مشرف على الضياع بعض السيارة اى بعض طائفة تسير فى الارض واللام فى السيارة كما فى
الجب وفى البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقة لغرضهم الذى هو تناى يوسف عم
عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومن قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتى لم يبت القول
عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وهذا من نبتهم له الى التحكم والافتيات
او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد
ذلك مذا لم لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج فى تضاعيفه قبوله لما سيجئ من قوله واجمعوا
ان يجعلوه فى غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم فتذكير
الرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عم عن رايه فى حفظه منهم لما احس منهم بادئ
الحسد والبغى فكانهم قالوا مالك اى اى شئ لك لا تامنا اى لا تجعلنا آمنا على يوسف
مع انك ابونا ونحن بنوك واخوانه وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل
بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك
الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع ان يتسع فى اكل الفواكه ونحو ما فان الرتع هو الاتساع فى
الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك
باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عم بتصويرهم له بصورة ما يلايم حاله عم
وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقراءابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرئ يرتع
من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه
اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم و
تقديم له على الخبر لحتيا لا فى تحصيل مقصدهم قال استيناف مبنى على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب
عم فقيل قال انى ليحزننى اللام للابتداء كما فى قوله تع ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة
مفارقته وقلة مقاومته عنه ومع ذلك اخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذئبة والحزن
الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به
المفوة لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثانى الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى فى
المنام انه قد شد عليه الذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقراء
ابن كثير ونافع فى رواية اليزيدى بالفرة على الاصل وابو عمرو ويعقوب وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل
اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا ماجت من كل جانب وقال الاصمعى الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اتهامكم بحفظه قالوا الئن اكله الذئب ونحن
عصبة اى والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان تعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا
واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله تع انا اذا لمن الخاسرون جواب مجرى عن الجزاء اى
لهالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى فى حياتنا او مستحقون
لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله دمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل
ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شئ عندنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرنا ما وانما اقتصروا على هواجس
خوف يعقوب عم من اكل الذئب لانه السبب القوى فى المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم
ياتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اى ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا قيل
اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا فى الافعال التى قوبت الدواعى الى فعلها

في غيابت الجب قيل هي بئر الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عم بكنعان التي من نواحي الاردن كما بين مدين كذلك واما ما يقال من انها بئر بين المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة وبجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عم وبين المقدس مراحل وجواب لما نحذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحوم به تلك العبارة ونجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا واوحينا اليه رؤيا انهم لا يزالون على الصحة آمنين واوحينا اليه ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته واينا ساله قيل كان ذلك قبل ان يقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بشيا بهم فنزعوها من يديه ودلوه فيها فتعلق بشفير ها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى الصخرة فقام عليها وهو يبكي فناداوه وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فاراد وا ان يرضخوه بها فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عم حين القي في النار وجد عن ثيابه اتاه جبرئيل عم بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب. فجعل يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبرئيل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه عم واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته واينا ساله قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحى الى يحيى وعيسى عم وقيل انه كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اى لتخبرنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لتباين حالتيك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل البعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روى انهم جاءوا عليه ممتازين ضر فهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لاخ من ابيكم يقال ليوسف وكان يدنيه من دونكم وانكم انظلقتم به وفعلتم به وفي غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس وبجوزان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا اوحينا اليه ذلك ونحن نوحي اليه ونحن نقول له وهم لا يشعرون بذلك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لتنبئنهم بالنون على انه وعيد لهم لقوله تع وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشي بالضم والقصر جمع عشية الى عشوا من البكاء يكون مبتاكين روى انه لما سمع يعقوب عم بكاءهم فزع وقال يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذاهبنا نستبق اى متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالاقتضاء والتناضل ونظائرها وتركنا يوسف عند متاعنا اى ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها فاكله عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام مؤمن فيه الغوائل لم يعتد تركه عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نفعل عن مراقبته بل تركناه في مامنا ومجمعنا بمرأى منا لان يعدون السباق لا يكون عادة الا بحيث يترأى غاياتها وما فارقناه الا مسافة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت تسيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاحتمال بادخالها على ابعد ما منه واشد ما منافاة له لينظم بشيوته او انتفائه معه شيوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال

بالطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان تحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر متعلق من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لما عند تعدد ما وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تع اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تع اولو كنا كارهين وجاءوا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اى جاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقديم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف بالدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اى مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اى ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اى جاءوا كاذبين او مفعول له وقرات عائشة رضه بغير الحمرة اى الكدر وقيل طرى قال ابن جني اصله من الكذب وهو النوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ولما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح يا بني صوتة وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عم ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب عم على كذبهم والقاء على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عم حين قد من دبر قال استيناف مبني على سؤال كانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم امرا وسهلت قال ابن عباس رضه والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في تمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سؤل الانسان وهو امنيته التي يطلبها فقرن بين الطاء والباء وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل من الامور منكرا لا يوصف ولا يوقف فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر جميل لا شكوى فيه الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعها بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول وكثرة الاخزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقراءابي فصبر جميلا. والله المستعان اى المطلوب منه العون وهو انشاء منه للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامة فانه علم في الكذب قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو لا يليق بما سبق من قوله تع فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يابعد تكذيبه عم لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اكثر التبديد وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء الذي بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المحرى من مدين بل الى مكان يوسف وفي اشارة على المرور او الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند ملك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الممتاء فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تع فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للراعاة فاخطاؤا فافترقوا فيما منه وقيل كان ماء ملحا فعذب حين القي فيه دلوه فادلى دلوه فاسترسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن زعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء الى الجب للايذان بان ذلك مما لا يعرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اى ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف عم فخرج قال استيناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا الغلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة بارده اى نعوته كمكان ما يوجد بها من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقراء ورش بين اللفظين وقرئ يا بشرى بالاضافة

وهي لغة وبشرى على قصد الوقف واسروه اى اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا
امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعة الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف عم وذلك
ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا
ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على
الحالية اى اخفوه حال كونه بضاعة اى متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اى تقطعت للتجارة
والله عليم بما يعملون وعيد لهم على صنعهم من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء
وما دبر وا في ذلك من الحيل وشروه اى باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن خس زيف
ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اى لا دنانير معدودة اى غير موزونة فهو بيان لقلته ونفاسته
مقدارا يجب بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العدد دون الوزن نعم ابن عباس
رضي الله عنهما كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اى البايعون
فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه باذكر من الثمن البخس
وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشئ مترددون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فيسترخص
منه فيبيعه من اول مساوم بادنى ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير
راغبين في شراء حشية ذئاب الهم لما ظنوا في اذهنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة
عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شئ زهدوا فقيل
زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذين اشتراه من مصر وهو العزيز
الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار
بكونه غير مشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي
ومات في حيدة يوسف عم بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل
كان الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عم والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء
واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل اخلوه
في السوق يوضونه فترا فعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه
قطفير بذلك المبلغ وكان سنداذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله ما مر عليه من مدة لبثه في السجن
ثلث عشرة سنة واستوزر الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين
سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني
لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده
فعسى ان ينفعنا في حياتنا او نستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان
ذلك لما تفرس فيه من دلائل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب
التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضه وكذلك نعت على المصدرية
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد للتفخيم اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا
ليوسف في الارض اي جعلناه فيها مكانا يقال مكنه فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا وتقاربا معنى
وتلازمهما يستدعي كل منهما في محل الآخر قال عز وجل ولقد اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم
نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض للحق والمعنى كما جعلنا له منزلة كريمة في منزل العزيز

او مكانا

او مكانا عليا في قلبه حتى امراته دون سايره حواشيه باكرام مثواه جعلناه مكانة رفيعة في ارض مصر ولنعلمه عبارة
عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في
قوله تع ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي محمد تعارفها الملك وصاحبي السجن
قوله تع ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها ويستدعيها النظام كانه
قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلناه قادرا على ما يشاء ولنعلمه الخ او على محل مجتبة ليترتب عليها ما ترتب
مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى
الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات وجعلنا علة للعلل محذوف
كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيره مما تمالي له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي
تدور عليه هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز وما التمكن في جانب الناس كافة فتاديته الى ذلك انما هي
باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فان الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تع مكنا ليوسف على ان يكون
هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عين تمكين
آخر يشبهه به كما قر في قوله تع وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا
الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف معقم للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحما لا يكاد يتركب في لغة
العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مشكلة لا يحل دبكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف
في ارض مصر بالنهي والامر فهو من آثار ذلك التعظيم وتتابعه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مبادية المؤدية اليه فلا سبيل
الى جعله غاية له ولم يعهد منه عم في تضاعيف قضايا ما يدل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها
عهدا معتدا به فجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في اثر النسيان فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة
اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء
عم فيكون المعنى حق مكنا له في الارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تع واحكامها ودقايق
سنن الانبياء عم فيقضي بها فيما بين الملا وتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه
بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتيقن في ضمن الحوادث والآثار الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر
عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شئ بل انما امره لشئ
اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شئونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متوسل على مر يوسف
لا يكلا الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد قرة عين فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فيتوتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وفي لهم ذلك وان
الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه تع وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه
وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبداء بلوغ الحلم والاول هو الاظهر
لقوله تع اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس فقها ونبوة وعلما اي تفقها في الدين
وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فما آتاه الله تع عند تكامل قواه سواء كانا عبارة
عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل اتياؤهما جزآ لعلمه عم حيث قيل وكذلك
اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يكون في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله
الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدايد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص
بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة اجزاء واما رؤيا
صاحبي السجن فقد لبث عم بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق اجزاء المذكور بالمحسنين اشعار
بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره حيث جزآه

الاحسان الا الاحسان وارادة تعليق موقن بتحققها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما اراد اتمامه
باكرام مثواه وقوله تع وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به لنكتة ليعلم السامع من اول الامر
ما يقدم من النعم التي ستحكى تفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه دام محسنا في جميع الحال لم يصدر عنه في
حالتي السراء والضراء ما يخل بذلك وهذا مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما يعلم الانسان
البالغ المفهوم من كلام العزيز فاراد الاتيان بالسابق تحت الاشارة بذلك في قوله تع وكذلك مكنا ليوسف
كما فعل الجمهور تأتى من التكوين فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب للطلب المرة والكلاء
وهي مفاعلة من واحد تخيل مطالبة الراءين وهما طلب المديون ومداراة الطبيب ونظائرها كثيرا ما يكون من احد الجانبين
الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابا صادرة
عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة منهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقا ان سبب
الشئ يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجازي تجزى فان فعل الجازي وان لم يكن جزاء
لكنه كونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن حيث كانا سببا
للقيام والقراءة عبر عنهما بما يقبل اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وقرأت القرآن وهذه قاعدة مقررة مستمرة وملاكها ان
اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الراءين المماطلة التي
هي من جانب الراءين وكذا مداومة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه
بالجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبنى الصيغة على ذلك
وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على جانب السبب فتأمل ويجوز ان يكون بصيغة المغالبة
لجرد المبالغة وقبل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منعها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو
الرفق والتمهل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي نفلت بايقاع الفعل المخادع
لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتمال ان يأخذه منه وسيجيء بعض التحقيق في مواقعتها ايا ما و
العدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر اولاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان
كونه في بيتها مما يدعوا الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول
السواد ولاظهار كمال نزاهته عم فان عدم ميله ليحامع دوام مشاهدة لمحاسنها واستعصاءه عليها مما يهيج كونه
تحت مكرها ينادي بكونه عم في اعلى معارج العفة والنزاهة غلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك
جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك
قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وهاء بناؤه كبناء اين وكيف وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل
وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في علم لك وقرئ هيئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال
هأ وهيئ كجاء يجئ اذا تهيأ وجيئت لك واللام صلة الفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله
معاذا تماما فيشمل اليه وبذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر ما من يجب ان يعاذ
بالله تع المختص منه وما ذاك الا لانه عم قد شاهده بما اراده الله تع من البرهان البين على ما هو عليه في حد
ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل لامتناع صدور الفعل
الخارجة عما عسى يكون مؤثرا عنده ما ودواعيها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذي هو الكافر بنعمة
المسئولة لحافظها والغير للشان ومدار ومنعه موضعه ادعاء شهرة المغنية عن ذكره وفائدة تصوير
الجملة به لا يخفى بتخامة مضمونها ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الغير لا يفهم منه من اول الامر
الا الشان مبهما لخطور فيتبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل ان الشان
الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز احسن مثواي احسن تعهدي حيث اكرمني باكرامي فكيف يمكن

ان اسيئ

اسيئ اليه بالخيانة في عرضه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالعطف وجبه وقيل الضمير لله تع وربي خبر ان
او احسن مثواي خبرها وهو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا كيف اعصيه بارتكاب الفاحشة
الكبيرة وليحذر برامها عن عقاب الله تع وعلى التقديرين فعلى الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض
لاقتضائها الامتناع مما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه
مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تع انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور بتعليل الخلاف
الظرف وقبل البقاء في الخبر وعلى فلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان ويدخل
في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة الراقتع دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون
لانفسهم وللمرئي باهله ولقد همت به بحيث الهمة اذا لم تتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها
عزما جازما لا يابى بها عنه صارف بعد ما بانت مبايعها ونعلقت فعلت من المراودة وتعليق الجواب
ودعوته دم الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت بذلك لافعال آخر من بسط يده الى قصد
المعانقة وغيرها لكن ما يضطره عم الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال ان لا تفعل
هما كانت عليه بما في مقالته من الزواجر وهم بها بحيث الهمة اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية و
شهوة الشباب وقرمد مبلا جليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه قصد لما قصدا اختياريا الا يرى
الى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وبل هو
الاستجيل باستحالة صدوره الهم منه عم تشجيلا لحكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد الموافقة في صحبة منها في الذكر
بطريق الماكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يذكرا في قرن واحد من التعبير بان قيل
ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب
الثاني بما يعطي خلافه من قوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه اي تجلت الباهرة الدالة على كمال قبح
وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين
الذي تتجلى بتلك حقايق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في
هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عدم قد
شاهد الزنا بموجب ذلك الخير على ما هو عليه في حد ذاته اتبع ما يكون واجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك
فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجوب لولا لتخمه ف بدل عليه الكلام اي لو
لم شاهد برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل
استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عم لم يكن لعدم ميله
من جهة الطبيعة بل لحصول الصفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية
لظهور الاحكام الطبيعية بذا وقد نقل ثمة الصناعة على ان لولا في مثال هذا لما وقع جاز من حيث المعنى
لا من حيث الصنعة بجرى التقييد للحكم المطلق كما في قولنا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا
عليها فلا يتحقق هناك تم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين
في جواز التقديم فالهم على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما هممت ولكن
حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همها عم
بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكته مسرا وله وقعد بين شعبها ورؤية البرهان بانه سمع صوتا
ايك وايا ها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عم عاضا على انمله وقيل ضرب على صدره فخرجت
شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضو ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى

فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم يجبه فقال الله عز وجل لجبرئيل عم ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط
جبرئيل عم وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل
وقيل ان كل ذلك الاخرافات واباطيل يمجها الآذان وترد بها العقول والاذهان وبل لمن لاكها ولفقها او سمعها
وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تع لولا ان
راى برهان ربه اى مثل ذلك التصبير والتعريف عرفناه برهانا فيما قبل او الى التثبيت اللازم لما اى مثل ذلك
التثبيت نثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء
والزنا لانه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه عم لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا
لقيل لنصرف عنه السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرف عنه بما قبه من موجبات العفة والعصمة
انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من منعون
الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تع لطاعته بان عصمهم عما هو قاوح فيها وقرئ على صيغة
الفاعل وهم الذين اخلصوا لله دينهم وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية
الجملة الاسمية لان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فالحكم مادة احتمال صدور التهم بالسوء منه عم بالكلية
واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جئ
به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عم كقوله تع وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى ولقد همت
به دابى هو واستبقا اى تبادرا الى الباب البرانى الذى هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف
حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم اوضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد الاستبق في نحن الاستباق
الى ضمير هما مع ان المراد ما وجد منهم يوسف عم وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما راته يسرع الى الباب ليتخلص
منها اسرعت هى ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف
علق كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها حاقة مع ان القوة ليوسف
ايضا خلافه امالانتهاء الجزء الاخير للعلة التامة وامالان الايذان بما للغريزة في منعه عن الخروج وبذل
مجهود ما في ذلك لفوت المحبوب اولخوف الافتضاح والفيا سيدها اى صادفا زوجها واذ
لم يكن ملكا ليوسف عم صحيحا لم يقل سيد ها قبل الفياه مقبلا وقيل كان جليسا مع ابن عم المراة لدى الباب
اى البرانى كما مر روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراشه القفل تينا ثم وبسقط حتى خرج من الابواب قالت
استيناف مبنى على سؤال سائل يقول فما كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد
باهلك سوء من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم مانافية اى ليس جزاؤه الا السجن او العذاب
الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اى اى شئ جزاؤه غير ذاك او ذلك ولقد اثرت في تلك
الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بجيلة جمعت فيها غرضيها
وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عم عن رايه في استعصائه عليها وعدم مواتاته
على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في هواقعته لها كرها عندياسها عن ذلك اختيارا
كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة
عن يوسف عم امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق
جزائها نص تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه
قانونا مطردا في حق كل احد من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للمخاطب واغراء له على تحقيق
ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف ح فقيل قال

هى راودتنى عن نفسى اى طالبتنى للمواتاة لا الى اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عم لتنزيه نفسه
عما اسند اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين الاقرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة
دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها
قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره
وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تع ليوسف عم بالشهادة له والقيام
بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عم وانفى للتهمة وقيل
كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تع ببراءته وهو الاظهر فانه روى عليه السلام قال تكلم اربعة وهم
صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عم رواه الحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح
على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه العورة بين كون الشاهد من اهلها
او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اى ان علم انه قد من قبل من قبل وظهر ان احنت التي تفعل
احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعد باحسانك التي فاعلته باحسانى السابق اليك فصدقت
بتقدير من لانها تقرب الماضي الى الحال اى فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهى وان لم يعرج بانهم
اراد بها سوءا الا ان كلا منهما حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليهما الصدق والكذب بذلك الاعتبار
فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له ايضا باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان الانشاء
وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها لبست من
الشهادة في شئ وانما ذكرت توسيعا للدايرة وارفاد للعنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال
في الجملة بان يقع القد من قبل بعد افقتها له عم عن نفورها عنه ارادة المخالطة والتكشيف بجرى الظاهر
الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود بافادة الشهادة اعنى مضمون الشرطية الثانية التي هى قوله عز و
جل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع
لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ملازمة وحكاية الشرطية بعد نقل الشهادة
كونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اى شهد قائلا الخ وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل
والكذب لتاديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد
هو الصبى فظاهر اذ هو اخبار بها من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك
ظاهر من العلايم ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هى عليه
اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورة الجزم بانتفاء تالى الاولى
ووقوع تالى الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عم لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من الجرح و
التعن حيث صورها بصورة الشرطية المتردد ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا
لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورة
تكذبها والثانية تعليق لصدقه عم بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فتكون محققا البتة وهذا كما قيل
فيمن قال لامراة زوجيني نفسك فقالت لى زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لى زوج فقد زوجتك نفسى فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشئ بامر مقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانها قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث
والعلمية وقرئ بسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر كانه لم يكن راى ذلك بعد او لم يتبره فلما
تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اى الامر الذى وقع فيه النساجو وهو عبارة عن ارادة السوء التي
اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدر ذلك

الارادة والاسناد دعنا بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلوا قوله تع من كيدكن اى من جنس حيلتكن
ومكرهن ايتها النساء لامن غيرهن عن الافادة وتدبر العقوبة وان لم يكن بمجرد عن الاضافة اليها الا انها لما
صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيد من افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن
عريق قال ولاتحسبا پندالحما العذر وحدها سجية نفس كل غانية هند ورجع الضمير الى قولها ماجزآء
من اراد باهلك سوء فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ان ارادة السوء ممن هى الى
البحث عن شعبه وجعله للسوء او للام المعبر به عن طلبها فى يوسف عم يا ياه الخبر فان الكيد يستدعى ان يعبر
مع ذلك بفعل ماض قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه اللطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا فى النفس
وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فان الله تع يقول ان كيد الشيطان كان
ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف
حذف عنه حرف النداء للقرب وكمال تنقطه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اى عن
هذا الامر وعن التحديث به واكتمه فقد ظهر صدقك وتزاهتك واستغفرى انت يا هذه لذنبك
الذى صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين
للذنب اومن جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تحليل للام بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث
وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة اى جماعة
من النساء وكن خمسا امرآة الساقى وامرآة الخباز وامرآة صاحب الدواب وامرآة صاحب السجن
وامرآة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرآة وتانيثه غير حقيقى كتانيث اللمة وهى اسم لجماعة النساء
والشبة وهى اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث فى المدينة ظرف لقال اى فى
الامر فى مصر او صفة لنسوة امرأة العزيز اى الملك يردن قطعير واضافتهن لها اليه بذلك
العنوان دون ان يصرحن باسمها ليست لقصد المبالغة فى اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار
ذوى الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هى لقصد الاشباع فى لومها بقولهن تراود
فتاها اى تطالبه بمواقعتها وتحمل فى ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وفى اشارتهن
لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتى لقولهم فتيان و
الفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفى الحديث لا يقل احدكم عبدى
وامتى وليقل فتاى وفتاتى وتعبيرهن عن يوسف عم بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذى لا يستلزم
الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لانانة ما بينهما من التباين البين الى شئ عن الملكية
والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع فى اللوم فان من لا زوج له من النساء اد
لها زوج دنى قد تحذر فى مراودته الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التى لها زوج وال
زوج عزيز مصر فجد ير ومحا لغيره لا سيما العبد ما الذى لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتما يجانى ذلك
غاية الغى ونهاية الضلال قد شغفها حبا اى شق حبه شغاف قلبها وهو جلدة رقيقة
يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شغفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه
بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رض الشغف هو الحب القاتل والشعف دون ذلك وكان
الشعبى يقول الشغف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله وايا ما كان فهو
تكرير للوم وتاكيد للعذل لبيان اختلال احوالها القلبية كاحوال القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة
من حيث الابنية مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من
قبلها ولسن بذلك المقام وانتصاب حبا عن التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما

اشير

اشير اليه انا لنراها اى نعلمها علما مثل علمنا بالمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة
مستقرة فى ضلال عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على
احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع و
تسجيل عليها بانها فى امرها على خطاء عظيم وانها لم تبلغ انها لفى ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم
غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأى مع التلويح بانهن متزهات عن امثال ما رمى عليه فلما سمعت مكرهن
باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ويوشحنها وتسمية مكرا لكونه
خفية منها لمكر الماكر وان كان ظاهر الغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك تحريضا
يوسف عم ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت
اى احضرت وتهيأت لهن متكاءت اى ما يتكئ عليه من النمارق والوسائد وترتب لهن مجلس
طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان
ياكل متكئا وقيل متكاء طعاما من قولهم اتكانا عند فلان اى طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال
من قلله وعن مجاهد متكاء طعاما يجز احكان المعنى يعتقد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع
بالسكين وقرئ بغير ميم بالد باشباع وهو كالكاف كمنتاج فى منتزح وينباع فى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج
والشد واحدت متكة لبنى ابيها يجب بها العشيشة الوقاح اوما يقطع من متك الشئ اذا بتكه و
متكاء من تكئ اذا آتكى وآتت كل واحدة منهن سكينا لتستعلنى قطع ما يهدى قطعه فاقدم بين ايديهن
وقرب اليهن من الفواكه واللحوم ونحوها وهن متكيئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن
وقالت ليوسف ومن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما يابى بعضهن من الفواكه واخراجها
والعطف بالواو لرعاية ما يشير الى ان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها
من استغفالهن فلما راينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج ونسج عليه السلام اى فخرج عليهن فرايته
وانما حذف تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كانما تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة فى قوله عز
وجل فلما آمستقر اعنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عم لامرها
فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهابن حسنه الفائق وجماله الرائق فان فضل جمال على
جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سايرالكواكب عن النبى ص انه قال رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والحاء
للسكت اوضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اى حضن لهن من شدة الشبق كما قال المتنبى خف
الله واستر ذا العذار بربرقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق وقطعن ايديهن اى جرحنها فى ايديهن
من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتيادحتى لم يحلن ما
فعلن وفى التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين ولم يشعرن
وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع
واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الف الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر مفيد معنى التنزيه فى باب
الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه لمعنى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله
وهى قراءة ابن مسعود رض والام لبيان المنزه والمبراء كما فى سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر
قراءة ابو السمال حاشا بالتنوين وقرآءة ابى عمرو بحذف الالف الاخيرة وقرآءة الاعمش بحذف الاولى
فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما فى قوله حلست
من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين

بناء للفتحة الالف فى الاسقاط وحاش الاكه قبل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
ى صار فى ناحية من ان يقارن ما رمته به الله اى لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ماهذا بشرا على
عمال ما بمعنى ليس وهى لغة اهل الحجاز ولمشاركتهما فى نفى الحال وقرئ بشرا على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى
ليتم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العجرى الذى لم يعهد مثاله فى البشر وقصرنه على الملكية يقولن
ن هذا الا ملك كريم بناء على ما ذكرنى العقول من ان لا حى احسن من الملك كما ركب فيهما ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك لا يزال يشبه بهما متناه فى الحسن والقبح وغيرهما ونصف باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن
الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف ع بالعنوان الذى وصفنه به الآن من الحزوج فى
الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتداء والموصول خبره والمعنى
ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم الذى عن المراتب البشرية هو الذى لمتننى اى عيرتننى فى
الافتتان بحيث رباتن بجمال نبسبق الى العزيز ووصفتن قدره بكونه من الملوك او بالعنوان الذى وصفنه
به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى فهو خبر لمبتداء محذوف اى فهو ذلك العبد الكنعانى
الذى صورتن فى انفسكن وقلتن فيه وفى ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما يقال تعنى
انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به فلا يلايم المقام فان مراد ها
بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتبجيحن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد
عليه وما ذكر من المقال فحق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل فى تعليل الملكية ان ابلغ بين الجمال الرائق
والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو ايضا لا يلايم قولها فذلكن الذى لمتننى
فيه فان عنوان العصمة مما يتانى فى تشبثه مرامها منه بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها
وقد اصابهن من قلبه عم ما اصابها حت لحسن بقية ستر ما فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
حيما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ
الشديد كانه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها كما فى استمسك واستجمع الراى وفيه برهان نير على انه
لم يعد رمنه عم شئ يحل يستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه
من مراودتها له واكدته اظهارا لبتها جهابذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم
يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرغوبة عنه لابلوم العواذل ولا باعراض
الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اى آمر به فيما سيانى كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار ووصل
الفعل الى الضمير كما فى امرتك الخير فالضمير للموصول او امرى اياه اى موجب امرى ومقتضاه فالضمير ليوسف
وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون
المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايحاء لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله
للامر كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونا بالمخففة من الصاغرين اى الاذلاء فى السجن
وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت فى المصاحف الفاعلى حكم الوقف
واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد
المنطوى على فنون التاكيد بحضر منهن ليعلم يوسف ع انها ليست فى امرها على خفية ولا خيفة من
احد فتضيق عليه الحيل وتعيى به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الاباق والاباء
منزا مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف ع فقيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب
السجن الذى اوعدتنى بالالقاء فيه وقراء يعقوب بالفتح على المصدر احب الى
لانه مشتمل على ثلثة اشياء ما يحات جليلة ابتدية بما يدعونتى اليه من مواقعتها التى تؤدى

الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه ع مبنى على امرين انكشاف الحقايق لديه وبروز كل منهما
بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل على بابها اذ ليس له شايبة محبة لما دعته اليه وانما هو السجن شران
احدهما واقربهما الى الاباء السجن والتعبير عن الاباء بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة ضمنا
من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة
اليهن جميعا لان النسوة رغبنه فى مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما
ابتلى هم بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك روى انه صلى الله
عليه وسلم من كان يسال الصبر والا تصرف اى ان لم تصرف عنى كيدهن فى تجنيبى لكما لى
وتحسينه لدى بان تشتنى على انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اى امل الى اجابتهن او الى
انفسهن على مقتضية الطبيعة وحكم القوى الشهوانية وهذا فزع منه ع الى الطاف الله تع جريا على سنن
الانبياء والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى
والقدر عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن بالجهار ان لا طاقة لاحد بالمدافعة
كقول المستغيث ادركنى والا هلكت لانه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفى نفى اعتمادهم
الى هواهن والصبو والميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها ورطوبتها وقرئ اصب
اليهن من الصبابة وهى رقة الشوق واكن من الجاهلين اى الذين لا يعلمون بما يعلمون لان من لا
جد وى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونتى اليه من القبايح لان الحكيم لا يفعل القبيح
فى ستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنى كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن
على ابلغ وجه والطف كما مر فى اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه ع ما لا يخفى من اظهار التلطف
فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد رايا اكتفوا بامر يوسف
ع بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما راوا الايات الخارقة لهم عن ذلك البدء وفى التعبير
الدالة على برآءته ع وفاعل بدا اما مصدر راوا والرأى المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله
ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راى او سجننه المحتوم قائلين والله لنسجننه فالقسم المحذوف و
جوابه ممثول للمقول المقدر حالا من ضمير هم وما كان ذلك البدء الا باستنزال المراة لزوجها وقتها منه فى
الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدى انها قالت للعزيز ان هذا العبد
العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبر بانى راودته عن نفسه فاما ان تاذن لى فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان
تحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال
رجائها عند استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ ليسجننه على صيغة الخطاب لان حاله
بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراى
المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادى الراى عند العزيز وقومه
واما عنده تا فحتى يذللوه بالسجن ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اى فى السجن فتيان
من فتيان الملك وخدامه ليكونا احد هما شرابيه والآخر خبازه روى ان جماعة من اهل مصر
سعوا لهما ما لا ليسما الملك فى طعامه وشرابه فاجابهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عن ذلك ومعنى عليه الخباز
فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها
الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة
فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان اُدخلا معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما فى تقديمه من الاهتمام بالمقدم

تاما
والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين ورود عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في
قوله تع فاوجس في نفسه خيفة فاخير التجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ ويكون
الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استيناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد دخلا معه
السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة
الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤل اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي
قراءة ابن مسعود رضه اعصر عنبا وقال الاخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول من
الظرف لمام آنفا وقوله تاكل الطير اي تنهش منه صفة للخبز او استيناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله
اي بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما نرؤى باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به
الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك والتذكير في المشار اليه
اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لاحاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما نرؤى ان الضمير انما يتعرض
لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يستدعي تاويله باحد الاعتبارين الا باجراء الوجوه
اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه باعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما
من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قصها رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما
من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئنا بتاويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في
الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل
خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة حاكته به انا نريك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه
من المحسنين من الذين يحيدون عبارة الرؤيا لما رآياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيأولها
تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي
فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عم كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا
ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم
فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا فقالوا بارك الله عليه ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد
بورك لنا في جوارك ممن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن
خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت
السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها
ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته فقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث
سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا
حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتاويله استئناف مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في
حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينه لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما
واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى
ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان
يراد بالتاويل المشترك الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شئ آيلا الى شئ آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني
يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤل اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان هذا
يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجده انه كذلك مراده عم بذلك بيان كل ما
يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال
مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استجراه من الرؤيين المتعلقين بالطعام والشراب وقد جعل

الضمير

الضمير لما قصاه من الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي
قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستجمال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم
في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل ويجدهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم
في ذلك تاويل رؤياهما ونحو لا اوتيا ولما انما لم يكتف عم بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله
لانهما لما نعتاه عم بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عم
فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج آثر ذي اثير عندهما عدته من دعوة الخلوص الى الحق لمعتد قبل الخوض في
ذلك مقدمة ترغيبهما على بغظ شانه وتفخيم امره ووقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى
تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليهما من كلا مهما فكانه قال تاويل ما قصصتماه علي في طرف التمام حيث راياني مثاله
في المنام وانا ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام
الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين
بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
وسعني البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه
او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراك العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوا ما بهمة ما سمعاه قطعة من
جلالها وشعبة من وحيها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن
الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله
ذلكما مما علمني ربي وتعليله له للتعليم الواقع صلة للموصول لتاويله الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون
غيره ولا للمضمون اجلالا للخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه
او لكونه من جنب بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لما ذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت
ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الاستنكاف عنها رأسا
كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه
او خل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عم والتعبير عن كفرهم بالله تع بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم
لم تع مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تع كما هو زعمهم الباطل على ما عرفي قوله تع انه عمل غير صالح وهم بالاخرة
وما فيها من اجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لانوا طهم في الكفر واتبعت ملة ابراهيم
واسحق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام
ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عم ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما
عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه عليهم ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية
ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا وفور علومنا ان
نشرك بالله من شئ اي شئ كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد
المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ من فضل الله علينا اي نا شيا من تاييده لنا بالنبوة
وتر شيحه ايانا للقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد وداعيه نعمة جليلة و
فضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد
الذي يوجبه الشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من اظهر
ما ذكر من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح
وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم بعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل
الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس

ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بعقلهم اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول
كما التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدتها في الانفس
افاق وقد اعطى سائر الناس ايضا بتسلمها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يعترفون تلك القوى والمشاعر
الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي
السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة نادا هما بعنوان الصحبة في دار الاحزان التي تصفو فيها ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عند ما حق انتصاح فقال
ارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كما كل منهم جسما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم
استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي
لا يغالبه اليه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط الهتهما عن درجة الاعتبار رأسا
فضلا عن الالوهية فقال متمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا
الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق الاطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا كانت عباتهم
لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما نزه المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها
عن رتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم
وآباؤكم بحسن جهلكم وضلالكم ما انزل الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان
من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المترتبة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه
المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استيناف مبني على سؤال
ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تع في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء ع ان لا
تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقتضي به قضية العقل ايضا ذلك اي التخصيص تع بالعبادة
الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم
معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقدارة الرفيع و
مرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال
يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه به لالة التعبير وتوسلا به لذلك الى ابهام امر صاحبه
حذار مشافهة بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه ع قال له ما رايت من الكرمة وحسنها
الملك وحسن حاله عنده وانما القضبان الثلثة فثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه و
قراءة عكرمة فيسقي ربه على البناء للمفعول اي يسقيه ما يروي به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل الطير
من رأسه روي انه ع قال له ما رايت من السلال الثلث ثلثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضي اي اتم واحكم
الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما اراه من الرؤيين قطعا لاماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك
الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه
في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة
الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا وتما هو علم في ذلك قوله تع يا ايها الملاء افتوني في رؤياي
ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتاويله بقولهما بنشا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله
بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب
واتيان صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدد ان يقتضي منهم من الجواب و
طلبه واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال

بسلكه

بسلكه الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وعداه في قولهما نبئنا بتاويله الآن الامر
ما انتهى به وسجنا لاجله من تسلم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لمآله وعاقبته
فتامل وانما اخبرهما بما هم بذلك تحقيقا للتعبير وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبر
بانهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي لجحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة
جانبه وقال اي يوسف ع للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقيق
النجاة حسبما يفيده قوله تع قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في اخبار ما عليه النظم الكريم على ان يقال
للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان
التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك واوعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف
فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف ع لصاحبه لان
التوصية المذكورة لائقة ومترتبة على ظن الناجي بل على ظن يوسف ع وهو بمعنى اليقين كما في قوله تع ظننت
اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تع قضي الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم
بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له
بعصمتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي يوسف ع والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر
والا فانساء في الحقيقة لله عز وجل والقاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه
كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي لربه ع عند الملك والاضافة لادنى ملابسة
او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع
ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي ع
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء ع الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان
اني ارى اي رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحالة الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة
كرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يا كلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع
لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات لوصفها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف
وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين
على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك
فلا يقال ثلثة فخام واربعة غلاظ واما توكك ثلثة فرسان وخمسة ركبان فللجريان الفارس والراكب
مجرى الاسماء روي انه ع رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في
غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وآخر يابسات اي وسبعا
آخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر
من حال البقرات يا ايها الملاء خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي
عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان
كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا على استمرار وهي الانتقال من التصور الخيالية المشاهدة
في المنام الى ما يناسبها من صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو
المجاوزة تقول عبرت النهر اذا جاوزته وقطعته ونحوه اولتها اذا ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت
من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان والتقوية
العامل المؤخر لرعاية الفواصل والتمهين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون

لعبارتها ويجوز ان يكون تاكيدا للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقبلا به متمكنا منه وتعبرون
خبر آخر قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملاء للملك فقيل قالوا هي اضغاث
احلام اى تخاليط جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة
المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وترجيحها في المنام والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا الكاذبة
التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اى هي اضغاث من احلام او خبر محذوف من جنس الرؤى التي لها عاقبة
تؤل اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل
ويلبس العمام لمن لا يملك الا فرسا واحدا او عمامة واحدة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع
السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتامل حسن موقع الاضغاث مع السنابل
فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام اى المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين للاحلام
تاويلا وكن لا تعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اخترافا منهم
بقصور علمهم وانهم ليسوا بخارجين في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام
الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او
عبارتها الى التاويل المبني عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآئل والمآل من البعد ويؤيده قوله
عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اى من صاحبي يوسف عم وهو الشرابي واذكر بتعجيل
وهو الفصيح عوض المحسن رجح بالمجمة اى تذكر يوسف عم وشئونه التي شاهدها وهو بمثناة بتقريب رؤيا الملك
واشكال تاويلها على الملاء بعد امة اى مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اى بعد ما انعم عليه
بالنجاة وامة اى نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا دليل
ذلك ان حق كل من الصلة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب
كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال للنظر مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة انا
انبئكم بتاويله اى اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا اقيكم نيها وعقبه
بقوله فارسلون اى الى يوسف فما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكير وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق
اى ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها
لكونه اغتنم آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى في رؤياك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه
بقرينة ما سبق من معاملتها ولدلالة معنون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اى بين
لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحباه
اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتى وحده اشعار بان الرويا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة
بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما ان بذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس اى الى الملك ومن
عنده او الى اهل البلدان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه
او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتستخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه
على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اغترم دونه لعل المنايا دون
ما تبدانى ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عم
من التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في
العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اى دائبين او تدأبون دابا على انه مصدر

مؤكد

مؤكد لفعل هو الحال او اول عم البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب ولجحاف واليابسات بسنين
مجدبة فاخبرهم بانهم يوافقون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو
مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على مرافع لهم فما حصدتم اى في كل
سنة فذروه في سنبله ولا تدرووه كيلا ياكل السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عم استدلالا
على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة
لم يامرهم بها وجعلها امرا محققا للوقوع وتاويلا للرؤيا بما صدقا لما في البقرات السمان الا قليلا
مما تاكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عم لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على اشتهاء
الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد تمام ما امرهم بشرع في بيان
بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه
لجعله معجزة للامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك
اى من بعد السنين المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت
من اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اى سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من
الحبوب المدخرة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عم بذلك كان لوقت الضرورة واسنادا لاكل اليهن
مع انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان والتاء في
لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيئ قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل
والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون للبذر والزراعة ثم ياتي
من بعد ذلك اى من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر
عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتبنيها من اول الامر على اختلاف الحال
بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اى يمطرون يقال غيث البلاد اذا مطرت في وقت
الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تع اى انذنا برفع المكاره حين اضلتنا وفيه يعصرون اى
مما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحو ما من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر
العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر العنب والمستلزم له عادة كما اكتفى بذكر نصر فهم في الحبوب اما
لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي اخر كما
غير المطر والعامل اعاة جانب المستفتى باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن
موقع تغليبه على الناس في البقرة عادة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع ويكثر به فيه اما
للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث
والغوث من فضل الله تع والعصر من افعال الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام و
لاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع
لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم
وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة
الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب
للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله
بحيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعطرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت
وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك
ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها مما قدم من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا

اما اول وام هم بالتدبير اللائق فى شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه فى الفضل وانه محيط بمالم يحط بباله احد فضلا
عما ترى صورة فى المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما فى منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله
واتما ما للنعمة عليهم حيث لم يشاركهم فى العلم بوقوعها احد ولو برؤية مايدل عليها فى المنام وقال الملك بعد
ما جاءه الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اى سيدك فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن
الى فتشه عن شانها وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد فى التفتيش ليتبين براءته وتفخيم
نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام فى البحث للتفحص عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح و
يتساهل فيه ولا يبالى به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع مالقى منها مالقى من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان
محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكر ما حيث اعتقد بما فى عدة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع
فى صدعهن بالحق وشرهاوتهن باقرار ما بانحراوده عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدى
ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربى بكيدهن عليم
واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته بهن الى
الفساد قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فما ذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر بلغه الرسول
الطبرا احضرهن ما خطبكن اى شانكن وسوالاهر الذى يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن
يوسف وخاتمته عن نفسه وعزبته فى اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله
تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن فى نفى جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من
قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة فى المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقرعنها وقيل خافت ان يشهدن
عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره به ليسجنن وليكونا من الصاغرين
فاقرت قائلة الان حصحص الحق اى ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ فى
من الحصة وهى القطعة من الجملة اى تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضى وغيرها وقيل بل
وظهر من حصحص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مبركه
اى القاها فى الارض للاناخة قال مخضرم فى مثم القصفا ثفناته وناء بسلمى نواة ثم حتما والمعنى اقر
الحق فى قراره ووضح فى موضعه ولم تردبه لك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عما احاط
به علمهن من غير تعرض لنزاهته فى سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بحضرة العزيز ولا بحث عن حال
نفسها وما صنعت فى ذلك بل اراد ظهور ما هو متحقق فى نفس الامر وشبوته من نزاهته فى محل النزاع وبين خيانتها
فقالت انا راودته عن نفسه لانه راودنى عن نفسى وانه لمن الصادقين اى فى قوله حين افترينا
عليه هى راودتنى عن نفسى وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا لكلام لا زمان شهادتهن فتامل ايها المنصف
هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء عن الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تعدى
ثم لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج لتظهر برآءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما
يوجب عنه قوله ثم لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اى ذلك التثبت المؤدى الى ظهور حقيقة
الحال ليعلم العزيز انى لم اخنه فى حرمته كما زعمه لاعلما مطلقا فان ذلك لا يستدعى تقديم التفتيش
على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من
حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك فما يوهم الافتيات على رايه واما ان
يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك بتحلل لانقضاء ما قضاه فلا يليق بشانه ثم فى التوثق بامره
والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اى بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا

غائب

غائب عنه او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وايا ما كان فالمقصود
بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اى وليعلم انه تع لا
يهدى كيد الخائنين اى لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم فى كيدهم كيدهم ايقاعا للفعل على اكيد مبالغة
كما فى قوله تع يضلهم ويهون قول الذين كفروا اى يضلهم ويهونهم فى قولهم وفيه تعريض بامراته فى خيانتها امانته وبه فى
خيانة امانة الله تع حين ساعدها على حبسه بعد ما راوا الايات على نزاهته وهم ويجوز ان يكون ذلك تاكيد
امانته وانه لو كان خائنا لما هداه الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسى اى لا انزهها عن السوء
قاله هضما لنفسه اكريمة البرية عن كل سوء وربا لمكانتها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال
نزاهتها على اسلوب قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا للسيرة
المكنون فى شان افعال العباد اى لا انزهها عن السوء من حيث هى هى والا فاسناد هذه الفضيلة اليها يقتضى
تلبسها من عم توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التى من جملتها نفسى فى حد ذاتها لامارة
بالسوء منقادة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات فى تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تع وعصمته ورحمته
كما يفيده قوله تع الا من رحم ربى من النفوس التى يعصمها من الوقوع فى المهالك ومن جملتها نفسى او هى امارة
بالسوء فى كل وقت الا وقت رحمة ربى وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اى لكن رحمة ربى هى التى تعرف نفسها
السوء كما فى قوله تع ولا يهم ينقذون الا رحمة ان ربى غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتريه النفوس بموجب
طباعها وبالغ فى الرحمة لما بعصمتها من الجرايان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار فى مقام الاضمار مع التعرض لعنوان
الربوبية للتربية مبادى المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امراة العزيز والمعنى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف
انى لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسى من ذلك من الخيانة
حيث قلت فى حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى الا نفسا رحمها الله
تع بالعصمة كنفس يوسف عم ان ربى غفور لمن استغفره لذنبه واعترف برحيم له فعلى هذا يكون تاييسه عم فى الخروج
عن السجن لعدم رضاه بملاقات الملك واموه بين بين ففعل ما فعل حتى تبين نزاهته عم وانه اتما سجن بظلم عظيم
مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتونى به
استخلصه اجعله خالصا لنفسى وخاصا بى فلما كلمه اى فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان
به فكان لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن فى كلمه ليوسف والبارز للملك
فلما كلمه يوسف نزل ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين اى ذو مكانة
ومنزلة رفيعة امين موتمن على كل شئ والبوم ليس بعيار لدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد
تقديم مبدئهما اثر ذا عن احتمال كونهما بعد حين روى انه عم لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله
واغتسل ولبس ثيابا جددا وقعد على الملك قال اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا
فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياى فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وما كنها
على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل انه توفى قبله فى قصره من تلك الليالى فنصبه منصبه وزوجه راعيل
فوجد بها عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عم لما سياتى له من امر الخزائن كما يرشد
اليه قوله تع قال اجعلنى على خزائن الارض اى ارض مصر اى ولنى امرها من الايراد والصرف انى حفيظ
لما من لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر
على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انا سلم الملك على يده عم
تلك الولاية حاقنة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير السنين حسبما فصل فى التاويل

كونه من فروع ملك الولاية للجد وعموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل لم نر اجابة الملك الى ما شارة من جعله على خزاين الارض ايذانا بان ذلك امر لامرة لا يخفى عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يمهد ويرشح تحته احكام السلطنة بخلاف غيره ما من قوله انك اليوم لدينا مكين امين والتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك فقيل وكذلك اى مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف انى جعلنا له مكانا في الارض اى ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكن في الارض مسندا الى ضميره سبحانه من تشريفه عم والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا ان حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوء منها ينزل من بلادها حيث يشاء وتتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخوله تحت ملكه وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقراءة ابن كثير بالنون روى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورد اليه فسره برأس ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال لهم اما التسرير فاشتد به ملكك واما الخاتم فاد برتأمرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك ونوقش اليه الملك امره وانتهى اليه حكمه واجتمع الرجال والنساء وباع من اهل مصر الطعام في سني القحط في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بغير تقصيا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشية ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشية المذكورة الاحسان لا تعيينه الرحمة المرتومة وانما اجر له ولدينه توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قبل على سبيل التوكيد ولاجر الاخرة اى اجرهم في الاخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا انفاد له خير لهم اى للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفادين من جميع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عم جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اى على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ويكون همة معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لاستيمانه من القحط وعن الحسن رحمه الله ما عرفهم حتى عرفوه وهم له منكرون اى والحال انهم منكرون لطول العهد وتباين ما بين حالته عم في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك حيث كان انكارهم له لما رأوا من استمراره في حالتي الحضر والغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عم اياهم ولما جهزهم بجهازهم اى اصلحهم بعد تهم من الزاد ومايحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفتهم له ولعلهم انما قاله لما قيل من انهم سألوه عم حملانا زيدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرط عليهم ان يأتوا به لما قبل من انزالهم اياه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وشيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا فقالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وانا تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز والحث عليه بابقاء الكيل والاحسان في الانزال والاقتصار على منع الكيل على

عدم

عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ايفاء رسالهم اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينكسي عندها كل قبل وقال لاتروني اى وفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اى لاتروني آتي اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقلهم لا يليق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملتهم معهم في ذلك كمعاملتهم مع غيرهم في مراعاة موجب العدل وافاضة فليس للناس فيما حوى فضلهم في ذلك بمشاء فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن نفائه ولا تقربون به حمول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو تانيس وتشديد على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما لهم قالوا سنراود عنه اباه اى نستخاوعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مقصرين فيه ولا متوانين ولقادرون عليه لا نتعالى به وقال ليوسف لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل رحل رجلا يعبى فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا واديما وانما فعله عم تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باجيء كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اى يعرفون حق ردها والكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعليق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق الكرم في ردها فهي وان كانت في واقعتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسما لمادتهم فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا يتماعند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل من انما فعله عم لما لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا لطعام حتى في نفسه ولكن ثابا ه التعليل المذكور واما علية الجعل المذكور للرجوع من حيث ان وبانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمراده حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال واحد اصلا فان جبلة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما سيحيط به فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع الكيل اى فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عم فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم فنكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقراءة حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم ايضا في حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم والله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والجملة على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عم الى الاذن والارسال لما راى فيه من المصلحة ولما فتحوا امتعتهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اى تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء

كما نيل قيل وكيل قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا لخ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا
عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذ انكر البغي والطلب فاما استفهامية منصوبة فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا
لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الجوابج وقد كانوا اخبروه بذلك و
قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقولهم لخ هذه
بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه من انكارهم بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا
ونهذه بضاعتنا ردت الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنع العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه
ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والنهي عن طلب نظائره بل اراد وا الاكتفاء به في استجلاب لا امتثال
لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشعر به قولهم ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل
معنى الاشارة واثيرت صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشي عن كمال الاخفاء المفهوم
من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقولهم عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب الميرة لهم من عند
الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من ان يمسه وان
وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بسببه ولذلك وسط الاخبار بحفظ بين الاصل والمزيد
كيل بعير اي وسق بعير زايد على وساق اباعر نا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل يسير
اي يكيل قليل لا يقوم بازدنا فهو استيناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل
وذلك الكيل الزايد شيء قليل لا يضايق فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب من مهماتنا
والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فايزين ببعض المطالب ومتمكنين من
تحصيله كانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد
بسببه غير ما مكتال لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما نبغي على خطاب يعقوب عم اي
الا شيء نبتغي ورآء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات اليد ينا او وراء ما نعمل بنا الملك من
الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستينافية موضحة لذلك واي شيء نبتغي شاهد لعلى صدقنا فيما
وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بنحوى الانكار وانما فيه قاطعين
ما نبغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك
بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي
في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستانفة لبيان
ما ادعوه من عدم البغي وقولهم لخ ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل امتثاله من غير
اهلنا ونحفظ اخينا فان ذلك لهون بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدءا اي جملة اعترضية
تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا وشبهه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان وتجد ان اسعى لو انت
خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان
ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك
او ما نبغي في الراي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا واجمل الى آخره تفصيل
وبيان لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونضع كيت وذيت فقابل
قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتوني موثقا من الله اي ما توثقون به من
جهته عز وجل وانما جعله موثقا منه تع لان توكيد المعهود به ماذون فيه من جهته تع فهو اذن منه تعالى
لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا
فلا تطيقوني او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء

من

من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لتاتنني به ولا تمتنعون منه في حال من الاحوال
او لعلة الا حال الا احاطة بكم او لعلة الا احاطة بكم ونظيره قولهم اعتصمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما
اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تاويل وبقي ايضا اي لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري
ان حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لازمنك الا ان تعطيني
حقي ولم يكن مراده م مقارنته على سبيل البدل لما عد الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا
بل مجرد تحققه وقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاجهدن العام الا ان احصر فان مرادك نما هو الاخبار بعدم
منع ما سوى حال الاحصار من الجهد لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مراد في مثال
الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى التاويل المذكور فلما آتوه موثقا
عهدهم من الله جيء اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في اثناء مطلب
الموثق واتائه من الجانبين واثير صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدي الى تشبيههم وعي فظنتهم على
انكر وهيئت بسد وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تع وحثهم على مراعاة مثياقهم وقال يا بني
لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك خوفا من اصابة العين
فانهم كانوا ذوي جمال وبشرة حسنة وقد كانوا تجمعوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر
بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مئنة لان ينظر اليهم كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين
بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عن النبي عليه السلام ان العين حق وعنه ص ان العين لتدخل الرجل
القبر والجمل القدر وقد كان عليه السلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله اعوذ بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه
البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من
ابواب متفرقة وكان في دخولهم من باب بين اولئك بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع صحح لوقوع
المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيان لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا اللام مع كونه مستلزما
لاظهار الكمال العناية به واذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شيء آخر وما اغني عنكم اي لا انفعكم
لا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اي شيئا ما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به الغاء
الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان
ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز
القدير وان ذلك ليس بمرافقة للقدر بل هو استعانة بالله تع وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا
الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي وما ذر وفيه
دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في حلف الجملة على الجملة مع تقديم العلة للاختصاص مفيدا بالواو وعلف فعل غيره من تخصيص المتوكل بالله عز وجل
على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه بنيا لفعل غيره من المعتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا وفيه مالا
يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مفترين بما وصاهم به من التدبير
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت لها اربعة ابواب فدخلوا منها
وانما اكتفى بذكره لاستلزام الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سيأتي عند وقوع
ما وقع عنهم عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور
لا وقت الدخول وانما المتحقق ح ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي

فتامل من الله من جهته من شيء اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك فى بادى الراى حيث
وصاهم به يعقوب عم وعلموا بموجبه واتقنوا بحيد واه من فضل الله تع فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم
الاغناء كما فى قوله تع فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجرد النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان
عدم سببيته للاغناء مع كونها متوقعة فى بادى الراى كما فى قولك حلفان يعطينى حتى عند حلول الاجل فلما حل
لم يعط شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببية لعدم العطاء
فالمقال بيان عدم ترتب الغرض على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه وجوز ان يراد ذلك
ايضا بناء على كره عم فى تضاعيف وصيته من انه لا يغنى عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به
لم يغن ذلك شيئا ووقع الامر جسما قال عم فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتامل الا حاجة
استثناء منقطع اى ولكن حاجة وخزازة كائنة فى نفس يعقوب قضاها اى اظهرها ووصاهم بها وفعل التى لضرة
غير معتقدان للتدبير تاثيرا فى تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل فى قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى
حاجة فى نفس يعقوب وهى ارادة ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخوله ولا غيره من
جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة فى نفس يعقوب عم بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى
التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم
لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحى
ونصب الادلة حيث لم يعتقدان الحذر يدفع القدر وان التدبير لا حظ من التاثير حتى تبين الخلل فى رايه
عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغنى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفى تاكيد الجملة بان
واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عليه السلام
وعلو مرتبته وفخامة ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغنى عنهم الحذر
واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغنى شيئا من القدر فيا باه مقام تخلف المطلوب
عن المبادى ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه بنيامين اى ضمه اليه فى الطعام او فى المنزل
او فيهما روى انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندى اكرمهم
ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لاجلسنى معه
فقال يوسف بقى اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال
هذا لانانى معه ليكون مع فتيات يوسف عم يغنيه اليه ويشم رايحته حتى امسى وسال عن ولده فقال لى
عشرة بنين اشتقت اسماءهم من اسم اخ لى هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد
اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وترفق اليه وعند ذلك قال
انى انا اخوك يوسف فلا تبتئس اى فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تع
قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضه وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قاله انا اخوك
بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كانت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروى انه قال له فانا
لا افارقك قال قد تممت باغتمام والدى بى فاذا جئتك يزداد غمة ولا سبيل الى ما لا يجمل قال لا ابالى
فافعل ما بدا لك قال اوسع صاعى فى رحلك ثم انادى عليك بانك سرقته ليتهيا ولى ردك بعد تسريحك معهم
قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اى المشربة قيل كانت جعلها صاعا يكال به وقيل كانت
تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر
فى رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما لتقدير اهمالهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن

نادى

نادى منادى ايتها العير وهى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر
حتى قيل لكل قافلة عير كما تجامع غير واصلها فعل مثل سقف وسقف نقلت حركة ما فعل بعين وغين والمراد اصحابها
كما فى قوله عم يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا واهلهم يوسف حتى اظلعوا منزلا وقبل خروجهم من العمارة ثم امر بهم
فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه
ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق
وقراءة اليمانى سارقون بلا لام قالوا اى الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جئ بها للدلالة
على انزعاجهم مما سمعوه لما ينتهى الى الهم ماذا تفقدون اى تعدمون تقول فقدت الشئ اذا عدمته بان
ضل عنك لا بفعلك والمال ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من
افقدته اذا وجدته فقيد وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال
نزاهتهم عما رموا به عارا انه لم يسرق منهم شئ فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما المكن ان يضيع منهم شئ
فيتهمون به اماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة الى ما لا خبر فيه
لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا الكلام حيث قالوا فى جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا
سرقوه او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وبا بدال العين واعجامها من الضياع تقالوا
ترتيبه لما تلقوه من قبلهم واراءة لاعتقادهم انه انما بقى فى رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا
لقبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نية تحقيق الوعيد لجزمهم بانتفاء وجود الشرط وعزمهم
على ما لا يخفى من اخذ من وجد فى رحله وانا به زعيم كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا اتالله
الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن
فى قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم تجز وقبل من الباء وابدل اصل بغرها وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم
علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد فى الارض اى لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او
لنفسد فيها اى افساد كان تماعترفوا وتمان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجئ لافساد وان لم يكن
مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق
مجيئا لغرض الافساد ومفعولا لاجله ادعاء واظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل
فى قوله تع ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفى المبالغة فى الظلم دون نفى الظلم
فى الجملة الذى هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا فى
الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال تنزاههم عنه
يعنون انه قد شاع بينكم فى كرتى مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما
يا تون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد
وكانوا مشاهرين على نون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يعهد عنا افساد وما كنا سارقين
اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم
الغايبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا
للتجب المفهوم من تاء القسم قالوا اى اصحاب يوسف فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اى
فما جزاء سرقته عندكم وفى شريعتكم ان كنتم كاذبين لافى دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها
بل فيما يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اى اخذ
من وجد الصواع فى رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان فى الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك
مستلزما لها فى اعتقادهم المبنى على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة

انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتامل واحمل كلام كل فريق على ما يليق احكم
رايه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء ه وقوله فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اى فاخذه جزاؤه
كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتداء والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة
الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول للمن والثاني للظاهر الذي وضع
موضعه كذلك اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد
وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءة ساحتهم وهم عما فعل بهم غافلون فبداء يوسف ع م
بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم اى باوعية الاخوة العشرة اى بتفتيشها قبل تفتيش وعاء
اخيه بنيامين لنفي التهمة روى انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
ما نتركك حتى نفتش في رحله فاز الطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى السقاية او الصواع فانيذكر
ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى الاخ تاكيد الى
زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك ه ولا علم
المصدرية والكاف متحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اى مثل ذلك الكيد
العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم بوسطة المستفتين
من حيث لم يحتسبوا المعنى قوله عز وجل كذا ليوسف صنعناله ودبرنا لاجل تحصيل اغرضة من المقدمات
التي ربتجماس وس الصواع وما يتلوه فلام ليست كما في قوله تع فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على
المتعذر على ما هو الاستعمال الشايع وقوله تع ما كان لياخذ اخاه في دين الملك استيناف و
تعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لما ذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه
بما فعله في دين الملك في شريعته اى في سلطانه قاله ابن عباس رضه او في حكمه وقضائه قاله قتادة الا به
لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة
يعقوب ع م فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان
يشاء الله اى الا حال مشيته التي هو عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيته للاخذ بذلك
الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما
صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور
ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف ع م
عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في السارق
اصلا بل النسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن
ياخذ اخاه في دين الملك الا حال مشيتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء المتوسط من العلة التامة وهو
ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يجعل القصر في تفسير من فسر قوله تع كدنا ليوسف
بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اى مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض
من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال بما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل
والاسباب اى لم يكن ياخذ اخاه لعلة من العلل او سبب من الاسباب الا لعلة مشيته تع او الا بسبب
مشيته تع وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممتن يرى ذلك ويعتقده دينا لا يتاتى
عند رضاه واقتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك
الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه ح فتغييره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين
به اعم منه وما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف ع م

عن اخذ

عن اخيه ولم يتعلق المشية بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال
المشية المذكورة من احوال عجزه مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه
بمشية الله تع واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات اى رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على
المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات والمفعول قوله تع من نشاء اى انشاء رفعه جريا
يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وانما رصيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة
غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين
عليم لا يبالون شاوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف ع م ما اشير
فيه بالشرطية او الشرطية من ارشاده ع م الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة
لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن تمكنا من اخذ اخيه
بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما سد عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم
يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله تع نرفع درجات الى قوله تع عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور
لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يغرب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق
كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع
يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا بغي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء
المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور على اخوته وان كان
على لمح منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي
صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه
المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم
والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته ع لكنه كان داخلا تحت علمه بوسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل
ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم
يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله تع نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا ويجيء لان
ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف ع م برفعه اليها وقوله تع وفوق كل ذي
علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن
عباس وفوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تع والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف
ع م افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من
نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اى وفوق
كل من اولئك المرفوعين عليم نرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تع اعلم قالوا ان سرق يعنون بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف ع م وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحتضنه
فلما شب اراد يعقوب ع م انتزاعه وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق ع م فاحتالت
لاستبقاء يوسف ع م فحولت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف ع م فقالت انه لي اصنع فعل به ما شاء فخلاه يعقوب ع م عندها حتى مات
وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دفن كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب
كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اى اكن الطرازة الحاصلة مما قالوا في نفسه لا انه اسر بها
لبعض اصحابه كما في قوله تع واسرت لهم سرارا ولم يبد لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما
سبق قال اى في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشا من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا

قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم ظفقتم
تفترون على البرئ وقيل بدل من اسروا والضمير للمقالة المفهومة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون
اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا
فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه تع على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عند ما شاهدوا
مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يرد وانذلك الا لاخبار بان له ابا خان معلوم مما
سبق واما اراد وا الاخبار بان لابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة به يتعلل عن شقيقه
الهالك فخذ احدنا مكانه فلسنا عنده بمنزلته في الشفقة والمحبة انا نريك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك بهذه التتمة او الملتمسين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من
ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا
متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الا خلال بموجبها واثبات صيغة المتكلم مع الغير
كون الخطاب من جملة اخوته على التوجيد من باب السلوك على سنن الملوك او للاشعار بان الاجره ولا عطاء
ليس مما يستبد هو به بل هو منوط بآرا ولي الحل والعقد واثبار من وجدنا متاعنا عندون من سرق منا
لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحلون وجدان الصواع في الرحل على
محل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في
مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن وسوان الله عز
وجل انما امر نبي بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا
بخلاف الوحي فلما استيئسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بر لالة صيغة الاستفعال
وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في
اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يكثر زعنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تتمة ظلما بقوله انا اذا لظالمون
خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي
او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قولهم تع وتر بناه نجيا
ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن
وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الاتقلا
جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وما
حلفتم بالبناء للمفعول وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحالف باسمه الكريم ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما
زيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
السابق في شان يوسف ع م ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب
عطفا على اسم ان والخبر في يوسف ع او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف
ع م وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق
واقعا في شان يوسف ع م كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شان واقعا من قبل كما هو مفاد
الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما
تقرر في موضعه وقيل محل الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل موصولة او موصوفة بدل
محلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الجناية
واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على

ماذكره وذكرهم به من ميثاق ابيه وقوله لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي فان افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق
حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ابوهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذنه
يعقوب عم او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال ويحكم اتروني الينا اخانا او لاسجنن صيحة لا يبقى بمصر
حاملة الا القت ولدها وقفت كل شعرة في جسده فخرجت منها دم وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا
يطاقون فلما انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال
روبيل من هذا ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب وسوء خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل
ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سُرِّق على البناء للمفعول
السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وما شاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب
اي باطن الحال حافظين الحال فاندري ان حقيقة الامر كما شاهدناه ام بخلافه او ما كنا عالمين حين
اعطيناك الموثق انه سيسرق وانا نلقاه في هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف وسئل
القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندنا اي رسل الى اهلها واسئلهم عن القصة
والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل
من صنعاء وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب ع م وهو استيناف مبني على السؤال
نشاء تما سبق كانه قيل فاذا كان عنده قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه
ما قالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مساعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان
وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم
صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانما لم يصدر منهم ما يؤدي الى
ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه بريد
بذلك فتياهم باخذ السارق برقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان
يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي
لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لمسامع منهم وقال يا اسفا على يوسف الاسف
اشد الحزن والحسرة اضافها الى نفسه والالف بدل من ياء المتكلم اي يا اسفي فتعالي فهذا اوانك وانما
تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزاه كان قاعدة الارزاء فغاظه عنده وان تقادم
عهده اخذا بمجامع قلبه لا بناه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما بيوسف
فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وفي الخبر لم يعط الله من الامم الا ثلاثة
وانا اليه راجعون الا امة محمد عليه السلام الا يرى الى يعقوب ع م حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال
ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه
وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله تع ثم كلي من كل الثمرات وقوله وجئتك من سبإ
بنبإ يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت
سواد العين وقلبته الى بياض كدر قليل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت
عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب
عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل جبريل ع م ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال
وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تع ساعة قط وفيه
دليل على جواز البكاء والتاسف عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه
قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن

والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذى لا يجوز ما يفعله الجهلة
من الصياح والنياحة ولطم الخد والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبى ﷺ انه بكى على ولد
بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم
عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظلم هو من الغيظ على اولاده بمسك
الوحى او الالهام على وصيته ابيه وارساله اياهم للتحسس منه وعن اخيه فلما رأهم قد اشتغلوا عن ذلك
قال ما قال وقيل اعلموه كتاب يعقوب هم وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه فرمى
به فى النار فنجاه الله تع وجعل النار عليه بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تع
وما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به الخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم فقالوا
قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به
ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانكم جبسة انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان وجدته على ما قلت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأه وعقل صبره فقال لهم ما قال وقبل ما قرأه بكى
وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا انك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه برؤيته وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه ثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة
ويعقوب مثلها وقرئ ائنك انت يوسف على معنى ايتك يوسف او انت يوسف فحذف الاول
لدلالة الثانى عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسئلتهم وقد زاد عليه
قوله وهذا اخى اى من ابوى مبالغة فى تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حيث ما يفيده قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم
بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع
بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب
عن طلبهم كرة بنيامين بانه اخى لا اخوكم فلا وجه لطلبكم له ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلى بقوله
انه من يتق اى بفعل التقوى فى جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله وعذابه ويصبر
على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصى التى تتلذ بها النفس فان الله لا يضيع اجر
المحسنين اى اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون
بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت
الجليلة وان كنا وان الشان انا كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك
اعترفوا واذ لنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اى لا عتب ولا
تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشى للكرش ومعناه ازالة التثريب ازالة
الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزل فضرب مثلا للتقريع الذى يؤدى
بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبر لا اى لا اثرب عليكم اليوم او لا يثرب
مستقر عليكم اليوم الذى هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام وبقوله يغفر الله لكم لانه صلح عن جريمتهم
دعا لهم عن جرائرهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر بمقتضى
على التائب بالقبول ومن كرمه عم ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيى منك بما فرط منا اليك فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم ينظرون الى بالعين

الا يجزوذ له اى بل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه او سئوال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون
بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم
لما راى عجزهم وتمكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون ابتداء الكلام منه وهم منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على
هو حقهم وهو ظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتحفى فى طلب نبيامين بل يجوز ان يقف هم بطريق
الوحى او الالهام على وصيته ابيه وارساله اياهم للتحسس منه وعن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك
قال ما قال وقيل اعلموه كتاب يعقوب هم وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه فرمى
به فى النار فنجاه الله تع وجعل النار عليه بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تع
وما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به الخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم فقالوا
قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به
ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانكم جبسة انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان وجدته على ما قلت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأه وعقل صبره فقال لهم ما قال وقبل ما قرأه بكى
وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا انك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه برؤيته وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه ثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة
ويعقوب مثلها وقرئ ائنك انت يوسف على معنى ايتك يوسف او انت يوسف فحذف الاول
لدلالة الثانى عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسئلتهم وقد زاد عليه
قوله وهذا اخى اى من ابوى مبالغة فى تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حيث ما يفيده قوله قد من الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم
بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع
بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب
عن طلبهم كرة بنيامين بانه اخى لا اخوكم فلا وجه لطلبكم له ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلى بقوله
انه من يتق اى بفعل التقوى فى جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله وعذابه ويصبر
على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصى التى تتلذ بها النفس فان الله لا يضيع اجر
المحسنين اى اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون
بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت
الجليلة وان كنا وان الشان انا كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك
اعترفوا واذ لنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اى لا عتب ولا
تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشى للكرش ومعناه ازالة التثريب ازالة
الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزل فضرب مثلا للتقريع الذى يؤدى
بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبر لا اى لا اثرب عليكم اليوم او لا يثرب
مستقر عليكم اليوم الذى هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام وبقوله يغفر الله لكم لانه صلح عن جريمتهم
دعا لهم عن جرائرهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر بمقتضى
على التائب بالقبول ومن كرمه عم ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيى منك بما فرط منا اليك فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم ينظرون الى بالعين

والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذى لا يجوز ما يفعله الجهلة
من الصياح والنياحة ولطم الخد والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبى ﷺ انه بكى على ولد
بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم
عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظلم هو من الغيظ على اولاده بمسك
الذى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تع وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على الاناء وبمعنى فاعل
كقوله والكاظمين الغيظ اذا اجتره واصله كتم البعير جرته اذا رده فانى جوفه قالوا تالله تفتؤ اى لا
تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفى كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا
لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفى البتة حتى تكون جوابا
ريضا مشفيا على الهلاك وقيل الطرض من اذا به حمى اومرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يثنى ولا يجمع
ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبفتحتين كجنب وعرب او تكون من الها لكين الى المسنين
قال انما اشكو بثى البث اصعب الهم الذى لا يصبر عليه حتى يبثه الى الناس اى ينشره فكانهم قالوا
له ما قالوا ابطريق التسلية والاشكاء فقال لهم انى لا اشكو ما بى اليكم او الى غيركم حتى تتصعد والتسلية فانما
اشكو همى وحزنى الى الله تعالى طمعا فى اجابة متضرعا لدى بابه فى وقعد وقرئ بفتحتين وضمتين وعلم
من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمنى ويلطف بى ولا يخيب رجائى او اعلم وحيا او الهاما
من جهته ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل
علم من علم رؤيا يوسف ثم انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يابنى اذهبوا فتحسسوا اى تحرفوا وهو
تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجسد وهو الطلب اى تطلبوا من يوسف واخيه اى من خبرهما
ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يستر از التحسا ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه
وتنفيسه وقرئ بضم الراء اى من رحمة التى بها يحيى العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما بهم فى قوله واعلم
من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون لعدم علمهم بالله تع وصفاته فان العارف لا يقنط فى حال من الاحوال فلما دخلوا عليه
اى على يوسف هم بعثا وجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا
به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اى الملك القادر
المتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة
يدفعها كل تاجر غبنة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت
بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل
دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى استعاف مراهم بعث الشفقة
وهزة العطف والرافة وتحريك سلسلة المرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اى تمم لنا وتصدق علينا
برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الاشبه بحالهم نظرا الى ابراهيم وبالايفاء او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يسا ويحا تفضلوا وانما سموه تصدقا تواضعا وارادوا التصدق فوق
ما يعطيهم الثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا عليه السلام وانما لم يبد وا بما امروا به استحلالا بالارافة
والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ساقوه كلام ذوى بضاعتين وضمتين وعلم
فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله م حملوه على الحمل
الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لانتزاع الكهانى وقوع
الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم لذكر يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم

الا ولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت فى العيون
حيث علم الناس انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم ع م اذ هبوا بقميصى هذا قبل هو الذى كان عليه
ح وقيل هو القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ امره جبريل ع م بارساله اليه واوحى اليه ان فيح
ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفى فالقوه على وجد ابى يات بصيرا يكن بصيرا ويات الى بصيرا و
بنصره قوله وائتونى باهلكم اجمعين اى بابى وغيره ممن يتناوله لفظ الاهل جميعا من النساء والذرارى
قيل انما حمل القميص بجوذا وقال انا اخرنه بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حاف
حاسرا من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر
يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاز حيطانه وقراءة ابن عباس رضه انفصل العير قال ابوهم
يعقوب ع م لمن عنده انى لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عيق بالقميص من ريح يوسف ع م
من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اى تنسبونى الى الفند وهو الخرف والنكار
العقل وفساد الراى من هرم يقال شيخ مفند ولا عجوز مفندة اذ لم تكن فى شيبتها ذات راى فتفند
فى كبرها وجواب لولا محذوف اى لصدقتمونى قالوا اى الحاضرون عنده تالله لفى ضلالك القديم
لفى ذهابك عن التعويل قديما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم
انه قد مات فلما جاء البشير وهو يهوذا القاه اى القى البشير القميص على وجهه اى وجه
يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة
قال الم اقل لكم يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا
من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله انى اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهى
المذكور انما هو العلم الذى اوتى يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اى
الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيكم عن اليأس من روح الله اعلم من الله ما لا
تعلمون من حيوة يوسف روى انه سئل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك
على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه
عم ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او رجوا ذلك فى الاستغفار قال سوف
استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى
ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة قيل اخر الى ان يستحل لهم من يوسف ع م او يعلم انه قد عفا عنهم
فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روى عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف ع م
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها المهلكة فنزل
جبريل ع م فقال ان الله تع قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان تع ثبت
نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء وقد روى انه كان يستغفر كل
ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى
جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين
فلما دخلوا على يوسف روى انه وجه يوسف ع م الى ابيه جهازا او ماشيا راحلة ليتجهز اليه من معه
فاستقبله يوسف ع م والملك فى اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فبلقوا يعقوب
ع م وهو يمشى متوكيا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا
بل ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال لريوسف ع م يا ابت بكيت على

حتى ذهب

حتى ذهب بصرك اما علمت ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكنى حسبت ان يسلب دينك
فيحال بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وكانوا
حين خرجوا مع موسى ع م ستمائة الف وخمسمائة ونصفة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت
الذرية الف الف ومائتى الف آوى اليه ابويه اى اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة
الاب فى قوله تع واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب ع م تزوجها بعد امه وقال الحسين
وابن اسحق كانت امه فى الحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى آوى اليه ضمها اليه واعتنقها كانه ع م فعل
فى الملتقى مصر بافنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الشدايد
والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند تولهم بمعنى على العرش على سرير
الكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اى ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم
جاريا مجرى التحية والكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ما من عادات الناس الجارية فى التعظيم
والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وبا باه الحزور وقيل خروا لاجله سجودا لله وشكرا
ويرده قوله تع وقال يا ابت هذا تاويل رويای التى رايتها وقصصتها عليك من قبل قد جعلها ربى حقا
الصبا فى قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بشئ فى ذلك
لان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى فلعل تاخيره عنه ليصل به ذكر كونه خيرا
لهم وما يتصل به من قوله وقد احسن بى المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء
ايضا كما فى قوله عز وعلا وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف معنى الاحسان الخفى كما يؤذن
به قوله تع ان ربى لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا يخفى اى لطف بى محسنا الى غير هذا الاحسان
اذ اخرجنى من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب اخوته لان الظاهر
حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا والاكتفاء بما يتضمنه قوله تع وجاء بكم من البدو اى
البادية من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى اى افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس
الرائض الدابة وحملها على الجرى يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ ع م فى الاحسان حيث
اسند ذلك الى الشيطان ان ربى لطيف لما يشاء اى لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجئ
على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم
بوجوه المصالح الحكيم الذى يفعل كل شئ على قضية الحكمة روى ان يوسف اخذ بيد يعقوب
عليهما السلام فطاف به فى خزائنه فادخله فى خزائن الورق والذهب وخزاين الحلى وخزاين
الثياب وخزاين السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بنى ما اعقك عندك
هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانى مراحل قال امرنى جبريل قال افما تسالنه قال انت اسطع
اليه منى فسالته قال جبريل الله تع امرنى بذلك لتوكله اخاف ان ياكله الذيب قال فخلا حفتنى و
روى ان يعقوب ع م اقام معه اربع وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب
ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم اوره
وعلم انه لا بد من نقله الى الملك الدائم الخالد تمنى الموت فقال رب قد آتيتنى من الملك
اى بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتنى من تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب
الالهية ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرويا كما هو
الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه فى الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه

والملك اعرف فى كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة فى نفسه ولا يمكن تسمية هذا
الا عتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك
لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير فى الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعى ذلك الترتيب
فى الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما منصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر وصف
به بعد وصفه بالربوبية مبالغة فى ترتيب مبادى ما يعقبه من قوله انت وليى مالك امورى
فى الدنيا والاخرة اى الذى يتولانى بالنعمة فيهما واذ قد انعمت على نعمة الدنيا توفنى اقبضنى
مسلما والحقنى بالصالحين من آبائى او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك
قيل لما دعا توفاه الله طيبا طاهرا فتحاسم اهل مصر فى دفنه وتشاحوا فى ذلك حتى تحاربوا بالقتال فراوا ان
يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه فى النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا فى
التبرك به وولد له افرايثم ومنشا ولافرايثم نون ولنون يوشع فتى موسى م ولقد توارثت الفراعنة
من العلماقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله
موسى م ذلك اشارة الى ما سبق من بناء يوسف م وما فيه من معنى البعد لما تقرر مرارا من الدلالة
على بعد منزلته او كونه بالانقضاء فى حكم البعيد والخطاب للرسول م وهو مبتداء خبره
الذى لا يكوم حوله احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير فى الخبر ويجوز ان يكون ذلك
اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف
اذ اجمعوا وهو جعلهم اياه فى غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر
اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفى حضوره م فى مشهد
اجماعهم ومكرهم فقط بل فى سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما
ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين
والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك
ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع
الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار حيث يشكون فى ذلك فيدنح شكهم وفيه ايضا ايذان
بان ما ذكر من البناء هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعنى ان مثل هذا
التحقيق بلا وحى لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحى ومثله قوله تع
وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر
وما اكثر الناس يريد به العموم واهل مكة ولو حرصت اى على ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات
القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتهممهم على الكفر واصرارهم على العناد روى ان اليهود
وقرشا لما سالوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا
حزن النبى عليه السلام فقيل له ذلك وما تسالهم عليه اى على الانباء او على القران من اجر جعل
كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص
بهم وكاى من اية اى كاى عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته
كمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التى جئت بها فى السموات والارض اى كائنة فيهما من الاجرام
الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما فى الارض من العجايب الغائبة
للحصر يمرون عليها اى يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون
خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤن الارض يمرون عليها وفى مصحف عبد الله والارض يمشون

عليها

عليها والمراد ما يدرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين
اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم
لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تع ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا
كبيرا او بالنور والظلمة وهى جملة حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا فى حال شركهم قيل نزلت الآية فى اهل مكة
فى الملبى خاصة وقيل فى اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اى عقوبة تغشاهم
وتشملهم او داهية تبهتهم اتاكم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين
لها قل هذه سبيلى وهى الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص فسرها بقوله ادعو الى الله على
بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء وهى حال من الضمير فى سبيلى والعامل فيها معنى الاشارة انا
تاكيد للمستكن فى ادعو على بصيرة لانه حال منه او مبتداء خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف عليه وسبحان
الله وما انا من المشركين معترض مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم
لو شاء الله لانزل ملئكة فنوحى اليهم كما اوحينا اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم
واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من المكذبين بالآيات والرسل فيحذروا تكذيبك ولدار الاخرة اى الساعة او الحيوة الآخرة خير
للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون فتتدبروا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ
بالياء على انه غير داخل تحت قل حتى اذا استيئس الرسل غاية لمحذوف دل عليه السياق اى لا
يغرنهم تمادى من تمادى فيهم من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد املوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا
او من ايمانهم لانهاكهم فى الكفر وتمادى فى الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب
والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تع قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم فى الدنيا جاءهم نصرنا فجاة وعن ابن عباس رض وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله
من النصر فان صح ذلك فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه
بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذى هو ترجح احد الجانبين على الآخر فلا تصور ذلك من آحاد الامة
فضلا عن الانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم فى معرفة شؤن الله سبحانه منزلتهم وقيل الضمير للرسل
اليهم وقيل الاول لهم والثانى للرسل وقرئ بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم
وقرى بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضميرين للرسل اى ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما
تراخى عنهم ولم يجدوا له اثرا او على ان الاول لقومهم فننجى من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرى
فنجى على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرى فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل
بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية لقد كان فى قصصهم اى قصص الانبياء واممهم وتنكيره لتفخيم
من قراء بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبراة
عن شوائب احكام الحس ما كان اى القران المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى
ولكن تصديق كائن تصديق الذى بين يديه من الكتب السماوية وقرى بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى
ولكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ مما يحتاج فى الدين اذ ما من امر دينى الا وهو
يستند الى القران بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون اى يصدقون لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون
بحدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها

اهله وما ملكت يمينه يهون عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

الم اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو الظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تع تلك على الوجه الاول مبتداء مستقل وعلى الوجه الثانى مبتداء ثان او بدل من الاول اشير به اليه اذا بنى فامته واما النصب بتقدير فعل مناسب المقام نحو اقرء او اذكر فتلك مبتداء كما اذا جعل الم مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم و اريا على ما روى عن ابن عباس رض والخبر على التقادير قوله تع آيات الكتاب اى الكتاب العجيب الكامل الغنى عن الوصف بالمعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القران او عن الجميع المنزل ح جسما مر فى سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات ما اضيفت اليه من لموت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة فى الاتصاف بتلك المفنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك عبارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذى مر تفصيله فى سورة يونس والذى انزل اليك من ربك اى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق بان يخص بالحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقية مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفى التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبنى للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وجلالة المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذى رفع السموت اى خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض فانه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتداء وخبر كقوله وهو الذى مد الارض بغير عمد اى بغير دعايم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به ان يسند يقال عمدت الحائط اى اقمته وقرئ عُمُد على انه جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول واريد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفى عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جمع بها ايها لان لها عمدا غير مرئية هى قدرة الله سبحانه ثم استوى اى استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وايا ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للترتبة الذكرى وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طايعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجرى جسما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورة كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة تنتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اى يقضى ويقدر جسما يقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته

ربوبيته يفصل الايات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اى ياتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للاثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من نتائج الافعال المذكورة وقوله كل يجرى لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران عن قوله الله خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتداء جئ به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قول الغزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول تعلمون عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بلقائه للجزاء توقنون فان من يدبر امرا حق التدبير ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنايع البديعة على كل شئ قدير وان لهذه التدبير ان المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عم ان ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فانه لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر النواميس العلوية افرد لها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذى مد الارض اى بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسى اى جبالا ثوابت فى جانبى ما من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والاختصاص بجئ فواعل جمعا لفاعل فى فوارس وهو لكل ونواكس انما هو فى صفات العقلاء واما فى غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما فى قوله تع ايا ما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعنى اجبلا و يعتبر فى جمع الكثرة اعنى جبالا انتظامها للطائفة من جمع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتى الجمعين انما هى باعتبار الافراط التى تحتهما لا باعتبار جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجاء الى جعل الوصف المذكور بالغلبة فى عداد الاسماء التى تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هى فى الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجارى واسعة والمراد ما يجرى فيها من المياه وفى نظمها مع الجبال فى معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشاء للانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتعلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهى تعيشه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل فى قوله تع جعل فيها زوجين اثنين اى اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر وآكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة فى الدنيا صنفين اثنين وصنفين اما فى اللون كالابيض والاسود او فى الطعم كالحلو والحامض او فى القدر كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما شابه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى استينافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشى الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اى يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا حمل على تقديم المفعول الثانى على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الاسبق للذهن ان يكون هو الغاشى وعند هذا فى تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه الآيات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره فى الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا الليل اصلا لان

ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما زوجان متقابلان مثلهما وقرئ
يغشى من التفعيل ان في ذلك اى فيما ذكر من مد الارض واتيادها بالرواسى واجراء الانهار و
خلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفى الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه فى بابه لآيات
باهرة وهى آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها ففى على معناها فان تلك الآثار مستقرة فى تلك
الافاعيل منوطة بها وبجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل ففى تجريدية
لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدى الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب
الانيق لابد ان يكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفى الارض
قطع جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اى بقاع كثيرة مختلفة فى الاوصاف فمن
طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اى متلاصقات
وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات اى جعل فى الارض قطعا وجنات من اعناب اى بساتين
كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع المبسوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات
عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها فى اختلافها وما بينها لسائر ما ذكر وخص ذلك فيها وتاخير
قوله تع ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهى قوله تع صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان
جمع صنو كقنوان وقنو وهى التى لها رأسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بنى تميم وقيس
قرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تع وفى الارض قطع متجاورات
فى هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بجعل جعل الخالق الحكيم
جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ
وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات يسقى اى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل
وقرئ بالتانيث مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل فى حالة السقى بماء واحد لا
اختلاف فى نفسه سواء كان السقى بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تاخذ اسباب التشابه بعض
قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها فى الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء
على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على
ان عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان فى ذلك الذى فصل
من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعلمون على قضية عقولهم
فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدايع وخلق تلك الثمار
المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح فى تلك المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات
بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال وان كانت هى الآيات لكنها
لما انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة فى كونها آية فى تجريدية مثلها فى قوله تع لهم فيها دار
الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها الحادثة شيئا فشيئا فى الازمنة وآحادها الواقعة
فى الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها ففى على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على ما ذكر
اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض فان ذلك
لكل عاقل مع تحقق ذلك فى الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه
لا حاجة فى ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء
فتعجب لا اعجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب قولهم بعد شاهدة ما عدد من الآيات الشاهدة
بانه تع على كل شيء قدير ائذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال الاستبعاد و

الاستنكار

والاستنكار وهو فى محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المفعول او فى محل النصب على المفعولية منه
على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثانى تكلمهم بذلك والعامل فى اذا ما دل عليه قوله اثنا
لفى خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف للتقوية الانكار بالبعث تو جيهه اليه فى حالة
منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم اثنا لتاكيد الانكار وليس مرادهم ان كونهم ترابا بين فى الخلق الجديد بالفعل عند كونهم
ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتمادیهم فى التكبر ما لا يخفى و
قيل وان تعجب من قولهم فى انكار البعث فعجب قولهم والمال وان تعجب فى موضع التعجب وقيل وان تعجب
من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اى ان
تعجب ايها الناظر فى هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته
تع على البعث وهو اهون من هذه والاعجب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب حينئذ
قدم على المبتداء للقصر والتسجيل من اول الامر على قولهم ذاك امر عجيبا ويجوز ان يكون مبتداء لكونه موصوفا
بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذى لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه و
على الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب لا اعجب فوقه اولئك مبتداء والموصول خبره اى
اولئك المنكرون لقدرته على البعث ربما عاينوا ما فعل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان
به لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتماد وا فى ذلك فان انكارهم لقدرته تع كفر به وراى
كفر واولئك مبتداء خبره قوله تع الاغلال فى اعناقهم اى مقيدون بقيود الضلال
لا يرجى خلاصهم ومغلولون يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب
النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة
بل بالجميع المدلول عليه بقوله تع اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة
التى انذروها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم العذاب استهزاء منهم
بانذاره قبل الحسنة اى العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اى
عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية
لبيان ركاكة راييهم فى الاستعجال بطريق الاستهزاء اى يستعجلونك بما مستهزئين بانذارك منكرين
لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين
والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص
وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بضم الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات
جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب
والمعاصى ومحلها النصب على الحالية اى ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس
لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب
من يشاء منهم حين يشاء فتاخيرها استجلبوه ليس للامهال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنا لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا
والالتفات بالاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله التى تخر لها صم الجبال حيث
لم يرتعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى
وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا فقد اتى بآيات انزلت على امم غابرة وعبرة لاولى الالباب
انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما ياتون ويذرون كذاب من قبلك من الرسل
وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم القائم

الجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم
نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تع او لكل قوم هاد
الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة
عليك وازورارهم بعد ما شعقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيتين على الحكم والمصالح
تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك لا ظهارا
لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيته التابعة لحكم اقتضت بعلمها فقال الله يعلم
ما تحمل الانثى اي تحمله خواصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق
فقط والعلم متعد الى واحد اي شئ تحمل وعلى اي حال سو من الاحوال المتوارد عليه طورا فطورا
فهي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في
كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في
سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فانه قد يروى ان شريكا كان يلد في
اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تع وغيض الماء وقوله وازدادوا
تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد سند الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شئ من الاشياء
عنده بمقدار بقدر لا يكاد يجاوزه عند كقولنا ان كل شئ خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض
وفي كل مرتبة من مراتب التكوين ومبادئها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية
الحضور العلمي بل العلم الحضوري حتى فان تحقق الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود
والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب اي الغايب عن الحس والشهادة
اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتداء محذوف
او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الخ الكبير العظيم الشان
الذي كل شئ دونه المتعال المتعلي على كل شئ بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد
ما بين انه سبحانه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بحالي الغيب والشهادة بين انه عالم بجميع
ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء
منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء
كانه يطلب خفية بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز
وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله تع فان عاهدتن لا تخفى
منكم مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان
اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به او الى
الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تع فكانه في
التعليق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء وما عرفته آنفا له اي لكل من اسر
او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملئكة تعقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء
على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب
التاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب على تعويض الياء من
احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله
من بأس حين انزل به لاستهال او لاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله
وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والحلاوة

حول

حول السلطان يحفظونه في توجهه من قضاء الله تع ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا
ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي من فطرة الله التي فطر الناس عليها الى ضدادها واذا اراد
الله بقوم سوء لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
ومالهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه
دلالة على ان تخلف مراده تع محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستجال السيئة
اقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تع وعذابه الذي هو
يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر فوجه تقديم الخوف ظاهر لما ان المخوف عاجل يعاين النفس
او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه
كالزاف واحراث وباباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب
وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار
ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي لارادة خوف وطمع
او تاويل الاخافة والاطماع بتحدث فاعل للعلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الرؤية التي يتضمنها الاراءة
على تمريح قول النابغة وحلت بيوتي في بقاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال
سعادتي ولا نسولي حتى تثن حريرا اي احلت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة
الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب التغام المنسحب في الجو الثقال بالماء
او هي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة ثقيلة وسحاب ثقال
كما يقال امراة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد والراجين للمطر ملتبسين
بحمده اي يقولون سبحان الله وبحمد الله واسناده الى الرعد لجعله لهم على ذلك وتسبيح الرعد نفسه على
ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تع وفضله المستوجب لحمده وعن النبي عليه السلام انه كان يقول
سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألوا
النبي ﷺ عن الرعد فقال ملك من الملئكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن
الحسن خلق من خلق الله تع ليس بملك والملئكة اي تسبيح الملئكة من خيفته من هيبته واجلاله
جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة
الجاحدون في قوله تع هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب و
اعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل
العجيبة من ارائة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته وتعقلها
من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملئكة ويحملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد
والخوف من هيبته تع وهم اي الكفرة الذين حكيت بينهم مع ذلهم وحقارتهم وهوانهم وحقارة شانهم
يجادلون في الله اي في شانه تع حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستجال العذاب استهزاء
[illegible] قالوا او للعطف الجملة على ما قبلها من قوله تع هو الذي يريكم البرق الخ او على قوله يعلم
ما تحمل كل انثى الخ واما العطف على قوله تع ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تع والله يعلم
استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظايره من استجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف
ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب الصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد رايد ما اصاب ربيعة
اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد

وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا للمال عامر وكان من اجمل الناس
وقد كان اوحى الى اربد انه اذا رآني اكلم محمدا فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمهم فاخترط
من السيف شبر فحبسه الله تع فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي ع م الحال فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صايف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة
سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت
ويقول الشر ويقول واللات لئن اصبحني محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله تع ملكا
فلطمه بجناحه فاراده في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول
غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه واجراه حتى مات على ظهره وقيل اربد بارورى
عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي عليه السلام اليه نفرا من اصحابه يدعوا الى الله عز وجل فقال
لهم اخبروني اليه تدعونني اليه ما هو وممّ هو من ذهب ام من فضة ام من حديد ام من نحاس ام من ورق فاقفلوا
مقالته فرجعوا الى النبي عليه السلام فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا
اليه فرجعوا اليه فمازاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه ع م واخبروه بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا
اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاخرقت
الكافر فجاؤا يسعون لينجروه عليه السلام بالجبة فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احرق صاحبكم فقالوا من اين علم
قالوا اوحى الى النبي عليه السلام وهو شديد المحال اى والحال انه شديد المماحلة والمكابرة والممارسة لا
من محل اى كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من المحل بمعنى القوة وقيل
تحول او الحيلة افعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فلان عاد الله اشد وموساه احد منه
دعوة الحق اى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق و
اختصاصها به كونها بمنزل من شابة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة وقيل له دعوة الله سبحانه
اى الدعوة الآئقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية
لتربية معنى الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تع وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما
قبلها من حيث ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تع واجابة لدعوة رسوله عليه السلام عليهما ان كانت
الآية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلول مثاله
بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اى الاصنام الذين يدعونهم المشركون فحذف العايد
من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشئ من طلباتهم الا كاستجابة كفيه الى الماء
اى الاستجابة كاينة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبنى للفاعل على
ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبنى للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على
استلزام المصدر من المبنى للفاعل للمصدر من المبنى للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشئ
فلا يستجاب لهم استجابة كاينة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلا يبق الا مسحت او مجلف يسحت اى الا تلف
من غير ان يؤخذ بشئ من اناء ونحوه فاه وما هو اى الماء ببالغه بالغ فيه ابدا لكونه جمادا والامر
بعثه ولا يبسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة مما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم
حصولهم من دعاء آلهتهم على شئ اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان نائم لا يدري ما يفعل قد
بسط كفيه لمن يعيد الى الماء بقي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان لماء

في نفسه

في نفسه شيئا نافع بخلاف اصنامهم والمراد نفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون
لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كاينة في هذه الصورة التي ليس فيها شايبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من
باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء كباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اى ذهاب و
ضياع وخسار وللّه وحده يسجد يخضع وينقاد للاشئ غيره استقلالا او لاشتراكهما في القصد
ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملكة والثقلين طوعا وكرها اى طائعين وكارهين
او انقيادا طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله تع وانقياده لاحداثه ارادته فيهم من احكام
التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مدافعة حكم غيره بل غير حكمه تع في تلك الشؤن مما لا يخفى على احد
وظلالهم اى تمتعاد له تع ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيته وتتاتى لارادته
في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين بالذكر مع انقياد ها متحقق في جميع اوقات وجودها للظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة
كقنى في قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر
بمعنى الاغتداء والاصيل الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد بحقيقة السجود فان الكفرة حال
الاضطرار وهو المعنى بقوله تع وكرها يخصون السجود وبسجانه قال تع فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تع في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال
حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجود ما يشاهد فيها من
هيئة التسجد تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجودهم لله تع وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك
لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بان ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات
والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مما يعم ما نبهما على الاطلاق هو الله سبحانه وتعالى
قل الله امر الجواب من قبله ع م اشعارا بانه متعين للجوابية فهو الخصم في تقريره سواء اوامر بجكاية اعترافهم
ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احب اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والزمهم الحجر او امر بتلقينهم
ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على
انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة للانكار الواقع كما في قولك اضربت
اباك للانكار الوقوع كما في قوله اضربت ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم انتفاء
هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون
لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع
لغيره ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قولك لا تعقون اباك
وقد المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه و
المعنى بعد ان علمتم ان ربهما هو الله تع اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان تضيعة العلم بذلك
انما هو الانقصار على تولية فعلتم الامر كما في قوله تع كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء بهذا بعد المالكية للنفع والضر في ترجيح الانكار
وتاكيده كتقييد الاتخاذ هنا بالجملة الحالية اعني قوله تع وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ
المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لامر التركيك بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى

الذى هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذى هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن
المعبود الغافل والثانى اشارة الى المعبود العالم بكل شئ ام هل تستوى الظلمات التى هى عبارة
عن الكفر والضلال والنور الذى هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل الظلم الكريم
على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه فى الضلال المحض والخطاء البحت بحيث
لا يخفى بطلانه على احد وانهم فى ذلك كالاعمى الذى لا يهتدى الى شئ اصلا وليس لهم فى ذلك شبهة تصلح ان
تكون منشأ للغلط وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اى بل اجعلوا له شركاء
خلقوا كخلقه سبحانه والنكرة لا نكار الوقوع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه صفة الذى توجه اليه الانكار
وما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى لم يجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تع فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها
ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض
بركاكة رائيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شئ كافة لا خالق سواه
فيشاركه فى استحقاق العبادة وهو الواحد الموحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه
فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير
والنور مثل الحق الذى هو القرآن العظيم فى فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة
الاستعداد فى جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفى شبانه فيها مع كونه مما
تحيى بها القلوب الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء الى
فى اودية بقدرها فسالت سيلا نا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة فى احياء الارض وما عليها
الباقى فيها حميد وعليه منافع الناس وفى كونه حلية تتجلى بها النفوس وتصل الى البهجة الابدية
ومتاعا تنتفع به فى المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الغازات التى تتخذ منها انواع الآلات
والادوات وبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذى ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يقذف فيها
من غير مدخلة له فيها واخلال بصفائها من الزبد الرابى فوقها المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء
اى من جهتها ماء اى كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية وانعقد مواعها
او جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين جبال او تلال او اكام على
الشذوذ كناد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجئ بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد
وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كرغيف واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل منها
مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقى وان اريد معناها الحقيقى فالاسناد مجازى كما فى جرى النهر واثمر
التمثيل بها على الانحاء المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما اشير اليه
بقدرها اى حالت طبيعتها بمقدارها الذى عينه الله تع واقتضته حكمته فى نفع الناس او بمقدارها
المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محلها صغرا وكبرا لا بكونها مالية لها منطبقة عليها بل بحيث قلتها
لصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعى لكثرة الموارد فان مورد السيل
الجارى فى الوادى الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقى فالمعنى سالت
مياهها بقدرتها كما مر آنفا او يراد بقدرها ما سيالها على طريق الاستعارة بالكناية ويرشح
بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجارى فى تلك الاودية اى حمل معه زبدا
اى غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تع رابيا اى عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا

للمماثلة

للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذى شانه الظهور فى بادئ الرأى من غير مداخلة فى الحق
ومما يوقدون عليه فى النار اى يتعلون الايقاد عليه كائنا فى النار والغير للناس اخصر مع عدم سبق
الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اى لطلب اتخاذ حلية وهى ما يتزين
به ويتجمل كالحلى المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاوانى والآلات
المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد احتمله مثله مثل ما ذكر من زبد الماء
فى كونه ربا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على تجرد كونه مبتدأ ونشأ
منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفى التعبير عن ذلك بالوصول و
التعرض لما فى حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما فى قوله تع فاقد
لى يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفى زيادة فى النار اشعار بالمبالغة
فى الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك
العنوان فى التمثيل كما ان العنوان انزال الماء من السماء على خلافه حسبما فصل فيما سلف بل لاخلال بذلك
كذلك اى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائعة يضرب الله الحق والباطل اى
مثل الحق ومثل الباطل والحذف للايذاء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب
عين الحق والباطل وبعد تحقق التمثيل مع الايماء فى تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابلغ الوجوه
وآنقها حسبما اشير اليه فى مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به
المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن
الباطل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اى مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد
واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافى والفلز الخالص فيمكث فى الارض اما الماء فبثه فى مناقع
ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلى ويتخذ
من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد
بالمكث فى الارض ما هو اعم من المكث فى نفسها ومن البقاء فى ايدى المنتفعين فيها وتغيير ترتيب اللف
الواقع فى القلادة الموافق للترتيب الواقع فى التمثيل لمراعاة الملايمة بين حالتى الذهاب والبقاء
وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقى بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك اى مثل ذلك
الضرب العجيب يضرب الامثال فى كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية فى الارشاد والهداية
وفى تخصيص شان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على
التمثيل الاول او يجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومآلا
اكمل بيان شرع فى بيان حال اهل كل منهما تاكيدا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا
لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التى من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى
تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة
المحسوس وابراز لاوابد المعانى فى هيئة المانوس فاتى بدعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى
اى المسوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلى لو ان لهم ما فى الارض
من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ فى اقطارها او مجموع غير متفرق بحسب الازمان
ومثله معه لافتدوا به اى بما فى الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا انما هم فيه من تنويل يلقاهم ما لا يحيط
به البيان فالموصول مبتداء والشرطية كما هى خبره لكن لا على انها وضعت موضع الثوى فوقعت فى
مقابلة الحسنى الواقعة فى القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا

له استوائی کما توهم فان شرطیته وان دلت علی کمال سوء حالهم لکنها بمعزل من القیام مقام لفظ الاستوائی صحبوا
باللام الداخلة علی الموصول او ضمیره وعلیه یدور حصول المرام واما الواقع فی تلک المقابلة سوء الحساب
فی قوله تع اولئک لهم سوء الحساب وحیث کان اسم الاشارة الواقع مبتداء فی هذه الجملة عبارة عن
الموصول الواقع مبتدأ فی الجملة السابقة کان خبرها ای الجملة الظرفیة مخبرا عن الموصول فی الحقیقة و
مبینا لابهام مضمون الشرطیة الواقعة خبرا عنه اولا ولذلک ترک العطف فصار کانه قیل والذین لم
یستجیبوا له لهم سوء الحساب وذلک فی قوة ان یقال وللذین لم یستجیبوا له سوء الحساب مع زیادة
تاکید فتم حسن المقابلة علی المبلغ وجده واکده ثم بان مؤدی ذلک فقیل وماویهم ای مصیرهم جهنم
وفیه نوع تاکید لتفسیر الحسنی بالجنة وبئس المهاد ای المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقیل اللام فی قوله
للذین استجابوا لربهم متعلقة بقوله تع یضرب الله الامثال ای الامثال التالفة وقوله الحسنی صفة
للمصدر ای استجابوا الاستجابة الحسنی وقوله تع والذین لم یستجیبوا له معطوف علی الموصول الاول وقوله لو ان لهم
الخ کلام مستانف مسوق لبیان ما اعد لغیر المستجیبین من العذاب والمعنی کذلک یضرب الله الامثال للمؤمنین
المستجیبین والکافرین المعاندین ای مثلا الفریقین وانث ضمیرها بان عنوان الاستجابة وعدمها الامثال
بینه وبین ما یدور علیه ام التمثیل وان الاستعمال المستفیض دخول اللام علی من یقصد تذکیره بالمثل نعم
قد یستعمل فی هذا المعنی ایضا کما فی قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذین آمنوا امرأة فرعون ونظائره علی ان بعض
الامثال المضروبة لا سیما المثل الاخیر الموصول بالکلام لیس مثل الفریقین بل مثل الحق والباطل ولا مساغ
لجعل الفریقین مضروبا بهما ایضا بان یجعل فی حکم ان یقال کذلک یضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه
للمستجیبین وغیر المستجیبین فتامل الممن یعلم انما انزل الیک من ربک من القرآن الذی مثل بالماء
النازل من السماء والابریز الخالص فی المنفعة والجدوی الحق الذی لا حق ورآده او الحق الذی لا یصیر
الیه بالامثال المضروبة فیتجب له کمن هو اعمی عمی القلب لا یشاهده وهو ناء عن علم ولا یقدره
وهو فی اقصی مراتب العلو والعظم فیبقی حائرا فی ظلمات الجهل وغیاهب الضلال اولا یتذکر بما ضرب من
الامثال ای کمن لا یعلم ذلک الا انه اوید زیادة تقبیح حاله فعبر عنه بالاعمی وایراد الفاء بعد الهمزة لتوجیه
الانکار الی ترتب توهم المماثلة علی ظهور حال کل منهما بما ضرب من الامثال وبین المعیر والمآل کانه قیل
ابعد ما بین حال کل من الفریقین وما لهما یتوهم المماثلة بینهما ثم استوتف فقیل انما یتذکر بما ذکر
من المذکرات فیقف علی ما بینهما من التفاوت والتناکی اولوا الالباب ای العقول الخالصة المبرات
من مشایعة الالف ومعارضة الوهم الذین یوفون بعهد الله بما عقدوا علی انفسهم من الاقرار بربوبیته
حین قالوا بلی او ما عهد الله علیهم فی کتبه ولا ینقضون المیثاق ما وثقوه علی انفسهم وقبلوا من الایمان
بالله وغیره من المواثیق بینهم وبین الله وبین العباد وهو تعمیم بعد تخصیص وفیه تاکید للاستمرار المفهوم من
المستقبل والذین یصلون ما امر الله به ان یوصل من الرحم وموالاة المؤمنین والایمان بجمیع الانبیاء
المجمعین علی الحق من غیر تفریق بین احد منهم ویندرج فیه مراعاة جمیع حقوق الناس بل حقوق کل
ما یتعلق بهم من الهر والدجاج ویخشون ربهم خشیة اجلال وهیبة ورهبة فلا یعصونه فیما امر به
ویخافون سوء الحساب فیحاسبون انفسهم قبل ان یحاسبوا وفیه دلالة علی کمال فظاعته جسما
ذکر فیما قبل والذین صبروا علی کل ما تکرهه النفس من الافعال والتروک ابتغاء وجه ربهم حبا
لرضاه خالصة من غیر ان ینظروا الی جانب الخلق ریاء او سمعة ولا الی جانب النفس زینة وعجبا وحیث
کان الصبر علی الوجه المذکور ملاک الامر فی کل ما ذکر من الصلات السابقة واللاحقة اورد علی صیغة
الماضی اعتناء بشانه ودلالة علی وجوب تحققه فان ذلک مما لابد منه اما فی نفس الصلات کما فیما عدا

الاولی والرابعة والخامسة او فی اظهار احکامها کما فی الصلات الثلث المذکورات فانها وان استغنت
عن الصبر فی انفسها حیث لا مشقة علی النفس فی الاعتراف بالربوبیة والخشیة والخوف لکن اظهار احکامها
علی موجبها غیر خال عن الاحتیاج الیه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم ای بعضه
الذی یجب علیهم انفاقه سرا لمن لم یعرف بالمال اولمن لا یتهم بترک الزکوة او عند انفاقه واعطائه من
تمنعه المروة من اخذه ظاهرا وعلانیة لمن لم یکن کما ذکر اوالاول فی التطوع والثانی فی الفرض
ویدرؤن بالحسنة السیئة ای یجازون الاساءة بالاحسان او یتبعون الحسنة السیئة فتمحوها
عن ابن عباس رضی یدفعون بالحسن من الکلام ما یرد علیهم من سیئ غیرهم وعن الحسن رضه اذا حرموا اعطوا
واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن کیسان اذا اذنبوا تابوا وقیل اذا رأوا منکرا امروا بتغییره
وتقدیم المجرور علی المنصوب لاظهار کمال العنایة بالحسنة اولئک المنعوتون بالنعوت الجلیلة
والملکات الجمیلة وهو مبتداء خبره الجملة الظرفیة اعنی قوله لهم عقبی الدار ای عاقبة الدنیا وما ینبغی ان
یکون مآل امرها وهی الجنة وقیل الجار والمجرور خبر لاولئک وعقبی الدار فاعل الاستقرار وایا ما کان
فلیس فیه قصر حتی یرد ان بعض ما فی حیز الصلة لیس من العزایم التی یخل اخلالها بالوصول الی حسن العاقبة
والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استیناف لبیان ما استوجبوه بتلک الصفات ان جعلت
الموصولات المتعاطفة صفات لاولی الالباب علی طریقة المدح من غیر ان یقصد ان یکون للصلات
المذکورة مدخل فی التذکیر جنات عدن بدل من عقبی الدار او مبتداء خبره یدخلونها والعدن
الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان ای جنات یقیمون فیها وقیل سوبلنان الجنة ومن صلح من ابائهم
جمع ابوی کل واحد منهم فکانه قیل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذریاتهم وهو عطف علی الفروع
فی یدخلون والی سائغ ذلک للفصل بالغیر الاخر او مفعول معه والمعنی انه یلحق بهم من صلح من اصلهم وان
لم یبلغ مبلغ فضلهم تعالیا لهم تعظیما لشانهم وهو دلیل علی ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف
بتلک الصفات یقرن بعضهم ببعض لما بینهم من القرابة والوصلة فی دخول الجنة زیادة فی انسهم
وفی التقیید بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن یتمسک بمجرد جبل الانساب والملئکة یدخلون علیهم
من کل باب من ابواب المنازل او من ابواب القصور والتحف قائلین سلام علیکم بشارة
لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعلیکم او بمحذوف ای هذه الکرامة العظمی بما صبرتم ای بسبب صبرکم
او بدل مما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنی لان تغتنم فی الدنیا لقدر ستحتم الشاعة وتخصیص
الصبر بما ذکر من بین الصلات السابقة لما قدمنا من ان له دخلا فی کل منها ومزیة زائدة من حیث
انه ملاک الامر فی کل منها وان شیئا منها لا یعتد به الا بان یکون لابتغاء وجه الرب تع وتقدس
فنعم عقبی الدار ای فنعم عقبی الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسکن العین بنقل حرکتها الی
النون تارة وبدونه اخری عن النبی علیه السلام انه کان یاتی قبور الشهداء علی رأس کل حول فیقول
سلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار وکذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله تع علیهم اجمعین والذین
ینقضون عهد الله اریدبهم من یقابل الاولین ویعاندهم فی الاتصاف بنقایض صفاتهم من بعد
میثاقه من بعد ما وثقوه به من الاعتراف والقبول ویقطعون ما امر الله به ان یوصل من
جمیع الانبیاء المجمعین علی الحق حیث یؤمنون ببعضهم ویکفرون ببعضهم ومن حقوق
الارحام وموالاة المؤمنین وغیر ذلک مما لا یراعون حقوقه من الامور المعدودة فیما سلف وانما
یتعرض لنفی الشبهة والخوف عنهم صریحا لدلالة النقض والقطع علی ذلک واما عدم التعرض لنفی
الصبر المذکور فلانه انما اعتبر تحققه فی ضمن الحسنات المعدودة لیقعن معتدا بهن فلا وجه لنفیه

عما بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة ممن لا يجوم حول اهل الايمان بالتوبيخ
فضلا عن فروع الشرايع وان اريد بالانفاق التطوع ففيه انه مندرج تحت قطع ما امر الله به بوصله واما دفع
السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد والمخالفة
الامر ويباشر الفساد بدءا حبما يحكيه بقوله تع ويفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف
يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك شر بان له وخلاف في العقوبة التي بين فمرها قوله تع
أولئك لهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد
من رحمة الله تع ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فاضافها راجع لان
ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة
السيئة بمثلها ماذون فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل
عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما عند اعتبار اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق
المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث مستتبعات الاخلال بالتعريم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق
الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتاكيد والايذان باحتلافهما واستقلال كل منهما في
الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من
يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر املاء و
استدراجا ربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا
اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تع بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما
الحيوة الدنيا وما يتمتعون به من النعيم في الاخرة في جنب نعيم الاخرة الا متاع الا شئ نزر حقير
بكجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا مرضيين عن نعيم الاخرة والحال ان ما اشروا به في
جنب ما اعرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة واثما ردوا الطريق
على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من
قولهم لولا انزل عليه اية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد وكان ما انزل عليه من
الآيات العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما لا يقتضيه الحكمة من الايات المحسوسة التي لا يبقى لاحد
طاقة بعد ذلك لعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تع قل ان الله يضل من يشاء اضلاله
مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرفه اختيارا عما لا تحصيله ويديمه عنهما فيه لعلمه
بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة
والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير
هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا
يوصف من اناب اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة
الدخول في نوبة الخير واثبارا يرادها في القلة على ايراد المشية كما في الصلة الاولى للتنبيه على الدلالة
الى الهداية بل الى مشيتها والاشعار بما دعا الى المشية الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع
عما هم عليه من العتو والعناد واثبار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية السابقة الانابة كما
ان اثبار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على الاستمرار المشية حسب استمرار مكابرتهم
آمنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد
احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صارا مرهم الى الايمان كما في قوله تع هدى للمتقين اي الصابرين
الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدا محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب

على

على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب في قوله تع وهذا ذكر مبارك
انزلناه وقولوا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها والعدول الى صيغة
المضارع لافادة دوام الاطمينان وتجدده حسب تجدد الايات وتعددها الا بذكر الله وحده
قطمئن القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر اما سائر المعجزات
فالقصور من حيث انها ليست في افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بشابة القران المجيد فانه معجزة باقية
الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وانفسهم
هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تع ولم يجدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر جنته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تع ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكره تعالى
الدالة على وحدانيته او بذكره تع أنابه وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل جيء برمز اليه اي قلوب الذين آمنوا وفيه
ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدا وخبره الجملة الدعائية على التاويل اعني قوله طوبى لهم
او خبر مبتدا مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى و
الواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرى مكوزة الاعز اي طيبى لتسليم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحاها النصب
كسلاما لك والرفع على الابتداء وان كانت نكرة في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله
تعالى وحسن ماب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال
العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم
كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقراء عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشان وتهديم الى
الحق رحمة لهم وتقديم الجار على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تع وضعنا عنك وزرك
الذي الخ وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم
يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة وسعت كل شئ رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى الاظهر لوصف الرحمة من
حيث ان الارسال شئ منها كما قال تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما
ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القران الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ربي
الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل
هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراد قبل قوله لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه
تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان اباجهل سمع النبي عليه السلام يقول يا الله
يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تع قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن الآية عليه توكلت في جميع موري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه حاصة
متاب اي توبتي كقوله تع واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك بانه لفضل التوبة ومقدارها
عند الله تع وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطف فانه عليه السلام
حيث امرها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على
والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد
فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم فقاتل ولو ان قرانا اي قرانا ما وهو ام القران والخبر
قوله لما سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه كل ممن
التالي والمقصود اما بيان عظم شان القران وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم

يعد ومن قبيل الآيات التي تحوا غيرها مما اوتي موسى وعيسى عم وما بينا غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم
في الضلال والفساد فالمعنى على الاول لوان قرانا سيرت به الجبال اى بانزاله او بتلاوته عليها
وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اى شققت
وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه وجعلت قطعا متصدعة او كلم به
الموتى اى بعدان احيي بقراءته عليها كما احييت لعيسى عم لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية
القصوى في الانطواء على عجايب آثار قدرة الله تع وهيبته عز وجل كقوله تع لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لافي الاعجاز اذ لا مدخل له في هذا الاثار ولا في التذكير
والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول
اليها فحل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الاهتمام
ثم التغيير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التاخير تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر فاذا
تمكن عند ورود عليها فضل تمكن وكذلك في الموضعين لمنع الخلق الجمع واقترانهم وان كان متعلقا
بجر وظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهور ما به مباغة في بيان استحالة القران لكن ذلك حيث
كان مبنيا على عدم استحالة في زعمهم على الخوارق نيط ظهور ما به مباغة في بيان استحالة عليها وانه حقيق بان
يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رايهم في شانه الرفيع كانه قيل لوان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات
الحكمة لكان مظهرا هذا القران الذي لم يعهد وه آية وفيه تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل بل لله الامر
جميعا اى له الامر الذي يدور عليه فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يد عواليه
من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا جب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اى
لوان قرانا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القران ولكن لم يفعل بل فعل ما علية الشان الان لان الامر كله لله
وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما كان مما
يقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين امنوا اى افلم يعلموا على لغة هوازن وقوم
من النخع وعلى استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له وليؤيده قراءة علي وابن عباس رض وجماعة من الصحابة
رضوان الله تع عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التغيير والفاء للعطف على مقدر اى غفلوا عن كون الامر
جميعا لله تع فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشان وتخفيف ان لهدى الناس جميعا
بانزاله او بتلاوته امثال تلك الآيات الغيظمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا او علموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا
ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اى تخلف العلم الثاني عن
العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تع الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لانكار الواقع كما
في قولك الم تحف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل عدم علمهم بعدم
تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تع لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشا ذلك لانهم كانوا يودون
ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لوان قرانا فعل به ما فعل من التجايب لما
آمنوا لعدم تع ولوانا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى الآية فالاضراب حج متوجه الى ما سلف من اقتراحهم
مع كونهم في العناد على ما شرح اى فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء
ياتي به جسما تستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس [illegible]
اى الم ييأسوا الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احتوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوف فان
او علموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اى الى ان تخلف القنوط
عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تع افلا تتقون ونظايره لا انكار الوقوع

فان

فان عدم قنوطهم منه مما لا مزيد له وقوله تع ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف في افلم ييأسوا من ايمانهم
على تغليب العالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشا ذلك او بآمنوا اى افلم يقنط الذين
امنوا بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية
وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار يأسهم
وقيل ان اباجهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير بقرانك الجبال عن
مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطايع وقد سخرت لداود عم فلست باهون على الله منه
ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عم لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع
الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين وثلثة ممن مات من آبائنا فاخبرت بمعنى تقطيع الارض حج قطعها
بالسير ولا حاجة ح الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القران كما احتيج اليه في الوجهين
الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو دال بالحقيقة
على الجواب والتقدير ولوان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن و
التذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم
بما صنعوا اى بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او التهجانه و
هو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة المضي من الايذان
برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب
من القتل والنهب والاسر والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التغيير اثر الابهام
لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم آثر ذي اثير او تحل تلك
القارعة قريبا اى مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطايرا اليهم شرارها شبهت القارعة
بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح
حتى ياتي وعد الله اى موتهم او القيمة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك
من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نقرة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تع
ان الله لا يخلف الميعاد اى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على
الله سبحانه وقال ابن عباس رض الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول صلى الله عليه وسلم
يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول ح
من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تع او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول عليه السلام مرادا جلول
الحديبية والمراد بوعد الله ما وعده من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك
فاملیت للذين كفروا اى تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد
لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كانية من قبلك فاملت الذين
فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين
الوصفين فاملیت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب
اى تعذيبي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قايم
اى رقيب مهيمن على كل نفس كاينة من كانت بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شئ من ذلك
بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اى كمن ليس كذلك الكفار لذلك ادخال الفاء وتوبيخ
الانكار الى نوع من المماثلة غب ما علم مما فعل تع بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون

الامر كله لله تع وكون هذه الآية الناس جميعا منوطة بمشيته تع ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد
الله كانه قيل الامر كذلك لمن هذا شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب
المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما ذكرنا في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به
لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت لا تعلم فلانا يجهل به وقوله تع وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء
بها للدلالة على الخبر او حالية اي لمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء ولا شريكا واحدا او معطوفة
على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي لمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر
موضع المضمر للتنصيص على واحدانيته ذاتا وسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من ابهام
بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تع قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم
وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي بل
اتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تع ولا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموت والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان
يكون لهم معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تع ذلك قولهم بافواههم وما نيك الاساليب البديعة التي
وردت عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك
الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم
تمويههم الاباطيل وكيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد
على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس او صد صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال
بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر
وسايرما يصيبهم من المصايب خاتما انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الاخرة اشق من ذلك لشدته
والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى
صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي هي في الغرابة
كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتداء خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا
عليك مثل الجنة وقوله تع تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف
من الصلة العايد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد يا تيه الناس ويعظمونه او
على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الخ اكلها ثمرها دايم لا ينقطع وظلها ايضا
كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا
الكفر والمعاصي اي مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين و
اقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من الكتاب نحو عبد الله بن سلام وكعب واضرابهما
ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة
يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل ومن الاحزاب اي من
اخابيهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد
والعاقب استفتى نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرايع الحادثة انشاد ايسخا لا ما يوافق
ما عرفوه والا لنعى عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما يوافق كتبهم ثم
ان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصدقا لكتبهم
في الجملة فيكون قوله تع ومن الاحزاب الخ تتمة له ان يقول ومنهم من ينكر بعضه قل انما امرت ان
لهم ورد الانكار اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء اولا افعل

الاشراك

الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تع لا قصر الامر مطلقا على عبادة خاصة اي قل لهم انما امرت فيما
انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله
تع قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون
به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك به اليه اي الى الله تع خاصة
على النهج المذكور من التوحيد والى ما امرت بهن التوحيد ادعوا الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم تطبق
عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم والية الى الله تع وحده ثاب مرجعي للجزاء
وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما و
تبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرايع الواردة ابتداء او بدلا من الشرايع المنسوخة بيانا
الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل
اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة
ومخالفة حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به ذلك
والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما
بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك
مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات
المجمع عليها حسبما يفيده قوله تع قل انما امرت ان اعبد الله الخ باياه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو و
الاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم
التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل
الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من دون الله تع يلي امرك وينصرك على من يثبيك
الغوايل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من
كلمة ادخل على المعطوف حرفي للتاكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من باس الله من ناصر و
واق لاتباعك اهواءهم واشال ما نيك مما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات
في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة
كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلنا لك وهو رد لما كانوا يعيبونه
عليه السلام بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول ياكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم
اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن
الله ومشية المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكاينات لا يستاثر بشيء من هذه الامور العظام
والالتفات لما قد مناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل وقت ومدة
من المدد والاوقات كتاب حكيم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرايع كلها
لاصلاح احوالهم في المبداء والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات
كما تختلف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء
نسخه من الاحكام لما يقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يقيه على حاله غير منسوخ او
يثبت اثباته مطلقا اعم منها ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين دونوا كتبة كل
قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التايب ويثبت مكانها الحسنات او يمحو قرنا

ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل او
السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضه والقائلون به يتضرعون الى الله تح ان يعلمهم سعداء
وهذا رواه جابر عن النبي عليه السلام والاشبه تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد
الانكار دحولا اوليا وقرى بالتشديد وعنده ام الكتاب اى اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما هو من
شئ من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو وامانريتك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد
معنى الشرط ومن ثم لحقت النون بالفعل بعض الذى نعدهم اى وعدنا هم من انزال العذاب عليهم
من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نحدهم وعدا مجددا حسب
ما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمزا الى ارآءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك
فانما عليك البلاغ اى تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذى تاتو
جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اى كيفما دارت الحال
اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم
بما ورآء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من النظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما تعلم من المصالح الخفية
ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره فقال اولم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام الى كفروا نزول ما وعدناهم او اشكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا ناتى اى ارض الكفر
ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام وندهب وننهب
منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلم يروا انا ناتى الارض ننقصها
من اطرافها افهم الغالبون وقوله تح ننقصها حال من فاعل ناتى او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد
وفي لفظ الاتيان الموزن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة مالا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واللهيحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال على
الكفر بالذلة والادبار جسما يشاهد من المخائل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على اسمهم
الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة مالا يخفى وهي جلالة
مجرى بالتاكيد مخوى ما تقدمها وقوله تعا لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل
نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اى حاسرا والمعقب من
يكر على الشئ فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه
بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بافانين العذاب
فعجا عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضه سريع الانتقام وقد مكر الكفار
الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلآء وبذا تسلية لرسول الله ع م
بانه لا عبرة بمكرهم ولا تاثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله
اعني قوله تع فلله المكر اى جنس المكر جميعا ولا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه
الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يانون ويذرون بعلم الله تع وقدرته وانما لهم مجرد الكسب
من غير فعل ولا تاثير جسما يتبينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه
وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما كسبت ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكر بهم
ولا اثر وان المكر كله لله حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث
لا يحتسبون او لله المكر الذى باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو
بعينه مكر من الله تعا بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ الا باهله وسيعلم الكفار حين

يقفى

يقتضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما كتبه لمن عقبى الدار اى العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك
يومئذ وقبل حين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم بح وقرى وسيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر ان لعلة
والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اى سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل فالمراد
اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره
منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من المعجز القاطعة والبينات الساطعة ما فيه
مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من
علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده
علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اى كفى شاهدا بيننا بالذى يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة
الى عبادته وايدني بانواع التاييد وبالذى يخصص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي
وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتداء وخبره الظرف
وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم

القيمة وبعث يوم القيمة من المؤمنين لعبد الله عز وجل

الر مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تع كتاب خبره على تقدير كون الر مبتداء والمبتداء مضمر
على تقدير كونه خبر المبتداء محذوف ومسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتداء المحذوف
وقوله تع انزلناه اليك صفة له وقوله تع لتخرج الناس متعلق بانزلناه اى لتخرجهم كافة بامرى
من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقايد الحقة وقرئ ليخرج الناس
من الظلمات اى ليخرج به الناس من عقايد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة
الى النور الى الحق الذى هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدى من احببت بل باذن ربهم اى
بتيسيره وتوفيقه وللانبياء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تع ويهدى اليه من
اناب استعير له الاذن الذى هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اما
الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشئ الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى
للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق
شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بكفر وقع حالا من مفعوله
اى ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله تاباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مح وضوحه
في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله تع استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز
الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تع للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والمبين
بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
الغرض وقيل استيناف مبني على سؤال كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط
اليه تع لانه مقصده اوالمبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن
والعاقبة الحميدة الله باجراء عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص
بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اى العزيز الحميد الذى اضيف اليه الصراط الله
الذى له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اى ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما

ستمكنا فيهما كما قرئ في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس
قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء ويجعل الموصول خبرا مبناه الغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل
للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج بين الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوال وهو
الفجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب
شديد متعلق بويل على معنى يولون ويفجعون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعا دعوا هنالك ثبورا الذين
يستحبون الحيوة الدنيا اى يوثرونها استفعال من المحبة فان الموثر للشئ على غيره كانه يطلب من
نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اى الحيوة الآبدية ويصدون
الناس عن سبيل الله التي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل
وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا
تنكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اى يبغون لها
بحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها عوجا اى زيغا واعوجاجا وهي ابعد شئ من
ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات
الجر على انه بدل من الكافرين او صفة لفيعبر كل وصف من اوصافهم بازاء ماينا سبه من المعاني المعتبرة في الصراط
فالكفر المبني عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفضحة عن وخامة العاقبة بمقابلة
كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مامونا وفيه من الدلالة على تمادي بهم في الغي ما لا يخفى او الى نعت
على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعا اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت
معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اى اولئك الموصوفون بالقبايح
المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج
وهي منه بمعزل في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من
احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون المعنى
في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال
محيطا بهم لمحاطة الظرف بما فيه مالا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اى في الامم الخالية من قبلك كما
سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغتهم من ارسل اليهم من الامم المتفقة على
اللغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو كريش ورياش وبلسن بضمتين وبضمة وسكون كعضد وعضد ليبين
لهم ما امر وابه فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعلموا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم
يمكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا عليه السلام وعليهم اجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف
لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق
ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مثينة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه
امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المبني عن العزة وجلالة الشان
المستتبع لفوايد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لابد لكل امة من مترجم
توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم الكل ولعله
او متعدد وفيه من التعذر ما ينا خم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه
الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه
فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام فان الله تعا انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها
جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تع ليبين

لهم فانه حينئذ يقتضي ان لا يكون القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين للعرب وفي رجعه الى قوم كل نبي ما لا يخفى من التكلف
فيضل الله من يشاء اضلاله اى يخلق فيه الضلال مباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما
يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الاناية
والاقبال الى الحق والالتفات باسنا دالفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما
وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعا فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فيضل ويهدي
لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان
بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سنن امر محقق غني عن الذكر
والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب
تجدد البيان من الرسل المتعاقبة وتقديم الاضلال على الهداية اما لان ايقاء ما كان على ما كان
والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما
هو مشيته تعا بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تاييد
الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعا وهو العزيز فلا يغالب في مشيته الحكيم الذي لا
يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة و
تبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد و
لقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
الآية بآياتنا اى ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اى اخرج
لان الارسال فيه بمعنى القول او بان اخرج كما في قوله تعا وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة
على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات
من الكفر والجهالات التي آلت بهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان
بالله وتوحيده وسائر ما امر وابه وذكرهم بايام الله اى بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله تعا اذكروا نعمة
الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعا
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات او بآياته المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذا نجاكم والالتفات
من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص
ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد
والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اى
اذكرهم وقائعك التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما نقدمك لهوم بصدد الامتثال من التذكير بكل من النعماء
والفراء جار عليهم وعلى غيرهم جسما يتلى عليك ان في ذلك اى في التذكير بها او في مجموع تلك
النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تع وقدرته وعلمه وحكمته
فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير
لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن
[illegible] النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية
كما في قوله تع لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتغيير عنهم
بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اى لكل من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان ويعير امره
اليهما للمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة
فان من تذكر ما فاض او نزل عليه وعلى من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الصبر والشكر او الايمان

لايكادان يفارقها وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيان حاصل بالنسبة
الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر
عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور
واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير
ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اى اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم بداء عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان
جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمة كائنة
عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تع اذ انجيكم من آل فرعون اى اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم
من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله
مرادبها الانعام والعطية يسومونكم يبغونكم من ساءه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم ع
الذهاب في طلب الشئ سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ او
استعادهم واستخدامهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول
ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب
المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه
فاجتهد وا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اى يبقونهن في
الحيوة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير
المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اى فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم
اى ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدية فنسبته الى الله تع اما من
حيث الخلق والاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء ومن ذلك والبلاء
الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار
المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة مقال موسى
عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم اى اذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شايبة شبهة
لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على
قوله تع اذ انجاكم اى اذكروا نعمة الله في هذين الوقتين فان هذا التاذن ايضا نعمة من الله تع عليهما لما فيه
بما خيري الدنيا والاخرة وفي قراءة ابن مسعود رض واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تع عليهم
صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة
على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث
مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل
ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والالاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان و
الطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فتعرضتم بسببكم
منه ما يبيدكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك بالكريم الاكرم ويحتمل ان يكون
المذكور تعليلا للجواب المحذوف اى لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد
مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتاذن لانه ضرب من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل واذ
تاذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة

مايوجبه من ايادیه وان لم يحمده احد ومحمود يحمده الملئكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان
بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل او على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان تكفروا ولم يرجع وباله الا
عليكم فان الله تع غني عن شكر الشاكرين ولعلهم انما قاله عند ما عاينوا منهم دلائل الفساد ومخايل الاصرار على
الكفر والعناد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله لهم عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله
عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم
يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من خزل المؤمن والكافر فيتعظوا مما هم عليه من الشر
ويتنبهوا الى الله تع وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي عليه السلام فيختص تذكير موسى بما
اختص بنبي اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وليس
لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه السلام بما اصاب اولئك المعدودين من غيرهم
اسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح
وثمود والذين من بعدهم اى من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تع لا
يعلمهم الا الله اعتراض والموصول مبتداء ولا يعلمهم خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم
عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عامر وابن اسحاق رحمهم الله تع انهم كانوا ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود
رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تع علمها
عن العباد جاءتهم رسلهم استيناف لبيان نباتهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبقين
كل رسول لامته طريق الحق وهديا يخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى
الستتهم وما يصدر عنها من المقابلة اعتناء منهم بشانها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا
لهم عن التصديق والايمان باعلامهم ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اى على زعمكم وسمى البينات التي
اظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تع ولقد ارسلنا موسى بايتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم
او نعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تع عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه
واستهزاء به كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم بالطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام ليمنعوهم من
التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم انا كفرنا
شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي يعبر بها عن مواعظهم ونصايحهم وشرايعهم التي هي مبادئ النعم الدنيوية والدينية والذخوية لما
كذبوا بها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منهم وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان
بالله والتوحيد فلا يناني شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم
يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتوا بسلطان مبين وقرئ تدعوننا بالادغام مريب موقع
في الريبة من ارابه اوذي ريبة من اراب الرجل وسي تلقى النفس وعدم اطمئنانها بالشئ قالت رسلهم استيناف
مبني على سؤال نشاق اليه المقال كانه قيل فما ذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم
الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد
يتوهم فيه الشك اصلا متفاوتين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب من التنكير
فاطر السموت والارض اى مبدعهما

وما فيهما من المصنوعات على نظام ايتق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان برسالة ايانا لانا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعونا اليه ليغفر لكم بسببه ويدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته ليأكل معي من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قبله بخلافه في جميع القران في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت تسماه الله وتجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تقترحونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشرا يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون بما تقصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد آباؤنا اي عن عبادة ما اسمر آباؤنا على عبادته من غير شئ يوجبه والا فاتونا ان لم يكن الامر كما قلتم بل كنتم رسلا من جهة الله سبحانه كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك بالم نزل نعبده اباؤنا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة بما تخر له صم الجبال ولكنهم لما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا واراد من وراء ذلك ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث ريد ازامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشكاكي الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تع يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجب قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملئكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس لكن الله تعالى يمن بالفضايل والكمالات والاستعدادات مما لتح يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الله فضلا عن السلطان المبين بشئ من الاشياء وبين الاسباب الا باذن الله فانه امر متعلق بمشيته تعالى ان شاء كان والا فلا وحمل الامر على الاذن في الاتيان بالحجة دون ما عداه تعالى مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل المسلمين عليه آثر ذي اثير الا يرى الى قوله عز وجل وما لنا اي اي عذر لنا الا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدينا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشدنا كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين كمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به وبجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لرسلهم هم اولاء القائلون بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يتفوهوا بهيصانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما راوا البينات الغاية للحصر حتى اجترؤا على

مثل

مثل ما تيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل رتبم ما لكل امرهم عند تناهي كفر الكفرة وطغيانهم من العتو الى غاية ما الاطمع بعد ها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اتمام القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقولهم لتكونن او لتعودن في ملتنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا للاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن عمرا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين وبارثهم اي ذلك الامر المحقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او احكموا وسألوا الفتاحة بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهي معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متكبر يأبى ان يقول لا اله الا الله متصف بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم اقوام المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار ما ينتهي اليه امرهم كانوا يزعمون انهم على الحق او انهم ان استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لان متصفين بمثل ما اتصفوا به ليسوا كذلك وانه لم تقبض الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الموعد وخاب كل جبار متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار ما ينتهي كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لان متصفين بمثل ما اتصفوا به ليسوا كذلك وانه لم تقبض الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الموعد وخاب كل جبار متمرد فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون

قوله تعالى اعمالهم كرماد كقوله صفة زيد عرضه للسكوت عليه مال منهوب او هو استيناف مبني على سؤال من قال
ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى
الاضياف وغير ذلك حاصلة من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت
به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح ووصف به زمانها مبالغة كقولك
ليلة ساكرة وانما اسند الكور لريحها شبهت حسناتهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان
به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استيناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره
محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليكم مثلهم وقوله اعمالهم الخ جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول
كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين
وقوله كرماد وخبره لا يقدرون اي يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء مما ارادوا من ثواب او تخفيف عذاب كرماد المذكور وهو مذكلة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر
لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات مائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى
وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال
البعيد عن طريق الحق والصواب وعن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول عليه السلام والمراد به امته وقيل
لكل احد من الكفرة لقوله تعالى بهم والرؤية رؤية القلب في قوله تعالى ان الله خلق السموات والارض
بالحق ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه
وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا
آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع
ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر
بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم واتيان بخلق جديد كائنكم على الله بعزيز بمتعذر او
متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق ان
يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة واتى بصيغة الماضي للدلالة على
تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اولانه لا ماضي ولا استقبال بالنسبة
اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم
الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا يوم القيمة انكشفوا لله سبحانه لحقه انفسهم فقال الضعفاء
الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الراي والغالب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا
رؤساءهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل وانا عراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون
دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد العتاب والتوبيخ والتقريع والتبكيت
من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض اي بعض الشيء الذي هو
عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب كما سبق ويجوز ان
يكون الاول مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض الغناء بعض الاغناء المعتد الاول قوله
تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع
فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللنا كم اي اخترنا لكم ما اخترنا
لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما اغنى عنا كم اله ولكن
سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا ما لقينا ام صبرنا على ذلك اي

مستو علينا

مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاد والمغزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم لم
تنذرهم وانما اسند ذلك هلعوا وشبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المتضاطين ايذانا بالغة في النهي عن التوبيخ باعلام
انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على سؤال قوله تعالى
ذلك ليعلم انه لم اخذه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون حمية عامة لا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون وكذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا
جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل الى الفرار وهو اما
اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما في الاستواء فلا محل لها من الاعراب
او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذي افضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عتيا وقالوا الاتباع
للمستكبرين لما قضي الامر اي حكم وفرغ منه وهو الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشياع
من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجزه فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
وعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يقرح بيطلانه لما دل عليه
قوله تعالى فاخلفتكم اي موعدي حذف المفعول اكتفاء اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا
على انجازه وانى لذلكم وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا
دعائي اياكم اليه وتسويله وهو ان لم يكن من باب التسلط لكنه ابرزه في مبرزه على طريقة تخييل بينهم ضرب
وجميع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه قال انا يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء هين بادٍ ويجوز
كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي ايكم حيث لم يكن ذلك على طريقة
القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا
بكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان
انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته
الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف دخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه تترتب السعادة
والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم
عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من
العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما نفرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في تحذيرهم
اصراخهم اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ويحتاج الى الاصراخ نكيف باصراخ الغير ولذلك آثر
الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستغاثتهم
به في استدفاع ما دهاهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل
اي باشراكم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراكهم لي
بالله سبحانه هو الذي يطلعكم في نصرتي لكم بان كان لكم على حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اوثر ذلك
وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم فلم تبرأت منه ومنكم فلم بيني وبينكم علاقة او
كفرت من قبل بيت التجوز لآدم بالذي استركموه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحانه من سخر كن لنا
فيكون عليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالموافقة او الشفاعة
واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم
بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلام الله او ابتداء
كلام من جهته تعالى وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا

عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اى
بامره او بتوفيقه وهدايته وفى التعرض لوصف ربوبيته مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون
هم الملئكة م وقرئ على صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اى يحييهم
الملئكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول عليه السلام وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب
الله مثلا اى كيف اعتمده ووضعه فى موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اى جعل كلمة طيبة هى
التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والتوبة والاستغفار والدعوة كشجرة طيبة اى حكم بالتباين
مثلها لا انه تعالى صير ما مثلها فى الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك اشترف الامير زيدا كان حقه
وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وشجرة صفتها او خبر مبتداء محذوف اى هى كشجرة وان
يكون اول مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل فتاخر عن ثانيهما اعنى مثلا لئلا يعود عن صفة التى هى شجرة وقد
قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اى ضارب بعروقه فى الارض وقراءة انس بن مالك رضه كشجرة طيبة
ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سببا وانسب بقرينة اعنى قوله تعالى وفرعها اى اعلاها فى السماء فى
جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتى اكلها تعطى ثمرتها كل حين وقته
الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روى مرفوعا او شجرة فى
الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى
بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هى كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة
خبيثة اى كمثل شجرة خبيثة قيل هى كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب
للايذان بان ذلك غير مقصود بالضرب والبيان وانما ذلك مرتاهر يعرفه كل احد اجتثت استوصلت و
اخذت جثة بالكلية من فوق الارض لتكون عروقها قريبة منها مالها من قرار استقرار عليها يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التى ذكرت صفتها
العجيبة فى الحيوة الدنيا فلا يزيلون عنه اذا فتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم
اصحاب الاخدود وفى الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة
او عند سؤال القبر روى انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
فى قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبينى محمد عليه السلام فينادى
مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال لتباين الشجرة
المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبى فى تفسيره اخبرنى ابو القاسم بن حبيب بسنده ست وثمانين وثلثمائة قال اخبرنى
ابا الطيب محمد بن على الخياط بمصر قال سمعت سهل بن عمار العكى يقول رايت يزيد بن هرون فى منامى بعد موته فقلت
ما فعل الله بك قال اتانى فى قبرى ملكان فظاظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتى
البيضاء فقلت لهما المثلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين
اى يخلق فيهم الضلال عن الحق الذى ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل
ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعه الشئ فى غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا
فطرة الله التى فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت وكل من ظلم نفسه بالاخلال بالتفكر على التفاصيل
الاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت فى مواقف الفتن ولا يهتدى الى الحق فالمراد بالذين آمنوا
ح المخلصون فى الايمان الراسخون فى الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا
عن ايقان داخلة تحت ما قرارله من الشجرة الممثورة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض
واضلال آخرين جميعا بوجه مشية اتباعه لحكمه البالغة المقتضية لذلك وفى اظهار الاسم الجليل فى موضعى

من النخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت فى مبداء التثبيت والاضلال فان مبداء صدور
كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبداء صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التى لا تكاد تصدر عن اراده ورأى اى الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله
اى شكر نعمة بان وضعوا موضعها كفرا عظيما وغطاها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا بما انعم به عليهم
مستبدلين بها كفرا كان ذلك تبديلا لها حيث خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه الآمن الذى يجبى اليه ثمرات كل شئ وجعلهم قوام
بيته وشرفهم محمد عليه السلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مساوبى النعمة
باقين بالكفر بدلها وعن عمر رضه على رؤس الاشهاد من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر
واما بنو امية فمتعوا الى حين كانها يتاؤل لان ما سيتلى من قوله تعالى قل تمتعوا الآية واحلوا اى انزلوا
قومهم بارشادهم ايام الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحاولهم لدلالة الاحلال عليه او هو فرع الحلول
كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذى لا هلاك وراءه جهنم عطف
بيان لها وفى الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اى داخلين معاقبين
لها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر الفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم
للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ناب بالتكرير الاول وبئس القرار على
حذف المخصوص بالذم اى بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حالهم وصليهم على وجه
الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معها فى حيز الصلة وحكم التعجيب الذى هو
فى اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذى ليس كمثله شئ وهو الواحد القهار انداد اشباها
فى التسمية او فى العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما خلوا عن سبيله القويم الذى هو
التوحيد ويوقعوهم فى ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم
نعمة الله تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى الى احلالهم دار البوار لتشنيع التعجيب وتكريره والايذان
بان كل واحد من وضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضى منه العجب ولو
سبق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلث كما فى قصة البقرة وقرئ ليضلوا
بالفتح وايا ما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة لاشبه بالغرض
واوصل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا
بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم فى الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احقاء بان يضرب عنهم
صفحا ويعطف عنهم الغظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل لؤمروا بمباشرة مبالغة فى التخلية والخذلان و
مسارعة الى عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التى من جملتها كفران النعم العظام
واستتباع الناس فى عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الآفلا بد لكم من تعاطى ما يوجب ذلك و
يقتضيه من احوالكم بل هى فى الحقيقة صورة لدخولها ومثال لرحمها يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار
الخ فهو تعليل للامر المامور به فيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف وقل لهم تصوير العالم وتبكيتا
يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم فى التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كدأب ناموسى فى طاعة كبير مطاع
فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل فاذا قيل هذه حالكم
فان وتم عليها فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا فى الامر قل لعبادى الذين آمنوا خصهم
بالاضافة اليه تنويها وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين
للايذان بتباين حالهما عتبا للمقول تهديدا وتشريعا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا

وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اى يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول عليه السلام وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف فى قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا ايتموا وانفقوا قد اقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اى انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب فى الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدى به نفسه والمقصود نفى عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة فى نفى العقد اذا انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البايع ولا خلال والمحالة فلا شفاعة لخليل او لمحبوب بحال يفتدى به نفسه ومن قبل ان يأتى يوم لا اثر فيه لما لهجوا يتعاطيه من البيع والمحالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان متعلق ينفقوا وتذكيرا تيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما فى سورة البقرة من حيث ان كلا من نفقان الشفاعة وايثار به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والحلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما من قوى الدواعى الى الاتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوايده من الانفاق فى سبيل الله عز وجل ومن حيث ان ادخار المال وترك النفقة انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك فى الاخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والظنة به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون للاشتغال بالبياعات والمخالات كما فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفى العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابى هو وقوعه فى جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذى خلق السموت والارض من الاجرام العلوية والارض وما فيهما من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع فى تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام مثالا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواصفين موضعها الكفر والمعاصى وفى جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلو ها من الآثار الجسيمة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اى السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الجواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اى نوعا منه هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المنصوب امّا باعتبار كونه مبدأ للترتيب او لتشريفه كما فى قولك اعطاك السلطان من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة للحصر لان صيغ الجموع يتجاوز بعضها موضع بعض وانما لا نار به بعضها جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمعلوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا من اخراج لا بمعنى رزق او للتبعيض بدلالة قوله كلوا فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات فيكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرات واخراج الثمرات وان كان بمشيته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صور ما وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب اودع فى الماء قوة فاعلة وفى التراب قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له فى انشائها مدرجا من طور منايع وحكما يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك فى ابداعها وفطرته وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كما قيل رزقا ايا كم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما اليكم كيفيته ذلك لتجرى فى البحر جريا تابعا لاذنكم بامره بمشيته التى يضطر كل شئ وتخضعه بالذكر للتنبيه على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية فى الانهار العظام كما يومى اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس بتيسير مالهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان فى سير هما وانارتهما حالة وخلافة واصلاحهما لما يضط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنافعكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفايضة عليهم وابرز كل واحدة منها فى جملة مستقلة تنويها بالمنة بها وتنبيها على رفعة مكانها وتفخيما على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفى التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعى لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذى من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتنافى عن توسم الكل عنى خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر فى قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه اى اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيته النابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كل ما يريدون العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما سألتموه من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شئ واتاه كل الناس وعليه عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شئ وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما سألتموه فحذف الثانى لدلالة ما بقى على ما القى وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اى آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التى انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فعبر بالاحصاء عن التعداد بدءا بما هو الغالب فيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان فى اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا باصناف العنايا مبتلى بانواع الرزايا الا وهو بحيث لو تأملته الفية متقلبا فى نعم لا تحد ومن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطى كل ساعة وآن من السماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت فى ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما فى الدنيا من اصناف الاموال من غير تميز احد ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواتيه غالبة ونفايس در ثم قدر انه قد وقع من نقد مشروب ومطعوم فى حالة بلغت نفس الحلقوم فهل شفى ذلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقوة تحيته عن رواه وشربة تروى من ظماه ام يختار الهلاك فتذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا ينفع بعوده اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما يتحراه الانسان كائنا ما كان وليس فى صفقته شائبة الخسران فاذن تلك اللقمة وشربة خير مما فى الدنيا بالف مرة ح انها على طرف الثمام ينالها متى شاء من الليالى والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل فيه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس

واحد بل يعطيه وهو لزاة حامد فاذن سوخير من سوال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد تاتي له كل آن من آنات
الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان ربنا العفور
على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقة الممكنة بمعزل عن استحقاق
الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع مابينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما
استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطورة العدم والبوار ومحاق الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من
الجناب الاقدس سبحانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من انواع الفيوض اللائقة بذاته ووجوده
وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية مالا يحيط به نطاق التعبير ولا يحيط الا العليم الخبير وتوضيحه كما لا يخفى
الوجود ابتداء لا يستحق بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يفض
عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم يفض عليه جميع انحاء عدمه بقاء اعني
الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله
وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده
ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود
فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى بقاؤها على العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آنات وجوده
تعم غير متناهية حقيقة لا اداء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا
في كمالاته التابعة لوجوده فانفتاح ابواب الفيض عليه كل آن نعم لا تتناهى من وجوده شتى فسبحانك سبحانك
ما اعظم سلطانك لا تتلاحقك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى وحالك
لا يتناهى ونحن في مؤنتك حائرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون. لمنك الهمت الهداية الى مناهج معرفتك
والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا انت الا انت تستغفرك ونتوب اليك ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعه في غير موضعه ويظلم نفسه بتبعيضها للايمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجحد ويمنع واللام في الانسان للجنس ومقتضى الحكم بالظلم والكفران
بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الدين بدلوا نعمة الله كفرا اي وحولا اوليا واذ قال ابراهيم
اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد
به تاكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام بيان من آخر من جنايا نهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم ما كفروا بالنعم العامة
وعصوا اباهم ابراهيم عم حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر
لنعم الله تعالى وسئاله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي ملوب الناس اليهم من كل وبسخين فاستجاب
الله سبحانه دعاءه وجعله حراما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار
وجعلوا لله اندادا واوثنوا ما فعلو ربنا اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى آمنا اي ذا امن او آمنا
اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله تع رب اجعل هذا بلدا آمنا ان
المسئول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول
الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتاخر الآخر الى
وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال الى الله تعالى
مجرد الامن الصحيح المسكني كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه ثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول فيهما وقد اجيب
اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود بالاصالة اولان المعتاد في البلدية الاستمرار
بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان السؤال كلا
الامرين وقد حكى اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لانه المجدي ان تمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره

انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تع فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم اذ المسئول هو تيها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية فحكي بعبارة اخرى وكان
ذلك اول ما قدم عليه السلام كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم عم لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك
وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت
الله امرك بهذا فقال نعم قالت نعم لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا
اني اسكنت الآية وانما فعل ما بينهما تثنية للاثنين وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير
واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد
وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام دفعا واجنبني من الافعال وهما لغتا اهل نجد يقولون واجنبني شره
واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عم بتوفيق الله تع وانظار عبر المراد بنيه اولاده
الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رض على ان احدا من اولاد اسمعيل عم لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه
وقال هو حجر والبيت حجر فكانوا يديرون به ويسمونه الدوار فاتجب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار به وبئست
شورى كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تتلى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كراعلى ما قررته
رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن كما هو المعتاد في قوله تع كما زينت لكثير من المشركين قتل
وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا للاعتناء به ورغبة في الاستجابة فمن تبعني منهم فيما ادعوا اليه من التوحيد
وملة الاسلام فانه مني اي بعضي فالم مبالغة في بيان اختصاصه به او مستقل بالانتظام في امر الدين ومن
عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه ع مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه
لا لانه لم تبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه بنداء او بعد توبته ووفيه ان كل مذنب
فلله تع ان يغفره حتى الشرك حلال ان الوعيد فتعين بالفرق بينه وبين غيره ربنا اثر هم حمير الجاعة لما قبل من
تقدم ذكره وذكر بيته والالتفات في قوله رب انهن الخ بل لان الدعاء المعتاد وما اورده بصدد تمهيد مبادي
اجابته من قوله اني اسكنت الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم اوخل في القبول واجابة
المسئول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل وما سيولد له فان اسكانه
حيث كان على وجه الاطمئنان يتضمن اسكانهم روي ان ابراهيم عم لما اسكن اسمعيل وامه كانت سارة غيورا من ابراهيم
عم فلما ولدت له اسمعيل غارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم
بوادي غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو اولى مكة شرفها الله تعالى عند بيتك ظرف لاسكنت
كتوكلت صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون الاسكان مع فقدان مبادية
بالمرة لمحض التقرب الى الله تع والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة الموذن بعزة
المتجئ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض لروحانها ودنياها اولم يزل معظما ممتنعا بها به
الجبابرة في كل عصر او منع من الطوفان فلم يستدل عليه ولذلك سمي عتيقا وتسمية اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء
وانما كان نشزا مثل الربوة تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤل اليه الامر
من بنائه عم فانه يترع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء
المعظم اريب فيه وانما الاختلاف في كميته عدده وقد ذكرنا ما في سورة البقرة بفضل الله تعالى ربنا ليقيموا
الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعاير الدين لفضلها
وتكرير النداء وتوسيط له لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي
البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي الاجابة دعاءه واعطاء مسئوله الذي لا يتاتى
ذلك المرام الابه ولذلك ادخل الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة هم من التبعيض

ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والما مازيد عليه من قولهم ولجت اليهود والنصارى غير
مناسب للمقام اذ المسئول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والاقبيل تهوى اليه فانه عيان الدعاء
بالبلدية قد حكى بعبارة اخرى كما مر اولا بتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب
كما درئى اد ؤر او على انه اسم فاعل من افدت الراحلة اذا اعجلت اى جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او
على النسب من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد او ترى على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من با
علم اى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والترجع اول آثار هذه الدعوة ما روى انه مرت رفقة من جرهم بقرية الشام
فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذه الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا
معك وانتاك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا موها الى ان شب اسمعيل عم وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو
المشهور وارزقهم اى ذريتي الذين اسكنهم هناك او مع من ينجاز اليهم من الناس وانما يخص الدعاء بالمؤمنين
منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات
من انواعها بان يجعل بقربة قرى يحصل فيها ذلك ويجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلا ما حتى انه يجتمع في الموكب
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى عن ابن عباس رض ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا
ابراهيم بهذه الدعوات رفعها الله تعالى وضمها حيث ومنها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى
الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عم لعلهم يشكرون نعمك التي منها باقامة الصلوة واداء سائر مراسم
العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم ولا يناسب الغاية
في قوله تهوي اليهم وفي دعائه عم حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة و
استجلاب الرأفة مالا يخفى فانه عم يذكر كون الموالي غير ذي زرع بيان كمال افتقارهم الى المسئول ويذكر كون
اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال
افراد مرافق المعاش بمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السئول ولذلك قرنت
دعوة بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سوء التفاوت
الاخفاء اولا اى تعلم ما نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية عن اخفائه وتقديم ما نخفي
على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تحقق العلم بهما على ابلغ وجه فكان متعلقه ما يخفى اقدم منه بما يعلن اولان مرتبة
الستر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى
اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده عم ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مبادي ها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة
لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستجلال للنيل
اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وتخصيص الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه بسره وعلنه بل
بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء
لما ان العالم بالذات لما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان الا في زمان الا وهو موجود في ذاته علم به بالنسبة
اليه سبحانه وتعالى فما قال وما يخفى على التعالج دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعلم
ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف
وقع صفة لشئ اى من شئ كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على سبيل الاستقرار فيهما او على سبيل التمكن والاختصاص
او يخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتقدم والتأخر بالنسبة
الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء
فالمناسب ذكره تعالى بعنوان معتنج لمبدائية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديق عم

كقوله تعالى وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اى مع كبري
وياسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا للشكر بها اسمعيل واسحق روى انه ولد له اسمعيل وهو
ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة اوماية وسبع عشرة سنة ان ربي
لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل
الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر
اذ هو وصف له تعالى باذن ذلك بجميل سنته المستمرة غالبا على طريقة التذييل المهيئة المذكورة وفيه ايذان
بتضاعيف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول
الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وبهما من
النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدا لادائها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول
دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اى بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من اولادهما
الاشعار بانه المقتدى في ذلك وذريته اتباعه له وان ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان
اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص
هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اى دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي
الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جئ بغير الجماعة ربنا اغفر لي اى فرط
مني من ترك الاولى في باب الدين وغيره ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وبهذا
الاستغفار منه عم انما كان قبل تبين الامر له وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله
تعالى الا قول ابراهيم لابيه الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تحقيقه في سورة مريم بفضل الله
عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريتي وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جئ بغير الجماعة يوم
يقوم الحساب اى يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعيرت له من ثبوت القائم على الرجل
بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تحويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف
كما في وسئل القرية واعلم ان ما حكي عنه عم من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بعضا وعنه على الترتيب
الحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في
الملة وارشادا للناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي
عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عم عن حسبانه عز وجل تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتغيير بذلك للمبالغة
في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العالم بذلك مستوجب لعقابهم لا
محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الجسيمة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للكفرة وسائر الظالمين شديدا ولكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم امهالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بمهلته
سبحانه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحفظ عليهم اعمالهم ويجازيهم بذلك بقتلهم
وتطهير الارض منهم والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ
الانداد كما يؤذن به التعرض لحكاية التاخير المبني عن قوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين وهم داخلون
في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم بمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم جسما يشاهد وهو كالمتناف
وقع تعليلا للنهي السابق اى دم على من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما يستوجبونه من

العذاب الاليم ان تأخيره للتشديد والتغليظ او لانحبسنه تعالى تاركا لمعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل هذا او لانحبسنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما علوا لما ترى من ان تاخيرا انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع انا خير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال بيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامرنا لا يفوتوننا باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قبل انما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيذخل في زمرتهم الكفرة المعهودون وخوطا وليا اى تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في حرم العين واما بجعل الصيغة من شخص بلد الى بلد وصار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه الوجوه والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر مهنا بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤسهم اى رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شئ قاله القتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع رأسه اى طأطأها وكمنعها فهو من الاضداد وهما حالان تحاول عليه الابصار من اصحابها او الكل حال منه اخذه من الغير في الاول واضافة غير حقيقية فلا ينافي اضافة في الثانية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم بتحريك اجفانهم ابدا كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا ترجع اليهم اجفانهم التي من شأنها الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو من قلب الجنس قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شئ آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مهطعين او حال من ضمير رؤسهم او مقنعي رؤسهم او من ضمير مهطعين او مقنعي رؤسهم وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كانها تنفس الهواء الخالي عن كل شئ ومنه قيل للجبان الاجوف قلبه هواء اى لا قوة ولا راى فيه واعتبار خلوها عن كل خير لاينا سب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لما ذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان بيومهم من حيث كونها في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اى انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملئكة بالبشرى او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وايا ما كان فالقصد السابق فيقول الذين ظلموا اى فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل جميعا ذكرا ولا لايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من تقدم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر ذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اعلى الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السن الرسل فيما ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى وتتبع الرسل فيما جاؤنا به اى تداركت ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل ويجيء ما با عتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عم عصيانا لهم جميعا وم واما با عتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم

جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اى فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالستكم بطرا واشرا وجملا وسفها مالكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بيتم شيدا وامللتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وخيل اشعارا بامتداد زمان التاخير وبعده داره او ما لكم من زوال لكم من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وسواء دخل في التوبيخ من ان يقال بالنا مراعاة لحال القسم ذكر البيهقي من محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا تتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك تقطع رجاؤهم وتبل بعضهم بنسج في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك من غضبك ونلوذ بكنفك ونعوذ غرجارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اى قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم والكفر والمعاصي غير محدثين لانفكر بالقيا الاولون بسبب ما احترحوا من الموبقات في ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستهلال والمحاق السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها للكل ونبذ الخطاب وما يتلوه با عتبار حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت عليه دلالة واضحة اى فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ يبين وضربنا لكم الامثال اى بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير خصوص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عموم لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم للتعبر وابها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على ما لهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الاجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب وجعل الثلث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اى اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن الهالكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قولا وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقريرا لمكرهم الظلم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ودافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله واخذه تعالى لهم على انه مضاف الى مفعوله وتسمية مكر الكون بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او يكون في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده

قوله تعالى كيف فعلنا بهم لانه وحيد مستانف واجلة حال من الضمير المتكن فى مكروا اى مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه وما هو
اعظم منه والمقصود بيان فسادرأيهم حيث باشروا اضلاع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول
منه الجبال اى وان كان مكرهم فى غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسويا وعدّ الازالة الجبال عن مقارّها
لكونه مثلا فى ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر
الذى يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة
واضحة فان الشئ اذا تحقق عند وجود المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا لا حاجة الى ما قيل ان الوصلية
من التاكيد المعنوى والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيد ما
نفى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وبه قرأ ابن مسعود وما كان مكرهم فالجملة ح حال من الضمير فى مكروا والمعنى
قوله تعالى وعند الله مكرهم اى مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى
وشرايعه ومعجزاته الظاهرة على ايدى الرسل السالفة عليهم السلام التى سى بمنزلة الجبال الراسيات فى الرسوخ وامكونها
عبارة عن امر النبى عليه السلام وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم الهالكون لا الساكنون فى مساكنهم
من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هى مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال فى
الثبات مما ذكر من الآيات والشرايع والمعجزات والجملة كما هى حال من ضمير مكروا اى مكروا امكر هم المعهود وان الشان
كان مكرهم لازالة الآيات والشرايع على معنى انه لم يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرايع ما نعا
من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائى لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تنظيم مكرهم فالجملة حال من
قوله تعالى وعند الله مكرهم اى عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اى فى غاية الشدة
وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم بها هو الذى يقتضيه النظم الكريم ويقتضيه
الطبع السليم وقد قيل ان الضمير فى مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه ح
ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر اى فيقال لهم ما يقال والحال انهم ما نعلموا من الاقسام
المذكورة مع ما ينافيه من السكون فى مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اى لم يكن
الصادر عنهم مجرد الاقسام الذى وبخوا به بل اجتروا على مثل هذه الفظيعة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير
مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال فى تحقق
ابعد الامرين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة
عن امر النبى عليه السلام اى وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه ما تيك الشرايع والآيات التى هى فى القوة
كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم كان مع
هذا الفرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر لذلك لما ان شان الشرايع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى
تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكر نا من قبل فليتامل فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله لم يرده والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقد كتب الله لاغلبن انا ورسلى
كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروى بل لسلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى
انما نؤخرهم الآية كما يفصح عنه القاء الداخلة على النص الذى اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بتحقق
وعد الله تعالى والتيقن بانجازه وعده المذكور المقرون بالامر بانذار يوم اتيان العذاب الملجئ لذكر تعذيب الامم السالفة
بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم ذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم لذكر تعذيب الامم السالفة
قد وعدناك بتعذيب الظالمين يوم القيمة والخبر ناك بما يلقونه من الشدايد وبما ينالونه من الرزايا فى الدنيا
وبما اجبناهم به وقدرعناهم بعدم تامليهم فى احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا

رسلهم بما هلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلاف وعدنا ان الله عزيز غالب لا يمانعه
وقادر لا يعاوقه ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وبجملة تعليل للنهى المذكور ة تذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما
ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك
والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستانف يجب
عليه النهى المذكور اى يخوفهم يوم تبدل الآية او معطوف عليه كوارتقب يوم تبدل الارض غير الارض او الانتقام وهو يوم يتيم
العذاب بعينه ولكن لا حول كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم الانتقام للاوقات كلها للافصاح عما هو
المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب
باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما فى الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان يتعلق
بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها وقيل مو خر عما لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة قد استية
فلا يتاتى بها فصلا واعلم ان التبديل قد يكون فى الذات كما فى بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا
غيرها وقد يكون فى الصفات كما فى قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على
بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص فى احد الوجهين فعن على كرم الله وجهه يبدل رضا من فضته وسوداته من ذهب وعن
ابن مسعود رضى الله عنه يبدل الارض بارض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس
حتى تكون الارض وانما تغير صفاتها والنشر وما الناس بالناس الذين عهدتم وما الدار بالدار التى كنت تعلم ويبدل
السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله عنه
قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اى وتبدل السموات
غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبدل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اى
الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بعونة السياق والمراد برزوهم من جدثهم التى فى بطون الارض او ظهورهم
او محال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار لتفرده بالخلق والايجاد والتعرض لعنوانى
لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام فى ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق
اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الافراد اكان لواحد غلاب لا يعاند وقهار
لا يضاده ولا يعارضه كان فى غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة
المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار وما البروز فهو فى الاستمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف
على تبدل وبجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه يومئذ يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الامر
او يوم اذ ينجز وعده مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم فى الجرايم والجرائر او قرنوا مع الشياطين
الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقايد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها و
تشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين
فى الاصفاد فى القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضمير واى مصفدين سرابيلهم
قمصانهم القطران جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين اى مقرنين رابطها الضمير فقط
كما فى كلمته فوه الى فى او ستانفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بما
فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل
النار حتى يعود طلاقهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعة وحرقة واسراع النار
فى جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما شاهدوه من النار لا يكاد يقادر قدره

وكان ما نشاهده منها اسماء تسميات تؤدي الى الاخرة فيكذبه العيان بفتوق وكيفية الوسائع ملؤوة ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط
بجوهر النفس من الملكات الرديئة والكيفيات الموحشة تتجلب اليها الآلام والغموم بل وان يكون الفرقان المذكور عينا لا
يشوبه اي هذه النشأة ويجعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت
في النشأة الاخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشد انواع العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك كله ولطفه وقرئ امن
قطران اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار الى تمس جسد هم المسربل
بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عموه لسائر المضايقهم لكونها احق الاعضاء الطاهرة واشرفها
لقوله ص اتقى الله من يتقي بوجهه سوء العذاب لا ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراكه الحق وقد اعرضوا عنه ولم
يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على
الافئدة او الخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخصيصها يستعار عند انكشاف اللهب اليها
ويتضاعف غمها بما يرى على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين وابهامه نصب على الحالية
لاعلى ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم
ذلك ليجزي كل نفس مجرمة عالمة من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب
لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله تعالى وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق
به اي برزوا والحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا
على شهادة الحال لا يسمع طاعة تبتغى الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيحاسب في عجل
ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بجميعه وسريع المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس في قوله تعالى وهو
سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا الى قوله لسريع الحساب بلاغ كفاية في الموعظة والتذكير
من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون المواعظ والقوارع للناس للكفار
خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم كما في قوله تعالى وانذر الناس اولهم والهمزة منقلبة كافة على تقدير شمولهم لهما
وان كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينتهوا او
ينذروا به او هذا بلاغ لهم ليفهموه وليتذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او
متعلقة بمحذوف اي وليتذروا به انزل اوتلي وقرئ لينذروا به من ينذر بالشئ اذا علمه وحذره واستدل به
وليعلموا بالتامل فيما فيه من الدلايل ابو حنيفة التي هي املاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق
انما هو الاه واحد لا شريك له وتقدير الانذار لانه الداعي الى التامل المؤدي الى ما هو غاية لما من العلم المذكور والتذكر
في قوله تعالى وليتذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمون من قبل من التوحيد وغيره من شؤن الله عز وجل و
معاملة عباده فيرتدعوا عما يردیهم من العقائد التي يتصف بها الكفار ويتيقظوا بما يخطيهم من العقايد الحقة و
الاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكير بهم اشعار باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا
ما ذكرنا من المواعظ المسوقة لشانهم لاكل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيلقى المؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة
جليلة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى
اولي الالباب الثبات على ذلك جيء اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكير وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من
الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم حققنا الله تعالى بالسعادة والحسنى وكرزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى آمين
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ابراهيم عليه السلام اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ويعدد من

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وجوانبها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان
آيات الكتاب الكامل المنعوت والغني عن الوصف بالمشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق
اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المشارع الى المفهوم ح
عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة
اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التعريف بالوصف على انها عبارة عن جميع
آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر من سورة الرعد وقرآن
اي قرآن عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق و
الباطل والحلال والحرام ولقد فخمت شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احديهما اشتماله
على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا
عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات
غيره من الكتب دخل في الوحي كيلا يتوهم من اول الامر امتيازه عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة من غير اشتمال على نعوت
كمال سائر الكتب الكريمة وبهذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين
كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع
في بيان ما تتضمنه فقيل ربما بفتح الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا
وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا وربت حرف جر لا تدخل الا على الاسم
وما كافة مصححة لدخولها على الفعل وحقه الدخول على الاسم وهو دخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في
اخباره تعالى كالمتحقق في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه
من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم ثم كان بالجحود بعد ما علموا
كونه من عند الله تعالى وذلك الوداد يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رويتهم خروج عصاة
المؤمنين من النار روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه قال النبي عليه السلام اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من
شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار
قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله تعالى لهم بفضله ورحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون
منها فح يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروي مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع
اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة دواعيهم
وامانفس الوداد فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ان ذلك
على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعلمون عند
نفوس لبعض قواد العساكر كم وقصده في ذلك التهاوي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار ربر آرته من التزيد وابراز
انه ممن يقلل لعلق الهمة كثيرا ما عنده فضلا عن كثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا
يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه بمضمار اللحن فدل النظم الكريم على وداد الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم
الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولما جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة معدودة تهاونا
[illegible] بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد
بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية اوذرهم يأكلوا الخ اما الاشعار بان من شان العاقل
اذا عن له امر يكون مهموما بحمله او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يقارف ضده فكيف اذا كان متيقنا بحلوله
كما في حق الملك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجوا
لوجود بل ما يتيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف

يقطع الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه عاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيرة والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار التورع
والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم
ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه في كل آن وهذا وفق بمقام استتر الهم عما هم عليه من الكفر وبذان طريقان متغايران
ذاتا ومقاما تضمن كل منهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم وعيد عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة
اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مر هم بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا بنعيم
وفي تقديم الاكل اينذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالاكل والمشارب والمراد واعهم على ذلك لا احداثه
فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استماع ما ينغص عيشهم من التوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح
ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن ابتغاء ذلك وعن التفكر فيما هم يصيرون اليه وعن
الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار
واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلثة مجزومة على الجوابية للامر جيء
عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين
عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه
من ارتكاب القبايح مما يتوشش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمتعوا فيما هم فيه من حتف ظلم
فيه سمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبة او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني
المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا ايما وعيد وتهديد اجئ تهديد تعليل للامر بالترك فان
علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار
وتقرر العناد والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا هم شروع في بيان سر
تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم تظلمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى
بالخسف بها او باهلها كما فعل بعضها او باخلائها عن اهلها عبث اهلاكهم كما فعل باخرين الا ولها منى ذلك شان
كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لو فوته حسب الحكمة المقتضية له معلوم
لا يتشوش ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتاخر فكتاب مبتدا وخبره الظرف والجملة حال من
قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تاكيده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال
من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب اي اجل موقت لهلاكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه
حتى يكمن مخي الفته بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما مر حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من
الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة
لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة
اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان
قوله لا يسمن صفة لكن لا للاطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك
بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن وليس فيه فصل بين الموصوف
والصفة كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان للتقاسل عنه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما
من حيث ان لواوشانها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف من سائر الصفات
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الا هلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه
السنة الالهية وما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا
في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق
من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها الذي لا يحق هلاكها قبل مجئ كتابها اولا تقتضي امة

قبل منهي اجلها فان السبق اذا كان واقعا على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه
جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى
المتكلم فالسابق يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى
المقصود وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من
الاملاك وما يستاخرون اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة
المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاملاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامها واستمرارها بين الامم الماضية و
الباقية واسنادها الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما
في الامة من العموم للاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الاخرة وتاخير ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم
مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تاخير
عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف
الجار والمجرور وهو بغتة مبينة للسبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة جسما اشير اليه ببيان وداهتهم للاسلام اذ ذاك
وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى
من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب
وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو امكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا لاهل استهزاء به حلية السلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل في تحولهم انك
لمجنون كذاب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات
انك بسبب تلك الدعوى اوبت بها مائة تعريك عندما تدعي انه حليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل
لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى
كما في قوله تعالى لو انزل الله هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى
وايراد الفعل على صيغة المجهول لابهام ان ذلك ليس بفعل الفاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده
الى الفاعل لو ما تاتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشئ لوجود غيره
ومعنى التحضيض خلا انه عند اراءة لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا وعند اراءة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر
عند البصريين والمراد ههنا سوقكم اي هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار
كقوله تعالى لو ما انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبونا على التكذيب كما تاتي الامم المكذبة رسلهم ان كنت
من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا
لا نفقد ذلك بدون ذلك او ان كنت من جملة كلمات الله تعالى للرسل الصادقين الذين عذبت امم المكذبة لهم ما تنزل الملئكة
بالنون على بناء الفعل للفاعل العظيم الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزل على صيغة البناء للمفعول
ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وسوق الكلام مسوق الى النبي عليه السلام جوابا
لهم عن مقالتهم المحكية ورد الاقتراحهم الباطل وشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اقتراحهم
قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى انما ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا
على قوله ولا تكلمني في الذين ظلموا الآية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي سوقوله يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
افتضاء للجواب وليكون احد الجوابين مستقلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول
عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما تاتينا به للايذان بانهم قد اخطاؤا في الاقتراح وان الملئكة لعاد
بتهم على من ان يئيب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الاخر متماثل من الامور
الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم ولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشانهم

التنزل من مقامهم العالى وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اى ملتبسا بالوجه الذى يحق ملابسة التنزيل به مما يقتضيه الحكمة ويجرى به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذى اقترحوه من التنزل لاجل الشهادة لديهم وسماعهم ومنزلتهم فى الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزل بالوحى الذى لا يكاد يتفق على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذى يدخل فى حقهم تحت الحكمة فى الجملة هو التنزل للتعذيب والاستيصال كما فعل بامثالهم من الامم السالفة ولو تنزل ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء للشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما فى قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتنى اى حين جئتنى ثم ضم اليه ان فصار اذن ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فجرى كلمة ان دليل على اضمار فعل بعد ما والتقدير وما كانوا اذن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلنا لهم ما كانوا مؤخرين كذا ب سائر الامم المكذبة المستهزئة وقع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما احكم فى قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازدياد عذابا وايمان بعض ذراريهم وانما نظم ايمان بعضهم فى سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم فى الكفر والفساد ولجاجهم فى المكابرة والعناد وهذا هو الذى يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل فى تعليل عدم موافقة التنزل لحكمة من انهم حتم يكونون مصدقين عن اضطرار او انه لا حكمة فى ان تاتيكم بصورتها بدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملئكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تع من حال سؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملئكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطيعة الباقى لا يلزم من فرض وقوع شئ من ذلك تعجيل العذاب الذى يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين مأخذ على تقدير كون اقتراحهم لانتزال الملئكة لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملئكة للتعذيب الا تنزلا ملتبسا بالحق الذى يقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما لا محيد عنه ولو نزلنا لهم جسما اقترحوا ما كان ذلك التنزل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لا رفقا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان فى نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلنا لهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحى وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اى نحن بعظم شانه علو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذى انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايجاء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون عن كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به وخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما المقاط عن مجرد التحريف والزيادة والنقص واشباهها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة فى حقيقته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزل من عنده تع اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفى سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى وفى ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول عليه السلام كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتاخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل رد اله لما ذكر آنفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا وانما لم يذكر للدلالة ما بعد عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اى رسلا كائنة من قبلك فى شيع الاولين اى فرقهم واخزابهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريقة

ويذب من شاهد اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اى شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه فى كل ما ياتى ويذر من امور الدين وما ياتيهم من رسول المراد نفى اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفى كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان لا تدخل فى الاغلب على مضارع الا سوف فى معنى الحال ولا على ماض الا سوف قريب من الحال اى ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزؤن كما يفعله سؤلاء الكفرة والجملة فى محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول فى ياتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او فى محل الرفع على الفاعلية اى الا رسول كانوا به يستهزؤن وما الحرة على انها صفة باعتبار لفظ فيضفى الى زيادة من الاستغراقية فى الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول معجوا بكتاب من عند الله تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحى مقرونا بالاستهزاء اى مثل ذلك السلك الذى سلكناه فى قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وجاجا وابا من الكتب نسلكه اى الذكر فى قلوب المجرمين اى اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اى نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اى مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فانهم من اصل الخلقة لان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون الشبيه مقدما فى الوجود وسوء السلك الواقع فى الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشئ فى آخر يقال سلكت الخيط فى الابرة والرمح فى المطعون لا يؤمنون به اى بالذكر حال من ضمير نسلكه اى غير مؤمن او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فتتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اى نسلك الاستهزاء فى قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين به والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما فى قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اى قد مضت طريقتهم التى سنها الله تعالى فى اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وسواستيناف جئ به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اى على سؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اى بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسر لهم الرقى والصعود اليه فظلوا فيه فى ذلك الباب يعرجون بالنهار او بغير ما ويرون ما فيها من العجايب عيانا كما تفيده الظلول او فظل الملئكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون فى ذلك الباب ويرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لغلط عنادهم وغلوهم فى المكابرة وقلة ايمانهم بقبول الحق انما سكرت ابصارنا اى شدت عن الاحساس من السكر كما تدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يفعله من قراءة من قراءة سكرت اى حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد عليه السلام كما قالوه عند ظهور سائر الايات الباهرة وفى كلتى الحكم والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو مرخيل اليهم بالسحر وفى تسمية الجملة الثانية دلالة على دوام ممنوعها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج بعضهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فيمتنع ان يكون ذلك نوعا آخر من التسحير غير تسكير الابصار ولقد جعلنا فى السماء بروجا قصورا تترلها السيارات وهى البروج الاثنى عشر الخ التنجيمات والخواص جميعا يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اى جعلنا بروجا كائنة فى السماء وزينا ها اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب السيارات كما نتا او ثوابت للناظرين اليها فمعنى التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدر ما فترتيبها على نظام بديع مستتبع للاثار المحكمة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم بالنجوم فلا ان يصعد اليها

ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الامن استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر
الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها
والتعرف فيها عن ابن عباس رضه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي
عليه السلام منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه ستراً شبيه بخفقتهم اليسيرة من قطان السموات جاء بمن التبعيضية
في الجزاير او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد يطلق
على الكوكب والسنان بما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم
في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى بالشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال
افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للآية قال غلظت وشددت لما حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان
الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضه رضي الله عنهما ان الشياطين
تركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يستر قون من الملئكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومن يحرق وجهه وجنبه
ويده حيث شاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهب هل تقتل
ام لا قال ابن عباس رضه يخرج ويحرق ويخبل وقال الحسن وطائفة يقتل والاول اصح والارض مددناها
بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني
قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اضعي قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول
الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شئ موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا
وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شئ مستحسن مناسبا وما يوزن ويقدر من ابواب النعمة و
جعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرها مما يتعلق به البقاء وهي جمع معيشة وقرئ بالهمزة و
تشبيها لها بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من
لستم برازقيه من العبيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حبائهم
انهم يكفون مؤنتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان
من شئ ان للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشئ في محل الرفع على الابتداء اي ما من شئ من الاشياء الممكنة فيدخل فيها
ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتداء وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبره وجملة
خبر للمبتداء الاول والخزاين جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفايس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين
من خزاين ازاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الفائضة للحكمة المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم
العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها وغنيهم فيها وكونها مهيأة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى
تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تاخر بتنايس الاموال المخزونة في الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية
وما ننزله ايما نوجده وما نكون شيئا من تلك الاشياء طلبا بشئ من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا
بمقدار معين يقتضيه الحكمة ويستدعيه المشيئة التابعة لها ايما يقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شئ
بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحاق تعلق القدرة به
لابد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان يستر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة جميعا هو
في خزاين القدرة وهو اما عطف على مقدر اي نترل وما ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شئ والحال
ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان بالغ الحكمة وحيث كان ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى و
انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا
الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح اللواقح

اي حوامل

اي حوامل شبهت الريح التي تجئ بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك وملحقات بالشجر
والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطاوح في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على الوحدة
الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه سقيا
وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم يتنفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته
لنفسه بقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزائنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك
بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها فنجعلها مستقيا لكم مع ان طبيعة
الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة ونميت بازالتها عنها وقديم الاحيا و
الاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وسواء تاكيد للاول او مبتداء خبره الفعل والجملة خبر الاول والجمع
كونه ضمير الفعل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى
ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اثنين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قالبة الملك
للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي
وفيه تنبيه على ان الموتى خولين يوارث للمتقدم كما يترائى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم
ولادة وموتا ولقد علمنا المتاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج بعد
او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه
بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد
وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم تتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر آخرون ليريدوا فنزلت والاول سوالمناسب لما سبق والحق من
قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير
لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات
والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه
حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانه عبارة عن العلم بحقايق الاشياء على ما هو عليه والاتيان بالافعال
على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شئ ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للخلق والجزاء ولقد خلقنا
الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سايرا فراده
انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت
عند نقره قيل اذا قوبلت في صوته نداء فهو صليل وان قوبلت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن
من حماء من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال كائن من حماء
مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ
الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحماء وعلى الاول يتعين ان يكون صفة لصلصال وانما اخر
عن حماء تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حماء كما سنجيء انفرغ الحماء فصور
من ذلك تمثال انسان اجوف نبيس حتى اذا فرصوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين
والجان وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان
من فرد واحد فجمعهم من مادة واحده كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره
خلقناه وسواقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر
جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستاخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كالا امتناع في خلقها في

ابراهيم المجردة فضلا عن الاجسام المؤلفة التي غالب اجزائها البخار الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها البخار الارضي
وقوله تعالى من نار بحسب الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وساق الاية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبديع
بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدرة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر ومعقولية المواد والجمع والاحياء واذ قال
ربك منصوبا باذكر وتذكير الوقت لامر مراد من ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له
عليه السلام اي اذكر لوقت قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على ان تعلق
فعل له البتة من غير صارف شيئيه ولا عاطف يؤيه بشرا اي انسانا قليل بناء على العبارة الجارية وقت الخطاب
على الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاهم وقيل جسما كثيفا
يلاقي ويباشر وقيل خلقا يأوي البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله
اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره ولا يأتي في هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله
بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد وما ورد عليه من آثار المكونين لا يتأتى فيه
عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اي صورته
بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاءه بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء
الروح الى بحو يف جسم صالح لاستعمالها والاستعلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوح وانما هو تمثيل لافاضة مايه الحيوة بالفعل
على المادة القابلة لها الى فاذا كملت استعداده وافضت عليه مايحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له
امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما
او سجود والله تعالى انما هو بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه
ليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فسجد له
الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة
هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد كما الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب
الوضع والاصل في المخاطب التنزل على كمال احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود ولكن
شاع استعماله تأكيدا واتم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا انضمت الاحاطة من لفظ اخر
لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب
على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما
فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل الا لانه كان
جنيا مغمورا بالوف من الملائكة فغلبهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم فقوله تعالى
الى ان يكون من الساجدين استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود
قد يكون مع التردد وبه علم انه ممن الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم
وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث اوقع في معصية واحدة ثلث معاصي مخالفة الامر والاستكبار مع
تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين قال استيناف
مبني على سؤال من قال فاذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس مالك اي اي سبب كائن لك في الاعراض
كما قيل كقوله تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في
الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه بمجرد تخلف عنهم بل لكل من المعاصي الثلث المذكورة قال تعالى في سورة
الاعراف قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن قد تقدم
عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلكما المعاصي

كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ اصلا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استيناف مبني على السؤال الذي يساق اليه الكلام
لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لانفي مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد
لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى اوائل
الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف
اللعين بمجرد ذكر كونه اعم من التراب الذي هو اخس العناصر وسيظهرها بل تعرض لكونه مخلوقا منها في
اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه
لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل اأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله
تعالى مالك ليس استفسارا عن الغرض بل سؤا استفسارا عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال رمز للتنبيه
على المناقشة وانى لذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما يليق بشأني
من الخضوع للمفضول والتجوي خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عن ان مايدور عليه فلك الفضل والكمال
هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الرديئة التي اقبحها التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل
جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين او من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة
انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملاء الاعلى مهبوط واي
مهبوط ومن الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد
ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالجنية كما روي عن ابن عباس رضه ولا ينافي هذا طرده على رؤوس الاشهاد لانه تقييد
من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او الشياطين يرجم بالشهب
وهو عند بعض الحواشي من رشقته فان من عارض الفضل بالنقاص فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة و
حيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على ألسنة العباد وقيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين
الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء الفعله وانما تتحقق ذلك
يومئذ بعد من التحويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع عنه لك بل لانه عند ذلك يعذب بما هو اشد
به اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزلال وقيل انما حدت به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقولهم تعال خالدين فيما
دامت السموات والارض وحيث امكن كونه تأخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة تغلب
اللعين تأخير صورة كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفاء متعلق بمحذوف سيجيء عليه الكلام
اي اذا جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم والا فبذلك ان يجد فسحة لا فلوت منهم
وايا خذ منهم ثأره ويخلص من الموت لاستحالة بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع
اشمال سؤاله للاخرين على وجه يوذن بكون السائل بتعالجهم في ذلك ودليل على انه اخبار بالانظار لعدم لزوم الاشعار
لانظار خاص بوقع اجابة لدعائه اي انك من جملة من اخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه حكمة المكونين فالفاء ليست لربط
تعقيب الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور كما في قوله فان ترحم فانت الذاكر اهل فانه لا امكان لجعل الفاء
فيه لربط مافيه تعالى من الالهية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الالهية للرحمة بوقوعها
ان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من
اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى من سبق من الجن والانس من الثقلين الى يوم مقام الاستنظار مع الحيوة والان
ذلك التأخير معلوم من اضافة الى يوم الدين مع اضافة في السؤال الى البعث كما مر تحقيقه وفي سورة الاعراف قال انظرني
الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين ترك التوجيه والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا
وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة وتغييرها في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم

الكريم لا يدان يكون لمقام تقتضيه مغاير لمقام غيره وان ملكا من الملكين انما صدر عنه مرة وكذا جوابهم يقع الا وضيعة
فمقام المجاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة
فضلا عن الارتقاء الى محالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم ويجوز ان يكون
النفخة الاولى التي علم اذ يصعق عندها من في السموات والارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف
في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين بر تحقق وبيوم الدين لما ذكر من جزاء وبيوم
الوقت المعلوم لما ذكرا ولاستئثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من ملاك الخلق جميعا وبعضهم وجزأتهم في يوم واحد يموت اللعين
في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين نفختي البعث وصوته اربعين سنة ملئن سنى الدنيا مقدارها بين النفختين
ونقل عن الاحنف بن قيس رح انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا انا بخلق عظيم وكعب الاحبار
فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيتشتت بي عروق البدن اذا اراني ميتا
وهو منتظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم امكث ستر والى الجنة ويؤخر اللعين الى النفخة ليذوق الم الموت بعد الاولين
والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصف قال يا رب حسبي فضج الملائكة وقال يا ايها الاسحق
كيف ذلك فانبي فلما فعل قال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات واهل الارضين
السبع والى البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيم البيس فاذقه الموت واحمل عليه
في مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة ولكن معك من الزبانية سبعون الفا قد اعتلوا غيظا
وغضبا ولكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من
كلابها وناد يا مالك كما يفتح ابواب الينزان فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة
من هولها فيشتفي الابليس فيقول قفي لي يا خبيث لا يفتك الموت كم من عمر اركت وقرون اضللت وهذا هو
الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه
فيغوص البحار فتنتن منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا يحيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا
عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط
فيه آدم عليه السلام وقد نضبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احمى ستة الزبانية ولطموه بالكلاليب
ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدو كما كيف يذوق الموت
فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم بامانتك اي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي
دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع الهوى فبعزة الله المغرة بسلطانه وقهره لاغوينهم اقسامه بهذا فانه فرع من مرويها
واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف و
المعنى بسبب تبييك لاحوذي افعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل
والمعنى اولا الاغواء بالنسبة الى الغي والتسبب لامره اياه بالسجود لآدم وما اعتذر به عن اهمال الله تعالى وشيطه
على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه ومن متبعيه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار اهمل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم
الى عبادتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا انفسهم لله عز وجل قال هذا
صراط اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من
اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في جوابه
ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف
ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تتسلط وتتصرف بالاغواء الا من اتبعك من

الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تغييم شان المخلصين وبيان لتزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان
اغواء الغاوين ليس بطريق التسلط بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد الفريقين
او الغاوين والاول انسب واوفق لما قبل وفيه دلالة على ان بجهنم مكان الموعد مما لا يوصف في الفظاعة
اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان
لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات بيانا لوضاعة مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم جزء من الاتباع او الغواية جزء مقسوم ضرب معين
مقدر من شر وحسبما يقتضيه استعداده فاعلا ما للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين
والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل
حصرها في السبع لانحصار المهلكات في الحسيات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم
الزاء وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديد ما في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضمير
في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعك في الكفر والفواحش فان
غير مما مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منها
كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول
امرا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها بنيا للمفعول على صيغة
الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم امنين من الافات والزوال
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه اراجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير
في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما
صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الكل حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد دورهم
بحيث الاسرة حيث ما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم
فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم في ذلك
وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وسواستيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما
منها بمخرجين ابدا الآباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين غير عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان السبيل
المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب
ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج وبئهم عطف على نبئ عبادي
والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من
العذاب وبغاتهم مع اهل التابعين له في محض الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو
العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وميكائيل معه وقال محمد بن كعب
وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا اربعة وعن السدي كانوا
اثني عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان
رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم حسبما ياتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب
بفعل مقدر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين
دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا سلاما

قال انا منكم وجلون اى خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وقالوا عم حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عند هم انه اذا انزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عتقاد ابتداء وخولفوا لقوله تعالى فلما رآى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفهم بسبب دخولهم بغير اذن لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يتعد عم بتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا ردة عم سلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا تواجل من اوجله اى ارعبه ومن واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استينافا للتعليل النهى عن الوجل فان المبشرة لا يكاد يجوم حول ساحتها خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ في حالة تباين في موضع يغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسنى الكبر واثر في تعجبهم من بشارتهم لا بولد في حالة تباين لولادة وزاد فيه تاكيدا بما فبم تبشرون اى باى اعجوبة تبشرونني او باى شئ تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ او باى طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اى بما يكون لا محالة او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة مرضية حق وسنوا مر الله تعالى وقوله تعالى ولا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخرق العادة بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان معتقده عليه السلام استعظام نعمة تعالى عليه في ضمن التعجب العادى المبنى على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملئكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من المتعجبين او نحوه قال ومن يقنط استفهام انكارى اى لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطؤن طريقة المعرفة والصواب فلا يرون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عم لا تيأسوا من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفى القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اى ليس لى قنوط من رحمة الله تعالى وانما الذى اقول لبيان منافاة حالى لحالهم ان يعقوب عم لم يقل ذلك لهم وانما قاله لنفسه وبينه وبينهم بون بعيد فان ما قاله كان بطريق الدعاء والتضرع الى الله تعالى وما قالوه كان بطريق الاخبار بما سيقع لا محالة فاين احدهما من الآخر فما خطبكم اى امركم وشانكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة ايتها المرسلون صرح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى ايسجد لمن خلقت طينا قال ارءيتك هذا الذى كرمت على الآية فان قوله الا خير ليس موصولا بقوله الاول بل مبنى على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الكلام الاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عم بعنوان الرسالة بعد ملكان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تقديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت منطقة بالبيان ان لهم ليس مجرد البشارة بل لهم شان آخر لاجله ارسلوا فكانه قال عم ان لم يكن شانكم مجرد البشارة فما ذا هو فلا حاجة الى التاكيد الى ان عدم بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوى عدد والبشارة فلا حاجة الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عم ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدا وا بها فقابل فالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجئ بهم بطريق التنكير فالهم واستتمامه بهم الا ال لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اى الى قوم اجرموا جميعا الا ال لوط فانهم والارسال شامل للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم مجرمين كلهم الا ال لوط لانهم لكذا الاولين وجئ بالاستثناء ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اى لوطا وآله اجمعين اى عما يصيب القوم فانه استينافا للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم وليبان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون حالهم بين بين اولتعليله فان ممن تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل ال لوط جار مجرى خبر لكن وعلق

وقد تقول الا امرأته استثناء من ال لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لنهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واستعماله في الى نفسهم وسوء فعلهم استعمال اللهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء ال لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية ال لوط جميعا اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما اسلفوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد بمجيئهم مطلق مجيئهم عند ال لوط فان ما حكى عنه عم بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله لهم بعد التعارف والتى حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما شاهد من الرسلين عند مقاساة الشدايد ومعاناة المكائد من قومه الذين بهم يمارون ويدون بما سوء المعهود والمعتاد من الاحانة والاهداء فيما بينهم ويزر عنده بتشعشع في تخليصهم انكارا لما لهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعتبرة لرسوخهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجاة الى ان قال لوان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد وجسما فصل في سورة هود لانه عند ابتداء ورودهم له خوفان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم نجوا بهم الحكى بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بالعذاب الذى كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك وقد قشر والعصا وبيتوا لهم حيلة الامر فالذى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المسارة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عما فهم منه وجوب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينيك بل سى اضراب عما فهم منه عليه السلام من ترك النصرة والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذى كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عم باهلاك قومه وتنجيته اثر ذكر بشارة ابراهيم عم بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا بقوله فاسر باهلك بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتح الباب وانظرى في النجوم لكم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد مامضى منه شئ صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتشرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك او ذلك ربما يكون بالتقديم على بعض مع التاخر عن بعض ويلزمه عادة الغلظة عن حال المتاخرة والالتفات المنهى عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اى ممكن ومنهم احد فيرى ما دهاه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهى عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير فان الالتفات قلما يخلو عن ادنى فتور قد عدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعى عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مراد للاكتفاء بما ذكر في موضع اخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضى اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاشاع المشهور وايثار المضى الى ما ذكر على الوصول اليه والحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على ان بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التى هى مدار بثوت الحكم اى دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة الفاعل

لكونها دخيل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور ايهاما اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته والايكة وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم ليسوا اصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من مؤلاء او من الضمير في مقطوع وجعله للحمل على المعنى فان دابر مؤلاء بمعنى مدبري مؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما تنبئ عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عم يستبشرون اي مستبشرون باضيافه طمعا فيهم قال ان مؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمونث واطلاقه على الملكة بحسب اعتقاد عم كونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشانهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تنزضوا لهم بسوء تعلمون انه ليس لعندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة مني فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في اضيافي ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اوجب عليكم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تاثيرا في جانبهم واجلب للعار اليه اذا التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمغايرة لما مر من الامر بالتقوى والنهي عن الفضيحة والخزي اعظم العار عبر عما يعتريهم من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب مجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله تعالى في ذلك واظهار ما يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيد لهم ذلك وقيل المراد بتقوى الله تعالى في كوب الفاحشة ولا يساعده توسيط بين النهيين عن امرين متعلقين بشخص عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وعيا ضيفهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان دينا بهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عن ان يجير احدا لكنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاء كل من قبلك لامن قبلنا اذ لو لا تعرضنا لاحد لما انتقدوا له لما اعتراهم من تلك الحالة ولما رآهم لا يتعرضون لاحد عاب عليه قال مؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا مسن قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا للعدول مشروعية المناكحة بين المسلمة والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء لوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي عليه السلام او من الملئكة بحياة لوط عليهم السلام والتقدير لعمرك قسمي ومن لغة في العمر مختصة بالقسم ايثار اللخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم وشدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الحلو والصوب يعمهون يتحيرون ويترددون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها اي عالي المدينة او عالي قراها وهو الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان وهو داخل في الهول والفظاعة من الحكم كامر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لايات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من تلك القرى او في كونها بمراى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لاية عظيمة للمومنين بالله وبرسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي تركوا به انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او على الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها بما سبق لما ان المشاهد منها بقية الآثار

لا كل القصة كما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي سواسها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عم والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت غابة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم فكذبوه فاخذهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجاوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عم كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الاخر لبامام مبين بطريق واضح والامام اسم ما يوتم به سمي به الطريق والخط والوح الذي يكتب فيه لانها مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المومنين كما قيل الجنيون لجنيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وانتيابهم اياتنا وسي الايات المنزلة على نبيهم والمعجزات من الناقة وسقيها وشربها وتربها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اذ اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث نعاوا بالناقة ما فعلوا وكانوا يحتون بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء او ثقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسكم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب مؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وكما وقع في سورة سود قيل صاح بهم جبريل عم وقيل انهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم اي الزلزلة ولعلها من وراء الصيحة المستتبعة لتموج الهواء وتموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة سود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ولم يدفع عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب جسما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلايم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال مؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الاصلاح او الا بسبب العدل والانتقام يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها من كذلك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة المصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي يليق بك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بقتا صيلها فلا تخف عيشي مما جرى بينك وبينهم فتحقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقك وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخلق وهو صالح للتعليل والكثير والخلاق محتمل للكثير ولقد اتيناك سبعا من المثاني بيان للتسبيح من التشبيه وسمي الكثير فان المراد الفاتحة وهو الظاهر فيما اشتهر في الصلوة واما مكررة قراءتها في غير الصلوة كما قيل فبين بحيث يكون مدار التسمية ولانها شئ بما يقارنها بعد ما في الصلوة واما مكررة نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها كما ذكر والسور قطعة من القرآن ذات آيات سميت بذلك لارتفاع بعضها عن بعض كسور البناء او لكمالها في نفسها من قولهم سار الفرس بسوره اذا عدا بكماله او لاحاطتها بفوائد من العلوم احاطة السور بما فيه او لانها مرتبة بعضها فوق بعض كسور المدينة او لانها مقدار من القرآن مسور بثلاث آيات فصاعدا والقرآن اسم للكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة وهو في الاصل مصدر كالغفران سمي به المقروء للمبالغة او لقرن السور والآيات والحروف فيه او لجمعه ثمرات الكتب السماوية او لجمعه ثمرة كل شئ كما سمي الكتاب لجمعه الحروف والكلم وقيل هو اسم علم غير مشتق كالتوراة والانجيل والزبور وهو الاظهر لعدم ظهور اشتقاقه وعدم جريه على القياس في الاضافة والتعريف والتنكير والتصغير والجمع والنسب وغير ذلك من احكام المشتقات والعظيم الذي جعل الله تعالى كتابه كذلك وقد اوتيت سورة الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطول التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس والخوامس السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان المراد الفاتحة وسواء فسرت بما شئ في الصلوة او غيرها من السور فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه او معناه او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع

ظاهر وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كما انها شتى عليه سبحانه
بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله كلها ممن للتبعيض
وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان
اريد بها الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الا تطح ببصرك طموح رغبة
والا تم نظرك الى ما متعنا به من حارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة
فان بقي الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيه مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر صديق
رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم عظيما وروي انه وافت من بصرى و
اذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر فقالوا لو كانت هذه السبع آيات وهي خير من هذه
القوافل ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقووا بهم ضعفاء المسلمين وقيل وانهم المتمتعون
به وياياه كلفة على فان تمتعهم به لا يكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم وارفق بهم ولين
جانبك لهم وطب نفسا من ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي المنذر الظاهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا
على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن
عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا بعضا واوعدوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالفا لهما
او اقسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وكذا او صنفوا ما خوذا من كتبهم
وحرفوه فاقرؤا ببعضه وحملوا توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على اعادة ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه جار
المقام عن التشبيه ولقد اوتي عليه السلام ما لم يؤت احدا مثله ولا بعده مثله وقيل انه معطوف بقوله وقل اني انا النذير
المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا من المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة
والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانما جيء بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم
الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تاكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ
ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع لموقع جليل من الاعجاز
لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص
العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف شامل كلا
الكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اولا
لانذرتك اي انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر
الذين اقتسموا داخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بافات وخيله
مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين و
لا موعود الوقوع انه لا داعي الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو الا نفس التعضية
ولا اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب منذر ولا محصص صار
بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب
قد هلكوا قبل مهلك اكثر المقتسمين يوم بدر والا لي تقديم المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول انذر اي انا
مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما مر وفيه مع ما ترى قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى
لا من قول الرسول عليه السلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرا بكذا وان كان الامر هو الملك

حسبما سلف في قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين تعسف لا يخفى وان العامل الوصف الموصوف مما لم يجز عمله
البصريون فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى جعله مفعولا غير صريح اي انا انذرناهم
مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا واهله فاهلكهم الله تعالى ثم قالوا
ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فدمرناهم وقومهم اجمعين فالمعنى انذرهم مثل ما نزل بهؤلاء من العذاب
للانذار لكن الموصول المذكور عقيب ما يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولا
اول للانذار او لثاني على ما يقال لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام
بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة للان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة لكل من
الموصول والموصوف فلا يكون مناك وجه شبه ورعلية يشبه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم
في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب للهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من
التقاسم على التبييت الذي هو السبب للهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب للهلاك
مولاء ولا علاقة بين السببين معنويا ولا وجود التصحيح وقوع احدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق
الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه
بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول
مبتدا وعلى ان جزءه الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم
ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول
مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه
من لوائح النظم الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين
على اهلها وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتائين كما
لا يخفى على المتدبر والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به ان يقال كما آتيناه المقتسمين جسما وقع في قوله
تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الايتائين من التباين فان الاول على وجه الكرامة
والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لسلبية
عندهم وتقدم وجوده على المشبه مما لا مرية تعود الى ذاته كما في الصلوات الخليلية فان التشبيه فيها
ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام وآله اتم واكمل مما فاض على النبي عليه السلام وانما
ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في المشبه شائبة اشعار بفضلية المشبه به
من المشبه فضلا عن ابهام فضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان
الاقتسام انكارا لاقتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله
حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله
تعالى لا تمدن الخ بكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي عليه السلام ولقد بين اولا علو شانه
ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه وهم بمكانه واستغنائه عما سواه ثم نهى الالتفات الى زهرة
الدنيا وعبر عن اينائها للاهلها بالتمتيع المبني عن وشك زوالها عنهم ثم عن الكون بعدم ايمان المنهمكين فيها
وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة وهراسم النذارة
حسبما فصل في اثناء ذلك اوفى من القرآن العظيم ثم رجع الكيفية ايتائه على وجه ابهج فيه ما يزيح شبه
المنكرين ويستزلهم من العناد ومن بيان مشاركته للاوليين لهم في كونه وحيا صادقا فاضل والله
عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني انا النذير كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرا على ان
المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة

وهي مع ما في حيز ما في محل النصب على الحالية من مفعول قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي مواصفا
لذلك فالاسب ح حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك توبيخا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي ثم
قوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت
جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعضين والتعبير عن تجزية القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي
الروح المستلزم لازالة حيوته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضر التبعيض
من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه
السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني ها فوربك لنسئلنهم اجمعين اي لنسئلن يوم
القيمة اصناف الكفرة وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيجازيهم
فيه ما ذكر من الاقسام والتعضية وخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا
يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهارا
للطف به ع فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله
الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بالذي تؤمر به من الشرايع الموعود في تضاعيف ما
اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم
ولا تقصد للانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا ستة من اشراف قريش
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والاسود بن
المطلب يالغون في ايذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فنزل جبرئيل عم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات و
اومى الى انف العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالحمى فمات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى اسود بن عبد يغوث
وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوكة حتى مات الذين يجعلون مع الله
الها اخر وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلامهم انهم لم يقتصروا
على الاستهزاء به عليه السلام بل اجتروا على العظيمة التي الاشراك بالله سبحانه فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون
ويذرون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به
وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب
استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر
والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
بالايخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين
اي المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك او فنزه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان مداك للحق المبين وعنه
عليه السلام انه كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك دم على ما انت عليه من عبادته تعالى
واثبات الاظهار بالعنوان السالف انفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر
بالعبادة حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه
للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

اتى امر الله اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك باجراء الله للتفخيم والتهويل وللايذان
بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واياما كان ففيه تنبيه
على كمال قربه من الوقوع والتعالي به وتكميل الحسن موقع التفريع في قوله عز وجل فلا تستعجلوه فان النهي عن استعجال
الشئ وان صح تفريعه على قرب وقوعه وعلى وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ ابا الوقوع يستحيل
الاستعجال راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والحال ان للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة
نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بغرب من التهكم لامع المؤمنين
سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال
الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب حتى يتهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة
بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا يستظهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون
هناك نكتة سرية تقتضي ذلك لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما
بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعاونون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا
فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به
فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤوسهم فلما نزل فلا تستعجلوه الطائفا
فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما تو سم من ان المقدر يا لفا ويا باه فانه يعزل عن اباه جسما تحققه بل
لان مناط الامن انما هو عدم استعجالهم من حيث انهم موقنون بالاتيان لا من حيث انهم مؤمنون فالخطاب
الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما ان النهي عن الشئ يقتضي امكانه واجله ومدار ذلك الوقوف انما هو
النهي عن الاستعجال بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم
لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب
بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص
بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبته الله عز وجل الى ما لا يليق
من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يجره عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه
ان صح مجئ العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستيناف سبحانه وتعالى عما
يشركون اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له
شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات
الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبايحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى
تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة
الخطاب ينزل الملئكة بيان لفحوى التوحيد جيء به عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جنابه الكبرياء و
تعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شئ في شئ وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام
وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول
عليه السلام بانيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهار البطلان
ايهم في الاستعجال والتكذيب واثبار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد

بالملئكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او سومن معه من حفظة الوحى باحراسة تعالى وقرئ
ينزل من الانزل وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل بالروح اى بالوحى الذى من جملته
القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل
او بما سوحال من مفعوله اى ملتبسين بالروح من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال
كونه ناشيا ومبتدأ منه او صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره الناشئ
منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء ومثل ما فى قوله تع مما خطيئاتهم اى بسبب امره على من يشاء من عباده
اى ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بان انذروا اى بحذف
القول والمعنى يلقون به الانبياء الذين نزلت الملئكة عليهم ام والامر هو الله سبحانه والملئكة نقلة للامر كما يشعر به الباء فى
البدل منه وان تا محققة من ان ومميزات ان الذى سواهما محذوف اى ينزلهم ملتبسين بان الشان قول لكم انذروا
او مفسرة على ان تنزيل الملئكة بالوحى فيه معنى القول كانه قيل يقول بوسطة الملأكة لمن يشاء من عباده انذروا
فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر فى اوايل سورة
هود محلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشئ اذا علمه فحذره وانذره بالامر
اذارا اى علمه وحذره وخوفه فى بلاغة كذا فى القاموس اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالغير للشان ومدار
وضعه او جاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدته تقدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه
من زيادة تقرير له فى الذهن فان الغير لا يفهم منه ابتداء الاشان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه
عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وابناء مضمونه عن المحذور وليس لذاته بل من حيث انه
المنذرين بما يفاده من الاشراك وذلك كان كان فى كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه فاتقون للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملئكة على الانبياء
عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له فى الالوهية فاتقونى فى الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من
الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعى للتوحيد شرع فى تحرير الادلة العقلية
فقيل خلق السموات والارض بالحق اى اوجد هما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس
بذاته لا سيما بافعاله التى من جملتها ابداع هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه
به من الباطل الذى لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع فى تعداد ما فيه
من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اى هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة
جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل عن نفسه
مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال على قدرته تع ووحدته
او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيى العظام وهى رميم وهذا انسب بمقام تعداد سيئات الكفرة روى ان ابى بن خلف
الجمحى اتى النبى عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد ترى الله تع يحيى هذا بعد ما قد رزته فتتلت والانعام وهى
الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تع خلقها لا بالعطف على
الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذى بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله
فيها خبر مقدم وقوله دفئ مبتدأ وسوما يدفئ به فيبقى من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف اللاقع
للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفئ اذ لو تاخر لكان صفة ومنافع هى درها وركوبها وحملها واكرانه بها وغير
ذلك والغاء عبر عنها بما يتناول الكل مع انه الاب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفئ على المنافع لرعاية
اسلوب الترقى الى الاعلى ومنها تاكلون اى تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير
النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما فى السابق واللاحق فان الدفئ والمنافع والجمال يحصل منها وهى

باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتمد المعتد فى المعاش وان
الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من النفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل
ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة كمكاسب اكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل
من انواع المنافع الضرورية جمال اى زينة فى اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون ترددونها من مراعيها
الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين للعلم
الفواصل وتعيين الوقتين لان مايدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما يوجد
عند ورودها وصدورها فى ذينك الوقتين واما عند كونها فى المراعى فينقطع اضافتها الحسنة الى اربابها وعند كونها فى الحظائر
لا يراها ولا يلاحظ اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه فى استتباع ما ذكر من
الجمال واتم فى استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملائ البطون مرتفعة
الضروع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه وحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضى الله عنهما اريد به اليمن
ومصر والشام ولعله نظر الى انها حتما جر امل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم
اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد يحيق لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجتهدين عن الاثقال
لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل
المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القدة
لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اى الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من
اعم الاشياء اى لم تكونوا بالغيه بشئ من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام
مدارا للنفع السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة للحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست فى العموم بحسب المتعلق وفى سائر
الاوقات والاطراف فى الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشاء خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالغالب
فى الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها فى حالين غير معطوفة واما سائر النعم المعدودة فموجودة فى جميع اصناف الانعام
وعامة لكافة المخاطبين دائما او فى عامة الاوقات ان ربكم لرؤف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة
ويسر لكم الامور الشاقة والخيل سوائم جنس للفرس الواحد له كالابل وهو عطف على الانعام اى خلق الخيل
والبغال والحمير لتركبوا تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب فى تحققه وزينة عطف على محل
لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا للفاعل فعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب اتم منه او مصدر لفعل محذوف
اى وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اى خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل
تركبوها او مفعوله اى متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اى يخلق فى الدنيا غيرها عدد من اصناف النعم فكم
ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد والاستحضار للصورة
او يخلق لكم فى الجنة غيرها ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اى ليس من شانكم ان تعلموه وسواها اشير اليه بقوله عليه السلام
حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا
اخبارا بانه سبحانه يخلق من المخلوقات ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الموجبة للتوحيد كنحته الباطنة والظاهرة عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل يوم
فيغتسل فيزداد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه
كذا وكذا الف فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى اليوم
وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم على طريقة الاستعارة او على
نهج اسناد وحال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه اى حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته وعد

المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل من يسلكه الى الحق الذى هو التوحيد بشعب الادلة واسال الرسل وانزال الكتب لدعوة
الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اى عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اى جعلها بحيث يصل سالكه
الى الحق لكن لا بعد ما كانت فى نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر
الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدايع التى كل واحد منها لائح
يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحى الناطق بحقيقة
الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ووفق الهادى الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية
عن قيافى الضلالة ومهاوى الردى الايرى كيف بين اولا تنزيه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يجوم حوله
شائبة توهم الاشراك ثم اوضح ستر القاء الوحى على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى
التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ بالفعل
المتعلق بمحيط العالم الجسمانى ومركزه بقوله تع خلق السموات والارض لكما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما
بينهما فبدأ بفعله المتعاوج بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لابد لهم منه فى معاشهم ثم بين قدرته على خلق ما
لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد عقب بيان وتعديل ايما تعديل
فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة المقصد اليه وقوله تع ومنها اى محل الرفع على الابتداء اما باعتبار
مضمونه واما بتقدير الموصوف كما فى قوله تع ومنا دون ذلك وقد مر فى قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الاخر الخ اى بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل
سالكه اليه وسوطرق الضلالة التى لا يحكا ويحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثانى نفس السبيل المستقيم والضمير
فى منها راجع اليها بتقدير المضاف اى ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعها ابتداء على وجه الاستقامة
والحالة لا تقويمها بعد انحرافها وايا ما كان فليس فى النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك
انما يكون فيما اقتضى الظاهر سلكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اما منه كما فى قوله سبحانه الذى يطعنى ويسقين واذا
مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذى يسقنى ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد
ما كرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد بيان قصد السبيل مجردا علام انه مستقيم حتى يصح اسناده انه جائر بل المراد
الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك فى مواضع غير معدودة
وجائرا كما حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يستوبم متوبم حتى يقتضى الحال دفع ذلك
بان يقال لا جائر بها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعنى اضيفت جئ بها لبيان الحاجة
الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة فى ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق
وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا سوا لهداية المغفرة بالدلالة على
ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا
بحسب رحمته بل هو محل الحكمة حيث يستدعى تسوية المحسن والمسئ والمطيع والعاصى بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله
تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اى لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة
لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه ولان مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة فى تلك المشيئة لما ان الذى
عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئى الذى عليه يترتب الاعمال التى بها
تنيط الجزاء وهذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد تكون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه
على نهج الاستقامة واثبار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلى من غير ان يكون
هناك استعلاء لشئ عليه سبحانه وتعالى علوا كبيرا كما فى قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل

والمراد

والمراد بالسبيل الجنس كما مر فى قوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه بالاستقامة
وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان مذاق الحق فى نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوجيهه
بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين الحق والمبين الطريق المنهى للتوحيد على وجه اجمالى وفصل بعض ادلة المتعلقة
باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعى اليه بعثا للمتامل طلبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقى للحق
اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذى انزل بقدرته القاهرة من السماء اى من السحاب او من
جانب السماء ماء اى نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء
شيئا هو لا لانه انزله من السماء والتعريف فيه لما سلف من ان عندنا خيرا حقه التقديم سيق الذى من شانه ان يتاخر قبالة ما
عند ورود عليه فضل تمكن لكم منه شراب اى ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهو خبره والجملة
صفة ماء والظرف الثانى نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس فى تقديمها ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر
الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار لقوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض وقوله تعالى فاسكناه
فى الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثانى خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المضمون
بين المجرورين وتوسيط الثانى منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية
اى ومنه يحصل شجر ترعاه المواشى والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان ساق اولا او تبعيضية مجازا لانه لما كان
سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسمة الآبال فى ربابه يعنى بالمطر الذى ينبت به الكلاء الذى تاكله الابل فتسمن
استعيرت وفى حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلاء فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها
صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض ينبت اى الله عز وجل وقرئ بالنون
لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق
الاستيناف واثبار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار واخواتها سنتة الجارية على مر الدهور والاعصار
صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما قد آنفا مع ما فى تقديم اولهما من الاهتمام به لا دخال المسرة
ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث
انه ادام ومن وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة
الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى
ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام المحصولة بغير صنع من البشر والمارش
الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بما فى تحت يده اكمل من اهتمامه بما فى نفسه ولان
اكثر الخ طيين من اصحاب المواشى ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام للاقدم غذائه فانه غذاء حيوانى
للانسان وسوا شرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثى مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان فى ذلك
اى فى انزال الماء وانبات ما فصل لاية عظيمة دالة على تفرده تع بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة
والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر فى ان الحبة او النواة تقع فى الارض وتصل اليها ذاوة تنفذ فيها فينشق
اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط فى اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت متكلسة فى الوقوع ويخرج منه ساق
فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص
والطبايع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر الى نهاية مع اتحاد المواد واستوا نسبة الطبايع
السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شئ فى شئ من صفات
الكمال فضلا عن ان يشاركه اخص الاشياء فى اخص صفاته التى هى الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وحيث افضى سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الاية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان خلفة لمنافعكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يربان فى سيرهما وآثارهما اصالة و

خلائقه واصلاحها للمايظ بها صلاحه من الكائنات التي من جملتها ما فعقل واجل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد
تسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها جسما تيسر به
عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخيرا لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير اعماء
الى ان في المسخرات من صعوبة الأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي لذلك على ان ذلك امر واحد مستمر وان
تجددت آثاره والنجوم مسخرات باجره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما
مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيته وحيث لم يكن عدد منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين و
القمرين لم يجب تسخيرها اليهم بارادة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تع من غير دلالة على شئ آخر وذلك
عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ
بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات باجره او
على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في تسخير من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها
مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع
اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
بان ذلك ان سلم فلا يجب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلابد لها من موجد
مختص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فتبناه حسبان ما ذكر اولة على وجود الصانع تع وقدرته واختياره
وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تع ولئن سألتهم من نزل من السماء
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني تؤفكون وقال تع ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض
ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك اولة التوحيد من حيث ان من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه
شئ في شئ فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا
لايات باهرة مكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة
والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الايات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التامل والتفكر ويجوز ان يكون المراد بقوم
يعقلون ذلك فانك اذا تاملت رأيت تعاجيب الدقائق الموعودة في العلويات للدلول عليها بالتسخير الذي لا تتصدى لمعرفتها الا الفحول
من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تع الليل والنجوم رفعا ونصبا
على اية معمول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها
غالبا يكون باختلاف الكون مسخرا لله تع او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلفا الالوان
اي الاصناف لتنتفعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن
ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لذاته وما عقليا لجواز كون ما خلق لهم غير المرام صعب المنال وقيل هو
منصوب بفعل مقدر اي خلق واثبت على انه قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات
ونحوها لاية بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى
تذكر ما هي يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع
صانع حكيم قدراه ما لوحتنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تع وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد
ما يدل على التفاوت بسجانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات
المسلمة جئ به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تع واستحالة ان يشاركه شئ في الالوهية
وهو الذي سخر لكم البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث
تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم
مع كونه حيوانا للتنبيه باحضاره الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب

المسارعة

المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد وكما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تع في خلقه غذاء طريا
قنا وزعاق ومن اطلاق اللحم عليه سب مالك والثوري ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان
العرف ولا ريب في ان لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا ترى
الى ان الله تعالى سمى الكافرة ابتة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون بركوبه من حلف لا يركب دابة
وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم ولكون
لبسهن لاجلهم وترى الفلك البحر مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بصدرها
من الخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا او على علة محذوفة اي لتستفيدوا
التهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتستفيدوا ذلك ولتبتغوا ذكره ابن
الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون
اي تؤمنون نعمه الجليلة فتقومون باداء حقها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا
لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك
وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبجعلهما معا والقى في الارض
رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم
فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد
وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا
اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم
يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وربح وقد نقل ان جماعة يشتون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم
هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات
النعش والجدي وقرئ بفتحتين وبضمة وسكون وموحد جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجم
للتخفيف ولعل الغير لقريش فانهم كانوا كثيري الرد والتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم
عن سنن الخطاب وتقديم النجم والختم الغير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا يهتدون فالاعتبار
بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل ما تيك الافاعيل البديعة
او يخلق كل شئ ممن لا يخلق شيئا اصلا وتركيب الكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه
ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب التهمزة بالفاء للتوبيخ
الانكاري ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص بالله تع المعلومة كذلك
فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تع ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها
واظهرها واستتباعه ايانا واولكون كل منها خلقا محمودا اي بعد ظهور اختصاصه تع بمبدأية هذه الشؤن الواضحة الدلالة
على وحدانيته تع وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك
بالمرة كما هو قضية اشراكهم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمتباينين
اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتنافيا عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها
وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل سوء حظ بمنزلة الربوبية الى مرتبة
الجماد ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء
للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعزى منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن ممن لا يخلق وسوى
جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واياما كان فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج

تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون
اى الا تلاحظون فلا تتذكرون وذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شئ سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي
لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراد ما عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما
بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبالغة في الزام الحجة والتهكم الجائز تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي دلائل الوحدانية
مع ما فيه من سر يستقصى عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية
الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اى ان تعدوا
نعمة الله كائنة عليكم مما ذكر ومما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها اى لا تطيقوا
بحصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله
لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها
عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره
وكل من ذلك نعمة وايما نعمة فاجلة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية
والله يعلم ما تسرون تغمرونه من العقايد والاعمال وما تعلنون اى تظهرونه منها وحذف العائد لظهور الفواصل
اى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم
السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقر وسورة هود من تحقيق المساواة بين علمه المتعلقين بهما على ابلغ وجه وكان علمه
تعالى بالسر اقدم منه بالعلن اولان كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه
بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون بعض المخلوقين بمنزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا مرية فيه شائبة ريب
بعد ايراد وصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها اشرحت
للتثبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتعريض اى والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله
سبحانه وقرئ على صيغة للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اى ليس من شانهم ذلك ولما لم
يكن بين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اى شانهم ومقتضى
ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في مهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة
بين ما اثبت لهم وبين ما نفى منهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص
الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للشاكلة بينه وبين الاول و
مبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم وما جعل الاول
ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا
ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستتبع لنفي الحيوة عنهم لان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر
ثان للموصول او للضمير كما قيل وخبر مبتدإ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتبر به الحيوة سابقا او لاحقا كالجماد
الحيوان والنطف التي ينشؤ منها الله تعالى حيوانا اخبر عن ذلك فقيل غير احياء اى لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات
على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اى ما يشعر او لئك الآلهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم
بهم لان شعورهم بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث
من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية انما يشارك الله شيئا في شئ وهو تصريح بالمدعى
وتخصيص التستجيب باقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالاخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من
الجزاء المستدعي لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للايات الدالة عليها وهم مستكبرون
عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع
موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه
فكان نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز
الصلة فان الكفر بالاخرة وبما فيها من البعث والجزاء المستوجب الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي
الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها واستكبارها ومؤداها والاستكبار عن اتباع
الرسول عليه السلام وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو الى التامل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة
فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اى حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون
من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبايحهم فيجازيهم بذلك
ان الله لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اى لا يحب المستكبرين عن التوحيد وعن الايات الدالة عليها
او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اى لاولئك المنكرين المستكبرين وسوبيان
لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وما ذا
منصوب بما بعده او مرفوع اى اى شئ انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اى ما ندعون نزوله او المنزل بطريق
التخيية احاديث الاولين وابا طيلهم وليس من الانزال في شئ قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل
مكة يقفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه م ليحملوا متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا
ليحملوا اوزارهم الحاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شئ بكبتة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين
يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من مثل اضلالهم وسوء اثر الاضلال لا نهما شريكان هذا
يضله وذاك يطيعه وعد فيتحاطان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار
الاضلال او لحال قولهم حال من الفاعل اى يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما
والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتاييده بما سياتي من قوله تعالى وانا لهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث
ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة
والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه وحال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة
التقييد بحال الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذوي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجملة على ان تجعلهم ذلك لا يكون عذرا او كان يجب
عليهم ان يميزوا بين الحق المحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اى بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين
من قبلهم وعيدهم يرجع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل
اى بنحو وامضوبات ليمكروا برسل الله تعالى فاتى الله اى امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من حيث
اذ لا يقدر له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي اراد وابها الايقاع برسل
الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكائد وجعلها بانيا لها سببا لابطالها كهدم قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى
ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بفتحتين واتاهم العذاب اى الهلاك
والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابلة ما يريدون ويشتهون والمعنى ان مؤلاء الماكرين
القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله
سبحانه ثم يوم القيمة تخزيهم فانه عطف على مقدر ينجب عليه الكلام اى هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب مؤلاء او
ما سواه مما ذكر من عذاب او لئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم ايذانا لهم بعذاب الآخرة على رؤس الاشهاد
واصل الخزي ذل يستحي منه وثم للايذان بان بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك
بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما سوالمتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا
موذن بان لهم جزاء اخرويا فيبقى النفس مترقبة الى ورود مسألة عنه بانه ما وامع تيقنها بانه في الاخرة فيفيق الكلام
على وجه يوذن بان المقصود بالذكر اخراؤهم لا كونه يوم القيمة والتغيير اما للمقترين في حق القرآن الكريم او لهم ولمن مثلوا

بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصهم بما ياه السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تقبيحا وتوبيخا فهو الجواب
للاخراء اين شركائي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة فيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون
فيهم اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شانهم بانهم شركاء حقا حاين بتيتوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضار ما
للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب عينيتهم حقيقة حتى يعتذر بانه بجوز ان
يحال بينهم وبين عبدتهم حين يتفقدونها في ساعة علقوا بها الرجاء او بانهم للهالم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم
حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم يتصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا
ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الاحرج فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون
اي شاقوني على ان مشاقة الانبياء عليهم السلام والمؤمنين لا سيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين
اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد
فيجادلونهم ويكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به
وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه جريا على المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على راي من يرى اعمال المصدر المعذر باللام
او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل
ذلك في غرة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله وبايانه ورسله الذين تتوفاهم الملئكة بتانيث الفعل وقرئ
بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم ايهم لما فيها من الهول والوصول في
محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى
حين الموت دون من آمن منهم ولو في اخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم
اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب الخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا
فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وسوعطف على قوله تعالى ويقول اين
شركائي وما بينهما جملة اعترضية جيئ بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة
ويتبرؤن عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين كما
تصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين واما عبر عنه بالسوء اعترافا بكونه شيئا لا انكار الكونه كذلك مع الاعتراف
بصدوره عنهم وبجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه
اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم اذ عاد لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد
عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا
اولئك فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة
والمقاساة خالدين فيها ان ابد بالدخول حدوثه فاكال مقدرة وان ابد مطلقا الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين
اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعلية لثوائهم فيها والمخصوص بالذم
محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عالمين ذلك في اعتقادنا ورد بالمحي قطعا لان الكذب مما يزيده
الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين وصفوا
بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سكلوا في الجواب مسلك السؤال
من غير تلعثم ولا تغيير في العبارة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال بسكاكة ولطائف في نفس الامر معنونا واتما
لكثرة فانه خذلهم تعالى كما غير والاجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس لهم من وانع غيره واصورته وعدلوا بجماعة عن سنن السؤال
حيث رفعوا الاساطير ومما من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يعتمرون ايام الموسم من يانيهم بخبر النبي عليه السلام
فاذا جاء الوافد كفد المقتسمون واصروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شره فاذا رجعت الى قومي

دون استطلاع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين
احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة فيها ولنعم دار المتقين اي دار
الاخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مستانف مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احاديثهم ووعدهم بذلك
ثوابي الدنيا والاخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا او تفسير له اي انزل خيرا سوهذا الكلام ايجاما مع قالوه ترغيبا للتامل
جنات عدن خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم جنات وبجوز ان يكون سوالمخصوص بالمدح يدخلونها صفة جنات
على تقدير تنكير عدن وكذلك يجري من تحتها الانهار اوكلا ما حال على تقدير عليه لم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف
الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاختزاز
عن توهم تعلقه بالمشية اولما مر مرارا من ان تاخير احقه التقديم يوجب ترتب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
لذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي فيدخل فيه المتقون المذكورون
دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تخصيص للكثرة الذين تتوفاهم الملئكة نعت للمتقين وقوله
تعالى طيبين اي طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدة الايذان بان ملاك الامر في التقوى سوالطهارة عما ذكر الى وقت
توفيهم فيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على التحصيل وقيل فرحين طيبي النفوس بشارة الملئكة ايهم بالجنة او
طيبين بقبض ارواحهم لتوجد نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملئكة اي قائلين لهم سلام عليكم
قال القرظي اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عم فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقراء عليك السلام
وبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الموعود لذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم الحالي وقتئذ فان
ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لاوحول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول
نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي في التوفي
للحشر لان الامر بالدخول ح يتحقق هل ينظرون اي ما ينظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملئكة لقبض ارواحهم للعذاب
جهلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لانه يحقهم البشرة لحوق الامر المنتظر بل المشاهد لهم لاسبابه الموجبة له المؤدية
اليه فكانهم يقصدون اتيانه وتصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل اويانى امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعارا بان اتيانه لطف به عليه السلام وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيمة
لكن لا الان انتظارها بجامع انتظار اتيان الملئكة فلا يلائمه العطف بالواو ولا نخاليت نعتا في العناد اذ بجوز ان يعتبر منع
الخلو ويراد بايراد ما الكفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم
الاية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء
فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما يستاهل من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبايح الموجبة
لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة
ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبة مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من
حيث القدر وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان
ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بانقطاعه لا على
حذف المضاف فانه يوم ان لهم اعمالا غير سيئات وحاق بهم اي احاط بهم من حيق الذي هو احاطة الشر وسوابلغ من اصاب
وانقطع ما كانوا به يستهزؤن من العذاب وقال الذين اشركوا اي مثل مكة وسوبيان لغز اخر من كفرهم والعدول عن
الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ
اي لو شاء عدم عبادتنا لشئ غيره كما تقول لما عبدنا ذلك نحن ولا اباؤنا الذين نقتدبهم في ديننا ولا حرمنا من دونه
من شئ من السوائب والبحائر وغيرها واتما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة اما مستمكين بان
ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشا يمتنع فلو شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما يقوله الرسل

وينقلونه من حجة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعها وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حلله ورد وا رسله وجادلوهم بالباطل حين بهتوهم على الخطاء وصدوهم الى الحق فعل على الرسل الا الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا وموضحا وبانه طريق الحق وانظمها لاحكام الوحي الذي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى بهداية من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتقييد قولهم عليهم شاؤا او ابوا بحكمة مقتضية استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شئ حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لابد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالقاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها اجراء موجبها على الناس قسرا والجاء وايرادا كلمة على اللايذان بانهم في ذلك مأمورون وبان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبحمله ظهر ان جعل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلايم الجواب والله اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء وليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشية المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله بحوز ان يكون عبرة لما في البعث من معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حاصلا حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيئته تعالى بهما وتهم لله تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكناف ما كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير للايذان بانه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعليل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة على هداهم اي ان تطلب هداية نفوسهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة ولاشعار بعلة الحكم وبجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله ومولاه من جملتهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام الدال في الدال وبجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية ويدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد لا ان نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فنن اخر من اباطيلهم وهو انكارهم للبعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت والقدر دا تعالى عليهم البليغ رد بقوله تعالى بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه والمحذوف اي وعد ذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى لوعدا او نصب على المصدرية اي حق ذلك حقا

ولكن

ولكن اكثر الناس لجهلهم بشؤن الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال مما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيتبينون القول بعدمه او انه وعد عليه حتى فيكذبونه فالله لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت او للبشر او للمؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما وكيفا معاينتها بصورها الحقيقية الذي يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في خبر الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث المشار اليه باعتبار ورود في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يرد عليهم من المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث اذا كان لتبيين انه حق وبعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك ابعث لهم عن انكاره واداعي الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيق كما تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات اول على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو انجاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته تعالى وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يجيء بتخييف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاستدلال بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا استيناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على امكانه بعد التنبيه على امكانه ومنه يظهر كيفية فما كافة وقولنا مبتداء وقوله لشئ اي اي شئ كان خبره وان متعلق به على ان اللام للتبليغ كما في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شئ وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لانه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه نظم القول اي وقتا اردنا لوجوده ان نقول لكن خبر للمبتدا فيكون اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء ويسبب عليه الكلام اي فنقول له كن فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اي فاذا قلنا له ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه اتحاد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه الحضار قوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه احضار اسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر سواء كان الشامل للقول بالفعل ومن ضرورة احضاره في كلمة كن احضار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حسب تعلق مشيئته بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو اعلم في ذلك من طاعة المأمور المطيع للامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشئ عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون وللمعبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتامل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب فيكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر والذين هاجروا في الله اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم تلاهم الله تعالى بالمدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي مباءة حسنة كما قال قتادة وهو الاثاب بالمشهور من كون السورة غير ثمث ايات من اخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من استثنائها من صهيب وبلال وعمار وخباب وعامر بن فهيرة وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي

نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكى عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية
الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الآية في اصحاب البحيرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين البحيرتين وما جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة او لتنزلنهم في الدنيا منزلة المستثوى
وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة وللاجر الاخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الاخرة
اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تع لك فيه هذا ما وعدك
الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تع يجمع لهؤلاء المهاجرين خيري الدارين لما اختاروا عليهم
في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد اولما نالوا ما اصابهم من المهاجرة وشدايد ما الذين صبروا
على الشدايد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون
منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة
على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وموردة لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما مر مبنيي
قولهم لو شاء الله ما عبدنا الى اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم
بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تبيين الكفار على
خصوصه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسئلوا اهل الذكر اي اهل الكتاب اوعلماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم
ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى بالبينات والزبر
رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا نافيه نبوة عيسى ع وهو في المهد لانها اعم من الرسالة
واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا
عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا اخلاتحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي
ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك
بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوزه تاخر صلة ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للممتنع اي الا رجالا ملتبسين بالبينات
او نوحي على المفعولية او الحالية من القايم مقام فاعل يوحى وسوالهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض او بقوله لا تعلمون
على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت علمت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير و
تنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرايع وغير ذلك
من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل
في الفعلين لا سيما بعد ورود الثلاثي اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل
عليه دخل تحت القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة
الى ذلك اي ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقايق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب
افامن الذين مكروا السيئات ثم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من الايمان عليهم
الرضوان لا الذين احتالوا للاتاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لان المراد تحذيرهم لا وعن اصابة اولئك من فنون
العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصتت عنهم او مفعول به للفعل المذكور
على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات فعوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لها او المفعول
اي افامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينجذب عليه النظم
الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انبا والامم المهلكة بفنون العذاب وتتفكر وا في ذلك الم يتفكر
فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا
على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الفصلة اي مكر فامن الذين

مكروا

مكروا اويا تيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي
فيما سلف حاز نزل بالماكرين او ياخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين وفايتين بالهرب
والفرار على ما يومئ اليه التقلب والتسير والفاء اما للتعليل الاخذ والترتيب عدم الاعجاز عليه والدلالة على شدته وفظاعته جسما قال عليه السلام
ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايرادا لجملة الاسمية للدلالة على دوام المنفي لانفي الدوام او ياخذهم على تخوف اي مخافة
وحذر عن الهلاك والعذاب بان يراك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالة التقلب والتخوف مظنة
للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المبنية عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قايلهم
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان تنقصهم شيئا بعد شئ في نفسهم واموالهم حتى يهلكوا
والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله سبحانه على اعلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
ويمهلكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي لم ينظروا
ولم يروا متوجهين الى ما خلق الله من شئ اي من كل شئ يتفيؤ ظلاله اي ترجع شيئا فشيئا جسما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان
التفيؤ لا يقع الا في الفاءة وقرئ بتانيث الفعل عن اليمين والشمايل اي الم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمايلها
اي عن جانب كل واحد منها استعير لها ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تع وظلالهم بالغدو
والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشية الله سبحانه وتاتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغير ذلك مما غير ممتنعة عليه فيما لا يخرج
عن قوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايرادا لصيغة الخاصة بالعقلاء
للايذان بان الدخور من خصايصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها
فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدارات معينة من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والى ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تع ووصفها بالدخور مغن عن
وصف ظلالها به او كلا ما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها
بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والابنية لا ظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ
بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله تحركه بتحركه وقيل المراد باليمين والشمايل
يمين الفلك وسوجانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والتطوع وشماله وسوجانبه الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي وعند الزوال تبتدي من الغرب واقعة على الربع الشرقي منحطا وبعد
ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخور حالها سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود
المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اي لله تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشئ غيره استقلالا
او اشراكا فالقصر نظير القلب والافراد الاان الاسنب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يوذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع
بين البيان والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجدة لكل فرد من الدواب قال الاخفش سوكقولك
ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملئكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملئكة تعظيما وجلالا
او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد بالملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شانهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والجود له وتقديم الضمير للتنبيه على التقصير والجملة
اما حال من فاعل يسجد مسندا الى الملئكة او استيناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم وفيه تربية للمهابة
واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافون فوقهم بالقهر كقوله تع وسو القاهر فوق عباده
او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقريره لان من يخاف الله
سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا
للمفعول اجري على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه

ان الملئكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخصون الخضوع والانقياد الطبيعي
وما يجري مجراه من عبادة الملئكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه و
تعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله وتد يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان
بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه سوء الاشراك به لان المنهي عنه مطلق اتخاذ اثنين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان
اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عنه فيه دلالة على ان مساق
النهي الى الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية وانما من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات
من التكلم الى الغيبة على راي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك
الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر
الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله
ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف
لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا
لازما له لما تقرر انه الآله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي ولله الدين ذا الكلفة وقيل الدين الجزاء اي وله
الجزاء الدين بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينساق عليه السياق
اي اعقيب تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للتسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد
وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم
من اية نعمة فمن الله اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فاخر شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط
اي اي شئ يلابسكم ويصاحبكم من نعمة جليلة او حقيرة فهي من الله خلقا وايجادا ومن للتبعيض او للبيان
باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر
مساسا يسيرا فاليه تجارون تضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح
من صلوات الملیک طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ يجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ
عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام
الجنس المفيدة لمساس ادنى ما يتطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن تلبسها
للمخاطبين بباء المصاحبة وايرادها المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتنبيه على
تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر و
وقوع الكشف بعد برهة عديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجاة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه
اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبهما على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا ممن
للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة ممن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم وبجوز ان يكون ضميم
من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال
قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك
كفران النعمة وانكارها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ
بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك وبجوز ان يكون اللام
لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد مبني عن اخذ
شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداد الجنايا تهم
اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون
اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجماد ات التي تتخذ وتخاشر كاء لله سبحانه جهالة وسفها ويزعمون انها
تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف اولا لاعلم اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا
والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء
او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف وفي للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام
وغير مما تقربا اليها تالله لتسئلن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب
اليها وفع تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى
ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملئكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن
مقولهم فتولهم ذلك او تعجب من جرأتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه
مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون
لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه
اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويه وهو كظيم
مملوء غيظا وغيظا يتوارى اي يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوءه والتعبير عنها بالاسقاط عن درجة التعقل
ايمسكه اي متردد في امره فحذثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالواو والتذكير
باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عديم من الهون والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة
والولد وانى ان يتهم تجاسرون عند ويختارون لانفسهم البنين فداء لخطاياهم وجعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لاجعلهم البنين
لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه وبجوز ان يكون مداره التعكيس لقوله تعالى ذلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالاخرة
ممن ذكرت قبايحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار
الذكور للاستظهار بهم وواد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ولله
الوصول موضع الغير للاشعار بان ملابسا نقصهم بتلك القبايح هو الكفر بالاخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى
اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والتزاهة عن
صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه وتع عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز المقتدر بكمال القدرة لا يمنعه على مؤاخذتهم بذنوبهم
الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبايحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما تو
من القبايح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما
ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وعن ابي سريرة رضي الله عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يغير الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها
بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم ومن دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء لم يكن الابناء
فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن
لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كما يقتضيه الحال فاذا جاء اجلهم
المسمى لا يستاخرون عن ذلك الاجل اي لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة
قلة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجئ
الاجل مبالغة في بيان عدم الاستيخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له راسا قد نظم في سمط من
لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون له سبحانه و
ينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وسوتكرير ما سبق مثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف
السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى

عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع الكذوب على انه صفة الالسنة لاجرم
رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم مكان ما اتوا من الحسنى النار التي ليست وراءه عذاب اعذاب وهي علم
في السوء وانهم مفرطون اى مقدمون اليها من افرطته اى قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفه اذا خلفته
ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط
في المعاصي فلا يكونان حثا من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما ناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم
فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيمة على طريق حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار
والولي بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي
قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي سؤلاء منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولي امثالهم ولهم
في الاخرة عذاب اليم سوء عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اى القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم
العلل اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اى للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر والحكام
الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اى وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما اقتصر
لكونها اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما للتقدم في الوجود
وتخصيص كونهما مدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من جانب السماء
جسما مرة وهذا نكر برلما سبق تاكيد المنونة وتوطئتها لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء سوا المطر و
تقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات
بعد موتها اى بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا يشافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك
اى في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لاية واية آية والة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته
لقوم يسمعون هذا التذكير وتذكيره نظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واى
عبرة يحار في درکها العقول وتهيم في منهاها الباب نسقيكم استينافي لبيان ما ابهم اولا من العبرة اما في بطون
ابل بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال
كاباش واخلاق كما ان تانيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن
ليس جميعها اولها على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين مما بين فرث ودم لبنا
الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس ان
البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد بيان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب
صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما ينضجها فحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز
القوة المميزة تلك المائية بمقدار ما على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى وكان ما
على قدر غذائها للاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزايد اولا للاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب
ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغدية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدايع صنع
الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقاديرها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رافته ورحمته فمن الاولى تبعيضية
لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث جسما

فصل

فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدا والاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول
لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التاخير يثير للنفس شوقا الى المؤخر موجبا للفضل ممكنة عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم منفيا
لوصف يناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يرى اثر اثارا ما فان ذلك
مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى والذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه للتنكير و
للتشبيه على انه صوفح العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف يبرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن
بقاء احدهما عليه مع كونهما مختلطين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يقص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد
وبالتخفيف مثل ميت وميت ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الطعام المنتظم لاعلاه
المطعوم والمشروب فانا اللبن مطعوم كما انه مشروب واي ونظمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اى من عصيرهما وقوله تعالى
تتخذون منه سكرا استينافي لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف
صفته تتخذون او ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصول اذا كان في الكلام كلمة من شايع نحو
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف او عنى العصير ولان المراد به الجنس
والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والاية ان
كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدلالة على كراهتها والا فجامعة بين العقاب والمنة ان في ذلك لاية باهرة
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها
وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لما في
الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز
من الجبال بيوتا اى وكارا مما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اى يعرشه الناس
اى يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر
اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل عرش
ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوا ومرا فاسلكي ما كلت منها سبل ربك
اى مسالكه التي برأيك بحيث يحيل فيها بقدرة القاهرة النور المرعلا من اجوافك او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك
لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اى مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك
او من الضمير في اسلكي اى اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر
منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اى عسل لانه مشروب واحتج به
وبقوله تعالى ثم كلي من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيؤه ادخارا للشتاء و
من زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا
اجتمع فيها شئ كثير يكون عسلا فسر البطون بالافراد مختلف الوانه ابيض واسود واحمر واصفر حسب اختلاف سن
النحل او الفصل او الذي اخذت العسل فيه شفاء للناس انا بقفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في
سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة
ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم
رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ
كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران اولما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رفعه العسل شفاء لكل
داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقران ان في ذلك الذي ذكر من اعاجيب الامر
قدرة الله تعالى لاية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات دقيقة وادوات

انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله واذ قال لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما يقتضيه مشيئة المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبابا وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اى يعاد الى ارذل العمر اى اخسته واحقره وهي خمس وسبعون سنة على ما روى عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضه وقيل خمس وتسعون واثبات الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوء حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشئ وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقاديراعماركم قدير على كل شئ يميت الثابة النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس بتقدير قادر حكيم ركبا بينهم وعدل اخر جنهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اى جعلكم متفاوتين فيه غاية منه افضل مما اعطى ما اليكم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذين رزقهم اياه على ملكت ايمانهم على ما اليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اى الملاك والمماليك فيه اى في الرزق سواء اى لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اى لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا لحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شئ لا يختص بهم بل يعمهم وايا هم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تعريبا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم شركاء فيما آتيناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى اشركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذا الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اى ايشركون به فيجحدون نعمة وقرئ تجحدون على الخطاب وليس الموالي براد ي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما سوى رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على تعليم الموذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيما ووافى ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلو هم ايشكرون ام يكفرون الا يرون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون والمعنوم مما تطعمون فمن يرث عبده بعد ذلك الا ورداوه ردا وه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اى من جنسكم ازواجا لتسوابها وتقيموا بذلك جمع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل سوخلق حواء من ضلع ادم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع الضمير للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازدواج سوالتولد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول الفائت واليك نسعى ونحفد اى جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل البنون لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتاخير المنصوب في الموضعين على

المجرور

المجرور لما قرر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق و تقوية له اى جعل لمصلحتكم مما ينا سبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الاخرة افبالباطل يؤمنون وبنعمة الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اى يكفرون بالله الذي شانه هذا فيؤمنون بالباطل او بعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وتعمة الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر وعما لا يحيط به دائرة البيان ثم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص حيا لغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجابه حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اى يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اى ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما لمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اى كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا للا يملك اى لا يملك رزقا شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للاكمة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اى لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشئون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اى لا تشبهوا بشانه تعالى شانا من الشئون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرة نوح وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اى انه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم ونفوا في مواقف الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من محاوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اى ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالة العارضة له من المملوكية والعجز التام وجعلها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لا شتراكهما في كونهما عبدالله سبحانه وقد اوجح فيان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا تم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اى رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حال ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعال رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو يحقق منه تفضيلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق فانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اى حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق

جهرا والاشارة الى استحقاق نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن
تطبيق القرينتين بان يقال وحرانا كالاموال مع كونه اول على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق
بان الاحرار ايضا تحت رتبة عبودية سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه
من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين المثلين فان
العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فحاظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين بل ليستوون جمع الضمير
للايذان بان المراد بما ذكر من اتصاف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فرد ان مبنيتان منهما اى هل
يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه
وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان
فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اى كله له لانه مولى جميع
النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على يدى بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من
ان ما يظهر على يد من يتفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما نطق به قوله تعالى رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فينفقون
نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفى العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعلمون بموجبه عنادا
كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اى مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق
على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لينتظر النفس الى وروده وتتشوقه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فضل
رجلين احدهما ابكم وهو ولد اخرس لا يقدر على شئ من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة
لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على
اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شئ مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اى حيث يرسله مولاه في امر من امريان
لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي
من التوجه لايات بخير نجح وكفاية مهم البتة على يستوى هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل
اى من هو مطيق لفهم ذوى راى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لجامع الفضائل وهو في نفسه مع
ما ذكر من نفعه التام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بحذين الوصفين لانهما
فحاق ما يقابلها فان محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المامورية ومحصل هذين استحقاق كمال الآمرية المتبع
لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو
المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد
انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بحال الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما
كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين
حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اى الامور
الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليها التعلق
بها اما باعتبار الوقوع فيها حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلها والمراد بيان الاختصاص ح. لكا من حيث
المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر
وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة اليه تعالى وكذلك لم يقل ولله علم
غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المحاورة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث ظهورها
عن اهلهما او ظهور اثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان اتيانها
من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اى ما شانها في سرعة المجئ الا كلمح البصر اى كرجع الطرف من اعلى الحدقة
الى اسفلها او هو اى بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض زمانه فان ذلك

وان قصر حركة ابنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في ان غير
مقتصر من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشئ الذي يستقر به ويقال كلمح البصر او هو اقرب وايا ما كان
فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شئ قدير ومن جملة الاشياء
ان يجئ بها اسرع مما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه
وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها
من قبيل المايخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما قرر من الوجهان ان الله
على كل شئ قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه مخصوصه
غائب عن اصلها فوضع الساعة موضع الضمير للتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله
تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى وانزل من السماء ماء وقوله تعالى والله
خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في
ابراق من اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال اتهتي خندق واليأس الى لا تعلمون شيئا في موقع الحال اى
غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تاخر المجعل المذكور
من الاخراج لما ان مدلول الواو مجرد الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك المجعل لا يظهر قبل الاخراج اى جعل لكم هذه
الاشياء الآلات تحتالون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها باقئدتكم وتشبهوا ما بينها
من المشاركات والمباينات بتكرر الاحاسيس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة
جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من القدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم
الجار على المنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بكون المحصول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده
عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا انعمه عليكم طورا عقب طور فتشكرون وتقديم السمع على البصر لما انه طريق
تلقي الوحي اولان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء
الى الطير جمع طائر اى الم ينظروا اليها مسخرات حال من الطير اى مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة
له وفيه مبالغة من حيثان معنى التسخير جعل الشئ منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك و
الدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء
اى في الهواء المتباعد من الارض والسحاب واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لان في جانبها من الناظر
ولانظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوعهن الا الله عز وجل بقدرته
الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها و
سواء حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستأنف ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران
بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث
اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها بحرق ما تحتها من الهواء الرقيق العوام وتخرق ما بين يديها من
الهواء لانها تلاقيه بحجم كبير لايات ظاهرة لقوم يؤمنون اى من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك
بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على اخرجكم وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما
مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى من بيوتكم
اى من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق
سكنا فعل بمعنى مفعول اى موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من عيزان تنتقل من مكانه
اى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اى بيوتا آخر مغايرة

بيوتكم المعهودة من الخيام والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها بجدونها خفيفة سهلة الماخذ يوم ظعنكم
وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في المنزل والبناء ومن
اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التوزيع اى وجعل لكم من
اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اى متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث متاعا
اى شيئا يتمتع به يقتنون التمتع الى حين اى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى وينفنى فانه في معرض البلى والفناء
وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا
اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل
لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والتروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل
كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وسوكل ما يلبس اى جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف و
غيرها تقيكم البرد خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر اولان وقايته ايى الاهم عندهم لما قرآنفا و
سرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم اى الباس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن
ولقد من الله علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدا وبما يخص المقيمين حيث قال والله جعل
من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام
الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يؤيه الا الضلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لابد منه لاحد
حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال كذلك اى مثل ذلك
الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى ارادة ان تظفروا فيما اسيغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة
والانفسية والافاقية فتعرفوا حق منعمها فتوحدوه وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد
النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شئ قليل وقرئ تسلمون اى تسلمون
من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وقصر
الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اى فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم
من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اى فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ
الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله
استيناف ببيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم
يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غيره منعمها او بقولهم انها شفاعة
آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمخايل كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها
عنادا ومعنى ثم استبعادا لانكارهم بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة
والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا
فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم الكافرون اى المنكرون بقلوبهم
غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر الموذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث
الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا النقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه
لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان
وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار
المبني على الاقناط الكلي وسوء عذابا يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء
عليهم السلام عليهم والهم ولا هم يستعتبون يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار
العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكروا خوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم مما يوصف وكذا

قوله ثم واذا راى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبه ظلمهم وسوء عذابه بعضهم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اى
يمهلون كقوله تعالى تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم
الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعو من دونك اى نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله
سبحانه فالقوا اى شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص
عن غائلة مضمونه والا فاكذب نفوسهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان
عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملئكة وهم بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين
بعبادتهم لانحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين
بعبادتهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدنا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اى الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم
الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اى ضاع وبطل ما كانوا يفترون
من ان الله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في
انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي
كانوا يستحقونه بكفرهم قيل فوق زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن فيجد حمها
حمار بعين خرنيا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون
متعلق بقوله زدناهم اى زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وسوء العهد المذكور ويوم نبعث كرر لما سبق تشويقا
للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اى نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لعذرهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان
شهادة انبيائهم عليهم الما تكون بحضرتهم وجئنا بك اشارة لفظية الى مجيئه على البعث بكمال العناية بشانه عليه السلام
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل
امة شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف والمراد به يوم القيمة فزلنا عليك الكتاب القرآن الكامل في
الحقيقة بان يخص به اسم الجنس وموالما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شئ يتعلق بامور
الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته
ما اخبر به في الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم وهم والتبيان كالتلقاء في كسر اوله
وكونه تبيانا لكل شئ من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع
النبي عليه السلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهد واوقاسوا وقضوا طرق الاجتهاد
مكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا
فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد اى من قولك فلان ظلم العبد
وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون
باثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين بذلك ان الله يامر الى فيما نزله تبيانا لكل شئ وهدى وبشرى واتيا بصيغة الاستقبال فيه وفيما بعد للافادة
التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو راس الفضائل كلها يندرج
تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية
من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور
والجبن ومن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسطة بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو

التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العلية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اى الاتيان بما امر به على الوجه
الاليق وسواء بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فانه لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى اى اعطاء الاقارب مايحتاجون اليه
وسوى تخصيص اثر تعميم ايتاما بانه وينهى عن الفحشاء الافراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنا مثلا
والمنكر ماينكر شرعا او عقلا من الافراط فى اظهار آثار القوة الغضبية والبغى الاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم وسومن اثار القوة الوهمية الشيطانية التى ما حاصله من رذيلتى القوتين المذكورتين
الشهوية والغضبية وليس فى البشر شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر عند بواسطة هذه القوى الثلث و
لذلك قال ابن مسعود رضى جامع آية فى القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت فى
كونها بيانا لكل شئ وهدى يعظكم بما يامر وينهى وسواما استيناف واما حال من الضميرين فى الفعلين
لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله سو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها
مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اى حافظوا على عهود
ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام ولا تنقضوا الايمان التى تحلفون بها عند المعاهدة بعد
توكيد بها حسما سو المعهود فى اثناء العهود على ان يكون النهى مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان
والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تفعلون من النقض كالتى نقضت غزلها اى غزلته مصدر
بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اى كالمراة التى نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا
طاقات نكثت فتلها جمع كنث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت
والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل من الحمقاء المعتوهة قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة عما قدر لها فكانت تغزل هى وجواريها من
الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى لا تكونوا او فى الجار
والمجرور الواقع موقع الخبر اى متشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم و
اصل الدخل ما يدخل الشئ وليس منه ان تكون امة اى بان تكون جماعة هى ازلى اى ازيد عددا واوفر مالا
من امة من جماعة اخرى اى لاتقدروا بالقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة هذا بنديهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا
اذا رأوا شركة فى عادى خلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اى بان يكون امة
اربى من امة اى يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام
امر تعتبرون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم
فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة
متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله اى يخلق
فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئى اليه ويهدى من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن
جميعا يوم القيمة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهى عنه بعد التلقين تاكيدا ومبالغة فى بيان قبح المنهى
عنه وتمهيد لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها وسوغها فيها بالايمان وافراد
القدم وتنكيرها للايذان بان ذلك قدم واحدة اى قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم كئيف باقدام كثيرة
وتذوقوا السوء اى العذاب الدنيوى بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذى
ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جبل ذلك سنة لغيره ولكم فى الاخرة عذاب

عظيم ولا تشتروا بعهد الله اى لا تاخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله عليه السلام او آياته الناطقة بايجاب المحافظة
على العهود والايمان ثمنا قليلا اى لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وسواما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين و
يشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا ان ما عند الله عز وجل من النصر والتنعيم والثواب الاخروى سو
خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اى كنتم من اهل العلم والتمييز وسو تعليل للنهى على طريقة التحقيق كما ان قوله
تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اى ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا
يتفد وان جم عدده وينقض وان طال امره وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا تفاد
له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات
الصالحات وفى ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام مالا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على
طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله سو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل
على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون
للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اى والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق
الاسلام التى من جملتها النوفا بالعهود والفقر وقرئ بالياء من التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اى لنعطينهم
اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما نوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اى لنجزينهم بما كانوا يعملونه من
هذا القبيل لا انا نعطى الاجر بحسب افرادها المتفاوتة فى مراتب الحسن بان نجزى الحسن منها بالاجر الاحسن والاحسن بالاحسن
وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم فى تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظم فى سلك الصبر الجميل
اولنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا
كالمحرمات والمكروهات فدلالة على ان ذلك مدار الجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعد
مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب فى تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم
عن مدارية الجزاء من قبيل تجرير الرحمة الواسعة فى مقام توسيع حماها من عمل صالحا اى عملا صالحا اى عمل كان
وهذا شروع فى تحريض كافة المومنين على كل عمل صالح عقب ترغيب طائفة منهم فى الثبات على ما هم عليه من عمل صالح
مخصوص وفعا لتوسم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعلمهم المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة فى بيان
شمول للكل وهو مومن قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه فى سلك الصلة لافادة وجوب
دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان
كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالقيام يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله الخالص
الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه ولنجزينهم
فى الاخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون جسما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع فى الضمائر العائدة
الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ واشعار ذلك على العكس للايذان بوقوع
الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما فى حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم
للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء المذكور صوصلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشادى الامر بتحسين
العمل وتخليص عن شوب الفساد فقيل فاذا قرات القران اى اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريق
اطلاق اسم المسبب ايذانا بان المراد من الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسئله عز وجاره ان يعيذك

من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له حيلة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءته القرآن
من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند اراءته تعالى للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي سائر الاعمال الصالحة اهم
فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام
فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وعند عطاء للوجوب وبه اخذ جمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ
عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلعم
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عم
عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا و
على ربهم يتوكلون اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم
ودعوته غير مستجابة عندهم واختيار صيغة المضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقيق كما ان اختيار صيغة الاستقبال
في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل
بالاستعاذة او الجواب المنوي اي يعذك او نحوه انما سلطانه اي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا
سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف من الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقصور
بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون اي بسبب الشيطان مشركون او هو الذي حملهم على الاشراك
بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم عقب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى
وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى يتسلط في سلك من يتولى الشيطان
من حيث لا يحتسب او به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله واثبار الجملة الفعلية الآتية
في القصلة الاولى لامر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات والتكرير
الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت
سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة القصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يأتي بإذن الله من التوكل
على الله تعالى ولزوم الترتب السابق لا تفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا اية مكان اية اي واذا رفعنا
اية من القرآن مكان اية نسخناها بدلا منها بان نسخنا ما نجا والله اعلم بما ينزل اولا واخرا او بان كلا من ذلك
ما نزلت حيثما نزلت الا بسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى آخر مكم من مصلحة في وقت تنقلب في
وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرايع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد
تدور حيثما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد
الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف
من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي مختلق على الله تعالى ما امرك به ثم بيد
لك فتسلى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزعات الشيطان وانه لتمهيم
بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكمة بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر
لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالاية روح القدس يعني جبريل
عم اي الروح المطهر من الاذناس البشرية واضافة الروح الى القدس وسو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل
حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في
الانزال مما يقتضيه الحكم البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره عليه السلام من الدلالة على تحقيق افاضته
آثار الربوبية عليه السلام ما ليس في اضافة الى يا والمكلم المبنية على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت

للموافق لحكمة المقتضية لبحيث لا يفارقها انشاء وتخاء وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه
كلام الله تعالى فانهم اذا سمعوا النسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وقوي
يثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم
من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريق البتات مع ظهور انه نزله روح القدس عليه السلام وتخليه
الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجددي في متعلقه
فانهم مستمرون على نفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام خويطب بن عبد
العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه اوخل في ظهور
كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس نسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه متهما
معدا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه يميلون الالحاد الاماله من الحد القبر اذا اماله حفره عن الاستقامة
فحرفي شق منه ثم استعير لكل اماله عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغته الرجل الذي يميلون
اليه القول من الاستقامة اعجمي غير بين وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان
عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بمعناه فان زعمتم
ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه
الخرافات الوكيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي لا يصدقون انها من عند الله
بل يقولون فيها ما يقولون يستوفها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل
النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب اليم وهذا
تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر
بعد ما مالة شبهتهم ورد لطعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله رد لقولهم انما انت
مفتر وقلب للام عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رد تحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط
بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري سواء الذي كذب
بايات الله ويقول انه افتراه ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور سواء افتراه على الحقيقة لان حقيقة الكذب
والحكم بان ما سوى كلامه تعالى ليس بكلامه تع في كونه كذبا وافتراء كالحكم بانه ليس بكلامه تعالى والتصريح بالكذب
للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى
انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بايات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها و
يخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان
بايات الله هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آيات الله تعالى والطعن فيها بامثال
هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب السابق الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر
بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تع في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المبني
عنه معا والذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر
من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وسواء ابتداء كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعد ما
آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف دل عليه الجزء
الآتي عليه او موجبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه
وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب والذم لان الكفر لغة تم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه

مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل سوا الكفر الواقع بالاكراه لانفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان
للاكراه لايجدى نفعا وانما المجدى مقارنة للكفر الواقع به اى الامن كفر باكراه اوالامن اكره فكفر والحال ان قلبه
مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدة وانما لم يعرج به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق
بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل شرح بالكفر صدرا اى اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب
عظيم لايكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ الجرم
اعظم من جرمهم والجمع فى الفريقين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فى المستكن فى الصلة لمراعاة جانب
اللفظ روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين وفجى
بحربة فى قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وعما اول قتيلين فى الاسلام واما عمار
فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فشكا ذلك الى رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال له ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه
اللجئ وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروى ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول فى محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول فى قال فانت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول
فى محمد عليه السلام قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد ثلثا فاعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الثانى فقد صدع بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان اولى
الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على الاخرة وان الله لايهدى الى الايمان
والى مايوجب اثباته عليه هداية قسر والجاء القوم الكافرين فى علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ ومايؤدى اليه من الغضب
والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثارا لحيوة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية
قسرية بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثانى مخالف للحكمة والاول مما لا
يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة اذ
لاغفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لاجرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها
الى مالايفضى الا الى عذاب الخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رض اى لهم بالولاية
والنصرة عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا والاولى الخبر الاتى
عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم من عن
رتبة حالهم التى يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لاعن رتبة حال الكفرة
من بعد ما فتنوا اى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل
اى عذبوا المؤمنين كالحضرمى كان مولاه يجبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا فى سبيل الله وصبروا
على مشاق الجهاد ان ربك من بعد ما من بعد المهاجرة والجهاد والصبر لغفور فنوصرح بما اشعر به بناء الحكم على
الموصول من علية الصلة له اومن بعد الفتنة المذكورة فتوليبان عدم اخلال ذلك بالحكيم لغفور بما فعلوا من
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفى التعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين ايماء الى علة الحكم
وفى اضافة الرب الى ضميره عليه السلام مع ظهور الامر فى الطائفة المذكورة اظهار كمال اللطف به عليه السلام
واشعارا بان افاضة انوار الربوبية عليهم من للغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا له يوم تاتى كل
نفس منصوب برحيم وما عطف عليه او باذكر ويوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين يجادل عن
نفسها عن ذاتها تسعى فى خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها تقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس

اى تقطع وافيا كاملا ما عملت اى جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية
والاعمال واثبارا الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتى المجادلة والتوفية وان كانا فى يوم
واحد وهم لايظلمون لاينقصون اجورهم اولا يعاقبون بغير موجب ولا يزادون فى عقابهم على ذنوبهم وضرب الله
مثلا قرية قبل مثل مصدر بمعنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثانى بينها وبين صفتها ومايرجع
عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تاخيرها حقه التقديم مما يورث النفس توقيا لوروده
وتشوقا اليه لاسيما اذا كان فى المقدم مايدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل لتمكن
المتاخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة فى الغابرين واما مقدرة اى جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا
كانت امنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لايزعج اهلها مزعج يأتيها رزقها اقوات اهلها صفة ثانية
للقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى للايذان باتيان رزقها متجددا وكونها امنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا
من كل مكان من نواحيها فكفرت اى كفر اهلها بانعم الله اى بجنس جميع نعمة حتى ترك الاعتداد بانائه وكدرع
واذرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق من المطعم واشبارجمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث
اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اى اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر
الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم بالليباس الغاشى للابس فاستعير لاسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق
الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها الشيوع استعمالها
فى ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فان الغرمع كونه فى الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال فى الموصوف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة
فصارت اضافته الى الرداء المستعار للموصوف مجردا وشبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم
تارة بالليباس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيها معقولا بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية
واخرى بطعم المر والبشع الملايم للجوع الناشئ من فقد الوزق بجامع الكراهة فاوقع اليه بان اوقع عليه الاذاقة
المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكى اللامسة والذائقة وتقديم الجوع
الناشئ مما ذكر من فقدان الوزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الوزق لكونه انسب
بالاذاقة اولمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الوزق وقد قوئ بتقديم الخوف وتنصيبهما عطفا على المضاف او الاضافة
له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران
المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفى
صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة المثل جئ بها
لبيان ان ما فعلوه من كفران النعمة لم يكن مراحة منهم لمقتضية العقل فقط بل كان ذلك مع معارضة لحجة الله على الخلق ايضا
اى ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اى من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم
سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه فى رسالته اوفيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان
بغاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستاصل لشافتهم عما ذا قوا بنذرة من ذلك وهم ظالمون
اى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذا قوا من مقدماته
الزاجرة عنه وفيه دلالة على تمادیهم فى الكفر والعناد وتجاوزهم فى ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب
الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال
اهل مكة سواء ضرب المثل لهم اولمن سار سيرتهم كائنة ما كانت حذاء حال اهل تلك القرية خذ والقذة بالقذة من غير تفاوت

بينهما ولو في خصلة قذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر بيالهم طيف من الخوف وكانت
يجبى اليه ثمرات كل شئ ولقد جاءهم رسول منهم والتي رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول ما اختلف الدبور والقبول
فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم
اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شئ حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب
الميتة والعظام المحرقة والفلاذ وسواليوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وغيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو
الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم
لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر منهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم
من الجدب ووقعة بدر بمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدد
لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من
الثيابا والتي اولا وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم
واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله عليه السلام في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا
ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى
داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا عند اكلها
حلالا طيبا وقد اوجز في النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المتأصل متوقعا بعد
وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع ممن ذي الذي يحذر ومن ذي الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى
فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه المقتضى لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه
خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال كلوا
انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنايم مما يليق بشان التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون
او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به تعليل الحل بما مر هم بأكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر ونحوها
ومن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا عاد
اي متجاوز قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فانتم بسببه مقامه وفي التعرض لوصف
الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام ولتصدير الجملة بانما الحصر
المحرمات في الاجناس الاربعة الماضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
باسوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يلقى اليكم السلام لست
امومات اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهايم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي اوقياس
مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على
ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا من المستتر
اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية
اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا بمجرد وصف السنتكم الكذب و
تصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها في المسامع كان السنتهم لكونها منشأ للكذب ومبتعا للزور تخص
عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة
بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع ما دخولها كانه قيل لوصفها

الكذب

الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى كذب والمراد بوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة
للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني لتفتروا على الله
الكذب متعلق بلا تقولوا على ان لام الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة استناد والتعليل والتحريم الى الله سبحانه من ان يكون
ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بما لهم التهم
اريكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة و
لهم في الاخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والاخرين حرمنا
ما قصصنا عليك اي بقوله وقع حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وتحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا
يقولون لنا اول من حرمت عليه وما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم
بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احللت لهم الاية ولقد القيهم الجحود قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه من قبل
ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا
التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا او توبيخا وفيه تنبيه على الفرق
بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي بسبب جهالة او ملتبسين بها لعيهم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والنزوة بهم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد
ما عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان
ربك من بعد تلك التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيبه على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك
لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور
الامر في التبيين للايماء الى ان افاضة انوار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه
كما اشير اليه فيما مر ان ابرهيم كان امة على حياله الخ بيان لفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة
حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وسوس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جاول اهل الشرك
والفهم الجم بينا باهرة لا يتقى ولا تذر وابطل لمذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الرائقة اولا انه عليه السلام
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل سمي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امة اذا قصده او اقتدى به
فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايرادة ذكره عليه السلام عقيب تعيير
مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك
وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا قائما بامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل
عنه بحال ولم يك من المشركين في امر من امورهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لاردا على كفار قريش فقط
في قولهم نحن على ملة ابينا ابرهيم بل عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله في اثرائهم واد عائهم انه دم
كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة
للايذان بانه عليه السلام كان لا يخل بالشكر النعمة القليلة تكيف بالكثير والتصريح بكونه دم على خلاف ما هم عليه من الكفران
بانعم الله جسما بين ذلك بقرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل الى سعادة وسوملة
الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اصطفائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء
واتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قالبة حتى انه ليس من اهل دين
الا وهم يتولونه وقيل سمي الخلة والنبوة وقيل للصلاة منا كما صليت على ابرهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء

بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله واجعلني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو
رتبتك ان اتبع ملة ابرهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من اطلت الكتاب اذا املته
وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيق ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤدّيه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما
الى من يقعد دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه
ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرايع دون احاد ها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط
المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لا ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل
رايت وجه هند قائمة والامور به الاتباع في الاصول دون الشرايع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في
الرتبة للايذان بان ان النعم اجل النعم الفائضة عليهم وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لبعده
عليه السلام عما عليه من عقد وعمل وقوله تعالى انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد
فيه بتحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا
حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابرهيم عليه السلام كان محافظا عليه الى ان نسب
السبت من شرايع ابرهيم وشرايع ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه وبين بعض المشركين علاقة في الجملة
وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة
الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بالكلمة
على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتحتمه للتشديد والابتلاء
المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع اثارا له على امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار
شمول العلة لطرفي الاختلاف وعموم العائلة للفريقين بل باعتبار حال منشاء الاختلاف من الطرف المخالف للحق
وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه
وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرفة منهم وقد رضوا بالجمعة
فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون و
اعتابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين
الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل
فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة
الى ما سيقع في الآخرة شئ لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امرالله
سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد
به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى
ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور
بين حكاية امر النبي عليه السلام باتباع ملة ابرهيم ع وبين امره عليه السلام بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر و
الحائك في قاعل ادع اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم ليطع و
يمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود
الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابرهيم
عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ النبي الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافته
اليه الى ضميره عليه السلام في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة

على اظهار اللطف والايماء الى وجه بناء الحكم بالايقاف بالحكمة اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح
للشبهة والموعظة الحسنة اي المطالبات المقنعة والعبر التي فعد عن وجد الايقاف عليها كما تناصحهم وتقصدا بما ينفعهم
فالاولى لدعوة خواص الائمة الطالبين للتحقيق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد
فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر معاندهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة
والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الاسهل واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لتشغيبهم واطفاء لتعصبهم
كما فعل الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول
الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى
والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب
استعداده الكليت وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من غير جبلي فاشرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة
فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية
او الضلال والمجازاة عليها فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يقع على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه
وتقديم الضالين لان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث للاشعار بتغير فطرة الله التي
فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة
والجريان على موجب الدعوة ولذلك جئ به على صيغة الاسم المبني عن الثبات وكرر هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين
حال المعاوين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عليه السلام فيما يختص من شان الدعوة بما امره به من
الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريقة
قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على
طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب كما مر ان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يتسم
من غير تجاوز حدين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك
كيف لا وهي موجبة لشرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معبودة فاضية عليهم بفساد ما ألفوه
وما يزاولون وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة
والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه ص لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم احد قد مثل به قال لان اظفر
الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عاقبتم فعاقبوا اي وان تعاقبتم فعاقبوا
بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثل من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله
وان عاقبتم حثا على العفو ترغيبا وقد صرح به على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل هو
اي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر اه وصفا لهم بصفة تحصل لهم
عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم دخولا اوليا ثم امر عليه السلام صبرا بما ندب اليه غيره ترغيبا من الصبر للتاسي بعزايم الامور لزيادة علمه
بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاقبت
من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصاحبا بشئ
من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه والتوسل اليه بجامع الهمة وفيه من تسلية عليه السلام وتهوين
مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بتمشية المشية على حكم بالغة مستتبعة للعواقب حميدة فالتسلية من حيث
اشتماله على غايات جميلة وفضل الا بتوفيقه ومعونته فنهوض من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اي على
الكافرين بتوقع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو قولك تأسى على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما
فعل بهم والاول هو الاليق بجلالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل

ان لا يكون في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هان اى في امر ضيق مما يمكرون اى من مكرهم
بك فيما يستقبل فالاول نهى عن التمام بمطلوب من قبلهم غاية والثاني عن التمام بمحذور من جهتهم آلت والنهي عنهما
مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المامور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية
والاشعار بان الحزن بسبب توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه منتزها عن كل ما سواه من الشواغل شئ من مطلوب فينتهي عن
الحزن بفواته او محذور يكيف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد
بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة
مع من متبوعية المتقين اغناء من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين
ونظائرها كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن
كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وسو التقوى المختتم المور
لولاية تلي المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين
تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يحزنوا بما لهم شئ من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته
او الخوف من وقوعه وسو المعنى بما به الصبر المامور به حسبما اشير اليه وبتحصيل التقريب وتتميم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر
ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والاخذ التوقي عن المعاصي لا يكون مدار الشئ من العزائم
المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفيه واخامدان المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا واغاما اوثر
ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اهل النعوت الجليلة كما ان قوله تعالى والذين
هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وقرنيته على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق سوحسنها الوسمي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكريرا الموصول للايذان بكفاية كل
من الصلتين في ولاية سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاولى مغلبة للدلالة على الحدوث كما
ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها ثابتة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على
التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وسو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما سو عليه السلام
ومن شايعه جبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلتين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء
الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر تكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الرئيس
عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يومه او ليلته كان له من الاجر كالذي

مات وحسن اوصيته والحمد لله وحده والصلوة على رسوله وآله اجمعين

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان علم للرجل وحيث كان للتسمي معنى لا عينا وجنسا لا تخصالم نكن ايضا
من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم الحي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره سبح الله سبحان الخ وفيه مالا يخفى من الدلالة على التنزه
البليغ من حيث الاشتقاق من التسبيح الذي سو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى ومن جهة النقل
الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة وسو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه
مقام المصدر مع الفعل وقيل سو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة
تامة بين المخوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى

وقوله

وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء ولالة على البعضية من حيث
الافراد فان قولك سريت ليلا كما يفيد بعضية زمان السير من الليالي يفيد بعضية من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سريت
الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اى بعضه واثار لفظ العبد للايذان
بتحقيقه وتمام في عباده بسبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات التي حسبما يتوجه مبدا الاسراء ومنتهاه
واضافة التنزيه الى التنزه الى الموصول الذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ
حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبداء الاسراء فقيل سو المسجد الحرام بعينه وسو الظاهر
فانه روي عنه عليه السلام انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام
بالبراق وقيل سو دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به اولان الحرم كله
مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان عليه السلام كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فكان ماكان فقصه عليها
فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه
ابو جهل فاخبر عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده
على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت
المقدس فطفق ينظر اليه ونيعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالهم
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فجروا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله
الشمس قد اشرفت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا فانهم الله الذي يؤفكون
واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضه ولحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه كان في المنام
في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعد ما واختلف
ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج
بروحه وعن معوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب
فان الروحاني ليس مما يستبعد والاستنكار وخرق العادة بعض المثابة ولذلك تعجب منه قريش واحالوه ولا استحالة
فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة وثيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها
الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاونة حركة فلكها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي
من جملتها الحركة والله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في
جسد النبي عليه السلام وفيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اى بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ
مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي و
مستبعد الانبياء وعليهم السلام لتربية غاية الاسراء من ايانا العظيمة التي من جملتها ما به في برهة من الليل مسيرة شهر
ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس ومثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم
السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات وقرئ ليريه بالياء انه سو السميع لاقواله عليه السلام بلا اذن البصير
بافعاله بالبصر حسبما يؤذن به القصر فيكرر مدلوله تقريبا يجب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لكرامته وتشريفه
والا فلا حاجة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة وآتينا موسى
الكتاب اى التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في
المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي عليه السلام الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء
الى قبول السامعين اى اتيناه التوراة بعد ما اسرينا به الى الطور وجعلناه اى ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل
يهتدون بما في مطاويه ان لا تتخذوا على اى لا تتخذوا فحذفت ان ونصبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى

وقوله

آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا تتخذوا من دوني وكيلا اى ربا تتكلون اليه اموركم والافراد لان فعيلا مفرد في اللفظ
جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهى والمراد تاكيد الحمل على التوحيد بتذكير
انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولى لاتتخذوا على قراءة التاء ومن
دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف او
بدل من واو لاتتخذوا وابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما سند سب بعض النحاة ودة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اى ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة تشكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء
به وزجر لهم عن الشرك الذى هو اعظم مراتب الكفران وقيل الخبر لوسى رم وقضينا اى تمنا واحكمنا منزلين الى بنى اسرائيل
او موحين اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن
مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولا مما فالقه حكم التوراة وقتل شعيا رم وحبس ارميا حين انذرهم خطأ الله تعالى
والثانية قتل زكريا ويحيى وقتل عيسى رم ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم
والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اولاهما اى اولى كرتى الافساد اى حان وقت طلوعها
العقاب الموعود بعثنا عليكم لتؤاخذكم بخياناتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولى بأس شديد ذى قوة وبطش في
الحروب هم بجاريب من اهل بيتوى وجيزوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اى تردد والطلبكم بالقتل
وقرئ بالجاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا حلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ حلل الديار فضلوا علما رهم
وكبارهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مجازت به
السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لامحالة بحيث لاصارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة
عليهم على الذين فعلوا بكم بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل سى قتل بخت نصر واستفاد
بنى اسرائيل لسارا هم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب
التى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فردا سارا هم الى الشام وملك عليهم دانيال رم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر وقيل سى قتل داود رم لجالوت وامددناكم باموال كثيرة بعد ما خبت اموالكم وبنين بعد ما سبيت اولادكم
وجعلناكم اكثر نفيرا عما كنتم من قبل اومن عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون
للذهاب الى العدو كالعبيد والمغير ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم اومتعدية الى الغير اى عملتموها على الوجه
اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في نفسها اوان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها
وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزم السوء الذاتى او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن علي
كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلا ها فاذا جاء وعد الاخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الاخرة
ليسوؤا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اى بعثناهم ليسوؤا ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوا اثار المساءة
والكابة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث وليسوء
بنون العظمة وقرئ ذة على ان جواب اذا وقرئ لنسوئن بالنون الخفيفة وليسوئن واللام في قوله عز وجل
وليدخلوا المسجد عطف على ليسوؤا متعلق بما تعلق به كما دخلوه اول مرة اى في اول مرة وليتبروا اى يخلكوا
ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه اومدة علوهم تتبيرا تخريبا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم
ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرد وقيل جردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قربانهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم
عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقونى فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى فاركب
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك
ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى منهم لحدا فهدأ وعسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة
ان تتبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصى وان عدتم الى الفساد مرة اخرى عدنا الى

عقوبتكم ولقد عادوا فاغار عليهم بختنصر ثانى سنة فعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو
ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا عليه السلام فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة قتله وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا اى محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال
وجعلنا جهنم لهم تعجيلا على كفرهم بالعود ودنا لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذى آتيناكه يهدى
اى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كذا ب الكتاب الذى آتيناه موسى للتى لطريقة التى هى اقوم اى اقوم الطرائق
واسدها اعنى ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها والمحالة والمقابلة ونحو ما يعتبر به عن المقصد المذكور
بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التى من رواد فها والمراد بهدايته لها كونه بحيث
يهتدى اليها من يتمسك به لتحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حينئذ ويبشر المؤمنين بما في ضمائمه
من الاحكام والشرايع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التى شرحت فيه ان لهم اى بان لهم بمقابلة تلك الاعمال
اجرا كبيرا يجب الذات ويجب التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة واحكامها المشروحة فيه من
البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب
بينه اعمالهم وجزائها الذى انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اى اعتدنا لهم فيما كفروا
به وانكروا وجوده من الاخرة عذابا اليما وسوابغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع و
الجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار
المتناول للاخبار بالخبر السار وبالبناء الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز
كون البشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان
المهدى اليه حقيقة كذا ب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم ومن قال فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه
الموجبة له مجازا كما سو ديدن كلهم دعاءه بالخير اى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به
وفيه رمز الى انه اللائق بحاله وكان الانسان اى من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع الى
طلب ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آته لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير
حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادى في استجلاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الكل ان القرآن يدعو
الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان
بحسب جبلته عجولا فيخبر الاتيان الى ان يزول عنه ما يعتريه روى انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه
رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبر النبى عليه السلام قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع
الاجابة فقال عليه السلام اني سألت الله تع ان يجعل دعائى على من لا يستحق من اهلى عذابا رحمة او يدعو بما هو
شر له ويجيبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به
وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار ايتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية
بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التى كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج
بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايا
الكونية كسائر الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المبنية على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودى
اذ منه ينسلخ النهار وفيه يظهر غرر الشهور ولوان الليلة اضيف الى ما قبلها من النهار كانت من شهر وصاحبها

من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة اى جعلنا اللوين بهيأتهما وتعاقبهما فى الطول والقصر على وتيرة عجيبة
يحار فى فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة
الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل الاضافة اما بيانية كما فى اضافة العدد الى المعدود اى محونا الآية التى هى الليل
وفائدتها التحقيق مفعول المحلة الثابتة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابدعها
على ذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشأها كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف
عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتممة وجعلنا آية النهار اى الآية التى هى
النهار على نحو تامر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وسفالها بحال اصلها او مبصرة للناس من ابصره بمعنى رآه
حقيقية وآية الليل والنهار نيرا هما ومحو القمر اما خلقه ممطوس النور فى نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده
من الشمس شيئا فشيئا اى المحاق على ما سوى معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابدا عها مضيئة باذات ذات
اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا اية النهار كما اشير اليه اى وجعلنا ها مضيئة لتطلبوا
لانفسكم فى بياض النهار فضلا من ربكم اى رزقا اذ لا يتسنى ذلك فى الليل وفى التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب
بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس لاحد فى تحصيل الرزق
تاثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا
الفعلين اعنى محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بد ما فقط اذ لا يكون ذلك بانفرادهما واو ضاعوا مدار العلم المذكور اى لتعلموا
بتفاوت الجديدين اونيرهما اذا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واو ضاعوا سائر احوالهما
عدد السنين التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اى الحساب المتعلق بما فى
ضمنها من الاوقات اى الاشهر والليالى والايام وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح ونفس السنة من حيث تحققها فانها مشتملة
الحساب وانما الذى تتعلق به العدة طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحد منها ليس من الحيثية المذكورة اعنى حيثية
تحققها وتحصلها من مدة اشهر قد يحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك
وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها اى يفيدها من غير ان يعتبر فى ذلك تحصل شئ
معين وتحقيقه ما مر فى سورة يونس من ان الحساب احصاء مالكية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يحصل بطائفة معينة
منها حد معين منه لاسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يحصل منه شئ
كذلك ولان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلو الحساب بما عداها مما اعتبر
فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل لمراتب الاعداد من العشرات والمأت والالوف اعتبارى
لا يجدى فى تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من
اول الامر على ان متعلق الحساب فى تضاعيف السنين من الاوقات اولان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تتعلق
به الحساب تفصيلا اولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شئ آخر جسما وكزائل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة
البسيط من المركب اولان العلم المتعلق بالاول اقتضى المراتب لكان خديرا بالتقديم فى مقام الامتنان والله سبحانه
اعلم وكل شئ تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدنيوية
والدينية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اى بيناه فى القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه
كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ فظهر كونه ما دالا على ما قوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه
طائره اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كما اشير اليه من عشر الغيب وذكر القدر او ما وقع له فى القسمة الازلية
الواقعة حسب استحقاقه فى العلم الازلى من قولهم طار له سهم كذا فى فتح تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اى
الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون
ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما فى قراءة يخرج من

الخروج يوم القيمة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاولين
او حال من المفعولين المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر فى الفعل من الضمير الطائر يلقاه اى يلقى الانسان
او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان لكتابا والاولى صفته والثانية حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اى يلقى الانسان
اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما
الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك
اى قائلين ذلك عن قتادة يقرأه كل احد يومئذ ويقال للكافر اقرأ كتابك بنفسك اليوم وقيل المراد بالكتاب نفسه المتضمنة آثار اعماله فان كل عامل
يصدر من الانسان خير او شر الا يحدث منه فى جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى فى ابتداء امره لغلبة الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات
الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامة ان النفس كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك قامت
وتوجهت الى العالم العلوى فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله فى مدة عمره وهذا
معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء زايدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته
لانه بمعنى المحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى ومنع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى اعمة وقد كثيرة
لان ما ذكر من الحساب والكتابة تما يتولاه الرجال اولانه مبنى على ما هو اصل النفس الشخص على انها عبارة عن نفس المذكر
كقول جميلة بن حريش يا نفس انك بالذات مسرور فاذكر فضل خفيك اليوم تذكير من اهتدى فانما يهتدى لنفسه
فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اى من اهتدى بهدايته وعمل بما
فى تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانه يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاها الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل
عن الطريقة التى يهديه اليها فانما يضل عليها اى فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يكون مؤاخذا بوزر غيره
الحمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تاكيد للجملة الثانية اى لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يكون ظلم
النفس الثانية عن وزرها وتحمل بعض العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل
وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه واما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزره الغير
وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو فى الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين
يعملها العامل لازم له وانما الذى يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اعمال الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مجعول
على الضلال وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع
الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين
بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص ثمار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته و
عدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اى ما صح وما استقام منا بل استحال فى سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى
حكمنا الماضى وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بفضيحة العقل حتى نبعث اليهم
رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرايع حسبما تقتضيه تضاعيف الكتاب والمراد بالعذاب المنفى
اما عذاب الاستيصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدى وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوى والاخروى
وهو من افراده وايا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه فى وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروى
لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوى ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الاترى الى قوم نوح كيف
تاخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة وقوله واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع العذاب بعد البعثة
التى جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا تتخلف عنها المراد ولا الارادة الازلية
المتعلقة بوقوع المراد فى وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتى بل دنوه وتحققا كما فى قوله تعالى اتى امر الله واذا دنى
وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستيصال الذى بيناه انه لا يصح منا قبل البعثة

او نوع مما ذكرناه شانه من مطلق العذاب اعني عذاب الاستيصال لما بهم من الظلم والمعاصي ولانه يقتضيه الحكمة من غير ان
يكون حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبارياها وملوكها خصهم بالذكر مع
توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم اكد وعدم التعرض للمأمور به اما
لظهور ان المراد به الحث والخير لان الله لا يامر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر بداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد
وجد منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليه القول اي ثبت
وتحقق موجبه بحلول العذاب اثر ما ظهر منهم ما ظهر من الفسق والطغيان فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يمكنه كنهه
ولا يوصف هذا سوالمتناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان سبب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم
الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشئ فامر اي كثرته كثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة
مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا واخرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم
امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة
الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا
اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز والقرن مدة من الزمان يجترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون
او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه عليه السلام دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرين
من بعد نوح من بعد زمنه كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص لعدم
نظم قومه عليه السلام في تلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكره عليهم رمز الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه عن الاعتمادات
والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لمحموميته حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث و
الامر وما يتلوهما من شعثهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار
والزام الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سوء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او
بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة
وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد معها الاخرة
كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مهما مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار
الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا وبجوز ان يراد بها الحيوة العاجلة
كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان
الحيوة واستمرارها من عجلة ما عجل له فالانسب بذلك كله من قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي
نشاء تعجيله لمن نعجلها له لا كل ما يريد لمن يريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في قوله باعادة الجار بدل البعض فانه
راجع الى الموصول المبني عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن نكون مخصوصا بمن اراد به
ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد للمعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة للاشعار بان الحكمة التي يدور فلك التكوين لا
يقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه تمامه وانما ما يتراى من قوله تعالى من كان يريد العاجلة
الدنيا وزينتها نوفي اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل موئل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله
فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف
العذاب يصلاها يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى
وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا ما صارت اليه الغنائم وكونها وبالا ما بهة
ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة ومن اراد باعماله الاخرة الدار الاخرة وما فيها من النعيم المقيم و
سعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الايمان بالامر والانتهاء عما نهى للتقرب بما يخبرون بارائهم وفائدة اللام

اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يحالطه شئ قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط
مقارنته لما ذكر في خبر الصلة فاولئك اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في خبر الصلة وما في ذلك من معنى
البعد للاشعار ببعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية المراعاة جانب المعنى اياما الى ان الاشارة المفهومة من الخبر تقع على وجه
الاجتماع اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الجيدة اعني ارادة الاخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله تعالى بحيث يثنى القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينه اشعار بانه العمدة فيها كلا نمد
عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط نمد اي نزيد
مرة بعد مرة بحيث يكون الالف مدد السالف ومابه الامداد ما يعم احدهما من العطايا العاجلة وما عد للآخر من العطايا
الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي واتمام بعض تعليلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على الحق عبارة واشارة
كما سنقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان
الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بالامر من العنوان لا للذات فقط كالاضمار فيفيد تذكير مابه الامداد وتعيين للمضاف اليه
المحذوف وفعالتوهم كونه اخراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي
من معطاه الواسع الذي لا تناهي لمتعلق نمد ومعنى عن ذكر مابه الامداد ومبنيته على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستحقاق
بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا للمزيد الاعتناء بشانه و
اشعارا بعلية للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان وجد
منه ما يقتضي الحظر كما كافر وسوء في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار
بمبدأيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف فاني محل النصب بفضلنا على الحالية
على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللاخرة اكبر اي مما في الدنيا وقرئ
اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يغادر قدرها ولا يمكنه كنهها كيف لا وقد
عبر عنه بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا وبجوز ان يراد بمابه الامداد العطايا العاجلة فقط وبجعل
القصر المذكور على رفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان
النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا
العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد
من يريده غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللاخرة الآية واعتبار عدم
المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من حاز بعصيانه بقتضى
كون القصد لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الكافر مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهمه ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه
فلا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول عليه السلام والمراد به امته وهو من باب التهييج والالتفات او لكل احد ممن يصلح
للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم استجد الشفرة حتى قعدت كالحجارة او بمعنى الحجز
من قعد عنه اي عجز منه مذموما مخذولا خبران او حالان اي مجامعا على ذلك الذم من الملئكة والمؤمنين والخذلان
من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ ووصى ربك وهو بمعناه
ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان
العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام كالتفضيل للسعي للاخرة وبالوالدين اي بان تحسنوا
بهما او وصاكم احسانا بهما احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما امام كبة

من ان الشرطية وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد ومعنى عندك في كنفك وكنالتك وتقديمه على المفعول مع
انه حقه التاخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتاخيره عن الظرف
المفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا تسبيل
الى جعل كلا منهما تاكيدا وتوحيد ضمير المخاطب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن الالتباس المراد فان
المقصود نهي كل احد عن تافيف والديه ونهرهما ولو توهم ان الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المراد فلا تقل لهما اي لواحد
منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل سمي التضجر وقرئ بالكسر للتنوين وبالفتح
والضم منونا وغير منون اي لا تضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما
بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشانه نقيل ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ
قيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما ذا كرم او موصوفا له بوصف صاحبه اي قولا
صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه على المروءة مثل ان يقول يا اباه ويا اماه
كما يراعيه عبيد اذا قال لابيه يا ابت مع ما يأبى من الكفر ولا يدعوها باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وروي ان ابراهيم عليه السلام
سئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى حذ منهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر
اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان ترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمتهما او دابهما
من بعدهما فعن النبي عليه السلام ان من ابر البر ان يصل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الانقياد لهما
والتواضع والتذلل لهما فان اعز احدا لا يكون الا بذلك كما انه قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل للذلة جناح كما جعل
لليد في قوله وهذاة برج قد كشفت وقرة اذا صبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بالطائر يخفض
جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام
من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف
برحمتك الفانية بل ادع برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية
الى الاسلام فلانا في ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما
او مثل رحمتهما على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر
كما يوحي به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون
الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما اياي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان يشفع
الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء وبهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى
كلمة تتفلت من المتضجر مع ما في من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شئ مشبهة
بتربيتهما وعن النبي عليه السلام رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار وما
يفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني آلي منهما
ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد
موتهما وروي ان شيخا اتى النبي عليه السلام فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام
وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع بمثلها فاستنشدها فانشد يا شيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا
تعل بما اجني عليك وتنهل اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت لسقمك الا باكيا اتململ كاني انا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي اليها مدى كنت فيك اؤمل جعلت جزائي غلظة وفظاظة
كانك انت المنعم المتفضل فليتك اذ لم ترع حق ابوتي فعلت كما الجار والمجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين
والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين اي الرجاعين اليه تعالى فارطا فرطا حتما لا يكاد يخلو عنه البشر

قصورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما
وبجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه
توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين و
ابن السبيل فان المامور به في حقهما المواساة المالية للحالة اي وآتهما حقهما كما كان مفترضا بمنزلة الزكوة
وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي
عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه ماخوذ من تفريق حبات البذر وافشائها
كيفما كان من غير تعمد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسب الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرف
وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير
ببيان انه يجعل صاحبه ملذوذا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة الثابتة في كل لا خير فيه من صفات
السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا
صدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم يخرجون الابل ويتياسرون عليها ويذرون
اموالهم في التمعة وسائر الاخير فيه من المعاصي واللاهي والمقامرة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد
وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل مبالغا في كفران نعم تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله
تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم
على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين
سائر اوصافه القبيحة للايذان الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر
الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال اعتوه فان كفران نعمة
الرب من اقوى الدواعي الى شكرها فاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اي ان
اعتراك امر اضطراك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق من ربك
اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ورجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان عليه السلام اذا سئل
شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام
تقل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر يتسع او قل لهم رزقنا الله وايانا من فضله
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلا لمنع الشحيح واسراف
المبذر زجرا لهما عنها وحملا على ما بينهما من الاقتصار كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح التبذير مقارنا لعلو
من اول الامر روعي ذلك في التصوير بقبح الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره فقيل فتقعد
ملوما اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا نادما
او منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا ابلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضه انه قال بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاعدا اذا اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب
الى امه فقالت له قل ان امي تستكيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة فنزلت فيا اباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انها
اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصين الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشا يقول
اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما
كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني فاعطه مائة من الابل
وكانوا جميعا من المؤلفة قلوبهم فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل للامر ايجابا وندبا
على بعض وتضييقه على آخرين حسبما يتعلق به مشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة التي يحوجك

الى الاعراض عن السائلين ونفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك اذ كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما
سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امارته العالم بالسر
والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فانما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة و
يقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيته فلا
تبسطوا على حد عليه رزقه وان يكون تمهيدا للقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء
كما تؤيدون بناء تم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لانكم فلا تخافوا الفاقة بناء على ان همكم بعجزكم عن
تحصيل رزقهم وموقعان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس
ما وقع في سورة الانعام للاشعار بما بينهم في اضافة الرزق اولا وان الباعث على القتل هناك الاملاق التجزؤ ولذلك قيل
من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق هناك اي تنزرقهم من عيلان ينتقص من رزقكم شيء فيعسر عليكم
ما تحسبونه واياكم ايفارزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطاء كبيرا تعليل آخر ببيان ان للنهي عنه في نفسه منكرا عظيم و
الخطاء الذنب والاثم يقال خطىء خطاء وخطأ كاثم اثاما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى
ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة
مبادية القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي
عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على
الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد ولما انه تضييع الانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقة فانه عضب الابناء المؤدي الى اختلال
امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي عليه السلام اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه
كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة انه قال عليه السلام
آيلكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر
وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة
عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز
ان يكون نعتا للمصدر محذوفا اي الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او
سببه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحة لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من عليه القصاص يقتص له ولا
يفيد قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند
عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة
غالبة فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يريد عليه
المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل
القاتل بما دون الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على
معنى انه تعالى ناصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا
يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على انه تعالى ناصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي
ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا و
الضميران في التعليل عايدان الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضه لها للهلاك العاجل
والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن اضافة

ذلكم اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال
والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء
لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء
بالعهد والوفاء به سواء القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء بمعنى
كما يفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه اولان المراد مطلق الملتزم
للعهد المعهود كان مسئولا اي مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول
كقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي يوم مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله
فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت
وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا
كلتم اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس
فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون وزنوا بالقسطاس وهو القرسطون
وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا روحي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربة في سلك الكلمة
العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن
لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فان كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما
ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا
في قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو
امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول
ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اذا تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف ما
ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل لكن تتبع مسلكا لا يدري انه يوصلك الى مقصده واحتج به من
منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم سواء اعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما
لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله تعالى في رونغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رميتا
ان السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو والمقلوبة من الهمزة عند نسم الفاد كل ولئك اي كل واحد من ذلك الاعضاء
لما جرت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صحابها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث
انه اسم جمع لذا الذي يعم الفريقين جاء لغير هم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان
عنه مسئولا اي كان من تلك الاعضاء مسئولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى الكل وكذا الضمير المجرور وقد يجوز ان
يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا
معللا بان الجار والمجرور لا يجب ان يكون المبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل ومما يقوم مقامه ولكن التحاس حكى الاجماع على
عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير وبحذف
الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما في قوله تعالى يوم مشهود ويجوز ان يكون مسئولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل
وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسئل ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما
بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغب بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطى ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع و
يجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه ولا تمش في الارض
التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع
الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان

ذلك مفخرة مع الارض وتكبر عليها اى لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التى هى
بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ الكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود فيه تحقيق
باعليه المحال من رفع راسه ومشيته على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم فى تضاعيف ذكر الاوامر والنواهى من المحاسن
الخمس والعشرين كان سيئه الذى نهى عنه وهى اثنا عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغضا غير مرضى او غير مراد بالارادة
الاولية لاغير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه ومشيته لتعليل الامور المنهى عنها
جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية فى وجوب الانتهاء عن
ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور رجلة بل على وجه
الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما فى آية الليل
وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهى عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها
محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف مذكر اى امرا مكروها او مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية
وجوز كونه حالا من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شانه ذلك اى الذى تقدم من
التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اى بعض منه او من جنسه من الحكمة التى هى علم الشرايع او معرفة الحق لذاته
والعمل به او من الاحكام المحكمة التى لا تطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآيات الثمانى عشرة كانت
فى الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات
فى التورية ومن اما متعلقة بما وحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف فى الصلة
اى كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول عليه السلام والمراد
غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبداء الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدم
لم يفقه علومه وحكمه وان بدفنها اساطين الحكماء وحكت بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عمدة الاشراك اولا
حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا وترتب عليه ههنا نتيجته فى العقبى فقيل فتلقى فى جهنم ملوما من حضرة نهك ومن رحمته
غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفى ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك
وجعله من قبيل خشيته ياخذها آخذ بكفه فيطرحها فى التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا خطاب
للقائلين بان الملئكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشئ جعله خالصا والفرق للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
الذكور اى افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر الذات احسنها واذناها كما فى قوله سبحانه الكم الذكر
وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتاكيده واشعار
بذكر الملئكة ذم وايراد الايات مكان البنات الى كفوه لهم اخرى وهى وصفهم لهم ذما بالانوثة التى هى اخس صفات الحيوان
كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذى هو اضافة الولد اليه
سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره فى استتباع الاثم وخرقه بقضايا القول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى
من قبيل الاجسام المتحانة السريعة الزوال وليس كمثله شئ وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون
من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملئكة هم من اشرف الخلائق بالانوثة التى هى اخس
اوصاف الحيوان فيالها من سلئة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه فى هذا القرآن
على وجوه من التصريف فى مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه وليقفوا على
بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين بناتهم وقرئ بالتخفيف
من الذكر وجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة
ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اى اوقعنا فيه التصريف كقوله يخرج فى عراقيبها نصلا وقد جوز ان يراد به ابطال اضاعتهم
اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن وتنايجها وما يزيدهم اى والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف

البالغ الانفور اعن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبايح قل فى الجواب
بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون اى المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من
قبل النبى عليه السلام والكاف فى محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اى كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة
المواقفة والمطابقة اذن لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للواى للطلبوا الى ذى العرش اى
الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو دين الملوك بعضهم مع بعض على ما مر
قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة والاول هو الانسب الاظهر لقوله سبحانه فانه صريح فى ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم
من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقرير ولا هو مما يلزمهم من حيث
لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اى تنزه بذاته تنزيها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة
التى هى ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا
لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه فى اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتى وما يقوله من ان له تعالى شركاء
واولادا فى ابعد مراتب العدم اعنى الامتناع للذاته تعالى فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته وبالجملة
الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس بمجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى
له وان يكون معه آلهة ولا ريب فى ان ذلك ليس بداخل فى حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من
اوفى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ تسبحت
له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملئكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق بلسان المقال ولسان
الحال بطريق عموم المجاز وان من شئ من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اى ينزهه
تعالى بلسان الحال عما يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه
يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها
المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبنى للمفعول من باب التفعيل انه
كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر فى الدلائل الواضحة
الدالة على التوحيد والانهماك فى الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القرآن الناطق بالتسبيح
والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ونفض الشرك وغير ذلك من الشرايع جعلنا بقدرتنا ومشيتنا المبنية
على دواعى الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما فى حيز الصلة وانما خص
بالذكر كفرهم بالاخرة من بين ساير ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به فى القرآن وتمهيدا
لما يستقل عنهم من انكار البعث واستحالة ونحو ذلك مجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك
الجليل ولذلك اجرة على تفوة العظيمة التى هى قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روى من اسماء بنت
ابى بكر رضى الله عنه من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امراة ابى لهب وفى يدها فهر والنبى عليه السلام قاعد فى
المسجد ومعه ابو بكر رضى الله عنه فلما راها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك فقال عليه السلام انها لن ترانى
وقد قرانا فوقعت على ابى بكر دفه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يليق بالنظم الكريم
مستورا ذا ستر كما فى قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسى او مستورا فى نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا
حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله
اى كراهة ان يفقهوه او مفعول له اى منعناهم ان يفقهوا على انه من عند الله تعالى وفى اذانهم
وقرا صمما وثقلا ما نعا من سماعه اللائق به هذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشئون النبى عليه السلام وفرط بغضهم
عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جريا بها بانا لعدم تفهمهم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم تفهمهم لتسبيح لسان الحال

وايذان بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهم الملائم قوى يقترى الشاعر فيقولها وتنبيها على ان حالهم هذا
اقبح من حالهم السابق لانهم حكاية لما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا
وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه فى حق القران والنبى عليه السلام جهلا وكفرا من انصافها بما وصاف ناهيه
من التصديق والايمان بكون القران سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبى عليه السلام لا الاخبار بان هناك امرا
وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب فى ان ذلك المغيى مما لا يكاد يلايم المقام واذا ذكرت
ريب فى القران وحده واحدا غير مشفوع به المفهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم
اى هربوا ونفروا نفورا او ولوا ناخرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك
وبالقران يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلا من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون و
يخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع على المزبور
منهم يتاتى به العلم لا ان العلم يستفاد ضاك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاتباع
بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة و
بالذى يتناجون به فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثانى ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم
من غير تاخير وبما به التناجى وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اى ذوو نجوى او موصوف نجى كقتيل
ومجمع قتيل اى متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع
الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم فى ذلك ظالمون مجاوزون للحد اى يقول كل منهم للاخر عند تناجيهم ان تتبعون
ما تتبعون ان وجد منكم الا اتباع فوضا اوما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اى سحر فجن او رجلا ذا سحر اى زية
يتنفس اى بشر امثالكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فى جميع ذلك عن
منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويحيطون ويائون بالا يرتاب فى بطلانه
احدا والى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا استفهام انكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما ال الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحى
وبيوسة الرميم من التفاوت الذى كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ فى دقه
وتفتيته وقال الفراء هو التراب وسو قول مجاهد قيل هو الحطام واذا متحفة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه
قوله تعالى انا لمبعوثون لانفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وسوف نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار
وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون بالاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار
للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم انئنا لتاكيد النكير وتخييله الجملة بان واللام لتاكيد الانكار
كما هو يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على
رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس هذا رأى انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية
بالفعل فى حال كونهم عظاما ورفاتا كما يترائى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه
الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا
نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا
حجارة او حديدا او خلقا آخر مما يكبر فى صدوركم اى يعظم عندكم من قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها
وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه
المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذى اى يعيدكم
القادر العظيم الذى فطركم اختركم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شتم
رائحة الحيوة اليس الذى يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل

شئ قدير فسينغضون اليك رؤوسهم اى يحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اى ذكر به من
الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر لكون او ظرف على ان كان تامة اى ان يقع فى
زمان قريب ومحل ان مع ما فى حيزها النصب على انه خبر لعسى وهى ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه سواى عسى البعث
ان يكون قريبا او عسى البعث يقع فى زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهى تامة اى عسى كونه قريبا او وقوعه فى زمان
قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اى اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او يكون تامة بالاقتصار
او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة فى الظروف او بمضمر المصدر المستكن فى عسى او يكون اعنى البعث عند من يجوز
اعمال ضمير المصدر كما فى قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق
به ما بعده من الجار فتستجيبون اى يوم يبعثكم وقد استعير لها الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة الامر فى وبان
للمقصود منها الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اى منقادين لداعيه لا فعل لكم
غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على
تستجيبون اى تظنون عند ما ترون ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اى ما لبثتم فى القبور الا قليلا كالذى
مر على قرية او ما لبثتم فى الدنيا وقل لعبادى اى المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التى اى الكلمة
التى هى احسن ولا تحاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ان الشيطان ينزغ
بينهم اى يفسد ويهيج الشر والمراء ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشاتمة والمعارة والمضارة
فلعل ذلك يؤدى الى تاكد العناد وتمادى الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاى ان الشيطان كان
قدما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشا
يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التى هى احسن وما بينهما اعتراض اى
قولوا لهم هذه الكلمة وما يناكلها ولا تقصروا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه
الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما
ارسلناك بشيرا ونذيرا فخذ رهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف
وقيل نزل فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل فرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وقل لكلمة التى هى احسن ان يقولوا يهد يكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن فى السموات والارض و
تفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التى بها يستاهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوة وولاية من يستحقه
وسورة عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من
الاكابر والصناديد وذكر من فى السموات لابطال قولهم لو لا انزل علينا الملئكة وذكر من فى الارض لرد قولهم لو نزل
هذه القران على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتنزه
عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع واتينا داود زبورا بيان لجهة تفضيله عليه السلام فان ذلك
ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبى عليه السلام فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين
مسطورة فى الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين فى قوله تعالى يرثها عبادى الصالحون هو النبى عليه السلام وامته
وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه فى الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول او لان
المراد اتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره عليه السلام وقرئ بفتح الزاء على انه جمع زبر بمعنى
مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه تعالى من الملئكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اى ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين
يدعون اى اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك
امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون والتى موصولة اى يبتغى من هو

اقرب اليه من الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة
والعبادة ويرجون رحمته ويخافون عذابه بتركهما كدأب سائر العباد فانهم هم من كشف الضر فضلا عن الآلهة ان
عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملئكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لعقوبة تعالى ويخافون عذابه
وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان
لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملئكة والنبيين عليهم السلام
على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اى ما من قرية من قرى الكفار
الا نحن مهلكوها اى مخربوها البتة بالخسف بها او اهلاكها بالمرة لما ارتكبوا من عظايم الموبقات المستوجبة لذلك
وفى صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر ما فيها قيل يوم القيمة
لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اى
معذبوا اهلها على الاسناد المجازى عذابا شديدا لا بالقتل والسبى ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل لا يكتنه
كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبله يوم القيمة
كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد لقيت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذى ذكر من الاهلاك
والتعذيب فى الكتاب اى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيا الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له
ووقته المضروب لهذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك بن
مزاحم فى تفسيره انا مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق
والزواجف واما خراسان فهلاكها خروب ثم ذكر بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمر والدانى فى كتاب الفتن انه
روى عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى يخرب ارمنية وارمينية آمنة حتى يخرب مصر ومصر آمنة
حتى يخرب الكوفة ولا يكون ملحمة الكبرى حتى يخرب الكوفة واذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدى
رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع
النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا
يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم برا
وبحرا وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل الترك وخراب الترك من قبل الصين وخراب الهند واليمن
من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى عليه السلام
قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمرى من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده
السياق ولا السياق وما منعنا ان نرسل بالآيات اى الآيات التى اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا
ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا
تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كانت بمشيئة ملتبسة بالحكم البالغة لامنع
مانع عن ذلك من التكذيب وغيره لاستحالة البخل عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم
بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الاخرين بحكم الاشتراك فى الصفة والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل
ما حل بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعى للاستيصال
المخالف لما جرى به قلم القضاء من تاخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة بحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من ايمان بعض
اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد ما دى الارسال لامتناعهم من عدم
ارادته تعالى لتاييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر فى ايثار الارسال على الايتاء ولما فيه من الاشعار بتداعى
الآيات الى النزول لولا ان تمسكها بايد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون
من الآخرين كما فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بارا

الانموذج ولايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح
عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات البينة
فكذبوها وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة على صيغة الفاعل اى بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند
اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوى بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والعاد
وهى نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدإ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اى لم يكتفوا بمجرد
الكفر بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لانها آ
ثمود وعرب مثلهم وان لهم من العلم بحالها ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا اولا نحاما من جهة
انها حيوان اخرج من الجماد وضح دليل على تحقيق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة
الا تخويفا لمن ارسلت هى عليهم تما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما
فعل فالحمل للعلة حق من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اى فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا
نرسل الآيات التى من جملتها الاتخويف من العذاب الذى يعقبها فنرسل بهم ما نرسل واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس اى علما كما نقله الامام الثعلبى عن ابن عباس رض فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر
والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال
عليها بما هو امر عظيم عندهم مجئ بعض الآيات لاشتراك الكل فى كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه
لتصديق النبى عليه السلام فتكذيبهم ببعضها مستلزم لتكذيب الباقى كما ان تكذيب الاخرين بغير المقترحة يدل على
تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجايب الارض والسماء حسبما ذكر فى فاتحة السورة
الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا لما لا فرق بينه وبين الرؤية اولانها وقعت بالليل اولان الكوة قالوا العلها
رؤيا اى وما جعلنا الرؤيا التى اريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وآية آية حقيقة بان لا يتلعثم فى تصديقها احد
ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة فى القرآن عطف على الرؤيا والمراد
بلعنها فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازى او ابعادها عن الرحمة فانها نبتت فى اصل الجحيم فى ابعد مكان من الرحمة اى
وما جعلنا ها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا
فى ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون الغامة تبتلع الجر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون
المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى فى النار فلا تؤثر فيها ويرون ان فى كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر
كانه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ويجوز فهم بذلك ونظائرها من الآيات فان الكل للتخويف وانما صيغة الاستقبال
للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه
من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما نعلم باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى
الطامة الكبرى هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما عساه يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التى اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع
حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كاتى بارا موسى وغيره من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته لا
يقدرون على الخروج من مشيته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا يرى ان الرؤيا
التى اريناك من قبل جعلنا ها فتنة للناس موزنة للشبهة مع انها ما اوزنت ضعفا لمركك وفتورا فى حالك وقد فسر الشجرة
باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضى مع كونه منتظرا جريا على ما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى
للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ويجوز ذلك جريا على عادته سبحانه فى اخباره واولت الرؤيا باعيسارآه بعض
فى المنام من مصارعهم لما روى انه عليه السلام لما ورد آبدر قال والله لكانى انظر الى مصارع القوم وهو يومئذ الى الارض

بذا مصرع فلان وبذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستخزوا منه وبما رآه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر بصحا
فتوجه اليها قصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ماذكر مذنبا بانه يجوز ان يكون الوحي باحلالهم وكذا الرؤيا
واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد البجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون اقتتال الناس
بذلك واقعا بعد البجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ماأراه
عليه السلام في وقعة بدر من مصون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في
ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملئكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر
ومن الملئكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال
الملئكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهم السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة وخافة العذاب
ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اى واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما
لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا امتثالا للامر واداء لحقه عليه السلام الا ابليس
وكان واحدا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال اى عندما وبخ بقوله ءاسجد لمن خلقت طينا
كما شير اليه في سورة البحر ءاسجد لما تأمرنا وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لمن خلقت بيدى
او حال من الراجع الى الموصول اى خلقته وموطنين او من نفس الموصول اى اسجد له واصله طين والتعبير
عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اى ابليس لكن لا اعتب كلامه المحكى بل بعد الانظار
المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملاء الاعلى للعن المؤبد وانما لم يصرح الكتفاء بما ذكر في
موانع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على
غيره كما في قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارايتك الذى كرمت على الكاف لتاكيد
الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اى اخبرني عن
هذا الذى كرمته على بان امرتني بالسجود له لم كرمته على وقيل هذا مبتدا وحذف عليه حرف الاستفهام والموصول
مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اى اخبرني اهذا من كرمته على وقيل معنى ارايتك اتأملت
كان المتكلم نبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به لئن اخرتن حيا الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة لما
للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اى لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا
او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في
حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تمنى ذلك
المطلب له لمقيسا من جهة الملئكة كدم او استنباطا من قولهم ابتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
او توسما من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اى امض لشانك
الذى اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه لمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اى
جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب الغايب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اى جزاء مكملا من قولهم فر
لصاحبك عرضه فرة اى وفره وانتصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون
او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اى استخف من استطعت منهم ان تستفزه
بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اى صح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك اى
باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العبث والفساد قال ابن عباس رضه ومجاهد وقتادة ان له خيلا
ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل

هذا صح

يقاتل في معصيته تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب
والركب وقرئ بكسر الجيم ومن قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبفتحة مثل حدث وحدث ونبس
ونبس ونظائرها اى فعلك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته و
اجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلعهم
عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها
من الحرام والتصرف فيها على ما ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد
العزى والتقبيل المحل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة
الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شان
مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس
ومن الاشعار بعلية مشيطنته للغرور وموتزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادى الاضافة للتشريف وهم
المخلصون وفيان من تبعك ليس منهم وان الاضافة لتثبيت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اى تسلط وقدرة
على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه
ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المبنئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى مع الاضافة
الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفاية تعالهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذى يزجى لكم الفلك في البحر
مبتداء وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اى سوالقادر الحكيم الذى يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر
لتبتغوا من فضله من رزقه الذى هو فضل من قبله اومن الربح الذى سوعطيه ومن مزيدة اوتبعيضية ومن
هذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى
فلا يملكون الآية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هياء لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مبادية
وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الدنيوية والنعمة
العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اى ذهب عن خواطركم
ما كنتم تدعون من دون الله من الملئكة والمسيح اوغيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وعبر
لكشف مستقلا او اواشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء
المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد واتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان
كفورا تعليل لما سبق من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم
ان يخسف بكم جانب البر الذى هو مأمنكم اى يقلبه ملتبسا بكم اوبسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوى
الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة اويرسل عليكم من فوقكم
وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمى بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك اويصرفه عنكم فانه لا راد لامره
الغالب ام امنتم ان نعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم
فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود اليه باختيارهم باعتبار خلق الدواعي للمجيئة لهم الى ذلك
وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوة في التارة الاولى لولا العادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم
في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهى التي لا تمر بشئ الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو
الصوت الشديد كانها تتقصف اى تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون
وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراكم اوكفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
اى ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بنى
آدم فاطبة تكريما شاملا للبر والفاجر هم اى كرمنا هم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به

والمكن من الصناعات وغير ذلك مما لايكاد يحيط به نطاق العبادة ومن جملته ماذكره ابن عباس رضه من ان كل حيوان يتناول
المعاقبة به الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القردة في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه
متناول له برجله التي يطأ وبها الفاذورات لايديه وحملناهم في البر والبحر على الدوات والسفن من حملة اذا حملت
له مايركبه وليس من المخلوقات شئ كذلك وقيل حملناهم فيما حيث لم تخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان
الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اى فنون النعم وضروب المستلذات
مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها تمييز الحق
من الباطل والحسن من القبيح على كثير من خلقناهم وهم من عدا الملئكة عليهم السلام تفضيلا عظيما لحق
عليهم ان يشكروا هذه النعم ولايكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقايد الحقة ويرفضوا ما لهم عليه من الشرك الذي
لايقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عن فضل على من عدا الملاء الاعلى الذين هم العقول المحضة واما استثنى جنس
الملئكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطاء والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع
فيه فان المراد ههنا بيان التفضيل بامر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولايكون ذلك هو الفضل
في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل اى حاجة الى تبيين ماهية التفضيل بعد بيان ماهو المراد بالمفضلين
فان استثناء الملئكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لايستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده
عليهم قلنا لابد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع
فيه بل هم اوفى من كل دني حسما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا يوم ندعو نصب على المفعولية باضمار اذكروا وظرف لما دل عليه قوله تعالى ولايظلمون وقرئ
بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعو وقد جوز كون الواو علامة
للجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل من النون المحذوفة لعلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة
الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى كل اناس من بني آدم الذين نعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل
وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا باماهم اى بمن ايتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر
او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع امم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم باتهاتهم اجلال عيسى ام
وتشريف الحسنين رض والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه
اباتة لخط الكتاب الموتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا لمن اول الامر الى مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار
معناه ايذانا بانهم حري مجتمعون على شان جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لاعلى وجه الانفراد
كما في حال الاياء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اى اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها
الاياء والمزبور يقرؤن كتابهم الذي اوتوه على وجه المباهاة تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون
الكرامات ولايظلمون اى لاينقصون من اجور اعمالهم المرسمة في كتبهم بل يوفونها مضاعفة فتيلا اى قدر فتيل
وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شئ فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين
المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم من فنون التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصرة لايهتدي الى رشده
ولايعرف ما اولاه من نعمة الكرامة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولايستعمل ما اودعنا فيه من
العقول والقوى فيما خلق لهم من العلوم والمعارف الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك
لايهتدي الى ما يجيبه ولايظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني فقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان
عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قراء ابو عمرو الاول مما لا والثاني مفخما واضل سبيلا اى من الاعمى
لزوال الاستعداد المكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من

الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة
الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى
فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر
السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا فان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي
عليه السلام لاندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانحنى في صلوتنا وكل ربوا لنا
فهولن وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت
العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية عذاب آية رحمة وآية رحمة آية عذاب
او قالوا لانتمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا فان تحققت من الشدة وصغير الشان الذي هو بها محذوف و
اللام هي الفارقة بينها وبين ان النافية اى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتقول علينا غير الذي اوحينا اليك
مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اى لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولاخرجت
من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون
الذي هو ادنى ميل اى لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا
صريح في انه عليه السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذن
لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في
الحيوة وضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موفوفها
وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبعذاب الممات عذاب القبر ثم لاتجد لك
نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اى كادوا اهل مكة ليستفزونك اى ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض اى الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذن لايلبثون
بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لايلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا
ليستفزونك خلافك اى بعدك قال خلت الدار خلافي كخالفني كما نبط الشواطب بينهن حصيرا اى ولو اخرجت
لايبقون بعد خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم هلكوا ببدر بعد هجرته
عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي عليه السلام بالمدينة فقالوا ان كان نبيا كما تزعم
عليهم السلام فان كنت بنيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع
ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية
اى سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى
الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولاتجد لسنتنا تحويلا الى تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان من نظر اليها حين يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اى غربت وقيل اصل الدلوك الميل المنتظم
كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمة وهو وقت صلوة
العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها
ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبداء

والمنتهى فى اوقات الصلوة من غير فصل بينهما لما ان الاشارة فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف
اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات
وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدائه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب
الشفق وقوله تعالى وقران الفجر اى صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت
قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون
القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة الفجر لدل الامر بها قامتها على الوجوب فيها نقصا وفيما عداها دلالة
وبجوز ان يكون وقراءة الفجر حثا على تطويل القراءة فى صلوة الفجر ان قران الفجر اظهر فى مقام الاضمار بانه تزيد
الاهتمام به كان مشهودا يشهده الملئكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم
الذى هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تغير الدلوك بالزوال جاء
للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب بما بعد الظهر والعصر ومن الليل قيل هو نصب على الاغراء اى الزم بعض الليل
وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدى نفعا كون معناه التبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت
بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اى قم بعض الليل فتهجد اى ازل والهجود اى النوم فان
صيغة التفعل تجئ للازالة كالتحرج والتحنث والتاثم ونظايرها والضمير المجرور للقران من حيث هو لا بقيد افاضته
الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اى تهجد فى ذلك البعض على ان الباء بمعنى فى وقيل منصوب بتهجد
بالقران بعض الليل على طريقة واياى فارهبون نافلة لك فريضة زايدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك
دون الامة ولعله سر الوجه فى تاخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او نظرا لكون لاكونها
زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له عليه السلام فى الدرجات على ما قال مجاهد والسدى فانه عليه السلام مغفور
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة فى درجاته بخلاف ما عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم
وتدارك الخلل الواقع فى فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا
فان ذلك عبادة زايدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اى حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد
اذ جعل ذلك بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اى فصل به ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذى
يبلغك الى مقام لا مقام ابعث منه يوم القيامة او لكل من بعد الموت الاكبر لما ابعث من النوم الذى هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما
نصب على الظرفية على اضمار في فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل فى مثل هذا الظرف
فعلا فيه معنى الاستقرار وبجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اى يبعثك الله ذا مقام محمود عند كل وعند جميع
الناس وفيه تهوين للمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام
الذى اشفع فيه لامتى وعن ابن عباس رض مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق
تسئال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رض يجمع الناس فى صعيد واحد فلا يتكلم
نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجاء ولا منجى الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلنى
ادخال مدخل صدق اى ادخالا مرضيا واخرجنى اى منه عند البعث مخرج صدق اى اخراجا مرضيا ملقى بالاكرام
فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث للقرون بالاقامة المعهودة التى لا كراهة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصود وقيل ادخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها
واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله النار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء
الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يليه من مكان او امر واخراجه منه وفى مدخل ومخرج
بالفتح على ان ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا كقوله وعفته دهرا يا ابن مروان لم يدع

من المال

من الاصحت او مجلف اى لم يدع فلم يبق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من يخالف
او ملكا وعزا تناصر الاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا
ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض وقل جاء الحق اى الاسلام والوحى
الثابت الرابخ وزهق الباطل اى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه
اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اى شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وموعدة كريمة باجابة
الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه عن ابن مسعود رض انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون
صنما فجعل يكبت بمخصرة كانت بيده فى عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه
حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره
وننزل من القران وقرئ تنزل من الانزال ما هو شفاء لما فى الصدور من ادواء الريب واستقام الاوهام
ورحمة للمؤمنين به العاملين بما فى تضاعيفه اى ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى
للمرض ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القران كذلك وعن النبى عليه السلام من لم يستشف بالقران
فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه فى كل نوبة ما يستدعى الحكمة
نزوله وح فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافى للمعاد
لا بانه من المرهنى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا
فى كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسمانى كما فى الفاتحة وايات الشفاء لا يساعده
قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين الا خسارا اى لا يزيد القران كلا او كل بعض منه الكافرين المكذبين
الواضعين للاشياء فى غير مواضعها مع كونه فى نفسه شفاء من الاسقام الآخر الا سقام الخسار الى هلاكا بكفرهم وتكذيبهم
لانقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المبنى عن حصول
بعض مبادى الاسلام فيهم وزيادتهم فى مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جدوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة
تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم فى اثناء الاهتداء
والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى
القران مع انهم هم المزدادون فى ذلك بسوء صنيعهم لاعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من مامره حيث يكون
مدار الشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب
الشكر ونأى تباعد عد طاعتنا بجانبه الثانى بالجانب ان ليوى عن شئ عطفه وليوله عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض
او عبارة عن الاستكبار لانه من دين المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفى
اسناد المس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان
يؤسا شديد اليؤس من روحنا وهذا وصف للجنس لاعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره فان ذلك شان بعض منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ نا ء
على القلب كما يقال راء فى رأى واما على انه بمعنى نهض قل كل اى كل احد منكم ومن هو على خلافكم يعمل
عليه على شاكلته طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة بمزاجه بدنه فربكم
الذى بركم على هذه الطبايع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة
بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مبدء الحياة
الانسانى ومبدء حيوته روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان
اجاب عنها جميعا او سكت فليس نبيا وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم الصنفين وايهم
امر الروح وموهم فى التورية قل الروح اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشانه من امر ربى كلمة

من بيانية والامر مبهم الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف مالا يخفى
كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي سوس جنس ما استاثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يجوم حولها
عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن
مخصوصون بهذا الخطاب قال عليه السلام بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة
الالهية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما يحيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى لا نهاية من معلوماته
سبحانه قليل نال به خير كثير في نفسه وبالنسبة الى الانسان او سوس الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من
غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريف بعض مباديه وما له انه من عالم الامر لا من عالم الخلق
وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين
سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه علم لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما المكن هذا
القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس
فان تقل المعارف النظرية انما هي من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدرك
بالحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته وما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوث
اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فان
ما سئلوا عنه مما بقي به علمهم سبحانه وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام
وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من
القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وثبتناك عليه حتى كاد ولو يقتنوك عنه ولولا
لكد تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفه بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول
الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب منابه جزاء الشرط وبذلك حسن
عدم دخول حرف النفي على الفعل المستقبل والمراد من الذهاب المحو عن المصاحف والصدور وسوابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن ليسرى عليه
يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا فتعلم ابناءنا ويعلم ابناؤنا
ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا تجد لك به اي
بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقاءه بعد
المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على ادائه حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره
وسوابغ النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير
ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يعلمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر
لئن اجتمعت الانس والجن اي تفقوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا يدركه العقول من النعوت
الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من
غيرهما لان غيرهما قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور اخيرا
عن ان يتوهم ان له مثلا مغايرا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات
البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد
جزاء الشرط ولو لا ذلك كان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان انا خليل يوم مسئلة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء

كان القصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتألبوا على تلفيق كلام واحد بلا حق الافكار و
تضافر الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر
اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الواو قد حذف العطوف عليه حذف امثاله والدلالة المعطوف عليه
دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان
ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال
مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض
آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا ما قيل من
ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشئ انما يقرره نفي ما دونه لان نفي ما فوقه فان اصعبيته اكثر
بغير امره تعالى من الاتيان بمثله حالا تشبهه فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي عليه السلام بل الى
المكابرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا وردادنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان و
وكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل
معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الانظار
على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا
زيدا لانه متناول بالنفي كانه قيل فابى اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الا ايمان لان فيه دلالة على
انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الام ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى
بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة
متعللين بما لا يكون في العادة وجوده ولا يقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو دين المبهوت المجوج
لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من
نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او كون لك جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند بقيها او ادامة
اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى
وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء او الكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي
اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او تسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملئكة قبيلا اي
مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملئكة محذوفة لدلالتها عليها
اي والملئكة قبلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون من الملئكة او يكون لك بيت
من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصل الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي
في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فانها وحدها اولن نصدق رقيك فيها حتى تنزل
منها علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من عيان يتلق من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن
ابي اميه لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة
من الملئكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد والتلجاج ولو
انهم اوتوا ادنى ما اقترحوا من الايات مازادهم ذلك الا كابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات
التي تخر لها صم الجبال قل تنجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يليق بها من مثل
هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها وعن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما تالوه سبحان
ربي وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا
مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون الا بما يظهر الله

على ايديهم جسما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشئ منها وقوله بشرا خبر لكنت
ورسولا صفته وما منع الناس اى الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى
اى الوحى ظرف لمنع او ليؤمنوا اى وما منعهم وقت مجئ الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا
بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجئ ما ذكر الا ان قالوا فى محل الرفع على انه فاعل منع اى الا
قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم
فمنع بعضا آخر منهم بل المانع سوالاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد
قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه
معظمها اولانه سوالمانع بحسب الحال اعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى قل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به
من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه
حاسما لمواد شبههم لجأنا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا
للحق المزيح للريب لوكان اى لو وجد واستقر فى الارض بدل البشر ملئكة يمشون مطمئنين قارين فيها من
غير ان يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير
لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وبين نمط
بالتناسب والتجانس فبعثة الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم
الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا
من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا فى قوله
تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم
ما يقتضيه الحكمة فى البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على انى ادّيت ما على من واجب
الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار
المعجزة على وفق دعواه كما اختير لاعدة قوله تعالى بينى وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا
محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدا يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية
اى من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدى اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب او المهتدى
الى كل مطلوب ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر
ضمير الجماعة اعتبار المعنى من عقب ما اوثر فى مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه
وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى انصارا يهدونهم الى طريق
الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم
على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد وحشرهم
التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اى يسحبون
عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم او مشيا فقد روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور
فى الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقرأ عينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ سماعهم لما
قد كانوا فى الدنيا لا يستبصرون بالايات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه وبجوز ان يحشروا بعد الحساب
من الموقف الى النار مؤدى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكهم

بعض المشاعر فى بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استيناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم
سعيرا اى كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بان
بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستقرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء تكريرا بعد تكرير مرة
بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اى ذلك العذاب جزاؤهم بانهم
اى بسبب انهم كفروا بايتنا التعقيبية والتعلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدا وجزاؤهم
خبره ويجوز ان يكون مبتدا ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له و
الخبر سوالظرف وقالوا منكرين اشد الانكار اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا امامصدر
مؤكد من غير لفظ اى لمبعوثون بعثا جديدا والعامل اى مخلوقين مستأنفين اولم يروا اى الم يتفكروا ولم
يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر على
ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على
اولم يروا فانه فى قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم
من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه سوى القيمة فابى الظالمون ومنع موصنع الغير تسجيلا
عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اى جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه التى فاضت
على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وفائدة ذلك المبالغة
والدلالة على الاختصاص اذ لو لامكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس فى الدنيا
احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو يخيل لاضافة الى جود الله سبحانه
وكان الانسان قتورا مبالغا فى البخل لان مبنى امره على الحاجة والفقر فهو يمسك ما يحتاج اليه ولما خطة العوض بما يبذله و
لقد آتينا موسى تسع ايات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهى العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بنى اسرائيل و
انفلاق البحر بدل الثلث الاخيرة واياه ان هى التى لم تكن منزلة اذ ذاك وان الاولين لا تعلق لهما بفرعون وانما
هو تهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبى عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا
تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا عن الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده
ورجله عليه السلام ولا يعارضه ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل وقوله لما انه كان نبى
التوراة مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحى فاسأل بنى اسرائيل قرئ بسل
اى فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يجاهدك
ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضى وقيل الخطاب للنبى عليه السلام اى فاسألهم عن تلك
الآيات لتزداد يقينا وطمانينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا وبال على القراءة المذكورة و
بآيتنا او بمحذوف هو خبر هو كأنه قيل ما وقع بعد ذلك فقال جاءهم اذ يجوز كون الخطاب للرسول عليه السلام فقال له فرعون الفاء فصيحة
اى فاظهر عند فرعون ما آتيناك من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعنى الايات التى اظهرها الا رب السموات والارض
خالقها ومدبرها والتعرض لربوبيته تعالى لها للايذان بانه لا يقدر على اتيان مثل هذه الآيات العظام الا خالقها
ومدبرها بصائر حال من الآيات او بينات مكشوفات تبصر كصدق ولكنك تعاند وتكابر تخو وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن نوتهم للسحر وتر
وقرئ علمت على صيغة التكلم اى لقد علمت بيقين ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم ان يكون

سورة الكهف

مولى سحر وانى لاظنك يافرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى صرفك او
هالكا والقائل هو عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين
فاراد اى فرعون ان يستفزهم اى يستخفهم ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله يستقتل
ابناءهم ويستحيى نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا
من بعده من بعد غرقهم لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة
الكرة الاخرة او الحيوة والساعة او الدار الآخرة اى قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين ايكم وايانا ثم نحكم بينكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما انزلنا
القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا
وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره
وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب وهو بحتمل الحقيقة بعثته عليه السلام اثر تحقق حقيقة
انزال القرآن وقرانا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه
على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واوعى للفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه
تنزيلا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به اولا تؤمنوا
فان ايمانكم به لا يزيده كمالا واعتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اى العلماء الذين قرأوا
الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق
والمبطل اوراوا فيها نعتك ونعت ما نزل اليك اذا يتلى اى القرآن عليهم يخرون للاذقان اى يسقطون
على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز ما وعد به فى تلك الكتب من بعثك وتخصيص الاذقان
بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما فى قوله
تعالى وخر راكعا وللذقن لغة فيه ويقولون سبحان ربنا تنزيها له عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا مفعولا ان محققة من
به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كانه قيل قل يا ايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون فى سجودهم
المثقلة واللام فارقة اى ان الشان هذا ويخرون للاذقان يكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب
فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين
من خشية الله ويزيدهم اى القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة
الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى فى التورية والمراد على الاول هو
التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود
وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والا فضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وسيتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى ايا
عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل
الكلام ايا ما تدعو فحسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن
جميع اسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونهما حسنى لدلالتهما على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام
ولا تجهر بصلوتك اى بقراءة صلوتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت
بها اى بقراءة تخافت لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اى بين الجهر والمخافتة على الوجه

المذكور سبيلا اى واسطا قصدا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون
ويؤمه المتقدمون ويوصل الى المطلوب وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول انا اجئ ربى وقد علم
حاجتى وعمر كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها بل اسمع اذنيك
ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى ومن ولد حيث قالوا عزير
ابن الله والمسيح ابن الله والملئكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك فى الملك اى الالوهية
كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولى من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا
من اجل مذلة ليدفعها به وفى التعرض فى الثناء بالحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هو نعوته
دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه
ناقص مملوك نعوته او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ
فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى الطاعة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور فى ذلك روى انه عليه السلام كان اذا افتتح
الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية الكريمة وعنه عليه السلام من قراء سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند
ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية وما ئتا اوقية والحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة

والجبروت

الحمد لله الذى انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال الخارج
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا
وفى وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا
وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول عليه السلام بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه
الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اى تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا لغير ومن ثمة
فى حق عيسى عليه السلام ما قيل وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا
اى شيئا من العوج بنوع اختلال فى النظم وتناف فى المعنى او انحراف عن الاستوة الى المحو وسوء المعانى كالعوج فى الاعيان
واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا فمع كون الجبال من الاعيان فلعدم الالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة
البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يتعرف بالمشاعر الظاهرة
عد من قبيل ما فى المعانى وقيل الفتح فى اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر فى اعوجاج غيره عينا كان او معنى فيما
يتعلق بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ ما بعد من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال
او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناصفا فى الاستقامة فيكون تاكيدا لما قبله على
نفى العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لانه نفى عنه العوج مع كونه
ثابتا له وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معللة على العلة بمضمر ينبئ عنه نفى العوج تقديره جعله قيما والمعطوف
تقديره كونه غير حالة فهو على الحالية من الكتاب اذ الفصل حق بين ابعاض المعطوف عليه وقرئ قيما لينذر
متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما فى الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان
ما سيق له الكلام هو المفعول الثانى وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اى انزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا
به باسا اى عذابا شديدا من لدنه اى صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه

بسكون الدال مع اتمام الفتحة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع وميسر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين
اى المصدقين به الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التى بينت فى تضاعيفه واثبار صيغة الاستقبال فى الصلة
للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان
ان لهم اى بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا مولجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين
حال من الضمير المجرور فى لهم فيه اى فى ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اى خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين او
تقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار
بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلق بفرقة خاصة عما عمه الانذار السابق من مستحق البأس الشديد
للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اى وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل
هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملئكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى
القائلون المسيح ابن الله وتركيب اجراء الموصول على الموصوف كما فعل فى قوله ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما فى حيز
الصلة فى الكفر على اقبح الوجوه واثبار صيغة الماضى فى الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق
وجعل المفعول المحذوف فيما سبق عبارة عن هذه الطائفة يؤدى الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد
وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا يحمله على معنى مجرد الاخبار بالخير الفاضل من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر
كما فى قوله تعالى انذر الناس وبشر الذين امنوا يفضى الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد
على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل فى الافعال الثلثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به
اى باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفى والجملة حالية
او مستانفة لبيان حالهم فى مقالهم اى ما لهم بذلك شئ من علم اصلا لا الاظلا لهم بطريقة مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته فى
نفسه ولا لابائهم الاولين تقليدا لهم فتا هو جميعا فى تيه الضلالة والجهالة او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطاء بل
انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر ورويه كما فى قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم وبحقيقة ما قالوه
وبعظم رتبته فى الشناعة كما فى قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الاية
وسوالف بقوله تعالى كبرت كلمة اى عظمت مقالتهم هذه فى الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يليق بجناب كبريائه والفاعل فى كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا او كلمة نصبت على التمييز او ضمير مبهم مفسر
بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هى كلمة خارجة من افواههم وقرئ
كبرت باسكان الباء مع اتمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم
على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الحوار المتكيف بكيفية الصوت الملابسة بها ان يقولوا
يقولون فى ذلك الشان الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والمعنى انهم لم ولا يأتهم
مثل حاله عليه السلام فى شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم من الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه
اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على هجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له
عليه السلام على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اى مهلك نفسك على آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ
بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اى القرآن الذى عبر عنه فى صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اى لان لم يؤمنوا فاعمال باخع مجملة على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما فى قوله عز
وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اى لغرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اى متاسفا عليهم ويجوز
حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بتحميل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منها كما فى التمثيل
وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استيناف وتعليل لما فى لعل من معنى
الاشفاق اى انا جعلنا ما عليها ممن عدا من وجه اليه التكليف من الزحاف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو
الذى خلق

الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام فى
لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اى كائنة لها اى لتتمتع بها الناظرون من المكلفين ويتعقبوا بها نظرا
واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكر هما العذاب الاخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من
حيث دلالته على وجود الصانع وحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك
كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون
تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اى جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم
بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسئ وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم
المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما فرزناه فى مطالع سورة هود واما استغراب ميته
مرفوعة بالابتداء وحسن خبرها والجملة فى محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبة كالسوال و
النظر ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل والاستعارة التبعية والما موصولة بمعنى الذى واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة
صلة لها وهى فى خبر النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلوهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بمحسن ما عملوا
للبناء كما فى قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء
الذى هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل
الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ينبغى والتامل فى شانها وجعلها ذريعة الى مرفقة
خالقها والتمتع بها حسبما اذن فى الشرع واذا حققتها والتكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة
كما يفعله الكفرة واصحاب الاهوآء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار العالم المنقسمة الى
الحسن والقبح ايضا لا الى الحسن والاحسن لحفظ الاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال الحسن
المحسنين على ما حقق فى تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سياتى عند تناهى عمر الدنيا ما عليها
من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر فى مقام الاضمار لزيادة التقرير ولاولاد اج المكلفين فيه صعيدا
مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق
الذى لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يحيث من بهجة النظار ويتشرف بمشاهدة الابصار يقال ارض
جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهى مجروزة اى ذهب نباتها بخط او جراد ويقال
جرز بالجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما فى السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت
من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر
اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمغنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التى هى للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال
وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وبل وحدها عند غيرهم اى بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا فى بقائهم
على الحيوة مدة طويلة من الدهر من اياتنا من بين آياتنا التى من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة
لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اى آية ذات عجب وضعها للوصف
المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وسوغ خبرا كما نوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة
للعادة ان ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الايات التى من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى هى عندنا كالنزر
الحقير فى الكهف حمد وقيل صلو لوح رصاصى او حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادى الذى
فيه الكهف نهو من رقمة الوادى اى جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين عمان وايلة دون فلسطين
وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فتوجه كل منهم احسن عمله على ما فصل فى الصحيحين
اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اى حين التجاء الفتية اى اصحاب الكهف اثر الاظهار على الاضمار

لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال القوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم اراد هم وقيانوس على الشرك فهربوا منه
بدينهم ولان صاحبية الكهف من زوج التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف يجللهم ظلوله
واتخذوه مأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة الكائنة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية
متعلقة بآتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الذي قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة
من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وبهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من
مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة اعداد هيئة الشيء الى ما يصلح ورتب وانجز لنا من امرنا رشدا
اصابة للطريق الموصل الى المطلوب وابتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لا اختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على
المفعول الصريح للاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم مما يؤذن من
احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى ورود ه ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام
في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤل مرغوبا
فيه لديهم واجمال امرنا رشدا للدلالة على ان من تحريرية مبنية فكانه قيل هيئ لنا شيئا ما فضربنا
على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الاقامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص
الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لمافي الحجب عن الشعور عند النوم للانها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة
للتيقظ غالبا لاسيما عند انفراد النائم واعتزال الرمن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الاماتة الثقيلة
وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا
يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب
المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار
الممكنين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف لمكان لضربنا سنين ظرف زمان له او لما بعناهم
بقائه لا امتداده عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او محدود ة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين
بذلك اما للتاكيد وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتثقيل وهو الاليق بمقام انكار كون الفصة عجبا من بين
سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة
الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا بالفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث
لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بجعله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به
الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرها
التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد يترتب عليه تخريب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مدة
الايام بين الناس يترتب عليه تخريجهم الى الغايات على الايمان والمنزلزل فيه وتعلق كل من الفريقين العلم الحالي
والاظهار والتمييز وما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بها العلم او الاظهار والتمييز
وبيني نظم شيء من ذلك في سلك الغاية وانما الذي يترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير معيب ومفوض الى
العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل بحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار
مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد
يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فاتوا بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى
بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض
كما سيأتي احصى اي ضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير
ويتركوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به
امر البعث ويكون ذلك للغافلين منهم زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر هنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر

مبدأها

بدأها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التناول المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان
يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم اي حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث
حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام
الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبرناهم واختبارنا وقد قوي ليعلم
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأة في موقع المفعول الثاني
فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ وروي
ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين غلبوا على المدينة لما بعد ملك وقيل كلاهما
من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية و
انتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة منطبقا
من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل منطبقا من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى
السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين
ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر
المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامداد العارض له بسببه يكون لامدا لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية
ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالزمان وسوآن
ابعاثهم من نومهم فان معرفة من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا تتسى احصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة
العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من
مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة
نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة
اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر وما تعلقه به بالمعنى الثاني
فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية
ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا
فالامد بمعناه الوضعي على ما تحققه وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان
احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك
مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء والمتقدم على البعث الاحصاء والمتاخر عنه
وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند
ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذاك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز
من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلا نسلم ان يمنعه بصحة ان يقال ايهم حفظ لهذا الشرط زيدا
او تقطيعا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصى لما لبثوا امدا كما في قوله وافر سبد
منا بالسيوف القوانا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر
مع ما فيه من الاعتناف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين
وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار
اظهار عجز الكل عنه راسا نحو فعل ما فض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود
بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف
من قوله تعالى اذ اوى الفتية الخ اي نخبر بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف ونبأهم
نباءهم النبأ الخبر الذي له شان وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم

او صفة على راى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نباهم الملتبسين ونباؤهم جسما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ فى ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه فلانيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح وكان يتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب فى الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع اربه وعلقها فى سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عزوجل فاشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملاء السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج سوالى مدينة تينوى لبعض شانه واهلهم الى رجوعه ليتابعوا فى امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل ببقية المسلمين فازعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فقصدوا بعضه وتزودوا بالباقى فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويتهللون الى الله سبحانه بالانين والخوار وفوضوا امرهم تفقدهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فليتشوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم وذهبوا اموالهم وبذروها فى الاسواق وفروا الى الجبل فلما راى يمليخا ما راى من الشر رجع الى اصحابه وكان يمشى ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهد من الهول ففزعوا الى الله عزوجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون فى امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس فى طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ولكن كهفهم قبرهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عزوجل منهم انهم فتية استيناف تحقيقى مبنى على تقدير السوال من تجعل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبى آمنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وانطرناهم بمكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوبين بهم بلسنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيئا ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضى بمقتضاها فان ربوبيته عزوجل لما يقتضى ربوبيته لما فيها اى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سياتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعوا لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا آخر لاستقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربنا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط اى تجاوز عن الحد او قولا موصوفا بالشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول بالالوهية

تعدى

تنوى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتفرع اليه يقال لقد قلتنا واذا جواب وجزاء اى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا فى الظلم سولاء هو مبتدا وفى اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا ياتون تخصيص فيه معنى الانكار والتعجيز اى مثل ياتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على دعواهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه لا اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما قرر تحقيقه فى سورة هود واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم فى الاعتقاد واردتم الاعتزال الجسمانى وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اى واذ اعتزلتموهم ومعبودهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تخصصهم فى عبادة الاوثان ويجوز كونها نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فاووا اى التجاوا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذا فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا واذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم من امركم الذى انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين للتشويق الى المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعد ما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راى جانب صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف والمحق من اضافة الكهف وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو راته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور وتتحنى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء فى الزاى وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزر وتر وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذى او واليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره او الى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اى تربعا عند غروبها تقرضهم اى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اى جهة ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم فى فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفها عنهم بالتقدير ذلك اى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها عالمى الطلوع والغروب مع كونهم فى موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وتحقيقة التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان والشمس اذا كان مدارها تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتخلل عفوته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك تح اشارة الى ايوائهم الى كهف ذات الشمال وما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم فى ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى الطاعة سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم فلا يعارضه ايراده فى تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق فهو المهتد الذى اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق

ما تأتوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار
بها ومن يضلل اى يخلق فيه الضلال لعرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وأن بالغت فى التتبع والاستقصاء
وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده فى نفسه لانك لا تجده مع وجوده او امكانه و
تحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها والخطاب فيه كما سبق ايقاظا جمع يقظ بفتح القاف وكسرها وهو اليقظان و
هو الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلايمه قوله تعالى وتقلبهم وهم رقود اى نيام
وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على آذانهم وتقلبهم فى رقدتهم ذات اليمين
نصب على الظرفية اى جهة تلى ايمانهم وذات الشمال اى جهة تلى شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال
ابن عباس رضى الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء
وقيل فى كل تسع سنة وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقليبهم على المصدر مضافا بمضمر بنيئ عنه وتحسبهم
اى وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فنبحهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا اجانبى
فانى احب اجباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر انه
بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف فى لونه فقيل كان احمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير
ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل زبان وقيل تقود وقيل قطون وقيل نور قال خالد بن معدان ليس فى الجنة من الدواب
الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حالة
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائى وهشام وابى جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق
الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد اى بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اى لو عاينتهم وشاهدتهم
واصل الاطلاع الاشراف على الشئ بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم
وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى
الفاعل اى فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما فى قولها فانما هى اقبال وادبار واما على انه مفعول له و
لملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اى خوفا يملأ الصدر ويرعبه وسواء اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم
الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرون بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم
فى انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما فى الترتب على الاطلاع اذ لو
روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب الجوع من حيث هو هو عليه ولا الشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما
هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية قال معاوية لا انتهى حتى اعلم
علمهم فبعثت ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد
اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم حفظا اجسادهم
من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اى ليسال بعضهم بعضا
فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختيار من حيث انه من احكامه
المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر اثاره قال استينا خا لبيان تسالهم قائل منهم
هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم فى مناكم لعله قال لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد فى الجملة
قالوا اى بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة وكان ابتداء بعثهم آخر
النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن

الغالب

الغالب فلم يتعرّوا الى الكذب قالوا اى بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم
اى انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وتعالى وردّ منهم على الاولين بأجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب
وبتحقيق التوجه الى المحزنين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن فى حالتين ولا يساعد عليه النظم الكريم فان
الاستيناف فى الحكاية والخطاب فى المحكى يقتضيان الكلام جاريا على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا
اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوا اعترافا عن التعمق فى البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال
كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل انما ولى بعض اصحابه
ليشترى بها قوت يومهم ذلك وقرئ بكسر الراء وبادغام القاف فى الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام
وحملهم لها دليل على ان التزوّد لا ينافى التوكل على الله تعالى فليتلطف ايها اى اصلها ازكى احل واطيب او اكثر
وارخص طعاما فليات برزق منه اى من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة كيلا يغبن او
فى الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعى شيوع اخباركم كما لا يفعلن ما يؤدى الى
ذلك فالنهى عن الاول تاسيس وعلى الثانى تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهى اى ليبالغ فى
التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اى يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم
ان شبتم على انتم عليه او يعيدوكم فى ملتهم اى يصيروكم اليها ويخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقولهم
بلى اولتعودن فى ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وانما كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذى هو اشد
شئ عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم سوء الثبات على الدين المؤدى
اليه وضمير الخطاب فى المواضع الاربعة للمبالغة فى حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالقضية
فان المحاض النصح ادخل فى القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذن اى ان دخلتم
فيها ولو باكره والاجاء لن تفوزوا بالخير ابدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة وفيه من التشديد فى التحذير ما لا يخفى و
كذلك اى وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم فى مراتب اليقين اعثرنا اى اطلعنا الناس عليهم ليعلموا
اى الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اى وعده بالبعض او موعوده الذى هو
البعث وان كل وعد او كل موعود فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف
فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اى القيامة التى هى عبارة
عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك فى قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى
نفوسهم واسكنها ثلثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك فى ان
وعده تعالى حق وانه يبعث من فى القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون
ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع
يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين
الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين فى البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول يبعث الارواح
دون الاجساد وآخر يقول يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة حج رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته
فى البعث جسما فقيل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى
الله عز وجل فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سدبه دقيانوس باب الكهف لتتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم
الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى وكان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدراهم ليشترى به الطعام
وكان على ضرب دقيانوس فانهوه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا
اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم و
كافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا

الى مضاجعهم فماتوا فلقي الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كاربين للذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا
فدخل فختم عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قيل بعثهم اى اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم
امرهم وماجرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير واقواه الرجال
وعلى التقديرين فالقاء في قوله عز وجل فقالوا ضيحة اى اعثرناهم فرأوا ما رأوا فاخبروا فقالوا اى قال بعضهم
ابنوا عليهم اى على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس صيانة بتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما راوا اعدام اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد
ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه ردا للقول الخائضين
في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل سوامرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث
اختلفوا انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ ظرف متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم
وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون واثار صيغة الماضي
للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستريب ويتجدد كالتنازع وقيل باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيابا ان
اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي
بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافة الى التنازع وهو مؤخر عن الوقوع سيقولون
الضمير في الافعال الثلثة للمتنازعين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على
وجه استناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة اشخاص رابعهم اى جاعلهم اربعة
بانضمامه اليهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاثة بادغام
الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب رميا بالخبر المخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه
على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اى راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من
محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اى يرجمون رجما وعدم ايراد السين للكتفاء
بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم سوما يقوله المسلمون بطريق التلقين من هذا الوحي
وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة
وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق ورده على الاولين ربي اعلم
اى اقوى علما بعددهم بعددهم ما يعلمهم اى ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل
من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رض حين وقعت الواو انقطعت
العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى
الاستشهاد بالواو وكان للمسلمين اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة اسماؤهم
يمليخا ومكسلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش و
شاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين مروا من ملكهم
دقيانوس واسمه كفشتيطيوس فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اى اذ قد عرفت جهل اصحاب
القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من
وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم
وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من الفي ثنتين احدا
فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من اهل الكتاب

فالضمائر الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه تخصيص عما في الاول
من التكلف في جعل احد الاقوال للحكاية المنظومة في سمط واحد اشياء عن الحكاية مع كون الاخيرين بخلافه ووضوح
في سبب حذف المفعول في الاثار والمعنى صح واذ قد وقفت على ان كلتهم ليسوا على خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا
جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من غير تخجيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى
يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية ولا تصدق
القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث تلقيه من الوحي ولا تقولن لشئ اى لاجل شئ تعزم عليه
اني فاعل ذلك الشئ غدا اى فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين
قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه عليه السلام فقال ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فابطاء عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان الدخول بالعبارة هو
الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان سعة المجال
وطول المدة قليلا على الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اى لا تقولن ذلك في حال من الاحوال
الا حال ملابسته بمشيئة تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت
ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان ايضا بمشيئة تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم
سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد
كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان
شاء الله متدارکا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث
ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق و
لم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك البر ك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا
يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في بعثك
عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان
ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اى يوفقني لاقرب
من هذا اى لشئ اقرب وازهر من نبا اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا
اى ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين
كقصص الانبياء المتباعدة ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب
رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا وهي جملة مستانفة مبنية لما اجمل فيما سلف واشير الى غرة منالة وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم
اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال
عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة ثلث
ثلث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضع
الجمع موضع المفرد وما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما سبق في الواحد وان الاصل في العدد اضافته
الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اى بالزمان الذي لبثوا فيه لغيب السموات والارض اى ما غاب فيهما
وخفي من احوال اهلها واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به واسمع
دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شئ
ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء
ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر ثم نقل

الى صيغة الامر للانشاء وفيه الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المأمور وسوكل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر
ابصاره تعالى لان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات عالم لاحل السموات والارض من دونه تعالى من ولي
يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا و
سو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي المخاطر على ان الخطاب لكل
احد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي عليه السلام من المغيبات على انه
وحي بجز امره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت
بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد ابدا لدى ولا ملجا من
من دونه ملتحدا ملجاء تعدل اليه عند المهام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي اي دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان
ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تاويل النكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب
وبخوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه و
سلم نخ ثولاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك
واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة
الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته و
لا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو اولا
تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ
ولا تقد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لوثاثة زيهم طموحا الى زي
الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف
على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة
اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين
الاخيرتين ولا تطع في تلخية الفقراء عن مجلس من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده
للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقوله اجبنته وبخلته اذا وجدته كذلك او سميناه غافلا بان لم نسمه بالذكر عن
ذكرنا كما وسمناه كذابا ولكن الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون
من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه
وجهته وانهماكه في الحيوة الدنيا حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه
على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع
هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس
فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى
المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة
للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي اوحي الي الحق
لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن الرد في اتباعه وقوله
تعالى فمن شاء فليؤمن ومن فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد
والتقريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه اوان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن فليؤمن وكابر المؤمنين

والتعليل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم و
عدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى وانما تهديد من جهته تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد
على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدق فيه فليؤمن ومن
شاء ان يكفر به او يكذب فيه فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من
الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير عن عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من
دواعي الامتثال والاهمال وعلى الوجه الاول سوق التعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي الى قل لهم ذلك انا اعتدنا
للظالمين اي حيثما كانوا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة
الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشئ في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اي يحيط بهم وانما صيغة
الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون
حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصليم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى
الوجه الحرارة عن النبي عليه السلام هو كعكر الزيت فاذا قرب الى فيه انماعت فروة وجهه بئس الشراب ذلك و
ساءت النار مرتفقا متكاء واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وان ذلك في النار وانما هو بمقابلة قوله
تعالى حسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المفهم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا
ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تباين مآلي الفريقين اي ان الذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات
حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى والثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف
اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو
الذي آمن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن مبتدا وخبر جملة تجري من تحتهم الانهار
استئناف في بيان الاجر او موجبه وما بينهما اعتراض او موجبه بعد موجب يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى
ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت
الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما غلظ
بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وحسنت اي الارائك مرتفقا اي
متكاء واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج
الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لامن حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاولين
في الاخرة كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق
الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن
اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه
المبار فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم
ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة رض اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين
من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا
النخل محيطة بهما مؤزرا بهما كروما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيتعدى
الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للافوات
والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها ولم تبخس جملا
صالحا للاكل وقرئ بكون الكاف وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا
كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر في بعض

الاعوام دون بعض وبجرتا خلالها تجاريين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهما وقرئ بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر اتياء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من اتياء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونخوها ولو عكس لافتهم ان المجموع حصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان اتياء الاكل متفرع على السقي عادة وفيه اياء الى ان اتياء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر اله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حاوره اذا راجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي بشر جنت اهو الها وعددها ومنافعها وحيهها وتوحيدها لما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لان الاتصال احدهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف مبني على سؤال نشا من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اي تفنى ابدا للطول امده وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سياتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الظلم واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما فائدتها التنبيه من اول الامر على ما يتلوه كلام معتنى بشانه موثق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلق منه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه وهم اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الكل خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة اي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدا متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا او حيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لكفره والتوبيخ بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فالقيت النونات فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا لا الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ماشاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء ابقاكم وان شاء افناكم لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بالعجز عن مباشرتك من عمارتها وتدبيرها وانما موبخة تعالى واقتداره عن النبي عليه السلام من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن

انا اقل منك مالا وولدا انا ما موكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعول الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيا وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا خبر لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر او ما اصله المبتدا والخبر وقرئ اقل بالرفع خبر الانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من مبدع الله سبحانه ان يقلبني من الفقر والغنى فيرزقني لا يمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم لنيماسياتي للاولين اكثر من الماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع ابدا له اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه وردّه واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنيته وما فيها واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وهلك امواله وانما حذف لدلالة السياق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهر البطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح نديم على الانفاق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان تتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا يناله ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على صنيع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقط على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلك وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغارماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه من قبل شركه فتمنى لو لم يكن يكن مشركا نادما بصنيعه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فيه ما يعتبر ونه يعتبرون به على نفره بدفع الاهلاك او على ردّ المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يروهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته من انتقام سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة كما وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او نصر فيها اوليائه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه اولا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية ونصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يفرطوا عن الاخرة صفحا بالهمزة او بتركها صفتها العجيبة التي هي الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه

من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض
فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرة وتكاثفه او يحتمل الماء في النبات حتى روى ورف فمقتضى الظاهر ح فاختلط نبات
الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح
ذلك النبات الملتف الشبيه بحديقتها ورفيفها هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وتحركه تذريه من ذرته
وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر
وارخاتم شيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شئ من الاشياء التي من جملتها الانشاء
والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من
محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم
المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية المحكية آنفا وحوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الايات
الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة و
مدد لكل احد من الاباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من
بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة
اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق الحال
وكمال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها
نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شئ يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة
الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات
الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيه اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة و
العشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوايدها عند فناء وكل ما تظلم اليه النفس
من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج
الصفات المفروغ عنها مع ان حقها ان يكون مقصودة الافادة لاسيما في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها
من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة
الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها
عند ربك اي في الاخرة وسوبيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لانه يمكن
فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لها في الخيرية في الاخرة ثوابا وعايدة تعود الى
صاحبها وخيرا املا حيث ينال بها في الاخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه
امل نيله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي
اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيأتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة و
هي تمر مر السحاب او نسيرها جزاء لها بعد ان بخلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي
وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله يوم القيمة وقرئ نسير
على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل
لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن يتاتى منه الروية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه
فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا و
حشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي لتيسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع

على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان شيئا مما
قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كما ينبئ عنه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا يقال
غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي سوف يترك السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء
وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك اشيعت حالهم
بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان
الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام مالا
يخفى صفا اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح بجمع
الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا
اي مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان
هذا القول هو المعتمد وبالاصالة دون سائر العوارض مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير
الجبال وبروز الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم اول مرة او حال
من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما مع كثرتي مما تفتخرون به من الاموال والانصار
كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما
وعدناه من البعث وما يتبعه وان محققة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير
دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع
ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واوردفيه ما اورد
في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس
والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيه الكفرة كما
المنكرون للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما
في تضاعيف نقير او قطمير يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوا من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا
يروا هول ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك ما لهذا الكتاب اي اي شئ له وقوله تعالى
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجيب
او استينافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك
احدا فيكتب بالم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهار المعدولة القلم الالهي واذ قلنا للملئكة
اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لادم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا اجمعا امتثالا بالامر
الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستانف سيق مساق التعليل لما
يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل مالهم لم يسجد فقيل كان من الجن اصله جنيا ففسق عن امر ربه اي خرج
عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء واوصارفاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية
النافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم
المستكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون
لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور ذلك
القبايح عنه تتخذونه وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذرية مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد
بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتفلق البيضة من جماعة من الشياطين اولياء من دوني

فتتبدلونهم فى تخطيطهم بدل طاعتى وتجعلونهم اى والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اى اعداء كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو وانما فعل ذلك تشبيها بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومنافٍ له قطعا بئس للظالمين اى الواضعين للشئ فى غير موضعه بدلا من الله سبحانه لابليس وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح مالا يخفى ما اشهدتهم استيناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذرا من تفكيك الضميرين و محافظة على ظاهر لفظ الانفس وذلك ان ترجع الضمير الثانى الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قصد المعنى اليه فان نفى اشهاد الشيطانين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء وبناء على ان ادنى ما يصح التوالى حضور الولى خلق المتولى وحيث لا حضور لا صحيح للتولى قطعا وما نفى اشهاد بعض الشيطانين خلق بعض منهم له فليس من مدار ية الانكار المذكور فى شئ على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان صح فالتولى الشاهد بناء على دلالته على الحاله باعتبار ان له مدخلا فى خلق للشهود فى الجملة فهو محل تتولى المشهود وبناء على حضوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متحققا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا فى شان الخلق او فى شان من شئونى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى لايكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم معهورون تحت قدرة تعالى تابعون لمشيته وارادته فبهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم فى شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا للرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفى الاتخاذ وقرئ متخذ المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبفتحتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وارصد ويوم يقول اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتحسيرا وقرئ نون العظمة نادوا شركائى الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم انادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم بامانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفى ارادة مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم فى الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق يبق وبقا كوثب يثب وثوبا اووبق يبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الاخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملئكة وعزير او عيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاستواء فرطا بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اى لما يقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة

ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا يتصرفون اليه ولقد صرفنا اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم فى هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته امثر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة الداعية الى الايمان التى هى فى الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شئ جدلا اى اكثر الاشياء التى منه الجدل وسوقها نادة الخصومة بالباطل والمراة من الجدل التى هى القتل والمجادلة الملاواة لان من المجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اى القرآن العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعانى الموجبة ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التى من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان تاتيهم سنة الاولين اى الا طلب اتيان سنتهم او الاقتضاء اياها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال او اتيانهم العذاب اى عذاب الاخرة قبلا اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما فى قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بضمتين اى مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مشتملا على الحكمة الغوية للا متنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين الى الامم طيبين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المجاب والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اى بالجدال الحق اى يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وسوقهم للرسل عليهم السلام مالكم الا بشر مثلنا لانزل ملئكة ونحوها واتخذوا آياتى التى نحذرهم بها صم الجبال وما انذروا اى انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاى وهو ما يستهزء به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه وسوء القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبر ولم يتذكر بها وهذا التبكيت وان كان مدلوله الوضعى نفى الاظلمية من غير تعرض للنفى والمساواة فى الظلم الا ان مفهومه العرفى انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما فى حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد وبلغ قدمت يداه اى عمله من الكفر والمعاصى التى من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر فى عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وسوء تقليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوا على كنهه او مفعول له الى كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم اى جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابدا اى فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال ابنى عليه السلام المدلول عليه بكمال عناية بأسلامهم كانه قال عليه السلام ما لى لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده فى المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدا وقوله تعالى ذو الرحمة اى الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وسوقها قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهى فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية اولانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصى التى من جملتها ما حكى عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجابهم لذلك

وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوها للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية
متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب
لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق
في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا بمؤاخذين
بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى وملجا يقال وأل اي نجا وال اليه لجا واليه وتلك القرى اي
قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول
مضمر مفسره لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبايح وترك المفعول اما للتعميم الظلم او
لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد هو الوقت
المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا
معينا لا يحيدلهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا باتاخر العذاب
وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى بتقدير فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه
وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه وعيسى التلميذ فتى
وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر
المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان
ذلك عند التوجه الى السفر والكلام على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية يستدعي ذا غاية يؤدي اليها ويجوز
ان يكون اصل الكلام لا ابرح مسيري حاصلا حتى ابلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير المجرور
المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا
بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل عمان الكر والرس بالمدينة
وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب واحقب الدهر او
ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط
امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم
الناس قال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبدلي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام
وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى لم
سأل ربه اي عباده احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال
يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الصخرة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه
اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه
وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى ان يأمره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وقعا في الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب
ماؤها ميتا الا حي وسقط عليها من الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا الكلا منه بعدما
استيقظ يوشع وهم وقيل توضأ وعليه السلام من تلك العين فانضح الماء على الحوت فوقع في الماء فاتخذ سبيله في
البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر
عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق بالمتخذ فلما جاوزا
اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى عليه السلام الجوع

فتعجب ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة
الى ما سار بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء
الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التقرى من
استراحة ما قال اي فتاه عليهما السلام ارايت اذ اوينا الى الصخرة اي التجانا اليها واتمنا عندها وذكر
الاواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بموقع مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا
يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه وتمهيد العذر فان الاواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان
عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة المشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه
حينئذ من النسيان مع ما شاهد من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا هو الحوت
معتادا فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا انا بخطب اراني ما بني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه
مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت
الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع ان الامور
باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهد ليس من قبيل الاحوال
المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكرك امره
وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره
بدل اشتمال من الضمير اي انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره ثانيا على طريق الابهام
المبني عن تخييل المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وانثاره
ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه
لما تعود بمثلها عند موسى عليه السلام والتفاقل استمامة بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف
من امر الحوت مبني على طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حتى واضطرب
ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو للمفعول
الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وموكون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي فتعجب
منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذلك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من امر الحوت
ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا
اي رجعا على اثارهما طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او
مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر
واسمه بليا بن ملكان وقيل البسع وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا هو الوحي والنبوة كما يشير
به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو
علم الغيوب قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشأ من السياق كانه قيل فاذا جرى بينهما من الكلام
فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني استيذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا
اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف
وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا بامضار فعله ولا يأبى نبوته و
كونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام
غاية التواضع معه عليه السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على
وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله وكيف تصبر على علم لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية
المذكور منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي تصحيح البخاري

قال الخضر يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه لا اعلمه وخبرا تميز اى لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدنى ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين معمولى الوجدان لكمال الاعتناء باليمين ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص وفى وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدنى فى محل من الاعراب والاول ظاهر فى نفوذ تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتنى اذ ان لم تفى الاتباع بعد النهى والفاء لتفريع الشرطية على ما تقدم من التزام موسى عم للصبر والطاعة فلا تسألنى عن شئ تتابعنى من افعالى اى لا تفاتحنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اى حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسئلنى بالنون المثقلة فانطلقا اى موسى والخضر عليهما السلام على الساحل طلبا السفينة وما يوشح فقد صرفه موسى عم الى بنى اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اياها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا فى السفينة استعمال المركوب فى امثال هذه المواقع بكلمة فى مع تجريده منها فى مثل قوله عز وجل لاركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها الا ما قيل من ان فى ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما جاوزا فاخذ فأس فقلع من الواحها لوحين تحايل الماء فعند ذلك قال موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد للتغريق وليغرق اهلها من الثلاثى لقد جئت امرا وغلت شيئا امرا اى عظيما مما لا ملائم الامر اذا عظم قيل الاصل امر مخفف قال اى الخضر الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقنى اى لا تغشنى ولا تحملنى من امرى وهو اتباعه اياه عسرا اى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا فابصحبة اى فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل مر برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اى موسى عليه السلام اقتلت نفسا زاكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفى هذا للشبيه بالذكر من بين سائر الشبيهات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظر الى حال الغلام و لعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عم ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام فى معرض الجزاء للمقصود افادة مح ان التحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عم من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها فى نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة فى الشرطية الاولى لما ان صدور الخوادة منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عم هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما فرغ المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عم فتفعل ما تفعل ولقد درشان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة فى الكلام فليس من دفع الشبهة فى شئ بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادى قلة صدوره عن المؤمن والعاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعى جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة

صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تدارك ما يمكن تدارك الاول بالسدة ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من غراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زيدت لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة الثبت والصبر لما تكرر منه الاشعار والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية قال اى موسى عليه السلام ان سألتك عن شئ بعدها اى بعد هذه المرة فلا تصاحبنى وقرئ من الافعال اى لا تجعلنى صاحبك قد بلغت من لدنى عذرا اى قد اعذرت ووجدت من قبلى عذرا حيث خالفتك ثلث مرات عن النبى عليه السلام رحم الله اخى موسى لو صبر لرأى من صاحبه لا بصر العجب العاجيب وقرئ لدنى بتخفيف النون وقرئ بسكونها والدال كعضد فى عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هى انطاكية وقيل ابلة وهى بإزاء ارض الله من السماء وقيل هى برقة وقيل بلدة باندلس عن النبى عليه السلام كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها فى محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها فاطنون بى اقبح واشنع روى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضافت مال اليه من ضاف السهم عن الغرض وتنكيره زاده من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى يرانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة فى ذلك والانقضاض الاسراع فى السقوط وسوء انفعال من النقض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت السن اذا اشتقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول ما فى لو من النفى كانه قال اى الحرمان ومماسس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اى لاخذت وقرئ باد غام الذال فى التاء قال اى الخضر عليه السلام هذا فراق بينى وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما فى هذا اخو كو الوقت الحاضر اى هذا الوقت وقت فراق بينى وبينك او السؤال الثالث اى هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود وسأنبئك السين للتاكيد لعدم تراخى التنبئة بتأويل لم تستطع عليه صبرا التأويل رجع الشئ الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوى الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفى جعل سلة للموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ايتك ونحو ما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة التى خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ اما بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اى اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اى امامهم وقد قرئ بها وخلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدى يأخذ كل سفينة اى صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تقريع ارادة تعييب السفينة على سكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع مداره كلا الامرين للاعتناء بشأنها اذ هى المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى فى المدار به هو الامر الاول ولذلك لا يبالى بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب فى حقهم ايضا ولان فى

اثنا خبر فصلا بين السفينة وضميرا مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذى قتلته فكان ابواه مؤمنين
لم يعرج بكفره او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره خشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين
المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويحتمل بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه و
كفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافرا ويعديهما بداءه ويضلهما بضلاله فيرتد ابيه واما خشي الخضر
عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اى كره سبحانه كراهة من خاف
سوء عاقبة الامر فعبر وبجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاصب لك فاردنا
ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خير امنه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما
لايخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب
رحما اى رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من
الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا
وانتصابه على التمييز مثل زكوة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما
سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما
اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنزلهما من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما
في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لايؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب
مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاح
قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اى مالكك ومدبر امورك نفي اضافة
الرب الى ضمير موسى ثم دون ضميرها تنبيه لهم على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادة سبحانه ووجوب
الاحتراز عن المنافقة فيما وقع بحسبهما من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اى حلمهما وكمال رايهما
ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا الى التمه لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظه
المال وتنميته ومناع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اى مرحومين منه عز وجل او مفعول
له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمعنى اى فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها
رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اى عن رائي
واجتهادي تاكيد الذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد درجتها في الفخامة تاويل لم تستطع اى لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا
من الامور التي رايتها اى ماله وعاقبته فيكون انجازا للتتمة للموعودة او الى البيان نفسه فيكون التاويل بمعنى
وعلى كل حال فهو قد ذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للنكير وتشديد للعتاب تنبيه اختلفوا
في حيوة الخضر ثم قيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين
الحيوة فشرب واغتسل منها وشرب من ماءها واخطاه ذو القرنين الطريق فعادوا قالوا والياس ايضا في
الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي عليه السلام صلى العشاء ذات ليلة ثم قال
ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حينئذ
حيا لما عاش بعد مائة عام روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لاتظلن العلم
لتحدث به واطلبه لتعلم ويسالونك عن ذي القرنين هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سالته
قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين لاكبر

واسمه

واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرزبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام
وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن فينان بن منصور بن عبد الله بن الازر
بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال الشهيلي قيل اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن
هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن الضحاك الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البروني في
كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب تبع بن عبير بن افريقيس الحميري
وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي
مسلما ملكا علا في الارض غير معقب بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسبابا بامر من حكيم مرشد وجعل هذا
القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي
جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل
انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد
ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام
وقصد بني اسرائيل ووردبيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون
والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد
الهند وفتح وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان
وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى ان اهل النجوم قالوا له
انك لاتموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته
وموضعه فبلغ بابل ضعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فاذا الشمس قد طلعت بترس فنظر
فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة قال ابن كثير
وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغ انه عاش ستا وثلثين سنة او ستين وثلثمائة سنة و
انه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لاينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت
وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل ووردبيت المقدس والذبح في مذبحه فانه حالا يكاد يتاتى نسبته الى
الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض
وظاهره متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى واتيناه من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء
النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول
لاخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا امارضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملئكة قال ابن كثير
والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم
ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور
وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره
انه اسلم على يدي ابرهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع ابرهيم
عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتى بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه
الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابرهيم عم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره
وجميع آلاتهم اذا اراد واغزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم
يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه ونا صح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف
في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس
وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في راسه اوفي تاجه مايشبه القرنين وقيل لانه كان له ذوايبتان وقيل

لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا قومه الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله بعد مائة عام فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه رأى فى منامه انه صعد السماء فاخذ بقرنى الشمس وقيل لانه ملك الارض فى عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فكان اذا سرى يهدى به النور من امامه ويخوط الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا وآما ذو القرنين الكنعانى فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيليس بن مصرم بن هرمس بن ميطون بن روحى بن ليطى بن يونان بن يافث بن نوح بن شرخون بن رومية بن لوطى بن نوفيل بن روحى بن الاصفر بن العنز بن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسب ابن العاكر المقدونى اليونانى الاسكندرية الذى يورخ بايامه الروم وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذى قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال ابن كثير وانما بيّنا هذا لان كثيرا من الناس يعتقدانهما واحد وان المذكور فى القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثانى فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من الفى سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدونى نسبة الى بلدة من بلاد الروم غزلى دار السلطنة السنية قسطنطنية المحمية لازالت مشحونة بالشعائر الدينية من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهى اليوم بلقع لا يفيم بها احد ولكن بها علائم تحكى كمال عظمها فى عهد عزها ونضارتها شوكة واليها وسلطانها ولقد مرت بها عند القفول عن بعض المغازى السلطانية فعاينت فيها من تفاوت الآثار ما فيه عبرة لاولى الابصار قل لهم فى الجواب سأتلو عليكم اى سأذكر لكم منه اى من ذى القرنين ذكرا انباء مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحى المتلو حكاية عن جهته عز وجل قيل سألوا وسأتلو فى شأنه من جهته تعالى ذكرا اى قرانا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تايين عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اى لا اترك التلاوة البتة كما قال من قال ساشكرعم ان تراخت منيتى ايادى لم تمنن وان هى جلت للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان نزل الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحى بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتونى غدا اخبركم فابطاء عليه الوحى خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فى ما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له فى الارض شروع فى تلاوة الذكر المعهود جسما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا قويا ومعنى الثانى جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما فى الوجود وتقاربهما فى المعنى يستعمل كل منهما فى محل الآخر كما فى قوله عز وعلا مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم اى جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والتمكن فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكر فيها اى ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم فى الارض ما لم نمكن لكم وكذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه فى سورة يوسف عم والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف فى الارض من حيث التدبير والراى والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له فى الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذللت له طرقها وآتيناه من كل شئ اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اى طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة التيمنية وقرئ من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثانى حتى اذا بلغ مغرب الشمس اى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط

الغربى الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه جزائر السمات بالى الدارات التى هى مبدأ الاطوال على احد القولين وجد الى الشمس تغرب فى عين حمئة اى ذات حمأة وهى الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اى حارة روى ان معاوية رضه قرأ حامية وعند ابن عباس رضه فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله العامر كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين وروى فى التوراة حوا تق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء فى الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضه بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس رضه قطعية فى مدلولها وقراءته محتملة و لعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس فى مطمح بصره غير الماء كما يوهم به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم لفظ البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اى امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اى اما تعذيبك واقع واما امرك تعذيب او اما تفعل تعذيبك وكذا الى فى الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبى فى ذلك العصر او كان ذلك الهاما وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبى قال اى ذو القرنين لذلك النبى او لمن عنده من خواصه بعد ما تعلق امره تعالى باختيار الشق الاخير اما من ظلم اى نفسه ولم يقبل دعوتى واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذى هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر فى القدور ومن آمن اعطاه كساه ثم يرد الى ربه فى الاخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اى منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان المخاطب بطريق الوحى اليه وان مقاولته كانت مع النبى او مع من عنده من اصل المشورة واما من امن بموجب دعوتى وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى اى فله مثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اى يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اى مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه للالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خبر بين الفعل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فنيرعى فى حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يحب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اى وليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب وسنقول لهم من امرنا اى مما نامره به يسرا اى سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اى طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى يطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اى مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه فى اثنى عشرة سنة وقيل فى اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دوننا سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وهى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا فانظر كيف تطلع الشمس قال فنبينا

نحن كذلك او بمعنا كهيئة الصلصلة تغشى على ثم افقت وضم يحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء
اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصيطادون السمك ويطرحونه
فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لايلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه لك فى رفعة المحل وبسطة الملك اوامره فيهم كامره فى اهل المغرب
من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجدا وبجعل او صفة قوم اى على قوم مثل
ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم او سترامش ستركم من اللباس والاكنان والجبا
او غير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعنى ان ذلك من الكثرة بحيث لا
يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما تناول ما جرى عليه وما
صدر عنه وما لاقاه فتأمل ثم اتبع سببا اى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب
الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلى
المشرق لا جبلا ارمينية وآذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما
كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التى تستعمل اسماء
ايضا كما ارتفع فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم وارتفع فى قوله تعالى فراق بينى وبينكم وجد من دونهما
اى من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اى امة من الناس لايكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم
وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اى لايفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى انهم من اى الاقوام فقال
الضحاك هم جيل من الترك وقال السدى الترك سيرة من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين
السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على
احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد
نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوب و
يافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قالوا اى بواسطة مترجمهم او بالذات
على ان يكون فهم ذى القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما اتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج
من الجيل واختلف فى صفاتهم فقيل فى غاية صغر الجثة وقصر القامة لايزيد قدهم على شبر واحد وقيل
فى غاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدود هم ثمانمائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب
واضراس كالسباع وهما سمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا سرع واصلها
الهمزة كما قراءة عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى
ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اى جعلا من اموالنا والفاء للتفريع
العرض على افسادهم فى الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض و
الاتاوة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكنى بالادغام و
قرئ بالفك اى ما مكننى فيه ربى وجعلنى فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير
اى مما تريدون ان تبذلوه الى من الخرج فلا حاجة بى اليه فاعينونى بقوة اى بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل وبالآلات لابد منها فى البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه
من ماله او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير

الخ طيبين على اضافة الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه فى قولهم بيننا وبينهم
ردما اى حاجزا حصينا وبرزخا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اى فيه رقاع فوق
رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتونى زبر الحديد جمع زبرة كغرف فى غرفة وهى
القطعة الكبيرة وهذا لاينافى رد خراجهم لان المأمور به الاتياء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه
القراءة بوصل الهمزة اى جيئونى بزبر الحديد على حذف الباء كما فى امرتك الخير ولان ايتاء الآلة
من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات
من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هى الركن فى السد ووجودها اعز قيل فجعلوا للاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم
حتى سد ما بين الجبلتين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلا حتى اذا ساوى بين
الصدفين اى آتوه ايايا فاخذ ينى شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين من البنيان
مساويا لهما فى السمك على النهج المحكى قيل كان ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى
من التسوية وسووى على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اى بالكبران فى الحديد المبنى ففعلوا
حتى اذا جعله اى المنفوخ فيه نارا اى كالنار فى الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذى القرنين
مع انه فعل الفعلة للتنبيه على ان العدة فى ذلك وبهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس
من الاذابة ونحوها آتونى افرغ عليه قطرا اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ بالوصل اى جيئونى كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ الى نحو
للذى الذى وقفت عليه آنفا وكذا الكلام فى قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا
بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء ضيحة اى فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر والاتيان
فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا نجا ويأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه
وينقبوه فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا
له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا
يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها
فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان
ما كان والله على كل شئ قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس
مذاب فى تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك
الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذى ظهر
على يدى وحصل بمباشرتى من السد الذى شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اى اثر رحمة
عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربى على كافة العباد لاسيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل
الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرته والتعرض لوصف
الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربى مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج
يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجئ مباديه من خروجهم
وخروج الدجال ونزول عيسى عم ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التى
ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اى السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة
ما ليس فى توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكاء اى ارضا مستوية وقرئ دكا اى

مدكوكا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت
مجئ الوعد يجئ بعض مبادية وفيه بيان لعظم قدرة عزوجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربى اى وعده
الموعود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل
من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عزوجل وتركنا
بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء وتحقق لمضمونه اى جعلنا بعض الخلائق
يومئذ اى يوم اذ جاء الوعد يجئ بعض مبادية يموج فى بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر
ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج
يموج فى بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين فى البلاد روى انهم ياتون البحر فيشربون ماءه و
ياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة و
المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عزوجل نغفا فى اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيبعث
الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم
يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول عيسى ودم وقتل الدجال ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية بقضية
الفاء فى قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها
حالة مختصة بالكفار ولما يقع الفصل بين ما يقع فى النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما
يقع منها فى النشاة الآخرة اى جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم فى صعيد واحد
للحساب والجزاء جمعا اى جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ
اى يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلنا ها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا و
زفيرا عرضا اى عرضا قطعيا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها ابرزت لمرأى من اهل الجمع قاطبة
لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم فى الدنيا فى غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة
بذلك من جميع الجوانب عن ذكرى عن الآيات الموجدة لاولى الابصار المتدبرين فيها الى ذكرى بالتوحيد
والتمجيد او كانت اعين بصائرهم فى غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشانى او عن القران الكريم وكانوا
مع ذلك لا يستطيعون لفرط تعاميهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول عليه السلام سمعا استماعا
لذكرى وكلامى الحق الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية
كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات الشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه
او بيان جئ به لذمهم بما فى حيز وللاشعار بعلية لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم
استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم فى الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا
به فى الاخرة افحسب الذين كفروا اى كفروا بى كما يعرب عنه قوله تعالى عبادى والحسبان بمعنى الظن و
قد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما فى قولك اضربت اباك الوقوع
كما فى قوله اافرب ابى والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه العلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين
جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اى الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف
فقط كما اذا قدر مثبتا اى تسمعون فلا تعقلون والمعنى الكفر بى مع جلالة شانى فحسبوا ان يتخذوا
عبادى من دونى من الملئكة وعيسى وعزير عليهم السلام وسائر تحت سلطانى وملكوتى اولياء معبودين
ينصرونهم من باسى وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الى دلالة على ان الحسبان
ما شئ من التعامى والتصام وادخل عليها همزة الانكار ردا عليهم وقطعا له عن المعطوف عليها فظاهر
لا معنى للايذان بالاستقبال المؤكد للذم اياه وترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامى والتصام

على انها اخر ما خرج الاحوال الجليلة لهم ولم يذكر امن حيث انها من افعالهم الاختيارية الحادثة بكسبهم المجسن
لتفريعه عليها وايضا فانه دين قديم لهم لا يكون جعلة ناشيا عن تعاميهم عن كلام الله عزوجل وتخصيص الانكار
بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما فى حيز صلة ان سادّ مسدّ مفعولى حسب كما فى قوله تعالى وحسبوا
ان لا يكون فتنة اى الحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ فى شئ لما انه انما يكون
من الجانبين وهم منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعولا الكل
محذوف اى الحسبوا اتخاذهم انفسهم اولياء والوجه هو الاول لان فى هذا تسليما للنفس الاتخاذ واعتدادا به فى الجملة و
قرئ الحسب الذين كفروا اى الحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان
النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل فى العمل فالهمزة تجئ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اى هيانا اياها
للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم
الباطل نزلا اى شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف مما حضر من الطعام وفيه
تخطئة لهم فى حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل عتاد العتاد واعداد الزاد ليوم
المعاد كانه قيل اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفى ايراد النزل ايماء الى ان
لهم وراء جهنم من العذاب ما هى انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالمنوى
قل هل ننبئكم الخطاب اما للكفرة على وجه التوبيخ والجمع فى صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان
بعلوية البناء للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان
لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الكسبة فى انفسها وفى حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها
واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثار ما غبت بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة فى انفسها مع كونها حسنة
فى حسبانهم الذين ضل سعيهم فى اقامة تلك الاعمال اى ضاع وبطل بالكلية فى الحيوة الدنيا متعلق
بالسعى لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن
ابى وقاص ومجاهد ويدخل فى الاعمال حج ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهبان
الذين يجبسون انفسهم فى الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين
او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتى من قوله تعالى اولئك الآية يأباه ان صدره ليس منبئا
عن خسران الاعمال وضلال السعى كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه سكت
عن ابناء ما هو العمدة فى تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع
انما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ الاجمال لا يدرا بحت الامر بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وموجبها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى اى يحسبون انهم
يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التى سعوا فى اقامتها وكابدوا فى تحصيلها واجلة عاملة
من فاعل ضل اى بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون فى ذلك وينتفعون باثاره او من
المضاف اليه لكونه فى محل الرفع كقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اى بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق بينهما
ان المقارن لحال حسبانهم المذكور فى الاول ضلال سعيهم وفى الثانى نفس سعيهم والاول ادخل فى بيان
خطائهم اولئك كلام مستانف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم
وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اى اولئك المنعوتون
بما ذكر من ضلال السعى مع الحسبان المذكور الذين كفروا بايات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد
عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم فى الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه

من امور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين
بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره
الاعمال الفاضلة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع
واما ما هو من اجزية الكفر فسيجئ بعد ذلك اولا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانا انما يوضع لاهل الحسنات
والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين
بطريق الكلية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك
بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمال المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم
خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ماذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبايح التي انبأ
عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي مهزوا بها فانهم لم يقتصروا بمجرد الكفر بالايات و
الرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا
باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بايات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات
من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يحصل اليهم بمقتضى
الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما احدثوه من سوء اختيارهم جنات
الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك
هو الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الكرم خاصة
وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب
وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها
الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة نزلا
خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان من جنات الفردوس والجمهور
هو الجزور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس
الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعدالله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة
الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا
مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شئ اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم
اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين
او من ضميره في فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة
من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد
المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شئ لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء
والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها قبل نفاد البحر وفي
اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف
المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من
جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جئ به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد
والواو لعطف الجملة على نظيرتها المتناقة للمقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة

اي لنفد

اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدر تنا البشرة بمثله مددا عونا وزيادة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة
على تناهي الابعاد وقرئ بمدد اجمع بدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شان كلماته
تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد
لا شريك له في الخلق والامر سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع
وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان الآتي بحال
المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي لمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك
الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك
بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل
الرياء ومن يطلب باعماله اجرا واثارة منع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة
التقرير والاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير رفعه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك
فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عليه السلام قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى
به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألؤ الى مكة حشو ذلك النور
ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك ملئكة يصلون

حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

كهيعص بامالة الالف والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وتخفيهما وباخفاء النون قبل الصاد
لتقاربهما وقد سلف ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة
الاعجاز على الوقف قطعا لحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها
لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه الطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف
والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح
الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشتريته فلان او على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به
ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول
هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من
قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جئ اليه اهل التحقيق فذكر
الخ خبر مبتدأ محذوف ومما ينبئ عنه تعديد الحروف كما قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به
السورة ذكر رحمة الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة
الخ وقيل هو مبتدأ وقد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التكبير
اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه تم تكميل له وقوله تعالى عبده مفعول
لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر

الرحمة بوقوعها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله عز وجل زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتما عالما على الوجه الاول لفاد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعالى فعلها في اوان الكبر والشيخوخة وعن عائلة موالية الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه ح ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب رب اني وهن العظم مني اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعامة الجسد فاذا اصابه الضعف والوهاوة اصاب كله اولانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن و افواده للقصد الى الاجنس المبنئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف موحال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الراس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ما خذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ونبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الراس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب راسي فاسند الاشتعال الى الراس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالقبول اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تخييله بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم اكن بدعائك رب شقيا ولم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل راسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرافة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عوده باجابة دعواته طول ازمنة الاجابة بالمبالغة في التقرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما ينا سبه من اسمائه وصفاته وانى خفت الموالي عطف على قوله تعالى اني وهن العظم مني مرتب معنونة على معنونة فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعده وموالية بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ ورائي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد فالظرف ح متعلق بخفت وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد من حين شبابها قط لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرها من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل

سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا اي ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مشرقة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدة امر الخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الجبورة وكان عليه السلام جبارا ويرث من ال يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل حاشيته الذين يؤل امرهم للقرابة او العصبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان ال يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاخبار يومئذ فاراد ان يرثه وولده جبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث آل يعقوب على انه بدل من المسكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه اياء الى وراثته عم لا يرثه في حالة صغره وقرئ وارث من ال يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عم انبياء ولا علماء واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشان ما يستدعيه يا زكريا على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلاما كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما يقتضيه المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى النبي عليه السلام حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يجيء يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال ح وفي تعيين اسمه عليه السلام تاكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا عما تفرل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي برحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته قال

استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال ربه عز وجل فقيل قال ربّ الخ وانما اسند القول الى الرب تعالى بالذات مع وصول خطاب الله تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة فى التضرع والمناجاة والتجلد فى التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه تعالى بالامور غير متوقف على توسط كما ان علم البشر بها يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك فى عامة الاوقات انى يكون لى غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم المجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى المؤخر اى كيف او من اين يحدث لى غلام وجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له اى انى يحدث كائنا لى غلام او ناقصة اسما ظاهرا وخبرا اما انى ولى يتعلق بمحذوف كما مر او مسلوب الخبر وانى نصب على الظرفية وجوز ان تكون تامة وكان امرأتى عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اى كانت امرأتى عاقرا لم تلد فى شبابها وشبابى فكيف وهى الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وخولا فى المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو وكقعود فاستثقل توالى الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لحالها بعد با وقرئ بضمها ولعل البداية هٰهنا بذكر حال امرأته على عكس ما فى سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله فى تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر نتمة لما ذكر قبل واما هناك فلم يسبق فى الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه اب وانما قاله عم مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة فى سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه فى ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه فى نفسه من الامور المستحيلة عادة للاستبعاد اله وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عم استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد قال استيناف كما مر مبنى على سؤال نشأ مما سلف والكاف فى قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما فى مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهى لقال اى قال ربك قولا مثل ذلك القول البديع قلت اى مثل ذلك الوعد المارق للعادة الذى فى ذلك اشارة الى مصدره الذى هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول الخ شبه هذا به وقدم تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علىّ هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة فى حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع وقرئ وهو علىّ هين وعدت سوءا على خاصة هين وان كان فى العادة مستحيلا وقرئ وهو علىّ هين فالجملة ح حال من ربك والياء عائدة عن ضميره كما استعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهى مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الى مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين برسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عم من ايجاده من العدم وتصريفه فى اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام حصول الموعود وبورثه عم الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عم تحقيقا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علىّ هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اى قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر للمنونة والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن فى الجار والمجرور وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل

منتهى الكلام فى اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذى مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى قالة زكريا عليه السلام اى قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من المالة المبنية للولادة فى نفسه وفى امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اى قال تعالى موجع بعده فى نفسه على حين و القراءة الثانية ادخل فى افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمحل سيداد المعنى لان مآله تقرير صعوبة حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته فى نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم يخيب ذلك الى آدم عم وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك او آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفاية فى ازالة الاستبعاد بقياس حال بشريته على حاله عم لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشاءه عم من العدم اذ لم يكن فطرة البديعة مقصورة على نفسه بل اذ كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر احاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا بجريان اثاره على الكل فكان ابداعه عم على ذلك الوجه ابداعا للكل اجمالا من فروعه ولما كان خلقه عم على هذا النمط السارى الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه واول على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم ذكر ياج اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان معيار الحال ما بشر به بنسب الخلق المذكور اليه كما ان الخلق والتصوير الى المخاطبين فى قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل فى تضاعيف خلق آدم ولم تكن اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشئ على المعتد به اى ولم يكن شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى على تحقق المسؤل ووقوع المجعول ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد قرئت الاشارة فى تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغى ان يكون بعد ما مضى بعد الاشارة برهة من الزمان لما روى ان يحيى كان اكبر من عيسى عم بستة اشهر او بثلث سنين ولا يرد فى ان دعاء زكريا عم كان فى صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهى انما ولدت عيسى عم وهى بنت عشر سنين او بنت عشرة سنة والجعل ابداعى واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه مستوجب لكون آية مبتدأ وعند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالها بعد ورود الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اى ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع ايامهن للتصريح بها فى سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اى تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوىّ الخلق سليم الجوارح مالك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اى من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغير اللون فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اى اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان فى قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اى صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا هما طرفا زمان للتسبيح عن ابى العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او ورد بكم طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا او يأمر قومه بذلك

استنبأه

يا يحيى استيناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى خذ الكتاب
اى التورية بقوة اى بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رض الحكم
النبوة استنبأه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه فى الدين روى انه دعاه
الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن
والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الاضافة اى
واتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة فى قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اى طهارة
من الذنوب او صدقة تصدق بها على ابويه او توفيقا للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا مجتنبا
عن المعاصى وبرا بوالديه عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا
متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد يوم ان يناله الشيطان
بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر
فى الكتاب كلام مستانف خوطب به النبى عليه السلام وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال
الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هى الخ صدرت بقصة زكريا للمستتبعة لذكر
قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اى واذكر للناس مريم اى نبأها فان الذكر لا يتعلق
بالاعيان وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور به ذكر نبأها عند
انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستيناف واخل بحيز الظرف متمم للبناء
وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نباؤها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل
الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما فى قولك اكرمتك اذ لم تكرمنى
اى لان لم تكرمنى فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله
مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه
العامل فى الجار والمجرور وهو السترة تاخيره عنه اى اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من
بيت المقدس او من دارها لتتخلى هناك للعبادة وقيل قعدت فى مشرفة للتغتسل من الحيض محتجبة
بحائط او بشئ يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت
تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى فى مغتسلها اتاها الملك عم فى صورة آدمى
شاب امرد وضئ الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اى جبريل عم عبر عنه
بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذى موعدة المقربين فى قوله
تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى الخلق كامل البنية لم يفقد
من حسان نعوت الادمية شيئا وقيل تمثل فى صورة تراءى لها كيعمر يوسف من خدم بيت المقدس وذلك
لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم
تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتتحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته
لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قال انى اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد
عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل و
الشهوة نعم كان تمثله على ذاك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر
منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تع بعنوان الرحمانية للمبالغة فى الكيفية به تعالى
واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة مما وهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقى الله تعالى
وتبالى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه اى فانى عائذة به او فتتعوذ

بتعوذى او فلا تتعرض لى قال انما انا رسول ربك يريد عم انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا
رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون ذلك
حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها
والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفى بعض المصاحف امرنى ان اهب لك غلاما
زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام
كما وصفت ولم يمسسنى بشر اى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها
من مبادى الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسنى داخل فى حكم الحالية مفصح عن كون المس عبارة عن
المباشرة بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغى الرجال وهى تفعول بمعنى الفاعل اصلها بغوى فادغمت الواو بعد قلبها ياء
فى الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى فعيل بمعنى الفاعل والالقيل بغو كما يقال نهوت عن المنكر وانما لم تلحقه
التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الرجال للفجور بها قال اى الملك تقريرا
للمقالة وتحقيقا لها كذلك اى الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر له اى
قال ربك الذى ارسلنى اليك هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا على
خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما انى لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله اية
للناس اما علة لمحذوف مؤخر اى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل
ذلك ومعطوف على علة اخرى مضمرة اى لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية
والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته
ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلى وقدر وسطر فى
اللوح لابد من جريانه عليك البتة او كان امرا حتميا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة محملة بان نفخ
جبريل عم فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها قيل انه عم رفع درعها فنفخ فى جيبها فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل
الريح اليها فحملت فى الحال وقيل ان النفخة كان فى فيها وكان مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش
مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسخنها
فى ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضين فانتبذت به اى فاعتزلت وسوغ بطنها كما فى
قوله تمدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور غير النصب على الحالية اى فانتبذت ملتبسة به مكانا
قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصة الحمل فاجاءها المخاض
اى فالجاها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل فى غير كاتى فى اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما
مصدر لمخت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستريح به وتعتمد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكانت الوقت شتاء والتعريف اما
للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك من آياتها يكن
رطوبتها ويطعمها الرطب الذى هو خاصة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتنى مت بكسر الميم من مات
يمات لغتان وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اى هذا الوقت الذى لقيت فيه ما لقيت وانما قالت
هذا مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عم من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او
حذرا من وقوع الناس فى المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما
روى عن عمر رض الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه
قال ليت بلالا لم تلد امه وكنت نسيا اى شيئا تافها حقيرا ان نسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر
هما لغتان فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمى به المفعول

مبالغة وقرئ بها مهموزا من نسأت اللبن اذا جست عليه الآ فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ كعصا منسيا لا يخطر
ببال احد من الانس ومونث للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا لعينه بالياء فناداها اى جبريل ع من تحتها
قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اومن مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها
عيسى ع وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزنى اى لا تحزنى على ان مفسرة او بان لا تحزنى على انها
مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك اى بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرت بالجرى
جرى وان امرت بالامساك امسك سريا اى نهرا صغيرا جسماه وى مرفوعا قال ابن عباس رضه ان جبريل ع ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل نبعه عيسى ع وقيل كان هناك نهرا بس اجرى
الله عز وجل فيه الماء وحى كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت
شتاء فجعل الله لها اذ ذاك راسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جاريا والاول سوالموافق لمقام بيان ظهور الخوارق
والمبادر من النظم الكريم وقيل سريا اى سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وعيسى ع فالتنوين للتفخيم والجلالة تعليل
لانتفاء الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها للتشريف بها وتاكيد التعليل وتكميل
التسلية وهزى هز الشئ تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متدارکا والمراد ههنا ما كان منه بطريق
الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اى الى جهتك والباء فى قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتاكيد كما فى
قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى قال الفراء يقول العرب هزه وهزبه واخذ الخطام واخذ بالخطام اولالصاق الفعل
بمدخولها اى افعلى الهز بجذعها او هزى الثمرة بهزة وقيل هى متعلقة بمحذوف واقع حالا من مفعولى الهز اى هزى
اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اى تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ
تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتساقط بالتاءين وتساقط بطرح الثانية وتاقط كـ
باوغاها فى السين وياقط بالياء وكذلك ويسقط من السقوط على ان التاء فى الكل للنخلة والياء للجذع
وقوله تعالى رطبا على القرآت الثلث الاول مفعول وعلى الست البواقى تمييز وقوله جنيا صفة له وهو فعيل
قيل بمعنى مفعول اى رطبا مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم
للاتباع فكلى واشربى اى ذلك الرطب وماء السرى اومن الرطب وعصيره وقرئ عينا وطيبى نفسا
وارفضى عنها ما اخزنك واحمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما احتج فى صدور المتقدمين بالاحكام العادية بان
اظهرهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية مايخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على
سرية امرك وقرئ وقرى بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت
اليه من النظر الى غيره اومن القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة
العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اى آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة لبنات بالجمع
لما بين الهمزة والياء من التاخى فقولى له ان استنطقك انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا وقد قرى
كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اى بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملئكة
وانا جى ربى وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل الى الانسان
كلاما باى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجاوبة انسان
ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى ع فانه نص قاطع فى قطع الطعن فاتت به قومها اى جاء تهم مع ولدها
راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها تحمله اى حاملة له قالوا موبتة لها يا مريم لقد جئت اى فعلت
شيئا فريا اى عظيما بديعا منكرا من فرى الجلد اى قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالثلثى تحقيقا للاستغراب
يا اخت هرون استيناف لتجديد التعبير وتاكيد التوبيخ عنوابه هرون النبى ع وكانت من اعقاب هرون
كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكانت بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى

او من القرة بضم القاف وهو البرد
ويطلق على النوم ايضا والسخنة
الحرارة سج

ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اى الذى ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء فى قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بحيلهم ما يوجب الاتفاق منشأ الاختلاف فان ما حكى من مقالاتهم فى عيسى عم مع كونه نصوصا قاطعة فى كونه عبد الله ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط وفرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية مواته هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكائية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اى من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء ويوم القيمة اومن وقت شهوده اومن مكان الشهود فيه اومن شهادة ذلك اليوم عليهم وعلوان يشهد عليهم الملئكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وايديهم وارجلهم وسائر آرائهم بالكفر والفسوق اومن وقت الشهادة اومن مكانها وقيل سوء ما شهد به فى حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء الى يوم القيمة جدير بان يتعجب منها بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا او تهديد بما يسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موقع الرفع وعلى الثانى فى حيز النصب لكن الظالمون اليوم اى فى الدنيا فى ضلال مبين لا يدرك غاية حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظاهر موضع الضمير للايذان بانهم فى ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اى يوم تحسر الناس قاطبة اما المسئ فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضى الامر اى فرغ من الحساب وتقادر الفريقين الى الجنة والنار وروى ان النبى عليه السلام سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادى المنادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار غما الى غمهم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان للمصدر المعرف باللام يعمل فى المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف وهم فى غفلة اى عما يفعل بهم فى الاخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر فى قوله تعالى فى ضلال مبين اى مستقرون فى ذلك وهم فى تينك الحالتين وما بينهما اعتراض اومن مفعول انذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك فنورثها الوارث لا ثنة واليناير جعون اى يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم فى الكتاب اى فى السورة او فى القران ابرهيم اى اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابرهيم فانهم يتمون اليه دينهم فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبايح انه كان صديقا ملاذا للصدق فى كل ما ياتى وما يذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعى ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مختص لما ينئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الاية اى كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة فى الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبى صديق اذ قال بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع من الحوادث قد مر سره مرارا اى كان جامعا بين الامرين حين قال لابيه آذر متلطفا فى الدعوة مستميلا له يا ابت اى يا ابى فان التاء

عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا كون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع اى شيئا من المسموعات والمبصرات فهو داخل فى ذلك دخولا اوليا ولا يغنى اى لا يقدر على ان يغنى عنك شيئا فى جلب نفع او دفع ولقد سلك عم فى دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل فلم يركب متن المكابرة والعناد ولا تكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب وبنبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لا ستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلايق لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة لذاتها كالحى القيوم فما ظنك بجماد ممسوخ من حجر او شجر ليس ممن اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين علما انه لم يكن محفوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى مصدرا للدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك ولم يستاباه بالجهل المفرط وان كان فى اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه فى صورة رفيق لا اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستمالة برفق حيث قال فاتبعنى اهدك صراطا سويا اى مستقيما موصلا الى اسنى المطالب مبينا عن الضلال المؤدى الى مهاوى الردى والمعاطب ثم نبهه على ما كان عليه بتصويره يستنكرها كل عاقل بيان انه مع عراته عن النفع بالمرة مستجلب اضر عظيم فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان لانه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذى يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل للموجب النهى وتاكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذى انعم عليك بفنون النعم ولا ريب فى ان المطيع للعاصى عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه الاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه بلاكها اولانه نتيجة معاداته لآدم عم وذريته فتذكره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله تعالى يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلى به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما فى قوله ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اى قرينا له فى النعت المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استيناف مبنى على سؤال نشاء من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عند ما سمع منه هذه من النصايح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتى يا ابرهيم اى معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجيب كان الرغبة عنها لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغب الغير عنها وقوله لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من الغلظة والتذكير اى والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهى عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان والاول اظهر اى فاحذرنى واتركنى مليا اى زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استيناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يوذيك ولكن ساستغفر لك ربى اى استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة كما

ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابى بقوله انه كان من الضالين والاستغفار بهذا اللفظ لكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب فى جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلأنا باه قضية العقل وانما الذى يمنعه السمع الآبى الى انه وهم قال لعنة ابى طالب لا ازال استغفر لك مالم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه فى ان هذا الوعد من ابرهيم وهم وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتيب عليهما من قوله تعالى واغفر لابى الآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبينه له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر فى تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتنى به قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح فى جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهى او الموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهى انما ورد فى شان الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره وهم قبل التبين فلم يتناوله النهى اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع خطره بل لان المراد بما يؤتنى به ما يجب الاتيان به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو لايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى الآية لانها كانت هى المحاملة له وهم عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التاكيد القسمى واما جعل الاستغفار دائرا عليهما وترتيب التبرء على تبين الامر فقد مر تحقيقه فى تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بى حفيا اى بليغا فى البر والالطاف تعليل للمغفور ما قبله واعتزلكم اى اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بدينى حيث لم يؤثر فيكم نصائحى وادعو ربى اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور فى سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لى من الصالحين حسبما يساعده السياق والسباق عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا اى خائبا ضائع السعى وفيه تعريض بشقائهم وفى تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير الا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب ج اسمعيل وهم لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لى من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التى اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقارب فانها شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شان خطير وذو عدد كثير هذا وقد روى انه وهم لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب وكلا اى كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اى كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا من النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل من المال والاولاد وبالجملة لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها غاية لكل خير دينى ودنيوى او نوه مما لم يؤت احدا من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافة الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا يخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر فى الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر

يعقوب عليه السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين صفة للجانب اى ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمن وهى التى تلى يمين موسى وهم او من جانبه اليمون من اليمن ومعنى نداءه منه انه تمثيل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله بحال من قرب الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اى مناجيا حال من احد الضميرين فى ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما روى انه وهم فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اى من اجل رحمتنا وافقناه او بعض رحمتنا اخاه اى معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى لانفسه لانه كان اكبر منه وهم وسوغ الاول مفعول لوهبنا له على التبادل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر فى الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل للموجب الامر وايراده وهم بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدنى ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم وهم كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان نقل الرجل بالتكميل على نفسه ومن سواقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة وقوا انفسكم واهليكم نارا وقصدوا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التى من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر فى الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابى نوح فانه نوح بن ملك بن متوشخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق فى جميع احواله نبيا خبر آخر كان مختص الاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل فى الدنيا كما فى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره فى سبب رفع ادريس وهم انه سئل ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب انى قد مشيت فيها يوما وقد اصابنى منها ما اصابنى فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سالنى ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بينى وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين فى السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اى انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار وجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية ومن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عم فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم او من ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا

ويحيى وعيسى عم وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اى ومن جملة من
هدينا هم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا
خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استيناف فاسوقا لبيان حسنهم من الله تعالى واجتبائهم
له مع مالهم من علو الرتبة وسمو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه
وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اى ساجدين باكين عن النبى عليه السلام اتلوا القران وابكوا فان لم
تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجد جمع ساجد واصله بكوى فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما
بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء وحركت ايا بالكسر المجانس للياء وقرئ تتلى بالياء
التحتانية لان التانيث غير حقيقى وقرئ بكيا بكسر الياء للاتباع قالوا ينبغى ان يدعو الساجد فى سجدته
بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين
عند تلاوة اياتك وفى آية الاسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وفى آية تنزيل السجدة
يقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك
فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اى فعقبهم و
جاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اى تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا
الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى فنون المعاصى وعن على
رضه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اى شرا فان كل شر عند
العرب غى وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما وعن
الضحاك جزاء غى كقوله تعالى يلق اثاما اى جزاء واثام اوغيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم يستعيذ
منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية فى حق الكفرة
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
اى فاولئك المتوغلون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم و
يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اى لا ينتقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا يعاملون
شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من
الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا او
محذوف اى هى او تلك جنات الخ او مبتدا خبره التى وعدالها وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن
علم للمعدن العدن وهو الاقامة كان قيسته وبحر وامس فمن لم يصرفها اعلام للمعانى القيمة وهى الساعة التى
انت فيها والبحر والامس مجرى لذلك مجرى العدن او موضع لارض الجنة خاصة ولو اذلك لما ساغ ابدال
ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصف بقوله تعالى التى وعد الرحمن عباده
وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول فى حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل المشتق ضعيف
والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بوعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء فى قوله تعالى
متعلقة بمضمر هو حال من المفعول العايد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب
اى غايبة عنهم غير حاضرة او غايبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد
اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة
دخولا اوليا ولما كانت هى مثابة يرجع اليها قيل ماتيا اى اتيه من وعده لا محالة بغير خلف
وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ماتيا اى مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اى فعل لا يسمعون فيها
لغوا اى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما

ينبغى

ينبغى ان يجتنب عنه فى هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع لكن يسمعون تسليم الملئكة عليهم او تسليم
بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال سماعهم له
بالكلية كما فى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه
الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فنحو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين فى هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودوروه والا
فليس فيها بكرة وعشى تلك الجنة مبتداء وخبر جئ به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما فى اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التى نورث اى نورثها من عبادنا من
كان تقيا اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما يبقى على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوارثة اقوى ما يستعمل
فى الملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل نورث
المتقون من اهل الكبائر التى كانت لاهل النار لو امنوا واطاعوا زيادة فى كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل حين استبطاءه رسول الله عليهما السلام لما سئل عن اصحاب
الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطاء عليه اربعين يوما او خمسة
عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله
عز وجل هذه الاية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق التنزيل على
الانزال والمعنى وما نتنزل وقتا غبا وقتا بعد وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء
والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وسوالحن فيه من الاماكن والازمنة من مكان
الى مكان ولا نتنزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا اى تاركا لك يعنى ان
عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة
وفى ارادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بعلة
الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة فخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح و
الابتهاج والمعنى وما نتنزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وسوما لك الامور كلها ساالفها ومتقبلها و
حاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما ربك نسيا تقرير لقولهم من جهته الله تعالى
اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض
وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف
يتصور ان يكون حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتداء محذوف او بدل من ربك والفاء
فى قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى
رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له دما اوغير ناس لاعمال العاملين
والمعنى فمن عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك
لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان
فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحى وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك
ويلطف بك فى الدنيا والاخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما فى قوله تعالى واصطبر
عليها للتضمين معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك
اى اثبت له فيما يورد عليك من شدائده هل تعلم له سميا السمى هو الشريك فى الاسم والظاهر ان يراد
به ههنا الشريك فى اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وسورب السموات والارض وما بينهما والمراد
بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما افادته الفاء من علية ما

ربوبيته لوجوب عبادته بل لوجوب تحقيقه بايراد البيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم واتفاقا واطلاقه على الغير بالكلية
حقا او باطلا وقيل للمراد سواالشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة
اصلا وقيل هو الشريك في اسم الالهة والمراد بالتسمية المسماة على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يستحق ان
واما التسمية على الباطل فهو كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حتما باعتبار ما في الاسمين الكريمين
من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره واسنادالقول
الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما
البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد
نموت ونصير الى مثل هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا
اي ابعث من الارض ومن حال الموت وتقديم وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت
الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لابه فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد لمجرد
عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقتران انها بحرف الاستقبال وقرئ
اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار
في مواقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شئون
المكونين المنجية بالقلع على القول المذكور وسوالسر في اسناده الى الجنس والى الفرد ذلك العنوان والهمزة
للانكار التوبيخي والواو للعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي يقول ذلك ولا يذكر انا
خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن
حينئذ شيئا اصلا لحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان
بنعته بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فالا يذكره فيقع فيه من
النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسام بسمو عزت اسماؤه مضافا الى ضميره ع م
لتحقيق الامر بالاشعار بجلالته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين الى
المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء فيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه
كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين
معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي
كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وقرئا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس لما
انهم لما حشروا وايهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول
الكلي اليهم لكون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى
منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخر لهم المعاد من عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء
عنهم الى دار الثواب وثمانتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبته واصله جثوو بواوين
فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها
فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم
ابتاعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثم على ربهم
لما يلوح لهم من حول المطلع اولانه من توابع التوافق للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان
اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما سو المعتاد في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يقولون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اماتة بهم او
لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا

من الاديان ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنظرهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه لكل
يقع عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم
فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنظرهم في النار على الترتيب وندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كأي الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف
صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل لننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء
على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق
عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى
لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال
على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون وبجوزان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء
الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان منكم
التفات لاظهار عزيز الاعتناء بمضمون الكلام وقيل سوخطاب للناس من التفات الى المذكور ويؤيد الاول
انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان الا واردها اي واصلها وحاضروها يمر بها المؤمنون وهي
خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اصل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس
قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وانما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد
به الابعاد عن عذابها وقيل ورودنا الجواز على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم اياها على تلك الحالة
مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم
ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي كما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيقولون
الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي ويتجى على البناء للمفعول وقرئ ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك ننجيهم
ونذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منها راهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون العرصة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الغرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى
واذا تتلى عليهم الآية الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم قطاعة حالهم ورخامة
مآلهم اي واذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها ما تيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول م او بينات
الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما
قالوا لكفرهم بما يتلى عليهم راوين له اوقال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن
الحرث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى للذين امنوا للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل للاجل
كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم ونفي حقهم والاول
سو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اي الفريقين اي المؤمنين و
الكافرين كانهم قالوا ايانا خير نحن وانتم مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالثياب
الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خير تيلهم حالا واحسنتهم آلا عما لا يقبل الانكار
وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ سوالعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة و
ان من ضرورته سوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما ذا القياس العقيم والراي السقيم
الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله

من الاديان

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اى كثيرا من القرون التى كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ
الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم
كرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينظر هؤلاء ايضا مثل ذلك
فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واصل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن
الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا فى حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز للنسبة وهو متاع
البيت وقيل هو ما جد منه والجرثى ما ليس منه ورث والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن و
قرئ رئيا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الرى وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب و ريا
بحذف الهمزة وزيا بالزاء المعجمة من الزى وهو الجمع فانه عبارة عن الحسن المجموع قل من كان فى الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر الفريقين اما على وجه كلى شامل
لهم ولغيرهم من المنهمكين فى اللذة الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على
انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذهم والاشعار بعلة الحكم اى من كان مستقرا فى الضلالة مغمورا بالجهل
والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اى يمدله ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التقرفات
واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغى ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله
عزوجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما و
قيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار فى الضلال بلا ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب
ضال يهديه الله عزوجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الانيوية وقوله تعالى حتى
اذا راوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا للقول المقدر كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وسوقه
ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه فى حيز جواب اذا وجمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمير
الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل
فانه اما العذاب الدنيوى بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة
وما نالهم فيه من الخزى والنكال على طريقة منع الخلو دون لمنع الجمع فان العذاب الاخروى لا ينفك عنهم
بحال وقوله فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اى حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب
الدنيوى او الاخروى فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على
عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اى فئة وانصارا لا احسن
نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ما كان
منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون
بذلك فى الاندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين
اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد له الرحمن اى

عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى محمد زايدا وقيل
نزدى عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه ما يستحقه ويأباه معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور
لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول مادام حيا فاذا قبضناه طلبنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا فردا فضلا له
عنه وانت جبير بان ذلك مبنى على ان صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على الكفر من غير صارف
لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق ادائه
دينه بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لفنون شتى من جناياتهم اثر
حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها للنقيض مضمونها اى اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا
لهم عزا اى ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع من ذلك الاعتقاد الباطل
والانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اى تتجد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله
تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكرونها حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم بعبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما
كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول كون الآلهة التي كانوا يرجون ان يكون لهم عزا
ضدا للعزة اى ذلا وهوانا او كونهم عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث يجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت
عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بالغاية له عليه وعلى
الاول يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كما في قوله عليه السلام ويعبد ويعادى وتوحيد الضد
لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشئ واحد كما في قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقوله
كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلى اللوم عاذل والعتين
وقولى ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأى كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون
كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت
به الآيات الكريمة السالفة وحكت عن مؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبايح من الاقاويل
والافاعيل والتمادى في الغى والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مرافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشكر عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم
باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مستوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم و
تمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعلق الرؤية
به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم
ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ما بالهم
الشياطين بهم فقيل تؤزهم اى تزعجهم وتهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات
فان الأز والهز والاستفزاز اخوات معناه شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اى بان يهلكوا حسبما يقتضيه
جناياتهم ويسيد واعن آخرهم وتظهر الارض من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها منطوية لو قوع المنهى
عنه محوجة الى النهى كما في قوله تعالى ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم
عدا تعليل لموجب النهى ببيان اقتراب هلاكهم اى لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها
عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قدم حذفا للاشعار بضيق العبارة عن حصره
وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة العامة والدواهى العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اى
نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك
منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من
يرد الماء لا يورده الا العطش او كالدواب التي ترد الماء تفعل بالفريقين من الافعال ما ليس بيانه

نطاق

نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام اى اذكرهم بطريق الترغيب و
الترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التحويل و
يستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استيناف فاجئ مبنيا لبعض ما فيه من
الامور الدالة على هوله وعظمه عايد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين
خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبنى للفاعل
وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبنى للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء
متصل من لا يملكون ومحل المستثنى الرفع على البدل او النصب عليه اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا
لغيرهم الا من استعد له بالتحلى بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به
فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة
على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون الشفاعة الا
شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا و
المستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملئكة بنات الله
سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى
لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل للامر بها بطريق الالتفات المبنى عن كمال السخط وشدة
الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والادا بالكسر والفتح العظيم المنكر
والادة الشدة واد الرجل اذا اغتاظ وآده الامر اثقله وعظم عليه اى فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء و
التي يستعملان في معنى فعل فيقدران بقديته وقوله تعالى تكاد السموات الخ صفة لادا او استيناف فيبان عظم شانه
في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن
والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتشق الارض اى وتكاد تنشق
الارض وتخر الجبال اى تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف موحال من الجبال اى تهد هدا او
مصدر من المبنى للمفعول مؤكد لتخر على غير القصد لانه اخ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى
المفعول منصوب على الحالية اى محدودة او مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه اذا والمعنى ان حول تلك
الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها تلك الاجرام العظام وتفتتت من شدة
اوان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلم الله تعالى وتحزبه العالم وبدد قوائمه غضبا على من
تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اى تكاد السموات
يتفطرن والارض تشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهد وقيل الجملة بدل من الضمير
المجرور في منه كما في قوله على وجوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدا محذوف اى الموجب لذلك ان دعوا الخ
وقيل في فعل هذا اى هد دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى تمى المتعدى الى مفعولين وقد
اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما يدعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان انتسب اليه وقوله
تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا ادعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها
اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ادعوا للرحمن ولدا والحال انه مما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له
طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى
انما نعته او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبداء النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان
يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا ان كل من في السموات والارض الا اتى منهم احد من الملئكة

والثقلين الا اتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ اتى الرحمن على الاصل
لقد احصاهم اى حصرهم او احاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا
اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شئ عند وبمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اى كل واحد منهم
آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس
فى صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقبت بذكر محاسن احوال المؤمنين
سيجعل لهم الرحمن ودا اى يحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعوض منهم لانسبابها سوى ما لهم من الايمان و
العمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بان الموعود من آثارها وعن النبى عليه السلام اذا احب الله عبدا يقول
لجبريل عليه السلام احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك مبغوضين بين الكفرة فوعدهم ذلك
ثم ابهجه حين دجا الاسلام او لان الموعود فى القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فتشرع لها فى
صدورهم من الغل الذى كان فى الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيئولون يوم القيمة من الكرامات
السنية للاشعار بان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اى القران
بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اى يسرنا القران منزلين
له بلغتك والفاء لتعليل امر عناق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايجاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشره و
انذر فانما يسرناه بلسانك العربى المبين لتبشر به المتقين اى الصابرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهى
وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به بل اجاحوا عنادا والالد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام
على الانذار اى قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استيناف مقرر
لمضمون ما قبله اى هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء
ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون المخفى والمعنى اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم
بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة مريم اعطى عشر
حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا
الله تعالى فى الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستغنائه وامالها
ابو قون وسوسن الفواتح التى يصدر بها السورة الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وسوحروى عن
ابن عباس رض والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند
قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبى على لغة عك وقيل عكل وهى لغة يمانية قالوا ان
صح فاصله يا هذا فقصر فوافيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر
ان السفاهة طه فى خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص فى ذلك لجواز كونه قسما كما فى حم
لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ ما بصيغة الامر من الوطء فقلب الهمزة فى يطاء الفا للانفتاح
ما قبلها كما فى قول من قال لاهناك المرتع وما ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه و
سلم بان يطاء الارض بقدميه لما كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه مبالغة فى المجاهدة ولكن ياباه

كتبتها على صورة الحرف كما بانى التفسير يا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص
حروف المعجم وقرئ طه اما على انه اصله طاء فقلب الهمزة هاء كما فى هراق اوقلبت الهمزة فى يطاء الفا كما
مر ثم بنى منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفى فى التلفظ بشطرى الاسمين واقيما مقامها فى الدلالة
على المسميين فكانهما اسماها الدالان عليهما وعلى هذا ينبغى ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطرى الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل من حيث
انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بغير التشيئة
فى الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث
هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى فى التلفظ بشطرى الكلمتين اى الاسمين فعبر عنهما اى عن الشطرين
من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى فى الكتابة بشطرى
الكلمتين يعنى طا على تقديرى كونه امرا وكونه حرف نداء وها على تقديرى كونها كناية عن الارض وكونها
حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين فى التلفظ باسمهما فبين البطلان كيف وطاوها على ما ذكر من التقديرين
ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امرا وحرف نداء والثانى ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة
صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح المسرودة
على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها
من قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فانه استيناف مسوق لتسلية عليه السلام عما كان يعتريه
من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شايع فى ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهرا ما انزلناه عليك لتتعب
بالمبالغة فى مكابدة الشدايد فى مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط ان سف على كفرهم به والتحسر على ان
يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا
به بعد ذلك او لصرفه عليه السلام عما كان عليه من المبالغة فى المجاهدة فى العبادة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم
بالليل حتى ورم قدماه فقال له جبريل عليها السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا ابى ما انزلنا عليك
لتتعب بذلك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدايد الفادحة وما بعثناك الا بالحنيفية السمحة وقيل
ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقى حيث دين آبائك وان القران نزل
عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو المناسب كما يشهد به الاستثناء
الآتى هذا واما اسم للقران محل الرفع على انه مبتداء ما بعده خبره والقران ظاهرا وقع موقع العائد
الى المبتداء كانه قيل القران ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه
وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى
على ذلك التقدير لكن لا لان المبتداء يبقى حينئذ بلا عائد ولا قايم مقامه فان القران صادق على السورة
لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد
به الكل بل لان نفى كون انزاله للشقاء يستدعى سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا
اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به مجرد التعادة و
لا ريب فى ان ذلك انما يتصور فى انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما
يكون ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه منه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج
فلان ما له يقال هذه ما انزلنا القران القران المشتمل عليها للتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا داعى
لانزالها فى الشقاء الذى بوح اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة
نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القران

لتعب بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ماضر بتك لتاديبك الا استفاقا لما انه يجب فى امثاله ان يكون بين العلتين
ملابسة بالسببية والمسببية حتما كما فى مثال المذكور دون قولك ماشا فهتك بالسوء لتساذى الازجر الغير فان
التاديب فى الاول مسبب عن الاشفاق والتاذى فى الثانى سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الاشفاق
والتذكرة من التنافى ولا يجدى ان يراد بالتعب فى الجملة الجامع للتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما
بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل لكن الا تذكرة الا تكثيرا لثوابك فان الاجر بقدر
التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين و
قد عرفت حالها من حيث انه معطوف عليه يجب المغايرة بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء
المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القران لتتعب فى تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام
لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اى لمن من شانه ان يخشى الله عز وعلا ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته
او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى
تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستانف مقرر لما قبله اى نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة
لان يقال انزلناه للتذكرة والاول حوالا تعب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص
وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اى يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما
بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق مع ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما فى قوله تعالى
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له
لانزلنا اذ لا يعلل الشئ بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف
فى عليك او من القران ولا مساغ له الا بان يكون قيدا لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله
فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتداء محذوف ومن فى قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى
متعلقة بتنزيلا او بمضمر موصفة له موكدة لما فى تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل
الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال
والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما
بالذكر مع ان المراد خلقها بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض الاية
لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس اظهر عند ووصف السموات
بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله
تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعى الى تربية المهابة
وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية
المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن وقد عرفت فى سورة البقرة ان
المرفوع بعد اى حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له فى الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتداء
فى صورة تعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الدالة
لا يوصف منها الا الذى وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات
والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الآية
للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى
كما ينبئ عنه قوله تعالى الرحمن علم القران اورفع على الابتدائية واللام للعهد والاشارة الى الموصول والجملة
قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموصوف الذى شانه ان يكون معلوم الثبوت
للموصوف عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لاسترة به غنى عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى

قدمت

قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتداء محذوف كما فى قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبر بعد
خبر والاستواء على العرش مجاز من الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى
فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات
وتدبير امرها وقوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض سواء ذلك بالجزئية منها او بالحلول فيهما وما بينهما
من الموجودات الكائنة فى الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اى له وحده دون غيره لاشركة ولا استقلالا
كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعدادا وما تحت الثرى اى ما وراء التراب وذكره مع دخوله
تحت ما فى الارض لزيادة التقرير روى عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدى ان الثرى هو
الصخرة التى عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطانه
وشمول قدرته لجميع الكائنات اى وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى
اى ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تنفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيما ستاتى وتنكيره للمبالغة فى الخفاء وهذا ما نهى عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك
فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض
آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وصرفها بالتضرع و
الجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتداء محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات
الكمال هو صوفها ذلك المعبود بالحق اى ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى
لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من
خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعالم الخ مما يستقيم اقتضاء بينا وقوله تعالى له الاسماء
الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد فى
ذاته تعالى فانه روى ان المشركين حين سمعوا النبى عليه السلام يقول يا الله يا رحمن قالوا اينهانا ان نعبد الهين
ونحن ندعو الها آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المونثة والجمع من الذكر والمونث كما رب اخرى
وآيات الكبرى وهل اتيك حديث موسى استيناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذى اليه انتهى مساق الحديث
وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له انى انا الله لا
اله الا انا وبه ختم ذلك المقال حيث قال انما الهكم الله الذى لا اله الا هو واما قيل من ان ذلك لترغيب النبى عم
فى الايتاء بموسى عم فى تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب فى تبليغ احكام الرسالة فيابا ه ان
مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى اذ راى نارا ظرف للحديث وقيل
لمضمر مؤخر اى حين راى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اى اذكر وقت رويته نارا روى انه عم
استاذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك
الشام فمادا فى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية ثلجة وكان
ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته وليس الماء عنده ولا قدح فصل زنده فبينما هو فى ذلك اذ راى
نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اى تيموا مكانكم امر حرم عليه السلام بذلك
لئلا يتبعوه فيما عزم عم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر
بالبال والخطاب للمراة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما فى قول من
قال ولان ثبت حرمت النساء سواكم انى انست نارا اى ابصرتها ابصارا يقينا لا شبهة فيه وقيل الانس
خاص بابصار ما يونس به والجملة تعليل للامر والمامور به لعلى آتيكم منها اى اجيئكم من النار بقبس
اى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المراودة بالجذوة فى سورة القصص وبالشهاب القبس او اجد على

انار هدى ناديا يدل على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اى ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل ناديا يهدينى الى ابواب الدين فان افكار الابرار مقهورة بالهمة الدينية فى عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول سوا الاظهر لان ساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه سورة القصص حيث قيل لعلى اتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او فى الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء فى قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها اولانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بها متوقعا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجى وسى اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث و الاخبار باينا س النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما حال من فاعله اى فاذهب اليها لاتيكم اى كى اتيكم او راجيا ان اتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا فى تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اى النار التى آنسها قال ابن عباس رضى الله عنهما شجرة خضراء القت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوئها قالوا النار اربعة اصناف صنف يا كل ولا يشرب وهى نار الدنيا وصنف يشرب ولا يا كل وهى نار الشجر الاخضر وصنف يا كل ويشرب وهى نار جهنم وصنف لا يا كل ولا يشرب وهى نار موسى عم وقالوا ايضا هى اربعة انواع نوع له نور واحراق وهى نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهى نار الانجار ونوع له نور بلا احراق وهى نار موسى عم ونوع له احراق بلا نور وهى نار الجحيم روى ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودى يا موسى اى نودى فقيل يا موسى انى انا ربك اوعوامل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اى بانى وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واما طة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال عم من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى بانى اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ما ليس من شانه عم بكيفية من الاعضاء ليس الا من اثار قدرة الخلاق العليم وتقدس وقيل تلقى عم كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام ببدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو و جهة فاخلع نعليك امر عم بذلك لان الحفوة ادخل فى التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقد سها روى انه خلعهما وألقاهما وراء الوادى طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون لمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك اى اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء فى قوله فاستمع لترتيب الامر او الامور به على ما قبلها فان اختيار عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام فى قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اى فاستمع للذى يوحى اليك او للوحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع القبيل لان قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا بدل من ما يوحى ولا ريب فى ان اختياره عم ليس لهذا الوحى فقط والفاء فى قوله تعالى فاعبدنى لترتيب الامور به على ما قبلها فان اختصاص

الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلوة خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها فى الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما يظهر به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكرى اى لتذكرنى فان ذكرى كما ينبغى لا يتحقق الا فى ضمن العبادة والصلوة او لتذكرنى فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى اولا خلاص ذكرى وابتغاء وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لى غير ناس وقيل لذكرى ايانا واحرى بها فى الكتب اولان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوات اولذكر صلوتى لما روى انه عليه السلام قال من نام عن صلوة اونسيها فليصلها اذا ذكرها لان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى وقرئ لذكرى بالف التانيث وللذكرى مصدرا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى ان الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اى كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بارزا فى معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اى لاظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان ما فى الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجئ بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اى لتجزى بسعيها فى تحصيل ما ذكر من الامور المامور بها وتخصيصه فى معرض الغاية لانها مع انها لجزاء كل نفس بما صدر عنها سوا كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا فى تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها سوا الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به فى قوة الوجوب والساعة فى شدة الهول والفضاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى فى الامتثال بالامر وتجد فى تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يردبها من المعاصى وعليه مدار الامر فى قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اقسامهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخيرين لما ذكر من ان المقصود الاصلى من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطالع الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم فى مراتبها بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع فى مهاوى الضلال فمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم فى سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مسوغ له ومستوغ هذا وجوز ان يراد بالتسعى مطلق العمل فلا يصدنك عنها اى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول سوا لا يليق بشان موسى عم وان كان النهى بطريق التهييج والالهاب و تقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تتوق النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده فضل تمكن ولان فى المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر خطابا للكافر عن صد موسى عم عن الساعة لكنه فى الحقيقة نهى له عم عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشئ و مباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية عن اصلها كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عليه السلام كان النهى عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهى عن المسبب وارادة النهى عن السبب على ان يراد نهيه عم عن اظهار

بين الجانب للكبرة فان ذلك سبب لعدمهم اياه ع م كما فى قوله لا ينبغى هيهنا فان المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرويته واتبع هواه اى اتهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى اى فتهلك فان الاغفار عنها وعن تحصيل ما يجرى عن اهوائها مستتبع للهلاك لا محالة وهو فى محل النصب على جواب النهى او فى محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع فى حكاية ما كلفه به عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشئون الخاصة بنفسه فما استفهامية فى حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وما دخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمحذوف وقع حالا اى وما تلك تلك قارة او ماخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما فى قوله عز وعلا وهذا بعلى شيخا وقيل تلك موصولة اى ما التى هى بيمينك وايا ما كان فالاستفهام لايقاظ وتنبيه له ع م على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التانيس والتنبيه قال هى عصاى نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصى على لغة هذيل اتوكاء عليها اى اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رؤس القطيع واهش بها اى اهبط بها الورق واسقط على غنمى وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وموز جر الغنم و تعدية بعلى لتضمين معنى الانحناء والاقبال اى ازجر ها منحنيا ومقبلا عليها ولى فيها مآرب اخرى اى حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روى انه ع م كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى على الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا نعرت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه ع م فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه من سؤال العليم الخبير قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال ع م حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال القها يا موسى لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا هى حية تسعى روى انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء فى غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها بالاسم العام للحالين وقيل انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الايق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هى ثعبان مبين وانما شبهت بالجان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة قال استيناف كانه قيل فماذا قال ع م حين رآها انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما راه كذلك خاف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الامر اشعار بان عدم المنهى عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استينافا موكدا لتعليل الامتثال بالامر والنهى فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عادة كونية باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وليذان بكونها مسخرة له ع م ليكون على طمانينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند مجاهدة فرعون اى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التى هى الهيئة العصوية قيل بلغ ع م عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده فى فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة

والهيئة

والهيئة وانتصابها على نزع الجار اى الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها واياقعها حالا من المفعول اى سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الاولى اى سايرة سيرتها الاولى فتنفع بها كما كنت تنتفع بها من قبل واضمم يدك الى جناحك امر ع م بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اى ادخلها تحت عضدك فان جناحى الانسان جنباه كما ان جناحى العسكر ناحيتاه مستعار من جناحى الطائر وقد يثنيا جناحين لانه يخفضهما اى يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير فى بيضاء اى كائنة من غير عيب وفحش كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روى انه ع م كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر آية اخرى اى معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير فى تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير فى بيضاء وقيل من الضمير فى الجار والمجرور وقيل هى منصوبة بفعل مضمر يخ خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لايات نا او نريك بذلك من آياتنا ما هى كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وايا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اى دللنا بها لنريك الخ او بقوله واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من يخ خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدى الى عراء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عاقلة من الاوامر اذا نابا صالة اذهب اليه بما رايته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى و قوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المامور به اى جاوز الحد فى التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التى هى دعوى الربوبية قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال ع م حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا به عز وجل رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وسئاله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشئون الحق واحوال الخلق عليما جموا لا يستقبل شيا عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر رحيب وجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذى هو اجل الامور واعظمها واصعب المطلوب واهولها بتوفيق الاسباب ودفع الموانع وفى زيادة كلة لى مع انتظام الكلام بدونها تاكيد لطلب الشرح والتيسير بما هم المشروح والميسر اولا وتقرير لهما ثانيا وفى تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشانه كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به واحلل عقدة من لسانى روى انه كان فى لسانه ع م رتة من جمرة ادخلها فاه فى صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها فلما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر ابين يديه فاخذ الجمرة فوضعها فى فيه واحرقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبراء ثم لما دعاه قال الى اتى ربك تدعونى قال الى الذى ابراء يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى سوف نعلم منى وقوله تعالى ولا يكادون يبين واجاب عن الاول بانه لم يسئل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة منع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لسانى اى عقدة

كائنة من عقد لساني وحل قوله تعالى يفقهوا قولي جواب الامر وغرضا من الدعاء تحققها في الحلة ستحقق آتيا
سؤله روم والحق ان ماذكر لايدل على بقائها في الحلة اما قوله تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء
الحل كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليها السلام لايستدعي بقاءها اصلا بل تستدعي عدم البقاء لما ان الافصحية
توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مضاف للعقدة رأسا واما قوله تعالى ولايكادبين فمن
باب غلو اللعين في العتو والطغيان والالدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها باعتبار كونها
بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف موصفة لها ليس بمقطوع بل الظاهر تعلقها
بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ ايضا كما
باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصول منه واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اي موازرا يعاونني
في تحمل اعباء ماكلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ واعتصم برأيه على انه من الوزر
وهو الملجاء وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا
كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول سوقوله تعالى هرون اخي اشدد به ازري
الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف موحال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة
لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين
واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله
تعالى ولم يكن له كفوا احد وردبان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية
ولامساغ لجعل وزيرا مبتدأ ويخبر عنه بما بعده اشدد به ازري واشركه في امري كلاهما على صيغة
الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول
عن الدعاء الثاني لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث
كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للاوعية الثلثة
الاخيرة فان فعل كل واحد منها من التسبيح والذكر مع كونه بمكثر الفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمام
اليه مكثرا له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاكيده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب
او في الخلوات حتى لايتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة
ودعوة المرة العتاة الى الحق وذلك مما لاريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا
منهما يصدر عنه بتاييد الآخر من اظهار الحق مالايكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين
نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي تنزهك عما لايليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها
مايدعيه فرعون الطاغية ويقوله منه فيئة الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق
من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملة زمان دعوة فرعون و
اوان المجاهدة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا او نحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام
انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من
اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه للفاصلة
الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اي اعطيت مسئولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والمأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصوله لا عن البتة وتقديره
اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل متراخيا بعد تيسير الامر و
شد الازر وباعتباره قبل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له بشرف
الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستانف

مسوق

مسوق لتقرير ما قبله ومزيد تو طين نفس موسى ع بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم الفائقة من
غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم
لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا مرة اخرى اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك متاخر
عن هذا فان اخرى اذا تنيث اخرى بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة
من الفعلات متعددة كانت او لا ثم شاع في كل فرد واحد من افراد متجددة فصار علما في ذلك
حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منه الكرة والتارة والدفعة و
المراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سياتي ذكره من المنن الغيظة الكثيرة وقوله تعالى اذ
اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمنا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى
واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما الالهام
كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الارادة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر بقذفه
في التابوت والقذف في البحر الخ اولا تعجيلا له وتفخيما لشانه ثم تفسيرا ليكون اقرع عند النفس وقيل
معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم
المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشانه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالارادة في المنام
وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف
عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وامافي قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء
وهذا التفصيل سوالمراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم
بالساحل لما كان الالقاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر
كانه ذو تمييز مطيع لامره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى ع والمقذوف في البحر
والملقى بالساحل وان كان هو في التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت
تبعا له في ذلك ياخذه عدو لي وعدو له جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح
بالامر والاستعجار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو
سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان ضمك لطفا
خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل
نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما
روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان
فرعون نهر فخرقه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم
فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه و
لذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما
في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد ركزتها في القلوب
بحيث لا يكاد يطيق عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل حتى متعلقة بالقيت اي
احببتك ومن احبة الله تعالى احبته القلوب لامحالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني متعلق بالقيت
معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمرأى مني وحفظي او بفرط
سلوعبارة عما قبل من القاء المحبة والجملة مبتدأة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع
على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني لئلا
يخالف بزعمه امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون

وما ترتب عليه من القول والرجع الى اتحاد وترتيبها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله لتلقى ولتصنع على عيني اذ لاشفقة اعظم من شفقة الام وضع على موجب مراعاة تعالى وقيل موجب بدل من اذ او عينا على ان المراد بزمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الى فان جميع ذلك من المنن الآتية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا للصنع كما جوز فيأباه جدا ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت فتقول اى لفرعون وآسية حين رأتها يطلبان له عليه مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اى يضمه الى نفسه ويربيه وذلك لانا يكون بقبول ثديها يروى انه قال الخبز المصريان آل فرعون اخذوا اغلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فرجعت اخته مريم لتتعرف خبره فجاء بخلق متكثرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اى فقالوا فدللنا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اى لا يطرء عليها الحزن بفراقك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها و قتلت نفسا اى نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اى غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالالتجاء عنه بالهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء وتجوز في جزاة و بدور في بدرة اى خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما تاله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روى ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين ووصل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعتد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عم الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذلك لبثه عم فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عم في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلد شعيب عم على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اى المكان الذي اوحش فيه الفار ووقع فيه النداء والحوار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عم كان بعد الليا والتي من خلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اى تقدير قدرته لا كلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فجئت الا على ذلك القدر غير متقدم ولا متأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو راس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عم وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد للارسال عم الى فرعون مؤيدا بآياتي حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تاكيدا لوثوقه عم بحصول نظائرها الا احقية هذا تمثيل لما خوله عز و علا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة وهو العدول عن نون العظمة الواقعة في قوله وفتناك ونظيريه السابقين تمهيدا لما هو لفظ النفس اللائق بالمقام فاذهب انت واخوك اما ذهب عجبا حوكل حسبما استدعيت استيناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع

بآياتي اى بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخر الهدم بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمكنين بها في اجراء الاحكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابهما او ايصالها اليه ولا تنيا لا تقصرا ولا تفترا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اى بما يليق بي من الصفات الجميلة والافعال الجليلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات ومواطئها واعظمها وقيل لا تنيا في حينا تغلبتما واستمدا به العون والتاييد واعلما ان امرا من الامور لا يتاتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان تلقى موسى عليه السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل الموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رض لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فاخشاه دعوة في صورة عرض ومشورة ويردده ما يجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح ولكما لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي وحمل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اى فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اى باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويخشد باقصى وسعه و جدي ارسالها اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عم بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عم له في كل ما يأتي ويذر وجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عم عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب انا نخاف ان يفرط علينا اى يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وقرئ يفرط من افرط اذا حمله على العجلة او نخاف ان يحمله حامل من الاكبار او الخوف على الملك او غير ذلك مما يعد المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اى يزداد طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراءته وفساده واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عم بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل للموجب النهي ومزيد تسلية لهما بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع واري اى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير وجوز ان لا يقدر شيء على معنى اني حافظكما سميعا وبصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها

اياه امرا بإتيانه الذى هو عبارة عن الوصول اليه بعد امرا بالذهاب اليه فلا تكرار كيف وهو عطف على الامر السابق
باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما
ويبنى جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء فى قوله تعالى فارسل معنا بنى اسرائيل لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولى ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من القسر والاسر
واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم
اى بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم فى الاعمال الصعبة
الفاوحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرها من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام و
يستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجئ بآية دالة على صحتها للاظهار
الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه يفيدون
التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان فى بيان مجئ الآية نوع طول
كما ترى فاخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص
المؤمنين عن الكفرة انما هو من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك بآية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام
السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما
ويقرر ما هو وجوب الامتثال باوامرهما واظهار اسم الرب فى موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المطيب لتاكيد
ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا ابيان تعدد الحجة
وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشئ مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت
من الصادقين فالمراد بها آية من الآيات والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملكة
وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه فى اتباعهما
على اللطف وجه مالا يخفى انا قد اوحى الينا من جهة ربنا ان العذاب الدنيوى والاخروى على من
كذب اى بآياته تعالى وتولى اى اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف فى الوعيد حيث لم يصرح بجلول
العذاب به مالا مزيد عليه قال اى فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار
بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به
فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق الحكاية ما فى قوله تعالى انا رسولا ربك وقولهم انا
قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضاف اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للمرسل
او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسولا رب العالمين كما وقع فى سورة الشعراء والاقتصار
ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما سوق المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما
رسولى ربهما اى اذا كنتما رسولى ربكما فاخبرانى من ربكما الذى ارسلكما او تخصيص النداء بموسى مع توجيه
الخطاب اليهما لما انه الاصل فى الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عليه السلام
فاراد ان يفحمه فيرده ما شاء منه مع ما فيه من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين
فمن غلوه فى الخبث والدعارة كما مر قال اى موسى عليه السلام مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى
الذى اعطى كل شئ خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفة واما ما كان فلم يريد بضمير المتكلم
انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما فى حيز الصلة
اى ربنا الذى اعطى كل شئ من الاشياء خلقه اى صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص و
المنافع او اعطى مخلوقاته كل شئ تحتاج هى اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به او اعطى
كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج

شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضى على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول
الثانى اما للاقتصار على الاول اى كل شئ خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منويا
مدلولا عليه بقرينة الحال اى اعطى كل شئ خلقه الله تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى اى الى طريق الانتفاع والارتفاق
بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما فى الحيوانات او طبعا كما فى الجمادات والقوى
الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذى هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام مقدما
على الهداية التى هى عبارة عن ايداع القوى المحركة والمدركة فى تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخى ولقد
سأل عليه السلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر خالق لجميع الاشياء
منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هدايته تعالى
اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة
والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام فى سلك الاستدلال من البرهان
النير على طراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقيقة مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرف
وجوههم عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه
نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعى بين يدى قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية
وما ذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب
الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقى
منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى قال علمها عند ربى فان معناه انه من الغيوب التى لا يعلمها
الا الله تعالى وانا انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسئول عنه ما
ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق
به قوله تعالى والسلام الآيتين فى كتاب اى مثبت فى اللوح المحفوظ بتفاصيله وبجوز ان يكون ذلك تمثيلا
لتمكنه وتقرره فى علم الله عز وجل بما استحفظ العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربى
ولا ينسى اى لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على
الاول لبيان ان اثباته فى اللوح ليس لحاجته تعالى اليه فى العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربى فى موقع
الاضمار للتلذذ فى ذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية بما يقتضى عدم الضلال والنسيان
حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقرى بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما هو
بصدده من بيان شؤنه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتى من الالتفات
الذى جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول امر مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اى
جعلها لكم كالمهد تتمهدونها اوذات مهد وهو مصدر سمى به المفعول وقرئ مهادا او حوامل مهاد لا يمهد كالفراش او
جمع مهد اى جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اى حصل لكم طرقا وسلكها
بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها
ومرافقها وانزل من السماء ماء هو المطر فاخرجنا به اى بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت
الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا
من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيته الاشياء المختلفة كما فى قوله تعالى الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى ام من خلق السموات والارض وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلاف ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا
فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكى مع كون ما قبله كلام موسى عم خلاف الظاهر مع انه

يفوت حج الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا فاسميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان او صفة لازواجا اى كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اى متفرقة جمع شتيت
ويجوز ان يكون صفة لنبات لانه فى الاصل مصدر يستوى فيه الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة فى
الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهايم فان
من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان بتحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم
ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اى اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اى معدة بها لانتفاعكم بالذات و
بالواسطة آذنين فى ذلك ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤنه تعالى وافعاله وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الكمال والتنكير فى قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا
اى لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى فى ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة
موسى وهرون عليهما السلام لاولى النهى جمع نهية سمى بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل و
ارتكاب القبيح كما سمى بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اى لذوى العقول الناهية عن الاباطيل
التى من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه قيئة الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات
للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اى فى ضمن خلق ابيكم آدم عم منها فان كل فرد
من افراد البشر له حظ من خلقه عم اذ لم تمكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عم بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عم منها خلقا
للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض يوسائط وقيل
ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبذرها على النطفة فينخلق من التراب
والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار
للمدة فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة
ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن
على نهج التارة الثانية والتارة فى الاصل اسم للدور الواحد وسوالجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة
من الفعلات المتجددة كما مر فى المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عم وبين فرعون
اثر حكاية ما ذكره عم بجلائل نعمائه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصدير ما بالقسم لابراز كمال
العناية بمضمونها واسناد الارادة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل
امر الآيات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه فى المكابرة والعناد اى وبالله لقد بصرنا
فرعون اوعرفناه آياتنا حين قال لموسى عم ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين
باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدايع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين فى تفسير قوله تعالى
اذهب انت واخوك بآياتى وقد ظهر عند فرعون امور آخر كل واحد منها واهية دحضا فانه روى انه عم
لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى
على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون
الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك الا اخذته فعاد عصا روى انها انقلبت
حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول
فرعون انشدك ايا ه ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب

شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت
غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل ارياه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها فعدل
الى بيان انه لم يبق له فى ذلك عذرا ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عم
بعد ما غلب السحرة على ما قيل فى نحو من عشرين سنة كما فى تفسير سورة الاعراف ولا ريب فى ان معجزة
مترتب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم للارشاد هم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر
بعد مهلكة من الآيات الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والجراد واريه الحجر الذى فر بثوبه او الذى
انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكاية عم
ايا ها لفرعون فى حكم اظهارها بين يديه واراءته ايا ها لاستحالة الكذب عليه عم فان حكاية ايا ها لفرعون مما
لم يجز ذكره ههنا على ان ما سيأتى من حمل ما اظهره عم على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل اياه اباه بينا
وينطبق ان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل فصله عم من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه
بالربوبية واحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عم من غير تردد وتاخير مع ما شاهد فى يده من شؤون
ان طلقة بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا
وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
استيناف مبين لكيفية تكذيبه واباته والهمزة للانكار الواقع واستقباحه واد عاء انه امر محال والمجئ اما على
حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدى له اى اجئتنا من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا
اولا قبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب
محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عم باراءة ان مراده عم ليس مجرد انجاء بنى اسرائيل
من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد
ويا لغوائى المدافعة والمنى صحة وسمى ما اظهره عم من المعجزة الباهرة سحرا لتحسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه
يعارضه بمثل ما اتى به عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام
جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك
موعدا اى وعدا كما ينبئ عنه وصف بقوله تعالى لا نخلفه فان المناسب لا المكان والزمان اى لا نخلف
ذلك الوعد نحن ولا انت وانما فوض التعيين امر الوعد الى موسى عم للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب
وضيق المجال واظهار الجلادة وارادة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال
الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عم وتوسيط كلمة النفى بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف
وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عم ولذلك اكد النفى بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى
بفعل يدل عليه المصدر لانه فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فح يكون مطابقا
الجواب فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة بدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار
مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما مر على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر
فى ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافة الينا واليك وموسى النعت كقولهم قوم عدى
فى الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشورا او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم فى كل عام
وانما خصه عليه السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك
وقت ظهور غاية شوكتهم ويكون ظهور الحق وزهوق الباطل فى يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك
فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل
بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اى انصرف

عن المجلس بجمع كيده اى يكايدونه من السحرة واد واتهم ثم ائتى اى الموعد ومعه ما يجمعه من كيده وفى كلمة
التراخى ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لاى وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الخ بطريق الاستيناف
المبنى على السؤال يقضى بان المترتب من حواله ام ح والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه ام
من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غنى عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عند اتيان فرعون عن جمعه
من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته التى ستظهر على
يدى سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اى يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ يسحتكم
من الثلاثى على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بنى تميم ونجد وقد خاب من افترى اى على الله كائنا من
كان باتى وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهى عنه دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله
فى الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اى السحرة حين سمعوا كلامه ام كان ذلك غاظهم
فتنازعوا امرهم الذى اريد منهم من مغالبته ام وتشاوروا وتناظروا بينهم فى كيفية المعارضة و
تجاذبوا اهداب القول فى ذلك واسروا النجوى اى من موسى ام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما
نطق به قوله تعالى قالوا اى بطريق التناجى والاسرار ان هذان لساحران الخ فانه تفسير لنتيجة
تنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد حذفت عن العمل و
اللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هى نافية واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران وقرئ
ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف
وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدإ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدإ
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف فى قرئ ان هذين
لساحران وهى قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اى ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما
الذى اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب وامثلها باظهار
مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا و
قيل اراد وا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بنى اسرائيل وكانوا ارباب
علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تملكا وقهرا فكيف يتصور حينئذ نقل
بنى اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بنى اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يكاد
تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة فى المغالبة والاهتمام بالمناصبة
فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب فى ان اخراج بنى اسرائيل من بينهم
والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون فى ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم
لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم حالا مزيته فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح
بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر
من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وائتوا صفا
واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اى فاجمعوا ادواتكم ورتبوها كما ينبغى
ثم ائتوا صفا اى مصطفين لغرابة ذلك لانه اهيب فى صدور الرائين وادخل فى استجلاب الرهبة من
المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين
وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقى من بنى اسرائيل وقيل لتسعاية من الفرس وثلثمائة من الروم
وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا
متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر فى قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم فى قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا

وسط على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصفى لاجتماع الناس فيه فى الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما
لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصفى من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا
وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلى من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اى قد فاز
بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب جسما نطق به قوله تعالى قال
نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم
حثا لهم على بذل المجهود فى المغالبة هذا سوا الائق بجانب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان بخواهم ان قالوا حين
سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان
ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون امرهم آت من فرعون وملائه وجعل
قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع
والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه
على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرهم بالاجماع والاتزاع واظهار الجلادة بالاتيان
على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف مبنى
على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا
فقيل قالوا يا موسى واما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما
وغناهما عن البيان اما ان تلقى اى ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او لفعل الالقاء اولا
على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما تلقيه او اول من يفعل الالقاء
خيروه عم بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عليه السلام ما راوا من تخيل الخير ورزانة الراى واظهارا
للجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان ملح ما فى حيزها منصوب بفعل مضمر اى مقدر
خبرية مبتدإ محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال
استيناف كما سلف نا شئ من حكاية تخيير السحرة اياه عم كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل
القوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة
بسحرهم ومعاندة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستكملوا اقصى
وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف
ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى القاء فيه معنى
عن مسارعتهم الى الالقاء كما فى قوله فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فالقوا فاذا حبالهم وهى
للفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها
فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى عليه السلام وقت ان يخيل اليه سعى حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا الطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت
فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل
استعمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بالتاء وبحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس
فى نفسه خيفة موسى اى اضمر فيها بعض خوف من مفاجاة تبعة مقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات
والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس ذلك
كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اى لا توجمت انك انت الاعلى
تعليل لما يوجبه النهى من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما ينبئ عنه الاتيان
وحروف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل

والق مافي يمينك اى عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا للامر بما وتفخيما لشانها
وايذانا بانها ليست من جنس العصى المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد
الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعى
عدم مراعاتها عند وقوع المحكى هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العود
الذى في يدك فانه بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها ياباه ظهور حالها فيما مر
مرتين على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت بالعصا ما فعلت وهى على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما
كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث
لكون ما عبارة عن العصا اى تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصى التى خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها
بما صنعوا للتحقير والايذان بالتموية والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من
تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف والجملة الامرية معطوفة على النهى متممة بما في حيزها للتعليل
موجبة ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التى منها اوجس في نفسه ما اوجس
مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه ع م لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم
اتباعهم له عليه السلام والاعتلال بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له ع م وقوله تعالى ان ما
صنعوا الخ لقوله تعالى تلقف ما صنعوا واما موصولة او موصوفة اى ان الذى صنعوه او ان شيئا
صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اى كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف
اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في
فقه او على معنى ذى سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس
حيث الى اى حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة البتة
مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقى السحرة سجدا كما سلف
فصيحة معربة عن محذوفين يساق اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى
ع م في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع الملقف الموعود اى فالقاه ع م فوقع ما وقع من التلقف
فالقى السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هى آية من آيات الله عز وجل روى ان ربهم
قال كنا نقلب الناس وكانت الآيات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل
بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته
لاجرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا وانما موغاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا
الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة
ولا يخفى فيه قولهم آمنا برب ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا
القول عنهم قالوا استيناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية ايمانهم
كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون ع م واما للمبالغة
في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى ع م في صغره فلو
قدموا موسى ع م لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اى فرعون للسحرة
آمنتم له اى لموسى ع م واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام قبل ان آذن لكم
اى من غير ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله لما لتفقد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان اذنه لهم
في ذلك واقع بعده او متوقع انه يعنى موسى ع م لكبيركم اى في فنكم واعلمكم به واستادكم
الذى علمكم السحر فتواطاتم على ما فعلتم او فعلكم شيا دون شئ فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها

اللعين والقاها على قومه وارادم ان اخر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به و
انهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من
اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن
اى فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع
ابتداء من مخالفة العضو العضو فان المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهى مع مجرورها
في حيز النصب على الحالية اى لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه
لا محالة بتعيين كيفية المعهودة في باب السياسة لا لانها افظع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل
اى عليها وانما ركبه في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف
في الظرف المشتمل عليه قالوا سواء قل من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف
ولتعلمن ايتنا يريد به نفسه وموسى ع م لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في
كتاب الله تعالى لغيره وهذا اما لقصد توضيح موسى ع م والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شئ
واما لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى
ع م حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذى
آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى ع م اشد عذابا وابقى اى ادوم قالوا غير ملتفتين
بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله على يد موسى عليه السلام
من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده ع م من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما
مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقايقها والذى فطرنا اى خلقنا وسائر
المخلوقات وموعطف على ما جاءنا وثاخيره لان ما في ضمنه آية عقلية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة
وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون
من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله
آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل سوقتم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اى وحق الذى فطرنا
لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب
بمثل الاعلى شذوذه وقوله تعالى فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اى
في صنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضى هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم
المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اى انما تقضى ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب
وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التى اقترفناها من الكفر
والمعاصى ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا يمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى تاثر بما او عدتنا به من القطع
والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اى ويغفر لنا السحر الذى عملناه
في معارضة موسى ع م باكراهك وحشرك ايانا من المدائن الفاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا
لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفر بالاستغفار منه مع صدوره
عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد والاكراه على تعلم السحر حيث روى ان رؤساءهم
كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقى من بنى اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه
اكرههم على المعارضة حيث روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا اما
هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وياباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط
كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله تعالى

اى فى حقه ذاية ومونا ظر الى قولهم والذى فطرنا والبقى اى جزاء ثوابا كان او عذابا او خيرا ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرها بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرة المغنية عن ذكره مع مافيه من زيادة التقرير فان الضمير لايفهم منه من اول الامر الا الشان منهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اى قوله تعالى من يات ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصى فان له جهنم لايموت فيها فيستريح من عذابه ابدا ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن ياته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التى من جملتها ماشاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لايذكر غالبا مع الموصوف وهى كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الفعلين السابقين باعتبار لفظها ومافيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اى المنازل الرفيعة وليس فيه مايدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح فى استتباع الثواب لان مانيط بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل الثواب الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى وبيان وقد مران عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير فى لهم والعامل معنى الاستقرار او الثبات وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما قر من التفخيم جزاء من تزكى اى تطهر من دنس الكفر والمعاصى بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه على ما ادعاه فرعون بقوله انتا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس فى القرآن ان فرعون فعل بالمؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت فى الاخبار ولقد اوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى فى البين ذكر ما جرى عليهم من المفصلات الظاهرة على يد موسى عم بعد ما غلب السحرة فى نحو عشرين سنة حسبما فصل فى سورة الاعراف وتقديره بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان فى قوله تعالى ان اسر بعبادى اما مفسرة لان الوحى فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم مافعل اى وبالله لقد اوحينا اليه عم ان اسر بعبادى الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اى سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اى فاجعل او فاتخذ لهم طريقا فى البحر يبسا اى يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وسواما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لاتخاف دركا حال من المامور اى امنا من ان يدركهم العدو او صفة اخرى للطريق والعائد محذوف وقرئ لاتخف جوابا للامر ولاتخشى عطف على لاتخاف داخل فى حكمه اى ولاتخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استيناف اى وانت لاتخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من اكوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعته اى تبعته وذلك اذا كانوا بسبوقون فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون بجنوده اى سائقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة

عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عم الى الامتثال بالامر اى فضرب لهم فانفلق البحر فدخلوه وسلكوا فيه وقد ذكر ان موسى عم خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فلحقهم ثم فلحقتهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب بعصاه البحر فانفلق على اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عم بمن معه من الاسباط وعبرهم ما عبرهم من الامر الهائل الذى لايقادر قدره ولايبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذلك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف بالمرة تقتة وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذى وزطهم للهلكة وباباه الاظهار فى قوله تعالى واضل فرعون قومه اى سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوى المتصل بالعذاب الخالد الاخروى وقوله تعالى وما هدى اى ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به فى قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية فى الجملة وذلك انما يتصور فى حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ايتيهما بالدينى منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساوى الحلاك الدنيوى وجعلها عبارة عن الاضلال فى البحر والانجاء منه مما لايقبله العقل السليم يا بنى اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لاعقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل حوادث وخطاب للذين كانوا منهم فى عهد النبى عليه السلام على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتى من قوله تعالى وما اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اى وقلنا يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم ونجيتكم ووعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اى واعدناكم بواسطة نبيكم جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اى اتيان موسى عم للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عم نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايقاعا لمقام الامتنان حقه كما فى قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عم وقرئ واعدكم وواعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم فى التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كما مر مرارا كلوا جملة مستانفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتمامالنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اى من لذايذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفى البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب مالايخفى ولا تطغوا فيه اى فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لما حد لكم فيه كالترف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبى جواب للنهى اى فيلزمكم عقوبتى وجب لكم من حل الدين اذا وجب وادوه ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى اى تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصى التى من جملتها فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اى عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب

لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اى استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخى الرتبى وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عم من الكلام عند ابتداء مواقاة الميقات بموجب المواعدة المذكورة اى وقلنا له اى شئ اعجلك منفردا عن قومك وما كناترى سؤال عن تقدمه عن النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما فى ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه ماموراباستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عم لكونها نقيصة منافية للجزم اللائق باولى العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفى الانفراد المنافى للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثرى يعنى انهم معى و انا سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عم ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضى حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عنى بما رعى الى الامتثال بامرك واعتنائى بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الفراغة والاقبال رغبة فى قبول العذر قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عم وموافقته فى ورود ه على صيغة الغائب لانه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جملة السامعين فماذا قال له ربه فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفتهم مع هرون عم وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عم بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روى انهم اقاموا على ما وعدهم به موسى عم عشرين ليلة بعد ذهابه مخبوطا مع اياهما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عم عين ولا اثر واضلهم السامرى حيث كان سوالمدبر فى الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلى القوم وسوحرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها فى علمه تعالى ومشيته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما فى قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره اولان السامرى كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عم وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عن الاخبار بها وقرئ واضلهم السامرى على صيغة التفضيل اى انتهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان عجلا من كرمان وقيل من اصل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة حسبما قيل الفا ولما بعد انما هى باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب فى ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع و الاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استيناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا قال بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والعهد لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اى وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء فى قوله تعالى افطال عليكم العهد اى الزمان للعطف

على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اى اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطاتم بسببه ام اردتم ان يحل اى يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدى اى وعدكم اياى بالثبات على ما امرتكم الى ان يرجع من الميقات على اضافة المصدر الى المفعول للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجارى فيما بينهم وبينه م من حيث اضافته عم اليه اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقى الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطاء ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واجعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى موعدى لكم البتة بعد الاربعين فما لا يساعده السياق ولا السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اى وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اى بامكاننا او باختيارنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا بيان لمنشأ الخطاء وقرئ حملنا بالتخفيف اى حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين تهيئوا للخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنايم تحل فقذفناها اى فى النار رجاء للخلاص عن وبالها وكذلك اى مثل ذلك القذف الذى قذفنا القى السامرى اى ما كان معه منها وقد كان ارادهم ايضا يلقى ما كان معه من الحلى فقالوا اما قالوا اعلى زعمهم وانما كان الذى القاه التربة التى اخذها من موطئ الرسول كما سيأتى روى انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأى ان نحفر حفيرة وننجز فيها ما رأى وتقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اى السامرى لهم للقائلين عجلا من تلك الحلى المأبونة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اى جثة ذا دم ولحم من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اى صوت عجل بغتة له فقالوا اى السامرى ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم وآله موسى فنسى اى عفل عنه وذهب يطلبه فى الطور وهذه حكاية لنتيجة فتنة السامرى فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط مما لا يساعده الظاهر مع انه يخل باعتداد رحم فان مخالفة بعضهم للسامرى وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان شبه الاخلاف الى انفسهم وصح برآءة منه من قبل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم فالواما وجد الاخلاف فيما بينهم بامر كنا نملكه بل بمكنت الشبهة فى قلوب العبدة حيث فعل السامرى ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازديادهم فى الفتنة فيقضى بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جميع تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذى لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وسواتخاذه الهاوالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اى انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا

فكيف يتوهمون انه آله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية ح بصرية فان الناصبة لا تقع بعد فعال اليقين اى الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعى لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه فى حيز الرؤية اى افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا ويجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه وينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصاهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لفضية العقول اى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عم اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامرى كانه عم اول ما ابصره حين مر الحفيرة قومهم منهم الاخطان به شارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اى اوقعتم فى الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من الجملة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابلة الذى يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء بشانهم بالدعوة الى الحق كان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء فى قوله تعالى فاتبعونى لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمونى الجملتين اى اذا كان الامر كذلك فاتبعونى فى الثبات على الدين والطيعوا امرى بترك عبادة العجل كما امرتكم به واتركوا عبادة ما عكفتم عليه قالوا فى جواب هرون عم لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى بحملوا رجوعه عليه السلام غاية لكونهم على عبادة العجل لكن لا على طريق التوقيت كما عند رجوعه عم بل بطريق التجلد والتسويف وقد دلسوا تحت ذلك انه عم لا يرجع بشئ مبين تعويلا على مقالة السامرى روى انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عم فى اثنى عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عم وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا اصوات الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا او قوله تعالى قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عم كانه قيل فاذا قال موسى لهرون عليهما السلام حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته ورأسه يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من الكبائرة الى ان شارفوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعن اى ان تتبعنى على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان للمنع وموجبا فى اذا اى اى شئ منعك حين رايتهم ضلالهم من ان تتبعنى فى الغضب لله تعالى والمقاتلة معهم من كثرة وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعنى فان المنع عن الشئ مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فيكون مفارقة مزجرة لهم وفيه ان بضلالهم هرون عم حيث لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار اليهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليها السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عم فيزجرهم عن ذلك بمنزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عم اعصيت امرى اى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليها السلام اخلفنى متضمن للامر بها حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم تتبعنى او خالفتنى فعصيت امرى قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا لحنانها ترقيقا لقلبه لما قيل من انه كان اخاه لام

لام فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تاخذ بلحيتى ولا برأسى اى بشعر راسى روى انه عم اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عم حديدا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى انى خشيت الى آخره استيناف سيق لتعليل موجب النهى بيان الدعى الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير خاص لامره بل ممتثل به انى خشيت لو قاتلت بعضهم بعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل بذا يك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عم بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولى يريد به قوله عم اخلفنى فى قومى واصلح الخ يعنى الزايت ان الاصلاح فى حفظ الدهماء والمدارات معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استبنتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على الفلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى قال استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الى السامرى واعتذار هرون عم كانه قيل فاذا صنع موسى عم بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامرى فقيل قال موبخا له بذاك اثر ما ذكر فما خطبك يا سامرى اى ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عم بذلك ليظهر الناس بطلان كيده بما عرفه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ليكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اى السامرى مجيبا له عم بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عم وقومه اى علمت بما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له اورايت ما لم يروه وسوالانسب بما سياتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عم جراة عظيمة لا يليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يروه عم فانهما مما يتفق وقد كان راى ان جبريل عم جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات فى الحال فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اى من تربة موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تاكيد الما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وسوام المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوها الخضم والقضم فنبذتها اى فى الحلى الذابة فكان ما كان وكذلك سولت لى نفسى اى ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل كذلك فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر اعتبرت الكاف معه لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نفسا له اى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشئ آخر من البرهان العقلى والالهام الالهى فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفى متعلقة بالاستقرار فى لك اى ثابت لك فى الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على موصوف مبتداء لا بقوله تعالى ان تقول لامساس لمكان ان اى ثابت لك كائنا فى الحيوة اى مدة حياتك ان تقارفهم مقارفة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس

احدا ويمته احد كائنا من كان الاحتمام من ساعة حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باعلى
طوقه لامساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس
من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحش النافر في البرية ويقال
ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لامساس كنجار وموعلم للمسة ولعل السر في مقابلة جناية
بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشاء الفتنة بما كانت ملابسته بسبب الحيوة للموت
عوقب بمايضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا
اي في الآخرة لن يخلفه اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ
بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قوله عز وجل وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت مقيما على عبادته فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء ونقل حركة اللام
اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في
حرق اذ برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اي لنذرينه وقرئ بضم السين في اليم رمادا
او مبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عم ذلك كله ح كما يشهد به
به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين انما
الهكم الله استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما
معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله في الوجود لشئ من الاشياء الا هو وحده من غير اشراك
شئ من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ انما الله الا هو الرحمن
رب العرش وقوله تعالى وسع كل شئ علما اي وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه
قيل انما الحاكم الذي وسع كل شئ علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع بالتشديد
فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعول
صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شئ وبه تم حديث موسى عم المذكور لتقرير امر التوحيد
حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى كذلك نقص كلام مستانف خوطب به النبي عليه السلام بطريق الوعد
الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عم وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل وحمل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر
اي نقص عليك من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص
الماضي والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول
نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف موصفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك
اي جمعا دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه
في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره من عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء ولا قصانا قصا مشتملة بتبصرة
لك وتوفير العلك وتكثير المعجزات لك وتذكير المستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي
كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا
للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما
وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده
من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع
لسعادة الدارين وقيل عن الله تعالى ومن اما شرطية او موصولة وايا ما كانت فالجملة صفة لذكرا

فانه اي المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا
اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يقدح الكواهل وينقض ظهره او لانها جزاء
الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه اي في الوزر
او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من كما ان المفرد في النار مما يتحقق حال
اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس
لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت
لك كانه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر
يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق
العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل
او لاسرافيل عم وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا
مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا اي حال كونهم زرق العيون
وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى
عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان
حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملا صدورهم من الرعب
والهول استيناف ببيان ما ياتون وما يذرون ح او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض
بطريق المخافتة ان لبثتم اي ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال استقصار المدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لان تستفهم عليها لما عاينوا الشدايد وانقطعوا انهم استحقوها على اضاعة
في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبور وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا
ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لابد لكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه
كانهم قالوا قد لبثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فما لهم اقطع من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر
ايام النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم او يقول
امثلهم طريقة اي اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه
تعالى له لكون لا لكونه اقرب الى الصدق قبل لكونه اول على شدة الهول ويسالونك عن الجبال اي
عن حالها امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا
اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتقرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها القيعا
اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذرها انبساطا منها
وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما تنا منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة
الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل
سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل التهل وقيل المنكشف
من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء
كان اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان لذر على
تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الاول وقوله تعالى لا ترى فيها اي في مقار
الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اي عوجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما في
المعنى اي لا تدرك ان تاملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اي نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية

بكيفية ما سبق من القاع والصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية و
تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول
ربما يخل تقديمه بتهي وب اطراف النظم الكريم يومئذ اى يوم اذ ننسف الجبال على اضافة اليوم الى
وقت النسف وسوق لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اى يتبع الناس
داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عم يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس
ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ارض الرحمن فيقبلون من كل واب
الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن اى خفضت لهيبته
فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم الى المحشر
يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن
ان يشفع له ورضي له قولا اى ورضي لاجله قول الشافع في شانه اورضي قوله لاجله وفي شانه والا من عداه
فلا تكاد تنفعه وان فرض صدور ما عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة
الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة بل معنى لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما ان حكم الشفاعة ممن لم يوذن له ان لا
يملكها ولا تصدر عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يوذن
له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة
لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم
وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته
اى من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما
لا يعلمون جميع ذلك ولا التفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اى ذلت وخضعت خضوع العناة
اى الاساري في يد الملك القهار ولعل اوجه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى
وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رض خسر من اشرك ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت
وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا او خسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه
على العموم فالمعنى ج وقد خاب من حمل منهم ظلما فحقوله تعالى ومن يعمل الصالحات الخ قسيم لقوله تعالى
وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اى ومن يعمل بعض
الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو
مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق
بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم
حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك وذلك اشارة الى انزال ما سبق من
الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة وهو لها اى مثل ذلك الانزال انزلناه
اى القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان ببناهته شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في
الاذهان قرانا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق
البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اى كررنا فيه بعض الوعيد او
بعضا من الوعيد جنسا اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اى كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث
لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالاخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى وتنزيه

حتى التي يتصرف فيها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة
المخلوقين في ذاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده
الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
اى يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ
كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما
ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل الملقن بكلمة عن سماع ما بعدها
وامر باستفاضة العلم واستزاده منه تعالى فقيل وقل اى في نفسك رب زدني علما اى سل الله
عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يات
بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد عهدنا
الى آدم كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان
وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق
يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والموعود مخذ وفيدل عليه ما بعده
واللام جواب قسم محذوف اى والقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل هذا
الزمان فنسي اى العهد ولم يعتد به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسى اى نساه الشيطان
ولم نجد له عزما تصميم راى وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره
وقد كان ذلك منه عم في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شرها وارها
عن النبي عليه السلام لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على
الذنب فانه اخطاء ولم يتعمد وقوله ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولا قدم الكلام على الاول
لكونه فعلا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الاسبق لان مسبب الفائدة سوى المفعول وليس في
الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعول المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب بمضمر خوطب
به النبي عليه السلام اى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة
فيه فالامر بذكره امر بذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر
صارت الحوادث كانها موجودة في ضمن الخ طب بوجودانها العينية اى اذكر ما وقع في ذلك الوقت هنا
ومنه حتى يتبين بنسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة
وقعت جوابا عن سؤال نشاء عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر وهو
ابى اما محذوف اى ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوى راسا بتنزيله منزلة
اللازم اى فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رايت ما فعل
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اى لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان
يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا و
الفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي وانما وحد الشقاء
اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما
فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف

الرجال ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ولا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهى فان اجتماع اسباب
الراحة فيها مما يوجب المبالغة فى الاهتمام بتحصيل مبادى البقاء فيها والجد فى الانتهاء الى الخروج عنها والعدول
عن التصريح بان لادم فيها تمتعا بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية و
المساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب فى البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفى نقايضها التى هى الجوع
والعطش والعرى والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التى حذره عنها
ليبالغ فى التحامى عن السبب المؤدى اليها على ان الترغيب قد حصل بمستوغ له من التمتع بما فيها سوى ما استثنى
من الشجرة جسما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى
ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر فى موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ
ان لا يصيبه شئ من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والرى والكسوة قد تحصل بعد عروض اضدادها بما يجوز
الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل الى شئ من
الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عم بما ذكر مرارا آنفا وفصل النفاء
عن الجوع فى الذكر مع تجانسهما وتقارنهما فى الذكر عادة وكذا حال العرى والضحو المتجانسين لتوفية مقام
الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفى كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما
توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال فى الجمع بين العرى والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير
بالتنبيه على ان نفى كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفى بعضها بطريق
الاستطراد والتبعية لنفى بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور
على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها فى فائدة
التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان الخبر واجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة ولا اجتماع فيما
نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما فى حيزهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب
فيه بيانه ان كل واحد من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها
وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابى او السلبى وان مناط ذلك الحكم خبرا لا اسمها
فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لا اسمها فى نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما
للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها فى نفسها فهو مدلول المفتوحة
حتما فلم يلزم اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق
مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندى ان زيدا قائم للتجافى عن صورة الاجتماع و
الواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التى يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائم مقامها فى
اقتضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها
على المفتوحة اجتماع حرفى التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العرى وعدم الظماء خلا انه لم
يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظماء والضحو مطلقا كما فعل مثله فى المعطوف عليه بل
قصد بيان ان الثابت له عدم تحقيق عدمها فوضع موضع الحرف المصدرى المحض ان المفيدة لمكانه قيل
ان لك فيها عدم ظمأ لك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اى القى اليه وسوسته او اسرها اليه
قال اما بدل من وسوس او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال فى
وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اى شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء
كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى
اى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضى عنهما

عن النور الذى كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر
تفسيره فى سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذى هو الخلود
او عن الامور او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا انخم من اللبن و
فى وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ للاولاد عن امثالها ثم اجتبيه
ربه اى اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه
اجتمعته او من جبى الى كذا فى جبايته مثل جبيت على العروس فى جليتها واصل الكلمة الجمع وفى التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف له عم فتاب عليه اى قبل توبته عين تاب
هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عم بالاجتباء
وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اى الى الثبات على التوبة باسباب العصمة قال استينافا فمبنى
على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته
اهبطا منها جميعا اى انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض حال من ضمير المخاطب فى
اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ اولاد اى متعادين فى امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب و
التحارب فاما يأتينكم منى هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداى وضع الظاهر موضع المضمر مع
الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة فى ايجاب اتباعه فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة
فمن اعرض عن ذكرى اى عن الهدى الذاكر لى والداعى الى فان له فى الدنيا معيشة ضنكا ضيقا
مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى ولذلك لان بى مع عمته و
مطامح نظره مقصورة على اغراض الدنيا وسوء تهالك على اذويادها وخايف من انتقاصها بخلاف المؤمن
الطالب الاخرة مع انه قد يضيق الله بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل
الكتاب آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل
عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة
ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما
وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا اى فى
الدنيا وقرئ اعمى بالامالة فى الموضعين وفى الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه راس الاية ومحل
الوقف قال كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث
لا تخفى على احد فنسيتها اى عميت عنها وتركتها ترك المنسى الذى لا يذكر اصلا وكذلك ومثل
ذلك النسيان الذى كنت فعلته فى الدنيا اليوم تنسى تترك فى العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا
ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون لك
له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وكذلك
اى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزى من اسرف بالانهماك فى الشهوات ولم يؤمن بايات
ربه بل كذب بها واعرض عنها ولعذاب الاخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى
من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف
مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزى الاية والصرفة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى
التبيين والمفعول محذوف اى افلم يتبين لهم كثرة اهلكنا اياهم كائنا فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين

المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلكنا
للقرون الاولى وقد حرر في قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل
الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كما اهلكنا الخ اما معلق للفعل سادّ
مسدّ مفعوله او مفسّر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل
الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل
النصب على انه وصف للمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من
القرون او مفعول اهلكنا هم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار و
العامل بعد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال
كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان
يعتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من
المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله
تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة وحجج
الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو مراد وايما هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فانهم لاولي
النهى لذوي العقول الناهية عن القبايح التي من اقتحمها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تع
والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول
وقوله تع ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى
افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتاخير
عذاب هذه الامة الى الآخرة الحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جنايتهم لزاما اي لازما
لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جنايتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة للزوم
لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصل عما عطف عليه للمبارعة الى بيان جواب لولا
وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على
المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي
لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون
الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون اي اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس بامهال
بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمك بانهم معذبون لا
محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى
كمالك على هداية وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه تعالى اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما انعم
بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ
فان توقيت التسبيح غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما
قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة لقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر ومن
آناء الليل اي من ساعاته جمع إنيّ بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسح اي فصل والمراد
به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اوجع والنفس

الى الاستراحة

الى الاستراحة اميل فيكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل اشد وطئا وقوم قيلا
واطراف النهار تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصها بمزيد مزية وتجيئه بصيغة الجمع لامن
الالباس كقول من قال ظهرها مثل ظهور ترسين او امر بصلوة الظهر فان نهاية النصف الاول من
النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين اولان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك و
قرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي لا تطل نظرهما
بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اي اصنافا من
الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او حال من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي
متعنا به من اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف
كما مر زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطيناك او به على تضمين معناه او
بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة
بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتعجبهم وبهاء
زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته
مآلا اثر اظهار بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه
ورزق ربك اي ما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم في الدنيا
لانه مع كونه في نفسه اجل مما يتنافس المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى فانه لا
يكاد ينقطع نفعه او اثره ابدا مما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يأمر اهل
بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا
يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا الفت ارباب الثروة واصطبر عليها وصابر عليها غير مشتغل بامر المعاش
لا نسألك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك بامر
الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اي لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه
الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر
عليها اي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه ودعوى النبوة او بآية مما اقترحوا بلغوا من المكابرة والعناد
الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على
التفوه بهذه الغيظة الشنعاء وقوله تعالى اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اي التورية والانجيل
وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما وسوا تحتها من انكار ان
الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو اتم الآيات واتم المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة
اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي لمركان ولا ريب في ان العلم اجل الامور
واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على
يدا من لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تتراد بعد ورود هذه اي
آية تزاحم مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب
السماوية اي شاهدا بحقيقة ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل و
بصحة ما نطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره
ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم

اياه مأتيانه للتنبيه على اصالته فيما مع ماهيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجتروا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب الى آخر الآية جملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكار ما بيان انهم يعتبرون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكنا هم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق باهلكنا او بمحذوف موصوف لعذاب اى بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد عليه السلام لقالوا اى يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع آياتك التي جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اى كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوى اى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد وقرئ السوء والسوئى والسوى بتخفيفه السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرهما بعدها والجملة سادة مسد مفعولى العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب اصحاب او على الصراط وقيل العايد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة طه اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لابي اواحل

الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رض المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمه على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة بما ان بيان كون الخلق لاجل المنافع طيبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلنا تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المبني على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يغير التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شئ مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويعيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتداد بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن

فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الاول فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شئ آخر وهم في غفلة اى في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لانهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اى عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا طبيعيا لهم جعل الجزء الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد يجوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر من لطايفه نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كما ينافي نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله و شرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اى محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله الا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام مستانف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرار مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا مبني عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الخ في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هذا كجواب عن سؤال نشاء عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اى اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتاتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تاتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اى من جنسكم وما اتى به سحر افتعلمون ذلك فتاتونه وتحضرون على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قال الله اني يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توشيق العهد وترتيب مبادي الكيد والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله صلى الله عليه وسلم بعد ما اوحى اليه احوالهم واقوالهم بيانا للظهور امرهم وانكشاف سترهم واثيار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات

علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لاتفاوت بينهما
بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع
حالا من القول اى كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اى البالغ في العلم بالمسموعات و
المعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر للمضمون ما قبله متضمن
للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى والتفات من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر
مضطرب في مسالك البطلان اى لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام بل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده
من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير
ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لاحقيقة لها وهكذا
شان المبطل المجوج متحير لايزال يتردد بين باطل وباطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما
ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم سحر الى انه تخاليط
احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول الشاعر ولاريب في انه كان ينبغي ج ان يقال قالوا بل اضغاث احلام
والاعتذار بان بل قالوا مقول القائلين المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل هل واستروا النجوى قالوا
هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف ينفتح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من
الله فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اى مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا وفلق البحر ونحوها حتى
نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية وجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها
مصدر تشبيهي اى نعت لمصدر محذوف اى فليأتنا آية اتيانا كائنا مثل الاتيان الاولين بها وصحة التشبيه من حيث
ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اى مثل اتيان مترتب على الارسال وجوز ان يجعل النظم الكريم على انه
اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد في طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي
جانب المشبه به الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عم
ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستانف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان
كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه تعالى عليهم
كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوه مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استيصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم السالفة
على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا تنزل بهم عذاب الاستيصال لامحالة وقد سبقت كلمة الحق
منه تعالى ان هذه الامة لايعذبون بعذاب الاستيصال فقوله من قرية اى من اهل قرية في محل الرفع على
الفاعلية ومن مزيدة لتاكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها اى باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجئ ما
اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى افهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر
دخلت الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من
الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا او
اعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على آمنت على انه الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار
مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما
سوأى الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما
وسوالخت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه عليه السلام مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى
عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلابد من المسارعة
الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء الله وما انتم بمعجزين وقوله تعالى

ما ننزل الملئكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى
البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لوكان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة للملئكة لتوقفها على التناسب
بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع و
انما الذي يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم
استيناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم
القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس
مستأثرين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرايع والاحكام وغيرها من القصص
والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لافرق بينك وبينهم في البشرية فانهم
لايغفلون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون و
ترمي بوحي اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وباذنا بتعيين الفاعل وقوله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة
الاستبعاد والتكبر اثر تحقيق طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال
تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فمن وظائف العوام والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا
ايها الجملة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهتكم امر وابذلك
لان الاخبار الجم الغفير يوجب العلم لاسيما وهم كانوا يشاركون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم
في امره وفيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبي عليه السلام ما لا يخفى وما جعلناهم
جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية كونهم اسوة
لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملئكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى
جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي
وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اى ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام
صفة له اى وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه
وما كانوا خالدين لان مآل كل سوى الفناء لامحالة وفي ايثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود
مقتضى حيلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستانف والمراد بالخلود اما الملكث المديد
كما هو شان الملئكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلنا اجسادا مستغنية صائرة
الى الموت بالآخرة على حسب اجالهم لا ملئكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملئكة
فلم يكن لها خلود كذلك وهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك
من الرد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يعطف من
حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم
في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي

الحكمة ابقاء ه كمن سيؤ من سواء بعض فروعه بالآخرة وسوالسر في حماية العرب من عذاب الاستيصال و
اهلكنا المسرفين اى مجاوزين للحد ودفي الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق
حقيقة القران الذى ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما ياتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم
تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالة عليه السلام ببيان
انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا
بكون المنفي طعنا في اقصى مراتب النكير اى والله لقد انزلنا اليكم يامعشر قريش كتابا عظيم الشان نبيل البرهان
وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا موكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار
مستجلب لهم منافع جليلة اى فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون في امور
دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون من حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وموالاسب بسباق
النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب
والتامل في نفاصيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف
على مقدر يجب عليه الكلام اى الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك اولا تعقلون شيئا من الاشياء
التي من جملتها ماذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجماع قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان
لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انه مفعول لقصمنا ومن
قرية تمييز وفي لفظ القصم الذى هو عبارة عن الكسر باباته اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة
على قوة الغضب وشدة السخط مالا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف
اى اهل قرية كانت ظالمة وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين باباث الله تعالى كما فرين بها كذا بكم وانشانا بعدها
اى بعد اهلاكها قوما اخرين اى ليسوا منهم نسبا ولا دينا وفيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم
بالكلية وسوالسر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادى اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا
اى ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين
راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اى قيل لهم بلسان الحال اوبلسان المقال
من الملك اومن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من
التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفخرون بها لعلكم تسالون تقصدون
للسؤال والمشاورة والتدبير في المهمات والنوازل او تستفتون اذا دهيت مساكنكم خالية وتسالون اين
اصحابها اوسائلكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء او بخلا وقيل لهم ذلك تهكما
الى محكم قالوا لما ايسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب ياويلنا اى هلاكنا انا كنا
ظالمين اى مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم
ذلك فما زالت تلك دعواهم اى فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اى دعوة لان الدلول
كانه يدعوا الويل قائلا ياويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اى مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع
والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اى ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول
الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير
المنصوب في جعلناهم اومن المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد
وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة
المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكى من العذاب العاجل والعقاب النازل باهل القرى
من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين باثارهم

ذنوبا مثل ذنوبهم اى ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها
وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب و
اللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب
احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبداء لوجود الانسان وسببا لمعاشه
ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى
وهو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استينافي مقرر لما قبله من
انتفاء اللعب واللهو اى لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اى من جهة قدرتنا
او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة
في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل اراداتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا
له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى ان كنا فاعلين لاتخذناه
وقيل ان نافية اى ما كنا فاعلين اى لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء
المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد
بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل
اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نقلب الحق الذى من جملته
الجد على الباطل الذى من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص
الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اى يحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى الحكية وقد استعير لايراد الحق
على الباطل القذف الذى هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذى هو
كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصوير له بذلك وقرئ
فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اى ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية
والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان مالا يخفى كانه زاهق من الاصل
ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية
متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما امامصدرية او
موصولة او موصوفة اى واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل
او بالذى تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كاذبا ما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض
استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع المخلوقات على احكم بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق
الباطل اى له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا احياء واماتة وتعذيبا واثابة
من غير ان يكون لاحد في ذلك ادنى استقلال او استتباع ومن عنده وهم الملئكة عم عبر عنهم
بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند
الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدا وخبره لا يستكبرون عن عبادته اى لا يتعظمون عنها ولا يعدون
انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور
للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها وروعها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة
نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة
كثرة المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده
معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى

وجبريل وميكال فقوله تعالى لا يستكبرون ح من الكل يسبحون الليل والنهار اى يترهونه فى جميع الاوقات
ويعظمونه ويمجدونه دايما وسواستيناف وقع جوابا عما شاء مما قبله كانه قيل ما ذا يصنعون فى عباداتهم
او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون اى لا يتخللون
تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق
الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات
على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده يذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته
منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التى من جملتها الانداد ومعنى الهمزة فى ام المنقطعة انكار الوقوع
لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد
سو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اى يعيدون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الانكار
والتجهيل والتشنيع لانفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اى لا محالة اى بل اتخذوا آلهة من الارض
هم خاصة مع حقارتهم وجمادیتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوه آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا
بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى
التخصيص فى تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى
افى الله شك وقوله تعالى ايا ه نعبد وايا ه نستعين فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره
تعالى لان يشك ويستعان به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية له
للاستقلال بالابداع والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا
بذلك مدعين لاصل الانشار لو كان فيها آلهة الا الله ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفاء بل على
استحالته وايراد الجمع لورود ما تاثير انكار اتخاذ الآلهة لا لان الجمعية مدخلية فى الاستدلال وكذا فرض كونها
فيها والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضاء
الى فساد المعنى لا لانه يصح على ان الفساد لكونها فيها بدونه تعالى ولا لان الرفع على البدل لانه متوقع على الاتصال
ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب اى لو كان فى السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل
لفسدتا اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالى على انتفاء المقدم قطعا ببيان الملازمة ان الآلهة
مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء و
اماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منهما وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة
واما بتاثير واحد منهما فالباقى يعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لا انه غير
فى المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقتضى باستحالة العدد على الاطلاق فانه لو تعدد الآلهة فاوجد
الكل فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالى تعين
انتفاء المقدم والفاء فى قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الواحدانية
بالبرهان اى فنزهوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التى من جملتها ان يكون له شريك فى
الالوهية وايراد الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منا طة لجميع صفات كماله التى
من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم
الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما يصفونه متعلق بالتسبيح اى فنزهوه عما يصفونه من ان يكون من جملة
آلهة لا يسئل عما يفعل استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد
من مخلوقاته ان يناقشه ويسئله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك فى الالهية وهم اى
العباد يسئلون عما يفعلون تقريرا وتقريرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة ام اتخذوا

من دونه آلهة اضراب واستقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلو ما عن خصائص
الآلهية التى من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الآلهة على الاطلاق وتفرده سبحانه
بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص للمبرة شركاء لله عز سلطانه
وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا
منجاوزين اياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص
الالوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والالزام الجرى هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل
والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية لا سيما فى مثل هذا الشان الخطير وما فى اضافة
البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ما ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معى وذكر من
قبلى اشارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة
كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحى الوارد فى شان التوحيد المتضمن للبرهان
القاطع العقلى وذكر امتى اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمتموه انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى
هذا كتاب انزل على امتى وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب المنزلة والصحف
فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات
نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وبه وبمن الجارة على
ان مع اسم موظرف كقبل وبعد وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب من جهته تعالى عبر
داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا يتجه فيهم المحاجة باظهار
حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك
معرضون اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغى والضلال
وان كررت عليهم البينات والحجاج ومعرضون عما القى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على
انه خبر مبتدا محذوف وتعطيف بين السبب والمسبب تاكيد اللسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما
نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا
ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
حكاية لجناية فريق من المشركين جئ بها لاظهار بطلانه وبيان تنزهه عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن
الشركاء على الاطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملئكة بنات الله ونقل الواحدى ان قريشا وبعض
اجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون
جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اى تنزه
بالذات تنزها اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اى بعد او اسبحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة
العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملئكة كما قالوا
بل هم عباد له مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشاء غلط القوم وقوله تعالى
لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اى لا يقولون
شيئا حتى يقوله تعالى اويامر هم به واصله لا يسبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى تنزيلا
لسبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون
ما يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم اهيب الامر عن الاضافة للاختصار والتجافى

عن الكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استجلاب للسبق والشعار بان من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفى عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفى سبقهم له تع بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطة تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تع ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عزوجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى يكون الامر ومن يقل منهم اى من الملئكة آخر الكلام فيهم وفى كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اتى الا من دونه متجاوزا اياه فذلك الذى فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغنى عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تع وعزة جبروته واستحالة كون الملئكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهموا ولذلك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزى الظالمين مصدر تشبيهى مؤكد لمضمون ما قبله اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اى لا جزاء انقص منه اولم يرالذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعا بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اى جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اى كانتا ذواتى رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اى شيئا رتقا اى مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتها ففتقتها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيته المقدس كهيئة الغهر عليها دخان فارتفع بخاتم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الغهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعا كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعانى الاول فهم وان لم يعلموا بها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شئ حى اى جعلنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم موادّ اولغرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شئ حى من الماء اى بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به لا لمجرد ان

المفعولين

المفعولين في الاصل مبتداء وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتداء فان ذلك مصحح لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف بكافى الوجه الاول قدم على المفعول الاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم ايمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة على تفرده عزوجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اى يعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسى اى جبالا اثوابت جمع راسية من رسى الشئ اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحة قوله تعا اشهر معلومات وايا ما معدودات ان تميد بهم اى كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اى في الارض و كرر الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسى لانها مختصة بالطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اى الى مصالحهم ومنافعهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد و الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التى بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمى الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيقفون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما آيتان مما بيان لبعض تلك الآيات التى هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتاكيد الاعتناء بشأنهما اى هو الذى خلقهن وحده كل اى كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اى يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالحكم لما بينهما من الضمير لها والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اى في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرير القاعدة الكلية النافية لذلك بالهمزة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغى ان يصدر عن العاقل كانه قيل كانه فان مت فهم الخالدون حتى تشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اى نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم حال تصبرون وتشكرون اولا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فنحو على الاول وعد ووعيد وعلى الثانى وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات واذا راك الذين كفروا اى المشركون ان يتخذونك الا هزوا اى ما يتخذونك الا مهزوءا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذا هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى في سورة الانعام اهذا الذى يذكر الهتكم على ارادة القول اى ويقولون او قائلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم ايا ما لو قوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون

عليه م ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم يذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد
او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فيهم احقاء بالعيب والانكار في الفصل الاول
مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد للفظي للاول
فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل
لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان يذبذبا
بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روي انحا نزلت في
النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان
يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى
في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشيا من
عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عام سار الى
اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى سأريكم آياتي تلوين للخطاب
وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي سأريكم نقاتي في الآخرة
كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعد وا عما مرادا وقيل
يقولون متى هذا الوعد اي وقت مجئ الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا للمجيء بطريق
الاستهزاء او الانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان
كنتم صادقين اي في وعدكم بإتياننا والخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة
المنبئة عن مجئ الساعة وجواب الشرط محذوف تقديره لما قبله عليه جسما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما
تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء للوعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة
فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا
استيناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه
واثبار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي
الواقع موضع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام
كما في قولك لو حسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار
الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه وأضافته
الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع
انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك
المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي لو علم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد
من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف
لكونها اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بها للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب
من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفعها الى ما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال وجواز ان
يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استيناف
مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل
تاتيهم عطف على لا يكفون اي لا يكفون تقابل تاتيهم اي العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم

اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله فلا يستطيعونها
ردها بتاويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اي لا يستطيعون
ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا او
لقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به ع م في ضمن الاستعجال
وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلوة والسلام وتصدير ها بالقسم
لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف موصوفة له اي وبالله لقد
استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد وكثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه فحاق اي احاط عقيب ذلك اوحل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول والزوم
ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم
اي من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن
للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق
بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما
مصدرية فالضمير المجرور راجع اما الى جنس الرسول المدلول عليه بالجميع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه
على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام لاجزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط
اي فنزل بهم استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او حين استهزائهم ان
اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية
تبرز في النشاة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر
تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما يتفكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامره عليه السلام بان يقول لا ولئك
المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من
بأسه الذي يستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا و
التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد ما امره عليه السلام بما ذكر من السؤال
على الوجه المذكور جسما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لملل بهم فنون
الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك
بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم
لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة خطأ و
كلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال عوجا فتحيوا النعمى ومنة الدار ما ذا تحبون من نؤى
واحجار وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت
ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة
ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما
قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم
باعتمادهم على آلهتهم واسناد الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم آلهة يقدر على ذلك والمعنى بل
ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معقولون عليها
واثقون بحفظها وفيه توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة
بان يقال ام تمنعهم الهتهم من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز

وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استينافي مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم
اى هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهمان ينصروا غيرهم وقوله تعالى
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا بيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا آباءهم
بما قدر لهم من الاعمار اوعن الدلالة على بطلان ما اوهمهم ذلك وهو ان تعالى متعهم بالحيوة الدنيا واطال
مدتها حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزال الوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ
وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اى الا ينظرون فلا يرون اتانا تى الارض اى ارض الكفرة بفتحها
من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجرى بعز وجل من ديارهم على ايدي
المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام انهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء
لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر و
رؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى المن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء
وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته
تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم واعراضهم عن ذكر
ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عليه السلام بان يقول
لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق بآياتها وفظاعة ما فيها من الاهوال
اى انما اثاني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان
برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء امامن تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعراض
قد امر عليه السلام بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والفساد واللام للجنس المنتظم
للممتطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع الضمير للتسجيل عليهم بالتمام تقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا
ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا او تبشيرا للبيان بكمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء
الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة
مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة
قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي عليه السلام من الاسماع بنصب الصم
والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه السلام
وقرئ على البناء للمفعول اى لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك بيان لسرعة تاثرهم من مجئ نفس العذاب اثر بيان عدم تاثرهم من مجئ خبره على نهج التوكيد القسمي اى
وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شئ من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان
اصل النفح هبوب رائحة الشئ ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك و
يعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اى
نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحايف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيله ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف
به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اى لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون
من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه
ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان اى العمل المدلول
عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اى مقدار حبة كائنة من خردل اى وان في غاية القلة و
الحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة قد آتينا بها

اى احضرنا ذلك المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرئ اتينا بها
اى جازينا بها من الاتياء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب
وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرى للمتقين نوع تفصيل للاجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى
قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار
كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكرى اى وبالله لقد آتينا هرون وموسى
ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرى
يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون مغانم آثاره او ذكرى ما يحتاجون
اليه من الشرايع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللايق بسياق النظم الكريم فانه
لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو
الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اى عذابه بحرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب
او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اى يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم
ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتاثرون بالانذار مالم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من
الساعة مشفقون اى خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار للمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم
منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم
بضد ما اتصف به المستعجلون واثبار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا
اى القرآن الكريم اشير بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من يتذكر وصف بالوصف الاخير
للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير عزيز النفع يتبرك
به انزلناه اما صفة ثانية لذكرا وخبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون
انزاله كاتياء التورية كانه قيل بعد ان شاهدتم كون التورية في الاتياء والايجاء وانتم منكرون
لكونه منزلا من عندنا فاين ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ اصلا ولقد آتينا ابرهيم رشده
اى الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الى الحكمة
بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن
من قبل اى من قبل اتياء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر اتيانها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه
التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وآباه المقام وكنا به عالمين اى بانه اهل لما آتيناه
وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف
لآتينا على وقت متسع وقع فيه الاتياء وما يترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول المضمر مستانف
وقع تعليلا لما قبله اى اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتتحقق على كمال رشده
وغاية فضله والتمثال اسم لشئ مصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام
حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ما ذا مع علمه
بان حقيقتها حجر او شجر اتخذ وثنا معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن
اللزوم والاستمرار على الشئ لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخهم على اجلالها والاقبال
اللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لقيل بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين

العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مال سؤاله
عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عم ايا هم بالعكوف لها كانه قال ما
هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجاء يعتد به التجاؤا الى التقليد فابطله عم
على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة
في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اى ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك
ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم
ولآبائهم اى والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما
يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله
عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وتردد انى كون ذلك منه عم على وجه الجد اجئتنا بالحق اى بما يحق
ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه الملاعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية
الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد
كونها اربابا لهم كما ينفصح عنه قولهم لنعبدن اصنامنا فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ادعاه و
ضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق و
تبيينا على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اى انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها
انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه وارجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم
واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات
وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من
الشاهدين اى العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحقه وشهادته
على ذلك لو لاؤه بالحجة عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء
وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجيب لاكيدن اصنامكم اى لاجتهدن
في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قال عم سرا وقيل سمعه رجل واحد
بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التاءين ويعضده ما
قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اى فتولوا فجعلهم جذاذا اى قطاعا
فعال بمعنى المفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع
جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجُذُذا جمع جذيذ وجُذاذا جمع جُذَّة روي ان آزر خرج به في يوم
عيدهم فبدوا بيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان
نرجع تركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين
صنما مصطفا وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل
فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم
اى الاصنام لعلهم اليه اى الى ابرهيم عليه السلام يرجعون فيحاجهم بما سيأتي فيجحمهم ويبكتهم و
قيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شان المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون
الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن رفع ما يهمهم وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اى حين
رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا عن طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع

وانما عبر

وانما عبر واعتبرها باذكر ولم يشر واليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى انه
لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبر لها و
المعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما الجرأة على ايانتها وهي حقيقة
بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة قالوا
اى بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم
اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا ان كان القائلون سمعوه عم
بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عم يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال ابرهيم
صفة اخرى لفتى اى يطلق عليه عم هذا الاسم قالوا اى السائلون فاتوا به على اعين الناس اى
بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون اى يحضرون
عقوبته له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم او معهود
قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به عم بعد ذلك هل اتوا
به او لا فقيل قالوا اانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام
للتنبيه على ان اتيانهم به ومساعدتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان قال بل فعله كبيرهم هذا
مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة
على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شان آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز
الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس في
عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الاصنام غاظة عليه السلام حين ابصرها
مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظه كبيرها الاكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند
الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل موحكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال بل يقول
يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الهية ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عم قال فعله
كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب
الله تعالى عليهم لاشراكهم بعباداتهم الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الشاذ
عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة
وتبكيتهم ومثل ذلك مما لو قال لك انى رأيتك كتبته بخط رشيق وانت تهيق بحسن الخط اوانت كتبت
هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها
له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر
مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عندك مع استحالته
عندك ولا ريب في ان مراده عم من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم على
احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ
عنه قوله تعالى فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اى ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام
ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال سوء
الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حيث نطق به قوله تعالى فرجعوا
الى انفسهم اى راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن
كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون
معبودا فقالوا اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اى بهذا السؤال لانه كان

على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون
بعبادتها لامن كسرها ثم نكسوا على رؤسهم اى انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة
شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل
اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اى قائلين والله لقد علمت ان
ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرارهم على نفى النطق لا نفى استمراره كما يوهمه
صيغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اى تعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اى
متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحاله المنافية للالوهية
مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من
اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واق صوت
المتضجر ومعناه قبحا وتتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون
قبح صنيعكم قالوا اى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
وهكذا ديدن المبطل المجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مقرع الا المناصبة
حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اى للنصر او
لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل
رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض روى انهم لما اجمعوا على احراقه
عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصنام الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يجوز حولها
احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد ان يجوز حولها فلم يحيلوا
كيف يطرحونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد
فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فوضعوه فيه
مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابرهيم اى كوني ذات برد وسلام اى برد غير ضار وفيه مبالغات جعل
النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقيل لفيب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى ان الملائكة اخذوا
بضبعي ابرهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب ووردا احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا
وثاقه وروى انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها
قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يونس فنظر نمرود من صرحه فانشرف عليه
فراه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم
هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه و
قال من الرجل الذي رايته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فقال اني مقرب الى
الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك
هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة الآف بقرة فذبحها وكف عن ابرهيم عم
وكان اوذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المخترعات فان انقلاب النار هواء طيبا
وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت

النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عم اذاها كما تراه في التمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابرهيم وارادوا
به كيدا بكسر الياء فيهما في الاضارية فجعلناهم الاخسرين اى اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء
نور الحق برهانا قاطعا على انه عم على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاتها العامة ان
اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية و
الدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه عم نزل بفلسطين ولوط عم بالمؤتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اى عطية فهو حال منهما او ولد ولد او
زيادة على السؤال وهو اسحق فتخصص بيعقوب ولا بس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اى كل واحد من
هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عم بقوله ومن ذريتي
يهدون اى الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم
فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم والصلة ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخير بعد
وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة ومن عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانتظامه
وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى اللامين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة
دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى
آتيناه اى وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اى حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما
بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اى اللواطة وصفت
بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم
كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اى في اصل رحمتنا او في جنتنا انه من
الصالحين الذين سبقت منا الحسنى ونوحا اى اذكر نوحا اى خبره وقوله تعالى اذ نادى اى دعا
الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اى اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اى من قبل
هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اى دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله من
الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصر امتنعا للانتقام
والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا بآياتنا وحمله على فانتصر بآياته ما ذكر من دعائه فان
ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامور وقوله تعالى انهم كانوا قوم
سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق
والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول
لعامله واما المضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف للمضاف
المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اى اذكر خبرهما وقت حكمهما في
الحرث اى في حق الزرع او الكرم المتولى عنا فيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ
نفشت اى تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا
لحكمهم اى لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام
واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين عالمين والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد
لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها
والضمير للحكومة او الفتيا روى انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا

دخلت فی حرثی لیلا فافسدته فقضی له بالغنم فخرجا فمرا علی سلیمان علیه السلام فاخبراه بذلک فقال غیر هذا
ارفق بالفریقین فسمعه داود فدعاه فقال بحق النبوة والابوة الا اخبرتنی بالذی هو ارفق بالفریقین
فقال اری ان تدفع الغنم الی صاحب الارض لینتفع بدرّها ونسلها وصوفها والحرث الی ارباب الغنم لیقوموا
علیه حتی یعود الی ما کان ثم یترادّا فقال القضاء ما قضیت وامضی الحکم بذلک والذی عندی ان حکمهما ع م
کان بالاجتهاد فان قول سلیمان علیه السلام غیر هذا ارفق بالفریقین ثم قوله اری ان تدفع الخ صریح فی
انه لیس بطریق الوحی والا لبتّ القول بذلک ولما ناشده داود علیهما السلام لاظهار ما عنده بل وجب
علیه ان یظهره بدءا وحرم علیه کتمه ومن ضرورته ان یکون القضاء السابق ایضا کذلک ضرورة استحالة
نقض حکم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالی اعلم ان رای سلیمان علیه السلام استحسان کما ینبئ عنه قوله
ارفق بالفریقین ورای داود ع م قیاس کما ان العبد اذا جنی علی النفس یدفعه المولی عند ابی حنیفة الی المجنی
علیه او یفدیه ویبیعه فی ذلک او یفدیه عند الشافعی وقد روی انه لم یکن بین قیمة الحرث وقیمة الغنم تفاوت
ولما سلیمان ع م فقد استحسن حیث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غیر ان
یزول ملک المالک من الغنم واوجب علی صاحب الغنم ان یعمل فی الحرث الی ان یزول الضرر الذی اتاه
من قبله کما قال اصحاب الشافعی فیمن غصب عبدا فابق منه ان یضمن القیمة فینتفع بها المغصوب منه بازاء
ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادّا وفی قوله تعالی ففهمناها سلیمان دلیل علی رجحان
قوله ورجوع داود الیه مع ان الحکم المبنی علی الاجتهاد لا ینقض باجتهاد آخر وان کان اقوی منه کما ان کثیرا
من خصایص شرعنا علی انه ورد فی الاخبار ان داود علیه السلام لم یکن بت الحکم فی ذلک حتی سمع
من سلیمان ما سمع واما حکم المسئلة فی شرعنا فعند ابی حنیفة رح لا ضمان ان لم یکن معها سائق او قائد
وعند الشافعی یجب الضمان لیلا لانها رادّ قوله تعالی وکلا آتینا حکما وعلما لرفع ما عسی یوهم
تخصیص سلیمان ع م بالتفهیم من عدم کون حکم داود ع م حکما شرعیا ای وکل واحد منهما آتینا حکما وعلما کثیرا
لا سلیمان وحده وهذا انما یدل علی ان خطاء المجتهد لا یقدح فی کونه مجتهدا وقیل بل علی ان کل مجتهد مصیب
وهو مخالف لقوله تعالی ففهمناها سلیمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما علی ان قوله تعالی ففهمناها
سلیمان لاظهار ما تفضل علیه فی صغره فانه ع م کان ابن احدی عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال
شروع فی بیان ما یختص بکل منهما من کرامات تعالی اثر بیان کرامته کعادته لها یسبحن ای یقدسن
الله عز وجل معه بصوت یتمثل له ای یخلق الله تعالی فیها الکلام وقیل یسرن معه من السباحة وهو
حال من الجبال او استیناف مبین لکیفیة التسخیر ومع متعلقة بالتسخیر وقیل بالتسبیح وهو بعید والطیر
عطف علی الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع علی الابتداء والخبر محذوف ای والطیر مسخرات وقیل
علی العطف علی الضمیر فی یسبحن وفیه ضعف لعدم التاکید والفصل وکنا فاعلین ای من شاننا ان نفعل
امثاله فلیس ذلک ببدیع منا وان کان بدیعا عندکم وعلمناه صنعة لبوس لتحصنکم ای اللبوس بتاویل الدرع وقرئ بالتذکیر علی ان الضمیر
لداود ع م او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لکم باعادة الجار مبینة لکیفیة الاختصاص
والمنفعة المستفادة من لام لکم من باسکم قیل من حرب عدوکم وقیل من وقع السلاح فیکم
فهل انتم شاکرون امر وارد علی صورة الاستفهام للمبالغة او للتفریع ولسلیمان الریح ای وسخرنا له الریح وایراد اللام هنا دون الاول للدلالة علی ما بین التسخیرین من التفاوت فان تسخیر
سخر له علیه السلام من الریح وغیرها کان بطریق الانقیاد الکلی له والامتثال باموره ونهیه والمفهومیة
تحت ملکوته واما تسخیر الجبال والطیر لداود ع م فلم یکن بهذه المثابة بل بطریق التبعیة له علیه السلام

والاقتداء

والاقتداء به فی عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الریح والعامل فیها الفعل المقدر ای وسخرنا له الریح حال
کونها شدیدة الهبوب بحیث انها کانت تبعد بکرسیه فی مدة یسیرة من الزمان کما قال تعالی غدوها شهر و
رواحها شهر وکانت رخاء فی نفسها طیبة وقیل کانت رخاء تارة وعاصفة اخری حسب ارادته علیه السلام و
قرئ الریح بالرفع علی الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة صح حال من ضمیر المبتدأ فی الخبر والعامل
ما فیه من معنی الاستقرار وقرئ الریاح نصبا ورفعا تجری بامره بمشیته حال ثانیة او بدل من الاولی
او حال من ضمیر ها الی الارض التی بارکنا فیها وهی الشام رواحا بعد ما سار به منه بکرة قال الکلبی کان
سلیمان علیه السلام وقومه یرکبون علیها من اصطخر الی الشام والی حیث شاء ثم یعود الی منزله وکنا
بکل شیء عالمین فنجریه حسبما یقتضیه الحکمة ومن الشیاطین ای وسخرنا له من الشیاطین من
یغوصون له فی البحار ویستخرجون له من نفایسه وقیل من رفع علی الابتداء وخبره ما قبله والاول
سوا الاظهر ویعملون عملا دون ذلک ای غیر ما ذکر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغریبة
لقوله تعالی یعملون له ما یشاء من محاریب وتماثیل الآیة وهؤلاء اما الفرقة الاولی او غیرها لعموم کلمة
من کانه قیل ومن یعملون وجمع الضمیر الراجع الیها باعتبار معنا ها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالی ومن
الشیاطین روی ان المسخر له علیه السلام کفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالی ومن الشیاطین وقوله تعالی
وکنا لهم حافظین ای من ان یزیغوا عن امره او یفسدوا علی ما هو مقتضی جبلتهم قیل وکل بهم جمعا
من الملائکة وجمعا من مؤمنی الجن وقال الزجاج کان یحفظهم من ان یفسدوا ما عملوا وکان داود یعلم
ان یفسدوا باللیل ما عملوه بالنهار وایوب الکلام فیه کما مر فی قوله تعالی وداود وسلیمان ای
واذکر خبر ایوب اذ نادی ربه انی ای بانی مسنی الضر وقرئ بالکسر علی اضمار القول او تضمین
النداء معناه والضر شایع فی کل ضر وبالفتح خاص بما فی النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت
ارحم الراحمین وصفه تعالی بغایة الرحمة بعد ما ذکر نفسه بما یوجبها واکتفی به عن عرض المطلب
لطفا فی السؤال وکان علیه السلام رومیا من ولد عیص بن اسحق استنبأه الله تعالی وکثر اهله
وماله فابتلاه الله تعالی بهلاک اولاده بهدم بیت علیهم وذبائح اموالهم والمرض فی بدنه ثمانی عشرة سنة
او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ایام وسبع ساعات روی ان امرأته ماصر بنت میشا
بن یوسف علیه السلام او رحمة بنت افرائیم بن یوسف قالت له یوما لو دعوت الله تعالی فقال کم کانت
مدة الرخاء فقال ثمانین سنة فقال استحیی من الله تعالی ان ادعوه وما بلغت مدة بلای مدة رخائی
وروی ان ابلیس اتاه علی هیئة عظیمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجک ما فعلت لانه ترکنی وعبد
اله السماء فلو سجدت لی سجدة لرددت علیه وعلیک جمیع ما اخذت منکما وفی روایة لو سجدت لی سجدة لرددت
بالمال والولد وعافیت زوجک فرجعت الی ایوب وکان ملقی فی الکناسة لا یقرب منه احد فاخبرته
بالقصة فقال علیه السلام کانک افتیت بقول اللعین لئن عافانی الله عز وجل لاضربنک مائة سوط
وحرام علی ان اذوق بعد هذا شیئا من طعامک وشرابک فطردها فبقی طریحا فی الکناسة لا یحوم حومه احد
من الناس فعند ذلک خر ساجدا فقال رب انی مسنی الضر وانت ارحم الراحمین فقیل له ارفع رأسک
فقد استوجبت لک ارکض برجلک فرکض فنبعت من تحته عین ماء فاغتسل منها فلم یبق فی ظاهر بدنه
دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم رکض مرة اخری فنبعت عین اخری فشرب منها فلم یبق فی جوفه
داء الا خرج وعاد صحیحا ورجع الی شبابه وجماله ثم کسی حلة وذلک قوله تعالی فاستجبنا له
فکشفنا ما به من ضر فلما قام جعل یلتفت فلا یری شیئا مما کان له من الاهل والمال الا وقد ضاعف
الله تعالی وذلک قوله تعالی وآتیناه اهله ومثلهم معهم وقیل کان ذلک بان ولد له ضعف ما کان

ثم ان امراته قالت في نفسها هب انه طردني افانا ركه حتى يموت جوعا ويا كله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ارات تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وما بت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعا ما فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال التعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفى على فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا و ذكرى للعابدين اى آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيشابوا كما اثيب اولرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا ايا هم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اى واذكرهم وذا الكفل الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان واحظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل بحيء بمعنى الضعف والكفالة والضعف كل اى كل واحد من هؤلاء من الصابرين اى على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اى في النبوة او في نعمة الاخرة انهم من الصالحين اى الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة النقصان وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اى واذكر صاحب الحوت ويونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اى مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم على كفرهم عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعاد هم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة فخوفهم العذاب عندما وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه اولن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا اولن نفعل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اى نعامل معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اى نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اى فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اى في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل الثلاث حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اى بان لا اله الا انت على ان ان المخففة من ان وضمير الشان محذوف او اى لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لا يليق بك من ان يعجز شيء وان يكون ابتلاي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اى دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على اللطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الحظيئة وكذلك اى مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لانجاءه ادنى منه في الامم ننجي فلذلك اخفي الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الغم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذف الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي للمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تنجاي لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا وردا بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور وللماضي لا يسكن آخره وزكريا اى واذكر خبره اذ نادى ربه لا

تذرني فردا اى وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبت ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اى اصلحنا ها للولادة بعد عقرها او اصلحنا ها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تع المتعلقة بالانبياء المذكورين اى كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وموالستر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعا وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب اوراغبين في الثواب راجين للاجابة اوفي الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين اى مخبتين متضرعين او ذائي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اى اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيها عما عزموه في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها اى احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا جبريل عم وجعلناها وابنها اى قصتها او حالها آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية الناشئة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلنا ما آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اى ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهورامرها في الصحة والسداد امتكم اى ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اى غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرايع المتبدلة حسب تبدل الاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا آلة لكم غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبايح افعالهم الى الآخرين كانه قيل للاترون الى عظيم ما ارتكب سؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء عليهم السلام كل اى كل واحد من الفرق المنقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حق بحسب اعمالهم وايرادا سم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء اى فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اى لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي للاظهار الاعتداد به وانا له اى لسعيه كاتبون اى مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اى ممتنع على اهلها غير مقصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتداء خبره حرام او فاعل له سد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اى ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لان

عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل جسما نطق به
قوله تعالى كل البتار اجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على
ان لاصلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتداء محذوف اى حرام
عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى
انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام
عنها اى لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الخ هي التي يحكى بعدها الكلام
وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا اقامت القيمة
يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة اى يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت
القيمة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اى لا يرجعون عنه حتى اذا
قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويا جوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس
عشرة اجزاء تسعة منها يا جوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدهما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اى ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اى نشز من
الارض وقرئ حدث وهو القبر ينسلون اى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم
السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والجزاء لا النفخة
الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما
في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم
يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اى يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان
حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع
اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اى لم نكن
غافلين منه حيث بنهتنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين
لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الالزام والتوبيخ
الاعتذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا
عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا
يعقل ولا يعارضه ما روي انه عليه السلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي
ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او كل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل كل من عبد
من دون الله تعالى اذ ليس شئ منها نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص
لا يقتضي شموله بطريق العبادة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من
دون الله تعالى فلعله عم بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبادة
بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا كيد الرد والالزام وتكريرا للتبكيت والالزام لكن لا باعتبار
كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني عن الغضب على العبدة والمعبودين
ما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل يحقق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شئ حتى يتوهم دخولهم
في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين
التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية

فيهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام
وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او للتخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق
كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفاله بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للدلالة على الاختصاص وان وردوهم لاجلها والخطاب لهم ولما تعبدون تغليبا لو كان
هؤلاء اى اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث بينت ورودهم اياها تعين امتناع
كونها آلهة بالضرورة وبهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض
ما يدعون وهم انما يدعون آلهية الاصنام لا آلهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها
واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بإبراز الكلام اليه عند بيان ما سيق له النظم
الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب
الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودين عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم
الشياطين وانهم داخلون في حكم النص بطريق العبادة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اى من
العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اى انين وتنفس شديد وهو مع
كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا في قوله
تعالى وهم فيها لا يسمعون اى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون
ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال
الكفرة جيء بها جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اى سبقت لهم
منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم
بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها لما ان الاولين مع حفائها ليسا من
مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لمن يعمل من الصالحات وهو
مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الخ تفصيل
لما اجمل في قوله تعالى وحرام اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر
من النعت الجميل عنها اى عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي
ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت
الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة
مخصوصة والحسيس صوت يحس به اى لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا
وان كان في غاية الشدة لانهم لا يسمعون صوتها الحقي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون
او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اى دائمون في غاية التنعم وتقديم
الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الاقزاع
بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الاقزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن
رضه انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة

كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع من استثناه الله بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل وتستلقاهم الملائكة اى تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اى قائلين هذا يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملئكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل بمحذوف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل تتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي النشر وقيل المحو قرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اى طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف وسوغ مجال من السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى كطي السجل كائنا للكتب او الكاين للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فنسبتها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وسوا ما مصدر واللام للتعليل اى كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل سو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدانا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدا واعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة بيان صحة الاعادة بالقياس على المبداء الشمول للامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لها على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والعائد محذوف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذي بدانا ه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور وسو كتاب داود عم وقيل سو اسم جنس لما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اى التورية وقيل اللوح المحفوظ اى وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اى فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اى كفاية او سببا يبلغ الى البغية لقوم عابدين اى لقوم همتهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرايع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين سوى حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشاءتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما فرط في نفسه وحرمه حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان ليعذبهم وانت فيهم

قل انما

قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه ممن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما يقوم زيد اى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم كقولك انما زيد قايم اى ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اى مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لعبادته تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم اى اعلمتكم ما امرت به اوحرفي لكم على سواء كائنين على سواء في الاعلام بما لم اطلعكم عن احد منكم او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ابذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اى عدل واستقامة راى بالبرهان النير وان ادري اى ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اى ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجئ الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه فتقيرا وتقطيرا وان ادري لعله فتنة لكم اى ما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اى و تمتيع لكم الى اجل مقدر بقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالجزم حكاية لدعائه ع م وقرئ قل رب على صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي اعلم من الاعلام وربنا الرحمن مبتداء وجمله اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اى المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتداء واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوضائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافة ههنا الى ضمير الجمع المتكلم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوضائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله عليه السلام فخيب آمالهم وغير احوالهم و نصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي عليه السلام من اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر

اسمه في القرآن

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القادرين عن رتبة التكليف والمادين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس يتناول الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر جسما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اى احذروا عقوبة مالك امورهم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباتها الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ

منها سوى التدرج بلباس التقوى ما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته ولوازمه لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء عن مقاماتها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كما في التزلزل الاشياء او اضافة الى الظرف اما باجراء المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة ح لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشئ ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لاتحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اى وقت رويتكم اياها وشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اى مباشرة للارضاع عما ارضعت اى تغفل وتذهل مع دهشتها عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتاكيد الذهول وكونه بحيث لايخطر ببالها انه ماذا الا انها تعرف شيئية لكن لاتدري من موخصوصه وقيل ما مصدرية اى تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اى تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اى تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على رضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلابد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مدار حيثية رويته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الها وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اى يراهم كل احد سكارى اى كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فير هقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من ارايتك قائما او رويتك قائما والناس منصوب اى وتظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدا جئ به اثر بيان اعظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بجعله على المنع او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اى وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اى في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اى ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملئكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولامثاله من العتاة المتمردين ويتبع اى فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الهائلة اكتفاء من جملتها ذلك كل شيطان مريد عاة متمرد متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التحض له كالتشمر

ولعله

ولعلها اخوذ من تجرد الصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الملس والمراد انها رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفرة واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اى على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشان اى رقم به لظهوره لكل من حاله ان الشان من تولاه اى اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اى من تولاه فشانه ان يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل مما لا يخلو عن التعجل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما سومثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول وتضمين الكتب معناه على راى من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما يحكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يئول اليه امرهم ايقنت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المبني عن العلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثارها على النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اى فانظروا الى مبداء خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اى خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عم اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس الطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عم من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى من شانه التلطف الذي هو الصب ثم من علقة اى قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اى مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شئ من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدريج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والناقصة وليس بذاك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبداء لخلقهم لا بخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم لتبيين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اى خلقناكم على هذا النمط البديع لتبيين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقايق والدقايق التي من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجي تاملا حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رايحة الحيوة قط وانشاءه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين هو قادر على اعادته بل سواهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استيناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اى ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع واد ناه ستة

اشهر وانقضاء سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها
بعد كما ان خلقه فتسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا
صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل لها هنا هي الاطوار المتوارة على المولود
قبل الولادة وقرئ بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم يخرجكم اي من بطون
امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد
منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم
علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم
في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على تبيين مخل بجزالة
النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وبغية فهو حينئذ عطف على تبين مثلهما والمعنى كما
خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية ان نقركم في الارحام
ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه
غاية الغايات في الغرضية بالنسبة اليها اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار
البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال
اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبادئه الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد
كالاسرة والقعود وكانها حيث كانت شدة في غير شئ بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ
الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو
الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء
لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة
في انتقاص علمه وانكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل و
قلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويجهل ما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض
هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت
وقرئ ربات اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك
بان الله هو الحق كلام مستانف جئ به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانفسي
والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما
ينكرون وجوده بل امكانه من ايان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها
في الانفس والآفاق ومبادي صدور ما عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول
في التحقيق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا
وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء
الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور
اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه
من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا
واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار ومما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما

هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شئ قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد
هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى الذاتية التي بسببها
الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشاؤه
الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة
ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع
في تجوز المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سياتي وايثار صيغة الفاعل
على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقتضيات
الانصرام وطلائعه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة
في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها الكونية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة
ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين
داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان
الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من فاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب واقع له
عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على بديع
صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من
الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى من
احكام حقيقته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما
من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل فلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل
مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان مآل
الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما سوق في سببيتها لما مر في
خلق الانسان واحياء الارض فتامل وكن عن الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا
على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان
الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الآيتين ومن
الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يعبد
لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي
على الاطلاق بغير علم معلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم
الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة
ولا كتاب منير وحي مظهر للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا
برهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان
المراد به المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من الاستدلال او وحي فلا
يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن
الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا
متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل
فان غرضه الضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول
من يجادل من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة
عليه مجازا فالمفعول هو الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال

المبين الذى لاهداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له فى الدنيا خزى جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اى يثبت له فى الدنيا بسبب فعله خزى وسوء حال اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق اى النار المحرقة ذلك اى ذكر من العذاب الدنيوى والاخروى وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ وخبره قوله تعالى بما قدمت يداك اى بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدى والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان فى قوله عز وعلا وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة ال عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان مع الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله فى سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع فى بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المهاجرين اى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يجرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اى دنيوى من الصحة والسعة اطمأن به اى ثبت على ما كان عليه ظاهرا لانه اطمأن به المطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اى شئ يفتتن به من مكروه يعتريه فى نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه روى انها نزلت فى اعرابى قدم المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد رضى الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى عليه السلام فقال اقلنى فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والاخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمة وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تشنيعا على خسرانه وعلى انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اى ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استيناف مبين لعظم الخسران اى يعبد معه او زاعبادة الله ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اى جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضلالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استيناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفى الضر عن معبوده بالطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة فى تقبيح حاله والامعان فى ذمه اى يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى ضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثانى اعادة للاول لتأكيد اله فيتطاول و تمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو وليست موصولة والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات استيناف جئ به لبيان كمال حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية ورآء من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقى المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه ذمة تامة وقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار صفة للجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة من امن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة تحقيقا لها وتقريرا لشوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر رسوله فى الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده وظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده من المكائد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يحتنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اى ليحتنق من قطع اذا احتنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاحتناق على ان المراد فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اى فليصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى مر افقى ما انتهت اليه قدرته فى باب المضادة والمغاضبة ما يغيظه من النصرة كلا وكيف وان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظه وقيل المعنى فليمد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره وايتائه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفوضة على تقديره وتوعرها وتحققها بمعزل من اذ يثاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطؤن ما وعد الله رسوله عليه السلام من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيته تعالى فلا بد للعبد من الرضى بقسمته لمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاحتناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة انزلناه اى القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدى به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه من يريد هدايته او تبيينه او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف هو خبر اى والامر ان الله يهدى من يريد انزاله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الذين آمنوا اى بما ذكر من الآيات البينات وبهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا دينهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان

للعالم اصلين نور او ظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة فى خبر
الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتاكيد اى يقضى بين المؤمنين
وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول
وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعا ان الله على كل شئ شهيد تعليل لما قبله من الفصل
اى عالم بكل شئ من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عنه كل فرد من افراد الفرق
المذكورة واجراء جزائه اللائق به علية قوله تعا الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض الخ
بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة
والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعا شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم
المراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية بناء على انه
من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة على تشبيهه
باكمال افعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل لا السجود الطاعة الخاصة
بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغير هم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادة شمول الحكم لكل ما فيها بطريق
القرار فيها او بطريق الجزئية منها فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما
ينبئ قوله تعا وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرتفع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر نقيضه
عليه يوحى له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس
خبرا له اى من الناس هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعا وكثير معطوفا
على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير من الناس حق عليه
العذاب اى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اى حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان
كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء
على انه مصدر ميمى ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة بذان تعيين
للطرفى الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى
وتحرير لمحل اى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اى فريقان مختصمان و
انما قيل اختصموا فى ربهم حملا على المعنى اى اختصموا فى شانه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفته
والكل من شؤنه تعا فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله
عليه حصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود
نحن احق بالله واقدم منكم كتابا وبينا قبل بينكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا وبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل
لما اجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اى قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار اى نيران هائلة يحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق رؤسهم الحميم اى الماء
الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة
مستانفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اى يذاب ما فى بطونهم من الامعاء والاحشاء
وقرئ يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما قبله اخر عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة
الحرارة بايهام ان تاثيرها فى الباطن اقدم من تاثيرها فى الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال

الجحيم ولهم المقمعة اى لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهى آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اى اشرفوا على الخروج من النار وونوا منها حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا
بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اى غم شديد من غمومها وسوف بدل اشتمال من الهاء باعادة
الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اى فى قعرها بان ردوا من اعاليها الى
اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اى قيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجرى من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد
الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حاله لحال الكفرة واظهار المزيد الغناء
باهر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية و
قرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اى يحليهم الملئكة بامره تعا وقرئ يحلون من حليت المراة اذا
لبست حليتها ومن فى قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اى اساور وهى جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما
ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلى المبهم وقيل زايدة وقيل نعت لمفعول محذوف اى يحلون فانه بمعنى يلبسون
من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف ومنصوب بفعل
يدل عليه يحلون اى يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبها
ياء بعد قلبها واوا وليلبسون فيها حريرا غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها
حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير شيا بهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان شان
اللباس هو امر محقق غنى عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف
الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا
هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله
الذى صدقنا وعده واورثنا الجنة الآية وهدوا الى صراط الحميد اى المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة ووجه
تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتاخر عن دخول الجنة المتاخر عن الهداية الى طريقها
لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير
ح ان ذكر الحميد استدعى ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا
وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعا الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله و
قيل هو حال من فاعل كفروا اى وهم يصدون وخبران محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد
فى الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق و
اولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذى جعلناه
للناس اى كائنا من كان من غير فرق بين مكى وآفاقى سواء العاكف فيه والباد اى المقيم والطارئ
وسواء اما مستويا مفعول ثان لجعلنا والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد
الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتداء والجملة مفعول
ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه حال من ترك مفعوله ليتناول كل متناول
كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بعدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والتبدل
من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم
بيان لمن واذ بوانا يقال بوأه منزلا اى انزله فيه ولما لزمه جعل للثلاثى مباة للاول قيل لابراهيم
مكان البيت وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما جعلناه اى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباة له

عليه السلام اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زايدة ومكان ظرف كما فى اصل الاستعمال اى انزلناه فيه قيل
رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابرهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها
يقال لها الهجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء
الملئكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابرهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش
فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والى مسته بناء الحجاج و
قد اوردنا ما فى هذا الشان من الاقاويل فى تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وان فى قوله تعالى
ان لا تشرك بى شيئا مفسرة لتبوانا من حيث انه متضمن لمعنى تعيدنا لان التبوية للعبادة او مصدرية موصولة
بالنهى وقد مر تحقيقه فى اوايل سورة هود اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئا وطهر بيتى للطائفين
والقائمين والركع السجود اى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلوة
باركانها للاشارة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك تكليف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن
فى الناس اى نادفيهم وقرئ آذن بالمج بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال ايها
الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق
فى علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع وباباه كون السورة بمكة
يأتوك جواب الامر رجالا اى مشاة جمع راجل كقيام جمع قايم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده
ورجالى كجمالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله اوزاد
هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون
الضمير للناس من كل فج بطريق واسع عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق
بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن اى ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او
نوعان من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام فى قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف
موصفة للمنافع اى منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفى جعله
غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه فى ايام معلومات
هى ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل
هى عشرة ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب بتنيها على الذكر فكلوا
منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة تلخوها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير
محتاج الى التصريح به كما فى قوله تعالى فانفجرت اى فاذكروا اسم الله على ضحايا كم فكلوا من لحومها والامر للاباحة
واراحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس
اى الذى اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به للاول ايضا ثم ليقضوا
تفثهم اى ليزيلوا وازالة وسخهم او ليحلقوا بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا
طواف الركن الذى يتم به التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق الى القديم
فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكاى من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل
واما الحجاج الثقفى فانما قصد اخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اى الامر ذلك
وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهى كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اى احكامه
وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف

وقيل

وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اى فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اى فى الاخرة و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من لتشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام
وهى الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل
منها على ان ما عبارة مما حرم منها العارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعترض جئ به تقرير المانبله
من الامر بالاكل والاطعام ووفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم
كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء
المذكور وليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فانه ترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن
هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعى التعاطى لامن مبادى الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب
عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقبح الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست
من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فى جنبوا ما هو معظم الامور
التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور
وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوايب ونحوها والافتراء
على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذى هو القلب
والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زايغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين
به اى شيئا من الاشياء فيدخل فى ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله
جملة مبتداة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما
خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره
وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسر لها واصلها تختطفه او تهوى به
الريح اى تسقطه وتقذفه فى مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة والتخيير كما فى كعب
او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شنيعا
بهلاك احد الهالكين ذلك اى الامر ذلك او امتثلوا ذلك ومن يعظم شعائر الله اى الهدايا فانها من
معالم الحج وشعايره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلنا لكم من شعائر الله وسوالاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان
التقرب بها من اجل القربات وان يختار منها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه السلام اهدى ماية بدنة فيها
جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى بختية طلبت منه بثلث ماية دينار فانها اى
فان تعظيمها من تقوى القلوب اى من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الى من
او فان تعظيمها نا شئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مظاهر اكمل التقوى التى اذا ثبتت فيها و
تمكنت ظهر اثرها فى سايرالاعضاء لكم فيها اى فى الهدايا منافع هى درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل
مسمى الى وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اى وجوب نحرها ام وقت نحرها منتهية الى
البيت العتيق اى ما يليه من الحرم وثم للتراخى الزمانى او الرتبى اى لكم فيها منافع دينوية الى وقت نحرها ثم
منافع دينية اعظمها فى النفع محلها اى وجوب نحرها او وقت نحرها الى البيت العتيق اى منتهية اليه هذا وقد قيل
المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب فى قضاء المناسك واقامة
شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اى منتهيه اليه بان

يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اى لكل
اصل دين جعلنا منسكا اى متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اى موضع نسك وتقديم
الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اى لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا البعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله
خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلى من المناسك تذكر
المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام و
الخطاب فى قوله تعالى فالهكم اله واحد لكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى كل امة
من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل آله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد
فى ذاته كما انه واحد فى آلهيته للكل والفاء فى قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على
وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اى فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له القلب والذكر واجعلوه
لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق انعكاس
جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف والمؤنات النوائب والمقيمى الصلوة فى اوقاتها و
قرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه
الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة
والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت به الابل لعظم بدنها ما خوذة من بدن بدانة
وحيث شاركها البقرة فى الاجزاء عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقر عن سبعة جعلا فى الشريعة جذا
واحدا وانتصابها بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتداء والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر
الله اى من اعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير
اى منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر
لا آله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اى قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن
من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ
صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة
من يسكن الياء على الاطلاق كما فى قوله لعلى ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهى
كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اى الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع
او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى السؤال والمعتر اى المعترض للسؤال وقرئ المعترى يقال عره و
وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال
عظمها وغاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتخسونها صافة قوائمها تطعنون لها
فى لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اى لن يبلغ رضاه
ولن يقع موقع القبول لوجهه المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيب تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص
له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرناكم تكرير
للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبرياء وقيل سوى التكبير عند الاهلال او الذبح على ما هداكم اى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب
بها وما مصدرية او موصولة اى على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا والتضمين معنى الشكر
وبشر المحسنين اى المخلصين فى كل ما ياتون وما يذرون فى امور دينهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا

كلام

كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم
عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما
للمبالغة او للدلالة على تكرار الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما فى
الممارسة اى يبالغ فى دفع غائلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه
اويد فعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما فى
ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والحزى ونفى المحبة كناية عن البغض اى
ان الله يبغض كل خوان فى اماناته تعالى وهى اوامره ونواهيه او فى جميع الامانات التى هى من حفظها كفور لنعمه و
صيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة فى نفى المحبة على
اعتبار النفى اولا وايرادها مع المبالغة ثانيا اذن اى رخص وقرئ على البناء للفاعل اى اذن الله تعالى
للذين يقاتلون اى يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين
ايا هم دالة على مقاتلتهم ايا هم ولالة نيرة وقرئ على صيغة المبنى للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا المشركين
فيما سيا تى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم ومن معهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه
فيقول عليه السلام لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى
عنه فى نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد لما قر من العدة الكريمة بالوفاء بتصريح
بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليه والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم
وارد على سنن الكبرياء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين
وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فى حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او فى
محل النصب على المدح او فى محل الرفع باضمار مبتداء والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير
حق متعلق باخرجوا اى اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق
اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على
الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل
الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل عصر وزمان
وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبانية
وبيع للنصارى وصلوات اى وكنايس لليهود سميت بها لانها تصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية
فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد جيء
بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل فى الصوامع والبيع
والكنايس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اى و
بالله لينصرن الله من ينصر اولياءه ومن ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على كل ما يريده من
مراداته التى من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شئ ولا يدافعه الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم
بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم فى الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام مبنى عن
عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان

يجد تواصل الخير باحد تواقا لوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع
السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رح هم امة محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ونقد خاصة عاقبة الامور فان مرجعها
الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه وتعيين لكيفية
نصره بع له الموعود يقق له ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع
في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسلية عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع
اى وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدى في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين اى رسلهم ممن ذكروممن لم يذكر
وانما حذف كمال ظهور المراد اولان المراد نفس الفعل اى فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره و
كذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له للايذان بان قومه بنواسرائيل وهم لم يكذبوه
وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل
ايضا قد كذبوه مرة اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات
الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكونه آية في كمال الوضوح فاميلت
لكافرين اى اطلتهم حتى انصرمت جمال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على
تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين
لذمهم بالكفر والتصريح بتكذيب موسى عليه السلام حيث لم يذكر وافيما قبل صريحا ثم اخذتهم اى اخذت كل
فريق من الفرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه واهماله فكيف كان نكير اى انكاري عليهم بالاهلاك
اى فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره
قوله تعالى اهلكناها اى فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف
كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اى فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى
فاميلت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملية حالية من مفعول اهلكناها وقوله تعالى فهي خاوية
عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب
كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى
فهي ساقطة حيطانها على عروشها اى سقوفها بان يعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها
فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة
فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى
مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر اى فهي خالية وهي عاليا عروشها اى قائمة مشرفة على عروشها على معنى
ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف
الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبير معطلة عطف على قرية اى وكم بير عامرة في الجوادي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان والجصة
اخليناه عن ساكنيه ونحو ذلك يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبير بير
في جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه
اهلكهم الله تعالى وعطلها افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا اليها ويعاينوا مصارع المهلكين
فيعتبروا بهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فختموا عما ذلك

والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اى اغفلوا فلم يسيروا فيها فيكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار
وظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع
من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار
الضمير للقصة او لهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور اى ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور
للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى
من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين مجيء العذاب الموعود به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله
وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل
كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او
اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستانفة ان كانت
الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال
سعة ساحة علمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدا طوالا
عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى
انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقعت واخبارا ما عنده
تعالى من المقدار وفوادة يعدون على صيغة الغيبة اى يعده المستعجلون او فق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب
في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين و
قيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله ويستعجلونك بالعذاب
ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال
به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما
سوى عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم تح تعرض لانكارهم الذي هو بمعزل من
الاستجلال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكفي في رد انكارهم بيان عاقبة من قبلهم من
امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته
او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه
فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء
والامهال لا الزمان المقادر الايرى الى قوله تعالى وكاين من قرية الخ فانه كما سلف من قوله تعالى
فاميلت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اى وكم من اهل
قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل
اميلت لها كما اميلت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء
وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلم تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اى اميلت لها و
الحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كذاب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول
الاملاء والامهال وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق
التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اى الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد
غيري لا استقلالا ولا شركة فاتعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير

مبين انذركم انذارا بينا بما اوحى من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لى دخل فى اتيان ما توعدونه من العذاب
حتى تستعجلونى به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث
للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لما مر منهم الذنوب ورزق كريم هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله وبجوز كالاتى
والذين سعوا فى اياتنا معاجزين اى سابقين او مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام
يتم لهم واصله من عاجزه وعجزه فعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن
اللحاق به وقرئ معجزين اى مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون
بما ذكر من السعى والمعاجزة اصحاب الجحيم اى ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها
والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بنى اسرائيل كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام
ولذلك شبهه عليه السلام علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى
يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام الا اذا تمنى اى هيأ فى نفسه ما يهواه القى الشيطان فى امنيته فى تشهيه
ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة
فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما ينزحه ثم يحكم الله اياته
اى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى شئون الحق وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى
واظهار الجلالة فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام آياته البتة
والله عليم مبالغ فى العلم بكل من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطاء حكيم
فى كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلى قبل حدث نفسه
بزوال المكنة قرئت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان تنزل عليه ما يقربهم اليه واستتم به ذلك حتى كان
فى ناديهم قرئت عليه سورة النجم فاخذ يقرأ فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى
سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود
لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليها السلام فاغتم فحزن
الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل
فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاه
الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبى عليه السلام وقدر بانه ايضا
يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله
وفى الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقى الشيطان
علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك فى حق النبى عليه السلام خاصة
كما يوجب عنه سباق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء فى حق سائر الانبياء عليهم السلام لا
يمكن تعليله بما سياتى وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين فى قلوبهم
مرض اى شك ونفاق كما فى قوله تعالى فى قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم اى المشركين و
ان الظالمين اى الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا
به من المرض والقساوة لفى شقاق بعيد اى عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق

مهمة
الفرق بين الرسول والنبى
مهمة
فى علماء امتى كانبياء بنى اسرئيل

بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة سوء معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين
اوتوا العلم انه اى القرآن الحق من ربك اى هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان
من الالقاء هو الحق المتقن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادة فى جنس الانس من لدن
آدم عم فلا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء فى حقه عليه السلام لكن ربما يأباه قوله تعالى فيؤمنوا
به اى بالقرآن اى يثبتوا على الايمان به او يزداد ايمانا بردّ ما يلقى الشيطان فتخبت لهم قلوبهم
بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهى ورجع الضميرين لا سيما الثانى الى تمكين الشيطان
من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهاد الذين امنوا اى فى الامور الدينية خصوصا فى المداخل والمشكلات
التى من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله
ولا يزال الذين كفروا فى مرية اى فى شك وجدال منه اى من القرآن وقيل من الرسول عم و
الاول هو الاظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا وما
لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان فى امنيته فمما لا مساغ له لان
ذلك ليس من هفواتهم التى تستمر الا الامد المذكور بل انما هى مرتبهم فى شان القرآن ولا يجدى حمل من على
السببية دون الابتدائية لما ان مرتبهم المستمرة كما انها ليست بتداوة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة
انها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تاتيهم الساعة اى القيمة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى
بغتة اى فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او اتيهم عذاب يوم عقيم
اى يوم لا يوم بعده كيوم بدر فانه كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا
كانه قيل او ياتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها للمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها
لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه
فيصرن كانهن عقم لم يلدن اولان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اى ثكلى فوصف اليوم
بوصفها اتساعا اولانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشأ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال
الملئكة عليهم السلام فيه مما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتعرف الكلى
فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الآخرويين يقتضى بان
المراد به يوم القيمة فضاء بينا لا ريب فيه الملك اى السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف
على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات فى امر من
الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما فى الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا فى الجملة وليس
التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما
ان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفى الجملة يجب ان يكون مدار الحكم اعنى كون الملك لله عز
وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب فى ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما باذكر
فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شئ منهما مع اليوم قطعا وانما الذى يدور عليه باذكر ايان الساعة
التى هى منتهى تصرفات الخلق ومبداء ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذن سوناب عن نفس الجملة الواقعة
غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستانفة
وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم
بين فريقى المؤمنين به والمارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين آمنوا الخ تفسير للحكم المذكور و
تفصيل له اى فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يمار وا فيه وعملوا الصالحات امتثالا لاوامره وفى
تضاعيفه فى جنات النعيم اى مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اى صروا على ذلك

واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب مبتدأ
وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك
وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على التوجيهين
خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول
الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا بايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى
مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى
والذين هاجروا في سبيل الله اى في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اى في تضاعيف
الهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره
ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى
رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اى حرز وقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد
به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب
الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروى ان بعض اصحاب
النبي عليه السلام قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير
ونجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة
فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه
احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى
ليرزقنهم الله او استيناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر
ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم
بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف
ومن عاقب بمثل ما عوقب به اى لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية
للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان
الله لعفو غفور اى مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على
العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر فان ذلك اى ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور
فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى
قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على خلافه ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبته ومحل المرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اى
بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن
ذلك بادخال احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر
المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب لبصير بجميع المبصرات ومن
جملتها افعاله ذلك اى الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد للامر آنفا ومبتدأ
خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته
فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه آلهة وقرئ على البناء للمفعول على ان

الواو لما فيه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اى المعدوم في حد ذاته او الباطل
الوهية وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير من ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا
الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف
على انزل واثبار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار اى
ان الله لطيف يصل لطفه واعلم الى كل جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته و
افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اى جعل ما فيهما من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها
كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما
او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخيرين
ويمسك السماء ان تقع على الارض اى من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئات متداعية الى الانمساك
الا باذنه اى بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة
للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث تحملها لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب
المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا غفلا
وتطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند بلوغ آجالكم ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور
اى جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه
عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام بيان حال ما تمسكوا به من الشرايع واظهار خطائهم
في المنكر اى كل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اى وضعنا وعينا منسكا اى شريعة خاصة
لا امة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها
الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد
من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اى تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون
به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التورية هم ناسكوها
والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه
والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند بعث النبي عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة
فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منسكا هم ناسكوه شرعة ومنهاجا والفاء في قوله
تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة
شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لابائهم الاولين من التورية والانجيل
فان شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منكم القرآن المجيد فحسب والنهي اما
على حقيقته او كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن
نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة
في تثبيته وايا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخراعيين و
غيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى ما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي
ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم
ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اى ادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا

الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم فى منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اى طريق موصل
الى الحق سوى والمراد به اما الدين والشريعة او اولتها وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق و
لزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التى من جملتها المجادلة
الله يحكم بينكم يفصل بين المومنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل فى
الدنيا بالحج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدنيا الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما
قبله والاستفهام للتقرير اى قد علمت ان الله يعلم ما فى السموات والارض فلا يخفى عليه شئ من
الاشياء التى من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعاجونه ان ذلك اى ما فى السماء والارض فى كتاب اللوح
قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اى ما ذكر من العلم والاحاطة
به واثباته فى اللوح او الحكم بينهم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شئ ولا يعسر
عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم
وركاكة آرائهم من بناء امرهم على غير مبنى من دليل سمعى او عقلى واعراضهم عما القى عليهم من سلطان بين
هو اساس الدين وقاعدته اثر اعراض اى يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اى بجواز عبادته
سلطانا اى حجة وما ليس لهم به اى بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلال وما للظالمين
اى الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذى يقتضى ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم
بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او يدفع العذاب الذى يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف
على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى بينات اى حال كونها
واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها
من عند الله عزوجل تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر اى الانكار كالمكر بمعنى الاكرام او القطيع من
التجهم والبسور او الشر الذى يقصدونه بظهور خائله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اى يثبتون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لا باطيل
اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واظهر من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شئ ما اصلا بل يقضى ببطلانها
العقل والنقل ويظهر والمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع
الذين كفروا موضع الضمير قل ردوا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم الى اخاطبكم
فاخبركم بشر من ذلكم الذى فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما
اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار اى هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ
خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون
الجملة الفعلية استيناف كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اى النار يا ايها
الناس ضرب مثل اى بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير فى الامصار
والاعصار اى جعل الله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام
فاستمعوا له اى للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين
تدعون من دون الله الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لقد سبحانه
فى استحقاق العبادة على الكل وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على
الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اى لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من
تاكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه ولو اجتمعوا له اى لخلقه وجواب لو محذوف
لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا عليه

لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما فى موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال
وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع مما يفعل بهم بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ياخذ الذباب
منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم الله القادر على جميع المقدورات
المتفرد بايجاد كافة الموجودات نماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها و
لو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل ويعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها
قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف
الطالب والمطلوب اى عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب
منه ذلك او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم العاجز من الذباب بدرجات
وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا
به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوى على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات
عن آخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن اقلها والجملة تعليل
لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى الله يصطفى من الملئكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام
بالوحى ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحانى
والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق
فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كما انه تعالى لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى
ان يشاركه فيها شئ من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل لاجابتهم والاقتداء بهم الى
عبادته عزوجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم
لو شاء الله لانزل ملئكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملئكة بنات الله وغير ذلك من
الاباطيل ان الله سميع بصير عليهم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين
امنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلوتكم امرهم بها لما انهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا عبر عن
الصلوة بها لانها اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وحرواله سجدا واعبدوا ربكم بر بما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فى كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام و
مكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واتقين بانكم
والآية آية سجدة عند الشافعى فمن ظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين
من لم يسجدهما فلا يقرأهما وجاهدوا فى الله اى لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ
والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك
سوحق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو
اجتباكم اى هو اختاركم لدينه ونصرته لاغيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم فى
الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه
او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما
استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع
لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم نصب على المصدرية
بفعل دل عليه معنى ما قبله بجذف اللفاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على

لن يخلقوه

الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم
الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على
غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى فى القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده
انه قرئ الله سماكم اولابراهيم وتسميتهم بالمسلمين فى القرآن وان لم تكن منه ءم كان بسبب تسميته من قبل
فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل فى هذا تقديره فى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول
يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او
بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ ارسل اليهم فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة اى فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما
واعتصموا بالله اى ثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم
ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة
سواه عز وجل عن النبى ءم من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقى

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء فى الخير والافلاح الدخول فى ذلك
كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجئ متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول
وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لما متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال
المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا
من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح
حقيقة الدخول فى الفلاح الذى لا يتحقق الا فى الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة
بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ افلحوا على الابهام
والتفسير او على لغة من يقول اكلونى البراغيث وقرئ افلح بضم التاء عن الواو كما فى قول من قال ولو ان الاطباء
كان حولى والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا عليه السلام من التوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم فى صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات
مختصة بهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهى صفات موضحة او ماوحة لهم
حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر فى اوائل سورة البقرة و
الخشوع الخوف والتذلل اى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روى انه
عليه السلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته
فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال
معرضون اى فى عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال
اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد
الاشتغال بالجد فى امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه
وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم
الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا و
حضورا فان اصل ان يكون فى عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد

وصفهم بالخشوع فى الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب
عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى
الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قدر تحقيقه فى
تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم
لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى الا على ازواجهم من نفى الارسال الذى ينبئ
عنه الحفظ اى لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما يخفى وانهم
حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب
الفراء كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اى حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هى
متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اى حافظون لها فى جميع الاحوال الا حال كونهم ملومين
او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما
اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج
لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد لتكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم
اى سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن بملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله
تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اى فانهم غير ملومين
على عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك الذى ذكر من الحد المتسع وما بعده من الحرائر وما شاء من
الاماء فاولئك هم العادون الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم
المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انما ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة
له فلانها لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم
فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له فى الجملة واما ان كل زوجة
ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت
فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم
لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق راعون اى قائمون عليها حافظون لها على وجه
الاصلاح وقرئ لاماناتهم والذين هم على صلوتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها
فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة من التجدد والتكرر وسوالسر فى جمعها وليس فيه تكرير لما ان
الخشوع فى الصلوة غير المحافظة عليها وفعلها للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا
فى الذكر ربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثار ما على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة
المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعلو طبقتهم وبعد رتبتهم فى الفضل والشرف اى اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اى الاحقاء بان يسموا وارثا دون من عداهم
ممن ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه و
تقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم
الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها
حيث قدر لو لم يدخلوا النار على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار هم فيها
اى فى الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او للطبقة العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر
وروى انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

وصفهم

وفي رواية وبلته من مسك مدرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا والجملة
اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون
ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبداء خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة و
ادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده للتعداد واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة
على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا
جسما تحققه في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد من
سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودة
منه كالخلاصة واخرى غير مقصودة منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة
بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق وما في قوله تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة
لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين وبجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقعت على
التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف
ان اريد بالانسان آدم نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او
المسلول او الماء في قرار اي مستقر وسوالرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى
مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طويق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت
ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان
صلبناها وجعلنا ها عمود البدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام
المعهودة لحما من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها او كسونا كل عظم من تلك العظام
ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئات مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاحوال
وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني
فقط ثم انشاناه خلقا آخر اي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت
بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رح على من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه
خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من
سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا اولا ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤنه تعالى
احسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتداء محذوف
اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه
في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله
عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا فاستكن روى ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عم
الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه السلام فقال عم اكتبه هكذا نزلت فشك
عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك
الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزل يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك

ويقول

ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او يبدله خيرا منكن فنزل قوله
تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا للسعادة
عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا لا يقال قد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن
وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط
بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور
العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال
وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت
الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيمة اي عند النفخة
الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوق كم بيان لخلق ما
يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها
بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كان
ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملئكة او الكواكب فيها مسيرا وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق
الذي هي السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها
عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضت الحكمة وتعلقت به المشية
ويصل الماء في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء سو المطر او الانهار النازلة
من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر
انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع
للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد
كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد
او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه
ومبالغة في الابعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
فانشانا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتختصون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته
ويجوز ان يعود الضمير ان للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها النوع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب عطفا على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتداء
خبره محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها
بمنافع معروفة قبل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى ام
بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين واما ان يكون الطور اسم الجبل وسينا اسم البقعة
اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة او التانيث
على تاويل البقعة لا للالف لان فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او لمجيئه
بفعلال كعليا ومن السين اذ لا فعلال بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال كليلاب او فعلاء كصحراء
اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من
البقاع ايضا للتعظيم بها ولانه المنشاء الاصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة

والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اى تنبته بمعنى تضمنه وتحصله
فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وسواء من الانبات بمعنى النبات كما فى
قول زهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وسوكالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين
معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا
يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ وان لكم
فى الانعام لعبرة بيان للنعم الفايضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء و
النبات وقد بين انتفاعهم كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لابد من ان يعتبروا بها و
يستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وحق هذا بالحيوان لما ان
محل العبرة فيها اظهر مما فى النبات وقوله تعالى نسقيكم مما فى بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة ومافى
بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن
ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم الانعام ولهم فيها منافع كثيرة غير ما
ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها
اى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل وحدها وقيل المراد
بها الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة برحت
خدى زمانها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اى فى البر والبحر وفى الجمع
بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها للحمل وسوالدا عى الى تاخيره كرهذه المنفعة مع كونها من المنافع
الحاصلة منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع فى بيان اهوال الامم
السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك
من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سايرالقصص مما لايخفى وجهه وفى ايراد ما
اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع مالا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة
به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد ارسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر
تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله
اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانحاء
العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة فى شئ رأسا وقوله تعالى مالكم من آلهة غيره استيناف
مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لآلهة باعتبار محله الذى هو الرفع على انه
فاعل او مبتداء خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى مالكم فى الوجود او فى العالم آلهة غيره تعالى وقرئ بالجر
باعتبار لفظه افلا تتقون اى افلا تتقون انفسكم عذابه الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما
يفصح عنه قوله تعالى انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا
عبادة الله الذى سوركم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه مافيه والهمزة للانكار
الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتعرفون ذلك اى مضمون قولنا لكم ما لكم
من آلهة غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراكم به فى العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالاياه فضلا
عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الاتلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا
الامرين فالمبالغة ح فى الكمية وفى الاول فى الكيفية فقال الملاء اى الاشراف الذين كفروا من قومه
وصف الملاء بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم

هذا الا بشر مثلكم اى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوة عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع
رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اى يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدم بادعاء
الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضاء بالمنى طبين عليه عم واغراء لهم على معاداته عم وقوله تعالى
لو شاء الله لانزل ملئكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام
اى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملئكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملئكة لا يكون الا
بطريق الانزال فالمفعول للمشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس المضمون كما فى قوله تعالى ولو شاء
لهداكم ونظايره ما سمعنا بهذا اى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه
وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة فى آبائنا الاولين اى الماضين قبل بعثه عليه السلام قالوه
اما لكونهم آبائهم فى فترة متطاولة وانما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى والفساد و
ايا ما كان فقولهم هذا ينبغى ان يكون سوالصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء فى قوله تعالى
فقال الملاء الخ وقيل معناه ما سمعنا به عم انه نبى فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام
وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى آواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام
وقولهم ان هو اى ما هو الا رجل به جنة اى جنون اوجن يخيلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اى
احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق مما فيه محمول ح على تراءى الهم فى المكابرة والعناد و
اضرابهم عما وصفوه عم به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام
بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول عتى ناقض مقالاتهم الفاسدة
قال ربهم الذى يؤفكون قال استيناف مبنى على سؤال نشاء من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا
قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى
الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
رب انصرنى بما هلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لمقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
الخ بما كذبون اى بسبب تكذيبهم اياى او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك
ان مفسرة لما فى الوحى من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه السلام منه عز وعلا
حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدى اومن الزيغ فى الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها
والفاء فى قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب
كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقتربه اوابتداء ظهوره اى اذا جاء
اثر تمام الفلك عذابنا وقوله عليه السلام وفار التنور عطف بيان لمجئ الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا
فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فنبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف
فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة اى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة
من الشام وقد مر تفصيله فى سورة هود عليه السلام فاسلك فيها اى ادخل فيها يقال سلك فيه اى ادخل فيه وسلك
فيه اى ادخله فيه ومنه قوله تعالى وما سلككم فى سقر من كل اى من كل امة زوجين اى فردين مزدوجين
كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص فى الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان
المفعول اثنين اى من كل امتى زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والضان والنعاك
وهذا صريح فى ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفى سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من
كل زوجين فى لوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تجيزى ورد عند فوران التنور نيط به الامر التعليقى اعتناء
بشان المامور به او على ان ذلك سوالامر السابق بعينه لكن كان الامر التعليقى قبل تحقق المعلق به فى حق

ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كانه لما حدث عند تحققه حكى على صورة التبخيز وقد مر فى تفسير قوله تعالى واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم واهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على وجين او اثنين على
القراءتين لاداته الى اختلال المعنى اى واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال
الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة
من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء
وغيره فتقديمه يؤدى الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اى القول باجلا
الكفرة وانما جئ بعلى لكون السابق ضارا كما جئ باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا
ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهى او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء
اى انهم محقق عليهم بالاغراق لامحالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه
كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بجلالهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك اى من اهلك
واتباعك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلنى فى السفينة او منها منزلا مباركا اى انزالا او موضع انزال
يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اى موضع نزول وانت خير المنزلين امر عليه السلام بان يشفع دعاءه ما
يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة
لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان فى ذلك الذى ذكر لمعمل
به عليه السلام وبقومه لايات جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوا الاعتبار وان كنا المبتلين
ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اى وان الشان كنا معيبين قوم نوح
ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها
آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد وجسيما روى عن ابن عباس
رضى الله عنه وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما سيأتى المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم
نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما فى قوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة وكقوله لا
غاية له كما فى مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يات من
غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اى من جملتهم نسبا فانهاءم كانا منهم وان
فى قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى
وقوله تعالى ما لكم من آله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون
اى عذابه الذى يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام
وقال الملا من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى ينطبق عليه حكاية ارسال الرسول بطريق العطف
على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة و
المقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستيناف المنبئ عن السوال كما ينبئ عنه ما ياتى من حكاية سائر الامم
اى وقال الاشراف من قومه الذين كفروا فى محل الرفع على انه صفة للملا او صفوا بذلك ذما لهم وتنبيها
على غلوهم فى الكفر وتاخيره من قومه لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى
اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث وانرفناهم
ونعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم المضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم
اى فى الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهويل امره عليه السلام وتوهينه
يا كل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعايد الى الاول منصوب محذوف

او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما ذكر من الاحوال والصفات
اى ان امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون فى ارائكم حيث اذللتم
انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا ودون عبادة الاصنام التى لا
خسران وراء ما فاتتهم انى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة جواب القسم المحذوف وقيل
ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اى وبالله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لمن الخاسرون ايعدكم استيناف
مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام باكبار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا
متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب
اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء
البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتاخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين
خبره الذى هو قوله تعالى مخرجون اى من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتداء واذا متم خبره على معنى
اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم
ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذى يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الخ
هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اى بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما
فى هيت لك كانهم صوتوا بكلمة الاستبعاد وقيل لما اذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتداء
خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير او بالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وحيث على
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هى الا حيوتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا
فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما
حملت وهى العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية
للجنس كانت تعالى نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هى الحيوة الدنيا اى يموت بعضنا ويولد بعض
الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اى ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من رسالته
وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اى هود عليه السلام عند
يأسه من ايمانهم بعد ما سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بما
كذبون اى بسبب تكذيبهم اياى واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اى عن
زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة
اى عن شئ قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوه من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة
لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا فى تضاعيفها بصيحة مهيلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين اتم
بناء ارم ساد اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا او قيل الصيحة نفس العذاب والموت
وقيل هى العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان بالحق متعلق
بالاخذ اى بالامر الثابت الذى لا دافع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اى كغثاء
السيل وهو ما يحمله فبعدا للقوم الظالمين اخبارا او دعاء وبعدا من المصادر التى لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى
بعدوا بعدا اى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشانا من بعدهم
اى بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اى
ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجئ اجلها وما يستاخرون
ذلك الاجل بساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من
انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول

كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بجملة
المعترضة الن قصة بعدم تقدم الامم اجمالا المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى
اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في توجل وتيقور والالف باعتبار ان
الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه
استيناف مبني لمجئ كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجئ اما التبليغ واما حقيقة المجئ
للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة كما
لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث
كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لا يليق بالمرسل والمجئ بالمرسل اليهم فاتبعنا
بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي
وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وسواسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما
يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا
لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان جريا اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرن الاول
حيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
بآياتنا هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وتفلق البحر ومنها اذ المراد هي الآيات التي كذبوا بها واستكبروا عنها وسلطان مبين اى حجة واضحة
ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آياته عم واولا ما قد تعلقت بها
معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق
البحر وانفجار العيون من الحجر فيضر بحالها وحاستها وصيرورتها شعشعة وشجرة حضراء مثمرة ودلو اورشاء وغير ذلك
مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فخير ملايم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى
الملك القدم وابن الهمام الم اعبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لكل
لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اى اشراف قومه خصوصا بالذكر لان ارسال نبي الى الملك
منوط بآرائهم لا بآراء اتباعهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين
فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اى كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اذ قالوا
فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بغلام اسمه يعلى كما
يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون
الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومعاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين
وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني
والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها
في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا
عابدون اى خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بث نهاء مرتبتهما العلية عن
منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في قوله متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة
حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدنيوية على
الرياسات الدينوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كداب قريش حيث قالوا لو كان
ما سبقونا اليه وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء كلا

سوا السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اى فتموا على تكذيبهما
واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا اى بعد اهلاكهم وانجاء بني
اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اى التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى ما فيها من
سوق الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرايع
والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف
من فرعون وملائهم اى من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة
انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما تيناول قوم فرعون بل من قبلهم
من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن
مريم وامه آية واية آية دالة على عظيم قدرتنا بلا دة منها من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما
او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من مسيس مخذ فت
الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنها بما ذكر من العنوانين وهما كونه عم ابنها وكونها امه عليه السلام
للايذان من اول الامر بحيثية كونها آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دالة على ان
لا اب له اى جعلنا ابن مريم وحدها من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية
وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين
من الاحصان والنفخ واوينا هما الى ربوة اى ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها من اخصب
وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها
وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قرأ ما على الربى وقرئ بكسر الراء ومنها وربوة بالكسر والضم ذات
قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها
ومعين اى وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء ومن الماعون وهو
النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان
بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لوسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل
رسول في عصره حثي بها اثر حكاية ايواء عيسى عم وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لمن خصائصه
عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام وصحابه اى وقلنا لكل رسول
كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا
للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عم و
امه عند ايوائهما الى الربوة ليقتدي بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن و
مجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على باب في مخاطبة الواحد
بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات
المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه واعملوا صالحا اى عملا صالحا فانه المقصود
منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان هذه
استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما
امر به كافة الرسل عليهم السلام والامم وانما اشير اليها بهذه التنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد و
انتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امتكم اى ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة

اى ملة وشريعة متحدة فى اصول الشرايع التى لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل
والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لى
شريك فى الربوبية وضمير المخاطب فيه وفى قوله تعالى فاتقون اى فى شوح العصا والمخالفة بالاخلال بواجب
ما ذكر من اختصاص الربوبية بى للرسل والامم جميعا على ان الامر فى حق الرسل للتهييج والالهاب وفى حق الامم
للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر ووجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى وتحاد
الامة فان كلا منها موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اى ولان هذه امتكم امة
ربكم فاتقون اى ان اتقوا فاتقون كما مر فى قوله تعالى واياى فارهبون وقيل على العطف على ما اى انى عليم بان امتكم
امة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه اى واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان
فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير للمدلول عليه الامة من ايرادها
اولها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اى تقطعوا امر دينهم مع اتحاده و
جعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اى قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع
زبرة وهو حال من ضمر هم اومن واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا كتبا فيكون مفعولا ثانيا او
حالا من امرهم على تقدير المضاف اى مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من اولئك
المتحزبين بالديهم من الدين الذى اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم فى غمرتهم
شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لا عيون بها وقرئ غمراتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بالديهم فان انهماكهم فيما هم
فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اى اتركهم على حالهم حتى حين سوحين قتلهم او موتهم على
الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن
الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفى التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون اتما نمدهم به
اى نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم ما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين
مع كونهم اعز منه قد مر وجهه فى سورة الكهف لا خبران وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم فى الخيرات على
حذف الراجع الى الاسم اى ايحسبون ان الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على
ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر سيجب عليه الكلام اى كلا
لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ اصلا كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور لينتاملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد
استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير المحدث به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون استيناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم
الكاذب اى من خوف عذابه حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق
مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض
لعنوان الربوبية فى المواقع الثلثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون
ما آتوا اى يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات
وايا ما كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الاولى للدلالة
على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او ياتون اى يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات
ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اى من ان رجوعهم اليه عز وجل
على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ وابه حتم لا محالة رجوعهم

اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى خبر مستانفا
من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كما قيل ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون وبايات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات
بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم
باعتبار اتصافهم بما وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم فى الفضل اى اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت
الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون فى الخيرات اى فى نيل الخيرات التى من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة
على الاعمال الصالحة كما فى قوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره
فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفى عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك
نسارع لهم فى الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار
كلمة فى على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون فى فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق
المسارعة كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون اى ايا ها سابقون
واللام لتقوية العمل كما فى قوله تعالى مصدقا لما معهم اى دينا لونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وقيل
المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون فى الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق
او لاجلها سابقون الناس والاولى هو الاول ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت
للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج
عن حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على ان المراد
استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مر مرارا او للتخصيص فيما سوقا صر عن درجة اعمال اولئك
الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين
فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا
ومن لم يستطع القعود فليومئ ايماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من
الاعمال واحكامها المرتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحايف الاعمال التى يقرؤها
عند الحساب جسما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اى عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هى عليه اعمال السابقين والمقتصدين
جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق
بينطق اى ينطق الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا وبينته للناظر كما يبينه النطق ونظمه
للسامع فيظهر هناك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله
تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال
اى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التى كلفوها ونطقت بها
صحايفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون بتكليف
ما ليس فى وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التى من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة
اعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا
منها ليس بظلم على ما تقرر من الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة
منه حتما يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى
عد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف ما فى الوسع وكتب الاعمال ليساء ما يجب عليه سبحانه حتى يعد
تركها ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتقدس

ياسمد وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اى بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذى بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ وقيل كما علية اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذى ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما سيأتى من طعنهم في القرآن جسما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم المبينة بالتخطى للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اى مستتبعيهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية للاعمال المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اى لا يزالون يعلون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤسهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذى اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروى اذ هو الذى يفاجؤن عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط من النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان اباسفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد بالاقناط حيث يروى انه عليه السلام دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجارون اى فاجؤا الضراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجاة الجوار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمتعين محميين بحماة غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا لردعهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بفوتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلى في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك الى ان يكون مفاجاتهم الى الجؤار غير مقصود اصلى وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اى لا تحققوا من جهتنا نصرة تنجيكم عما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الا عنده تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفى متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلته او بعزة الله تعالى وقوته اى قد كانت آياتى تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم تنكصون اى تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع فمهما مستكبرين به اى بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم و افتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابى الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب اوان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه وبجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اى يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والتاركا لحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان تتعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اى تهذرون

في شان

في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذى هو مبالغة في هجر اذا هذى اظلم يدبروا القول الهمزة للانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينجيب عليه الكلام اى فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبايح و ام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولون منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة للانكار الوقوع للانكار الواقع اى بل اجاءهم من الكتاب ما لم يات آباءهم الاولين حتى استبعدوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى ان مجئ الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وان مجئ القرآن على طريقة فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يات آباءهم الاولين كاسمعيل وامثاله من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقصى والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة للانكار الوقوع ايضا اى بل لم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اى جاحدون ينبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشانه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبنى بطلان ما بنى عليه او هم غير عارفين له عليه السلام فهو تاكيد لما قبله ام يقولون به جنة انتقال الى توبيخ آخر و الهمزة للانكار الواقع كالاولى اى بل ايقولون به جنة اى جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعى في هذا التوبيخات الاربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقى من الادنى الى الاعلى حيث بجؤا اولا بعدم التدبر وذلك تحقيق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبجوا بشئ لو التفت به القول كان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبجوا بما يتعلق بالرسول عليه السلام من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك تحقيق بعدم المعرفة بخبره ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام ذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اى ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه السلام بل جاءهم امر الحق اى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اى حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتامل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهته للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استيناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التى ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به عليه السلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة ولاهلك العالم ولم يوجد فيه انه لا يلايم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع المهان لا يناسب المقام واما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا بل آتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم

بكراهة الحق الذى به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر
القرآن الذى هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى بل آتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى كان
يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من التكوص عن ذكرهم اى فخرهم وشرفهم خاصة معرضون
لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفى وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتفريع والفاء
للترتيب بعد ما من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيانه ذكرهم للترتيب الاعراض على الاتيان مطلقا فان المستتبع
لكون اعراضهم عن ذكرهم سوء اتيانه ذكرهم لا الاتيان مطلقا وفى اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره
عليه السلام تنويه لشان النبى عم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفى ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام
بعنوان الحقيقة وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيقته
المستلزمة بحقية من جاء به سو الذى يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون فى شانه واما التشريف فانما يليق به تعالى
لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشركين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل
وعظهم وايد ذلك بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس فى مثابة اعراضهم عن
شرفهم او عن ذكرهم الذى يتمنونه فى الشناعة والقباحة ام تسالهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام
يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كانه قيل ام يزعمون انك تسالهم على اداء الرسالة خرجا اى جعلا فلا جل ذلك
لا يؤمنون بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اى رزقه فى الدنيا وثوابه فى الاخرة تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار
اى لات سالهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى فى الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال كل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب فى الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففى النظم
الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيريته خراجه تعالى
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توهم اتصافهم لك
بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم فى هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام
وبين انتفاء ما عداها كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بجامع
من الانهماك فى الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما
فيها من الدواعى من اقوى الدواعى الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اى عن جنس الصراط لناكبون
العادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم و
غاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر اى خط وجدب للجوا لتمادوا فى طغيانهم افراطهم فى الكفر والاستكبار وعداوة الرسول عم
والمؤمنين يعمهون اى عامهين عن الهدى روى انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من
اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كما
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع
فزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه
من الافراط فى الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم
بالعذاب استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر
وما اصابهم من فنون العذاب التى من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اى والله لقد اخذناهم بالعذاب
فما استكانوا لربهم بذلك اى لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع يتنقل من كون
الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح فى منتزح بل قاموا على ما كانوا عليه من العتو والتكبر

وقوله

وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد سو عذاب الاخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا
بالتشديد اذا هم مبلسون اى متحيرون آيسون من كل خير اى حتى اذا هم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير
ذلك فاجاروى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى
فى شئ وانما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع صنفا واذا شبع طغا والكرهم مستمرون على
ذلك الى ان يروا عذاب الاخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمغنم
اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم
باب الجوع الذى سو اعلم وانتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك اعناهم واشدهم شكيمة فى العناد
يستعطفك والوجه سو الاول وسو الذى انشاكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية و
التكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونها وتعتبروا اعتبارا لا يقا قليلا ما تشكرون اى شكرا
قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة فى الشكر صرف تلك القوى التى هى فى انفسها نعم باهرة
الى ما خلقت هى له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وسو الذى ذرأكم فى الارض اى خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
واليه تحشرون اى تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه سو الذى
يحيى ويميت من غير ان يشاركه فى ذلك شئ من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار
اى سو المؤثر فى اختلافهما اى تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا اولا ومره وقضائه اختلافهما افلا
تعقلون اى الاتتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل مناوئ قدرته
تعم جميع الممكنات الق من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سو حال المكذبين
لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام
اى فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اى اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا و
عظاما انا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقدم الكلام فيه لقد وعدنا نحن
وآباؤنا هذا اى البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اى ووعد آباؤنا من
قبل او بمحذوف وقع حالا من آباؤنا اى كائنين من قبل ان هذا اى ما نحن فيه من البعث او ما نعد به
الا اساطير الاولين اى اكاذيبهم
التى سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات
تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اى ان كنتم تعلمون
شيئا ما فاخبرونى به فان ذلك كاف فى الجواب وفيه من المبالغة فى وضوح اللزوم فى تجهيلهم ما لا يخفى او ان
كنتم تعلمون ذلك فاخبرونى وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قال
سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اى عند اعترافهم
بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اى تعلمون ذلك او تقولون ذلك فلا تذكرون ان من قطر الارض وما
فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس فى قياس العقول و
قرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشان
العرش وصرفها لما له من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعى فى الامر بالسؤال الترقى من الادنى
الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وقرئ
سو ما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السوال قل افلا تتقون اى تعلمون ذلك و لا
تقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتشتمون له شركا فى الربوبية
قل من بيده ملكوت كل شئ مما ذكر ومالم يذكر اى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اى يغيث

غيره اذا شاء ولا يجار عليه اى ولا يغيث احد عليه اى لا يمنع احد منه يا لخر عليه ان كنتم تعلمون اى شيئا
ما اوذلك فاجيبونى على سبق سيقولون لله اى لله ملكوت كل شئ وهو الذى يجير ولا يجار عليه
قل فانى تسحرون اى من اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم بانه الى انتم عليه من الغى فان من لا يكون
مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل آتيناهم بالحق الذى لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم
لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والمتأملون ان الملئكة
بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من آلهة يشاركه فى الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم
اذن لذهب كل آلهة بما خلق جواب لحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله اى لو كان معه آلهة كما يزعمون
لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو
الجارى فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ وهو باطل لا يقول به عاقل
قطع مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحدا بالذات سبحان الله عما يصفون
اى يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدإ محذوف واياما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على تواطقهم فى
تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب
لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما ترينى اى ان كان لا بد من ان ترينى ما يوعدون من العذاب
الدنيوى المستأصل واما العذاب الاخروى فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين اى
قرينا لهم فى ما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ
منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياهم واستجهالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به على
سبيل التعريض لغيره وقيل للاشعار بان شؤم الكفرة قد يحيق بمن ورائهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة وروى انه تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا
الدعاء وتكرير النداء وتقديره كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك
ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون
او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان
المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عند لبا ما يمثل مستأصلا لا يظهر على يديه عليه السلام لحكمة
داعية اليه ادفع بالتى هى احسن السيئة هو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن لا بحيث يؤدى الى
وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو
ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفصيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام
نحن اعلم بما يصفون اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد
لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له ع م الى تفويض امره اليه تعالى
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اى وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التى من
جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصى بهمز
الرائض الدواب على الاسراع او الوثب وللجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ
بك رب ان يحضرون امر عليه السلام بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة
فى التحذير من ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء واظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية
الابتهال فى الاستدعاء الى العوذ بك من ان يحضرونى ويحولوا حولى فى حال من الاحوال وتخصيص حال
الصلوة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رض وحال حلول الاجل كما روى عن عكرمة رح لانها

احرى

احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هى التى يبتدأ بها الكلام ودخلت على الجملة الشرطية
وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من
الشياطين ان يزلوه عليه السلام من الحلم ويفزوه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى
انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون فى غاية البعد لفظا ومعنى اى يستمرون على الوصف المذكور
حتى اذا جاء احدهم اى احد كان الموت الذى لا مرد له وظهرت احوال الاخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان
والطاعة رب ارجعون اى رددنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا نبك
ونظايره لعلى اعمل صالحا فيما تركت اى فى الايمان الذى تركته لم نتظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة
بان يقول لعلى او من فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه محل
الوقوع اى لعلى اعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او من الدنيا وعند ما
اذا عاين المؤمن الملئكة قالوا ارجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك
وتعالى واما الكافر فيقول ارجعونى كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اى قوله رب ارجعون الخ
كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اى امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم
كلهم كان الافراد فى الضمير الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو
اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ
فى الصور لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى اذا نفخ فى الاجساد ارواحها
على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد خطأ انساب بينهم تتعطف الرحم والتعاطف من فرط الحيرة والاستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او
الانساب يفتخرون بها يومئذ كما بينهم اليوم ولا يتساءلون اى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم
بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك
فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقايد والاعمال اى فمن كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون
لها وزن وقدر عند الله فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت
موازينه اى ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما فى هذا المقام من الكلام فى تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا
انفسهم صيغوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة فى الموضعين
عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين فى الصلتين باعتبار لفظه فى جهنم خالدون
بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص
الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصى المودية الى النار وهو السر فى تقديمها
على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين من الاسنان وقرئ كلحون
الم تكن آياتى تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من
العذاب الم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اى ملكتنا
شقوتنا التى اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا
ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا من التكذيب ما فعلنا
وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما
كتب عليهم من الشقاوة الازلية مع انه باطل فى نفسه لما انه لا يكتب عليه من السعادة والشقاوة الا ما علم
الله تعالى انه يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا

فانا ظالمون اى اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد فى الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوه الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح فى انهم ج على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسئوا فيها اى اسكتوا فى النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من فشات الكلب اذا زجرته فخسأ اى انزجر ولا تكلمون اى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون فى رفع العذاب ويرده التعليل الآتى وقيل لا تكلمون راسا وسوء آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تع انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اى ان الشان وقرئ بالفتح اى لان الشان كان فريق من عبادى وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة واجل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون فى الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا لا تكلم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الا وتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اى الاستهزاء بهم ذكرى من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تع انى جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم به بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تع انهم هم الفائزون ثانى مفعولى الجزاء اى جزيتهم فوزهم بمجامع مرادهم المحصوص به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن قال اى الله عز وجل او الملك الآمر بذلك تذكيرا لما لبثتم فيها شاكوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم فى الارض التى ترجعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تميزا لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اى المتمكنين من العد فانا ايام هذا من العذاب بمعزل من ذلك او الملئكة العادين لاعمار الدنيا واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى المعتدين فانا ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لتظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العادين اى القدماء المعمرين فانهم يستقصرون مدة لبثهم قال اى الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم فى ذلك لو انكم كنتم تعلمون اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف تقديره لعلمتم ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعلمتم بموجبه ولم تغلدوا اليها الخ حسبتم انما خلقناكم عبثا اى الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالكلية حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اى عابثين او مفعول له اى انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام لرتبة الشؤن التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلق افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعدادا بدءا واعادة واحياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم كيف يحاط بعظمته ويحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكريم اما لانه منه تنزل الوحى الذى منه القرآن الكريم او الخير والبركة ومنه الرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشتراكا لا برهان له به صفة لازمة لا لها كقوله لا يطير جناحيه جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بداهة العقول ببطلانه او اعتراض بطلانه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه

عند ربه فهو مجازله على ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى ان الشان او وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الافلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى المعنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئ السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر تكريما عما عراه عن النبى عليه السلام من قراءة سورة المؤمنين بشرته الملئكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه ع انه لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها والتقط باربع من آخرها نجا وافلح

سورة خبر مبتداء محذوف اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة لان فى جملة ما اوحى الى النبى ع سورة شانها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفة وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل لجملة من الاعراب او على تقدير اقراء ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف امثالها والاعراب محل انزلنا النصب على الوصفية وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب والتعدد الفرايض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اى فى تضاعيف السورة ايات بينات ان اريد بها الآيات التى نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها فى السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسرة لبوارئ الآيات فى ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عينها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تصيير انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تع ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية فى الذال اى تتذكروا فتعملوا بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منكم بحيث متى مست الحاجة اليها احضروها الزانية والزانى شروع فى تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هى المرأة المطاوعة للزنا الممكنة كما ينبئ عنه الصيغة لا المرئية كرها وتقديمها على الزانى لانها الاصل فى الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولانها تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدإ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنا كما فى قوله تعالى والذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اى فيما انزلنا وفيما فرضناها الزانية والزانى اى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان نسخ ما فى حق المحصن وغيره وقد نسخ فى حق المحصن قطعا وكيفيا فى تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفى الايضاح الرجم هو حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها

على الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ
باية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم وايا ما روي عن علي
رضه ولا تاخذكم بهما رافة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته
واقامة حده فعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى
والاجتهاد في اجراء الاحكام وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين اي ليحضره زيادة في التنكيل فان التوضيح قد يشكل اكثر مما يشكل التغييب و
الطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشئ من الطوف واقلها ثلثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس
رضه اربعة الى اربعين وعن الحسن رضه عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المقاد به جئ به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني
بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من اضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا
المشركين فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفر واعنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص
المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احديهما والزانية في نكاحهما الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا
تتلطخوا في سلكها او تنسبوا بسمتها فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية لما للتعريض لقصدهم
الرغبة عليهن حيث اباحتها ذو في نكاحهن اولتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتغيير وعدم التعرض
في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتغيير مما لا مجرد الاشراك وانما التعرض
لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بتظيرها في سلك المشركة وحرم ذلك اي نكاح الزواني على المؤمنين
لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب واختلال امر وغير ذلك من المفاسد لا يكاد يليق
باحد من الادانى والارادل فضلا من المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي
بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام
لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطئ بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم القاذف
اثر بيان الزنا بعد حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوصفي الذي هو العفة عن الزنا الحرية و
البلوغ والاسلام وفي التعبير عن التقوه بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده
عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهم وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا للغير وعدم التصريح به للاكتفاء بما يرد
عقيب الزواني بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن
به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة عن الشهداء على ان فيه مؤنة تبيان تاخر نزول
الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعد في وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة
كانه قيل والذين يرمون العفايف المتزنات غارين بين الزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن
بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير الاتيان بالشهود كما في كلمة لما اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم و
تقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه يجوز التراخي بين الشهادات كما بين
الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وقرئ باربعة شهداء في جلدهم ثمانين
جلدة لظهور كذبهم واقترانهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى وان لم ياتوا بالشهداء فاولئك
عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا
الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة

عطف

عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مولم للقلب كما ان الجلد مولم للبدن وقوله ابدا
بلسانه فعوقب بهذا منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف موحال من شهادة قدمت عليها
لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها وقوله تعالى تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة
لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من
اهلية الرمي بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتبنا ولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان
المسلمين لا يعباؤن بسبب الكفار فلا يحتاج المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم
فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة حال كونها حاصلة
لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انتهاء الحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهاداتهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كما حله واولئك هم الفاسقون كلام مستانف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم
عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد وان اولئك هم المحكوم عليهم
لا غير هم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحد والكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم
الفاسق عليهم من الفسقة وقوله تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي
وحمل المستثنى المذنب لا دعن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك لتاويل المنوب عنه اي من بعد اقترافهم
ذلك الذنب العظيم الهايل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه
الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستسلام من العفو عن
المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فلا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا يظهر في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ
في المغفرة والرحمة بد وقد علق الشافعي رح الاستثناء بالنهي فجعل المستثنى الجر على البدلية من الضمير في لهم
وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان
لحكم الرامين لازواجهم خاتمة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون بد مختصا للمحصنات بالاجنبيات
ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول
بل يكون ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سياتي فيبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في
موضعه ان دليل النسخ غير معتل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن من الزنا وقرئ بتاء التانيث الفعل الا
انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء واذا نا من اول الامر بعدم القاء
قولهم بالمرة ونظم في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى فشهادة
احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتداء وقوله تعالى اربع شهادات خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع
شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب
على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر لمبتداء محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتداء محذوف
الخبر اي فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الخ فحذف الجار و
كسرت ان وعلق عنها للتاكيد والخامسة اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا
بانضمامها العين وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالمعنوي وكادتها في افادة
ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدا وخبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدراء عنها العذاب
اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع
شهادات بالله اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به من الزنا والخامسة بالنصب عطفا على
اربع شهادات ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين اي فيما رماني به من الزنا و
قرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله

وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا يستعملن اللعن فربما يجترئن
على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روى ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته
رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان نبره بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان
يجئ باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما
وراءك قال شر وجدت على امراتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سوالي ما ابتليت به فرجعا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة
باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتابد حكمها حتى اذا كذب الرجل نفسه
بعد ذلك فيحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق
توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم
التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف اي لهلكتم
والاشعار بضيق العبارة عن حصره كان قيل لولا تفضله عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله
واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم
يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها
لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهادة موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل
شهادتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الكمة والفضل والرحمة بفعل
شهادات كل منهما مع الجنم بكذب احدهما دائرة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما
في تضاعيف شهادته من العذاب بما سواه مما وراءه عنه ولهم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل و
الرحمة ما لا يخفى ما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو المآل له والستر عليه في الدنيا ورد الحد عنه وتقريب
للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وارفع حكمته ان
الذين جاؤك بالافك اي بالغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لانه شعر بحتى يفاك واصله
الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي
لفظ المجئ اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عايشة رضه فاقرع بيننا في
غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه عليه السلام بعد نزول اية الحجاب فحملت في
هودج فسرنا حتى اذا فرغ من غزوته وانصرف دنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت
الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت
فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون
اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمرت الجيش فجيئت منازلهم
وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت اني سيفقدوني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني
عيني فنمت فكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما راى عرفني فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني
وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها
وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا
وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ جئت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى
عصبة منكم اخبار اي جماعة وهم من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بن جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استيناف

خوطب

خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة اية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم
وتشديد الوعيد فيمن تكلم بثلبكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك العصبة ما اكتسب
من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة
وعبد الله بن ابي فانه بدا به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو حسان ومسطح
فانطباق اسمائهما بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة
او في الدنيا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهورا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل
اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل
الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى
الحايفين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى
ظن المؤمنين والمؤمنات بانفسهم خيرا لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جنايتهم
لغيرهم على وجه المباثة بل للتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما و
يزجرهم عن صدره زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي
بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم
مما لا ريب فيه فاضلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى
التصريح بتوبيخ الحايفين ثم ان كان المراد بالايمان الايمان المتعلق فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين
وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يجترئون عن اظهار
ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التخضيض باول
زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيدان عدم الاتيان
به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوا
ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن
هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين حرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا جاؤا عليه باربعة شهداء اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين
على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخايضون
باربعة شهداء ويشهدون على ما قالوا فان لم ياتوا بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك
اشارة الى الحايضين وما فيه من معنى البعد للايذان ببلوغهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون
عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلايل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب
المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام
مبتداء مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله
عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال كي
بالتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا
فيما افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستيجان بذكره يقال
افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه
بحذف احدى التائين ظرف للمس اي لمسكم العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم
التلقف والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف

والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الخذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا ظفرت به فوجدته وتتثقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس به علم اى تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وليس كذلك عظيمة وهو عند الله والحال انه عند عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخبرين او المشايعين قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه ومحصله نفي وجود التكلم بالنفي بوجوهه على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى سموه وتوسيط الظرفين لولا وقلتم لمامر من تخصيص التخضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تاخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التخضيض على تركه واما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المقام يمكن ان الواجب عليهم ان ينقادوا اوما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع في غيرها فهو ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكروا ما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجيه التخضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من ضلالته تنزيها لله سبحانك من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه لله تعالى عما لا يليق به من صفاته وافعاله وقيل هو اسم علم للتسبيح كقابيل وهابيل وقيل هو اسم شجر في الجنة منه اتخذت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام وقيل هو اسم ماء في السماء وقيل هو كلمة تقال عند الخوف من الهلكة وقيل هو كلمة حبشية وقيل سريانية وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى لا يجوز الاشتقاق منه وقيل هو كلمة يقولها العبد عند الرضا عن نفسه وقيل هو كلمة يقولها الخائف عند رؤية البلاء وقيل هو كلمة يقولها الفقير عند رؤية الغني وقيل هو كلمة يقولها المؤمن عند رؤية المبتلى وقيل هو كلمة يقولها الخلق عند رؤية الخالق وقيل هو كلمة يقولها الجاهل عند رؤية العالم وقيل هو كلمة يقولها الجاهل عند رؤية العالم وقيل هو كلمة يقولها الجاهل عند رؤية العالم

كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجبات ورد انه عليه السلام قرأها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب
ان يغفر لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا أن الذين يرمون المحصنات الى العفائف مما
رمين به من الفاحشة الغافلات منها على اطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شئ منها ولا من مقدماتها اصلا فيفهما
من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور والنقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات
اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقا تفصيلا كما ينبئ
عنه تاخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر
لا الملفة الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عايشة الصديقة رضي الله
عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل
فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفة
المذكورة من باب الامة فيابا ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين
ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن
قد خصصن من بين سائر المؤمنات بجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة
عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل
عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله عنها وقيل
هو منه رضي الله عنه الا التهويل الافك والتشنيع على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا
والاخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملئكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي عذاب
عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الخ اما متصل
بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور الموجبة له مع سائر جناياتهم
المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من
معنى الاستقرار لا للعذاب وان اغتفرنا عن وصفه لاخلاله بجزالة اللفظ واما منقطع عنه مسوق لتهويل
اليوم بتهويل ما يجوبه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع
فيه من الطامة العامة والداهية الطامة كانه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة
وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة
بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة
عنها وعن فنون العقوبات المرتبة عليها كافة لا عن احداهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال
والتفصيل ما يزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم للمعهودة وحمل شهادة الجوارح
على اخبار الكل بها فقط بتخيير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما
فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم
القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق
لبيان ترتب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم
تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد
وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفعل ويعلمون عند معاينتهم الاحوال والخطوب حسبما نطق به

القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته
الناطقات المنبئة عن الشؤن التي يشاهد ونحاسبه عليها المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر
انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس
له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسير الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في الفرقان المجيد من آيات
الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق ما نيك القوارع المشحونة بفنون التهديد
والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي عليه السلام في علو الشان والنباهة وابراز زينة الصديقة رضي الله عنها
في العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الخ كلام مستانف مؤسس على قاعدة السنة اللاهية الجارية فيما
بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اي
مختصات بهم لا يكدن يجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات لان
المجانسة من دواعي الانتظام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات
منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيبين
وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما
قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى أولئك مبرءون مما يقولون على ان الاشارة الى اهل
البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة والصفوان وما
في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون
بعلو الشان مبرءون مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين
من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين
احقاء بان يقال في حقهم جبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء
بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون في حقهم فانه تنزيه الصديقة ايضا
وقيل جبائث القول مختصة بالخبيثين من فريق الرجال والنساء للقصد عن غيرهم والخبيثون من الفريقين
مختصون بجبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر
من غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرءون مما يقوله
الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فانه تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة
عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما يؤدي الى احد هما من مخالطة
الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة
الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر
والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستانسوا
اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا ابصره
فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يوذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش
لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يوذن له فاذا اذن له استانس وتسلموا على اهلها عند
الاستيذان روي عن النبي عليه السلام ان التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له
دخل والا رجع ذلكم اي الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية
حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب
الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم

غير مستأذنين عليها كما دخلت قال عليه السلام اتحب ان تراها عريانة قال لا قال عليه السلام فاستأذن
لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اى امرتم به اوقيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعلموا بموجبه فان لم تجدوا
فيها احدا اى ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه اولعدا اصلا على ان
مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس كتم
اخفاؤه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة
النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه لعنى الاطلاع على
العورات اولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم الى من جهة من يملك الاذن عندانيانه ومن شره
بقوله حتى ياتى من ياذن لكم او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان النهي مغيا
بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب طلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله
تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اى ايا مرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا
فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على ان الانتظار الى ان ياتي الاذن
كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروة اى قدح هو اى الرجوع ازكى
لكم اى اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون
عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اى بغير استيذان
بيوتا غير مسكونة اى غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من
كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة
كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استيناف بجرى التعليل لعدم الجناح اى في دخولها
حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وابواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك
مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم
بتدبير ما من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضه
قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجارتنا فتنزل هذه الخانات
افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والظاهر انها من جملة ما يتناوله البيوت لا
انها المرادة فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل
لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج
فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه عليه السلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع
حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر آخر قد حذف
تعويلا على دلالة جوابه عليه اى قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا
فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة
وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة سوا الستر ذلك اى ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اى اطهر لهم من دنس
الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شئ مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر
واستعمال سايرة الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما ياتون وما
يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن
فروجهن بالستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا
يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى الا

ما ظهر منها عند مزاولة الامور لابد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في ستر ما خرجا بنا وقبل
المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه و
الكفان لانها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة
بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن و
قلائدهن من جيوبهن لوسعتها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن ستر لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى
الالقاء فصدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الزينة
عنه باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى موضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن ولكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع
الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن عند المهنة والخدمة
وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يستترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال او ما ملكت ايمانهن اى من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد
لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه لا باس عليك انما هو ابوك وغلامك او التابعين
غير اولي الاربة من الرجال اى اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهرم والممسوحون وفي المجبوب و
الخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ
بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او
لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اى ما يخفينه من الزينة من زينتهن اى لا يضربن بارجلهن الارض
ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن من ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن
ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الخلخال بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها
ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق
التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سببا نه
وتعالى سوالآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبئ
وناهيك بقوله عليه السلام شيبتني سورة لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المامور
به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان حجب بالاسلام لكن يجب عليه الندم
والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف
الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك سعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا
بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج
له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتامى وان
كنت افنى منكم اتايم اى زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم
على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم يعزل من
ان يكون خلقيا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة

توجا

وانكحوا الايامى

من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلوح في الاحرار والحر يجوز فلان الغالب
فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة
الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيهم عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو
الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اذ احد الماعسى يكون واز عما من النكاح
من فقر احد الجانبين اى لا يمتنع فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه
غاد ورايح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب ووعده منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه
الآية لكنه مشروط بالمشية كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع
غني فوسعة لا يعزاه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم بسيط الرزق لمن يشاء
ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى
ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اى ليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا
اى اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى
ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى بالاعفاء ادنى من الصلاح والذين
يبتغون الكتاب بعد ما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب
مصدر كاتب كالمكاتبة اى الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول
المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلت او نحو ذلك فان اداه اليه عتق
قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت على نفسك ان تفي بذلك او كتبت
الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر
العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس
وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير
تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كانت بحيث لا يمكن تحققه
في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله
الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البايع لا يمكن تحققه الا
بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمن احدهما الآخر وقت الانشاء فكان قول البايع بعت انشاء
لعقد البيع على معناه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا
شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اى ايقاع لما يتم من قبله
من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله
فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه
مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا و
منجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصلنا في موضعه ان علمتم فيهم خيرا اى امانة ورشدا
وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من
مال الله الذي اتاكم امر للموالي ببذل شئ من اموالهم وفي حكمه حط شئ من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما
يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضه الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب
ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط
كان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحط منه
كالبيع واقل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امرهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة

المال اليه تعالى ووصفه بانيانه آياهم للحث على ان الامتثال بالامر تحقيق للمأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي لهن اقوى الدواعي
الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر بايتاء سهمهن من الصدقات فاللام للوجوب حتما والاضافة والوصف
لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان
كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا
تكرهوا فتياتكم اى اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عم
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع
ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع
منهن ذلك غالبا ودون من عداهن من العجائز والصغاير وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة
اراد تهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا المخصوص الزمان
او المخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للحافظة على عادتهم
المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور
وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبايح فان عبد الله بن ابي كانت
له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبايح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا
يكاد يرضى بفجورهن بحيث يعد حرمته من آبائه عن امرهن به او اكراههن به لا سيما عند ارادتهن التعفف فتامل
ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من انه ان جعل شرطا للنهي
لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانها بمعزل من التحقيق و
ايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص ختما لايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة
التحصن في حيز التردد والشك مكيف اذا كان محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة
منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية ياباه اعتبارا تحقيقا اياه ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار النهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله حتى يتشنعا
لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اى لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء
لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء والطلب المقارنة لنيل المطلوب و
استيفائه بالفعل اذ هو الصالحة لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق للتناول للطلب السابق الباعث
عليه ومن يكرههن الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتاكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات
عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اى ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضه
وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن الى كونهن مكرمات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول
فان توسيطه بين ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ
هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصها وتعيين مدارها مع سبق ذكر المكرهين ايضا في
الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منها بالكلية كانه قيل لا للمكره وانظر هذا التقدير العايد الى اسم الشرط
اكتفى به عن العايد الى اسم الشرط فتجويز تعلقها بهم بشرط التوبة استقلالا او منهن احتمال بجزالة النظم
الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المبنية عن سابقة الاثم اما باعتبار

انهن وان كن كمرات لايخلون فى تضاعيف الرتاعن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار اية
الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما الغاية تهويل الزنا وحث المكرهات على التنزه
فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة
والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرههن فى استحقاق العذاب ولقد آتينا اليكم ايات بينات
كلام مستأنف جئ به فى تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شانها للمستوجبة
للاقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى يوجب عنه اللام لابراز كمال العناية بشانه اى وبالله لقد
انزلنا اليكم فى هذه السورة الكريمة آيات بينات لكل ما يكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب
وغير ذلك مما هو من مبادى بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازى او آيات واضحات تصدقها
الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين
وقرئ على صيغة المفعول اى التى تبينت واوضحت فى هذه السورة فى معانى الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون
الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف
على آيات اى وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المغربة
لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها
المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم ورم وسائر الامثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاما واضحا
وتخصيص الايات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سياتى من
التمثيلات وموعظة تتعظون به وتنزجرون عما لاينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن
الاداب فهى عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو
التغاير العنوانى المنزل منزلة التغاير الذاتى وقد خصت الايات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما
وعظ بهن فى قوله تعالى ولاتاخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات
الواردة فى شان الآداب وانما قيل للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لعموم التقوى
انزلنا اليكم حشا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون
من انوارها لغلب وقيل المراد بالايات المبينات والمثل والموعظة جميع ما فى القرآن المجيد من الايات
والامثال والمواعظ فقوله تعالى الله نور السموات والارض الخ استيناف مسوق لتقرير ما
فيها من البيان مع الاشعار بكونه فى غاية الكمال على الوجه الذى ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه
تعالى ليس مقصورا على ما ورد فى السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحق بيانه من الاحكام والشرايع ومبادیها و
غاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل فى البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه
واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذى هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر من المنور بنفس النور تنبيها على قوة
التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما
عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل
ما يليق به من الامور التى لها مدخل فى ارشاد الناس بوساطة بيان تعمل المستعار منه لجميع ما يقبله وبسخته من الاجرام
العلوية والسفلية فانها قطران للعالم الجسمانى الذى لامظهر للنور الحسى سواه او على تمثيل البيان لاحوالها
ما فيها من الموجودات ازاما من هو موجود الآن وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا و
ولا ريب فى بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلها كما
قال ابن عباس رضى الله عنهما ما دى اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة
ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل فى الاظهار كما ان

الاعدام

الاعدام هو الاصل فى الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار
او بالملئكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او المؤمنات
او على تدبيره تعالى لامورهما واحوالهما فيهما مما لايلايم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اى نوره
الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال
والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا فى قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما
وزيد اسلم وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل واياه مقام شان الآيات ووصفها بما
ذكر من التبيين وعدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر فى مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شان القرآن
الكريم فالمعتبر فى مفهومه من حيث هو الظهور لا الاظهار وللمراد بالمثل الصفة العجيبة اى نوره العجيبة
كمشكوة اى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل
المشكوة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح فى زجاجة اى قنديل من
الزجاجة الصافى الازهر بفتح الزاء وكسرها فى الموضعين الزجاجة كانها كوكب درى مثلا الى وقاد
شبيه بالدر فى صفائه وزهرته ودراى الكواكب عظامها المشهورة وقرئ درى بدال مكسورة وياء مدودة
بعد ها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اى مبالغ فى دفع الظلام بضوئها وفى دفع بعض اجزاء ضيائها
لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقى على حاله وفى اعادة المصباح والزجاجة معرفتين
اثر سبقهما منكرتين والاخبار عنها بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكوة فيها مصباح فى زجاجة
كانها كوكب درى من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وبانبات
ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المبنى عن القصد الاصلى دون الوصف المبنى على الاشارة الى البثوت
فى الجملة ما لايخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة
واللام معتبة عن الرابط كانه قيل فيها مصباح سوى فى زجاجة هى كانها كوكب درى يوقد من شجرة اى يبتدأ
ايقاد المصباح من شجرة مباركة اى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة
لانها تنبت فى الارض التى باركه الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفى ابهامها ووصفها بالكثرة
ثم الابدال عنها تفخيم لشانها قرئ توقد بالتاء على ان الضمير القايم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح
وقرئ توقد على صيغة الماضى من التفعل اى ابتداء تقوب المصباح منها وقرئ بحذف احدى التائين
من توقد على اسناده الى الزجاجة لاشرقية ولاغربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث
تقع عليها طول النهار على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب وهذا قول ابن
عباس رض وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لاشرقية وجدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية
وغربية اى يصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فيكون شرقية وغربية ناخذ حظها من الامرين فيكون
زيتها اصفى وقيل لانابتة فى شرق المعمورة ولا فى غربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما
يكون وقيل لانى مضحى تشرق الشمس عليها دايما فتحرقها ولا فى مقناة تغيب عنها دايما فتمرضها بل
فى الحديث الاخير فى شجرة ولا نابات فى مقناة ولا خير فيها فى مضحى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار
اى هو فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضئ بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو فى امثال هذه المواضع
ليست لبيان انتفاء شئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل
قصدية الاعند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام
السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على الجملة
منه اما الوجود المانع كما فى قوله تعالى ايضا تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة واما العدم

الشرط كما في هذه الآية الكريمة لينظم شبهة او انتفائه معه شبهة او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريقة الاولوية
لما ان الشئ متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك
لا يذكر معه شئ آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة
لجميع الاحوال المغايرة لها تعددا ما وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا مطرد
في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان
تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو
كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطف هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في
الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضئ لو
لم تمسسه نار ولو لم تمسسه نار اي يضئ كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذف الجملة الاولى
حسبما مر مطردا في الباب لدلالة الثانية عليها ودلالة واضحة نور خبر مبتدإ محذوف وقوله تعالى على نور
متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه و
تمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة
نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن
مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف
مثله من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان كان اضوأ له واجمع
لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه ويتشتت
والقنديل اعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورا اشراقا و
تمدده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل يهدي
الله لنوره اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في
مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل
من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من الدلائل وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار
عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيته تعالى
وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف
الهداية جميعا بما يقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئات المحسوس و
تصوير لا وابد المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم
الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال اسناد اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو من
قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شئ عليم معقولا
او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يتعلق مشيته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون
من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هداية العامة على فنون مختلفة تشتى حسبما
يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة
الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان
القرآن الكريم في بيانه للشرايع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك
من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة
واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشية الله تعالى بهدايته
دون من عداه بعقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه

والمراد

والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضه وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله كالكعبة التي بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء والاذن بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببناء محاريفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وايا ما كان فنفي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللايق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر وايا لتحقيقه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى فيها جميع اذكاره وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والآصال اي بالعدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كفتى في جمع فتاة كما قيل او مصدر الحق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو شامل لاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوة اوقاتها لزيادة شرفه واضافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما الجديرة فيها بكونها مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بها والاستغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة ليبك يزيد ضارع لخصومة اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعدهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة كما قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وبجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لاتكهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهاية ولذلك كلمة لا لتنكير وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشري لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتمجيد واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير اخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن الاعمال غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال

او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول لتخافون لا ظرف له وقوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اى تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتتقلب القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من اعمالهم المرضية اى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اى احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة بحسنة واحدة عشرا امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدلهم من فضله اى يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصيتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما اوعدت بطريق الاجمال بمثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عن عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فلما في سلك الغاية وللوصول عباده عن ذكر صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيته تعالى لا اعمالهم المحكمة كما انها للمناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لتظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه تتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اى كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعده قوله تعالى ولولم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شئ عليم كلام متعلق بالمثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشئ ولما يه بالاجنبي مؤد الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهدة في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كيف وصف والذين كفروا اعمالهم اى اعمالهم التي هي من انواع البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة اللهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يروى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اى كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كدريجات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الالف يحسبه الظمآن ماء صفة لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذى هو المطلع المطمع والمقطع المويس حتى اذا جاءه اى اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه لم يجده اى ما حسبه ماء و علق برجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم

بيان

بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيمة لاعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اى حكمه وقضاءه عند المجئ وقيل عند العمل فوفاهم اى اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اى حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عيينة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او الظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها كل واد ونادبما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت لاعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اى عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمة يغشاه صفة اخرى للبحر اى يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتداء وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اى يغشاه امواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اى من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني من اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتداء محذوف اى هي ظلمات بعضها فوق بعض اى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور فلا ان ذلك متعلق بالمثل وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اى من ابتلى بها واضاره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة نديه وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شئ منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الى العارف تذييلي جئ به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هداية تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشاء الله تعالى هدايتهم اى ومن لم يشاء الله ان يهديه لنوره الذى هو القرآن بهداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اى فما له هداية ما من احد اصلا الم تر الاستئناف فخوطب به النبي عليه الايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبوأه من اسرار الملك والملكوت ادناها واخفاها والمعنى للتقرير اى قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اى ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن ما لا يليق بشانه الجليل من نقص وخلل من في السموات والارض اما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهم العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات

الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشانه من شؤنه الجليلة وقد نبه على كمال قوة الدلالة وغاية وضوحها حيث
عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال
واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شئ مما عز ومان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق
ومخبر صادق بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيها على اتصافه تعالى بنعوت
الكمال ايضا لان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم
الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي
شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء
وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا
وفيه مزيد تخطئة لهم وتعبير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جلياتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه
باعتبار اشرفها التي هي الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض
لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح
ابنائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يرجع عنه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه
تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف
تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون
وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته
وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من
الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في تضاعيفه الاشارة الى ان كلا واحد من
الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يليق بلسان استعداده و
تحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض
عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار
فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع مادته
وبين الغاية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التي هي الدعاء
والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه
في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التمويز في كل انواع الطير و
افرادها والصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان
يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي
والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور
كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى
كل قد علم صلوته وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدور ما عنه ليس
بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم واتقان من غير اخلال بشئ منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه لكل نوع
من انواع المخلوقات على وفق ما يليق به مما لا يكاد يهتدي اليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا
وان التفاوت مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل الى
حجرها حتى روي انه كان بقسطنطنية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح
قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفاينهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتفي في اثره
فتفطن ايستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا اللفظ بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب

حملا

جملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اي ما يفعلونه اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم
والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى التنا ما باعتبارها وعن التسبيح الخاص بالطير معا
او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير
فقط وعلى الاولين تسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم الله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه كل
اي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن
لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله
الصادرة عنه ومما ذكر داخلان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما
فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله
اي الى الله تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في
المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبداء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة
الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشئ برفق وسهولة غلب في سوق شئ يسير وغير معتد به و
منه البضاعة المزجاة فيضيه ايها الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين
اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق
اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب
الجعل المذكور برؤية خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة قوله فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاشعار
بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله
وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة
فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاولى ان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل
اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف
ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من الجبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن
ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل للمفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل
من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة والياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول
لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض
جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفعه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة
الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل
الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا
وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي
بما ينزله من البرد من يشاء ان يصيبه به فينالله ما ينالله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء اي يصرفه عنه
فيخيم عليه يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتاليف وغيرهما واضافة
البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة و
العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالفرقة وبضمها للاتباع
بفتة الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل
لامره وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة
من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار

بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغير هما مما يقع فيهما من الامور التي
جملتها ما ذكر من ارجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد
مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة اى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم و
وحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار
لكل من له بصر والله خلق كل دابة اى كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء
موجزء مادة او مخصوص سو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة
وقيل من ما متعلق بدابة وليست صلة للخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها
زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها
وتذكير الضمير فيه منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من
الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان من احكام الالوهية ان الله على كل شئ قدير
فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال الاستيناف التعليلي لقد انزلنا
آيات مبينات اى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار الكونية والله يهدي من يشاء
ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق
والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشا الله هدايته الى الصراط
المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا يدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي عليه السلام وقيل في المغيرة بن وائل خاصم
عليا رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول عليه السلام وايا ما كان فصيغة الجمع للايذان بان
للقائل طايفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم و
اطعنا اى اطعنا هما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اى بعد ما صدر عنهم
ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه
امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن
الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اى ما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد
والعمل بالمؤمنين اى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اى ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان
والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اى الرسول بينهم لانه المباشر حقيقة للحكم وان كان ذلك حكم
الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اى
فاجاء فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وسوء شرح
للقول وسبالغة فيه وان يكون لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم
والى صلة لياتوا فان الاتيان والمجئ يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى قليلا
اليه يذقون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشائه
بعد استقصاء وعدة من القبايح المحققة فيهم وللتوفيقة منهم وترديد للمنشائية ليس بنفس ما ولينة الهمزة وام
من الامور المثلثة بل هو منشائيتها له كانه قيل اذلك اى لاعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم

ام لانهم ارتابوا في امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
ثم اضرب عن الكل وابطلت منشائية شئ آخر من شانهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اى ليس ذلك الشئ
مما ذكر اما الاول فلانه لو كان لشئ منها لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما توا اليه عليه السلام عن
كمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينيذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا مع فتهم
بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق
عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقتضي عليهم بالحق فمناط النفي
المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف لمنشائيتها للاعراض فقط مع تحققها في نفسها وفي الثاني
هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشاء صحيح لعروضه في الجملة والمعنى لم ارتابوا بان
رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فحار النفي الى نفس الارتياب ومنشائيته معا
فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل افاكان قول المؤمنين
بالنصب على انه خبر كان وان سمعنا في خبرها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان
الاولى للاسمية ما هو او غل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول
المؤمنين فانه يحتمله كما اذا احتزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى بمقتضى المقام
لما ان معت الفايدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث
واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا
في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو الحق بالخبرية واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية
فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة وتجعل عنوانا
للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اى
الرسول بينهم اى وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اى خصومة
هذا القول المحكى عنهم لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قولهم عند الدعوة خصومتهم قولهم المحكى
عنهم نفيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقها بالبيان مفروغا عنها عنوانا
للموضوع وابرازا مو خلافها في معرض القصد الاصلي بالاخبار وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى ضميره
عما وبالقولة اذا دعوا اى ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم واولئك
اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اى هم الفايزون بكل مطلب والناجون
عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استيناف جئ به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب
من عداهم في الانتظام في سلكهم اى ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية
وقيل في الفرايض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيه
كتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اى ويخش الله على ما مضى من ذنبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك
الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفايزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله
حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكد بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله
الذي هو في حيز النصب على الحال من فاعل اقسموا اى اقسموا بالله تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ
غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اى جاهدين بالغين اقصى مراتب
اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا الى اقسموا اقساما جاهدة في اليمين قال مقاتل من حلف
بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اى بالخروج الى الغزو لاعن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا

يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان لقيت لقيناوان لزمتنا بالجهاد جاهدنا
وقوله تعالى فيخرجن جواب لاقسموا بطريق الكناية فعلهم للاحكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة
امر عليه السلام برد ما حيث قيل قل اى رد اعليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهار العدم القبول لكونهم كاذبين
فيها لاتقسموا اى على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف والجملة
تعليل للنهى اى لاتقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة من القلب
وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب فالمعنى يطيعون طاعة معروفة
خيرا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير مبتدا اوخبر اوفعل مثل الذى يطلب منكم معروفة حقيقية لا
نفاقية او طاعة معروفة امثل اوليكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لايساعده المقام ان الله خبير
بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة
وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة
تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد
لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التى منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقبول
لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقبول فى الاول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله
تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفى الثانى امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف
الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة فى شئ اصلا وقوله
تعالى فان تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة فى ايجاب
الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سنة
المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه فى تفسير قوله
تعالى ولوجيئ بمثله مددا لاسيما اذا كان بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان فى خطابه تعالى
الهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بوساطة عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا
وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لاغاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القبول للامور
بحكاية من جهته تعالى واذا بلغ فى التنكيت تعكيس الامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عم للمأمور به
اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهوره مسارعة عليه السلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر
اى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اى فاعلموا انما عليه عم ما حمل اى امر به من التبليغ
وقد شاهدتموه عند قول اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اى ما امرتم به من الطاعة ولعل
التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كانه قيل وحيث لم تلتفتوا عن ذلك فقد
بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اى فيما امركم به من الطاعة
تهتدوا الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير والنجى عن كل شر وتاخيره من بيان حكم التولى
لما فى تقديم الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول
الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولى وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما
للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا او للعهد اى على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عم الا التبليغ
الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا
مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استيناف مقرر لما فى قوله تعالى
وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من
فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من اثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط

بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اى كائنة كان وفى اى وقت
كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الاية الكريمة بحسب ضرورة عموم الوعد الكريم
للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا
داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى امرها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما اشير اليه و
توسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته فى استتباع الاثار والاحكام والايذان بكون
اول ما يطلب منهم وامم ما يجب عليهم والمأخر عنها فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام من مخلص المؤمنين ولا ريب فى انهم
جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مشاهدون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة تكميلا
هذا ومن جعل الخطاب للنبى عليه السلام وللامة عموما على ان من تبعيضية اوله عليه السلام ولمن معه من
المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد رأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وابعد عما يليق
بشانه عليه السلام بمراحل ليستخلفنهم فى الارض جواب للقسم اما لا اضمارا وتنزيل وعده تعالى منزلة
القسم لتحقق انجازه لا محالة اى ليجعلهم خلفاء متصرفين فيها تتصرف الملوك فى مماليكهم او خلفاء من الذين
لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله
عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة اوهم من قبلهم من الامم المؤمنة الخ اشير اليهم فى قوله تع
لم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات
اى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر
تشبيهى مؤكد للفعل بعد تاكيده بالقسم وما مصدرية اى ليستخلفنهم استخلافا كائنا كما استخلف الذين
من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس للعامل فى الكاف حينئذ الفعل المذكور بل
ما يدل هو عليه من فعل مبنى للمفعول جارية مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم
مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم فى الارض فيستخلفن فيها استخلافا اى استخلافية من قبلهم
وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا
على احد الوجهين اى فنبت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة وهبا ابن مروان لم يدع من
المال الا مسحت او مجلف اى فلم يبق الا مسحت او مجلف وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه
فى سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة ولعظمها لما ان النفوس الى الخطوظ العاجلة
اميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث لا يستمرون
على العمل باحكامه ويرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشئ مكانا لاخر
يقال مكن له فى الارض اى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له فى الارض فنظيره وكلمة فى للايذان بان ما جعل
مقرا له قطعة منها لاكلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانته احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه
على تشبيهه بالارض فى الثبات مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الارض وتقديم صلة التمكين
على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم فى قبوله عند وروده و
لان فى توسيطها بينه وبين وصفه اعنى قوله تعالى الذى ارتضى لهم وفى تاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم
ما لا يخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تاليف قلوبهم ومزيد ترغيب فيه و
فعل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اى من الاعداء امنا
حيث كان اصحاب النبى عليه السلام قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم جاهروا الى المدينة وكانوا يصبحون
فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتى علينا يوم نأمن فيه فقال لهم لا تغبرون الا يسيرا حتى

يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على
جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة
النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة
يعبدونني حال من الموصول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف في بيان المقتضي للاستخلاف
وما انتظم معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي شيئا في
العبادة ومن كفر اي التصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتاثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار
عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستانف زايد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة
والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة
لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التايهون في تيه الغواية و
الضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة و
آتوا الزكوة عطف على مقدر يستدعيه المقام اي فامتثلوا ما امرتم به من خطابه تعالى للمامورين بالطاعة على
طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى فان تطيعوه
تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغايب
الموعودة ووعيده على الكفر بما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا وعملوا
الصالحات واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا
الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعة تعالى
في الحقيقة تاكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب
المرضية ايضا اي واطيعوه في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين
بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرايع اي واطيعوه في سايرما يامركم به الخ وقوله تعالى
لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل لجميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا
ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما يامن حال من اطاعة
واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه السلام
ومال امره في الدنيا والاخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب لما لكل احد
من يصلح له كائنا من كان واما للرسول عليه السلام على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره
بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينبغي عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه و
محل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض
ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز لجميع اجزايها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم
واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما جبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بيا والغيبة على
ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الوصول و
المفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرين انفسهم معجزين في الارض واما
جعل معجزين مفعولا اولا وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب
الفايدة هو المفعول الثاني ولا فايدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في
الارض خليفة وقوله تعالى ومأواهم النار معطوف على جملة النهي تاويلها بجملة خبرية لان المقصود
بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ او على جملة مقدرة
وقعت تعليلا للنهي كانه قيل ولا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ

وقيل

وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ولبئس المصير جواب القسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف
اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها
مأوى ومصيرهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل هرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فتدبر شأن
التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر
والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام الاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد و
الخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب
روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمر الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نايم
وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا
هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد نزلت هذه الآية
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم اي الصبيان القاصرون
عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلايله منكم اي من الاحرار ثلث مرات اي ثلثة
اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات
لمرور المستاذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع و
طرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتداء
محذوف اي احدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها
لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح
بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة
لقلة زمانها كما ينبئ عنه ايراد الحين مضافا الى فعل حادث متنقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة
لكثرة الورود والصدور منظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في
الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة
العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية
المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان كنتم من قبله
من الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما للطرفين في ذلك الوقت
الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتداء محذوف
وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اي كائنة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان
علة وجوب الاستيذان اي حين ثلثة اوقات يخيل فيها الستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل الواقع
فيما يتم حفظه ويعتنى بستره الحقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث
عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في
الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعد حتم اي كل واحدة
من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع
ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف
والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة
على القراءتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل
الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت صفة

ثلثت عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستاذنكم هؤلاء في ثلث عورات للاثم في ترك الاستيذان
بدهن وحيث كان انتفاء الاثم ح عالم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتبين ابرازه في معرض الصفة
بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم ح معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف
لبيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام
وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض
طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد
لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي
مثل ذلك التبيين يبين لكم الايات الدالة على احكام اي ينير لها بينة واضحة الدلالات عليها لا انه تكرير لما بينها
بعد ان لم يكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق ببين
وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام و
ليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر هنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم
احوالكم كلها حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
لما بين فيما مر انفا حكم الاطفال في اذنه لا جناح عليهم في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان
حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كاثر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي
اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستاذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استاذن الذين
من قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قبل لهم لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم
كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان
المعهود بين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع
وانما المعهود والمعروف ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكور جعلكم بان
يستاذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم ايانه
والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الآيات
الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اي العجايز اللاتي قعدن عن الحمل والحيض اللاتي لا يرجون
نكاحا اي يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب وغيره
والفاء وفيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة
ما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة
للاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كلها الا انه خص بكشف المراة زينتها
ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع
بالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه
من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف
يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء خذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان
الاعمى ربما سبقت يده الى ما بسقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج ينفسح في مجلسه فيأخذ اكثر من
موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم
فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم واتباعهم او الى بعض من تحت ايديهم من عبيده وجواريه
الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اصله كأن هو لذلك وكذا

كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم و
دفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير
هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم
اي عليكم وعلى من يمائلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ان تاكلوا اي تاكلوا انتم وهم معكم وتهم الخطاب
للطوائف المذكورة ايضا باباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم
اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيتة لقوله عليه السلام انت
ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان اطيب ما ل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت
امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخواتكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف
فيها باذن ارباها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح
وقرئ مفاتحه او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط
واستر من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضه ان الصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين و
اصرابهما والاهلات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق جمع يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين و
اضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر
لاعتبارهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستانف مسوق
لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان ياكلوا
طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا
وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من
البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته
وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار
لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا لم يأكلوا
طعاما عزلوا الاعمى والاعرج والمريض طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال
من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحي بمعنى امرشت اي متفرق
او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم
شروع في بيان الآداب التي يجب رعايتها عند مباشرة رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة
فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة
لذلك تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صفة للتحية فانها طلب الحيوة التي
هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة مستبعة لزيادة الخير والثواب
ودوامها طيبة يطيب بها نفس المسلم وعن انس رضه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين
الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام الملتحمة وتقييدها لعلكم تعقلون اي ما تقتضيه عقولكم من الشرايع والاحكام
وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل
الآداب بما يوجبها من المزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استيناف جيء به في اثر
الاحكام السابقة تقريرا لها لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها واتى بذكر الايمان بالله
ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبر المبتدا مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله تقريرا لما قبله وتمهيدا لما

بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما فى سلكه بقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع
الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة اى انما الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم
قلوبهم واطاعوهما فى جميع الاحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المؤدة
فى الوضع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر جامع يجب اجتماعهم فى شانه كالجمعة
والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولى الآراء والتجارب ولوصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع لم يذهبوا اى من الجمع مع كون ذلك الامر مما يوجب حضورهم لاخالة كما عند اقامة الجمعة
ولقاء العدو قبل يستوجب التخلف عنه حتى يستاذنوه عليه السلام فى الذهاب لا على ان نفس الاستيذان
غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الاذن المنوط برايه عليه السلام والاقتصار على ذكره لانه الذى يتم من قبلهم و
هو المعتبر فى كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما انه كان كالمصداق لصحته
والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية و
للتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان
المستاذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم فى الاول بان الكاملين فى الايمان هم الجامعون بين الايمان
بهما وبين الاستيذان وفى اولئك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى فاذا استاذنوك بيان لما هو
وظيفة هم فى هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم
بل هو مفوض الى رايه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى بعد ما تحقق ان الكاملين فى الايمان
هم المستاذنون فاذا استاذنك لبعض شانهم اى لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فاذن لمن شئت
منهم لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة
تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ فى مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ فى افاضة
آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة فى ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اى لا تجعلوا دعوته عليه السلام
اياكم فى الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى
حال من الاحوال وامر من الامور التى من جملتها المسامحة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استيذان
فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى
فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله تعالى وتقرير الجملة ح لما قبلها اما من حيث ان استجابة الله تعالى لدعائه
عليه السلام مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام ونواهيه لما فى الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث
انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدى الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام واما ما
قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات
ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبى الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب
المقام فان قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الخ وعيد للمخالفين امره عليه السلام فيما ذكر من قبل
فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان ربت يجئ
للتكثير حسبما بين فى مطلع سورة الحجر اى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا
اى ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن ارادة انه من اتباعه وقرئ
بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اى ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر هو الحال
فى الحقيقة اى يلوذون لواذا والفاء فى قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او
الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اى يخالفون امره بترك مقتضاه و

يذهبون

يذهبون سمتا خلاف سمته وعن امره التضمين معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين
من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير
لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول عليه السلام لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اى محنة فى الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم اى فى الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد
والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يوجب عنه التحذير عن امتثاله
يوجب وجوب الامتثال به حتما الآن ما فى السموات والارض من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا
ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التى من جملتها
الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اى يعلم يوم يرجع المنافقون
الى لعون الامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لابرجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك
وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشئ مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بان علمه
تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين
على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاحوال السيئة التى من جملتها
مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة فى قوله تعالى انما يبغيكم
على انفسكم الآية والله بكل شئ عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء عن النبى ص من قرا
سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وما بقى

تبارك الذى نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامها بقضاء ونسبتها
الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو اللايق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله التى من
جملتها تنزيل القران الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم
والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى
حقيقة من الصيغ كالتنكير ونحوه لا ينسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها على المعنى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض
ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القران المنطوى
على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة ح يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا
فشيئا وايا ما كان يجب حدوثها او حدوث متعلقاتها واستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها
بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره تعالى
ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اى فصل بينهما سمى به القران
لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه ولكونه مفصولا بعضه من بعض فى نفسه
او فى انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه
عليه السلام فى اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى
ليكون غاية للتنزيل اى نزله عليه ليكون هو عليه الصلوة والسلام او الفرقان للعالمين من الثقلين
نذيرا اى منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على
احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان فى معرض الصلة التى
حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم

تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لايكاد يجهله احد كقوله تعالى لاريب فيه الذى له ملك السموات والارض
اى له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان
للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما يقتضيه مشيته المبنية
على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اوعلى نعت للموصول
الاول اوبيان له اوبدل منه وما بينهما ليس باجنبى لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لاريب فيه
لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله تعالى ولئن سألتهم من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره اومدح له تعالى بالرفع
اوبالنصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون فى حق المسيح والملئكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون
وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه فى سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور
بحيث لايكاد يجهله جاهل لاسيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له شريك فى الملك اى ملك السموات والارض
وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكها به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح
ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد فى زعمهم وتوسيط نفى ايجاد الولد بينهما للتنبيه على استقلاله
واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل شئ اى احدث كل موجود من الموجودات احداثا
جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها مواد مخصوصة على
صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الاثار والاحكام فقدره اى هيأه لما اراد به من الخصائص و
الافعال اللائقة به تقديرا بديعا لايقادر قدره ولايبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر و
التدبر فى امور المعاش والمعاد واستنباط الصنايع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر
الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه فى نفس
الامر فالمعنى اوجد كل شئ فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى
لايحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بجعل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده
عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه محل للمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثانى سوق التقدير للبقاء
الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها فى سلك الصلة فان خلقه
تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضى انتظام
كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لايشذ عنها شئ من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم
كونه ولدا سبحانه اوشريكا فى ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر
تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لايليق
بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه وتوبيخهم على الترتيب واظهار بطلان
والاضمار من غير جريان ذكرهم للنكتة بدلالة ما قبله من نفى الشريك عليهم اى اتخذ والانفسهم منجا وزين الله
الذى ذكر بعض شؤنه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه و
خلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة لايخلقون شيئا اى لايقدرون على خلق شئ من الاشياء
اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لايقدرون على ان يخلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يختلقهم
عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ولايملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ملم يدل عليه ما قبله من
عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الفقر وجلب النفع فى الجملة كما يكون
وهؤلاء لا يقدرون على التصرف فى ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا فى نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون
شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم فى نفسه اول مراتب النفع واقدمها و
التنصيص على قوله تعالى ولايملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اى لايقدرون على التصرف فى شئ منها

باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما سواهم من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع
للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الآلهة يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك
وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفى عن الهتهم من الامور المذكورة
مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع فى حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل
والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث
وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاتهم وروى عن الكلبى ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث
والجمع لمشايعة الباقين له فى ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة و
الايذان بان ما نفوهوه كفر عظيم وفى كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اى ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه
افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اى على اختلاقه قوم آخرون يعنون
اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما خبر وبسار كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التورية والانجيل وقيل هو عباس قدر تفصيله فى سورة النحل فقد جاؤا ظلما منصوب بجاؤا
فان جاء واتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته اوتنزع الخافض اى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم
اى جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لايقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لاياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس و
الجن على مبارزته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة
للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لاتناله عقول البشر ولايفى بعشر معشار العقول والقدر
وزورا اى كذبا كبيرا لايبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو برئ منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها لكن لاعلى انهما امران متغايران حقيقة بقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثانى سو
عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور
هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغايرا له فى المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعد ما جعلوا الحق الذى لاجد عنه احكاما مختلفا باعانة البشر بتيقنوا
على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهى ما استطره المتقدمون من
الخرافات اكتتبها اى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام
امى واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل
لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصه وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهى تملى عليه اى تلقى عليه تلك الاساطير
بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليها من ذلك المكتب لكونه اميا لايقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة
اوتملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها وجمع المجرور اليه عليه السلام كاسناد
الكتابة فى ضمن الاكتتاب اليه ع بكرة واصيلا اى دائما اوخفية قبل انتشار الناس وحين يأوون
الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون قل لهم ردا عليهم وتحقيقا
للحق انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية
والخفية للايذان باطوائهم على انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم جنايتهم
المحكية التى هى من جملة معلوماته تعالى اى ليس ذلك مما يقترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاد
الملفقة واساطير الاولين بل سوار سماوى انزله الله الذى لايعزب عن علمه شئ من الاشياء واودع فيه
فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لايحوم حوله الافهام حيث اعجز كم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم
بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لايهتدى اليها ولايوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه

احكاما مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب مما تقولته تعالى انه كان غفورا رحيما
تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اى انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتاخير
تلك لا تجعل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استحقاقها وغاية قدرته تعالى عليها وقالوا ما لهذا الرسول
شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على
الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا التعبير لشانه عليه السلام وتسمية عدم رسولا بطريق الاستهزاء
به عليه السلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم وقوله تعالى ياكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها
ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اى اى شئ واى سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما
نا كل ويمشي في الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى المتعقب فقط مع تحقق المسبب
الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله مالكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم
الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل
والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه حلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب
ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم
لا يستبعدونها ولا ينكرون سببها حقيقة بل هم معترفون بوجودها وتحقق سببها وانما الذي يستبعدونه
الرسالة المنافية لها على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا تعييم و
ركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور
نفسانية بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اى على صورته و
هيأته فيكون معه نذيرا تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون
معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز
تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا
على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة ياكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع
وقرئ نا كل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تعكم وقال الظالمون هم القائلون الاول وانما وضع
المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه
من نسبته عليه السلام الى المسحورية اى قالوا للمؤمنين ان تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب
على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اى بشرا مثلكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم
انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها اى انظر كيف قالوا
في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واختر عوا لك تلك الصفات
والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اى عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشئ يمكن صدوره عن
له ادنى عقل وتميز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون
عليه وان كان باطلا في نفسه او ضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتقاد
استعمال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي اى تكاثر وتزايد خيره الذي
ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تاكل
منها بان يعجل لك ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا والمعنى
لخيرية مما قالوا الان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك قصورا عطف على
محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على لفظه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الرفع
والجزم كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون

استينافا

استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان
بان عدم جعلها بمشيئته للبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما
عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه
في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير منافٍ للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا
مع النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى
توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا اى اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شاهكت بسبب تكذيبهم بها على
ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
ووضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر
ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببيته تكذيبها
لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروا
والحال قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جرأتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها
من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد
بالجنان في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يجل بطائل على طريقة قول من قال عوجوا نعم
يحيوا دمنة الدار ما ذا تحيون من نوى واجاز والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتصرون بهذا
الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الخطوط
الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا الفقر ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى اذا راتهم الخ
صفة للسعير اى اذا كانت معهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اى لا تتقاربان بحيث
تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ
والزفير منها لهيجان غضبها عليهم غضب مربوبيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وقوله تعالى من مكان بعيد اشعار
بان بعدما بينها وبينهم من المسافة حين راتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه
مزيد تهويل للامر وقال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اى صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة
لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك
لزبانيتها فنصب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في
الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة ولزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة و
السرور في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق
الزج على الرمح وسئل النبي عليه السلام عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره
الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا
بسكون الياء مقرنين حال من مفعول القوا اى اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت
ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي ارجلهم
الاصفاد دعوا هنالك اى في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اى يتمنون هلاكا وينادون
يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه
حال من فاعل دعوا اى دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملئكة به لتنبيههم على خلود عذابهم و
انهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من

يقال له ذلك من غير ان يكون قول ولا خطاب اى دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستانف وقع
جوابا عن نسبح عليه الكلام كانه قيل فاذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا عما علقوا به
اطماعهم من الهلاك وتبنيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدى لا خلاص لهم منه اى لا تقتصروا
على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرة فى نفسه فان ما يعم
ثبور واحد فى حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء
آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول
مدته مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن وهذا دال على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده
لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته
او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهى عذابهم
ويخيبهم متغلبا بان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب
الشديد وتقييد النهى والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة
قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من
الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة اى قل لهم
اذلك الذى ذكر من السعير التى اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت اهلها ذيت وذيت خير ام جنة
الخلد التى وعد المتقون اى وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد
بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم فى علم
الله تعالى او فى اللوح او لان ما وعده تعالى كائن لا محالة فكأنه تحقق ووقوعه جزاء على اعمالهم جسيما قمر
من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن اى ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات
وانواع النعيم كما فى قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجة
النعيم ولا يمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوى مراتب اهل
الجنان خالدين حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدإ وقيل من فاعل يشاؤن
كان اى يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعدا المتقون على ربك وعدا مسئولا اى موعودا
حقيقا بان يسال ويطلب لكونه مما تنافس فيه المتنافسون او مسئولا يسأله الناس فى دعائهم بقولهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما فى على
من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالوجود
متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه
والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز اثر ذى اثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم نحشرهم نصب على انه
مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ اى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله
عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير
مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة
عن بيانه اى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق
الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم
العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت شبحا من بعيد تقول ما
هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام على غيرها تبنيها على

انهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملئكة والمسيح وعزير بقرينة
السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل فى شهادة الايدى و
الارجل فيقول اى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون
كما فى عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة ءانتم اضللتم عبادى
هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون
الله ام هم ضلوا السبيل اى عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف
الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم
الضميرين على الفعلين لان المقصود بالسؤال سوق المتعدى للفعل لا نفسه قالوا استيناف مبنى
سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل
لهم لانهم اما ملئكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شئ واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى
وتوحيده فكيف يتاتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ما كان ينبغى لنا اى ما صح وما
استقام لنا ان نتخذ من دونك اى متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية
له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان نتخذ وليا غيرك فضلا ان نتخذنا وليا وان تتخذ من دونك اولياء
اى اتباعا فان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه
اولياء الشيطان اى اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى و
اتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء على ان من للتبعيض اى نتخذ بعض اولياء وهى على الاول
مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم وآباءهم
استدراك مسوق لبيان انهم هم الظالمون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم
حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اى ما اضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بانواع النعم
ليعرفوا حقها ويشكروا فاستغرقوا فى الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر اى غفلوا عن ذكرك
او عن التذكير فى آلائك والتدبر فى آياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية
وكانوا اى فى قضائك المبنى على علمك الازلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من
الاعمال السيئة قوما بورا اى هلكى بور مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد
والجمع او جمع بائر كعوذ فى جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم
حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى
العبدة مبالغة فى تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اى فقال الله تعالى عند ذلك كذبكم المعبودون
ايها الكفرة بما تقولون اى فى قولكم انهم آلهة وقيل فى قولكم هؤلاء اضلونا وقيل بما ان تكذيبهم فى هذا
القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذى يستتبعه تكذيبهم فى دعوى
انهم آلهتهم وناصروهم وايا ما كان فالباء بمعنى فى او هى صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال
من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك الآية فما تستطيعون اى ما تملكون
صرفا اى دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل
حيلة من قولهم انه يتصرف فى اموره اى يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اى فردا من افراد النصر لا من جهة
انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء للترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه
لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم
وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اى ما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب

او بجنا لوالكم ولاان ينصركم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها لما مر ومن يظلم منكم ايها المكلفون كذا
هؤلاء وحيث ركبوا من المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد ونجا وزوافي للجاج كل حد مقتا
نذقه في الاخرة عذابا كبيرا لايقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل
لمصدر الفعل الواقع شرطا ويعم الظلم لايستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط
في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاجتناب اجماعا وبالعفو عندنا وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم مالهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الاصفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور
عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا
آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى
يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب
والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعد وا بعضا منهم بما
في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اى ابتلاء ومحنة لمجموع
البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا
على معنى جعلنا بعضا منهما من الاولين فتنة لبعض منهم من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو
مجموع غير مفتونين بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم من الاولين ببعض منهم من
الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل
امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها واتمام يصح بذلك تعويلا على شهادة
الحال فانا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم
ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى اتصبرون فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس
ابتلاء كل احد من آحاد الناس شيئا بالقبيل بايناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لمعاده
له مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لاغير فلابد ان يكون المراد بهم الرسل
فيحصل به تسلية عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين باممهم وبمنا صبتهم لهم
العداوة وايذائهم وانا ويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك
بصيرا وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات
الى اسم الرب مضافا الى ضميره عليه السلام وقال الذين لايرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض آخر من
انا ويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما
لهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم في الشناعة بحيث
لايصدر عن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشئ عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من
ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والنشور ولقاء حسابه تعالى كما في
قوله تعالى انى ظننت انى ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب
بالكلية لاعدم العلم بحسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمها غير مستلزم لما هم عليه من العتو
والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اى وقال الذين لايتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدى
الى سوء العذاب الذى يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملئكة اى هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق
محمد عليه السلام وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وسوالاتب لقولهم او نرى ربنا من حيث ان
كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو جميا يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في

انفسهم اى في شانها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اى تجاوزوا الحد في الظلم
والطغيان عتوا كبيرا بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك
كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح
كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لايكاد تنوالها احراق الامم ولا يمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا
اولوا العزائم الماضية عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف اى والله لقد استكبروا والآية وفيه من
الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لايخفى يوم يرون الملئكة
استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملئكة عليهم السلام بعد استعظامه و
بيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل ايذانا من اول الامر
بان رؤيتهم لهم ليس على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية
بما يدل عليه قوله تعالى لابشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لايبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس
للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان
فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها ويفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث
كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لايحب الكافرين كناية عن البغض
والمقت دل على ثبوت النذرين لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا
غير نافية للجنس وقيل هو منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اى اذكر يوم يرون الملئكة ويومئذ على
كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى
على ذلك الوقت فقط فان ذلك محل بقطيع حالهم والمجرمين يتبين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم
بالاجرام معاما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان
الكلي الى ان نفي البشرى حح لايستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت اخر
بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فضاعة ما يحيق بهم من
الشر وغاية هول مطلعه بيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء
عدو مو توتر وجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث لايطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه
فلا يحقق فكان المعنى نسال الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا او كسر الحاء تعرف فيه لاختصاصه بموضع
واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملئكة عليهم السلام وهم اذا رأوهم
كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع و
حلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل ليل وقيل يقولها الملئكة
اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اى جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس
بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الصلة من طلبة رجم
واغاثة ملهوف وقرئ ضيف ومتى على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي كانوا عملوها مع الايمان
لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى
اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فاتى عليهم بالافساد والتخريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا
ولا اثرا اى عمدنا اليها وابطلنا ما اى اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شئ يقصد تشبيهه
به والهباء شبه غباري في شعاع الشمس كطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفة شبه به اعمالهم
المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لايمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث
انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ المؤمنون المشار اليهم في قوله

تعالى قل ذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الخ يومئذ اي يوم اذ يكون من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا
وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقر المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجانس والتعادل
واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤدي للاستراحة الى الازواج والتمتع بمعازفهن يستمتع بذلك الآن التمتع به
يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين
والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما انما الارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن
المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتمتعين في الدنيا او الى ما لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى
قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم الحبيب
يتجيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التائين كما في
تتلظى وقرئ بادغام التاء في الشين بالغمام اي بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا
لبني اسرائيل ونزل الملئكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود وقيل تنشق سماء سماء وينزل الملئكة خلال ذلك
الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملئكة ونتزل ونتنزل من الانزال والتنزيل ونزل الملئكة
ونزل الملئكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نتزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة
القاهرة والاستيلاء الحقي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا وابت
للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ او فائدة
التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا
تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين
او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما
ذكر دايا ما كان فالجملة بمعنا تا عاملة في الظرف اي يتفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف
منصوب باذكر فالجملة استينافية مسوقة لبيان احواله واهواله وابراده تعالى بعنوان الرحمانية
لا يذان بان اتصافه بغاية الرحمة لا يحوج الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا
ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون
الملك فيه لله البالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة
الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن
حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض
الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرج الاسنان ونحو ذا كنايات من الغيظ والحسرة
لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام
فدعاه عليه السلام يوما الى ضيافته فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت
منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا
في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القيك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر
يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد
في المبارزة فرجع الى مكة تمات وانما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول
الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني الخ محكي به ويا امالمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين

المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطة
وسوء طريق الحق ولم يتشعب بي طريق الضلالة او وصلت في صحبته عليه السلام طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي
قط يا ويلتى بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل يا ويلتى اي هلكتي وتحسري
فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان المضمر كناية
عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم مذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل
من المذكور وفلة عن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة
كما في قوله في لجة امسك فلانا من فل وقوله خذ احد اثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا
للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابي
وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وبهذا التعميم منه
وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جناية الى الغير وقوله تعالى
لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتقديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه وانطماز مته
وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة الرسول عليه السلام او كلمة
الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان
حيث يواليه حتى يؤديه الى المهالك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام
كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال مواخذا صلاح الاوصاف الشيطانية او على انه اراد به
بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالفة المصلحين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته واغوائه
لكن وصفه بالخذلان لان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الآخرة وهو اوفق لحال ابليس
وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما
قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق
الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته هم اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما
شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكى عنهم
ما يحكى من الشنايع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من
فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم
يتأثروا بوعيده وفيه تسلية بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم
فانه روي عنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب
العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم
الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز ان يكون
المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى قال الانبياء
اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا او قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما
جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين
هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا و
نصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك وموصلك الى الكمال
هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا
الى يوم القيمة ونصير الك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم

بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار
بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى لك اهل الكتاب ان
تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اى هلا انزل كله جملة واحدة
كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة للحقاد مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل
كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة صحته واية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر
الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان مايدور عليه
فلك الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغايرها وتجددها تغايرها بطابقها حتما على ان فيه
فوايد جمة وقد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من جهته تعالى
لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر
معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اى مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قد حوا فيه واقترحوا
خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني
وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة
باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد
من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجدد ما تجدد ما يتعلق بها
كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة في هذا
الاقتراح كالبحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن
المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك
المضمر وتكرير ترتيلا للتفخيم اى كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية
بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي
فصلناه تفصيلا وقال المجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن
ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على تؤده و
تمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم الفضيحة الخارجة عن دايرة العقول
الجارية لذلك مجرى الامثال اى لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق
القرآن الا جئناك في مقابلته بالحق اى بالجواب الحق الثابت الذي يجلي عليه بالابطال ويجسم مادة
القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسوئتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى
واحسن تفسيرا عطف على الحق اى جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق اى آتيناك الحق واحسن
تفسيرا اى بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به لذلك حسن في
الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اى لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا
اياك لا مجيدا عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا
بعبارة ناطقة ببطلان جميع الاسولة وبصحة جميع الاجوبة وبايشارة مبنية عن بطلان السؤال الاخير
وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج مما لا مكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت
فؤاده عليه السلام من تلك الجهة هذا وقد يجوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون
كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة و
نزول القرآن عليه وتنزيل القرآن جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحال عجيبة يقترحون اتصافك
بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا و

مشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا مما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات و
الصفات وياباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به
من الاباطيل وافعالها ولا ريب في ان ما اتاه الله تعالى من الملكات السنية اللايقة بالرسالة قد اتاه
من اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اى يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم على قفاهم وارجلهم الى فوق وهي
عنه عليه السلام يحشر الناس يوم على ثلثة اثلاث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم يسيلون
نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات منوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم لينبغي بحيث
يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة وعلى الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع
على الابتداء وقوله اولئك بدل منه او بيان له وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبره او اسم الاشارة مبتدأ
ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه
الرسول عليه الصلوة والسلام على منهاج قوله تعالى اؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و
غضب عليه كانه قيل ان حالهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه السلام بتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا ولقد اتينا موسى الكتاب جملة مستانفة لتاكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله
تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية
كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اى وبالله لقد اتينا موسى التوراة اى انزلنا عليه الاخ
وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او
عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر تمام معنى الوزير في جعلنا
في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والآيات
هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم بها عند ارسالها اليهم بهذا
الوصف ضرورة تاخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتاخر عن ذواتها المتاخرة عن الامر بالارسال انما وصفوا بذلك
عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم للهلاك بعد من التدمير اى فذهبا اليهم
فاريا هم آياتنا كلها فكذبوا بها كذبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر دمارا عجيبا هائلا لا
يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على
معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فايدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع و
انقضى والتعرض في مطلع القصة لاباء الكتاب مع كونه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم
كما يرا لايات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني
اسرايل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية
على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمرتاهم وفدمراهم وفدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب
بمضمر دل عليه قوله تعالى فدمرناهم اى ودمرنا هم قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة
ترتب تدميرهم على قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل
اى نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل
هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان
واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانها حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه
محل عطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى

اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اى جعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية اى اية عظيمة
يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهى مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله او متعلق بمحذوف وقع حالا
من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اى لهم والاظهار فى موقع الاضمار للايذان
بتجاوزهم الحد فى الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الاخرة اذ لا فائدة فى الاخبار باعتاد العذاب الذى
قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل فى زمرتهم
قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوى والاخروى وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول
الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو فى معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما
بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحى او على انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون
الاصنام بعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فيبنما هم حول الرس لم تطو بعد اذ انهارت تحتهم
بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه وقيل هو الاخدود
وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى عليه السلام ابتلاهم الله
تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكان تكن جبلهم الذى يقال له فتخ
او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فدسوه اى دسوه فى بئر
وقرونا اى اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين اى بين ذلك
المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك وبحسب الحاسب اعدادا
متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك للمحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير
ولعل الاكتفاء فى شؤن تلك القرون بهذا البيان الاجمالى لما ان كل قرن منها لم يكن فى الشهرة وغرابة القصة
بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمقدر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل فى معنى التذكير والتحذير و
المحذوف الذى عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التى لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكى
عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لاعدم التاثر من الامثال المضروبة اى ذكرنا واندرنا كلا
واحدا من المذكورين ضربنا له الامثال اى بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصى
بواسطة الرسل تبارا وكلا اى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا مما لا يكاد يتصور
لم يتاثروا بذلك ولم يرفعوا به رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال
الزجاج كل شئ كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد رتعت حمقة مستانفة مسوقة
لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتخاذهم بها وتقدير ما بالقسم لمزيد تقرير مضمونها
اى وبالله لقد اتى قريش فى متاجرتهم الى الشام على القرية التى امطرت اى اهلكت بالحجارة وهى قرى
قوم لوط وكانت خمس قرى ماتت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقى فاهلكها
الله تعالى بالحجارة وهى المرادة بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد
كما قيل فى انبته الله نباتا حسنا اى امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء
افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة للانكار نفى استمرار رؤيتهم لها و
تقرير استمرار ما حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا الانكار استمرار نفى رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها
فى الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اى الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او اكانوا
ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها من آثار العذاب فالمنكر
فى الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفى الثانى عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى

بل كانوا لا يرجون نشورا اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان
لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم للعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح
بانكارهم ذلك بذكر ما يلزمه من انكارهم للجزاء الاخروى الذى هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك
بعدم رجاء النشور اى عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروى ولا يرون نفوس
من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوى
فى حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصى حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار
الهلاك وانما يجاهرونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم
توقع النشور واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اى ما يتخذونك الا هزوا به على معنى قصر معاملتهم معه
على اتخاذهم اياه عليه السلام هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا وانما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما
يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى من سورة الانعام وقوله تعالى
اهذا الذى بعث الله رسولا محكى بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اى يستهزؤن بك قائلين اهذا
الذى الخ والاشارة للاستحقار واظهار ابعث الله رسولا فى موضع التسليم بجعله صلة للموصول الذى هو صفته
عليه السلام مع كونهم فى غاية التكبر لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا
او اهذا الذى يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اى انه كاد ليضلنا
عن آلهتنا اى ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا لا عن عبادتها فقط والعدول الى الفضلال للغاية
ضلالهم باعتاد ان عبادتها طريق سوى لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى
امثال هذا الكلام تجرى مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه فى قوله تعالى ولقد همت به لهم بها
اعتراف منهم بانه عليه السلام قد بلغ من الاجتهاد فى الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات
الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابى جهل وسوف يعلمون
جواب من جهته تعالى للاخر كلاهما ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه السلام الى الضلال فى ضمن الاضلال اى سوف
يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذى يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه مالا
يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم اراءت من اتخذ آلهة هواه تعجيب لرسول الله ع م
من شناعة حالهم بعد حكاية قبايحهم من الاقوال والافعال وبيان مالهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك
من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه وآلهة مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذى
يدور عليه امر التعجيب ومن نوهم انها على الترتيب بناء على تساويها فى التعريف فقد ذل عنه ان المفعول الثانى
هذا الباب هو الملتبس بالحالة الحادثة اى ارايت من جعل هواه آلهة لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه
معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير تاركا لتلك معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى افانت تكون عليه
وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا
او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل بعد ما شاهدت غلوه فى طاعة الهوى
وعتوه عن اتباع الهدى تقصره على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه
جدّه عليه السلام فى الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يقع كالاول على انه لا ينبغى ان يقع
اى بل تحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما فى تضاعيفها من المواعظ
الزاجرة عن القبايح الداعية الى المحاسن فتعتنى شانهم وتطمع فى ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار
معناها كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى

ام هم الا كالانعام الجملة مستانفة مسوقة لتقرير التنكير وتاكيده وجسم مادة الحسبان بالمرة اى هم
فى عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات
الا كالبهايم التى هى مثل فى الغفلة وعدم فى الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لما انها تنقاد لصاحبها
الذى يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى
لمراعيها ومشاربها وناوى الى معاطبها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا لفهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذى هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون
العقاب الذى هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو الشرع المبنى والمورد العذب الروى
ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا للاكتساب الجازم لم تعتقد باطلا مستوجبا للاقتراف الشرير بخلاف هؤلاء
حيث تعتقد اقواعد الباطل وتفرعوا عليها احكام الشرور لان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها
لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد ومد الناس عن سنن السداد و
هيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت
هى له فلا تقصير من قبلها فى طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية
التى فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل
التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عم ولا يذان بان ما يعقبه من اثار
ربوبيته تعالى ورحمته تعالى اى الم تنظر الى بديع صنعه تعالى كيف مد الظل اى كيف انشاء ظلا اى
مظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا الى ان تعامده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف
النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه اياه سياق النظم
الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة
الخالصة يتنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فى قوله تعالى وظل
ممدود فغير سديد اذ لا ريب فى ان المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه
فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها فى موضع يحول بينه وبين الشمس جرم
كثيف مخالفة لما فى جوانبه من مواقع ضوء الشمس وما ذكروان كان فى الحقيقة ظلا للافئ الشرقى لكنهم لا
يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عليهم
لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عليه السلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنايع بل مطمح انظاره
معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه
من اول على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشية والقدرة ومفعول
المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اى ولو شاء
سكونه لجعله ساكنا اى ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابلة الذى
هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل وبين الشمس يرى رأى العين حركة وانتقالا وحاصله
ان لا يعتريه اختلاف حال بان لا ينسخ الشمس بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فذاره المعقول
مما سبق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور
الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتاثير بالكلية وقصرها على
مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس فى مقام واحد
على انها اعظم من ابقاء الظل على حالة فى الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه لكونه من

فروعها ومستتبعاتها فهى اولى واحق بالايراد فى معرض البيان وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا عطف على مد داخل فى حكمه اى جعلنا لها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير
ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما
فى الجعل المذكور العارى عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد للمنبئ عن السببية
من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو الترخ ايراد كلمة التراخى وقوله تعالى ثم قبضناه
عطف على مد داخل فى حكمه وثم للتراخى الزمانى لما ان فى بيان كون القبض والمد مرتبين دائرين على
قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخى الرتبى اى انزلناه بعد
ما انشأناه ممتدا ومحوناه بحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون
له تاثير فى ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جميع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد
الذى هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز
وجل قبضا يسيرا اى على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح
المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حال بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة
ظلها على الارض لعدم النير وذلك مدة بقائه اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق
الشمس وجعلها على ذلك الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد
وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها
وصفه بالسير على طريقة قوله تعالى حشر علينا يسيرا وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع
وهو الذى جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدايع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته
ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل
وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفى تعقيب بيان احوال الظل ببيان
احكام الليل الذى هو الظل من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اى هو الذى جعل لكم الليل كاللباس يستركم ظلامه
كما يستركم اللباس والنوم سباتا اى وجعل النوم الذى يقع فى الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحالة
اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت للمشابهة التامة فى انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى و
هو الذى يتوفاكم وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وجعل النهار نشورا اى
زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث
على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بنى
كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو الذى ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس بشرا
تخفيف بشر جمع بشور اى مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اى ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف
وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى بين يدى رحمته استعارة بديعة اى قدام المطر و
الالتفات الى نون العظمة فى حوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة
ما ذكر من ارسال الرياح اى انزلنا بعظمتنا بمارتبنا من ارسال الرياح من جهة الغرق ماء بليغا فى الطهارة وما
قيل انما يكون طاهرا فى نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من
ماء ليطهركم به فان الطهور فى الاوزان اما صفة كما تقول ماء طهور او اسم كما فى قوله عليه السلام التراب طهور
المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوء احسنا ومنه قوله عليه السلام
لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور

احياء وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يظهر وما فيه طهورا حتى بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا بانبات النبات والشجر لان البلدة بمعنى البلد و لانه غير جار على الفعل كما يراد بنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمنافع او الآبار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحياض ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقي السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الآيات الكريمة كما سيوافيك للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ لنسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقا جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم ولقد صرفنا اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي سوذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيامه وقيل الضمير للمطر ونصرفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وجنادبة ووقتا رحمة والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها والاجحود بها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لابرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا بعثنا في كل قرية نذيرا بنبي ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ وذلك فلم نفعل بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك و تعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة و اظهار الحق والتشدد معهم كما نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه علم كان يود ان يداخلوا في الاسلام ويجتهد واني ذلك تاليفا لهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع الزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة. جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة و انت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه ثناية للجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم باذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاينة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذيرا كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة يعتد بنفسه وانما اللائق بالمقام سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين مثلا صقعين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف الملح كبد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا ونحو فامغر ظاكان كلا من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا او ذلك

كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم و بالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثرا القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به لطينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال و الهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمة قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينتسب اليهم وذوات مهرا اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذي شانه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كلما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هتنا مهينا لاعتداده به عنده تعالى من قولهم به اذا بذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي هي محنة الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصوره ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شانهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان متلبسا عليه بنعوت الكمال طالبا للمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شئ منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي ووصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل للتقرير وجوب التوكل عليه تعالى او تاكيده فان من انشاء هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتقديرين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة و غايات جميلة لا يقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلها سورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتداء في النصب والرفع وما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتداء والرحمن خبره بدل من المستكن في استوى فاسال به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السوال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون

المسؤل امر اخطر اهتماما شانه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل من السداد ان شئت تحقيق ما ذكر فاسأل متيقنا به خبيرا عظيم الشان محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر فاسأل به من وحده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يراد فيه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتداء وما بعده خبره وقوى فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى اولا نهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اى للذى تأمرنا بسجوده اولامرك ايانا من غير ان تعرف ان المسجود ما هذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بياء الغيبة على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذى جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر ثبت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من البرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب السيارة وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اى ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم حذف واجرى حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في حسان رزة بزدى يصفق بالرجل السلسل اى ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه اوبان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة التي خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اى يتذكر الآء الله عز وجل ويتفكر في بدايع صنعه فيعلم انه لابد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد او اراد شكورا اى ان يشكر الله تعالى على ما فيها من النعم وليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما اذاركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستانف مسوق لبيان اوصاف خلص عباده الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال المنافرين عن عبادته والسجود والاضافة للتشريف وهو مبتداء خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة والاول هو الاولى لما فيه من اثبات الاوصاف المذكورة لهم قصدا والاشعار ليكون من عداهم الموفين بها خارجين عن رتبة العبودية وفيه من المبالغة في الحث على الاتصاف بها ما لا يخفى وقرئ عباد الرحمن اى عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اى يمشون هينين ليتني الجانب من غير قطاطة او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اى السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خيرا بيننا وبينكم ولا شرا وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابن العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيانا لحالهم في معاملتهم مع ربهم اى يكونون ساجدين لربهم وقائمين اى يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اى في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اى شرا دايما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق

واجتهادهم

واجتهادهم في عبادة الحق يجانبون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعاءهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا كالاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبر الها قيل ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد حال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والاقتار منع الواجبات والقوام وقرئ بكسر القاف مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك اى بين ما ذكر من الاسراف والاقتار قواما وسطا وعدلا يستقيم به الامر كما يستقيم به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافة الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشئ عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والاقتار لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهوره ايانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اى لا يعبدون معه تعالى الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم الا بالحق اى لا يقتلون بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المنزل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اى الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اى ما ذكر كما هو داب الكفرة المذكورين يلق في الاخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اى يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ ايا ما شاذ يبدل يوم يقال يوم للبوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ويضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه اى في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا مستقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء وعلى الالتفات المبني عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرة للاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد باعتبار لفظه في الافعال الثلثة اى اولئك الموصوفون بالتوبة والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم او يبدل ملكة المعصية وداعيها في النفس بملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقهم لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين

وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب
اى عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل
في الطاعات فانه يفعل يتوب الى الله اى يرجع اليه تعالى متابا اى متابا عظيم الشان مرضيا
عنده تعالى حيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم
او فانه يرجع اليه تعالى اولى ثواب مرجعا حسنا وهذا تهم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا
يقيمون الشهادة الكاذبة ولا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا
على طريق الاتفاق باللغو اى ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها
صما وعميانا اى اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد
تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب
لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا سعد
اهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم في مناهج
الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وذرياتنا
وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا رب في قلتها نظرا الى غيرها
واجعلنا للمتقين اماما اى اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل
وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اولان المراد واجعل كل واحد منا
اماما اولانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا
الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد
واتفاقهم على كلمة واحدة واما على كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بتاب حينئذ
بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلنا للمتقين اماما فلا انه
حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا واني اما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين
بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول
للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق
بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل
الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في
المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به
وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستانفة لاعلى انها
من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة
الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اى يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع
كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي اسم من اسماء الجنة بما صبروا اى بصبرهم على المشاق
من محض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما
اى يحييهم الملئكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة عن الآفات او يعطون البقية والتخليد مع السلامة

من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون
حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عودوهم فانهم
ولولا لم يعتدوا بهم اصلا اى قل لهم كافة مشافعا لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لو لا
دعاؤكم اى اى عباء ويعبأ بكم واى اعتداد يعتد بكم لولا اعباؤكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له
الانسان معرفة تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اى وزن يكون لكم
عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه
آلهة ويجوز ان يكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان
لحال المؤمنين منهم اى فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة وكم تعلموا حالكما ولكيف المذكورين و
قيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ كذب الكافرون منكم لعموم الخطاب
للفريقين وفائدة الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الآخر مع اتحاد الجنسي المصحح للاشتراك
في الغوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما اى يكون جزاء التكذيب اواثره لازما يلحق
بكم لا محالة حتى يلتكم في النار كما يوجب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر
للايذان بغاية ظهوره وتهويله وللتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد
رح سوا القتل يوم بدر وانه لوازم بين القتل وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير حساب

طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق
التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما علية
اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة
يونس عم او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وتلك في قوله تعالى تلك ايات الكتاب
المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه
هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه
مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ ثانيا او بدلا من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين
الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل
والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به
الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اى قاتل واصل البخع ان يبلغ البخاع وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اى اشفق على
نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اى لعدم ايمانهم بذلك
الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشأ الخ استينافي مسوق لتعليل ما يفهم
من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه
للطمع فيه والتأسف من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى ننزل
عليهم من السماء آية اى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا

من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اى منقادين واصله فظلوا لها خاشعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موطن الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم فى الصيغة ايضا كما فى قوله تعالى رايتهم لى ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اى فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تع فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعا وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الاكانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الاية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيا تيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جناية عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما ياتيهم بموجب رحمته تعالى المحض منفعتهم اشنع واقبح اى ما ياتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم وتنبههم عن الغفلة اثم تنبيه كانها نفس الذكر من جهة تعلقها بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول ياتيهم باضمار قد اوبدونه على الخلاف المشهور اى ما ياتيهم من ذكر فى حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اى كذبوا بالذكر الذى ياتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى جعلوه اساطير واخرى شعرا والفاء فى قوله تعا فسيا تيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسيا تيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزؤن عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان باتحادهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع فى قوله تعا وما ياتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك تفخيما لشانها بالقرآن الكريم واما الانباء بما هددوا به فانما يقع على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال التى فيه عند سماع الانباء وفيه تهويل له لان النباء لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اى فسيا تيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا فى احواله و يقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى افعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على اضدادها والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استيناف مبين لما فى الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اى صنف تمييز والكريم من كل شئ مرضية ومحموده اى كثيرا من كل صنف مرضى لما فيه من المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون اعداده من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا وجعل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان فى ذلك اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان من معه منزلته فى الفضل لاية اى آية عظيمة دالة على كمال قدرته منبئة وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اى اكثر قومه عليه السلام مؤمنين قبيل اى فى علم الله تعا

وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذى عليه يدور امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى والمانعة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفى على عمرة العلماء والمتقنين كانه قيل ان فى ذلك لاية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهماكهم فى الغى والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظايم الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض لوصفى الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما ياتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عم اى واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم على اثر ذلك باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك لا يؤمنون بما ياتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم عليه بعد سماع الوحى الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر تحقيقه مرارا ان ائت بمعنى ايت على ان مفسرة بان ايت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين اى بالكفر والمعاصى واستعباد بنى اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلعا ورد فى خبر النداء وانما سوما فصل فى سورة طه من قوله تعالى انى انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايرادا جرى فى قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه فى اوائل سورة الاعراف عند قوله قال انظرنى قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جئ به للايذان بانهم علم فى الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل فى الحكم الا يتقون استيناف جئ به اثر رسالة عم اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم فى الظلم وافراطهم فى العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا نواحى غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدا واسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن يدبر ويتامل وقرئ بكسر النون الكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الايانا س التقوين نحو الايا اسجدوا قال استيناف مبنى على سؤال نشاء من حكاية ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عم فقيل قال منتصرا الى الله عز وجل رب انى اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى معطوفان على اخاف فارسل اى جبريل عليه السلام الى هرون ليكون معى و اتعاضده فى تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاءه بذلك على الامور الثلثة خوف التكذيب و ضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عم من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا يخل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف فى تلقى الامر وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان

من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب اى تبعية ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسمى باسمه
والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع
فاخاف اى ان اتيتهم وحدى ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا او انما
هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين
الدفع المفهوم من الرفع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على
مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله بآياتنا رمز الى
انها تدفع ما يخافه وح قوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال
الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بحضرة من فرعون اعتبر ههنا في المعية
وقيل اجرى الجماعة وياباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اى سامعون بما يجري بينكما وبينه فتظهر كما عليه
مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه وينظهرهم على اعدائهم مبالغة
في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالمسموعات والاصوات
وهو خبر ان او خبره وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب
العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه
الوصول الى المأتي لا مجرد التوجيه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لانحاد
مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال
المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اى فرعون
لموسى عليه السلام بعد ما اتياه وقالا له ما امر به روى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى
قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فاديا اليه الرسالة
فعرف موسى ثم فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اى طفلا عبر عنه بذلك لقرب
لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام
به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي
وهو ابن اثنتي عشرة سنة وقرنهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي
بعد ما عدد عليه نعمة من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ونجيه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه
وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين اى بنعمتي حيث عمدت الى قتل
رجل من خواصي وانت ح ممن نكفرهم الآن وقد افترى عليه دم او جهل امره دم حيث يعايشهم بالتقية والا فالذي
هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة ح حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه
من الكافرين بآلهيته او من يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين
لمثلها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال فعلتها اذا وانا من الضالين اى من الجاهلين وقد قرئ كذلك لامن الكافرين
نسب اليه من الكفر فعلتها اذن وانا من الضالين اى من الجاهلين وقد قرئ كذلك لامن الكافرين
كما زعمت افتراء اى من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه
او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت
منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتواخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب
لي ربي حكما اى حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا ولا بذلك ما وبخه به قد حاني بنوته ثم كر عليه
ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في
الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اى تلك التربية تمن بها علي ظاهرا

وهي في

وهي في الحقيقة تعبدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانا السبب في وقوعي عندك وحصولي
في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان
عبدت الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك
اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها وللمنع تقييدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي و
توجيه الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون
لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد في امره وعدم تاثره مما قدمه من الابراق والارعاد
شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدا وبالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين
حكاية لما وقع في عبارة عليه السلام اى اى شئ رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون
للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده
عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما تعيين
ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بجعل العالمين
على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اى ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان
كنتم موقنين بشئ من الاشياء فهذا اولا بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اى فرعون عند
سماع جوابه عليه السلام خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن
عباس رض وكانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون مرائيا لهم ان ما سمعوه
من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر محقق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله
فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه بوجه بربوبية نفسه قال عليه السلام
تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابقين ربكم ورب اباءكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية
الى مرتبة المربوبية قال اى فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غافلا ذلك وخاف من تاثر قومه منه
فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء
بحرفي التاكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وتسماه رسولا
بطريق الاستهزاء واضافة الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما قاله عليه السلام لجوابه الاول وتفسيره له وتبيينها على جهلهم وعدم فهمهم لمغزى مقالته فان بيان ربوبيته
تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للمخاطبين وما بينهما لكن لما لم
يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة
واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب
مبنيا عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يتربت عليه هذه الاوضاع
الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التي ربما
يتوهم جهلة المنوهين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اى ان كنتم
تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر
بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل عن دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه
عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة
وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجاري في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقالة
بالاضافة ونحا بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم

وعدم التعرض لرحتى كلفه عليه السلام ان يتخذه المحالغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا تعجيب
فى ان تعجيبه من الجواب الاول ونسبته الى الجنون فى الجواب الثانى كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غير
واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجيبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله
فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقالة واللام فى المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت
احوالهم فى سجونى كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجنك قال اولو جئتك بشئ
مبين اى اتفعل ذلك ولو جئتك بشئ مبين اى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين
الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشئ للتهويل
قالوا الواو فى اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اى جائيا بشئ مبين وقد سلف منا
مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلتفت لما قيل
فى حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الاعند القصد الى بيان الاعراب على القواعد
الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعد ما منه واشد ما منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الناظمة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعدد ما لينظم ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان
جواد يعطى ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بما بعد ما
منه ليظهر تحققه معه مما عداه من الاحوال التى لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة
للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كما نك قلت فلان جواد يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطى حال
كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال فى الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال و
تصدير المجئ بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده فى نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى افعل
بى ذلك حال عدم مجئى بشئ مبين وحال مجيئى به قال فأت به ان كنت من الصادقين اى فبما يدل عليه
كلامك من انك تاتى بشئ مبين موضح لصدق دعواك او فى دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر ثعبانيته لا انه شئ يشبهه واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال فى سورة الاعراف وسورة طه ونزع
يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين قيل لما راى فرعون الآية الاولى قال هل لك غير ما فاخرج
يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها فى ابطك ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشى الابصار و
فائق فى فن السحر يريد ان يخرجكم بما صنع من ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة وحيره
حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتثال بامرهم او الى
مقام موامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا فى الراى والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه
على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخرهما
وقيل احبسهما وابعث فى المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة يا تونك اى الحاشرون بكل
سحار عليم فائق فى فن التيح وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى ثم
بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء
لهم فى الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم فى دينهم

ان كانوا هم الغالبين لموسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا
موسى عم لكنهم سافوا كلامهم مساق الكناية طلبا لهم على الاهتمام والجد فى المغالبة فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون ائن لنا لاجرا اى لاجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لموسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك
وانكم مع ذلك اذن لمن المقربين عندى قيل قال لهم تكونون اول من يدخل على وآخر من يخرج عنى و
قرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى اى بعد ما قال له السحرة اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى
القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار
الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
قالوا ذلك لفرط اعتقادهم فى انفسهم وايمانهم بما قصب ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا
هى تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف ما يأفكون اى ما يقلبونه من
وجهه وصورة بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم نسبة للمأفوك مبالغة
فالقى السحرة ساجدين اى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كان ملقيا القاهم لعلمهم
بان ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهى قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان فضارى
ما ينتهى اليه هم السحرة سوالتمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل اشتمال من
القى او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة
فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك ولا شعار بان الموجب لايمانهم بعد ما اجراه على ايديهم المعجزة
القاهرة قال اى فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اى بغير ان آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذى علمكم السحر فتواطاتم على ما فعلتم
او علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا على بصيرة
وظهور حق وقرئ آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اى وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم قالوا اى السحرة لا ضير فيه
علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اى لا ضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل
لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل
انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اى لان كنا اول المؤمنين اى من اتباع فرعون او من اهل المشهد
تعليل لان لنفى الضير اى لا ضير علينا فى ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل لآمره كقول العامل المستاجر
اخراجرته ان كنت عملت لك فوفنى حقى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وذلك بعد بضع سنين
اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل فى سورة
الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف
من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء ان يتبعكم فرعون وجنوده
مصبحين فاسر من معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم
فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم فى المدائن حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريدون
اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روى انه
ارسل فى اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون وجمع عظيم وكانت مقدمته
سبعمائة الف رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما خرج فرعون فى الف الف

اى كانوا

حصان سوى الاناث واتهم لنا لغافلون اى فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وغلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وخن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرته فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون كما قرئ حادرون بالدال المهملة اى اقوياء واشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهى لاخرجنا اى مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اى من مقام كريم كائن كذلك والجملة خبر لمبتداء محذوف اى الامر كذلك واورثناها بنى اسرائيل اى ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج ابرابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اى فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ ترأت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرف التاكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتجزمها وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع قفينى اى لمتابعون فى الهلاك على يديهم قالا كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معى ربى بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روى ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ماكان وروى ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدى موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فيصيحة اى فضرب فانفلق فصار اثنى عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرقة حاصل بالانفلاق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب منها وازلفنا اى قربنا ثمة الآخرين اى فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم بداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيأة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك اى فى جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما نفعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية فى قوله تعالى لآية اى آية آية وآية عظيمة لا يكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شان النبى عليه السلام بشان موسى وحال انفسهم بحال اولئك الهالكين ويجتنبوا تعاطى ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بالئك اوان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هى عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحى الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اى اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه مؤمنين لاما ان يقيسوا شانه بشان موسى عليهما السلام وحال انفسهم بحال اولئك الهالكين المهلكين ولا بان يتدبروا فى حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدى الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم على ان كان زائدة كما سوأى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد

ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا الى آخره واثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فصل ذلك فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعد ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحى مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وخزيل ومريم ابنة ياموشا التى دلت على نابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجاهم الله تعالى من الغرق وجاوزوا البحر اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وقال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على عالمى زمانكم فانطلق بهم فمروا على بقر تعبد فعند ذلك قالوا ما قالوا واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فمنزل من التحقيق كيف لا وما سيأتى كل قصة من القصص الواردة فى السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عنوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يقصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا وابديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وامروا على هم به من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لاسيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم فى شئ منهم من الجنايات اصلا مما يوجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر المقدر عاملا لاذنا دى اى واتل على المشركين نبأ ابراهيم اى خبره العظيم الشان حسبما اوحى اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الآيات بعد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية للبناء اى بناءه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل نبأ اى واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم فى ذلك الوقت سألهم عليه السلام عن ذلك ليبنى على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافى بان يقولوا اصناما كما فى قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرها اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوامهم على صنامهم قصدا الى ابراز ما فى نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها ونداؤه ايضا من جملة اطنابهم قال استيناف مبنى على سوال سؤال نشاء من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اى هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اى هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون اى يضرونكم بتركها لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على الوصف المذكور من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى الاظهار ان لا سند لهم سوى

التقليد اى ما علمنا او مارأينا منهم ماذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اى مثل عبادتنا يعبدون
فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون اى انظرتم فابصرتم اوانتا ملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه انتم
وآباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لى بيان لحال ما يعبدونه بعد
التنبيه على عدم علمهم بذلك اى فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالما انهم يضرونهم
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه اولان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذى
هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر فى نفسه تعريضا بهم فانه انفع فى النصيحة من التصريح
واشعارا بانها نصيحة يداوى بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجمع
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبهها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الارب
العالمين استثناء منقطع اى لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولينى فى الدنيا والآخرة لايزال
يتفضل على بمنافعها جما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج
على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذى خلقنى صفة لرب العالمين
وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطفه عليه مع اندراج
الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تعريجا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل فى اقتضاء
تخصيص العبادة به تعالى وقصر التجاء فى جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة
عليه تعالى فهو يهدين اى هو يهدينى وحده الى كل ما يهمنى ويصلحنى من امور الدين والدنيا هداية
متصلة بخلق الله تعالى ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى
يهدى كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله
يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين
لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعيم بنعيمها المقيم والذى هو يطعمنى ويسقين
عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول فى المواقع الثلثة مع كفاية عطف ما وقع فى حيز ما فى حيز الصلة
من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل لله تعالى مستقل
فى استيجاب الحكم حقيق بان يجرى عليه تعالى بحيالها من روادف بخير ما واذا مرضت فهو يشفين عطف
على يطعمنى ويسقين نظم معهما فى سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض متفرعات الاكل والشرب
غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى للمراعاة حسن الادب كما قال الخضر
فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من مظالم خصايصه تعالى
كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعها بها وبما بعدها من البعث نظمها فى سمط واحد فى قوله
تعالى والذى يميتنى ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحيوة الابدية بمنزل من
ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ذكره عليه السلام تضاعفا
لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى
يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان بناء امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال
فى درجة لايقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه فى طاعة الله تعالى وعبادته فى الغاية القاصية حيث كانت
بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغورين فى الكفر وفنون المعاصى والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلث
انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لامن قبيل الخطايا
المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة
فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانها وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام

ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان فى مبادى الامر وتعليق معفرة الخطيئة بيوم الدين
مع انها انما تغفر فى الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان فى ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه
ان لم تغفر ربت هب لى حكما بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف القائفة عليه من الله عز وجل
من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة
التى هى الكمال فى العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين ووفقنى
من العلوم والاعمال والملكات لما يرتشحنى للانتظام فى زمرة الكاملين الراسخين فى الصلاح المنزهين
عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بينى وبينهم فى الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه فى الآخرة لمن
الصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين اى جاها وحسن صيت فى الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم
الدين ولذلك لاترى امة من الامم الا وهى محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذرية يجدد اصل دينى ويدعو
الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وموالاة النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابى ابرهيم
وم واجعلنى فى الآخرة من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة فى سورة مريم واغفر لابى بالهداية
والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اى طريق الحق وقد مر تحقيق الضلال
فى تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لامزيد عليه ولاتخزنى بما بقى على ما فرطت او بنقص ربتى عن
بعض الوارث او بتعذيبى لخفا والعاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبنى على هضم النفس منه او بتعذيب
والدى او ببعثه فى عداد الضالين بعدم توفيقه الايمان وهو بمعنى الخزى بمعنى الهوان او من الخزاية
بمعنى الحياء يوم يبعثون اى الناس كافة والاضافر قبل لما فى عموم البعث من الشهرة الفاشية الملغية
عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل تهويل اليوم يوم لاينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون
حيث به تاكيد التهويل وتمهيد لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم للمفاعيل اى لاينفع مال وان كان
مصروفا فى الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستاهلين للشفاعة احدا
الا من اتى الله بقلب سليم اى عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان و
فيه تاييد لكون استغفاره عليه السلام لابيه لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا
مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف
اى الآمال من او نبوا من اتى الله الآية وقيل المضاف محذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل
بضرب من الاعتبار كما فى قوله نجته بينهم ضرب وجيع اى الاحال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة
عن سلامة القلب كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال
والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لاينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء فى دينه
بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف
على لاينفع وصيغة الماضى فيه وفيما يرد من الجمل المنتظمة معه فى سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع
وتقرره كما ان صيغة المضارع فى المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه جسما
يقتضيه مقام التهويل والتقطيع اى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من
الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت للجحيم للغاوين
الضالين عن طريق الحق الذى هو الايمان والتقوى اى جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من
انواع الاهوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم فى الدنيا
تعبدون من دون الله اى اين آلهتكم التى كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شفعاؤكم فى هذا الموقف هل
ينصرونكم بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا

اى القوا فى الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا فى قعرها هم اى الهتهم والغاوون الذين
كانوا يعبدونهم او فى تاخير ذكرهم عن آلهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها فى الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها
فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اى شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويستولون
لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصى ليجتمعوا فى العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجب
وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى
قالوا الخ استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء من حكاية حالهم كانه قيل فماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل
قالوا الخ وهم فيها يختصمون اى قالوا معترفين بخطاياهم فى انفسهم مقرين بانهم كانوا فى الضلالة متحسرين
على العبدة والحال انهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين فخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاعضاء
صالحة للاختصام بان يطيعها القدرة على الفهم والنطق تالله ان كنا لفى ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة
قد حذف اسمها الذى هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اى ان الشان كنا فى ضلال واضح لا
خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع فى اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطاياهم فى رايهم مع وضوح الحق
كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المتعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف لكونهم فى ضلال
مبين وقيل لما دل عليه الكلام اى ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف ضناعتى من حيث ان المصدر
الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اى تالله لقد
كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام فى استحقاق العبادة برب العالمين الذى انتم
ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره
عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم
من غير ان يستقلوا فى تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا
بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما فى قوله تعالى ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدى رضه الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه توبيخ
من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول
من سن القتل وانواع المعاصى فالنا من شافعين كما للمؤمنين من الملئكة والانبياء عليهم الصلوة و
السلام ولا صديق حميم كما يرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم
شفعاء واصدقاء على ان عدمها كناية عن عدا وتها كما ان عدم المحبة فى مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية
عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا فى هلكة لا
يحلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمها عدم اثرها وجمع الشافع لكثرة الشفعاء كما ان افراد الصديق لقلة
الصحبة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لها بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو فى قوله تعالى فلو ان لنا كرة
للتمنى كليت لا ان بين معنييها تلاقيا فى معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اى رجعة الى الدنيا
وقيل هى على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وبايا ما
هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة لبس عباءة وتقر عينى كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد
تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع
انه المقصود حتما ان فى ذلك اى فيما ذكر من بناء ابرهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه
اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤل اليه امر عبدتهم يوم القيمة من اعترافهم بخطاياهم الفاحش وندمهم
وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا لكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت

لهم جنات

لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وعشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية اى آية
عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابرهيم وهم
ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عباداتهما خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم
الاشتراك فيما يوجبه اوان فى ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمعه من احد لآية عظيمة دالة
على ما تتلوه عليهم وحى صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين
اى اكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النباء مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وما ان
مبشر اكثرهم لقوم ابرهيم عليه السلام كما توهموا انما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام
الا طغيانا وكفرا حتى اجترءوا على تلك العظيمة التى فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما
آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر بقية الكلام فى آخر قصة موسى عليه السلام وان ربك هو
العزيز الرحيم اى هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض
منهم او من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة
وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التى لا تختلف باختلاف الازمنة
والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة
واذ فى قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين
الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائه اخوهم
اى نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره انى لكم رسول من جهته تعالى امين
مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما
اسالكم عليه اى على ما انا مبتدله من الدعاء والنصح من اجر اصلا ان اجرى فيما اتولاه الا
على رب العالمين والفاء فى قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد و
التنبيه على ان كلا منهما مستقل فى ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجرى بحذف
الياء قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اى الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه
بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كما كالب واكلب وكلب وقرئ
واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ
ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة راى وقد كان ذلك منهم فى بادى الراى كما ذكر فى موضع آخر ونداء من
كمال سخافة عقولهم وقصر هممهم اتطارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من مواكر خطاما والارذل
من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من
فاز به والارذل من حرمه قال وما علمى بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا
عن نظر وبصيرة اى وما وظيفتى الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم و
التشقيق عن قلوبهم ان حسابهم اى محاسبة اعمالهم والتقتير عن كيفياتها البارزة والكامنة الا
على ربى فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اى بشئ من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور
لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم
من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا
نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء
كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم

بالبرهان الواضح وقد فعلته وما على استرضاء بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما
تقول لتكونن من المرجومين اومن المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قائلهم الله تعالى في اوائل الحاقة
ومعنى قوله تعالى قال ربّ ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة
المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم
بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح وبخني ومن معي من
المؤمنين اي من قصدهم او من شوم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون
اي المملوء بهم وبما يدلهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح
ابعد من السداد وابعد كذبت عاد المرسلين انث عادا باعتبار القبيلة وسواسيهم الاقصى اذ قال لهم
اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في قصة نوح ع
اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص للتنبيه على ان مبنى
البغية هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان
الانبياء عليهم السلام يجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرايع المختلفة باختلاف الازمنة
والاعصار وانهم متنزهون عن المطامع الدنيوية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما لمارة تعبثون اي بنيانها اذا كانوا يقصدون بالنجوم
في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون
بها وتتخذون مصانع اي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا
في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين
مسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من الوان النعماء واصناف الآلاء اجملها
اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال و
التفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعيم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي
عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل
الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه
او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت
والحيوة الا عادة قديمة يتعلم بنزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاف الاولين كما قالوا اساطير
الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم يعني كما حيوا وتموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على
ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اي اصروا على تكذيبه بسبب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما
ههنا آمنين الكفار ونفي لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخليته تعالى اياهم واسباب تنعمهم آمنين
وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والعظيم اللطيف اللين

لطف الثمر اولان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كفصل السيف في جوفه شماريخ القنوا و
متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات اولان المراد بها غيرها من الاشجار
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطريق اوحاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل
بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وسوابغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين المتجاوزين الطاعة التي هي اتقياد والامر لامتثال الامر وارتسامه ونسب حكم الامر الى امره مجازا للايذان بوجوب امتثاله وقرئ في الامر
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون ببيان خلوص افسادهم من شائبة عقولهم من شائبة
الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم وقرئ في السحراي الرئة
اي من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات بآية ان كنت من الصادقين اي
في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله في
سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء
كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما حل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب
فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقر ناقة برأيهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين حوفا
من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمبادية ولذلك لم ينفعهم الندم وان بطريق التوبة فاخذهم
العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في
نفي النفع الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض اياء الى انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا
انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بني آدم من العالمين
الذكران لا يشارككم فيه غيركم اواتاتون بنهم من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن الين بالاستمتاع
عالم او با لعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
وكلمة من في قوله تعالى من ازواجكم للبيان اريد بما جنس الاناث وسوا الظاهر وللتبعيض ان اريد بها
العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون
متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر
الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي
جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من اخرجوه
من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد
والكبد لشدته وما ابلغ من ان يقال اني لعلكم قال لدلالته على انه عليه السلام من زمرة الراسخين في بغضه
المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم
رب نجني من ذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شوم عملهم
وعاقبته فانجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة
حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لها شركة في الاهلية
بحق الزوجية في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية
بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي
في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا

عليهم مطرا اى مطرا غير معهود وقيل على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس فيه بتسع وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيظ التى نبت تاعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طايفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ الافظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اى اتموه ولا تكونوا من المخسرين اى حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اى الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط فعلا بتكرير العين والا فعفعال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين اى وذوى الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية منافٍ للرسالة مبالغة فى التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اى فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اى قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالربع والربعة وهى القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربى اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فيعذبكم به عليكم فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه اى فتمموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة جبما افترحوا اما ان اراد وا بالسماء السحاب فظاهر واما ان اراد وا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لكل يوم يمتد عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا الها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه السلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يايتهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوا ما على التفصيل قصة بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا فى شان الايات الكريمة الناطقة بتلك القصص علما ما هى عليه مع علمهم بانه عليه السلام لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان

لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى حاقة قصة موسى عليه السلام وانه اى ما ذكر من الايات الكريمة الناطقة بالقصص الحكية او القران الذى هى من جملته لتنزيل رب العالمين اى منزل من حضرته تعالى بربوبيته العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورافته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى انزله الروح الامين اى جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد الزاء ونصب الروح والامين اى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اى وحفك وان اريد به العضو فتخصيصه بان المعانى الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد الى الدماغ فيتقش بها الوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهايلة والبيان ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام فى سلك اولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب للمنذر بلسان عربى مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذرا وهو ايضا متعلق به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليه السلام مجرد انزاله عم لا انزاله بالسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان غاية الانزال كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة فقط من هود وصالح وشعيب فلا يتخيل فساده كيف لا والطامة الكبرى فى باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزنا واجر تاثيرا فى قلوب المشركين ما انذره ابرهيم عليه السلام لاتمايم واتباعهم انهم على ملته عليه السلام وانه لفى زبر الاولين اى وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة فان احكامه التى لا تحتمل النسخ و التبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسايرما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم آية البتة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه فى زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم عليه لاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بنى اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه بنعوته المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل فى تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هى جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تانيث تكن كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو ينظم الرائق المعجز على بعض الاعجميين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو اعجمى على التخفيف وكذلك جمع الجمع اعاجم وقرئ الاعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من غرض تلك الطائفة كائنا من كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انفهام اعجاز الآية المقروة لغرط عنادهم وشدة شكيمتهم فى المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تمادیهم فى المكابرة والعناد كذلك سلكناه اى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اى ادخلنا القرآن فى قلوب المجرمين فعهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن قوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انفهم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة باندازه وبعثه من انزل عليه باوصافه فقوله تع

لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به
بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فيأتيهم
بغتة اى فجأة فى الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون نحترز على ما فات
من الايمان وتمنيا للامهال فى ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناهم مثل ذلك المال وتلك الصفة من الكفر به
والتكذيب لم وضعناه فى قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به نفى موقع الايضاح والتخصيص له او فى موقع الحال
اى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة
الايمان وتآخذ مبادى الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه
بما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب
المجرمين ابعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فاتنا
تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانذار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بطلبنا وبينهما من التنافى ما لا يخفى
على احد او يعقلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب
الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرأيت لما كانت الرؤية من
اقوى اسباب الاخبار بالشئ واشهر ما شاع استعمال ارأيت فى معنى اخبرنى والخطاب لكل من يصلح له كائنا
من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت و
هى مقدمة فى المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأى الجمهور اى فاخبرنى
ان متعنا هم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب
ما اغنى عنهم اى شئ او اى اغناء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اى كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان
ما مصدرية او ما كانوا يتمتعون به من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان فالاستفهام
للانكار والنفى وقيل ما نافية اى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه
اوفق لصورة الاستخبار والاول على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل مؤمن شاهد الخطاب
قد كلف ان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واى شئ اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشئ من ذلك اصلا
وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما
للحجة ذكرى اى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها بمعنى الانذار كانه قيل يذكرون ذكرى او
على انه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون اى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون
باضمار ذوو او الجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضميرها للقرى المدلول
عليها بمفردها الواقع فى حيز النفى على ان معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحدا
واكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار والتعبير عن ذلك بنفى الظالمية مع ان اهلاكهم
قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصوير صورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة فى حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة
بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما يصح ولا يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون
ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملئكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملئكة فى الصفات
الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية
كيف ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن

اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوى على الحقايق الرائعة الغيبية التى لا يمكن تلقيها الا من الملئكة وهم
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين خوطب به النبى عليه السلام مع ظهور استحالة صدور المنهى
عنه عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطف ايراد المكلفين بيان ان الاشراك من القبح والسوء
بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذى يستتبعه الشرك والمعاصى
عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير
لكم بين يدى عذاب شديد وروى انه قال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افقدوا انفسكم
من النار فانى لا اغنى عنكم شيئا ثم قال يا عايشة بنت ابى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا
صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فانى لا اغنى عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين اى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين
لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون
باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل انى برئ مما تعملون اى مما تعلمونه او من اعمالكم
وتوكل على العزيز الرحيم الذى يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم
وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذى يراك حين تقوم اى الى التهجد وتقلبك فى الساجدين
وتردد ك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة بيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دنو نتهم بذكر الله
تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا ائتمهم وانما وصف الله
تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التى بها يستاهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه
من وصفى العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه انه هو السميع بما يقوله العليم بما ينويه وتفعله
هل انبئكم على من تنزل الشياطين اى تنزل بحذف احدى التائين ومواستينا ف مسوق لبيان استحالة
تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من
الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل من فحذف حرف الاستفهام واستتر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل من اتصف
بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شئ من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم
عليه يلقون اى الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوثانا ما واما رات لنقصان علمهم
فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون
اى فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر
من مائة كذبة او يلقون السمع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يقررون على الشياطين ما لم يوحوا
اليهم والاظهر باعتبار اقوالهم على العموم ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجنى والما فى اكثره فهم كاذبون
فى اقوالهم واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على
الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلانا فيه
ان يصدق نادرا فى بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اى يلقون السمع اى المسموع الاعلى قبل ان رجموا
من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على ما تكلمت به الملئكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى

الملاء الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرح به لما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل
للالقاء او استينافى مبين للغرض من التنزل مبنى على السؤال عنه ولا ريب فى ان القاء السمع الى الملأ
الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى
على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملاء الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا
عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استينافى الاخبار كما فعله
بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون
ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لان فى معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين
او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استينافى اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم
من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا مبنيا على السؤال على التقدير
الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون
به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استينافى فقط وعلى الكل يحتمل الحالية من ضمير
يلقون اى يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس فى اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر والشعراء يتبعهم الغاوون
استينافى مسوق لابطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الشعراء ويبان حال الشعراء المنافية لحاله عليه السلام بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقى الشيطان
على الكهنة من الاباطيل عامة من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه السلام وللغاوين الشعراء يتبعهم اى
يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحايرون فيها تون وما
يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة فى الافعال والاقوال والاحوال لاغراضهم من اهل الرشد المهتدين
الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى الم تر انهم فى كل واد يهيمون استشهاد على ان الشعراء انما تبعهم
الغاوون وتقرير له والخطاب كل من يتاتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص
برؤية آراى الم تر ان الشعراء فى كل واد من اودية القيل والقال وفى كل شعب من شعاب الوهم والخيال و
فى كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبيل بل
يتحيرون فى فيافى الغواية والسفاهة ويتيهون فى تيه الجهل والوقاحة ويدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح
فى الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفى الافراط والتفريط فى
المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوايم فكيف يتوهم
ان يتبعهم فى مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم فى سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يجوم حولها شائبة الاتصاف
بشئ من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع
الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القديم مستمرا على الصراط المستقيم
ماطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون
الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مغلق ساحر
هذا وقد قيل فى تنزهه عليه السلام من ان يكون من الشعراء الغاوون واتباعه محمد صلى الله عليه وسلم
ليس كذلك ولا ريب فى ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق
بشانه العالى وقيل الغاوون الرواة وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى
وسيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وابو عزاة الجمحى ومن ثقيف اميه بن ابى الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر
الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة
والزهد فى الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية
ولو وقع منهم فى بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زمير بن ابى سلمى والذين كانوا ينافحون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم لاشد عليهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول
لحسان قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون تهديد شديد ووعيد اكيد
لما فى سيعلم من تهويل متعلقه او فى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى اى منقلب ينقلبون من الابهام
والتهويل وقد قالوا لابى بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اى منقلب ينقلبون من الانقلاب بمعنى النجاة
والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينقلبوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب
عن ابن عليه السلام من قراء سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح

وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذى مر فى نظايره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه
اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اى هذا طس اى مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره
قدر وجهانى فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك تلك
اشارة الى نفس السورة لانها التى توعدت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها
تابى اضافتها الى القرآن كما سياتى وما فى اسم من معنى البعد مع قرب المهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته
فى الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن وللجملة مستانفة مقررة للافادة
التسمية من بناهة شان المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر فى
فاتحة فاتحة الكتاب اى تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان اى بعض منه مترجم مستقل باسم
خاص وكتاب اى كتاب عظيم الشان مبين مظهر لما فى تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة
التى من جملتها الثواب والعقاب او بسبيل الرشد والغى لمن هو قادر بين الحق والباطل والحلال والحرام او
ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه
بديعا فى بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرانا عربيا غير ذى عوج ووصف الكتابية
المعربة عن اشتماله على صفات الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول هنا نظرا الى تقدم حال
القرآنية على حال الكتابية وعكس فى سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب
هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات
اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانة فلا بد من اعتبارها
بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين فى حيز النصب
على الحالية من الآيات على انها مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانها نفس الهدى والبشارة و
العامل معنى الاشارة اى تاديه ومبشرة او الرفع على انها بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك

اوبلبتداء محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم يهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصها بالذكر لانها قرينتا الايمان وقطبا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالاخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة حق الايقان لا من عداهم لان محل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة تعيينهم وثباتهم وانهم اوحدیون فيه ان الذين لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان لاحوال المؤمنين اى لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلنا ها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها فى انفسها حالا واستتباعها للفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار زعمهم بها وايجابها عليهم فهم يعمهون يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار فى الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او فى الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب السبب على السبب وعلى الثانى للترتيب ضد المسبب على السبب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ وقيد ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم فى الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اى اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اى فى الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم فى الآخرة هم الاخسرون اى اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العذاب وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرف التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اى لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اى آتى حكيم واتى عليم وفى تفخيمها تفخيم لشان القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلام فى معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما فى رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان ما فى القرآن من العلوم منها ما هو حكم كالعقائد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام وامر بتلاوة بعض من القرآن الذى يلقاه عليه السلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اى اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله فى وادى طوى وقد عشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا سآتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسبيل للاهل على نوع بعد فى المسافة وتاكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امراته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة فى التسلية او آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثانى بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اى بشعلة نار مقبوسة اى ماخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما فى سورة طه من صيغة الترجى والتردد بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى الجارية بجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودى من جانب الطور ان بورك معناه اى بورك على ان ان مفسرة لما فى النداء من معنى القول

اوبان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقبل حذفه كان المتعلق ولا ضير فى فقدان التعويض بلا او قدا والسين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره فى كثير من الاحكام من فى النار ومن حولها اى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة فى قوله سبحانه نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تبارکت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من فى ذلك الوادى وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء واموانا ولا سيما تلك البقعة التى كلم الله تعالى موسى وقبل المراد موسى والملئكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم ونبئ ينتشر بركاته فى اقطار الشام وموكليه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤن ومن احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انى انا الله استيناف مسوق لبيان اثار البركة المذكورة والضمير اما للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اى انا القوى القادر على ما ينال الاوهام من الامور العظام التى من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين والق عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء اى نودى ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر والفاء فى قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة يفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما فى قوله تعالى فلما رآه الكرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما ابصرها بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان اى جنة خفيفة سريعة الحركة جلة حالية اما من مفعول راى المثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جان على لغة من حد فى الهرب من التقا الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك الامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله تعالى انى لا يخاف لدى المرسلون فانه يدل على نفى الخوف عنهم مطلقا لكن لا فى جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون فى مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما فى سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة لينافى امنه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم استثنا منقطع استدرك به ما عسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانه وان صدر عنهم شئ من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعرض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزة القبطى والاستغفار وتسميتها ظلما لقوله عليه السلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اى آفة كبرص ونحوه فى تسع آيات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يعبث به الى فرعون واذهب فى تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بخوجا مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان فلما جاءتهم اياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول

اشعارا بانها لغرابتها وانارتها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا يهتدى
فضلا عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها او قرئ مبصرة اى كانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا
سحر بين واضح سحريته ومجدوا بها اى كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اى وقد استيقنتها
اى علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اى للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اى
ظلم حيث حقروها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذلك وعلوا اى استكبارا عن
الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها واتصابها اما على العلة من جحدوا بها او على
الحالية من فاعله اى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق
على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر
ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه السلام بلغ القران من لدن
حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القران الكريم لقبه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام
وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم
الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما شريفا غزيرا وقالا
اى قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذى فضلنا بما اتانا من العلم على كثير من عباده
المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلنى الا انه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان
حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز
ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد افلح المؤمنون
وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو واذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتى
كل منهما لا على ايتاء ما اوتى نفسه فقط وقيل فى العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدثت فيهما
ايتاء العلم وشئ من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد آتينا هما علما فعملا به وعلماه و
عرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت
علما ويأباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفى تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز
الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه
اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض العلماء على ان يحمدوا الله تعالى
على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى
علم عليم ونقل قال امير المؤمنين عمر رضى الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اى النبوة و
العلم او الملك بان قام مقامه دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهير النعمة الله تعالى وتنويها
بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التى اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شئ المنطق فى المتعارف كل لفظ يعتد به مجتمعا فى الغير مفردا كان او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت
به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يفقه اصواته
والذى علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه
مر على بليل شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله وبنيه اعلم قال
يقول اذا كلت لنصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبرانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا
وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون
وصاح طيطوى فقال يقول كل حى حيث وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه
وصاح قمرى فاخبرانه يقول سبحان ربى الاعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملاء

سمائه

سمائه وارضه وقال الحذاء يقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول
ويل لمن هم الدنيا والديك يقول اذكروا يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم
عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى
القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا بالنون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته
من كونه مطاعا لكن لا تجبرا وتكبرا بل تحميدا لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له فى اوامره و
نواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شئ كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل
شئ ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقال ابن عباس رضى الله عنهما
كل ما يهمه من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين و
الريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله به المبين
الواضح الذى لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذى اوتيه لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قال على سبيل
الشكر والمحمدة كما قال رسول صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا لا فخرا
ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شئ من الاشياء
التى من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك فعن قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده
جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من
الثقلين وغيرهم بتعميم الناس لكل تغليبا وتقديم الجن على الانس فى البيان للمسارعة الى الايذان
بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من
الحشر والتسخير فهم يوزعون اى يحبس اوائلهم على اواخرهم اى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم
التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك لكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف
كما هو المعتاد فى العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون
سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم
من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح فى الجو روى ان معسكره عليه السلام كان مائة
فرسخ فى مائة خمسة وعشرين للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية و
قد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من
ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسى
الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس والجن والشياطين وتظلهم الطير باجنحتها حتى لا
تقع عليه الشمس وترفع ريح القبا بساطه فتسيره مسيرة شهر ويروى انه يامر الريح العاصف
تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك
لا يتكلم احد بشئ الا القته الريح بسمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فالقت
الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة
واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى هى التى يبتدأ بها
الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاءا اهلنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهى
هنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فسار واحتى اذا اتوا الى واد
النمل وادبالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل بالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد بالحبشة
والنمل حراكبهم ونعتية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان علوه

قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادى اوحى نجاهم
ما فى الارض لا عند سيرهم فى الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى
فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعتها فى الفرار فشبه ذلك بمجاملة
العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هى قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وما عداها العقل والفهم وقرئ نملة
يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع فى السبع وقرئ بضم النون والميم
قيل كانت نملة عرجاء تمشى وهى تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلثة اميال
وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهى فى الحقيقة للنمل عن
التأخر فى دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام والجنود عن الحطم كقولهم لا ارينك
ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارخل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون
لا تدخله فى السعة وقرئ لا يحطنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم
وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحكم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو
يشعروا بذلك لم يحطموا وادوت بذلك الايذان بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء وعليهم السلام
فى عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف اى فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك
تبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بنى نوعها وسرورا
بشهرة حاله وحال جنوده فى باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التى هى ابعد ما من
ادراك امثال هذه الامور وابتها جا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روى انها احست
بصوت الجنود ولا تعلم انهم فى الهواء فامر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعن حتى دخلن مساكنهن وقال
رب اوزعنى ان اشكر نعمتك اى اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى واكفه وارتطه بحيث لا ينقلب عنى حتى لا
انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعنى التى انعمت على وعلى والدتى اودرج فيه ذكر هما تكثيرا
للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة
للنعمة وادخلنى فى عبادك الصالحين فى جملتهم الجنة التى هى دار الصالحين وتفقد الطير اى تعرف
احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كانه قال اولا مالى لا
اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غايب فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غايب لاعذبنه عذابا شديدا
قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده فى قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه
اولا ذبحنه ليعتبر ابناء جنسه اوليأتينى بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة
على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينى بنونين اولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عوتب
لما تم بناء بيت المقدس بحجر للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة
آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم
سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء اعجبته فنزل ليتفدى ويصلى
فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فينبئ
الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان
عليه السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شئ
وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يديها اثنى عشر الف قايد تحت كل قايد مائة الف وذهب معه
لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اى زمانا غير بعيد وقرئ بضم الكاف وذكر

انه وقعت

انه وقعت نفخة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف
الطير وسواس الطير فسأله عنه فلم يجد عنده علما ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علىّ به فارتفعت
فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها وقال بحق الله الذى قوّاك واقدرك علىّ الا رحمتنى
فتركته وقالت تكلتك امك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال وليأتينى
بعذر مبين فلما قرب سليمان عرم ارض ذنبه وجناحه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ
عليه السلام برأسه فمد اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام
وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اى علما ومعرفة وحفظة من جميع جهاته وقرئ
احطت بادغام الطاء فى التاء بلا طباق وبغير طباق ولا اخفاء فى انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو
من حقايق العلوم ودقايق المعارف التى يكون معرفتها والاحاطة بها من وظايف ارباب العلم
والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدى نبى الله سليمان عرم
تقديما عن طوره وتجاوزا عن دايرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية على جناية فيحتاج الى الاعتذار
عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتى عليه السلام من فضل النبوة
والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام فى علمه وتنبيها على ان فوق كل
خلقه تعالى وامنعهم من احاط علما بما لم يحط به ليتجافر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا
له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التى لا يعد الاحاطة بها
فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم
وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويح كلامه عنده
عليه السلام وترغيبه فى الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبنى عن
امر بديع اقبل والى تلقى ما الاعتذار اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين حيث فسر اجماله
نوع تفسير واراه عليه السلام بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذى هو الخبر الخطير
والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فما ذا صدر عنه عليه السلام مع ما حكى من المد والشكر واستدعاء
الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيههم عليه السلام على تركه وسبأ منصرف على انه اسم لحى سموا باسم
ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى و
قرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة
ثلث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحى لا غير وعدم
وقوف سليمان عليه السلام على نبئهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة
وان استحالة خلق افعاله تعالى من الحكم والمصالح لا ان المسافة بين محطة عليه السلام وبين مأرب
وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجئ الهدهد بالخبر قصيرة ايضا نعم
اختصاص الهدهد مع كون الجن اقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى
انى وجدت امرأة تملكهم استيناف ببيان ما جاء به من النبأ وتفصيل لاثر الاجمال وهى بلقيس بنت
شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد
غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس واينما وجدت
على رأيت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بل ازنفسه فى معرض من يتفقد
احوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على انه اسم
الحى او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها واوتيت من كل شئ اى من الاشياء التى

يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين من
ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد عليه سبعة ابيات على
كل بيت مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة
الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان يومئذ مثله وايا ما كان فوصفه
بذلك بين يديه عليه السلام لما قد من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام
نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب عزوفها عن كفرها وكفرقومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل اي سبيل
الحق والصواب فهم لتزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق
الحق الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه الا يسجدوا الله مفعول له اما للصد او للتزيين على
حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا لله تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله
من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا او قبل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط
الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وللمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا والله تعالى
وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي
ويا دارمي على البلا وتظايره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان
ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وايا ما كان فالسجود واجب
وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي
يخرج الخباء في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف
بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سايرا وصافه الموجبة لذلك مما انه ابلغ
في معرفة والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة
على معرفة الماء تحت الارض واثاره بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى
ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا بل المراد يظهر ما تخفونه من
الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دايرة العلم او للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم
الآلهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج للخبايا مخرج اشراف الكواكب
واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي
هو اخراج ما في الشئ بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود
وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا
تسجدون لله الذي يخرج الخبأ من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان
ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبأ الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو
من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا للتفضل بالدرج
وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان همته الى غزوها وتسخيرها ولانيتها
قال استينافا وقع جوابا عن سؤال نشاء من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فما ذا فعل سليمان عم
عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكره من النظر بمعنى التامل والسين للتاكيد اي سنتعرف
بالتجربة البتة اصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم

للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان
مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون
لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب
والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استينافا مبينا لكيفية التظر الذي
وعده عليه السلام وقد قاله ثم بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه
بالرسالة دون سايرما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتوغل الماعين فيه من تخايل
العلم والحكمة وصحة الفراسة وليئلا يبقى له عذرا صلا ثم تول اي تنح الى مكان قريب تتواري فيه
فانظر اي تامل وتوقف ماذا يرجعون اي ما ذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمايرلما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب
فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعتها الى اقامة ما امر به من الخدمة
واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه
بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجد ثانيا الهدهد راقدة في قصر بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت
فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى
الكتاب في حجرها وكانت قارية عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رات الخاتم ارتعدت و
خضعت فعند ذلك قالت للاشراف قومها يا ايها الملاء اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم
لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد
انه من سليمان استينافا وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وما ذا مضمونه فقالت انه من
سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصولها
اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كما انها علات كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا
باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة الا
تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل
ولا نافية مخلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتداء مضمر يليق بالمقام اي مضمونه الا تعلوا او
النصب باسقاط الخافض بان لا تعلوا علي وقرئ الا تعلوا بالفك المعجمة اي لا تجاوز واحدكم واتوني
مسلمين اي مؤمنين وقيل منقادين والاول هو اليق بشان النبي عليه السلام على ان الاتيان
مستتبع للانقياد حتما يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا
السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة
الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان الفاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة
دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيز قولها
يا ايها الملاء افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب
بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحل الجواب بالاشعار بانهم قادرون
على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا اي من الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون
اي الا بحضركم وبمواجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الراي والتدبير
قالوا استينافا مبنيا على سؤال نشاء من حكاية قولها كانه قيل فما ذا قالوا في جوابها فقيل قالوا
نحن اولوا قوة في الاجساد والآلات والعدد واولوا باس شديد اي بجدة وشجاعة

مفرطة وبلاء فى الحرب والامر اليك اى هو موكول اليك فانظرى ماذا تامرين ونحن مطيعون لك ممتثلون
يا معرك نمتثل ما تشيرين به ونتبع رايك اوارادوا نحن من ابناء الحرب لامن ابناء الرأى والمشورة واليك الرأى
والتدبير فانظرى ماذا ترين نكن فى الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحراب والعدول عن الصواب
شرعت فى تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شان سليمان وم وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة والحراب افسدوها بتخريب عمارتها واتلاف ما
فيها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة
والاذلال وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلى وتقرير له بان
ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لهامن جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر
قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى واني مرسلة اليهم بهدية تقرير لرأيها بعد ما زيفت
آراءهم وانت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها
لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اى واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون
حتى اعمل بما يقتضيه الحال روى انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق
والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية
على رماك فى زى الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك
والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا راى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدر ثقبا مستويا وسلك
فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رآيته بشاشا لطيفا
فهو نبى فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه
فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة يحس
الدواب فى البر والبحر فربطوا ما عن يمين الميدان وبساره على اللبن وامر بالدواب والوحوش
على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ و
الانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا
ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر
اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا
ثم امر بالادرضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط
بفيها ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعل
فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذ يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء
سليمان اى الرسول قال اى مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغايب وقيل للرسول
ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميما للبقيس
وقومها ويؤيده الافراد فى قوله ارجع الى ربهم اتمدونني بمال وهو انكار لامدادهم اياه عليه السلام
بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما آتانى الله
اى مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذى لا غاية وراءه خير مما آتاكم اى من المال الذى من جملته ما
جئتم به فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى تعليل للانكار ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة
الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها اشير اليه للهنة عليهم السلام خاطبهم بها
اول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ اتمدوننى بالادغام ونون واحدة

وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال
الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التى اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ
عنه ما ذكر من حديث المرح والجزعة وتغيير زى الغلمان والجوارى وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه
على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس
فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم
تفرحون جبلة لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع افرد الضمير ههنا
بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اى ارجع
ايها الرسول اليهم اى الى بلقيس وقومها فلنا تينهم اى فوالله لنا تينهم بجنود لا قبل لهم
بها اى لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جوابه
القسم منها من سبا اذلة اى حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكن وفى جمع
القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اى اسارى ههنا نون حال اخرى مفيدة لكون
اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف
عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كانه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنا تينهم الخ قال
يا ايها الملاء ايكم ياتينى بعرشها قال عليه السلام لما دنا مجئ بلقيس اليه عليه السلام روى انه لما
رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا
من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك
ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فتخصت اليه فى اثنى عشر الف قيل تحت كل قيل الوف
ويروى انها امرت فجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها و
غلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحى الى سليمان باستيثاقها من عرشها فاراد
ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء التعاجيب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته و
صحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر انعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى
قبل ان ياتونى مسلمين لما ان ذلك ابداع واغراب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم قدرة الله
تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختيار ما واطلاعها على بدايع المعجزات فى اول مجيئها وقبل
لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اى مارد خبيث من الجن
بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعقر لاقرانه وكانه اسم ذكران او صخر انا آتيك به اى بعرشها
قبل ان تقوم من مقامك اى من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المتكلم
او الفاعل وهو الانسب بمقام ادعاء الاتيان به لامحالة وافق للمعطوف عليه من الجملة الاسمية اى انا
آت به فى تلك المدة البتة وانى عليه اى على الاتيان به لقوى لا يثقل على حمله امين لا احتمل
منه شيئا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب فصل مما قبله للايذان بما بين القائلين ومقالهما
وكيفية قدرتها على الاتيان به من كمال التباين او الاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو
آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به اجاب
وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه
بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه
علم غير معهود ومن ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان و
فتحها للنظر الى شئ وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد و

لما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة اكتفى وعد العفريت استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر
الاتيان به للايذان بانه امر محقق غنى عن الاخبار به وجئ بالفاء الفصيحة لاداخلة على جملة معطوفة
على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما فى قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره
بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما راه مستقرا عنده اى راى العرش حاضرا لديه كما فى قوله تعالى
فلما راينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب
عليه من رويته سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فراآه فلما
راه لا فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رويته ام
اياه شئ ما اصلا وفى تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تاكيد لهذا المعنى لما فيها من انه لم يتوسط
بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره منتظما فى سلك
ملكه قال اى سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى
عليهم السلام وخلص عباده هذا اى حضور العرش بين يديه فى هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره
بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربى اى تفضله على من غير استحقاق كما من قبلى ليبلونى
ءاشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتى ولا قوة بل اقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسى
مدخلا فى البين او اقصر فى اقامة مواجبه كما هو شان سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه يرتبط به عتيدا ما ويستجلب به مزيدا ما ويحط به عن ذمته عبا الواهب ويتخلص عن وبال
الكفران ومن كفر اى لم يشكر فان ربى غنى عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام
مع عدم الشكر ايضا قال اى سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكى سابقا ولاحقا من
كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى
والثانى امر لخدمه بتنكير العرش وتغييره اى غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر
وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدى الى معرفته او الى الجواب اللايق بالمقام وقيل الى الايمان بالله
تعالى ورسوله عند رويتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة فى مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب
موكلة عليه الحراس والحجاب وياباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير
ام تكون بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اى الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب
فان كونها فى نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث
يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع فى حكاية التجربة قصدا سليمان اى فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام
وقد كان العرش بين يديه قيل اى ان جهة سليمان بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك ولم يقل
اهذا عرشك ليلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش فى معرض الاشكال
والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كانه هو فاتيت عن كمال
رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة فى الصفات
مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب فى محاورة عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من قبله
كلاهما كانها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة
الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعناه من المنذرين من الآيات الدالة
على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رايها ورصانة فكرها ما لا يخفى
وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما اعتراها
من الاسلام الى الآن اى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين

تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اى انما كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على
اظهار اسلامها وهى بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية
من فاعل صدها او على التعليل بحذف هذا وما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم
كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملايه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا لها
استحسانا لشانها اصابت فى الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذرين من الآيات
المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا
العلم الخ اى واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم تزل على دين
الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم
الى الاسلام عبادة الشمس ونشاها بين ظهرانى الكفرة فما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل ادخلى
الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روى ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبنى له على طريقها
قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استظهارا لامره وتحققا لنبوته وثباتا
على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا
ان يولد منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد واقطع فقالوا
فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كافر للحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف
ساقها ورجلها فلما راته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله
خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت للايتزلج فيها فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما
خلا انها شعراء قيل هى السبب فى اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكرها عليه السلام وامر
الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلثة ايام وقيل بل زوجها ذا
تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامرزوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها
علما للفرد على الجمع فى سوق واسوق قال عليه السلام حين راى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه
اى ما توهمته ماء صرح ممرد اى ملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا
رب انى ظلمت نفسى بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل نظنى بسليمان حيث ظننت انه يريد
اغراقها فى اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما فى قوله تعالى لله رب العالمين
من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق
العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التى من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا
عطف على قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام يلقى القرآن
من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذى لقيه عليه السلام واللام جواب
لقسم محذوف اى وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وان فى قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة
لما فى الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون ابتاعا لها للباء فاذا
هم فريقان يختصمون فما جؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق واو للجموع الفريقين قال
للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا
عليه السلام يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اى بالعقوبة
السيئة قبل الحسنة اى التوبة فتؤخذوا بها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وعماهم يقولون
ان وقع ايعاده بتناح والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل

نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ الامكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير
التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر ساحا يمنوا
وان مر بارحا تشاموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان مسببا لهما من قدر الله تعالى وقضته
او من عمل العباد اى تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا اولم
تنزل في اخلاف واقتراف من اختر عتم دينكم قال طائركم اى سببكم الذي منه بلاكم من الشر عند
الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بتعاقب السراء و
الضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما لحقهم
بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اى اشخاص وبهذا الاعتبار وقع
تمييز التسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة
الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم وربا بن مهرج ومصدع
بن مهرج وعمير بن كردبه وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة
فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اى لا يفعلون شيئا
من الاصلاح اولا يصلحون شيئا من الاشياء قالوا استيناف ببيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال
بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه وكان ذلك عما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم
ثلثة ايام الخ تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله
تعالى لنبيتنه واهله اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ونقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض
وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لتقولن لوليه اى لولي صالح وقرئ بالتاء
والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى
اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال اى نقول ما نقول
والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم
جميعا كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اى اهلكناهم اهلاكا
غير معهود وهم لا يشعرون اوجازيناهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع
في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى فتفكر
في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي
تامة وكيف حال اى فانظر كيف حصل اى على اى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتداء محذوف والجملة مبينة
لما في عاقبة مكرهم من الابهام اى هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت
اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول و
الفظاعة بحذف الجار اى لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ
ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرنا بالكسر على الاستيناف روي انه كان لصالح
عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله
قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى
صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم في الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل
بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم
وقد ارسل الله تعالى الملئكة ملأوا دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم

جملة

جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اى خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اى بسبب ظلمهم المذكور حال
من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتداء محذوف ان في ذلك اى
فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لاية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اى ما من شانه ان يعلم من
الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون
اى الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في
صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اى وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال
على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا
باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اى وانجينا لوطا وهو بعيد اتاتون الفاحشة
اى الفعلة المتناهية في القبح والتماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من اتاتون مفيدة
لتاكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب
اى تتفكرون فيها والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصر بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها
اينكم لتاتون الرجال شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما ياتونه من الفاحشة بطريق القصر
وتحلية الجملة بحرفي التاكيد للايذان بان مفهومها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد
المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان
من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل
الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او للجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل انتم قوم سفهاء ماجنون
والتاء وفيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فكان جواب قومه الان قالوا اخرجوا آل لوط من
قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام
بالامر والنهي لانه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اى قدرنا انها من
الغابرين اى الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر
بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى انما قص
الله تعالى على رسوله عليه السلام قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته
تعالى وعظم شانه وباخصهم من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة
اخبارهم وبين على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد
اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في هاوية الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك
القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس
وقرر بذلك لخوي ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره عليه السلام بان يحمده
تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح وسلم
على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت
اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى
على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن المهالك ولا يخفى
بعده الله خير اما يشركون اى الله الذي ذكرت شؤنه العظيمة خير ام ما يشركونه به تعالى من الاصنام
ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من
البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره

وتلا الهغيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الايليق من سياق النظم
الكريم المبنى على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به بإباه قوله تعا فانبتنا الخ فانه صريح فى ان التبكيت من
قبله عز وجل بالذات وحمله على ان حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما فى قوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا
على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه ولم فى قوله تعا ام من خلق السموات والارض منقطعة وما بينهما من
كلمة بل على قراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه
لمزيد التاكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتشتيت التبكيت وتكرير الالزام كتظايرهما الآتية والهمزة
لتقريرهم اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان
يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من احسن تلك المخلوقات
وادناها بل لاخيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدا وخبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على
ما سبق فى الاستفهام الاول خلا ان تشركون ههنا بناء الخطاب على القراءتين معا وهكذا فى المواضع الاربعة
الآتية والمعنى بل امن خلق قطرى العالم الجسمانى ومبدأ منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب
الكفرة على القراءة الاولى للتشديد التبكيت والالزام اى انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اى نوعا
منه هو المطر فانبتنا به حدائق اى بساتين لحدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اى ذات حسن ورونق
يبتهج به النظار ما كان لكم اى ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة
خيرا ما تشركون وقرئ أمّن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلتى الانزال على مفعوله لما مر مرارا
من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم فى قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى
والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح و
الاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ
عنه تقييد ما يقوله تعالى ما كان لكم الا سوأ كانت صفة لها او حالا او توحيد وصفها الاول اعنى ذات بهجة
لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال فى ضمير شجرها اله مع الله اى
اله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض افعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة
وهذا تبكيت لهم بنفى الالوهية عما يشركون به تعا فى ضمن النفى الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفى الخيرية
عنه بما ذكر من التريد فان احدا ممن له تمييز فى الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر
على انكار انتفاء الالوهية عنه راسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعا وهكذا الحال فى المواقع
الاربعة الآتية وقيل المراد نفى ان يكون معه تعالى آلهة اخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكون الاعلى ان
التبكيت بنفس ذلك النفى فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله بل هم بالله تعالى فى العبادة ما يقترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم
الالوهية كانه قيل اء آلهة مع الله فى خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقيل الهمزة لانكار ان يجعل
به ويجعل له شريكا فى العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر
دون النفى كما فى الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من آله والاوفق
بحق المقام لافادته نفى وجود آلهة اخر معه تعالى رأسا لا نفى معية فى الخلق وفروعه فقط وقرئ اءآلهة بتوسيط
مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ اءٍ لها باضمار فعل يناسب المقام مثل تدعون او تشركون
بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اى
بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل طور من الامور فلذلك
ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الاشراك

وقيل

وقيل يعدلون به تعا غيره وهو بعيد حال عن الافادة ام من جعل الارض قرارا قيل هو بدل من ام من خلق
السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة من اضراب وانتقال من
التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر اخذ فى الالزام بجهة من الجهات اى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان
والدوابّ بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها لحسمايد ور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها
انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسى اى جبالا ثوابت يمنعها ان تميد باهلها وتكون فيها المعادن
وينبع فى حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى وجعل بين البحرين اى العذب والملح او
خليجى فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر فى سورة الفرقان والجعل فى المواقع الثلثة
الاخيرة ابداعى وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق اءله مع الله فى الوجود او فى ابداع هذه
البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اى شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع
كمال ظهوره ام من يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذى احوجته شدة من الشدايد والجأته الى اللجاء والضراعة
الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضه هو المجهود وعن
السدى رجل من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر والآية للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل
مضطر ويكشف السوء وهو الذى يعترى الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اى خلفاء فيها
بان ورثكم سكناها والتصرف فيها من قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط اءله مع الله
الذى يقبض كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون
وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التى اريد بها العدم او ما يجرى مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى وفى تذييل
الكلام بنفى التذكر عنهم ايذان بان معنونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبى وانه من الوضوح بحيث لا
يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء
مع الادغام ام من يهديكم فى ظلمات البر والبحر اى فى ظلمات الليالى فيهما على ان الاضافة للملابسة
او فى مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته
هى المطر ولئن صح ان السبب الاكثرى فى تكوين الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة البارودة
لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب فى ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل
والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا اءله مع الله نفى لان يكون معه آلهة اخر وقوله تعالى تعالى الله
عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار للاسم الجليل فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اى تعالى وتنزه بذاته
المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات
مقهورة تحت قدرته عما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده حالا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه آلها
وشريكا له تعالى او عن اشراكهم ام من يبدأ الخلق ثم يعيده اى بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت
بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية قدرتها على ترتيب بديع يقتضيه الحكمة
التى عليها مبنى امر التكوين فيما مر ما تشركونه فى العبادة من جماد لا يتوهم قدرة على شئ ما اصلا اءله آخر
موجود مع الله حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقوله تعالى قل هاتوا برهانكم امر له عليه السلام
بتبكيتهم اثر تبكيت اى هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى آلها لا على ان غيره تعالى يقدر
على شئ مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية و
ان كان منها فى الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفى اضافة البرهان
الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا وانى لهم ذلك ان كنتم صادقين اى فى تلك الدعوى
قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه

بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب
تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة
على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بجعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله
تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع
عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه وبوصوله او موصوفة
وما يشعرون ايان يبعثون اى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لابد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان
مركبة من اى وآن وقرئ بكسر الهمزة والفير للكثرة وان كان عدم الشعور بما ذكر مما لا يلزم التفكيك
بينه وبين ما سياتي من القرائن الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسند خواص الكثرة الى الجميع من قبيل قولهم
بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى
شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم في جهل اقبح من جهلهم
بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في
الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم
علم بشئ مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على
طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن
درجة اعتبارهم كما لا حظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى
بيان ما هو اسوء منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل بل هم في شك منها اى في شك مريب من نفس
الآخرة وتحققها لمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقف فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان
ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال
بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفنى وقد فسره الحسن البصري بامحى علمهم وقيل كلتا
الصيغتين على معناهما الظاهر اى تكامل واستحكم اوتم اسباب علمهم بان القيمة كائنة لا محالة من الآيات
القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب
وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك
الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة
النظم الكريم على جهلهم حج ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا
لهم بالجهل مبالغة والاضراب على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قراء ابن فايد لت التاء دالا وسكنت فتعذر
الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل أدّرك واصله افتعل وبل ادّرك بهمزتين وبل ادرك
بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام
وبلى ادرك وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك
فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتقرير لها لادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي و
الانكار وما بعده اضراب عن التقرير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم
منها عمون اورد وا انكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث
ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم أإذا كنا ترابا
وآباؤنا أئنا لمخرجون اى نخرج من القبور اذا كنا ترابا كما يحكى عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو
العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس
لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم ينكرون الاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على

حاله

حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام
الفصل مع الخبر مقام الفصل بها لتاكيد وتكرير الهمزة في اينا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة
بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على راى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب
كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اى
الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اى من قبل وعده عليه السلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر
وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استيناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله
تعالى ان هذا الا اساطير الاولين تقرير لاثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم
الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولى الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين
لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تك في ضيق
في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر
ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اى لا تك في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد
اى العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار
بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كما الباء في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي
تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما
نبها اظهارا للوقار واشعارا بان الوعد من امثالهم كالتصريح بمتم عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى
ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يرد فكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك
لذو فضل على الناس اى لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعامه تاخير عقوبة هؤلاء
على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة
فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كذاب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اى تخفيه و
قرئ بفتح التاء من كننت الشئ اذا سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكى عنهم
من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن
قد مر تحقيقه في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في
السماء والارض اى من خافية فيهما وهي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او الحمال لما
يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اى بين او مبين بما فيه لمن يطالعه وهو اللوح
المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه مختلفون من جملة ما اختلفوا في شان المسيح وحرفوا فيه احزابا وركبوا متن العتو والغلو في
الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ودفع بينهم التناكد في اشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن
بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اى
بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه
وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله
لترتيب الامر على ما ذكر من شؤنه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اى فتوكل على الله

الذى نزل شانه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق
المبين تعليل صريح للتوكل عليه لكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين
المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتاييده لا محالة وقوله تع
انك لا تسمع الموتى الخ تعليل آخر للتوكل الذى هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه و
الاعراض عن التسبب بما سواه وقد علل اولا بما يوجب من جهته تعالى اعنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه و
ثانيا بما يوجب من جهته عليه السلام على احد الوجهين اعنى كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه
الآخر اعنى اعانته تعالى وتاييده للحق ثم علل ثالثا بما يوجب لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن
التسبب بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم
رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبههم بالموتى لعدم تاثرهم بما
يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشئ من المسموعات ولعل المراد تشبيه
قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعرى
الاذن والعين كما فى قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون
بها والآ فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمى فريد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اى
الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفى بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفى فانهم
مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعى مولون عن ادبارهم ولا رتيه فى ان الاصم لا يسمع الدعاء
مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء
وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما فى قوله تعالى فانك لا تهدى من احببت
فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا
وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة فى نفى الهداية وقرئ وما انت تهدى العمى ان تسمع الا من تسمع اى
يجدى السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا اى من من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى والاثبات
دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدى الا من يؤمن للايذان بان طريقة الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية
فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى
بل من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من بقية
ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجئ الساعة وما فيها من فنون
الاهوال التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتاثيرها
واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع
دنوه واقترابه كما فى قوله تعالى اتى امر الله اى اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذى لا يكادون يسمعونه
ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهى الجساسة وفى التعبير عنها باسم الجنس وتاكيدها بما مزيد بالتنوين
التفخيمى من الدلالة على غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد فى الحديث ان
طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى انه لها اربع قوائم وله ذغب وريش
وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة
وصدر اسد ولون نمر وحاصرة هرة وذنب كبش وخفد بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع
آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير وروى عن على رضى الله عنه
انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروى لا يخرج الا
رأسها ورأسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابى هريرة رضى الله عنه فيها كل لون ما بين

قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا تتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن على رضى الله عنه انها تخرج
ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا اولها وعن النبى عليه السلام انه سئل من اين يخرج الدابة فقال من اعظم
المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تمكث
تخرج بالبادية ثم تمكث دهرا طويلا فبينما الناس فى اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا وهى
من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل
يخرج من الصفا وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذا تضطرب الارض تحتهم تحرك
القنديل وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام
فتضرب المؤمن فى مسجده فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضئ لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم فى انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم يقول لهم انت
يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قرع الصفا
بعصاه وسوحم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى ابو هريرة عن النبى عليه السلام انه قال
بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال يخرج من الدابة فتصرخ ثلث مرات
يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله عليه تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا
يوقنون اى تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجئ الساعة ومباديها او بجميع
آياته التى من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التى من جملتها خروجها بين يدى الساعة والاول هو الحق كما
ستحيط به علما وقرئ بان الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنه قولها لا
لعين عباداتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض
خواص الملك حيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اى بآيات ربنا ووصفهم
بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها و
قد تصفحوا بعقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام فى الاضافة كالذى
سبق وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع بين صيغتى الماضى
والمستقبل فانه صريح فى كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق فى الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق
او مشركو مكة وقد روى عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا يجحدون بالقرآن لا يوقنون وقرئ
تكلمهم من الكلم الذى هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة
ايضا من الكلم لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد
بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه السلام والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر
الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث وقدم
بيان سوء مرادا اى واذكر لهم وقت حشرنا اى جمعنا من كل امة من امم الانبياء او من اهل القرون جماعة كثيرة ممن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ممن يكذب بآياتنا بيان
للفوج اى فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا فى موقف
التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ابو
جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يسألون بين يدى اهل مكة وكذا بحشر قادة سائر الامم بين ايديهم
الى النار حتى اذا جاؤا الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اى الله عز وجل موبخا
لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة اكذبتم بآياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا
بها علما جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اى اكذبتم بها

يادى الراى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص ان
المراد بالآيات فيما سلف فى الموضعين هى الآيات القرآنية لانها هى المنطوية على دلائل الصحة وشواهد
الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا فيها لانفس الساعة وما فيها وقيل
هو معطوف على كذبتم اى اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها ام ماذا كنتم تعملون اى ام اى
شئ كنتم تعملون بها اوام اى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا
للكفر والمعاصى مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة نحا طبون بذلك تبكيتا ثم يكبون فى النار وذلك
قوله تعا ووقع القول عليهم اى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما
ظلموا بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بايات الله فهم لاينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية و
ابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا
بصرية لان نفس الليل والنهار وان كان من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اى الم
يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اى ليبصروا بما
فيه من الاضاءة طرق التقلب فى امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس
حالا له ووصفا من اوصافه التى جعل عليها بحيث لاينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما ان
تاثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تاثير ضوء النهار فى الابصار ان فى ذلك اى فى جعلهما كما وصفا
وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل لآيات اى عظيمة كثيرة لقوم
يؤمنون دالة على صحة البعث وصدق الآيات بدلالة واضحة كيف لا وان من تامل فى تعاقب الليل
والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة يحار فى فهمها العقول ولايحيط بها الا الله عز
وعلا وشاهد فى الافاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهى للحيوة وعاين فى نفسه
تبدل النوم الذى هو اخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحيوة قضى بان الساعة آتية لاريب فيها وان
الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذه انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه
وان الآيات الناطقة به ويكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله
تعالى ويوم ينفخ فى الصور اما معطوف على يوم يحشرهم منصوب بناصبه ويجعل معطوف عليه والصور
هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى
العرش متى يؤمر قال قلت يارسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده
ان عظم دائرة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ بنفخة لايبقى عند تلك النفخة فى الحيوة احد غير ما
شاء الله تعالى وذلك قوله تعا ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله
ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لايبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون والذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسياق الآيات المراد بالنفخ هنا هى النفخة الثانية وبالفزع
فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض ما يعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور
الهائلة الخارقة للعادات فى الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين للحيوان وايراد صيغة
الماضى مع كون المعطوف عليه اعنى ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان
بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخ عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة للتنبية على التهويل
بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منها طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولورود
الترتيب الوقوعى لربما توهم ان الكل داهية واحدة فلذا مر بذكرها كما مر فى قصة البقرة الا من شاء الله

اى ان لايفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وكل اى كل واحد من المبعوثين عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال
والجواب والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ كل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه و
قرئ آتوه اى حاضرده داخرين اى صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على
ينفخ داخل فى حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها جامدة اى ثابتة فى اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير
ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهى تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال فى تحسبها او فى جامدة اى ترا ها
راى العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام
اذا تحركت نحو جهة لايكاد يتبين حركتها وعليه قول من قال بارعين مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركب
تهملج وقد اوجه فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما فى قوله تع
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض
غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر
حسبما وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما نطق به قوله تعا ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا
ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لايكون الا بعد النفخة الثانية
وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضى فى المعطوف
مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا
وقد قيل ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعا فصعق
من فى السموات ومن فى الارض الآية فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم
وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولاريب فيه فى ان ذلك مما ينبغى ان ينزه
ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق
وهى التى اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق ييسر الله تعالى عند ذلك الجبال
فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة فى البحر او كالقنديل المعلق
تزعجه الارواح فانه مما لاارتباط بالمقام قطعا والحق الذى لامحيد عنه ما قدمناه ومما هو نقض للباب
ما سياتى من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اى صنع الله
ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ فى الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك
الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات الكائنة
من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هى من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس
الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التى لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى الابداع على الوجه المتين
والنهج الرصين كما يرجع عنه قوله تعالى الذى اتقن كل شئ اى احكم خلقه وسواه على ما يقتضيه
الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى
بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعوا الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هى عليه من الحسن والسوء
وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل
ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لاريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من
جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى باعمالهم من ترتيب اجزيتها عليها اى من جاء

اى ان

منكم ومن اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامها وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة ومعنى اى الذين جاؤا بالحسنات من فزع اى عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذى فى قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رح حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح وينادى المنادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اى يوم اذ ينفخ فى الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهييب والترعيب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهى والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى آمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الاولى لجميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم النار اى كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اى مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها امر مؤكد بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة تنبيها لهم تنبيها لهم على انه قد تم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا اصلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة وينشغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هى مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتربيه تعالى اياها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما فى قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونها حرمة من ان تهتك حرمتها باختلاء خلا ما وعضد بحرمتها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطى اجرائم الفجور واشنع اعاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قائلين لله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شئ اى خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شئ فى شئ من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اى اثبت على ما كنت عليه من كونى من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اى الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قولهم تعالوا من احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اى اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه المخزونة فى تضاعيف شئونه فشيئا فشيئا او على تلاوته على الكفار بطريق تكرير الدعوة وتشنيع الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه حيث يفوز بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياى فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى وقل الحمد لله اى على ما افاض على من نعمائه التى اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ورفقنى لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين الزاهرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به اى سيريكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر وايا ما كان فتعرفونها اى فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم فى الاخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبى عليه السلام وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اى وما ربك بغافل عما تعملون انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وابرهيم وشعيب عليهم الصلوة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى اشباهه نتلو عليك اى نقرؤ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اى بعض نبئهما بالحق متعلق بالمحذوف هو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اى نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا فى الارض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اى انه تجبر وطغا فى ارض مصر وجاوز الحد فى المعهودة فى الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اى فرقا يشيعونه فى كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يستعمل كل صنف فى عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ولم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة فذا غرى بينهم العداوة والبغضاء ليتم يتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد فى بنى اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اى الراسخين فى الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن ان نتفضل على الذين استضعفوا فى الارض على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع فى نريد لحكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا لما تناسبهما فى الوقوع فى حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف بتقدير المبتدأ اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقرئ نمكن بالنون وما بعده على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اى مقولا فيهم ذلك وقرئ ويرى بالياء على البناء للمفعول من الرؤية وفرعون وهامان وجنودهما بالنصب على المفعولية وما كانوا يحذرون بالياء على البناء للفاعل اى من بنى اسرائيل وقرئ بالتاء على الخطاب للقبط وقرئ يحذرون على البناء للمفعول من التحذير وقرئ يحاذرون من المفاعلة وقرئ يحذرون من التفعيل وقرئ يحذرون من الافتعال وقرئ يحذرون من الحذر وقرئ يحذرون من الحذر وقرئ يحذرون من الحذر

ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين وبجعلهم الوارثين بجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه
وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها
عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من رواد فاعنى قوله تعالى ونمكن
لهم في الاخرة الخ اى نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن واصل التمكين اى يجعل للشئ مكانا
يتمكن فيه ويرى فرعون وهامان وجنودهما منهم اى من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويحيقون
في دفعه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى
ام موسى بالهام اورؤيا ان ارضعيه ما املك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجبابرة عند بكائه
ويتنوا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه صيعة بالغرق ولا تحزني انا رادوه
اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن واتيانها الجملة
الاسمية وتصدير ها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اى انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة
روى ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها
لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض ملاها نورا بين عينيه وارتعش كل مفصل ودخل حبه في قلبها
ثم قالت ما اجتنك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه
فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا
فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فاخذته اليها وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا
وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روى انها ارضعته ثلثة اشهر في
تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على
جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال واذانا بكمال سرعة الامتثال اى فالقته
في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اى اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة لا عن الضياع
قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان
بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرا الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة
كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبراء فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في
مجلس له على شفير النيل ومعه امراته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن
يوسف الصديق عليه وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمة حكاه السهيلي واقبلت بيت
فرعون في جواريها حتى جلست بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج
فتفاوح بشجة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا
كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في
مهده واذا نور بين عينيه وسويعة يلهمه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى
ريقة فلطخت به برصها فبرات من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برات فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان
هذا هو الذي تحذر منه رمى في البحر فرقا منك فاقتليه فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سياتي و
اللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة للالتقاط تشبيها له في الترتب
عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن لفرط المبالغة
لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اى في كل ما ياتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا الجملة
الوفا ثم اخذوه بربوته ليكبروا ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روى انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون الفا وليد
او كانوا اذ نبين فعاقبهم الله تعالى بان ردى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطايهم او لبيان الموجب

لما ابتلوا

لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين القلوب الى الخطاء وقالت امراة
فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك اى هو قرة عين لنا لما انهما لما رأياه
احتباه اولما ذكر من برء بنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى
كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعده فيما تراه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن
ودلائل النجابة وذلك لما راات فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اى نتبناه فانه حليق بذلك
وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت
له امراته كبت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني
له وقوله تعالى ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميري
نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنياه واصبح فواد ام موسى فارغا صفرا
من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء
اى خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر وقيل فارغا من الهم
والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى واسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ موسى بالهمزة
اجراء للضمة في جاره الواو مجرى ضمها فهمزت كما في وجوه آن كادت لتبدي به اى انها كادت لتظهر بموسى
اى بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والتبات
لتكون من المؤمنين اى المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لابتنى فرعون وتعطف
على علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوة
عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اى اتبعي اثره وتتبعي
خبره فبصرت به اى ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا
يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع
من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع وسوالرضاع او موضعه لغة الذي
من قبل اى من قبل قصها اثره فقالت عندرويتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم
من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه
وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم
الملك ناصحون فامر بها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي ويعلله فدفعه
اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقره في يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها
وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان
وعد الله اى جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس
بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها
بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرض منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون فلما بلغ اشده اى
المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث
نبي الا على راس الاربعين واستوى اى اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اى نبوة وعلما
بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو افق للنظم
القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي
المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر فرعون وقيل منف او خابين او عين الشمس

من نواحيها على حين غفلة من اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل
وهذا من عدوه اى مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته
اى سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذى من عدوه فوكزه موسى
اى ضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب بصدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حيوته من قوله
تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار او لانه كان مأمونا
فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما
واستغفر عنه جريا على سنن المقربين فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو
مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيطه بين كلامى عليه السلام لابانة تباينهما من حيث انها
مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب انى ظلمت نفسى اى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له ذلك انه هو الغفور
الرحيم اى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت على اما قسم محذوف الجواب اى اقسم
بانعامك علىّ بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اى بحق انعامك
علىّ اعصمنى فلن اكون معينا لمن يؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام استثنى
فابتلى به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى
مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستفادة او الاجناد فاذا الذى استنصره
بالامس يستصرخه اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين اى بين الغواية
تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما اراد موسى ان يبطش بالذى هو عدو لهما اى لموسى وللاسرائيلى اذ
لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال اى
الاسرائيلى ظانا انه عليه السلام يبطش به جسميا يا موسى تريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا
بالامس قالوا لما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون
فاخبره بذلك واعز فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطى ان تريد اى ما تريد الا ان يكون
جبارا فى الارض وهو الذى يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر فى العواقب وقيل للتعظم الذى
لا يتواضع لامر الله وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى
المدينة اى كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اى يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور
صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه بالجثة بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه خرقيل وقيل شمعون
وقيل شمعان قال يا موسى ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك اى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين
يأمر الآخرين ويأتمر فاخرج اى من المدينة انى لك من الناصحين اللام للبيان لما ان معمول الصلة
لا يتقدمها فخرج منها اى من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجنى من القوم الظالمين
خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اى نحو مدين وهو قرية شعيب عليه السلام سميت
باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى
ان يهديني ربي سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطريق فعن له
ثلث طرائق فاخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الاخريين وقيل خرج خائفا يلتفت يمينا وشمالا
الشجر فما وصل حتى سقط حف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما
ورد ماء مدين اى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اى فوق سفير ما امة جماعة
كثيفة من الناس يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم اى فى موضع اسفل منهم امرأتين

تذودان اى تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الفائدة
فى التقدم قال عليه السلام لهما حين رآهما على هيئة ما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شانكما فيما انتما
عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كالرجال هؤلاء قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء اى عادتنا
ان لا نسقى حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا من مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال
لانا لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك
الافعال انفسها اذ هى التى دعت موسى عليه السلام الى صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما عرفهما
لكونهما على الزياد للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون ذودهما غنما ومستقيهم ابلا
مثلا وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال والرعاء
جمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ايلاء منهما للعذر اليه عليه السلام فى توليهما للسقى بنفسهما
كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستوران لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ومالنا رجل يقوم
بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد من تاخير السقى الى ان يفضى الناس او طارهم من الماء
فسقى لهما رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا وروى ان الرعاة كانوا يضعون على رأس
البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع كمال به من القوة
والجراءة والجموع ولعله عليه السلام زاحمهم فى السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك
فان الظاهر انه عليه السلام غيبا شاهد حالهما سارع الى السقى لهما وقد روى انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما
وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروى انه عليه السلام سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم
وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى عنهما
واصدرهما ثم تولى الى الظل الذى كان هناك فقال رب انى لما انزلت الىّ اى اى شئ انزلته
الىّ من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمونة المقام فقير اى محتاج ولتضمنه معنى السؤال
والطلب جئ بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الىّ من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا
فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته
احديهما قيل هى كبراهما واسمها صفورا او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء اى جاءته مستترة
الى ابيهما روى انها لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما مفعول بطان قال لها ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبى فادعيه لى وقوله تعالى تمشى حال من فاعل
جاءته وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى اى جاءته تمشى كائنة على استحياء
فمعناه انها كانت على استحياء حالتى المشى والمجئ معا لا عند المجئ فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته
مستترة اى شديدة الحياء وقيل خماصا قالته عليه السلام فقيل قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا اى جزاء سقيكم لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها رية وفيه من
الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهى امامه
فالزقت الريح ثوبها بجسدها فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى اتيا داره شعيبا
فلما جاءه وقص عليه القصص اى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمى به المفعول كالعلل
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام
انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برايه الا ليأخذ بمعروفه اجرا
حسبما صرحت به الابرى الحار وروى ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع
الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع

كل من يتزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل المعروف مبتداء كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من
بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار بنى من انبياء
الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه ع م ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد
روى عن عطاء بن السائب انه عليه السلام رفع صوته بدعايه ليسمعها ولذلك قيل ليجزيك الخ ولعله م
انما فعله ليكون ذريعة الى استدعايه للاجر الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهى التى استدعته الى ابيها
وهى التى تزوجها من موسى عليهما السلام يا ابت استاجره اى لرعى الغنم والقيام بامرها ان خير من
استاجرت القوى الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فى ذلك جعل خير
اسما للان وذكر الفعل على صيغة الماضى للدلالة على انه امين مجرب روى ان شعيبا عليه السلام قال
لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال اللجر ونزع الدلو وانه صوب
رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى اى
تكون اجيرا لى او تثبتنى من اجرت كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى ثمانى حجج على الاول ظرف وعلى
الثانى مفعول به على تقدير مضاف اى رعيته ثمانى حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت دارى ومملوكى غير
ممدود وآجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثانى محذوفا والمعنى على ان تاجرنى نفسك
وقوله تعالى ثمانى حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا فى الخدمة والعمل فمن عندك اى تفضلا
من عندك بطريق التفضل لا من عندى بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى
عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام
اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان
ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ويوزعك رأيك فى مزاولته ستجدنى ان شاء
الله من الصالحين فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء التبرك
به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيته تعالى قال ذلك بينى وبينك مبتداء وخبر اى
ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطنى عليه قايم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عاشرطت
على ولا انت عاشرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اى اكثرهما واقصرهما قضيت اى وفيته
باداء المذمة فيه فلا عدوان على تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اى لا عدوان على بطلب الزيادة على
قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان فى
اكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما فى الانتفاء اى كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثمانى اوايما الاجلين قضيت فلا اتم على يعنى كما لا اتم على فى قضاء الاقصر فقط وقرئ اى الاجلين ما
قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها فى القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اى وشياعها وقرئ ايما
بكون الياء وكقول من قال تنظرت نصر والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول
من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحدنا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكى
عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام فى انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان
لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين
فى تلك الشريعة تفصيلا روى انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا
من تلك العصى وكانت عند عصى الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط آدم عليه السلام من الجنة ولم
ينزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فسماها وكان مكفوفا فضمن بقا فقال غيرها
فاوقع فى يده الا التى سبعمرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل ومن بعد موت آدم عليه السلام فكانت

لعه حتى لقى بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها
سبع مرات فلم يقع فى يد الا غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما
اول طالع فاتاهما الملك فقال القيا ها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى ع م وعن
الحسن رضه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج
ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مغرق الطريق فلا تاخذ على يمينك
فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها ثعبانا اخفاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم
يقدر على كفرها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالثعبان قد اقبل فحاربته العصا حتى
قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والثعبان مقتولا ارتاح لذلك وما رجع
الى شعيب عليهما السلام متن الغنم فوجد ما يملأ البطون عزيزة اللبن فاخبره موسى ع م بالشان ففرح
وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له انى وهبت لك من تاج غنمى هذا العام كل ادبع ودرعا فاوحى
اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادبع ودرعا
فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اى فعقد العقدين وباشر موسى
ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى انه عليه السلام قضى
ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه فى ذلك فاذن له فخرج
باهله آنس من جانب الطور اى ابصر من الجهة التى تلى الطور نارا قال لاهله امكثوا انى انست نارا
لعلى اتيكم منها بخبر اى بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اى عود غليظ سواء كانت فى راسه
نار او لا وقال قايلهم بات يخاطب ليلى ليتمس لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى عا قبس من
النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها
وكلها لغات لعلكم تصطلون اى تستدفئون فلما اتاها اى النار التى آنسها نودى من شاطئ
الوادى الايمن اى اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام فى البقعة المباركة
متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى
انى انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما فى طه والنمل لكنه موافق له فى المعنى المراد وان الق
عصاك عطف عليه ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى فلما راها تهتز فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقيق مدلولها اى فالقاها فصارت
فصارت ثعبانا فاهتزت فلما راها تهتز كانها جان اى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا
اى منهزما من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع يا موسى اى قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
عن المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك فى جيبك اى ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير
سوء اى عيب واضمم اليك جناحك اى يديك المبسوطتين بها الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت
العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالها فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو ان يكون ذلك
وجه العدو واظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب
العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من
الرهب اى من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا او ضبطا للنفس وقرئ بضم
الراء وسكون الهاء وبفتحهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون
فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم بره الرجل
اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره

تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلان لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اى كائنا منه قوله تعالى الى فرعون وملائه اى اصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسل اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اى معينا وهو في الاصل اسم مايعان به كالدف وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لايطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة بآياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع آخر اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلطكما بآياتنا او بمعنى لايصلون اى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لايصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات اى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اى السحر اوادعاء النبوة في ابائنا الاولين اى واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لايفلح الظالمون اى لايفوزون بمطلوب ولاينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملاء ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ماكان فاوقد لي يا هامان على الطين اى اصنع اجرا فاجعل لي منه صرحا اى قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين اوارادان يبني له رصدا يتصدمنه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها على بغيته رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولاكذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر بانجاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع مافيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيانا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لايرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فقدرنا هم تفضيله وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار الماخوذين المنبوذين مالا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم في نظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم في عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار اى مايؤدي اليها من الكفر والمعاصي

اى قدوة

اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل تمينا هم ائمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منح الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لايزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضي الله عنه يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريض لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعلكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اى التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون اتيانها بعد اهلاكهم كالشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس آثارها واحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الماضية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة الى اتيانها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي يستبصر كما ان البصر نور العين الذي يتبصر وهدى اى هداية الى الشرايع والاحكام التي هي سبيل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ وقيل على العلة اى آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادرا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه يوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية اى وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه والجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي واتيانه التورية وما كنت من الشاهدين اى من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح فتخبره للناس ولكنا انشانا قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرايع والاحكام وعميت عليهم الانباء لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم اى تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات

ونظائرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اى وقت نادينا موسى انا الله رب العالمين واستنبأناه اياه وارسلناه الى فرعون ولكن رحمة من ربك اى ولكنا ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك منها بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى فى الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينها تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بان المراد فيهما ايضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام بالقرآن حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اى لم يأتهم نذير لقومك فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببنى اسرائيل لعلهم يتذكرون اى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين قضاء الامر والثواء فى اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكاية عليه السلام للقصة بطريق الوحى الالهى ولو ذكرا ولا نفى ثوايه عليه السلام فى اهل مدين ثم نفى حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر فى قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اى عقوبة بما قدمت ايديهم اى بما اقترفوا من الكفر والمعاصى فيقولوا عطف على تصيبهم داخل فى حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكره فى حيز ما لان بانة السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اى هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالايات فنتبع آياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جنايتهم التى قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اى اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن المنزل عليه ﷺ قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتى يعنونه عليه السلام مثل ما اوتى موسى من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لها بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقولهم تعالى قالوا استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقولهم تعالى سحران خبر لمبتدأ محذوف اى هما يعنون ما اوتى محمد وما اوتى موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود فى بعد لهم كما فى لوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده فى التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا اذ ذاك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اى بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم فى الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقال الاترى الى قوله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اما اوتيا من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اى ان يأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسطوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اى فى انهما سحران مختلفان وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان

بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا واتما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عليه السلام على كمال من مرة كان امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى المريد وقوعه والاستجابة تنتدى الى الداعى بنفسه والى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم اتما يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكارى للنفى اى لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفى الافضل لا لنفى المساوى كما مر فى نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع فى التشنيع والتضليل والا فمقارنة الهدى من الله تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اى انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة اى متتابعا وعدا ووعيدا قصصا وعبرا ومواعظ ونصايح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل اتيانا القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اى القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اى الحق الذى كنا نعرف حقيقته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اى من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمان وعلى الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من ناجزهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغى الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدى هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود ولكن الله يهدى من يشاء ان يهديه فيدخله فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك وللجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال ضرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما رأى من شدة وجدك ولفيضتك ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبى عليه السلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانا نحن اكلة رأسهن ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا اى الم نجعلهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت بالحرام الذى يتناصر العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى اى يجمع ويجلب اليه ثمرات كل شئ من كل ارب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تعذر هم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فى ذا كان حالها ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف بنا فون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما

خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها
بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا بأس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها اى وكثير من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا
عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا
اى الازمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يسكن من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها
بنزع الخافض ويجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا
بطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة
اى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق
ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث فى امها اى فى اصلها وقصبتها التى هى
اعلاها وتوابعها لكون اهلها افضل وابتل رسولا يتلوا عليهم اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه
بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكى القرى عطف على ما
كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما كنا مهلكين لاهل القرى
بعد ما بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب
رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الهلاك بموجب السنة الالهية لا للعدم والوقوع حتى يلزم
تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل وما اوتيتم من شئ من امور الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اى فهو شئ شأنه ان يتمتع ويتزين به ايا ما قلائل وما عند الله وهو الثواب
خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة العدم وابقى لانه ابدى
افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو دنى بالذى هو خير و
قرئ بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم أفمن وعدناه وعدا
حسنا اى وعدا بالجنة فان حسن الوعد يحسن الموعود فهو لاقيه اى مدركه لا محالة لاستحالة الخلف فى
وعده تعالى ولذلك جئ بالجملة الاسمية المفيدة لتحقق البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء والاولى
ترتيب انكار المتشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة
الدنيا وبين ما عند الله تعالى اى بعد هذا التفاوت الظاهر يستوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم
القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن
متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب واثبار الجملة الاسمية للدلالة على
التحقق حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة وقرئ ثم هو
بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم ينادى منصوب بالعطف على يوم القيمة لا اختلافهما عنوانا
وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائى الذين كنتم ترعمون اى الذين كنتم ترعمونهم
شركائى فحذف المفعولان معا لدلالة الكلام عليهما قال استيناف مبنى على حكاية السؤال كانه قيل
فماذا صدر عنهم حين سمعوا فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين
اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه
ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد

وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة وامالتفطنهم ان السؤال لاحضارهم
وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا وامالان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء ردا
لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا للظهور ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هم الذين اغوينا هم فحذف الراجع
الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره وردته وقوله
تعالى اغوينا هم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اى اكرهناهم على الغى وانما اغويناهم بطريق
الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة
لاسم الاشارة واغوينا هم الخبر تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى منهم وتقرير ما قبله
ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون
اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله سبحانك تبرانا اى تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل ادعواشركاءكم انكم آلهتكم
او بكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب
فدعشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو
للتمنى اى تمنوا لو انهم مهتدون ويوم يناديهم فيقولون ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن
اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اى صارت كالعمى عنهم لا
تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من
خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمينه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء
اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل وجميع الانباء ومن داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون
العلم فى ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع زاجرتهم عن غائلة السؤال فما ظنك بأولئك الضلال عن الامم
فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء فى الجهل فاما من تاب
من الشرك وآمن وعمل صالحا اى جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اى الفائزين بالمطلوب
عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجى من قبل التائب بحسب ظنه فيقتوقع الافلاح
وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة
اى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفى الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه
ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قول الوليد بن المغيرة لو لا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى كان
لهم فيه الخير والصلاح سبحان الله اى تنزه بذاته تنزيها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختياره
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اى المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون فى الآخرة
كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده الآية وله الحكم اى القضاء النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره
قل تقرير لما ذكر ارأيتم اى اخبرونى ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد
الى يوم القيمة بلا فترة كما فى قوله تعالى ولا ظل من يحموم لا ظل ولا مفيض من الادلاص وهو ان يقال درع دلاص اى ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من غير الله صفة الآلهة يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت
والالزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل آله الا ابراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بغيتا بهمزتين
افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعلموا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تسييرها على مدار فوق الافق من الله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع
لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه الى في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون
ولكي تشكروا نعمته بان تفعلوا ما تفعل اولتعرفوا نعمته وتشكروه عليها ويوم ينادي منصوب باذكر فيقول اين
شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كالا شئ اوغل
في مرضاته من توحيده ونزعنا عطف على ينادي ومعنى وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من
فاعله باضمار قد او الالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشان النزع وهو بعثه اي اخرجنا من كل امة
من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك
الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد
وضل عنهم اي غاب غيبة الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى
كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عم موسى وعم ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام
ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورة وقيل كان اقرا بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا
كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فمالي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والجورة و
القربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر كلما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى ع م
ما اصنع الله تعالى قال لا احتك حتى تاتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجئ كل واحد بعصاه فخرتها والقاها في القبة
التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر
فقال قارون ما هو عجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الافضل عليهم وان يكون تحت
امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منذ في حق موسى عليه السلام
وهرون ع م وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتيح صناديقه وهو جمع مفتح
بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبران والجملة
صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لتنوؤ بالياء
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه
منصوب بتنوء وقيل ببغى وقيل بآتينا وقيل باذكر لا تفرح مقيد بذلك الوقت وقيل بآتينا وقيل لا تفرح الا يتاء ايضا غير مقيد به و
قيل بمحذوف فقيل سواذكر وقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال
انما اوتيته ويكون الجملة معترضة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة جهلها و
الرضا بها والذهول عن ذمها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك
قال تعالى ولا تفرحوا بما اتيكم وعلل النهي ههنا بما يكونه مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي
بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ وابتع فيما اتاك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيها
بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها
آخرتك وتاخذ منها ما يكفيك وحسن اي الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه من
الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه انما اوتيته على علم عندي كانه

يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانباءه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب و
استحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال
وهو علم التورية وكانوا علموا بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح
الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي او في ظني ورايي اولم يعلم ان
الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ و
تنجيب منه فالمعنى الم يقرا التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او
روية لآيات العلم وتعظه به بنفي هذا العلم عنه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى بقي به نفسه مصاع الهالكين
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من
قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب
كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته
اما متعلق بخرج او بمحذوف موصوف حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينة قيل خرج على بغلة شهباء عليها الاجود
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وقيل في تسعين وعن يمينه
ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات و
هو اول يوم رئي فيهم المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين حرصا على سنن الجبلة البشرية من
الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى ويتفقوه
في سبل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين اوتوا
العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال كما
تنشأ يان يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمنى المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما
ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تمنونه
لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه كما ولا يلقاها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء
او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانها في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي
على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يوذي موسى عليه السلام كل وقت وهو
يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعد الى ان يفضح موسى عليه السلام
بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طشتا من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام
موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان
تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لوجه يبكي ويقول يا رب ان كنت
رسولك فاغضب لي فاوحى اليه اني امر الارض باطاعتك فقال يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى قارون
كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض
خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم
يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم
فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى
خسف بداره واموالها فما كان له من فئة جماعة مستفقة ينصرونه من دون الله يدفع العذاب عنه وما
كان من المنتصرين اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح

الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر اى يفعل كل واحد من البسط والقدر بحسب مشيته للكرامة توجب البسط وللهوان يقتضى القبض و
ويكان عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من
ويك بمعنى ويلك وات وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبيه على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد
تنبهوا على خطائهم فى تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا
مثل ما اعطاه ايانا وقرئ لولا منة الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا
هو القائم مقام الفاعل وقرئ لاخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لنخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله تعالى والمكذبون برسله وبما وعد وامن ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل
تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض اى غلبة وتسلطا ولا فسادا
اى ظلما وعدوانا على العباد كاباء فرعون وقارون وفى تعليق الوعد بترك ارادتها لا بتركها انفسها مزيد تحذير
منها وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة
الحميدة للمتقين اى الذين يتقون مالا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله بمقابلتها
خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر
موضع الضمير ليتجهين حالهم تكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اى الامثل ما كانوا يعملون فحذف المثل و
اقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ان الذى فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه و
العمل به لرادك الى معاد اى معاد معاديتدا اليه اعناق الهمم وبرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذى
وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة فى اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به
منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد آبائه وحرم ابرهيم عليه السلام فنزل جبريل ثم فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحيها اليه قل ربى
اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اى يعلم وقيل باعلم على انه
بمعنى عليم ومن هو فى ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى بذلك نفسه والمشركين وسوق تقرير
للوعيد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء مجمولا على المعنى كانه قيل وما القى
اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم
ولا يصدنك اى الكافرون عن ايات الله اى عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك
وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن
من المشركين بمساعدتهم فى الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع الطماع
المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهى عنه فى القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره
عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شئ هالك الا وجهه الا اذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن فى حد
ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اى القضاء النافذ فى الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن ابى بن كعب
من قراء طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

الناس الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعانى المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شئ بشئ او انتفائه شئ عن
شئ بحيث يحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما فى عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما فى الجمل المصدرة بان والواقعة
صلة للموصول الاسمى او الحرفى فان كلا منها صالحة لان يشتبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فى قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا
آمنا او ان يقال احسبوا انكم غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور وايجاب
وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات الانفس وظائف الطاعات
وفنون المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ فى الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم
بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى النار روى انها
نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله
وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته
وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول
من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله
تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع
خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا وكما
يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فاوهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا الآيات وعن النبى عليه السلام قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما
يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله
الذين صدقوا اى فى قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفهم عنه ما قبلها
من وقوع الامحالة واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وترتيب المهابة وتكرير
الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اى فوالله ليتعلقن علمى بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى
الايمان الذى اظهروه والذين هم كاذبون مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب
ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون
بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اى يفوتونا فلا نقدر على
مجازاتهم بمساوى اعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه ولم منقطعة وما فيها من
معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل وهو
حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يجدوا انفسهم بذلك لكنهم حيث
اصروا على المعاصى ولم يتفكروا فى العاقبة نزلوا منزلة من يطمع فى ذلك كما فى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده
ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اى
يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثواب
وقيل يخاف عذابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب
والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتى و
يذر فاما ان تلقاه بشر وكرامة لما رضى من افعاله او بضده لما سخطه فان اجل الله ان الاجل عبارة
عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر فى الاستعمال
اى فان الوقت الذى عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف ثنيه لان اجزاء
الزمان على التقضى والتصرم دايما فلا بد من اتيان ذلك الجزاء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيانه

اللقاء حتما والجواب محذوف اى فليبتدر من الاعمال ما يؤدى الى حسن الثواب وليحذر ما يسوق الى سوء العذاب كما فى قوله
تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق
املہ ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة
والعقائد ومن جاهد فى طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغنى عن العالمين
فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن
جزاء اعمالهم للجزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا اى بايتاء والديه وايلائهما احسن اوما
هو فى حقه الى حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وصى بجرى مجرى امر معنى ولقرنه غير انه يستعمل
فيما كان فى المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل
انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى وقلنا لهما افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه
يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم اى بالاهية عبر عن
نفيها بنفى العلم بها لان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما
فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يعبر فيما قبل وفى تعليق النهى عن طاعتهما
بجاهدتهما فى الشركيد اشعار بان موجب النهى فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الى مرجعكم اى مرجع
من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازى كلا منكم بعمله ان خيرا فخير
وان شرا فشر والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابى سفيان بن امية ان لا
تستقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى سورة لقمان وسورة الاحقاف
وقيل نزلت فى عياش بن ربيعة المخزومى وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل
والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان امر دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد
تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وقلامنه فى الذروة والغارب واستشار
عمر رضه فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم الى بينى وبينك فمازالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضه فقال عمر رضه
اما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فاحجر فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتى قد
كلت فاحملنى معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالا
لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين اى فى زمرة
الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى رجاء المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى
حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى حق ابرهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن
الصالحين او فى مدخل الصالحين وهو الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله اى فى شانه تعالى بان
عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اى ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله فى الشدة والهول فيرتد عن الدين
مع انه لا قدر لها عند لقحة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اى فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا
الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اى مشائعين لكم فى الدين
فاشركونا فى المغنم وهو ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مستهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من
المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى أوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين اى بما علم منهم بما فى صدورهم
من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والانحفاء عن المسلمين واوضاعكونهم منهم لنيل
الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق والحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اى بالاخلاص وليعلمن
المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة اولا اى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا

للذين

الذين آمنوا بيان لحالهم المؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر هنا دون
ما سبق لان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اى قالوا للخاطئين لهم
اتبعوا سبيلنا اى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذى هو المشى خلف اشى آخر تنزيلا
للسالك منزلة السالك فيه اوا تبعونا فى طريقتنا ولنحمل خطاياكم اى ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث
كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عالمين له على مرهم بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بالتخفيف
الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقرئ من خطيئاتهم
اى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم البتة التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق
والجملة اعتراض وحال انهم لكاذبون حيث اخبروا فى ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجازما وعدوا
فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما فى قوله تعالى ائتونى باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك فى الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان
عدم منفعتة لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها قادحة واللام جواب قسم مضمر
اى وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر مع اثقالهم لما تسببوا بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من
غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شئ ما اصلا وليسالن يوم القيمة سوال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اى
يختلقونه فى الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التى من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما شروع فى بيان افتنان الانبياء عليهم السلام باذية امهم اثر بيان افتنان المؤمنين باذية الكفار
تاكيد للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثهم على الصبر فان الانبياء عم حيث ابتلوا باصناف
من جهة امهم من فنون الكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام الفا
وخمسين عاما بعث على راس اربعين سنة ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن
وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على
ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشبيته
على ما كان عليه من مكابدة ما ينالهم من الكفرة واظهار ركاكة راى الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف الميزان
الكثير من نوع بشاعة فاخذهم الطوفان اى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بشئ على
كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم
ينزعوا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة المتمادية فانجيناه
اى نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية
وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة اولى الوثنة والقصة آية
للعالمين يتعظون بها وابرهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن
المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اى ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر و
الاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الابدال اشتمال
من ابرهيم اعبدوا الله اى وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اى ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم
اى مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اى الخير والشر وتميزون
احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف فى الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة
والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته فى نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى
الدين الحق اى انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هى فى نفسها تماثيل مصنوعة لكم فيها وصف غير ذلك وتخلقون
افكا اى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك

وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ أفكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا اى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اى بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امركم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اى تكذبون فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اى فلا تضرونني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيدة عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر اى الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء ومن مادة ومن غيرها وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على ولم يروا الا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشاه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اى ما ذكر من الاعادة على التدريج اذ لا يفتقر فعله الى شئ اصلا قل سيروا فى الارض امر لاهل مكة ان يقول لهم ذلك اى سيروا فيها فانظروا كيف بدا الخلق اى كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبايع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على التسبب فى الارض موزن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين فى اقطارها ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد النشاة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشاة الآخرة للمشعرة بكون البدء نشاة اولى للتنبيه على انهما شان واحدان شؤن الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرافة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوايد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اى ينشئ فينشؤن النشاة الآخرة كما فى قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض داخلة معها فى حيز القول واظهارها لاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدء الابراز لمزيد الاعتناء وبيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد فى قدرته عليها ولا فى وقوعها بعد ما اخبر به يعذب اى بعد النشاة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب اليق بالمقام من الترغيب واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم فى الارض ولا فى السماء اى بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها ولا بالتحصن فى السماء التى هى افسح منها لو استطعتم الرقى فيها كما فى قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل فى السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اى ولا من فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات الله اى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله

فيدخل

فيدخل فيها النشاة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بالدليل وحدانيته تعالى لاينا سب المقام ولقايه الذى ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بايات الله تعالى ولقايه يئسوا من رحمتى اى ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضى للدلالة على تحققه او يئسوا منها فى الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفى تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فضاعة حالهم ما لا يخفى اى اولئك الموصوفون بالكفر بايات الله تعالى ولقايه وبالياس من رحمته الممتازون بذلك عن سايرالكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره فى الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه فى نظايره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابرهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذى استقر عليه جوابهم بعد التيا والتى فى المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الزافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اى فالقوه فى النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين فى مواضع آخر وقد مر فى سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار فى موضع اصلا ان فى ذلك اى فى انجائه منها لايات بينة عجيبة هى حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اى ابرهيم عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وايثاركم وفى مفعولى اتخذتم محذوف اى اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول الثانى على تقدير المضاف او تاويلها بالمودودة او يجعلها نفس المودة مبالغة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة نا صبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدا محذوف اى هى مودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عايدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم ايانا مودة بينكم ليس الا فى الحيوة الدنيا فاذا جئتم الآخرة حكمنا حيث فعلتم بى ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا الهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامر ويتبدل التوادبالتعادى والتلاطف بالتلاعن حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اى يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر وماواكم النار اى هى منزلكم الذى تاوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من النار التى القيتمونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى مقابلة الجمع اى ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اى صدقه فى جميع مقالاته لانى نبوءته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين راى النار لم تحرقه ينبغى ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهى التى لا يرتقى اليها الا هم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته وهم وقال انى مهاجر اى من قومى الى ربى الى حيث امرنى به انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرنى الا بما فيه صلاحى وروى انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم وهى بالشام وهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ليس من عجوز عاقر وجعلنا فى ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اى جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا فى الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى الكاملين فى الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابرهيم والكلام فى قوله تعالى

اذ قال لقومه كالذى مر فى قصة ابرهيم عليه السلام انكم لتاتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية فى القبح وقوى
اينكم ماسبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشى
عنها ليس الا لكونها مما يشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة اى بالفاحشة حيث روى انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء بالاعراض عن
الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتاتون فى ناديكم اى تفعلون فى
مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والظراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن
عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والقرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل
الازرار والسباب والفحش فى المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اى فما كان جوابا من جهتهم شئ من الاشياء الا بزة الكلمة
الشنيعة اما لم يصدر عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان او عدم فيها بالعذاب واما ما فى
سورة الاعراف من قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا من قريتكم الآية وما فى سورة النمل من قوله فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذى صدر عنهم بعد هذه المرة الاخيرة من مرات المقاولات
الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف قال رب انصرنى اى بانزال العذاب الموعود
على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيما بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء و
انما وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى اى بالبشارة بالولد
والنافلة قالوا اى لابرهيم عليه السلام فى تضاعيف الكلام حسبما فصل فى سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا
اهل هذه القرية اى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل
للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم فى فنون الفساد وانواع المعاصى قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله اراد وا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عن عدم تعرض له
ابرهيم عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم
اى والله لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اى الباقين فى العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا
المذكورون بعد مفارقتهم لابرهيم عليه السلام لوطا سيئ بهم اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه
بسوء وكلمة ان صلة لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اى ضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اى طاقة كقولهم ضاقت يده وباز انه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال
ما لا ينال قصير الذراع وقالوا ريثما شاهدوا فيه مخايل التفضح من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد
اللتيا والتى حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد لانحف اى من قومك علينا ولا
تحزن اى على شئ وقيل يا هلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امراتك كانت من الغابرين
وقرئ لننجينك ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على
محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل قرية رجزا من السماء استيناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد
التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يقلق المعذب اى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب
وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اى من القرية آية بينة
هى قصتها العجيبة وآثار ديارها المخربة وقيل الحجارة المطوقة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه
الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بما تركنا او ببينة والى
مدين اخاهم شعيبا متعلق بمحذوف معطوف على ارسلنا فى قصة نوح اى وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم

من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل واجعلوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا
فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة
اى صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها الهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا فى ديارهم
اى فى بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان
باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اى اهلكنا وقرئ ثمود ابنا ويل الحق وقد بينا لكم من مساكنهم اى وقد ظهر لكم
اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذاهبا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان
اعمالهم من فنون الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل السوى الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين
من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك اى متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام
لهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك اى متبينين ان العذاب لاحق بهم لجواحتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان
معطوف على عاد اقيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا
سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبا اذا فاته ولم يدركه ولقد اردكهم امر الله عز وجل اى ادراك فدارکه
نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اى فكل واحد من المذكورين اخذنا
بذنبه اى عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
تفصيل للاخذ اى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين
وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله
ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن انفسهم يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب
ذلك من انواع الكفر والمعاصى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا فى الجملة او
مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والغالب فى الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما الكعاب و
الكعب والاكعب فاسماء للجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شئ يدانيه فى الوهن والوهى
لو كانوا يعلمون اى شيئا من الاشياء الجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم او هى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت
عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ
على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ومن للتبيين او نافية ومن
مزيدة وشئ مفعول يدعون او مصدرية وشئ عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون
عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم
وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان المجاد
بالنسبة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت و
ان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اى هذا المثل والامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد
من افهامهم وما يعقلها على ما هى عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون فى العلم
المتدبرون فى الاشياء على ما ينبغى وعنه عليه السلام انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل
بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من
فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذى لا يحيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله او بهما
مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤنه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه
قوله تعالى ان فى ذلك لآية للمؤمنين دالة لهم على ذكر من شؤنه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم

الهداية والارشاد فى خلقها للكل لانهم منتفعون بذلك اتل ما اوحى اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بتلاوته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنها انها سبب للانتهاء عنها لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه قال ابن عباس رض فى الصلوة منتهى وحزدجر عن معاصى الله تعالى فمن لم يأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروى انس رض ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله ولذكر الله اى وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها بكما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنها ووعيده عليها اكبر فى الزجر عنها وقيل ولذكر الله برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتى هى احسن اى بالخصلة التى هى احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة عاوجه لا يدل على الضعف ولا يؤدى الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اى وبالذى انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبى عليه السلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ورسله وكتبه فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له فى الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا الاحبار هم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى معدل الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل اى مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اى القرآن الذى من جملة هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه ومن تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين نزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم باتيان الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اى ومن العرب لو اهل مكة على الاول او ممن فى عصره عليه السلام على الثانى من يؤمن به اى بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المصرون عليه فان ذلك يعتدهم عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اى ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه اى ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتاد هما لارتابوا وقالوا لعله التقط

من كتب

من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شانك مثار ريب اصلا وتسميتهم مبطلين فى اتباعهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين فى اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو اى القرآن ايات بينات واضحات ثابتة راسخة فى صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود فى الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وفى اية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما نشاء من غير دخل لاحد فى ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شانى الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقصروا لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل عن مدارستها وممارستها يتلى عليهم فى كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان وتتلى على اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك ان فى ذلك الكتاب العظيم الشان الباقى على مر الدهور لرحمة اى نعمة عظيمة وذكرى اى تذكيرة لقوم يؤمنون اى لقوم همتهم الايمان لا التعنت كما وقع من المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتفى فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا بما صدر عنهم عنكم بعلم ما فى السموات والارض اى من الامور التى من جملتها شانى وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفاية تعالى شهيدا والذين اصنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتى هى احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما فى قوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم اسقط علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قدره الله تعالى لعذابهم وهو وقت الموت او يوم القيامة او يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وقد بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعى ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه فى الجملة السابقة من مجئ العذاب عند حلول الاجل اى وبالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون اى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسئولهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لانه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه ببال كذا بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اى يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشاة بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر

موضع المغفر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمعمر قد طوى
ذكره ايذانا بغاية كثرة وفظاعة كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ايديهم اى من جميع جهاتهم و
يقول اى الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملائكته بامره ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاء
ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات الخ من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادى الذين آمنوا
خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغى لمانعة من جهة الكفرة و
ارشاد لهم الى الطريق الاسلم ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون اى ان لم يتسهل لكم العبادة فى بلد ولم
يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان
شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء وجواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصونانى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة
تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جئ بها حثا على
المسارعة فى الامتثال بالامر اى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا
بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس لعبد من التردد والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من
الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجراء مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض وتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما
فى قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجرى من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اى فى الغرف او فى الجنة
نعم اجر العاملين اى الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا
اما صفة للعاملين او نصب على المدح اى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق و
على ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكاى من دابة لا تحمل رزقها روى ان النبى
عليه السلام لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
اى وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم
انها مع ضعفها وتوكلها وايا كم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى انه لا يرزقها وايا كم الا الله تعالى لان رزق الكل
باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع للبالغ فى السمع فيسمع قولكم هذا
العليم المبالغ فى العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم اى اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فانى يؤفكون انكروا استبعادا من جهتهم
تعالى لتركهم العمل بموجبه اى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى فى الالوهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر
من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء اى يبسطه له من عباده ويقدر له اى يقدر لمن يشاء ان
يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب ان الله بكل
شئ عليم فيعلم من يليق بسط الرزق فيبسط له ومن يليق بقدره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط
والقدر فى اى وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته ولئن سألتهم من نزل من السماء
ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم
يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شئ ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث
لا يجترئ المبطلون على جحوده وانه اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عمك من امثال هذه الضلالات وما
يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اى شيأ من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه
اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير و

ازدراء

وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى
الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجمعون عليه ويتباهون به ساعة ثم تفرقهم
عنه وان الدار الآخرة لهى الحيوان اى لهى دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هى فى
ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما فى بناء فعلان
من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة فى هذا المقام المقتضى للمبالغة لو كانوا يعلمون
اى لما آثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشبكة الاضحلال
فاذا ركبوا فى الفلك متصل بما قبله على شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشئ المتحرك وهو متعد بنفسه
كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفى امثاله بكلمة فى للايذان بان المركوب فى نفسه من
قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما فى سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا فى البحر
ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون
غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اى فاجئوا المعاودة
الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا من نعمة الانجاء اى يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم
التى حقها ان يشكروه فسوف يعلمون اى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب اولم يروا اى الم
ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اى بلدهم حرما امنا مصونا عن النهب والتعدى لما حوله من كل سوء
ويتخطف الناس من حولهم اى والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب
افبالباطل يؤمنون اى ابعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهى
المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم والاعلى يفيد الاظلم من
غير تعريض لنفى المساوى وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اى بالرسول او بالقرآن وفى لما تسفيه لهم
بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب آثر ذى اثير اليس فى جهنم مثوى للكافرين
تقرير لثوائهم فيها كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من
الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكروا واستبعدوا لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب
مع علمهم بحال الكفرة اى الم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا اى
فى شأننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل
السير الينا والوصول الى جنابنا اولنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة
والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

الم الكلام فيه كالذى مر فى امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم فى ادنى الارض اى ادنى ارض العرب منهم اذ هى
الارض المعهودة عندهم وهى اطراف الشام او ادنى ارضهم من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال
ابن عباس رضى الله عنهما هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ فى
ادنى الارض وهم اى الروم من بعد غلبهم اى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بكسر اللام وهى لغة كالجلب
والجلب سيغلبون اى سيغلبون فارس فى بضع سنين روى ان فارس غزوا الروم فوطئوهم بأذرعات

وبصرى وقيل بالجزيرة كملم فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضى الله عنه لا يقرن
الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال ابى بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا
انا صبك عليه فناصبه على عشر قلايص من كل منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلا ما مايه الى تسع سنين وما ت
ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية
وقيل كان النصر للفريقين يوم بدر فاخذ ابو بكر رضى الله عنه الخطر من ذرية ابى فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القران
من عند الله تعالى حيث اخبرت عن الغيب الذى لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون
على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ارياف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون فى السنة التاسعة
من نزولها ففتح بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اى فى اول الامرين
وفى اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كائنة قبل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا باذن الله تعالى
وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه وافتطاعه
كانه قيل قبلا وبعد اجمع اولا وآخرا ويومئذ اى يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من
غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظا من شمت بهم من كفار مكة
وكون ذلك من دلايل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهر صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من
غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا
وقل كل منهما شوكة الآخر وفى ذلك قوة وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه
من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اى
من يشاء ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل و
من بعد وهو العزيز المبالغ فى العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم للمبالغ
فى الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اى فريق كان والمراد بالرحمة هى الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما
ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين
لها لكن المراد ههنا نصرهم الذى هو من اثار الرحمة الدنيوية وتقديم الدنيوية وتقديم العزة لتقدمها فى الاعتبار
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد كانه قيل وعدا لله وعدا لا يخلف الله وعده اى
وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم فى موقع الاضمار لتعليل الحكم
وتفخيمه والجملة استيناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعدا
وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ما سبق من شؤنه تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية
لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانها ليست مما يعلمون منها بل من
افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اى يعلمون ظاهرا حقيرا
خسيسا من الدنيا وهم عن الاخرة التى هى الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها
بالبال ولا يدركونها من الدنيا ما يؤدى الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سياتى والجملة معطوفة
على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا و

غافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة
تقرير الجهالتهم وتشبيههم بالبهايم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها المتعلقة
من مبادى العلم بامور الآخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان اولم يتفكروا انكار
واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحيوة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام وقوله تعالى فى انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه فى غيرها لتحقيق امره و
تصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الخ متعلق اما بالعلم الذى يؤدى
اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذى يترتب عليه كما فى قوله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا
ما خلقت هذا باطلا اى علموا ظاهر الحيوة الدنيا فقط او اقصروا النظر عليه ولم يجدوا التفكر فى قلوبهم فيعلموا
انه تعالى ما خلقها وما بينهما من المخلوقات التى هم من جملتها ملتبسة بشئ من الاشياء الا ملتبسة بالحق
او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ان يثبت لا محالة
لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة
على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التى
من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم عنها بين المحسن والمسئ و
امتازت درجات افراد كل من الفريقين حسبما تطبقت علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم
فيما نصب فى المصنوعات من الآيات والدلايل والامارات والمخايل كما نطق به قوله وهو الذى خلق
السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بهذه الجوارح
ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله وقد مر
تحقيقه فى اوايل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اى وباجل معين قدره
الله تعالى لبقايها لا بد لها من ان تنتهى اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى
فى انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا فى انفسهم التى هى اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤنها والخبر
باحوالها منهم باحوال ما عداها مما يتدبروا اما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرايب الحكم الدالة على التدبير
وجوه الاحكام وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذى دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى
الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلايق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء
الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات
والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله
تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر
من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض
وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء ربهم وجزايه بالبعث اولم يسيروا توبيخ
لهم بعدم انتظارهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم وما لهم والهمزة لتقرير المنفى والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اى اقعدوا فلم يسيروا اما كنهم ولم يسيروا فى الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا
داخل فى حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا فى اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان لمبدا احوالهم و
منشا عاقبتهم اى كانوا اقدر منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اى
قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اى عمرا
اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغير ما مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اى

عمارة اكثر مكانا وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء ايا ما كيف لاوهم اهل واد غير ذى زرع لا يتسع لهم فى غيره وفيه تحكم بهم حيث
كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ عمار امرها على البسط فى الهلاد والتسلط
على العباد والتقلب فى اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة لجأوا الى واد لا نفع فيها يخافون
ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اى
فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه
تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم فى شئ على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بابرازه فى معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بان اجترؤا على اقتراف ما يوجب من المعاصى الخطيئة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اى عملوا
السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم السوئى اى العقوبة
التى هى اسوء العقوبات واقظعها التى هى العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوء كالحسنى تانيث الاحسن او
مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهى مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة و
تقرئ على العكس وهو داخل فى الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بايات الله علة لما اشير اليه من تعذيبهم
الدنيوى والاخروى اى لان كذبوا وبان كذبوا بايات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة
على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن عطف على كذبوا داخل معه فى حكم العلية وايراد الاستهزاء
بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده وهذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل الله يبدؤ الخلق
اى ينشؤهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة فى
الترهيب وقرئ بالياء ويوم يقوم الساعة التى هى وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون اى يسكتون
متحيرين لا ينبسون بقال ناظره فابلس اذا سكت وليس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا افحمه واسكته
ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها فى مقابلة الجمع
اى لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم
وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس فى الاخبار به فائدة يعتد بها
ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل لاثر تهويل وفيه
رمز الى ان التفرق يقع فى بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق للدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم
للمجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقى المؤمنين والكافرين
كما فى قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فهم فى روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل ارض ذات
نبات وماء ورونق ونضارة وتنكير بالتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تظهر له
وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتعبير التحبير واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن
عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عياش التيجان على
رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى عليه السلام انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى
فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال عليه السلام يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل
بيضاء حوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسالت
ابا الدرداء ما يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة
السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها
اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة

صرح بذلك مع اندراجه فى تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآيات الله تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم
فى تلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر اى اولئك
الموصوفون بما فصل من القبايح فى العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقى المؤمنين
العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات ومالهما من العذاب والعذاب امرا وانيا ينبغى من الثانى
ويفضى الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام و
تقديم الاول على الثانى لما ان التحلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا علمتم
ذلك فسبحوا الله تعالى اى نزهوه عما ذكر سبحانه اى تسبيحه اللائق به فى هذه الاوقاب واحمدوه فان له
الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المتميزين من اهل السموات والارض فى معنى الامر به على ابلغ وجه
وآكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقها ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله
تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان
الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام من قال حين يصبح و
حين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد
عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصها بتلك الاوقات للدلالة على ان ما
يحدث فيها من آيات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه للحمد وموجبة
لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل
وتغيير الاسلوب لما انه لا يحل منه الفعل بمعنى الدخول فى العشى كالمساء والصباح والظهيرة ولعل التعرض لذلك
انه ليس من الاوقات التى يختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا معتدا لوصفهم بالخروج عما قبلها
والدخول فيما كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت يتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا امانى المساء والصباح
فظاهر وامانى الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر فى سورة النور وقيل المراد بالتسبيح
والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس
تمسون صلوتا المغرب وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك وجب
على من الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان فى اى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس
بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وسوق الحديث المعراج وفى آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة عن
النبى عليه السلام من سره ان يكال له بالقفير الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية
وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون
تصبحون فيه يخرج الحى من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحى
كالنطفة من الحيوان ويحيى الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك مثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدؤ الخلق
ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على
اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ومن دلالة احياء الارض بعد موتها
عليها ان خلقكم اى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذريته

انطفوا اجمالیا من تراب ثم ایشم رائحة الحیوة قط ولا مناسبة بینه وبین ما انتم علیه فی ذاتکم وصفاتکم
ثم اذا انتم بشر تنشرون ای فاجاتم بعد ذلک وقت کونکم بشرا تنتشرون فی الارض وهذا الجمل ما فصل فی
قوله تعالی یا ایها الناس ان کنتم فی ریب من البعث فانا خلقناکم من تراب ثم من نطفة الآیة ومن آیاته
الدالة علی ما ذکر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لکم ای لاجلکم من انفسکم ازواجا فان خلق اصل
ازواجکم حواء من ضلع آدم علیه السلام متضمن لخلقهن من انفسکم علی ما عرفته من التحقیق او من جنسکم لا من
جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالی لتسکنوا الیها ای لتالفوها وتمیلوا الیها وتطمئنوا بها فان المجانسة
من دواعی التضام والتعارف کما ان المخالفة من اسباب التنافر والتفرق وجعل بینکم ای بین الازواج
اما علی تغلیب الرجال علی النساء فی الخطاب او علی حذف ظرف معطوف علی الظرف المذکور ای جعل بینکم و
بینهن کما مر فی قوله تعالی لا نفرق بین احد من رسله وقیل او بین افراد الجنس ای بین الرجال والنساء و
یأباه قوله تعالی مودة ورحمة فان المراد بهما ما کان منها بعصمة الزواج قطعا ای جعل بینکم بالزواج
الذی شرعه لکم تواددا وتراحما من غیر ان یکون بینکم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او
رحم قیل المودة والرحمة من قبل الله تعالی والفرک من الشیطان وعن الحسن المودة کنایة عن الجماع والرحمة
عن الولد کما قال تعالی ورحمة منا ان فی ذلک ای فیما ذکر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم
والقاء المودة والرحمة بینهم وما فیه من معنی البعد مع قرب المشار الیه للاشعار ببعد منزلته لآیات عظیمة
لا یکتنه کنهها کثیرة لا یقادر قدرها لقوم یتفکرون فی تضاعیف تلک الافاعیل المتینة المبنیة علی الحکم
البالغة والجملة تذییل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبیه علی ما ذکر لیس بایة قذة کما ینبئ عنه قوله تعالی ومن
آیاته بل هی مشتملة علی آیات شتی ومن آیاته الدالة علی ما ذکر من امر البعث وما یتلوه من الجزاء خلق
السموات والارض اما من حیث ان القادر علی خلقها وما فیهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة
علی اعادة ما کان حیا قبل ذلک واما من حیث ان خلقها وما فیهما لیس الا لمعاش البشر ومعاده کما ینص عنه قوله
تعالی هو الذی خلق لکم ما فی الارض جمیعا وقوله تعالی وهو الذی خلق السموات والارض فی ستة ایام وکان
عرشه علی الماء لیبلوکم ایکم احسن عملا واختلاف السنتکم ای لغاتکم بان علم کل صنف لغته او الهمه و
وضعها واقدره علیها او اجناس لطقکم واشکاله فانک لا تکاد تسمع منطقین متساویین فی الکیفیة من کل وجه
والوانکم ببیاض الجلد وسواده وتوسط فیما بینهما وتخطیطات الاعضاء وهیاتها والوانها وحلاتها بحیث
وقع بها التمایز بین الاشخاص حتی ان التوأمین مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملابسة لهما فی جمیع
جلیة التخلیق یختلفان فی شئ من ذلک لا محالة وان کانا فی غایة التشابه وانما نظم هذا فی سلک الآیات
الآفاقیة من خلق السموات والارض مع کونه من الآیات الانفسیة الحقیقة بالانتظام فی سلک ما سبق من خلق
انفسهم وازواجهم للایذان باستقلاله والاحتراز عن توهم کونه من متممات خلقهم ان فی ذلک ای فیما
ذکر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآیات عظیمة فی انفسها کثیرة فی عددها
للعالمین ای المتصفین بالعلم کما فی قوله تعالی وما یعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفیه دلالة علی
کمال وضوح الآیات وعدم خفائها علی احد من الخلق کافة ومن آیاته منامکم باللیل والنهار لاستراحة
القوی النفسانیة وتقوی القوی الطبیعة وابتغاؤکم من فضله فیهما فان کلا من المنام وابتغاء الفضل
یقع فی الملوین وان کان الاغلب وقوع الاول فی الاول والثانی فی الثانی او منامکم باللیل وابتغاؤکم
بالنهار کما هو المعتاد والموافق لسائر الآیات الواردة فی ذلک خلا انه فصل بین القرینین الاولین بقرینیهما
الاخیرین لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فیه کشئ واحد من اعانة اللف علی الاتحاد ان فی ذلک لآیات
لقوم یسمعون ای شانهم ان یسمعوا الکلام سماع تفهم واستبصار حیث یتأملون فی تضاعیف هذا البیان

ویستدلون بذلک علی شؤنه تعالی ومن آیاته یریکم البرق الفعل اما مقدر بان کما فی قول من قال الا ایها
الزاجری احضر الوغا ای ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعیدی خیر من ان تراه
او علی حاله صفة لمحذوف ای آیة یریکم بها البرق کقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنها اموت واخری
ابتغی العیش اکدح ای فمنها تارة اموت فیها واخری ابتغی فیها او ومن آیاته شئ او سحاب یریکم البرق خوفا
من الصاعقة او للمسافر وطمعا فی الغیث او للمقیم او نصبهما علی العلة لفعل یستلزمه المذکور فان
ارائتهم البرق مستلزمة لرؤیتهم ایاه او للمذکور نفسه علی تقدیر مضاف کخوارة خوف وطمع او علی تأویل
الخوف والطمع بالاخافة والاطماع کقولک فعلته رغما للشیطان او علی الحال نحو کلمته شفاها وینزل
من السماء ماء وقرئ بالتخفیف فیحیی به الارض بالنبات بعد موتها یبسها ان فی ذلک لآیات
لقوم یعقلون فانها من الظهور بحیث یکفی فی ادراکها مجرد العقل عند استعماله فی استنباط اسبابها
وکیفیة تکوّنها ومن آیاته ان تقوم السماء والارض بامره ای بارادته تعالی لقیامها والتعبیر عنها بالامر
للدلالة علی کمال القدرة والغنی عن المبادی والاسباب ولیس المراد بقیامها انشاءها لانه قد بین
حاله بقوله تعالی ومن آیاته خلق السموات والارض ولا قیامها بغیر مقیم محسوس کما قیل فان ذلک من
تتمات انشائها وان لم یصرح به تعویلا علی ما ذکر فی غیر موضع من قوله تعالی خلق السموات بغیر عمد ترونها
الآیة بل قیامها واستمرارها علی ما هما علیه الی اجلها الذی نطق به قوله تعالی فیما قبل ما خلق الله السموات
والارض الا بالحق واجل مسمی وحیث کانت هذه الآیة متأخرة عن سائر الآیات المعدودة متصلة
بالبعث فی الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به فی الذکر ایضا فقیل ثم اذا دعاکم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون فانه کلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قیامها مترتب
علی تعداد آیاته الدالة علیه غیر منتظم فی سلکها کما قیل کانه قیل ومن آیاته قیام السموات والارض علی
هیئتهما بامره تعالی الی اجل مسمی قدره الله تعالی لقیامهما ثم اذا دعاکم ای بعد انقضاء الاجل من الارض
وانتم فی قبورکم دعوة واحدة بان قال ایها الموتی اخرجوا فاجاتم الخروج منها وذلک قوله تعالی یومئذ
یتبعون الداعی ومن الارض متعلق بدعاکم اذ یکفی فی ذلک کون الدعوة فیها یقال دعوته من اسفل الوادی
فطلع الی لا تخرجون لان ما بعد اذا لا یعمل فیما قبلها وله خاصة من فی السموات والارض من الملئکة
والثقلین خلقا وملکا وتصرفا لیس لغیره شرکة فی ذلک بوجه من الوجوه کل له قانتون ای منقادون لفعله
لا یمتنعون علیه فی شان من شؤنه تعالی وهو الذی یبدؤا الخلق ثم یعیده بعد موتهم وتکریره لزیادة
التقریر والتمهید لما بعده من قوله تعالی وهو اهون علیه ای بالاضافة الی قدرکم والقیاس علی صنعکم
والا فهما علیه سواء وقیل وهو اهون بمعنی هین وتذکیر الضمیر مع رجوعه الی الاعادة لما انها ماولة بان
یعید وقیل هو راجع الی الخلق ولیس بذاک واما ما قیل من ان الانشاء بطریق التفضل الذی یجری فیه الفاعل
بین الفعل والترک والاعادة من قبیل الواجب الذی لابد من فعله حتما فکان اقرب الی الحصول من الاولی
المتردد بین الحصول وعدمه فبمعزل من التحصیل اذ لیس المراد بهونیة الفعل اقربیته الی الوجود باعتبار
کثرة الامور الداعیة للفاعل الی ایجاده وقوة اقتضائها للتعلق قدرة بل اسهلیة تأتیه وصدوره
عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وکونه واجبا بالغیر ولا تفاوت فی ذلک بین ان یکون ذلک التعلق بطریق
الایجاب او بطریق الاختیار وله المثل الاعلی ای الوصف الاعلی العجیب الشان من القدرة التامة
والحکمة التامة وسائر صفات الکمال التی لیس لغیره ما یدانیها فضلا عما یساویها ومن فسره بقول لا اله الا
الله اراد به الوصف بالوحدانیة فی السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة علی معنی انه تعالی
قد وصف به وعرف فیهما علی السنة الخلائق والسنة الدلائل وقیل متعلق بالاعلی وقیل بمحذوف هو

حال منه اومن المثل اومن ممیزة فی الاعلی وهو العزیز القادر الذی لایعجز عن بدء ممکن واعادته الحکیم
الذی یجری الافعال علی سنن الحکمة والمصلحة ضرب لکم مثلا یتبین به بطلان الشرک من انفسکم ای
منتزعا من احوالها التی هی اقرب الامور الیکم واعرفها عندکم واظهرها دلالة علی ما ذکر من بطلان الشرک
لکونها بطریق الاولویة وقوله تعالی هل لکم الخ تصویر للمثل ای هل لکم مما ملکت ایمانکم من العبید
والاماء من شرکاء فیما رزقناکم من الاموال ومایجری مجراها مما تتصرفون فیها فمن الاولی ابتدائیة و
الثانیة تبعیضیة والثالثة مزیدة لتاکید النفی المستفاد من الاستفهام بقوله تعالی فانتم فیه سواء
تحقیق لمعنی الشرکة وبیان لکونهم وشرکائهم متساوین فی التصرف فیما ذکر من غیر مزیة لهم علیها علی ان
هناک محذوفا معطوفا علی انتم لانه عام للفریقین بطریق التغلیب ای هل ترضون لانفسکم والحال
ان عبیدکم امثالکم فی البشریة واحکامها ان یشارکوکم فیما رزقناکم وهو مستعار لکم فانتم وهم فیه سواء
شرع یتصرفون فیه کتصرفکم من غیر فرق بینکم وبینهم تخافونهم خبر آخر لانتم اوحال من ضمیر الفاعل فی
سواء ای تهابون ان تستبدوا بالتصرف فیه بدون رایهم کخیفتکم انفسکم ای خیفة کائنة مثل خیفتکم
من الاحرار المساهمین لکم فیما ذکر والمعنی نفی مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامیة ای لاترضون
بان یشارکوکم فیما هو معاد لکم مما لیکنکم وهم امثالکم فی البشریة غیر مخلوقین لکم بل الله تعالی فکیف
تشرکون به سبحانه فی المعبودیة التی هی من خصائصه الذاتیة مخلوقة بل مصنوع مخلوقة حیث تصنعونه بایدیکم
ثم تعبدونه کذلک ای مثل ذلک التفصیل الواضح نفصل الآیات ای نبینها ونوضحها لاتفصیلا
ادنی منه فان التمثیل تصویر للمعانی المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدرکات علی هیاة
المانوس فیکون فی غایة الایضاح والبیان لقوم یعقلون ای یستعملون عقولهم فی تدبر الامور وتخصیصهم
بالذکر مع عموم تفصیل الآیات للکل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذین ظلموا اعراض عن مخاطبتهم و
محاولة ارشادهم الی الحق بضرب المثل وتفصیل الآیات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبیان لاستحالة
تعیینهم للحق کانه قیل لم یعقلوا شیئا من الآیات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول
موضع ضمیرهم للتسجیل علیهم بانهم فی ذلک الاتباع ظالمون واضعون للشئ فی غیر موضعه اوظالمون لانفسهم
بتعریضها للعذاب الخالد بغیر علم ای جاهلین ببطلان ما اتوا مکبین علیه لایلویهم عنه صارف حسبما
یصرف العالم اذا اتبع الباطل علم ببطلانه فمن یهدی من اضل الله ای خلق فیه الضلال لصرف اختیاره
الی کسبه ای لایقدر علی هدایته احد ومالهم ای لمن اضله الله تعالی والجمع باعتبار المعنی من ناصرین
یخلصونهم من الضلال ویحفظونهم من تبعاته وآفاته علی معنی لیس لواحد منهم ناصر واحد علی ما هو قاعدة
مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهک للدین تمثیل لاقباله علی الدین واستقامته وثباته علیه واهتمامه
بترتیب اسبابه فان من اهتم بشئ محسوس بالبصر عقد علیه طرفه وسدد الیه نظره وقوم له وجهه مقبلا
به علیه ای فقوم وجهک له واعدل له غیر ملتفت یمینا وشمالا وقوله تعالی حنیفا حال من المامور او
من الدین فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها علی الاغراء ای الزموا او علیکم فطرة الله فان
الخطاب للکل کما یفصح عنه قوله تعالی منیبین والافراد فی اقم لما ان الرسول علیه السلام امام الامة
فامره علیه السلام مستتبع لامرهم وللزاما بلزومها الجریان علی موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوی و
تسویل الشیاطین وقیل علی المصدر ای فطر الله فطرة وقوله تعالی التی فطر الناس علیها صفة لفطرة
الله مؤکدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس علی فطرته التی هی عبارة عن قبولهم لدین الله و
تمکنهم من ادراکه اوعن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسک بها قطعا فانهم لوخلوا وما خلقوا
علیه اداهم الیها وما اختاروا علیها دینا آخر ومن عدی منهم فباغواء شیاطین الانس والجن ومنه

قوله علیه السلام حکایة عن رب العزة کل عبادی خلقت حنفاء فاجتالتهم الشیاطین عن دینهم وامروهم
ان یشرکوا بی غیری وقوله علیه السلام کل مولود یولد علی الفطرة حتی یکون ابواه هما اللذان یهودانه وینصرانه
وقوله تعالی لاتبدیل لخلق الله تعلیل للامر بلزوم فطرة تعالی اولوجوب الامتثال به ای لاصحة و
لااستقامة لتبدیله بالاخلال بموجبه وعدم ترتیب مقتضاه علیه باتباع الهوی وقبول وسوسة الشیطان
وقیل لایقدر احد علی ان یغیره فلابد من حمل التبدیل علی تبدیل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة
اخری مکانها غیر مصححة لقبول الجمع والتمکن من ادراکه ضرورة ان التبدیل بالمعنی الاول مقدور بل واقع
قطعا فالتعلیل صح من جهة ان سلامة الفطرة متحققة فی کل احد فلابد من لزومها بترتیب مقتضاها علیها
وعدم الاخلال به بما ذکر من اتباع الهوی وخطوات الشیطان ذلک اشارة الی الدین المامور باقامة
الوجه له اوالی الزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء اوالی الفطرة ان فسرت بالملة والتذکیر تاویل
المذکور او باعتبار الخبر الدین القیم المستوی الذی لاعوج فیه ولکن اکثر الناس لایعلمون ذلک
فیصدون عنه صدودا منیبین الیه حال من الضمیر فی الناصب المقدر لفطرة الله او فی اقم لعمومه للامة
حسبما اشیر الیه وما بینهما اعتراض ای راجعین الیه من اناب اذا رجع مرة بعد اخری وقوله تعالی واتقوه
ای من مخالفة امره عطف علی المقدر المذکور وکذا قوله تعالی واقیموا الصلوة ولاتکونوا من المشرکین
المبدلین لفطرة الله تعالی تبدیلا من الذین فرقوا دینهم بدل من المشرکین باعادة الجار وتغییرهم
لدینهم اختلافهم فیما یعبدونه علی اختلاف اهوائهم وفایدة الابدال التحذیر عن الانتماء الی حزب من
احزاب المشرکین بیان ان الکل علی الضلال المبین وقرئ فارقوا ای ترکوا دینهم الذی امروا به وکانوا
شیعا ای فرقا شایع کل منها اماما الذی اضلها کل حزب بما لدیهم من الدین المعوج الموتس
علی الرای الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انهم حق وانی له ذلک فالجملة اعتراض
مقرر لمضمون ماقبله من تفریق دینهم وکونهم شیعا وقد جوز ان یکون فرحون صفة لکل علی ان الخبر هو
الظرف المتقدم اعنی من الذین فرقوا ولایخفی بعده واذا مس الناس ضر ای شدة دعوا ربهم
منیبین الیه راجعین من دعاء غیره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلک الشدة اذا فریق منهم
بربهم الذی کانوا دعوه منیبین الیه یشرکون ای فاجأ فریق منهم الاشراک وتخصیص هذا الفعل
ببعضهم لما ان بعضهم لیسوا کذلک کما فی قوله تعالی فلما نجاهم الی البر فمنهم مقتصد ای مقیم علی الطریق القصد
او متوسط فی الکفر لانزجاره فی الجملة لیکفروا بما اتیناهم اللام فیه للعاقبة وقیل للامر التهدیدی
لقوله تعالی فتمتعوا غیر انه التفت فیه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعکم وقرئ بالیاء علی ان تمتعوا ماض والالتفات الی الغیبة فی قوله تعالی ام انزلنا علیهم للایذان
بالاعراض عنهم وتعدید جنایاتهم لغیرهم بطریق المباثة سلطانا ای حجة واضحة وقیل ذا سلطان
ای ملکا معبرا عما فهو یتکلم تکلم دلالة کما فی قوله تعالی هذا کتابنا ینطق علیکم بالحق او تکلم نطق
بما کانوا به یشرکون باشراکهم به تعالی او بالامر الذی بسببه یشرکون واذا اذقنا الناس رحمة ای
نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لاحمدا وشکرا وان تصبهم سیئة شدة بما قدمت
ایدیهم بشوم معاصیهم اذا هم یقنطون فاجاؤا القنوط من رحمته تعالی وقرئ بکسر النون
اولم یروا ای الم ینظروا ولم یشاهدوا ان الله یبسط الرزق لمن یشاء ویقدر فما لهم لم یشکروا
الله بحسبوا فی السراء والضراء کالمؤمنین ان فی ذلک لایات لقوم یؤمنون فیستدلون بها علی کمال
القدرة والحکمة فات ذا القربی حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسکین وابن
السبیل مایستحقانه والخطاب للنبی علیه السلام اولمن بسط له کما یوذن به الفاء ذلک خیر للذین

يريدون وجه الله ذاته اوجهته ويقصدون بعرضهم اياه تعالى خالصا اوجهة التقرب اليه لا جهة اخرى و
اولئك هم المفلحون حيث حصلوا ابما بسط لهم النعيم المقيم وما اوتيتم من ربوا زيادة خالية عن العوض عند
المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اى غشيتموه او هضمتموه من اعطاء ربوا ليربو فى اموال الناس ليزيدوا فيها
فى اموالهم فلا يربوا عند الله اى لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربوا وما اتيتم من
زكوة تريدون وجه الله اى تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اى ذوو الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار والذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة
وقرئ بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها و
نفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان
ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد
جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله و
من الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفى وكل
منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد فى البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبر
قرى السواحل وقرئ البحور بما كسبت ايدى الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد
فى البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفى البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى
عملوا اى بعض جزائه فان تمامه فى الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
اثارهم كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او
كان الشرك اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اى البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتى يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بيأتى او
بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله
يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير من كفر فعليه كفره اى وبال كفره وسوالنار الموبقة ومن
عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على
الاختصاص ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اى يتباعدون
يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين سوالمقصود بالذات
ابرز ذلك فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان للاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء
الفريق الآخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه
المستتبع للعقوبة لا محالة ومن اياته ان يرسل الرياح اى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة
واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة
الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول
المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها والام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة عليها مبشرات على
المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون ما ذكر
وكذا يرسلها لام آخر لا تعلق له بما قبله وتجرى الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله
بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا انعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من

قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤهم بالبينات اى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات
كما جئت قومك بينا تك والفاء فى قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اى فكذبوهم فانتقمنا
منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على كمال المذموم والاشعار بكونه علة للانتقام وفى
قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على
الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام
ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار
الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة
المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل بامثالهم من الانتقام الله الذى يرسل الرياح استيناف
مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة فى السماء فى جهة
كيف يشاء سايرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة
اخرى اى قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق للمطر
يخرج من خلاله فى التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اى بلادهم واراضيهم اذا هم
يستبشرون فاجؤا الاستبشار بمجئ الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها
محذوف اى وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اى المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان
بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة
بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة
تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل
المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اى آيسين فانظر الى اثار رحمت
الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ
اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيى اى الله تعالى الارض بعد موتها فى حيز النصب بتزع الخافض وكيف
متعلق لانظر اى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل وبايا ما كان فالمراد
بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ يحيى
بالتانيث على الاسناد الى ضمير الجماعة ان ذلك العظيم الشان الذى ذكر بعض شؤنه لمحيى الموتى
القادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احياء
لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شئ قدير تذييل مقرر
لمضمون ما قبله اى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء التى من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل
سواء ولئن ارسلنا ريحا فراؤه اى الاثر الدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالاثار فانه اسم
جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر
ولا يخفى بعده واللام فى لئن معطية للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فراوه فصيحة واللام فى قوله
تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اى وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة
فخربت زرعهم بالصفار فراؤه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم
وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى
فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا
الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم
آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجدیهم وانوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم

لانه اوشاعوهم عن الحق ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة و التنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء بتوا سماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء له ولو كان فيهم احداهما لكفاهم بك كفيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشئ من كلامه وان لم يسمعه لصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيق من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى ان تسمع اى ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذى خلقكم من ضعف مبتداء وخبرا اى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اى خلقكم من اصل ضعيف سوالنطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بادئكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهما قرئ بقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ فى العلم والقدرة فان التردد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اى القيمة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكواكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اى فى القبور او فى الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم فيها يوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم الا هى اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان فى الدنيا من الملئكة والانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او فى اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه و ايدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء الخلائق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فردّ العالمون مقالتهم وبتهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكتبونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذى كنتم توعدون فى الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون بها استهزاء والفاء وجواب شرط محذوف كما فى قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اى عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل اى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم وحيثهم بآية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبى عليه السلام ان انتم الا مبطلون اى مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها

فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة و الافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولابد من انجازه والفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والتعلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك بالباطيلهم التى من جملتها قولهم ائتنا الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستخفنك من الاستخفاف اى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما فى قوله تعالى ولا يحزنك قولهم شئ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع يومه وليلته

الم تلك ايات الكتاب سلف بيانه فى نظائره الحكيم اى ذى الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بحاله تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن فى الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انها خبران لاسم الاشارة او لمبتداء محذوف للمحسنين اى العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة فى الدين فهو له تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لما عملوا ما من الحسنات على طريقة قوله الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها و انافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه حالا وجملة اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال فى مطلع سورة البقرة بالامزيد عليه ومن النكال محله الرفع على الابتداء باعتبار معناه او بتقدير الموصوف ومن فى قوله تعالى من يشترى لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او بعض من الناس الذى يشترى او فريق يشترى على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما فى حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وهو الحديث ما يلهى عما ينبغى من المهمات كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه السلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ليضللهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اى دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اى بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على

يضل والعمر للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القرآن اى ويتخذ ما هزوا مهزوزا به وقرئ و
يتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة
اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما انصفوا به من اماتتهم الحق احياء
الباطل عليه وترغيب الناس عنه واذا تتلى عليه اى على المشترى افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلثة
الاول باعتبار لفظة من بعد جمع فيما بينها باعتبار معناها آياتنا التى هى آيات الكتاب الحكيم و
هدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا فى التكبر كان لم يسمعها
حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اى مشبها حاله حال من
لم يسمعها وموما مع وفيه دفز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيه من الامور الموجبة للاقبال
عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كانك لم تجزع على ابن طريف كان فى اذنيه وقرا حال من ضمير
لم يسمعها اى مشبها حاله حال من فى اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استينافيين وقرئ فى اذنيه
بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اى فاعلمه بان العذاب المفرط فى الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة
للتهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين بآيات تعالى اثر بيان حال الكافرين بها
اى الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اى نعيم جناتها
وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير فى لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق
به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم فى
معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد و
مؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده
الحكيم الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد لما استينافى مسوق للاستشهاد
بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره
وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اى يسند يقال عمدت
الحائط اذا ادعمته اى بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استينافى جئ به
للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معهودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اى خلقها بغير عمد مرئية
على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هى عمد القدرة والقى فى الارض رواسى بيان لصنعه
البديع فى قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم فى قرار السموات اى القى فيها جبالا ثوابت وقدر ما فيه من الكلام
فى سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها
لامتناع اختصاص كل منها لزانة او لشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة
من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل
زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة فى الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما
هذا اى ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق الله اى مخلوقه
فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه فى العبادة حتى استحقوا به المعبودية
وماذا نصب بخلق او بما مر تفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق به وقوله تعالى بل الظالمون
فى ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعى للاعراض
عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة المحققة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان

ما هم عليه او تاثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على
انهم باشراكهم واضعون للشئ فى غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب
الخالد ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك وسوق لقمان بن باعوراء
من اولاد آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود وعليه السلام واخذ منه العلم
وكان يفتى قبل مبعثه وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة
فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال
الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهودا وكان يسرد الدرع فلم يأله عنها
فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام
بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق
صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام
امره بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فاله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا وخبث
شئ اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اى اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان اتيان الحكمة فى معنى
القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استينافى مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اى
ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التى هى ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة
عليها ومن كفر فان الله غنى عن كل شئ فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق
بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعوض لكونه
تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله
عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اشكم وقيل
ماثان وهو يعظه يا بنى تصغير اشفاق وقرئ يا بنى باسكان الياء وبكسرها لا تشرك
بالله قيل كان ابنه كافرا فما زال يزل برحتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان
الشرك لظلم عظيم تعليل للنهى او للانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الخ كلام
مستانف اعترض على نهج الاستطراد فى اثناء وصية لقمان تاكيدا لما قبلها من النهى عن الشرك وقوله
تعالى حملته امه الى قوله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من
امه اى ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اى تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة
للمصدر اى كائنا على وهن اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفا وقرئ
وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله فى عامين
اى فطامه فى تمام عامين وهى مدة الرضاع عند الشافعى وعند ابى حنيفة رحمهما الله هى ثلثون
شهرا وقد بين وجهه فى موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لى ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض
مؤكد للوصية فى حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال له من ابر اتك ثم اتك ثم قال بعد
ذلك ثم اباك الى المصير تعليل لوجوب الامتثال اى الى الرجوع لا الى غيرى فاجازيك على ما
صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به اى بشركته له تعالى
فى استحقاق العبادة علم فلا تطعهما فى ذلك وصاحبهما فى الدنيا معروفا اى صحابا معروفا
بما يقتضيه الشرع وتقتضيه المروءة واتبع سبيل من اناب الى بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة
ثم الى مرجعكم اى مرجع كل منكم ومرجعهما ومرجع من اناب الى فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون
بان اجازى كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بنى الخ شروع فى حكاية بقية

وصايا لقمان اثر تقرير ما فى مطلعها من النهى عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال
حبة من خردل اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع
مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما فى قول من قال كما
شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد بها الحسنة او السيئة فتكن فى صخرة او فى السموات او فى
الارض اى فتكن مع كونها فى اقصى غايات الصغر والقماءة فى اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة
او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى يات بها الله اى يحضرها ويحاسب عليها ان الله
لطيف يصل علمه الى كل خفى خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذى هو اول ما يجب على الانسان
فى ضمن النهى عن الشرك وبنهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التى هى اكمل العبادات
تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال تكميلا له يا بنى اقم الصلوة تكميلا
لنفسه وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدايد والمحن لا سيما
فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر
مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الفضل من عزم الامور اى مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده
من الامور لمزيد مزيتها مصدرا طلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا
عزم الامر اى جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهى وايذان بان ما بعدها
ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اى لا تملهما ولا توهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين
من الصعر وهو الصيد وسواد يصيب البعير فيلوى منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر
من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش فى الارض مرحا اى فرحا مصدر
وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اى تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا
يحب كل مختال فخور تعليل للنهى او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال
وهو بمقابلة الماشى مرحا لرعاية الفواصل واقصد فى مشيك بعد الاجتناب عن المرح
فيه اى توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشى يذهب بهاء المؤمن وقول عائشة
فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع النون من
اقصد الراحى اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر
الاصوات اى اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبنى على تشبيه الرافعين
اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط فى التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد
الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع
بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم
ما فى السموات وما فى الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ
لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع
المسخر له اعم من ان يكون منقادا له تصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما فى الارض
من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة لبنى الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول
مراده من غير ان يكون له دخل فى استعماله كجميع ما فى السموات من الاشياء التى ينتظم بها مصالح العباد
معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما فى السموات والارض
من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان
مسخرا بحسب الظاهر فهو فى الحقيقة مسخر لله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة

ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار فى كل
سين قارنة الغين او الخاء او القاف كما تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سايغ صايغ وقرئ نعمه ومن
الناس من يجادل فى الله فى توحيده وصفاته بغير علم استفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول
عليه السلام ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اى لمن يجادل والجمع باعتبار
المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة الاصنام او لو كان الشيطان
يدعوهم اى اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان
لا كون انفسهم كذلك اى ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير
فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى او لو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بالامر عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه
جامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن
اى فى اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر فى آخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة
الوثقى اى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من
اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة
الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك فى الدنيا ولا فى الاخرة وقرئ
فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء وليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا فنبئهم بما
عملوا فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع فى الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد
فى الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبيه المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا
تمتيعا او زمانا قليلا فانما يزول وان كان بعد امور طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب
غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله
على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء
فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما فى السموات وما فى الارض
فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد
او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام اى ولو ان الاشجار
اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده اى من بعد نفاده سبعة ابحر اى
الحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت تلك الاقلام وتلك المداد
كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربى وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم
منها لانتهاء المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها يغترف
البحر المحيط ثانيا واثرا جمع القلة فى الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفى بالقليل منها فكيف بالكثير
ان الله عزيز لا يعجزه شئ حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفذ كلماته المؤسسة عليهما ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى الا كخلقها وبعثها فى سهولة التاتى اذ لا يشغله شان من شان لان مناط
وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشئ اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن
علم بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن

يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق ولما لحق اى الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل اى يدخل كل واحد منهما فى الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حالة زيادة ونقصانا
وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين فى الآخر متجدد فى كل
حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد فى آثاره وقد اشير الى ذلك حيث
قيل كل تجرى اى بسبب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد
الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن فانه لا ينقطع
جريهما الآن والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى
تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما فى حيز
رؤيته عليه السلام وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما فى فلكهما والاجل المسمى منتهى دورتهما
وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة تحقيق لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين
فى الآخر وكون ذلك بسبب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت
الرأس تزداد القوس التى هى فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ
المدار الذى هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى
التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسى التى فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه
الى الليل الى ان يبلغ المدار الذى هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج
الجدى وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه فى حيز الرؤية على تقدير
خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائع والتدبير البديع لا يكاد يغفل عن كون
صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقايقها ذلكم اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اى بسبب بيان
انه تعالى هو الحق الالهية فقط يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء
والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه
لا براز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط
بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلى الكبير اى وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شئ
المتسلط عليه فان ما فى تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اى بيان وقيل
ذلك اى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى تعالى به بسبب انه الثابت
فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيقة تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت
صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له فى المناطية قطعا فلا
مساغ لنظمه فى سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هى المقتضية لبطلانها
لا ان بطلانها يقتضيها الم ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه فى تهيئة اسبابه وسواشتها دا آخر
على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجرى او بمقدر هو حال من فاعله اى ملتبسة
بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ليريكم
من آياته اى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور
تعليل لما قبله اى ان فيما ذكر لآيات عظيمة فى ذاتها كثيرة فى عددها لكل من يبالغ فى الصبر على الشدائد
فيتعب نفسه فى التفكر فى الانفس والآفاق ويبالغ فى الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن كأنه
قيل لكل مؤمن واذا غشيهم اى علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب

او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهى والشدايد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على
القصد السوى الذى هو التوحيد او متوسط فى الكفر لا تزجاره فى الجملة وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار
فانه نقض للعهد الفطرى اور فض لما كان فى البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ فى كفران نعم
الله تعالى يا ايها الذين اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده اى لا يقضى عنه وقرئ لا
يجزئ من اجزاء اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على والد
او هو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان يجزى وقطع
طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق
لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان المبالغ فى الغرور بان
يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها
لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وانى قد القيت حبالى فى
الارض فمتى تمطر السماء تمطر وحمل امرأتى ذكرا ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنده علم
مفاتح الغيب خمس وتلى هذه الآية وينزل الغيث فى اى آنه الذى قدره والى محله الذى عينه فى علمه و
قرئ ينزل من الانزال ويعلم ما فى الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدرى نفس
من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما يعزم على شئ منها فيفعل خلافه وما تدرى نفس
باى ارض تموت كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان عليها السلام
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى
ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليها السلام كان دوام نظرى اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه
بالهند وهو عندك وبنسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيله وبذل فى التعرف
وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره حاله ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض
وشبهة سيبويه تانيثها بتانيث كل فى كلتهن ان الله عليم مبالغ فى العلم فلا يغرب عن علمه شئ من
الاشياء التى من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة لقمان كان لقمان رفيقه يوم القيمة واعطى من الحسنات عشر امثال من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سجده

الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها
قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل لهن من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول
خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدا محذوف اى الم ذاك
ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان يجعل عنوانا للموضوع حقه
ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذا عهد بالتسمية قبل تحققها الاخبار بها وقوله تعالى لا
ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى
من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اى كائنا منها لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل
فيما بعد الخبر والاوجه صحة انه الخبر ولا ريب فى انه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فى فيه راجع الى
مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى

ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصودا الافادة
لا قيد الحكم بنفي الريب عنه وتقرر عليهم ذلك وابطل حيث جئ بام المنقطعة انكارا لهم وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه
واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل بل هو الحق باضافة اسم الرب الى ضميره
عليه السلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه السلام ثم ايذ ذلك ببيان غاية حيث قيل لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان بيان غاية الشئ وحكمته لاسيما عند كونها غاية
حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشئ ويؤكده لامحالة ولقد كانت
قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله
عليه السلام اى ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه السلام اى لتنذرهم
راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتاتى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب
مبتدءا واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث
على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود لافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوز تم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم وتجيركم من بأسه او ما لكم سواه
ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا
فاذا اخذ لكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اى الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او
تسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على
عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب
سماوية من الملئكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اى يثبت في علمه موجودا
بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اى في برهة من الزمان متطاولة له سواء للمراد بيان
طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثبارها في اللوح المحفوظ
فينزل بها الملئكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف للالف آخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا
الى يوم الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء
الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير
بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطاء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك
اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والخصائص
الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات فيه وتدبير من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اى ذلك
العظيم الشان عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما يقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره
الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه اياء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان
الذي احسن كل شئ خلقه خبر آخر او نعت على المدح اى احسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا
وهو مرتب على ما يقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى احسن واحسن كما
قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المراد ما يحسن اى يحسن
معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شئ والضمير للمبدأ من
اى احسن خلق كل شئ وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اى احسن كل
مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى اى اعطى كل شئ خلقه اللائق به بطريق

الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شئ مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره سبحانه
على تقدير الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء
عرف مخلوقاته بكل شئ يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وبدأ
خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع يحار العقول في فهم حيث بدأ آدم
عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد
منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل
نسله الخ اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المني المهين
ثم سواه اى عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعظيما
تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما
ينتهي اليه العقول البشرية من معرفة هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة
الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعي
واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع
ما فيه من نوع يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انعامه عليكم فتشكروا
نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروا بان
تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتذكروا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم
الايات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون
بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اى تشكرا قليلا
او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية
احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المبني عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه
وقالوا كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات اذ انا بان ما ذكر من عدم شكرهم تلك
النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة اذا ضللنا في الارض اى صرنا ترابا
مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد
المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اى صرنا من جنس الصلة قيل والقائل ابي
بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل في اذا ما يدل عليه قوله تعالى ائنا لفي خلق جديد
وهو بعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى
على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار
وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم
بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يكونون فيها من الاحوال و
الاهوال جميعا قل بيانا للحق ورد اعلى زعمهم الباطل يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت
من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا ولا يترك
منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه واقطعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اى بقبض ارواحكم
واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ائذا
ضللنا في الارض الآية اوجز الجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند
ظهور قبايحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن يبصر ويسمع
وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا

فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة
الاعتقادة والاقتدار على فهم معانى الايات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشاعر البصر والسمع كانهم
قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لكمال ثباتهم على الايقان
وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز
ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له تما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى على
صورة منكرة هائلة ويخبرهم الملئكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نرانا فى الدنيا
جهنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى ابصرنا وسمعنا
منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد
لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اى سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى
مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمعنى ولو ترى حينئذ
ان الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب
لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص
استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل
من تاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم
قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية براء دون راء بل كل من تاتى منه الرؤية
فله مدخل فى هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب
المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
معطوف على مقدر يقول معطوف على مقدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اى ونقول لو شئنا اى لو تعلقت شيتنا
تعلقا فعليا بان نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح كما
لاعطينا ما اياه فى الدنيا التى هى دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول منى اى سبقت
كلمتى حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة
على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم
من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغى باغوائه وشيتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم ايانا فلما لم
تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة
وهم المعنيون بما سياتى من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشية اعطاء الهدى فى
الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشية بما مر من التعلق الفعلى بافعال العباد
عند حدوثها لان المشية الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة
العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى انه لا يصرف اختيارهم فيما سياتى الى الغى
وايثارهم له على الهدى فاوارادت هى من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها وبيط ذلك بما ذكر من المناط
على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا
من اللطف الذى لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد
اشتبه عليه الشئون والفاء فى قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من
نفى الرجع الى الدنيا وعلى الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان
بان تعذيبهم بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع

لكم الى الدنيا او حق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليومكم الهائل وتركيكم التفكر فيه والاستعداد له
بالكلية انا نسيناكم اى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول الملوى للذوق والاشعار بان سببيس
مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب آخر من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا وعدم
نظم الكل فى سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها فى استيجاب العذاب وفى ابهام المذوق اولا و
بيانه ثانيا تكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى
الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لاتيان
الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا
ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اى وعظوا خروا سجدا اثر ذى اثير من غير تردد
ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اى سقطوا على وجوههم وسجدوا
بحمد ربهم اى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التى من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده
تعالى على نعمائه التى اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية
بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة
ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اى والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من
الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اى تنبو وتنحى عن المضاجع اى الفرش ومواضع المنام
والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضى الله عنه نزلت فينا معاشر
الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبى عليه السلام وعن انس رضه ايضا
انه قال نزلت فى اناس من اصحاب النبى عليه السلام كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء و
هى صلوة الاوابين وهو قول ابى حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر فى جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة
الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعى وجماعة لقوله عليه السلام افضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبى عليه السلام فى تفسيرها قيام العبد من
الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء منادى ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم
اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل
ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله فى الباساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة
ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اى داعين له تعالى عما الاغراض
خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا فى رحمته ومما رزقناهم من المال
ينفقون فى وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا
عمن عداهم ما اخفى لهم اى لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة عين مما تقر به اعينهم
وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفى
لهم ما اخفيت لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم
بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اى جزوا جزاء او
اخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله

تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا اى بعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذى
حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكر احواله لايستوون التفريح بمع افادة الانكار لنفى المشابهة
بالمرة على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الآتى عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
وقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين فى الآخرة بعد ذكر
احوالهما فى الدنيا واضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيق وانما الدنيا منزل ومرتحل عنه لا
محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم
التى هى مأواهم فى الدنيا نزلا اى ثوابا وهو فى الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على
الحالية بما كانوا يعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة او بما لهم واما الذين فسقوا اى خرجوا عن الطاعة
فمأواهم اى ملجأهم ومنزلهم النار كلما اريد ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها استيناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا
قربوا من بابها واريد ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة فى للدلالة
على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة فى
غيظهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به اى بعذاب النار تكذبون على الاستمرار فى الدنيا ولنذيقنهم
من العذاب الادنى اى عذاب الدنيا وسوما مخوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب
الاكبر الذى هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونهم فى الجملة يرجعون يتوبون عن
الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضى الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالى لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود
والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادا الى سعادة الدارين
كما فى بيت الحماسة لايكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
التركيب على نفى الظالم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر تحقيقه انا من المجرمين اى من كل من اتصف بالاجرام
وان كانت جريمته منتقمون فكيف بمن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب
اى التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كايتائها موسى عليه السلام فلا تكن فى مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذى هو الفرقان
كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحى مثل ما
لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائه
موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسرى بى موسى رجلا آدم طوالا اجعد كانه من رجال شنوءة وجعلناه اى
الكتاب الذى آتيناه موسى هدى لبنى اسرائيل قيل لم يتعبد بما فى التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدون امم الى ما فيه من دين الله و
شرائعه باحرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هى لما التى فيها معنى الجزاء بخواحسنت اليك لما جشتنى
والغير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هى ظرف بمعنى الحين اى جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد
صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين او صبرهم على مشاق الدنيا وقرئ لما صبروا
اى لصبرهم وكانوا بآياتنا التى فى تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن
الكتاب الذى آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل
يقضى بينهم قيل بين الانبياء وامهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل
فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على معنى يعتقبه

المقام

المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى فان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين
والمفعول محذوف والفاعل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اى اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم اولم يتبين لهم
مثل امرهم كثرة اهلكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد
جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استينافا مبنيا
لكيفية هدايته تعالى يمشون فى مساكنهم اى يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون
آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون ان فى ذلك اى فيما ذكر من كثرة اهلكنا للام الحالية
العاتية او فى مساكنهم لايات عظيمة فى انفسها كثيرة فى عدد ما افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر
واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اى التى جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل هو
اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تاكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم كالتبن
والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ ياكل بالياء وانفسهم كالحبوب التى يقتاتها
الانسان والثمار افلا يبصرون اى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى و
فضله ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم و
كان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل
بالحكومة ان كنتم صادقين فى ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق
يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين
واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق
الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغى ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم
واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لاتستعجلوا
فانى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول
عبارة عن المقتولين يومئذ لاعن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح
وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم
منتظرون قيل اى العلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون
هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر
غلبتنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب
المترتب عليه لامحالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم اوفان الملائكة كما
ينتظرونه عن النبى عليه السلام من قراء الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى
ليلة القدر وعنه عليه الصلوة والسلام من قراء الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

يا ايها النبى اتق الله فى غضون قصة عليه السلام بعنوان النبوة تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه والمراد بالتقوى
المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لاينال مداه ولاتطع الكافرين
فيما يجرون بالكفر والمنافقين المغمرين له اى فيما يعودونهم فى الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين
روى ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه ص فى الموادعة التى كانت
بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبى عليه السلام والمؤمنين
وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين
من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا فى العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء
من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة
البالغة فالجملة تعليل للامر والنهى مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اى فى كل ما تاتى وتذر من امور
الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التى من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عنه
مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون
خبيرا قيل الخطاب للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقيل له وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات
ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب وايا ما كان فالجملة تعليل للامر وتاكيد لوجوبه
اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه
فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كان قيل ان الله خبير
بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعلونه من الكايد والمقا
ويامرك بما ينبغى لك ان تفعله فى دفعها ودفعا فلابد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على
الله اى فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل
من قلبين فى جوفه شروع فى القاء الوحى الذى امر عليه السلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما
يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم و
تنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون المدعى ابنا اى بمنزلة الام والابن فى الآثار والاحكام المعهودة
فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب
الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر ذو القلبين واسد الغهرى ذو القلبين اى ما جمع الله قلبين فى رجل
وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ولا زوجية ولا امومة فى مراة
ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة
والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى نفى الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفى الجمع بين احكام الدعوة
واحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى الجمع بين حقيقة الزوجية واحكام الامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة
واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعى
ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة
كما عدى الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج
او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاى وقرئ
تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية فى الظاء وتظهرون
وتظاهرون بادغام التاء الثانية فى الظاء وتظهرون من ظاهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد
بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولدا على الشذوذ كاختصاص افعلاء
بفعيل بمعنى فاعل كتقى واتقياء كانه شبه به فى اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما
يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذى هو المقصود من ساق الكلام اى دعاءكم بقولكم
قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة فى الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع
احكام البنوة كما زعتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدى السبيل اى سبيل الحق لا غير

ادعوا

فادعوهم الى آبائهم هو اقسط عندالله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى وافسط افعل تفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل اى الدعاء لآبائهم ابلغ فى العدل والصدق فى حكم الله تعالى وقضائه فان لم
تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم واوليائكم فيه اى فادعوهم
بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اى اثم فيما اخطاتم به اى فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو
او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى او ما تعمدت
قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم المتبنى بقوله هو ابنى اذا كان عبد اللقائل
العتق على كل حال ولا يثبت بنسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبنى ولم يقر
قبله بنسبه من غيره النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم اى فى كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق
فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها
وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روى انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس
نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به
الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اى فى منزلات منازلهن فى التحريم واستحقاق التعظيم
واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عايشة رضى الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام
اى ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة
والموالاة فى الدين فى كتاب الله فى اللوح او فيما انزله وهو هذه الاية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى
من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من
المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقتضيه
الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف الوصية او منقطع كان ذلك فى الكتاب مسطورا اى كان ما ذكر
من الآيتين ثابتا فى اللوح او القرآن وقيل فى التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اى اذكر وقت اخذنا
من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى
ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم فى النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير
ارباب الشرايع واساطين اولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل و
اخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو
عدة والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيما لشانه كما فى قوله تعالى وبخيلهم
من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسال
الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية
له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب
بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك ليسال يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان
من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اى ليسال الانبياء الذين صدقوا
عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم او للمصدقين لهم عن تصديقهم لهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان
ليسال المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيابا مقام تذكير
ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من المضمر العامل فى اخذنا كما قيل او
التوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء

الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود
بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسئل الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الخ يا
يها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف
هو حال منها اى كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لتشوشها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه
بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان وبهود قريظة والنضير وكانوا زهاء
اثنى عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم
خرج في ثلثمائة الا فمن المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا
في الاطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن وبغم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا كنوز كسرى وقيصر لاحدنا ان يذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم
الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب تجمعوا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا جنوبكم فاقتحموا
فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم
الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو
اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله
لا احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان فيه شهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه
ثم اقبل على علي فتناولا ولاجا ولا نفر به علي رضي الله عنه ضربة بيده فاتقاها فنفذت يده فقطعها فمات مكانه
وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي حتى اقتحمت من الخندق نارية
وقيل لم يكن بينهم الا التراشق بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وتفصيلا بقيتها في آخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام
وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحمرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة تقلعت
الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران والكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في
قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر
فالنجاء النجاء فانهزموا من قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل من
التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اى بما يعمله الكفار اى من الحفر والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا
ولذلك نعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم
من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصين وعمه
بن الطفيل في هوازن وصناديدهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اى من اسفل الوادي من قبل
المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبنو كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا
عشرة الاف واذ زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اى حين مالت عن سننها
وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدو لشدة الروع
وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة
وهي منتهى الحلقوم وقيل سوغل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله
تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون بالله تعالى انواع الظنون المختلفة
حيث ظن المخلصون اثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى
عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله او يمتحنهم فخافوا الذليل وضعف الاحوال
والضعفاء القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع

لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد
في القوافي هنالك ظرف زمان وظرف مكان لما بعده اى في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض ابتلي
المؤمنون اى عوملوا معاملة من يختبر ظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا ازالة الاشديدا
من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء وانفرد بقول المنافقون عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر
من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض اى ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اى وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير
واضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يبرز فرقا مما هذا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه يا اهل يثرب
هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي عليه السلام ان تسمى بها كراهة
لها وقال هي طيبة اوطابة كانهم ذكروا بذلك الاسم مخالفة له عليه السلام ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم
لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ
بفتح الميم اى لا قيام او لا موضع قيام لكم فارجعوا اى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا
عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل بضم الميم وقيل بضمها لا قيام لكم في دين محمد
فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما يحثوه عليه وسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب
فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى ويستاذن فريق
منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة
استاذنوه عليه السلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او حال
من فاعله او استيناف مبني على السؤال عن كيفية الاستيذان ان بيوتنا عورة اى غير حصينة معرضة
للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل طلقت على المختل مبالغة
وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اى اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام
الاعتذار كما يفصح عنه تقدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون
الا يريدون بالاستيذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليها اسند الدخول الى بيوتهم واوقع
عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولما
فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الجار والمجرور من اقطارها اى من جميع جوانبها لا
من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم محتلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة و
الفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجعة الهائلة الفتنة اى الردة
والرجعة الى الكفر لكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لا توها لا عطوها غير مبالين بما دهاهم
من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر اى لغلبوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة
اى ما البثوها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال
البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو الانسب بالمقام
هذا واما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة مع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن
الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق
واشتد البلاء وان دعوا الى الباطل عند ظهور امارات الغلبة عليه اسرعوا الى الاجابة لا تردد لهم من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
فرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة
اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض

عن الحق المجدون فى الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار فان بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا الا يعودوا لمثله وقيل هم قوم
غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا
لنقاتلن وكان عهد الله مسؤلا مطلوبا يقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤلا عن الوفاء به ومجازى عليه قل
لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لابد لكل شخص من حتف انف او قتل سيف فى وقت
معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذن لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم الفرار مثلا تمتعتم
بالثبات خير لكم ممكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا
او اراد بكم رحمة اى او يعصمكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى
المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين
منكم اى المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقى
المدينة هلم الينا وهو صوت سمى به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة
اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اى قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند
هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس اى الحرب والقتال الا قليلا
اى اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين لو خرجوا
انهم معهم ولالتزام يلازمون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا
وقيل انه عن تمة كلامهم معناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم
اى بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من قائلين
يأتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فى احداقهم
كالذى يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اى
ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذار ما دهاهم ولواذا بك او ينظرون كائنين
كالذى الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنايم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وقرأ قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا
معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نلتم ما نلتم والسلق البسط بقهر باليد او باللسان وقرئ صلقوكم اشحة
على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء
لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اى اظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم
ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتصدير
الجملة بالذكر مع ان كل شئ عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعى
وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم يبرحوا
ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم
خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم
من جانب المدينة وقرئ يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او
يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون
ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما فى المثال المذكور ونحو
عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة خصلة

حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدايد او هو فى نفسه قدوة يحق التأسى به كقولك
فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فيها لمن كان
يرجو الله واليوم الاخر اى ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل صفتان لمثل قولك
ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة الحسنة او صفة لها وقيل بدل من
لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اى وقرن الرجاء ذكر الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او
زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدى الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله
عليه وسلم ولما رأى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤن واختلاط
الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اى لما شاهدوهم حسما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه
من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما
فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من تياح النظر الجليل
فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما
يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مسهم البأساء والضراء الى قوله الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد
الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سيأتون اليكم بعد تسع
ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله
او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اى ما رأوه
الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اى المؤمنين بالاخلاص
مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول عليه السلام
والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة
ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى
اذا قال الصدق وحمل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره اى
فى سنه واما بتجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكوما بخ تنى الاعداء ان لم
تنجز وقالوا له سنفى بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه مكذوبا فمنهم من قضى نحبه
تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وسوان يلتزم الانسان شيأ من اعماله ويوجبه على نفسه
وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به وحمل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين فى قوله تعالى و
من الناس من يقول آمنا بالله الآية اى فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس
بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على
حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التى هى المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت
شهيدا او كان مستعارا للالتزام على ما سيأتى ومنهم اى وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اى قضاء
نحبه بكونه موفقا لعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون
على النذر وهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية
الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا للالتزام
الموت شهيدا اما بتنزيل الالتزام اسبابه التى هى افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه
منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وسوق الانباء بمقام المدح وايما كان ففى وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة

في المنتظر شهادة حقه بكمال استيثاقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم فرد جنة
كل حيوان فمع للاستعارة وذئاب برونتها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا
عطف على صدقوا وفاعله فاعله اى وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا اى تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا
بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد بـ
انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثا
لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روى ان
طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة
الجنة وفي رواية طلحة وعنه عليه السلام في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر
طلحة بن عبيد الله وفي رواية عايشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر
الى طلحة وبذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف سوق
بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في
قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم
من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال الحكيمة
ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته بمعر
به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل
تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى ومازادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى
ولما راى المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية قاتل وبالله
التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اى لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الذين
كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها معطوف اما على الضمير المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة
وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد توسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة
تحيرت بها العقول والافهام وداهية طامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن
فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل
ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورد تابيد لكسر
الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال
من الموصول اى ملتبسين به وكذا قوله لم ينالوا خيرا بتداخل وتعاقب اى غير ظافرين بخير او الثانية
بيان للاولى او استيناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا
على احداث كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب المردودة
من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك
تقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث استسلموا انفسهم
للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان
يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال انتزع وقد خلت
والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا
يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم

تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر
النبي عليه السلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى
تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول في الجملة الثانية
مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى فريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اى حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم
ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار
في ذلك فقال عليه السلام انكم في مساكنكم فقال عمر رضي الله عنه اما نخمس كما خمستم يوم بدر فقال عليه السلام
لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها اى اورثكم
في علم وتقدير او ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر و
كان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الارض التي لم تتسلموها فضلا عليها
ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اى السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها
فتعالين اى اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل بخاصتي وذهب بكلتي وقام
يهدد ني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اى اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا
طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن سالنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدا بعايشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله
ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى
يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق و
انما كان تخيير الهن بين الاربع التي عناهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين
امتعكن واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو اخترن انفسهن كان
ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا خيرت رجل امراته
فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو
قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة
واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلث طلقات وهو قول الحسن وروايته عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه
انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان
اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عايشة رضي الله عنها خيرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع
لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة
عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهر ما
اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اى تردن
رسوله وذكر لله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه السلام عنده تعالى والدار الآخرة اى نعيمها الدائم
لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما
لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة
في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وما سر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف
السراح بالجميل يا ايها النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بشانهن وندائهن
ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلام لانها الذي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يات

مكن بفاحشة بكيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترن من الكبائر
وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه و
يغتم لاجله وقرئ نات بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين اى يعذبن ضعفى عذاب غيرهن اى
مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف
حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعف
بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء
النبى عليه السلام بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اى ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تع
واعتد لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبى لستن كاحد من النساء
اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة
من جماعات النساء في الفضل والشرف ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضى رسوله او ان اتصفتن
بالتقوى كما هو اللايق بحالكن فلا تخضعن بالقول عند مخالبة الناس اى لا تجئن بقولكن خاضعا
لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع الذى في قلبه مرض اى فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا
على محل فعل النهى على انه نهى المريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا
تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بحد وخشونة من غير
تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امرن من قر يقر من باب علم واصله اقررن حذفت
الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن اومن قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف
من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن فحذفت احدى الراءين وقرئ من وعداوين قريقر حذفت احدى
الجاهلية الاولى اى تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس
ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذى ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المراة تلبس درعا من اللولو فتمشي وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله
عليه السلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة
وآتين الزكوة امرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله
اى في كل ما تاتين وما تذرون لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى الذنب
المدنس لعرضكم وهو تعليل للامر هن والنهي هن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح
بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت مرادهم من حولهم بيت النبوة ويطهركم
من اوضار الاوزار والمعاصى تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها
وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبى عليه السلام من اهل بيته قاضية ببطلان راى الشيعة
في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة وعلى وابنيه رضوان الله عليهم اجمعين واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي
فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل
على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها

في مقابلة

في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن اى اذكرن للناس بطريق الغظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامعين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه
حكمة منطوية على فنون العلوم والشرايع وسوتذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة وهبط الوحي
وما شاهدن من بروز الوحي مما لا يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفنه
والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات و
وقوعها في كل البيوت وتكريرها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم
تلاوة جبريل وتلاوة النبى عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما ان الله كان لطيفا
خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يتاهل ان
يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات اى الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور و
الاناث والمؤمنين والمومنات المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين و
الصابرات على الطاعات وعن المعاصى والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم و
جوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض
والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله
لهم بسبب ما علموا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما علموا من الاعمال
الصالحة واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعدلهن وللماثلهن على الطاعة والتدرع بهذه
الخصال الحميدة روى ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن
بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروى انه لما نزل
نساء النبى عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور
لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا
ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدة الدلالة على ان مدار اعدادها اعدهم جمعهم بين هذه
النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اى ما صح وما استقام لرجل ولا امراة من المؤمنين
اذا قضى الله ورسوله امرا اى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره او للاشعار بان قضاءه
عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمة ايمة بنت عبد المطلب خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي
معيط وهبت نفسها للنبى عليه السلام فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله
فزوجنا عبده ان يكون لهم الخيرة من امرهم اى ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل يجب عليهم ان يجعلوا
رايهم تبعا لرايه عليه السلام واختيارهم تبعا لاختياره وجمع الضمير لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق
النفي وقيل الضمير للرسول والجمع للتعظيم وقرئ تكون ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور ويعمل
فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اى بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول
اى واذكر وقت قولك للذى انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك حسن تربيته ومراعاته وانعمت
عليه بالعتق بما وفقك الله له من فنون الاحسان التى من جملتها تخيره وهو زيد بن حارثة وايراده بهذا العنوان
لتذكير ما بينهما من المناسبة المقتضية لكمال العناية بشانه امسك عليك زوجك اى زينب وذلك انه
لا ستحيائه او الاحتشام وكلاهما مما لا يليق بحق زيد حتى زيد عليه السلام ابصرها بعد ما تكحلها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب

القلوب وحسنت زينبا بالتسبيحة فذكرتها لزيد فطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام
وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تشرف
على فقال امسك زوجك واتق الله ثم امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفف نفسك ما الله
مبديه وسوكاحها ان طلقها وارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه
ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار
ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يمتثل او يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث
لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك
زوجناكها وقرئ زوجنكها والمراد الامر بتزويجها منه عليه السلام وقيل جعلها زوجة بلا واسطة عقد وبيده
انها كانت تقول لسائر نساء النبي عليه السلام ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل
كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة
في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة
على ان حكمه عليه السلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور المقدرة
الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح وما
استقام في الحكم ان يكون له ضيق فيما فرض الله له اي قدر له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه
فروض العساكر لعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترابا وجندلا مؤكد لما قبله من
نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث وسع
عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام
ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمبالغة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل
ما يأتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرجون منها خوفا ولا نأخذهم في ذلك لومة لائم
ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاسرار
عن الائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا
للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى كما كان
محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى تثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا لهم
لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله ابوانتم لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب
لحيوتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه السلام فحكمه حكمهم وليس للنبي والاب
حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان
خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وايا ما كان فلو كان لابن بالغ كمان نبيا ولم
هو عليه السلام خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه
نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله و
حين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض امته وكان الله بكل
شئ عليما ومن جملة هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكتم منها في خلد مريب يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله بما هو اهله بالتهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال

وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما ليس لقصر التسبيح عليهما دون
سائر الاوقات بل لافادة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين فافراد التسبيح بهذين الاذكار مع
اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو الذي يصلي عليكم الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم
استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجب عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله
تعالى وملئكته عطف على المستكن في يصلي لكمال الفصل للمغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد
بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له
بل على ان يراد بهما معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح
امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلوة
المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملئكة ودعاءهم
للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل باعتبار ونزع الى الجمع بين المعنيين
المتغايرين فقد بر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملئكته ليخرجكم
بذلك من الظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاح امركم
بالذات وبالواسطة ويهديكم للايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان للمؤمنين مظهر وضع موضع المضمر
مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة ولرحمته تقو
بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي العناية بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به عاما نه مصدر اضيف
الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل
تعظيما لهم او من الملئكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب
عليكم او اخبار بالسلامة عن كل شئ وآفة وقوله تعالى واعد لهم اجرا عظيما بيان لآثار رحمته الفائضة
عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على
الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم اوله اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق
الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل فهيا لهم
مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم
وتشاهد اعمالهم وتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى
والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا وقذيرا تبشر
المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وسائر ما يجب
الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي تيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة
ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا تاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا
وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا
يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين
عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم
بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق
التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال الدين
الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه

بنظر فی سکناها وتصویره بصورتها ومن حمل النهی علی التهییج والایجاب فقد ابعد عن التحقیق بمراحل ودع اذاهم ای
لاتبال باذیتهم لک بسبب تصلبک فی الدعوة والانذار وتوکل علی الله ای کل ما تاتی وما تذر من الشؤن التی
من جملتها هذا الشان فانه تعالی یکفیکهم وکفی بالله وکیلا موکولا الیه الامور فی کل الاحوال واظهار الایم
الجلیل فی موقع الاضمار لتعلیل الحکم وتاکید استقلال الاعتراض التذییلی ولما وصف علیه السلام بنعوت جمة
قویل کل منها بخطاب ینا سبه خلا انه لم یذکر مقابل الشاهد صریحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالته مقابل
المبشر علیه وهو الامر بالتبشیر حسبما ذکر آنفا وقویل النذیر بالنهی عن مداراة الکفار والمنافقین والمسامحة فی
انذارهم کما تحققته وقویل الداعی الیه تعالی باذنه بالامر بالتوکل علیه من حیث انه عبارة عن الاستمداد والاستعانة
به وقویل السراج المنیر بالاکتفاء به تعالی فان من ایده الله بالقوة القدسیة ورشحه للنبوة وجعله برهانا نیرا
یهدی الخلق من ظلمات الغی الی نور الرشاد وحقیق بان یکتفی به عن کل ما سواه یا ایها الذین امنوا اذا
نکحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ای تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لکم علیهن
من عدة بایام تبتدیء فیها بانفسهن تعدونها تستوفون عددها من عدة الدراهم فاعتدها حقیقة
عدا بالنفه وکذلک کلمة فاکتاله والاسناد الی الرجال للدلالة علی ان العدة حق الازواج کما اشعر به قوله
تعالی فما لکم وقرئ یعتدونها علی ابدال احدی الدالین بالیاء او علی انه من الاعتداء بمعنی تعتدون فیها والکوة
الصحیحة فی حکم المتن وتخصیص المؤمنات مع عموم الحکم للکتابیات للتنبیه علی ان المؤمن من شانه ان یتخیر لنطفته
ولا تنکح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسی یتوهم ان تراخی الطلاق ربما یمکن الاصابة یؤثر فی العدة کما یؤثر
فی الیف فمتعوهن ای ان لم یکن مفروضا لها فی العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون
المتعة فانها مستحبة عندنا وروایة وفی اخری غیر مستحبة وسرحوهن ای اخرجوهن من منازلکم اذ لیس لکم
علیهن عدة سراحا جمیلا من ضرار ولا منع حق ولا مساغ للتقصیر بالطلاق السنی لانه انما یتسنی فی المدخول بهن
یا ایها النبی انا احللنا لک ازواجک اللاتی آتیت اجورهن ای مهورهن فانها اجور الابضاع وایتاؤها اما
اعطاؤها معجلة او تسمیتها فی العقد وایا ما کان فتقیید الاحلال له علیه السلام به لیس لتوقف الحل علیه ضرورة انه
یصح العقد بلا تسمیة ویجب مهر المثل او المتعة علی تقدیر عدی الدخول وعدم بذل لایثار الافضل والاولی له علیه السلام
کتقیید احلال المملوکة بکونها مسبیة فی قوله تعالی وما ملکت یمینک مما افاء الله علیک فان للسراة ایضا
بدء امرها وما جری علیها وکتقیید القرائب بکونهن مهاجرات معه فی قوله تعالی وبنات عمک وبنات عماتک
وبنات خالک وبنات خالاتک اللاتی هاجرن معک ویحتمل مهاجرات معه فی قوله تعالی وبنات عمک و
تقیید الحل بذلک فی حقه علیه السلام خاصة ویعضده قول ام هانی بنت ابی طالب خطبنی رسول الله صلی الله علیه
وسلم فاعتذرت الیه فعذرنی ثم انزل الله هذه الآیة فلم احل له لانی لم اکن هاجرت معه کنت من الطلقاء وامراة
مؤمنة بالنصب عطفا علی مفعول احللنا اذ لیس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام بتحقق الاحلال
المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع علی انه مبتدا وخبره محذوف ای احللنا لک ایضا ان وهبت
نفسها ای ملکته بعضها باتی عبارة کانت بلا محذور ان اتفق کذلک کما ینبئ عنه تنکیرها لکن لا مطلقا بل
عند ارادته علیه السلام استنکاحها کما نطق به قوله تعالی ان اراد النبی ان یستنکحها ای ان یتملک بعضها
کذلک ای بلا مهر فان ذلک جار منه علیه السلام مجری القبول وحیث لم یکن هذا نصا فی کون تملیکها بلفظ
الهبة لم یصلح ان یکون مناطا للخلاف فی انعقاد النکاح بلفظ الهبة ایجابا او سلبا واختلف فی اتفاق
هذا العقد فعن ابن عباس رضی الله عنهما لم یکن عنده علیه السلام احد منهن بالهبة وقیل الموهوبات اربع
میمونة بنت الحارث وزینب بنت خزیمة الانصاریة وام شریک بنت جابر وخولة بنت حکیم وارادة علیه السلام
فی الموضعین بعنوان النبوة بطریق الالتفات للتکرمة والایذان باناطة المناط لثبوت الحکم فیختص بهم

حسب اختصاصها به کما ینطق به قوله تعالی خالصة لک ای خلص لک احلالها خالصة او خلوصا فان الفاعلة فی المصادر
غیر عزیز کالعافیة والکاذبة او خلص اخلال ما احللنا لک من المذکورات علی القیود المذکورة خالصة ومعنی قوله
تعالی من دون المؤمنین علی الاول ان الاحلال المذکور فی المادة المعهودة غیر متحقق فی حقهم وانما المتحقق
هناک الاحلال بمهر المثل وعلی الثانی ان احلال الجمیع علی القیود المذکورة غیر متحقق فی حقهم بل المتحقق فیه احلال
البعض المعدود علی الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع علی انه خبر مبتدا محذوف ای ذاک خلوص لک وخصوص
او هی ای تلک المراة او الهبة خالصة لانتجاوز المؤمنین حیث لا یحل لهم بغیر مهر المثل ولا تصح الهبة بل یجب مهر
المثل وقوله تعالی قد علمنا ما فرضنا علیهم ای علی المؤمنین فی ازواجهم ای فی حقهن اعتراض مقرر لما قبله من
خلوص الاحلال المذکور لرسول الله صلی الله علیه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنین ببیان انه قد فرض علیهم من شرائط
العقد وحقوقه ما لم یفرض علیه وسلم تکرمة له وتوسعة علیه ای قد علمنا ما ینبغی ان یفرض علیهم فی حق ازواجهم
وما ملکت ایمانهم وعلی ای حد وای صفة یحق ان یفرض علیهم ففرضنا ما فرضنا علی ذلک الوجه وخصصناک
ببعض الخصایص لکیلا یکون علیک حرج ای ضیق والام متعلقة بخالصة باعتبار ما فیها من معنی ثبوت الاحلال
ومصوله له علیه السلام لا باعتبار اختصاصه به علیه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثانی الذی هو
عبارة عن عدم ثبوته لغیره وکان الله غفورا لما یعسر التحرز عنه رحیما ولذلک وسع الامر فی مواقع الحرج
ترجی من تشاء منهن ای تؤخر ما وتترک مضاجعتها وتؤوی الیک من تشاء وتضم الیک من تشاء منهن
وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسک من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنی واحد ومن ابتغیت
ای طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح علیک فی شیء مما ذکر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما
ان یطلق او یمسک فاذا امسک ضاجع او ترکه وقسم او لم یقسم واذا طلق فاما ان یخلی المعزولة او یبتغیها
وروی ان ارجاء منهن سودة وجویریة وصفیة ومیمونة وام حبیبة فکان یقسم لهن ما شاء کما شاء وکانت مما
اوی الیه عایشة وحفصة وام سلمة وزینب وارجی خمسا واوی اربعا وروی انه کان یسوی بینهن مع اطلاقه
له وخیر الاسودة فاتها وهبت لیلتها لعایشة وقالت لا تطلقنی حتی احشر فی زمرة نسائک ذلک ای
ما ذکر من تفویض الامر الی مشیتک ادنی ان تقر اعینهن ولا یحزن ویرضین بما آتیتهن کلهن ای اقرب
الی قرة عیونهن ورضاهن جمیعا لانه حکم کلهن فیه سواء ثم ان سویت بینهن وجدن ذلک تفضلا منک
وان رجحت بعضهن علمن انه بحکم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وتنصب اعینهن وتقر علی
البناء للمفعول وکلهن تاکید لنون یرضین وقرئ بالنصب علی انه تاکید لهن والله یعلم ما فی قلوبکم
من الضمایر والخواطر فاجتهدوا فی احسانها وکان الله علیما بما لغا فی العلم فیعلم کل ما تبدونه
تحقیقه حلیما لا یعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخیرها فانها امهال لا اهمال لا یحل لک النساء بالیاء لان
تانیث الجمع غیر حقیقی ولوجود الفصل وقرئ بالتاء من بعد ای من بعد التسع وهو فی حقه کالاربع فی
حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتی خیرتهن فاخترنک وقیل من بعد اختیارهن
الله ورسوله ورضاهن بما تؤتینهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل ای تتبدل بحذف احدی
التاءین بهن ای بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها وتنکح مکانها اخری ومن مزیدة
لتاکید الاستغراق اراد الله لهن کرامة وجزاء علی ما اخترن ورضین فقصر رسوله علیهن وهن التسع
الاتی توفی علیه السلام عنهن وهن عایشة بنت ابی بکر وحفصة بنت عمر وام حبیبة بنت ابی سفیان وسودة
بنت زمعة وام سلمة بنت ابی امیة وصفیة بنت حیی الخیبریة ومیمونة بنت الحارث الهلالیة وزینب بنت جحش
الاسدیة وجویریة بنت الحارث المصطلقیة وقال عکرمة المعنی لا یحل لک النساء من بعد الاجناس الاربعة الاتی
احللنا هن لک بالصفة التی تقدم ذکرها من الاعرابیات والغرایب او من الکتابیات او من الاماء بالنکاح

وياباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان منع احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون منع
التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذى ليس من الوظائف الشرعية
ولو اعجبك حسنهن اى حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج
لتوغله فى التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقدر تحقيقه فى قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة
ولو اعجبتك وقيل هى اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابى طالب اى ممن اعجبه عليه السلام حسنهن و
اختلف فى ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء
وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة
رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال ابن رضى الله عنه مات عم
على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع
وكان الله على كل شئ رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخلى حلاله الى حرامه يا ايها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى شروع فى بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبى عم
اثر بيان ما يجب مراعاته عليه عليه السلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تدخلوها فى حال من الاحوال كونكم مأذونا لكم وقيل من اعم
الاوقات اى لا تدخلوها فى وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النكاة لقنوا على
ان الوقوع موقع الظرف يختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما
يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه
لا ينبغى ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اياه
اى غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت و
الحال معا عند من يجوزه او من المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا
ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالاماله لانه مصدر رانى الطعام اى ادرك ولكن اذا دعيتم
فادخلوا استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو
الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبى عليه السلام
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبما شاكلهم والا فالاجاز لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام
باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولاحتباسين لحديث اى لحديث بعضكم بعضا
او لحديث اهل البيت بالسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اى ولا تدخلوا او لا تمكثوا احتباسين
الخ ان ذلكم اى الاستيناس الذى كنتم تفعلونه من قبل كان يوذى النبى لتضييق المنزل عليه
وعلى اهله وليجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيى منكم اى من اخراجكم
لقوله تعالى والله لا يستحيى من الحق فانه يستدعى ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا
انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغى ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتغيير عنه
بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحيى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا
سألتموهن الضمير لنساء النبى المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا اى شيئا يتمتع به من ك
الماعون وغيره فاسألوهن اى المتاع من وراء حجاب اى ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى ذلك فنزلت
ذلكم اى ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع

من وراء

من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اى اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اى وما صح و ما
استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اى ان تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اى من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه السلام ونكاح ازواجه
من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الشر والفساد وكان عند الله عظيما
وخطبا مما لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا
ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او
تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شئ عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البارية والخافية لا محالة
وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة فى الوعيد لا جناح عليهن فى آبائهن و
لا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم
روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او كلمهم ايضا من وراء الحجاب فنزلت
وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى قوله تعالى وآله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين
عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤلة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات
وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اى نساء المؤمنات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر فى سورة النور واتقين الله
فى كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شئ شهيدا لا يخفى عليه خافية و
لا يتفاوت فى علمه الاحوال ان الله وملئكته وقرئ وملئكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين و
حملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على راى البصريين يصلون على النبى قيل الصلوة من الله تعالى
الرحمة ومن الملئكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملئكة يدعون له وعنه ايضا
يصلون يبركون وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملئكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغى ان
يراد بهما فى يصلون معنى مجازى عام يكون كل واحد من المعانى المذكورة فردا حقيقيا له اى يعتنون بما فيه خيره
وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملئكة بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على
محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا
من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم الف رجل ذكرت
عنده فلم يصل على و قوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله ويروى انه رغم
قال وكل الله تعالى بى ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى
و ملئكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل
فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب فى العمر مرة
وكذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه عليه السلام ان
يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه بالصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط فى جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم
النخعى ان الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبى واما الشافعى
رح فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم السلام فيجوز تبعا وتكره استقلالا لانه فى العرف
شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله

اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التاذي في حقه تعالى وقيل في ايذائه
تعالى وهو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملئكة بنات
الله والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام
هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح
صفية والحق سو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه وايذان
بجالة مقداره عنده تعالى وان ايذاؤه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته
في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيأ منها واعدلهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم
في الاخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل
وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان
اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا
بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك
وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء لزا بالليل لقضاء حوايجهن وكانوا لا يتعرضون الا
للاماء وكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر
عمومه لكل اذى لما سياتي من ارجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن
الايذاء امر النبي عليه السلام بان يامر بعض المتاذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من الستر والتمييز عن مواقع
الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب
اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على رأسها وتبقى منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما
يستتر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان
المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين
ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويتميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع
تعرض وايذائهم فلا يوذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من
التفريط رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال ذا تيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم
عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا
خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير
ذلك من الارجاف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت بها
الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم او جلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء
ونحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول
عليه السلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء
وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله
غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة
الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان
يقتل الذين ناقضوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا وليس
لتبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسالك الناس عن
الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسالونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء
واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التورية وساير الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه

لكما مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه السلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان
انهما مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء
اصلا لعل الساعة تكون قريبا اي شيأ قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية وبجوز
ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين و
الاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين
على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والاجلة واعدلهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد
يقاسون بها في الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم
في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل لمضمر اي اذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من
جهة الى جهة كلما نضجت في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او
يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب وتقلب باسناد الفعل
الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى الستير وتخصيص الوجه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه
مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون استيناف مبني
على سؤال نشاء من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا ينالنا بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل
في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي لاشعاره بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق
بل سوف يعتذرا رادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين اغووهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله
في حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين اضلوهم الكفر وقرئ ساداتنا للاشعار
على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين
من العذاب اي مثل العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما
وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء تكريرا للمبالغة في الجوار واستدعاء للاجابة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيهن قالة الناس فبراه الله مما قالوا
اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه اثر ما رماه من مضونة ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون
اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عن ذلك بان
اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون وما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل
اتهم ناس بقتل قارون عند خروجه معه الى الطور فاتاه ملئكة فحملته على اعوادهم حتى مروا به حيث راوه غير مقتول وقيل
احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم
الله تعالى على براءته بان قوت الحجر ثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله
وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون
وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يوذي رسوله عليه السلام وقولوا في كل شان من
الشؤن قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا اذا قال سددا لسهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها
والمراد نهيهم عما حاضوا فيه من حديث زينب الجاري عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال
الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول
والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين
فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها

واشفقن منها لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراتب
لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل
مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها
على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة
والاتقياد وامرهم برعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشئ من حقوقها وعبر عن اعتبارها
بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن
لها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها العتو والجماح
التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة العظيمة الشان بحيث لو كلفت
تلك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك للبين قبولها
واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق رومًا لمزيد تحقيق المنعي
المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبار ما بالاضافة الى استعداده
او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة
عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلومًا جهولًا
اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان مفرطًا في
الظلم لنفسه في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعلموا بموجب فطرتهم السليمة او اعتراضهم السابق دون
من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلًا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها و
لم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه
بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة
حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية
والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي كان عاقبة حملها ان يتوب
الله تعالى على بعض هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما
فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتدارکهم لها بالتوبة والابانة والالتفات الى
الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاظهار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر
المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شأنها ان
تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التعقيب
وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو
جدير بان يفوز بخير الدارين بإياه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق
ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم
طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء
امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة للامانة منها
واتين بما امرناهن به كقوله تعالى ائتيا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امر به انكان ظلومًا
جهولًا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة
لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقالت نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا

ولا عقابا

ولا عجلها بابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلومًا لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولًا
بعواقبه وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعداد من
وبإبائهن الاباء الطبع الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلومًا جهولًا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله
الموفق وقرئ ويتوب الله على الاسكينا في وكان الله غفورا رحيما مبالغا في الرحمة والمغفرة حيث
تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قراء سورة الاحزاب
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر والله اعلم

الحمد الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء و
الاماتة جميع ما وجد فيهما واخلق حقيقتها او خارجا عنها متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية
الكرسي وصف نفسه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع
افراده به تعالى على بين في فاتحة الفاتحة بيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من
الموجودات الا من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من
صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل
الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله وله الحمد في الآخرة بيان لاستمرار
الحمد الاخروي له تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق بنفس الحمد او بما يتعلق به الخبر الاستقرار
واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكره كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون
المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده
واورثنا الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الاية وبما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية
كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع
كون نفع الدنيا والاخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد
ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين ودبرها بما يقتضيه الحكمة
الخبير ببواطن الاشياء ومكنونا تها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه
من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والانهار
ونحوها وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب و
المقادير ونحوها وقرئ وما تنزل بالتشديد وبنون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد و
الابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة اراد وا بالضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما
اراد وا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم
يوعدون باتيانها ولا يرون وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اخبار الزمان لا يكون الا بالاتيان
والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى
رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم
الوجوه واكملها وقرئ لياتينكم علانا ويل الساعة باليوم او الوقت وقوله عالم الغيب الخ ابتداء للتاكيد

للتاكيد وتسديد له اثر تسديد وكسر لسورة تكبرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بدلايل نعوت المقسم به على الاطلاق
يوذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر والاريب في ان المستشهد
كلما كان اجل واعلا كانت الشهادة اكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لاسيما اذا اختص بذكر
من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو
للمقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه حالا يوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى
للمعاندين عذرا اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم
يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب بالرفع على المدح لا يغرب عنه اى لا يبعد وقرئ بكسر الزاء
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض اى كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اى من مثقال
ذرة ولا اكبر اى منه ورفعهما على الابتداء والخبر وقوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة
مؤكدة لنفي الغروب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال و
لا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه الا ان يجعل الضمير عنه
للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا
في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضيانيانها او لذلك
اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل
والشرف اى اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض
فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها
وصد الناس عن التصديق معاجزين اى مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اى مثبطين عن الايمان
من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة
الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم بالرفع صفة عذاب اى اولئك لهم عذاب من جنس سوء العذاب
شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اى يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة اومن آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب
واضرابهما رضي الله عنهم الذي انزل اليك من ربك اى القران هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان
ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول
الثاني ليرى وقوله ويرى للحال مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات
وقيل منصوب عطفا على يجزي اى وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن
برهانا ويحتج به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاخبار اى ليعلموا يومئذ
انه هو الحق فيزداد واحسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله
تعالى صافات ويقبضن اى وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا
الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والدين بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الموصول
على اضمار مبتدا اى وهو يهدي كما في قول من قال بخوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش
قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي عليه السلام وانما قصدوا بالتنكير الطعن
والسخرية وقالتهم الله تعالى ينبئكم اى يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق
اى اذا متم ومزقت اجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي
خلق جديد اى مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون
خلقا جديدا للاشعار في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا

لان

لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من
جد الناسج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اى جنون يوهم ذلك ويلقيه
على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة سوءا لا يكون من الاخبار عن بصيرة
بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد
جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات
قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاوهم بما قالوا في حقه عليه السلام كانه قيل
ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة
وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة
الى بيان ما يسوءهم ويغث في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال
بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة
ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة القطيعة كفرهم بالاخرة وما ينهاهم من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا
ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استيناف مسوق
لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من العظائم
الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول اقطع العذاب من غير ريث وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام وقوله تعالى ان نشا نخسف الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه
على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشية به اى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم
ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشا نخسف بهم الارض
كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا اى قطعا من السماء كما اسقطنا
على اصحاب الايكة لاستتباعهما ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته
وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالة البعث حتى جعلوه افتراء وهزءا او تهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما
احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشاء نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء على قوله
تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اى فيما ذكر من السماء والارض من جنس احاطتهما
بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلى من الوحي الناطق باذكر لاية واضحة لكل عبد منيب شانه الانابة
الى ربه فانه اذا تامل فيهما او في الوحي المذكور تبصر عن تعالى على القبايح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة
والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا اى اتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر
الانبياء عليهم السلام اى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس
فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتاكيد فخامته الذاتية بفخامة
الاضافة كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد ما يتمكن عندها فضل تمكن يا جبال
اوبي معه من التاويب اى رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا
مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل لذلك وقرئ اوبن من الاوب اى ارجعي معه في التسبيح
كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان يسبح
على ذنبه تبر جميع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار
قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءه اياه عم

تسخيرا له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف اى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا
على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة
بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين
لامره تعالى المذعنين لحكمه المتعجب بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته
من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبريائه سلطانه ما لا يخفى على اولى الالباب والنا له الحديد
اى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء ونار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى
قوته التى آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية
حذف عنها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة
الصافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام جالسا ذات يوم فمر به ابن ملك من بنى اسرائيل فخرج
متكسرا فيسأل الناس ما تقولون فى داود فيثنون عليه فيقيض الله تعالى ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته
فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل
ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق
منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر فى السرد السرد نسج الدروع اى اقصد فى نسجها بحيث
تناسب حلقاتها وقيل قدر مسامیرها فلا تقلقها دقاقا ولا غلاظا وردبان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبغى عنه
الة الحديد وقيل قدر فى السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقى فاصرفه
الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله
انى بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اى
ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر اى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى
كذلك والجملة اما مستانفة او حال من الريح وقرئ غدوتها ورحتها وعن الحسن كان يغدو اى من دمشق فيقيل
باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا فى منزل
بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقيلنا
ونحن راحلون عنه فمبيتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر اى النحاس المذاب اسالة الماء من معدنه
كما ان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمى عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل
فى الشهر ثلثة ايام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدإ وخبر او من يعمل عطف على الريح
ومن الجن حال مقدمة باذن ربه بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اى ومن يعدل
عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير اى عذاب النار
فى الآخرة روى عن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استوعج عليه ضربه من حيث لا يراه الجن يعملون له
ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب للبيان لما يشاء اى من قصور حصينة ومساكن شريفة
سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هى المساجد وتماثيل وصور الملئكة والانبياء عليهم السلام
عليها اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ فى المساجد لیراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع
جديد وروى انهم عملوا الاسد من اسفل كوسية ونسر من فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسد ذراعيها واذا
قعد اظلة النسر باجنحتها وجفان جمع جفنة وهى الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من
الجباية لاجتماع الماء فيها وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة
الف رجل وقدور راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا ال داود شكرا حكاية لما
قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للنعم شكر له او لفعله المحذوف اى اشكروا شكرا

اوحال اى شاكرين او مفعول به اى اعملوا شكرا وقليل من عبادى الشكور اى المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه و
جوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر الى نهاية ولذلك قيل الشكور
من يرى عجزه عن الشكر وروى انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة من الساعات
الا وانسان من آل داود قائم يصلى فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان عليه السلام ما دلهم اى الجن
او آله على موته الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة ارضا فارضت
ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا تاكل منسأته اى عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها
يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءة
على مفعلة كمضاءة فى مضاة ومن ساة اى من طرف عصاه من بناة القوس وفيه لغتان كما فى قحة بالكسر والفتح
وقرئ اكلت منساة فلما خر تبينت الجن من تبينت الشئ اذا علمته بعد التباسه عليك اى علمت الجن علما بينا بعد
التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين اى انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خر او من تبين الشئ اذا ظهر وتجلى اى ظهرت
الجن وان ملخصا فى حيز ما بدل اشتمال من الجن اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على
البناء للمفعول على ان المتبين فى الحقيقة سوء امر ما فى صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والفرق كما نوه الجن
فى قوله تعالى ومن الجن من يعمل وهى قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى ان داود
اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فتوفى قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهم السلام فاستعمل فيه الجن
والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم بسأل ربه ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولبطل وعواهم علم
الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ
عليها فبقى كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخرت تبنا وكانت الشياطين تجتمع حول
محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن يتفلو اليه شيطان فى صلوة الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان
قد حر تبنا فضجوا عنده فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقى فى ملكه اربعين سنة وابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
فقد كان لسبإ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اى لاولاد سبا
بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على ارادة القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج
لها بين بين فى مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اى مواضع سكناهم وهى باليمن
يقال له مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال اية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على
وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازى للمحسن والمسيئ معاضدة للبرهان
السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من اية او خبر لمبتدإ محذوف اى هى
جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين
وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين فى تقاربهما وتضامهما
كانها جنة واحدة او بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم
احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة وربة غفور استيناف مبين لما يوجب الشكر المامور به اى
بلدكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر ربة غفور لفرطات من يشكره
وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المراة تخرج وعلى راسها المكتل

فتعقل بديها وتسير فيما بين الاشجار فيتمثل المكتل حما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شئ فاخرجوا
عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل الله اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى واذكروهم
بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اى سيل الامر العرم اى المتعب من عرم الرجل اذا
عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب والمطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو السكر
الذى يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذى يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين
الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه فى سقيهم
وقيل العرم الجرذ الذى نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذى يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم
فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادى وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك فى الفترة التى كانت
بين عيسى والنبى عليه السلام بدلناهم بجنتيهم اى اذهبنا جنتيهم واتينا بدلها جنتين ذواتى اكل خمط
اى ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هو
ثمرة شجرة يقال لها قشوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذى شوك
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وتخفيف اكل
واثل وشئ من سدر قليل معطوف على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه اعظم منه
ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيأ عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله
ولذلك يغرس فى البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد
وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا هو الثانى حتما وقال
قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
رتبته فى الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثانى النصب على انه مفعول ثان
لاى ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر اوذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم
النعمة حيث نزعنا ما منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازى الا الكفور
اى وما نجازى هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران او الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل للفاعل وهو الله عز وجل و
هل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان ما اوتوا من النعم
الحاضرة فى مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى
التى باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية وفى مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق
بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما فى التثنية من زيادة تنبيه وتذكير وهو
عطف على كان لسباء لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم او بجزيتها اى وجعلنا مع ما آتيناهم فى مساكنهم
من فنون النعم بينهم اى بين بلادهم وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة
يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لاعين اهلها اوراكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة
عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اى جعلنا ما فى نسبة بعضها الى بعض على مقادير معينة
يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل فى اخرى والرائح منها يبيت فى اخرى الى ان يبلغ
الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لهاة الخفر والسفر سيروا فيها على
ارادة القول اى وقلنا لهم سيروا فى تلك القرى ليالى واياما اى متى شئتم من الليالى والايام آمنين
من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة
سفركم وامتدت ليالى واياما كثيرة او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن لكن لا

على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ ربنا بطروا النعمة وسئموا الطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد
والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنتانا ابعد لكان اجدر
ان تشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا
الازواد ويتظهروا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بالمقفر
لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل
الى بين ورفعه بما يقال سير فرسخان ويوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا
وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قربها ودنوها وسهولة
سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفعهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم تيئسوا جون على الله ويجازنون
عليه وظلموا انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث
اى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم وما لهم ومزقناهم كل ممزق
اى فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفى عبارة التمزيق
الخاص بتفريق المتصل وحرقة من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثير والايلام ما لا يخفى اى مزقناهم تمزيقا
لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وكنانة بتهامة
والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبى عن ابى صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا وبيننا اثنا عشر
ابا وهو الذى يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبر طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتفريق سيل العرم الجنتين وعن
ابى زيد الانصارى ان عمرا راى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علم بكهانته فباع
املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلده الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وجاروا
ولاية البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان رجع
اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلثة ايام
فانهزمت جرهم ولم يقلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى
فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين توجهت كهلان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم
وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار وهضبت غسان فنزلوا
بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى امر مكة وحجابة البيت
ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس ان
فروة ابن مسيك الغطيفى سأل النبى عليه السلام عن سبا فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة
منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا
الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدى سبا وشذر مذر
فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها
ثم نزل عندهم ثعلبة قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا
عندهم ونزلت طوائف آخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ
وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية و
القحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم
ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله اعلم ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصتهم لايات
عظيمة لكل صبار شكور اى شانه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى شاق الطاعات والشكر على النعم

وتخصيص مؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا
وقرئ بالتخفيف اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجد ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيلة اغوائهم
وبرفعها والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسباء حين راى انهماكهم فى الشهوات او بنى آدم حين شاهد
آدم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه غرائز وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى
الملئكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اى اهل سباء
او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اى
تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك
استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالاخرة
متميزا ممن هو فى شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليومن من
قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شئ حفيظ
اى محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متاحيتان قل اى للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه
وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول
بصلته والثانى لقيام صفته اعنى قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يتم
من الصغير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم
يستجيبون لكم ان صح دعوكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون
مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر فى السموات ولا فى الارض اى فى امر ما من الامور وذكرهما للتعميم
عزفا او لان الهتهم بعضها سماوية كالملئكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر
سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم ومالهم اى لالهتهم فيهما من شرك اى شركة لا خلقا ولا
ملكا ولا تظهرا ومالله اى لله تعالى منهم من الهتهم من ظهير يعينه فى تدبير امر ما ولا تنفع الشفاعة
عنده اى لا توجد رأسا كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وانما
علق النفى بنفعها لايوقوعها تصريحا بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ
من اعم الاحوال اى لا تقع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له فى الشفاعة من النبيين والملئكة
ونحوهم من المتأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور
انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن فى الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من
الملئكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و
قال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتأهلين
لها فى حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اى لاجله وفى شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير
المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل
فى شفاعة غيرهم فعلم انها ثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبادة النقص وعن شفاعة الاصنام بدلالة اذ
حرموا من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموا من جهة العجزة عنها اولى وقرئ
اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما
الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة
الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار

بوقوع

بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان المستدعى للترقب والانتظار للحجاب كانه سئل كيف يؤذن لهم
فقيل يتربصون فى موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع ملياحتى اذا ازيل الفزع عن
قلوبهم بعد اللتيا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن
والمهتمون باموره ماذا قال ربكم اى فى شان الاذن قالوا اى الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان
بالذات المتوسطون بينهم وبينه عزوجل بالشفاعة الحق اى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة
للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اى ما قاله الحق وهو العلى الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا
بغاية عظمة جناب العزة عزوجل وقصور شان كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من
اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ
بالراء المهملة والغين المعجمة اى نفى الوجل عنها وافتى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ وهو من الاسناد المجازى
لان الفراغ هو الخلق حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء و
اصله فروغ الوجل عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرغ بالبناء للمفعول
عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم
على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به
قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يعترفون
احيانا فى الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا واياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى ادنى مراتب الامكانية لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى
الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم لاما على
هدى او فى ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادى كمن يستعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها
والضال كانه منغمس فى ظلام لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسالون عما اجرمنا
ولا نسال عما تعملون وهذا ابلغ فى الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان
اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا
ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا و
منكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل للقضايا المنغلقة
العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم اى الحقتموهم بشركائى اريد بامرهم باراءة
الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام واظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم اى ارونيها لانظر
باى صفة الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شئ فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم
كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اى الموصوف بالغلبة القاهرة
والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والغير الله عزوعلا
اولى الشان كما فى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة عامة لهما فانها اذا
عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة و
لا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من التى والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية
غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به البشير والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع

بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم
اى وعد يوم اوزمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما بضمار اعنى للتعظيم
لا تستأخرون عنه عند مفاجأة ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة فى التهديد
ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفى
الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه اى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة
سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك
وقيل الذى بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اى فى موقف
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اى يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل
من يرجع الى اى يقول الاتباع للذين استكبروا فى الدنيا واستتبعوهم فى الغى والضلال لولا انتم اى لولا
اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه السلام قال الذين استكبروا والذين استضعفوا
استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا الخ نحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مشتبين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب
كونهم راضين فى الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر
الليل والنهار اى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف فاسناعا واجعل
ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اى بل صدنا
مكركم فى الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل و
النهار بالرفع والنصب اى تمكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اى بل صدنا مكر كم
الاغواء فى الليل والنهار على ما سبق من الاتساع فى الظرف باقامة مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية
اى بل تمكرون الاغواء مكر الليل والنهار اى مكرا دائبا وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اى بل مكركم الدائم
وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم انما نفس امرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجاعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واى نعمة
واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا
العذاب اى اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير
او اظهرها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم و
الاظهار فى موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا
يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا ما كانوا يعملونه على نزع الجار وما ارسلنا فى قرية من قرى من نذير
الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما ينبئ به من قومه من التكذيب و
الكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بتحفظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين
والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير
الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة فى حقه عليه السلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه السلام وقاسوا امور
الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم طيبات الدنيا
ولولا ان المؤمنين ما نبا عليه تعالى ما حرموها وعلى ذلك الرأى الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين ابناء على انتفاء العذاب الاخروى رأسا او على اعتقادانه تعالى اكرمهم
فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا

الحق الذى عليه يدور امر التكوين ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء اى يبسطه له ويقدر على من يشاء ان يقدر
عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق
على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه
اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما يقتضيه مشيئة المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك امر الثواب والعذاب
اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار
البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج
والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف
من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة فى تحقيق الحق وتقرير ما سبق اى و
ما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التى تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التانيث
او بالخصلة التى تقربكم وقرئ بالذى اى بالشئ الذى الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم
اى وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى انفق ماله فى سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير
ورباهم على الصلاح وترشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الاموال من الخ
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد الضميرين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل
الصالح لهم جزاء الضعف اى ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه
تاكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية و
اضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم
جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك
لهم الضعف جزآء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء
بما عملوا من الصالحات وهم فى الغرفات اى غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء
وسكونها وقرئ فى الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون فى آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين
سابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا اولئك فى العذاب محضرون لا يجديهم ما عملوا عليه نفعا
قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اى يوسعه عليه تارة ويقدر له اى يضيقه عليه تارة اخرى
فلا تخشوا الفقر وانفقوا وتعرضوا للنفحات تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما
آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا
اى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متاخر سيأتى تقريره او مفعول
لمضمر متاخر سيأتى تقريره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى انت قلت للناس اتخذونى الخ واقناطا عليهم عما طمعوا به
اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملئكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان
عبادتهم مبداء الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتبرئهم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم
بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استيناف مبنى على سؤال نشاء من حكاية سؤال الملئكة كانه
قيل فماذا يقول الملئكة حين نقيل يقولون منزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول
الى صيغة الماضى للدلالة على التحقيق اى انت الذى تواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بتبروا بذلك
براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن
اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملئكة

فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للكل
او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والكل للحق فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملئكة
عند جوابهم بالتنزه والتبرء عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند
عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتب ما بعدها من الحكم على جواب الملئكة
فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة
فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملئكة للعبدة بنظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملئكة
لعبدتهم فى الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا فما التعميم
العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها اولان المراد دفع الضر على حذف
المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله
عزوجل ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملئكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة
خطابا للملئكة مترتبا على جوابهم المحكى وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ
اثر حكاية ما سيقال للملئكة اى يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملئكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول
للمشركين ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق
المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفرانهم اى اذا تتلى عليهم
بلسان الرسول عليه السلام آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير
ان يكون هناك دين الحق واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة
فى تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القرآن الكريم الا افك
اى كلام مصروف عن وجهه لا مصداقا له فى الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا
للحق اى لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه
وبالثانى نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير
الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافى الآيتين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافى كل من المبالغة
الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل
على صحة الاشراك كما فى قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى
ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها بتشديد الدال يقتعلون من الدرس
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه
من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى
وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم
اى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء
من البينات والهدى فكذبوا رسلى عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ فكيف كان نكير اى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك
قل انما اعظكم بواحدة اى ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هى ادل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله
على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتداء محذوف اى هى ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
او تستبصوا اللام خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اى متفرقين اثنين
اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الانكار بالاوهام وفى تقديم مثنى ايذان

باذا وثق واقرب الى الاطمئنان ثم تفكروا فى امره عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى
ما بصاحبكم من جنة استيناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا
الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لادعائه الا المجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته
بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام
ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية
وجب ان تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله
على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ويجوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تفكروا اى
شئ به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد هو عذاب الاخرة فانه عليه السلام
مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اى اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم
والمراد نفى السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتنى شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها
ما سألتم بقوله تعالى ما سألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا
الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قربا هم ان اجرى الا
على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرئ اجرى بسكون الياء
قل ان ربى يقذف بالحق اى يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه يرمى
فى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على
محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتداء محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربى او مقدرا يا عنى وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب قل جاء الحق اى الاسلام والتوحيد
وما يبدئ الباطل وما يعيد اى زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك
لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدى وليد
وقيل الباطل ابليس والصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيد وقيل ما
استفهامية منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسى فان وبال
ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الحاطة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى
وان اهتديت فبما يوحى الى ربى لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربى بفتح الياء انه سميع قريب
يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائها ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب
لو محذوف اى لرايت امرا هائلا فلا يفوتون الله عزوجل بهرب او بحصن واخذوا من كل مكان
قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليها او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم
والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ
بالعطف على محله اى فلا فوت هنا وهناك اخذ وقالوا آمنا به اى بمحمد عليه الصلوة والسلام وقد مر
ذكره فى قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول السهل اى من اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه فى حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم فى
الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد حال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناولا من ذراع فى
الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من ناشت الشئ اذا طلبته وعن ابى عمرو التناوش بالهمز
التناول من بعد من قولهم ناشنى اذا ابطأت وتأخرت ومنه قول من قال تمنى نيشا ان يكون اطاعنى
وقد حدثت بعد الامور امور وقد كفروا به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذى انذرهم

ايّاه من قبل من قبل ذلك فى اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى
حق الرسول عليه السلام من المطاعن او فى العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة شئ
بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه تارة الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعد شئ
من عادة المعروفة فيما بين الدانى والقاصى الكذب ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من
مكان بعيد لا مجال للوهم فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف
على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فانه يكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما صنعوه من الايمان
فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ بانضمام الضم للحاء
كما فعل باشياعهم من قبل اى باشياههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا فى شك مريب اى موقع
فى الريبة او ذى ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والكلام من صاحب
الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى

الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل التشقق
طولا كانشقاق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله
بدلا منه وهو قليل فى المشتق جاعل الملئكة الكلام فى اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى
رسلا منصوب به على الوجه الاتم من الاضافة بالاتفاق واما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائى واما عند
البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو
سعيد السيرافى اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثانى
فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح و
قرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملئكة اى جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من
عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايقاعا حيث يوصلون
اليهم آثار قدرته ومشيته فاذا على تقدير كون الجعل تصييرا اما على تقدير كونه ابداعا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا
بسكون السين اولى اجنحة صفة لرسلا او لاولى اسم جمع لذو كالاصاغر والاماثل اسم جمع لذا ونظير هما فى الاسماء المتمكنة
المخاض والحلبة وقوله تعالى مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة اى ذوى اجنحة متعددة متفاوتة فى العدد
حسب تفاوتهم فى المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان من الملئكة خلقا لكل واحد منهم
جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملئكة لهم ستمائة
اجنحة يجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان
على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح وروى انه سأله عليه السلام ان يتراى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى
احب ان تفعل فخرج عليه السلام فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليه السلام فى صورة فغشى عليه عليه السلام
ثم افاق وجبريل مسندة واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان
شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق
وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه لينضال الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل
الوصع وهو العصفور الصغير يزيد فى الخلق ما يشاء استيناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملئكة

فى عدد الاجنحة وموزون بان ذلك من احكام مشيته تعالى الامر راجع الى ذواتهم بيان حكم كلى ناطق باذنه تعالى
يزيد فى اى خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيته ومقتضى حكمته من الامور التى لا يحيط بها الوصف وما
روى عن النبى عليه السلام من تخصيص بعض المعانى بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن
فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير
تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد
كل ما يشاء ه ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح اذ انابتها نفس الخزائن
التى يتنافس فيها المتنافسون واعز منالا وتنكيرها للشاعة والابهام اى اى شئ يفتح الله من خزائن
رحمته اى رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اى لا احد
يقدر على امساكها وما يمسك اى اى شئ يمسك فلا مرسل له اى لا احد يقدر على ارساله والاختلاف
الضميرين لما ان مرجع الاول مقيد بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها ولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار
بان رحمة سبقت غضبه من بعده اى من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور
التى من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور امر التكوين و
بعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد فى
ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة اوا هل مكة خاصة بتذكيرهم فقال يا ايها الناس ذكروا نعمة الله
عليكم اى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اى راعوها واحفظوها بمعرفة حقها و
الاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بمولیها ولما كانت نعمة الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة
الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون فى الوجود شئ غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى
المنادى باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اى هل خالق مغاير له تعالى موجود على
ان خالق مبتداء ومن زائدة فى خبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له فى
قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اى بالمطر
والنبات كلام مبتداء على التقادير لا محل له من الاعراب داخل فى حيز النفى والانكار ولا مساغ لما قيل من
انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورة لان مناط نفى وجود خالق موصوف بوصف المغايرة والرازقية
معا من غير تعرض لنفى وجود ما بالصفة بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه خبر للمبتداء ولا لما قيل من انه
مفسر للضمير المرتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اى هل يرزقكم من خالق لما ان معناها نفى
رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفى وجوده رأسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى لا اله
الا هو فانه استيناف مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصدا وجاء بحرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة
حيث كان هذا مطابقا لنفى الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك فطف الواو والفاء فى قوله تعالى فانى
تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى
بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك تسلية للمخاطب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابى للناس
مسارعة الى تسلية عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعيد الاخيرا اى وان استمروا على اصلهم
من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتكثير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد
التسلية والتوجه الى المصابرة اى ارسل اولوا شان خطير وذوو اعداد كثيرة والى الله ترجع الامور
لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار

على ما ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء توابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ
ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد
العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه برجوع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير
خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم
حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما في قوله تعالى للابر منكم شقاق ولا
يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اى المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار
على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعالى الذنوب
بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين
في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود وجمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة
لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به فاتخذوه عدوا مما لفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه
في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوة وتحذير من طاعته
بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم
الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقائهم في العذاب
المؤبد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان وانباعهم
لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره عديد لا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما
ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان
تباين حاليهما المؤدي الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها اى لا يكون حالهما
كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه فلم يستقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل
الصالح حتى لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل
الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيته تعالى اى فانه تعالى يضل من يشاء ان يضله لاستحقاقه و
استجابة الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه لصرف اختياره
الى الهدى فيرقيه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اهلاهم
ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا اى لا يكون حالهم كما ذكر فتحسر
فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه السلام
عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه
في غاية الحسن عندهم اى لا بعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى
تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ
على انه من شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله ومالهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك
قوله تعالى حسرات اما مفعول له اى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام
على احوالهم او على كثرة قبايح افعالهم الموجبة للتاسف والتحسر عليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان تتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كانت
كلها حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اى من القبايح تعليل لما قبله على الوجوه المذكورة
مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل
الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا

لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها
او للدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اى بالمطر
النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد
موتها اى يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقيق واسنادهما الى نون العظمة المبنئ
عن اختصاصهما به تعالى مما فيهما من مزيد الصنع وتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه
به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية
اى مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التاتي من غير تفاوت
بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء بارسال الله تعالى من تحت العرش ماء
فتنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله
تعالى واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا باستتباعهم
كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ابتغون عندهم العزة والجمع بين
كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اى له تعالى وحده لا لغيره عزة
الدنيا وعزة الاخرة اى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليل ايذانا بان اختصاص العزة
به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه استئناف
ببيان ان العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة
بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات
اى اليه يصل الكلم الطيب الذي به يطلب العزة لا الى الملئكة الملوكين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطيه
طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل
فانه يحقق الايمان ويقويه ولانيال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البنائين والمصعد
هو الله سبحانه او الملك او المتكلم به وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القران
وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى السماء فحيى
بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذ هن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد
بهن فلا يمر بهن على جمع من الملئكة الا استغفروا له ويقيهن حتى يجيء بهن وجه رب العالمين ومصداقه
قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ
واهلها بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اى
يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتدارؤهم الراي في احدى
الثلث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يوبه
عنده ما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر
والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على تراخي مرتبتهم في الطغيان
وبعد منزلتهم في العدوان اى ومكر اولئك المفسدين الذين اراد وا ان يمكروا به عليه السلام هو يبور
اى هو يهلك ويفسد خاصة لان مكر وا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم
واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم
من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اى خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا
كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اى اصنافا وذكرانا

وانما وعن قتادة جعل بعضها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مثبتة بعلمه ثابتة بمشيته وما يعمر
من معمر اى من احد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره اى وما يمد فى عمر احد ولا ينقص من عمره اى من عمر احد
على طريقة قولهم لا يثبت الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى
لا يجعل من الابتداء ذا نقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل
ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فمائة وعشرون واليه اشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة تعمران
الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا
سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء
للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا فى كتاب عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز
وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام
على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه ونهاء ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره
لفرط برده والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتخفيف وملح كلتيهما وقوله تعالى ومن كل اى
كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون اى من الملح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد
فى صفة البحرين على ما ذهب اليه البعض او لان المراد بهما النوعان المنتشران فى البحرين كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوائد
لا يتساويان من حيث انهما منافع وان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده
وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن وان شاركه فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة
ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق
دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب فى منافع كثيرة والكافر خلو من
المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد
بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه اى فى كل منهما او افراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما
لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر سواق للماء
بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالتقلب فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
اى وتشكروا على ذلك وحرف الترجى للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل بزيادة احدهما ونقص الآخر بإضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر وتسخير الشمس والقمر
عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين فى الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين
فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجرى اى يجسب حركته
الخاصة وحركة القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى
قدره الله تعالى لجريانها وهو يوم القيمة كما روى عن الحسن وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما
فى فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دوريتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله فى سورة
لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو
مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اى ذلكم العظيم الشان الذى ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك
وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون
الاخير كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده

بالالوهية

بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء والتحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل فى القلة والحقارة ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حاله يدعونه بانه جماد ليس من شأنه السماع
ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لما قيل من انهم متبرؤن منكم
وما تعبدونهم فان ذلك مما لا يتصور منهم فى الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اى يجحدون باشراكهم لهم و
عبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به و
هو الحق سبحانه فانه المخبر بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفى ما يدعون
لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فى انفسكم وفيما يعن لكم من امركم او خطب يلم وتعريف
الفقراء للمبالغة فى فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر
الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغنى الحميد
اى المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اى ما ذكر من الاذهاب
بهم والاتيان بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة اى لا تحمل نفس اثمة
وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما فى قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزار
غيرهم شئ وان تدع مثقلة اى نفس اثقلها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شئ لكن
يحمل شئ منه ولو كان المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قربة من الداعى وقرئ ذو قربى ونذر انما تنفع النذر
اختيارا والاول نفى لها اجبارا انما تنذر استيناف فى سوق البيان من يتعظ بما ذكر اى انما تنذر بهذه الانذارات
الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او يخشون عذابه
وهو غائب عنهم واقاموا الصلوة اى راعوها كما ينبغى وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا الى انما ينفع
انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اى تطهر من اوضار
الاوزار والمعاصى بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا
يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى فانما يزكى وهو عتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادى
التزكى والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وما يستوى الاعمى
والبصير اى الكافر والمؤمن ولا الظلمات والنور اى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور
لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اى ولا الثواب ولا العقاب واوثر لا على المتقابلين
للتذكير نفى الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا
والحرور ما يهب ليلا وما يستوى الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول و
لذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع فى الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة
ان الله يسمع من يشاء ان يسمعه ويوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من فى القبور ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع فى قناطة عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا
الانذار وما الاسماع البتة فليس من وظايفك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق
اى بحقيقين او محقا انت او ارسالا متصفا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالموعود ونذيرا
بالوعيد الحق وان من امة اى من امة من الامم الدارجة فى الازمنة الماضية الا خلا اى مضى فيها
نذير من نبى او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا و
لان الانذار هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اى تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين

وان يكذبوك

من قبلهم من الامم الآتية جاءتهم رسلهم بالبينات اى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابرهيم
وبالكتاب المنير كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع وجوز ان يراد بهما واحد والعطف
لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار
بعلة الاخذ فكيف كان نكير اى انكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها الم تر استيناف
مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس بيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد فى جميع
المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به بذلك الماء والالتفات للاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة
والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اى اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها
واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما فى قوله تعالى ومن الجبال جدد
اى ذو جدد اى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى
الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود
عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخططة ذو جدد ومنها ما سود على لون واحد غرابيب وموتاكيد
لمفسر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالقانع للاصفر والقانى للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع
المؤكد ونظيره فى الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفى مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار
بعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى ومنهم بعض مختلف الوانه
او وبعضهم مختلف الوانه على ما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله واير اد الجملتين اسميتين مع
مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية فى الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس فى الاحوال الباطنة كما ان
اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر لا تغير عنه بما يدل على الاستمرار
واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء على البرية
بطريق الاستفهام التقريرى المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الناس وغيرها فانها
مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهى
لقوله تعالى مختلفا اى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال
وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة فى الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس
بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما فى الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما فى الاوصاف
الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون
به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤونه فمن كان
اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر
الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم
يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن
عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اى يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا و
المراد بكتاب الله تعالى القران وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين
منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما سيأتى
من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا

والمقصود

والمقصود الترغيب فى دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها
والاشباع فى ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة فى تلاوتها والاقبال على العمل بها و
تخصيص التلاوة بالم يشخ منها بامحل قطعا لما ان الباقى مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكم القرآن وانما تلاوتها
بنعزل من المشروعية واستتباع الاجر بمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية عطف
كيف ما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب الطاعة
وسوء حالهم وقوله تعالى لن تبور اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جئ بها للدلالة على انحالت
كساد التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكريين عدة قطعية
بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى
ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم
المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة انه غفور شكور تعليل لما قبله من
التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال
من واو انفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب وهو القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل
اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اى لحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة
لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم
وظواهرها فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الوحى الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم
الخبير للتنبيه على ان العمدة هى الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اى قضينا وقدرنا بتوريثه منك او نورثه
والتعبير عنه بالماضى لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اى اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا
من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم
على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم
الصلوة وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به وهو المرجاء لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به فى اغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السئ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقيل هم المداومون على اقامة موجبه علما وعملا وتعليما وفى قوله تعالى باذن الله اى بتيسيره و
توفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم وقيل الظالم للجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت
سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم
يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى ان عمر رض قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال
الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير تنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره
يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر و
السكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذيرا لهما من التقصير
وتحريضا على التسبق فى ادراك شاو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على العطف بفعل يفسره الظاهر
وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهى حالية

من اساور جمع اسورة وجمع سوار من ذهب من الاولى بيانية والثانية بيانية اى يحلون بعض اساور من ذهب كانه
افضل من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطف على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اى من ذهب ومن
من لؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره فى سورة الحج وقالوا اى
يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء
العاقبة وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة
ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى حشرهم ولا فى مسيرهم وكانى
باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور اى للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة اى دار الاقامة التى لا انتقال
عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شئ من قبلنا لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها
لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتقريح بنفى
الامرين مع استلزام نفى الاول له وتكرير الفعل للمبالغة فى بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم
لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت كقوله تعالى فيموتوا ويستريحوا ونصبه بإضمار ان وقرئ فيموتوا عطفا على
يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد سعارا كذلك
اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى كل كفور مبالغ فى الكفر او الكفران لاجزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى
على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ
افتعال من الصراخ استعمل فى الاستغاثة بجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل بإضمار
القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان
استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة
اى الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو
اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروى عن ذلك عن على رضى الله عنهم وهو العمر الذى اعذر الله
فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير
عطف على الجملة الاستفهامية لانها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه
فى معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل
الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذى يقتضيه المقام والفاء فى قوله تعالى
فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجئ النذير وفى قوله تعالى فما للظالمين من
نصير للتعليل أن الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية
اى لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم
مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذى جعلكم خلائف فى الارض يقال للمستخلف
خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثانى خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء فى ارضه والقى اليكم مقاليد
التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم من الامم وارثكم ما بايديهم من متاع الدنيا
لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اى وبال كفره
لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا
خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم اى بغضه الشديد الذى ليس وراءه خزى

وصغار وخسار الآخرة الذى ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد
من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل تكيتا لهم ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله اى الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل
ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه وياباه سياق النظم الكريم وسياقه ارونى ماذا خلقوا
من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبرونى عن شركائكم اسرونى اى جزء خلقوا من الارض
ام لهم شرك فى السموات اى ام لهم شركة مع الله سبحانه فى خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية
ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اى حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم
شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما فى قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات
وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فى اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا
غرورا لما نفى انواع الحجج عن ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف واضلال
الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اى يمسكها كراهة زوالها او يمنعها ان تزولا
لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اى ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى
او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان
حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التى تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا بهذا
حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولوزالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول
لنكونن اهدى من احد الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا
لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واى نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما
زادهم اى النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا بدل من نفورا او مفعول له ومكر
السيئ اصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة فى الوصل ولعله اختلاس
ملحق سكونا او وقفة حفيفة وقرئ مكر اسيا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينتظرون اى ما
ينتظرون الا سنة الاولين اى سنة الله فيهم تعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع
العذاب غيره العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده
الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفى وجودهما بالطريق البرهانى
وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما شاهدوه فى مسايرهم الى
الشام واليمن والعراق من اثار دمار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر
يليق بالمقام اى اقعدوا فى مساكنهم ولم يسيروا فى الارض كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد
منهم قوة والطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية
وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شئ اى ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض اعتراض مقرر لما
يفهم مما قبله من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اى مبالغا فى العلم والقدرة
ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبتهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما
كسبوا من السيئات كما فعل بالكفرة ولكنه لم يترك على ظهرها اى على الارض من دابة من نسمة تدب عليها

من بنى آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شوم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وانس رضى الله عنهما وبعيد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الملئكة دعته ثمانية ابواب

ايتها ان ادخل من اى باب شئت

يس اما مرود على نمط التعديد فلا حظ لها من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اى هذه ياسين او اقرأ ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شئ واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف فى فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين ويا سين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل تيأتى فيها الاعراب اللفظى ذكره سيبويه فى باب اسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما فى حيث وأين وجيأ يشهد بذلك قراءة يا سين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد فى الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه يا انسان فى لغة طئ وقالوا الما ادبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا أنيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله فى ايمن الله والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم الحكيم اى المتقن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتعضد بها على الاسناد المجازى وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا بعد ما كان مجرورا استكن فى الصفة للشبهة كما مر فى صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وفى تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عليه السلام من حيث نظمه المعجز المتلوى على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا فالمراد بالاقسام بالشئ استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر آخر لان او حال من المستكن فى الجار والمجرور وعلى انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عليه السلام اقوم الشرايع واعدلها كما يوجب عنه التنكير التفخيمى والوصف اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرايع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته فى كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهار الفخامة الاضافية بعد بيان فخامة الزايدة بوصفه بالحكمة وفى تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حيا نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر اى نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه تسينا فى مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير ففيه فصل تاكيد للمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجه الاول وبعامل المضمر على الوجه الاخير اى لتنذر به كما فى صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اى انك لمرسل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اى لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون

وقوله تعالى لا يسمعون الى الملاء الاعلى كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم فى اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سوال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمنى فيبقى ان لا يسمعوا ثم يحذف ان ويعمد عملها كما فى قول من قال الا ايها الزاجرى الوغا ما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن انكر المنكرات التعجيب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملاء الاعلى الملئكة وعن ابن عباس هم الملئكة وعن ابن عباس هم الكتبة وعنه اشراف الملئكة وعنه اى لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعوا بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اى للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد لانه من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اى قذفا دحورا مبالغا فى الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب اى ولهم فى الآخرة غير ما فى الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دايم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من خطف الخطفة استثنا ومن واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملئكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف فاتبعه شهاب اى تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب يرى منقضا من السماء ثاقب مضئ فى الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا والاسترقة السمع فيقتلهم او يخبلهم قالوا وانما يعود من يسلم منهم فيما طمعا فى السلامة وقيل المراد كراكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركى مكة اهم اشد خلقا اى اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملئكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليهم اطلاقه وتجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالة المنع والام فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اى من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ من كمال قدرتى وكثرة مخلوقاتى الى حيث عجبت منها وهؤلا لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان يكذبوا بالبعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يكوزه والعجب من الله تعالى على الفرض والتخييل او على معنى الاستفهام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا اى وذابهم المستمر انهم اذا وعظوا بشئ من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا رأوا آية اى معجزة تدل على صدق القائل بالبعث لا يتنفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا رأوا الآية اى معجزة تدل على صدق القائل بالبعث يستسخرون يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اى ما يرون من الآية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ايذا منا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من اللجزاء البادية والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون فى قوله تعالى ايئنا لمبعوثون اى نبعث لانفسنا لان دونه خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة فى ايئنا للمبالغة والتشديد فى ذلك وكذا تخلية الجملة بان والام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط

اوآباءنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اى وآباءنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير فى مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفى فى قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا ولا ايا ما كان مرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ اوآباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب فى قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اى كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه فانما هى زجرة واحدة هى اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط محذوف او تعليل لنهى مقدر اى اذا كان كذلك فانما هى الخ او لا تستصعبوه فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق و التقرر يا ويلنا اى هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اى اليوم الذى نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون كلام الملئكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملئكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقاحم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم وازواجهم اى اشباههم ونظراؤهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل بنسائهم اللاتى على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة فى تخسيرهم وتجهيلهم وقيل وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جئ به لتعليل الحكم بما فى حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم فى الموقف كان الملئكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا يستجوابا حيث العذاب فى الجملة بل ليتألموا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى مالكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اى لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تبخ العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتاثيرا وقرئ لا تناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او سلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء او الكهنة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء من حكاية تساءلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا الى الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تاتوننا فى الدنيا عن اليمين عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح قبضكم فتملكنا استعارة من يمن الانسان الذى هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقسر فتقهروننا على الغى وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استيناف كما سبق اى قال الرؤساء او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين اى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه

مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اى لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اى العذاب الذى وردبه الوعيد فاغوينا كم فدعوناكم الى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحببتم الغى على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا نحن تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا فى الغواية فانهم اى الاتباع والمتبوعين يومئذ فى العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين فى الغواية انا كذلك اى مثل ذلك الفعل البديع الذى يقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقو العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اى الاجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعاف مضاعفة عما لا وجه له اصلا لاسيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادة تعالى عن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بشار اليه للاشعار بعلو منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم اما خبره وقوله تعالى رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر اولئك والجملة الكبرى استيناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا ببيانا تفصيليا وقيل هى خبر للاستثناء المنقطع على انه متاول بالمبتدأ وقوله تعالى معلوم اى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اى ما يتوكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد فى جنات النعيم اى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف وحال من المستكن فى مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل الحالية والخبرية كقوله تعالى متقابلين حال من المستكن اى فى مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استيناف مبنى على سؤال نشاء من حكاية تكابل مجالسهم او حال من الضمير فى متقابلين او فى احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس بإناء فيه خمر او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما فى قول من قال دكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين متعلق بيمفر هو صفة لكاس

اى كائنة من شراب معين اوس نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون
سمى به لان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها لا تجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى الماء قال تعالى وانهار من
خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا للكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة اولانها
تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ وزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدا من ضيقة الخذلان يريد به
الموم لا فيها غول اى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ونزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف دمه كله
او دبا لنتع مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع
من انواع الفساد من مفص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاى من
انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما وعندهم قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين بخل العيون جمع عيناء والبخل
سعة العين كانهن بيض مكنون شبهن ببيض النعام المصون من الغبار وكونه فى الصفاء والبياض
المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف اى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث
الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا
فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم فى تضاعيف محاوراتهم
انى كان لى فى الدنيا قرين مصاحب يقول لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق
بالبعث أئنك لمن المصدقين اى بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله
تعالى أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون اى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال
دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل يتصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى
بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين
بيوم الدين اومن المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما
لتاكيد انكار الجزاء المبنى على انكار البعث قال اى ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه فى الدنيا
هل انتم مطلعون اى الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله
تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتطلعوا اين منزلتكم من
منزلتهم قيل ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اى عليهم فراه اى قرينه فى سواء الجحيم
اى فى وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضى
والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع
انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبله ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمفعول انه لما
شرط فى اطلاعا طلاعهم كما هو دين الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون
بكسر النون اراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه اوشبه اسم
الفاعل بالمضارع لما بينهما من التاخى قال اى القائل مخاطبا للقرين تالله ان كدت لتردين اى لتهلكنى
بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه مغن التعجب وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف و
اللام فارقة اى تالله ان الشان كدت لتردين ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اى من
الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد
اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقريع و

فيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى عن حياتنا
الموت وقرئ بمايتين الاموتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال
قال تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة
لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جئ بالموت على صورة كبش الملح وذبح قضوى يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين
كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اى الامر العظيم الذى
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق
العظيم وهو ارزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل هذا المرام الجليل يجب
ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الالام وهذا ايضا يحتمل ان يكون
من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ
فانتصابه على التمييز اى اذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التى
حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى
ان الرزق المعلوم نزلا هل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير فخ كونه نزلا والزقوم اسم
شجرة صغيرة الورق وفرة مرة كريهة الرايحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها
فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الاخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف يكون
ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها اقدر على خلق
الشجر فى النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع
الى دركاتها وقرئ نابتة فى اصل الجحيم طلعها اى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته
له فى الشكل والطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كما نطق به قوس
الشياطين فى تناهى القبح والهول وهو شبيه بالمخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين
الحيات العائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن حشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى
ثمرة رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها اى من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه
فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للتعسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان
لهم عليها على الشجرة التى ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استغاثهم كما ينبئ
عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غسلين
او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمى به ثم ان
مرجعهم اى مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم ينزل
يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يملؤا ثم
يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين
تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولآبائهم شئ
يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل
فهم على اثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لامع تهورهم على الباطل بادنى تامل و
الاهراع الاسراع الشديد كانهم يرجعون ويحتثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه
رعوة ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب

قسم محذوف وكذا قوله تعا ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبة الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لعلم ليلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المقصود انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى عنهم المخلصون بقوله تعا الا عباد الله المخلصين من الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعا ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم ايكة وبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعا فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما هذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع لدليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين نحن حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه فى الآخرين من الامم سلام على نوح اى هذا الكلام يعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امنة بعد امنة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ثمت تركنا معنى قلنا وقوله تعالى فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا فى العالمين من الملئكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعا انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ثم اغرقنا الاخرين المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اى ممن شايعه فى اصول الدين لابرهيم وان اختلف فروع شرايعهما ويجوز ان يكون بين شريعتهما اتفاق كلى او اكثرى وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا بينان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اى من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا

تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اى اى شئ تعبدونه ايفكا آلهة دون الله تريدون اى اتريدون آلهة من دون الله افكا اى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم هو كونهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اترتدون افكا ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اى اى شئ هو حقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به احسن مخلوقاته او فما ظنكم به اى شئ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم بما ذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة فى النجوم قيل كانت له عليه السلام عمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت فقال انى سقيم وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها اوفى كتبها او احكامها والمنع من ذلك حيث كان فقده عليه السلام اياهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه السلام الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجابين فاوهمهم انه تدل بامارة فى النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فيتمكن ابرهيم من معبدهم ويتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اى راجعين الى عيدهم خوفا من العدوى فراغ الى آلهتهم اى ذهب اليها فى خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تاكلون اى من الطعام الذى كانوا يضعونه عندها للتبرك به مالكم لا تنطقون اى بجوابى فراغ عليهم فعال مستعليا عليهم وقوله تعا ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اى فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو المال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى المأمورون باحضاره عليه السلام بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعله فقيل فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اى يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل فى الزفيف او من زفه اى حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزفر يزفى اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اى بعد ما اتوا به عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعا قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اى والحال انه تعا خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامكم وموادها بخلقه تعالى واشكالها وان بفعلكم لكنه باقداره اياكم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلكم من الدواعى والعدد والاسباب وما تعملون لما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضميرها تحقيرا للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتخطية والتزيين ونحوها والمراد عموم ما ينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اى عملكم على انه بمعنى المعمول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم اى فى النار الشديدة الاتقاد من الحجة وهى شدة التاجج واللام عوض عن

تعبدون ام

المضاف اليه اى جميع ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الابنياء فاراد وابه كيدا فانه عليه السلام
لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجة قصدوا للما يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم
وجعله برهانا نيرا على علو شانه عليه السلام بجعله النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى اى
مهاجر الى حيث امرنى ربى كما قال انى مهاجر الى ربى وهو الشام او الى حيث يتجرد فيه لعبادة تعالى
سيهدين اى الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وتم القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء
على عادة تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولذلك
اتى بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين اى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويونسنى
فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة فى قوله تعالى ووهبنا
له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فانه صريح فى ان المبشر به عين ما توجيه
عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلث انه غلام وانه بلغ اوان الحلم وانه يكون حليما يعادل حلم عليه السلام حين
عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الابناء
عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لغزة وجوده غير ابرهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما الحكاية بعد اعدل
بينة بذلك والفاء فى قوله تعالى فلما بلغ معه السعى فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال
واذ انا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما مر فى قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه
وفى قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده اى فوهبنا له فنشاء فلما بلغ رتبة ان يسعى معه فى اشغاله وحوائجه
ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعى لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا
كانه لما ذكر السعى قيل مع من قيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الوفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال اى ابرهيم عليه يا بنى انى ارى
فى المنام انى اذبحك اى ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان
قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا
الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمى يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمة سمى يوم
العرفة ثم راى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملئكة حين بشرته بغلام حليم
قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له اوف نذرك والاظهر الاشهر ان المنامات
عليه السلام اذ هو الذى وهب اثر الهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام لقوله
عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان
يذبح ولدا ان سهل الله تعالى حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة
من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان كان ذلك بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى ايام
ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه هراهقا
وما روى انه عليه السلام سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح
الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه عليه السلام قال يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الرواة
وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من
الراى وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده لينما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويامن
عليه ان سلم ليوطن نفسه عليه فيهون ويكتب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم التاء
وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اى تؤمر به فحذف الجار اولا عما القاعدة
المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل او حذف دفعة او افعل امرك على

اضافة

اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق
به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء
الله تعالى فلما اسلما اى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا للفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع
فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى
استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة فى اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه
على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارة كيلا يرى منه ما يورث رقة
تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل
فى المنحر الذى يحر اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمامور وترتيب
مقدماته وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف اى ناديناه بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان من امرهما
ما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على انعم به عليهما من رفع البلاء بعد حلوله
والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك
انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع
المأمور به فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا هو البلاء المبين
الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شئ اصعب منها وفديناه بذبح
بما يذبح بدله فينتم به الفعل عظيم اى عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله بنيا واى بنى من
نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس انه الكبش الذى قربه ها بيل فتقبل منه
وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من
ابرهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقى سنة فى الرحى وروى انه رمى الشيطان حين
تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح
لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابرهيم عم
وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء او الاسناد وتركنا عليه فى الآخرين
سلام على ابرهيم قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح عليه السلام كذلك نجزى المحسنين ذلك اشارة
الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما
آنفا انه من عبادنا المؤمنين الراسخين فى الايمان على وجه الايقان والاطمينان وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين اى مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وتعاليق البشارة به بالحالين ولا حاجة الى
وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لا عتبار
معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق نبيا من الصالحين و
مع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول
واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود
من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال و
التكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم فى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه
انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا و
قرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن فى عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى

مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا مابرله في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابها لا يعود عليها
بنقيصة ولا عيب ولقد منا على موسى وهرون اى انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان العشم
والعذاب كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا و
مشقة ونصرناهم اى اياهما وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية
وراء بها بعدان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه
التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص
عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذى يتحقق بدلوله بمحض تنجية بدلوله من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية
مقام الامتنان حقه بالظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة على حيالها واتينناهما
ذلك الكتاب المستبين اى البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية وهدينا هما بذلك الصراط المستقيم
الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع الاحكام وتركنا عليهما في الاخرين سلام
على موسى وهرون اى ابقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء
الكامل نجزى المحسنين الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المؤمنين سيق بيانه
وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس
لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اى
عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بعلبك من الشام وهو
البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخذ منهم
اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اى اتعبدون بعض المخلوقين وتذرون احسن الخالقين
اى وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم وربّ اباءكم
الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لابائهم
لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك
لمحضرون اى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله
المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين هو لغة في الياس
كسينا في سينين وقيل هو جمع لما اريد به هو واتباعه كالمهلبين والجنبيين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
كالمثالين وقرئ باضافة ال الى ياسين لانها في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس انا كذلك
نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اى اذكر وقت
تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اى الباقين في العذاب او للماضين الهالكين
ثم دمرنا الآخرين فان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون
عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام مصبحين
داخلين في الصباح وبالليل اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد له مساء افلا تعقلون انشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم
مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق اى هرب واصله الربّ من السيد
لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى المملو فساهم فقارع
اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد

لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد ابق
فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة
وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في
مشوب فلولا انه من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلوة في الرخاء للبث
في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء
اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما ينبت من شجر او
نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى
انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل وخلف
في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من
بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روى انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا
ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله فيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه
اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء
والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انه الدباء غطاه بورقها عن الذباب
فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة
اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه وتستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان
يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين
هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد بارساله السابق اخيرا وقيل انه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بما قد
ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه
عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم كل
لايامهم بظهور امارة كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عتيب المآل
كما هو المبتادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد التنبا والنبي وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم
وليس بظاهر او يزيدون اى في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد
هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا اى بعد ما شاهدوا علايم حلول العذاب ايمانا خالصا
فمتعناهم اى بالحيوة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط
بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينها وبين ارباب الشرايع واولى العزم من الرسل او الكفاية بالتسلية الشامل
لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة تبكيت
قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة بتحقيقه لما
وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم
من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين عاقبهم الاجمال
ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبنيا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا
لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره عليه الصلوة والسلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء
عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد
الزائغ حيث كانوا يقولون الملايكة بنات الله ولهم ما يشتهون ويختارون لانفسهم البنين واختار لهم البنات
والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فانه

ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملئكة
بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا
كبيرا ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك فاستجبرهم الربك البنات اللاتى هن اوضع
الجنسين ولهم البنون الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شئ من العقل وقوله تعالى
ام خلقنا الملائكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير
اليه اى بل اخلقنا الملئكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع
اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله
اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا
تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل
بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال عن فاعل خلقنا اى بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون
حينئذ او عطف على خلقنا اى بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله استيناف
من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا
الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون فى قولهم ذلك
كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه جزء مبتدأ محذوف اى الملئكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فان للولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
لاثبات افكهم وتقرير كذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى
البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشئ لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اى كاذبون فى قولهم اصطفى
الخ تعسف بعيد مالكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون
بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اى الا تتأملون
ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز فى عقل كل ذكى وغبى ام لكم سلطان مبين اضراب وانتقال
من توبيخهم وتبكيتهم باذكر الى تبكيتهم بكل فنهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اى بل الكم حجة واضحة نزلت
عليكم من السماء باب الملئكة بناتة تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسى او عقلى وحيث
انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها
وفى هذه من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لافاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم و
تشفية احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على متأمل
فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب
وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جناياتهم لا خرين والمراد بالجنة
الملئكة قالوا الجنس واحد ولكن من جنت من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شانهم
فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التى اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبادة عن قولهم الملئكة
بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اى و
بالله لقد علمت الجنة التى عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملئكة ان الكفرة لمحضرون
النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم فى قولهم ذلك والمراد بالمبالغة فى التكذيب بيان ان
الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك و

يحكمون

يحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قومامن الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير
الكريم وابليس هو الشر اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازى وهذا القول
عندى اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملئكة
بنات الله فقال ابوبكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه
وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن فى استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز
ان يكون الضمير فى انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها و
لو كانوا مناسبين له تعالى وشركاء فى استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله تعالى
سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملئكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم فى ذلك
بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان
يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئتهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء
منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملئكة لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه
به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم من اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب
لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه الكلام وما تعبدون عبادة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان
بتبرئتهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى
متعلق بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اى افسدها عليه وللمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم
بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اى داخلها بعلم الله تعالى بانه يصير على الكفر
بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فانهم لا يزالون
برآء من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم فى وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على انه جمع صول
على معنى من قدر سفط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم تبيين لجلية الامر
وتعيين لحيزهم فى موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك و
تبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وتأخرهم اى وما منا احد الا له مقام معلوم فى العبادة والانتهاء
الى امر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه مضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وقوله تعالى
لجلاله كما روى عنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى السموات
موضع شبر الا وعليه ملك يصلى ويسبح وروى انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط و
الذى نفسى بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه جبهة ساجد لله تعالى وقال السدى الا له مقام معلوم
فى القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون
المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجنابه كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التاكيد لابراز ان صدوره
عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكرنا فى تفسير الآيات الكريمة واعرابها
وجوها اخر فتأمل والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف
واللام هى الفارقة اى ان الشان كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اى كتابا من كتب
الاولين من التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اى لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا
كما خالفوا هذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن اهدى من احدى الامم والفاء فى قوله تعالى فكفروا به
فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فجاءهم ذكر وابى ذكر سيد الاذكار وكتاب
سيد الكتب والاستفهار فكفروا به تسوف يعلمون اى عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت

كلمتنا لعبادنا المرسلين استينافي مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب و عن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم و اصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على اسوء حال واقطع لكمال حلهم من القتل والاسر والمراد بالامر ابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد اقبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كناية جيء بها لهجومه فاجاءهم بغتة غشي عليهم الفاجاة وقطع دابرهم وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ تنزل بها حذفت على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ تنزل مبنيا للمفعول من التنزيل اي تنزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح جيء بها بدل من صباح الجيش للبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح عبر بها جنبا حاولن وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتاكيد لوقوع المبعاد عبر تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام مما لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة و مما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمة السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة عما لا يليق بها مما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة التوقيفية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفات السلبية وايذان بانه مستحق لها لذاته تعالى لجميع ما افاضه عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية وابساغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعارا بان ما وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيح تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وجل في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعم الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء الصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر واقرا او لافتتاحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قراه صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبر المبتداء محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرا او امر من المصاداة قالوا والواو في لوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد بعين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالتمة المباركة وايا ما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها و الذكر الشرف والمناهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرايع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والامر اللائق بشان المتحدي به من كون المتحدى به معجزا او كون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او بصاد وبه انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه و نفس الجملة المذكورة فعل القسم فان التسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصاد والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشان والقرآن الجامع على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن معنونه بالكلية ابناء بينا كان قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة و شقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة لشائبة ريب ما فيه بل في استكبار و حمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ورسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاخرة اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيما انزل اليه بل الذين كفروا الخ وقرئ في عزة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز وللعدد قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول باسنا وخلول نقمتنا استغاثة وتوبة ليخوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص يمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يرز الا احد معمولها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس وزيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم و على الثاني مبتداء محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات

اوان افاجينا ان لات حين بقاء اما لان لات بجر الاحيان كما ان لولا بجر الضمائر في نحو قوله لولاك لولاكما هذا العام
لم اجج اولان اوان شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح فانه زمان قطع
منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه
من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته
الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال و
ما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له خان خط المصحف خارج عن القياس
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من
ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا
حقا رجاء احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق
هذا ساحر فيما يظهره من المخارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الالهة
الها واحدا بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف
ما القوا عليه آباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم واطبقوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون
ويذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل
مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علما
وقدرة وتدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب
بالتشديد وهو ابلغ كرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من
صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا ان شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما نعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي
بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك
السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه الصلوة والسلام ما ذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق
الملاء منهم اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجواب العتيد وشاهد وا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا
يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه
النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون في حقها من القدح
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع
في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ
امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر ولوجوب
الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفع آلهتنا وابطال امرها لشيء
يراد اي من جهته عليه السلام مضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال
من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رأيه
بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما
تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما
اراد الله كونه فلا حول له ولا يقع فيه الا التقدير وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك

انا منه وقيل ان ينكم شيء يراد اي يطلب ليتوقد منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد والتعبد
من الرياسة والرفع على العرب والعجم شيء يتمنى ويريده كل احد فتعالى في هذه الاقاويل واختر منها ما يسعه
النظم الجليل ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله في الملة الاخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم
مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا
من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المتفرقة ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فان حديث البعثة و
التوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه ائم نزل
عليه الذكر اي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالة
الباطلة وليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على المطامع الدنيوية بل هم في شك من ذكري
اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم
ما يبتون به فهم مذبذبون بين الايمان والكفر شبيهون تارة بالسحرة واخرى بالاخلاف بل لما يذوقوا عذابي
اي بل يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع و
المعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه ام
عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمة تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤن حتى
يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى ارائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم و
المعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز
الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ
عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى
يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا
في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي توصل
بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا العالم ويتنزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من
التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب
الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل
مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير كما في ربما
ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم
وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد لا استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان
احوال الغواة الطغاة الذين هؤلاء وجندهم من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد
معناه ذو الملك الثابت اصله من ثبات بيت المطنب بالاوتاد فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة
الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك
لان بعضهم يشد بعضا كالاوتاد يشد البناء وقيل لضرب اربع سوار وكان يمدي المعذب ورجليه الى اربعة اوتاد
عليها او تادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات
وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة
من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك بدل
من الم على احد الوجوه وفيه فضل تاكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ان كل الا

كذب الرسل استيناف جئ به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اى ما كل احد من آحاد اولئك الاحزاب
او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل وقيل ما كل حزب الا
كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام فى خبر المبتداء اى ما كل احد
منهم محكوما عليه بحكم الا محكوم عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب
الرسل وفى اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب على
حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فحقون من المبالغة مسجلة عليهم
باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اى ثبت ووقع على كل
منهم عقابى الذى كانت توجيه خيانتهم من اصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما مبتداء وقوله
تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العايد اى ان كل منهم الخ والجملة استيناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه
مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتداء والخبر
والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل
من انه خبر والمبتداء قوله تعالى وعاد الخ او قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما
ينظر هؤلاء شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما
سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفى
الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم ولما جعلها اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب
الذكر او حضورهم فى علم الله عز وجل فليس فى حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او
مستعارا انما يتصور فى حق من لم يترتب على اعماله نتايجها بعد وبعد ما تبين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة
لم يبق مما يراد بيانه من عقوباتهم امر منتظر وانما الذين فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عتاة الظالم
وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوايلها
اى وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة غير الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة
هى النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يهول لها جميع الامم
ترتا وفاجرا بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب القطيع الا هى حيث اخرت عقوبتهم
الى الاخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال جميعا يستحقونه والبغ عليه السلام بين اظهرهم خارج عن السنة
الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وانما قيل من انها
النفخة الاولى فما لاوجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس
عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم ما لهامن فواق
اى من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقولهم تعالوا ربنا عجل
لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اى قالوا بطريق الاستهزاء
والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به ولا توخره الى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحة
المذكورة والقط القطعة من الشئ من قط اذا قطعه ويقال لصحيفة الجايزة قط لانها قطعة من القرطاس
وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعايهم بالنداء المذكور للامعان فى الاستهزاء كانهم
يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم
عبدنا داود اى قصته تهويلا لامر المعصية فى اعينهم وتبنيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصى فانه
عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظايم النعم والكرامات لما لم تصغ نزل عن منزلته وتخبته الملايكة

بالتمثيل والتعريض حتى تنصل فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما سيحكى من بكايه الدايب وعمه الواجب
وندمه الدايم فما الظن بجهلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكباير المصرين على اعظم المعاصى
اوتذكر قصته عليه السلام وحسن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه
من المعاتبة ذا الايد اى ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى واياد كل شئ ما يتقوى به
انه اواب رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد بالقوة فى الدين فانه
كان يصوم يوما ويقوم يوما ويقوم نصف الليل اناسخرنا الجبال معه استيناف مسوق لتعليل قوته
فى الدين واوابيته لمرضاة الله تعالى ومعه متعلق بالتسخير وايثاره على اللام لما اشير اليه فى سورة الانبياء
من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح
لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به فى عبادة الله تعالى وقيل متعلقة
بما بعدها وهو اواب بالنسبة الى ما فى سورة الانبياء يسبحن اى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له
او يخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع
مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استيناف مبين لكيفية التسخير بالعشى والاشراق
اى وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها
يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى رضى الله عنها انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة
الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير عطف على الجبال
محشورة حال من الطير والعامل سخرنا اى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان
اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على
الابتداء والخبرية كل له اواب استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير
اى كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى تسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت توقع التسبيح
والمرجع رجاع واما لان التواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح
والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح
وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حوله
حرابه اربعون الفا فستلثم وقيل دعى رجل على اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله تعالى اليه ان
ان اقتل المدعى عليه فناخر فاعيد الوحى فى اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم ياخذنى بهذا
الذنب ولكن بانى قد قتلت اباهذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احدنا اظهره الله تعالى عليه
فقتله فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب وآتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل
وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب اى فصل الخصام بتمييز
الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى يبنيه المخاطب على المرام من غير القياس لما قد روعى فيه مظان الفصل
والوصل والعطف والاستيناف والاظهار والاضمار والحذف والتكرار وانما سمى به اما بعد لانه يفصل
المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والعلق وقيل الخطاب الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب
ممل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لا نذر ولا هذر وهل اتاك نبا الخصم استفهام معناه
التعجيب والتشويق الى استماع ما فى حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة الخ حقها ان تشيع فما بين كل
حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالصيف ومعه خصمان فريقان
اذ تسوروا المحراب اى تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنم اذا علا
سنامه وتذراه علاذروته واذ متعلقة بمحذوف اى بناء تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبإ على ان

المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اى قصة بناء الخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باقى لان اتيانه الرسول عليه السلام لم يكن تحو وقوله تعالى اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روى انه تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادة ففزعها الحرسى فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملئكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فاذا قالت الملئكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه لا تخف خصمان اى نحن فوجان متخاصمان على نسبة مصاحب الخصم خصما ينفى بعضنا على بعض سوء على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اى لا تجر نا فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشتط ولا تشاط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخى استيناف لبيان ما فيه الخصومة اى اخى فى الدين او فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولى نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اى ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على ردة او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخطبنى خطابا اى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة فى انكار فعل صاحبه وتعجيب طمعه فى نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغى ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها ويحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغى والعدوان وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجيب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه والظن مستعار للعلم الاستدلالى لما بينهما من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لاح بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفى فيه والاثبات فيها كما فى مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من معنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة يحلل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره الحقيقى فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع

فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه وروى انه عليه السلام بقى ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقاء دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولم يشرب ماء الا لثاثه ودمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وشى ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعى الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى القربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما معمول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من علة اى وقلنا له او قائلين له يا داود انا استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اى هوى النفس فى الحكومات وغير ها من الامور

فمورد

الدين والدنيا فيمتنك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالعطف على النهى مفتوح لالتقاء
الساكنين اى فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تع
ان الذين يضلون عن سبيل تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله فى موقع الاضمار لزيادة
التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال لهم عذاب شديد جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبر الان او الظرف
خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تع يوم الحساب
اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم ببيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما
يستتبعه ويستلزمه اعنى الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده
او ظرف لقوله تع لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورة ان يكون
مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به ج عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه بهذا السر
السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اى وما خلقنا هما و
ما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى يحار فى فهمه العقول خلقا باطلا اى خاليا عن الغاية الجليلة
والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعنا فيها العقل
والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار وكملنا ها من التصرفات العلمية والعملية فى استجلاب منافعها و
استدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل افاقية وانفسية ومنحنا ها القدرة على الاستمتاع بها ثم لم نقتصر على
ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا
عللها بالكلية وغرضنا ها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء حسب اعمالها ذلك اشارة
الى ما نافى من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اى مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك
تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فويل للذين كفروا
مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بما فى حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافى بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن فى قوله تع من النار تعليلية كما
فى قوله تع فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدى
اليها من ظنهم وكفرهم اى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين فى الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالى عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بامر
من نفخ العالم خاليا عن الحكم والمصالح لا تقويره وتحقيقه بما فى النمرة من انكار التسوية من الفريقين ونفيها
على ابلغ وجه واكده اى بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث
وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة او فرحظا منها من المؤمنين لكن
ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلا عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين و
قوله تع ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين
المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة
وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير
باعتبار وصفين آخرين هما ادخل فى انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين
انا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند
السورة وقوله تع انزلناه اليك من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلناه ومنع المبارك الكثير

المنافع الدينية والدنيوية وقوله تع ليدبروا آياته متعلق بانزلناه اى انزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جملتها
هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعلموا ما يزعظهم من المعانى الفائقة والمآثر اللائقة
وقرئ ليتدبروا على الاصل وليتدبروا على الخطاب اى انت وعلماء امتك بحذف احدى التائين وليتذكر اولوا
الالباب اى وليتعظ به ذووا العقول السليمة لو استحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفة
ما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بينة لما لا يوقف الا بالشرع ومرشدة الى ما يسبيل للعقل اليه
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وقرئ نعم العبد اى سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا
لوهبنا ولان قوله تع انه اواب اى رجاع الى الله تعالى بالتوبة اوالى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو
من حاله لما ان الضمير المجرور فى قوله تع اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب باذكر اى اذكر ما صدر
عنه اذ عرض عليه بالعشى وهو من الظهر الى آخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب
وقيل للنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف
سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق الا فى العراب الخلص وقيل هو الذى يجمع يديه و
يسويهما واما الذى يقف على سنبكه فهو المتحيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى
يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اى
اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل هو جمع جيد روى
انه عليه السلام غزى اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه
وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تعرض عليه حتى غربت الشمس
وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتحقيقه فلم يعلموه فاغتم للفائتة فاستردها فعقرها متقربا
لله تعالى وبقى مائة فانى ايدى الناس من نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى باذنه
فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال
بها عن الصلوة وندما عليه وتحميدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر
دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا التحقيق مضمون الخبر واصل احببت
ان يقال بعدا لانه بمعنى آثرت لكن لما اتبع بذكر ربى عدى تعديته وحب الخير مفعوله كانه قيل انبت حب الخير عن
ذكر ربى ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه السلام وكيف لا وانه سماها خيرا تعلقا
بما قال عليه السلام الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيمة وقرئ انى حتى توارت بالحجاب متعلق
بقوله تع احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اى انبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك
حتى توارت اى غربت الشمس تشبيها لغروبها بغائص منوارى الخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى
عليها وقيل الضمير للصافنات اى حتى توارت بحجاب الليل اى بظلامه ردوها على من تمام مقالة سليمان
عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان
سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها فتامل والفاء فى قوله تع فطفق مسحا فصيحة مفصحة
عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اى فردوها عليه فاخذ يمسح
السيف مسحا بالسوق والاعناق اى بسوقها واعناقها بقطعها من قولهم مسح علاوته اى ضرب
عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذلك وقرئ بالسوق على جمع
الواو لضمتها كما فى ادؤر وقرى بالسووق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق للكفاءة
بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل
فى فتنته عليه السلام ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتى كل واحدة بفارس

يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله خطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفس بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطاياه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزى صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جراحة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقاء وجهها على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائد ما يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبرته آصف بذلك فكسر السورة وعاتب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت لم ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة اولاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورة شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الجن والانس وتغذر حكمه في كل شئ الا في تسايه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة فوقعت في يد سليمان فنتف بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بالم يكن كذلك والخطيئة تفاعله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ و سجود الصورة بغير علمه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلطنة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال علما او اراد وصف الملك بالعظمة لان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ عليه احد والله تعالى اعلم وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ لي بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي قدرنا للنا بالطاعة اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بامره بيان تسخير لما له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد حيث اصاب اي حيث قصد وارادحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب و الشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص وغيرذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد بمعنى عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين تغليلهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد هذا الى اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول القول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطينا كه

من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا للزلفى في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فزف لها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبته ما ذكر الله تعالى وغزى بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصته سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له اني باني مسني الشيطان بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يديم مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدايد وسوء المراد بالضر في قوله تعالى اني مسني الضر هو حكاية لكلامه الذي ناداه ربه بعبارته والا لقيل انه مسته الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تسبب بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه تعجب بكثرة ماله او استغاثة مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فخافه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة و يغريه على الكراهة والجزع فالتجاء الى الله تعالى ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا اتمام دعائه عليه السلام بل من جملة قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك ههنا ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هناك وقوله تعالى اركض برجلك الخ اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر وبنبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب وباياه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما احياؤهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او جمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكير هم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امراته رحمة بنت افراثيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ما صربت مينا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة

امره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رض الله عنهما ضغثا من الشجر وقال فاضرب به اى بذلك الضغث ولا تحنث فى يمينك فان البر تحقق ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خلقها اياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب ان يعيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعرانها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه فى النفس والاهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يستحى حزعا كما تمنع العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك حين فتنة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال فى مناجاته انى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يعجبنى ما ملكت ولم اكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعانا ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله عنه نعم العبد اى ايوب انه اواب تعليل لمدحه اى رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نعت باضمار اعنى والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولى الايدى والابصار اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثر ما يتباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة و التامل مع تمكنهم منها وقرئ اولى الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ الايادى على الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة فى العلم والعمل اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه الشكر التفخيمى وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للتى الخالصة بعد الجها للتفخيم اى تذكر للدار الاخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم فى كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقاء الله ولا يتاتى ذلك الا فى الاخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيار ما يعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار فى الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اى بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكرا ما بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شان الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم للمصطفين عليهم فى الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف عنه كاموات فى جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف وقيل على يسع كما فى قول من قال الوليد بن اليزيد مبارك وقرئ واليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين اعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل قرا التوراة ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقيل كان شيخا كبيرا فلما حضرته الوفاة جمع بنى اسرائيل من القتل فاوواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة ركعة وكل اى وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرة هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمجاز ذكر اى شرف لهم وذكر جميع يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رض الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن باب شروع فى بيان اجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين لما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا وامانفس المذكورين

عبر عنهم

عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من كمال جنات عدن عطف بيان لحسن باب عند من يجوز تخالفها تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل ما فى للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو راى البعيريين اى الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو راى الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقوله تعالى متكئين فيها على الابتداء والخبر او على انها خبران لمحذوف اى هى جنات عدن هى مفتحة متكئين فيها حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استيناف حالية فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم للتفكه والتلذذ دون التغذى فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم قاصرات الطرف اى عاطفات ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهن فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا يجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه بمسهن فى وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اى لاجله فان للحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اى ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه نالة من نفاد انقطاع ابدا هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع فى بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اى يدخلونها حالا من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وسوء جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياى فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدا خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وسوغ الاولين خبر مبتدا محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتن اهل المغرب ولو قطرت قطرة فى المغرب لنتن اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله وقرئ بتخفيف السين واخر من شكله اى وعذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة والفظاعة وقرئ واخر اى واخرى وازواج اى وعذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله تاويل باذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او سوا راجع الى الغساق ازواج اى اجناس سوجبر لانه يجوز ان يكون مرفوعا او صفة له او للثلثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام الدخول فى الشدة بشدة قال الراغب الاقتحام رمى النفس فى موتة شديدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او حال منه اى مقول او مقولا فى حقهم لا مرحبا بهم اى لا اتوا مرحبا اولا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم باذكر وقيل لا مرحبا بهم الا هنا كلام الرؤساء فى حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم بافتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض فى حق الاتباع قالوا اى الاتباع عند سماعهم ما قيل فى حقهم ووجه خطابهم للرؤساء فى قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الخ على الوجهين الاخيرين ظاهر ولما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار للخزنة بل هم لا مرحبا بهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم فيما نحلهم مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا فى قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اى بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وحوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اى انتم قدمتم العذاب او الصلى لنا

واوقعوها فيه بتقديم ما يؤدى اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها فى اعيننا واغرائنا الا انا
باشرنا ما من تلقاء انفسنا نفس القرار اى خبث المقر جهنم تقصد وابدها تغليظ جناية الرؤساء عليهم
قالوا اى الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اى قالوا معرضين
عن خصومتهم متضرعين الى الله ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار كقولهم ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا اى ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين
كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعى وقالوا اى الطاغون مالنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستر ذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم
سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استينافية لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا
على انفسهم وتأنيبا لها فى الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار منقطعة باتخذناهم على ان ام منفصلة و
المعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم و
تقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا
بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال
منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى لم زاغت
متصل بقوله مالنا لا نرى والمعنى مالنا لا نراهم فى النار ليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم
فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اى الذى حكى من
احوالهم لحق لابد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدإ محذوف والجملة بيان لذلك
وفى الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له و
قرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بما عرف
بالام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين
انما انا منذر من جهته تعالى انذركم بهذا به وما من اله فى الوجود الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة
والكثرة اصلا القهار لكل شئ سواه رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان
يكون له شريك منها العزيز الذى لا يغلب فى امر من اموره الغفار المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء
لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر
بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل تكرير للامر بالايذان
بان المقول لامر جليل له شان خطير لابد من الاعتناء به امرا وايتمارا هو اى ما انبئكم به من انى منذر ومن حقيقته
تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهرية للقرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا
كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله
تعالى انتم عنه معرضون استينافية سيق للاخبار بما ذكر توبيخا لهم على اعراضهم عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل اخرى لنبأ وقوله تعالى
ما كان لى من علم بالملإ الاعلى الخ استينافية مسوقة لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من
انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة
على ان ذلك بطريق الوحى من عند الله تعالى وان سائر انبيائه ايضا كذلك والملإ الاعلى هم الملئكة وآدم
عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفى علمه
عليه السلام بجاليهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لى فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملإ الاعلى وقت
اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحقير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال

فقط

فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما يلقى به الوحى فلا بد من اعتبار العموم
فى نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله
تقرير الثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان مبنيا عن نبوة الآن ومن البين
عدم ملابسته عليه السلام بشئ من مبادى المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحى حتما فجعل ذلك من مبادى النبوت
غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحى ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى
انما انا منذر فى ضمن تحقيق علمه عليه السلام بفقد الملإ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال
المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الى حال الملإ الاعلى او ما يوحى من الامور الغيبية التى من جملتها حالهم الا
لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعى الوحى اليه وموجباته حتما واما ان القائم
مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الى الا الانذار او ما
يوحى الى الا ان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك كما قيل مع ما فيه من الاضطرار الى التكلف فى توجيه قصر الوحى على
كونه للانذار فى الاول وحمله على الانذار فى الثانى فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض
حقه ان يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتامل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على الحكاية
وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع فى تفصيل ما اجمل من الاختصام الذى هو ما جرى بينهم من التقاول
وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة
البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفى اشتمال ما فى حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه والايذان بان وحى هذا البناء اليه تربية وتاييد
له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه اول على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما فى قوله تعالى
قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الى دون حال المأمور والا لقيل بنى لانه داخل فى حيز الامر انى خالق
اى فيما سياتى وقيل ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على ان فاعله البتة من صارف يلويه وعاطف
ثنيه بشرا قيل اى جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند
وقوع المحكى ليس هذا الاسم الذى لم يخلق مسماه حتى فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا
الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر فى مواقع اخر
فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه
من روحى النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والاستلذاذ بها وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل
لافاضة مادة الحيوة بالفعل على عادة المقابلة لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح
التى هى من امرى فتعلموا له امرى وقع وفيه دليل على ان المأمور ليس مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له
ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اى مخلوقة فتوا فيه الروح فسجد الملائكة كلهم بحيث لم يبق
منهم احد الا سجد اجمعون اى بطريق المعية بحيث لم يتاخر فى ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لما فاضة
هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا وقيل اكد بتاكيدين مبالغة فى التعميم هذا واما سجودهم هذا هل ترتب على
ما حكى من الامر التعليقى كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه
من غير ان يتوسط بينهما شئ غيرما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزى
المفهم فى سورة البقرة وفى سورة الاعراف وفى سورة بنى اسرائيل وفى سورة الكهف وفى سورة
طه من الآيات الكريمة فقدر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس
استثناء متصل لما انه كان جنيا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى
واحد منهم اولان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استينافى

بيّن لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروّي وبه يتحقق له الاباء والاستكبار و
على الكل يجوز اتصاله بما قبله اى لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اى وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة
او كان منهم فى علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ اى خلقته بالذات من غير توسط
اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعى لاجلاله واعظامه قصدا الى تاكيد الانكار و
تشديد التوبيخ أستكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اى اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين
المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام
تعتمد بدلالة ام عليها وقوله تعالى قال انا خير منه ادعاء منه لشئ يستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار
بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يوجب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون
وقوله تعالى خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لما ادّعاه من فضله عليه ع م ولقد اخطأ اللعين
حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما ابناء عنه قوله تعالى لما خلقت
بيدىّ وما من جهة الصورة كما نبّه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر
ولذلك امر الملئكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة فى الارض وان لم يخطر
ببالهم ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها
بالاباطيل اى فاخرج من الجنة او من زمرة الملئكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان
وسوسة لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة
التى كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغيّر الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما
كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اى مطرود من كل خير و
كرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتى اى ابعادى عن الرحمة و
تقييدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة الاعنين من الملئكة والثقلين
ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اى يوم الجزاء و
العقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجناية بل هى انموذج مما سيلقاه مستمرا لا ذلك اليوم
لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه يبلغ يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب
ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الايرى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله
ويلعن بعضهم بعضا قال رب فانظرنى اى اهلنى واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف يستدعيه الكلام
اى اذا جعلتنى رجيما فاهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان
يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ الاموت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين
ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بكون السائل يتعالم فى ذلك دليل
واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم اذ لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان انتظاره
كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتاخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى
الدين اى انك من جملة الذين آخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم
الذى قدّره الله وعيّنه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤل فالغاية
ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قوله من قال فان ترحم فانت
لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ماله تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل
هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك الندآء
والفاءة الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر هناك وفى سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه

النظم الكريم لابد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم
يقع الا دفعة فمقام الاستنظاد والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فبذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال
والبالغ الى مرتبة البلاغة وذروة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا
عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه قال
فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا يخفى ما فيه قوله تعالى فبما اغويتنى وقوله
رب بما اغويتنى فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته
تعالى الاقتضام بما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخرى فاقسم
بعزتك لاغوينهم اجمعين اى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين
اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم
واعمالهم لله تعالى قال اى الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدا محذوف واخبر
محذوف المبتدا او بنصب الكل على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها اى فالحق قسمى لاملأن جهنم على انه الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظم الله تعالى شانه
به او فانا الحق او فعلى الحق وقوله تعالى لاملأن جهنم الخ حينئذ جواب لقسم محذوف اى والله لاملأن
الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه
الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعنى فعلى الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن
وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله
لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد وقرئ
بجر الاول على اضمار حرف قسمه ونصب الثانى على المفعولية منك اى من جنسك من الشياطين ومن تبعك
فى الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف عليه اى لاملأنها من المتبوعين
والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن
حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح ان
مدار عدم المشية فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق
القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسالكم عليه على القرآن او على تبليغ ما يوحى الى من اجر
دنيوى وما انا من المتكلفين اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة وانتقول القرآن ان هو
اى ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين اى للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اى ما انبأ به
من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند
ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا اظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد
ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عليه السلام
عشر حسنات وعصم ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو عامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير او كبير والله اعلم

سورة الحجر

تنزيل الكتاب خبر لمبتدا محذوف سواء اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها
على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا او قد قيل هو ضمير عايد الى الذكر فى قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله
تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل على ما مر من الاشارة او من الكتاب

الكتاب هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفى بمقتضى المقام هو بيان ان السورة
او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان انه تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ
وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما
في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا مانع وبابتناء جميع ما فيه على اساس
الحكم البالغة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب شروع في بيان شان المنزل اليه وما يجب اليه اثر بيان
شان المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول
ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشانه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب الحق واثباته واظهاره او بدا عية
الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اى انزلناه اليك محققين في
ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والقلوب اى كل ما فيه حق لاريب فيه موجب للعمل به حتما والقاء في قوله تعالى
فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اى فاعبده تعالى
مخلصا له الدين من شوائب الشرك والرياء وحسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه
مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استيناف وقع تعليلا
للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استيناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص
الدين لله تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اى الا هو الذي
يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية الخ من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر
وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن
التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والوصول عبارة عن المشركين ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما سياتي من الجملة المصدرة بان والاولياء من الملئكة وعيسى عليهم السلام والاصنام
وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا او مبينة لكيفية اشراكهم
وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ الصدر ملاق له في المعنى
اى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الاشياء
الا ليقربونا الى الله تقريبا ان الله يحكم بينهم اى وبين حفائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف
لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اى بين احد منهم وبين غيره وعليه
قول النابغة فما كان بين الخير لو جاءنا ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبيننا وقيل ضمير بينهم للفريقين
جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله
وحكم تعالى في ذلك او خال الموحدين الجنة والمشركين النار فالخبر للفريقين هذا سو الذي يستدعيه مساق
النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير
ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم
وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة
واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين
في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر
للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما فاطبوا به المفتهم و
قرئ بغيدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدي اى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن
المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اى راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة

كذاب وكفر وبناء فاعلها فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء او لتغيير ما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة و
التهادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا الخ استيناف مسوق لتحقيق
الحق في ابطال القول بان الملئكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ
الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اى لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لا صطفى اى لاتخذ مما يخلق اى من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود
سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان
اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا انما
فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ
الذي يقتضيه الشرطية ابتنيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه
اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شئ اصلا بل انما هو اصطفاء
عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عندها بطريق الاولوية
على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى
وتاكيد لبيان تنزهه تعالى عنه اى تنزه بالذات عن ذلك تنزها خاصا به على ان السبحان مصدر من سبح اذا
بعد او اسبحه تسبيحا لا يقابه على انه علم للتسبيح منقول عن السنة العباد او بمعنى تسبيحا حقيقا بشانه وقوله
تعالى هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه
بحسب الذات اثر بيان تنزه الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات
النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق
مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا اقتضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت
ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف
يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل
لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة اى خلقها وما بينهما من الموجودات ملتبسة
بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
بيان لكيفية تصرفه تعالى فيها بعد بيان خلقها فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات
اى يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف
بالملفة او يجعله كالرا عليه كورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وتسخير
الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما
اى كل منهما يجري لمنتهى دورته او ينقطع حركة وقدرا تفصيلا غير مرة الا وهو العزيز الغالب القادر
لكل شئ من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل
بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال
الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على
خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الانسان لغرابته في
الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف
والمراد بالنفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة
لنفس اى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها

مشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما فى الدلالة فانهما وان كانتا آيتين والتين على امر واحد لكن الاولى
لاستمرار ما صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التغيير
عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل فى كونها آية واجلب للتعجيب من السامع فعطفت على الاولى ثم تعالى
دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال
والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام
بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائتة للحصر منها وقوله تعالى وانزل لكم بيان
لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اى قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء
حيث تكتب فى اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من
الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هى الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقها فى الجنة ثم انزلها
وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق لما اخر فان كون الانزال
لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما انزل لاجله وقوله تعالى يخلقكم فى بطون
امهاتكم استيناف سوق لبيان كيفية خلقهم فى اطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة
المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اى يخلقكم فيها
خلقا كائنا من بعد خلق اى خلقا مذرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من
بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة فى ظلمات ثلث متعلق بيخلقكم
وهى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى
باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى فى الخطر والكبرياء ومحل الرفع على
الابتداء اى ذلكم العظيم الشان الذى عدت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اى مربيكم فيما
ذكر من الاطوار وفيما بعد ما وما لكم للمستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق فى الدنيا والآخرة
ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى
فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما قبلها ذكر من شئونه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وجوب
موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف
عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان و
الشكر فان الله غنى عنكم اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائها
ولا يرضى لعباده الكفر اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى
به وان تشكروا يرضه لكم اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين
لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لانكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء
ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اى لا تحمل نفس حاملة للوزر
حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اى كنتم
تعلونه فى الدنيا من اعمال الكفر والايمان اى يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور
اى بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر من مرض
وغيره دعى ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه فى حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على
كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة
منه اى اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخويل وهو التفضل اى جعله خائلا مالكا من قولهم
فلان خائل مال اذا كان متعهدا لحسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اى جعله يخول اى يختال

ويفتخر فنسى ما كان يدعوا اليه اى نسى الضر الذى كان يدعوا الله تعالى فيما سبق الاكتفاء من قبل اى من قبل
التخويل او نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه لما بناء على ان ما بمعنى من كما فى قوله تعالى وما خلق الذكر
والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الحيث لا يوصف بدعوة ما هو
فضلا من ان يوصف بمن هو كما مر فى قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء فى العبادة ليضل
الناس بذلك عن سبيله الذى هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليزداد ضلالا او ثبت عليه و
الافضل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال وان لم
يوصف لجهله اغا اضلال وضلال ولما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل
تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وماله تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من
اصحاب النار اى من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط
من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق
عقوبته امن هو قانت آناء الليل الخ من تمام الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها
ثقة بدلالة سياق الكلام عليه كانه قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به انت احسن حالا ومالا امن هو قائم بمواجب
الطاعات دائم على اداء وظائف العبادات فى ساعات الليل حالتى البراء والضراء لا عند مساس الضر
فقط كدأب حال كونه ساجدا وقائما اى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام
لكونه ادخل فى معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على التداخل
او التداخل واستيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل
ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه
كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الموحى للايذان بخصوصه
الدنيا ويرجو حينا فحينا واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف
الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت الخ افضل ام من هو
كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوى
الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كما لقانت المذكور والذين لا يعلمون اى
شيئا ما ذكرا وشيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كذا بك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين فى اعلا
معارج الخير وكون الاخرين فى اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر
وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون
وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل فى الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى
بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال
عقولهم كما فى قول من قال عوجوا احبوا النعى ذمة الدار ما ذا تحبون من نؤى واحجار اى انما يتعظ بهذه
البينات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر
بالادغام قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين و
حملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولى الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به اى قل لهم قولى
هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين امر الله
ادخل فى ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال وايراد الاحسان
فى حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر فى قوله

تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين و
قوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا فما وجه الاخلاص وهو الذي
عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لكنهها
او حال من ضمير ما في الظرف فالمراد بهاجر الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر
على التقوى والاحسان في بلده فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه
لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المأمور به وايثار
الصابرين على المتقين للايذان بانهم حايزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام
التقوى لما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اى انما يوفى
الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام
والبلايا الخ من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب
اى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يوزن في الحديث
انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلايا بل يصب
عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من
الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى من كل ما يناقيه من الشرك والرياء وغير ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من
التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون
اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون اول معدوديهم في الدنيا والاخرة لان احراز قصب السبق
في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة
كما يقتضيه الامر بها لذاتها يقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان
اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت لان اكون اول من اسلم من اهل زماني
او من قومي او الكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظمة لعظم ما فيه من الدواهي
والاهوال قل الله اعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر عليه السلام
اولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان
ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا للتصلب في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لما
لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم اى تعبدونه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب
عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا لما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اى الكاملين في
الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم
باختيارهم الكفر لها اى اضاعوها واتلفوها يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوها للعذاب
السرمدي واوقعوها في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد
خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان الحذوف
ذهاب لا مآب لا ينتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل
الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد
تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم لما جعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون

فيه اذ ذاك اجاد ومافي قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين من استيناف الجملة وتصدير ها بحرف التنبيه والاشارة
بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة
على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه مما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع
بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل
والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة
بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل
للاخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها ذلك العذاب التقطيع هو الذي يخوف الله به عباده و
يحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه
عظة من الله تعالى بالغة منوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت
اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى
عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه
اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملئكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم
لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين
كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويوثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة
الذين هداهم الله للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اى هم اصحاب العقول السليمة عن
معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى
وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين
على طريقة الاجمال والتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير
عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقوله تعالى لمن تبعك لاملأن جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه
على انها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار المضمون نحاه ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة
ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا اى اانت ماالك امر الناس ممن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه كررت
الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد
الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عدم
في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة
مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق
العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعايته الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل
اولا افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه هو
الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف
وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بعدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا

فيما سبق بقوله تعالى يا عبادى الذين اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم درجات عالية فى جنات النعيم بمقابلة الكفرة
من دركات سافلة فى الجحيم اى لهم علالى بعضها فوق بعض مبنية بناء للمنازل المبنية الموسقة
على الارض فى الرصانة والاحكام تجرى من تحتها من تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل
وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد والى وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالة
عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استيناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا فى سرعة الزوال
وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهوتها كما
فى نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الاية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت
الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرة تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد
بالماء المطر وقيل كل ما فى الارض فهو من السماء وينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه
فادخله ونظمه ينابيع فى الارض اى عيونا وجداول كالوروق فى الاجاد وقيل مياها نابعة فيها فان
الينبوع والنابع فضفها على الحال وعلى الاول يترتج الجار اى فى ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخى فى الرتبة او الزمان
وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اى يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته
فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتة متكسرة كان لم يغن بالامس
ولكون هذه الحالة من الآثار القوية يجعل الله تعالى كالاخراج ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولى
الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال
الحيوة فى سرعة التقضى والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون
بزينتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه فى ينابيع الارض قادر على اجرائها من تحت
الغرف هذا واما ما قيل ان فى ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لابد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير
لا عن تعطيل واهمال فمعزول من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة و
الافعال الجميلة من غير اسنادها الى مؤثر تا حيث ذكرت مسندة الى الله تعالى تعين ان يكون متعلق
التذكير والتنبيه شؤنه تعالى او شؤن آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولى الالباب وشرح الصدر للاسلام
عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذى هو منبع للروح التى تتعلق بها النفس القابلة للاسلام
فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستفأته بنوره فانه روى انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزوله والكلام فى الهمزة والفاء كالذى مر فى قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف
لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح صدره اى خلقه متسع الصدر مستعد للاسلام فبقى
على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم
من ربه وهو اللطف الالهى الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء
بها الى الحق كمن قسى قلبه وخرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره وتستولى عليه ظلمات الغى و
الضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يعتبر بها فويل للقاسية قلوبهم ممن ذكر
الله اى من اجل ذكره الذى حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اى اذا ذكر الله تعالى عندهم
او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله

اى عن قوله

اى عن قوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب فى ضلال بعيد من الحق مبين
ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وابى لهب وولده وقيل فى عمار بن ياسر
رضى الله عنه وابى جهل وذويه الله نزل احسن الحديث هو القرآن الكريم روى ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه السلام حدثنا وعن ابن مسعود رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى
ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفى ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبنا نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع
محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استنادها اليه تعالى وانه من عنده لا يكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحى
معجز مما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجئ الحال
من النكرة المضافة اتفاقى ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة انما لا فاده بقوله تعالى متشابها اى ولكونه فى قوة
مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه فى الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع
الخلق فى المعاد والمعاش وتناسب الفاظه فى الفصاحة وتجاوب نظمه فى الاعجاز مثانى صفة اخرى
لكتابا او حال اخرى منه وهى جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما يثنى من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير
والاعادة كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما
يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمائل اى شمائله
والمعنى متشابهة معانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة
والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة فى سامعيه بعد بيان اوصافه فى نفسه ولتقرير كونه
احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم
اليابس قدم اليه الواو ليكون ربا عيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف
شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك
الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته ووعيده اصابتهم هيبة وخشية
تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى واتمام تصريح بها ايذانا بانها اول ما
يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اى الكتاب الذى شرح احواله هدى الله يهدى به من يشاء ان
يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بما تلى فيما فى ضمنه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى
ومن يضلل الله اى يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم
تاثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذى
ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اى ومن لم يؤثر
فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد مؤثر فيه بشئ قط افمن يتقى بوجهه الخ استيناف
جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالى المهتدين والضال والكلام فى الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذى مر
نظيره والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه ان يتقى نفسه بوجهه الذى هو اشرف اعضائه سوء العذاب
اى العذاب السيئ الشديد يوم القيمة لكون يده التى بها كان يتقى المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه
كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى ابى جهل وقيل للظالمين
عطف على يتقى اى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو
حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظهر مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر
الامر فى قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر

والمعاصي كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر
بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب
المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها
فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء
ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون
اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل
مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا
حال موكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي
عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك
لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد المثل
من الامثال القرانية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكير والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد
بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلا لها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول
ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو تتمة التي هي العمدة في التمثيل
وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان انه في الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب
على انه وصف لرجلا والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف
فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقوده اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديته عبودية عبد
يتشاركن فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في شتى حاجاتهم المتباينة في غيرة وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد
مثلا رجلا سلما اي خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل كملا وقرئ بفتح السين وكسرها مع
سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص وقد مر تفسيره مبالغة او حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم
اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجال لانه اقطع للمجري عليه من الفرد والنفع هل يستويان مثلا
انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث
لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلا عليين والاخر
في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول وانتصابه مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما
وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس في قرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا
للاشعار باختلاف النوع اولان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير
مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاستئناف
وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانعامه نعمة جليلة موجبة عليهم ان يواظبوا
على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء
صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون
اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون
ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ ميت وميتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله
صلى الله عليه وسلم موته اي بانكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك امركم
تختصمون فتحتج انت عليهم انك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في
تضاعيف هذه الايات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد

وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم
ممن كذب على الله فانه الى الاخرة مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان
لا غير اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق
اي بالامر الذي جيء به من الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي عليه السلام اذ جاءه اي في اول مجيئه من غير
تدبر فيه ولا تامل اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى
التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها
او الجنس الكفرة وسم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة الموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك
الموصوفون بما ذكر من المجيء والتصديق به هم المتقون المتوغلون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب
وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا
به اي بسببه لان ما جاء به من القران معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ صدق به على البناء للمفعول
لهم ما يشاؤون عند ربهم بيان لما لهم في الاخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال
اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الاخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه في تكفير
السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر احوال القيمة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من
حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله
تعالى ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منظوريته
ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الاخرة كيف لا وهو بعض ما شيئت
لهم فيها بل باعتبار نحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سياتي كان في معنى
الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه
في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار و
حصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوء الذي عملوا فعالمضار هم وبجزيهم اجرهم باحسن الذي
كانوا يعملون اعطاء لمنافعهم واظهارا لاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام
واضافة الاسوء والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة
الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل
والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان حلا ان
الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام
سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت وفي الثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من اكتفاء
الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على
ان تخصيص الاسوء بالذكر لبيان تكفيرها دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوء لتكفير
السيئ لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمها في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغة
الماضي والمستقبل في صلة الموصول الاول دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف
السيئة اليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية
من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد

مطلب
في اضافة الاسوء والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه

اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وتقريرا بالانبياء عليهم
السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة
المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا
نخاف ان يجلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتنكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك
منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين
من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى
غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير قط
ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض
لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع وفي انتقام
ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهر الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم افرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ما تحققتم ان خالق العالم العلوي و
السفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة
اي او ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين
فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه مرة
الاوثان وما فيه من الايذان باجحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع
الشر وروي انه عليه السلام لما سألتهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل
ما سواه تحت ملكوته قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها من العداوة تمكنتم فيها فان
المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونها للمكان وقرئ على مكاناتكم اني
عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر
الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه
عذاب مقيم اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في
المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه
اي انما نفع بهتداءه نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلالة مقصور عليها وما
انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا و
باطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن و
قرئ قضى على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل
مسمى هو الوقت المضروب لموتها وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما
لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى
النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في
احدهما والارسال في الآخر لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون
في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها

وما يعتريها

وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى
انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع
لهم عنده تعالى قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة للانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ
عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة
عند الله تعالى او هي للانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان انه ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء
لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدر حينئذ غير ما قدرناه اولا وعلى اي تقدير كان فالواو
للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي يشفعون لو كانوا لا يملكون شيئا ولو كانوا لا
يملكون اياها وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقدر تحقيقا مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر
تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي سواء كانت له تعالى فلا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له
مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتاكيد
اي ملكها وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه
ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله
وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حالهم القبيحتين
حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار سرور يمتلئ القلب به فرحا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز
ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في
اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وبهتت من شدة تعنتهم
في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل حكيم معاند ويخضع له كل عات بارد وهو العذاب الدنيوي او
الاخروي وحوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الى كلام مستانف مسوق لبيان اثار الحكم الذي
استدعاه الدعاء عليه السلام وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد
وبدا لهم من الله ولان حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله
من العقوبات ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد
لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما
كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين يعرض عليهم صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي احاط
بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالبا فرادى والفاء لترتيب ما
بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي
انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا مستهم ضر وعوامن اشمأزوا عن
ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل يختص
به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او بانى سأعطاه
لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة
والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله

وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المبنى عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية
وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة اوباعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم
لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى و
هم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا
جزاء سيئات اعمالهم او اجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها فى مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها
والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اى افرطوا فى الظلم والعتو سيصيبهم
سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصى كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اى اصابة حيث
قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اى فائتين اولم يعلموا اى اقالوا
ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر لمن يشاء
ان يقدره من غير ان يكون لاحد مدخل فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم يبسط لهم سبعا ان فى
ذلك الذى ذكر لايات دالة على ان الحوادث كائنة من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم
المستدلون بها على ما دلوا عليها قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم اى افرطوا فى الجناية عليها
بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من رحمة
الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفصيله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد
حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر فى الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله انه
هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة
مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى عن
القنوط مطلقا فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع
الضمير للدلالة على انه المستغفر والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روى من اسباب النزول الدالة على
ورود الآية فيمن تاب لا يقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد فى كلام واحد مثل اكرم
الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم تكليف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص
فى قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على
حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتفنى عن الامر بها وتنافى الوعيد بالعذاب واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم اى القرآن او المأمور به دون المنهى عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم
لا تشعرون بمجيئه لتدارکوا وتتأهبوا له ان تقول نفس اى كراهة ان تقول والتنكير للتكثير
كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقدم تحقيقه
فى مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسراه بهاء السكت وتفاوتوا
يا حسرتاى بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتى على الاصل اى احضرى فهذا اوان حضورك على ما فرطت
اى على تفريطى وتقصيرى فى جنب الله اى جانبه وفى حقه وطاعته وعليه قول من قال اما متقين
الله فى جنب وامق له حر كيد وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة فى ذات الله على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
اى المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اى فرطت وانا ساخر او تقول لو

ان الله

ان الله هدانى بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصى او تقول حين ترى العذاب لو انّ
لى كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين فى العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال
تحسرا وتخيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لما ان تقديمه يفوق القوائم
وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودى لانه تحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع
تاثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار اللفظ و
قرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد
وجوههم مسودة لما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير
عن الواو على ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس فى جهنم مثوى اى مقام للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وتقرير لما قبله من رونقهم كذلك وينجى الله الذين اتقوا الشرك والمعاصى اى
من جهنم وقرئ ينجى من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمى اما من فاز بالمطلوب او ظفر به والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب اى ينجيهم الله تعالى من مثوى
المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من
الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من
فازمنه اى نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان كفازتهم اى ينجيهم الله تعالى ملتبسين
بنجاتهم الخاصة بهم اى بنفى السوء والحزن عنهم اولنسبية اما على حذف المضاف اى ينجيهم بسبب مفازتهم التى
هى نفوسهم كما يشعر به ايراده فى خبر الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذى هو التقوى وليس المراد نفى
دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شئ من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل
بمباشرة الاكساب لاسبابها وهو على كل شئ وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد السموات
والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظها ومنها مزيد دلالة
على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او
مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه انه
سأل ابنه عليه السلام عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر سبحان الله وبحمده و
استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن يحيى ويميت وهو على
كل شئ قدير والمعنى على هذا ان الله بهذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم
بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق جميع الاشياء
متصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا بايات التكوينية
المنصوبة فى الآفاق والانفس والتنزيلية التى من جملتها ما تيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون حسرانا
لاخسر وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تامرونى اعبد
ايها الجاهلون اى ابعد مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتامرونى اعتراض للدلالة على انهم امروه
عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم وبجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تامرونى
اعبد لانه بمعنى تعبدونى وتقولون لى اعبد على ان اصله تامرونى ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما فى
قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدى وبؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ
تامرونى باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من
الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج

الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره كيف
بمن عداه واخراد الخطاب لاعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان
يكون من خصايصهم لان الاشراك منهم اشنع واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك ولكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة
اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق
عظمته حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق بشؤنه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير
فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم ثابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة
وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت
بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الاراضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات
على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من
هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في
السموات ومن في الارض اي خروا اموتا او مغشيا عليهم الا من شاء قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل
فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب
والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال
من ضميره والمعنى يتقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها
بما اقام فيها من العدل استعير النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يستعار الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات
يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف
الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين و
الشهداء للاعم وعليهم من الملايكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم
لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم
بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى تفصيل للتوفية وبيان
لكيفيتها اي يسقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض متراتبة حسب تراتب طبقاتهم في الضلالة
والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها توبيخا وتقريعا ألم يأتكم رسل منكم
من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى
قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك
ومن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القايل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين
اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان
كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء

على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة لم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاء بشرف
للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت
مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف
للايذان بان لهم حالا من فنون الكرامات ما لا يحذق به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم
نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة و
ايراثها تمليكها لخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوء من الجنة
حيث نشاء اي يتبوء كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا
يتمانع واردها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملئكة حافين محدقين من حول العرش الجين له
ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده
والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار
بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤنه عز وجل وقضي بينهم بالحق
اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملئكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون
هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملئكة ولما ذكرهم لتعيينهم وتعظيمهم عن النبي ﷺ من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله
تعالى رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم للتقاء الساكنين وامتناعها
بالخمار اقراء ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة تابيل وتابيل وبقية الكلام
فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله العزيز العليم كما في مطلع
سورة الزمر فالوجوه كلها وجوه التعرض لنعت العزة والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على هو المقصود والاضافة
فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام
للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو وبين الاولين
لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين
لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر
كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة
دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو يجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير
فحسب لا الى غيره لاستقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في ايات الله اي بالطعن
فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين
كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل
مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقايقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزالق

الاقدام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطامات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر فالتكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعا فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شئ امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما هم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم جميعا ينطق به قوله تعا كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وامثالهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيعيبوا به ما اراد وا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل ولا حقيقة له اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان اثاره ماثلة عرضة للناظرين ولآخذان هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي وجب و ثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة عما رسلهم المجادلة بالباطل لاداحض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام فان ذلك لاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته عم وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اى لانهم استحقوا اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازمتها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كذا بمن قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة لكونهم من اصحاب النار اى كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملئكة عليهم السلام واولهم وجودا وحلما اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن لفائهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده و محل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملئكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم و استدعاء ما يسعدهم في الدارين اى ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نهاية الى لا تتناهي ويؤمنون به ايمانا حقيقا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات وانمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظايفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعا في موقع القبول روى ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي عليه السلام لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملئكة فان خلقا من الملئكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه على الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع وفي الحديث ان الله امر جميع الملئكة ان يعذوا و يروحوا بالسلام عما حملة العرش تفضيلا لهم على سايرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة حضراء وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملئكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على

عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايمانهم على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول اى يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تفريع بعد اشعار للتاكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم و توسيط النداء بينهما للمبالغة في الجوار جنات عدن التي وعدتهم اى وعدتهم ايا ما وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا معتدا به لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح صاحبه وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف بهجتهم او على الكاف لكن لا بناء على الواحد العام للكل كما قيل اذ لا يليق ح للعطف وجعل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من دريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين ولد اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وبين الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فايدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثانية ضمني وقرئ صلح بالضم و ذريتهم بالافراد انك انت العزيز الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم اى الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها ايجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا بقرينة قوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تق المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها وال الوقاية وما في معنى البعد لما تقرر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد وصف المؤمنين بما سبق اثر ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اى من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا فيه باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى يبغضونها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهر واذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستجابا لارائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اى مقتا اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اى اماتتين واحيائين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل

امتنا فمتنا موتتين اشتين واحيتنا حياتين اشتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا سحتا او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا سحت او مجلف قيل اراد وا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية
اماتتهم عند انقضاء اجالهم على ان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشاء كذلك كما فى خولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء
البعث وقيل اراد وا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما فى القبر
وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النفس ضرورة تحقق حيوة الدنيا فدفوع
لكن لا باقيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم
احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك
الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا بحيث قالوا
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى اراد وه بقولهم هل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد
له واستشعار يأس منه لانهم قالوه بطريق القنوط البعت كما قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا ينكرونه
ويغوصون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه
فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف يجديهم نفعا واذا ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها
فى الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القرآن مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحيائين
وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليها ذكرا حسب ترتبهما عليها وجودا وتنكير سبيل للابهام اى من سبيل ما
كيفما كان وقوله تعالى ذلكم للجواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة
اى ذلكم الذى انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اى بسبب ان الشأن
اذا دعى الله فى الدنيا اى بعبد وحده اى منفردا كفرتم اى بتوحيده وان يشرك به
تؤمنوا اى بالاشراك به وتساروا حوافيه وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة
المضارع فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالهم كذلك فالحكم لله الذى
لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما يقتضيه الحكمة العلى الكبير الذى ليس كمثله شئ فى ذاته ولا
فى صفاته ولا فى افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية
لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذى يريكم آياته الدالة على شئونه العظيم
الموجبة للتفرد بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعلموا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة
وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب رزق وهو المطر
وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته
وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل و
استمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة
ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيها او وعى فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد
قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى من ليس كذلك وهو بمعزل من التذكر
والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن
ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون
ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات تخويف السموات على انه صفة مشبهة اضيف الى
فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى
المفعول بعيد فى الاستعمال اى رفيع درجات ملائكته اى معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو

العرش

العرش اى بالكيد وبما اخبر آنفا ان القوة لله جميعا وبما اخبر عنها اذا بعاقوشانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين
لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بما عليها فان ارتفاع معارج الملائكة الى
العرش وكون العرش العظيم المحيط بالكنائف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضته قدرة ما يقتضى
بكون علوشانه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية وراءها واما بجعلها عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية
كما لاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقى الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر مبنى على
انزال الوزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان انزال الوزق الجسمانى الذى هو المطر اى ينزل الوحى
الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذى ارید به الوحى
فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئا ومبتدئا من امره او صفة له على راى من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته اى الروح الكائن من امره او متعلق بيلقى ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما
خطيئاتهم اى يلقى الوحى بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبليغ
احكامه اليهم لينذر اى الله تعالى او الملقى عليه والروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عم
او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثانى اى لينذر الناس العذاب يوم التلاق و
هو يوم القيمة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثانى اتساعا وتوسعا
فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم
يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يستترهم شئ من جبل او اكمة
او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب اتاهم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون
عراة حفاة عزلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان واعمالهم وسوائهم لا يخفى على الله منهم
شئ استيناف لبيان بروزهم وتقريره وازاحة لما كان يتوهم المتوهمون فى الدنيا من الاستتار
تو هما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اى لا يخفى عليه تعالى شئ ما من عيانهم واعمالهم واحوالهم
الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع من السؤال والجواب
بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستانفة او مستانف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اى ينادى منادلمن الملك اليوم فيجيبه
اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة فى صعيد
واحد فى ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادى منادلمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وقيل هى حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التفرقات المجازية و
اختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الخ اما من تتمة
الجواب ببيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجة التى هى الحكم السوى والقضاء بالحق او حكاية لما سيقال
له تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر
لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اى سريع حسابه تماما اذ لا يشغله
تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة فى اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما اذا اخذ فى
حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون
ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع بحيث فيكون تعليلا
للانذار وانذرهم يوم الازفة اى القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق
الوقت وقيل الخطة الازفة وهى مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الازفة فانها ترتفع من

اما كنها فتلتصق بجلودهم فلا تعود فيستروحوا والتخرج فيستريحوا بالموت كما ظنين على الهم حال من اصحاب القلوب
على المعنى اذ الاصل قلوبهم اومن ضمير ما فى الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله
فظلت اعناقهم لها خاضعين اومن مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اى انذرهم مقدرا كظمهم اوشارفين
الكظم ما للظالمين من حميم اى قريب مشفق ولا شفيع يطاع اى لا شفيع مشفع على معنى نفى الشفاعة
والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمنار والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع
الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واسترقاق النظر اليها او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفى الصدور
من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر شل يلقى الروح للدلالة على انه مما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء و
الله يقضى بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم
من دونه تعالى لا يقضون بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فى حقه يقضى او لا يقضى وقرئ تدعون على
الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اى مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم
كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانماجئ بغير الفصل مع ان حقه التوسط بين موقفين
لمضاهاة افعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف واثارا فى الارض مثل
القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر اثارا منقلا اسيفا ورحا فاخذهم الله بذنوبهم
اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اى من واق يقيهم عذاب الله ذلك اى ما ذكر من الاخذ بانهم
بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه
قوى متمكن يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يوبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
وهى معجزاته وسلطان مبين اى وحجة قاهرة وهى اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما
بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها فى الآيات لانافتها افراد جبريل وميكال بمع دخولهما فى
الملئكة عليهم السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اى فيما اظهره من المعجزات وفيما
ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يديه من المعجزات القاهرة قالوا
اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم اى
اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه السلام واحس
بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعامنه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود
الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يديه وما كيد الكافرين الا فى ضلال اى فى ضياع وبطلان
لا يفنى عنهم شيئا وينفذ عليهم لاحالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار فى
موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جئ
به فى تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد و
اضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كان ملاؤه اذا هموا بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس
هذا بالذى تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ويقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة
واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دعاء اللعين وكفاره
انه كان قد استيقن ان نبى وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل
بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافرون له عن قتله ولولا هم لقتله وما كان الذى

يكفه الا مانى نفسه من الفزع الهائل وقوله تعالى وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف
ما يخافه انى اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اى يغير ما انتم عليه من الدين الذى هو عبارة عن عبادة
وعبادة الاصنام لتقربهم اليه او ان يظهر فى الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحاريب والتهارج
ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر
بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اى تتابع وتعاون وقال موسى اى لقومه حين سمع ما
تقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
صدر عليه السلام كلامه بما تاكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب
المنبئ عن الحفظ والتربية لانها الذى يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته فى العياذ به
تهو والتوكل عليه فان فى نظام النفوس تاثيرا قويا فى استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه
وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عذت
بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل
كان اسرائيليا او غريبا مؤمنا يكتم ايمانه اى من فرعون وملائه أتقتلون رجلا ان يقول قتله ان يقول او كراهة ان يقول ربى الله اى وحده من غير روية وتامل فى امره
وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها من ربكم
اضافة اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من
باب الاحتياط فقال فان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله وان يك
صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم اى ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان توضتم لبسوء
وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى التردد كونه كاذبا او يصبكم
ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه حقهم بها هو اظهر احتمالا عندهم وتغيير البعض بالكل
مستند لا بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لما ان مراده بالبعض
نفسه ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك فذلك الله واهلكه فلا حاجة
لكم الى قتله ولعله اراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض بانهم فى
كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على
بنى اسرائيل فى الارض اى ارض مصر لا يقاومكم احد فى هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من اخذه
وعذابه ان جاءنا اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاء لم يمنعنا منه
احد وانما نسب ما يترهم من الملك والظهور فى الارض اليهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يسوءهم من مجئ
بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم بليغ
فى حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم اى ما اشير عليكم الا ما ارى
واستصوبه من قتله وما اهديكم بهذا الراى الا سبيل الرشاد اى الصواب اولا اعلمكم الا ما اعلم
ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه
لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعطار لا من ارشد
كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل
وقال الذى آمن مخاطبا لقومه يا قوم انى اخاف عليكم فى تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل
يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعنى وقايعهم وجمع الاحزاب مع التصغير اغنى عن جمع اليوم مثل

وأب قوم نوح وعاد وثمود اى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفى فيه ارادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الاولوية يا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد حوقفهم بالعذاب الاخروى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او ينادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكى فى سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملئكة صفوفا فيمنعونهم يموج بعضهم فى بعض اذا سمعوا منادى يا قبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من يوم التناد اى منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبط يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم فى شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده اوحزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقر ببعضا بنفى البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف فى عصيانه مرتاب فى دينه شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد الذين يجادلون فى آيات الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او للمسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اى بغير حجة صالحة للتمسك بها فى الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اى مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه مبنعهما وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا اى بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر لعلى ابلغ الاسباب اى الطرق اسباب السموات بيان لها وفى ابهامها ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى الله موسى بالنصب على جواب الترجى وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان ينبى له رصدا فى موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه اوان يرى فساد قوله عليه السلام بان اخباره من آله السماء يتوقف على العلم بها عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استبنائه وانى لاظنه كاذبا فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه انهماكا لا يرعوى عنه بحال وصد عن السبيل اى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب اى خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اى اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على ساء عمله وقرئ وصد صدوا اى هو وقومه وقال الذى آمن اى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم

اتبعونى

اتبعونى فيما وللنكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اى سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغى والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اى تمتع يسير لسرعة زوالها واجمل لهم اولا ثم فوضا فتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنبعث فنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال وان الاخرة هى دار القرار الخلود ودوام ما فيها من عمل فى الدنيا نسيئة فلا يجزى فى الاخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار كرر ندائهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبرونى كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعل بعضهم من قبيل مالى اراك حزينا اى مالك تكون حزينا وقوله تكفر بالله تدعوننى لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به بشركته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ما ش بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى حق ووجب عدم دعوتهم الهكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الاظهور بطلان دعوته وقيل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لابد فعل من التبديد اى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الواو وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اى بالموت عطف على ان ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اى ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصايح وافوض امرى الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرسه من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شديد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب لمن خالفهم قبل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون اى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طايفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل و النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر لمبتدإ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط فى الحيوة ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان ال فرعون لم يحيوا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاء لهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك ان يكون مما يطلع عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا

به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما بناء على ما علم بحالهم واما للتأبيد بناء على ما دامت الدنيا
ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم فانه اشد
مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اى
يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون فى النار اى واذكر لقومك وقت تحاجهم فيها
فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كحزم فى جمع خادم او ذوى
تبع اى اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمغنون او بمحذوف على انه مفعول به اى دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل
اى محتملون عنا حاملين نصيبا اى واصب على المصدرية كشيئا فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فانه فى موقع غنا لكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اى نحن وانتم كيف نغنى
عنكم ولو قدر لا عيننا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه
ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فانك
تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد
له ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت
بما عللهم لخزنة جهنم اى للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او
لبيان محلهم فيها بان يكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين
بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اى مقدار يوم
او فى يوم تام من الايام على انه ظرف لا مفعول شيئا من العذاب واقتصارهم فى الاستدعاء على
ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا او تخفيف قدر كثير منه فى
زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان ولا يكادون يدخل تحت امانيهم قالوا اى الخزنة
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اى لم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج
الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اراد وابذلك الزامهم وتوبيخهم على اضافة او قات الدعاء
وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اى اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بل قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى قالوا فادعوا نصيبة
كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا اى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما تجيل
صدوره عنا وتعليل امتناعهم من الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح
عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن فى حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم
فى الاجابة بل اقناطهم واظهار خيبتهم حسما لصراحوا به فى قولهم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى ضياع
وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان
ان ما اصاب الكفرة من العذاب الحكى من فروع حكم كلى يقتضيه الحكمة وهو ان شانا المستمرا ان ننصر
رسلنا واتباعهم فى الحياة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل
والسبى وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق من صيرورة الغلبة امتحانا او الغيبة انما هى بالعرض
وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اى يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند
جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين

معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اى البعد عن
الرحمة ولهم سوء الدار اى جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع
واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعد التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا وذكرا
لاولى الالباب لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه فاصبر على ما لك من اذية
المشركين ان وعد الله اى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التى من جملتها ذلك حتى
لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تدارك لما فرط منك من ترك
الاولى فى بعض الاحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك
بالعشى والابكار اى دم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب
بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلوة العصر وصلوة
الفجر ان الذين يجادلون فى ايات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم فى ذلك من جهته تعالى و
تقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان الكلام فى امر الدين لا بد من استنادها الى سلطان
مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر
خبر لان اى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة والتقدم على
الاطلاق او الا ارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا انزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان فيها موقع جدال
ما اوان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا للمجادلة تتمة فى الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد
ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما اراده من الرياسة او النبوة وقيل للجادلون هم اليهود وكانوا
يقولون لست صاحبنا المذكور فى التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج فى آخر الزمان و
يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فتمنى الله تعالى
تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا امتناهم فاستعذ بالله اى فالتجأ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك
وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على
منهاج قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا
يعلمون لقصورهم فى النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوى الاعمى والبصير
اى الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ اى والمحسن والمسئ فلابد
ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسئ
لتاكيد النفى لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة و
العاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود والدلالة
بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اى تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ
على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة آتية لا ريب فيها اى فى مجيئها لوضوح شواهد ما
واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم
على ظواهر ما يحسونه وقال ربكم ادعونى اى اعبدونى استجب لكم اى اثبكم لقوله تعالى
ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اى صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء
بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة والمراد بالعبادة

الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبنى للمفعول من الادخال الله الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لتستريحوا فيه
وتقديم الجار والمجرور على المفعول قدمر سر تحريرا والنهار مبصرا اى مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل
عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم
مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية و
الربوبية انه ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك
يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى مثل ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح اصلا
يؤفك كل من جحد بآيات الله تعالى اى آية كانت لا اخلا آخر له وجه ومصحح فى الجملة الله الذى جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان
وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بالقسم والفاء فى فاحسن تفسيرية
فان الاحسن عين التصوير اى صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب
الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اى اللذائذ ذلكم الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك
الله اى تعالى بذاته رب العالمين اى مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه من ذاته و
وجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحى المتفرد بالحيوة
الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه
خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اى الطاعة من الشرك الجلى والخفى الحمد
لله رب العالمين اى قائلين ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه من قال لا اله الا الله
فليقل على اثرها الحمد لرب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى
البينات من ربى من الحجج والآيات اومن الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان
الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب
العالمين بان انقاد له واخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب اى فى ضمن خلق آدم
عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا والافراد لارادة الجنس اولارادة كل واحد من افراده
ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا
فشيئا ثم لتبلغوا اكمالكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه
على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ
الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اى ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت
الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكى تعقلوا ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر
هو الذى يحيى الاموات ويميت الاحياء او الذى يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا
اى اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شئ من الاشياء اصلا وهذا
تمثيل لتاثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على
تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتايج ما قبلها

من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون تعجيب من
احوالهم الشنيعة وآرائهم الوكيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب و
الشرايع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون فى ايات الله
الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير
فيه اى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن
الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية
وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اى بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى
محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او فى حيز النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى
بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل وصيغة الماضى للدلالة
على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا
به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحى والشرايع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال و
التكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال
ولفظ الماضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتداء حذف
خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العايد اى يسحبون بها وهو على الاولين
حال من المستكن فى الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فما
ذا يكون حالهم بعد ذلك يسحبون فى الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الباء على تقديم
المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال فى اعناقهم
فى معنى اعناقهم فى الاغلال او اضمار للباء ويدل عليه القراءة به ثم فى النار يسجرون يحرقون من سجر
التنور اذا ملاه بالوقود ومنه البحر للصديق كانه سجر بالجبت اى ملئ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع
العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا
اى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان
يروهم بها لهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم
نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اى
مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شئ ينفعهم فى الآخرة او كما ضل عنهم
الهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون فى الارض
اى تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى البطر
والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اى ابوابها السبعة المقسومة لكم
خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم
بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله
بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اى فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك الحقت
النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل
ذلك فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك اولم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد
العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الوجوع فى هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة

من اختصاص

وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر
الناس وما كان لرسول اى وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتى بآية الا باذن الله فان المعجزات على
تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس
لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب فى الدنيا والآخرة
قضى بالحق بانجاء الحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اى وقت مجئ امر الله اسم مكان
استعير للزمان المبطلون اى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا
اوليا الله الذى جعل لكم الانعام قيل هى الابل خاصة اى خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا
منها ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن للابتداء الغاية ومعنا ها ابتداء الركوب والاكل
منها اى تعلقهما بها وقيل للتبعيض اى لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص
ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم
الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب
والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد و
عليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو الستر فى فصله عن الركوب و
الجمع بينها وبين الفلك فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين البر وقيل هى الازواج الثمانية فتخ الركوب
والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منها يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منها مختص ببعض معين
منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به
كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته
وفور رحمته فاى آيات الله اى فاى آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور
بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل فالجملة وضعت لاى واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
وتهويل انكارها وتذكير اى هو لشيوع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء
غير الصفات كحمار وحمارة غريب وهى فى اى اغرب لابهامه افلم يسيروا اى اقعدوا فلم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ
استيناف مسوق لبيان مبادى احوالهم وعواقبها واثارا فى الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع
وقيل هى آثار اقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اى لم يغن عنهم اى شئ اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اى اظهروا الفرح بذلك
وهو ما لهم من العقايد الزايغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او على الطايع والتنجيم والصنايع
ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذى اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم بها ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويويده قوله تعالى
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا
بما اوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزايهم
فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا اى عذوبة عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك
قيل فلم يك بمجئ لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى بيان عاقبة كفرتهم وشدة قوتهم ما كانوا يكسبون بذلك
زعما منهم ان ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء وبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس
الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم

الاغناء

الاغناء وقد كثر فى الكلام فى مثل هذه الفاء وجئنا ما على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال و
الثالثة للجرى والتعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ
هو انهم كفروا فعبر بمجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا فلما رأوا باسنا آمنوا والرابطة للعطف على آمنوا
كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختيارى سنة الله التى قد خلت فى عباده اى سن
الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اى وقت
رويتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتداء محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتداء خبره تنزيل وهو
على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتداء محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم
متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتداء التخصصه
بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمبتداء محذوف وبنسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم
للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى اساليب مختلفة ومعان
متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اى فرقت بين الحق والباطل
او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى وقيل فصل من البلد فضولا قرانا عربيا نصب على
المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل
العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اى كائنا لقوم الخ او بتنزيل
على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اى بشيرا لاهل
الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية
لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على اعلى مراتب البلاغة فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة
قدره فيؤمنوا به وقالوا اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن
قلوبنا فى اكنة اى اغطية مكاثفة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر اى صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر
وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمتنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب
مبتدء من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات
تنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله وتحج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول
عليه السلام فاعمل اى على دينك وقيل فى ابطال امرنا انا عاملون اى على ديننا وقيل فى ابطال
امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد تلقين للجواب
عنه اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ
عنه قولهم فاعمل انا عاملون بل انما انا بشر مثلكم ناموس بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع
بينى وبينكم فان الخطاب فى الحكم محكى منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى
لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة فى العمل وقد دل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما انا بشر

شئكم وقد اوحى الىّ دونكم فصمت بالوحى الىّ وانما بشر بنوتى واذا صحت بنوتى وجب عليكم اتباعى فتامل والفاء
فى قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب مابعدها على ما قبلها من ايجاب الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم
اليه بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل
للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لايؤتون الزكوة
لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة حيث قيل وهم
بالاخرة هم كافرون وهو عطف على لايؤتون داخل فى حيز الصلة واختلفا بالفعلية والاسمية لما ان
عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر لايؤتون الزكوة بقوله لايقولون
لااله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لايطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى
ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لاينفقون فى الطاعة ولايتصدقون وقال مجاهد لايزكون
اعمالهم انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اى لايمن به عليهم من المنّ واصله القطع او
لايقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح كانوا
يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة للانكار واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق
كفرهم بالموصول حيث قيل بالذى خلق الارض فى يومين لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به لعلى العظيم
الشان الذى قدر وجودها اى حكم بانها ستوجد فى مقدار يومين اوفى نوبتين على ان ما وجد فى كل نوبة يكون
ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودهما وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها و
تجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل فى الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع للابان
يكون مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له اندادا والحال انه لايمكن ان يكون له ند واحد ذلك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته
فى العظمة وافراد الكاف للامر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره مابعده اى لك
العظيم الشان الذى فعل ما ذكر رب العالمين اى خالق جميع المخلوقات ومربيها دون الارض خاصة
فكيف يتصور ان يكون اخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى وجعل فيها رواسى عطف على خلق داخل فى حكم
الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله
تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بهما
كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان
يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستانف
واما مكان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسى
اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها موضحة لاهلها وينظر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار
ومطارح الافكار وبارك فيها اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوانات التى من جملتها الانسان
واصناف النبات التى منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان يوجد فيها سيقاتى لاهلها
من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين يقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها فى
اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر حصولها فى يومين وانما قيل فى اربعة
ايام اى تتمة اربعة تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اى استوت سواء اى
استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها وقرئ بالرفع اى هى
سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او

بقدر

بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى
الى السماء شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان لما يتعلق بالارض
واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادى معاينتهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان و
يزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره وهى دخان اى امر ظلمانى عبر عن
مادتها او عن الاجزاء المتصعدة التى ركبت هى منها او دخان حر تصعد من الماء كما سيأتى وانما خص الاستواء
بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء
بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اى كونا و
احدثا على وجهين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق
التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومأمور كما فى قوله كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل
لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما معدمان وقعا
موقع الحال اى طائعين او كارهتين وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اى منقادين تمثيل لكمال
تاثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امراه وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى
الحكمة البالغة فان الطوع مبنئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض
الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء
المجمل المعبر عنه بالامر وجواب لما انه فعل مترتب على تكوينها اى خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما يقتضيه
الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثانى فى يومين فى وقت
مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقدير هما فكان خلق الكل فى ستة
ايام حسبما نص عليه فى مواقع التنزيل واوحى فى كل سماء امرها عطف على قضاهن اى خلق فى كل منها
ما فيها من الملئكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين
كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او الوحى الى اهل كل منها او امره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف
نحو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وايا ما كان فعلى اقدر من التفصيل لما دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب
بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق والتسوية
عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء
وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على
الماء اضطرابا فاز بد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه البيوسة فجعله ارضا واحدا
ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق وجه الارض
يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثا ويوم الاربعا وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس
ويوم الجمعة وخلق آدم فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض متقدم
على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن
الحسن من انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد
الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر من موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا
فتقناهما الاية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء
دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغى ان
تاتيا عليه ائتى يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول

على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة ايتنا واتينا من المواناة وهي الموافقة وان خيرا ان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس
مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين
ويحمل على الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورة ان يكون دحوها على ذلك
التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله
ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها
وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه
داخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها
اكمل وليس بما روي عن الحسن بصافي تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على صعاد
الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان
خلق السماء مقدم على ايجاد الارض تفضلا عن دحوها فلابد من حمل الامر بإتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق
والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء
هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا
دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان
حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون
العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظنا ها
من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا
ذلك الذي ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله
تعالى قل ائنكم الخ اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد
هذا البيان فقل لهم انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المبني عن تحقق المنذر
صاعقة اي عذابا ما يلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته
تفعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى
واما جعله صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن
خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار
عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل
المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيئهم انفسهم فان
هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بها ذ بجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من
خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله اي بان
لا تعبدوا على ان مصدرية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء الله اي ارسال الرسل لانزل
الملائكة كما قيل فانه عارين افادة ما اراده من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملئكة اي
لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل انا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم
بهم كافرون لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملاء من قريش قد
التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال

عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد
خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا
لك الواء فكنت رئيسا وان كنت يك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش شئت وان كان بك
المال جمعنا لك ما تستغني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى
قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبوت
فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود
امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فانا
عاد فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما لحق كل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما
يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق
التعظم والولاية وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم من اشد منا قوة حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم
وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلها بيده اولم يروا اي اغفلوا اولم ينظروا ولم
يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اي قدرة فانه تعالى قادر
بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوة على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد
في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم وكانوا
بآياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اي ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على فاستكبروا والمعنى
تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك و
تحرق بشدة برد ها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير في
ايام نحسات جمع نحس من نحس نحسا نقيض سعد سعدا او قرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على
فعل او صف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا وقرئ لنذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى
الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يوجب عنه قوله سبحانه ولعذاب الاخرة اخزى و
هو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة وهم لا ينصرون يدفع العذاب عنهم بوجه من
الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات
التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب
بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاني فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على
الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون واهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به
العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة
والتعبير عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من
الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على
بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب
اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار للايذان
بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او
ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل

طرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون
ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اى جميعا غاية ليحشروا ويوزعون اى حتى اذا حضروها وما
مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من فنون
الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها اثارا اقتر فوها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد
بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للنخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات الكتبة
بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اى سألوها سؤال توبيخ لما روى انهم قالوا تعسا لكن كنا نناضل وفى رواية
بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود فى قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذى
انطق كل شئ لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اى انطقنا الله الذى انطق كل ناطق و
اقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما علتم بواسطتنا من القبايح وما كتمتمونا وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا
الله انطق كل شئ وليس ببدع لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا
بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم
اولا وعلى اعادتكم ورجعكم ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع هذه المحاورة بعد البعث والرجع
لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب
على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون الخ شهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اى كنتم
تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون الناس مخافة
الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبايح الخفية
فلا يظهر ما فى الاخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح بامارة تعالى حق لا بانها كانت عالمة
بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشى
او قرشيان وثقفى فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت
ذلك للنبى عليه السلام فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى ح يكون خاصا بمن كان على ذلك
الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازى يعم معناه الحقيقى وما يجرى مجراه من الاعمال المبنية عنه
كما فى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكى من الحال جميع اصناف الكفرة تحذير وذلكم اشارة الى ما ذكر
من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذى ظننتم بربكم
اردكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واردكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك السوء الذى اهلككم من الخاسرين
اذ صار ما من شانه ان ينال سعادة الدارين سببا لشقاء النشاتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اى محل ثواء واقامة
ابدية لهم بحيث لا برح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم
او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم فى غاية دركات النار وان يستعتبوا اى يسألوا العتبى
وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ ان يستعتبوا فما لهم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لفوات الممكنة وقيضنا لهم اى قدرنا وقرنا للكفرة فى الدنيا قرناء جمع قرين اى اخذنا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القبض على البيض وهو القشر وقيل القيض البدل منه ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما
بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب
ولا مكروه قط وحق عليهم القول اى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهى قوله

لاملئن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملئن جهنم
منكم اجمعين كامرا مرارا فى امم حال من الضمير المجرور اى كائنين فى جملة امم وقيل فى جملة مع وهذا كما ترى مرجح
فى ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والاخرين كما قيل
قد خلت صفة لامم اى مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم
كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والاخرين وقال الذين كفروا من رؤساء
المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اى لا تنصتوا له والغوا فيه و
عارضوه بالخرافات من الزجر والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بالتشويش على القارئ
وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اى
تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اى فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين والاعنين اجمع
الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون
اى جزاء سيئات اعمالهم التى هى فى انفسها اسوء وقيل انه ليجازيهم بمجامع اعمالهم كافة الملهوفين و
صلة الارحام وقرى الاضياف لانها محيطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنه عذابا شديدا يوم بدر واسوء
الذى كانوا يعملون فى الاخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اى ما ذكر من الجزاء
جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر
ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى
لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هى خبره اى هى بعينها دار اقامة لهم
فى للتاكيد وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مثله مبالغة لكمال ذلك فى الصفة او الدلالة على ان
حديد وقيل هى على معناها والمراد ان لهم فى النار المشتملة على الدركات دار الخصوصة هم فيها خالدون
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اى يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المقدر ينتصب
بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون
قدمت عليه للمراعاة الفواصل اى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يبلغون فيها وذكر الجحود لكونه
سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا الذين اضلانا
من الجن والانس يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى
بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا
تخفيفا كفخذ فى فخذ وقيل معناه اعطنا هما وقرئ باختلاس كسرة الراء لتجعلهما تحت اقدامنا
اى تدسهما انتقاما وقيل لنجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اى اذلا وحقارة
او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع فى بيان حسن حال المؤمنين فى الدنيا والاخرة
بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اى قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا
اى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة فان الاستقامة لها
الشان كله وما روى من الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فى معناها من الثبات
على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى
عند موتهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
بطريق الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبايح وقيل تتنزل عند
الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلثة عند الموت وفى القبر
وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه الا تخافوا ما تقدمون عليه فان

الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار
وقيل للرد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا
وان اما مقصورة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا على
انه حال من الملئكة او استيناف وابشروا اى سروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا على السنة
الرسل نزلوا من بشاراتهم فى احد المواطن الثلثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا الخ من بشاراتهم
فى الدنيا اى اعوانكم فى اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر
ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم بواسطة الملئكة وفى
الاخرة نحدثكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام
ولكم فيها اى فى الاخرة ما تشتهى انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال
من الدعاء بمعنى الطلب اى تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم فى اللوحين خبر وما مبتداء وفيها حال
من ضميره وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على قتشتهى للاشباع فى البشارة والايذان بانه مستقل لكل منهما
نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل
للضيف ومن احسن قولا ممن دعى الى الله اى الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضى الله عنهما
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
فى المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيما ذكر وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين اتبعها بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم
هذا قول فلان اى مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ انني بنون واحدة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
جملة مستانفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين
العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على اذية المشركين ومقابلة مساويهم
بالاحسان اى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفى
وقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن الخ استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اى ادفع السيئة حيث
اعترضتك من بعض اعاديك بالتى هى احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء
فان احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن
موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم بيان لنتيجة الدفع المامور
به اى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما يلقاها اى ما يلقى هذه الخصلة
والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اى شانهم الصبر وما يلقاها الا
ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى ابى سفيان
بن حرب وكان موذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا وامانزغنك من الشيطان نزغ
النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على
طريقة جد جده او اريد وامانزغنك نازغ وصف للشيطان بالمصدر وان صرفك الشيطان عما وصيت
به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك
العليم بنيتك او بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير و
تنفير عنه ومن آياته الدالة على شؤنه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من
مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانها من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره شانكم و
اسجدوا لله الذى خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او للاناث اولانها

عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة
المسجودية بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته تعالى
ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلابد من تخصيصه بسبحانه وهو موضع السجود
عند الشافعى رح وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند
ربك من الملئكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما وهم لا يسامون لا يفترون ولا يملون
وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع
بمعنى الذلل فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت
اذا دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت
اى ارتفعت ان الذى احياها بما ذكر بعد موتها لمحيى الموتى بالبعث انه على كل شئ من الاشياء
التى من جملتها الاحياء قدير مبالغ فى القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون
فى آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى
افمن يلقى فى النار خير امن يأتى آمنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المودية الى
ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم
وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبر ان سوء الخبر
السابق وقيل مستانف وخبر ما محذوف وقال الكسائى سد مسد الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى
وانه لكتاب عزيز اى كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر
به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات
صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتداء محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة
لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل
عدة من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بتقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله
تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال فى شانك
وشان ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى الامثال ما قد قيل
فى حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نفذ من قبلك
من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا
جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والغير للذكر لقالوا هلا فصلت آياته اى بينت بلسان نفقهه
وقوله تعالى اءعجمى وعربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء
للمبالغة فى الوصف كاحمرى والمعنى اكلام اعجمى ورسول او مرسل اليه عربى على ان الاخراد مع كون المرسل
اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا
او جمعا وقرئ اعجمى اى الكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمى على الاخبار بان القرآن اعجمى والمتكلم او المخاطب
عربى ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وايا ما
كان فالمقصود بيان آيات الله تعالى على اى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين
آمنوا هادى يهديهم الى الحق وشفاء لما فى الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدا خبره
فى آذانهم وقر على ان التقدير هو اى القرآن فى آذانهم وقر خبر للغير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول فى آذانهم ووقر فاعل
الظرف وقيل وقر مبتداء والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى

آذانهم منه وقروهن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اى للاولين هدى وشفاء
للآخرين وقر فى آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ما اشتمل
له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الشر مع ما فيه من كمال المناسبة
للنداء من بعيد اى اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن
الآيات الظاهرة التى يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمناداة
من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف
مسوق لبيان ان الاختلاف فى شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما
يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى وبالله لقد آتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب
وهكذا حال قومك فى شان ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك فى حق
امتك المكذبة وهى العدة بتاخير عذابهم وفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة نحو قوله
تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضى بينهم باستيصال المكذبين
كما فعل بمكذب الامم السالفة وانهم اى كفار قومك لفى شك منه مريب اى من القرآن وجعل الضمير
الاول لليهود والثانى للتورية مما لاوجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه
اى فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد
اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل
التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر
ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اى اذا
سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله تعالى وما يخرج من ثمرات من اكمامها اى من
اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجوالطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف
الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون
موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اى حملها وقوله تعالى
الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا
وضع واضع ملابسا بشئ من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم ينادى يوم يناديهم اين شركائى اى
بتوبيخكم كما نص عليه فى قوله تعالى اين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب
باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
قالوا آذناك اى اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا الحال
او ما منا احد الا هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء
اى ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك الما لان هذا التوبيخ مسوق بتوبيخ آخر
اجاب بهذا الجواب اولان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة
الباطلة لانا اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه اولان معناه الانشاء لا الاخبار باذان قد كان
قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اى يعبدون من قبل اى غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم
فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اى ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى
لا يسأم الانسان اى لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة واسباب المعيشة
وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اى العسر والضيقة فيئوس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء
ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره فى الشخص فيتضاءل ويتكسر

اى مبالغ

اى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس من
رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه
ليقولن هذا لى اى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى لا لغيرى فلا يزول عنى ابدا وما اظن الساعة
قائمة اى تقوم فيما سياتى ولئن رجعت الى ربى على تقدير قيامها ان لى عنده للحسنى اى للحالة الحسنى
من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الاخرة كذلك فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا اى لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرنا ما بصورها الحقيقية وقدر تحقيقة فى سورة الاعراف عند
قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب
غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اى عن الشكر ونأى بجانبه
اى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز ان يراد
به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض اى كثير مستعار لما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل ذى الطول
اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذى حكى عنه
اليأس والقنوط او شان الكل فى بعض الاوقات قل ارايتم اى اخبرونى ان كان اى القرآن
من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى من اضل
منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيقة
وكونه من عند الله فى الافاق هو ما اخبرهم النبى عليه السلام من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية
وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق
والمغارب على وجه خارق للعادة وفى انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن
عباس رضى الله عنهما فى الآفاق اى منازل الامم الخالية وآثارهم وفى انفسهم يوم بدر وقال مجاهد
والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عم والمسلمين وفى انفسهم فتح مكة وقيل فى
الآفاق اى فى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار
والاضواء والضلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفى انفسهم من لطيفة الصنعة وبديع
الحكمة فى تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى
وفى انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان مع السين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك انه
تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقايقها يوما فيوما حتى يتبين
لهم بذلك انه الحق اى القرآن او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استيناف وارد
لتوبيخهم على تردد هم فى شان القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره
تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى لم يغن ولم يكف ربك والباء
مزيدة للتاكيد ولا يكاد يزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شئ شهيد بدل منه اى الم يغنهم عن
اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء
وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى انفسهم يرونه
ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد اى مطلع
يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى
هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل
شئ شهيد محقق له فيحقق اريك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع

اشعاره بالايليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود برده مولكنا الا انهم
في مرية من لقاء ربهم اى في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان علم الكفاية معتبر
بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شئ محيط عالم بجميع الاشياء جملها و
تفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل لمناسبة سائر الحواميم و
قرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتداء محذوف وقيل حم مبتداء عسق خبره وعلى الكل الكل خبر واحد وقوله تعالى
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة
موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق
او ان ايحاء ما مثل ايحائها بعد تنويعها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف في حيز النصب على
انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الكل وذلك على الاول اشارة الى ما فيها و
على الكل الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اى مثل ما في هذه
السورة من المعاني اوحى اليك في سائر السور والى ما قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة تماثل الكل
اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحى
اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغاير له كما في قوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المماثلة كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال
الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادة وفي جعل مضمون السورة اوايحائها مشبها بمضمونها
ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق
وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتداء ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند
الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتداء كما
في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان وقوله تعالى له ما في السموات وما في
الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات
وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطره وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وشذوذ
من فوقهن اى يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات واد لها
على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الكل للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة
الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها
في معنى الارضين والملئكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون
لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة
واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو قصر
الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى و
يستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ

عظيم من رحمة تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الكل بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه و
ان تركل معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملئكة وفرط غفرانه ورحمته فيها
رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه
اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت
عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا
وكذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا مفعول لاوحينا اى ومثل
ذلك الايحاء البديع البين الفهم اوحينا اليك قرانا عربيا لالبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة
الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير لهم فالكاف في محل المفعول به لاوحينا وقرانا
عربيا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر ام القرى اى اهلها وهي مكة
ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اى يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل
يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل تارة بالباء
وقد حذف ههنا انا في مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وابهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اى بعد جمعهم
في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين كدلالة
الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اى تنذر يوم جمعهم متفرقين اى مشارفين للتفرق او متفرقين
في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اى في الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين
وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في
رحمته انه تعالى يدخل في رحمة من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في
ان مشيئته تعالى كل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة
والعذاب اختلاف حال الداخلين فيها قطعا فلم يشا وجعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء
اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة للاقيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنيهم
كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى
امرهم على ان يختاروا ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير
ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين بإباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته
اذ الكل داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تقديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه
سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو
شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من
الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اى شانه ذلك فيرسل الى الكل
من ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة و
يدخلهم في رحمة ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه
من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا
من دونه اولياء جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصير ولم منقطعة

وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده
لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شئ لان ذلك
نوع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اى بل اتخذوا ومجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها
حيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء
ان ارادوا اولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اى ومن شانه ذلك
وهو على كل شئ قدير فهو الحقيق بان تتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ وما اختلفتم
فيه من شئ حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اى ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين
فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم
العظيم الشان الله ربي ما لكي عليه توكلت في جامع امور خاصة لا الى غيره واليه اينيب
ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة
متعددة متجددة حسب تجدد مواد ما اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل ما
اختلفتم فيه وتنازعتم من شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا
على حكومته حكومة غيره وقيل ما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من
كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي
لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كحقيقة الروح ولا يساغ حمل هذا على الاخبار
لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلوة والسلام فاطر السموات والارض خبر آخر او خبر لمبتدا محذوف
او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله
وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار
والمجرور على المفعول المصرح قد مر سره غير مرة ومن الانعام اى وجعل للانعام من جنسها ازواجا
اوخلق لكم من الانعام اصنافا اوذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو
والذر فيه اى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم كالمنع للبث
والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ في شان من الشئون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد
من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عنه من يناسبه كان
نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفة له اى ليس كصفته صفة و
هو السميع البصير المبالغ في العلم بكل مسمع ومبصر له مقاليد السموات والارض اى خزائنها ينبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق حسبما يقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل
شئ عليم مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها
وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابرهيم وموسى وعيسى وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين
عليهم الصلوة والسلام نبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الكل والخطاب لامته عليه السلام اى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرايع واولي العزائم من مشاهير الانبياء عليهم
الصلوة والسلام وامرهم به امرا مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاستماع قلوب
الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شان موسى عليه السلام وتفرد النصارى
في حق عيسى عليه السلام والاخيرين من نبي الا وهو مامور بما امر وبه وهو عبارة عن التوحيد ودين
الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرايع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية

فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان المامور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلوة والسلام اما ذكر في صدر
السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا الآية او ما يعمها وغيرها مما وقع في سائر المواقع التي من
جملتها قوله تعالى اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلوة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شانه من
تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الايات المذكورة ولما في
الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال
الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم نوح عليه السلام للمسارعة
الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه
على انه تعالى شرعة لهم على لسانه عليه السلام ان اقيموا الدين اى دين الاسلام الذي هو توحيد
الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل
اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه او التشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من
مفعول شرع والمعطوف عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشاء من ابهام المشروع كانه قيل وما
ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء
الى النبي عليه السلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم
السلام وتوجيه النهي الى امهم تحمل ظاهر ان الاظهر انه متوجه الى امته عليه السلام وانهم المتفرقون كما
ستحيط به خبرا اى لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف
الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع في
بيان احوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم اى عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد
ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وقوله تعالى
الله يجتبي اليه من يشاء استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اى
الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه
قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما
تفرقوا شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال
ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم
العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقيقة حسبما وجدوه
في كتابهم او العلم بمبعثه عليه السلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى
وما تفرقوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجئ العلم او الا وقت مجئ العلم
بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة ولو لا كلمة سبقت من ربك وهي العدة
بتاخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيمة لقضي بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم
لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الخ بيان لكيفية كفر
المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ وَرِثوا ووُرِثوا اى وان المشركين الذين
اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع
في القلق او في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كذا
اهل الكتابين واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد

بينهم مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد دوام متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام فيرده قوله تعا
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين
بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين
بعث الله تعا النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم
المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار واهمال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال
هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه
اولئك الاعلام عليهم الصلوة والسلام تاكيد الوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف
فيه فالتعرض لبيان تفرق امهم عنه ربايوهم الاخلال بذلك المرام فلذلك اى فلاجل ما ذكر من التفرق
والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القديم الحقيق بان يتناصر فيه المتناصرون فادع اى الناس
كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين
لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية
والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم ثانية التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع والام
بمعنى الى كما فى قوله تعالى بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه
كما امرت واوحى اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب
كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى
الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة
البقرة وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل
معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بالا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم ولا فرق بين اكابركم واصاغركم
والآن اما على حقيقتها والمامور به محذوف اى امرت بذلك لاعدل اوزائدة اى امرت ان اعدل والباء مخذوفة
الله ربنا وربكم اى خالقنا جميعا ومتولى امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا
ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها ما نستفيد بجنايتكم ولا تتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اى الحاجة
ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة وللتخالف محل سوى المكابرة الله يجمع بيننا يوم
القيمة واليه المصير فينظر هناك حالنا وحالكم ونذاكم كما ترى محاجزة فى مواقف المجادلة لا متاركة فى
مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال والذين يحاجون فى الله اى فى دينه من بعد ما استجيب
له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما
استجاب الله لرسوله عليه السلام وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا ببعوته ع
واستفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم و
بينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم ذالة زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا و
انما عبر عن ابطالها بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم بمكابرتهم الحق بعد ظهوره
ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذى انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق ملتبسا به
فى احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذى يوازن به الحقوق
ويستوى بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اى اى شئ يجعلك
عالما لعل الساعة التى تخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اى شئ قريب او قريب مجيئها
وقيل بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل
به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها

الذين

الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا المحق اهو الذى
نحن عليه ام الذى عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع
الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها
من المرية او من مريت الساعة اذا مسحت ضرعها بشدة المحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند
صاحبه بكلام فيه شدة ففى ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى
تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بتبليغ البر بهم يفيض عليهم
من فنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون يرزق من يشاء ان يرزقه كيف ما يشاء
فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر
القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة الحرث
فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتايجها
بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المقتضى لتشبيه الاعمال
بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى
سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها
اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له فى الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة
على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة
للتقرير والتقريع نسب عوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد
الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم واغتنائهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة
لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاخير الجزاء والعدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب
اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة
لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة الخطاب
لكل احد ممن يصلح له للقصد الى سوء حالهم غير مختص برؤيته رأى دون رأى مشفقين خائفين
مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وبالهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة
حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات مستقرون
فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل
لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة
الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير
الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفوز الكبير هو الذى يبشر الله عباده اى يبشرهم
به فحذف الجار ثم العايد الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى
يبشره الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسالكم
عليه روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسئال على ما
يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا قط الا المودة
فى القربى اى الا ان تودونى لقرابتى منكم او توددوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى

متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا
رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي
عليه السلام حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من
ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا القيتني يوم القيمة وقيل القربى التقرب
الى الله تعالى اى الان تودوا ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة
في القربى ومن يقترف حسنة اى يكتسبها حسنة كانت فتتناول مودة ذوي القربى تناولا اوليا
وعن السدي انها المزادة وقيل نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اى في
الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن
اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل بالزيادة ام يقولون بل يقولون
افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار والتوبيخ كأنه قيل
اينبغي لكون ان ينسبوا مثله عليه السلام وهو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو
اعظم القرى والفحشها وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما
قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون
القرآن افتراء عليه تعالى مقول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي عليه السلام بل يشاء عدم صدوره
عنه ومن ضرورة منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان
يشاء ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث
لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ
يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه
استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم
على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله
الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه
بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف مقرر لنفي الافتراء
غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو وكما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ
كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اى ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه
كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسوله
الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمح الباطل الذي هم عليه من الكهانة والتكذيب ويثبت الحق الذي
هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليه انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها
اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن المعاصي
بالندم عليها والعزم على ان لا يعاود ابدا وروي جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي
رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة
فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز

حسبما

حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا و
عملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم والمراد
اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما لنا
ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويزيدهم من فضله
على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل من المؤمنين من الثواب
والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا وتعديا
بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد
فيما يجري من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اى بتقدير ما يشاء ان ينزله بما تقتضيه
مشيته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلايا ما فيقدر لكل واحد منهم في كل
وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة
الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا اتجاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اى المطر الذي
يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالمنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه و
تقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا للتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اى بركات
الغيث ومنافعه في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما
اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان وينشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك
لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنايع فانها بذاتها و
صفاتها تدل على شؤنه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من
حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او ما يدب على الارض فان ما يخلق باحد الشيئين المجاورين
يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون
للملئكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون
فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي عم
قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اى
حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد
بالمشية جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من
مصيبة اى مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اى فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما
شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن
كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لا سبابا آخر منها
تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضى عليكم من المصائب و
ان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير
يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري في الوصل اجراء للوقف مجرى
الوقف كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح التي يجريها
وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اى غير جاريات

لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي بحرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيته تعالى
آيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤنه تعالى لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه
عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان
نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشاء يسكن الريح فيركدن او
يرسلها فيغرق بعضها وايثاق الايباق عليها مع انه حال اهلها للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على الغصوني
قوله تعالى ويعفو عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينجي آخرين بطريق العفو وقرئ ويعفو على
الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى
ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرها وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم
عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشاء يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم مالهم من محيص اي من
مهرب من العذاب والجملة معترضة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على جملة يسكن الريح فيركدن
الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه و
ابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول
لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاءه ما ايتاه لتمتع بها في الحيوة الدنيا وخلت جوابها الفاء بخلاف
الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى و
الذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون معا بعد
عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء
بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك والذين استجابوا
لربهم واقاموا الصلوة نزل في الانصار وعاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له
وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا يقطعون برايا حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعد ما
اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة
لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على اجمله
الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لا ينافي
وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن
العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا
انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مقر كوضع السيف
في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتقام من الخصال الحميدة مع كونه
في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما
ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق سيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به
فمن عفى عن المسيئ اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد
المعهود انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما
ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير بن لها باعتبار اللفظ ما عليهم من
سبيل بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون
في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما
ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر

لمن ظلمه

لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك
منه لخذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم ونحا في المواد التي لا يؤدي العقول الشر كما
اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى
الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة
الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اي على النار الدال عليها العذاب
والخطاب في الموصفين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل منذللين متضائلين مما دهاهم
ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الا السيف
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض
للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا او القول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك
الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم
او تصديق من الله تعالى وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما
كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم
اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على
ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه
وما لكم من نكير اي انكارا لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا
فما ارسلناك عليهم حفيظا تسلية للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له
الى الرسول عليه السلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم
ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن
فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته
بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير
الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير
الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بما عالمها للايذان
بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا
الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما
كيف يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلمه وما لا تعلمه يهب لمن
يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم
اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا امعنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما
او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على
ما يقتضيه المشية فمنهم من يهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر وانثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم
الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان سياق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيته تعالى لا ما يتعلق
به مشية الانسان والاناث كذلك اولان الكلام في البلاء والعرب تعد حصر اعظم البلايا او لتطييب قلوب
آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الاول وكرر الثاني وغير العاطف في الثاني لانه قسيم المشترك
بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لاضاحة بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان
احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا وللنبي عليه السلام ذكورا

وانا ثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما
كان لبشر اى ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا اى الا بان يوحى
اليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد
اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره او بان يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير ان
يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل لحال الملك المحجب الذى يكلم
بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملئكة عليهم السلام
او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اى ملكا فيوحى ذلك الرسول الى المرسل
اليه الذى هو الرسول البشرى باذنه اى بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى
بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام فى عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى او
يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح
ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروى ان اليهود
قالت للنبى عليه السلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل
ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عايشة رضى الله عنها من زعم ان محمدا
راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فنقلت هذه الآية انه على متعال عن صفات
المخلوقين لاياتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجرى افعاله على وفق
الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اى ومثل ذلك الايحاء البديع
اوحينا اليك روحا من امرنا هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية
وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليها السلام ارساله اليه بالوحى ما كنت تدرى قبل الوحى
ما الكتاب اى اى شى هو ولا الايمان اى الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب من الامور التى لا
يهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان دراية عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا
ولكن جعلناه اى الروح الذى اوحيناه اليك نورا نهدى به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذى
يعرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدى تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها و
مفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور اى وانك لتهدى بذلك النور من تشاء هدايته الى صراط مستقيم
هو الاسلام وسائر الشرايع والاحكام وقرئ لتهدى اى ليهديك وقرئ لتدعو صراط الله بدل
من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذى له ما فى السموات وما فى الارض لتفخيم
شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اى امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد
للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
حم عسق كان ممن يصلى عليه الملئكة ويستغفرون له ويسترحمون له

حم الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس من الاظهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما
قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير
كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تاكيد مضمون

الزخرف

الجملة القسمية المبين البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طرق
الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الديانة انا جعلناه قرانا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان
مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غاية التى يرجع عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة
الى التحقيق والتاكيد لكونها مبنية عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اى جعلنا ذلك
الكتاب قرانا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من
الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتقطعوا اعذاركم بالكلية وانه فى ام
الكتاب اى فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اى عندنا
لعلى رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل
الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على
الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه
من علو الشان بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على
ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شى آخر اولى
منه بالاقسام به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذى ابناء عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى
وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القرآن العظيم وحقية انزاله على لغتهم ليعقلوه و
يؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اى نمحيه و
بعده محكم مجازمن قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه استعارة بالكناية حيث شبه الذكر بالابل والقرينة
كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اى انهملكم فننحى الذكر عنكم صفحا اى اعراضنا
عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية مبنية عن الصفح والاعراض قطعا كانه
قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اى افنتحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين
اى لان كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضت تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر
والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول
الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاجتهالهم و
الجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا
به يستهزءون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من هؤلاء القوم
المسرفين عدة له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات
حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها ان
تسير مسير المثل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن
خلقها الى من هذا شانه فى الحقيقة وفى نفس الامر لانهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة
للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلايل الصفات والافعال وما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء
امر بين لا ريب فيه وان المحيد عنه ضائع عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى
الذى جعل لكم الارض مهدا استيناف من جهته تعالى اى بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا
تسلكونها فى اسفاركم لعلكم تهتدون اى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى
التوحيد الذى هو المقصد الاصلى والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه المشية المبنية
على الحكم والمصالح فانشرنا به اى احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء والنبات بالكلية

الجثية

وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال
العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج
النبات من الارض تخرجون اى تبعثون من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالاشارة الى
هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال
وتوضيح مناهج القياس والذى خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما
الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله فوج
كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا
على الفلك للانعام فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك وكونها بحيث للامرين امكانيتها وكون حركتها
غير ارادية كما فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا على ظهور
ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها
بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا
متعجبين من ذلك كما يروى عن النبى عليه السلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلثا و
هلل ثلثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينا لان الصعب
لا يكون قرينا للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وانا الى ربنا لمنقلبون اعتراف
المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يوفى قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اى
راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى
الانقلاب الى الله تعالى فيهيئ اموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما ياتى ويذر
امرا ينافيها ومن ضرورة ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن
سالتهم الخ اى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر
عنه بالجزء لمزيد استحالة فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين
ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات
ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان
جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شانهم وقوله تعالى واصفاكم
بالبنين اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف
المشهور والالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين و
اختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالة
وامتناعه اما كان لكم شئ من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول
من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتوصيفهن
بالبنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استيناف
مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والتفات
للايذان باقتضاء ذكر قبايحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعلها
مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما
بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر
ووجهه مسود جملة ونعت خبر له اومن ينشأ فى الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر

معطوف

معطوف على جعلوا اى اوجعلوا من شانه ان يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامر نفسه فالهمزة للانكار
الواقع واستقباحه وقد جوز انتقالها بها بمعنى معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده
واتى بها بين المعطوفين لتذكير ما فى ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف للتغاير العنوانى اى او
اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور فى الخصام اى الجدال الذى لا
يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله
وضعف راية واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشا وينشا من
الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملئكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله
عز وجل انقصهم راية واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا
وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى حضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا
بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو جهيل لهم وتهكم بهم وقرئ اشهدوا ابنيتين مفتوحة و
مضمومة وآشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم ويسالون عنها
يوم القيمة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزءا وان
له بنات وانها لملئكة وقرى يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
بيان لفن آخر من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشية ارتضاء ما عبدناهم اراد وابذلك بيان
ان ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيته تعالى لا لاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه
بمشيته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذلك دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على
مقدمتين احديهما ان عبادتهم لهم بمشيته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى
ولقد اخطاوا فى الثانية حيث جهلوا ان المشية عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان
من غير اعتبار الرضا او السخط فى شئ من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك
اى بما اراد وا وبقولهم ذلك من كون ما فعلوه مشية الارتضاء لا بمطلق المشية فان ذلك محقق ينطق به ما
لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتحاولون تحملا باطلا وقد
جوز ان يشار ذلك الى اصل الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها
علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم
كتابا من قبله من قبل القرآن اومن قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب
مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اى لم
ياتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعتمدوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة
التى تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد
وقوله تعالى على اثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر كما ذكر من
عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك ودال على ان التقليد
فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان
التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الا التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين
امهم عند تقلدهم بتقليد آبائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لامم اولو جئتكم اى
اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست

من الهداية في شئ وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحى
حينئذ الى كل نذير لاعلى انه خطاب للرسول عليه السلام كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
فانه حكاية عن الامم قطعا اى قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الهي وقد اجمل عند الحكاية على تغليبه على سائر
المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائره قوله تعالى
كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستيصال فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابرهيم اى واذكر لهم وقت
قوله عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبراء مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون
وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او يقلدوه وان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف
آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ و
براء بضم الباء كظريف وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اى انني برئ من عبادتكم او معبودكم
الا الذى فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله
والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اى انني براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرني فانه سيهدين
اى سيثبتني على الهداية او سيهدي الى ما وراء الذى هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتأكيد دون
التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اى جعل ابرهيم كلمة التوحيد التي تكلم
به عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اى في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها
ابرهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه
على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اى جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء
الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في
عقبه بان وصى به بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت هؤلاء
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة واباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة
وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اى هؤلاء الحق اى القرآن و
رسول اى رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات
البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة
باقية الخ مبالغة في تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر و
التبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقبح مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق
لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازداد واكفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة
الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستخفوا بالرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اى من احدى القريتين مكة
والطائف على نهج قوله تعالى منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة
المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة
بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول عليه السلام دون من ذكر من
عظمائهم مع اعترافهم بقرائنه بل استند للاعلى عدها بمعزل انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء
على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا
انها مرتبة روحانية لا يترقى اليها الا هم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتجلين بالفضائل الانسية واما المترفون بالزخارف الدنيوية الممتعون بالحظوظ الدنية فهم

من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجب من تحكمهم
والمراد برحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم في الحيوة الدنيا فمنه يتقنيها
مشيتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم
فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعايش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد جسما يتقنيه
الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليعرف
بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا و
يصلوا الى مراقبهم لا كمال في الوسع ولا لنقص في المقدر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لفشاعوا و
هلكوا فاذا كانوا في تدبير حويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف التمام على
هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو بعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر
النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين
خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى لولا ان يكون الناس امة واحدة
استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شانه بحيث
لولا ان يرغب الناس لجهلهم الدنياء الكفار اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطينا ه
بحذافيره من هوشر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة اى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد
المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة
كسفن وسفينة وقرئ سقفا بكون القاف تخفيفا وسقفا كالكتاف وجمع البيوت وسقفا كانه
لغة من سقف وسقوف ومعارج اى جعلنا لهم معارج من فضة اى مصاعد جمع معرج و
قرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اى يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اى وجعلنا
لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اى على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة
التقرير وزخرفا اى زينة عطف على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما
متاع الحيوة الدنيا اى وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شئ يتمتع به في الحيوة
الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيفها على ان ان هي المخففة و
اللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اى للذى هو
متاع الحياة كما في قوله تعالى تماما على الذى احسن والاخرة عما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان
خير عند ربك للمتقين اى عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا
ومن يعش اى يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة
للعالمين وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا
آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفوط
اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له
قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن
رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اى الشياطين الذى قيض على واحد منهم لكل واحد
من يعشو ليصدونهم اى قرناءهم نظرا لجمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان ما افراد الضمائر
السابقة باعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذى يدعو اليه القرآن ويحسبون اى
العاشون انهم اى الشياطين مهتدون اى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم او

يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك للاتحاد
مسلكها والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتداء اومن فاعله اومنهما لاشتمالها على ضميريهما والى انهم
ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة للدلالة
على الاستمرار التجددى لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية
لكنها تقتضى حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضميرين فى جاء وما بعده ملاحظة لافراد حكاية
مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينة تهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ذكر
من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال
مخاطبا له يا ليت بينى وبينك فى الدنيا بعد المشرقين اى بعد المشرق والمغرب اى تباعد كل منهما عن
الآخر فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اى انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الخ
حكاية لما سيقال لهم حتما من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اى لن ينفعكم اليوم اى يوم القيمة تمنيكم
لمباعدتهم اذ ظلمتم اى لاجل ظلمكم انفسكم فى الدنيا لاتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم
بدل من اليوم اى تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال اذا ما
انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين انى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون
تعليل لنفى النفع اى لان حظكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا
ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراكم فى العذاب كما ينفع المواقعين فى شدائد الدنيا
اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل اعبائها وتقسمهم لاعبائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقة كما قيل لان
الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم
معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا او
قولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتستشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ
فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا عتيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما
يسمعونه من بينات القرآن فقيل افانت تسمع الصم او تهدى العمى وهو انكار وتعجيب من ان يكون هو الذى
يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عما مقروا
بالصمم ومن كان فى ضلال مبين عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن
والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم منه لا توهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز الى انه لا
يقدر على ذلك الا الله وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نبصرك
عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة فى الدنيا والاخرة فما مزيدة
للتاكيد بمنزلة لام القسم فى انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذى وعدناهم اى اوردنا
ان نريك العذاب الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا و
قهرنا ولقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذى اوحى اليك من الآيات والشرايع
سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك وسوف
تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اى واسأل اممهم
وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذه المجاز التنبيه على ان
المسؤل عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء
هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجعلنا من دون

الرحمن

الرحمن آلهة يعبدون اى ان حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من ملليهم والمراد به الاستشهاد باجماع
الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى آياتنا
ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين اريد بالقصة تسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثرا اشير الى اجماع الرسل عليهم السلام عليه
فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون اى فاجؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتاملوا
فيها وما نريهم من آية من الآيات الا هى اكبر من اختها اى الا وهى بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث
يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير
ملاحظة قصور فى شئ منها او الاوهى مختصة بفرد من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها و
اخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم عليه من
الكفر وقالوا يا ايها الساحر ادعوه بذلك فى مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا
يقولون للعالم الماهر الساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف
عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة انا لمهتدون اى للمؤمنون على تقدير كشف العذاب
عنا بدعوتك لقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون
فاجاؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقدر تفصيله فى الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه فى
قومه فى مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى اى من تحت قصرى
اوامرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى والواو اما عاطفة لهذا على الانهار
على ملك مصر فتجرى حال منها او للحال فهذه مبتداء والانهار صفتها وتجرى خبر للمبتداء افلا تبصرون ذلك
يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه الملكة والبسطة من هذا الذى هو مهين اى ضعيف حقير من
المهانة وهى القلة ولا يكاد يبين اى الكلام قاله افتراء عليه ع وتنقيصا له عليه السلام فى اعين الناس
باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام انا
منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال انا خير عدد اسباب فضله ومبادى خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم ام انا خير
وهذه حالى من هذا الخ واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا
قالوا له انت خير نهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة
السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القى عليه اسورة من ذهب
اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب
واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساور
وقرئ والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملئكة مقترنين
يعضدونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم
وطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخفهم اعلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين
فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوى فلما اسفونا اى اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف
اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فى اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من
الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به او جمع سالف كخدم
جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اى فريق قد سلف كرغف او سالف كغبر او سلف كاسد

وقرئ سُلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سالفة اى ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اى عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسيرة الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اى لما ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملئكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فضج به قومه وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اى من ذلك المثل يصدون اى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون اى من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اى يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض ويزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وعوا لآلهتهم بمعنى المفاجأة وقالوا آلهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوا تمهيدا لما ينوا عليه من الباطل الموءة بما يغتر به السفهاء اى ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا حيث كان هو فى النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها وعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه لما يجب تنزيه ساحة عليه السلام عنه من شائبة الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبى عليه السلام بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانكم تعبدون الاصنام فنزه عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سئل الفاجر عن الخصوص والعموم عما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعمه للكل لكن بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك ان الملئكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدل والخصام لا لطلب الحق حتى يدعنوا له عند ظهوره بيانك بل هم قوم خصمون اى لتشددا الخصومة يجبولون على الحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا الخ او اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملئكة فقولهم آلهتنا خير ام هو حتم تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملئكة ومعنى ما ضربوه لك ما قالوا هذا القول الا لاجل الجدال وقيل لما نزل ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان يعبدوه وانه يسأل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون والضمير فى ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التفضيل على العكس عليهم من قولهم الملئكة بنات الله تعالى وعن عبادتهم لهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملئكة وهم نسبوا اليه الاناث فضلا عن ان هو الا عبد انعمنا عليه اى بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اى امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استيناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم فى شأن الملئكة وعلى الثانى والرابع لبيان انه ليس باطل بيا طل او بباطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبد قصارى امره انه من انعمنا عليه بالنبوة وخصصناه ببعض الخوارق البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم

بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتح عبدة الملئكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشفا واخف منهم حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ان عيسى فى الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليه السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبودية او كيف يتوهم الرضى بمعبوديته نفسه وقوله تعالى ولو نشاء الخ تحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملئكة ايضا من درجة المعبودية اى قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اى لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة ملئكة كما خلقناهم بطريق الابداع فى الارض مستقرين فيها لما جعلناهم مستقرين فى السماء يخلفون اى يخلفونكم مثل اولادكم فيها يأتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم سخفا قدمهم للعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه اى عيسى لعلم للساعة اى بنزولها شرط من اشراطها او تسمية علما لحصوله بها وبحدوثه بغير اب او باحياء الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة وقرئ لعلم اى علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال له افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما انه فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فى وقوعها واتبعونى اى واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى هذا اى الذى ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير فى انه له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعى انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج ابويكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اى المعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال لبنى اسرائيل قد جئتكم بالحكمة اى الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر ينبئ عنه المجئ بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس ببانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله فى مخالفتى والميعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان للامر بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا اى التوحيد والتعبد بالشرايع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او استيناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اى من بين من بعث اليهم من اليهود و النصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اى ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم اى الا اتيان الساعة بغتة اى فجاءة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون فى الدنيا على الاطلاق او فى الامور الدينوية يومئذ يوم اذ ياتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق المحبة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون للمتحابين فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اى مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا

عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادى مناد يا عبادى غير فزع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم تتبعها
الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات
تجبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما
بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما مر وبه بصحاف من ذهب
واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة
ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اى فى الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ
وقرئ ما تشتهى وتلذ الاعين اى تستلذه وتقع بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام
للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لامحالة والالتفات للتشريف وتلك
الجنة مبتدأ وخبر التى اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلف العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره و
قيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما فى الاولين
لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اى بعضها تاكلون
فى كل نوبة واما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرة لحظة فهى حزينة بالثمار ابدا موقرة
بها وعن النبى عليه السلام لانزع رجل فى الجنة من ثمرة الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اى الراسخين فى الاجرام
وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات فى عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون
هو الخبر وفى متعلقة به لا يفتر عنهم اى يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا و
التركيب للضعف وهم فيه اى فى العذاب وقرئ فيها اى فى النار مبلسون آيسون من النجاة وما
ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمون لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار
يا مالك وقرئ يا مال الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقضى
علينا ربك اى ليمتنا حتى تستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضى علينا وهذا الاينافى
ما ذكر من ابلاسهم لانه جوار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اى فى العذاب ابدا لاخلاص
لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل
بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع
من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك وبينهما لسببية كلمتهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق
اى حق كان كارهون اى لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذى هو التوحيد او القرآن
فكلهم كارهون له مستهزؤن منه ام ابرموا امرا كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء
والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهو لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام
صورة فهى لانكار الواقع واستقباحه اى ابرموا مشركو امكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما امرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام
يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى اندتيهم ويتشاورون فى امره عليه السلام
ام يحسبون اى بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم فى مكان خال و
نجواهم اى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى بلى نحن نسمعنا ونطلع عليها ورسلنا الذين
يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اى يكتبونها او يكتبون كل ما
صدر عنهم من الافعال والاقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم

عنه بلى او حال اى نسمعها والحال ان رسلنا يكتبونه قل اى للكفرة تحقيقا للحق وتبنيها لهم على ان مخالفتك
لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبوديتهم بل انما
هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين اى له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز
واولاهم برعاية حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك
على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب
التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من تهتز ال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يوجب عنه ايراد ان مكان لو
المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا اول العابدين الموحدين
لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اى المستنكفين منه ومن ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
وقيل ان نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون اى يصفونه به من ان يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى اعظم
الاجرام واقوا ما تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون
شئ منها جزءا منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم ينزعوا للحق بعد ما سمعوا
هذا البرهان الجلى يخوضوا فى اباطيلهم ويلعبوا فى دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال
ليست الا من باب اللهو واللعب والجزم فى الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون
من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاص
المعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كانه قيل وهو الذى يستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة
الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف
لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما والله مبتدأ موثر اللزوم
عراء الجملة عن العائد نعم يجوز ان يكون صلته للموصول والله خبر المبتدأ محذوف على ان الجملة بيان
للصلة وان كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الالهية السماوية والارضية
وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك
الذى له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهواء او فى بعض الاوقات كالطير و
عنده علم الساعة اى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات
للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون اى يدعونه وقرئ بالتاء
مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذى هو التوحيد وهم يعلمون
بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها
والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام
ولئن سالتهم من خلقهم اى سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية
بطلانه فانى توفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل
مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما على انه عطف على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم قوله عم
يا رب الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر واعلى ان الواو للقسم وقوله تعالى ان
هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفى الالتفات به من رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه
تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل

القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
واقنط عن ايمانهم وقل سلام اى امرى تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر
ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل فى حيز
قل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم

اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذى سلف فى سورة البقرة انا انزلناه اى الكتاب المبين الذى
هو القرآن فى ليلة مباركة هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدى فيها انزاله او انزل فيها جملة الى
السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى عليه السلام بحسب ما
فى ثلث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية
والدنيوية باجمعها اولما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل القضية
وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء
زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استيناف مبين لما يقتضى الانزال كانه قيل انا انزلناه لان
من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه اعتراض وقيل
جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او
الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة اخرى
لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق
العباد واجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبداء فى استنساخ
ذلك من اللوح فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة
الحروب الى جبرائيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا
وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على
البناء للفاعل اى يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا بضم الاختصاص
اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد فخامته الذاتية
ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره فى حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهى ويجعل مصدر المؤكد
ليفرق لاتحاد الامر والفرقان فى المعنى او لفعله المضمر كانه الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلناه اى آمرين
او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة
من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على
ان المراد مبدؤها اى انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا
السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته
الى ضميره عليه السلام لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله رحمة مفعول للارسال كما فى
قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اى يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال
رحمتنا ولا ريب فى ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية
لتكليف العباد تعويضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اى تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم
تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك

اويبدل

اوبيان اونعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل
الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها
فعلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم حريين اليقين فاعملوا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة
مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض يحيى ويميت مستانفة كما قبلها وكذا
قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الاولين باضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان
او نعت له وقيل فاعل ليميت وفى يحيى ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات
على قراءة الجر بل هم فى شك مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين فى اقرارهم يلعبون لا يقولون
ما يقولون عن جد واذ خان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء فى قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب
او الامر به على ما قبلها فان كونهم فى شك مما يوجب ذلك حتما اى فانتظر لهم يوم تاتى السماء بدخان مبين
اى يوم شدة ومجاعة فان الجايع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره اولان فى عام
القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار اولان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا
لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعى عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسنى يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض
الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اى يحيط
بهم هذا عذاب اليم اى قائلين ذلك فمنتهى اليه عليه السلام ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم
وواعدوه ان دعى لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا
قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل
هو دخان ياتى من السماء قبل يوم القيمة فيدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كراس الخنيذ ويعترى
المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها كبيت او قد فيه خصاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة
يا رسول الله وما الدخان فتلى الآية وقال يملاء ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذى يستدعيه
مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب
لهم فى الوعد بالايمان المبنى عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اى كيف يتذكرون او من اين
يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين
اى والحال انهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه فى ايجابها حيث جاءهم رسول
عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات باهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه
عن ذلك الرسول وهو هو ربما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظايم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا
بالتولى وقالوا فى حقه معلم مجنون اى قالوا تارة يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف واخرى مجنون
او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فحال يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم
الا مثل الكلب اذ جاع ضغى واذا شبع طغى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون جواب من جهته تعالى
عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض
اى انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من
العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة
ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبى عليه الصلوة والسلام فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا

فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تصور المعذبون به من الكفار
والمنافقين وعتوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما
فرتيا يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف
لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا المنتقمون لان ما بعد ان ما بعدها عن ذلك اى يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل
هو بدل من يوم ياتى الخ وقرئ ينبطش اى يحمل الملئكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو الاتناول بعنف
وصولة او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ ينبطش بضم الطاء وهى لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
اى امتحنا هم بارسال موسى عليه السلام اوا وقعنا هم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ
بالتشديد للمبالغة اولكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى اوعلى المؤمنين اوفى نفسه لان الله
تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى عباد الله اى بان ادوا الى بنى اسرائيل و
ارسلوهم معى اوبان ادوا الى يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان بمعنى الرسول
لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اى جاءهم بان الشان ادوا الى الخ وقوله تعالى انى لكم
رسول امين تعليل للامر اولوجوب المأمور به اى رسول غير خائنين قد ائتمنى الله تعالى على وحيه وصدقنى
بالمعجزات القاهرة والا تعلوا على الله اى لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتى سلفت
وقوله تعالى انى آتيكم اى من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهى اى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى
انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل اوالمضارع وفى ايراد الاداء مع الاتيان والسلطان مع العلاء من الجرأة
ما لا يخفى وانى عذت بربى وربكم اى التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان ترجمون اى تؤذونى
ضربا اوشتما اوان تقتلونى قيل لما تحاوا والا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ باد غام الذال فى التاء
وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لى فخلونى كفافا لا على ولا لى ولا تعرضوا
لى بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصل عنى فلا موالاة
بينى وبين من لا يؤمن بآياته المقام فدعى ربه بعد ما تواعلى تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اى بان هؤلاء
قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول
قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
فاسر بعبادى ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال ربه اسر بعبادى واما قبلها كانه قيل قال ان كان
الامر كما تقول فاسر بعبادى اى بنى اسرائيل فقد وبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى
انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا الجوة واسعة
اوساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تفزه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند
مغرقون وقرئ انهم بالفتح اى لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم محافل حسنة ومنازل مزينة ونعمة اى تنعم كانوا يفيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين
كذلك الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اى مثل ذلك السلب سلبناهم
اياها واورثناها قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية
اى الامر كذلك فح يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء و
الارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من عظم
فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روى ان المؤمن يبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله
ومهابط رزقه وآثاره فى الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم
منظرين ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ولقد نجينا بنى اسرائيل بما فعلنا

بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعبادهم واستحيائهم ونسائهم على التفسير
الصحيح من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اى عذاب فرعون
او حال من المهين اى كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه وفى ابهام امره
اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كنه امره فى الشر والفساد ما لا مزيد
عليه وجوز تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة
من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف ولقد اخترناهم اى بنى اسرائيل على علم اى عالمين بانهم
احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون فى بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة
الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى و
غيرها من عظايم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم ما فيه بلاء مبين اى نعمة جلية او اختبار ظاهر تستطرف
بمثلها ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على ما شملهم فى
الاصرار على الضلالة والتحذير على حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى اى العاقبة ونهاية الامر
الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما فى قولك جحد زيد الحجة الاولى ومات
وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمكم موتة كذلك قالوا ما هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة
التى تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الآخرة الموتة دون الموتة التى تعقب حيوة القبر كما ترعمون
وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطابا لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه السلام والمؤمنين
ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا
الله تعالى فينشر لهم قصى بن كلاب ليناور وه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات واللمات انهم خير رد لقوله تعالى وتهديد
اى انهم خير فى القوة والمنعة اللتين يرفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش و
حبر الحبرة وبنى سمرقند وقيل بعدهما وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان
كتابه باسم الذى ملك بحرا بحرا اى بحارا كثيرة وعن النبى عليه السلام لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام
ما ادرى اكان تبع نبيا اوغير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان نبيا وقيل للملوك اليمن التبابعة لانهم
يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يقبلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود و
اضرابهم من كل جبار عنيد اولى بأس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى
اهلكناهم استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك
حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم فى الاجرام
اضعف منهم فى الشدة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اى بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين لاهين من غير ان يكون فى خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اى ما خلقنا هما ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق
او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم الفصل اى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من
المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه لميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب
على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل يوم لا يغنى بدل من يوم
الفصل او صفته لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا نفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى
اى مولى كان شيئا اى شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى الا من رحم
الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء

انه العزيز الذى لايقهر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات طعام الاثيم اى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت يغلى فى البطون وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلى الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اى جروه والعتل الاخذ بجامع الشئ وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهى لغة فيه الى سواء الجحيم اى وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيدت للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روى انا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز واكرم منى فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وقرئ بالفتح اى لانك او عذاب انك ان هذا اى العذاب ماكنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصى فى مقام فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى مطلق العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة ووصف به المكان بطريق الاستعارة كما فى المغنى المكان المخيف يخون صاحبه ما يلقى فيه من المكاره فى جنات وعيون بدل من مقام مجئ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير و الاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين فى المجالس ليس ناس بعضهم ببعض كذلك اى الامر كذلك او كذلك آتيناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرهن يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون ويامرون باحضار مايدعونه ويشتهونه من الفواكه لايختص شئ منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحيوة والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لايذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة فى الوقاية فضلا من ربك اى اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذى لافوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اى انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما سيحل بهم انهم مرتقبون مايحل بك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

تم الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فان اسما للسورة محله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتداء محذوف يوضح به ما قبله اى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر ثم اى

سورة الجاثية

المسمى بالحم وقد مر مرارا ان الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها ولما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تحمل وصوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان فى السموات والارض لايات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات انا نفس السموات والارض فانها منظومتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان و اما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفى خلقكم اى من نطفة ثم من علقة منقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه اى وفيما ينشره ويفرقه من دابة آيات بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف المقدم عليه والجملة معطوفة على قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الجار كما قيل وان فى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون اى من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هى عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اى من مطر وسبب للرزق وانما عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن آثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلوا شجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما للايذان بان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ وخبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى اقيمت الواو مقامها فعلت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتكرير آيات فى المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف الآيات فى الدقة والجلاء تلك ايات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلوها ومن مفعوله اى نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباى حديث من الاحاديث بعد الله وآياته اى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله الذى هو القرآن حيما نطق به قوله تعالى نزل احسن الحديث وهو للمراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنوانى يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير فى اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرط ان يكون ما بعده مما لايسمع كقولك سمعت زيدا يقراء ثم يصر اى يقيم على كفره واصله من الصر الذى للبخل على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عند استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار

بعد سماع الآيات التي حقها ان يذعن لها القلوب ويخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى عمران الموت
ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من بصر اى يصر تشبيها
بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اى اذا بلغه من
آياتنا شئ وعلم انه من آياتنا لا انه اذا علمه كما هو عليه فا بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا
يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محلا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغيرة اتخذها اى الآيات كلها
هزوا اى مهزوءا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتانيث لانه في معنى الآية اولئك اشارة
الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب
بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة
عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله تعالى من ورائهم
جهنم اى من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على
الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما
كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء اى الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام
اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في
شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اى القرآن
هدى في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره
قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اى من اشد العذاب
اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلثة للتفخيم ورفعه اما
على الابتداء واما على الفاعلية الله سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب
ولا يمنع الغوص والخرق ليمكنه فتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة
والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون لكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدار المنافعكم جميعا اما حال مما في السموات والارض او
توكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اى جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه
الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اى هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له
ومنة على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتداء محذوف اى ذلك منة ان في ذلك اى فيما ذكر
من الامور العظام لآيات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله تعالى
فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقايقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف
المقول لدلالة يغفروا عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اى قل لهم اغفروا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقايعه تعالى باعدائه
من توقعهم ايام العرب لوقايعها وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين و
وعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتم
غفار فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على
بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه ليستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام
عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي عليه السلام وقرب ابي بكر فقال ابن ابي ما
مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزل

فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم
والثناء عليهم اى امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها
الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم
هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير
للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقدير عدمها فلا بد من
تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى
وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تحملا وقرئ ليجزي قوما اى ليجزي الجزاء قوما وقرئ لنجزي
بنون العظمة من يعمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم
مالك امورهم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب
اى التوراة والحكم اى الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس
اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله تعالى من اللذايذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت
من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظايرهما وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر
دلايل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم ببعثة النبي عليه السلام
وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك
الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه
بغيا بينهم اى عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما
كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اى سنة وطريقة عظيمة الشان من
الامر اى امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشئ منها ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون اى اراد الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش
كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك
ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يوالي بعضهم بعضا لا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم
والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم قدم على انت عليه من تولية خاصة والاعراض عما سواه
بالكلية هذا اى القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس فان ما فيه من معالم الدين شرائع
والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم
يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استيناف مسوق
لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة ومافيها
من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن بطريق انكار الوقوع
ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم
اى نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء
محياهم ومماتهم اى محيى الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله
على ضميرهما على ان السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام
حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شئ منها

فان هؤلاء في غير الايمان والطاعة وشر فهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في دركات الكفر والمعاصي وسواء نافي المحيا وفي لعنة والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستوي محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اى كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه آخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فقد برّ وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتداء فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اى ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما بينهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيئ في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم ولم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على الحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها محقونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فيحصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الجار على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم اى النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزهه ساحة اللطف تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى كمانه عبده اى انظرت فرايته فان ذلك مما يقضي منه التعجب وقرئ الهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه كمانه اتخذ آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الابصار والاعتبار وقرئ بفتح العين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الالتفات للمبالغة في التوبيخ والتعجيب وقرئ تذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اى قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اى ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اى يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدنا ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريد وابه التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ يحيى وما يهلكنا الا الدهر الامر دور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اى غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اى بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد الحيوة والموت الى الدهر من علم تما مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شئ يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او بينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء الا الآن قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة

وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه اى في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة وايضا اقتضت الحكمة التشريعية امتناع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجعلهم و قصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع وللجزء اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال لهم وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا ابتداء وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اى يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الاعمال لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشئ منها اى انا كنا فيما قبل نستكتب الملئكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اى في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك اى الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن يتلى عليكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اى قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله اى ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق اى واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اى في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اى اى شئ هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا ظنا او قدر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل الايقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اى ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاء ما فارتكبوها جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم ننتركم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا اى كما تركتم عدة ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماويكم النار وما لكم من ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله هزوا مهزوءا بها ولم ترفعوا لها راسا

وذركم الحيوة الدنيا فحسبهم ان لاحيوة سواها فاليوم لايخرجون منها اى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم اوبنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ولاهم يستعتبون اى يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العالمين فلايستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد و الايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء فى السموات والارض لظهور آثارها واحكامها فيها واظهارهما فى موضع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء و هو العزيز الذى لايغلب الحكيم فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبى عليه السلام من قراءهم الجاثية ستره الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ماخلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منها ومن حيث الاستقرار فيها وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى يقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية اومن اعم الاحوال من فاعل خلقنا اومن مفعوله اوما خلقنا هما فى حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة مالايخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه امر الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد وايا ما كان فهو تهويل للامر والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة ومافيه من الطامة العامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اى ماخلقنا الخلق الا بالحق و تقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارايتم اخبرونى وقرئ ارايتكم ماتدعون ماتعبدون من دون الله من الاصنام ارونى تاكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام فى ماذا ام لهم شرك اى شركة مع الله تعالى فى السموات اى فى خلقها وملكها وتدبير ما فيهن حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان مالا مدخل له فى وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ائتونى بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند عقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى اى ائتونى بكتاب الهى كائن من قبل هذا الكتاب اى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم اواثارة من علم اوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقكم للعبادة ان كنتم صادقين فى دعواكم فانها لاتكاد تصح مالم يقم عليها برهان عقلى اوسلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شئ منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر العين اى مناظرة فانها تثير المعانى واثره اى شئ اوثرتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم بالحركات الثلث مع سكون الثاء اما المكسورة جمع الاثرة واما المفتوحة فهى المرة من اثر الحديث اى رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التى هى اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له انكار ونفى لان يكون احد اسوأ حالا من المشركين فى الضلال وان كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر غير مرة اى هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم

السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفى الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول للمفعول يدعوا والثانى للفاعل والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم ايا ما مجرى العقلاء و وصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام القيمة كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال والمقال على مايروى انه تعالى يحيى الاصنام فتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملئكة والجن والانس وغيرهم وبنبئ ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ماكنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات اومبينات قال الذين كفروا للحق اى لاجله وفى شانه وهو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اى فى اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل هذا سحر مبين اى ظاهر كونه سحرا ام يقولون اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها ومافى ام من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن اى بل ايقولون افتراه فى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لى من الله شيئا اذ لاريب فى انه تعالى يعاجلنى حتما بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افترى عليه تعالى كذبا واعرض نفسى للعقوبة التى لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بينى وبينكم حيث يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء ما افضتم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بعلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لامثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كغيم وريم او جمع مقدر بمضاف اى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه عم آيات عجيبة ويسالونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ماكنت بديعا من الرسل قادرا على ما يقدرون عليه حتى اتيكم بكل ما تقترحونه واجبركم بكل ما تسالونه عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم الصلوة والسلام ما كانوا ياتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولايخبرون الا بما اوحى اليهم وما ادرى ما يفعل بى ولابكم اى اى شئ يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وما ذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن ما ادرى ما يصير اليه امرى وامركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل بى ولابكم فى الاخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفى هى الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول انها عبارة عما ليس عليه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع فى الاخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل ما يفعل بالمجاهدين هذا وقد روى عن الكلبى ان اصحاب النبى عليه السلام قالوا له عم وقد ضجروا من اذية المشركين متى نكون على هذا فقال ما ادرى ما يفعل بى ولابكم اترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورايتها يعنى فى منامه وجوز ان يكون ما موصولة والاستفهامية اقتضى الحق مقام التبرء عن الدراية وتكريرا لتذكير النفى المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى اى ما افعل الا اتباع ما يوحى الى على معنى قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحى لاقصر اتباعه على الوحى كما هو المتبادر الى الافهام وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عالم يوحى اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى

مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اى ما يوحى الى من القرآن من عند الله لا سحرا اولا
مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة الى
التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما فى قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظم
فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم
فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما تردد هم فى ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى ام لا وكذا الحال فى قوله تعالى
وشهد شاهد من بنى اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة عندهم وانما تردد هم فى انها شهادة
وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار منه اولا والمعنى اخبرونى ان كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد
شاهد عظيم الشان من بنى اسرائيل الواقفين على شؤن الله تعالى واسرار الوحى بما اوتوا من التوراة على مثله
اى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التورية المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها
عين ما فيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى والمثلية باعتبار
ما ذكر وتيها بعبارات اخر وعلى مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى
فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحى الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام
لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله
فتحقق انه النبى المنتظر فقال له انى سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكل اهل
الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب
واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال
اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت واذا علموا باسلامى قبل ان تسألهم
عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى عليه السلام اى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وابن سيدنا
وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا
رسول الله واخذ قال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على
الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته
ما فى التورية من بعثة النبى عليهما السلام وبه قال الشعبى وقال مسروق والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام فان
آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبى بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم
عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبرونى ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم
منه اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين
فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى هدايتهم لظلمهم
وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة فى حق العظيم والمؤمنين به اى قال كفار مكة
للذين آمنوا اى لاجلهم لو كان اى ما جاء به عليه السلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا اليه فان
معالى الامور لا ينالها ايدى الاراذل وهم سقاطهم واوباشهم فقراء وموال ورعاة فالوه زعما منهم ان الرياسة
الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين وزل عنهم انها منوطة بكمالات
نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من
فاز بها تقدم حازها بجذافيرها ومن حرمها فاته منها من خلاق وقيل قالوا بنو اعامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم
جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه وباباه ان التورة

مكية لابد من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب
عليه ما بعده اى واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكترثين بسفى خبريته هذا افك قديم
كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اى من قبل القرآن وهو خبر
لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستأنفة واياما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم و
ابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اى اماما يقتدى
به فى دين الله تعالى وشرايعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذى
يقولون فى حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اى لكتاب موسى الذى هو امام ورحمة او بما
بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او من نفسه لتخصصه
بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اى يصدق ذا لسان عربى لينذر الذين
ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عليه السلام ويؤيد الاخير القراءة بناء الخطاب
وبشرى للمحسنين فى حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل فى محل الرفع على انه خبر مبتدإ مضمر اى هو بشرى وقيل
على انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة
العلم والاستقامة فى امور الدين التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على
التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط
والمراد بيان دوام نفى الحزن لا بيان نفى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون
بما ذكر من الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن فى اصحاب وقوله تعالى جزاء
منصوب اما بعامل مقدر اى يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة فى معنى جازيناهم
بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الانسان بان يحسن بوالديه احسانا وقرئ
حسنا اى بان يفعل بهما حسنا اى فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا
وبفتحها اى بان يفعل بهما فعلا حسنا اووصيناه ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اى ذات
كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر
وحمله وفصاله اى مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالعظم والعظام
بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما اراد بالامد المدة من قال كل حتى مستكمل مدة العمر وقوله اذا انتهى
اليه ثلثون شهرا بمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدايد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يبقى للحمل
ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطها وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما
حتى اذا بلغ اشده اى اكتهل واستحكم قوته وعقله او بلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبى قبل اربعين و
قرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعنى اى الهمنى واصله اوزعنى من اوزعه كذا ان اشكر
نعمتك التى انعمت على وعلى والدى اى نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير
للتفخيم والتكثير واصلح لى فى ذريتى اى واجعل الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم كما فى قوله بجرح
فى عراقيبها نصلى قال ابن عباس رضى الله عنهما اجاب الله تعالى دعاء ابى بكر رضى الله عنه فاعتق تسعة من
المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعى ايضا فقال واصلح لى
فى ذريتى فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع لابى بكر اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك
ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن ابن ابى بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم
ادركوا النبى عليه السلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انى تبت اليك

عالا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك وانى من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الاتيان
والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اى
اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان للباح
حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول
ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور فى اصحاب الجنة اى كائنين فى عداد هم منتظمين
فى سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
الذى كانوا يوعدون على السنة الرسل والذى قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو
صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان الموقف له كما فى هيت لك وقرئ اف بالفتح بغير تنوين وبالحركات الثلث
مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجموع كما سبق قيل هو فى الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من انها نزلت فى
عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سياتى من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية
فانه كان من افاضل المسلمين وسراتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك افتعدانى ان اخرج
ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلى ولم يبعث منهم واحد وهما
يستغيثان الله يسالانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك آمن اى قائلين له ويلك وهو فى الاصل
دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ان وعد الله حق اى البعث اضافا
اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه فى اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اى آمن بان وعد الله حق
فيقول ما هذا الذى تسمياننى وعد الله الآ اساطير الاولين اباطيلهم التى سطروها فى
الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول و
هو قوله لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقد مر تفصيله فى سورة لم السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم
الاصلية الجارية مجرى رؤس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل بطريق الاستيناف التحقيقى ولكل
من الفريقين المذكورين درجات مما كسبوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب
المثوبة وايراد ها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اى اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون
بنقص ثواب الاولين وزيادة عذاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او استيناف مقرر لها واللام متعلقة
بمحذوف كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل
الثواب درجات والعذاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اى قتلوا وقيل يعرضون النار عليهم بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اى يقال لهم ذلك وهو
الناصب للظرف وقرئ بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخى اى اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ
الدنيا ولذائذها فى حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شئ منها فاليوم تجزون عذاب
الهون اى الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم فى الدنيا تستكبرون فى الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك
وبما كنتم تفسقون اى تخرجون من طاعة الله عز وجل اى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون
بكسر السين واذكر اى لكفار مكة اخا عاد اى هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه
اى وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ
اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من اليمن وقيل
بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اى من قبله ومن خلفه

اى من بعده والجملة اعتراضية مقررة لما قبله مؤكدة لوجوب العمل بموجب الانذار وسطت بين انذر قومه وبين قوله
تعالى الا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية
والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل وبين تاخر
عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وانما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا
الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد فى نسبة الخلو الى ما بعده من الرسل
من تنزيل الآتى منزلة الخالى قالوا اجئتنا لتافكنا اى لتصرفنا عن الهتنا عن عبادتها فاتنا
بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين فى وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اى
بوقت نزوله او العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا
مدخل لى فى اتيانه وعلوله وانما علمى عند الله تعالى فياتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من
موجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله
وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكنى اراكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من
الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير ابهم يوضحه قوله تعالى
عارضا اما تمييز او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اى فاتانا هم فلما راوه سحابا يرفض
فى افق السماء مستقبل اوديتهم اى متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى قالوا هذا
عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين لنكرة بل هو اى قال هود بل هو وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو
رد عليهم اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتداء محذوف فيها
عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بامر ربها
وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فالعايد الى الموصوف محذوف او هو الهاء فى ربها ويجوز ان يكون
استيناف وارد لوبيان ان كل ممكن فناء مقضيا منوطا بامر باريه ويكون الهاء لكل شئ لكونه بمعنى الاشياء
وفى ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء
ونصب مساكنهم خطابا لكل احد تاتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا
مساكنهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة فى سورة
الاعراف وقد روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعهما فى الجو حتى ترى كانها جرادة فقال قوم
من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروى اول ما عرفوا به انه عذاب مار اوا ما كان
فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح من السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت
الريح الابواب وصرعتهم فاماله الله تعالى الاحقاف فكانوا سبع ليال وثمانية ايام لهم اين ثم كشفت الريح
عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح حفظ على نفسه وعلى المؤمنين
حفظا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا
ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد
مكناهم اى قررنا عادا او اقدرناهم وما فى قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان فيه
اى فى الذى او فى شئ ما مكناهم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله
تعالى ولقد مكناكم فيما ان مكناكم فيه ولكم من قبلكم من قرون مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وما ليس موقع ان ههنا التفضى عن تكرير
لفظ ما وهو الداعى الى قلب الفها ياء فى فيها وجعلها شرطية او زائدة حالا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا

وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها
على شؤن منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ
الرسل ولا ابصارهم حيث لم يتاملوا بها الآيات التكوينية المنصوبة فى صحايف العالم ولا افئدتهم حيث
لم يستعملوها فى معرفة الله تعالى من شئ اى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون
بآيات الله متعلق باغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما يضاف اليه فان توهمك اكرمته
اذ اكرمنى فى قوة توهمك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال
فى حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط
وصرفنا الآيات كررنا بالهم نعلهم يرجعون لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى فلولا نصرهم الذين
اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولى اتخذوا واضيف الموصول
المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذى اتخذوهم آلهة حال كونها
متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه
توهكم بهم ولا ساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه
لابد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اى متقربا به مما
لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله فى ذلك وقرئ قربانا بضم
الراء بل ضلوا عنهم اى غابوا عنهم وفيد تهكم آخر بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم اوضاعوا عنهم اى ظهر
ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك اى ضياع المعتنى عنهم
وامتناع نصرهم افكهم اى اثر افكهم الذى هو اتخاذهم آيانا آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم كلاهما
مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضى فذلك اشارة ح الى الاتخاذ اى وذلك الاتخاذ الذى
هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اى جعلهم افكهين وقرئ
على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اى قولهم الافك اوذوو الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا
يفترون عطف على افكهم اى واثر افترائهم على الله تعالى اوانما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك
افكهم وما كانوا يفترونه اى بعضا كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم
اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر فى جمع الضمير فى قوله تعالى
يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اى واذكر
لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه اى القرآن عند تلاوته او
الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اى قال بعضهم لبعض انصتوا اى اسكتوا
لنسمعه فلما قضى اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول ع وهذا يؤيد عود ضمير
حضروه اليه عليه السلام ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روى ان الجن كانت ترق
السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفرا وستة نفر من اشراف
جن نصيبين منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى او فى صلوة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند منصرفه من الطائف
وعن سعيد بن جبير اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلوته فرموا به
فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن
ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه السلام انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى

قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة فى شعب الحجون خط
لى خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته عليه السلام ثم انطلقوا كقطع السحاب
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال اولئك
جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا عند رجوعهم الى قومهم
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى
ان الجن لم تكن سمعت باسم عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه اراد والتوراة يهدى الى الحق من
العقائد الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو شرايع والاعمال الصالحة يا قومنا اجيبوا
داعى الله وآمنوا به اراد وا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية
الى الحق والصراط المستقيم للتلازم بينهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم فى الاجابة ثم
اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى حال حق الله تعالى فان حقوق العباد
لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم موجب للكفرة واختلف فى ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم
فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض ليجاب للاجابة بطريق
الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهارا داعى الله من غير اكتفا باحد الضميرين للمبالغة
فى الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه فى الارض لتوسيع الدائرة
اى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل هارب من اقطارها اودخل فى اعماقها وقوله تعالى وليس لهم
دونه اولياء بيان لاستحالة النجاة بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاة بنفسه وجمع الاولياء باعتبار
معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد كما ان الجمع فى قوله تعالى اولئك
اى اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله فى ضلال مبين اى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد
حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام
والرؤية قلبية اى لم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما مبنيا على المشاهدة والعيان ان الله الذى خلق
السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينحيه ولم يعى بخلقهن اى لم يتعب ولم ينصب
بذلك اصلا اولم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى بقادر فى حيز الرفع لانه خبر ان
كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الاولى استمال النفى الوارد فى صدر الآية على ان وما
فى حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيى الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شئ
قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون الكلام على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار
ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه ح من حيث هو من غير
ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتاويله وتفخيمه وقدم فى سورة الاحزاب
وقيل هى الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما فى الدنيا وانى
لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها فى الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم
والفاء فى قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اى اذا كان عاقبة امر
الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل
من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد اولى العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى
تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم

ومو سى وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى
عليه وابرهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف
على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود
بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولا تستعجل
لهم اى لاهل مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب
لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته
وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدإ محذوف اى هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول و
يؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اى بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى الخارجون عن
الاتعاظ به وعن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحها من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك
ونصب القوم ووصفه عن النبي عليه السلام من قراء سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا
الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس
عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا ومن اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في
الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد أضل اعمالهم اى ابطلها واحبطها وجعلها ضايعة لا اثر
لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان كانوا
يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من
اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله
بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق بما سياتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم و
قوله تعالى فاذا لقيتم الخ والذين امنوا وعملوا الصالحات قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار
وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك
مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في
الكل ولذلك اكد بقوله تعالى وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير
منسوخ فالحق على مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وايا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير
الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اى ستر ما
بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اى حالهم في الدين او الدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة
الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدإ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اى ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا كيد
الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور
متضمن لبيان سببيتها له لكونه اصلا مستتبعا لها قطعا وبسبب ان الاخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد
عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه
لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتها له
لكونه مبدأ ومنشأ لها حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يجعل

الباطل

الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم و
ابطالها لبيان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد
الخش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتها له فتدبر ويجوز ان يراد
بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتها لما
ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اى مثل ذلك
الضرب البديع يضرب الله اى يبين للناس امثالهم اى احوال الفريقين واوصافها الجارية في
الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم
وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيز ما من الامر على ما قبلها فان
ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الحالين
ما يليق به من الاحكام اى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله
فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر واني به مضافا الى المفعول وفيه اختصار و
تاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصويرا له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه
حتى اذا اثخنتموهم اى اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم لكثرة
والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق
به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا بعد ذلك او
تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي؟
وعندنا منسوخ قالوا تنزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس
اليوم من ولا فداء انما كان الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها
اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها
اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على
ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام
واما عند ابي حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى عليهم
ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم
يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها اثامها اى حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اى الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو شاء الله لانتصر
منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض
فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم
ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اى استشهدوا
وقرئ قاتلوا اى جاهدوا وقتلوا وقاتلوا فلن يضل اعمالهم اى فلن يضيعها وقرئ تضل اعمالهم على
البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا
الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخل الجنة عرفها لهم
في الدنيا بذكر اوصافها حيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان
ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعلمه في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه
الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل
منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا

الله اى دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم فى مواطن الحرب ومواقفها او على حجة
الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط و
رجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اى فقال تعسا لهم وقوله تعالى واضل اعمالهم
عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول ذلك اى ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم
بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة واشتهته انفسهم
الامارة بالسوء فاحبط اعمالهم التى لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا فى الارض
اى اقعدوا فى اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة
فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استينافى مبنى على سؤال نشاء
من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم و
اموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اى ولهؤلاء الكافرين الذين
سيرتهم امثالها امثال عواقبهم اوعقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه
بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم
اشد من عذاب الاولين وقد قطعوا واسرفوا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد
الامن الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل ودمر
الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء
بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولى الذين وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم
ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لكرم ولايته تعالى لهم وثمرتها
الاخروية والذين كفروا يتمتعون اى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تاكل الانعام غافلين
عن عواقبهم والنار مثوى لهم اى منزل ثواء واقامة اما محال مقدرة من واو يأكلون او استينافى وكاى
كاين مركبة من الكاف واى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية يميزها وقوله تعالى
هى اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان فى قوله تعالى التى اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف
عنها المضاف واجرى احكامه عليها كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى اهلكناهم اى وكم من اهل قرية
هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان
باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه السلام للايذان باولويتها
به لقوة حمايتها وعلى طريقة قول النابغة كليب لعمرى كان اكثر ناصرا وابر حين ما منك صرح بالدم وقوله تعالى
فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم
والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو كناية عن حالهم الآتية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين
حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون الاولين فى اعلى عليين والآخرين فى اسفل سافلين وبيان لعلة ما
لكل منهما من المآل والنهرة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن
المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه السلام او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم
الكريم على ان الموازنة بينه عليه السلام وبينهم حمايا باه منصبه الجليل والتقدير ليس الامر كما ذكر فمن كان
مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية
كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه اقبح القبايح واتبعوا بسبب ذلك الزين
اهواءهم الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا

لاجل ذلك م

الخ وعد المتقون استيناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية
انهارها التى اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب
التقوى الذى هو عبارة من فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العظيم
الشان وهو مبتدأ وخبره محذوف الجر فقدره النفيس بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الخ
مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل
زائد كزيادة الاسم فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الخ
من ماء غير آسن اى غير مغير الطعم والرائحة وقرئ غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان
قارصا ولا حاذرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح
وغائلة سكر ولا خمار وانما هى تلذ ذ فحض ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة و
قرئ لذة بالرفع على انه صفة انهار وبالنصب على العلة اى لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل
مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات الفحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بانواع
ما يستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها
ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اى صنف من كل الثمرات ومغفرة
اى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة
لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد
فى النار خبر لمبتداء محذوف تقديره امن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار
كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان فى الكلام حذفا تقديره امثل الجنة
كمثل جزاء من هو خالد فى النار فعبر عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوى
بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات
الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل
اذا دنى منهم شوى وجوههم واغازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك
هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما ان جمعه سيأتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من
عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضى الله عنهم ما فا قال آنفا اى ما الذى قال الساعة
على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعار
من الجارحة ومنه استأنف الشئ وايتنف وهو ظرف بمعنى وقتا موتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ
انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا و
اتبعوا اهواءهم الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق
الحق زادهم اى الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام واتيهم تقويهم اعانهم على تقويم
او اعطاهم جزاءهم او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اى القيمة وقوله تعالى
ان تاتيهم بغتة اى تباغتهم بغتة وهى المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون
بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون
للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها
تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظر وانما

سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوا لها من مبادى اتيانها فيكون
اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها بعثته عليه السلام
وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رايهم فى تاخير
التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يوم يتذكر الانسان وانى له الذكرى
اى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتداء واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما
رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجئ عن قيد البغتية لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند
مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتية وقرئ ان تاتيهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان
تاتيهم الساعة بغتة لا نرقد ظهر امارا تها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا
الله اى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان
فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذى ربما يصدر عنه
عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين و
ارشاد له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات اى لذنوبهم
بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا
وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار
والله يعلم متقلبكم فى الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها لا محالة ومثواكم فى العقبى فانها مواطن
اقامتهم فلا يامركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل
يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شئ منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة
اى هلا نزلت سورة تامر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر اى سورة
مبينة لا تاسخ بوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى
محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رايت الذين
فى قلوبهم مرض اى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك
نظر المغشى عليه من الموت اى تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كداب من اصابته غشية الموت فاولى
لهم اى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤل اليهم امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة
وقول معروف كلام مستانف اى امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده
قراءة ابى يقولون طاعة وقول معروف اى امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر
وهو لاصحابه مجازا كما فى قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اى خالفوا وتخلفوا وقيل
اقتضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضر فى طعام فلو جئتنى
لاطعمتك اى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه لكان الى الصدق
خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه فى
الايمان وواطات قلوبهم فى ذلك السنتهم واياما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون
بقوله تعالى فهل عسيتم الخ بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اى هل يتوقع منكم ان
توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تفاخرا على الملك
وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين امرتم
بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون شانكم الطاعة

والقول

والقول المعروف فيتوقع منكم اذا اطلقت ايديكم ومرتم بامر ان تاتوا بما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان عرضتم
عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقابلة
بعض الاقارب بعضا وواد البنات وفيه ان الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لابد ان يكون محذورية
باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر وفساد
فحقه ان يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وتبتم على البناء للمفعول اى جعلتم
ولاة وقرئ توليتم اى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا
من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار فى ارحامكم وقرئ تقطعوا من القطع
والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسيت ان تفعلوا اولئك اشارة
الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكرهناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم
الفظيعة لغيرهم وهو مبتداء خبره الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم
عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق
افلا يتدبرون القران اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه
من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكرا صلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير
القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها فى القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة
لا يوصف حالها ولا يقادر قدرها فى القساوة واما المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة
الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ
اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين
وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبايح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد
ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا
به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم
جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا لان اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول
المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له امر اجاء او قعه فى امنيته فان السول الامنية مبنيا للمفعول على
حذف المضاف اى كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم
بالعقوبة وقرئ واملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فلوا ولا يحال ولا يتاتى
وقرئ املى لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد فى عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء
كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا من القول الآتى وهو مبتداء خبره قوله
تعالى بانهم بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا
نعته فى التورية كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم كان القول لهم المنافقين
او المشركين على راى القايل بل من حين بعثته عليه السلام للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود
الكارهين لنزول القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا فى
نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان فى قوله تعالى سنطيعكم فى بعض الامر عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله
تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا
نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم والمراد
بالبعض الذى اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم

واجلاهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية باكمان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون ستر كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى اخفاءهم لما يقولون لليهود وقرئ اسرارهم اى جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض لما قبلها متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملئكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها و كيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حيوتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملئكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اى فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تاييه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه واعنفها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملئكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وفرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فضلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرز ما لرسوله عليه السلام وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو شاء اراءتهم لارينا كهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة تامة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز الغاية بالاراءة فلعرفتهم بسماهم بعلامتهم التي تسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم و منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فالجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه واماله الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن بعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم مايجري عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ نبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة وباظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ويحبط اعمالهم اى مكايدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقته رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء من اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية وجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من اوعى القوم بمعنى تداعوا اخو

ارتموا

ارتعوا الصيد وترامواه ومنه ترا أوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى تعالوا يقال للجميع والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاعلين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اى ولن ينقصها من وتره الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافرده منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شئ معتد من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابراز الغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واثلاها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا اثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يوتكم اجوركم اى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي تتنافس فيها المتنافسون ولا يسئلكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على تذييل منها صورة بعض العشر تزهيدا وتنبيها الى فقرائكم ان يسئلكموها اى اموالكم فيحفكم اى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اى احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ها انتم هؤلاء اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذي اى ها انتم الذين تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى من الناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاخيركم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا واياه وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملئكة وقيل اهل فارس لما روى انه عليه السلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه لم يظفر به منغلق ماخوذ من فتح الباب والدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام من تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل تراص

بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظاهر للمسلمين حيث سالم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى
عن ابن عباس رضه رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى انه
عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال بل اعظم الفتوح وقد رضي
المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الايمان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي
نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حتى اصاب ان بويع بيعة
الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به
المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة حين انزح ماؤها حتى بقي فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فاض الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد
وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه السلام من الاسلام والنبوة والدعوة
بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه وهو رئيس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه و
فرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل
وهو المروي عن قتادة وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التشريف نفس
الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر امكشوف الحال اوفارقا بين الحق و
الباطل وحوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام في اعلاء كلمة الله و
بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار
بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة
من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر
الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما اخصه عليه من النعم
الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة
وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن جعل بعد ذلك من اقتضاء سبيل الحق واستقامة مناهجه لم يكن حاصلا
قبل وينصرك الله اظهارا للاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب
عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة ومنعة اوقويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه
مجازا للمبالغة او عزيزا اصاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من
الثبات والطمأنينة اى انزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم
بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون
الى ما جاء به عليه السلام من الشرايع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن
عباس رضه الله عنهما ان اول ما امرهم به النبي عليه السلام التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا
ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم
ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيف يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى
حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما
في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبر اى دبر ما دبر
من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروه فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها
ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان
ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره

لانه منتهى ما يتمنى اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة في الاصل فلما قدم
عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى في علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من
الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اى يظنونه ويتربصون بالمؤمنين في حائق بهم ودوائر عليهم و
قرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساءه كذا كرهه والكره خلاف المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد
ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه
في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقها الفاء المفيدة للسببية ما قبلها لما بعدها
للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اى جهنم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله
جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعريض لوصف العزة انا ارسلناك
شاهدا اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي عليه السلام ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله
وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن
ابن عباس رضه الله عنهما صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء والتحتانية و
قرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاء وكلاهما وتعزروه من ازائين
وتوقروه من اوقر بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما
يبايعون الله يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه
وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريق التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول
كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله
اى لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ
بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله يضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة
وقرئ بكسرها اى ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والدئل تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته للمسير
الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان تعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام و
ساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره
بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام بانهم سيعتلون ويقولون
شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ
شغلتنا بالتشديد فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيارنا بل عن
اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار
قل رد لما هم عند اعتذارهم اليك بابطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اى فمن يقدر لاجلكم من
مشية الله تعالى وقضاء على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اى يضركم من هلاك الاهل والمال وجدبا عام
حتى تخلفوا عن الخروج لحفظها ودفع الضرر عنها وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اى ومن يقدر على
شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فما محل حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظها

وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتقييم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة
والظفر والغنيمة يرده قوله تعا بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على
تقدير صدقه اى ليس الامر كما تقولون بل كان الله بما تعملون خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التى من جملتها تخلفكم
وما هو من مبادية وقوله تعا بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اى بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل
ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والا هلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كعارضات على تقدير تاء
التانيث واما الاهالى فاسم جمع كالليالى وقرئ الى اهلهم وزين ذلك فى قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان
انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء
المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة
التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم لا يجوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما
بورا اى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين فى انفسكم و
قلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تعا غير داخل فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم و
مبين لكيفيته اى ومن لم يؤمن بما كذب هؤلاء المتخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اى لهم وانما وضع
موضع الضمير الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره
وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ان يغفره ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد فى شئ منهما وجودا وعدما وفيه حسم
لاطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه السلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا فى المغفرة والرحمة فلن يشاء
ولا يشاء الا من يقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهو بمعزل من ذلك قطعا
سيقول المخلفون اى المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط
لما بعده اى سيقولون عند انطلاقكم للمغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم ايانا وتخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم
مكة ذرونا نتبعكم لخيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا فى الغنائم
التى خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها و
اوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر ممن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل
وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعا غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لقوله
لن تخرجوا معى ابدا فان ذلك من غزوة تبوك قل اقتراحا لهم لن تتبعونا اى لا تتبعونا فانه نفى فى معنى
النهى للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اى عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند
سماع هذا النهى بل تحسدوننا اى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنائم وقرئ
تحسدوننا بكسر السين وقوله تعا بل كانوا لا يفقهون اى لا يفهمون الا قليلا اى الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واتم من الجهل المفرط وسوء الفهم فى
امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة فى ذمهم ستدعون الى قوم اولى
باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون
لقوله تعا تقاتلونهم او يسلمون اى يكون احد الامرين اما القاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه
قراءة او يسلموا وامن عداهم فينتهى قتالهم بالجزية كما ينتهى بالاسلام وفيه دليل على امامة ابى بكر رض
اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة فيصح دوام

نفى

نفى الاتباع بما فى غزوة خيبر كما قاله يحيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى و
فارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة وان
تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل فى الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض اى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف
يدور على الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة
ومن يطع الله ورسوله فيما امر به من الاوامر والنواهى يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار وقرئ ندخله
بنون العظمة ومن يتول اى عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضى الله
عن المؤمنين هم الذين ذكرشان مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعا اذ يبايعونك تحت الشجرة
منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روى
انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعى رسولا الى مكة فهموا الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن
عفان رضى الله عنه فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فتوقروه وقالوا ان
شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم
فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعى الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة
وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و
سلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعا
فعلم ما فى قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى يبايعونك لاعلى رضى فان رضاه تعا عنهم مترتب على علم
ما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعته له عليه السلام وقوله تعا فانزل السكينة عليهم عطف على رضى
اى فانزل الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح وانابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر عقب
انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها اى مغانم خيبر والالتفات الى
الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم بمقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا
لمقتضى الحكمة فى احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هى ما يفيئه على المؤمنين اليوم القيمة ناخذونها فى
اوقاتها المقدرة لكل واحد منها فعجل لكم هذه اى غنائم خيبر وكف ايدى الناس عنكم اى ايدى اهل خيبر و
حلفائهم من بنى اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فكفوا وقيل ايدى اهل مكة
بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول عليه السلام فى وعده اياهم عند رجوعه من المدينة
ما ذكر من الغنايم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اى وليكون آية لهم فعل ما فعل من
التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذا وكف ايدى الناس لتغنموا و
لتكون ايمانا فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة ويهديكم بتلك الآية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل
الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تاتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم
اخرى لم تقدروا عليها وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة
قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الى القدرة
تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها
من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره وقد احاط الله بها اى وقضى الله اخرى ولا يبعد فى ان الاخبار
بقضاء الله ايانا بعد انذارها فى جملة المغانم الموعودة بقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد
فائدة وانما الفائدة فى بيان تعجيلها وكان الله على كل شئ قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشئ دون
شئ ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا

يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة تمضي من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا بصيرا فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى معكوفا حال من الهدى اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدى او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ محله اي الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رح على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان حياله عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدهم عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطأوهم اي توقعوا بهم و تتلفوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطأوهم اي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديهم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصدين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين وياباه حيله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التنزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التنزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوبا باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم وايانا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في خبر الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء وقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوا ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الاول يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم يعذب فانزل الخ وعلى الثاني على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى وحرازبن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي عليه السلام ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك البيت وما قتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام

اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويطيشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها بسبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المتاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا اي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا وقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عليه السلام في رؤياه كما في قوله صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الخ وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يخلو ان لموت او غيبة او نحو ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله عليه السلام او لما قاله عليه السلام لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلم تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق عليا فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الخ فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده اياه اخباره من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا جميعا قال ولتكون آية للمؤمنين وما جعل باقي قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما هو المشهور فياباه الفاء فان علم تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق ودين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار وابطالها وبطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه سيحمانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوة محمد عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتداء محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله و قيل محمد مبتداء رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به والذين معه مبتداء خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة و لمن وافقهم في الدين الرحمة والرافة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا الى شاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استيناف في قوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستكن في ركعا سجدا

او استيناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا
من الله الخ سيماهم اى سمتهم وقرئ سيماؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة مع السيماء
بالمد وهو مبتدأ وخبره فى وجوههم اى فى جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن فى الجار اى من الناشئ
الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى عليه السلام من قوله عم لا تقلبوا صوركم اى لا تشوهوا انما هو فيما اذا
اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة الساجد الذى لا
يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم يقال لهما
ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما فى المواقعة تشبيها بثفنات البعير قال قائلهم ديار على والحسين و
جعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل تعدى الظهور وتراب الارض وقيل
استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار
السجود ومن اثر السجود بكسر العين وضمها ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ وخبره قوله تعالى مثلهم اى وصفهم العجيب الشان
الجارى فى الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى فى التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى و
مثلهم فى الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل فذلك مثلهم فى التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته و
زيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الخ تمثيل مستانف اى هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك
على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الانجيل على ان الكلام قدم عند قوله تعالى مثلهم فى التورية
وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها
الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره وه فتعاونا من المؤازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة و
قرئ فازره بالتخفيف وازره بالتشديد اى شد ازره وقوله تعالى فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا
فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سوقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه
وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه السلام قلوا فى بدو الاسلام ثم كثروا واستحكموا اعترى
امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يوجب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكانه واستحكامه
اولما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا
سمعوا بما اعد للمؤمنين فى الآخرة مع مالهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبى
عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الفتح فكما كان ممن شهد مع محمد رسول الله عليه السلام فتح مكة

سورة الحجرات

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما فى حيزه امر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشانه
وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه وازع
عن الاخلال به لا تقدموا اى لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار
تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع اولا تقدموا امرا من الامور على
ان حذف المفعول للقصد الى تعميم والاول اوفق بحق المقام لافادة النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب
لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه
تقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرا لا تقدموا باجذف احدى التاءين من تتقدموا وقرئ

لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدى الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان
تجنبا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعالى لتفخيمه و
الايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى عليه السلام فى
تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله فى كل ما تاتون وما تذرون من الاقوال و
الافعال التى من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم بصير بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويتراقب
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى
عليه السلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الايقاظ
والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اى لا تبلغوا باصواتكم وراء حده
يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه
كجهر بعضكم لبعض اى جهرا كائنا كجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا
فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند المخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة
وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال
ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار واخا السرار
حتى القى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه انه كان يكلمه عليه السلام كاخ السرار لا يسمعه حتى يستفهم وكان ابو بكر رضى
الله عنه اذا قدم على رسول الله عليه السلام الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهى اى لا تجهروا حذرا من ان
تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للنهى اى لا تجهروا لاجل المحبوط فان للجهر حيث كان بصدد
الاداء الى المحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بالنهى
عن الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدى اليه مما يجرى بينهم
فى اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يوجب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض فلا ان رفع الصوت فوق صوته
عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشئ ولا ما يقع منها فى حرب او مجادلة معاندا وارتاب عدو او نحو ذلك
وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت و
ربما كان يكلم رسول الله فيتاذى بصوته وعن انس رضى الله عنه انه لما نزلت الآية قعد ثابت وتفقده عليه السلام
فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون
عمل قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن
من انها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عليه السلام فقد قيل محال ان يخفيهم
مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لا تشعرون
بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الخ ترغيب
فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اى يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهى
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها للتقوى و
مرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل
باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بفرط المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضى الله عنه اذهب عنها
الشهوات لهم فى الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر

لانها كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس منهم
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اى من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة
نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل
بنادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلثها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجرة على
ولذلك يقال لخظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين
ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوا ما حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين
عليه السلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا
قد نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه السلام وقيل ان الذى ناداه عيينة بن
حصين الفزارى والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة
وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اى لو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق
والثبوت للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه
عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها
او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لالاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه
اليهم لكان اى الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روى انهم وفدوا شاعين فى اسارى بنى المنتفق فاطلق النصف وفادى
النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتها عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا اى فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام بعث الوليد بن
عقبة اخا عثمان رضى الله عنه لامه مصدقا الى بنى مصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه
فحسب انهم يقاتلونه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عليه السلام بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم مسلمين يصلون بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى
ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد وقرئ فتثبتوا اى توقفوا
الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا خطرا ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة حالهم فتصبحوا بعد ظهور
براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم فى حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركب
هذه الاحرف الثلثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما فى حيزها سادّ مسدّ مفعولى اعلموا
باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين فى فيكم والمعنى ان فيكم
رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة انى وهى انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رأيكم فى
كثير من الحوادث ولو فعل ذلكم لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم ربما ينوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
الايقاع بنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطلع رأيهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها
للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما
يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لان اطاعته فى بعض ما يرونه فيها
استمالتهم بالمعرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعة عليه السلام لهم فى
ذلك فان المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما فى نظائره قوله تعالى ولا هم يحزنون و
التحقيق ان الاستمرار الذى يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية

المجرد

المتجردة وذلك بان يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة
الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون
ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله
تعالى فى كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة فى امر من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها
حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر فى وقت من
الاوقات ووقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره
فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل
هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر
امتناعها بان وقعت تلك الطاعة فى وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى
بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضى لاعتبار الامتناع وارد على الاستمرار حسبما ورد كلمة لو المفيدة
للاول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على ان اعتبار الاستمرار وارد على النفى على خلاف القياس بمعونة المقام
انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس اولم يكن فيه مزيد فرية كما فى مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث
حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس فى نفى استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس
حق الانتظام فالعدول عنه تحمل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى
بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحماد الاخلاق لهم اى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا
لديكم وزينه فى قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها لاخير فيه من آثارها واحكامها ولما كان فى التحبيب و
التكريه معنى انشاء المحبة والكراهة وايصالها اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه
قيل لم يكن ما صدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق
والعصيان والاول هو الاظهر اولئك هم الراشدون اى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات
الى الغيبة كالذى فى قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة
اى وانعاما تعليل لحبب اوكره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اى جرى ذلك فضلا وقيل بتتعون فضلا
والله عليم مبالغ فى العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى
حكم الله تعالى فان بغت اى تعدت احديهما على الاخرى ولم تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التى تبغى حتى
تفئ اى ترجع الى امر الله الى حكمه والى ما امر وابه فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذارا من
قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال
فى وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا
اى واعدلوا فى كل ما تاتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فينجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت فى قتال
حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى
عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فئ الى امر الله تعالى وان يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم
النصح والسعى فى المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالصلاح اى انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحمية الابدية والفاء فى قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة
الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى الآمرين للمبالغة فى تاكيد وجوب الاصلاح

والتخصيص عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف
الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخواتكم واتقوا الله في كل ما
تاتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم
تعليل للنهي اي لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام
على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما تعميمه
للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختير الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع و
التنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم من سخرية بعض لما انها تجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر
نساء من المؤمنات من نساء منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من نساء الساخرات
فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال والاوضاع والاطوار التي عليها يدور السخرية
غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على احتقار احد فلعله اجمع منه لما يحيط به الخبرة عند الله
تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن ففيهن
حينئذ ذات الخبر كما في قوله تعالى فعسى عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب
بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة اولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز
الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز
مختص بما يغر فا ليس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم
الايمان او استهزاؤهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او بالموم والمراد ما يجري
مجرى الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهودي فقال عليه السلام هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى
وزوجي محمد عليهم الصلاة والسلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب
عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين
آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن ظن حتى يعلم
انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه
ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور
المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لوجوبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب
الذي يستحق العقوبة عليه وهو تمثيل من الواو كانه يتم الاعمال اي يكررها ولا تجسسوا اي لا تتحسسوا عن
عورات المسلمين تفعل من الجس كما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في التلمس من الطلب وقرئ
بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس اكد هو اثر الجس وغايته ولتقارب بهما يقال
للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين يتتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة اولم كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير
لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على اقبح وجه واشنعه طبعا عقلا وشرعا مع
ما بالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك
وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا للآكل ميتا و

اخراج تامتهما مخرج امرين غنى عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقبل من الاخ والفاء
في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ
كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بتركما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله
تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب
بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة رضي الله عنهم بغا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم يبغي لهما ادما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما
تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء
او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيدا للنهي
السابق بطريق الاخوة الدائرة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل
واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل
كخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم و
القبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى احد الى غير اباه للتفاخر وا
بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام
ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف
التحقيقي كانه قيل ان الاكرام عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان للمفتوحة على حذف
لام التعليل كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله تعالى اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس
وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم
الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله تعالى وفاجر
شقي هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكرمكم الدنيا النفي واكرم الاخرة التقوى ان الله عليم
بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب
فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه بما فعلوا قل لم تؤمنوا رد لدعواهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن
للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما منتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به واشتمار ما عليه النظم الكريم على ان
يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان
والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم
حال من ضمير قولوا اي ولكن تقولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر
بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم
لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة عتيم فان
اوشيئا من النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة
الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وتم للاشعار بان شرط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال
انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله في طاعة على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج و

الجياد اولئك الموصوفون باذكرمن الاوصاف الجميلة هم الصادقون اى الذين صدقوا فى دعوى الايمان
لاغيرهم روى انه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم
اى اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض
حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شئ عليم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ فى
العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك
ان اسلموا اى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى
القطع لان المقصود بها قطع حاجة وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى لا تعدوا اسلامكم
منة على اولا تمنوا على باسلامكم فتضيعوا على التعيين بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان على زعمكم مع ان
الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجواب محذوف
يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا و
منوا به فجعلوه كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك باهو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم
للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما والله بصير
بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرئ بالياء عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحجرات

اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

ق والقرآن المجيد اى ذى المجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله
تعالى وعند الناس والكلام فيه كالكلام فى قل اوحى وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اى
لان جاءهم منذر من جنسهم لان جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل و
القرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا بل جعلوا
كلا من المنذر والمنذر به عرضة للتنكير والتعجب مع كونهما اوفق شئ لقضية العقول واقربه الى التلقى بالقبول وقيل
التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اى لم يكتفوا بالشك
والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن المجيد بالمجد
كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن ان لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شئ عجاب
تفسير للتعجب وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا
بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بوجيه او عطف
التعجب من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر
موضع المضمر اما للسبق انتظامهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم
لقدرة الله سبحانه عند مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة
اشنع من الاول واعرق فى كونه كفرا ايذامتنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل فى اذا
مضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اى حين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير
والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار
ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اى عن الاوهام او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع
الذى هو الجواب فانتصاب الظرف بما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم
واراحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم

وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبى عليه السلام كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تعيض
الارض منهم مايموت فيدفن فى الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ
من التغيير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط بتلقى منه كل شئ اوتاكيد
لعلمه تعالى بها بتثبتها فى اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة
الى بيان ما هو اشنع منه واقطع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر
وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اى وقت مجيئه اياهم وقيل اكثر القرآن او الاخبار بالبعث فهم فى امر
مريج اى مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم فى اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن اولم
ينظروا اى اغفلوا واعموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها
اى رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لكلاتها
وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل ما خبر هذا المراعاة الفواصل والارض مددناها اى بسطناها والقينا
فيها رواسى جبالا ثوابت من رسى الشئ اى ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها للارساء
الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبهج وذكرى علتان للافعال
المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا
لكل عبد منيب اى راجع الى ربه متفكر فى بدايع صنايعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اى كثير
المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الآتى
اعتراض مقرر لما قبله ومنبئ على ما بعده فانبتنا به اى بذلك الماء جنات كثيرة اى اشجار ذوات
ثمار وحب الحصيد اى حب الزرع الذى شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر
لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها
على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل
باسقات اى طوالا او حوامل من اسبقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات
لاجل القاف لها طلع نضيد اى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة
حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضمير لها فى باسقات على التداخل والحال هو المجموع
طلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اى لنرزقهم علة لعوله تعالى فانبتنا وفى تعليله بذلك بعد
تعليل انبتنا الاول بالنصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر
والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق
واحيينا به اى بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نبات فيها اصلا ان جعلنا ها بحيث ربت وانبتت انواع
النبات والاشجار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك
الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحيوة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى
البعد للاشعار ببعد رتبتها اى مثل ذلك الحيوة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير
عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حيوة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين للبعث
وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله
تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام
عليها وتعذيب منكريها واصحاب الرس قيل هو ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر فى سورة الفرقان
على التفصيل وثمود وعاد وفرعون اى هو وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل
كانوا من اصهاره عليه السلام واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين

وقوم تبع سبق شرح حالهم فى سورة الدخان كل كذب الرسل اى فيما ارسلوا به من الشرايع التى من جملتها البعث
الذى اجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد
الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث و
الحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهرا واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى
تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد
اى فوجب وحل عليهم وعيد وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول
استيناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالامر العجز عنه يقال عى بالامر
وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العى من القصد والمباشرة كانه
قيل افقدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى عجزنا عن الاعادة بل هم فى لبس من خلق جديد عطف على مقدر
يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل فى خلط وشبهة فى خلق مستانف لما فيه من
مخالفة العادة وتنكير خلق للتخييم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يجتث عنه
ويتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال و
الوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير للمللان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان
جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد
عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية
والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمى
وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه
الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه
تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما لا يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لاعمال العباد وعرض
صحايفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد ذلك مع علمه باحاطة تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له
فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك
فلمها وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقى الملكين
بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن
الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف
الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قول من قال رمانى بامر كنت منه ووالدى بريئا ومن اجل الطوى رمانى و
قيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملئكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما
يرمى به من فيه من خير او شر وقرئ يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ويكتبه فان
كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوعهما
معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد
اى معد يهيئ للكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه له يتوهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول
بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل انما يكتبان
ما فيه اجر ووزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على
يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين على صاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق
بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم

محفوظة

محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يقترع عليه من الاحوال والاهوال
وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل
والباء اما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى نطقت به كتب الله
ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد ان يكون لا محالة من الموت
او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او
بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على موجب الحكمة وانها لشدتها توجب
زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات
الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل احد
من افراده طبعا ونفخ فى الصور هى النفخة الثانية ذلك اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم
الوعيد اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك
اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد
ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق و
شهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس علا اى مهما ملكان احدهما يسوقها الى المحشر و
الآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب
السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله وحمل معها النصب على الحالية
من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كانه قيل كان النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل و
قوله تعالى لقد كنت فى غفلة من هذا محكى بإضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبنى
على سؤال نشاء عما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطابا لكل بذلك لما انه ما من
احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير على
القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث يا نفس انك بالذات مسرور فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحجاب المغطى للامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك
اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلثة وقال قرينه اى الشيطان
المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدى عتيد اى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى واضلالى
وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عتيد مهيأ للعرض واما ان جعلت موصولة
فعتيد بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا فى جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق
والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال
فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني آته عرضا منعما او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء
الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى وليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك فى الله وفى دينه الذى جعل مع الله الها آخر مبتدا متضمن لمعنى
الشرط خبره فالقياه فى العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول
لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استوفت استيناف الجمل الواقعة فى حكاية
المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته فانه مبنى عن سابقة كلام اعتذار الكافر
كانه قال هو اطغانى فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف
على ما قبلها دلالة على ان الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقوله قرينه ولكن كان

هو بالذات فى ضلال بعيد من الحق فاعتنه عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم له قال استيناف مبنى على سؤال نشاء مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لاتختصموا لدى اى فى موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى والسنة رسلى فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بانتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والحجة حال فيها تعليل للنفى على معنى لاتختصموا وقد صح عندكم انى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدى الخ ويكون بالوعيد متعلق بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس تبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير آنفا اى وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا بليغا كما لا يخفى نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا يخفى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء وللمزيد اما مصدر كالمجيد والمميد او مفعول كالمسيح ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اى يكون من الاحوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ وحى النفوس الموقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم يحشرون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تاكيد للازلاف اى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اى شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث او لتاويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العرضى كما مر فى قوله تعالى ولما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اى مقولا لهم او مقولا فى حقهم هذا ما توعدون لكل اواب اى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكم اللام من لا يوصف به ولا يوصف الا باكرة او مبتدأ وخبره ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من قوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى او مفعوله او صفة لمصدره اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملئكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاءون من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاءون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يدرج تحت مشيتهم من معالى الكرامات التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان الحساب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اى قبل قومك من قرن اشد منهم بطشا اى قوة كعاد وفراعنها فنقبوا فى البلاد اى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا فى اقطارها او جالوا فى اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف هل من محيص اى هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من المحيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف وارد لنفى ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى مسايرهم واسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى كثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى السورة لذكرى اى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمار من هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير او القى السمع اى الى ما يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان الفاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اى حاضر بفطنته لا من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات فى ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفى بها القوى والقدر من لغوب من اعياء وتعب فى الجملة ورد على جهلة اليهود فى زعمهم انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اى ما يقوله المشركون فى شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها هما وقت الفجر والعصر وفضيلتها مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشيان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اى لما يوحى اليك من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادى المنادى اى اسرافيل او جبريل عليهما السلام ايها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور

المتفرقة ان الله يامر كن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب
بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم
يسمع كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي المنادي وهو
النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي
يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان
يشاركنا في ذلك احد واليها المصير للجزاء في الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا انا نحن نحيي و
نميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من
تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتتشقق سراعا مسرعين ذلك
حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هينا وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسرية بالله تعالى نحن اعلم بما
يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار
مسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت بمذكر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
واما من عداهم فنحن نتفعل بهم ما يوجبه اقوالهم ويستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة ق هون الله تعالى عليه تارات الموت وسكراته

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا
اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا
اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في هبابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في
مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملئكة التي تقسم الامور
من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بكل الرياح
تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو وما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في
الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة
فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن
الرياح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر
وقوله تعالى ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام
بها مزيد شهادة على تحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة لمن قدر
عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف بالصدق كوصف العيشة بالرضاء والدين
الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن
المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي و
الضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار
او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها بحسن مجاريها كما تزين الموشي طرائقه الوشي وهو ما
جمع جباك او حبيكة كبتال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الجبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك و
الحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنمر والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف
متناقض وهو قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر ومجنون وفي شان القرآن الكريم تارة شعر

واخرى سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من
ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل التكثة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتناقض
اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن
او الرسول عليه السلام من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه و
يجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر الافك من افك من ذلك القول وقرئ من افك الناس وهم قريش
حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وحمله
الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول
المختلف كما نه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال
ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام
بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم
على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدا محذوف اي هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن
ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة
من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من
فتنتكم بتاويل العذاب والاشارة صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها آخذين
ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما اتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول انهم كانوا
قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم
ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة ما يهجعون من الليل قليلا
ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة
مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم
واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الفرازين النوم وزيادة ما والاسباغ
لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها و
بالاسحار هم يستغفرون اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم سلفوا
ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون
به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى
واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمجد والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي
الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها عدوة كالبساط وفيه
مسالك ومعارج للمتقلبين في اقطارها والسائحين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات
وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تنطق بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان
والطعوم والروايح وفيها دواب مبثثة قد ربت كلها وذرت لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعمالهم وفي
انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ليس في العالم شئ الا وفي الانفس نظير يدل دلالة على ما انفرد به بل العجائب
الخافية والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنايع المختلفة و
استجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تتفكرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء
رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة اولان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء

وقيل انه مبتداء خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على الضمير لما واما على الاول فاما له واما لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار للاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اى كما انه لاشك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى حقيته ونصبه على الحالية من المستكن فى الحق او على انه وصف لمصدر محذوف اى انه لحق مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافة الا غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابرهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحى والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام اولانهم كانوا فى حسبانه كذلك المكرمين اى المكرمين عند الله او عند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما فى الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال اى ابرهيم سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى يكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عم للسلام الذى هو علم للاسلام اولانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس اولان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قال فى نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لانه خاطبهم به جهارا وسالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب الضيف ان يباده بالقرى ويبادر به حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى فجاء بعجل سمين فيه تعجيل مضمحة عن جعل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها واذانا بكمال سرعة المجئ بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فجاء عجلا فحذفه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم جسما هو المعتاد قال الا تاكلون انكار العدم توضم للاكل فاوجس منهم اضمر فى نفسه خيفة لتوهمهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع فى قلبه انهم ملئكة جاؤا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبرئيل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق باتمه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفى سورة الصافات وبشرناه اى بواسطتهم بغلام هو اسحق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امراته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة اى صيحة من الصرير وهو الصوت الشديد على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمنى فصكت وجهها اى لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم اللطم وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعل المتعجب وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عقيم فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانا نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقول من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روى ان جبرئيل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوة مورقة ثمرة ولم يكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا التفاتا بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة التفاتا بما ذكر ههنا وفى سورة هود قال اى ابرهيم عم لما علم انهم ملئكة ارسلوا لامر فما خطبكم اى شانكم الخطير الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اى بعد ما قبلنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة حجارة من طين اى طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من ربك اى معلمة من السومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى سورة هود عند ذكر بك للمسرفين المجاوزين الحد فى الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام

بطريق

بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملئكة وبين ابرهيم عليهم السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع اخر كانه قيل فبشروا بما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسرا بها هلك الا من كان فيها اى فى قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن امن لوط فما وجدنا فيها غير بيت اى غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وتركنا فيها اى فى القرية آية اى علامة دالة على اصابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اى من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بهم ولا يعدونها آية وفى موسى عطف على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب بآية وقيل بحذوف اى كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اى فاعرض عن الايمان به واز ور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون كائنه نسب ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية تمادة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى فاخذناه فى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او لقاح وهى النكباء او الدبور او الجنوب ما تذر من شئ اتت عليه اى جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلى وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اى فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهى المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر وجوز ان يكون معطوفا على محل فى عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل اى من قبل هؤلاء الهالكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى والسماء بنيناها بايد اى بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق اى الموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شئ اى من الاجناس خلقنا زوجين اى نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله كى تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل وراز قه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شئونه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله

الى وقوله تعا انى لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تعالى اولوجوب الامتثال به فان كونه عليه السلام منذرا منه تعا موجب عليه م ان يأمرهم بالفرار اليه و عليهم ان يمتثلوا به اى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به و فى امره تعا للرسول عليه السلام بان يأمرهم بالهرب اليه تعا من عقابه و تعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعا لامن تلقاء نفسه و عد كريم نجاتهم من المهروب و فوزهم بالمطلوب وقوله تعا ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعا انى لكم منه اى من الحمل المنهى عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء يتضمن معنى الاخراج يقال قرمنه اى حرب واخرجه غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعا اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرر كما قيل بل بالنهى عن سببه و ايجاب الفرار منه كذلك اى الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعا ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اى ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا فى حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اى اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر توا صيهم بذلك واثبات لكونه امرا راسخا من التواصى واشتمل منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض عن جوابهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود وذكر اى افعل التذكير والموعظة ولا تدعها بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر مقرر للمنهى تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكير والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعا لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهى رحمة منه تعا وتفضل على عباده وانما الذى لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى غاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفك من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعا وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن ربه العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة على طريقة اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغير ها كمعرفة الفلاسفة

بالعبارة ه

ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكونه شانه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يكلفونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اى ما اريد ان احرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الا الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه وقرئ انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الايد فان للذين ظلموا اى ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا امكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اى نصيبا واخر من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظائرهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم الممتلئ فلا يستعجلون اى لا يطلبوا منى ان اعجل فى المجئ يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجل اى طلب وتوخاه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك و من فى قوله تعالى من يومهم الذى يوعدون للتعليل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيمة وهو الاظهر بما صدر السورة الكريمة الآية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الاخروى عن النبى عليه السلام من قرأ والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوب والمراد به القرآن او الواح موسى عم وهو الانسب بالطور او ما يكتب فى اللوح او ما يكتبه الحفظة فى رق منشور الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمارته كثرة غاشيته من الملائكة والسقف المرفوع اى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اى المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم انه عذاب ربك لواقع اى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى مالهمن دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن واقع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجئ والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما لايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اى اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم الذين هم فى خوض اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون

يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاحالا بمعنى مدعوعين ويوم امابدل من يوم تمور اوظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار الخ كنتم بها تكذبون اى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لاتبصرون اى لم انتم عمى عن المخبر به كما كنتم عميا عن الخبر اوام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا اولا تصبروا اى ادخلوها وقاسوا شدائدها فاصبروا اوامتنعوا منها ولا تصبروا ماشئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اى الامران فى عدم النفع لابدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ماكنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع ان المتقين فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم على ان التنوين للتفخيم اوفى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على ان ما مصدرية اوعلى خبر ان اوحال باضمار قدا تا من المستكن فى الخبر اوفى الحال والماض فاعل اتى اومن مفعوله اومنهما واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا اوطعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لاتنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه اوبمقابلته وقيل الباء زايدة وما فاعل هنيئا اى هنأكم ماكنتم تعملون اى جزاءه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين و قرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتاويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق اوللسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لاتتحقق بدون انضمام احدهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الخ كلام مستانف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال اكمل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتداء خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على امنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة ايمان الاباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اى فى الدرجة كما روى انه عليه السلام قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وما التناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شئ بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فينقص مثوباتهم وينحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين امنوا اى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بموانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لايستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم وكمل نعيمهم او بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشئ من الايمان لايؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم كل نفس بما كسبت رهين قيل هو فعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى

بالعمل القالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسبت رهنه اى دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بينه وبين عمله ومن ضرورته ان لاينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ النعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها اى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كأسا اى خمرا مسمى لها باسم محلها لالغو فيها اى فى شربها حيث لايتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تاثيم ولا يفعلون من يؤثم به فاعله اى يجنب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المتادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحسان الكلام وما يفعله الكرام وقرئ لالغو فيها ولا تاثيم بالفتح ويطوف عليهم اى بالكاس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كما نهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم اوخزون لانه لايحزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى يسال كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسئولا لا انه يسال بعض معين منهم بعضا آخر معينا قالوا اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته اووجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام لنفوذ السموم و قرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل ندعوه اى نعبده اونسئله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يفاجئ النفوس ويخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اى بل اليقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اترتبص هلاكى كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تامرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بهذا التناقض فى المقال فان كاهن يكون ذا فطنة ووقة نظر فى الامور والمجنون مغط عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز من ادائها اليه ام هم قوم طاغون يجاوزون الحدود فى الكابرة والعناد لايحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اى اختلقه من تلقاء نفسه بل لايؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لايخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضيته مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة للاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقايع والايام ولا ريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به و

دواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير شئ اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وصل ام خلقوا من اجل لاشئ من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا واذا لا ملاءم صنواعن عبادته ام عندهم خزائن ربك اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا او اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اى الغالبون على الامور يدبرونها كيف ماشاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويتولوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الكلام الملئكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيها لهم وتركيكا لعقولهم وايذانا بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسئلهم اجرا رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل انتسئلهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون تحملون للثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يكتبوا فى ذلك بنفى او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا هم المكيدون اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من اراد وا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويجيرهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اى عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او نسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذى فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حتى ولان قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعلامهم له طمعا فى الانتفاع وليس ذلك الا مما يدبروه فى امره عليه السلام من الكيد الذى من جملة مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجدى فى مدافعة الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير فيدفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دون ما لاقوه من قتل اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين او ورآءه كما فى قوله تريك القذى من دونها وهو دونه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يقر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر

حين تقوم من اى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اى حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشاء وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت عن البصر عليه السلام من قراءة سورة الطور كان حقا

على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته

والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى يهوى بوزن قتل اذا غرب وهوى يهوى بوزن دخل اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل فى اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى قولك اتيتك اذا احمر البسر وفى الاقسام بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شأنه ان يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كما قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم اى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الاخرة وما غوى اى وما اعتقد باطلا اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ واما على الثالث فلانه تنويه بشان القرآن كما اشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام مما نفع عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم لمكارم شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتشاره يوم القيمة او على انقضاضه من النجم الذى يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منهما فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد باستمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اى ما الذى ينطق به من القرآن الا وحى من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى علمه شديد القوى اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وما هيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اى حصانة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الافق من المغرب وملأ الافق

فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وحصل بمسح الغبار عن وجهه قيل ما راه احد
من الانبياء في صورته غير النبي عليهم السلام فانه راى فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته
على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنى اى اراد الدنو
من النبي عليه السلام فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنى من النبي يقال تدلت الثمرة
ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اى مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين
اى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في
قولك هو مني معقد الازار اوادنى على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال و
تحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى اى جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل
الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة
او فاوحى الله تعالى ج بواسطة جبريل ما اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها
امتك ما كذب الفؤاد اى فؤاد محمد عليه السلام ما راى اى ما راه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام
اى ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكذا بالانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه
ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اى اتكذبونه فتجادلونه على ما يرى معاينة او ابعد ما ذكر من
احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من
المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة
عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى نحده ولقد راه نزلة اخرى
اى وبالله لقد راى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول بضبت النزلة بضب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة
المنتهى هي شجرة تنبت في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر ورقها كاذان الفيول تنبع
من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع
الانتهاء او الانتهاء كالمرجع في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها و
قيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة
الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه
والتقدير سدرة عند منتهى علوم الخلائق او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة
المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اى الجنة التي يأوي اليها
المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به
على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية
كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواسي او
بمعنى الاتيان يقال فلان يغشانا في كل حين اى يأتينا والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى
من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد راه عند السدرة المنتهى وقت ما غشيها
ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الوف الملائكة
من الملئكة يعبدون الله عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور به الناس الكعبة وقيل يغشاها
سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث
لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش اوجراد من ذهب وهو قول ابن عباس

وابن

وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اى ما مال ببصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او
ما عدل عن رؤية النبي بسبب التي امر برويتها وكون منها وما جاوزها لقد راى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد راى
الآيات التي هي كبرا وعظاما حين عرج به الى السماء فراى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز
ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظاما من آيات ربه وان يكون من حزيرة افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش نخلة وهي فعلة
من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالنبت
ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعم الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر
فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تانيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة
كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة
يدها على راسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اى تراق وقرئ
ومناة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرونها عند الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتاخرة الوضيعة
المقدار وقد جوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان
الملئكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرايتم اللات والعزى ومناة
توجيها الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال
عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره
في الملاء الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وتمائتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرايتم
هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء لله به مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن الهتكم هل شئ لها من القدرة
والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم
وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل افرايتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم
والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى شهادة بينة فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول و
حيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور
وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى تبنى بناء التوبيخ الكائن عليه وظاهر ان ليس شئ من التقديرات
المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثرا وما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخطاء عن العائد الى المفعول
الاول فلان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة الكم الذكور وله هن اى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى
لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التحيلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يفضي
اقتضاء التوبيخ على تربيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه
سبحانه تلك اشارة الى القسمة المنتزعة من الجملة الاستفهامية اذا قسمة ضيزى اى جائرة حيث جعلتم له
ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسليم الياء كما فعل في ريض فان فعلى بالكسر لم يات
في الوصف وقرئ ضيزى بالهمزة من ضاره اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضئزى اما على انه مصدر وصف به
كدعوى او على انه كسكرى وعطشى ان هي الضمير للاصنام اى ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها
الا اسماء محضة ليس تحتها ما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيئا اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة لاسماء ضمر ها
لها للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لاجعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى
الاسم فقد جعلها اسما للمسمى وان نسبت الى المسمى فقد جعلها مسمى للاسم وانما اخترنا هنا المعنى الاول من غير

تعرض للمستمع المحقق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلثة المذكورة حيث
كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقربين
وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة
بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي
انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وابآؤكم بمقتضى اهوائكم
الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون التفات الى الغيبة للايذان بان تقاعد
قبايحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جنايتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها الا الظن
توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم
الهدى قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس و
زيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن جاءه الله تعالى بواسطة الرسول عليه السلام وانزل الكتاب
اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم و
هوى انفسهم الى بيان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه ويشتهيه
نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لانكادتدخل تحت الوجود فلله
الآخرة والاولى تعليل لانتفاء ان يكون ما يتمنى حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى يقتضي
لانتفاء ان يكون لاحد من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم عما
علقوا به اطماعهم من شفاعة الملئكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة
للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار اللفظ وكثرة
من الملئكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله
لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان و
اما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال
الملئكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها من العقاب على ما
يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اي يسمونهم كل
واحد منهم تسمية الانثى فان قولهم الملئكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى
وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة بحيث لا يجترئ عليها
الا من لا يؤمن بها اصلا وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما
يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملئكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن
اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة
عن حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شان المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما
يؤدي اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز
صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها الى فاعرض عن دعوة من اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني
وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك يستتبع لذكر
الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد الا الحياة الدنيا راضيا بها قاصرا انظاره عليها
والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشانه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته و
قصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ذا دابهم الى ما هم فيه من التولي

وقصر

وقصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجدي بهم الدعوة والانذار وجمع الضمير في
مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد و
الجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين
والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من هو من شانه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ
في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من
القبيل الاول وفي تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين عليه تعالى
رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء فعبر عنه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي
صريحا ولله ما في السموات وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا اشتراكا ولا استقلالا وقوله تعالى
ليجزي الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى
باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي الذين اساؤا
بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا للحاله او بسبب ما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما
في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو
اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء
والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في
صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من
الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من
الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه مغفور لمن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والعمرة والقبلة و
قيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين و
الاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء
اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل
المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين صغيرها وكبيرها لو لعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك
لئلا يأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى هو اعلم بكم اي باحوالكم
كلها اذ انشاكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من الارض انشاء اجماليا حسبما تقرره مرارا
واذ انتم اجنة اي ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مرتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم
وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف مقرر لما قبلها
والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة
باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لبعض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا
تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى
على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استيناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من
يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان
بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتاييده و
لم يقصد بها التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى
اي عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اي قطع

العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت فى وليد بن المغيرة كان سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله تعالى
فضمن ان تحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص
بن وائل السهمى لما انه كان يوافق النبى عليه السلام فى بعض الامور وقيل فى ابى جهل كان ربما يوافق الرسول عليه السلام
فى بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول
هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الخ اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها
تحمل صاحبه عنه يوم القيمة ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابرهيم الذى وفى اى وفر واتم ما ابتلى به من الكلمات
او امره او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل هيئ
ملقى فى النار فقال الك حاجة فقال لما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا
فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر
اخرى اى انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذى هو
اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما فى صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتداء محذوف
كانه قيل ما فى صحفهما فقيل الا تزر الخ والمعنى انه لا يؤخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح فى ذلك
قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو
وزره وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع
اليه اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء واستغفار الملئكة عليهم السلام ودعاء
الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله
قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشئ منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس
عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وقوله تعالى وان سعيه سوف يرى اى
يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة فى صحيفته ويرى انه من ارائة الشئ ثم يجزاه اى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه
الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى
الجزاء الاوفى او يبدل عنه كما فى قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اى انتهاء الخلق
ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اى
هو خلق قوتى الضحك والبكاء وانه هو اماتة واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل
نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر
والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى
اى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهى ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى واعطى
القنية وهى ما يتأثل من الاموال واقناه ما بالذكر لانها اشرف الاموال اوارضاه وتحقيقه جعل الرضاء له قنية
وانه هو رب الشعرى اى رب معبودهم وهى العبور وهى الشديدة الضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها حسن
لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام
بمخالفته اياهم فى دينهم وانه اهلك عادا الاولى هى قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى
القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا الولى بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام وعادا لولى بادغام
التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه
وقرئ وثمودا بالتنوين فما ابقى احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اى من قبل هلاك
عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون

صبانهم ان يسمعوا منه وكانوا ينهرونه عليه السلام حتى لا يكون بحراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا الفاسئة والمؤتفكة
هى قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اى انقلبت بهم اهوى اى اسقطها على الارض بعد ان رفعها على جناح
جبريل عليه السلام الى السماء فغشيها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه
فبأى آلاء ربك تتمارى تشكك والخطاب للرسول عليه السلام على طريقة قوله لئن اشركت ليحبطن عملك
او لكل واحد وافراد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل واه
كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه حيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا
لكنها قد تجرد عن المعنى الاصلى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى تداعونهم اى يدعونهم وقد تجرد عنه ايضا
فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فى ما نحن فيه فان المراء متعدد من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين
واتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اشارة الى القرآن والنذير مصدر
او الى الرسول عليه السلام والنذير بمعنى المنذر وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف صوغت
لنذير مقره وله ومتضمن للوعيد اى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم بها قبلها
او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علم من احوال
قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى ازفت الآزفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيمة اى دنت الساعة
الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اى ليس لها نفس قادرة
على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تعالى فان الموخر
لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو ليس لها من غير الله تعالى كاشف
على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا الحديث اى القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع
كونه بعد شئ من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فوتتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة
وانتم سامدون اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشاغلوا الناس عن استماعه
من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال
رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن من السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
والجملة حال من فاعل لا تبكون فلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفى والانكار وارد على نفى البكاء
والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اولى
بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان
مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى اذا كان
كذلك فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر

حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس
رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء بين فلقتى القمر و
عن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ وقد انشق القمر اى
اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاحكام اى و
ان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها ويعلموا طبقتها ويقولوا سحر

مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر او قوى مستحكم لا يمكن
ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفصمم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة
ويؤيده ما يأتي لوده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اى بالنبي عليه السلام و ما
عاينوه مما اظهره الله تعالى من المخترات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي
هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا ساحر القمر او سحر اعيننا والقمر محاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
وقوله تعالى وكل امر مستقر استيناف مسوق لانذارهم عما علقوا به اماينهم الفارغة من عدم استقرار امره
عليه السلام حسبما قالوا ساحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اى وكل امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها
لا محالة و من جملتها امر النبي عليه السلام فيصير الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي عليه السلام فيصير الى
غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح
به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان اونفرة في الدنيا و
شقاوة اوسعادة في الاخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان ذو استقرار او ذو موضع استقرار
او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اى اقتربت الساعة وكل امر مستقر
ولقد جاءهم اى في القرآن وقوله تعالى من الانباء اى انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف
هو حال مما بعده اى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اى ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع
ازدجار على ان في مجرديه والمعنى انه في نفس موضع ازدجار وقناع الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء
للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل مما او خبر لمحذوف وقرئ
بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي
للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجئ الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجئ الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة
اى فاى اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى للنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار
لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بمحذوف اوباذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء
فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا الى شئ نكر اى منكر فظيع تنكره
النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ نكر ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون
والتقديم لان العامل متصرف اى يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والكل جار
والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء
والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع
مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استيناف وقع جوابا عما نشاء من وصف
اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اى صعب
شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم
قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم
بها تقريرا للفحوى قوله تعالى فما تغن النذر اى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا
عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى وناداى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب
وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل
كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة
الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اى لم

يقتصروا

اى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اى فزجر على التبليغ بانواع الاذية
وقيل هو من جملة ما قالوه اى هو مجنون وقد ازدجره الجن وخبطه فدعى ربه الى اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول
مغلوب من جهة قومي مالي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اى فانتقم لي منهم وذلك بعد تقريره منهم بعد
اللتيا والتي فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهم منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة
الابواب وفجرنا الارض عيونا اى جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير قضاء
لحق المقام فالتقى الماء اى ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة
والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماء آن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على
امر قد قدر اى كائنا على حال قد قدرناها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر الماء
على قدر ما اخرج او على امر مقدرة الله تعالى وهو هلاك قومه بالطوفان وحملناه اى نوحا عليه السلام على ذات
الواح اخشاب عريضة ودسر وسامس جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهو صفة للسفينة اقيمت مقامها
من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر
اى فعلنا ذلك جزاء لنوح عم لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي رحمة وقد
جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اى
لكافر ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة اية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها
الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي وهو الطويل حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اى معتبر
بتلك الآية العظيمة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي
ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اى كان على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد
يسرنا القرآن الخ جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا للمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم
من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في
الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم و
شحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر
انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل
حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اى هود عليه السلام ولم
يتعرض لكيفية تكذيبهم لرومه للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه من الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان
عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره للتهويل وتعظيم وتعجيبهم من
حاله بعد بيان كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم و
قوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف ببيان ما اجمل اولا اى ارسلنا عليهم ريحا باردة او
شديدة الصوت في يوم نحس شوم مستمر اى شومها وستر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم و
صغيرهم او مستمر مرارة وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تمرع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر
وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا
باعجاز النخل وهي اصولها بالوقوع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فيبقى اجسادا اوجثثا بلا رؤوس وتذكير
صفة نخل لنظرا الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية لنظرا الى المعنى وقوله تعالى فكيف
كان عذابي ونذر تهويل لها وتعجيب من امرهما بعد بيانها فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما
حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن

فصل من تذكر الكلام فيه كالذي حرفيما سبق كذبت ثمود بالنذر اى الانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او باكثر الرسل فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرايع فقالوا استفهام انكاري اى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اى مفردا لاتبع له او واحدا من آحادهم لامن اشرافهم وهو صفة آخر لبشرا وتاخيره عن الصفة الاولى للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشرمنا واحد على الابدال وقوله تعالى نتبعه جزء والاول اوجه للاستفهام انا اذا اى على تقدير اتباعنا له وهو مفرد ونحن امة جمة نفي ضلال عن الصواب وسعر اى جنون فان ذلك يعول من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اى نيران جمع سعير فحكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول اءلقي الذكر اى الكتاب او الوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بالادعاء وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعد لهم وعيدا للقوم والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده وللراد بالغد وقت نزول العذاب اى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو لم من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر وحذر وقرئ الاشر اى الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل للراد بالغد يوم القيمة وياباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الخ فانه استيناف سوق لبيان مبادئ الموعود حتما اى مخرجوها من الصفة حسبما سالوا فتنة لهم اى امتحانا فارتقبهم اى فانتظر حالهم و تبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لهم ايوم ولهم يوم وبينهم بالتعاقب العقلاء كل شرب يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجراء على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اى الحاضرا كهشيم المحتظر اى كالشجر اليابس الذي يتخذه من يفعل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته او الشاد وقرئ بفتح الزاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهي آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه اى بلثيثين بسحر نعمة من عندنا اى انعاما منا وهو علة لنجيناهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اى اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسخناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما وخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لايهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام فذوقوا عذابي ونذر اى فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملئكة اوظاهر الحال والمراد بالطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لايفارقهم حتى سلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ما قبله من عذاب الطمس فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم من جهته تعالى شديد للعذاب ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر مر بيانه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر ال فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اى وبالله لقد جاءهم الانذارات و قوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استيناف مبني على سؤال نشاء من حكاية مجئ النذر كانه قيل فماذا فعلوا حين فصل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لايغالب مقتدر لايعجزه شيء الفارقم

يا معشر

يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انا اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تظنون الا ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوءحالا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت باذكر الى التبكيت بوجه آخر اى بل الكم براءة وامن تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوايلها في الكتب السماوية فلذلك تقرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والاكتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبايحهم لغيرهم اى بل اليقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو احزم ورای امرنا مجتمع لانرام وانضام او منتصر من الاعداء لانغلب لوثنا صر بعضنا بعضا وللافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اى سيهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اى الادبار و قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لاادري اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وقرئ سيهزم الجمع اى الله عز وعلا بل الساعة موعدهم اى ليس هذا اتمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهو اس طلايعه والساعة ادهى وامر اى في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعية في موقع اضمارها للتربية بهولها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اى في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الى منصوب باذكر ما يفهم من قوله تعالى في ضلال اى كائنين في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اى يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اى قاسوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصفوته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدا وخلقناه جمزه ومالعنا الا واحدة اى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن اوالا فعله واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اى اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر بتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي في الزبر اى في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حال المؤمنين لينكشف التهويل والترغيب بين لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اى من الكفر والمعاصي في جنات عظيم الشان و نهر اى انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ بضم الكاف والسين وفي مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر عند مليك لايقادر قدره ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل عيد بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

لما عدد في السورة السابقة ما انزل الامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القران قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها

اخلالهم بواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل الرحمن علم القرآن لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا
وهو مدار للسعادة الدينية والدنياوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرتبوا اليه احداق الامم الا وهو
منشاؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه
من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان
علمه البيان تعيينا للمعلم وتنبيها لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة و
الباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان
غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف
لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك
امر الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع
من الارض ولا ساق له والشجر اي الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا والجملتان جزآن آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي
اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كما انه
قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط الواو
بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان
كلا من حال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث
جعلها منشاء احكامه وقضاياه ومنزل اوامره ومحل ملئكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه وسلطانه
ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر بان وفر كل مستحق ما استحقه وفي كل ذي
حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان الوحي
وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يوزن به مقادير الاشياء من
ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخصوصا على الارض حيث علق
به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان
لئلا تطغوا على ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اي لا تطغوا
على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا او لا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا
على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا اللسان بالقسط والعدل و
قيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امرا اولا بالتسوية ثم نهي عن الطغيان
الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
به وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره
ويخسره وبفتح السين ايضا على الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
اي خفضها ممدوحة على الماء للانام اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على الارض من دابة وقيل
الثقلان فيها فاكهة استيناف مسوق لتقرير ما افاده الجملة السابقة من كون الارض موضوعة
لمنافع العايدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال هو الجار والمجرور و
فاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية الثمر جمع كم او
ماكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب
هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق
اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وقرئ

والحب ذا العصف والريحان اي خلق الحب والريحان او احفق ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان
قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو مالا روح قاله القرطبي فبأي آلاء
ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان
والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان و
الشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم
لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآية تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم
القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم
الدنيوية الواصلة اليهم بإسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم
لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب
لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة
اي فاذا كان الامر كما فصل فبأي فرد من افراد الآلاء ما لكما ومرتبيكما تلك الآلاء تكذبان مع
ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ
على اخلالهم بواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي
له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الامرين وخلق الجان اي الجن
او ابا الجن من مارج من دخان صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب
فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين
بالرفع على خبرية مبتداء محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء
ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج البحرين
وقرئ بالجر على انه بدل ربكما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوايد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها
والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اي يتجاوران ويتماسى سطوحهما لا فصل بينهما في راي العين و
قيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما حيلجان ينشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة
الله عز وجل او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شئ يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره نسبة
خروجها الى البحرين مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا ما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
او لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان
من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ نخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل من خرج
اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع
الراء وبحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسنات واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع او الآلات ينشئن الامواج بجريهن في البحر
كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن
والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره

سبحانه كل من عليها اى على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من التغليب فان هالك لا محالة
ويبقى وجه ربك اى ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل
الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظايم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام
الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد
استجيبت لك وقرئ ذى الجلال والاكرام على انه صفة ربك وايا ما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء
الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
فبأى آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحيوة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء
يسأله من فى السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم
سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقايقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود
وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رايحة
الوجود اصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها من سورة ابرهيم عليه السلام كل يوم اى كل وقت من الاوقات هو فى شان من الشئون
التى من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفنى آخرين ويأتى باحوال ويذهب باحوال
حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما و
يضع آخرين وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فبأى الاء ربكما تكذبان
مع شاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شئون
الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شان فلا يبقى حينئذ الا شان واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ
لهم بطريق التمثيل او هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى
عنه والمراد التوفر على الكناية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم
اى سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة ارائهما
او لانهما مثقلان بالتكليف فبأى الاء ربكما تكذبان التى من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما
يؤدى الى سوء الحساب تكذبان باقوالكم واعمالكم يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم
جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك ببيان
ان قدرتهم لا تفى بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
اى ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن اقطار سمواتى وارضى فانفذوا منها وخلصوا
انفسكم من عقابى لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اى بقوة وقهر وانتم من
ذلك بمعزل بعيد روى ان الملئكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها
الا وجدوا الملئكة احاطت به فبأى الاء ربكما تكذبان من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع
كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب
الاحمر وقيل اللهب الاحضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان
جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمحذوف هو صفة لشواظ اى كائن من نار و
التنوين للتفخيم ونحاس اى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر
عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف وحلف
وقرئ ونحس اى نقتل بالعذاب فلا تنتصران اى لا تمتنعان فبأى الاء ربكما تكذبان فان بيان
عاقبة ما عليه من الكفر والمعاصى لطف واى لطف ونعمة اى نعمة فاذا انشقت السماء اى انفطرت

يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب
التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنايم او يموت كريم كالدهان خبرتان لكانت او لغيرت
لوردة او حال من اسم كانت اى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الادهم
الاحمر وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دايرة المقال فبأى آلاء ربكما تكذبان
مع عظم شانها فيومئذ اى يوم انشقاق السماء جسما لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم
وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف وداذوا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم
اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدم رتبته وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه
قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى فبأى الاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجر
عن الشر المؤدى اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم استينافى يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون
وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام الجار والمجرور هو القايم مقام الفاعل يقال
اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان الماخوذ ثيابا من
ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذا لله بيدك اى
يجمع بين نواصيهم واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملئكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام
فبأى الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم الخ يكذب بها المجرمون على ارادة القول اى يقال لهم ذلك
بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استينافية وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصى والاقدام و
اللام عوض عن المضاف اليه وما بينها اعتراض يطوفون بينها اى بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ما بلغ
من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأى الاء ربكما تكذبان
وقد اشير الى ستر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع فى تعداد الآلاء
الفايضة عليهم فى الآخرة بعد تعدادها وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه
الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكما بانها
الواصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل ما يؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة
وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من النعم الدينية والدنيوية الانفسية
والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكما بانها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى
الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهايلة التى ستقع فى الآخرة
فليست هى من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكما بانها الموجبة للاتزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى
كما اشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين
او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخايف عند ربه للحساب احد العينين واضافته الى الرب
للتشريف والتهويل او هو مخصص للتعظيم جنتان جنة للخايف الانس وجنة للخايف الجن فان الخطاب للثقلين
والمعنى لكل خايف منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى
او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء متى بعد فبأى الاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف
والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فنن اى ذوا افنان من الاشجار والثمار او جمع فنن اى ذوا
اغصان منشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وقد الظل فبأى الاء ربكما تكذبان
وليس فيها شئ يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اى فى كل واحدة منهما عين تجرى

كيف يشاء صاحبها فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء والزلال احديهما التسنيم واخرى السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان بتجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اى صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لمامر آنفا فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من المأيفين لان من خاف فى معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظواهرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنا الجنتين دان اى ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب منالة القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء مضطجعا وقرئ جنا بكسر الجيم فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اى فى الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انها لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله متكئين وقيل فيهما لان الاماكن والقصور وقيل فى آلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اى لم يمسسن الانسيات احدا من الانس ولا الجنيات احدا من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان للجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتى قبلها اى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان اى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما قبله اى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما كما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اى حمراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه استعارة بالغة على ما بين الجنتين النبات والرياحين المبسوطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اى فعارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملئكة بيانا فان النخل ثمرة فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رح من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اى حسان الخلق والخلق فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات فى الخيام قصرن فى خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خباهن درة مجوفة فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذى مر من نظيره من جميع الوجوه فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من اعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط والبسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الغسطاط رفارف ورفرف السحاب حيد به وعبقرى حسان

العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى اعباقر فى اسم البلد فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فى تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من الآية الفائضة على الانام اى تعالى اسم الجليل الذى من جملة ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع مما لا يليق بشانه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسته دلالة عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الرحمن اداى شكر ما انعم الله عليه

اذا وقعت الواقعة اى اذا قامت القيمة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع فى حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب فى نفسها كما يكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحيوتى وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعافية اى ليس لاجل وقعتها وفى حقها كذب اصلا بل كل ما ورد فى شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدا محذوف اى هى خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقايع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلقة بخافضة رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض او عند ذلك بتخفيض ما حقه ان يرفع وترفيع ما هو متخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اى رجت ودهدهت فكانت اى فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ايها الامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اى اصنافا ثلثة فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود او فى الذكر فهو زوج وقوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة تقسيم وتنويع للازواج الثلثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدا وقوله ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما هم اى اى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الوصف والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين فى الوخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال واصحاب المشئمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشئمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاءمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون

صحايفهم بايمانهم والذين يوتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمين واصحاب الشوم فان السعداء ميامين على انفسهم والاشقياء ميامين عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونها اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا مؤذن باحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وايا ما كان فالجملة مبتداء وخبر والمغنى والسابقون هم الذين اشتهر احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى رحمة السابقون الى طاعة الله تعالى او السابقون الى الخير وقوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظار القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهر والذى يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب اليمين خبر مبتداء محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب الشمئة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتعقيد فاصحاب اليمين واصحاب الشمئة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين مبنية عن تراخى احوالها في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتداء وما بعدها خبر على ما راه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان اصحاب اليمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب اليمنة كما يفيده كونها مبتداء وكذا الحال في اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فعوله تعالى السابقون مبتداء والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدا ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او الثانى والجملة خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اى كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتداء محذوف اى هم امة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليه وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الاخرين اى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم فان الكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لا تمنع الكثرية تابعى هؤلاء من تابعى اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا ينافى كثرية احدهما من الآخر وسياتى ان الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا ان الاولين والآخرين ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موصوفة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموصوفة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوشى وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما يتعلق به على سرر اى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى

اواستيناف اى يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون اى يبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيئات فيعاقبون عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن وفى حديثه عليه السلام اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم وابارين اى آنية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين اى خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوة لا يصدعون عنها اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداع عنها وقرئ لا يصدعون اى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اى لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اى لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اى يختارونه ويأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اى يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتداء محذوف الخبر اى وفيها او لهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان من يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب ويوتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحورا وحال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اى يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اى باطلا ولا تاثيما اى ولا نسبة الى الاثم اى لا لغو فيها ولا تاثيم ولا سماع كقوله ولا ترى فيها عوجا ولا امتا بخلاف لغو الدنيا وتاثيمها الا قيلا اى قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يعشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام اى لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤنهم الفاضلة اثر تفصيل شؤن السابقين وهو مبتداء وقوله تعالى ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها لمحلها اما الرفع على انها خبر للمبتداء او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتداء او للمبتداء محذوف والجملة استيناف لبيان ما ابهم في قوله تعالى ما اصحاب اليمين من علو شانهم اى هم في سدر غير ذى شوكة لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اى قطع وقيل مخضود اى مثنى اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او لم يخلق له شوك او شجر كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمرا حلى من العسل وعن على رضى الله عنه انه قراء وطلح وما شان الطلح وقراءة قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نخولها قال آى القران لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب سكب لهم اينما شاؤا وكيفما ارادوا بلا تعب او مصبوب سايل يجرى على الارض في غير اخدود كانه مثل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا يخطر عليها كما يخطر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اى رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المراة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى وازواجهن على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشانا هن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن من غير ولادة ابداء

اوا عادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويا فى السن بنات ثلث وثلثين سنة وكذا ازواجهن والكلام فى قوله تعا لاصحاب اليمين متعلقة بانشانا اوجعلنا اوبا تراب كقولك هذا ترب لهذا اى مساوله فى السن وقيل بمحذوف هو صفة للابكار اى كائنات لاصحاب اليمين اوخبر مبتداء محذوف اى هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتداء محذوف خمنت به فقيل اصحاب اليمين اى هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اى من سابقى هذه الامة فى اخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتى واصحاب الشمال شروع فى تفصيل احوالهم اثر عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى فى سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير تاتى الجلة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر تحقيقا انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اى لا هو بارد ولا كريم و قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بانواع التنعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بقضائها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما مخرة وبتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى انا لمبعوثون لانفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكارهم به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتخلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى قوله تعالى افلا تعقلون على رأى الجمهور فان المنع عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك و استبعادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتمادیهم فى الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى أو اباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او اباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم و فى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقت به الدنيا من يوم و الاضافة بمعنى من كما تم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا او رتبة المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع وحمل على معنى من لفظ الاكل من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون الاكل من

شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمفر هو وصف لشجر اى كائن من زقوم فمالئون منها البطون اى بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريب من الحميم اى الماء الحار فى الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعا فكذبوا عبدنا اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا املؤا منه بطونهم وهى فى غاية الحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربون شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب هذا اى الذى ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فاظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرايتم ما تمنون اى تقذفون فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امنا ما اءانتم تخلقونه اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما يقتضيه مشيتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين اى انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا نغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتى مكانكم اشباهكم من الخلق ونشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن اى نجعلكم قردة وخنازير والمعنى ونشئكم بعد البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم وما سبقنا احد فيهرب من الموت او يفوته وقته وعلى ان نبدل لما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشاة الاولى هى خلقهم من نطفة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم من التراب فلولا تذكرون فهلا تتذكرون ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا اذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الآخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق للنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور افرايتم ما تحرثون اى تبذرون حبه وتعملون فى ارضه اءانتم تزرعونه تنبتونه وترددونه نباتا يوف ام نحن الزارعون اى المنبتون لا انتم والكلام فى ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما ابتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على لحسن ما يكون من الحال وتندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون اى تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظلتم على الاصل انا

المغرمون اى الملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ انا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب من فاعل تفكهون اى قائلين او تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محاربون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لنا والجد والدون افرايتم الماء الذى تشربون عذابا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به ءانتم انزلتموه من المزن اى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا فلما زعافا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون تخضيض على شكر الكل افرايتم النار التى تورون اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ءانتم انشاتم شجرتها التى منها الزناد وهى المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المبنئ عن بديع الصنع للعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء فى قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استينافان مبينان لمنا فيها اى جعلنا ها تذكير النار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظر والليها ويتذكروا بها امر الاخرة او عدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روى عن النبى عليه السلام ناركم هذه التى يوقد بها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس ببدع من اخراج النار من الشئ الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم وزادهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خللهم فيما لا يوكل الا بالطبخ وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروى والفاء فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتب ما بعدها على ما عدد من بدايع صنعه تعالى وروايع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم فى عمط النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابغة اى فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشئ وذكره والعظيم صفة الاسم او الرب فلا اقسم اى فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتداء واشبع فتحة لام الابتداء وبعضده قراءة من قراء فلا اقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيابا ه تعيين المقسم به وتفخيم شان المقسم به بمواقع النجوم اى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير اولان ذلك وقت قيام المتهجدين والمتبهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم شان قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بالغ القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى انه لقران كريم اى كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفى علمهم او محذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه او لعلمتم بموجبه فى كتاب مكنون اى مصون من غير المقربين من الملئكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون

اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملئكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية او اوضار الاوزار او للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى اى لا ينبغى ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغى له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من الطهر بمعنى طهر او المطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزلا افبهذا الحديث الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم انتم مدهنون اى متهاونون بمكن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكركم ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لا لطلب عجزهم واذا ظرفية اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتراعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملئكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التخضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتاكيد وهى فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بحالة تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الخ شروع فى بيان احوال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان الذى يتوفاه الله تعالى من الازواج الثلثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اى فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفتحها بالرحمة لانها سبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اى ذات نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الاخيرين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه السلام لاحكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين هم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذكر لهم بذلك واشعار بسبب ابتلائهم بالعذاب فنزل اى فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها وقيل مقاساة للوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر

في السورة الكريمة فهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيقة ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي عليه السلام من قراء سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

حديد

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه بجانه من سبح في الارض وللماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملئكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما في نصحت له وشكرت او للتعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه وجيئ في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من من شانه التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملاء الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا يناوئه شئ الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اى التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استيناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شئ من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدؤها ومبدء لها والاخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن بقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فنية فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا يحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شئ عليم لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكها وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في سورة سباء وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما دارط وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطة باعمالهم فتاخيره عن الخلق لان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا ما قبل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اى اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اى مبالغ في العلم بذات الصدور اى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطة باعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما

جعلكم مستخلفين فيه اى جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال و الارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل لصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف كان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم توريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا مبتدا وخبر امر وابه لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان وكرر الاسناد ونكر الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استيناف سوق لتوبيخهم على ترك الايمان بعد ما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اى اى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما يكون تارة لانكار الواقع كما في اتقرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اوضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في ما نحن فيه وفي قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى ومالي لا اعبد الذي الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اى واى عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اى وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ بنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب تاما فان هذا هو الموجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح آيات بينات واضحات لتخرجكم اى الله تعالى او العبد بها من الظلمات الكفر الى النور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي تبين حاله فيما سبق وتعيين النفق فيه لتشديد التوبيخ اى واى شئ لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى اعينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل ومالكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شئ بل يبقى كلها لله تعالى وانظر الاسلم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق ضالهم على مجرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضمير في السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار

بعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء اى اولئك الممنوعون بذينك النعتين الجميلتين اعظم
درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام
وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين
قال فيهم النبى عليه السلام لو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد
ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اى كل واحد من الفريقين
وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله
تعالى للخ والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى ابى بكر رضى الله عنه فانه
اول من انفق فى سبيل الله وخاصم الكفار وضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذى يقرض
يقرض الله قرضا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات
المنفقين اى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانكن يقرضه فان حسن الانفاق بالاخلاص
فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل
ايقرض الله احد فيضاعفه له اى فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم فى نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ
بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدأ اى فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تخليصا
لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى بين ايديهم وبايمانهم
وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفى ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن
وعن ابن مسعود رضى الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل
القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله يطفأ تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط
وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استيناف اى يقال
لهم بشراكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اى ذكر من النور والبشرى بالجنات
المخلدة هو الفوز العظيم الذى لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون و
المنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا اى انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع
بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اثارهم فى المشى الى
ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اى نستضئ منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم
من جهة الملئكة ارجعوا وراءكم اى الى الموقف فانه من ثم يقتبس اولى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل
مبادية من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور
وراءهم وانما قالوا تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم
الفريقين بسور اى حائط والباء زائدة له باب باطنه اى باطن السور او الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة
فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذى يلى النار من قبله من جهة العذاب وقرئ فضرب على البناء
للفاعل يناديهم استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فاذا يفعلون بعد ضرب السور وبمشاهدة العذاب
فقيل ينادونهم ألم نكن فى الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر قالوا بلى كنتم معنا
بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم مخنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم فى امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة الى من جملتها الطمع فى انتكاس امر الاسلام حتى جاء

امر الله اى الموت وغركم بالله الكريم الغرور اى غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ
الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اى ظاهرا و
باطنا مأواكم النار لا تبرح عنها ابدا هى مولاكم اى اولى بكم وحقيقة مكانكم الذى يقال فيه هو اولا
بكم كما يقال هو مينة الكرم اى مكان يقول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب
او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجبا تها وبئس المصير اى النار
ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استيناف ناع عليهم قسوة قلوبهم فى امور الدين وحاوده عقدهم
فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما
هاجروا اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله استبطأ
قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن اى ألم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره
تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء ما نهوا عنه من غير توان ولا فتور
من ان الامر اذا جاء اناه اى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ ان يأن وفيه دلالة على
ان المنفى متوقع وما نزل من الحق اى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف
لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومع الخشوع الانقياد التام لاوامره
ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله
تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على يخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن
مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وفوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين
شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اى الاجل وقرئ
الامد بتشديد الدال اى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الرقة التى كانت تأتيهم من الكتابين
فقست قلوبهم فهى كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اى خارجون عن حدود دينهم رافضين
لما فى كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر
والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الآيات
التى من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة
الدارين ان المصدقين والمصدقات اى المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف
الصاد من التصديق اى الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف
على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه
فصلا بين اجزاء الصلة باجنبى وهو المصدقات واجيب بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا و
تصدقن واقرضوا نحو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين
بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات بينهم
كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص منشأ
استحقاق من لمضاعفة الاجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الانفاق
بحثهن على التصدق لما روى انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فانى ارتكن اكثر اهل النار
وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض عبارة عن
التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء

للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف اى ثواب التصدق وقرئ
على البناء للفاعل اى يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مرتفع من الحطام
والذين آمنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم فى خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة
الى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان
وقوله تعالى هم مبتدأ وثالث جزء الصديقون والشهداء وهو مع جزئه خبر للثانى وهو مع جزئه خبر
للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اى اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين
والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله
تعالى او هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله
تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لشرات ما
وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار
وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اى لهم مثل اجرهم
ونورهم الموعودين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذفت اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حدّ
الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر و
النور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين
من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثانى فجمع لكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان
لهم هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم جزءه وقيل الخبر لهم اجرهم
الخ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم
بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال و
الاولاد بعد ما بين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى واشير الى
انها من محقرات الامور التى لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال و
شبكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اى الزراع نباته اى النبات الحاصل به ثم يهيج
اى يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر
ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المرتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا وحمل
الكفار قبل التعب على الحالية من الضمير فى لعب لانه فى معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا
بتقدير المضاف اى مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف
عليها اشير الى فخامة شان الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من
عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفى الآخرة عذاب شديد لانه من نتايج الانهماك فيما فصل من احوال
الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
اى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب
الآخرة فاما اذا ادعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اى سارعوا مسارعة
السابقين لاقرانهم فى المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اى الى موجباتها من الاعمال الصالحة
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى كعرضها جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل
المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله
ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ذلك
الذى وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يوتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه

ايا

ايا من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه
ما اصاب من مصيبة فى الارض كجدب وعاهة فى الزروع والثمار ولا فى انفسكم كمرض وآفة الا فى كتاب
اى الاكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى او فى اللوح من قبل ان نبرأها اى نخلق الانفس او المصايب او
الارض ان ذلك اى اثباتها فى كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه من العدة والمدة لكيلا تأسوا
اى اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اى اعطاكم الله تعالى منها فان من
علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو
آت وقرئ بما آتاكم من الاتيان وفى القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم ليحقها اذا خليت وطباعها واما
حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم
لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان
من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح
المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى
الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد اشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله
الغنى لقد ارسلنا رسلنا اى الملئكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اى الحجج
والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اى جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط
اى بالعدل روى ان جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل
ايد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة و
معه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن
وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل
من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان الآلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله
عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعلوه وليعلم الله علما يتعلق به
الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر
والواو اعتراضية اى وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى
بالغيب حال من فاعل ينصره او مفعوله اى غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوى عزيز
اعتراض تذييلى جئ به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته و
اظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا باستثمال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته
عنهم فى كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير
القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلنا هما وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب
بان استنبأنا هم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اى من الذرية او من المرسل
اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق
المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا
على آثارهم برسلنا اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من المرسل للذرية

فان ارسل المتفق بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم
ونحوه في شان اصحاب النبي عليه السلام رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل مفسر بفسره الظاهر وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم وللابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة و
الانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي و
وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا
على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل ففروا ان يفتتنوا
في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة منقطعة
وقيل صفة اخرى لرهبانية على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثناء
منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فخرجتم بقولكم نعالج فما رعوها حق رعايتها
من حيث ان النذر عبد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى
نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بعضهم
فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها
فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت واني لها استتباع الاجر اجرهم اي يخص بهم من الاجر وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حد الاتباع وحمل التوقيت على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمحلين بها اذ ذاك
بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده
المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد عليه الصلوة
والسلام وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته
لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت
حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي بالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا
يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله
يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولام مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم وكي يعلم ولان
يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها
الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انه مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من
الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل
بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء جزء ان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى و
الايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن
من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في
الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم
مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لئلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح
اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا بإذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للذين

عليه السلام

عليه السلام واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عليه السلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي
هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون
قوله تعالى ان الفضل بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

قد سمع الله بالاظهار والدال وقرئ بادغامها في التاء قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام في
شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسألك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك
اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن عمرة
الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على قال فقال لها ما الظنك الا قد حرمت علي
فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فلم
حرمت عليه وفي رواية ما أراك الا قد حرمت عليه في المرادكلها فقال اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وجعلت تراجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فرقتها وفي كلمة قد
اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كما يلوح
به ما روي انه عليه السلام قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء وانتهما كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول
اللهم اني اشكو اليك على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا الوجود علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله
تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار التسمع حسب استمرار التحاور
وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استيناف جار مجرى التعليل لما قبله فان
الى فيما في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى مدافعة عليه السلام اياها بجواب مبني على التوقف و
ترقب الوحي وعلم تعالى بحالها من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير
تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ابتهالها
من الحسنات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة
وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شان
الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق
من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم في منكم مزيد توبيخ للعوب وتهجين لعادتهم
فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهروون ويتظاهرون
وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع
على لغة تميم وباتهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع
بهن من المرضعات وازواج النبي عليه الصلوة والسلام فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فما بعد
شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على اثر الناكيد ليس صدور القول عنهم فانه
امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون
قولا عظيما وزورا اي مجانفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منهم
على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار
بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك
القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى
ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام وفي تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر

الجحيم وقوله تعالى بانك ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحى الى نوح فتحرير رقبة اى فندارکه اوفعليه اوفالواجب اعتاق
رقبة اى رقبة كانت وعند الشافعي رح يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائد ها الدلالة على تكرر
وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ماقالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة
المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه مايقول اى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون
العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اى من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها
بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا
يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم حس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة
الى الحكم المذكور وهو مبتداء خبره توعظون به اى تزجرون بعن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر
عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة
الخ هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردع لكم وزجر كم عن مباشرة مايوجبه والله بما تعملون
من الاعمال التي من جملتها التكفير ومايوجبه من جناية الظهار خبير اى عالم بظواهرها وبواطنها وجازيكم
بها فحافظوا على حدود ماشرع لكم ولاتخلوا بشئ منها فمن لم يجد اى الرقبة فصيام شهرين اى فعليه صيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطاء فمن لم يستطع اى الصيام بسبب من
الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على
المسيس لكن لايستانف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى الامر من البيان والتعليم للاحكام
والتنبيه عليها ومافيه من معنى البعد قدمر سره مرارا وحملة اما الرفع على الابتداء او النصب بفعل معلل بما بعده
اى ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعلوا بشرايعه التي شرعها لكم وترفضوا ماكنتم عليه في
جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة ومافيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله
التي لايجوز تعديها وللكافرين اى الذين لايعلون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على
طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اى يعادونهما و
يشاقونهما فان كلا من المتعادين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير
حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا
غاية وراءه كبتوا اى اخزوا وقيل غلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو واقع
يوم الخندق قالوا مغ كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت
الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من
واو كبتوا اى كبتوا المحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيهن حاد الله ورسوله من قبلهم من الامم
وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ماجاء به وللكافرين اى بتلك الآيات او بكل
مايجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله
منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اى كلهم
بحيث لايبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبايح ببيان صدورها
عنهم او بتصوير ما في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد تجهيلا لهم وتشهيرا
بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما
عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه
الله عد والم يفته منه شئ فقوله تعالى ونسوه ح حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف
المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليفرحوا بما عاينوه من العذاب انما حاق

بهم لا يخفى عليه شئ مزيد تهويل وتفظيع لهم غير التجهيل والتشهير والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على كمال
شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
اى الم تعلم علما يقينيا مناخا للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او
بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين
لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي اى ما يقع
من تناجي ثلثة نفر اى من مساديهم على ان نجوى مضافة الى ثلثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف
اى من اهل نجوى ثلثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اى الله عز وجل رابعهم اى جاعلها اربعة
من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استيناف مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى
خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر لما الخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين
واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اى مما ذكر
كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا
على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل للنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانت تحت الارض
فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى تتفاوت باختلاف الاماكن قربا وبعدا هم ينبئهم وقرئ
ينبؤهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شئ عليم لان نسبة
ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود و
المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم عادوا والمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه السلام والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على
تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
عطف عليه داخل في حكمه اى بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وذكره
عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم
وقرئ ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيتوك بما لم يحيك به الله فيقولون
السام عليك وانعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اى فيما بينهم لولا
يعذبنا الله بما نقول اى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبينا حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس
وبئس المصير اى جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في اندتيكم وفي خلواتكم فلا تناجوا بالاثم و
العدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين
وتناجوا بالبر والتقوى اى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه السلام واتقوا
الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما
النجوى المعهودة التي هو التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها
والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اى انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم
وليس بضارهم اى الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن
الله اى بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بانجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره ومكره يا
ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اى توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم
افسح عني اى تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به
الجنس وقيل مجلس الرسول عليه السلام وكانوا يتضاغون تنافسا في القرب منه وحرصا على استماع كلامه

وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف
ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اى توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اى في كل ما ترتدون التفسح فيه من المكان والرزق و
القبر وغيرها واذا قيل انشزوا اى انهزوا للتوسعة على المقبلين اولا امرهم به من صلوة او جهاد او
غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهزوا ولا تستبطئوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين
امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا
درجات عالية بما جمعوا من اثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا
يدرك شأوه العمل العادى عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم
يمتثل بالامر وقرئ يعلمون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤنكم المهمة
الداعية الى مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اى فتصدقوا قبلها مستعار من لبدان
وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص
والمنافق ومحب الاخرة والدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى اأشفقتم وهو
وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد
غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه
لم تبق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اى التصدق
خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان
الله غفور رحيم مبنى عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق اأشفقتم ان تقدموا
بين يدى نجواكم صدقات اى اخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من
الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم
ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم من الاقبال على العمل بما قام مقام توبتهم واذ
عليا بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بحقها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما
تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء وينا صحونهم
وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اى الم تنظر الى الذين تولوا اى والوا قوما غضب الله عليهم وهم
اليهود كما ينبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اى يقولون والله انا
لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب
تكرر ما يقتضيه قوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف
عالما بانه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلم
روى انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت و
اصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى

من الزمان

من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة
وقرئ بكسر الهمزة اى ايمانهم الذى اظهروه للاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على
هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة
وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استحلابها بالفعل فان ذلك متأخر عن
المؤاخذة المبنية بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سبيلها ايضا كما يرشد
عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اى انفسهم عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في
الاسلام وتضعيف امر المرسلين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب
القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا من الاغناء
روى ان رجلا منهم قال لنصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات
القبيحة اصحاب النار اى ملازموها ومقاسوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا
قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اى لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون
لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شئ من جلب منفعة او دفع مضرة
كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يذبون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم
الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب
وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اى استولى
عليهم من حذت الابل اذا استولت عليها وجمعها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستوفى اى ملكهم
وتالهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح حزب
الشيطان اى جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية
وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه والتحقيق و
اظهار المضافين معا في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين
يحادون الله ورسوله استيناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه على
العلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة
في الاذلين اى في جملة من هو اذل خلق من الاولين والآخرين لان ذلة احد الضدين على مقدار عزة الآخر
وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحادده كذلك كتب الله استيناف وارد لتعليل كونهم
في الاذلين اى قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به نحو ليغلبن انا ورسلي اى
بالحجة والسيف وما يجرى مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وانا جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في اراده
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد ويجوز ان يكون متعديا الى اثنين فقوله تعالى
يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله المتخصص بالصفة وقيل صفة اخرى
له اى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي
الموادة على منع اذ لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقدان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل واحد ولو كانوا
اى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم آباء الموادين او
ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يتبجح الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على التفصيل
مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادون ونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم واشدهم رحما وما فيه من بعد
رفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب في قلوبهم الايمان اى اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم

الايمان فان جزء الشئ في القلب ثبت فيه قطعا ولا شئ من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اى قواهم بروح منه
اى من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فان تجريد
وجوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اى ويدخلهم في الآخرة جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا الآبدين وقوله تعالى رضى الله عنهم استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم
من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى
اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون
بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر في مثلها عن النبي

عليه السلام من قراء سورة المجادلة كتبت من حزب الله يوم القيمة

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر تاويله من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول هنا
لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير
وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي عليه السلام و
عاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما كان
يوم احد وكان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله ع م
فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا
من المدينة فاستمهلوه عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من
الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فتربصوا على الازقة وحصنوا فحاصرهم النبي ع م
احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء
على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فحملوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم
آل الى الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في
السموات الى قوله تعالى والله على كل شئ قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع
اليه تعالى بذلك العنوان امابناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا للاسم
الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من آله غير الله ياتيكم به اى بذلك
وعليه قول رؤبة بن العجاج كانه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج
الخ ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اى في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط
لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه
اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان
يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ظنوا
ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم
بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معارتهم ويجوز
ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اى امر الله تعالى وقدرته المقدور لهم من
حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وقلل شوكتهم وسلب
قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم اى فاتاهم
العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اى اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اى يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم

يستدا واما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين وليتقلوا معهم
بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة المتحصنهم وممتنعهم و
توسيعا لمجال القتال وغاية لهم واسنا وذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قبل
الجلاء او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب
النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الالباب فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد
يهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة ما ادى اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال
انفسكم فلا تتولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما
فصل في موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اى الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم
في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف غير متعلق بجواب لو
جئ به لبيان انهم ان نجوا من عذاب بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الاخرة ذلك اى ما حاق بهم و ما
سيحيق بهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبايح ومن يشاق
الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفعال والاقتصار على ذكر مشاقة تعالى لتضمنها لمشاقة عليه السلام
وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من مجد من يشاقه
اى شديد العقاب له او تعليق للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية
تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب الاجل
والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد
فان لهم عقاب شديد ما قطعتم من لينة اى اى شئ قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وباؤها
مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كدية وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على ليان وهي النخلة الكريمة او
تركتموها الضمير للينة وتانيثه لتقييده بالتنكير كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا بشئ ما وقرئ على اصولها اما على الاكتفاء من الواو بالضم
او على انه جمع كرطن وقرئ قايما على اصوله وما بالي لفظ ما فباذن الله فذاك اى قطعها وتركها بامر الله
تعالى وليخزي الفاسقين اى وليذل اليهود ويغيظهم باذن في قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين
يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا وتيقاعفون
حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع
ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد
وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب
العاجل والآجل وما نفعل بديارهم وتخيلهم من التخريب والقطع اى ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان
حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع في ايديهم بغير حق وجعله الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق
الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اى من بني النضير
فما اوجفتم اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمتم من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب
من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير ولما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها
وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك
لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي عليه السلام فافتتحها صلحا
من غير ان يجري بينهم مسايفة كما قيل وانما الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء اى بمشيته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا

خاصا وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تفتحوا اضافيق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق كم في اموالهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفئ بعد بيان افاءته عليه عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقارا تهم ايضا فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفئ قبل تسدس نظام الآية ويعرف سهم الله تعالى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل خمس لان ذكر الله للتعظيم ويعرف الآن سهم الرسول عليه السلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويعرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على اختلاف المذكور كيلا يكون اى الفئ الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهما يدول للانسان اى يدور من الغناء والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسر او بالضم في المال وبالفتح في النفرة اى كى يكون جدا بين الاغنياء متكاثرون بها او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفئ شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كى لا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون اسما كذا ولا بينهم لا يخرجون الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اى كيلا يقع دولة على من فضل من الغانمين وما اتاكم الرسول اى اعطاكموه من الفئ او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في تخالفه عليه السلام ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف اوامره ونواهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفئ بنى النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى طالبين منه تعالى رزق الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفئ من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم وتاكيده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون في حال مقدرة اى نابين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الجميلة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستانف سوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفئ بهم احسن رضا والمحل ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيها اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مطهرة ومنشأه من قبلهم اى من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كلمة حقوقه التي من جملتها شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اى في نفوسهم حاجة اى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اى مما اوتي المهاجرون من الفئ وغيره ويؤثرون اى يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شئ من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فوجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي عليه السلام قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الا ثلثة نفر من الانصار الا ثلثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وقوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان مستانف غير معطوف على الفقراء او المهاجرين ثم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما يستدعى شركة الانهار للمهاجرين في الصدق دون الفئ فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استينافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وايا ما كان فالموصول مبتدا وجمله يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بحسن تحريهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطف عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اى يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الاطلاق ربنا انك رؤف رحيم اى مبالغ في الرافة والرحمة فحقيق بان يجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استينافي لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم اى من دياركم قسم اموطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اى والله لئن اخرجتم للخروج معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اى في شانكم احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوا الى قتالهم بل بنفرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اى لنعاونكم على عدوكم على ان عونهم الخ خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين حتى يتوخوا عدم طاعتهم ضرورة انها لو كانت كذلك عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله عليه السلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نفرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا الى خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة لا للموافقة في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الخ تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل

بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير
ذلك تربصوا بهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار
فرارا ثم لا ينصرون اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم كظهور كفرهم او لينهزم اليهود ثم لا
ينصرهم نصرة المنافقين لانهم اشد رهبة اى اشد رهبة على انها مصدر من المبنى للمفعول فى صدورهم من الله
اى رهبتهم منكم والرشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يعتقدون عذهم رهبة عظيمة من الله تعالى
ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى شيئا حتى يعلموا
عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بحق لا يقدرون على قتالكم جميعا اى
مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن الا فى قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا
لكم وبارزوكم لفوط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبالة فتح الدال وجدر وجدر وهى الجدار بانهم
بينهم شديد استيناف سيق لبيان ان من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم
شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لالفة بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اى لا
يعقلون شيأ حتى يعرفوا الحق ويتبعوه ويطمئن به قلوبهم ويتحد كلمتهم ويراعوا ناموس واحدة فيتفقون فى تية الصلاح
وتبتشت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب باهوائهم
قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين
من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بنى قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير قريبا فى زمان وقريب
فى انتقامه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب
اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والاخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال
بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهى المنطوق به بقوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدا
المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغرارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا وقد اجمل فى
النظم الكريم حيث اسند كلا من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه
ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما له كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم
ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حيما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
اى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال انى برئ منك وقرئ انا برئ منك وان
اريد بالانسان الجنس فعند التراءى من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله تعالى انى اخاف الله رب العالمين
وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم و
سرده قوله يومئذ انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما بالنصب
على انه خبر كان واسمها انهما فى النار وقرئ بالعكس وقصر انه اوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه
خبر ان وفى النار لغو وذلك جزاء الظالمين اى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء
خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى فى كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى اى شئ
قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه اولان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه
قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمت لذلك اليوم الهائل
كانه قيل ولينظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول فى اداء الواجبات كما يشعر به ما
بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يومئ به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اى من العامل
ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه

حق

حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسعوا لما ينفعها ولم يفعلوا لما يخلصها
اولئك هم الفاسقون الكاملون فى الفسوق لا يستوى
اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار واصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا
الخلود فى الجنة ولعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان المقصود الذى ينبئ عنه عدم
الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة و
نقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله
تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل يستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلة ملكة لصلة المفضول و
الاعدام مسوقة بملكاتها والدلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال
المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بعما حيثية
النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استيناف مبين لكيفية عدم
الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن
العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع على جبل من الجبال لرايته مع كونه علما فى القسوة وعدم
التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل
وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تاثيره فى المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه
هو الله الذى لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اى الغائب عن الحس من الجواهر القدسية
واحوالها وما حضر لهم من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم به
او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو كرر لابراز
الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهى لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى
المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن بقلب همزته هاء العزيز
الغالب الجبار الذى جبر خلقه على ما اراد او جبرهم على ما فيهم اى اصلحها المتكبر الذى تكبر عن كل ما لا يوجب
حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى
او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن ان يشاركه تعالى فى شئ منها شيأ ما اصلا هو
الله الخالق البارئ المصور اى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته الباري الموجد لها برئيا من التفاوت وقيل المميز
بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور للموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى
دلالتها على المعانى الحسنة يسبح له ما فى السموات والارض ينطق بتنزيهه عن جميع النقائص تنزيها
ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها وتشقيقها راجعة الى الكمال فى القدرة
والعلم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم وارسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا

وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوا فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم فجرت فسل على سيفه فاخرجته
من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما
كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل
عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زايدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال
من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم
دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا
وقرئ لما جاءكم اي كفروا للاجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم
ان من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغايب والتفات من التكلم
الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة
استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم
اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار
وقيل اعلم مضارع والباء زايدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قدر وجهه في
قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ
طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة
ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم
ودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم حماة عليهم
يوم القيمة يجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي
يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من
اخيه الآية فالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول
ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وفصل وفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به
قد كان لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابرهيم والذين
معه من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر كان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او
صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا براء منكم
جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما
تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم و
بآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده
وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فينقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جايزا
عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا

اذ المراد

اذ المراد به ما يجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بامثاله من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو
الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر حتما بانه وخلك
مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره عم
لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل التبين اولموعدة وعدها اياه فمنزل من السداد بالكلية لانتهائه على
تقاول النبي لاستغفاره عليه السلام وانبائه عن كونه موتسى به لولم يثنه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان
مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك
وان ما يؤتسى به يجب الايتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة ويجوز ان يكون استغفاره عليه السلام له بعد النهي
كما هو المفهوم من ظاهر قوله اولموعدة وعدها اياه حالا ساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار
لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام على الاستغفار وفي
تخصيص هذه العلة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى ساستغفر لك ربي لورودها على طريق
التاكيد القسمي واما جعل الاستغفار دايرا عليها وترتيب التبري على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة
التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام المقول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل
لاستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار وخرج الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي
هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابرهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار
والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى
في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنوا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت
العزيز الغالب الذي لا ينال من التجاء اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا
ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من
جهته تعالى وامرهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا اما فرط منهم
تكلة لما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي
في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الايتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم
وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم فايدة الابدال بان من يؤمن بالله واليوم
الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان
الله هو الغني الحميد فانه مما يوعد باشاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
اي من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم في الدين ووعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم
من التصلب في الدين والتشدد في معاداة اباهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم
بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب
والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال و
تسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط
منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول
وتقسطوا اليهم اي تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين
روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على ابنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها

ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد
بهن خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سايرا هلها ان تولوهم
بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع
العداوة اوهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم
فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات لهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم
موافقة قلوبهن لالسنتهن في الايمان يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله
الا هو ما خرجت من بغض زوج وما خرجت رغبة عن ارض الى ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان
مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتي من الاستدلال بالعلايم والدلايل والاستشهاد
بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن
اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة اولان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد
واتوهم ما انفقوا اى واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان
من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي عليه السلام بالحديبية فاقبل زوجها
صيفي المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك
منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت
فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن و
بين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في كامهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن
لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اى لا يكن بينكم وبين
المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رض من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نساء لاختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رح هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق النساء
مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا واسالوا
ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم
الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله
او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه الحكمة روى انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون
ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى
ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اى سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار
اى احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم
فعاقبتم اى فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه ما يحكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء
مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب و
غيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تتوقوا زوجها الكافر
وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم
وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء
المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت

عبد العزى

عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي
التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اى مبايعات لك اى قاصدات للبيعة نزلت
يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا اى
شيئا من الاشياء اوشيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات و
قرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود
فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحتفل فيه بين
يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اى فيما تامرهن به من معروف ونهاهن عنه من منكر و
التقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يامر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق
وتخصيص الامور بالذكر في حشود وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اى على ما ذكر
وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في البيعة من الصلوة والزكوة وساير اركان الدين وشعاير الاسلام
وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها و
استغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام بمقابلة
الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اى مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن اذا وفين
بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال
جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى انه كلف
امراة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروى انه عليه السلام
بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عايشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول
الله على النساء قط الا بما امر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان
يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا ما جرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا اقررن بذلك من قولهن
قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة
وقيل اليهود لما روى انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا
من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا اخلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات
كما يئس الكفار من اصحاب القبور اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا
حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من
موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي عليه السلام من

قراءة سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل
الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الامتثال
وروى انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى
قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التيام ان ترتيب الآيات الكريمة
ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهدنا لئن لقينا قتالا

النفر غث فيه وسقنا فقروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل
وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله ضربيب وانتحل قتله آخر فنزلت
في المنتحل وقيل نزلت ونداؤهم بالايمان تكريم وبأيمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم حركة من اللام الجارة
وما الاستفهامية فحذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما في عم وفيم ونظائرهما معنا ما الاى شئ
تقولون تفعلون بالا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم تعلمهم وانما
وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد
كانوا يحبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده و
ان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره ودلالة على
ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة
عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل او ادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم
لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ومنصبه على
الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن
في الحال الاولى اى مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل يسد بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا
وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل
حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا باجره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن
ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
وامروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اى بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به
وقوله تعالى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق
العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اى والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي
من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكة انى رسول الله اليكم لارشدكم الى خير
الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اى امروا
عن الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اى مرنها على قبول
الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
اعتراض تذييلي لمضمون ما قبله من الازاغة وموذن بعلة اى لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج
الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد
بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين
وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فاقوم بيننا وبين
القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم
وبرقضيه الذوق السليم واما قيل بعيد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى
من اتهامه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله
جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه مما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم

اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة
لقلوبهم الى تصديقه في قوله انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية فان تصديقه عليه السلام
اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي معطوف على مصدقا
داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى
الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات يعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال
كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن ياتي من بعدي من رسول اسمه احمد اى محمد صلى الله عليه
وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم
بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او الى عدم وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة من قرأ ساحر وقرئ سحر على الاسناد المجازي فمن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى الى الناس
اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل
بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اى هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي
المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم
الظالمين اى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اى يريدون ان
يطفئوا دينه او كتابه او حجته المنيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من
معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت
حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس ليطفئه والله متم نوره اى مبلغه الى غاية بشرة في الآفاق و
اعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون اى ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما بين حرا
هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله
ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان
الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين
آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله و
رسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا عما نشاء عما قبله كانهم قالوا
نعم او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جئ به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع
فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على الامر صريحا
لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وغرته خير لكم
على الاجر او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم
او ان كنتم تعلمون انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه
اجتمع الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب
للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة
بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة يحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى
منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى
تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا

وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اى تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها
اى يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على
تؤمنون فانه فى معنى آمنوا كانه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك
عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار
الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله اى من جندى
متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد
المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى
اى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله اوقل لهم كونوا كما قال
عيسى للحواريين اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا فآمنت طائفة من بنى اسرائيل
اى بعيسى واطاعوه فينا امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين
آمنوا على عدوهم اى قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين غالبين
عن النبى عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو

يوم القيمة رحيقه

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قوى الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن قيل بدئت
الكتابة بالطايف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اى كائنا من جملتهم اميا مثلهم
يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو
اى يحملهم على ما يصيرون به اذكياء من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا
مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما توسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العلمية و
تهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها حقيقة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون اكمل نعمة واحدة
كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار
كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرايع
وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقادهم الى من يرشدهم
وازاحة لما عسى يتوهم من تعليه عليه السلام من الغير وان هى المخففة واللام هى الفارقة واخرين منهم
عطف على الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين منهم اى من الاميين وهم الذين
جاؤا بعد الصحابة الى يوم القيمة فان دعوته عليه السلام وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين
اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من
ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذى امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله
واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذى يستحقر دونه نعم الدنيا و
نعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية اى علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اى لم يعملوا بما فى
من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا
اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس
للمراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبنى بئس مثل القوم الذين

كذبوا

كذبوا بآيات الله اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر مستتر
ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على ان مثل القوم
فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على ان الموصول
صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما فى التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق او
الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اى تهودوا ان زعمتم انكم اولياء
الله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة
ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم
ان زعمتم فتمنوا الموت اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم
صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت
فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرار الاكدار ولا يتمنونه ابدا
اخبار بما سيكون منهم والباء فى قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفى اى لا يتمنونه
بسبب ما علموا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناطا عاما
لافاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وانما الاظهار على
الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فى كل ما يأتون وما يذرون من الامور التى من جملتها ادعاء
ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى
المفضية الى اخافين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن
منهم موتة احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور
فرارهم من التمنى وقد قال عليه السلام لو تمنوا لما توا من ساعتهم وهذا احدى المعجزات اى ان الموت
الذى تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون
منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون
من الكفر والمعاصى بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة اى فعل النداء لها اى اذن
لها من يوم الجمعة بيان لاذا او تفسير لها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا دعى اذا خلقوا من الارض
اى فى الارض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوى وكانت
العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل
ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى
فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم
فيه فانزل الله آية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء
والخميس اسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى
بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اى السعى الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان
نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اى الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا
قضيت الصلوة اى ادیت وفرغ منها فانتشروا فى الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله

اى البرج فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى
وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا اوزمانا كثيرا او لا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كى تفوزوا
بخيرى الدارين واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان
يسبقوا اليه فما بقى معه عليه السلام الاثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام
والذى نفس محمد بيده لو خرجوا اجميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها
بالطبل والتفنيق وهو المزمار باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة اولان الانفضاض
للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه
وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها ولهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ
اليها وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك
نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فالبه اسعوا وعنه اطلبوا الرزق عن
النبى عليه السلام من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى مصار المسلمين

اذا جاءك المنافقون اى حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان
بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله
يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واما طه من اول
الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق اى والله يشهد انهم كاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة
عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة
التى من جملتها ما حكى عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى او غير ذلك وعادتهم
جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن
استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسببة بوقوع الجناية والجنة لا بد ان يكون
قبل المؤاخذة وعن سيبويه ايضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اى فصدوا من اراد
الدخول فى الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم
ولا ريب فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اى ما اظهروه على السنتهم فاتخذوه جنة
عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما
كانوا عليه من الصدود والاعراض عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفى ساء
معنى التعجب وتفخيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم انهم اسوء
الكفرة اعمالا او الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر بانهم اى بسبب انهم
آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهدت منهم من
شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة

الايمان ولا يعرفون حقيقة اصلا واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لفخامتها وبروقك منظرهم لصباحة وجوههم
وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى حسما فصيحا غير
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون
بحيا كلامهم ويصغون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب وتؤيده قراءة يسمع على البناء
للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة فى جز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستانف لا
محل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منضوية مسندة الى
الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو
جمع خشبا وهى الخشبة التى دعر جوفها اى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفسادبواطنهم وقرئ خشب كبدرة
وبدر يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستيلاء الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا
على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويسيح دماءهم واموالهم هم العدو اى هم الكاملون فى
العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى
والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء فى قوله
تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى العدو قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته
ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اى
كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم اى عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون يعرضون عن القبول
او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم
وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ استغفرت باشباع همزة الاستفهام
لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبايحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار
لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين
الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد بالعيانهم و
الاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق او الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا وقوله
هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين
استبنافى جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت
ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا من ازوادهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد
وابطال لما ذعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان
خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون
ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤنه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى
حليف ابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء
المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابى فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى
المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى ولله
الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط
جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روى ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه

عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر بقدرة رسوله بالعز لاقرن عنقك فلما راى منه الجد
قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسول وعن المؤمنين
خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها
والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلوة وسائر العبادات المذكورة للعبود
والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الى ومن
يفعل ذلك اى التلهي بالدنيا من الدين فاولئك هم الخاسرون اى الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم
او خار الآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول
على الفاعل لكمال مرارة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني
اى امهلتني الى اجل قريب اى امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من
الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا
على لفظه وقرئ واكون بالرفع اى وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اى ولن يمهلها اذا
جاء اجلها اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون
فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا للهاوات وقرئ يعملون بالياء التحتانية
عن النبي عليه السلام من قراء سورة المنافقين برئ من النفاق

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجنابه بكمال
مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القايم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول
النعم وفروعها وانما لك غيره فاستعارة من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرى على يده وهو على
كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا
لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك منكم كافر اى فبعضكم او بعض منكم مختار للكفر كاسب له
على خلاف ما يستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما يقتضيه خلقته وكان الواجب
عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخالق والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم
فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم و
الانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر
ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلايم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما
يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض اى ملابسا
بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم في احسن تقويم
واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وفرنكم
بصفوة صنعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة
واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرايركم باستعمال تلك القوى
والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية
ويعلم ما تسرون وما تعلنون اى ما تسرونه وما تظهرونه من الامور والتعريج به مع اندراجه فيما قبله لانه
الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور

اعتراض

اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور
الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم و
تاكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقدير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات و
على علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء اما يأتكم ايها الكفرة نبأ الذين كفروا من قبل
كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة
المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هايل وجناية عظيمة اى الم ياتكم خبر الذين
كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما استتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره
ذلك اى ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة بانه بسبب ان الشان كانت
ما تيهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت اتبشر يهدوننا اى قال كل قوم
من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك
ابشر يهدينا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد
بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
فكفروا اى بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اى اظهر استغناءه
عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولو لا غناه تعالى عنها لما فعل ذلك والله غني عن العالمين
فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المحققة مع ما في حيزها
والمراد بالموصول كفار مكة اى زعموا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات
ما نفوه بلى اى تبعثون وقوله وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اى لتحاسبن وتجزون باعمالكم جيء بالقسم
واخليء تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به
ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اى ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة
وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اى اذا
كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القرآن فانه
بإعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال
والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فيجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر
موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم
يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او لمضمون
لا ذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون اى لاجل ما فيه من الحساب و
الجزاء ذلك يوم التغابن اى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء
وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل
النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم لان ايذان بان التغابن في
الحقيقة هو الذي يقع فيه لا مانع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر
اى الله عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم
الذي لا فوز وراءه لا نطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اى النار كما تنبئ الآيتين الكريمتين

بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب النفسية الا باذن الله اى بتقديره وارادته كما نهاذا
متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع
وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اى يلطف به و
يشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه
نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اى يسكن والله بكل شئ من الاشياء التى من جملتها القلوب واحوالها
عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان
بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التوكل فى قوله تعالى فان توليتم اى عن اطاعة الرسول و
قوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف اى فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ
المبين وقد فعل ذلك وما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عم
والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه الله لا اله
الا هو جملة من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للعبودية لا غير وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد حملا
للنجاة معروف وعلى الله اى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشراكا فليتوكل المؤمنون
واظهار الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى كلية
وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة
الله او يخاصمونكم فى امور الدين والدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم
عدو لى او للازواج والاولاد جميعا فالامر به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض
لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة
للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير
وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عاملتم ويتفضل عليكم وقيل ان
ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا نظلمون وتضيعوننا ونفوا
لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا
ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم لنموتن معكم
فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم يصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فخشوا على ان
يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث
لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى
فى تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه و
اطيعوا اوامره وانفقوا حاد زتكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى
ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون
الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا كان مقدرا جوابا
للامر اى يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان
تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التى عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب
النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم
ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور يعطى الجزيل بمقابلة القرض القليل حليم
لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز
الحكيم المبالغ فى القدرة والحكمة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع

عنه

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته ايضا للتشريف عليه السلام واظهار
جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم
لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان فى حيز الرعاية كان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل
قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن
اى مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراة اذا طلقت فى طهر بقيه القرء الاول من
اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن
وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة واحصوا العدة واضبطوها واحكموا ثالثة اقراء كوامل واتقوا الله
ربكم فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة فى ايجاب
التقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضى عدتهن واضافتها اليهن وهى
لازواجهن لتاكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان
الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن بانفسهن اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا
يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هى الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن و
قيل الا ان يبذون على الازواج فيحل لهم اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثانى للمبالغة
فى النهى عن الخروج ببيان ان فروجهما فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فى اسم الاشارة
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها حدود الله التى عينها لعباده
ومن يتعد حدود الله اى حدوده المذكورة بان اخل بشئ منها علما ان الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل
امر التعدى والاشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى فقد ظلم نفسه اى اضرها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب
يابا ه قوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية
وقد قالوا ان الامر الذى يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم
عبارة عن مرد دنيوى بلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى و
يخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدرى خطاب
للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدى لا للنبى عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود
الله فقد اضر بنفسه بخلاف لا تدرى ايها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت
من التعدى امرا يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل بغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة
او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف
بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعهن يطلقها
تطويلا للعدة واشهدوا ذوى عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما فى قوله
تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعى انه للوجوب فى الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها
الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما
فى الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن
يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء
عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكدة له بالوعيد على تعديها
فالمعنى ومن يتق الله فيطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد

وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع فى شان الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفوج عنه ما يعتريه
من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اى من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جاريا به على نهج
الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الى آخره فالمعنى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر
يجعل له مخرجا ويخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبى عليه الصلوة والسلام
انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام انى لاعلم آية
لو اخذ الناس بكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك الاشجعى اسر المشركون
ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابنى وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله
واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من
الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اى كافيه فى جميع اموره ان الله
بالغ امره بالاضافة اى منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اى يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا
يعجزه مطلوب وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شئ قدرا اى تقديرا او
توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق وغيره لا
يكون الا بتقديره تعالى لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى واللائى يئسن من المحيض
من نسائكم كبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمسين ان ارتبتم اى شككتم وجهلتم كيف
عدتهن فعدتهن ثلثة اشهر واللائى لم يحضن بعد لصغرهم اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة
ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اى منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى
عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا الذى تنزل بعد التى فى سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجى ومن يتق الله
فى شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اى يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة
الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل وافراد
الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الوفق بين الحافظ
للتكليف والتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر فى قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن
يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة
وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء مما قيل من الحث على التقوى
كانه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شان المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم
وقوله تعالى من وجدكم اى من وسعكم اى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن
اى فى السكنى لتضيقوا عليهن وتحوجوهن الى الخروج وان كن اى المطلقات اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها فان ارضعن لكم
بعد ذلك فاتوهن اجورهن على الارضاع وائتمروا بينكم بمعروف اى تشاوروا حقيقة ليأمر
بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر ولا يمكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم
اى تضايقتم فسترضع له اخرى اى فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وان قل اى لينفق كل واحد من الموسر
والمعسر ما يليق بوسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها

وفيه تطيب

وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا
او آجلا وكاى من قرية اى كثير من اهل قرية عتت اى عرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد
فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اى منكر
عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا مآ يلا الا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا
شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولى الالباب
ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز
ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كاى الذين آمنوا منصوب باضمار
اعنى بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت فى لغة من ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا
هو جبريل عليه السلام سمى به لكثرة ذكره اولانزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى رسولا
منه اولانه مذكور فى السموات وفى الامم او اريد بالذكر الشرف كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كانه فى نفسه
شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو بحث وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين او هو
النبى عليه الصلوة والسلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن
ارساله بالانزال بطريق التشريف اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو للقرآن ورسولا
منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلوا عليكم
آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اى حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون
اليه من الاحكام وقرئ مبينات اى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلوا او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه السلام
او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد ازالة اى ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن
من الايمان والعمل الصالح من علم او قدر انه سيئومن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا حسبما بين فى تضاعيف ما انزل من الآيات البينات يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار
وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
فى الضمائر الثلثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير فى خالدين بتداخل
التداخل واو ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذى خلق
سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اى خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرئ مثلهن بالرفع على الابتداء
ومن الارض خبره واختلف فى كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض
بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة
بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات والارض قال القرطبى والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما
روى البخارى وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى عليه السلام لما قرئ يريد
وحولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما
اضللن ورب الرياح وما اذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها و
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال ادم
ملئكة اوجن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهم
من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من
كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثانى لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدون

وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رض انها سبع ارضين مستقرة بالبحار وتظل الجميع السماء ينزل الامر
بينهن اى يجرى امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل ارض خلق من خلقه و
امر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره وقرئ ينزل الامر لنعلموا ان الله على
كل شئ قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اى فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ
وان الله قد احاط بكل شئ علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل فى
اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها
من الوحى من عجايب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شئ تما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبى عليه الصلوة والسلام

من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك روى ان النبى عليه السلام خلا بمارية فى يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها النبى
على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امرامتى فاخبرت به عايشة وكانتا متصادقتين
وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال
ارجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه عليه السلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش
فتواطأت عايشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله يكره النفل فحرم العسل فرلت فمعناه لم تحرم
ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل بتغى مرضاة ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف
ببيان ما دعاه اليه موذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد
رحمك ولم يؤاخذك به وانا عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اى شرع لكم تحليلها و
هو حل ما عقده بالكفارة او بالاستثناء متصلا حيث لا يحنث والاول هو المراد ههنا والله مولاكم سيدكم ومتولى
امورکم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا لحكمة بالغة
الحكمة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه وهى حفصة حديثا اى حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت
به اى اخبرت حفصة عايشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبأت به واظهره الله عليه اى اطلع الله تعالى النبى
على افشاء حفصة عرف اى النبى عليه السلام حفصة بعضه بعض الحديث الذى افشته قيل هو حديث الامانة روى
انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها
اياها واعرض عن بعض اى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اى اخبر النبى عليه السلام حفصة
بما عرف من الحديث قالت من انبأك هذا اى افشاها للحديث قال نبأنى العليم الخبير الذى لا يخفى عليه خافية ان تتوبا
الى الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما فى
قولك اعبد ربك فالعبادة حق اى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من خالصة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التاءين وقرئ
على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اى تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المؤمنين اى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح
من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رض الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر وقد روى ذلك مرفوعا الى
النبى عليه السلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللايق بتوسيطه بين جبريل والملايكة عليه السلام فانه جمع بين الظهير
المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبرئيل ظهير له عليه السلام يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه
فى تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تاثيرا فى قلوب

بنتيهما وتوحيدنا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس العالمين كما هو المشهور والملئكة مع
تكاثر عددهم واتساع السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اى بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح
المؤمنين ظهير اى فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على ما يعاديه فماذا يفيد تظاهر امراتين من حولاء ظاهروه
وما يثنى عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته
تعالى وبظاهرتهم اتم افضل من سائر وجوه نصرة هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة
صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعديته مظاهرة الملئكة تذاركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من افضليته
المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملئكة بعد ذلك ظهيرله عليه السلام ايذانا بعلو رتبته
مظاهرتهم وبعد منزلتها وجر الفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اى
يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام
لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تعليق واحدة وما علق بالم يقع لا
يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات معتقدات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات
لامر الرسول عليه السلام سائحات صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ بحذف
تيبات وابكارا وتوسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعة
واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن
انفس الكل على تغليب المخاطبين اى قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اى نارا تتقد بهما
اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى
التحذير عليها ملئكة اى تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال
او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اى امره على ان بدل
اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون
اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اى يقال لهم ذلك عند دخال الملئكة اياهم النار جسما امروا
به انما تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنها اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة
فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على
الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيحملوها على طريقها وذلك ان يندموا
عن القبايح لقبحها نادمين عليها معتقدين اشد الاعتمام لاركابها عازمين على انهم لا يعودون فى قبيح من
القبايح توطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن علىّ رض الله عنه ان التوبة يجبها
ما قبلها وعلى الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم
على ان لا تعود ولا تذنب نفسك فى طاعة الله تعالى كما رتبتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما
اذقتها حلاوة المعاصى وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من النصاحة
التى فوحروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز
ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعمال الجد والعزيمة فى العمل بمقتضيها
وقرئ توبا نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اى ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار
ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى ان

يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزى الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحالة ان المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ وخبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول اى يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق وعلى الصراط وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهم من القتال والحاجة وماواهم جهنم يصيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اى جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا الخ ضرب المثل في الامثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا وانما على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط اى حالهما مفعوله الاول اخرجه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما وينفتح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لما لهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا في عصمة بنبيين عظيمي الشان متمكنين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينافيها من صحبة النبي اى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الخ بيان لما ادى اليه جنايتهما اى فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيأ من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة أو خلا النار مع الداخلين اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عم وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف للمحذوف اشير اليه اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قربا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها وبني من فوقها وقيل علة اى من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجني من القوم الظالمين من القبط الثابتين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اى وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنخنا فيه وقرئ فيها اى في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحف المنزلة او بما اوحي الى ابنيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر من طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي عليه الصلوة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عايشة على كافة النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي

من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة تمام تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولا تفاعل بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز من القدرة التامة والاستيلاء الكامل اى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضته قدرة التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة معقودة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلايل الامور ودقايقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد رايحة شئ الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا تجد رايحته الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه تقديره او ازالة الحيوة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارئ على الحيوة ما قبله وما بعده للظهور بدا بتهما لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتها لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اى خلق موتكم وحيوتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به لكن الاول اشرف من الثاني كقوله عليه السلام لا كيف ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر الفكري التفكر في بدايع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو على القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين كما هو كمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو على ما يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها ما لا يخفى

وهو العزيز الغالب الذى لايقوته من ساواه بالعجز الغفور لمن تاب منهم الذى خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة فنتظم معهما فى سلك الشهادة بتعاتيه سبحانه ومع الموصول الثانى فى كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اى مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا حصفتها وصف به للفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اى لموبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبيان فى ابداعها نعما جليلة او استيناف والخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفى اى ما ترى فيه شيئا من تفاوت اى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من التفاوتين يفوت منه بعض ما فى الآخر وقرئ من تفوت وهو بمعناها واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت فى خلقهن ثم قيل فارجع البصرة حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك اى رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر حاسئا اى بعيدا مما طلبت محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بحقيقتها اى وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراى كان كلا منها مركوزة فيها مع ان بعضها فى سائر السموات وما ذاك الا لان كلا منها مخلوقة على نمط رائق يحار فى فهمه الافكار وطراز فائق يبهم فى درکه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلنا ما نظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم فى الاخرة عذاب السعير بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب عطفا على انه عطف على عذاب السعير وبئس المصير اى جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه فى الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع حالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق وهى تفور اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم ومن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اى تتميز وتتفرق من الغيظ اى من شدة الغضب عليهم فانه صريح فى انه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها شهيقا وزفيرا فانه هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفوروا خزنتها آخر قوله تعالى كلما القى فيها فوج استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضمير لها اى كلما القى فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعربه عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجئ النذير وتحسر اعلى ما

فاتهم

فاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تبذما واغتماما على ذلك اى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى وقلنا فى حقه ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير ما نزل الله على احد من شئ من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اى ما انتم فى ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذرونناها فيها الا فى ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على اشاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقى يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لامساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرايع والاحكام اختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا اجعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا اجعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اى اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلثة على التقدير الاول ولم يعتبرها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا فى اصحاب السعير اى فى عداد هم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذى هو كفرهم وتكذيبهم بايات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما فى قعدك الله اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا كما فى قول من قال وعضة وهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وابنتها بناتا حسنا والام فى قوله تعالى لاصحاب السعير للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب ان الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفى منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما فى قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا يتالون من النبى عليه السلام فيوحى اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى اولا مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر الا وهو او مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفى صيغة الفعيل وتخلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الخفاء بالغاية وراءه كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم

بحيث لاتكاد تتفارقها اصلا فكيف يخفى ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسراركم وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفى لعدم
احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اى الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هى من جملتها و
قوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى اى الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بغاية
المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى الا يكون عالما
من خلق لان الخالق لا يتاتى بدون العلم فالواو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام ح الا يكون عالما و
هو مبالغ فى العلم هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ليته يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل
مع ان حقه التاخر عنها للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون
المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لدى ورودها عند ذكره فضل
تمكن والقاء فى قوله تعالى فامشوا فى مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اى فاسلكوا فى جوانبها او
جبالها وهو مثل لغرط التذلل فان منكب البعير ارق اعضائه وابنا ما عن ان يطاه الراكب بقدمه فاذا
جعل الارض فى الذل بحيث يتاتى للمشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم
الله تعالى واليه النشور اى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبادروا الى شكر نعمه والآية اء منتم من فى السماء
اى الملئكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تاويل من فى السماء امره وقضاءه او على زعم العرب
حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى اءمنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف
بكم الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اى يقلبها بغتة
بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اى من ان يخسف فلما هى تمور
اى تضطرب ذهابا وجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ام امنتم من فى السماء افراد عن
التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اى بل اءمنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا اى حجارة من
السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها
وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به
ولكن لا يفخكم العلم ح وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم اى من قبل كفار مكة من كفار
الامم السالفة كقوم نوح وعاد وامثالهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اى
انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمى لا التكذيب فقط
وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اعقلوا و
لم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها
صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى اثار يقبض
الاول على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما يمسكهن فى الجو عند الصف والقبض على خلاف
مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شئ بان برأهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى
الهواء والجملة مستانفة او حال من الضمير فى يقبضن انه بكل شئ بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير
المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفى ان يكون لهم
ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن اونامر من
خطابه تعالى كما هو الانسب بما سياتى من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
فى المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم

باظهار

باظهار عجزهم عن تعيينه وايراد منقطعة مقدرة بل للافادة للانتقال من توبيخهم على ترك التامل فيما يشاهدونه من
احوال الطير المبنية عن تعاجيب آثار قدرة الله عزوجل الى التبكيت باذكر والالتفات للتشديد فى ذلك ولا
سبيل الى تقدير الهمزة ههنا لان ما بعد ما من الاستفهامية وهى مبتداء وما خبره والموصول مع صلته صفته كما
فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وايثار هذا التحقير المشار اليه وبنصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون
الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى من
ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من
دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عزوجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا الخ
مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا فى غرور اعتراض مقرر لما قبله
ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اى ما هم فى زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط
ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد
به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبايحهم لغيرهم والاظهار فى
موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى امن هذا الذى يرزقكم ان امسك
اى الله عزوجل رزقه بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا فى عتو ونفور
مبنى عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا و
تمادوا فى عتوهم اى غلوهم فى الغى والضلال واستكبارهم وطغيانهم ونفورهم اى شرارعن الحق وقوله تعالى افمن يمشى مكبا على وجهه
اهدى الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر
من سوء حالهم وخورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عمياء العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسلك المحاجة
الى جهة يتوجه فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة والا فحق الكلام
بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه
يقال اكب خرعلى وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل فى الكب كاقشع الغمام اى صار ذا قشع والمعنى افمن يمشى
وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه احرى الى المقصد الذى
يؤمه ام من يمشى اى قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء لا عوج فيه
ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على
الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من
يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذى انشاكم
انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتتدبروا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها
والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشئون الله عزوجل والافئدة لتتفكروا بها فيما
تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون
اى يستعملها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا ما نافية لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى شكرا
قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذى ذرأكم فى الارض اى خلقكم وكثركم فيها
لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فانبئوا امورکم على ذلك ويقولون متى هذا
عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين
يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الآيات
المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فيما تخبرونا من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته
قل انما العلم اى العلم بوقته عند الله عزوجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربى وانما انا

نذير مبين انذركم وقوع الموعود لامحالة واما العلم بوقته وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء في قوله تع
فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليها كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما راوه
الى آخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما راوه مستقرا عنده الاان المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء
وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول راوا اما
بتقدير المضاف اى ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة
او ظرف اى راوه في مكان ذى زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة
ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذى
كنتم به تدعون اى تطلبون في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل من الدعوى
اى تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد
قل ارايتم اى اخبروني ان اهلكني الله اى اماتني والتعبير عنه بالاهلاك بما كانوا يدعون عليه صلى الله
عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معى من المؤمنين او رحمنا بتاخير آجالنا فنحن في جوار رحمته
متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى لا ينجيكم منه احد منا او بقينا ووضع الكافرين
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به قل هو الرحمن اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم
كلها آمنا به وحده لما علمنا ان كلا ما سواه فانا منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا
بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا
ومنكم وقرئ فستعلمون بالياء التحتانية قل ارايتم اى اخبروني ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا في الارض بالكلية
وقلما يحث الا لاء وهو مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جاريا وظاهر سهل المأخذ عن النبع عليه السلام
من قراء سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح بامضمار حرف القسم في
موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لافتتاحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة و
امتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف سرودا على نمط التعديد للحروف
الطريفين المذكورين في مطلعها او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو
في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين
فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاق ما في ايدي الناس لذلك لكثرة منافعه و
لو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا للتعظيم وقرئ بادغام النون في
الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل و
اصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او موصوفة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل
الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خامته والجمع للتعظيم وقوله تع
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر كوحال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه
قيل انت برئ من الجنون بلبتا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية بالنسبة
عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بانه تعالى يتم نعمته
عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبون اليه عليه السلام من
الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات الدانية
من حصافة العقل ورزانة الراى وان لك بمقابلة ما سالتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء

الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لايقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله اعطاء غير مجذوذ اوغير ممنون عليك
من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لايدرك شاؤه احد من الخلق ولذلك تحتمل
من جهتهم ما لا يحتمله البشر وسئلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن
الست تقرا القرآن قوله تعالى فستبصر ويبصرون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس
رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين المحق من المبطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور
عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وسيرونك مهيبا معظما في قلوب العالمين
وكونهم اولة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء
مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين
ام بفريق الكافرين اى في ايما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة و
اضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل
لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اى هو اعلم بمن ضل
عن سبيله فهو الموفى الى سعادة الدارين وهائم في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا
هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيجتنبه وهو اعلم بالمهتدين
الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهو العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما
يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين
تفريع النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتداءه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا
تهييج والهاب للتصميم على معاداتهم اى دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم
ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى
ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اى اجبوا لو لا يتم
وتساهلهم في بعض الامور فيدهنون اى فهم الان يدهنون طمعا في او يدهنون عقيب ادهانك وقيل هو عطف
على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك وياباه ما سياتي من بدئهم بالادهان
على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذى هو
اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط و
اما اضمار خلافها فليس بحيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه السلام وفي بعض
المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا وان ما بعده كحكاية لودادتهم وقيل على انه عطف
على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا
لودوا كانه قيل ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اى ودوا
ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الملف في الحق والباطل تقديم النهي
على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه داخلا في الزجر مهين حقير الراى والتدبير هماز عياب
طعان مشاء بنميم مفرط نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم و
النميمة السعاية مناع للخير اى بخيل او مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق
معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا اتاه بعنف وغلظ
بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى
متدليه في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان فحوى اشد معايبه واقبح قبايحه قيل هو الوليد
بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من صميمهم او دعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو

الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداوته فى زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لاتطع اى لاتطع
من هذه مثالبه لأن كان متموّلا مستظهرا بالبنين وقوله تع اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين استئناف
جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجود والتكذيب بالجواب الشرط لان ما
بعد الشرط لايعمل فيما قبله لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا
مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ ان كان على معنى الأن كان ذا مال كذب بها او
انتظيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لاتطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة
الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكى على الكرم مواضعه لغاية اهانته وازالة
قيل اصابه انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن
سائر الكفرة انا بلوناهم اى اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة
وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى
وكان ينادى الفقراء وقت الغرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من
العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات ابوهم قال بنوه
ان فعلنا ما كان يفعل ابانا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين
ليقطعنها داخلين فى الصباح ولايستثنون اى لايقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من
حيث ان موداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد
او ولا يستثنون حصة المساكين كان يقطه ابوهم والجملة مستانفة فطافت عليها اى على الجنة طائف
بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدى من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عاجت به المقادير
فاصبحت كالصرم كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت
فاسودت وقيل كالنهار اى بيضت وبقيت بيضاء بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصرم الرمال
فتنادوا اى نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين فى الصباح ان اغدوا ابن اغدوا على حرثكم ان كان مقصورة
او بان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعديته الغدو بعلى لتضمنه
معنى الاقبال او الاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتشاورون
فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها بمعنى الكتم ومنه الخفر والخفاش ان لايدخلنها
اى الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد
بنهى المساكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لاارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين
اى على نكد لاغير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا امتنعت درّها والمعنى انهم ارادوا ان
يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لايقدرون فيها الا على النكد والحرمان
وذلك انهم طلبوا احرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او غدوا على خاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين
على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل
الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى تيلاومون وقيل الحرد القصد
والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما
رأوها قالوا فى بديهة وبتيهم انا لضالون اى طريق جنتنا وما هى بها بل نحن محرومون قالوه بعد ما ملوا
ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا
على انفسنا قال اوسطهم اى رأيا اوسنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة

من نوركم

من فورهم وسارعوا الى حرثها قبل حلول النقمة فعصوه فغيّرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا
انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم اولانه تنزيه له تعالى عن ان يجرى فى
ملكه مالا يشاؤه قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا
فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا
كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اى يعطينا بدلا منها بركة التوبة و
الاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لأنها والرغبة او لتضمنها معنى
الرجوع عن مجاهرتها بوا فاجابوا لواخيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنفعلن كما صنع ابونا
فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل ع
ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزرع من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكان وقال ابن المسيب
رضوان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه
عنقودا وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن
اصحاب الجنة أهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رح قول اصحاب الجنة انا الى
ربنا راغبون لاادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف فى
امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا احكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة
القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلوناه به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترازوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اى من الكفر والمعاصى عند
ربهم اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعم الخالص عن شائبة ما
ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما
قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند حماعهم بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها
فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والالم
يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقحم امرهم ان يساووا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى الخبيث فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده ما لكم كيف
تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لايصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه
تدرسون اى تقرؤن ان لكم فيه لما تخيرون اى ما تتخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس
فلما جئ باللام كسرت وجوز ان يكون حكاية للكدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح
فى العالمين وتخير الشئ واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اى عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى
التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم
الى يوم القيمة لاتخرج عن عهدتها حتى تحكمون لكم يوم نعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم و
تنتهى اليه واخرة لم يتطل منها يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان ام اقسمنا لكم
سلم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة المخاطبة اى سلهم سلتا لهم
ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اى قائم يتعدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا
القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه فى
هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شئ يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذى لايفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى
ام لهم شركاء يحيلونهم مثل المسلمين فى الآخرة يوم يكشف عن ساق اى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب
وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الرباب ان عضت بالرب

عضها وان ثمرت عن ساقها المرب ثمرا وقيل ساق الشئ اصله الذى يقوام كساق الشجر وساق الانسان اى يوم
يكشف عن اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف
بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة
وكسر الشين من اكشف الامر اذا دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اى اذكر يوم يكشف
او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق لا يكون من الاحوال وعظائم الاهوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود
توبيخا وتغييفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفويتهم ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه و
فيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعود اصلابهم اى ترد
عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا الى فقارة واحدة
خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى
الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا والابصار
فى موضع الاضمار لزيادة التقرير اولان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون
متمكنون منه اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره تحقيقا بظهوره فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث
اى كله الى فانى اكفيك امره اى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه اى كل امره الى وتخلى بينى وبينه فانى
عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اى واذا كان حالهم فى
الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بالقرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم
استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير للمكذبين والجمع باعتبار معناها كما
ان الافراد فى يكذب باعتبار لفظها اى سنستدنيهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد
النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه
سبب لهلاكهم واملى لهم والمهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدى متين
لا يوقف عليه ولا يدفع بشئ وتسمية ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد ام تسألهم على الابلاغ والارشاد اجرا
ومنه يا فهم لاجل ذلك من مغرم اى غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فهم يخرصون عنك ام
عندهم الغيب اى اللوح والمغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك
وهو امرهم وتأخير نفرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اى يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت
وهو مكظوم مملوغيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر
المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا تكن حالك كحالة وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر و
المغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير
الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ
بالعراء بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم عليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع لنبذ عليها
يعتقد جواب لولا لانها هى المستفيضة لا النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان
كون المنبى عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اى فتداركته نعمة
من ربه فاجتباه بان رد عليه الوحى وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا
قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى
روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين
اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه
بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا

بحيث لا يكادون يزلقونك قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم
يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وقرئ
لما سمعوا الذكر اى وقت سماعهم بالقرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية خبرتهم فى امره ثم
وغاية جهلهم به انه فى تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المجوبة عن العقول المنغمسة بالكلام
الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان
علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان
قولهم وتعجيب السامعين من جراتهم على تفوه تلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اى تذكير
وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع
حقايقه خبرا ما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وكونه مذكرا او شرفا للعالمين لا يأبى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه
الله عز وجل عشر حسنات بعدد كل من كذب بالقلم وبعدد كل من كتب بيمينه

تواب الذين حسن الله اخلاقهم

الحاقة اى الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجئ لا محالة او التى يحق فيها الامور الحقة من الحساب و
الثواب والعقاب او التى تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من حقد بحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها
مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولى العلم واياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه
بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره
للمبتدأ الاول والاصل ما هى اى شئ هى فى حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع
الظاهر موضع المضمر تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق فى سورة الواقعة
ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع و
خطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله
تعالى وما ادراك اى واى شئ اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دراية علوم
المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف قدرت
حالها فهو اعظم من ذلك وعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وادراك جزوه لا مساغ ههنا
للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الاكيد عرفة محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى
يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى
موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبر القوله تعالى الحاقة مؤكدة
لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال
والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار و
وضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديد لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام
بعض احوال الحاقة لعلة السلام اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلام بها احد كما فى قوله تعالى وما ادراك ما
هى نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسئول عنها وههنا حال من احوالها كما فى قوله تعالى
وما ادراك ما ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك
المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك

بالحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة او
الرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت لهام مرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية
شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم تمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى
سخرها عليهم الخ استيناف جئ به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع
ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعات جمع حاسم كشاهد وجمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كبتها
او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة
بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة
اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى
اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجوز وهى آخر الشتاء واسماؤها الصنبر والصنبر والوبر والآخر والمؤتمر
والمعلل ومطفئ الجمر وقيل لكفئ الظعن ترى القوم ان كنت حاضرا حيثما فى مهابها او فى تلك الليالى
والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اى اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى
لهم من باقية اى بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله
اى ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اى قرى
قوم لوط اى اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء التى من جملتها تكذيب البعث
والقيمة فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح فاخذهم
اى الله عز وجل اخذة رابية اى زائدة فى الشدة كما زادت قبايحهم فى القبح من ربا الشئ اذا زاد انا لما طغا
الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عليه السلام فيما اوحى اليه من الاحكام
التى من جملتها احوال القيمة حملناكم اى فى اصلاب آبائكم فى الجارية فى سفينة نوح عليه السلام والمراد
بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يوب عنه كلمة فى فانها
ليست للحال بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة
الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى لنجعلها اى
لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة
الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته ونعيمها اى تحفظها والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان
تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اى اذن من شانها
ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها واى من
اذا شانر مع قلته بتسبب لنجاة الجم الغفير وادانة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة
شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد
بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة
الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اى ففرقت الجملتان اثر رفعهما بعضها مرة
واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا
ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا تفوش وبعير اداك وناقة دكاء وهنه الدكان فيومئذ يحينئذ
وقعت الواقعة اى قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملئكة تهى الى السماء يومئذ واهية
ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اى الخلق الموصوف بالملك على ارجائها اى جوانبها جمع رجا بالقصر
اى تشقق السماء التى هى مساكنهم فيأوون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملئكة

الذين

الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملئكة عن النبى عليه السلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم
القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش
فوق رؤسهم وهم مطرقون مسجون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة
الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال بايديهم اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين
عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن انها علم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك
ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح اومن خلق آخر وقيل هو تمثيل
لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من
العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه اجل من كل ما يحيط به ملك العبادة والاشارة يومئذ تعرضون اى
تسئلون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان فى يوم القيمة ثلث
عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة فيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه
والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والبعثة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال
من مرفوع تعرضون اى تعرضون غير خاف عليه تعالى سترمن اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء
الحال والمبالغة فى العدل اوغير خافية يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء
التحتانية فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه
ها اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودهن ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان اوامرأتان ياهاؤم
يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان
مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت
تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واحببت اثباتها لثباتها فى الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه
اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يجرى فى النفس من الخطرات التى
لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة دارع فى الجنة
بالجر او جعل الفعل لها مجازا او هو لصاحبها وذلك كلها صافية عن الشوائب دائمة مرفونة بالتعظيم
فى جنة عالية مرتفعة المكان لا تخافى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف و
هو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية تنالها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول و
الجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال
الصالحة فى الايام الخالية اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا
اوليائى لما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم
تكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية واما من اوتى كتابه بشماله وراء ما فيه من قبايح الاعمال
فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها اى الموتة التى متها
كانت القاضية اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها ولم القى ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما
شاهده من الحالة اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على فانه وجدها امر من الموت فتمناه
عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه
ما لى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اى اى شئ اغنى
عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى

الدنيا او تسلط على التقوى والآلات فبحثت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله يومئذ لخزنة
النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء
على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه
فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيها يتحرك لا يستطيع حراكا او تقدم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة
على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به ثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك
فى السلسلة فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقى ووصفه تعالى
بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسبما فى نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام
المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك
الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المواخذة قالوا
لتخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم
اى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اى
من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل
اذا تعمد الذنب من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم المشركون
وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يخطون الحق الى الباطل ويتعدون
حدود الله فلا اقسم اى فاقسم على ان لامزيدة للتاكيد وانما حمله على منع نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه
عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر فى سورة الواقعة اى اقسم
بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق
والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان
الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبى او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر
كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا تؤمنون ولا يقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى
قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تتذكرون
اصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا
يكاد الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال عليه السلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة
الكهنة ومعانى اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب
العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول
متكلف والاقوال المفتراة اقاويل لتحقير الها كانه جمع اقوولة من القول كالاضاحيك لاخذناه منه باليمين اى
بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بقرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه باقطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون
وهو ان يأخذ القاتل بيمينه ويكفحه بالسيف ويقرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية
رفعت لمجد تلقانا عرابة باليمين فما منكم ايها الناس من احد ان حجزنا عن القتل او المقتول حاجزين
دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اى القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان
منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق
اليقين الذى لا يكون حوله ريب فسبح باسم ربك العظيم اى فنزه ربك العظيم تنزيها له عن الرضا
بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى عليه السلام من قراءة سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سال

سأل سائل اى دعا داع بعذاب واقع اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط
علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء
فما برحت حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه السلام
استعجل عذابهم وقرئ سال وهوا مامن السؤال على لغة قريش او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل
اى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر
فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد حز حال الفهرى واما فى الآخرة فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب
اى كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال اى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له
دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه
صفة لعذاب او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اى ليس له دافع من جهته تعالى ذى المعارج
ذى المصاعد التى يصعد فيها الملئكة بالاوامر والنواهى او هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض
تعرج الملائكة والروح اى جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على
الملائكة كالملائكة حفظة على الناس اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى هو من
قبيل قول ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى به فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة
مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعدها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها
من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدارا خمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل
معناه تعرج الملئكة والروح الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اى يقطعون
فى يوم ما يقطعه الانسان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسال على
تقدير كونه من السيلان فالمراد بيوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك فى الحقيقة او لشدته على الكفرة
او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات واياما كان فذلك فى حق الكافر واما فى حق المؤمن فلما روى
ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام
والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره
عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل فعناه جاء العذاب لقربه ووقوعه
فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اى العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق فى يوم بواقع بعيدا
اى يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ونراه قريبا هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا
متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم
تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اى
يوم تكون السماء كالمهل لا يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من يوم على تقدير تعلق
بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى
يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على
الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى
فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى

يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بمايدل هو عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على جهل من
الفلزات وقيل دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال
منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا
يسأل حميم حميما اى لا يسأل قريب قريبا من احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على
البناء للمفعول اى لا يطلب من حميم حميمه او لا يسأل منه حاله يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا
يخفون عليهم ومايمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال انفسهم وقيل ما يغنى عنهم مشاهدة الحال كيما
من الوجه وسواده والاول ادخل فى التهويل وجمع الضمير بن لعموم الجميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف
يود المجرم اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدى من عذاب يومئذ اى العذاب الذى
ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه كناية لوداد تهم ولو فى ضمن التمنى وقيل هى بمنزلة ان المناصبة
فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة
استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه
فضلا ان يهتم بحاله ويسأل منها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب
ونصب يومئذ والتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب وفصيلته اى عشيرته التى فصل عنهم الحق تؤويه
اى تضمه فى النسب او عند الشدائد ومن فى الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب ثم
ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء
جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الوداد ويقرح
بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم مترجم عنه الخبر الآتى هو
قوله تعالى نزاعة وهى علم للنار منقول من اللفظ بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال
مؤكدة والشوى الاطراف اوجمع شواة وهى جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر
والتى بدل من الضمير للفقة والتى مبتداء ونزاعة خبره تدعو اى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى
يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك
وقيل تدعوز بانيتها من ادبر اى عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اى جمع المال فجعله وعاء
وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وذهب باقتنائه حرصا وتأثيما ان الانسان خلق هلوعا
الهلع سوء الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر
اى الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اى مبالغا فى الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اى اكسعة والصحة منوعا بالغا
فى المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى
ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على
القبائح المانعة لانباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من
العقوبة وكسر الشهوة حائدا للآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب
العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين فى اموالهم حق معلوم
اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة و
الصدقات الموظفة للسائل الذى يسأله والمحروم الذى لا يسأله فيظن انه غنى فيحرم والذين يصدقون
بيوم الدين اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث
يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع
ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستظهارا بالجناب عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون

ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض موذن بانه لا ينبغى
لاحد ان يامن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره فى سورة المؤمنين فمن ابتغى اى طلب لنفسه وراء ذلك وراء
ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك المبتغون هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشئ من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اى
يقيمونها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لاباتة فضلها و
قرئ لاماناتهم وبشهاداتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلوتهم يحافظون اى يراعون شرائطها ويكملون
فرايضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة
على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات
كما فى قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم ايذانا بان كل واحد من الاوصاف
المذكورة نعت جليل على حياله لشان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل و لا
يجعل شئ منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ جزء فى جنات اى
مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون جزء آخر او هو الخبر وفى جنات
متعلق بمقدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمون كائنين فى جنات فما
للذين قبلك هو لك مهطعين مسرعين نحوك ماذى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين
وعن الشمال عزين اى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزى الى غير من يعتزى
اليه الاخرى كان المشركين يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن
بكلامه عليه السلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما
يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما فى قول الاعشى الم تعلم
من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذى هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها
بذلك فهو بمعزل من ان تبوء مبوء من اين لهم ان يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق و
انكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة قذرة فمن اين ينشرفون ويدعون المتقدم و
يقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل
الايمان ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما فى الكل من التحمل والاوجه انه كلام مستانف
قد سبق تمهيد المابعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم للكفر هم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم بما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وتشبث بدلهم قوما آخرين فان
قدرته تعالى على ما يعلمون من النشاة الاولى بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة
فى قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون
فاقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اى نهلكهم بالمرة حسبما يقتضيه
جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن
مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تاخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشانهم يخوضوا فى باطلهم
الذى من جملته ما حكى عنهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو يوم البعث
عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من

يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اى مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نُصب فعُيد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذى ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذى كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى عم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله تعالى ثوابا الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اى بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل فان حذف مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجه حينئذ ما قيل من ان الصلة لا بد ان تكون خبرية فيبقى الحديث المجرد عن الامر والنهى والمعنى والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون ان مفسرة لما فى الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر اصلا قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فاذا فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم انى لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الأمد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح فى ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اى اجل الله اى اقدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفى عند مجئ الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى لو كنتم تعلمون اى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امركم به قال اى نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب انى دعوت قومى الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اى دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائى الا فرارا مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما فى قوله تعالى زادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم اى الى الايمان لتغفر لهم ببيد جعلوا اصابعهم فى آذانهم اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اى بالغوا فى التغطى بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اى اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصرار الحمار على

العانة

العانة اذا اصر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعى وطاعتى استكبارا شديدا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى دعوتهم تارة بعد تارة وفرقة عقب فرقة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او مفعول به لدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر اى دعوتهم دعاء وجهارا اى مجاهرا به او مصدر فى موقع الحال اى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى انه كان غفارا للتائبين كانهم تعللوا او قالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يجتث ما سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع فى قلوبهم واحب اليهم من العوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقر ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا اى كثير الدور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية تالكم لا ترجون لله وقارا انكار لان يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد والترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليها معا كما فى قوله تعالى ومالى لا اعبد الذى فطرنى والمعنى متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له اى اى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له وقد خلقكم اطوارا اى والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شئونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اى مالكم لا تأملون له تعالى توقيرا اى تعظيما لامره وعبوديته واطاعته ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى يستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا لله وقارا وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع ان فى جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفى قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضى ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اى اى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما مالكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج اى لم أبال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا اى منورا لوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لما انها محاطة بما فوقها يكون فى الكل ولان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراء ما فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما فى واحدة منها كانه فى الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها وجه الارض وشتان الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو

نور في الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه اول على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما يترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث و الحشر اخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه التاخير لما مر من ان الاهتمام ببيان كون المجعول من شانه فهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمحذوف هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اى قال مناجيا له تعالى رب انهم عصوني اى تمادوا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وعزتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة حصار واسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالفم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معنا كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها مكرا كبارا اى كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اى لا تتركوا اعبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وانتقلت عبادة هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم كنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما ماتوا اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفها للتجمة والعلمية وقد اضلوا اى الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اى قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا او وضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في نفسه تكريم وصلاح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما يأتي من دعائه عليه السلام مما خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يزد ذهب الى جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطاياهم اى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا

وهو ابلغ م

المراد

المراد بالعذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيل منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا لمحالة وتنكير النارا اما للتعظيم لها وتهويلها او لانه تعالى اعدلهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اى لم يجدوا احدا منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتحكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وتسبب بين دعائه عليه السلام للاباد من اول الامر بان اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عدد نوح عليه السلام واشار الى تحقق الهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه نوحا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة ثم ادغمت الياء في الياء وقرئ بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة ثم ادغمت الياء في الياء انك ان تذرهم يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار عما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستيصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لكمال علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقراء احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لي ولوالدي ابوه متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد سام وحاما ولمن دخل بيتي اى منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان وان لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات عمم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون هلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي عليه السلام من قراء سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلوة والسلام

قل اوحي الي وقرئ اوحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اى القران كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشاهدهم ولم يكالمهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوه فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرانا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به اى بذلك القران ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى

جدنا اى ارتفع عظمته من جد فلان فى عينى اى عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذى هو البخت و
المغنى ومنه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجل المذكورة عطفا
على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما اندراج الجل الآتية تحت الايمان والتصديق
كما يقتضيه العطف على فعل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا
بيان لحكم تعالى جده وقرئ جد ربنا على التميز وجد ربنا بالكسر اى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة
والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطاء فيما اعتقده كفرة الجن من
تشبيه الله تعالى بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه وتنزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا
اى ابليس او مردة الجن على الله شططا اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط فى
نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول لما
باعتبار نفسهم فانهم كانوا عالمين بقول سفيهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما
كان يقوله سفيهنا فى حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم سفيههم اى كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد
ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد للتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اى قولا
كذبا اى مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو القول و
انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى فى واد قفر وخاف على نفسه
يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن
وذلك قوله تعالى فزادوهم اى زاد الرجال العائذون الجن رهقا اى تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين
غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اى الانس كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض
ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة ايها فيكون هذه الآية وما قبلها من
جملة الكلام الموحى به والاترب انها كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجها تحت ما ذكر
من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغى ان تكون معطوفة
على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات
اى طلبنا بلوغ السماء او خبرنا واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا اى حراسا اسم جمع لحارس مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملئكة يمنعونهم
عنها وشهبا جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها اى من السماء
مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى للاجل السمع
او بمحذوف هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن فى مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا
اى شهابا راصدا له ولاجله يعده عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين له على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس
قيل حدث هذا عند مبعث النبى عليه السلام والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة
حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاسترق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى بأهل الارض وذلك قولهم
وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اى خيرا ونسبة الخير الى الله
تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا
الصالحون اى الموصوفون بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح
حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اى
قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى

كانوا هم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يوجب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله
تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا ذوى طرائق اى مذاهب ومثل طرائق
فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا
ظننا اى علمنا الآن ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله كائنين فى الله اينما كنا من اقطار ما ولن نعجزه
هربا ما بين هنا الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا
الهدى اى القرآن الذى هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف
فهو لا يخاف بخسا اى نقصانا فى الجزاء ولا رهقا ولان يرهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يجنس
احدا حقا ولا رهق ظلم احدا فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب الظلم
وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون على طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى
تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا
لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا
على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة الى هى ملة الاسلام
لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا عليهم الرزق وخصصه الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش و
السعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه
من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا
عليهم ووسعنا ارزاقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام على طريقتهم القديمة و
لم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لتوقعهم فى الفتنة وتعذبهم فى كفران النعمة ومن
يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو
المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اى واوحى
الى ان المساجد بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى لا تعبدوا فيها مع الله احدا
غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض
الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى عليه السلام وقيل مواضع السجود على ان المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل
اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى وانه من جملة الموحى اى واوحى الى ان الشان
لما قام عبد الله اى النبى عليه السلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع
لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلوة الفجر بنخلة كما مر تفصيله
لبدا الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكبين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته
وسمعوا من قرآءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بنظيره وقيل معناه
لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكبين واللبد جمع لبدة
وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهو بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد
وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فابى
الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعوا اى اعبد ربى ولا اشرك به بربى فى العبادة احدا فليس
ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب والاطباق على عداوتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمكيين
عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا
نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر قل انى لن يجيرنى من الله احد ان ارادنى بسوء

ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجاء ومعدلا ومحيدا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام
عن شؤن غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما
اعتراض ذكر لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه ملجاء الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الامر كبعض
من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته
عطف على بلاغا ومن الله صفة لاصلة اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها
ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجعة او جزاؤه
ان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا
رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه المال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم
لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر باباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما
ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى ذلك الوعد
انكارا له واستهزاء به فيقال قل انه كائن لا محالة ولما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو
بدل من ربي او بيان له وباباه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب
ابدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف اى هو عالم الغيب والجملة استئناف
مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع
على غيبه اطلاعا كاملا يتكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين الا من ارتضى من رسول
اى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما
اما كونه من بادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما كونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف
الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المرتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من احوال
الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما
لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان
وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة
بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب
لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي
الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء
وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه
من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد بالعلم المتعلق بالابلاغ الموجود
بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن
الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير المبلغوا للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من
جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء
وهو ان يعامله موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد
واريد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما و
التحذير عن التفريط فيهما والتأمل ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار
لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى امهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد

ما ابلغها

ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط بما لديهم اى بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من
فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور رجحي بها التحقيق استئنافه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من
سلك الرصد على الوجه المذكور اى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى
قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شئ تمكان وما سيكون عددا اى حزرا فردا فردا وهو تمييز
منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وقيل هو حال اى معدودا
محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي
بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ
عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف ومنع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك
حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل
قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فمعزل عن السداد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق

محمد وكذب به عشر رقبة

يا ايها المزمل اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ
المزمل من زمله بمعنى لفه مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي عليه السلام تهجينا لما كان عليه من الحالة التي
كان عليها السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا همة له ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى
التشمر للعبادة والنهوض الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليها السلام
وبوادره ترعد فقال زملوني فجاء ان عرض له فينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون
تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة
رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه و
قيل المعنى يا ايها الذي نزل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والنزل الحمل وازدمله اي احتمله فالتعرض للوصف
حينئذ لاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحميله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة قم الليل
اى قم الى الصلوة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للتصلي ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم و
بفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اى قم نصف
والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضل
وكون القيام فيه بمنزلة القيام في الكثرة في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عراه عن الفائدة
خلاف الظاهر او انقص منه اى انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى قليلا اى تنقصا
قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا يخرج الى نصف النصف او زد عليه اى زد القيام على النصف المقارن له
فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتغيير
بحاله وليس بسديد اما اولا فلان التحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا للقيام
لا الجزء الخارج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معيار
الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى
ما هو عار عنه بالكلية والاعتناء بتساوي النصفين مع كونه متحملا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول و
قيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير فيه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين
امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف

والزيادة عليه وقيل الضمير للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه كانه قيل من ذلك الاقل او زد عنه قليلا
وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بمانى كتابه الجليل ورتل القران فى اثناء ما
ذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدّها من قولهم ثغر رتل
ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقى عليك اى سنوحى اليك واثيار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو
القران العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه السلام فانه مأمور
بحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام وقيل معنى كونه
ثقيلا انه رصين لوزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد
للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رض كان اذا نزل عليه الوحى ثقل
عليه وبرّحل جلده وعن عايشة رضى الله عنها رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اى ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من
مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان العبادة التى تنشأ بالليل
اى تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ
هى اشد وطئا اى هى خاصة اشد ثباتا قدم او كلفة فلابد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اى اشد مواطأة
يواطى قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها خلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او
الساعات او اشد موافقة للمراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور
القلب وبذوء الاصوات ان لك فى النهار سبحا طويلا اى تقلبا وتصرفا فى مهماتك واشتغالا بشواغلك
فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للاغراض الخارجى لاقيام الليل بعد بيان ما فى
نفسه من الداعى وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل سبقا من سبح الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه
واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة
قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اى وانقطع اليه بجامع الهمة واستغراق العزيمة فى محراقبته وحيثما لم يكن
ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق العادية عن محراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل
تبتيلا مكان تبتلا ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء جزه لا
اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى
فاتخذه وكيلا لترتيب الامر الموجب على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما
لا خير فيه من المزافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وكل امورهم الى ربهم كما يجب
عنه قوله تعالى وذرنى والمكذبين اى دعنى واياهم وكل امرهم الى فانى اكفيكهم اولى النعمة ارباب التنعم
وهم صناديد قريش وعظمائهم قليلا اى زمانا قليلا انا لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل
للامر اى ان لدينا امورا معتادة لتنتهم وجحيما وطعاما ذا غصة يغتنب فى الحلوق ولا يكاد يسيغ كالضريع و
الزقوم وعذابا اليما ويوما آخر من العذاب هو لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك بعد ظلمهم ومرصد وقوله
تعالى يوم ترجف الارض والجبال اى تضطرب وتتزلزل ظرف لكاستقرار الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق
بمحذوف هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا ولا
مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل انا
ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما
ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عليه السلام وعدم تعينه لعدم دخله فى التشبيه فعصى فرعون الرسول
الذى ارسلناه اليه وحمل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه

كما يجب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا
وبيلا خارج من التشبيه جئ به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من
قولهم كلاء وبيل اى وخيم لا يستمرئ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اى كيف تقون انفسكم ان
كفرتم اى بقيتم على الكفر يوما اى عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الروع
شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه
واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اى منشق وقرئ
منفطر اى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انها بتدلت
حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من
باب النسب اى ذات انفطار والباء فى قوله تعالى به مثلها فى فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا
الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الايات
المنطوية على المواعيد المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان و
الطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل اى اقل منهما يسيرا
لما ان لما بين المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى
وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل وطائفة من الذين معك اى ويقوم معك طائفة من اصحابك والله يقدر
الليل والنهار وحده لا يقدر على تقدير بعضهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب
للاختصاص قطعا كما يجب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى علم ان الشان لن تقدروا على تقدير
الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة
عنكم فى تركه فاقرؤا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها
بسائر اركانها فعل كان التنبيه واجبا على التخيير المذكور فنسخ عليهم القيام بالكلية ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل
هى قراءة القران بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القران فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائتى آية كتب من
القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف
وآخرون يقاتلون فى سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص فاقرأوا ما تيسر منه
من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة وقيل هى زكوة الفطر اذ لم
يكن جملة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به
الانفاق فى سبل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير
اى خيرا كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى يؤخرونه الى الوصية عند الموت
وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من فى حكم المعرفة ولذلك
يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خيرا على الابتداء والخبر واستغفروا الله فى كافة احوالكم فان الانسان
قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه عسر الدنيا والاخرة

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى اول سورة نزلت
روى عن جابر رض عن النبى عليه السلام انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى
ويسارى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت و
رجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهرى ان اول ما نزل سورة

اقرأ الى قوله تعالى الم يعلم فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام و
قال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش
ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقيل كان نائما
متدثرا وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم
المفعول من دثره اى الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المنذر يا ايها المنذر قم
اى من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر
واخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبر باعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر
فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل فما كان اي اي شئ
حدث فلا تدع تكبيره والله لا له على المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبره وينزهه من الشرك فان اول
ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة
واول واجب في غيرها وذلك بعيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان
طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة وقيل
هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا
وصفوه بالنقاء من المعايب ودنس الاخلاق والرجز فاهجر اى واجر العذاب بالثبات على هجرها يؤدي اليه
من المأثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اى راضيا لما تعطيه كثيرا
او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستكثار وهو ان يعتد بما يعطي ويطلع ان يتعوض من الموهوب الا اكثر مما اعطاه
وهو جايز ومنه الحديث المستفز وثياب من جبة فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال
الوقف او ابدال الامن تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله منا ولا اذى لان من يمن بما يعطي
يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وقد قرئ
باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما يروى احضر الوغا بالرفع ولربك اى لوجهه لا
لاوامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذاية المشركين وقيل على اداء الفرايض فاذا نقر في الناقور اى نفخ
في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل
اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم تأييل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه
قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء
ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك
الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى
غير يسير تاكيد لعسر عليهم مستعقب ميسره على المؤمنين واختلف في ان المراد بيوم النقرة الاولى او الثانية والحق انها
الثانية اذ هي التي تختص عسرها بالكافرين واما النقرة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق ويعم البر والفاجر
على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع
في تلك الثقب في النقرة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه ليعود الجسد حيا باذن
الله عز وجل وذرني ومن خلقت وحيدا حال اما من الياء اى ذرني وحدي معه خاني اكفيكه في الانتقام منه
او من التاء اى خلقته وحدكم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال

له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وعرف له عن
الغرض الذي يؤمونه من رده الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او
وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او خذا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع
والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وقيل كان
له بالطايف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال
قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان السدي اربعة آلاف دينار وقال الثوري ايضا الف الف دينار وبنين
شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بشاهدتهم لا يفارقونه للتمرن في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نفيهم وكثرة
حشمهم او حضورا في الانادي والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم
رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام و
عمارة وهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على
اويته وسوء استبعاد واستكبار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على اوتي سعة وكثرة اولانه مناف لما هو عليه من كفران
النعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمع الفارغ وتطلع لرجاة
الخايب وقوله تعالى انه كان لآياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم
مع وضوحها وكفران نعمة مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه
الآية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بدل مما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة
المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة في النار
كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل
من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد وتحقيق له وبيان لعناده
لآياته تعالى اى فكر ماذا يقول في شان القرآن وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته
فيه الغرض كانه يتعجب قريش فانهم الفوه واثنوا عليه بطريق الاستهزاء او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر فحكاها
بهم وبا عجابهم بتقديره واستغطاهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ
من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من
محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد عنده حزينا وكلموه باجماعهم فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن
فهل رايتموه تكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب
فهل في ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده وموالية
وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وعجبا بين مقبح قوله ومتعجب منه ثم قتل كيف قدر
تكرير للمبالغة وتم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اى
في القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم ير ما ذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس
ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق
او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر اى يروى
ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ان هذا الا
قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك أخلي عن العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما
سقر اى اى شئ اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لها المفيدة لما قصد افادته

من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ وما اى اى شئ هى فى وصفها لما تقرر ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان
الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى لا تبقى ولا تذر بيان لوصفها وحالها او اخبار للوعد الضمنى الذى
يوحيه ما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اى لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلكت لم تذره
هالكا حتى يعاد او لا تبقى على شئ ولا تذره من الهلاك بل كل ما يطرح فيها تاكله لا محالة لواحة للبشر مغيرة لا
لاعالى الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لتروها عين
اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اى ملكا او صنفا او صفا او نقيبا
من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالى الحركات بنا هو فى حكم اسم واحد
وقرئ تسعة اعشر جمع عشر مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اى المتوين لامرها القائمين بتعذيب
اهلها الا ملائكة ليحاموا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقواهم بحق الله
عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم بأسا عن النبى عليه السلام لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة و
على رقبة جبل فيهبرى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى انه لا ينزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش انا اكفيكم
سبعة عشر فاكفونى انتم اثنين فنزلت اى ما جعلنا هم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
اى ما جعلنا عدوهم الا العدد الذى يسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما
وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن ايضا كذلك وهو الحكمان عليها
بسقة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين
واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتى من استيقان اهل الكتاب واذ دياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص
لهذا العدد دون اختلاف النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع
او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا
من العذاب بناء عليها او على كل نوع تلك او صنف يتولاه واحد من الملائكة الموكلين فى الدركات
بناء على ان لكل واحد من الساعات الاربع وعشرين خمسة منها معروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد
تفرغت الى ما يؤاخذ به انواع من العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل
على المعنى المذكور اى ليستكمل اليقين بنبوة عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم
ويزداد الذين آمنوا ايمانا اى بزيادة ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية
بانضمام ايمانهم بذلك بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان
وازدياد الايمان ونفى لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما واعلم ان نظم المؤمنون فى سلك اهل الكتاب فى نفى الارتياب
حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب بعقارن لما نحن فيه
من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وحكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول و
الصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك وليقول الذين
فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة والكافرون المعروف على التكذيب
ماذا اراد الله بهذا مثلا اى اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه
مثل مضروب واخراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة كذلك يضل
الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف فى الاصل النصب على انها صفة
لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء اضلالا وهداية مثل ما ذكر من الاضلال
والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك

الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لعرفنا اختياره ما فى جانب الضلال عند مشاهدة الآيات الناطقة بالحق و
يهدى من يشاء هدايته لعرفنا اختياره عند مشاهدة تلك الآيات فى جانب الهدى لا اضلالا ولا هداية اوفى منهما وما
يعلم جنود ربك اى مجموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون الاهو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والوقوف على حقايقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة
وما هى اى سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن
انكرها او انكر ونفى ان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذا ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه
قولهم صار وكامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر ايا ضاء وانكشف
انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتاياتها
فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع فى جمع القاصعاء كما تقاجع فاصعة اى لاحدى
البلايا او لاحدى الدواهى الكبر على معنى ان البلايا الكبر والدواهى الكبر كثيرة وهذه واحدة فى العظم لا نظير لها
نذيرا للبشر تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد
خبر لان او للمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اى نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى
الخير فيهديه الله تعالى او لمن يشاء ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون فى معنى قوله تعالى
من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى
الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين الا ان تغليبا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين
فانهم فاكون فكاكها بما فعلوا من اعمالهم كانفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال
وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل
الذين يعطون كتبهم بايمانهم فى جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم فى جنات
وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم فى قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد
بتساءلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن
وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت فى الاصل للدلالة على المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير
كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما فى قولك ترآى القوم اى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن
المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما فى قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون
عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه وقوله تعالى ما سلككم فى سقر مقدر
بقول هو حال من فاعل يتساءلون اى يسألونهم قائلين اى شئ ادخلكم فيها فان قيل هلا قيل ما ادخلكم فى سقر
المكلفون قالوا اى المجرمون مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين
على معنى استمرار ترك الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة وكنا نخوض
مع الخائضين اى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين او بيوم الجزاء اضافوه الى
الجزاء مع ان فيه من الدواهى والاصوال ما لا غاية له لانه ادهاها واصولها وانهم طالبوه وقد مضت بقية
الدواهى وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله نكذب بيوم الدين
وليبان كون تكذيبهم به مقارنا للسائر جنايتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم حتى اتانا اليقين
اى الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى فالهم عن التذكرة
معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من
سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير الجار والواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة باى فاذا

كان حال المكذبين به على ما ذكر فاى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تقاعد موجبات الاقبال عليه وتأخذ
الداعى الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل اى مشبهين
بحمر نافرة قرت من صورة اى من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين
يتصيدونها شبههم فى اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما اوغيرها
وفيمن ذهب وتجهين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على
مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس
منشرة وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتى كل واحد منا بكتب من السماء
عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرأه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع لهم عن تلك الجرأة بل لا يخافون الآخرة
فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع اتيان الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اى القرآن تذكرة
واى تذكرة تمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين ويتذكرون بمجرد مشيتهم للذكر كما
هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى تمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشية العبد واردته فى افعاله وقوله تعالى الا ان
يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال او ما يذكرون بعلة من العلل او فى حال من الاحوال
الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهذا تقرير لبيان افعال العباد بمشية الله عز وجل وقرئ تذكرون على
الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اى حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل
المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله بعدد من صدق محمدا عليه السلام وكذب به
عشر حسنات

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها فى قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هى للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان
معنى لا اقسم بهذا لا اعظمه باقسامى به حتى اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المنفى نفع الاقسام
لوضوح الامر فقد عرفت انه فى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفى ورد لكلام سبق وقيل القسم كانهم انكروا
البعث فقيل لا اى ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا واقه ان البعث حق واما ما كان نفيا للاقسام
على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله فى سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم
بالنفس اللوامة اى بالنفس المتيقظة التى تلوم المتقوس يومئذ على تقصيرها فى التقوى ففيه طرف من البراعة الية
فى القسم السابق اوبالنفس انها لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس
الامارة وقيل بالجنس لما روى انه عليه السلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت
خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى كففت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم مما لا يكاد
بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المنغمرة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام
فانها تلوم على فعلها الذى اخرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى أيحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان محققة من الثقيلة وضمير
الشان الذى هو اسمها محذوف اى يحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها
ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها فى اقطار الارض والقتها فى البحار و
قيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبى عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى
السوء فقال لرسول الله عليه السلام يا محمد حدثنى عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدق وكما يجمع الله هذه العظام بلى اى نجمعها حال كوننا قادرين على
ان نسوى بنانه اى نجمع سلاميات ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام
او على ان نسوى اصابعه التى هى اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اى نحن قادرون بل يريد الانسان
ليفجر امامه عطف على الجواب اما على انه استفهام مثله ضرب عن التوبيخ بذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام
اى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه يسئل ايان يوم القيمة
اى متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش
بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة خوفه وقرئ بلغ اى انفتح وانفرج و
خسف القمر اى ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب
وقيل جمعهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه و
تغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اى يوم اذ يقع هذه الامور اين المفر اى الفرار يأسا منه وقرئ
بالكسر اى موضع الفرار وقرئ بهما جميعا وقيل كل ما التجات اليه وتحلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اى اليه وحده
استقرار العبادة او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار
ينبؤ الانسان يومئذ اى بخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اى عمل من عمل خيرا كان او
شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى واخر اى لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى
او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به فى
حياته وبما اخر خلفه اوقفه او اوصى به او بما اول عليه واخره بل الانسان على نفسه بصيرة اى حجة بينة
على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يوجب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية وصفت به
بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة او التاء
للمبالغة وهو معنى بل الترقى اى يتبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه كما جوارحه
تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اى ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من
المستكن فى بصيرة او من مرفوع ينبؤ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل
معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر اليه والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار و
هو الستر اى ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى الوحى نازع جبريل عليه السلام القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا
اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يقفيه اليه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اى بالقرآن
لسانك عند القاء الوحى لتعجل به اى لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه فى
صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه وقرآنه اى اثبات قرآءته فى لسانك فاذا قرأناه اى اتممنا
قرآءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القرآءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب الثانى فاتبع
قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا
ردع له عليه السلام من عادة العجلة وترغيب له فى الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون العاجلة و
تذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اى بل انتم يا بنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى كل
شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع
الضميرين للمغلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة المغلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اى
وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهجة متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه

مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى الى ربها ناظرة خبران للمبتدأ اونعت لناضرة
والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا علم ان ناضرة صفة لوجوه والخبر
ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم
يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة
جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى
غيره وقيل منتظرة انعامه ورؤيان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والنظر المستعمل
بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديد العبوس وهى وجوه الكفرة تظن يتوقع اربابها ان يفعل
بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا
لما بين ايديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقى اى بلغت النفس
اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اى قال من حضر صاحبها من يرقيه و
يجيء بما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملئكة الموت ايكم يرقى بروحه ملئكة الرحمة او ملئكة العذاب من
الرقى وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق
والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند خلق الموت وقيل بما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل
بما ساقاه حين تلفان فى الكفانة الى ربك يومئذ الساق اى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق
ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام والقرآن نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه
والضمير فيها للانسان المذكور فى قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق
المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى
يتبختر افتعال من المطا فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يليه اولى لك
فاولى اى ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل
من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى تكرر عليه
ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا
يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من منى يمنى الى استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان
استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اى بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا
النطفة علقة فخلق اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانسان
الزوجين اى الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشأن الذى انشاء هذا
الانشاء البديع بقادر على ان يحيى الموتى وهو اهون من البدء فى قياس العقل ودخان النبى عليه السلام كان اذا قرأ ها
قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

هل اتى الاستفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اصل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين
من الدهر اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا مسبا غير مذكور
بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اى غير مذكور او صفة اخرى
لحين على حذف العائد الى الموصوف اى لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهر فى قوله تع
انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى
وعكرمة والشيعة قال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه عمرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين

كة والطائف وفى رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حماء مسنون فاقام اربعين سنة
ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى
خلقه عليه السلام وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او شيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف
النطفة به لان المراد بها مجموع الماءين وكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة
فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منها الولد فما كان من
عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد
كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى
نبتليه حال من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى انما قلبين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة
كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نقرره فى بطن امه نطفة ثم علقة الى آخره فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من
استماع الايات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد
به بالفاء وترتب عليه قوله تع انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا
حالان من مفعول هديناه اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا او للتفصيل اى
التقسيم اى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا او مقسوما اليها بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه
مجازا وقرئ انا بالفتح على حذف الجواب اى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بجبر واجبار من غير اختيار
من قبله وايراد الكفور بمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر
المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذين هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها
يقيدون وسعيرا يحرقون وتقديم وعيدهم مع تاخرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه و
تسود وجوههم فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتقدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين حسن
على ان فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع
فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه
من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وقيل هو مخفف بيّر فالقه اى يطيعه وقيل من يمتثل
بامره تعالى وقيل من يؤدى حق الله تعالى ويوفى بالنذر وعن الحسن البر من لا يوذى الذر يشربون من كاس
هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية او بيانية
كان مزاجها اى ما تمزج به كافورا اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة او ما فى بياض الكافور ورائحته وبرده و
الجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق
فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير
مضاف اى يشربون خمر اخمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا
اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة
ابن ابى عبلة يشرب بها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين تلك الكاس يفجرونها تفجيرا اى
يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجرى جريا بقوة وانفاع والجملة صفة اخرى لعينا
وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما الاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما
ينبئ عنه اثم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى نالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم
فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية

غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اى كائنين
على حب الطعام والحاجة اليه كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون
ذلك بطيب النفس اوكائنين على حب الله تعالى او طعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب بما سيأتى من قوله لوجه
الله مسكينا ويتيما واسيرا اى اسير كان فانه عليه السلام يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن
اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك
بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضى الله عنها
انما كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب
الصدقة لها حالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا وهو تقرير وتاكيد لما قبله انا نخاف
من ربنا يوما اى عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى الشدة والفراوة قمطريرا شديدا
العبوس فلذلك تنعل بكم ما تنعل رجاء ان يقينا ربنا ذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اى
انا نخاف عقاب الله تعالى ان ادنا هما فوقاهم شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا
اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وجوههم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق
الطاعات ومهاجرة هوى النفس واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤا و
حريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبى
فى ناس معه فقالوا للعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما ان برءا
مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهما شئ فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيبرى ثلث اصوع من شعير
فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا به فوقف
عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد
الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم ووقف عليهم يتيم
فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم
فاقبلوا الى النبى عليه السلام فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوءنى ما
ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل
وقال خذ ما يا محمد هنأك الله تعالى فى اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال منهم فى
مقابلة ما كانوا فيه من مكابدة الجوع والعمل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هى السرر فى المجال وقوله تعالى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن فى متكئين والمعنى انه لا يمر عليهم هواء معتدل لا حار
مؤلم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر بلغة طى والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم
ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اى وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم
وعدوا جنتين كما فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة فى حيز
الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من
الابرار مظلة عليهم زيادة فى تنعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها مظلة عليهم معه لا تشمس
ثمة ولا قر وذللت قطوفها تذليلا اى سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة و
الجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اى دانية عليهم ظلالها و
مذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهى جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة
واكواب الكوب الكوز العظيم الذى لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا قواريرمن فضة اى تكونت جامعة

بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الاكواب فى قرئ بتنوين قواريرا الثانى ايضا
وقرئ الكل بالرفع على هى قواريرهى قدروها تقديرا صفة لقواريرا ومعنى تقديرهم فى انفسهم واردوا ان تكون
على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها
وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم
وقرئ قدروها على البناء للمفعول اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ ويسقون
فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا اى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب
والذ ما تستلذه عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا
بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولته مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة لامه
والمراد بيان انها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء
الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رايت ثم
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه ان بصرك اينما وقع فى الجنة رايت نعيما و
ملكا كبيرا اى هنيئا واسعا وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه
كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم
عالیهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتداء مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه
قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا
للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتداء خبره ثياب
اى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع
عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثانى وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح
على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا
ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة يختلف حسب اختلاف
اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال
من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للمخدومين وذاك للخدم وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع
آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهور بتفاوته يطهر شاربه
عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد للمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى
الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اى
يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا
مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اى مفرقا نجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا
كما يوهمه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم
آثما او كفورا اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه والواو للدلالة على انهما سيان
فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر
بعليتهما له فلا بد ان يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الاثم عقبة فانه كان
ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديدا لشكيمة فى العتو
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودوام على ذكره فى جميع الاوقات اودم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل

ينتظمها ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلوة الليل من
مزيد كلفة وخلوص وتسجه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة
ويتهاونون فى لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اى امامهم لا يستعدون او ينبذون ورآء ظهورهم يوما ثقيلا لا
يعبأون ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شئ فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل
لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا
امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا وبدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى
يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الايات
القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى
تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيتهم غير
كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت
من الاوقات الا وقت مشيته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشية العبد الا فى الكسب واما التاثير والخلق بمشيته الله عز وجل و
وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته تعالى
مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى بالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا
ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء فى رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة على علمه وحكمته
اى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها الذى يصرف مشيته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول
الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اى تسناهيا
فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد
لهم تفسير الهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبى عليه السلام من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله عز وجل
بطوائف من الملئكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن عطف الرياح سارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف اخرى
نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرايع فى الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفن والحمل
بها او حين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم
نشر الشرايع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء والاشعار بان
كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتعظيم والاجلال بالاقسام بهن
والوحى بها على ترتيب الوقوع لربما فصل ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب للذكر مع الاستحقاق او اقسام بارياح
عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرق بينه كذلك كقوله تعالى وجعله كسفا او بسحاب
نشرت الموات ففرق فى كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرق بين من يشكر الله
تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار
رحمته تعالى فى البعث ويشكر ونحاها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن
لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آناء الليل والنهار فى مشارق الارض ومغاربها وفرقن الحق والباطل فالقين
ذكرا الحق فى اكناف العالمين والعرف لما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال
ملئكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر

والنذر مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وحرفا
بالتثقيل ان ما توعدون لواقع جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم
طمست محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت
جعلت كالهباء الذى ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقار ها بسرعة من انتسفت الشئ اذا
اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه
للشهادة على امهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله وبلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرئ
وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاى يوم اجلت مقدر يقول هو جواب لاذا فى قوله تعالى واذا الرسل اقتت
او حال من مرفوع اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله
وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق وما ادريك ما يوم الفصل
ما مبتدأ وادراك خبره اى اى شئ جعلك دارئيا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما
خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا
مثيلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيد عكسه
ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم الهائل وويل فى الاصل مصدر منصوب بما قدر فعله لكن عدل به الى
الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته ألم نهلك الاولين كقوم نوح
وعاد وثمود للمكذبين به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على ثم نحن
نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين مسلكهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم
وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا كما من المذكورين كقوم لوط وشعيب
وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل القطيع نفعل بالمجرمين اى سنتنا جارية على ذلك
ويل يومئذ اى يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول
لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا ألم نخلقكم اى ألم نقدركم من ماء مهين اى من نطفة قذرة مهينة
فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة بستة اشهر
او اقل منها او اكثر فقدرنا اى فقدرنا ه وقدرنا مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود
المقدور بالفعل فنعم القادرون اى نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة المجعل الارض
كفاتا الكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالصمام والجماع لما يصم ويجمع اى تكفتكم
كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها وامواتا غير محصورة فى بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع
كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء واموتا لان احياء
الانس واموالهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اى كفاتا تكفتكم احياء و
امواتا وجعلنا فيها رواسى اى جبالا اثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث
فى غير العقلاء مطردا كما جاء وواجن وواشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان منها ما لم يعرف واسقيناكم ماء
فراتا بان خلقنا فيها انهارا او منافع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اى يقال لهم
يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون فى الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اى ظل
دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضى اخبارا بعد الامر عن علم بموجبه لا ظليل
اليه طوعا او كرها ذى ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم و
المؤمنون فى ظل الكرسى قيل خصوصيته الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان

المؤدى حالى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب
والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره
أظليل تهكم بهم او ردّ لما اوهمه لفظ الظل ولا يغنى من اللهب اى غير معفى لهم من حرّ اللهب شيئا اغناءً ما
بقصور كالقصر اى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر
وقرئ كالقصر بفتحتين وهى اعناق الابل او اعناق النخل نحو نخرة ونخر وقرى كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل
اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النداوة يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال وقرئ
جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفاوت
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت وخولهم النار اى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لان
السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فنفى عن
كل وقت بيوم اولا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى فصل واقع يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب لهن غير
ان يجعل الاعتذار سببا عن الاذن كالوصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل
والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل
فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتمدون بهم حاضرون وهذا توبيخ لهم على تأكيدهم
للمؤمنين فى الدنيا واظهارهم العجز هم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهران لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب
ان المتقين من الكفر والتكذيب فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اى مستقرون فى فنون الترفة وانواع
التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر اى مقولا لهم كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزى المحسنين اى فى عقائدهم و
اعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب الخالد الوبيل
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكير لهم
بما لهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة
على ان كل مجرم مآله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون فى الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله ويل
يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اى اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول
وجبه واتباع دينه وادخضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما
هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا انحنى فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود
وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة خلافا لابى حنيفة رحمه الله فبأى حديث بعده اى بعد القرآن الناطق باحاديث الآدبين واخبار
النشاتين على خط بديع معجز موسى على نبينا وعليه السلام ساطعة براهين قاطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ
تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

عم اصله عما حذفت منه الالف لما قرنها بين ما الاستفهامية وغيرها او قصد التخفيف لكثرة استعمالها وقد قرئ

على الاصل وبما فهم من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة
اى عن اى شئ عظيم الشان يتساءلون اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه
انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومساه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف
من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقايق الاشياء ومسمياتها كما فى قولك ما الملك ما الروح لكنها
قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم وطبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلوة والسلام
والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اى يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل فى الافعال المتعدية موضوعة لافادة
صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل
اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويجال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك ترائى القوم اى راى كل واحد منهم الآخر
وقد يخرج عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه فيذكر للفعل حينئذ مفعول
متعدد كما فى المثال المذكور او واحد كما فى قولك تراءى الهلال وقد يحذف لظهوره كما فى ماكن فيه فالمعنى عن اى
شئ يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه السلام والمؤمنين ويجاز دعن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها
تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتمارى عن النبإ العظيم بيان كشأن
المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على
طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينة وانعدام نظير خارج عن دائرة علوم الخلق خليق
بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبإ العظيم
على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار نعم متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعد ما
مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم
متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى
للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبإ العظيم وقيل عن الثانية استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون أعن النبإ
العظيم والنبإ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذى هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم
تاكيد الخطره واشعار ابعاد التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة
جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم بحقيته يقول ان هى الا حيوتنا الدنيا
نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على
الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم
بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقى المسلمين والكافرين على ان سؤال
الاولين لزداد واخشية واستعدادا وسؤال الاخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون
فانه مدرج فى ان المراد اختلاف الجاهلين بالمنكرين اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم
وتخصيصها بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغى تنزيه التنزيل
عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على
ما لفهم المبنى عليه السلام بان يعتبر فى الاختلاف بحض صدور الفعل عن المتعدد جسما ذكر فى التساؤل فان الافتعال
والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك تجرى فى كل منهما
مايجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق
كل جانب لهما ليس لمخالفة للجانب الآخر اذ لا حقيقة فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته لرأى
فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستيناف وتعليل

للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعولا لما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه
كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي اختلفوا فيه الآية
فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما لا يليق من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن
القائها بالعلم لوقوعه في معرض التساءل والاختلاف ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة
الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في
التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة
وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من
الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما
لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الخ استيناف سوق لتحقيق البناء المتساءل
عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته اثر مانبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتساءل
عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي عليه السلام كما قيل والنهزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة
للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو يمهد له فينوم
عليه تسوية للمهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها رسوا وثباتها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف
على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الخ او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال
قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرانا واناثا ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش و
يتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع
احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية واراحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه
وجعلنا الليل الذي فيه يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يشترك عند
النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد اوضح فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل
موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حيوة تبتغون فيه من
فضل الله ورزقه الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا
عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت
التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر
الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبنية على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول
ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تتبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل
تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق فلا انه مختص بالانشاء والتكوين وفيه مع التقدير
والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه انباء عن ملابسة معقولة بشيء آخر بان يكون فيه اوله او منه او نحو ذلك بلابسة مصححة
لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى
وجعل فيها رواسي وقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كلا واحد من هذه الظروف
اما متعلق بنفس الجعل او بمجروف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا
اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم
وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت والجانع في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير

عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزالنا من المعصرات هي السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان
تعصرها الرياح لتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان
لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعطرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعطرات سواء اريد بها السحاب او الرياح
فقد كان بها كما ثجاجا منصبا من يده وبيده وقد فسرت المعطرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهها ان الرياح هي التي
تنشئ السحاب وتدر اخلافه فحقيق بان تجعل مبدأ الانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال
بكثرة وثجه اي اساله وفي قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
وقرئ ثجاجا بالجاء بدل الجيم فالوا ثاج الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا بقتات كالحنطة والشعير ونحوهما
ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالب
غذاء الانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل
بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض
ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اي ملتفة
تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف كلف وكنان او لفيف كشريف
واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كحمر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل الدالة
على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير
مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات
على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها
عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد اليوم نموذج للبعث بعد الموت يشاهد ونها كل يوم
وكذا اخراج الميت والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل لم نفعل هذه الافعال الافاقية و
الانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فالكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون
عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا شروع في بيان شر تاخيرهم يتساءلون عنه ويستعجلون
به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب
جملوي به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا ومعادا
لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا
توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حد الخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل من التقريب الذي اشير اليه
على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل
او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل عن زمان ممتد يقع في بداية النفخة وفي
بقيته الفصل ومباديه واثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر فينفخ فيه نفخة لا يبقى عند ذلك في الحيوة غير من
شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى
فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والبناء في قوله
تعالى فتاتون مفيدة تفصح عن جملة قد حذفت نقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في
قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضربه فانفلق فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك من غير
لبث اصلا افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات
مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي
بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم
عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل
الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
ملبسون جبابا من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة
الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم
البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت
ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان
واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين
يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على نفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق و
قرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة تنزلا غير
معتاد حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة وهو المراد
بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اي امره و
باسه في ظلل من الغمام والملئكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا ليس فيها
شئ وسيرت الجبال اي في الجو على هيأتها بعد قلعها من مقاداتها كما يرشد عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها راي العين ساكنة مع انها في الحال انها تمر مر السحاب الذي يسيره الرياح
سيرا حسنا وذلك ان الاجرام العظام اذا حركت نحو امكنة خالية لاتكاد تبين حركتها وان كانت في غاية السرعة
لاسيما من بعيد وعليه قول من قال باد عن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد رجح في هذا التشبيه
تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش
بدل الله تعالى الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال على تلك الهيأة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية
ليشاهد وا ثم يغيرها في الهواء وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى
وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان انكدت وانفدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها
وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا
يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان
هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان
الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه
خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى مآبا
بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه للحالة والمآل من ابا قد مت عليه لكونه نكرة ولتاخرت كانت صفة له وقد جوز
ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا
لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصادا لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عند بابها لان بخازنهم
عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجذة في ترقد الكفار لئلا يشذ منهم
احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن
في للطاغين وقرئ لبثين احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان

الحقب لايكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب
ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتداة
اخبر عنهم بانهم لايذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما مايسيل من صديدهم جزاء
اي يجوز وابذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او موافقا وفاقا وقرئ وفاقا على
انه فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لايرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لايخافون
ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر
وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصيد قرنها
وكذبها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه لما بفعل المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا وانتصب
كذبوا بالتضمن معنى كذبوا فان كلا من يكذب بالحق ونحو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي
كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كاذبا
مفرطا كذبه وكل شئ من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه
وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر مؤكد لاحصيناه لان الاحصاء والكتبة سبب واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المبني عن التشديد والتهديد وايراد
لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالا يدخل تحت العصر من الدلالة على تبالغ الغضب مالا يخفى وقد روى
عن النبي عليه السلام ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن
احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر جنايح اعمال الكفرة فوزا وظفرا
بمبا غيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك اومو ضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعنابا اي بساتين فيها
انواع الاشجار المثمرة وكرر ما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا اي لدات
وكاسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملاه لايسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا
كذابا اي لاينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لايكذبه اولا يكاذبه جزاء من
ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له عطاء اي تفضلا واحسانا منه تعالى او لايجب عليه شئ وهو بدل من جزاء حسابا صفة
لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بلغ فيه من احسبه الشئ اذا اكفاه حتى قال حسبي وقيل على
حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما
بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة او قيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل
ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى لايملكون منه خطابا استيناف مقرر لما افاده
الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون
لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتداء مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتداء
والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لايملكون حال لازمة وقيل الاول
مبتداء والرحمن مبتداء ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الرابط بتكرير المبتداء بمعناه على
راي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استيناف
على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية للا ان المرفوع او المنصوب بحا تابع لما

قيلة معنى وأن كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول
على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والجار بعده او على انه خبر لمبتدإ محذوف وما بعده استيناف او خبر ثان او حال وضمير لا
يملكون لاهل السموات والارض لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا
تعالى شأنه والمراد نفي صدورهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه
واكده وقيل ليس في ايديهم ما يخاطب الله به ويأمر به في امر الثواب والعقاب بخطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك
فيزيدون فيه وينقصون منه يوم يقوم الروح والملئكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملئكة واشرف منهم واقرب
من رتبة العالين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا
كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملئكة كلهم صفا وعنه عن النبي عليه السلام انه قال الروح جند من جنود الله ليسوا
الملئكة لهم رؤس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا
ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملئكة وقيل هم حفظة على الملئكة وقيل جبريل
عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملئكة صف وقيل صفوف
وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون
وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين
من جملتهم الروح والملئكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء بريته وتهويل يوم البعث الذي
عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استيناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له
على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في
التكلم وقال ذلك الماذون له قولا صوابا اي حقا كخبر يكون وخطاب ربنا لغزة مع كونه احق من مطلق الكلام وأغر
منه مرارا ما على ان الروح والملئكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب
من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال ممن سلكه مع تجويزه ان
يكون يوم ظرفا لا يملكون خصائشيعة عليه الشؤن واختلط به الظنون وقيل الا من اذن له منصوب على اصل الاستثناء
والمعنى لا يتكلمون الا الذي حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موضع
الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى وذلك اشارة الى يوم
قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الهول والفخامة
ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملئكة مصطفين غير قادرين هم
وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه
والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشية محذوف لوقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء العزابة في تعلقه بها حاصب القاعدة المستمرة والدية متعلق بما قدم عليه
اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى
ثواب ربه الذي ذكر شانه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجارة لما فيه من معنى
الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة
بالبعث وبما بعده من الدواهي ولها وسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه
لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رآوه بعيدا او سيرونه قريبا لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونحن
يئسوا الآخرة اصحابها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لانها اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر
وايا ما كان فقوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم
ينظر المرء الى تشاهد ما قدمه من خير وشر على ان ما موصولة محذوفة العائد منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شئ قدمت يداه

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز
وجل بطوائف الملئكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد او ارواح الكفرة
كما قاله علي وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر
اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح
المؤمنين الى الجنة فيدبرون امرها وثوابها بان يعتقوها لما هم اكمل مما اعدلها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد
الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتايب في المزدحم للاشعار
بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من مبادئ امور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال
والاعظام بالاقسام بهن غير انضمام الاوصاف الآخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبها على ما قبلها بغير
مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وعرفا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع
حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير
واصول القدمين ثم تفرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج ترتد ما في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافرين
في وقت النزع كانهم ينحدرون وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل
والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملئكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيسبقون الى
ما امروا به من الامور الدينية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به ودلالة ما
بعده من احوال القيمة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امور ما يلوح بكون
المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق
الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تخط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور
اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق في الفلك بعضها بعضا فتدبر امرا منيط بها كاختلاف الفصول
وتقدير الازمنة وتباين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من
برج الى برج ملايمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بنفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي
باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او خيلهم التي
تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في
جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر المظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه والذي يليق بشان التنزيل
هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المقر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف
عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى
وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة
التي ترتدف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة
الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان و

على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
ظاهره وضع موضع الضمير لزيادة الذم فيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في
هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر
ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشئ الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة والحمد لله حمدا

بينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا
لاهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه
اضافة الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة استينافا فامر المضمون الجواب المحركانه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل منصوب بما دل عليه قوله تعالى
قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتداء ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة
لقلوب مسوغة لوقوعه مبتداء وقوله تعالى ابصارها اى ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتداء وخبر
وقعت خبر القلوب وقدم ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان
الصفات تعقل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات حيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع
لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع حكم الثبوت مفروغا عنه و
جعل الثاني خبرا به مقصودا بالافادة تحكما على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من
الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام و
ايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير شعرة بالعموم والشمول يهون الخطب في موقع التهويل
فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل
فان المعنى منصب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه
قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة
وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون أئنا لمردودون
في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالايات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد
القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اى يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين
لما تعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اى في الحالة الاولى يعنون الحيوة من قولهم رجع فلان في حافرته
اى طريقة التي جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اى
منسوبة الى الخواء والرضاء او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله
تعالى أئذا كنا عظاما نخرة تاكيد للانكار الرد ونفيه منسبة الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون
اى أئذا كنا عظاما بالية نرد وننبعث مع كونها ابعد شئ من الحيوة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار
وناخرة من نخر العظم فنخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي يمر به الريح فيسمع له خرير قالوا حكاية لكفرهم المتفرع
على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار
مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكاية بصيغة المضارع اى قالوا بطريق
الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اى ذات
خسران او خاسرة اصحابها اى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة
تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم ايا ما رد
عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها
بما يتبعها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم بالساهرة حينئذ
بيان لترتيب الكرة على الزجرة مفاجاة اى فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى
الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك
لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي صدد تا ئمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة
وقيل اسم جهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض بيت المقدس يبدلها الله عز وجل يوم القيمة وقيل
هي اسم الارض السابعة باتي بها الله فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري
الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بعض الصحراء على شفير جهنم وقوله
تعالى هل اتيك حديث موسى كلام مستانف ورد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه
يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتيك ان اعتبرت هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه مما
ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كانه قيل هل اتيك حديثه انا اخبرك به وان اعتبرت اتيانه قبل هذا وهو المتبادر
من الايجاز في الاقتضاب ليس قد اتيك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا
للاتيان لاختلاف وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله
بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اى ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب
الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اى ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة
عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعد ما اتيته هل
لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التاءين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى
بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفة تعالى
قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى بكل
كل خير ومن امن اجتراء على كل شر امر النبي عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف
في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء
في قوله تعالى فاراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى فانه عليه السلام
ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات
وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين
والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصر ثعبانا وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه وانظارا
للجملة ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كان نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا
بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فانها كانت المقدمة
والاصل والاخرى كالتبع لها وهما جميعا وهو قول مجاهد فانها كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث
قال اذهب انت واخوك بآياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما
مر تفصيله في سورة طه ولا ساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا اليدين من الآيات التسع انما ظهرت على
يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على محل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع
القصة وامر السحرة مترقب بعد فكذب بموسى عم وسمى معجزاته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم
صحة الامر وجوب الطاعة اشد عصيان وافحمه حيث اجترء على انكار وجود رب العالمين راسا وكان التعيين وقومه
مامورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئة الباغية لا بارسال بني اسرائيل
من الاسر والقهر فقط ثم ادبر اى تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس يسعى اى يجتهد في معارضة
الآية او اريد ثم اقبل اى انشاء يسعى فوضع موضع ادبر تحاشيا عن وضعه بالاقبال وقيل ادبر مارا بالثعبان
فانه روى انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس من زحمتها فمات
منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل انها حين انقلبت حية اتت تفتح في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه

فعاد عصاه وأباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يوجبه قوله تعالى
فحشر اى فجمع السحرة لقوله فارسل فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون كيده اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم
وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس فنادى فى المجمع بنفسه او بواسطة المنادى فقال انا ربكم الاعلى قيل قام
فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه الله نكال الاخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو
التعذيب الذى ينكل من رآه واسمعه وميز عنه من تعاطى ما يفضح اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق فى الاخرة والاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لاخذ اى اخذه
الله نكال الاخرة الى وقيل مفعول له اى اخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض اى اخذه بنكال الاخرة و
الاولى واضافة الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا
يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما تؤدى اليها لا محالة وقيل المراد
بالاخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من الٰه غيرى قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة
اضافة المسبب الى السبب ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى
اى لمن من شانه ان يخشى وهو من شانه المعرفة وقوله تعالى أأنتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث
بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بدليل بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى
فانما هى زجرة واحدة اى اخلقكم بعد موتكم اشد اى اشق واصعب فى تقديركم ام السماء اى ام خلق السماء عظيم
وانظوائها على تعاجيب البدائع التى يحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس وقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الخ بيان و
تفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفى ما عطف عليه من التنبيه على تعينه و
تفخيم شانه عز وجل بالايخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى
سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتقها
بما علم انها تتم به من الكواكب والبدا ويروغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه و
اغطش ليلها اى جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلم وقد قرئ بهما فى قوله تعالى واذا
ظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحيها اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف واتم
واطيبها فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تاخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج
فان افاضة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدورانهما عليها
على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها
وكمال اشراقها والارض بعد ذلك دحيها اى بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقليبهم فى اقطارها وانتصاب الارض
بمضمر يفسره دحيها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا ومرعيها اى ما يرعى فيها وهو فى الاصل موضع الرعى
وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لما قبلها وكملة له فان السكنى لا تتاتى
بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند
الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما فى قوله تعالى اوجاؤكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره
ارساها اى اثبتها واثبت بها الارض او عيد بها اهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الوسائط المنسوب اليها فى مواضع
كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارساء عز وجل ولولاه لما ثبت فى نفسها
فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم
الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضمير
الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من

انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كعيئة الفهر عليه دخان فارتفق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة ان قوله تعالى
قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق
وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة لا على تقدير ما فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى
خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء و
ما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روى ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث فى
اضطرابا فاز بدفارتفع منه دخان ناما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها
وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر
ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة فالاولى كما قيل تاويل هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من
بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغير ذلا الى انفسها ويجعل بعدية الاخرى عنها على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى السنة
العرب والعجم لا فى الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر و
تعيين البعدية فى الوجود وفائدة تاخيره فى الذكر اما التنبيه على انه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال
السماء واما الاشعار بانه ادخل فى الانزام للمان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر و
احاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روى عن الحسن نصا فى تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض يعقبه
على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو والتى هى بمعزل من الدلالة على الترتيب بذا على تقدير حمل ذكر فى آيات سورة
السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقدير ما فلا دلالة فيها الا
على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما فى سورة البقرة
على التراخى فى الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام فى السورة المذكورة وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اى فعل
ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم ولانعامهم فان المراد
بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول الاكول على الاطلاق كاستعارة الكسر للانف
وقيل مصدر مؤكد لفعله المقدر اى متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظ فعل قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعيها فى
معنى متع بذلك وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اى الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات اى تعلوها و
تغلبها وهى القيمة او النفخة الثانية وقيل هى الساعة التى يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التى يساق فيها اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها على ما قيل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو
بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باذكر مقدرا كما قيل فى تفسير الطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما
يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافتها الى الفعل على رأى الكوفيين اى تتذكر
فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا فى صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله
تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لا
يخفى على احد ممن يرى كائنا من كان يروى انه يكشف غطاؤها فتتلظى فيراها كل ذى بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف
ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما فى قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فاما من طغى الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما
يأتينكم منى هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الرائون قسمين فاما من الخ والذى يستدعيه
فخامة التنزيل وتضفيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشئون مما لم يشاهد العيون كما مر فى قوله

تعالى يوم يجمع الله الرسل اى فاما من عتا ومرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية هى على
جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الاخروية الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم التى ذكر شانها
هى المأوى اى هى مأواه واللام سادة سد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف
ودخول اللام فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى اما ضمير فصل او مبتدأ وقيل نزلت الاية فى النضر وابيه
الحرث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان واما من خاف مقام ربه بين يدى مالكه يوم القيامة الكبرى يوم يتذكر
الانسان ماسعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم
يغتر بزخارفها وزينتها علما بانها بوشكة زائلة فان الجنة هى المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى ابى عزيز بن عمير
ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا
وقد قيل جواب اذا مايدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر اى فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ماسعى على طريقة
قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة
الماضى للدلالة على التحقق او حال من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين ولم يرد عن العايد
وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيل لاحوال الانسان الذى يتذكر ماسعى وتقسيم له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى وبثها ويكونها وقيل ايان
منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكرها انكار وردّ لسؤال
المشركين عنها اى فى اى شئ انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفى
عنها اى بانت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ لان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو ما استأثر بعلمه علام الغيوب
ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم ومابعده من الاستيناف
تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكرها اى ارسالك وانت خاتم الانبياء
المبعوث فى نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فغنى
قوله تعالى الى ربك منتهاها على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اى علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها
لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا اقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك
واما على الوجه الاول فمنتهاه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كائنا من كان فلاى شئ يسألونك عنها و
قوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكرها وتحقيق لما هو
المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام فى ذلك الشان فان انكار كونه عليه السلام فى شئ من ذكرها مما يوهم نظرا
ان ليس له عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فاريح ذلك ببيان ان المنفى منه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها
حسبما كانوا يسألونه عليه السلام عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها
وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فالهم يسألونك عما ليس من
وظائفك بيانه وعلى الوجه الثانى هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكرها ببيان ان ارساله عليه السلام وهو خاتم الانبياء وهم
منذرو مجئ الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقنى وقرئ منذر بالتنوين
وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضى تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن
يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية اوضحاها اما تقرير وتاكيد لما
ينبئ عنه الانذار من سرعة مجئ المنذر لا سيما على الوجه الثانى اى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية
يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما اوجوه فى سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها
بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية اوضحاها واعتبار كون اللبث فى الدنيا او فى القبور لا يقتضيه المقام

وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار وبعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول
فانه على تقدير الاضافة وعدها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى كانهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول
فى يحشرهم اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الا ساعة خلا ان الشبه هناك فى الاحوال الظاهرة من الرعب و
الهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد وكانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا
تلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستانفة لا محل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات
كان ممن حسبه الله عز وجل يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة والحمد لله رب العالمين

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى وام مكتوم اسم
ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس
بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول
الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا
بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه
علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اى لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما للتمهيد عذره فى الاقدام
على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفع والرافة واما للزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى
كما ان الالتفات فى قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل فى تشديد العتاب اى اى شئ يجعلك
دريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شانا
منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرايه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اى لعله يتطهر بما يقتبس منك من
اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق الزكى واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه
عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك
لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر اصلا وقوله
تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ
بالرفع عطفا على يذكر اى او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير لعله لكافر فالمعنى
انك طمعت فى ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع
اما من استغنى اى عن الايمان وعما عندك من العلوم وللمعارف التى ينطوى عليها القرآن فانت له تصدى
اى تقبل وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم
فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اى تتعرض
ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الرئاسة والتهالك على الاسلام وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس
فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار
اى اى شئ عليك فى ان لا يتزكى ومالك النفع ايضا واما من جاءك يسعى اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك
من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اى الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى
الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كانه قيل من فاعل جاءك فانت عنه تلهى
تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى اى يلهيك شان الصناديد وفى تقديم ضميره عليه السلام
على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى

وتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعرض باهتمامه عليه السلام بمضمونها روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك
في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان
والطاعة وما يوجبها من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام باموره متهافتا على اسلامه موضا بسببه كل عن ارشاد من يسير
شدة وقوله تعالى انها تذكرة اى موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن
العظيم الذي استغنى عنه من تصدى عليه السلام له وتحقيق ان شانه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها
اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغني فلا حاجة الى الاهتمام
باموره فالضمير ان للقرآن وتانيث الاول لتانيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير
لانها بمعنى الذكر والوعظ وليس ذاك فان السورة والآيات ان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما
القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لزعمها بعد الحادثة سواء من جوز
رجوعها الى العتاب المذكور فقد اخطاء واساء الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب فتامل وكن على الحق المبين وقوله تعالى
في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اى كائنة في صحف مستنسخة
من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اى في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة
منزهة عن مماسة ايدي الشياطين بايدي سفرة اى كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من
السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة و
حملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرايع
والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراءة لهم الاسفار او على اصحابه عليه السلام وقد قالوا هذه
اللفظة مختصة بالملائكة لاكما تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لا يمسها
الا الملائكة المطهرون او صيف التعظيم اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا
المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم برة
اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان بر خالقه اى يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه قتل الانسان
دعاء عليه باستجماع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما
من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له لا محالة
من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر منته وتقارب فطره من الابناء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه
وقوله تعالى من اى شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبداء فطرته الى منتهى عمره من فنون
النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام من مبداء خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة
خلقه تحقير له اى من اى شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء و
الاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى ثم سهل مخرجه
من البطن بان فتح ثم الرحم والمعدة ان يتمكن ويسره له سبيل الخير والشر وكمكنه من السلوك فيهما وتوظيف السبيل باللام دون
الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اى جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا
للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة
في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اى اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف
المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقوي نشره كلا ردع للانسان
على ما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه
الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد و
قتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب

للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال عليه السلام
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يجعل عدم القضاء على عموم النفي لا على
نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء
بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريق رفع الايجاب
الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل ببعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما
فصل من فنون النعماء والشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده
اى حقا لم يعمل بما امره به فلينظر الانسان الى طعامه شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم
المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الى طعامه الذي يعيش عليه ويرى معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا
الى لغيث بدل اشتمال من طعامه لان الاسباب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ
انى بالامالة اى كيف صببنا الى اخره اى صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اى بالنبات شقا بديعا لائقا
بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما ذكر اما بجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد
الفعل الى سببه اياه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين
الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخي
المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو
وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم
لبيان النعم الفائقة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين
فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف
ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اى رطبة
سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفي اشباههما
كما في العنب وحدائق غلبا اى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ
مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اى مرعى من ابه اذا امه اى قصده لانه يؤم وينتجع او من ابت لكذا اذا
تهيأت له لانه متهيأ للرعي او فاكهة يابسة توبة للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اى
سماء تظلني واى ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا
قد عرفناه فالاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر لا تدري ما الاب
ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم
ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر
مؤكد لفعله المقدر بحذف الزوائد اى متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اى تمتيعا
كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلثة في معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبداء خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة
التي يصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ الحديث اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان
الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان اى تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخة
بالحجر اى صكة وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا
للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله

تعالى يوم تذكر الم اى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك
بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر عن مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
غاية استيناف وارد لبيان سبب الفرار لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به واما
الفرار حذرا عن مطالبتهم وبغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رض انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى عليه السلام
من امته ويفر ابرهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار
وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه ليلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة
اى يهمه من عناه الامر اذا اهمه اى واقعه فى العم ومنه من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل
وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر المذكورين وانفسهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى
داهية دهياء فوجوه يومئذ مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق بما اى مضيئة مستبشرة
من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رض ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار
وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما شاهدت من النعيم المقيم والبهجة الدائمة
ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها اى تغلوها وتغشاها قترة اى سواد وظلمة اولئك اشارة
الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغيره هم
الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة عن سول الله ص من قرأ سورة
عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على المراد بذلك اما رفعها واما لفها من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه
يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء والمالك ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار على انه عبارة
عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طلعة
فكوره اذا القاه على الارض ومن ابى صالح كورت نكست وعن ابن عباس تكويرها ادخالها فى الوعاء ومدار التركيب على الادارة
والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء واذا النجوم انكدرت اى انقضت
وقيل تناثرت وتساقطت روى عن ابن عباس رضه انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الارض وعنه رضه ان النجوم قناديل
معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدى ملئكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من
ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها وبروى ان الشمس والقمر تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لما فى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا
العشار جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند
اهلها واعزها عليهم عطلت تركت معطلة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحاب فان الوعد تشبيها بالحامل
ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اى جمعت من
كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا
ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورة كالطاووس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اى احميت او ملئت
بتسجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليجيء وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار او
عن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ بحرت بالتخفيف واذا النفوس زوجت اى قرنت باجسادها او اشكالها
كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة اى
المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت
البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها

وقيل

وقيل كانت الى ملأ اذا اقربت حفرت حفرة فمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا امسكت
سئلت بأى ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاط عن درجة الخطاب
وللمبالغة فى تبكيتها كما فى قوله تعالى اأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين وقرئ سألت اى خاصمت وسألت الله تعالى
او قاتلها وانما قيل قتلت بلا ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطب به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية
كلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضه انه سئل
عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية واذا الصحف نشرت اى صحف الاعمال فانها تطوى عند
الموت وتنشر عند الحساب عن النبى عليه السلام انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال
شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت بين
اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية و
يقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت
وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستورة وقرئ قشطت واعتقاب الكاف غير غريب كالكافور
والقافور واذا الجحيم سعرت اى اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرئ سعرت بالتخفيف
واذا الجنة ازلفت اى قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة آيت
منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش
جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة اى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب
اذا على ان المراد بهما زمان واحد ممتد متسع لما فى سياقها وسباق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه
فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تقع فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك
الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه كان بعض تلك الدواهى من مبادية وبعضها من روادف يسند عليها بذلك الى
زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها
كما يوجب عند نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة
الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم
هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة
انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا يرى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة
باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على
صور قبيحة فتوضع فى الميزان وايا ما كان فاسنادها الى النفس مع انها تحضر بامر الله تعالى كما ينطق به قوله
قوله تعالى يوم يجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما علمتها فى الدنيا احضرتها فى الموقف ومع علمها بها تجد
انفسها شاهدة لها على ما هى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهد ما على صور حسن بما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان
الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هنا لانها عرضية
لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او البعض منها لا يذان بان شهوته لجميع افرادها
قابلة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يخوم حوله اشتباه اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جئ بعبارة تدل على
خلافه وللامر الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها ما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء
الذى اشير الى بعض بدائع شئونه المبنية عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون
به الاغراب فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال قد اترك
الجرن مصفرا انامله وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندى وعنده المقانب فاصد انك

اذا السماء انفطرت اى انشقت لنزول الملئكة لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا وقوله تعا
وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اى تساقطت متفرقة
واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا
واحدا وروى ان الارض تشقق الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهى معنى التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الآن
راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت
من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اى قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لقطا ومعنى وهما
مركبان من البعث والبحث مع زاء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند
البعث بل عند نشر الصحف لما ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة
متعددة حسب تعدد كلمة اذا واذا كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى والكلام فيه كالتى قبلها تفصيلة لنظيره ومعنى ما قدم
واخر ما اسلف من عمل خيرا وشرا واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس
ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموالكم لنفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض
واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلى حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
اى اى شئ حذعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى التامة والعواقل الطامة وما سيكون ج
من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا للاغتراء حسبما يغويه الشيطان
ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة
بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان
ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداهية الى خلافه وقوله تعالى الذى خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية
مقررة للربوبية مبينة للكرام منبئة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية
معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك
لك بالتشديد اى صيرك معتدل الاتناسب الخلق من غير تفاوت فيه فى اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك فى اى صورة
شاءها من الصور المختلفة ومائريدة وشاء صفة لصورة اى ركبك فى اى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة
الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وانما يعطف الجملة على قبلها لانها بيان لعدلك كلا
ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى
بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعراض وانتم لا
ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا او بدين الاسلام الذى هما
من جملة احكامه فلا تقدرون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كان قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمى
وارشادى كلم بل تكذبون لا وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتبينون
بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان
تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اى تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا الحافظين لاعمالكم كراما لدينا
كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفى تعظيم
الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام و
قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم استيناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتابة من الثواب
والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة الجحيم او استيناف

التمادى فى تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثيرا ما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان
الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا ما يود وفى الثانى كثيرا ما
اترك وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد
قصد بعكسه ما ذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت
كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه
فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها
مخافة ان تكون هى تلك التى علمت ما احضرت مكيفة وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت
وربما ندم الانسان على فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن بل اوناوره الوقوع بل تريد ان العاقل
يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه تكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اى
بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهى ما عدا النيرين من الدراری الخمسة وهى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى
وصفت بقوله الجوار الكنس لانها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس مخنوسها رجوعها وكنوسها
اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو البيت الذى يتخذه من اغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب تخنس
بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها والليل اذا عسعس اى ادبر ظلامه او
اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء جميع المفسرين على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح
لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل هى لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه او فى قوله تعالى
والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم
فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى لقول رسول كريم هو
جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل ذى قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى اداء ما
الله تعالى وترك الاخلال بجهاته من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذى العرش يكين ذى مكانة رفيعة عند الله
تعالى عنده اكرام وتشريف لا عند ذى مكان مطاع فيما بين ملئكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه
ثم امين على الوحى وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف
وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما بهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم
بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلما بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام
للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا
ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اى وبالله لقد رای رسول الله جبريل عليهما الصلوة والسلام
بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحى اليه وغيره
من الغيوب بضنين اى بخيل لا يبخل بالوحى ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اى بمتهم من الظنة وهى
التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اى قول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون
استظلال لهم فيما يسلكونه فى امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين وليس مما يقولون
فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهور لها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو ما هو الا ذكر للعالمين موعظة
وتذكير للعقلاء وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء اى
لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابدا لمن العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما
تشاؤن اى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اى الا وقت ان يشاء
الله تعالى تلك المشيئة اى المستتبعة للاستقامة فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشيته الله تعالى لها رب
العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة التكوير اعاذه الله ان

مبنى على سؤال نشاء من تهويلها كانه قيل ما حالهم فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به وما هم
عنها بغائبين طرفة عين فان المراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد
بها استمرار النفى لا نفى الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بدل النفى لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين
عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسما قال النبى عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النيران وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذى يكذبون به
اثر تفخيم وتهويل امره بعد تهويل بيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اى صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه
فهو اطم من ذلك واعظم اى واى شئ جعلك داريا ما يوم الدين على ان الاستفهام فى امثاله مما لا يكتنه كما هو حقه اى
سيبوه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتداء ولا ريب فى ان مناط افادة الهول والفخامة هنا هو لا يوم الدين
اى اى شئ عجيب هوله وللفظ عاد لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب
الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فى الجواب كاتب وطبيب فى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تاكيد لهوله وتفاقمه
وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالى لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروج عن علوم
الخلق بطريق انجاز الوعد فان نبى ادراتهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رض كل ما فى القرآن من قوله تعالى
وما ادريك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتداء محذوف وحركة الفتح لاضافته
الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا يملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء لا او منصوب باضمار اذكر
كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار
يدانون وليس بشئ فانه عار عن افادة ما لم يفده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على حراوة الرفع كذلك بدل الخ
الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد
كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة والله اعلم

ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيها الكافر اربعين خريفا قبل
ان يبلغ قعره وقيل ويل واياكان فهو مبتداء وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف النحس فى الكيل والوزن
لان ما ينحس شيئ طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان باهلها من اخبث الناس كيلا فاحسنوا
الكيل وقيل قدمها عليه السلام وبها رجل يعرف بابى جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل
المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزل فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقرا عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا
فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا
الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الا صفة كاشفة للمطففين شارحة
لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالطويل اى اذا اكتالوا من الناس يكيلهم بحكم الشراء ونحوه
ياخذونه وافرا وتبديل كلمة على بمن لتفاوت الاكتيال معنى الاستيلاء والارشاد الى انه اكتيال يضرهم لكن لا على
اعتبار الضرر فى خبر الشرط الذى تفيده كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاكتيال
ليس اخذ المكيل وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافى جسما اراد واباى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا
يفعلونه بكيس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ذلك واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على اكتيالهم لما لهم على
الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شئ بطريق الشراء ونحوه مع انه
الشائع فيما بينهم يقتضى ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقصان وهو المتبادر منه عند الاطلاق
فى عرض الحق فلا يكون مدار الذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا

جزاء

جدا لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما و
كذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى تتعاقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا اقال اكتلت عليك فكانه
قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها
على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر تقديم
الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب
او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى ان الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى مما لا
يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع فى الفعل لا فيما
وقع عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس اى اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع
ونحوه يخسرون اى ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله ولقد جنيتك
اكمؤا وعساقلا اى جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن
فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاداء
كتمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم
فى الاخذ والاعطاء لا فى خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استيناف
وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضع
ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الآتى هو وصفهم فان الاشارة الى الشئ معرفة له من حيث اتصافه بوصفه ولما الضمير
فلا يتعرض لوصفه والايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس كل امتياز نازلون منزلة
الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد اى الا يظن
اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وما فيه وتحاسبون
فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان ظنا ضعيفا متاخيا للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على
امثال هاتيك القبايح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اى لحكمه وقضائه منصوب
باضمار اعنى وقيل بمبعوثون او هو مرفوع المحل خبر المبتدا او مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى
الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفى هذا الاسكار والتعجيب
وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين
من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف
والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفى سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع
بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من
الثقلين منقول من وصف كخاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم
او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش هو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار
الذين من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبايح اعمال
الاشرار وقوله تعالى وما ادريك ما سجين تهويل لامره اى هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب مرقوم
اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب
مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض
وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على
الذم وما يكذب به الا كل معتد اى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة العقل
وعلمه عن الاحاطة مع مشاهدته للبدء الخ اثيم اى منهمك فى الشهوات المخرجة الفاغية بحيث شغلته عما وراءها من

من الذنوب التامة الباقية وحملة على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن
الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اى هى حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة
وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ ايذا تتلى على الاستفهام الانكارى
كلا ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
بيان لما ادى بهم التقوه بتلك العظيمة اى ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شانها مثل هذه المقالات الباطلة بل
ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصداء فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة
الحق كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا
والرين الصداء ويقال ران عليه الذنب وغان غلبه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام
فى الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين
وقيل هو تمثيل لاهانتهم لانه من يحجب عن وحوله على الملوك وعن ابن عباس رض وقتادة وابن ابى مليكة محجوبون
وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اى داخلوا النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم اشد من الاها
والحرمان من الوحدة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية هذا الذى كنتم به تكذبون فذوقوا
عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين استيناف
مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار مقصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع وتوجيب
الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملة الملئكة وصلحاء الثقلين
مفعول من جمع على على فعيل من العلو سمى بذلك اما لانه سبب الانتفاع الى اعلى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع
فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام فى قوله تعالى وما ادريك ما عليون كتاب
مرقوم كما حرر فى نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اى يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما
فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم شروع فى بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شان
الفجار على الارائك اى على الاسرة فى الحجال ولا يكادون يطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة ينظرون
اى الى ما شاؤا مما اعينهم اليه من رغايب مناظر الجنة ولى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون فى النار ويما يجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى بهجة التنعم وماءه ورونقه
والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان مالهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يخفى برؤية راء دون
راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه وابوابه بالمسك كان الطين
وللعلة تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اى ما يختم به ويقطع
وفى ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده اوالى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار اما بعلو
رتبته وبعد منزلته اوكونه فى الجنة اوفى ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اى فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون لقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليتبق
المستبقون واصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ نفاسة
نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال البغوى واصله من الشئ النفيس
الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه ونفس به على غيره اى يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على
ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من
بيانية او تبعيضية او من نفس عليها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب فى الجنة واما
لانها تاتيهم من فوق روى انها تجرى فى الهوى منسنمة فتنصب فى اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان
يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا ويمزج

لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبايح مشركى قريش جئ بها
تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار فى الجنة كانوا فى الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بفقرائهم كعمار
وصهيب وجناب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا
اى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افى الله شك او لم اعاة
الفواصل واذا مروا اى فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم فى اندية هم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا
يتغامزون اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين
ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذ
بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل
مازحين واذا رأوهم اى ما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اى لنسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى
الضلال بطريق التاكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال
انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم
وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون
ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك
ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم تنقلا له بالغير كما فى قولك ليفعلن لا بالعبادة كما فى قولك حلف لافعلن
فاليوم الذين آمنوا اى المعهودون من الفقراء من الكفار اى من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من
الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر وحقهم الوال
العذاب بعد التنعم والترفة وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار
منهم كما كانوا يفعلونه فى الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون حال من فاعل يضحكون اى يضحكون عنهم ناظرين
اليهم والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم
يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويا باه قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح فى
ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتسويت والاثابة
المجازاة وقرئ بادغام اللام فى التاء وعنه عليه السلام من قراء سورة المطففين سقاه الله يوم القيمة من الرحيق

المختوم

اذا السماء انشقت اى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رض الله عنه تشقق من المجرة
واذنت لربها واسمعت اى انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد
المامور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة
ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى ائتيا طائعين فى الانباء عن كون مانسب الى السماء والارض من الانشقاق
والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا
بعد ان لم يكن كذلك بل فى نفسها وحدذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة
بذلك لكن لا على ان المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة الباهرة الربانية التى
تتاتى لها كل مقدور ولا تتخلف عنها امر من الامور فتحت الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه و
اذا الارض مدت اى بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا اوزيدت سعة وبسطة من مد بمعنى امده اى زاده والقت ما فيها اى رمت ما فى جوفها من
الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه

كانه تكلفت فى ذلك اقصى جهدها واذنت لربها فى الالقاء والتحلى وحقت اى وهى حقيقة بذلك اى شانها ذلك لنهاية
الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعها فى الوقت الممتد الذى هو مدلولها
قدر مرة فيما مر يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اى جاهد وجد الى الموت وما بعده من الاحوال الية مشلت
بالقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى
ملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها
الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبادة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر فى سورة
التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى
فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض عن
الصديقة رضى الله عنها هو ان يوقف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين
مبتهجا بحاله قائلا ها ؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله فى الجنة من الحور والغلمان واما من اوتى كتابه وراء ظهره
اى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل يخلع يده
اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تقال فانه اوانك واني له ذلك
ويصلى سعيرا اى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويُصلى كما فى قوله تعالى ونصله جهنم الكاف فى
اهله فيما بين اهله وعشيرته فى الدنيا مسرورا بطرا مستبشرا كدين الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الاخرة
ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله وما له كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استيناف لبيان علة ما
قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره فى الدنيا اى ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان
مخففة من ان ساده مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله
تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل لما اى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه كان به وبا عماله الموجبة للجزاء
بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان فى ابى سلمة بن عبد الاسد
واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هو الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب بعد الغروب والبياض الذى يليها سمى به لرقته و
منه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاستوسق واستوسق اى
جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة
اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقين حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة و
قيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الاوفق للكوكب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات
فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من احوال القيمة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على
خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس ولتركبن
بالياء اى ليركبن الانسان وحمل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا الطبق او حال من الضمير المستكن
طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء فى قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها
من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان حالهم يوم القيمة
كما ذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى واذا قرئ
عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية تستقعا على ما قبلها اى فاى مانع لهم حال عدم سجودهم
وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قراءة النبى عليه السلام ذات يوم وسجد واقترب فليسجد هو ومن معه
من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رح على وجوب السجدة وعن ابن عباس
رضى الله عنهما السجدة المفصل سجدة وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رايت النبى صلعم



يسجد فيها وعن انس رضى الله عنه صليت خلف ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة
بل الذين كفروا ايكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيمة والهول الجامع لتحقق موجبات تصديقه ولذلك لا
يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعدون بما يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء
او بما يجمعون فى صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب عدل فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان عليه
يدل على الوجه الاكمل هو موجب للتعذيب بهم حتما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول
عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او
ممنون به عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم وبيان لكيفية ومقارنته للثواب
العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

والسماء ذات البروج سمى البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تراها السيارات ويكون فيها النوابت وينازل القمر
عظام الكواكب سميت بروجها لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود
اى يوم القيمة وشاهد ومشهود اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب ونكرهما للابهام
فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة فى الكثرة وقيل الشاهد محمد عليه الصلاة والسلام والمشهود
يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية
ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالى وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم
الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدر كنى الى يوم القيمة وقيل الحفظة
وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلوة والسلام قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف
اللام منه للطول والاصل لقتل كما فى قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لنامواها ان من حديث ولا اصال
وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء
انهم اى كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان و
تصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم عليه ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا
على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان
يقال فيهم ما قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الذى فى الارض وهو الشق ونحوها بناء ومعنى المخ والاحتوقرة
عن النبى عليه السلام انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فمضى منه
فراى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر
فاقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرمى الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله
من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فجىء به فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فوضع المنشار
وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فذعى فرجف بالقوم فطاحوا وجاء فذهب به الى قرقور فلجوا به ليغرقوه
فذعى فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتاخذ سهما
من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل
بك ما كنت تحذر قد امن الناس كلهم فامر باخاديد فى افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم حرق فيها حتى جاءت امراة معها
صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى ما هى الا غيبة
فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع
على اخته وهو سكران فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات

ثم وعظهم بعد ذلك ان الله حرمه فلم يقبلوا منه فقالت لرابسطيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت لرابسط فيهم السيف ففعل
فلم يقبلوا فامر بالاخاديد واياقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين اراد هم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل
وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فشار اليهم ذونواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم
بين النار واليهودية فاختاروا النار فحرق منهم اثنى عشر الفا فى الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا
وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة
ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذهم عليها قعود ظرف لقتل اى لعنوا حين احرقوا
بالنار قاعدين حولها فى نكال مشرف عليها من حافات الاخدود وكانى قوله وبات على النار الندى والمجتلى وهم على ما
يفعلون بالمؤمنين شهود اى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا
بالمؤمنين يوم القيمة تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور
لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روى ان الجبابرة لما القوا
المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب
الربيع بن انس والواحدى وعلى ذلك حمل قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اى انكروا منهم وما عابوا
الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد
ذلك بقوله تعالى الذى له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شئ شهيد
وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التى من جملتها اعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل
منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اى محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اصحاب الاخدود خاصة
وبالمفتونين المحروقون فى الاخدود ولما الذين يلوهم فى ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون فى جملتهم
دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اى عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تو
فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى
الشرط ولا ضير فى نسخ بان وان خالفه الاخفش والمعنى لهم فى الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق
وهى نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم
لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجرى من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار
من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئيها الظاهر فان اشجار ها ساترة لساحتها كما
يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة الى الجنات الموصوفة والتذكير لتاويلها بما ذكر للاشعار
بان مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه
بالاوصاف المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور
حتما ولما لا يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان
ففيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة وبعد منزلة فى الفضل والشرف وحكمة الرفع على الابتداء اخبره بعده اى ذلك
المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذى يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من
الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد
استيناف خوطب به النبى عليه السلام اذ انابان لكفار قومه نصيبا موفورا من معونة كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه
بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه
اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اى هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد فى شئ منهما ففيه مزيد تقرير لشدة

بطشه وموبيدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيد فى الآخرة وهو الغفور لمن تاب وآمن الودود المحب لمن اطاعه
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اى ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذى العرش على انه صفة ربك
المجيد العظيم ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده
علوه وعظمته فعال بحيث لا يختلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله
تعالى هل اتاك حديث الجنود استيناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه تعالى
لما يريد يتفيهن تسلية عليه السلام بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان
المراد بفرعون هو وقومه والمراد بجدهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال
والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك يشئون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب
امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا فى تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم فى الكفر والطغيان كانه قيل
ليسوا مثلهم فى ذلك بل اشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب وانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم
او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق
بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكون ما نطق به قرآننا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله
بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بطش الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله
تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف
عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد فى لوح محفوظ
اى من التحريف ووصول الشيطان اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء اى ما فوق
السماء السابعة فيما روى عن النبى عليه السلام من قراءة سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة فيكون فى الدنيا

عشر حسنات

والسماء والطارق الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى واصل الطرق
الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كاينا
ما كان ثم اشيع فى التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سهد كاد حلمنا
ولم يتبرج والمراد ههنا الكواكب البادى بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال
له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادريك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث
لا ينالها ادراك الخلق فلابد من تلقيها من الخلاق العليم فالاولى مبتداء وادريك خبره والثانية خبر والطارق
مبتدا خبرها بين فى نظيره اى واى شئ اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدا محذوف
والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشا مما قبله كانه قيل ما هو فقيل النجم المضئ فى الغاية كانه يثقب
الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا للاحالة واما كوكب معهود
قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت
النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين
يصعد وفى ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره تفخيم للمقسم به ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عنه
كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى
ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جئ به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد
مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اى ما كل نفس الا عليها حافظ يحصى عليها ويحفظ عملها او يحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله
كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى

وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة
اى ان الشان كل نفس فعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى فلينظر الانسان ثم خلق للتنبيه على ان ما بين من ان
كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر فى مبداء فطرة حتى يتفكر
حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل
فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يعمل على حافظ ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق
استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل ثم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان
بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اى صلب الرجل
وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان المنعقد متولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد
لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء وقوامها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة
فى توليدها ولذلك يشبهه ويورث الاوراط فى الجميع الضعيف فيه والخليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة فانه
الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصها بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة
هى صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلقه ابتداء حما ذكر على رجعه اى
على اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اى تعرف وتصفح ما استرت القلوب من العقائد
والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال وميز بين ما طاب منها وخبث وهو ظرف لرجعه فما له اى للانسان
من قوة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينتصر والسماء ذات الرجع اى المطر سمى رجعا لان العرب كانوا يتوهمون
ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اوارا دوابذ لك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا اولان الله
تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع تصدع عنه النبات او مصدر من المبنى للمفعول وشقها
بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما
ذكر من الوصفين للايذان الى انهما فى انفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق
الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لا فى تشققها بالعيون انه اى القرآن الذى من جملة
ما تلى من الآيات الناطقة بمبداء حال الانسان ومعاده لقول فصل اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى
ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل ليس بشئ منه شابه هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدى
به الغواة ويخضع لديه رقاب العتاة انهم اى اهل مكة يكيدون فى ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما فى
قدرتهم واكيد كيدا اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اى
لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه
تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله
تعالى رويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا كما قاله ابن
عباس رضى الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو فى الاصل تصغير رود وانشد كانما تمثل تمشى على رود اى
على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر اراد بالترخيم ولم فى الاستفهام وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا او كونه حالا
نحو ساء القوم رويدا اى مرهبين وفى ايراد البدل بصيغة الامر تشديد المكيدة وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من
تسلية رسول الله صلعم وتسكين قلبه لا يخفى وعنه صلعم من قراء سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر

سبح اسم ربك الاعلى اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشبيه ما

فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربى الاعلى
وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم
وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه
الاول ومنصوب على المدح على الثانى لا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بان
جعل له ما به يتأتى كماله وينبغى معايشه وقوله تعالى والذى قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه
وكذا حال ما بعده اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واوقاتها ومقاديرها وصفاتها واخلاقها وآجالها فهدى
اى فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا واختيارا او يسر ملا خلق له لخلق الميول والالهامات ونصب
الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت فى كل منها ما يحار فيه العقول روى ان الافعى
اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند
عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطوى اليها حتى تجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج
لاتخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون لها دبر وانما يخرج فضلات
ما ياكله من فيه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاه من ذلك فاذا راه التمساح يفتح فمه فيدخل الطائر فيأكل ما فيه
وقد خلق الله تعالى من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فهذا واما فنون هدايته سبحانه و
تعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الانسانية مما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير
ولا يعلم الا العليم الخبير والذى اخرج المرعى اى انبت ما يرعاه الدواب عضا طريا يرفق فجعله بعد ذلك
غثاء احوى اى درينا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك و
قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى
العامة كافة مخلوقاته وهى هداية عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الكريم هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام
لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد والا لان المراد اقراء ما اوحى الله اليه ح وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد
كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام
او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امى لا تدرى ما الكتاب ولا القراءة
ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات
وقيل فلا تنسى نهى والالف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء
مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى ما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان نسخ تلاوته والاتيان
الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشية على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد
به النسيان فى الجملة على الندرة كما روى انه عليه السلام اسقط آية فى قراءته فى الصلوة فحسبانى انها نسخت فسالد
فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد بالنسيان الكلية
او هو النفى رأسا لما ما قد ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من
جملتها ما اوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم و
نيسرك لليسرى عطف على نقرؤك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل و
تعليق التيسير عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسرلى امرى للايذان
بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما فى
قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من ابواب الدين
علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من الاحكام الشريفة السمحة والقوانين
الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى

اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك وادعهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما
استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طال ما كان يذكرهم ويستوفى
فيه غاية المجهود ويتجاوز فى الجد كل حد مسدود حرصا على ايمانهم وما كان يزيدهم ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام
بان يخص التذكير بمواد النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير
من لا يورث التذكير الا عتوا وكفرا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير التذكر فيهم وتسجيل عليهم
بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انهم لا يكون والاول انسب بقوله تعالى سيذكر
من يخشى اى سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى فى الجملة فيزداد ذلك
بالتذكير فيتفكر فى امرها تذكر به على حقيقته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذا كما فى قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
اى اذا كنتم وقيل هى بمعنى ما اى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير
ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والزجاج والزجاوى وتجنبها
اى الذكرى الاشقى من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلام وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
الذى يصلى النار الكبرى اى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عم
نار كم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها اى حتى يستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب
الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من الصلى قد افلح اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اى تطهر
من الكفر والمعاصى بتذكره والتفاته بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة و
قيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما ان عند الاخبار يسود حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار
بحسن حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة
لذكرى كبره بتكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اى يتصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى اى صلوته
بل تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك
بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب لما للكفرة فالمراد باثار الحيوة الدنيا هو الرضاء و
الاطمينان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا
واطمانوا بها الآية او للكل فالمراد باثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الانسان غالبا من ترجيح جانب الدنيا على
الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة وتشديد
العقاب فى حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والآخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة
للتوبيخ والعقاب اى تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير فى نفسها لما ان يقينها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة
خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انقراض له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية
ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا لفى الصحف الاولى
اى ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفى ابرهام وهو ضبطها بالقلم ثم بيانها وتفسيرها من غير
شائبة ما يخفى روى ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف و
على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور و
الفرقان عن النبى من قراء سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

حل اتيك حديث الغاشية قيل هى بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية قال قتادة اى قد جاءك يا محمد حديث

الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى
حقها ان تتناقلها الرواة وتتنافس فى تحقيقها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى
الناس بشدايدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيمة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الآية وقيل هى النار من قوله تعالى
وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الذى فان ما يروى من حديثها ليس مختصا بالنار و
اهلها بل ناطق باحوال الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله بقوته استيناف وقع جوابا عن سؤال
نشاه من الاستفهام التشويقى كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتانى حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اى يوم تغشى
ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عليه السلام فقال وجوه الخ فوجوه مبتداء ولا
بتنكيرها لانها فى موضع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها
اى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط
فى تلال النار ووهادها وقيل علت فى الدنيا اعمال السوء والتذب بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل علت ونصبت
فى اعمال لا يجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى تصلى اى تدخل نارا حامية اى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل
هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند
السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى ان صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية فى الانتساب
الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع وقيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للفائدة
تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين آنية اى
متناهية فى الحر كما فى قوله تعالى وبين حميم آن اى ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم و
الضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية
تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يفرعون وينونون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك
وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين لا يسمن ولا يغنى من جوع اى ليس من شانه الاسمان
والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان
لهم استعدادا للتشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم و
تحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشاة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء
الطبيعة ليدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن
غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامها مهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام
النار فى احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملوها ويخمد ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما والتذاذ به
عند الاكل واستغناء به عن غيره او استفادة قوة فيهيات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع و
التهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفؤه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى
بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع وهو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع
فاذا اكلوا يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتعميم اى
لا يغنى عن جوع ما وتاخير نفى الاغناء عن نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر للتاكيد النفى
احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر للتاكيد النفى
وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع فى رواية حديثها اهل الجنة وتقديم حكاية اهل النار لانها دخلت فى تهويل الغاشية
وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام
فى اعراب الجملة كالذى مر فى نظيرتها وانما تعطف عليها اذا نا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله
تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ومنعمة نسعيها راضية اى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته فى جنة

عالية مرتفعة المحل او علية المقدار لاتسمع انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات اللغو او نفسا تلغو افان كلام اهل كلها ذكار وحكم وقرئ لاتسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية اى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لاعروة له موضوعة اى بين ايديهم ونمارق وسمائد جمع نمرقة بالضم والفتح مصفوفة بعضها الى بعض وزرابى اى بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة اى مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استيناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستبطاء عليه جاهلا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على ابدال اشتمال من الابل اى ينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب اعينهم يشاهدونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقه سائر انواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيأتها الا يقدر ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنهوض بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال القادحة الى الاقطار النائية وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظمأها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطار ما كل صغير وكبير والى السماء التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا بحيث لا تناله الفهم والادراك والى الجبال التى تنزلون فى اقطارها وتنتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فى راسخة لا تميل والى الارض التى تضربون فيها وتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امورها عليه من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وخولفت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب وللعدول افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والقصور ويسيعوا انزاك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر الى ما ذكر حق النظر فاقتصر على التذكير لما لاح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اى لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اى لكن من تولى منهم فان الله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويضعف الاول ان قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه بالعذاب الاكبر اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ اياهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كقساد من فسر ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى فى الثانية ثم ان علينا حسابهم فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا يبين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرهما وعطف الثانية على الاولى بكلمة المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الاياب عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب مما لا يخفى عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوة وليال عشر هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر غرة النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اى الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالى ووترها وقد روى ان النبى عليه السلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحجر والجر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الرحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اى يمضى كقوله تعالى والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق هل فى ذلك قسم للتحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف والفضل اى هل فيما ذكر من الاشياء قسم اى مقسم به لذى حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة همضما للحق وايذانا بظهور الامر او هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء والضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الخ فانه استشهاد بفعله عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد و اضرابهم المشاركين لقومه عليه السلام فى الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم فى كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا وثمود فيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقيل لاولهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عاد الدين بن كثير كلما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اى ذات العمد الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اى بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اى جعلها الله تعالى رميا بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فجعل ما قدر عليه حاملة وبلغ خبره معاوية فاستحضره

ارم ص

فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانكما عرا شوقصير على جاهبه
خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في
البلاد صفة اخرى لارم اى لم يخلق في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي
الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على
اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود افي حدس وهما ابنا
عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العمارية يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون
كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون
من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون
ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يفرشونها في مناز لهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد
اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اى طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في
قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اى بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة
من اولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اى عذاب شديد لا يدرك غايته و
هو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة
الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه
عبارة عن ارادة شئ مائع او جار بجراه في السيلان كالرمل والحبوب واواغد بشدة وكثرة واستمرار ونسبة الى السوط
مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المعذب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط
خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل
منها لغة فلا حاجة حينئذ الى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرير تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كلا واحد من هذه المعاني
مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم
مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التوعن لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل جواب
القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يرقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده
تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى يرصد مراقبة
احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يتمه ذلك واما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا
ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه
تفسيرية فان الاكرام والتنعيم من الابتلاء فيقول ربي اكرمن اى فضلني بما اعطاني من المال والجاه حسبما كنت اتخطه
ولا يخطر بباله انه تفضل تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى
الشرط والظرف المتوسط عليه الخبر كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقتما يبتلانه بالانعام وانما قدم
للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اضمحلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اى واما
اذا ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان
ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شئ بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي
الى خلافهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف
كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى ابتليه
بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد و
قوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء احواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان
باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتاكيد التشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان

اذا المراد بالجنس اى بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر واد لى على تهالكهم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون
ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التائين من تتحاضون اى لا تحضون
بعضكم بعضا على طعام المسكين اى على اطعامه وقرئ من تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء و
تاكلون التراث اى الميراث واصله وراث اكلا لما اى ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون انصبا وهم اويأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام غالبين بذلك وتحبون المال حبا
جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا
الى استئناف جئ به بطريق الوعيد تعليلا للردع اى اذا دكت الارض دكا دكا بعد حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من
جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية
بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى صارت كالصخرة الملساء وايا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية
وجاء ربك اى ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء
امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اى مصطفين او ذوي صفوف فانتزل
يومئذ ملائكة كل سما فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجئ يومئذ بجهنم كقوله
تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود رضي الله عنه ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها
حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل
فيها قوله تعالى يتذكر الانسان اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال
تتجسم في النشأة الآخرة فيرى كل من الحسنات والسيئات بما ينا سبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى
وانى له الذكرى اعتراض جئ به لتحقيق انه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فيما اوانه وانى خبر مقدم و
الذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف
اى وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من
التوبة في شئ فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يوجب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال
من يتذكر او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من كلمة اذا كانه قيل اذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل
حياتي هذه او وقعت حيوتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد
بفعله وانما التذييل عليه ذلك لاعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرة او بخلق الله تعالى
عند صرف قدرة الكاسبية فكلا ولما قيل من ان المجبور قد يتمنى ان كان متمكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته
الى احد طرفي الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف
كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ اى يوم اذ يكون ما ذكر من
الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد العاء لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله تعالى وتوثيقه
احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول
والضمير للانسان ايضا وقيل للمراد به ابي بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل
وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يجل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا
وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدإ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته
وتستغني به في وجودها وسائر شؤنها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى منهج
اليقين بحيث لا يخالطها شك ما وقيل هي الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس
الآمنة المطمئنة اى يقول الله بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو

الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى ربك اي الى موعده والى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عزوجل فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين واستفيضي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجسادك التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزل في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مجبولا على مقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما التشريف عليه السلام بجعل حلوله به مناطا لاعظام حرمته بالاقسام او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد الكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهتكوا بالمنيا لواعن شر جميل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او تسلية عليه السلام بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيما تزيد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عليه السلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم وابى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوتنا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد بهما برهم وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم اجمعين جميا ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشأ اسمعيل وسقط رأس رسول الله عليهم السلام والتعبير عنهما بما دون من التفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولادة شيخ لمضمون الجواب وايماء الى انه محقق في حالة الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام وذريته وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا يخفى من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد منهم يا يكابد كالوليد بن المغيرة وامثاله وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مفترا بقوته وكان يبسط الاديم الكفاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجتذبونه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه اي يظن هذا الغوي المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان فقره تمن ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لا يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأل عنه ولا يجازيه عليه ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على التلقم والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادريك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقرير ما

وكونها

وكونها عند الله تعالى بمكان رفيعة فك رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي فقيرا وحيث كان المراد اقتحام العقبة فيه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذا المعنى فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اي اليمن واليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه ودليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اي الشمال والشوم عليهم نار موصدة مطبقة من اصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي عليه السلام من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

والشمس وضحاها اي ضوئها اذا انتشرت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصب والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلى طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تنبسط او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو والاول العتيقة الفائمة مقام الفعل والباء وسادة مسدها معانى قولك اقسم بالله حققن ان يعلن على الفعل والجار جميعا كما تقول ضربت زيدا عمرا وبكرا حالا والسماء وما بناها اي ومن بناها وايثارها على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي افهمها اياهما عرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايتهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجى من مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اي خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت بما اوعدت به من العذاب ذو الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث انبعاثا منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفصل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال

لهم اى ليشهد رسول الله اى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعة وبيانا لغاية عتوهم فى الطغيان
وسر الاضافة الناقة الى الله تعالى فى قوله تعالى ناقة الله اى ذروا ناقة الله وسقياها ولا تزووا وما عنها
فى نوبتها فكذبوه اى فى وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا
بلايه وكر سقياها فعقروها اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها
حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقروها اسندوا الى الكل والعرب تقول هذا افعل الناس فعدم عليهم بعمم
فاطبق عليهم العذاب ونحو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا لبسها الشحم بدنها بسبب قبحهم الجبلى والتصريح بذلك مع دلالة
الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسواها اى الدمدمة عليهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او
فسوى عليهم الارض او سواها فى الاهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر الملوك من
فيبقى بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو
للحال او الاستيناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس
والقمر

والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس كقوله تعالى اذا يغشيها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى
ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اى والقادر العظيم القدرة الذى
خلق صنفى الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل بما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذكر خلق الذكر وقيل
ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها اى فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم
الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى
ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة
ومبادئ من يسر الفرس للركوب اذا امر جعاها والجمها واما من بخل اى بماله فلم ينفق فى سبيل الخير واستغنى اى زهد
فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى اى ما ذكر من المعاد
المستلزمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير
القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسر لليسرى والتيسر للعسرى للايذان بان
كلا منهما اصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء المال
والثانى بالبخل بالامر به مع كونه خلاف الظاهر بإباه قوله تعالى وما يغنى عنه اى ولا يغنى اى شئ يغنى عنه
ماله الذى يبخل به اذا تردى اى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر
جهنم ان علينا للهدى استيناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا
الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا بالانزال عليه بيانا
حال من سلك كلى الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة
الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اى التصرف الكلى فيهما كيف ما نشاء فنتفعل فيهما ما نشاء من الافعال
التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسر للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء
بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اى تتلهب وقرئ على الاصل لا يصليها صليا لازما
الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذى كذب وتولى اى كذب بالحق
واعرض عن الطاعة وسيجنبها اى سيبعد عنها الاتقى المبالغ فى الاتقاء عن الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها
فضلا عن دخولها او صليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا البعد وذلك لا يستلزم

صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق الذى يؤتى ماله يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى
يتزكى اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند
الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتاء المال للتزكى
خالصا لوجه الله تعالى اى ليس لاحد عنده من نعمة من شانها ان تجزى وتكافأ بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية
او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا لابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة والآيات
نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جاعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا
المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عذب المشركون
بلالا وبلال يقول احد احد فمر بالنبى عليه السلام فقال احد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله عنه ان
بلالا يعذب فى الله فوف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب وصفه الى امية بن خلف
فقال ابتيعه بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزل وقوله تعالى
ولسوف يرضى جواب قسم مقدر اى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم ينيل جميع ما يتبغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ
بتحقيق الرضى وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل
اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا لتخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام
والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما فى قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة
بياتا والليل اى جنس الليل اذا يجى اى يسكن اهله او كدظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل
عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة
المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اى ما تركك وما
قلى اى وما ابغضك وهو حذف المفعول اما للاستغناء عن بذكره من قبل او القصد الى نفى صدور الفعل عنه تعالى
بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودع ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام
بالكرامة الحاصلة والمرتقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المبنى عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
وحيث تضمن ما سبق من نفى التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا يبشره عليه السلام بان ما
سيؤتيه فى الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن النوائب
على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتى عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف
ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له عليه السلام
فى الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته
شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التى لا يحيط
بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره عليه السلام اى لنهايته
امر كل خير من بدايته لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة
شاملة لما اعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين
بالفتوح الواقعة فى عصره عليه السلام وفى ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية ونشو الدعوة فى
مشارق الارض ومغاربها وما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد انبأ ابن عباس رضى الله عنهما

عن عشته منها حيث قال له عليه السلام في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض تراب المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون
الجملة والمبتداء محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الامع النون المؤكدة و
جوبها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كاين لا محالة وان تراخى حكمه وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين
نون التاكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل حرف التنفيس كهذه الآية و
كقوله والله ساعطيك والثانية ان يفصل بينها بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي
ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقايم بل هي التي في قولك ولا قومن ونايب سوف عن احدى نوني التاكيد
كانه قيل ليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى تقرير لما افاض عليه
صلى الله عليه وسلم من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود
فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك ايلا والوجود بمعنى العلم
ويتيما مفعوله الثاني وقيل المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين فدامت عليه ستة اشهر
وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوى
وهو اما من اواه بمعنى اواه او من اواه لزاز خمد وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق
كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى ووجدك غافلا عن الشرايع التي لا يهتدي
اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد
المطلب وقيل ضل مرة بعد اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا
ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار
عبد المطلب وبرقة بن نوفل فاذا النبي عليه السلام قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته
حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لرده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فرءى
ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فناداه جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض
الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف ما اوحى لك من الكتاب المبين
وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك او عمك ووجدك عايلا اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما فاغنى
فاغناك بمال خديجة او بمال حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنايم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي
وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحقره وقرئ فلا تكلمه اي فلا تعبس في وجهه
واما السايل فلا تنهر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون
زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السايل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد
بالسايل ههنا الذي يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها
ما افاضه الله تعالى عليه عم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة والموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وعايلا
فاواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد
بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فاويه وترحم على سايل وتفقده بموعود ولا تزجره عن بابك
وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هداية عليه السلام للضلال وتعليمه للشرايع
والاحكام جميعا هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي عليه السلام من قراء سورة والضحى جعله الله تعالى ممن يرجى
لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى بعدد كل يتيم وسايل

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرايرها من العلوم والادراكات والمكاشفات والارادات
وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دايرة نصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفتحه حتى

حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين حكمتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانية عن اقتباس انوار
المكاشفات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما وعلقه بمثيل لما ذكر او انموذج
جسماني فيما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفايه
للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسطه بين الفعل و
مفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام
وتشويقا الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت ورود فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه
من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع
ان حقه التاخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه طولا قاخر الجار والمجرور
عنه تحاميا عن تجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبا ركالثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض
وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما
كان يثقل عليه وينغصه من فرطات قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام
المعاندين من قومه وتلهفه ووضعنا عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا مكان
وضعنا وحللنا عنك وقرئ ورفعنا لك ذكرك بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرئ اسمه باسم الله تعالى
في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملايكته وامر المؤمنين بالصلوة
عليه وسمى رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف قوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير
لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين كانه قيل حولنا ذلك من جلايل النعم فكن على ثقة بفضل
الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر
يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كقولك ان للصايم فرحة ان للصايم فرحة اي
فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد
يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول
فاذا فرغت اي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اولاك من النعم السالفة
ووعدناك من الآلاء الانفة وقيل فاذا من صلوتك في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك
والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي فرغب
الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الم نشرح لك كفاه ما جاء وانا نعتم فرج عنه

والتين والزيتون سما هذا التين وهذا الزيتون حصصهما الله سبحانه من بين الاشجار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص
جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يليّن الطبع ويحلل البلغم ويطهر
الكليتين ويزيل في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر رضي الله عنه انه
اهدى للنبي عليه السلام من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا ولو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع النقرس وعن علي بن موسى الرضا
التين يزيل كمكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له
سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها كفى به فضلا وشجرته من الشجر المباركة المشهود
لها في التنزيل وقد مر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي عليه السلام

يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب الغم ويذهب بالجوزة وبمعدته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال مابين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تاكلونه و زيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعى وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبى و طور سينين هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما او سينون كبيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى والمانها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما ائتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين لقد خلقنا الانسان اى جنس الانسان فى احسن تقويم اى فى احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى انموذجات من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا خارجة عنه متعلقة الى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القادر عاينا وهو يفيضه بواسطة ما فى الشرايين من الارواح الى الدماغ الذى هو منبت الاعصاب التى منها القوى المحركة للانسان فعند ذلك تحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مبادية البعيدة والقريبة فيصدر عند ذلك بهذه الطريقة ممن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها حتى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على ما ينبغى تنزيهه عن كونه داخلا فى العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم بما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح و القوى المرتبة فى العالم الانسانى الذى هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اى جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها كان فى اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وايا ما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اى رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول معترضة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد وبيانة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول عليه السلام اى فاى شئ يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل بامعن من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذه الدلائل

والمعنى

والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كاملا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين اى اليس الذى فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يحكم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبى عليه السلام انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه السلام من قراء سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام فى دار الدنيا واذا مات اعطاه الامن من الاجر بعدد من قراء هذه السور

اقراء اى ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك مما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى مالم يعلم اول ما نزل عليه عم كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقراء ملتبسا باسمه تعالى اى مبتدئا به ليتحقق به مقارنة لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بتلك الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى الذى خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه عليه السلام والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة ضعلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للنبى العالم المكلم اى الذى انشأ الخلق واستمر به او خلق كل شئ وقوله تعالى خلق الانسان على الوجه الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه او هو اشارة الى ظهوره والى تنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان وبقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير وما التفخيم فظاهر وقوله تعالى من علق اى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالة الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب اول منة على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه عم منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف انه تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكنه تعالى لدى القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقراء اى افعل ما امرت به تاكيد الايجاب وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الخ فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما يبنه عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقراء وانا اتى فقيل له وربك الذى احرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم الذى علم بالقلم اى علم ما علم بواسطة القلم لاغيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى علم الانسان مالم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر ببالهم وفى حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلم من العلوم مالا يحيط به العقول مالا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل نزلت فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ان راه استغنى مفعول له اى يطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لراى بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتنى وان جوزه

بعضهم من الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عايشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نطاعم الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤية لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه و
سلم ان تزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فنزع دينك وتتبع دينك
فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن دعائه ابقاء عليهم وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة
الطغيان والالتفات للتشديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه اى
ان الى مالكك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيتوى ح عاقبة طغيانك وقوله
تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة
بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقضي منه العجب روي ان ابا جهل قال في ملاء من طغاة قريش لئن
رايت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان
بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال لقد لفظ العبد وتنكير لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهي وتاكيد
التعجيب منه والرؤية ههنا بصرية واما مافي قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ومافي قوله تعالى
ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه لجزالة ان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها
مجرى الاخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المرتد
بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز
الترد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان
من عند الله ثم كفرتم به والمفعول الاول للرايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه و
مفعوله الثاني لسد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني للرايت لا يكون الا جملة استفهامية
او حسبية والمعنى اخبر في ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى فيما يامر
به من عبادة الاوثان كما يعتقده او كذب بالحق موضع الصواب كما تقول لمن لم يعلم بان الله يرى اي يطلع على
احواله فيجازيه بها حتى جزاء على ما فعل واغا افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستئناف
مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر وباستتباع
الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدايرة وهو السر في تجريد
الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت الاولى بمعنى اخبر في مفعوله الاول
الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية عليه وايت في الموضعين تكرير
للتاكيد ومعناه اخبر في عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة
الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على الكذب
للحق والتولي عن الدين الصحيح كما تقول لم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك
فتامل وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى والمنهي على الهدى امرا بالتقوى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب
الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته
هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى انتهاه وقيل هو ابو جهل بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع
للناهي اللعين وخشوع لوجه الله في قوله تعالى لئن لم ينته موطيء للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم يتزجر
لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة و
قرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام

عن الاصافة

عن الاصافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز ابدال المعارف عن المعرفة وهي
نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد
المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو
المجلس الذي يعتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم
انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية
ليجره الى النار والزبانية الشرطة الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنية وكانه نسب الى الزبن ثم
غير كما يسمى واصلها زبانى بتعويض التاء عن الياء والمراد ملئكة العذاب وعن النبي عليه السلام لو دعا ناديه
لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاة واسجد
واقرب على سجودك وصلوتك غير مكترث به وتقرب بذلك الى ربك كما في الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه
اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء سورة العلق اعطي من الاجر كانما قراء المفصل كله

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشان القرآن الكريم واجلال المحل باضماره الموذن بغاية نباهة المعنى المقتضي لتفخيمه
به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وبتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى
وما ادريك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دايرة الخلق لا يدريها الا علام الغيوب
كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويق عليه السلام الى دريتها فان
ذلك مرغب عن الوعد بادراكها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد
التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح
المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على البيت نجوما في ثلث وعشرين سنة و
اما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه حيث
ان ينزل في قرآن وقول عايشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فالانسب ان يجعل الضمير للسورة
التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر
الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريد احياءها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء
لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على
سايئر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرايل لبس السلاح في سبيل
الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل
فيما مضى كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من
اولئك العباد وقيل اري النبي عليه السلام اعمار الامم كافة فاستقل اعمارهم مخافة ان لا يبلغوا من العمل مثل
ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسايئر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة
شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى
تنزل الملئكة والروح فيها استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة قد سبق في سورة البناء قبيل
في شان الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملئكة لا يراهم الملئكة الا تلك الليلة اي تنزل الملئكة والروح في تلك الليلة
من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين
باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق
كل امر حكيم وقرئ من كل امر اي من كل امر ثم انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي

هي الاسلامة اى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او هي الاسلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الخ اى وقت طلوعه وقرئ بالكسرة على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اى لكثتهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدء مغتفر في الجار عن النبي عليه السلام من قراء سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اى اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد ابنيائهم والمشركين اى عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اى عما كانوا عليه من الوحد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين فقد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقتلكم معه قتل عاد وارم واما المشركون فلعله قد وقع متاخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى يأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين اى تلت وقوله تعالى رسول بدل من البينة وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اى منزهة من الباطل لا ياتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرون ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضمير مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا على الفاعلية وقيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب فاضحة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وضعهم بإتياء الكتاب البنيء عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي عليه السلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس الطائفين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مقيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اى الا ان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اى جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة

ويؤتوا

ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا بمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امرهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اى دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تاويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حتى ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل جسما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقيه الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى تكسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد الغنى والحق على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد بهم تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه العاقل فلا تغفل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشاة بصورة عرضية وستظهر في النشاة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب يطريق الخلد لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبايح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشرار اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل للخلود هم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيد القطاعة حالهم وقرئ بالهمزة على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لكمال احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير مخفف خيد وجياد جاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها وهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم تخير البرية وذكر الجزاء الموذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه عليه السلام من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات والتقييد بالاضافة وبما يزيدها بغيها وتاكيد الخلود بالابد من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استيناف ببيان ما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوانه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب اقصيها وابيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصايص العلماء بشؤن الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المربية عن المالكية والتربية للاشعار بغاية الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي عليه السلام من قراء سورة

لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

اذا زلزلت الارض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه فاوزلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره اوزلزالها الداخل فى خبر الامكان وقرئ بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم ناقة خرعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النحاة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اى ما فى جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبديل الارض غير الارض اولان اخراج الاثقال حال بعض اخراجها وقال الانسان اى كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة مالها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وتقديرا للجبال فى جوه وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذا لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجيب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيها ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اى يوم اذ زلزلت الارض تحدث اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبى عليه السلام انها تشهد على كل احد بما عمل ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامرها ايا ها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء ويدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اى جزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل لبروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء وايا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر ا ما مشاهدة جزاء فمن الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر توثر فى نقص العذاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والمشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدم قبول يعوض كل منهما الى سائر الدلائل القائمة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر وعقابته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا وشرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقبه بسيئاته عن النخعى من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله اعلم

والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو وتحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب بما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كما قيل والضابحات اوحال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الضرب يقال قدح فاورى اى فالق توري النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلثة فالمغيرات اسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب او للقتل او للكر اليها وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى اغاراتهم صبحا اى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون

ويذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاثرن به اى فهيجن بذلك الوقت نقعا اى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهران الايراء الذى لا يظهر الا نهارا واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اى توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاء للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان احد النقباء فابطاء عليه عم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه السلام بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونغيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد اورين نارها هؤلاء فى حى اربا بها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران وانه على ذلك اى وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا الشديد اى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اى انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصف بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمرء فيما فيه الى النفاق حب المال لانهم بايظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويجوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور الى تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور من الموتى وابراد ما للكوهم اذ ذاك بمنزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر بوث على بنائها للفاعل وحصل اى جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ وحصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما فى الصدور من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاولى حيث التفت الى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه اذ انا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعثرة ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور لخبير اى عالم بظواهرها عملا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به بنبئ تقييده بذلك اليوم والا فمتعلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

القارعة القرع الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيمة التى مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب بالاسماع بفنون الافزاع والاهوال ويخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال الى حال المعاد بالانشقاق والانفطار والارض والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على ان الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الفائدة وهو الخبر لا المبتدأ

والريب فان مدار افادة الهول والفخامة هو كلمة ما لا القارعة اى اى شئ هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا للهول وقوله تعالى وما ادريك ما القارعة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شانها وبدى شدتها بحيث لا تكاد تنالها دراية احد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتداء وادريك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت فى موقع المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتداء الاول اى واى شئ اعلمك ما شانه القارعة ولما كان هذا مبنيا عن الوعد الكريم باعلامها الجزء ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتداء محذوف وحركة الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راى الكوفيين اى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار او منصوب باذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هى هذا وقد قيل انه ظرف لما صبه مقدم يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الخ وقد قيل استانيكم يوم تكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش اى كالصوف الملون بالالوان المختلفة المنفوش فى تفرق اجزائها وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان انذكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام فى سورة النحل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالى لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان يوزن به الاعمال قالوا توضع فيه صحايف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التى هى اعراض مفتقرة وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة يصور عرضيتها تبرز فى النشاة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى عن ابن رضى الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان اى فمن رجحت مقادير حسناته فهو فى عيشة راضية اى ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اى فمأواه هاوية هى من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبى ان المعنى فامه راسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادريك ما هيه نار حاميه فانه تقرير لها بعد ابهامها والضمير يرجع الى النار عائدا على العهود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل وعن النبى عليه السلام

من قراء سورة القارعة ثقل الله تعالى ميزانه يوم القيمة

الهيكم التكاثر اى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وكاثروا بالسادة والاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم كاثرتم بالاحياء حتى زرتم المقابر اى حتى اذا استوعبتم عدد هم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل للغنى الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من التاهب لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وتوبيخ الهاكم على الاستمرار على التقريرى كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثانى ابلغ من الاول اما الاول فعند الموت او فى القبر والثانى عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامها تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة والثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسالن يومئذ عن النعيم اى عن النعيم الذى الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب للخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليا كل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا بعباء بالعلم والعمل ولا يجل نفسه شاقها فاما من تمتع بنعمة الله وتقوى به على طاعته وكان ناهضا بالشكر لنهوضه من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبى عليه السلام من قراء سورة التكاثر عاسد الله به النعيم الذى

انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قراء الف اية

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى والعصر لنبوة الظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفى خسر اى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم فى مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى دار من لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها او على البلوى بلوا الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التوصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به ولان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قراء سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن توصى بالحق وتوصى بالصبر

ويل مبتداء خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء بما مع كونه نكرة لانه دعا عليهم بالهلكة او بشدة الشر والنهر الكسر كالنزع واللمز الطعن كالغمز شاع فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى به وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى ياتى بالاضاحيك

الهكم

فيضحك منه ويستهزئ به وقيل نزلت في اخنس بن شريق فانه كان ضاربا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل
في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغمزه من جانبي الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي
خصوص الوعيد بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب مثل ذنوبهم الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب
او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكيرها للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدده وقيل معنى
عدده اي جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده الذي ينميه ونزه من تولك فلان ذو عدد
وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده
اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني
حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو ترغيب في العمل الصالح والزهد في
الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا مخلد وروي ان الاخنس
كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة حستانفة او حال من فاعل جمع كلا ردع عن ذلك الحسبان
الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه
للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس
وجمع المال وقوله تعالى وما ادريك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول الخلق
وقوله تعالى نار الله خبر مبتداء محذوف والجملة بيان لشان المسؤل عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله
عز سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة
اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تالما بادنى اذى
يمسه اولانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشا الاعمال السيئة انها عليهم موصدة مطبقة من
اوصدت الباب واصدته اي اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين
فيها مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص او خبر مبتداء محذوف اي هم في عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقاء اي كائنة
في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب فلا يخرج منها غمهم ولا يصل اليهم روح وقرئ عمد
بضمتين عن النبي عليه السلام من قراء سورة الهمزة اعطاه الله بعدد من استهزء بمحمد عليه السلام واصحابه

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رويته عليه السلام بالكار
عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا مناخيا للمشاهدة والعيان باستماع
الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك
الى التهويل لحادثة الايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته
غرة بينة وشرف رسوله عليه السلام فان ذلك من الامور التي ما وعت لما روى ان القصة في السنة التي ولد فيها النبي ﷺ
وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد
ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح
فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان نوبا عظيما واثنى عشر فيلا غيره وقيل
ثمانية وقيل الف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب فعرض عليه ثلث ماله فامره ليرجع فابى
وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرام برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول
فارسل الله تعالى طيرا سودا او قيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من
الحمصة فكان يقع راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فقرد انهكوا في كل طريق ومنهل وروى

ان ابرهة تساقطت انامله وآرابه ومات حتى انفدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق عليه فوقه
حتى اذا بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما انتهى وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي
بعير فخرج اليه في ثناياها فلما راه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة
الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه
معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي
هو دينك ودين آبائك وعصمتك وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه فقد اخذت لك فقال عبد المطلب
انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فانتفت
وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق
مع اصحابه ينتظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي
الذي كان في زمن النبي عليه السلام وعن عايشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين
يستطعمان وقرئ لم ترتسكون الراء للجر في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل الى بيان
اجمالي لما فعله الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل
كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اي جوانح و
جماعات جمع آبالة وهي الحزمة الكثيرة شبهت بالجماعة من الطير في تضاحمها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط
لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة للطير او قرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار المعنى من سجيل
من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذي كتب
فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف
ماكول كورق زرع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن كلته الدواب وراثته اثير
اليه باول احواله عن النبي عليه السلام من قراء سورة الفيل اعفاه الله ان يلقاه ايام حيوته من الخسف والمسخ والله اعلم

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا ولوالفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان لم يعبدوا لسائر النعم
مخصوصة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب
الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ وقيل باقبلة من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في
مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلكهم من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيهابوا التعرض لهم زيادة
تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون
في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى
وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من توك الفت الكان ايلافا اذا
الفته وقرئ لالاف قريش اي لالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ للاف قريش وقريش ولد النضر بن
كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق عليها الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل
من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافراده مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف
لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله بهذا من تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة وقرئ ليلاف
قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت
الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من حيرة من جوع شديد كانوا فيه قبلهما

وقيل اريد به القحط الذى كلوا فيه الجيف العظام وآمنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف فى بلادهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم فى بلدهم عن النبى عليه السلام من قرأ قرية قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة وألف بها

ارأيت الذى يكذب بالدين استفهام اريد به التشويق الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء فى قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم خبره بشرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير لاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته فى الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فزجره بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل صور رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اى يتركه ويجفوه ولا يحض اى اهله وغيره من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء فى قوله تعالى فويل لهم اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان كذا فما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن اى يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اى الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما الترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر اى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين واكرام العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر فى الجنة وعن النبى عليه السلام انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته انه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو ما تناعده علماء امته لواقوان الحاوى لخيرى الدنيا والدين والفاء فى قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اى استيجابا ناى قدم على الصلوة لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا يضاهيها نعمة حالكما لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التى هى جياد اموال العرب باسمه تعالى وتصدق المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هى صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه فى التكبير الى نحره هو المروى عن النبى عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبى

وابى

وابى الاهوص ان شانئك اى مبغضك اى كائنا من كان هو الابتر الذى لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا يذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك فى الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت فى العاص بن وائل واياما كان فلا ريب فى عموم الحكم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك نعبد آلهتنا ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤسهم فقراء عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على المضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اى ولا انتم فاعلون فيما اطلب منكم من عبادة الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى ان لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل ما نافية لنفى العبادة حالا كما ان الاولين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى واشارة فى ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاولیان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى و لا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولى دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فيه فلما تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم واسلامى آباءكم ولان ما عبدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم بعد الهتنا سنة وبعد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتى العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصرا افراديا حتما ويجوز ان يكون هذا تقرير القوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذ لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتامل عوض النبى عليه السلام من قراءة سورة الكافرين كانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

اذا جاء نصر الله اى اعانته واظهاره اياك على عدوك والفتح اى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كان فى نفسها ام القرى واما مها جعل مجيئه بمنزلة مجئ سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجئ للايذان بانهما متوجهان نحوه عز وانما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قرب روى انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما فى حيزها اعنى به قرينة دخول الناس الخ غير منقض بعدو كان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبى عليه السلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وقوات

الدب واقام خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا لذلك يسمى اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورايت الناس اى ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اى ملة الاسلام الحق لا دين يضاف الى الله تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثيرة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان حامدا له او فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه السلام امر بان يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فوتك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قرأها النبي عليه السلام على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك لعمر او لي هذا الفلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وكمال امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبته فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي عليه السلام من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وانما تاب واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزاني جزاه الله شر جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي ابن ابو طالب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن حين حل به البنات على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في

معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسبه من الارباح والنتايج والمنافع والوجاهة والاتباع او ما الكسبوه من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي عليه السلام او عمله الذي ظن انه منعه عن كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا اقتدي به نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش يتقيها كما الطاعون فبنى ثلثمائة حائط ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبره القرآن سيصلى نارا بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الاخرة نارا ذات لهب اى نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نفيا لانه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا وحي له النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على المستكن في سيصلى لكمال الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي عليه السلام وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الميزر وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنهار ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي توقد بينهم النائرة حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم وقرئ بالرفع على انه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريته بالتصغير للتحقير في حبلها حبل من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانما تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك وتمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت قبيل تاتي كل يوم بالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على شرج فجذبها الملك من خلفها فاحتقبته بحبلها عن النبي عليه السلام من قراء سورة تبت جوزت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

قل هو الله احد الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره للايذان بانه من الشهرة والباهرة بحيث يستحضر كل احد والية يشير كل مشير والية يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده ولا حاجة الى ربط لانها عين الشان كذا قرر عبر عنه بالضمير والستر في تقدير الجملة بالتنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة خبرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن متر قبا لما اما مه ما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لاكمرة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما احلت الغنايم لاحد سود الرؤس غيركم فانها اصلية وحال لكن اصل احد واحد فابدلت الواو

همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احديها تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لايبنى عليه العدد فلا يقال احد و
اثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما يسأل عنه اى الذى
سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره او الله خبره واحد
بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد
وقوله تعالى الله الصمد مبتدأ والصمد فعل بمعنى المفعول من صمد اليه اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى
بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمدية بخلاف احديته وتكريره لاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك لم يستحق
استحقاق الالوهية وتوسيط الجملة بين العاطف لانها كالنتيجة للاولى بيّن اولا الوهيته عز وجل المستتبعة كمالاته
ثم احديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمدية
المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر احواله الها تحقيقا للحق
وارشادا الى السنة الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على
ابطال زعم المفترين فى حق الملئكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى اى لم يصدر عنه ولد لانه لايجانسه شئ ليكون
ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او
يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد اى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا
والتعريح بعم كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان او المعهود ان ما يلد يولد
وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لايلد فهو ترتيب من عطف لايستقدمون على لايستأخرون
كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اى لم يكافئه ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان
حقها التأخر عنه لاهتمام لان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لاصلة ويكون كفوا حالا
من احد وليس بذلك واما تاخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرئ بضم الكاف
والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على اعلى
المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد فى الحديث النبوى انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان
العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكلها اعتبر المقصود بالذات منه روى عن النبى عليه السلام انه قال استبت
السموات السبع والارضون على قل هو الله احد اى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته
التى نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله

قال وجبت له الجنة

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المعنى
والمفلوق عنه مفعوله وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن
العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منها وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف
الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه و
انجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرعه باب الابتهال اليه تعالى واما
الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذا لا يأس للعائذ
فى قدرته تعالى على فك مهمة يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا
ما كان من ذوات الطبايع والاعتبار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة منها من الضار
البدنية وانها تعم الانسان وغيره فليس بسديد ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد

اى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق الموسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها
المقتضاة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوايب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر
غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه كثرة وقوعه ولان
تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل
واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه
وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته لما يجدونه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده و
لا كل اوانه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اى دخل ظلامه فى كل شئ لان حدوثه فيه اكثر والحزر منه اصعب
واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى
عن عايشة رضى الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من
شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى
آخر الشهر والمجنون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر الموثر للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب
لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل سوكل شئ
يعرى الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات فى العقد اى ومن شر النفوس او النساء السواحر اللتى يعقدن
عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف
وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتخصيصهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعايشة
رضى الله عنهم انه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه السلام وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود
فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فذهبن ببئر اريس فمرض
النبى عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بمواضع السحر وبمن سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله
وجهه والزبير وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهى الصخرة التى توضع
فى اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشر عقدة مغروزة بالابر فجاؤا بها النبى
عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة
الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال
عليه السلام اما انا فقد عافانى الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عايشة رضى الله عنها ما غضب
النبى عليه السلام غضبنا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث
فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا
حسد اى اذا اظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا
وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قلما يتجاوز الحاسد لاغير عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المعوذتين
كانما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى

قل اعوذ وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اى مالك امورهم ومربيهم
بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست
بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر
وكذا قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بحيث لا استيلاء عليهم والقيام بتدبير امورهم
وسياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قضارى امر الملوك بل هو بطريق الالهية الموسسة

٧٦٠
٥٥٥

على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة
بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته وملكوتيته والهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرغبة
عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية فى ضمن
جنس هو فرد من افراده من دواعى مزيد الرحمة والرأفة ولمحه تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة
لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التخصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى
وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم
سلطان فمن جعل عداء تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر
توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف
والتقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمى بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذى عاوتان يخنس
اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول
اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على انه ضربان جنى و
انسى كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة
الانس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم والاقرب
عليه منه ان يراد بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم بيان الجنة
والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله
واسع رحمة عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

متفرعا
الى ربه الجليل اللهم يا ولى العصمة والارشاد ويا دى الغواة الى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب
عليك توكلى واليك تناب انت المغيث لكل جايء ملهوف والمجير من كل نائل مخوف الوذ بجنبك المأمون
من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز وآوى الى ركنك العزيز واسألك من خزائن برك المخزون فى
كامن سترك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور
لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذنى بحمايتك واعنى
بعنايتك وافض على من شوارق الانوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصنى من العوائق الظلمانية
ويجردنى من العلائق الجسمانية وهذب نفسى الابية من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبى القاسى بلوامع
الاشراق ليستعد للعثور على سرائر الانس ويتهيأ للحضور فى حظائر القدس
وشتنى على مناهج الحق والهدى وارشدنى الى مسالك البر والتقوى واجعل
اعز مرامى ابتغاء رضاك واشرف امانى يوم لقاك
يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا
واحشرنى مع الذين انعمت عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن
اولئك رفيقا

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısım | Amcazade Hüseyin Paşa
Yeni
Eski Kayıt No | 15